أمالي المرتضى

غرر الفوائد ودرر القلائد

للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي

٣٥٥ - ٤٣٦ هـ

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

أمالي المرتضى

غرر الفوائد ودرر القلائد

للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي

٣٥٥ — ٤٣٦ هـ

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

القسم الأول

مكتبة
الدكتور مروان العطية

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

المصدر والتصوير : د. مروان العطية
التنسيق والفهرسة : د. الشـويحي

الطبعة الأولى

« جميع الحقوق محفوظة »

[١٣٧٣هـ — ١٩٥٤م]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

١ ـ الشريف المرتضى (*)

كانت بغداد فى القرن الرابع الهجرىّ موئل العلم ، ومثابة العلماء ، وملتقى الكتّاب والشعراءوالأدباء ، فيها غنِيت ساحات الخلفاء والملوك والرؤساء بفنون المناظرة والمساجلة والجدل، وعمَرت المكتبات بألوف الكتب المؤلفة والمترجمة ، المطوّلة والمختصرة ؛ وغصّت دورالعلماء وحلقات الدروس بطلاّب الأدب ، وروّاد العلم والمعرفة من شتى الجهات .

وكان للكثير من ملوك بنى بويه من لطافة الحسّ ، وزَكانة الطبع ، ورهافة الذوق ،

(*) مصادر الترجمة :

أمل الآمل ٤٨٦ـ٤٨٧

إنباه الرواة ٢ : ٢٤٩ـ٢٥٠

بغية الوعاة ٣٣٥ـ٣٣٦

تاريخ ابن الأثير ٨ : ٤٠ـ٤١

« الإسلام للذهبي (وفيات ٤٣٦)

« بغداد ١١ : ٤٠٢ـ٤٠٣

« أبى الفداء ٢ : ١٦٧

« ابن كثير ١٢ : ٥٣

تتمة اليتيمة ١ : ٥٣ـ٥٦

جمهرة الأنساب لابن حزم ٥٦ـ٥٧

ابن خلكان ١ : ٣٣٦ـ٣٣٨

دمية القصر ٧٥ـ٧٦

الرجال لأبى العباس النجاشى ١٩٢ـ١٩٣

روضات الجنات ٣٧٤ـ٣٧٨

سير النبلاء للذهبي ج ١١ قسم ١ ص ١٣١

شذرات الذهب ٣ : ٢٥٦ـ٢٥٨

الفهرست لأبى جعفر الطوسى ٩٧ـ١٠٠

لسان الميزان ٤ : ٢٢٣ـ٢٢٤

مرآة الجنان ٣ : ٥٥ـ٥٧

معالم العلماء لابن شهراشوب ٦٠ـ٦٣

معجم الأدباء ١٣ـ١٤٦ـ١٥٧

المنتظم (وفيات ٤٣٦)

النجوم الزاهرة ٥ : ٣٩

ورجاحة العقل ماهيّأ لهم أن يكونوا كتّابا أو شعراء ؛ وما دفع بعضهم للمشاركة فى العلوم ، والأخذ بنصيب من أطراف الفنون ؛ فحدَبوا على العلماء ، وأغدقوا على الشعراء ؛ وعرفوا للأدباء أقدارهم ؛ فولّوْهم الوزارة والإمارة والقضاء فى كثير من الأحايين .

وكانوا أيضاً من شيعة علىّ ، وعلى هوى أحفاده من أبناء الحسن والحسين ، فخصّوهم بالتكرمة ، ومنحوهم أرفع المناصب ، وأدنوْهم من نفوسهم ، وقرّبوهم فى مجالسهم ، وظاهروهم فى المناظرة ، ودفعوهم إلى الجهر بالرأى والإدلاء بالحجة ؛ وكانوا لهم ردءًا حين يحتدم الجَدَل ، ويشتد اللّداد بينهم وبين أهل السّنة ؛ ومَنْ يشدّ أزرهم من الأتراك وخلفاء بنى العباس .

فى هذه الحِقبة النادرة فى تاريخ العلوم ، وفى هذا العصر الحالى بأزاهير الفنون والآداب، وفى تلك الدولة التى قام فى أكنافها العلماء والشعراء والأدباء ؛ عاش الشريف المرتضَى علىّ ابن الحسين ، وأخوه الشريف الرّضىّ محمد بن الحسين ، واتخذا مكانهما بين ذوى المَثالة ، وأعيان الشرف والفضل من الأعلام؛ فكان المرتَضى عالما فقيها متكلّما، خبيرا بقرض الشعر، بصيراً بمذاهب الكلام ، وكان الرّضىّ شاعراً مطبوعا متصرّفا ، وكاتبا بارعا رائق الديباجة صافى الأسلوب ، مشاركا فى التأليف والتصنيف ؛ وقضيا حياتهما مرعيَّى الجانب؛ رفيعَى المنزلة ؛ مرموقَى المحلّ عظيمَى الخطر والجاه عند خلفاء بنى العباس ، والملوك من بنى بويه على السواء .

☆☆☆

وكانا يَنزِعان إلى أعرق المناصب، وأطيَب النِّجار ، نَجلَهُما أبو أحمد الحسين بن موسى ابن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ؛ وأنجبتْهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر الأطروش ، صاحب الديلم ، وشيخ الطالبيِّين وعالِمهم وشاعرُهم .

وكان أبو أحمد من ذوى النباهة والصيت عند بنى بويه ، ولقّبه بهاء الدولة أبو نصر ابن بويه بالطاهر الأوحد ؛ كما كان من ذوى القدر والجاه عند بنى العباس ؛ وولّوه النظر فى المظالم ونقابة الطالبيّين مرات ؛ كان يقوم بالسفارة بينهم وبين آل بويه أحيانا، وبين الحمدانيّين أحيانا ، فمحّضَ النصح ، وبصّر بمناهج الرشد ، وأبدى الرأى الأصيل؛ وظفر بالمكانة منهم جميعاً . ومات فى سنة ٤٠٠ . وقد رثاه أبو العلاء المعرّى بقصيدته المشهورة :

أَوْدَى فليت الحادثاتِ كَفافِ   مالُ المسيفِ وعنبرُ المُسْتَافِ (١)
الطَّاهِرُ الآباء والأبناء والآ   راب والأثْواب والأُلاّفِ
رغتِ الرُّعود وتلك هدّة واجبٍ   جبلٌ هَوى من آل عبد منافِ (٢)
بخلت فلما كانَ ليلة فقدهِ   سمح الغمامُ بدمعه الذرّاف
ويقال إن البحر غاضَ وإنها   ستعود سِيفاً لُجَّةُ الرَّجَّافِ (٣)
ويحِقُّ فى رزء الحسينِ تغيُّرُ الْـ   ـحرسَين ، بَلْهَ الدرّ فى الأصدافِ (٤)

وفيها يذكر الشريفين ويعزيهما :

ولقيتَ ربّك فاستردّ لك الهدى   ما نالتِ الأيامُ بالإتلافِ
وسقاكَ أَمْوَاه الحياة مخلّدًا   وكساكَ شرخَ شبابِك الأفوافِ
أبقيتَ فينا كوكبين سَنَاهُما   فى الصُّبحِ والظَّلْماءِ ليس بِخافِ
متأنّقَيْن وفى المكارم أرْتعَا   متألّقَينِ بسؤددٍ وَعفافِ
قَدَرَيْنِ فى الإرْداء، بل مَطَرين فى الـ   إجْداءِ ، بل قمرين فى الإسْدافِ

---

(١) سقط الزند ١٢٦٤—١٣٢٠ . كفاف ، أى ليت الحوادث كفت الأذى . والمسيف : من ذهب ماله . والمستاف : الشامّ . (٢) الهدة : صوت الشىء الساقط ، والواجب : الساقط ؛ ويقال إن المرثى مات فى ذات ليلة برق ورعد ومطر . (٣) السيف : الساحل . والرجاف : من نعوت البحر .
(٤) الحرسان : اسم الليل والنهار .

رُزِقا العلاء فأهــــل نجدٍ كلَّما نطقا الفصاحة مِثلُ أهلِ دِيافِ[1]
ساوى الرَّضِيُّ المُرْتَضى وتقاسَما خُطَطَ العُلا بتَناصفٍ وتَصافِ

وفى آخرها يقول :

يا مالِكَىْ سَرْحِ القريضِ أتتْكُما مِنِّى حَمولةُ مُسْنِتِين عِجافِ[2]
لاتعرف الوَرَقَ اللَّجينَ وإن تُسَلْ تُخْبِرْ عن القُلاَّمِ والخِذْرافِ[3]
وأنا الذى أهْدِى أقلَّ بَهارةٍ حُسْناً لأحْسَنِ روضةٍ مِئنافِ[4]

وبعد موته انتقلت وظائفه إلى الشريف الرضى ، ولما مات آلت إلى الشريف المرتضى .

* * *

وكان مولد الشريف المرتضى ببغداد فى رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة[5] ، وفيها تلقّى العلم وشغل به فى جميع أدوار حياته ؛ وكان أول عهده بالمدارسة والتأدب على الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد ، ذهبت به أمه إليه مع أخيه الرضىّ ؛ وهما فى سن الحداثة ، وقبل أن يجاوزا حدّ الصغر ؛ فأخذا عنه ، وتخرّجا عليه . ثم صحب المرتضى غيره من العلماء ، وورد شِرْعتهم ، وحمل عنهم؛ مثل سهل بن أحمد الديباجىّ ، وأبى عبيد الله المرزبانىّ ، وأبى الحسن الجندى ، وأحمد بن محمد بن عمران الكاتب ، وغيرهم .

ويبدو مِنْ تقصّى أخباره ؛ ومطالعة ماوصل إلينا من كتبه ورسائله أن أعظم الشيوخ الذين تأدب بهم وأفاد منهم هما الشيخ المفيد وأبوعبد الله المرزبانىّ .

---

(١) دياف : موضع فيه نبط لانفصاحة لهم .
(٢) السرح فى الأصل : المال الراعى ، والمسنت: الذى أصابته السنة ؛ أى القحط . والعجاف : المهازيل.
(٣) اللجين : ورق الشجر يخلط بالنوى المرضوض ، ويلجن بعضه ببعض ، وهو من علف أهل الأمصار . والقلام والخذراف : من الحمض ؛ وهو علف أهل البادية .
(٤) الروضة المئناف : التى لم ترع بعد . (٥) الفهرست لأبى جعفر الطوسى ١٠٠ .

فأما الشيخ المفيد فقد كان رأساً من رءوس الشيعة ؛ وعلماً من أعلامهم ؛ لا يدرك شأوه فيهم ؛ وإليه انتهت رئاسة الإمامية فى عصره ، وفى كتبه حُفِظت أقوالهم وآراؤهم وشروحهم وتأويلاتهم ؛ وعنه تلقى السيد المرتضى الفقه والأصول والتفسير وعلم الكلام ؛ ثم استقل بالرأى فيما بعد ؛ ووضع فى ذلك الكثير من الكتب والرسائل والمقالات .

وأما المرزبانىّ فقد كان إماما من أئمة الأدب ؛ وشيخاً من شيوخ المعتزلة ، وعلما من أعلام الرواية ؛ وكانت داره مقصد العلماء والمتأدبين ؛ مهيَّأة بالكتب والورق والمداد ؛ معدّة للطعام والراحة والنوم ؛ فكان يأخذ عمّن يزوره من العلماء ؛ ويقرأ لمن يجلس إليه من الطلاب ، وفيما بين ذلك يؤلف الكتب ويصنفها ؛ ومعظم مارواه السيد المرتضى فى كتاب الغرر من الشعر واللغة والأخبار ممّا تلقاه عليه ، ورواه عنه .

ولما عَلَتْ به السنّ ، وخلع عن منكبه رداء الشباب عكف فى منزله مُخْلِداً إلى القراءة والدرس ؛ واستنزف أيامَه فى التحصيل والتأليف ، مؤثراً مجالسة العلماء والمستفيدين على مخالطة الرؤساء وذوى السلطان ؛ بل إنه زهِد فيما ورّث أبوه من نقابة الطالبيين ، والنظر فى المظالم ، وآثر بها أخاه الرضىّ ـ وكان أصغر منه ـ ليُرضى ما كانت تنزع إليه همة أخيه من الرغبة فى سَنِىّ المطالب وبلوغ الأقدار ؛ ويقضى حاجة نفسه من الانقطاع إلى العلم ، والخلوة إلى القراءة والدرس ؛ ولم يتولّ شيئا من هذه المناصب إلا بعد وفاة أخيه. وأعانه على ما يبغى ما تهيأ له من مكتبة عريضة واسعة ؛ تحوى ما عرف من الكتب فى حياته ؛ ذكر الثعالبى أنها قُوِّمت بعد وفاته بثلاثين ألف دينار ، وقدرت بثمانين ألف مجلد ، بعد أن أهدى منها ما أهدى إلى الرؤساء والوزراء .

وكان السيد المرتضى فى نعمة سابغة ، وخير كثير ، وثروة قلّ أن تتهيأ لمثله من العلماء ؛ روى أنه كانت له ثمانون قرية بين بغداد وكربلاء ، يشقها نهر ينتهى إلى الفرات ؛ وكانت السفن تسير فيه غادية رائحة ، تحمل السَّفْر والزوار ؛ وخاصة فى موسم الحجيج ؛ وكان لهم فيما يسّاقط

من ثمار الأشجار العاطفة على النهر؛ فا كهة موقوفة عليهم ، ولغيرهم ممن تحمل السفن؛ وقدّروا ما تُغلّه هذه القرى بأربعة وعشرين ألف دينار فى العام .

وقد تمكّن بفضل هذه الثروة من أن يعيش فى داره مكفول الرِّزق ، مقضىّ الحاجات، لا يشغله ما يشغل غيره من شئون الدنيا ومطالب الحياة ؛ ولا يصرفه شىء عن القراءة والدرس والتصنيف والفُتْيا ؛ بل إنه تمكن من أن يقضى حاجة قلبه من البرّ بالناس، ومواصلتهم، والعطف عليهم ؛ وخاصة مَنْ كان يمت إلى العلم بصلة ، أو يُدلى إليه برحم ماسّة ، فكان منزله داراً للضيافة ، ومدرسة للتعلم والمدارسة ، ينقطع فيه التلاميذ والطلاب والمريدون ، ويستروح فى رحابه الوافدون من شتى الجهات ، بعد أن يكون قد أدماهم السير وأكلّهم السّرى؛ بل إنه جعل للكثير من تلاميذه مرتبات منظمة؛ وحبوساً موقوفة عليهم ؛ كان أبوجعفر الطوسى(١) من تلاميذه المنقطعين إليه، فأجرى عليه اثنى عشر ديناراً فى كل شهر ، فى ثلاثة وعشرين عاما قضاها فى صحبته إلى أن مات ، وكذلك رتب للقاضى عبد العزيز بن البراج(٢) ثمانية عشر دينارا فى الشهر ؛ وغيرهما كثير . ووقف قرية كاملة؛ يجرى خيرها على كاغد للفقهاء خاصة ؛ رغبة فى النفع ، وبثّ العلم فى الناس .

وروى أنه أصاب الناس قحط شديد فاحتال رجل يهودىّ على تحصيل قوت يحفظ نفسه،ففزع إليه ؛ وشفاعته الرغبةُ فى العلم : واستأذنه أن يقرأ عليه شيئا من علم النجوم ؛ فأذن له ، وأمر بجائزة تجرى عليه فى كل يوم ، فقرأ عليه برهة ثم أسلم .

ومن هذه البابة أيضا ماحكاه ابن خلكان عن أبى زكريا التبريزىّ أن أبا الحسن على ابن أحمدبن سَلكّ الفالى الأديب كانت له نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد فى غاية الجودة ،

---

(١) هو محمد بن على بن جعفر الطوسى ، ولد سنة ٣٨٥ ، ولزم الشيخ المفيد وتخرج عليه ولما مات سنة ٤١٣ ؛ لزم السيد المرتضى إلى أن مات ، ثم استقل بالإمامة بعده ، وتوفى سنة ٤٠٦ .

(٢) هو عبد العزيز بن نحرير بن البراج ؛ ولد بمصر ونشأ بها ؛ ورحل إلى طرابلس وولى قضاءها مدة، وتوفى سنة ٤٨١ .

فدعته الحاجة إلى بيعها ، فاشتراها الشريف المرتضى بستين دينارا ، وتصفحها فوجدبهاأبياتا بخط بائعها أبي الحسين الفالى ؛ وهى :

أَنِسْتُ بها عشرين حَولا وبعتُها ... لقد طال وجدى بعدها وحنينى
وما كان ظنى أننى سأبيعُها ... ولو خلّدتْنى فى السجون ديونى
ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وصبيةٍ ... صغارٍ عليهم تستهلّ شئونى
فقلت ولم أملك سوابق عَبرةٍ ... مقالةَ مكوىّ الفؤاد حزين
«وقدتُخرِجُ الحاجاتُ يا أم مالكٍ ... كرائمَ من ربٍّ بهن ضنينِ»

فأرجع إليه النسخة ؛ وترك الدنانير ؛ جريا على عادته من صلته أهل العلم ، وبره بهم .

* * *

وقد اجتمع إليه من فنون العلوم وضروب الآداب ما قلّ أن يجتمع لسواه ؛ وضرب فيها جميعها بسهم وافر ؛ فكان فقيها انتهت إليه رياسة الإمامية فى عصره ؛ بعد أن درس الأصول ، ومحّص الحقائق ، واستخرج المسائل ، ونصب نفسه بعد ذلك للفتيا، فشُدّت إليه الرحال ، ووفدت إليه الناس من كل صُقْعٍ ، ووضع لكلٍّ كتابا ؛ فهذه المسائل الديلمية ، وتلك المسائل الطوسية ، وهذه المسائل المصرية والموصلية وهكذا . وحذق علم الكلام وأصول الجدل ، فحاجّ النظراء والمتكلمين ، وناظر المخالفين ؛ وكتابه الشافى حجة على طول باعه فى الجدل . وله فى تفسير القرآن وتأويل الكتاب ما كشف به عن بحر لا يسبَر غوره ؛ ولا ينال دركه ؛ وقد حفظ من أخبار العرب وأشعارهم ولغتهم ماجعله فى الرعيل الأول من الرواة والحفاظ والأدباء ؛ وبكل هذا كان إمامَ عصره غيرمدافَع ؛ قال ابن بسام : « كان هذا الشريف إمام أئمة العراق، بين الاختلاف والاتفاق؛ إليه فزع علماؤها، وعنه أخذ عظماؤها ، صاحب مدارسها ، وجماع شاردها وآنسها ؛ مما سارت أخباره ، وعرفت أشعاره ، وحمدت فى ذات الله مآثره ؛ إلى تواليفه فى الدين ، وتصانيفه فى أحكام المسلمين ، ممن يشهد أنه فرع

تلك الأصول ، ومن أهل ذلك البيت الجليل[1]» .

وكان بمدهذا شاعرا ، وله ديوان شعر؛ قال ابن شهراشوب: إنه يُربى على عشرين ألف بيت ، وذكر بروكلمان أن هناك نسخة منه من مكتبة مشهد . وقد أورد المرتضى طائفة منه فى كتاب الغرر، والشهاب، وطيف الخيال ، وذكر الثعالبىّ فى تتمة اليتيمة ، والباخرزىّ فى دمية القصر قدرا منه ، فمن قوله :

أحبُّ ثرى نجدٍ ، ونجدٌ بعيدةٌ ... ألا حبذا نجدٌ وإن لم تُفِدْ قربا![2]
يقولون: نجدلستَ من شِعب أهلها ... وقد صدقوا لكننى منهمُ حبا
كأنى وقد فارقت نجداً شقاوةً ... فتى ضلّ عنه قلبه يَنْشُد القلبا

ومنه :

يا خليلىّ من ذؤابة قيسٍ ... فى التصابى رياضة الأخلاق[3]
عللانى بذكرهم تطربانى ... واسقيانى دمعى بكأسٍ دهاق
وخذا النوم من جفونى فإنى ... قدخلعتُ الكرى على العشاق[4]

ومنه فى الرثاء :

كأنىَ لما صك سمعى نعيُّه ... صُكِكْتُ بمسنون الغرارين قاضبِ
طواه الردى طىّ الرداء وعُطِّلَتْ ... مغانى الحجا عنه وغر المناقبِ
ولما بلوتُ الأصدقاء ووُدَّهم ... خلصت إليه من خلال التجارب

وسئل إجازة بيت أبى دهبل الجمحىّ :

وأبرزتُها من بطن مكة عندماَ ... أصاتَ المنادى بالصلاة فأعتما

---

(١) ابن خلكان: ٣٣٦ . (٢) تتمة اليتيمة ١ : ٥٤ . (٣) تتمة اليتية ١ : ٥٥ ، وابن خلكان ١ : ٣٣٧ . (٤) روى ابن خلكان أنه لما وصلت هذه الأبيات إلى البصرى الشاعر قال : «المرتضى قد خلع مالايملك على من لايقبل» . (٥) الغرر ١ : ١١٥ .

فقال :

فطيّب سراها المقام وضوّأتْ بإشراقها بين الحطيم وزمزما
فيارب إن لَقَّيْتَ وجهاً تحيّةً فحَيّ وجوهاً بالمدينة سهَّما
تجافَيْن عن مَسِّ الدهان وطالماَ عَصَمْنَ عن الحناء كفًّا ومعصما
وكم من جليدٍ لا يخامره الهوى شنَنَّ عليه الوجد حتى تَتَيَّمَا
أهان لهن النفْس وهْى كريمةٌ وألقى إليهنَّ الحديثَ المكتَّما
تسفهتَ لما أن مَرَرْتَ بدارها وعُوجِلْتَ دون الحلم أن تتحلّما
فعجت تَقرّى دارساً متنكرا وتسأل مصروفاً عن النطق أعجما
ويوم وقفنا للوداع وكلّنا يَعُدّ مطيع الشوق مَنْ كان أحزما
نُصرتُ بقلب لا يعنف فى الهوى وعينٍ متى استمطرتُها قطرتْ دماً

وتوفى الشريف المرتضى فى ربيع الأول سنة ٤٣٦ ، وصلى عليه ابنه ، ودفن فى داره ، ثم نقل إلى المشهد الحسينى بكربلاء .

٢ — مؤلفاته*

١ ـ « إبطال القياس » ؛ ذكره الذهبي فى سير النبلاء .

٢ ـ « الانتصار فى الفقه » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهراشوب ، وسماه « الانفرادات فى الفقه » ، وطبع ضمن مجموعة الجوامع الفقهية لمحمد بن باقر بطهران سنة ١٢٧٦ ، وطبع منفردا سنة ١٣١٥ .

٣ ـ « إنقاذ البشر من القضاء والقدر » ، ذكره ابن شهراشوب ، وطبع فى النجف ١٩٣٥ ، وطهران ١٣٥٠ .

٤ « البرق » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهراشوب ، وسماه « المرموق فى أوصاف البروق » .

٥ ـ « تتبع الأبيات التى تكلم عنها ابن جنى فى إثبات المعانى للمتنبى » . ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهراشوب .

٦ ـ « تتمة أنواع الأعراض من جمع أبى رشيد النيسابورى »[١] ، ذكره ابن شهراشوب .

٧ ـ « تفسير الخطبة الشقشقية » ، نقله صاحب روضات الجنات عن كتاب رياض العلماء .

٨ ـ « تفسير قصيدة السيد الحميرى » المعروفة بالقصيدة المذهبة ، وهى القصيدة البائية فى مدح أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وتبلغ ١٧ بيتا ، مطلعها :

(*) اقتصرت فى سرد كتب المرتضى هنا على ما ذكر أبو العباس النجاشى فى كتاب الرجال ، وأبو جعفر الطوسى فى كتاب الفهرست ، وابن شهراشوب فى كتاب معالم العلماء ، وما لم يذكره واحد من هؤلاء ذكرته منسوبا إلى مصدره .

هلاّ وقفت على المكانِ المعْشِب بين الطويلع فاللِّوى من كبكب

ذكرها أبو جعفر الطوسيّ ، والنجاشيّ ، وابن شهراشوب . وطبعت مع الشرح بمصر سنة ١٣١٣ بعنوان: « القصيدة الذهبية » .

٩ ـ « تفسير قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ »، ذكره النجاشيّ .

١٠ ـ « تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ »، ذكره النجاشي .

١١ ـ « تفسير سورة الحمد ، وقطعة من سورة البقرة »، ذكره النجاشي.

١٢ ـ « تقريب الأصول » ، ذكره النجاشي .

١٣ ـ « تكملة الغرر والدرر » ، ذكره ابن شهراشوب .

١٤ ـ « تنزيه الأنبياء » ، ذكره أبو جعفر الطوسي وابن شهراشوب . وطبع بالمطبعة الحيدرية فى النجف سنة ١٣٥٢ .

١٥ ـ « جمل العلم والعمل »، ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وابن شهراشوب .

١٦ ـ « جواب الملحدة فى قدم العالم من أقوال المنجمين »، ذكره ابن شهراشوب .

١٧ ـ « الحدود والحقائق » ذكره ابن شهراشوب .

١٨ ـ « الخطبة المقمصة » ، ذكره ابن شهرشوب .

١٩ ـ « الخلاف فى أصول الفقه » ، ذكره النجاشى ، وابن شهراشوب .

٢٠ ـ « ديوان شعره » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهراشوب على ذكر بروكلمان أنه منه نسخة مخطوطة فى مكتبة مشهد .

٢١ ـ « الذخيرة فى الأصول » ، ذكره أبو جعفر الطوسى، والنجاشى، وابن شهراشوب .

٢٢ ـ « الذريعة فى أصول الفقه » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى، وابن شهراشوب .

٢٣ ـ « الرد على يحيي بن عدى فى اعتراض دليل الموجد فى حدث الأجسام »، ذكره النجاشى، وابن شهراشوب .

٢٤ ـ « الرد على يحيي بن عدىّ فى مسألة سماها طبيعة المسلمين » ؛ ذكره النجاشى .

٢٥ ـ « الرسالة الباهرة فى العترة الطاهرة » ذكره ابن شهرا شوب.

٢٦ ـ «رسالة فى المحكم والمتشابه»، منقول من تفسير النعمانى ؛ ذكره ابن شهراشوب .

٢٧ ـ « الشافى فى الإمامة والنقض على كتاب المغنى للقاضى عبد الجبار بن أحمد » ، ذكره أبو جعفر الطوسى وقال : « إنه لم يؤلف مثله فى الإمامة » ، وذكره أيضا النجاشى ، وابن شهرا شوب . وقد اختصره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى المتوفى سنة ٤٦٠ ، وطبع الكتاب والمختصر فى العجم سنة ١٣٠١ فى جزأين .

٢٨ ـ « شرح مسائل الخلاف » ، ذكره النجاشى .

٢٩ ـ « الشهاب فى الشيب والشباب » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهراشوب، وطبع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ .

٣٠ ـ « طيف الخيال » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهراشوب ، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٣١٣ ز، عن النسخة المحفوظة بمكتبة الأسكوريال.

٣١ ـ « غرر الفوائد ودرر القلائد » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وابن شهراشوب ، وقد اختصره عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العلائقى ، وسماه « غرر الغرر ، ودرر الدرر »، وأكمل هذا المختصر فى سنة ٧٦٦ ، ومنه نسخة خطية فى مكتبة طهران ؛ ذكره بروكلمان .

٣٢ ـ « الفرائض فى نصر الرواية ، وابطال القول بالعدد »، ذكره ابن شهراشوب .

٣٣ ـ « الفقه الملكى » ، ذكره ابن شهراشوب .

٣٤ ـ « الكلام على من تعلق بقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ » ، ذكره النجاشي .

٣٥ ـ « ماتفرد به الإمامية » ، ذكره النجاشي ، وابن شهراشوب .

٣٦ ـ « مسائل آيات » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهراشوب .

٣٧ ـ « مسائل أهل مصر الأولى والأخيرة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي .

٣٨ ـ « مسائل البادريات » ذكره النجاشي .

٣٩ ـ « المسائل التبانيات » ، ذكره النجاشي ، وابن شهراشوب .

٤٠ ـ « المسائل الجرجانية » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهراشوب .

٤١ ـ « المسائل الحلبية الأولى والأخيرة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهراشوب .

٤٢ ـ « مسائل الخلاف في الفقه » ، لم يتمه ؛ ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهراشوب ؛ وذكر بروكلمان أن منه نسخة في مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .

٤٣ ـ « المسائل الرازية » ١٤ مسألة ، ذكره ابن شهراشوب .

٤٤ ـ « المسائل الرمليات » ، ذكره النجاشي .

٤٥ ـ « المسائل السلارية » ، ذكره ابن شهراشوب ؛ وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .

٤٦ ـ « المسائل الصيداوية » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهراشوب .

٤٧ ـ « المسائل الطبرية » ، ذكر بروكلمان أن منه نسخة في مكتبة مشهد ، وذكره أيضا الكنتوري في كشف الحجب .

٤٨ ـ « المسائل الطرابلسية الأولى والأخيرة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهراشوب .

٤٩ ـ « المسائل الطوسية » ، لم يتم . ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهراشوب .

٥٠ ـ « المسائل المحمديات »، ذكره النجاشى .

٥١ ـ « مسائل مفردات من أصول الفقه » ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهراشوب .

٥٢ ـ « مسائل مفردات »، نحو مائة مسألة فى فنون شتى ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهراشوب .

٥٣ ـ « المسائل الموصلية الثلاثة »، ذكره أبو جعفر الطوسى، والنجاشى، وابن شهراشوب. وذكر بروكلمان أن منها نسخة مخطوطة فى مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .

٥٤ ـ « مسائل ميافارقين » ، ذكره ابن شهراشوب ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة فى النجف ، فى مكتبة خاصة ، وأخرى فى مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .

٥٥ ـ « المسائل الناصرية فى الفقه » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهراشوب . وقد طبع هذا الكتاب مع كتاب «الجوامع الفقهية» لمحمد بن باقر فى طهران ١٢٧٦ .

٥٦ ـ « مسألة فى الإرادة » ، ذكره النجاشى .

٥٧ ـ « مسألة فى دليل الخطاب » ، ذكره النجاشى .

٥٨ ـ « مسألة فى التأكيد » ، ذكره النجاشى .

٥٩ ـ « مسألة فى التوبة » ، ذكره النجاشى .

٦٠ ـ « مسألة فى قتل السلطان » ذكره النجاشى .

٦١ ـ « مسألة فى كونه تعالى عالما » ، ذكره النجاشى .

٦٢ ـ « مسألة فى المتعة » ، ذكره النجاشى .

٦٣ ـ « المصباح فى أصول الفقه » ، لم يتمه ذكره أبو جعفر الطوسى والنجاشى ، وابن شهراشوب .

٦٤ ـ « المقنع فى الغيبة » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وابن شهراشوب .

٦٥ ـ « الملخص فى الأصول » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وابن شهراشوب .

٦٦ ـ « المنع فى تفضيل الملائكة على الأنبياء » ، ذكره ابن شهراشوب .

٦٧ ـ « الموضح عن وجه إعجاز القرآن » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وسماه « كتاب الصرفة »، وذكره أيضا ابن شهراشوب .

٦٨ ـ « نقض الرواية، وإبطال القول بالعدد » ، ذكره أبو جعفر الطوسى، وذكره أيضا ابن شهراشوب، وسماه « مختصر الفرائض فى قصر الرواية وإبطال القول بالعدد » وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة فى مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .

٦٩ ـ « النقض على ابن جنى فى الحكاية والمحكى » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهراشوب .

٧٠ ـ « نكاح أمير المؤمنين ابنته من عمر » ، ذكره ابن شهراشوب .

٧١ ـ « الوعيد »، ذكره النجاشى .

٣ – أمالى المرتضى

وحينما يستعرض الباحث كتب العربية النفيسة التى حوت ألوان المعارف ، وزخرت بأشتات الطرائف ، وحفظت بين دفتيها نتاج القرائح ، وحقائق السير والتاريخ والأخبار ، ونصوص الشعر واللغة والغريب فإنه بلا مِراء يعد منها كتاب أمالى المرتضى – أو كما يسميه مؤلفه غرر الفوائد ودرر القلائد – وينظمه فى العقد الذى يضم كتاب الكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والعقد لابن عبد ربه، والأغانى لأبى الفرج ، وغيرها من الكتب التى حلّقت فى سماء الآداب العربية كالنجوم، وأرست قواعدها كالأطواد ، وعَمَرت بها مجالس العلماء وسوامر الأدباء ؛ وتدارسها المتأدبون جيلا بعد جيل ؛ وتداولها النساخ ، وعُدّت فى مكتبات الدارسين من أكرم الذخائر وأنفس الأعلاق .

وهى مجالس مختلفة ، أملاها فى أزمان متعاقبة ؛ تنتقل فيها من موضوع إلى موضوع ، ومن غرض إلى آخر ؛ اختار بعض آى القرآن الكريم؛ مما يَغْمُضُ تأويلُه على الخاصة، بله العامة ؛ ويدور حولها السؤال، ويثار الاستشكال؛ وعالج تأويلها وتوجيهها على طريقة أصحابه من المعتزلة، أو أصحاب العدل كما كان يسميهم ؛ وحاول جهده أن يوفِّق بين تأويل الآيات المتشابهة ، وما دار على ألسنة العرب من نصوص الشعر واللغة ؛ وفى هذا أبدى تفوقا عجيبا؛ وأبان عن ذهن وقّاد، وذكاء متلهب ، وبَصَر نافذ ؛ وأعانه فيما فسَّر وأوَّل ووجَّه وفرةُ محفوظه من الشعر واللغة ومأثور الكلام. وكان الطابع الذى يغلب عليه عرض الوجوه المختلفة؛ والآراء المحتمَلة، مجوّزا فى ذلك إمكان الأخذ بالآراء جميعاً .

وترجع قيمة ما عرض له الشريف فى هذه المجالس من تأويل الآيات إلى أنها تُعَدُّ صورة لتفسير القرآن الكريم عند علماء المعتزلة ؛ مما لم يصل إلينا من كتبهم إلا القليل النادر.

واختار أيضا طائفة من الأحاديث التى يختلف العلماء فى تأويلها ؛ ويبدو التعارض فيما

بينها وحاول تفسيرَها وتأويلها ؛ بالمنهج الذى عالج به تأويل آى القرآن ؛ مستعيناً بشواهد الشعرواللغة ؛ موضحا مذهب أصحابه من أهل العدل ؛ مُدْليا بحجتهم علىمَنْ خالف تأويلهم من جماعة أهل السنة، أو أهل الجبر كما كان يسميهم ؛ وناقش ابن قتيبة وأبا عبيد القاسم بن سلام وابن الأنبارىّ فى ذلك على الخصوص .

ثم عرض لمسائل فى علم الكلام مما اشتجر فيها الرأى ، ودار حولها الجدل؛ واصطرعت الأقلام ، وأقيمت المناظرات؛ مثل القول برؤية الله ، وخلق أفعال العباد؛ وإرادة الله للقبائح، والقول بوجوب الأصلح، وقرر رأى أصحابه؛ وحاجّ عنهم ، واحتج على خصومهم؛ وكان فيما جادل وناقش رفيقا فى الجدل عفيفا فى المقال .

وأودع فى الكتاب بجانب ما بسط من تأويل الآيات والأحاديث وعرض المسائل مختاراتٍ من المصطفى المنخول من الشعر وحرّ الكلام ؛ تناولها بالشرح والنقد والموازنة ، وذكر صدرا من تراجم الشعراء والعلماء والأدباءوأصحابالأهواءوالآراء الخاصة ؛ وأورد طائفة من أشعارهم وأقوالهم ونوادرهم ، ثم استروح بذكر فيض من الطرائف النادرة ، والأجوبة الحاضرة المسكتة ، والأفاكيه الرفيعة ؛ معتمدا فيما أورده على ماوصل إليه من كتب الجاحظ وابنقتيبةوالمبردوأبىحاتم والآمدىّ وغيرهم، أو مارواه عن شيوخه، وأبى عبيد الله المرزبانىّ على الخصوص .

واختارأيضاًبعضالموضوعاتالتى كانت مقاصد شعراء العربية فىالجاهلية وصدر الإسلام؛ كالمدائح والأهاجى والمراثى والسير ووصف الشيب والطيف وغيرها، وأورد ما قاله الشعراء فيها ؛ ووازن بينالكثيرمنها، وتناولها بالنقد فى كثير من الأحيان.

وبهذه الفنون المتنوعة ؛ والفصول المختلفة ؛ والمباحث الجليلة اجتمع للكتاب ميزة كبرى بين الكتب العربية ؛ وعدّ مصدرا ينقل عنه العلماء ، ويحتج به الأدباء ؛ ويرد شرعته القارئون على ممرّ الأجيال .

* * *

ويبدو أن هذه المجالس أملاها الشريف فى داره على تلاميذه ومريديه ؛ فى أزمنة مختلفة متعاقبة ؛ لم يصل العلم إلى التاريخ الذى بدأها فيه ؛ ولكن الثابت أنه فرغ من إملائها يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ؛ كما ذكره الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرى فى آخر نسخته .

أما الزيادات التى فى آخر الكتاب ؛ وهى التى عرفت بتكملة الغرر فهى طائفة أخرى من المسائل التى اختارها فيما كان يعرض له فى مجالسه فيما بعد ؛ وأشار بأن تضاف إلى الكتاب ، للتشابه بينهما فى المنهج والمنحى ؛ وبهذه التكملة يتم الكتاب .

روزالعطية

٤ — نسخ الكتاب

١ ـ نسخة كتبت فى سنة ٥٦٧ ، ووقعت فى ملك الحسين بن أبى عبد الله بن إبراهيم الخوبجانى ، وقرأها على فضل الله بن على بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن الحسين ، وأجاز له روايتها بتاريخ ٥٦٨ عنه ، عن شيخه عبد الرحيم بن أحمد بن الإخوة البغدادى عن أبى غانم العصمى عن السيد المرتضى ، وعنه أيضا عن النقيب حمزة بن أبى الأعز الحسينى عن أبى المعالى أحمد بن قدامة عن السيد المرتضى ، وعنه أيضا عن السيد المرتضى بن الداعى الحسنى عن أبى عبد الله جعفر بن محمد الدوريستى . وعلى النسخة حواش كثيرة ، هى مما أملاه فضل الله على تلميذه الحسين بن أبى عبد الله الخوبجانى ، أو مما نقله من نسخته ، مقرونة برموز أصحابها ، أو غير مقرونة وعلى الصفحة الأولى من هذه النسخة رموز النسخ التى قابل فضل الله بن على نسخته عليها ، وأسماء أصحابها ، كتبت على النحو الآتى :

" س : علامة نسخة مولانا الصدر الكبير العلامة ضياء الدين تاج الإسلام ، سلطان العلماء ، أبى الرضا فضل الله بن على الحسنى الراوندى قدس الله روحه "

***

" ص : علامة نسخة أبى الصلاح التقى نجم الدين الحلبى ، رحمه الله ، وكان سمع هذا الكتاب على السيد علم الهدى رضى الله عنه بقراءة غيره "

***

" ش : علامة نسخة السيد أبى السعادات هبة الله بن على بن عبد الله بن حمزة العلوى الشجرى ، وكانت نسختة بخطه رضى الله عنه "

***

" ج : علامة نسخة الشريف أبى يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرىّ رحمه‌الله ، وكان خليفة الشيخ المفيد أبى عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثىّ رضى الله عنه والجالس مكانه، وكتب بخطه فى آخر نسخته من هذا الكتاب : هذا آخر مجلس أملاه سيدنا أدام الله علوه ثم تشاغل عنة بأمور الحج ، ووقع الفراغ منه يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة "

* * *

وتبدأ هذه النسخة بصفحة فيها مقدمة الفهرست ، وبها التعريفات والرموز الخاصة التى قابل عليها صاحب النسخة واستفاد منها ، ثم يلى ذلك الفهرست ، وفيه عنوانات المجالس وموضوعاتها ، ثم صفحتان بهما نقول وأشعار ثم دعاء كتب فى سنة ٧٦١ ، ثم يلى ذلك صحيفة العنوان، وهو مكتوب بالخط الكوفى الجميل المزخرف بحلية على شكل زهور ، تحتها اسم المؤلف ، داخل إطار ، بالخط النسخى الجميل ، ثم تحته إطار أكبر، به نصّ إجازة فضل‌الله ابن على ، وفى حواشى الصحيفة بعض التملكات وإثبات قراءة كمال الدين المرتضى المرعشىّ على الحسين بن أبى عبدالله الخوجانىّ من أول الكتاب إلى المجلس الحادى والثلاثين ، وإجازته بتاريخ ٥٨٤ . ثم يلى ذلك أبواب الكتاب ، وعنوانات المجالس فى وسط السطر بخط كبير واضح .

وفى آخر النسخة : « وافق الفراغ من نسخه فى محرم سنة سبع وستين وخمسمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير » .

وهى مكتوبة بقلم معتاد واضح مضبوط أكثره بالشكل ، وتقع فى ٣١٧ ورقة ، وعدد سطور الصفحة عشرون سطرا ، وأصلها المخطوط بمكتبة الإسكوريال برقم ١٤٥ .

وإلى صديق العلامة الأستاذ محمد بن تاويت الطنجى يرجع الفضل فى إعانتى على تصوير نسخة منها .

وقد رمزت إلى هذه النسخة بكلمة « الأصل » وأثبت جميع مافيها من الحواشى .

* * *

(٢) نسخة بخط محمد بن أبى طاهر بن أبى الحسين الوراق ، فرغ من كتابتها فى منتصف رجب سنة ٥٨٦ برسم مرشد الدين أبى الحسن على بن الحسين بن أبى الحسن الوارانى ، وعليها قراءة للوارانى على شيخه الحسن بن الحسين بن على الدوريستى بتاريخ سنة ٥٨٧ ، بروايته عن فضل الله بن على بن الحسين الراوندى عن الإمام عبد الرحيم بن الإخوة عن أبى غانم العصمى عن السيد المرتضى ؛ وكتب ذلك الدوريستى بخطه .

وفى آخر هذه النسخة الزيادات التى رأى السيد المرتضى إضافتها إلى الكتاب ؛ مما لم يذكر فى نسخة الأصل ؛ وهى أيضا بخط محمد بن أبى طاهر بن أبى الحسين الوراق ، كتبها برسم مرشد الدين أبى الحسن الورانى المذكور فى شعبان من السنة نفسها وعلى هذه النسخة ما يثبت أن الحسن بن الحسن بن الحسين انتسخ منها ومن الزيادات نسخة له .

وفيها حواش كثيرة ؛ ومنها مايوافق مافى حواشى نسخة الأصل .

وقد فقد منها صفحة العنوان الخارجى ؛ ولعله يكون قد ألصقت بها ورقة بيضاء ، وبظهرها فاتحة الكتاب ، وبرأسها حلية بالألوان وعنوانات المجالس مميزة بخط كبير واضح ، وفى آخرها اسم ناسخها وتاريخ النسخ ؛ مرة بعد المجالس ومرة بعد الزيادات . وهى مكتوبة بقلم معتاد ، مضبوطة بالشكل الكامل المتقن ؛ وعدد أوراقها ٢٤٥ ورقة وفى كل صفحة ٢٢ سطرا .

وأصل هذه النسخة مخطوط محفوظ بمكتبة فيض الله بإستانبول برقم ١٤٨٥ ؛ وهى مما

صوّره معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة . وقد رمزت إليها بالحرف «ف» .

* * *

٣ ـ نسخة كتبت لحيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن زيد بن عبد الله الحسينى، وعليها سماع لأبى البركات على بن نصر بن على بن الأعز الحسينى علَى حيـــدر المذكور مؤرخ سنة ٦١٩ .

والموجود منها مجلد واحـد ينتهى بآخر المجلس الرابع والثلاثين ، وليس بآخره اسم الناسخ أو تاريخ النسخ ، ومن المؤكد أنها كتبت قبل سنة ٦١٩ ، وهـو تاريخ السماع الموجود بالصفحة الأولى .

وبآخر المجلد سماع لحيدر بن محمد صاحب النسخة المذكور، بقراءة على ابن الأعز وبحضور آخرين ذكرت أسماؤهم ، بتاريخ سنة ٦٢٤ .

وقد عورضت هذه النسخة بنسخ أخرى، أشير إلى خلافها فى الحاشية بهذا الرمز (خ).
وبها حواش يوافق الكثير منها الحواشى التى ذكرت فى الأصل. ويلاحظ أن بعضَ هذه الحواشى نقلت عن نسخة ابن الشجرى ، ويسبقها رمزها المعروف : «ش» أحياناً ، وأحياناً بلفظ «ابن الشجرى» .

وقد كتبت بالخط النسخ الجلىّ الواضح، وضبطت بالشكل الكامل، وعدد أوراقها ٢٨٥ ورقة وعدد سطور كل صفحة ١٣ سطرا ، وهى محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٨٣ أدب تيمور .

وقد رمزت إليها بالحرف « ت » .

* * *

٤ ـ نسخة بخط هاشم بن الحسين الحسينى ، فرغ من كتابتها فى العاشر من شعبان

سنة ١٠٦٧ ، وذكر فى آخرها أنه قابلها على الأصل الذى كتبت عنه ، وانتهى من ذلك فى السادس عشر من شعبان المذكور .

وهى أربعة أجزاء فى مجلد واحد . وتقع فى ١٨٢ ورقة ، وفى كل صفحة ٢٣ سطرا ؛ كتبت بخط دقيق .

وقد رمزت إليها بالحرف «د»

* * *

٥ ـ نسخة طبعت فى طهران سنة ١٢٧٣ ، ومعها التكملة ، وعليها حواش ، يوافق بعضها ما فى نسختى الأصل، وف. ولم يذكر فيها ما يشير إلى الأصل الذى طبعت عليه ؛ إلا أنه ذكر فى حاشية ص ٢٠٠ عند آخر المجلس الرابع والعشرين : « هذا آخر المجلدة الأولى من أصل الجعفرى ـ رحمه الله » . ويؤخذ من هذا أن لها علاقة بنسخة أبى يعلى محمد بن لحسن بن حمزة الجعفرىّ ؛ وهى إحدى النسخ التى قوبلت بها نسخة « الأصل » .

وقد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف « ط »

٦ ـ نسخة طبعت فى مصر بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ ؛ على نفقة السيد أمين الخانجى وأحمد ناجى الجمالى ، وعليها شروح وتعليقات للسيد محمد بدر الدين النعسانى الحلبى ، ثم السيد أحمد أمين الشنقيطى .

ولم يذكر أيها ما يشير إلى الأصل الذى طبعت عليه . والعنوان الذى وضع على هذه الطبعة : «أمالى السيد المرتضى» ، وبه عرف الكتاب .

وقد أشرت إلى هذه النسخة بالحرف « م »

وقد اتخذت نسخة الإسكوريال أصلا للعمل ، وأثبت نصها ، ووضعت فروق النسخ

المخطوطة الأخرى ، أما النسختان المطبوعتان ، فإنى لم أذكر منهما إلا ما انفردا فيه برواية، وهو قليل .

وقد أثبت جميع حواشي الأصل ، وبعض حواشي نسختي ت ، ف . ووضعت هـذه الحواشي بين أقواس تميزا لها عما وضعت من الشرح والتعليق .

وقد بذلت ماوسع الجهد والطاقة؛ ومن الله ألتمس الجزاء فيما قصدت؛ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

مصر الجديدة ٨ شعبان سنة ١٣٧٣
١٢ إبريل سنة ١٩٥٤

محمد أبو الفضل إبراهيم

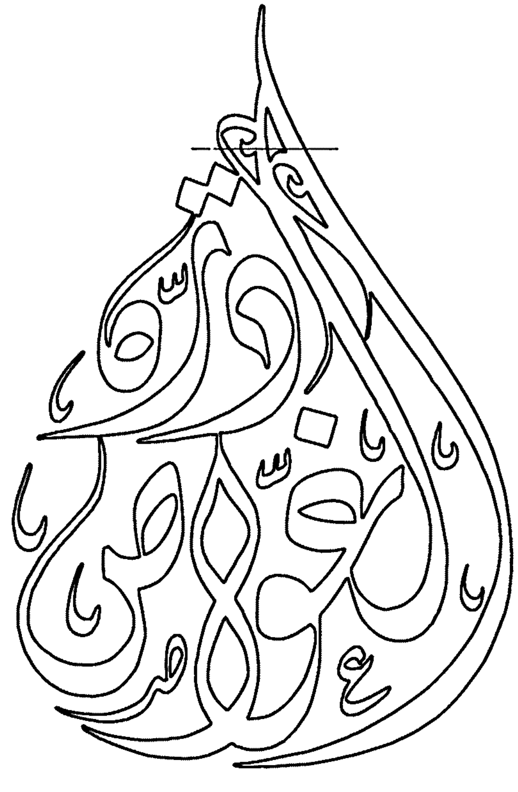

مكتبة الدكتور مروان العطية

لوحة رقم (١)

عنوان الكتاب من نسخة الأصل

لوحة رقم (٢)

الصفحة الأولى من فهرس الأصل

لوحة رقم (٣)

وجه الورقة الثانية من نسخة الأصل

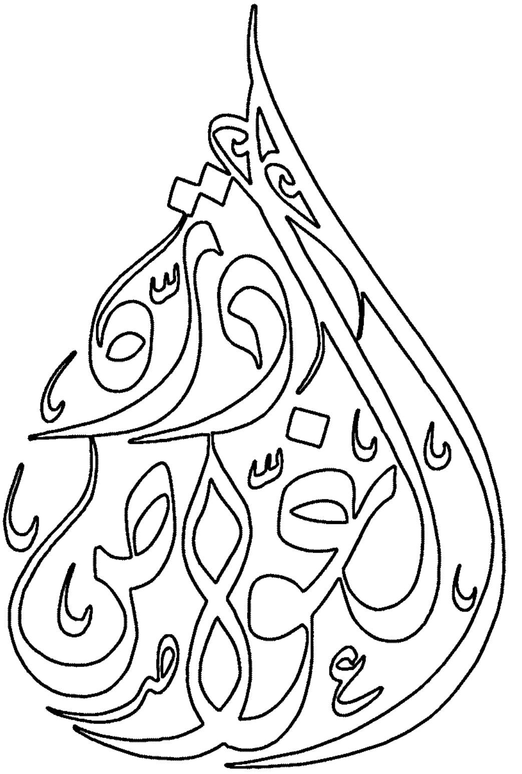

مروان العطية

أمالي المرتضى

غرر الفوائد ودرر القلائد

للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي

٣٥٥ — ٤٣٦ هـ

مكتبة
الدكتور مروان العطية

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس ١

تأويل آية

قال الشريفُ المرتضَى قدّسَ اللهُ رُوحَه : إنْ [١] سأل سائلٌ عن قول الله تعالَى [١] : [١ ظ] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ . [الإسراء : ١٦] .

فى هذه[٢] الآيةِ وجوهٌ من التأويل ؛ كلٌّ منها يُبْطِل الشبْهةَ الدّاخلةَ على المُبطِلين فيها ؛ حتى عَدَلوا بتأويلها عن وجهه ، وصرَفوه عن بابه .

أولها : أنّ الإهلاكَ قد يكون حسناً ، وقد يكون قبيحا ؛ فإذا كان مُسْتَحَقًّا أو على سبيل الامتحان كان حسناً ، وإنما يكونُ قبيحا إذا كان ظُلْما ؛ فتعلُّق الإرادة به لايقتضى تعلُّقَها به على الوجه القبيح ، ولا ظاهرَ للآية[٣] يقتضى ذلك ؛ وإذا علِمْنا بالأدلّة تنزُّهَ القديم تعالَى عن القبائح علمْنا أنّ الإرادةَ لم تتعلّقْ إلا بالإهلاكِ الحسَنِ ؛ وقولُه تعالَى : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ المأمورُ به محذوف ؛ وليس يجبُ أن يكونَ المأمورُ به هو الفسقَ ، وإن وقع بعده الفسقُ ؛ ويجرى هذا مَجْرَى[٤] قولِ القائل : أمرتُه فعصَى ، ودعوتُه فأبَى . والمرادُ أننى أمرتُه بالطّاعة ، ودعوته إلى الإجابة والقبول .

ويمكن أن يقالَ على هذا الوجه : ليس موضع الشبهة ما تكلّمتم عليه ؛ وإنما موضعُها أن يقال : أىُّ معنى لتقدّم الإرادة ؟ فإن كانت متعلّقةً بإهلاكٍ مُسْتَحَقٍّ بغير الفسق المذكور فى الآية فلا معنى لقوله تعالَى : إذا أردنا أمرْنا ؛ لأنّ أمرَه بما يأمرُ به لايحسِّن إرادتَه

(١ – ١) ت ، د ، ف : «قال الله جل من قائل» . (٢) حاشية ت (من نسخة) : «لهذه» .

(٣) ش : « ولا ظاهرَ الآية » . (٤) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « وإنما يجرى » ، وفى حاشية الأصل أيضا (من نسخة أخرى) : « وإنما هذا يجرى » .

للعقاب المستحَقّ بما تقدّم من الأفعال ، وإن كانت الإرادةُ متعلقّةً بالإهلاك المستحَقّ بمخالفة الأمر المذكور فى الآية فهذا الذى تأبَوْنه، لأنه يقتضى أنه تعالى مريدٌ لإهلاك من لم يستحِق العقاب.

والجواب عن ذلك أنه تعـالى لم يعلّق الإرادةَ إلّا بالإهلاكِ (١) المستحَقّ بما تقدّم من الذنوب ؛ والذى حسَّن قوله تعـالَى : وإذا أردنا أمرنا ... هو أنّ فى تكرار [٢ و] الأمر بالطاعة والإيمان إعْذاراً إلى العُصاة، وإنذاراً لهم، وإيجاباً وإثباتا(٢) للحجّة عليهم/ : حتى يكونوا متى خالَفوا وأقاموا على العصيان والطّغيان بعد تـكْرار(٣) الوعيد والوعظ والإنذار مِمَّن يحِقّ عليه القول ، وتجب عليه(٤) الحجّة ؛ ويشهد بصحة(٥) هذا التأويل قولُه تعالى قبل هذه الآية : ﴿وَمَا كُـنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ . [الإسراء : ١٥] .

والوجهُ الثانى فى تأويل الآية أن يكونَ قولُه تعالى : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ من صفةِ القرية وصِلتها ، ولا يكون جوابا لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا﴾ ، ويكون تقديرُ الـكلام : وإذا أردْنا أن نُهلِك قريةً من صفتها أنّا أمرْنا مترَفيها ففسقوا فيها(٦)، وتـكون « إذا » على هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهر فى الآية ، للاستغناء عنه بمـا فى الـكلام من الدِّلالةِ عليه(٧) ؛ ونظيرُ هذا قولُه تعالى فى صفة الجنة : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ

---

(١) ت ، ف : « بإهلاك مستحق » . (٢) ساقطة من ت،د ، ف. (٣) ت ، د : « تكرر».

(٤) ساقطة من ف . (٥) ت ، ف : « لصحة » . (٦) فى ت ، وحاشية الأصل : « ويكون كأنه قال تعالى : وإذا أردنا أن نهلك قرية مأمورا مترفوها كررنا القول عليهم ، وأعدنا الوعظ لهم ، وأمرناهم ثانيا ففسقوا فيها ، فحق عليها القول . والله أعلم بالمراد » .

(٧) فى ت، ق، حاشية الأصل، : « يمكن أن يتمحل « لإذا » فى الآية جواب، وهو أن تجعل الفاء فى قوله تعالى : ﴿فَدَمَّرْنَاهَا﴾ زائدة ، وتجعل « دمرنا » جوابا لإذا ، ولا خلاف فى مورد الفاء زائدة فى كلام العرب ؛ حكى ابن جنى عن أبى على قال : حكى أبو الحسن عنهم : « أخوك فوجد » بمعنى أخوك وجد. ومن ذلك قولهم : زيدا فاضربه ، وعمرا فأكرم ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ، ويكون معنى الآية على هذا إخبارا عن عزة الله تعالى وقدرته على جميع ما أراد تعالى . وحجة الفاء زائدة، فى بيت الـكتاب :

لَا تَجْزَعِي إِنْ مُنْفِسًا أَهْلَـكْتُهُ ... وَإِذَا هلـكتُ فعندَ ذلك فَاجْزَعِي

الفاء فى «فاجزعى» زائدة » .

لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ . [الزمر : ٧٣ـ٧٤] ، ولم يأت « لإذا » جوابٌ فى طولِ الـكلام للاستغناء عنه(١) .

ويشهدُ أيضا بصحة(٢) هذا الجواب قول الهُذَلِىّ :

حتّى إذا أَسْلَـكُوهُمْ(٣) فى قُتَائِدَةٍ شَلاًّ كما تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدَا(٤)

فحذف جوابَ إذا ، ولم يأتِ به ، لأنّ هذا البيتَ آخر القصيدة(٥) .

والوجه الثالث : أن يكون ذكر الإرادة فى الآية مجازاً أو اتساعا وتنبيها على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم ، وأنهم متى أُمِرُوا فَسَقوا وخالفوا ؛ وذِكْرُ الإرادة يجرى هاهنا مَجْرَى قولِهم : إذا أراد التاجرُ أن يفتقر أتته النوائبُ من كل جهة ، وجاءه الخُسران من كل طريق، وقولِهم : إذا أراد العليلُ أن يموتَ خلَّط فى مآكله ، وتسرَّع إلى كل ماتَتُوقُ

(١) حاشية الأصل : « كأن التقدير: إذا جاءوها حضروها وفتحت ؛ أوهموا بدخولها ، وما أشبه ذلك ، والله أعلم » . (٢) كذا فى الأصل ، حاشية ت (من نسخة) ؛ وفى ت ، ف : « لصحة » .
(٣) د ، ف ، حاشية ت (من نسخة) : « سلـكوهم » .
وسلك لغة فى أسلك ، وأورده صاحب الـكشاف بهذه الرواية عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ . (٤) حواشى الأصل ، ت، د ، ف: « البيت لعبد مناف بن ربع الهذلى؛ فى آخر قصيدته التى أولها :

ماذا يَغِيرُ ابنتىْ رِبْعٍ عويلُهما لا تَرقدان ولا بُؤسَى لمن رَقَدَا

قتائدة : موضع ، والجمالة : أصحاب الجمال، كالبغالة والحمارة ، وانتصاب « شلا » على المصدر ، ودل على فعل مضمر يحصل بظهوره جواب « حتى إذا سلـكوهم » المنتظر ، وتلخيصه : حتى إذا أسلـكوهم هذا الموضع شلوهم شلا ، يشبه طرد الشرد من الجمال إذا تزاحمت على الماء ؛ وهذا كما يقال : طردوهم طرد غرائب الإبل . ومعنى أسلـكوهم جعلوا لهم مسلـكا ، والسلك : إدخال شىء فى شىء تسلـكه فيه ، ومنه ﴿ ماسَلَكَكُمْ ﴾ . وروى أبو عبيدة : « الشرد » (بفتح الشين والراء) ، وقال : تقول : إبل شرد وجلب وطرد » .
وانظر الـكلام على هذا البيت فى (ديوان الهذليين ٢ : ٤٢ ، وأدب الـكاتب ٤٢٤ ، والاقتضاب ٤٠٢) . (٥) حاشية الأصل : « جواب الشرط جزء لا يتم المشروط دونه ؛ فإذا حذف كان أهول للـكلام ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ... ﴾ الآية، وكقول القائل : لو رأيت عليا بصفين ، وكقولهم : لو ذات سوار لطمتنى » .

إليه نفسُه ؛ ومعلوم أن التاجرَ لم يُرِد فى الحقيقة شيئا ، ولا العليل[١] أيضا ، لكن لمّا كان المعلومُ من حال هذا الخسرانَ ، ومن حال هذا الهلاكَ حسُن هذا الكلامُ ، واستعمِل ذكر الإرادة لهذا الوجه[٢] . وكلام العرب وَحْىٌ وإشارات واستعارات ومجازات[٣] . ولهذه الحال كان كلامُهم فى المرتبة العايا من الفَصاحة ؛ فإنّ الكلام متى خلاَ من الاستعارة[٤] ، وجرَى كلُّه على الحقيقة كان بعيدا من الفصاحة ، بريّا من البلاغة ، وكلامُ الله تعالى أفصحُ الكلام .

[٢ ظ] /والوجه الرابع : أن تُحمل الآيةُ على التقديم والتأخير ؛ فيكون تلخيصُها : إذا أمرْنا مُترَفِى قريةٍ بالطاعة فعصوْا واستحقوا العقاب أردنا إهلاكهم ؛ والتقديمُ والتأخيرُ فى الشعر وكلام العرب كثير . ومما يمكن أن يكون شاهدا لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ [المائدة : ٦] ، والطهارةُ إنّما تجب قبل القيام إلى الصلاة ، وقولُه تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ [النساء : ١٠٢] ، وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة ؛ لأن إقامَتها هى[٥] الإتيانُ بجميعها على الكمال .

فأما قراءة مَن قرأ الآيةَ بالتّشديد فقال : ﴿ أَمَّرْنَا ﴾[٦] ، وقراءةُ مَنْ قرأها بالمدّ

(١) كذا فى الأصل ، د ، وحاشية ت (من نسخة)، وفى ت ، ف : « المريض » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « تصوير المجاز فى الآية على أن التقدير : إذا قرب هلاك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا ؛ وكذلك قولهم : إذ أراد المريض ... التقدير : إذا قرب موت المريض خلط ، وكذلك التاجر إذا قرب افتقاره أتته النوائب ؛ وهذا كقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾؛ أى يقرب أن ينقض ؛ وإنما كنى بالإرادة عن القرب فى هذه المواضع لأن المريد للشىء، المُخلى بينه وبينه — ولا مانع هناك — ما أقرب ما يقع مراده ، والله أعلم » . (٣) حاشية الأصل : « الإرادة قد تستعمل فى الجماد فضلا عن العقلاء ؛ كقوله تعالى: ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾؛ وكقول الراعى النميرى :

فِى مَهْمَهٍ قَلِقَتْ بِهِ هَامَاتُهَا ... قَلَقَ الْفُئُوسِ إذا أَرَدْنَ نُصُولا

(٤) كذا فى الأصل، وحاشية ت(من نسخة)، وفى ت : «وإن كان الكلام متى خلا من الاستعارة» ، وفى ف : «فإن كان الكلام متى خلا من الاستعارات» . (٥) حاشية ت (من نسخة) : «هو الإتيان» .

(٦) هى قراءة شاذة ، عن أبى عثمان النهدى، والليث عن أبى عمرو ، وأبان عن عاصم . (وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه ٧٥).

والتخفيف فقال : ﴿ آمَرْنَا ﴾(١) فلن يخرُجَ معنى قراءتيهما عن الوجوه التى ذكرناها(٢) ؛ إلا الوجه الأول ؛ فإنّ معناه لا يليق إلا بأنْ يكون ما تضمنته الآيةُ هو الأمرالذى يُسْتَدْعَى به الفعل(٣) .

تأويل خبر

روِى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال : « مَنْ تعلّم القرآن ثم نسيه لَقِىَ اللهَ تعالى وهو أجْذَم » .

قال أبو عُبيد القاسم بن سلاّم(٤) مفسّرا لهذا البيت فى كتابه غريب الحديث : الأجذم: المقطوع اليد ، واستشهد بقول المتلَمّس(٥) :

وما كنتُ إلا مثلَ قاطِعِ كَفِّهِ ... بِكَفٍّ له أخْرَى فأصْبَحَ أجْذَما

وقد خطّأ عبد الله بن مُسلم بن قُتيبةَ(٦) أباعُبيد فى تأويله هذا الخبر وقال : الأجْذم وإن

---

(١) هى قراءةشاذة أيضا ، عن خارجة عن نافع ؛ (وانظر المصدر السابق).

(٢) حاشية الأصل : « قوله أمّرنا ، بالتشديد : كثّرنا ، وآمرنا ، بالتخفيف : جعلناهم أمراء ؛ وإن شئت فالعكس من ذلك ، والصحيح العكس » .

(٣) ت، د، حاشية الأصل (من نسخة) : « يستدعى به إلى الفعل » .

(٤) هو أبوعبيد القاسم بن سلام ، اللغوى الفقيه المحدث ، ولد بهراة ، ثم ذهب إلى بغداد ، ودرس بها الأدب والحديث والفقه ، وولى القضاء بطرسوس؛ وخرج منها إلى مكة ، وسكنها حتى مات سنة ٢٢٤. وكتابه غريب الحديث جمع فيه ما فى كتب أبى عبيدة وقطرب والأخفش والنضر بن شميل ، وذكر أحاديث كل رجل من الصحابة على حدة . قال ابن الأثير : « جمع كتابه المشهور فى غريب الحديث والآثار، الذى صار أولا ؛ وإن كان أخيرا ؛ لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة والمعانى اللطيفة والفوائد الجمة؛ فصار فيه القدوة فى هذا الشأن ، أفنى فيه عمره ؛ حتى إنه قال فيما يروى : إنى جمعت كتابى هذا فى أربعين سنة ، وهو كان خلاصة عمرى » . ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية منقولة عن نسخة مخطوطة بمكتبة كبرى لى بالآستانة . (وانظر إنباه الرواة ٣ : ١٢ــ٢٣ ، والنهاية لابن الأثير ١ : ٤ــ٥. وكشف الظنون ١٢٠٤) .

(٥) هو جرير بن عبد المسيح الضبعى ، والبيت من قصيدة له أولها:

يُعَيِّرُنِى أُمِّى رجالٌ وَلَا أَرَى ... أَخَا كَرَمٍ إلاَّ بأَنْ يَتَكَرَّمَا

وهى فى (ديوانه ١٦٩، والأصمعيات ٦٤ــ٦٥ ، ومختارات ابن الشجرى ٢٨ــ١٩) ؛ وخبر القصيدة فى (الخزانة ٤ : ٢١٥ ــ ٢١٦).

(٦) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، ولد ببغداد ونشأ ==

كان المقطوعَ اليد ؛ فإنّ هذا المعنى لا يليقُ بهذا الموضع . قال : لأنّ العقوباتِ من الله تعالى لا تكون إلا وَفْقا للذّنوب وبحَسَبها ، واليد لا مدخل لها فى نِسيان القرآن ، فكيف تُعاقَب فيه ! واستشهد بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لاَ يَقُومُونَ إلاَّ كَما يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، وزَعم أن تأويلَ الآية أن الرِّبَا إذا أكلوه ثَقُل فى بطونهم ، ورَبَا فى أجوافهم ؛ فجعل قيامَهم مثلَ قيامِ [(١)] مَنْ يتخبّطُه الشيطانُ تعثُّراً وتخبُّلاً . واستشهد أيضا بما رُوِى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال : « رأيتُ ليلةَ أُسْرِىَ بى قوماً تُقْرَضُ شِفاهُهم ، وكلّما قُرِضتْ وَفَتْ ، فقال لى جبريل : هؤلاء خطباء أمّتِك ، تُقرَّضُ[(٢)] شِفاهُهم ؛ لأنهم يقولون مالا يفعلون » . قال : والأجذم فى الخبر إنما هو المجذوم ؛ وإنما جازَ أنْ يُسمَّى المجذوم أجْذَمَ ؛ لأن الجُذام يقطّع أعضاءَه ويشذّبها ؛ والجذمُ هو القطع .

[٣و] قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : قد أخطأ الرجلان جميعا ، / وذهبا عن الصواب ذَهابا بعيدا ، وإن كان غلطُ ابن قُتيبة أفحشَ وأقبحَ ؛ لأنه علَّل غلطَه، فأخرجه إلى أغاليطَ كثيرة ؛ ونحن نبيّنُ معنى الخبَرِ ثم نتكلّمُ على ما أوْرَداه .

أمامعنى الخبر فهوظاهر لمن كان له أدْنَى معرفة بمذاهب العرب فى كلامها؛ وإنما أراد عليه السلام بقوله: يحشَر أجْذَمَ؛ المبالغةَ فى وصفه بالنقصان عن الكمال، وفقد ماكان عليه بالقرآن من الزينة والجمال . والتشبيه له بالأجْذَم من حَسَنِ التشبيه وعجيبه ؛ لأن اليدَ من الأعضاء الشريفةِ التى لا يتمّ كثير من التصرُّف ولا يُوصل إلى كثيرٍ من المنافع إلا بها ؛ ففاقدُها

= بها، وأقام بالدينور مدة فذهب إليها ، وحدث ببغداد عن إسحاق بن راهويه وطبقته ، وروى عنه ولده أحمد وابن درستويه ؛ توفى سنة ٢٧٦ ؛ وكتابه فى غريب الحديث ذكره ابن الأثير فقال : «فصنف كتابه المشهور فى غريب الحديث والآثار ؛ حذا فيه حذو أبى عبيد ، ولم يودعه شيئا من الأحاديث المودعة فى كتاب أبى عبيد ؛ إلا ما دعت إليه حاجة من شرح وبيان واستدراك ، فجاء كتابه مثل كتاب أبى عبيد أو أكبر » . (وانظر إنباه الرواة ٢ : ١٤٣–١٤٧ ، والنهاية لابن الأثير ١ — ٥ ، وكشف الظنون ١٢٠٤) .

(١) ساقطة من ف .

(٢) كذا ضبطت بالقلم فى الأصل ، وفى ت ، ش : « تقرض » بضم التاء وفتح القاف وتشديد الراء المفتوحة .

يفقِد ما كان عليه من الكمال، وتفوتُه المنافع والمرافق التى كان يجعلُ يدَه ذريعةً إلى تناولها؛ وهذه حالُ ناسِي القرآن ومضيِّعه[١] بعد حفظه ، لأنه يفقد ما كان لابساً له من الجمال ، ومستحقاً له من الثواب ، وهذه عادة للعرب فى كلامهم معروفَة؛ يقولون فيمن فقَدَ ناصرَه ومُعينَه[٢]: فلان بعد فلان أجْدَع ، وقد بَقِيَ بعده أجْذَم ؛ قال الفرزْدق يرْثِي مالك بن مِسْمَع[٣] :

تَضَعْضَعَ طودَا وائلٍ بعد مالكٍ وأصْبَح مِنها مَعطِسُ العزِّ أجْدَعا[٤]

وإنما أراد المعنى الذى ذكَرْناه. وللعرب ملاحنُ فى كلامها[٥]، وإشارات إلى الأغراض، وتَلويحات بالمعانى ، متى لم يفهمْها ويسرع إلى الفطنة بها مَنْ تعاطَى تفسيرَ كلامهم، وتأويل خطابهم كان ظالما نفسه ، متعدياً طوره .

ونعود إلى الكلامِ على ما ذكره الرجلان ؛ أما أبو عُبيدٍ فإن خطأه من حيث لم يَفْطُن للغرض فى الخبر ، وضلَّ عن وجهه ، وإلا فالأجذَمُ هو الأقْطع لا محالةَ كما قال ؛ إلاَّ أنه لا يليقُ بهذا الموضع ، وإذا حُمِل عليه لم يُفِدْ شيئا ؛ وإن كانتْ[٦] شبهتُه التى أوقعتْه فى هذا التأويل ظنَّه أن ذلك يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن فليس كما ظن ، لأنَّ الجذْمَ[٧] أولا ليس بعقوبة ؛ لأن الله تعالى قد يَجْذم[٨] أولياءه والصالحين من عباده ، ويقطّع أعضاءهم بالأمراض، وقد يبتدئُ خَلْقَ مَنْ هو ناقص الأعضاء ؛ فليس بلازم فى الجذْم أن يكون عقوبة . ثم لو كان يستحقُّ ناسى القرآنِ عقوبةً على نسيانه لكان حفظُ القرآن بأسْرِه فرضا واجبا وحَتْماً لازما[٩] ؛ لأن العقوبةَ لا تستحق بترك ماليس بواجب ، وليس

(١) كذا ضبطت بالقلم فى الأصل ، ت ، وفى ش : « ومضيِّعه » ، بكسر الضاد وبعدها ياء ساكنة .

(٢) فى نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « ومغيثه » .

(٣) هو مالك بن مسمع الجحدرى ؛ من بكر بن وائل ، كان سيد ربيعة فى زمانه ، وتوفى سنة ٧٣. (المعارف : ١٨٤ ، وجمهرة الأنساب : ٣٠١ ، والإصابة ٦ : ١٦٤) .

(٤) ديوانه : ٤١٤ .

(٥) حاشية ف (من نسخة) : « كلامهم » .

(٦) ت : « وإن كان » .

(٧) حاشية ت (من نسخة) : « الجذام » .

(٨) نسخة أبى السعادات الشجرى : « يجذّم » بضم الياء وفتح الجيم وتشديد الذال المكسورة ؛ وضبطت فى ت بالوجهين معا ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « الجذم القطع ، وقد جذم (بكسر الذال) يجذم جذماً فهو أجذم ، أى مقطوع اليد» .

(٩) حاشية الأصل : « اللازمة ممنوعة » .

حفظ جميع القرآن كذلك .

[٣ ظ] وأما ابنُ قتيبة فإنه غلِط من حيث لم يفطَن للوجه / فى الخبر الذى ذكرناه ؛ من حيث ظنّ أن العقوبةَ لا تكون إلا فى محلّ الذّنب ، وهذا القولُ يوجب عليه ألاّ يُجْلَدَ ظهرُ الزانى ، وتختص العقوبة بفرْجه ، وكذلك القاذف كان يجبُ أنْ يعاقَب فى لسانه دونَ سائر أعضائه؛ والخبر الذى استشهدبه حُجّةٌ عليه، لأنا نعلمُ أنّ اللسانَ أقْوى خطأً فىباب الكلام من الشَّفة ، فلِم لمْ يُخصّ بالعقوبة[1] وحلّتْ بالشفاه دونه ؟ ثم غلطُه فى تأويل الآية التى أوْردها أقبحُ من كل ما تقدّم ؛ لأنه توهّمَ أنّ ما تضمنتْه الآيةُ من تخبُّط آكلِ الربا وتعثُّرِه عند القيام إنما هو فى الدنيا من حيث يَثْقُل ما أكلَه فى معدته فيمنعه من النّهوض ؛ ونحن نعلم ضرورةً خلافَ ذلك ، ونجدُ كثيراً من آكلى الربا أخفَّ نهوضا، وأسرع قياماً وتَصرُّفا من غيرهم ؛ مِمّن لم يأكل الربا قطّ؛ والمعنى فى الآية ما ذكره المفسّرون من أنّ ما وصفهم الله تعالى به يكونُ عند قيامِهم من قبورهم ، فيلحقُهم العِثار والزَّلَل والتّخبُّل على سبيلِ العقوبة لهم ، وليكونَ ذلك أيضا أَمارة لمن يعاقبهم[2] من الملائكة والخزَنة على الفرْق بين الولِىّ والعدوّ، ومستحِقّ الجنة ومستحِقّ النار . وليس بمعروف ولا ظاهرٍ أن الأجْذَم هو المجذوم ؛ وردُّ ابن قتيبة معناه واشتقاقَه إلى الجذْم الذى هو القطْع يُوجب عليه أن يكونَ كلُّ داء يقطّع الجَسَد ويفرّق أوصالَه؛ كالجُدَرىّ والأ كِلَة[3] وغيرها يسمّى جُذَاما ، ويسمى مَنْ كان عليه أجْذَم ، وهذا باطل .

وأما قول الشاعر[4] :

حَرّق قيسُ علىّ البلا د حتّى إذا اضطرمتْ أجْذَما

فليس من هذا الباب ؛ بل هو من الإجْذام الذى هو الإسراعُ ؛ فكأنه قال : لما اضطرمتْ

---

(١) ف : « فلم لم تختص العقوبة به » . (٢) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « ويعاينهم »

(٣) فى نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « الأ كلة ، بالكسر : الحكة ، والأ كاة ، بالضم : اللقمة » . (٤) هوالربيع بن زياد العبسى ، من أبيات فى (الحماسة بشرح التبريزى ٢ : ٦١ — ٦٣)، واللسان (جذم) .

أسرع عنى ، وتباعَد منى . والإجذامُ ، بالذال المعجمة والدال غير المعجمة جميعا : الإسراع؛ فأما قول عَنْتَرة فى وَصْف الذُّباب[1] :

هَزِجاً يَحُكُّ ذراعَه بذراعِه قَدْحَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأجْذَمِ

الأجذم من صفة المكِبِّ[2] لا من صفة الزِّناد ؛ فكأنه[3] قال : قَدْحَ المكِبِّ الأجْذَم على الزِّناد ، وهذا من حَسَن التشبيه وواقِعِه[4] .

مَسْأَلَة

قال الشريف المرتضى قدَّس الله روحَه : كان بعضُ الشُّيوخ المتقدمين[5] يقول : ليس بممتنِع أن يُمَكِّنَ اللهُ تعالى من الظُّلْم مَنْ / يعلم من حاله أنه يَرِدُ القيامة غيرَ مستحِقّ [٤ و] لشىء من الأعْواض ، أو لِما يوازى القَدْر المستحقّ عليه منها ؛ فإذا أراد الانتصافَ منه تفضَّل عليه بما ينقلُه إلى مستحِقّ العِوَض ، ويقول : ليس هذا ببعيد ولا مستحيل ، لأن العِوَض ليس يختص بصفةٍ تمنع من التفضّل بمثله ، ولا يَجْرِى فى ذلك مَجْرَى الثواب .

---

(١) من المعلقة بشرح التبريزى ص ١٨٠ ، وقبله :

وخلاَ الذُّبابُ بِهاَ فليسَ بِبارِحٍ غَرِداً كفعل الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ

(٢) فى حاشيتى الأصل، ف : « هذا من باب إجراء الصفة على غير من هى له ، كقولنا : مررت برجل حسن غلامه . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « كأنه » . (٤) د ، م : « من أحسن التشبيه وأوقعه » ؛ وفى حواشى الأصل ، ب ، ف : « كثر القال والقيل فى هذا الحديث ، فقال بعضهم: الأجذم : المقطوع اليد ، وقال آخرون : هو المجذوم . وفى معنى هذا الحديث سر ، ومعناه يتضح بالحديث الآخر الذى روى عنه عليه السلام: إنى تارك فيكم الثقلين، أحدهما كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض. الحديث فلما شبه الكتاب بالحبل الذى يتعلق به ، ويجعل سبباً للتوقى من الهلاك عبر عن تاركه والغافل عنه بالأجذم، وإنما عبر بكلمة الأجذم الشنعة ، واللفظ المستكره لأنه إذا انقطع الحبل لم يمكن أن يمسك ، وإذا كانت اليد جذماء أيضا لم يمكن الإمساك ، فأراد بذلك أن الإمساك غير حاصل، لأمر يرجع إلى اليد الممسكة لا إلى الحبل لأن الحبل باق بحاله ؛ فهذا أحسن ، والله أعلم . ومعنى النسيان هو ترك أحكامه ، والأخذ بمحارمه وحدوده ؛ ولا يريد ذهاب الحفظ » . (٥) حاشية الأصل : «أبو القاسم البلخى» .

وهو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبى البلخى ، أحد شيوخ المعتزلة ، ورأس طائفة منهم يقال لهم : الكعبية ، توفى سنة ٣١٧ . (ابن خلكان ١ : ٢٥٢) .

والمستقرّ من مذاهب الشّيوخ ـ وهو الصحيح ـ أن الانتصافَ لا يجوز أن يكونَ موقوفاً على ما يُتفضَّل به ؛ لأنّ الانتصافَ واجب على الله تعالى من حيثُ خلّى بين عبادِه وبين الظلم ، فلا يجوزُ أن يتعلَّق إلا بأمرٍ واجب ، والتفضُّل لفاعله ألّا يفعله ، فتئول الحالُ إلى تعذر الانتصاف . وقالوا : مَنْ يعلم الله تعالى أنه يرِد القيامة ـ ولا أعْواض له ـ يمنعه من الظلم ، ولا يمكّنه منه لهذه العلة . ويُجيزون[1] أن يمكّن من الظلم مَنْ يكون فى الحال غير مستحِقّ للعوض ، أو غير مستحق للقدْرِ الذى يُوازى الظلمَ من العِوَض، بعد أن يكونَ المعلومُ من حاله أنه يرِدُ القيامة وقد استحقَّ من الأعْوَاض ما يوازِى ما عليه منها .

قال المرتضَى : وهذا القول ـ نعنى تجويز تمكين الظالم من الظلم ، وهو فى الحال غير مستحق للعوض ـ يَبْطُل بالعلّة التى أبطلنا بها قولَ مَنْ أجاز الانتصاف بالتفضّل ؛ لأنّا نعلمُ أن تَبْقية المكلَّف وغير المكلَّف لا تجب ، وللقديم تعالى ألّا يفعلَها ، فلو لم يفعلها واخْتُرِم هذا الظالم بعد حال ظُلْمه لكان الانتصافُ منه غيرَ ممكن . وقد تعلَّق الانتصافُ على هذا القول بما ليس بواجب ؛ كما علَّقه مَنْ قدمْنا حكايةَ قولِه بما ليس بواجب . وليس لهم أن يقولوا ذلك يَحْسُن ؛ لأن الله تعالى يَعْلَمُ أنّه يُبقّيه فيستحِقّ[2] أعْوَاضا ؛ لأن عليهم مثلَ ذلك إذا قيل لهم: فأجيزوا أيضاً أن يَرِد القيامة وهو لا يستحِقّ العوض ؛ ويعلم الله تعالى أنه يتفضّل عليه بما يقع به الانتصاف .

فإذا قالوا : عِلْمُ الله تعالى بأنه يتفضَّل ، لا يخرج التفضُّلَ من أن يكون غيرَ واجب ؛ وقيل لهم : وعِلْم الله تعالى بأنه يُبقّى مَنْ لا عِوَضَ له ليستحِقّ العِوَض، لا يُخرِج التبقيةَ من أنْ تكونَ غيرَ واجبة ، فاستوَى الأمران .

والصحيحُ أن يقال : إنّه تعالى لا يمكّن من الظالم من لا عِوَض له فى الحال؛ ليستقيم الكلام ويطّرد .

---

(١) حاشية الأصل : « أبو هاشم وأصحابه » .
وهو أبو هاشم عبد السلام بن أبى على الجبائى ، كان هو وأبوه من كبار أئمة المعتزلة؛ ولهما مقالات على مذهب الاعتزال ؛ وكتب الكلام مشحونة بمذاهبهما واعتقادهما ، توفى سنة ٣٢١ ، (ابن خلكان ١ : ٢٩٢ـ٢٩٣) .

(٢) ت، وحاشية ف (من نسخة) : « ليستحق » .

مجلس [٢] آخر *

تأويل آية

قال اللهُ تعالى[(١)] : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ [٤ ظ] مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

وقد ظنَّ قومٌ من غَفَلة المُلْحِدين وجُهّالهم أن الجوابَ عمّا سُئِل عنه فى هـذه الآية لم يحصُلْ ، وأن الامتِناع منه إنما هو لفقد العلم به ، وأن قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ تبكيتٌ وتقْريع لم يقعا موقعهما ؛ وإنما هو[(٢)] على سبيل المحاجَزة والمُدافعة عن الجواب .

وفى هـذه الآية وجوهٌ من التّأويل تُبْطِل ما ظنُّوه ، وتدُلّ على ما جهلوه ؛ أولها : أنَّه تعالى إنما عَدَل عن جَوابِهم لعلْمه بأنَّ ذلك أدْعى لهم إلى الصلاح فى الدِّين ، وأن الجوابَ لوصَدَر منه إليهم لازدادُوا فساداً وعِناداً ؛ إذ كانوا بسؤالهم متعنّتين[(٣)] لا مُستفيدين ؛ وليس هذا بمنكَر ؛ لأنّا نعلم فى كثير من الأحوال ممنْ[(٤)] يسألُنا عن الشّىء أنَّ العدولَ عن جوابه أولى وأصْلح فى تدبيره .

وقد قيل إن اليهودَ قالت لـكفار قريش : سَلُوا محمداً ؛ عن الرُّوح فإنْ أجابكمْ فليس بنبىّ ؛ وإن لم يجبْـكُمْ فهو نبىّ ؛ فإنّا نجد فى كتبنا[(٥)] ذلك ؛ فأمَره الله بالعدول عن ذلك ليكونَ عَلَماً له ودِلالة على صِدْقه ، وتـكذيبا لليهود الرادّين عليه ؛ وهذا جواب أبى علىّ محمد بن عبد الوهاب الجُبّائىّ[(٦)] .

---

* ف : « مجلس ثان » ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « هذا المجلس مما افتتح به الـكتاب ، على ما وجد فى بعض النسخ » . (١) ف : « إن سأل سائل عن قوله تعالى » . (٢) ف : « هما » .

(٣) فى ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « معنتين » ، وفى حاشية ف : « أعنت: أتى بالعنت » .

(٤) فى ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « فيمن » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « كتابنا » . (٦) حاشية ف : « أبو على من قرية يقال =

وثانيها أن القومَ إنما سألوه عن الرّوح : هل هى محدَثة مخلُوقة أو ليست[١] كذلك ؟ فأجابهم إنها من أمر ربى ، وهو جوابُهم عما سألوه[٢] عنه بعينه ؛ لأنَّه لا فرقَ بين أن يقولَ فى الجواب : إنها محدَثة مخلوقة ، وبين قوله إنها من أمْر ربّى ؛ لأنه إنما أرادَ أنها من فعله وخلْقه ، وسواء على هذا الجواب أن تكونَ الرُّوح التى سألوا عنها هى التى بها قِوامُ الجَسَد أم عيسى عليه السلام ، أم جبرئيل صلى الله عليه . وقد سمَّى الله تعالى جبرئيلَ رُوحاً، وعيسى أيضاً مُسَمًّى بذلك فى القرآن .

وثالثُها أنهم سألُوا عن الرُّوحِ الذى هُوَ القرآن، وقد سَمَّى اللهُ القرآنَ رُوحاً فى مواضع من الكتاب ؛ وإذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعَه ، لأنه قال لهم : الروحُ[٣] الذى هو القرآن من أمر ربّى ، ومما[٤] أنزله على نبيه صلى الله عليه؛ ليجعلَه دِلَالة وعلَما على صدْقه ، وليس من فعل المخلوقين ، ولا مِمَّنْ يدخل فى إمْكانهم ؛ وهذا جواب الحَسَن البصرىّ .

[٥ و] ويقويه قوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾. [الإسراء : ٨٦] . فكأنَّه قال تعالى : إن القرآن من أمرى وفِعْلى[٥] ومما أنزلتُه عَلَماً على نُبُوّة رسولى ، ولو شئتُ لرفعتُه وأزلْتُه وتصرَّفْتُ فيه ؛ كما يتصرَّف الفاعلُ فيما يفعلُه .

=كذا جاء؛ وهى من رستاق كازور من ناحية الأهواز ، ويقال لأهل هذه الناحية الربعيون ؛ لأنهم كانوا استنفروا لقاتلوا الحسين عليه السلام، فجاءوا وقد فرغ من أمره ، فطلبوا الأجرة ، فقال ابن زياد : إنكم لم تبلوا بلاء ، وأعطى كل واحد منهم ربع دينار . قال دامت أيامه : أخبرنى بذلك العراق العلوى البصرى ». وكانت وفاة أبى على هذا فى سنة ٣٠٦ . (وانظر ترجمته فى ابن خلكان : ٤٨٠–٤٨١) .

(١) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « أم ليست » . (٢) ت ، ف : «سألوا عنه» .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : «إن الروح» . (٤) ش : « وما أنزله » .

(٥) حاشية الأصل : « ليس فى الآية دليل على قوله : "وفعلى" ؛ كتب هذا الشيخ عبد الرحيم البغدادى رحمه الله على حواشى نسخة السيد الإمام » .

فصل

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : قال أبو مُسلم محمدُ بن بحر الأصبهانىّ(١) فى قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾. [الحجر : ١٩] ؛ قال : إنما خصّ الموزونَ دونَ المكيل بالذِّكْر لوجهين :

أحدها أن غايةَ المكيلِ تنتهى إلى الوزن لأن سائرَ المكيلات إذا صارتْ طعاما دخلت فى باب الوزْن وخرجت عن باب الكيل ؛ فكأنَّ الوزنَ أعمُّ من الكيل .

والوجه الآخر أن فى الوزن معنى الكَيْل ؛ لأن الوزن هو طلبُ مساواةِ الشىء بالشىء ومقايستُه إليه ، وتعديلُه به ؛ وهذا المعنى ثابتٌ فى الكيل ، فخصَّ الوزن بالذِّكْر لاشتماله على معنى الكَيْل .

هذا قول أبى مُسْلِمٍ ، ووجهُ الآية وما يشهدُ له ظاهرُ لفظِها غيرُ ما سلكه أبو مسلم ، وإنما أرادَ تعالى بالموزون المقدّرَ الواقعَ بحسب الحاجة ؛ فلا يكونُ ناقصاً عنها ، ولا زائداً عليها زيادة مُضرّة أو داخلة فى باب العبث . ونظيرُ ذلك من كلامهم(٢) قولهم : كلام فلان(٣) موزون ، وأفعاله مقدّرة موزونة ؛ وإنما يراد ما أشرْنا إليه ، وعلى هذا المعنى تأوّلَ المفسرون ذكرَ الموازين فى القرآن على أحدِ التأويلين ، وأنها التعديل والمساواة بين الثّواب والعقاب ، قال الشاعر(٤) :

لَهَا بَشَرٌ مثلُ الحريرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمُ الحواشى لا هُراءٌ ولا نَزْرُ

والهُراء : الكثير ، والنزر : القليل ؛ فكأنه قال : إن حديثَها لا يقِلُّ عن الحاجة

---

(١) كان أبو مسلم الأصبهانى على مذهب المعتزلة ؛ وصنف التفسير على طريقتهم ، وتوفى سنة ٣٧٠ . (لسان الميزان ٥ : ٨٩) .

(٢) ش : « فى كلامهم » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « زيد » .

(٤) فى م ، وحاشيتى الأصل ، ف : « وهو ذو الرمة » ؛ والبيت فى ديوانه : ٢١٢ .

ولا يَزيدُ عليها ؛ وهـذا يَجْرِى مَجْرَى أن تَقولَ : هو موزون . وقال مالك بنُ أسماءَ ابنِ خارجةَ الفَزارىّ[١] :

وحديثٌ ألَذُّهُ هُوَ مِمَّا ... يَنْعَتُ الناعتون يُوزَنُ وَزْنَا[٢]
منطقٌ صائبٌ وتَلْحَنُ أحيا ... نًا وخيرُ الحديث ما كان لَحْنا

[٥ ظ] وهـذا الوجْه الذى ذكرناه أشْبهُ بمراد الله تعالى فى الآية ، وألْيقُ بفصاحةِ القرآن / وبلاغته الموفيتين[٣] على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم ؛ فأمّا قولُ الشاعر الذى استشهدنا بشعره : « وتلْحَنُ أحيانا » فلم يُرِد اللَّحْن فى الإعراب الذى هو ضد الصواب[٤] ؛ وإنما أراد الكنايةَ عن الشىء والتعريضَ بذكره والعدولَ عن الإفصاح عنه ؛ على معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ . [محمد : ٣٠] ، وقول الشاعر[٥] :

ولَقَدْ وحيتُ لـكمْ لـكيما تفطنُوا ... ولَحَنْتُ لحْناً ليسَ بالمرْتَابِ[٦]

وقد قيل : إن اللحنَ الذى عُـنِىَ فى البيت هو الفِطْنة وسرعةُ الفهم ؛ على ما روى عن

(١) هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزارى ؛ شاعر إسلامى غزل . (الشعر والشعراء ٧٥٦–٧٥٨) .

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « حديث معطوف على كلام قبله ؛ أى لها وجه، ولها حياء ، ولها حديث، أو مثل ذلك . وقوله : «ألذه» ، أى أستلذه ؛ يقال : لذذت به ولذذته ، وقوله : « مما ينعت الناعتون » ، أى مما ينعته الناعتون . وقوله : « مما يوزن وزنا » ، أى موزونا ، فهو فى موضع الحال » .

(٣) حاشية الأصل : « الموفيتين : المشرفتين » .

(٤) حواشى الأصل ، ت ، وف : « المسألة محتملة لأنه يريد باللحن ضد صواب الإعراب ؛ لأن مقابل المنطق الصائب الملحون ، واللحن من الغوانى والفتيات غير مستـكره ولا منـكر ، بل قد يستحب ذلك منهن ؛ لأنه بالتأنيث أشبه ، وللشهوة أدعى ، ومع الغزل أحرى ؛ و الإعراب جد، وليس الجد من التعشق والتغزل بشىء ، ثم ما الموجب لأن يتمحل للبيت وجه يسلبه حسن الطباق ؟ ولو أراد به الملاحنة التى هى الفطانة لـكان ملغيا بذكر اللحن ؛ لأن اللحن فى هذا المعنى صائب ، فيذهب الاتساق بذهاب الطباق؛ فبان لك أن المعنى هو اللحن الذى يضاد صواب الإعراب وإقامته ؛ وإن كان كذلك المعنى الثانى محتملا » .

(٥) هو القتال الـكلابى ؛ والبيت فى (الأمالى ١ : ٥ ، واللسان — لحن) ، وقبله :

هل من معاشر غيركم أدعوهمُ ... فلقد سئمتُ دعاء يا لَـكِلاب!

(٦) حاشية الأصل : «الوحى : الإشارة والرسالة والـكلام الخفى؛ يقال : وحيت إليه فى الـكلام، =

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لَعَلَّ أحدَكُمْ أن يكون أَلْحَنَ بحجَّتِه » أى أفطنَ لها، وأغوَص عليها.

ومما يشهد بما ذكرناه ما أخبرنَا به أبو عُبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزُبانىّ[١] قال حدّثنا أحمدُ بن عبد الله العسكرىّ قال حدثنا العَنزِىّ قال حدثنا على بن إسماعيلَ اليزيدىُّ قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيمَ قال: تكلّمتْ هندُ بنت أسماء بن خارجة فلحنَتْ، وهى عند الحجاج، فقال لها: أتلحَنين وأنت شريفة فى بيت قَيْس؟! فقالت: أما سمعت قولَ أخى مالك لامرأته الأنْصارية؟ قال: وما هو؟ قالت: قال[٢]:

مَنْطِقٌ صائبٌ وتَلْحَنُ أحيا … نًا وخَيْرُ الحديثِ ما كان لَحْنا

فقال لها الحجاج: إنما عَنَى أخوكِ اللحنَ فى القول؛ إذا كَنّى المحدّث عمّا يريد، ولم يَعْنِ اللحنَ فى العربية[٣]، فأصلِحِى لسانك.

وقد ظنّ عمرو بن بحرٍ الجاحظ مثلَ هذا بعينه وقال: إن اللَّحْن مستحسَن[٤] فى النساء الغرائر[٥]، وليس بمُستحبٍّ منهن كلّ الصواب والتشبُّهُ بفحول الرجال، واستشهد بأبياتِ مالكٍ بعينها، وظن أنه أراد باللحن ما يخالفُ الصواب[٦]. وتبِعه على هذا الغلط عبد الله ابن مسلم بن قُتيبة الدينورىّ، فذكر فى كتابه المعروف بعيون الأخبار[٧] أبياتَ الفَزارىّ، واعتذَر بها من لَحْن إن أصيب فى كتابه.

قال الشريف المرتضَى رضى الله عنه: وأخبرنا المرزُبانىّ قال أخبرنى محمد بن يحيى

= وأوحيت بمعنى؛ وقوله: المرتاب، يجوز أن يكون المرتاب مصدرا كالارتياب، ويجوز أن يكون مفعولا، والتقدير: ليس بالمرتاب فيه ».

(١) هو أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى الكاتب صاحب كتاب الموشح ومعجم الشعراء وغيرهما من المصنفات؛ روى عن ابن دريد وطبقته، وكان مائلا إلى التشيع، وهو أحد شيوخ الشريف المرتضى؛ توفى سنة ٣٨٤. (ابن خلكان ١: ٥٠٧ـ٥٠٨).

(٢) حاشية ت (من نسخة): « قوله ».

(٣) فى نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: « الإعراب ».

(٤) فى ت، ونسخة بحاشية الأصل: « من النساء ».

(٥) حاشية الأصل: « جمع غريرة؛ وهى التى لم تجرب الأمور ».

(٦) الخبر فى (البيان والتبيين ١: ١٤٧).

(٧) عيون الأخبار ٢: ١٦١.

الصُّولِىّ قال حدثنى يحيى بن على المنجِّم قال حدثنى أبى قال : قلت للجاحظ : مثلُك فى عقلك وعِلْمك بالأدب يُنشِد قولَ الفَزارىّ ويفسِّره على أنه أراد اللحنَ فى الإعراب ! وإنما أراد وصفَها بالظَّرْف والفِطْنة وأنها تُورِّى(١) بما قصدتْ له وتتنكَّبُ التصريحَ به، فقال له : قد فطِنت لذلك بعد ، فقلت(٢) : فغيِّره من كتابك ، فقال : فكيف بما سارتْ به الركبان ! قال الصُّولِىّ : فهو فى كتابه على خَطئِه .

***

[٦ و] ومن حسَن اللحْن الذى هو التعريض والكناية ما أخبرَنا به أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال: حدَّثنا محمد بن الحسن بن دُريدٍ الأزدىّ أنَّ رجلاً من بنى العَنْبَر حَصَل أسيراً فى بكْر بن وائل، فسألهمْ رسولاً إلى قومه فقالوا : لا تُرسِلْ إلا بحضرتنا ؛ لأنهم كانوا عزموا على غَزْو قومِه ، فخافوا أن ينذرَهم ؛ فجىء بعبدٍ أسود، فقال له : أتعقِل ؟ قال : نعم ؛ إنى لعاقل ، قال : ما أراكَ عاقلا ، وأشار بيده إلى الليل فقال : ما هذا ؟ فقال : هذا الليل ، قال: أراكَ عاقلا ، ثم ملأ كفَّيْه من الرَّمل فقال : كم ؟ فقال : لا أدْرى وإنّه لكثير . فقال : أيّما أكثر ؟ النجوم أم النيران(٣)؟ فقال: كلٌّ كثير، فقال : أبلغْ قومى التحيةَ ، وقل لهم: لِيكرِمُوا فلاناً ــ يعنى أسيراً كان فى أيديهم من بكر ــ فإنَّ قومَه لى مُكرمون ، وقلْ لهم: إن العَرْفَجَ قد أدْبَى(٤) ، وشكَتِ النساء ؛ وأْمُرْهم(٥) أن يُعْروا ناقتىَ الحمراء فقد أطالوا ركوبَها ، وأن يرْكبوا جملِى الأصْهب(٦) ، بآية ما أكلْت معكم حَيْساً ، واسألوا عن خبرى أخى الحارث .

فلما أدَّى العبد الرسالةَ إليهم قالوا : لقَدْ جُنَّ الأعور ، والله مانعرف له ناقةً حمراءَ ولا جملا أصْهب ، ثم سرَّحوا العبد ، ودعوُا الحارث فقصّوا عليه القصَّةَ ، فقال : قد أنذرَكُم ،

---

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تورى عما قصدت » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « قلت » . (٣) م : « أم التراب » . (٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « العرفج : جنس من الشوك ، وأدبى الرمث إذا أشبه ما يخرج من ورقه الدبا ، والدبا : صغار الجراد ؛ وحينئذ يصلح أن يؤكل ، والرمث : من مراعى الإبل ؛ وهو من الحمض » . (٥) فى نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: « ومرهم » . (٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الأصهب : ما اختلط البياض بحمرته » .

أمّا قوله : « أدْنَى العَرْفَجُ » يريد أن الرجالَ قد استلأموا ولبسوا السلاحَ ، وقوله : « شَكَتِ النساء » ؛ أى اتخذْنَ الشِّكاء(١) للسَّفر ، وقوله : « الناقة الحمراء » ، أى ارتحلوا عن الدَّهْناء . وارْكَبُوا الصَّمَّان(٢) ؛ وهوالجمَلُ الأصهب(٣) . وقوله: «أ كَلْتُ معكم حَيْساً» يريد أخلاطاً من الناس قد غزَوكم ، لأن الحَيْس يجمع التمر والسمن والأَقِطَ . فامتثلوا ما قال، وعرفوا لَحْنَ كلامه .

تأويلُ خَبَر *

روَى أبو عُبيدٍ القاسمُ بن سلّام فى كتابه غريب الحديث، عن أمير المؤمنين عليه السلام(٤) أنه قال : « مَنْ أحبَّنَا أهلَ البيت : فليستعدَّ(٥) للفقر جِلْبَاباً، أو تَجْفافاً(٦) » .

قال أبو عُبيد : قد تأوّل بعض الناس هذا الخبرَ على أنه أراد به الفقرَ فى الدُّنيا ، قال : وليس ذلك كذلك ؛ لأنّا نرى فيمن يحبّهم مثلَ ما نرى فى سائر الناس ، من الغنى والفقر ، ولا تمييزَ(٧) بينهما ، قال: والصَّحيح أنه أراد الفقر فى يوم القيامة ، وأخرجَ الكلام مُخرجَ الموعظة والنصيحة والحثِّ على الطاعات ، فكأنه أراد : مَنْ أحبنا فليعدّ لفقره يوم القيامة ما يَجْبُره(٨) من الثَّواب، والقُرْب إلى الله تعالى، والزُّلَف(٩) عنده .

---

(١) فى حاشيتى الأصل، ف: « جمع شكوة ، وهى السقاء الصغيرة » .(٢) حواشى الأصل ، ت، ف: « الدهناء : هى أرض فى بلاد تميم ، يمد ويقصر . والصمان : أصله الأرض الغليظة ، والصمان : موضع إلى جنب رمل عالج ؛ وقال:

حتى أتَى عَلَمَ الدَّهْنَا يُوَاعِسُهُ ... والله أعْلَمُ بالصَّمَّان ما جَشَمُوا

قوله : «يواعسه» ، من الوعساء ، وهى الرمل ، وهو فى موضع الحال ، أى مواعساً آخذا فى اللين من الأرض ، وقوله : « ما جشموا » يجوز أن تكون «ما» استفهامية ، ويجوز أن تكون بمعنى الذى؛ وفى كلا الوجهين يكون نصبا بالدال عليه «أعلم» من الفعل» .(٣) حاشية ف : « أراد بالصمان الأرض ؛ وكنى عنها بالجمل الأصهب » . (*) ف : قبل هذا العنوان : « مجلس آخر » . (٤) ت : « صلوات الله عليه » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « فليعد » . (٦) التجفاف ؛ بكسر التاء وفتحها : مايجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً . (٧) ت : « ولا تميز » ، وفى ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « ولا تميز » . (٨) فى ف ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « مايجيره » . (٩) حاشية ت (من نسخة) : « الزلفى » .

[٦ ظ] قال أبو محمد عبد الله بن مُسلِم بن / قُتيبة : وجهُ الحديث خلافُ ما قاله أبو عُبيد ، ولم يُرِد إلا الفقرَ فى الدّنيا ؛ ومعنى الخبر أن مَنْ أحبَّنا فليصبِرْ على التقلُّل من الدنيا والتقنُّع فيها ، وليأخذْ نفسه بالكَفّ عن أحوالِ الدنيا وأعراضِها ؛ وشبَّه الصبر على الفقر بالتَّجفاف أو الجِلْبَاب ؛ لأنه يسترُ الفقر كما يستر الجلباب أو التَّجفافُ البدن . قال : ويشهدُ لصحة هذا التأويلِ ما رُوِى عنه عليه السلام أنه رأى قوماً على بابه ، فقال : يا قَنْبَر ، مَنْ هؤلاء ؟ فقال له قَنْبَر : هؤلاء شيعتُك ، فقال : مالى لا أرى فيهم سِيما[١] الشيعة ؟ قال : وما سِيما الشِّيعة ؟ قال : خُمْصُ البطون من الطَّوَى ، يُبْس الشفاه من الظَّما ، عُمش العيون من البكا ؛ هذا كله قول ابن قتيبة .

والوجهان جميعاً فى الخبر[٢] حَسَنان ؛ وإن كان الوجهُ الذى ذكره ابن قتيبَة أحسَن وأنْصَع[٣] .

ويمكن أن يكون فى الخبر وجهٌ ثالث تشهد بصحته اللُّغة ؛ وهو أن أحدَ وجوه معنى لفظةِ الفقر أن يُحزّ أنفُ البعير حتى يَخْلُص إلى العظْم أو قريبٍ منه ، ثم يُلْوَى عليه حَبْلٌ يُذَلَّلُ بذلك الصَّعْب ، يقال : فقَرَه يفقُره فَقْرا إذا فعل ذلك به ، وبعير مفْقُور وبه فَقْرة ، وكلُّ شىء حززتَه وأثَّرْتَ فيه فقد فقَّرْته تفقيرا ؛ ومنه سُمِّيت الفاقِرة[٤] ، وقيل سيفٌ مُفقَّر[٥] ؛ فيحمَلُ[٦] القولُ على أنه عليه السلام أراد[٦] : مَنْ أحبَّنا فَلْيَزُمَّ نفسه وليخطِمْها وليقدْها إلى الطاعات ، ويَصْرِفها عمّا تميل طباعُها إليه من الشَّهوات ، ولْيذللها على الصّبر عما كُرِه منها ، ومشقةِ ما أُرِيد منها[٧] ؛ كما يُفعلُ ذلك بالبعير الصَّعْب ؛ وهذا وجه فى الخبر ثالث لم يذكَر ، وليس يجب أن يُسْتبعَد حَمْلُ الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهدٌ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « سيمياء » ، وفى حاشية الأصل : « سيما وسيمياء بمعنى » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « فى هذا الخبر » .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « نصع الخضاب ، أى لمع وصار سواده براقا ناصعا » .

(٤) حاشية الأصل : « الفاقرة : الداهية ؛ وإنما سميت بذلك لأنها كاسرة فقار الظهر ، من قولهم فقره ، إذا أصاب فقار ظهره » .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « السيف المفقر : الذى فى متنه حزوز أى خطوط منقورة » .

(٦–٦) ت : « فيحتمل القول أن يكون عليه السلام أراد » .

(٧) ط ، م : « بها »

من اللغة وكلام العرب ؛ لأن الواجبَ على مَنْ يتعاطى تفسير غريبِ الـكلام والشِّعر أن يذكرَ كلَّ ما يحتمِلُه الـكلامُ من وُجوهِ المعانى ؛ فيجوز(١) أن يكونَ أرادَ المخاطِبُ كلَّ واحد منها منفرِدًا ، وليس عليه العلمُ بمراده بعينه ؛ فإن مرادَه مغيَّبٌ عنه ، وأكثرُ ما يلزَمُه ماذكرناه من ذكر وُجوه احتمال الـكلام .

فصْل

قال الشريفُ المرتضَى رضى الله عنه : وممّن كان من مشهورى الشعراء ومتقدِّميهم على مذاهب أهل العدْل ذو الرُّمة ؛ واسمه غَيْلان بن عُقْبة ، وكُنْيتُه أبو الحارث ، وذو الرُّمة / [٧ و] لقَبٌ لقِّب به لبيت قالَه ، وهو قولُه فى صفة الوتِد :

* أشْعَثِ(٢) باقى رُمَّةِ التَّقْليدِ *

والرُّمة : القطعة البالية من الحبْل؛ يقال : حبْل أرْمام ؛ إذا كان ضعيفاً بالياً ؛ وقيل إنه إنما لقِّب بذى الرُّمة لأنه كان ـ وهو غلام ـ يتفزَّع ، فجاءته أمُّه بمَنْ كتبَ له كتابا وعلَّقَتْه عليه برُمَّة من حبْل؛ فسمّى ذا الرُّمة .

ويشهد بمذهبه فى العدْل ما أخبرَنا به أبو عُبَيْد الله محمـد بن عِمْران المرزبانىّ قال حدّثنا ابنُ درَيْد قال حدثنا أبو عثمان الأُشْناندانىّ عن التَّوَّزىّ عن أبى عُبيدة قال : اختصم رُؤْبة وذوالرُّمّة عند بِلال بن أبى بُردة، فقال رُؤْبة : والله مافحَص طائرٌ أُفْحُوصا ، ولا تقَرْمَصَ سبع قُرْموصا(٣) إلاّ بقضاء من الله وقَدَر ؛ فقال له ذوالرُّمة: والله ما قدَّر الله على الذِّئب أن يأ كلَ حَلوبةَ(٤) عيايلَ(٥) ضرائك ؛ فقال رُؤْبة : أفبقدرته أ كلَها؟ هذا كذبٌ

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : «ويجوز» . (٢) حاشية الأصل : « بكسر الثاء؛ لأن قبله:

* وَغَيْرَ مشجوج القفا موتود * أشعث....

وفى حاشية ف : « رمة التقليد ؛ أى الرمة التى يجىء منها تقليد الوتدبها » ، والبيت فى ديوانه : ١٥٥ . (٣) فى حاشيتى الأصل ، ف « تقرمص ؛ أى اتخذ قرموصا ، وهو الموضع الذى يأوى إليه » . (٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الحلوبة: التى بها لبن يحلب ؛ وأكثر ذلك فى النوق ، وقد تستعمل فى غيرها » . (٥) فى حاشيتى ت ، ف : « عيال الرجل : من يعوله ، وواحد العيال عيل، مثل جيد وجياد وجيائد . والضريك: الضرير البائس الفقير ؛ ولا يصرف له فعل ، ولا يقال : ضركه بمعنى ضره ؛ والجمع ضرائك وضركاء » .

على الذئب ثانٍ[١] ، فقال ذو الرُّمّة : الـكذِب على الذِّئْب خير من الـكذب على ربِّ الذِّئب.

وهذا الخبر صريح فى قوله بالعدْل واحتجاجه عليه ، وبصيرتِه فيه ؛ فأما العيايل فهو جمع عَيِّل ، وهو ذو العِيال . والضرائك : جمع ضَريك وهو الفقير .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وأخبرَنا أبو عُبيد الله المرزُبانىّ قال حدَّثنا أحمد ابن محمد المـكىّ عن أبى العَيْناء عن الأصمعىّ عن إسحاق بن سُوَيْد قال : أنشدنى ذو الرُّمة :

وعينانِ قال اللهُ كُونا فـكانتا فَعولانِ بالألباب ماتفعلُ الخمرُ[٢]

فقلت له : « فعولين » خبر الـكون ، فقال لى : لو سبَّحت رِبحت، إنما قلتُ: «وعينان فَعولان » وصفتهما بذلك . وإنما تحرَّز ذو الرُّمة بهذا الـكلام من القول بخلاف العدْل .

وقد رُوِى هذا الخبرُ على خلاف هذا الوجه ؛ أخبرنا أبوعُبيد الله المرزبانىّ قال حدثنى أحمد بن خالد النحاس[٤] قال حدَّثنى[٥] محمد بن القاسم أبو العَيْناء قال حدّثنا الأصمعىّ قال : لما أنشد ذو الرُّمة قوله :

وعينانِ قال الله كُونا فـكانتا فَعُولين بالألباب ماتفعل الخمرُ

ـ وهو يريد: كونا فكانتافعولين حيث كانتا[٦] ـ قال له عَمْرو بن عُبَيْد[٧]: ويحَك ! قلتَ عظيما، فقل : « فعولان بالألباب » ، فقال له ذوالرُّمة ، ما أبالى: أقلت هذا أم سبّحت ، فلما علم بما ذهب إليه عمرو قال : سُبْحَان الله ! لو عنيتُ ما ظننتَ كنتُ جاهلا .

---

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « قوله « ثان » لايعنى أنه كذب على الذئب مرتين ؛ وإنما المعنى: إنك كاذب على الخلق فى أن أفعالهم ليست بقضاء من الله وقدر ؛ لأنه وإن ذكر الطائر والسبع ؛ فإنه يعنى به الخلق؛ ثم لما ذكر ذو الرمة الذئب قال رؤبة : هذا كذب على الذئب ثان لذلك الـكذب الأول الذى استشهدت عليه بالطائر والسبع » . (٢) ديوانه : ٢١٣ .

(٣) الخبر فى (الأغانى ١٦ : ١١٧) ، وفيه : « لوقلت : سبحان الله ، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، والله أكبر؛ كان خيرا لك » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « النخاس » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « حدثنا » . (٦) ت « خبر كانتا » ، ولعله تحريف .

(٧) حاشية الأصل : « كان معتزليا عدليا » .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : ومِمَّنْ رُوِىَ أنه كان على مذاهب أهل العدل من شعراء الطبقة الأولى أعشى[١] قَيْس بن ثعلبة ، واستشهدَ بقوله :

استأثرَ اللهُ بالوفاءِ وبالعـدْ　　　لِ وولَّى الملامَةَ الرَّجُلَا[٢]

وممّن قيل إنه كان على مذاهب أهلِ الجبْر من المشهورين أيضا لَبيد بن ربيعة العامرىّ ، واستدلّ بقوله :

إنّ تقوى رَبِّنا خيرُ نَفَلْ　　　وبإذن الله رَيْثِى وعَجَلْ[٣]

من هداه سبُلَ الخير اهتدَى　　　ناعمَ البال ومَنْ شاءَ أضلّ

وإن كان لا طريقَ[٤] إلى نَسَبِ الجَبْر إلى مذهب لَبيد إلا هذان البيتان فليس فيهما دِلالة على ذلك ، أما قوله :

* وبإذْنِ اللهِ رَيْثِى وعَجَلْ *

فيحتمل أن يريد: بعلمه ؛ كما يتأول عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَاهُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ بِإذْنِ اللهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؛ أى بعلمه، وإن قيل فى هذه الآية ، إنه أراد: بتخليته وتمكينه، وإن كان لا شاهدَ لذلك فى اللغة أمكن مِثْلُه فى قول لبيد ؛ فأما قوله : « مَنْ هداه اهتدى ومن شاء أضل » فيحتمل أن يكون مصروفا إلى بعض الوُجوه التى يتأول عليها الضَّلال والهدى المذكوران فى القرآن ؛ مما يليق بالعدْل ولا يقتضى الإجبار ؛ اللهم إلا أن يكونَ مذهب لبيد فى الإجْبار معروفا بغير هذه الأبيات ؛ فلا يُتَأَوَّل لهُ هذا التأويل ؛ بل يُحمَل مرادُه على موافقة المعروف من مَذْهبه .

(١) حاشية الأصل : « قبيلة الأعشى » .

(٢) ديوانه ١٥٥ ؛ وفى حاشيتى الأصل ، ف : « استأثر الله ؛ تستعمل مع الباء ؛ يقال : استأثر الله به » .　(٣) ديوانه: ٣٩ .　(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا سبيل » .

مَسْأَلَة

قال الشّريف المرتضَى رضى الله عنه : اعْلَمْ أن أصحابَنا لمّا استدلّوا على نفى الرؤية بالأبصار عن الله تعالى بقوله : ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، وبينوا أنه تعالى تمدّح بنفى الإدراك(١) الذى هو رؤيةُ البصر عن نفسه على وجه يرجع إلى ذاته ؛ فيجبُ أن يكون فى ثبوت الرؤية له فى وقتٍ من الأوقات نقص وذمّ . قال لهم مخالفوهم : كيف يتمدّح بأنه لا يُرى ، وقد يشاركه فى نفى الرؤية ماليس بممدوح؛ كالمعدومات والإرادات والاعتقاداتِ ؟ فقالوا لهم : لم يتمدّح تعالى بنفى الرؤية فقط ، وإنما تمدّح بنفى الرؤية عنه وإثباتِها له ، فتمدُّحه بمجموع(٢) الأمرين ؛ وليس يشاركه فى هاتين الصفتين مشارِكٌ ؛ لأن الموجودات المحدَثات على ضروب ؛ منها مالا يَرى ولا يُرى كالإرادات والاعتقادات ، ومنها ما يُرى ولا يَرى كالألوان ، ومنها ما يَرى ويُرى كالإنسان وضروب الأحياء ؛ وليس فيها ما يَرى ولا يُرى ؛ فثبتت المِدْحةُ لله تعالى بمتضمَّن الآية .

[٨و] فقال لهم المخالفون : وكيف / يجوزُ أن تكون صفةٌ لا تقتضى المِدحةَ بانفرادها ، ثم تصير تقتضيها مع غيرها ! ولئنْ جازَ هـذا ليَجوزَنَّ أن يتمدَّح متمدحٌ بأنه شىءٌ عالم، أو موجود قادِر؛ فإذا كان لا مِدْحةَ فى وصف الذات بأنها شىء وموجودة(٣)، وإن انضمّتْ إلى صفة مدحٍ من حيث كانت بانفرادها لا تَقْتضى مَدْحا ، فكذلك لا مِدحةَ فى نفى الرؤية عمّن ثبتت(٤) له ، من حيث كانت بانفرادها لا تَقْتضى مدحا .

فأجاب أصحابُنا عن هذا الكلام بأن قالوا: ليس يمتنِـع فى الصِّفة أن تكونَ لا تَقتضى مَدْحا إذا انفردت ، وتقتضيه إذا انضمت إلى غيرها ، ومثّلوا ذلك بقوله تعالى : ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . وإنَّ نفى السِّنَةِ والنَّوْم هاهنا إنما يكون مَدْحا إذا انتفَى عمّنْ هو بصفَة الأحياء ، وإن كان بانفراده لا يقتضى مَدْحا لمشاركة ذواتٍ كثيرة غير

---

(١) ت : « بنفى إدراك البصر » . (٢) ت : « جميع » ؛ وفى حاشيتها (من نسخة) : « فتمدح بمجموع الأمرين » . (٣) د ، ونسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « بأنها شىء موجود » .
(٤) ش : « تثبت » .

ممدوحة فيه ، وفصَلوا بين الوصف بالشيء والوجود ، وبين ما ذكروا من حيث لا تأثيرَ لهاتينك[1] الصِّفَتَيْن فى المدْح .

واعلم أنَّ صفاتِ المدح المتضمنة للإثبات ما تكاد[2] تفتقر إلى شرط فى كونها مدحا . وصفاتُ النفى إذا كانت مَدْحا فلابدَّ فيها من شرط ؛ وإنما افترقَ الأمران من حيثُ كان النَّفى أعمَّ من الإثبات ؛ فيدخل تحتَه الممدوحُ وغيرُ الممدوح ، والإثبات أشدُّ اختصاصا ؛ ألا تَرَى أنَّ ما ليس بعالِم من الذّوات وليس بموجود أكثرُ مما ثبت له العلم والوجودُ منها ؟ لأنَّ الأولَ لا يكون إلا غير متناهٍ ، والثانى لابد أن يكون متناهياً ، فلما شمِلتْ صفاتُ النفى الممدوحَ وغيرَ الممدوح احتاجتْ إلى شرط يخصِّصها .

وأنت إذا اعتبرت سائرَ صفاتِ النّفى التى يُتَمدَّح بها وجدتَها مفتقرةً إلى الشروط ؛ ألا ترى أنَّ من ليس بجاهل إنما يكون ممدوحا بهذا النفى إذا كان حيًّا ذاكرا ، ومن ليس بعاجز إنما يكون ممدوحا إذا كان أيضاً موجوداً حيا ، ومن ليس بظالم إنما يكون ممدوحا إذا كان قادراً على الظلم وله دواعٍ إليه ، ولابدَّ فى الشرط الذى يحتاج إليه فى صفات النفى حتى تكون مَدْحاً من أن يكون أيضا إثباتا أو جارياً مجرى الإثبات ، ولا يكون نفياً لأنه إن[3] كان نفيا لم يتخصص، وساوَى[4] فيه الممدوحُ ما ليس بممدوح ؛ مثال ذلك أنا إذا مَدَحْنا غيرَنا بأنه لا يظلم ، وشرطْنا فى هذه المِدْحة أنه لم يَدْعُه داعٍ[5] إلى الظلم لم تحصل المِدحة ، لأنه قد يشاركه فى نفْى الظلم ونفى الدواعى إليه ما ليس بممدوح ، فلابدَّ من شرط يجرِى مجرى الإثبات ؛ وهو أن تقول : وهو ممّن تدعوه الدواعى إلى / الأفعال ويتصرَّف فيها [٨ ظ] بحسب حاجته ودواعِيه . فإذا صحّت هذه الجملة فالوجه أن نقولَ : إن المدحة فى الآية إنما تتعلّق بنفى الإدراك عن القديم تعالى ، لكن بشرط أن يكون مدرِكاً ، ولا نجعل[6] كلَّ

(١) فى نسخة بحاشيتى ت ، ف : « لتينك » ، وفى حاشية ت أيضا (من نسخة أخرى) : « لهاتين » .
(٢) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « لا تكاد » .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذا » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « وشارك » .
(٥) ت : « لم يدعه الداعى » . (٦) فى الأصل : « ونجعل » ، وصححت فى الحاشية ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « فى النسخة المقروءة على السيد رضى الله عنه : « ولا نجعل » ؛ كذا كان بخط الشجرى ، وفى نسخة ص أيضا » .

واحدة من الصفتين تقتضى المدح مجتمعا ؛ مع أنَّ كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد. وليس بمنكَر أن يقتضى الشىء غيرَه بشرط متى وجد حصل المقتضى ، وإذا لم يحصل[(١)] لم يحصل مقتضاه ، ونفى السِّنَةِ والنوم والظلم عن الله تعالى إنما كان مدحا بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه ؛ وهذا التلخيص فى هذا الموضع أَوْلَى وأحسم للشُّبَهِ[(٢)] مما تقدّم ذكره.

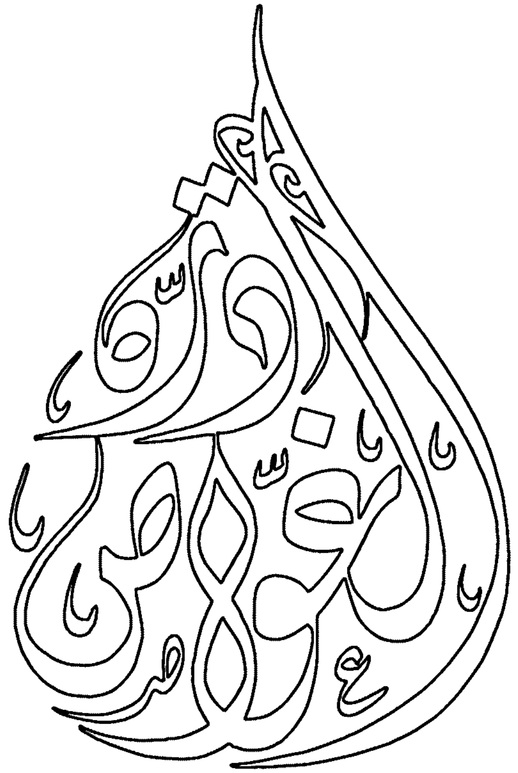

(١) فى نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « لم يوجد » .
(٢) حاشية ت (من نسخة) : « للشبهة » .

مجلس آخر [٣] *

تأويل آية

إن سأل سائل فقال : ما تقولون فى قوله تعالى حِكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ [الشعراء : ٣٢]، وقال فى موضع آخر : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾[١] [القصص : ٣١] .

والثُّعبان هو الحَيَّةُ العظيمة الخِلْقة، والجانُّ الصغيرُ من الحيّات، فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة ؟ وكيف يجوز أن تكونَ العصا فى حالةٍ واحدة من صفة ما عظم خَلْقُه من الحيّات، وبصفة ما صغر منها ؟ وبأىّ شىء تُزيلون التناقضَ عن هذا الكلام ؟ .

الجواب : أول ما نقوله[٢]: إن الذى ظنه السائل من كون الآيتيْن خبرا عن قصة واحدة باطل ؛ بل الحالتان مختلفتان ؛ فالحال[٣] التى أخبر عن العصا فيها بصفة الجان[٣] كانت فى ابتداء النبوّة، وقبل مصيرِ موسى عليه السلام إلى فِرْعون ، والحال التى صارت العصا فيها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وإبلاغه الرسالة ؛ والتلاوةُ تدلّ على ذلك ؛ وإذا اختلفت القِصَّتان فلا مسألة .

على أن قوما من المفسّرين قد تعاطَوْا الجوابَ عن هذا السؤال ؛ إمَّا لظنِّهم أن القصةَ واحدة ، أو لاعتقادهم أن العصا الواحدةَ لايجوز أن تنقلب فى حالتين : تارةً إلى صفة الجانّ ،

* كذا فى ت ، وفى الأصل ، ف : « مجلس آخر ثالث » .

(١) حواشى الأصل ، ت، ف : « لم يعقب : لم يرجع ؛ وقيل لم يلتفت ، وقيل لم يعطف ولم ينتظر؛ يقال : كر على القوم وما عقب . ويرى أهل النظر أنه مأخوذ من العقب ؛ وروى عن سفيان : لم يعقب: لم يمكث ، ويقال : عقب فى الأمر إذا تردد فى طلبه مجدا ؛ وقوله تعالى : ﴿ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ ؛ أى لايحكم بعد حكمه حاكم ، والمعقب : الذى يكر على الشىء ، وقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، أى للإنسان ملائكة يعقب بعضهم بعضا . وقال الفراء : ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار ؛ يعنى أنهم يتعاقبون ليلا ونهارا » .

(٢) ت ، د : «أول مانقوله فى هذا» .

(٣-٣) ت : « فالحال التى أخبر أن العصا صارت فيها بصفة الجان... » .

وتارة إلى صفة الثعبان ؛ أو على سبيل الاستظهارِ فى الحجة ، وأن الحال لو كانت واحدة على ما ظُنَّ لم يكن بين الآيتين تناقضٌ ؛ وهذا الوجه أحسنُ ما تَكلَّفوا الجوابَ لأجله ؛ لأن الأولَيْن لا يكونان إلا عن غلطٍ أو غفلة ، وذكروا وجهين تزُول بكل واحدٍ منهما الشبْهة فى تأويلها :

أحدهما أنه تعالى إنما شبّهها بالثعبان فى إحدى الآيتين لعظم خَلْقها ، وكِبَر جسمها ، وهَوْل منظرها؛ وشبَّهها فى الآية الأخرى بالجانّ لسرعة حركتها ونشاطِها وخفّتها ؛ فاجتمع لها مع أنها فى جسم الثعبان وكِبَر خلْقه نشاطُ الجان ، وسرعةُ حركته؛ وهذا أَبْهر فى باب الإعجاز ، وأَبْلغُ فى خَرْق العادة ؛ ولا[١] تناقضَ معه بين الآيتين ؛ وليس يجب إذا شبَّهها بالثعبان أن يكونَ لها جميعُ صفات الثعبان، ولا إذا شبَّهها بالجان أن يكون لها جميعُ صفاته، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ [الدهر: ١٥، ١٦] . ولم يُرِدْ تعالى أنَّ الفِضَّة قواريرَ على الحقيقة ؛ وإنما وصفها بذلك لأنه اجتمع لها صفاءُ القوارير وشُفُوفها ورِقّتها ؛ مع أنها من فضة ؛ وقد تشبِّه العربُ الشىءَ بغيره فى بعض وجوهه ؛ فيشبِّهونَ المرأة بالظَّبْية والبقرةِ[٢] ونحن نعلم أن فى الظباء والبقر من الصِّفَات مالا يُستحسن أن يكون فى النساء، وإنما وقع التشبيه فى صفة دون صفة ، ومن وجه دون وجه[٣] .

والجواب الثانى أنه تعالى لم يُرِدْ بذكر الجانِّ فى الآية الأخرى الحيَّةَ ؛ وإنما أراد أحدَ الجنِّ ؛ فكأنه تعالى خبّر[٤] بأن العصا صارت ثعبانا فى الخِلْقةِ وعظم الجسم ؛ وكانت مع ذلك كأحد الجن فى هَوْل المنظر وإفزاعِها لمن شاهدها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ .

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا » . (٢) ت : « وبالبقرة » .

(٣) ت : « دون آخر » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « أخبر » .

ويمكن أن يكون فى الآية تأويلٌ آخر استخرجناه ؛ إن لم يزد على الوجهين الأوَّلَيْن لم ينقُصْ عنهما ؛ والوجهُ فى تكلُّفِنا له ما بيَّناه من الاستظهار فى الحُجَّة ، وأنَّ التناقضَ الذى تُوُهِّمِ زائلٌ على كل وجه(١) ؛ وهو أنَّ العصا لمَّا انقلبتْ حيَّةً صارت أولاً بصفة الجانّ وعلى صورتِه؛ ثم صارتْ بصفة الثُّعبان ؛ على تدريج ؛ ولم تَصِرْ كذلك ضربة واحدة؛ فتتّفق الآيتان على هذا التأويل، ولا يختلفُ حُكْمُهما، وتكون الآيةُ الأولى التى تتضمن ذكرَ الثعبان إخباراً عن غاية حال العصا ، وتكونُ الآيةُ الثانيةُ تتضمّن ذكرَ الحال التى ولَّى موسى فيها هارباً ؛ وهى حال انقلاب العصا إلى خِلقة الجان ؛ وإن كانت بعد ذلك الحال انتهتْ إلى صورة الثعبان .

فإن قيل على هذا الوجه : كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾؛ وهذا يقتضى أنها صارت ثعبانا بعد الإلقاء بلا فصل ؟ قلنا : تُفيد(٢) الآية ماظَنَّ ؛ وإنما فائدةُ قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِىَ ﴾ الإخبارُ عن قرب الحال التى صارت فيها بتلك الصّفة ؛ وأنَّه لم يطل الزّمان فى مصيرِها كذلك ، ويجرِى هـذا مَجْرى قوله تعالى / : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [يس : ٧٧] ؛ مع تباعدِ ما بين [٩ ظ] كونِه نُطفةً وكونه خَصيماً مُبينا ، وقولهم : ركِبَ فلان من منزله فإذا هو فى ضَيْعته ، وسقط من أعلى الحائط فإذا هو فى الأرض ؛ ونحن نعلم أنَّ بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعتَه زمانا، وأنَّه لم يصل إليها إلا على تدريج ؛ وكذلك الهابطُ من الحائط ؛ وإنما فائدة الكلام الإخبارُ عن تقارب الزّمان ؛ وأنه لم يطل ولم يمتدّ .

---

(١) ت : « على كل حال » . (٢) ت (من نسخة) : « تقدير » .

تأويل آية أخرى

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : قال اللهُ تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣] .

وقد ظنّ بعضُ مَنْ لا بصيرةَ له، ولا فِطْنَةَ عنده أن تأويل هذه الآية أنَّ الله تعالى استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميعَ ذريته، وهم فى خَلْق الذَّرّ ، فقرَّرهم بمعرفته، وأشهدَهم على أنفسهم.

وهـذا التأويل ـ مع أنَّ العقل يُبْطِله ويُحيلُه ـ مما يشهد ظاهرُ القرآن بخلافه ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ ﴾ ، ولم يقل : من آدم ، وقال : ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ، ولم يَقُلْ : من ظهره ، وقال : ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، ولم يقل: ذُرِّيته؛ ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا يوم القيامة : إنهم كانوا عن ذلك غافلين ، أو يعتذروا بِشِرْك آبائهم ، وأنّهم نَشئوا على دينهم وسُنَّتهم ؛ وهذا يقتضى أنّ الآية لم تتناولْ وَلَدَ آدم عليه السلام لصُلْبه ؛ وأنها إنما[1] تناولت مَنْ كان له آباء مشركون ؛ وهذا يدلّ على اختصاصها ببعض ذُرِّية[2] بنى آدم ؛ فهذه شهادة الظّاهر ببطلان تأويلهم ، فأما شهادةُ العقول[3] فمن حيث لا تخلُو هذه الذُّرِّية التى استخرِجت من ظهر آدم عليه السلام فخوطبت وقُرِّرَتْ من أن تكونَ كاملةَ العقول، مستوفيةً لشروطِ التكليف؛ أو لا تكون كذلك[4].

فإنْ كانت بالصفة الأولى وجبَ أن يَذْكُر هؤلاء بعد خَلْقِهم وإنشائهم ، وإكمالِ عقولهم ما كانوا عليه فى تلك الحال، وما قُرِّرُوا به ، واستُشْهِدوا عليه ؛ لأنّ العاقلَ لا ينسَى ما جرى هذا المجرى ، وإن بَعُد العهدُ وطال الزمان ؛ ولهذا لا يجوزُ أن يتصرّف أحدُنا فى بلدٍ من البلدان وهو عاقل كامل فينسَى مع بُعْدِ العَهْد جميعَ تصرُّفِه المتقدِّم / وسائرَ أحواله . [١٠و]

(١) ساقطة من ت ، ف . (٢) ت : « ولد آدم » . (٣) ت : « العقل » .

(٤) ت : « أو لا تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف » .

وليس أيضاً لتخلُّلِ الموت بين الحالين تأثير ؛ لأنه لو كان تخلّل الموت يُزيل الذكرَ لكان تخلّلُ النومِ والسُّكْرِ والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يُزيل ذكرَهم لِمَا مضى من أحوالهم؛ لأنّ سائرَ ما عددناه مما ينفى العلوم يجرى مَجْرَى الموت فى هذا الباب . وليس لهم أن يقولوا : إذا جاز فى العاقل الكاملِ أنْ ينسى ما كان عليه فى حال الطفوليّة جاز ما ذكرناه ؛ وذلك أنّا إنما أوجبْنا ذكرَ العقلاءِ لِما ادَّعَوْه إذا كَمَلتْ عقولُهم من حيث جرى لهم[1] وهم كاملو العقول ، ولو كانوا بصفة الأطفال فى تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه .

على أن تجويزَ النِّسيان عليهم ينقُضُ الغرضَ فى الآية ، وذلك أنّ الله تعالى أخبرَ بأنه إنما قرّرَهم وأشهدهم لئلا يدّعوا يوم القيامة الغفلةَ عن ذلك ، وسقوطَ الحجّة عنهم[2] فيه ؛ فإذا جازَ نسيانُهم له عاد الأمْر إلى سقوط الحجة وزوالِها ، وإن كانوا على الصِّفة الثانية من فَقْد العقل وشرائط التكليف قَبُح خِطابهم وتقريرُهم وإشهادهم ، وصار ذلك عبثاً قبيحاً ؛ يتعالَى الله عنه .

فإن قيل : قد أبطلتُم تأويل[3] مخالفيكم ، فما تأويلها الصحيح عندكم ؟ قلنا فى هذه الآية وجهان :

أحدُهما أن يكون تعالى إنما عَنَى جماعة من ذُرِّية بنى آدم خلَقهم وبلَّغهم وأكمل عقولَهم، وقرّرهم على ألسنِ[4] رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب[5] من طاعته ، فأقرّوا بذلك ، وأشهدهم على أنفسِهم به ؛ لئلا يقولوا يومَ القيامة إنّا كنّا عن هـذا غافلين ، أو يعتذروا بشرْك آبائهم . وإنما أُتِيَ مَنِ اشتبه عليه تأويلُ الآية من حيث ظنّ أنّ اسم الذرية لا يقعُ إلّا على مَنْ لم يكن كاملا عاقلا ؛ وليس الأمر كما ظنّ ؛ لأنّا نسمّى جميعَ البشر بأنهم ذرية آدم ؛ وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون ، وقد قال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) ، ت ، ف : « عليهم » . (٢) ت، حاشية الأصل (من نسخة) « عليهم » . (٣) م : « قول » . (٤) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة): «لسان ».
(٥) د ، ت : « ومايجب عليهم » .

جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ [الرعد: ٢٣]. ولفظ الصالح لا يطلَق إلا على مَنْ كان كاملا عاقلًا ؛ فإن استبعدوا تأويلنا وحَمْلَنا الآيةَ على البالغين المكلَّفين ؛ فهذا جوابهم .

[١٠ ظ] والجواب الثانى أنَّه تعالى / لمّا خَلَقهم وركّبهم تركيباً يدلّ على معرفتِه ويشهد بقدرتِه ووجوبِ عبادته، وأراهُم العبرَ والآيات والدّلائل فى أنفسهم وفى غيرهم كان بمنزلةِ المشهِدلهم على أنفسهم ، وكانوا فى مشاهدة ذلك ومعرفتِه وظهورِه فيهم على الوجه الذى أراده تعالى ، وتعذُّر امتناعهم منه ، وانفكاكهم من دَلالته بمنزلة المقرّ المعترف ؛ وإن لم يكن هناك إشهادٌ ولا اعتراف على الحقيقة ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] ، وإن لم يكن منه تعالى قولٌ على الحقيقة، ولا منهما جواب ، ومثلُه قوله تعالى: ﴿ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾ [التوبة : ١٧] . ونحن نعلم أنّ الكفارَ لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم ؛ وإنما (١) لمّا ظهر منهم ظهوراً لا يتمكّنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ؛ ومثل هذا قولهم : جوارحى تشهدُ بنعمتك ، وحالى معترفةٌ بإحسانك . وما رُوى عن بعض الخطباء(٢) من قوله : سلِ(٣) الأرضَ : مَنْ شقّ أنهارَك ، وغرَس أشجارَك ، وجَنَى ثمارَك ؟ فإن لم تُجِبْك حِوارًا أجابتك اعتبارا .

وهذا باب كبير ، وله نظائر كثيرة فى النظم والنثر ؛ يغنى عن ذكر جميعها القدرُ الذى ذكرناه منها .

---

(١) د ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « وإنما ذلك » . (٢) فى نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « الحكماء » . (٣) فى نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « هذا من كلام الفضل بن عيسى بن أبان ، ذكره فى قصصه » .

تأويل خبر

قال أبو عُبيد القاسم بن سلّام فيما يُرْوَى عن النبيّ صلى عليه وآله: «ليس مِنّا مَنْ لم يَتَغَنَّ بالقرآن». قال: أراد: يستغنِي به، واحتجَّ بقولهم: تغنَّيت تغنياً، وتَغانيت تَغَانِياً، وأنشد بيت الأعشى:

وَكُنْتُ امْرَأً زَمَناً بِالعِرَاقِ عفيفَ الْمُناخِ طَويلَ التَّغَنّْ(1)

وقول الآخر:

كِلاَنَا غَـنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَه ونَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا(2)

واحتجّ أيضاً بقول ابن مسعود: «مَن قرأ سورة آل عمران فهو غنيّ»، أى مُسْتَغْنٍ، وبالحديث الآخر: «نِعْمَ كَنز الصُّعلُوك سورة آل عمران يقوم بها(3) فى آخر الليل»؛ والصُّعلوك الفقير، واحتجَّ بحديث آخر يرَوَى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أنه قال: «لا ينبغى لحامل القرآن أن يظنّ أنّ أحدًا أُعْطِىَ أفضلَ مما أُعطِىَ، لأنّه لو مَلَك الدنيا بأسْرِها لـكان القرآنْ أفْضَلَ ممّا مَلَـكه». واحتجَّ أيضاً بخبرٍ يرْفعه(4) عن عبد الله بن نَهِيك أنه دخل على سعد(5) بيتَه(6)، فإذا مَثال رثّ، ومتاعَ رثّ، فقال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا مَنْ لم يتغنَّ بالقرآن».

قال أبو عُبيد: فذِكْرُهُ المتاعَ الرثَّ، والمثال الرثّ يَدُلُّ على أن التغنِّىَ بالقرآن الاستغناءُ به

---

(1) ديوانه: ٢٢، واللسان (غنى). (2) نسبه صاحب اللسان فى (غنى) إلى المغيرة بن حبناء التميمى؛ وذكره المبردفى (الـكامل ٣ : ١٤ ــ بشرح المرصفى) ضمن أبيات لعبد الله ابن معاوية، أولها:

رأيتُ فُضَيلًا كانَ شيئاً مُلَفَّفاً فـكَشَّفَه التَّمْحِيصُ حتَّى بَدَا لِيَا

وقبله:

فَعَيْنُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ولـكنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِى المَساوِيا

(3) حاشية الأصل: «بقراءتها». (4) فى نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «يرويه».

(5) حاشية الأصل: «هو سعد بن أبى وقاص». (6) كذا فى الأصل، وحاشية ف؛ وفى د، ف، وحاشية ت (من نسخة): «فى بيته».

عن الـكثير من المال والمثال هو الفِرَاش ، قال الشاعر(١) :

بِـكلِّ طُوَالِ السَّاعِدَيْنِ كأنَّما يَرَى بِسُرى اللَّيْـلِ الْمِثَالَ الْمُمَهَّدَا(٢)

ـ يعنى الفراش . قال أبو عُبيد : ولو كان معناهُ الترجيعَ لعظُمَتِ المِحْنةُ علينا بذلك ؛ إذْ كان مَنْ لم يُرَجِّعْ بالقرآن فليس(٣) منه عليه السلام .

وذكرغير(٤) أبى عبيد جواباً آخر، وهو أنه عليه السلام أراد : مَنْ لم يحسِّن صوتَه بالقرآن ولم يرجِّع(٥) فيه. واحتجَّ صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب قال : أتيتُ سعداً ـ وقد كُفَّ بصره ـ فسلمتُ عليه ، فقال : مَنْ أنت ؟ فأخبرتُه. فقال: مَرْحَباً يابن(٦) أخى، بلَغنى أنك حَسَنُ الصوت بالقرآن ، وقد سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول : «إن هذا القرآن نزل بِحُزْنٍ ، فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكَوْا ، فمَنْ لم يتَغَنَّ بالقرآن فليس منا». فقوله : «فابكوا أوتباكَوْا» دليل على أن التغنِّىَ التحنين والترجيع. وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنّه قال : «لا يأذنُ الله لشىء من أهلِ الأرض إلا لأصوات المؤذِّنين ، والصوت الحسن بالقرآن». ومعنى قوله: «يأذَن» يستمعله؛ يقال : أذِنْتُ للشىء آذَنُ أذَناً إذا استمعتُ له ؛ قال الشاعر(٧) :

صُمٌّ إذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ وَإنْ ذُكِرْتُ بِسوءٍ(٧) عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

---

(١) نسبه صاحب اللسان فى (مثل) إلى الأعشى .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « أى بدل سرى الليل ؛ كقولك شربت بالخمر ماء ، أى بدل الخمر » .

(٣) فى نسخة بحاشيتى ت ، ف : « ليس ».(٤) د ، وحاشية الأصل (من نسخة) : «وذكر عن غير أبى عبيد جواب » . (٥) ت ، د ، ف : « ويرجع » . (٦) فى نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « بابن » . (٧) هو قعنب بن ضمرة ؛ أحد شعراء الدولة الأموية ، من أبيات فى (الحماسة ــ بشرح التبريزى ٤ ــ ١٢٤ ، والاقتضاب ٢٩٢ ، وشواهد المغنى ٣٢٦) ، وقبله :

إن يَسْمعوا رِيبةً طارُوا بها فَرَحاً عَنِّى وما سَمِعُوا من صالحٍ دَفَنُوا

(٧) ف : « بشر » .

وقال عدىّ بن زيد العِبادىّ(١) :

أيُّهَا القَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ   إنَّ هَمِّى فِى سَمَاعٍ وَأَذَنْ(٢)

والأَذن هو السّماع ، وإنما حسَّن(٣) تكرير المعنى اختلافُ اللفظ . وللعرب فى هذا مذهب معروف ، ومثله :

* وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْىُ وَالْبُعْدُ *

[١١ ظ] فأماالدَّدَن فهو اللهو/واللعب، وفيه لغات ثلاث: دَدٌ على مثال دَم، ودَداً على مثال فتًى، وَدَدَن على مثال حَزَنٍ ؛ ومنه قول النبي عليه السلام: « ما أنا من دَدٍ ولا الدّد مِنّيهْ(٤) ».

فإن قِيل : كيف يُحمَل قوله : « لا يأذن الله لشىء كإذنه لكذا وكذا » على معنى الاستماع ، وهو تعالى سامع لكلّ شىء مسموع ، فأىّ معنًى للاختصاص ؟ قلنا : ليس المراد ههنا بالاستماع مجردَ الإدراك ، وإنما المراد به القبول ، فكأنه عليه السلام قال : إنّ الله تعالى لا يتقبَّلُ أو يُثيب على شىء من أهل الأرض كتقبُّله وثوابه على كذا وكذا ، ومن هذا قولهم : هذا كلامٌ لا أسمَعه ، وخاطبتُ فلانا بكلام فلم يسمعْه(٥) ، وإنما يريدُ نفىَ القبول لا الإدراك ، والبيتُ الذى أنشدْناه يشهد بذلك ، لأنه قال :

* وإنْ ذُكِرْت بسوءٍ عندهم أَذِنوا *

ونحن نعلمُ أنهم يستمِعون الذِّكْر بالخير والشر معاً من حيث الإدراك ؛ فوجْهُ الاختصاص ما ذكرناه .

---

(١) حاشية ت : « العباد قوم كانوا يخدمون النعمان فسماهم العباد وكان عدى هذامنهم » ؛ وحاشية ف: «قوم اقتطعهم النعمان بخدمته ؛ فكان يقال لهم عباد النعمان ، فنسب عدى إليهم، «وكان نصرانيا» .

(٢) حاشية الأصل : « البعد أقرب من النأى » .

(٣) ش ، ف : « وإنما حسن تكرير المعنى لاختلاف اللفظ » .

(٤) فىحاشيتى الأصل ، ف : « قوله عليه السلام: « منيه » هذه الهاء للاستراحة ، وهى تدل على تأكد امتناعه من اللهو » . وفى ح ، وحاشيتى ت ، ف (من نسخة) : « منى » .

(٥) فى حاشيتى ت ، ف : « ومن هذا الباب قوله : دعوت الله حتى خفت ألا يكون الله يسمع ما أقول ؛ أى يجيب » .

وقد ذكر أبو بكر محمدُ بن القاسم الأنباريّ وَجْهاً ثالثاً فى الخبر ، قال : أراد عليه السلام: (١ مَنْ لم يتلذَّذْ بالقرآن ، ويَسْتَحْلِه، ويستعذِبْ١) تلاوتَه كاستحْلاء أصحاب الطَّرب للغناء والْتِذاذِهم به . وسمّى ذلك تغنّياً من حيث يُفْعَلُ عنده ما يُفعَلُ عند التغنّى بالغناء ، وذكر أنَّ ذلك نظيرُ قولهم : العمائم تِيجانُ العرب ، والحُبا(٢) حيطانُ العرب ، والشمس حمّامات العرب(٣) ؛ وأنشد بيت النابغة :

بُكاء حَمامَةٍ تَدْعُو هديلًا مُفَجَّعَةٍ على فَنَنٍ تُغَنّى(٤)

فشبّه صوتَها لمّا أطرب إطرابَ الغناء بالغناء ، وجعلوا العمائم لمّا قامت مقام التِّيجان تيجاناً ؛ وكذلك القولُ فى الحُبا والشمس .

وجوابُ أبى عُبيد أحْسَنُ الأجوبة وأسْلَمُها ، وجوابُ أبى بكر أبعدُها ؛ لأن التلذُّذَ لا يكون إلا فى المشتَهيات ، وكذلك الاستحلاء والاستعذاب . وتلاوةُ القرآن وتَفهُّم معانيه من الأفعال الشاقة ، فكيف يكون مُلَذًّا مُشْتَهًى(٥) ؟! فإن عاد إلى أن يقول : قد تُسْتَحلَى التِّلاوة من الصوت الحزين(٦) ، قلنا : هذا رجوعٌ إلى الجواب الثانى الذى رغبتَ عنه ، وانفردتَ عند نفسك بما يخالفه .

ويمكن أن يكونَ فى الخبر وجهٌ رابع خطر لنا ، وهو أن يكون قوله عليه السلام : [١٢ و] /« مَنْ لم يتغنّ » من غَنِيَ الرجل بالمكان إذا طال مُقامه به ، ومنه قيل : المَغْنَى والمغانِى، قال الله تعالى : ﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ [الأعراف : ٩٢] ، أى لم يُقيموا بها ، وقال

(١–١) ف : « من لم يتلذذ بالقرآن ولم يستحله ولم يستعذب » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « جمع حبوة (بكسر الحاء وضمها معا) ، والأصل فيه الاحتباء بالسيف ، والاحتباء : شد اليدين أمام الركبتين ، والاسم الحبوة » .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « أى يتنزل منزلة هذه الأشياء » .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الهديل: صوت الحمام وفرخها ، ويحتمل المعنيين ؛ أى تدعو دعاء، صوتها » ؛ والبيت فى ديوانه ٧٩ . (٥) فى حاشيتى الأصل (من نسخة) ، ف (عن ش) : « شىء ملذ؛ أى يحمل على الالتذاذ به ، ويقال : لذدت بالشىء ، ولذذته ، أو وجدته لذيذا ، أو عددته كذلك » .

(٦) تحت هذه الكلمة فى الأصل : « من نسخة الشجرى » ، وفى نسخة بحاشيتى الأصل ، ت « الحسن » .

الأسود بن يَعْفر[1] الإيادىّ :

وَلَقَدْ غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عِيشَةٍ ... فى ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ[2]

وقول[3] الأعشى الذى أنشده أبو عُبيد وهو :

وَكُنْتُ امْرَأً زَمَناً بِالعِرَاقِ ... عَفِيفَ الْمُنَاخِ طَوِيلَ التَّغَنْ

بطول المقام أشْبَه منه بالاستغناء ، لأن المُقامَ يوصَف بالطول ولا يوصَف الاستغناء بذلك، فكأنّ الأعشَى أراد : إننى كنت ملازماً لوطنى ، مقيماً بين أهلى ، لا أسافر للانتجاع والطّلب ؛ ويجرى قولُه هذا مَجْرى قولِ حسّان بن ثابت الأنصارىّ :

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ ... قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ[4]

أراد بقوله : « حول قبر أبيهم » أنهم ملوك لا ينتجِعون[5] ، ولا يفارِقون مَحالَّهم وأوطانَهم ؛ فيكون معنى الخبر على هـذا الوجه : مَنْ لم يُقِمْ على القرآن؛ فلا يتجاوزُه[6] إلى غيره ، ولا يتعدّاه إلى سواه ، ويتخِذه مَغْنًى ومنزلا ومُقاما فليس منا .

فإن قيل : أليسَ قد يتَعَدَّى القرآنُ إلى السُّنَّة والإجماع وسائر أدلّة الشرع ؟ فكيف يُحْظَرُ علينا تعدّيه ؟ قلنا : ليس فى ذلك تَعَدٍّ للقرآن ، لأنّ القرآنَ دالٌّ على وجوب اتّباع السنّة وغيرها من أدلّة الشرع ، فمن اعتمَد بعضَها فى شىء من الأحكام لا يكون متجاوزاً للقرآن ، ولا متعديا ؛ فأمّا قولُه عليه السلام : « ليسَ مِنَّا » فقد قيل فيه : إنه لا يكون على أخلاقنا ، واستُشهِد ببيت النابغة :

---

(١) فى حاشيتى الأصل : « ويعفر (بضم الياء والفاء) ، ويعفر أيضا (بضم الياء وكسر الفاء) . ويعفر (بضم الياء والفاء) ينصرف لزوال شبه الفعل عنه » .

(٢) البيت من قصيدة فى المفضليات ٢١٧ ، وفى د، ف، وحاشية الأصل (من نسخة)، والمفضليات « عيشة » .

(٣) ت : « وبيت » .

(٤) ديوانه : ٨٠ ، وأولاد جفنة : ملوك غسان .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : أى لا يحتاجون إلى الانتجاع ؛ فهم مقيمون فى مكانهم » .

(٦) حاشية ف : « ويتجاوزه ويتخذه » ، وفى حاشية الأصل : « قال السيد : فى هـذا الكلام اضطراب، والصحيح: « فيتجاوزه ويتعداه » ؛ إلا أن تكون « لا » زائدة ؛ والمعنى : من لم يقم على القرآن بحيث لا يتجاوزه إلى غيره ، ويتعداه إلى سواه ؛ ولم يتخذه مغنى ، ويكون قوله « يتخذ » معطوفا على « يقم » .

إِذَا حَاوَلْتَ فِى أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّى لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّى (١)

وقيل إنه أراد : ليس على دِيننا ، وهـذا الوجهُ لا يَليق إلّا بجوابنا الذى اخترناه ، وهو بعده بجواب أبى عُبيد ألْيق ، لأنه محالٌ أن يَخْرُجَ عن دينِ النبى صلى الله عليه وملّته مَنْ لم يحسِّن صوتَه بالقرآن ، ويرجِّع فيه ، أو مَنْ لم يتلذَّذْ بتلاوته ويستحْلِيها .

مَسْأَلَة

[١٢ ظ] /اعلم أنّ أصحابَنا قد اعتمدوا فى إبطال ما ظنّه أصحابُ الرؤيةِ فى قوله تعـالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة ٢٢ — ٢٣] ، على وجوهٍ معروفة ، لأنهم بيّنوا أنّ النظرَ ليس يفيدُ الرؤية ، ولا الرؤيةُ من أحَدِ محتَملاته ، ودلّوا على أنّ النظرَ ينقسمُ إلى أقسامٍ كثيرة ؛ منها تقليبُ الحدَقة الصحيحة حِيالَ(٢) المرْئِىّ طلباً لرؤيته ؛ ومنها النظرُ الذى هو الانتظار ؛ ومنها النَّظَر الذى هو التعطُّف والرَّحمة ؛ ومنها النظرُ الذى هو الفِكْر والتأمّل ، وقالوا : إذا لم يكن فى أقْسام النظر الرُّؤية لم يكنْ للقوم بظاهرها تعلُّق(٣) ، واحتجْنا(٤) جميعاً إلى طلب تأويل للآية من غير جهة الرؤية . وتأوّلها بعضُهم على الانتظار للثواب ، وإن كان المنتَظَرُ فى الحقيقة محذوفا ، والمنتظَر منه مذكوراً على عادة للعرب معروفة. وسلّم بعضُهم أن النظرَ يكون الرؤية بالبصر ، وحَمَل الآية على رُؤْية أهل الجنة لِنِعم الله تعالى عليهم ؛ على سبيل حذْف المرئىّ فى الحقيقة . وهذا كلام(٥) مشروح فى مواضعه ، وقد بيّنا ما يورد عليه ، وما يجابُ به عن الشُّبْهة المعترضة فى مواضعَ كثيرة .

وههنا وجه غريبٌ فى الآية حُكِىَ عن بعض المتأخرين(٦) : لا يفتقرُ معتمِدُه إلى العدول عن الظاهر ، أو إلى تقدير محذوف ، ولا يحتاج إلى منازعتهم فى أنّ النظرَ يحتمِل الرؤية ،

---

(١) ديوانه : ٧٩ . (٢) ت ، حاشية ف (من نسخة) : « فى جهة المرئى » .

(٣) ف : « التعلق » . (٤) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « واحتاج جميعنا » .

(٥) ت ، ف : « وهذا الكلام » . (٦) فى حاشيتى ت ، ف : « يعنى به الصاحب بن عباد رحمه الله » .

أو لا يحتملها ؛ بل يصح الاعتماد عليه؛ سواء كان النظرُ المذكورُ في الآية هو الانتظارَ بالقلب، أو[١] الرؤية بالعين ، وهو أن يحمَل قوله تعالى : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ على أنه أراد به نعمةَ ربِّها ، لأن الآلاءَ النِّعم ، وفي واحدها أربع لغات : أَلًا مثل قفًا ، وأَلْيٌ مثل رَمْيٍ ، وإِلًى مثل مِعًى ، وإِلْيٌ مثل حِسْيٍ ؛ قال أعشى بكر بن وائل :

أَبْيَضُ لا يَرْهَبُ الْهُزَالَ وَلَا يَقْطَعُ رِحْماً وَلَا يَخُونُ إِلَى[٢]

أراد أنه لا يخون نعمة، فأراد « بإلَى ربِّها » نعمةَ ربِّها ، وأسقط التنوين للإضافة .

فإن قيل : فأيّ فرْق بين هذا الوجه وبين تأويلِ مَنْ حمل الآية على أنه أريد بها[٣] إلى ثواب ربها ناظرة ، بمعنى رائية لنعمه وثوابه ؟ قلنا : ذلك الوجهُ يفتقر إلى محذوف ، لأنه إذا جعل « إلى » حرفاً / ولم يعلِّقها بالربّ تعالى ، فلابد من تقديرِ محذوف ، وفي الجواب [١٣ و] الذى ذكرناه لا يفتقر إلى تقديرِ محذوف ، لأن « إلى » فيه اسم يتعلق به الرؤية ولا يحتاج إلى تقديرِ غيره[٤] .

(١) ت . « أم » (٢) ديوانه : ١٥٥ ، واللسان (ألى) وفي حاشيتى الأصل ، ف : « أبيض : كريم ، والهزال كناية عن قلة ذات اليد ، وخيانة النعمة أن يبخل بها » . (٣) ف : « به » .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الوجه الأول أحسن ، وبمجارى كلام العرب أشبه ، وفى الفصاحة أعرق ؛ وذلك أن وجه الصاحب وإن كان له محمل فى العربية ؛ فإن إعمال اسم الفاعل فيما قبله على هـذا الوجه مما يحوج الإنسان إليه مضايق الشعر ؛ والقرآن موضع فساحة، ومحل فصاحة ، فالأولى غير هذا الوجه؛ والله أعلم » .

مجلس آخر

تأويل آية

إنْ قال قائل: ما تأويل قوله تعالى: ﴿وما كَانَ لِنَفْسٍ أنْ تُؤْمِنَ إلاَّ بإذْنِ اللهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس : ١٠٠].

وظاهرُ هذا الكلام يدلّ على أن الإيمان إنما كان لهم فِعْله بإذنه وأمره، وليس هذا مذهبَكم؛ وإن حُمِل الإذنُ هاهنا على الإرادة اقتضَى أنّ مَنْ لم يقع منه الإيمان لم يرده الله منه، وهذا أيضا بخلاف قولِكم. ثم جَعَلَ الرِّجس الذى هو العذاب على الذين لا يعقلون؛ ومَنْ كان فاقدا عقله لا يكون مُكَلَّفاً، فكيف يستحقّ العذاب؟ وهذا بالضد من الخبر المرويّ عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أكثرُ أهلِ الجنة البُلْه».

الجواب، يقال له فى قوله تعالى: ﴿إلاَّ بإذْنْ اللهِ﴾ وجوه:

منها أنْ يكون الإذْنُ الأمر، ويكون معنى الكلام: إن الإيمانَ لا يقع إلا بعد أن يأذَن الله فيه، ويأمر به، ولا يكونُ معناه ما ظنّه السائلُ من أنه لا يكون للفاعل فعلُه إلا بإذنه، ويجرى هذا مجرى قوله تعالى: ﴿وَمَا كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلاَّ بإذْنِ اللهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]. ومعلوم أنَّ معنى قوله: ليس لها فى هذه الآية هو ما ذكرناه، وإنْ كان الأشبهُ فى هذه الآية التى فيها ذكرُ الموت أن يكونَ المرادُ بالإذن العلم.

ومنها أن يكون الإذن هو التوفيق(١) والتيسير والتسهيل، ولا شبهةَ فى أن الله يوفق لفعل الإيمان ويلطُف فيه، ويسهِّل السبيل إليه.

ومنها أن يكون الإذنُ العلم من قولهم: أذِنْت لكذا وكذا إذا سمعته وعلمته، وآذَنْت فلانا بكذا إذا أعلمته؛ فتكون فائدة الآية الإخبارَ عن علْمه تعالى بسائر الكائنات، فإنه ممن

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة): «فى هذه».

لا يخفى عليه الخفيّات . . وقد أنكر بعض مَنْ لا بصيرة له أن يكون الإذْن (بكسر الألف وتسكين الذال) عبارةً عن العلم ، وزعم أن الذى هو العلم الأَذَنُ (بالتحريك) ، واستشهد بقول الشاعر(١) :

[١٣ ظ] /* إنَّ هَمِّى فى سَمَاعٍ وَأَذَنْ *

وليس الأمر على ما توهَّمه هذا المتوهّم ، لأن الأَذَن هو المصدر ، والإذن هو اسم الفعل(٢) ؛ فيجرى مَجْرى الحَذَر فى أنه مصدر ؛ والحِذْر (بالتسكين) الاسم على أنه لو لم يكن مسموعاً إلا الأَذَن (بالتحريك) لجاز التسكين ، مثل مَثَلٍ ومِثْلٍ وشَبَهٍ وشِبْهٍ ونظائر ذلك كثيرة .

ومنها : أن يكون الإذن العلم ، ومعناه إعلام الله المكلّفين بفضل الإيمان وما يدعو إلى فعله ، ويكون معنى الآية : وما كان لنفسٍ أنْ تؤمِنَ إلاّ بإعلام الله لها بما يبعثها على الإيمان ، وما يدعوها إلى فعله .

فأمّا ظنُّ السائلِ دخولَ الإرادة فى محتمَل اللفظ فباطل ؛ لأنَّ الإذْنَ لا يحتمل الإرادة فى اللُّغة ، ولو احتملها أيضا لم يجبْ ما توهَّمه ، لأنه إذا قال : إنَّ الإيمانَ لا يقعُ(٣) إلا وأنا مُريدٌ له لم ينْفِ أن يكون مُريداً لما لم يقع ، وليس فى صريح الكلام ولا دَلالته(٤) شىء من ذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فلم يَعْنِ بذلك الناقصى العقول ، وإنما أراد الَّذين لم يعقلوا ويعلَموا(٥) ما وجبَ عليهمْ علمُه من معرفة الله خالقِهم ، والاعتراف بنبوّة رسله والانقياد إلى طاعتهم ، ووصفهم تعالى بأنّهم لا يعقلون تشبيها ؛

(١) هو عدى بن زيد العبادى ؛ وقد تقدم البيت بتمامه منسوبا إليه فى ص ٣٣ .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « ومن هذا الباب الصرم ؛ فإنه مصدر صرم ، والصرم ؛ بالضم اسم ذلك الفعل الذى هو القطع ؛ لا المصدر » .

(٣) د ، ف ، حاشية ت (من نسخة) : « لم يقع » . (٤) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « ولا فى دليله » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « ولم يعلموا » .

كما قال تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ [البقرة : ١٨] ، وكما يصفُ أحدُنا مَن لم يفطُن لبعض الأمور، أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل .

فأما الحديثُ الَّذى أوردَه السائل شاهداً له فقد قيل إنه عليه وآله السلام[١] لم يُرِدْ بالبُلْهِ ذوى الغفلة والنقص والجنون ، وإنما أراد البُلْه عن الشرّ والقبيح ، وسمّاهم بُلْهاً عن ذلك من حيث لايستعملونه ولا يعتادونه ، لا مِن حيثُ فقدوا العلم به. ووجْهُ تشبيهِ مَنْ هذه حالُه بالأَبْله ظاهر ، فإنَّ الأَبْلَهَ عن الشيء هو الذى لا يعرض له ولا يقصد إليه ، فإذا كان المتنزِّه عن الشر مُعْرِضاً عنه ، هاجرا لفعله جاز أن يوصَف بالبَلَه للفائدة التى ذكرناها ؛ ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر :

وَلَقَدْ لَهَوْتُ بِطِفْلَةٍ مَيَّادَةٍ … بَلْهَاءَ تُطْلِعُنِى عَلَى أَسْرَارِهَا[٢]

[١٤ و] /أراد أنها بَلْهاء عن الشر والريبة ؛ وإن كانت فَطِنَةً لغيرها ؛ وقال أبو النَّجْمِ العِجْلِىّ :

مِنْ كُلِّ عَجْزَاءَ سَقُوطِ البُرْقُعِ[٣] … بَلْهَاءَ لَمْ تُحْفَظْ وَلَمْ تُضَيَّعِ

أراد بالبلهاء ما ذكرناه . فأما قوله : «سَقوط البرقع» فأراد أنها تُبرِز وجهها ولا تستره ، ثقةً[٤] بحسْنه وإدلالاً بجماله[٤] ، وقوله: «لم تُحْفَظْ» أراد أن استقامة طرائقها تُغنى عن حفظها ، وأنها لعَفافها[٥] ونزاهتها غير محتاجة إلى مسدّد وموقّف ؛ وقوله: «لم تُضَيَّع» أراد أنها لم تهملْ فى أغذيتها[٦] وتنعيمها وترفيهها فتشقَى ، ومثل قوله : « سَقوط البُرْقع » قول الشاعر[٨] :

---

(١) ت : « إن النبى صلى الله عليه وآله » ، ف : « إنه صلى الله عليه وآله » .

(٢) الأضداد ص ٢٦٢ ، واللسان (بله) — بلا عزو . والطفلة : الناعمة ؛ وفى ت ، د ، ف : « ميالة » . (٣) اللسان (بله) .

(٤—٤) حاشية ت (من نسخة) : « بحسنها وإدلالا بجمالها » .

(٥) ش : « لعفافتها » ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « عف يعف عفا وعفة وعفافة » .

(٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : «الأولى فى معنى لم تضيع أنها لا تخلو من خدم يختصون بها ؛ ليكون هذا التضييع مطابقا لذلك الحفظ » . وفى حاشية ت (من نسخة) : « فى تغذيتها » .

(٧) هو عمر بن أبى ربيعة ، والبيت فى ديوانه ٣٣ .

فَلَمَّا تَوَاقَفْنا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلَتْ   وُجُوهٌ زَهاهَا الحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا (١)

ومثله أيضا :

بِهَا شَرَقٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ   أَطَارَتْ مِنَ الحُسْنِ الرِّدَاءَ المُحَبَّرَا (٢)

أى رمتْ به عنها ثقة بالجمال والكمال (٣) ، ومثله ــ وهو مليح (٤) :

لَهَوْنَا بِمَنْجُولِ البَرَاقِعِ حِقْبَةً   فَمَا بَالُ دَهْرٍ لَزَّنَا بِالوَصَاوِصِ (٥)

أراد بمنجول البراقع اللاتى يوسعنَ عيونَ براقِعهن ثقةً بحسنهن، ومنه الطعنة النَّجْلاء، والعين النَّجْلاء ؛ ثم قال : ما بالُ دهرٍ أحْوجَنا واضطرنا إلى القِباح ، اللواتى يضيِّقْن عيونَ براقعهن لقبْحِهِنّ ، والوصاوِص : هى النُّقَبُ الصِّغار للبراقع؛ ومما يشهد للمعنى الأول الذى هو الوصف بالبَلَه لا بمعنى الغفلة قول ابن الدُّمَيْنة :

بِمَالِي وَأَهْلِي مَنْ إذَا عَرَضُوا لَهُ   بِبَعْضِ الأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ (٦)

ــ ويروى بنفسى وأهلى ــ

وَلَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ البَرِيّ وَلَمْ تَزَلْ   بِهِ ضَعْفَةٌ (٧) حَتَّى يُقَالَ مُرِيبُ (٨)

ومثله :

أُحِبُّ اللَّوَاتِى فى صِبَاهُنَّ غِرَّةٌ   وَفِيهِنَّ عَنْ أَزْوَاجِهِنَّ طِمَاحُ (٩)

(١) فى الديوان : « أشرقت » وفى حاشية ت (من نسخة) : « أسفرت » ، وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « تتبرقعا » . (٢) البيت للشماخ ، ديوانه : ٢٩ . وفى حوشى الأصل ، ت ، ف : « الشرق : أثر الطيب ؛ يقال : يده من الطيب شرقة . وشرقت الشمس : اصفرت من الغروب ؛ ومنه أحمر شرق : شديد الحمرة ، وشرق الثوب بالصبغ ، ولحم شرق: لا دسم فيه » . والمحبر : المنقش .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « ثقة بجمالها وكمالها » . (٤) فى نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « حسن » . (٥) حاشية الأصل : «لزنا : أحوجنا» . (٦) الشعر والشعراء ٤٥٩ . وفى ت : « بأهلى ومالى » . (٧) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « سكتة » .

(٨) مريب : أى بريبة . وفى حاشية الأصل . « أصل العذر أن تتعقب ذنبا ، والبرىء : لاذنب له؛ إلا أن تنصله قائم مقام العذر للمجرم ؛ فكأنه عذر مجازا » .

(٩) البيتان فى مصارع العشاق ٣٤٧ ، وعزاهما إلى بعض الأعراب ، ورواية البيت الأول فيه :

أُحِبُّ اللواتى هنّ من وَرَقِ الصِّبا   ومنهنّ عن أزْواجهنّ طِماحُ

ويقال : طمح ببصره ؛ إذا رمى به ، وفى حاشية الأصل : « طماح : شماس » .

مُسِرَّاتِ حُبٍّ مُظْهِرَاتِ عَداوَةً ... تَرَاهُنَّ كَالمَرْضَى وَهُنَّ صِحَاحُ

ومثله :

يكْتَبِينَ اليَنْجُوجَ فى كَبَدِ الْمَشْـ ... ـتى وَبُلْهٌ أَحْلَامُهُنَّ وِسَامُ[١]

أماقوله : «يكتبين» فمأخوذمن لفظ الكِباء ، وهو العود ، أراد يتبخَّرن به ، واليَنْجُوجُ هو/العود، وفيه ست لغات : يَنْجُوج ، وأَنْجُوج ، ويَلَنْجُوج ، والنَّجُوج ، والنَّجَج ، ويَلَنْجَج . [١٤ ظ]

فأما كَبَد المشتى، فهو ضَيْقَتُه[٢] وشدَّته ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فى كَبَدٍ﴾ [البلد : ٤] ؛ وقد روى : «فى كَبَّةِالمشتى» والمعنى متقارب ، لأن الكَبَّة هى الصدْمة والحملة، مأخوذمن كَبَّةِ[٣] الخيل؛ وأما الوِسام فهن[٤] الحِسان من الوَسامة، وهى الحُسْن .

ويمكن أن يكونَ فى البَلَهِ جواب آخر ، وهو أن يحمَل على معنى البَلَه الذى هو الغَفْلة والنقْصان فى الحقيقة ، ويكون معنى الخبر أنَّ أكثرَ أهلِ الجنة الذين كانوا بُلهاً فى الدنيا، فمندنا أن الله ينعِّم الأطفالَ فى الجنة والمجانين والبهائم ، وإنما لم نجعلْهم بُلهاً فى الجنة وإنْ كان ما يصِلُ إليهم من النعيم على سبيل العِوَض أو التفضُّل[٥] لا يفتقِر إلى كمال العقل ، لأنَّ الخبر ورد بأن الأطفال والبهائم إذا دخلوا الجَنَّة لم يدخلوها إلا وهم على أفضل الحالات وأكملِها ، ولهذا صرفنا البُله عنهم فى الجنة ، ورددناه إلى أحوال الدنيا ، وإلاَّ فالعقلُ لايمنع من ذلك كمنعه إياه فى باب الثواب والعقاب .

---

(١) البيت لأبى دؤاد الإيادى ، وهو فى الأصمعيات ٦٨ ، وفى حاشية الأصل : « أى عقولهن بله ، وهن وسام ، وواحد الوسام وسيم » .

(٢) ت : « ضيقة » ، ش : « ضيقته » ، بكسر الضاد وفى حاشيتى ت ، ف : « الضيقة : الضر والبؤس؛ وهوالضيق أيضا » . (٤) فى نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « فهى » .

(٤) حاشية الأصل : « وهو ازدحامهما » .

(٥) فى نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « فإن التفضل » . د : « والتفضل » .

تأويل آية أخرى

قال الله تعالى مخبراً عن يوم القيامة : ﴿ ذَلكَ يومٌ مَجْمُوعٌ لهُ الناسُ وذلكَ يومٌ مَشْهُودٌ ، وَما نُؤَخِّرُهُ إلاَّ لِأَجَلٍ معدُودٍ . يومَ يأتى لا تَكَلَّمُ نفسٌ إلا بإذْنه ﴾ [هود : ١٠٣-١٠٥] . وقال فى موضع آخر : ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ . ولا يُؤْذَنُ لهم فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات : ٣٥ ، ٣٦] . وفى موضع آخر : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ ﴾ [الصافات : ٢٧ ، والطور : ٢٥] .

وظاهرُ هذه الآيات ظاهر الاختلاف ، لأن بعضَها يُنْبِئُ عن أنَّ النطقَ لا يقع منهم فى ذلك اليوم ، ولا يؤذَنُ لهم فيه ، وبعضُها يُنْبِئُ عن خلافه . وقد قال قومٌ من المفسّرين فى تأويل(١) هذه الآياتِ : إن يومَ القيامة يومٌ طويلٌ مُمتدٌّ ، فقد يجوز أنْ يُمْنَعَ النُّطْقُ فى بعضه ، ويُؤْذن لهم فى بعض آخر(٢) ؛ وهذا الجواب يُضَعَّف ، لأن الإشارةَ إلى يوم القيامةِ بطُوله ، فكيفَ يجوز أن تجعل الحالات فيه مختلفة ؛ وعلى هذا التأويل يجب أنْ يكون قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ ﴾ فى بعضه ، والظاهر بخلاف ذلك .

والجواب السديدُ عن هذا أن يقالَ : إنما أراد الله تعالى/ نَفْيَ النُّطْق المسموع المقبول [١٥ و] الذى يَنتفعون به ، ويكون لهم فى مثله عُذْر أو حُجّة ، ولم يَنْفِ النطق الذى ليست هذه حالُه ، ويجرى هذا مجرى قولهم : خَرِسَ فلان عن حُجَّتِه ، وحضرنا فلانا يُناظر فلانا فلم يَقُلْ شيئاً ، وإن كان الذى وُصِفَ بالخرَس عن الحجّة ، والذى نُفِيَ عنه القول قد تكلّم بكلام كثير غزير ، إلّا أنَّه من حيث لم يكن فيه حجّة ، ولا به منفعة جاز إطلاقُ القول الذى حكَيْناه عليه ؛ ومثل هذا قول الشاعر(٣) :

---

(١) ت : « تأويلات » . (٢) ف : « فى موضع آخر » .

(٣) هو مسكين الدارمى ؛ وهو ربيعة بن عامر بن أنيف ؛ والبيتان فى (معجم الأدباء ١١ : ١٣٢). وفى حاشية الأصل : « قبلهما » :

ما ضرَّ جاراً لِى أُجاوِرُهُ   ألاّ يكونَ لِبابِهِ سِتْرُ

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخِدْرُ
وَيَصَمُّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمْعِي وَمَا بِي غَيْرَهُ وَقْرُ(١)

وقال الآخر :

لَقَدْ طَالَ كِتْمَانِيكَ(٢) حَتَّى كَأَنَّنِي بِرَدِّ جَوَابِ السَّائِلِي عَنْكَ أَعْجَمُ(٣)

وعلى هذا التأويل قد زالَ الاختلافُ ، لأنّ التساؤلُ والتلاوُم لا حُجَّة فيه .. وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ، فقد قيل: إنهم غيرُ مأمورين بالاعتذار ، فكيف يعتذرون ؟ ويجاب بحمل الإذْن على الأمر ؛ وإنّما لم يُؤْمَرُوا به من حيث كانت تلك الحال لا تكليفَ فيها ، والعباد ملجئون عند مشاهدة أحوالهم إلى الاعتراف والإقرار . وأحسن من هـذا التأويل أن يحمَل ﴿ يُؤْذَنُ ﴾ ، على معنى أنه لا يُسْتَمع لهم ، ولا يُقبَلُ عذرهم ، والعلة فى امتناع قبول عُذْرِهم هى التى ذكرناها(٤) .

---

(١) حاشية الأصـل : « يريد به ؛ أى بقوله « بينهما » جاره وجارته ؛ لأنه ذكر الجار قبـل الجارة فى قوله : ما ضر جاراً ... البيت » ، وفى حاشية ف : « بينهما ، أى بين الجار وبين من تخاطبه ؛ والـكلام يدل على متخاطبين » . (٢) حاشية الأصل : « كتمانى أمرك وعشقك » .

(٣) فى حاشيتى ت ، ف : « بعده :

لِأَسْلَمَ مِن قَوْلِ الوُشَاةِ وَتَسْلَمِي سَلِمْتِ وَهَلْ حَيٌّ على الناسِ يَسْلَمُ

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ؛ التقدير : لا ينطقون بنطق ينفعهم ، ولا يعتذرون بعذر ينفعهم ، فيكون يعتـذرون داخلا فى حيز النفى ، ولا يمكن حمله على الإيجاب إلا إذا كان المعنى على أنهم ينطقون بنطق ينفعهم ؛ لأنه إن حمل على الظاهر كان فى الـكلام تناقض ؛ لأن التقدير إذاً : هذا يوم لا ينطقون فيعتذرون ؛ وهـذا تناقض ، لأن الاعتذار نطق ، وإن شئت كان التقدير : لا ينطقون بحال ، ولا يعتذرون ؛ لأن هناك مواقف ؛ فيكون هذا فى موقف ؛ ومثله قراءة الحسن والثقفى : ﴿ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُونَ ﴾ ، فقوله : ﴿ يَمُوتُونَ ﴾ معطوف على ﴿ لَا يُقْضَى ﴾ أى لا يقضى عليهم فلا يموتون ؛ كذلك لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ؛ أى فلا يعتذرون ؛ وهذا أحسن ، والله أعلم » .

تأويل خبر

رُوِىَ عن النبىّ صلى الله عليه وآله أنه قال: « لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فإنّ الدَّهْرَ(١) هُوَ الله » . وقد ذكر قومٌ فى تأويل هذا الخبر أنَّ المرادَ به لا تَسُبُّوا الدهرَ ، فإنه لا فِعْلَ له ، وإنَّ الله مصرِّفُه ومدبِّره ، فحذَف من الكلام ذكرَ المصرِّف والمدبِّر وقال : « هو الدهر » .

وفى هذا الخبر وَجْهٌ هو أحسنُ من ذلك الذى حَكَيْناهُ ، وهو أنّ الملحِدين ، ومَنْ نَفَى الصانِع من العرب كانوا يَنْسُبون ما ينزِلُ بهم من أفعال الله تعالَى كالمرض والعافية ، والجدْب والخصْب ، والبقاء والفَناء إلى الدَّهْر ، جهلًا منهم بالصَّانع جلّت عظمتُه ، ويذمُّون الدهرَ ويسبُّونه فى كثيرٍ من الأحوال ، من حيث اعتقدُوا أنه الفاعلُ بهم / هذه الأفعالَ ، [١٥ ظ] فنهاهم النبىُّ صلى الله عليه وآله عن ذلك وقال لهم : لا تسُبُّوا مَنْ فعل بكم هذه الأفعالَ مِمّنْ تعتقدون أنه هو الدّهر ، فإن الله تعالى هو الفاعل لها . وإنما قال : إنّ الله هو الدهرُ من حيث نَسبوا إلى الدّهر أفعالَ الله ؛ وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم : ﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية : ٢٤] . وقال لَبيد :

فى قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ... نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَابْتَهَلْ(٢)

أى دَعَا عليهم . وقال عمرو بن قَمِئَةَ(٣) :

كَأَنِّى وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ(٤) حِجَّةً ... خَلَعْتُ بِهَا عَنِّى عِذَارَ لِجَامِى(٥)
عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى العَصَا ... أَنُوءُ ثَلَاثًا(٦) بَعْدَهُنَّ قِيَامِى
رَمَتْنِى بَنَاتُ الدَّهْرِ(٧) مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى ... فَكَيْفَ بِمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامِى

---

(١) كذا فى الأصل ، ج ، د ، ش . وفى ت ، ف : « فإن الله هو الدهر » .

(٢) ديوانه : ٨٠ . وفى حاشية الأصل : « قروم : جمع قرم ؛ وهو سيد وشريف وكريم ؛ وابتهل ؛ من المباهلة ، أى تضرع وذل » . (٣) الأبيات فى المعمرين ٦٢ ، وحماسة البحترى ٣٢١ .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « سبعين » . (٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : يقول : «إن تسعين تركتنى لا أضبط أمرا ؛ فكأنى مخلوع العذار » . والضمير فى بها يعود إلى تسعين .

(٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « أى ثلاث دفعات » .

(٧) فى حاشيتى الأصل ، ف : « بنات الدهر : بلاياه وحوادثه » .

فَلَوْ أَنَّهَا نَبْلٌ إِذًا لَاتَّقَيْتُهَا ... وَلَـكِنَّنِى أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامِ
إِذَا مَا رَآنِى النَّاسُ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ ... جَلِيداً حَدِيدَ الطَّرْفِ غَيْرَ كَهَامِ
وَأَفْنَى وَمَا أُفْنِى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً ... وَلَمْ يُغْنِ مَا أَفْنَيْتُ سِلْكَ نِظَامِ (١)
وَأَهْلَكَنِى تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامِ

وقال الأصمعىّ: ذمّ أعرابىّ رجلا فقال: هو أكثر ذنوباً من الدهر؛ وأنشد الفراء(٢):

حَنَتْنِى حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى ... كَأَنِّى خَاتِلٌ أَدْنُو لِصَيْدِ (٣)
قَصِيرُ الخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَآنِى ... وَلَسْتُ مُقَيَّدًا أَنِّى بِقَيْدِ

وقال كُثَيِّر(٤):

وَكُنْتُ كَذِى رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيحَةٍ ... وَرِجْلٍ(٥) رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ

وقال آخر(٦):

فَاسْتَأْثَرَ الدَّهْرُ الغَدَاةَ بِهِمْ ... وَالدَّهْرُ يَرْمِينِى وَمَا أَرْمِى
يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجْعَتَنَا ... بِسَرَاتِنَا(٧) وَوَقَرْتَ فِى العَظْمِ

أما قوله: وقرت فى العظم، أراد به: اتَّخذْتَ فيه وقراً، أو وقِيرةً، والوقرُ هو الحفيرة [١٦ و] /العظيمة تكون فى الصّفا يستنقع فيها ماءُ المطر، والوقْبُ أيضا كذلك، والوقيرة أيضا الحفيرة إلا أنّها دون الأوليين فى الكِبَر.

وكل هؤلاء الذين روينا أشعارَهم نسبُوا أفعالَ الله التى لا يشاركه فيها غيره إلى الدهر، فحسن وجه التأويل الذى ذكرناه.

(١) فى حاشيتى الأصل، ف: «أى لم يغن ما أفنيت من العمر بشىء حتى بخيط».
(٢) البيتان فى حماسة البحترى ٣٢٣. (٣) ت، ف: «حابل»:
(٤) أمالى القالى ١: ١٠٩، من تائيته المشهورة. (٥) ف، حاشية ت (من نسخة): «وأخرى»
(٦) هو الأعشى، والبيتان فى ملحقات ديوانه ٢٥٨، وثانيهما فى اللسان (وقر) وفى حاشية الأصل: بعدهما:

وَسَلَبْتَنَا مَا لَسْتَ تُعْقِبُنَا ... يَا دَهْرُ مَا أَنْصَفْتَ فِى الحُكْمِ

(٧) حاشية الأصل: «جمع السرى، ورجل سرى، والقوم سراة».

مَسْأَلَة

إعلم أن المنافعَ التى عرّض الله تبارك وتعالى الأحياء لها ثلاثٌ : منفعةُ تَفَضُّل ، ومنفعةُ عِوَض ، ومنفعةُ ثواب ، فأمّا المنفعةُ على سبيل التفضُّل فهى الواقعةُ ابتداءً من غير سبب استحقاق ، ، ولفاعلها أن يفعلَها ، وله ألاَّ يفعلَها، وأما منفعة العِوض فهى المنفعة المستحَقة من غير مقارنة شىء من التعظيم والتبجيل لها ، وأمّا منفعةُ الثواب فهى المستحَقة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوض تَبِين من التفضل بالاستحقاق ، والثواب يَبِين من العَوض بالتعظيم والتبجيل، المصاحبين له ؛ فـكأنّ التفضلَ أصلٌ لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ما عداه ؛ لأنه لا سبيل للمنتفع أن ينتفع بشىء دون أن يكون حيًّا له شهوة[1] ، والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضّل ، فقد صحّ[2] أنه لا سبيل إلى النفع بمنفعة العِوَض والثواب إلا بعد تقدّم التفضّل. فأمّا المنفعةُ بالثواب فهى الأصل للمنفعة بالعوض ؛ لأنّ الآلام وما جرى مجرى الآلام[3] مما يُستَحَقُّ به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يُفضى إلى الثواب، ويستحق به لم يَحْسُن فعلُها ، وجرى عندنا مَجرى العبَث ، ولهذا نقول : إن الله تعالى لو لم يكلِّفْ أحدا من المـكلَّفين ما كان يحسُن منه أن يبتدئ بالآلام[4] ، وإن عَوَّض عليها .

والأحياء على ضروب فمنهم من عُرِّض للمنافع الثلاث . ومنهم من عُرِّض لاثنتين، ومنهم من عُرِّض لواحدة ، والمـكلَّف المعرّض للثواب لابد أن يكون منفوعا بالتفضّل من الوجـه الذى قلنا ؛ لأنه إذا خلِق حيًّا وفُعِل له القدرة والشهوة والعقل وضروبُ التمـكين ، فقـد نُفِع بالتفضّل ، وليس يجب فيمَنْ هذه حاله أن يكون منفوعا بالعِوَض ؛ لأنّه لا يمتنع أن يخلوَ المـكَلَّف منًّا من ألمٍ يُحْدِثه[5] الله به ؛ فلا يكون معرّضاً للعوض ؛ فمتى عرِّض له فقد تـكاملتْ فيه المنافع؛ فصار/المـكلَّف مقطوعا على تعريضه لاثنتين من المنافع؛ ومُجوَّزاً تـكامل [١٦ ظ] الثلاث له ؛ فأما من ليس بمكلَّف فمقطوع فيه على إحدى المنافع ، وهى التفضُّل من حيث

---

(١) ش ، ومن نسخة بحاشية ت : « ذا شهوة » . (٢) ش ، ومن نسخة بحاشية ت: «وضح» .

(٣) فى حاشيتى ت ، ف : « الجارى مجرى الآلام كنقص الأموال والأولاد » .

(٤) فى حاشية ت (من نسخة) : « بآلام » . (٥) ت « يبتدئه » .

خُلِق حيا ، ومُمكّن من كثير من المنافع ، ومشكوك فى تعريضه للعِوَض من الوجه الذى بيّنا . وكما قطعنا على إحدى المنافع فيه ، فنحن قاطعون أيضا على نفى التعريض للثواب عنه ، لفقد ما يوصِّل(١) إليه وهو التكليف ، ولابد فى كل حىّ محدَث أن يكون معرّضا لإحدى هذه المنافع ، أو لجميعها ؛ وإنما أوجبْنا(٢) ذلك من جهة حكمة القديم تعالى ؛ لا من جهة أنه يستحيل(٣) فى نفسه ، وإنما قلنا إنه ليس يستحيل(٣) ؛ لأن كونه حياً وعاقلا وذا شهوة وقدرة ليس منفعةً بنفسه ، وإنما يكون منفعةً ونعمة إذا فعِل تعريضاً للنفع ؛ فأما إذا فعِل تعريضاً للضرر أو لأوجهٍ من الوجوه ، فإنه لا يكون نعمة ولا منفعةً ، وأوجبناه من جهة حكمة القديم تعالى ، لأنه إذا جُعِل الحىّ بهذه الصفات ، فلا يخلو من أن يكون أراد بها نفعَه أو ضرَّه ، أو لم يرد بها شيئا ، فإن كان الأول فهو الذى أوجبناه ، وإن كان الثانى أو الثالث فالقديم تعالى متنزهٌ(٤) عنهما ، لأنّ الثانى يجرى مَجْرى الظلم ، والثالث هو العبث بعينه ، وقد يشارك القديم تعالى فى النفع بالتفضّل والعوض الفاعلون المحدَثون ، ولا يصح أن يشاركوه فى النفع بالثواب ، لأن الصفة التى يستحِق المكلَّف لكونه عليها الثواب ، وهى كون الفعل شاقًّا عليه لا يكون إلاّ من قِبَله تعالى ، وليس لأحد أن يظن فيمن يهدى إلى الدين ويرشد إلى الإيمان ، وما يستحقّ به الثواب أنه معرّض للثواب ، وذلك أن(٥) المكلَّف قد يكون معرّضاً للثواب ، ويصح أن يستحقه مِنْ دون كل هداية وإرشاد يقع منّا ، ولولا الصفةُ التى جعله الله تعالى عليها لم يصح(٦) أن يستحقَّه ، فبان الفصْلُ بين الأمرين ؛ على أنّ أحدَنا وإن نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للعوض فهذه المنافعُ منسوبة إلى الله تعالى ، ومضافةٌ إليه من قِبَل أنه لولا نِعَمه ومنافعه لم تكنْ هذه منافع ولا نعماً ؛ ألا ترى أنه لو لم يخلق [١٧ ظ] الحياةَ والشهوةَ/ لم يكن ما يوصِل إليهما مما ذكرنا منفعةً ولا نعمة ، ولو لم يخلق المشتهَى الملذوذ لم يكن سبيلٌ لنا إلى النفع والإنعام ؛ فبان بهذه الجملة ما قصدناه .

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « يوصله » . (٢) فى نسخة بحاشيتى ت ، ف : « وجب » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « مستحيل » ، وحاشية ف (من نسخة) : « بمستحيل » .

(٤) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « متنزه » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « لأن » .

(٦) ساقطة من ت .

مكتبة الدكتور مروان العطية

مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل فقال : ما تأويل قوله تبارك وتعالى مخبراً عن مهلك قوم فرعون وتوريثه نعمهم : ﴿ كَذَلِكَ وأوْرَثناها قوْماً آخرِينَ . فما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ وَما كانُوامُنْظَرِينَ ﴾؛ [الدخان : ٢٨، ٢٩] .

وكيف يجوز أن يُضيف البكاء إليهما ، وهو لا يجوز فى الحقيقة عليهما ؟ .

الجواب ، يقال له فى هذه الآية وجوهٌ أربعة من التأويل :

أوّلها أنه تعالى أراد أهلَ السماء والأرض فحذف كما حذف فى قوله: ﴿ واسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾؛ [يوسف : ٨٢] ؛ وفى قوله تعالى ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾؛ [محمد: ٤] وأراد أهل القرية، وأصحاب الحرب، ويجرى ذلك مجرَى قولهم: السخاء حاتم ، يريدون: السخاء سخاء حاتم ؛ قال الحُطَيْئَةُ[1] :

وَشَرُّ المَنايا مَيِّتٌ وَسْطَ أَهْلِهِ ... كَهُلْكِ الفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الحيَّ حَاضِرُهْ[2]

أراد شر المنايا مِيتةُ[3] ميّت؛ وقال الآخر :

---

(١) البيت فى طبقات الشعراء لابن سلام ص ٩٥ ؛ ضمن أبيات أربعة للحطيئة لم تذكر فى ديوانه . وفى حاشيتى الأصل، ف: «قال السيد الإمام عليه السلام: طلبت هذا البيت فى شعر الحطيئة فلم أجده فيه» .

(٢) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « قوله : « شر المنايا » تقديره شر المنايا موت ميت فيما بين عشيرته ؛ كهلك هذا الفتى فى حال أن أسلم الحى حاضر هذا الفتى ؛ إى أن حضاره أسلموا الحى، ولم ينصروه، ولم يمنعوا ذمارهم » .

(٣) ف ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « منية » .

قليلٌ عَيْبُهُ وَالعَيْبُ جَمٌّ   وَلـكِنَّ الغِـنَى رَبٌّ غَفُورُ[١]

أراد : غِـنَى ربٍّ غفور؛ وقال ذو الرُّمة :

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبَالِ أذِلَّةٌ   سَوَاسِيَةٌ أحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا[٢]

أراد أهل مجلس ، وأما قوله : « صُهْبَ السِّبال » فإنما أراد به الأعداء ، والعربُ تصف الأعداء بذلك ، وإن لم يكونوا صهب الأسْبِلة، وقوله : « سواسية » يريد أنهم مستوُون متشابهون؛ ولا يقال هذا إلا فى الذم .

وثانيها أنه أراد تعالى المبالغة فى وصف القوم بصِغَر القدر ، وسقوط المنزلة ؛ لأنَّ العرب إذا أخبرت عن عظَم المصاب بالهالك[٣] قالت : كُسِفَتِ الشمسُ لفقده ، وأظلم القمرُ ، وبكاء

(١) البيت لعروة بن الورد، وهو فى ملحقات ديوانه: ١٩٨ ، وهو فى شرح المقامات ٢ : ١٩٢ ، والبيان ١ : ٩٥ ، والعقد ١ : ٢١٢ ، وفى حواشى الأصل، ت، ف : «قال مولانا الإمام : كان السيد رضى الله عنه وهم فى معنى هذا البيت. ومعنى البيت: أن الشاعر وصف إنسانا بكثرة العيوب ؛ إلا أن ماله وغناه يستران عليه عيوبه، فكأنه قال : قليل عيبه ، يعنى يقل ظهور عيبه مع كثرة عيوبه ؛ إلا أن الغنى يسترها عليه ؛ كأنه رب غفور ستار للعيوب . ومعنى البيت على ما يوافق استشهاد السيد رضى الله عنه أنه يمدح إنسانا ويقول : قليل عيب هذا الممدوح مع كثرة العيب فى الناس ؛ ولـكن الغنى عما يجر المعايب هو غنى الله تعالى . والأشبه بالبيت أن يكون هجوا ؛ كأنه يهجو إنساناً ويقول: يرى عيبه قليلا مع كثرة العيوب فيه ، والذى يقلل عيبه غناه كأنه رب غفور ، وأول القطعة :

ذَرِينِى لِلْغِنَى أَسْعَى فإنِّى   رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الْفَقِيرُ
وأبعدُهم وأهونُهم عليهم   وإن أمسى له حسب وخيرُ
يباعِدُه النـدىّ وتزدَريه   حَلِيلَتُهُ وينهرُه الصغيرُ
وتلقى ذا الغنى وله جلالٌ   يكاد فؤاد صاحبه يطيرُ
قليلٌ عَيْبُهُ . . . . . .

(٢) ديوانه ١٥٧ وفى حاشيتى الأصل ، ف : « العرب إنما تسمى الأعداء صهب السبال ؛ لأن أعداءهم كانوا من الروم ؛ والروم صهب الأسبلة ، ثم اتسعوا فسموا كل عدو صهب السبال ؛ وإن لم يكن من الروم ، والقريب من هذا يصفون الأعداء بالزرق العيون » .

(٣) ف ، ت (من نسخة) : « بالملك » .

الليل والنهار والسماء والأرض ، يريدون بذلك المبالغةَ في عظم الأمر وشمول ضرره؛ قال جرير يرثي عمرَ بن عبد العزيز[1] :

(١) حاشية ف : « حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي» قال : حدثنا عبدالله ابن أخت أبي الوزير عن أبي محمد الشامي : كنت غلاما في خلافة عمر بن عبد العزيز ؛ فلما أخذ عمر في رد المظالم غلظ ذلك على أهل بيته ، وعلى جميع قريش، فكتب إليهم عبد الرحمن بن الحكم بن هشام :

فَقُلْ لهشامٍ والّذينَ تَجمّعُوا ... بدابِقَ موتوا لاسَلِمْتُمْ يدَ الدّهْرِ

فأنتمْ أخذتمْ حَتْفَكُم بأكُفِّكُمْ ... كباحثةٍ عن مُدْيةٍ وهيَ لاتدْرِي

عَشِيّةَ بايَعْتُمْ إماماً مُخالفاً ... له شَجَنٌ بينَ المدينةِ والحِجْرِ

فأجابه بعضُ ولَدِ مرْوان عن هشام بن عبد الملك :

لَئِنْ كانَ ماتدعُو إليه هو الرّدَى ... فما أنتَ فيهِ ذا غَناءٍ ولا وَفْرِ

فأنْتَ من الرّيشِ الذّنابَى ولم تَكُن ... من الجزلة الأولى ولا وَسَطِ الظّهر

ونحنُ كفيناكَ الأمورَ كما كفَى ... أبونا أباكَ الأمْرَ في سالِفِ الدّهْرِ

قال القاضي : قول عبد الرحمن بن عبد الحكم في شعره هذا : « بدابق » ، فلم يصرفه ، وفي صرفه وترك صرفه وجهان معروفان في كلام العرب ، والعرب تذكره وتؤنثه ؛ فمن ذكره صرفه ؛ كما قال الشاعر :

* بدابِقٍ وأيْنَ مِنّي دابِقُ *

ومن أنثه لم يصرفه ؛ كما قال الآخر :

لَقَدْ خابَ قَوْمٌ قَلّدُوكَ أمورَهمْ ... بدابِقَ إذْ قِيلَ العَدُوُّ قَرِيبُ

وقوله :

* كباحِثَةٍ عن حَتْفِهَا وهْيَ لاتَدْرِي *

هذا مثل يضرب للذي يثير بجهله ما يؤديه إلى هلاكه ، أو الإضرار به ، وأصله أن ناساً أخذوا شاة ليستلهم، فأرادوا أكلها فلم يجدوا ما يذبحونها به ؛ فهموا بتخليتها فاضطربت عليهم ، ولم تزل تثير الأرض وتبعثرها بقوائمها ؛ فظهر لهم فيما احتفرته مدية فذبحوها بها ، وصارت هذه القصة مثلا سائرا . وقول المرواني: « وأنت من الريش الذنابى » يقال : ذنب الفرس وغيره، وذنابى الطائر، وذنابى الوادي وذنابته، ومذنب النهر » .

[١٧ ظ] /الشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْستْ بكَاسِفَةٍ   تَبْكِى عليكَ نُجُومَ الليلِ وَالقَمَرَا[١]

وقال يزيد بن مفرِّغ الحميرىّ :

الرِّيحُ تَبْكى شَجْوَهَا   وَالْبَرْقُ يَلمعُ[٢] فى الغَمَامَهْ[٣]

وهذا صنيعهم فى وصف كل أمْرٍ جلّ خطبُه ، وعظُم موقعه ؛ فيصفون النهار بالظلام ، وأن الكواكب طلعت نهاراً لفقد نور الشمس وضوئها ؛ قال النابغة :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمْسُ طَالِعَةٌ   لاَ النورُ نُورٌ وَلاَ الإظْلاَمُ إظْلاَمُ[٤]

وقال طَرَفة :

إنْ تُنَوِّلْهُ فَقَدْ تَمْنَعُهُ   وَتُرِيهِ النجمَ يَجْرِى بالظهُرْ[٥]

ومن هذا قولهم : لأرينّك الكواكب بالنهار، ومعناه أورِد عليك ما يُظلِم له فى عينك النهار ، فتظنُّه ليلا ذا كواكب .

فأما بيت جرير فقد قيل فى انتصاب النجوم والقمر[٦] وجوه ثلاثة : أحدها أنه أراد أن الشمسُ طالعةٌ وليست مع طلوعها كاسفةً نجومَ الليل والقمر ، لأن عُظمَ الرزء قد سلَبها ضوءها؛ فلم ينافِ طلوعُها ظهورَ الكواكب . والوجه الثانى أن يكون انتصاب ذلك كما يَنتصب فى قولهم : لا أكلمك الأبد، والدهرَ، وطَوال المُسْنَد[٧]، وما جرى مجرى ذلك ، فكأنه أخبر

---

(١) ديوانه ٣٠٤ .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « يضحك » .

(٣) البيت من قصيدة له مطلعها :

أَصَرمت حبلَك من أُمامَهْ   مِن بعدِ أيامٍ بِرَامَهْ

قال ابن قتيبة : « وهى أجود شعره » ؛ وهى فى الأغانى ١٧ : ٥٤ ــ ٥٥ ، والخزانة ٢ : ٢١٣ — ٢١٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ .

(٤) ديوانه : ٧٢ .

(٥) ديوانه : ٦٥ . وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « يقول : إن تنوله هــذه المرأة مرة نوالا فقد تمنعه أحيانا ، وتريه النجم ظهراً ؛ وهذا مثل للأمر الصعب » .

(٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « عظم الشىء : معظمه ، وعظمه : كبره » .

(٧) حاشية الأصل : « المسند : الزمان ؛ يقال : لا أكلمه أبد المسند » .

بأنّ الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر(١). والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم الليل باكين الشمس على هذا المرثىّ المفقود، فبكتهن؛ أى غلبتهنّ بالبكاء ؛ كما تقول: باكانى عبدُ الله فبكيته ، وكاثرنى فكثرْتُه ، أى غلبتُه وفضَلْتُ عليه .

وثالثها أن يكونَ معنى الآية الأخبارَ عن أنه لا أحدَ أخذ بثأرهم ولا انتصر لهم ، لأن العرب كانت لا تبكى على قتيل إلا بعد الأخذ بثأره، وقتل من كان بَوَاءً به من عشيرة القاتل، فكنَى تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار ، والأخذ بالثأر ؛ على مذهب القوم الذين خُوطبوا بالقرآن .

ورابعها أن يكون ذلك كناية عن أنه لم يكن لهم فى الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء . ويطابق هـذا التأويل ما رُوى عن ابن عباس رحمة الله عليه / فى قوله تعالى : ﴿ فَمَا بَكَتْ [١٨ و] عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ قيل له : أوَتبكيان على أحد ؟ فقال : نعم ، مصلاَّه فى الأرض ، ومَصْعَد عمله فى السماء. وروى أنسُ بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال : « ما منْ مؤمنٍ إلاّ وله بابٌ يصعَد منه عمَلُه ، وبابٌ ينزِل منه رزقُه ، فإذا مات بكيا عليه» ، ومعنى البكاء هاهنا الإخبار عن الاختلال بعدَه كما يقال : بكى منزلُ فلان بعده، قال ابن مقبل :

لعمْرُ أبيكِ لقَدْ شَاقَنى مكانٌ حَزِنْتُ لهُ أوْ حَزِنْ

وقال مُزَاحم العُقَيْلىّ :

بَكَتْ دَارُهُمْ منْ أجلهِمْ وتَهلَّلتْ دُمُوعى فأىَّ الجَازِعِينَ ألُومُ(٢)

أمُسْتَعْبِراً يَبْـكى منَ الهونِ والِبلَى وَآخَرَ يَبكى شجْوَهُ وَيَهِيمُ(٣)

---

(١) حاشية الأصل : « قال مولانا عليه السلام : أراد هذه الصورة : الشمس طالعة ليست بكاسفة؛ ولـكنها مع ذلك تبكى عليك ، وستبكى مدة طلوع النجوم والقمر » .

(٢) ديوانه ١٥ ــ ١٦ .

(٣) حاشية ف: « المستعبر : الذى يأتى بالعبرة ، وهى سين الطلب ، و«مستعبرا» ، بدل الجازعين . ويهيم ، أى يصير هائما ، قال الله تعالى : ﴿ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ .

فإذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله عن بَوارهم مقامٌ صالح فى الأرض ، ولا عمل كريم يُرْفع إلى السماء جاز أن يقال : فما بكت عليهم السماء والأرض .

ويمكن فى الآية وجه خامس ، وهو أن يكون البكاء فيها كناية عن المطر والسُّقيا ؛ لأن العربَ تشبّه المطرَ بالبُكاء ، ويكون معنى الآية أنَّ السماء لم تسقِ قبورَهم ، ولم تَجُدْ عليهم بالقَطْر ؛ على مذهب العرب المعروف فى ذلك؛ لأنهم كانوا يستسقون السحائب لقبور مَنْ فقدوه من أعِزّائهم ، ويستنبتون لمواقع حُفَرِهم الزَّهْرَ والرّياض؛ قال النابغة :

فلاَ زَالَ قَبْرٌ بينَ تُبْنى وَجَاسمٍ ... عليهِ منَ الوَسْمِيِّ طَلٌّ وَوَابِلُ[(١)]

فَيُنْبِتَ حَوْذَانًا وَعَوْفًا منوّراً ... سَأُتْبِعُهُ منْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائلُ[(٢)]

وكانوا يُجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام[(٣)] ، ومسألة الله تعالى لهم الرضوان ، والفعل الذى أضيف إلى السماء ـ وإنْ كان لا يجوز إضافته إلى الأرض ـ فقد يصح عطفُ الأرض على السماء بأنْ يقدر لها فعلٌ يصح نسبتُه إليها ، والعرب تفعل مثل هذا؛ قال الشاعر :

يَالَيْتَ زَوْجَكِ فى الوغَى ... مُتَقَلِّدًا سَيْفاً وَرُمْحاً[(٤)]

---

(١) ديوانه ٦٢ . والرواية فيه :

سَقَى الغيْثُ قَبْراً بين بُصْرَى وجَاسِمٍ ... بغَيْثٍ من الوَسْمِيّ قَطْرٌ ووابِلُ

وتبنى وجاسم: موضوعان بالشام . وفى حاشيتى الأصل ، ف: « الوسمى : أول المطر ، وهو الذى يأتى فى الخريف ، والخريف عند العرب ربيع ، والربيع صيف ، والصيف قيظ » .

(٢) حاشية ف: « فينبت ، النصب فى جواب التمنى ، والحوذان: نبت ، يقال له بالفارسية مشكك ، وعوف: نبت أيضا ، ومنورا : أخرج النور » .

وقال البطليوسى شارح الديوان : « الحوذان والعوف نباتان ؛ إلا أن الحوذان أطيب رائحة ؛ وأنشد سيبويه هذا البيت بالرفع ؛ ولم يجعله جوابا ؛ أراد: وذاك ينبت حوذانا ، أى ينبت الحوذان على كل حال » .

(٣) حاشية الأصل : « قال مولانا عليه السلام عن ابن الأعرابى : إن العرب إنما تستسقى القبور لأنها إذا سقيت وعم القطر أعشب المكان ؛ فحضره القوم للرعى ، وترحموا على الموتى » .

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « روى : « قد غدا متقلدا » ؛ وإذا روى « فى الوغى » كان « متقلدا » نصبا على الحال . وقوله : « فى الوغى » خبر ليت » .

فعطف الرمحَ على السيف ، وإن كان التقلّد لا يجوز فيه ، لـكنه أراد حاملا رمحًا ، ومثل هذا يقدّر/ فى الآية ، فيقال : إنه تعالى أراد أن السماءَ لم تَسق ِقبورَهم ، وأن الأرضَ [١٨ ظ] لم تُعشِبْ عليها(١) ؛ وكلُّ هذا كنايةٌ عن حرْمانهم رحمةَ الله تعالى ورضوانه .

تأويلُ خبر

روَى أبوهريرةَ عنالنبى صلىالله عليه وآله أنه قال: «إنّ أحبَّ الأعمال إلى الله عزّوجل أدْوَمُها(٢) وإن قلّ ؛ فعليكم من الأعمال بما تُطيقون ؛ فإنّ اللهَ لاَ يَمَلُّ حتَّى تَمَلوا » .

وفى وصفه(٣) ــ عليه السلام ــ اللهَ تعالى بالمَلل ِ وجوهٌ أربعة :

أوَّلُها أنه أراد نَفْىَ المَلل ِ عنه ، وأنه لا يَمَلُّ أبدا ، فعلّقه بما لا يقع على سبيل التبعيد كما قالالله تعالى: ﴿وَلاَ يَدْخُلُونَ الجنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ﴾؛[الأعراف ٤٠].

وقال الشاعر :

فَإنَّكَ سَوْفَ تَحْكُمُ أَوْ تَناهى(٤) إذَا ما شِبْتَ أوْ شَابَ الغُرَابُ(٥)

---

(١) د ، ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « عليهم » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « كان فى الأصل المقروء على المصنف « أدومها » [بضم الواو] والمعروف أدومها [بفتح الواو] » .

(٣) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « فى صفته » .

(٤) حاشية الأصل : « تناهى : تبلغ الشيخوخة » .

(٥) حواشى الاصل ، ت ، ف : « البيت للنابغة الذبيانى ، وقبله :

فإنَّ يَكُ عامِرٌ قد قالَ جَهْلاً فإنَّ مَطِيّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ

يهجو عامر بن الطفيل ، يقول : هو معذور فإنه شاب ، ثم قال : سوف تحكم إذا شخت ؛ أو لعلك لاتحكمأبدا ؛ حتى يشيب الغراب ، وذلك لايكونأبدا ، وتحكم ، أى تصير حكيما ، وفعل ، بضم العين : يجىء لما يدخل على الإنسان فيصير كالطبع ؛ كقولك : سفه يسفه سفاهة ، ولم يكن سفيها فسفه . وتحكم من حكم يحكم [بضم الكاف] حكمة ؛ إذا صار حكيما » .

وانظر الديوان : ١٤ ــ ١٥ .

أراد أنكَ لا تحكُم أبداً . فإن قيل : ومِنْ أين قلتم : إن ماعلقه به لا يقعُ حتى حكمتُم بأنه أراد نفيَ المَلَل على سبيل التأبيد ؟ قلنا: معلوم أنّ المَلَل لا يَشمَل البشرَ في جميع آرابهم(١) وأوطارهم ، وأنهم لا يَعْرَوْن من حرص ورغبة وأَمَل وطمع ، فلهذا جاز أن يعلّق ما علِم تعالى أنه لا يكون بمللهم .

والوجه الثانى أنْ يكون المعنى أنه لا يغضَب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العملَ له ، وتُعرِضوا عن سؤاله ، والرغبةِ فى حاجتكم إلى جوده ؛ فسمَّى الفعلين مَلَلا ؛ وإن لم يكونا على الحقيقة كذلك؛ على مذهب العرب فى تسميتها الشيء باسم غيره إذا وافق معناه فى بعض الوجوه ، قال عدىّ بن زيد العِبادىّ :

ثمَّ أَضْحَوْا لَعِبَ الدَّهْرُ بِهِمْ وَكَذَاكَ الدَّهْرُ يُودِى بالرِّجَالْ(٢)

وقال عَبيد بن الأبرص الأسدىّ :

سَائلْ بِنا حُجْرَ ابْنَ أُمِّ قَطَامٍ إذْ ظلَّتْ بِهِ السُّمْرُ الذَّوابلُ تَلْعَبُ(٣)

فنسبا اللَّعب إلى الدهر والقَنَا تشبيهاً؛ وقال ذو الرُّمة :

وَأبيضَ مَوْشِيِّ القَمِيصِ نَصبْتُهُ على خَصْرِ مِقْلاَتٍ سَفيهٍ جدِيلُها(٤)

فسمّى اضطرابَ زمامِها، وشدةَ تحركه سفهاً؛ لأن السفهَ فى الأصل هو الطيْشُ وسرعة الاضطراب / والحركة ، وإنما وَصفَ ناقته بالذكاء والنشاط . فأما قوله : «وأبيض مَوْشِيّ القميص» فإنما عَنَى بِه سيفَه، وقميصه: جفنُه ، والمِقْلاتُ: الناقةُ التى لا يعيش لها ولد . [١٩ و]

والوجه الثالث أن يكون المعنى أنه تعالى لا يقطع عنكم فضلَه وإحسانه حتى تَمَلُّوا من سؤاله ، ففِعْلُهم مَلَلٌ على الحقيقة، وسمَّى فِعْله تعالى مللا ، وليس بمللٍ على الحقيقة للازدواج

(١) حاشية الأصل : « آرابهم : جمع أرب ؛ وهو الحاجة » .
(٢) البيت فى (الأغانى ٢ : ٣٣) ؛ وفى حاشية الأصل : « أودى ، إذا هلك » .
(٣) ديوانه : ٦ ؛ والرواية فيه : « السمر النواهل » .
(٤) ديوانه ٥٥٣ ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « الجديل : زمام من الأدم » .

ومشاكلة اللفظين[١] فى الصورة، وإن اختلفا فى المعنى، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾؛ [البقرة: ١٩٤]، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾؛ [الشورى: ٤٠]. ومثله قول الشاعر ـ وهو عمرو بن كُلثوم التغلبىّ:

أَلاَ لاَ يَجْهلنْ أحدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهلينا[٢]

وإنما أراد المجازاةَ على الجهلِ، لأن العاقلَ لا يفخَر بالجهل ولا يتمدّح به.

والوجه الرابع أن يكون الراوِى وهِمَ وغلِط من الضمّ[٣] إلى الفتح: وأنْ يكون قوله «يَمَلُّ» بالضمّ لا بالفتح، وعلى هذا يكون له معنيان: أحدهما أنه لايعاقبكم بالنار حتى تملوا عبادته[٤] وتُعْرِضُوا عن طاعته، لأن المَلَّةَ هى مشتوَى الخبز؛ يقال: ملَّ الرجلُ الخُبْزَةَ[٥] وغيرها يَمُلُّها ملاًّ إذا اشتواها فى المَلَّة. وقيل: إنَّ الجمرَ لا يقال له مَلَّة حتى يخالطه رماد؛ والمعنى الثانى أن يكون أراد أنّه لا يُسرِع إلى عقابكم[٦]، بل يحلُم عنكم ويتأنّى بكُمْ حتى تَمَلُّوا حلمَه، وتستعجلُوا عذابَه، بركوبكم المحارم وتتايُعكم[٧] فى المـآثم[٨].

***

(١) ت، وحاشية ف (من نسخة): «اللفظتين». (٢) من المعلقة ص ٢٣٨ بشرح التبريزى.

(٣) فى الأصل: «فى الفتح إلى الضم»، وفى ت، د، ف: «من الفتح إلى الضم»، والتصويب من حواشى الأصل، ت، ف. (٤) ت، د، ف: «من عبادته».

(٥) الخبزة: العجينه توضع فى الملة حتى تنضج، وفى حاشية الأصل (من نسخة): «الخبز».

(٦) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «رفقا بكم». (٧) فى حاشيتى الأصل، ف: «التتايع: التمادى فى الشر؛ يقال: تتابع فى الخير، وتتايع فى الشر».

(٨) حاشية ف: «قيل فى هذا الخبر إن معناه أن الله لا يمل وإن تملوا؛ ومثله قول الراجز:

نَحْنُ بنى ضَبَّةَ لا نَفِرُّ حتى نرَى جَماجماً تَخِرُّ

يريد: لا نفر وإن خرت جماجمنا؛ أى لا نفر أصلا. وقول الشاعر فى بعض الروايات:

ولم تُشَارِكْكَ عِندى بَعْدُ غانِيَةٌ لا والذى أصبحَتْ عِندى لَهُ نِعَمُ

حتى أمُرَّ على الشَّقْرَاءِ مُعْتَسِفاً خلَّ النقَا بمَرُوحٍ لَحْمُهُ زِيَمُ

فسر ذلك على أنه لم يشاركك لا وهو حتى أمرّ على الشقراء، ولا يريد أنه إذا حل ذلك الموضع شاركتك غانية».

[قال المرتضى رضى الله عنه] : روى أنه قيل للفرزدق : هل حسدْتَ أحدا على شىء من الشعر ؟ فقال : لا ، لم أحسُدْ على شىء منه إلاّ ليلى الأخيلية فى قولها[١] :

وَمُخرّقٍ عنْهُ القميصُ تخالُهُ بين البيُوتِ منَ الحياءِ سَقيما[٢]
حتى إذَا برَزَ اللِّواءُ رَأَيتَهُ تَحْتَ اللِّواءِ على الخَميسِ زَعِيما[٣]
لا تَقربَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطرِّفٍ لا ظَالِماً أبداً ولاَ مَظلوماً[٤]

ـ ويروى : « إن ظالما أبدا وإن مظلوما » ـ

على أننى قد قلت :

وَرَكْبٍ كأنَّ الريحَ تَطلُبُ عندَهمْ لهَا تِرَةً منْ جذْبِها بالعصائبِ[٥]
[١٩ ظ] سَرَوْا يَخبِطُونَ اللَّيلَ وَهْىَ تَلُفُّهُمْ إلى شُعَبِ الأكْوارِ منْ كلِّ جانبِ[٦]
إذَا أبْصرُوا ناراً يقُولونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أيْديهمُ نارُ غالِبِ[٧]

وليس أبياتُ الفرزدق بدون أبياتِ ليلَى ، بل هى أجزَلُ ألفاظًا، وأشدُّ أسراً ، إلا أن أبياتَ ليلى أطبعُ وأنصع؛ وقدكانَ الفرزدقُ مشهورا بالحسَد على الشعر والاستكثارلقليله والإفراط فى استحسان مستحسَنه .

= والبيتان فى الحماسة بشرح التبريزى ٣ : ١٣٣ ، من قصيدة لزياد بن حمل ؛ ويعنى بالشقراء فرسه . والاعتساف : الأخذ فى السير على غير هداية ولا دراية . والخل : الطريق فى الرمل ، والنقا : الرمل . والمروح : النشيط ، والزيم : المكتنز اللحم » .

(١) من أبيات فى (الحماسة ـ بشرح التبريزى ٤ : ١٥٥ ـ ١٥٧) ؛ مطلعها :

يأَيُّهَا السَّدِمُ المُلَوِّى رأسَهُ لِيَقُودَ مِنْ أهلِ الحِجَازِ بَرِيمَا

(٢) حاشية (من نسخة) : « وسط البيوت » ، وهى رواية الحماسة .

(٣) م : « رفع اللواء » ، وهى رواية الحماسة . والخميس : الجيش ، سمى بذلك لأنه يكون خمس كتائب ، أو خمسة صفوف : المقدمة ، والميمنة ، والميسرة ، والقلب ، والساق .

(٤) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « لاتغزون الدهر » ؛ وهى رواية الحماسة . وفى حاشية الأصل: « لا ظالما أبدا ؛ لأنهم لا يحتملون ظلمك ، ولا مظلوماً لأنك لا تقدر أن تنتصر منهم » .

(٥) ديوانه ١ : ٣٠ ، والترة : الثأر ، والعصائب : جمع عصابة ؛ وهى العمامة تعصب على الرأس .

(٦) حاشية الأصل : « الشعب : جمع شعبة ، أى جوانب الأكوار ، والأكوار : جمع كور ؛ وهو الرحل» . (٧) حاشية ت (من نسخة) : « آنسوا ناراً » . خصرت : بردت، وغالب أبو الفرزدق»

وقد روى أن الـكُمَيْت بن زيد الأسدىّ لـما عرض على الفرزدق أبياتاً من قصيدته التى أولها :

أَتَصْرِمُ الحَبْلَ حبْلَ البِيضِ أمْ تَصلُ … وكيف والشَّيْبُ فى فَوْدَيْكَ مُشْتَعِلُ
لـما عبَأْتَ لِقَوْسِ المَجْدِ أسْهُمَهَا … حيْثُ الجدودُ على الأَحْسَابِ تنتَضِلُ،[1]
أحْرَزْتَ من عَشْرِهَا تسْعاً وَوَاحِدَةً … فلاَ العَمَى لكَ منْ رَامٍ وَلاَ الشَّلَلُ،[2]
الشَّمْسُ أدَّتْكَ إلاَّ أنَّهَا امْرَأَةٌ … وَالبَدْرُ أدَّاكَ إلاَّ أنهُ رَجُلُ،[3]

حسده الفرزدق ، فقال له : أنت خطيب ، وإنما سلّم له الخطابة ليخرجَه عن أسلوب الشعر . ولما بهره من حُسن الأبيات وأفرَط بها إعجابُه، ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عَدَل فى وصفها إلى معنى الخطابة[4] .

---

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « عبأت : هيأت ، والجدود ، جمع الجد ؛ وهو البخت ، وتنتضل : تناضل وترامى » .   (٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « يقال للرامى المصيب : لا عمى ولا شلل » .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « يعنى أن أباك البدر وأمك الشمس ، وإلا تقرير » .

(٤) حاشية ف : « حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدى عن عبد الله بن إسحاق بن سلام قال: أتى الـكميت باب مجلس يزيد بن المهلب يمتدحه ، فصادف على بابه أربعين شاعرا ؛ فقال للآذن : استأذن لى على الأمير ؛ فاستأذن له عليه ، فأذن له ، فقال : كم رأيت بالباب من شاعر ؟ قال : أربعين شاعرا قال : فأنت جالب التمر إلى هجر ، فقال : إنهم جلبوا دقلا ، وجلبت زاذا ، فقـال : هات زاذك ، فأنشده :

هَلاَّ سَأَلْتِ مَنَازِلاَ بالأَبْرَقِ … دَرَسَتْ وكيفَ سُؤَالُ مَنْ لم يَنْطِقِ!
لَعِبَتْ بها رِيحان : رِيحٌ عَجَاجَةٍ … بالسَّافيَاتِ من التُّراب المعنقِ
والهيفُ رائحــةٌ لَهَا يَنْتَاحُها … طَفَلَ العشىّ بذى حَنَاتِمَ شُرَّقِ
تصِلُ اللِّقاحَ إلى النتاج مربّةٌ … لخفوقِ كَوْكَبِـها وَإنْ لم يخْفِقِ
غَيَّرْنَ عهدكَ بالدِّيار وما يَـكُنْ … رهنَ الحوادِثِ من جديد يخْلُقِ
إلّا خوالدَ فى المحلّةِ بينُها … كالطَّيْلَسَانِ مِنَ الرَّمَادِ الأَوْرَقِ
وَمُشَجَّجا تركَ الولائدُ رأسه … مثلَ السِّوَاكِ ودمنةً كالمهْرَقِ =

وحسدُ الفرزدق على الشعر وإعجابه بجيده من أدلّ دليل على حسن نقده له وقوة بصيرته فيه ، وأنّه كان يطرَبُ للجيّد منه فضلَ طرب ، ويعجب منه فضل عجب . ويدلّ أيضاً على إنصافه فيه ، وأنه مستقلٌّ للـكثير الصادر من جهته، فإن كثيراً من الناس قد يبلغ بهم الهوى فى الإعجاب والاستحسانِ لـما يظهر منهم فى شعر أو فضل إلى أن يعموا عن محاسن غيرهم فيستقلّوا منهم الـكثير ، ويستصغروا الـكبير .

ولأبيات الفرزدق التى ذكرناها خبر مشهور متداول ، أخبرنا أبو عبيد الله المرزُبانىّ قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال : دخل الفرزدق على سليمان[1] بن عبد الملك وعنده نُصيب الشاعر ، فقال له سليمان أنشِدْنِى ؛
[٢٠ و] فأنشده الأبيات التى تقدم ذكرها ، فاسودّ وجه سليمان وغاظه / فعلُه ، وكان يظن أنه ينشده مديحاً له ، فلمّا رأى نُصيْب ذلك قال : ألا أنشدُك ؟ فأنشده :

= دارُ التى تركَتْك غيرَ ملومةٍ ... دَنِفاً فإن لم ترع قلبك فاشفقِ
قد كنت قبلُ تتوقُ من هِجْرانِها ... فاليوم إذْ شَحَطَ المزارُ بها تَقِ
والحبُّ فيه حرارةٌ ومرارةٌ ... سائلْ بذلك من تَطَعَّمَ أو زُقِ
ماذاق بُؤْسَ معيشةٍ ونعيمِها ... فيما مضَى أحدٌ إذا لم يعشقِ

حتى بلغ إلى قوله :

مَنْ قال بتْ أخا الهموم ومَنْ يبت ... غَرضَ الهُمومِ ونَصْبِهنَّ يُؤَرَّقِ
بشَّرتُ نفسى إذ رأيتك بالغنى ... ووثِقْتُ حين سمعتُ قولَك لِى ثِق

فأمر بالخلع عليه حتى استغاث ؛ فقال : أتاك الغوث ، ارفعوا عنه » .

(١) حاشية ف : « قيل : بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام إذ أتى بحجر منقوش ، فطلب من يقرؤه ، فأتى بوهب بن منبه ؛ فقرأه فإذا فيه : ابن آدم إنك لو أبصرت قليل مابقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ، ولرغبت فى الزيادة من عملك ؛ ولقصرت عن حرصك وحيلك ؛ وإنما يلقاك غدا ندمك ، وقد زلت بك قدمك ، وأسلمك أهلك وحشمك ؛ فبان منك الولد القريب ، ورفضك الوالد والنسيب ؛ فلا أنت إلى دنياك عائد ، ولا فى حياتك زائد ، فاعمل ليوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة فبكى سليمان » .

أَقولُ لِرَكْبٍ قَافلينَ لَقيتُهُمْ   قِفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ ومَوْلاكَ قَارِبُ(١)
قِفُوا خبِّرُونى عنْ سُليمانَ إننى   لِمعروفِه من أهـلِ وَدَّانَ طَالِبُ(٢)
فَعاجُوا فأَثْنَوْا بالّذى أنتَ أهلُهُ   وَلو سكتُوا أثْنَتْ عليْكَ الحقائِبُ(٣)

فقال له سليمان : أنت أشعر أهل جِلْدَتك(٤) ؛ وفى بعض الأخبار أنّ الفرزدقَ قال ذلك فى نُصَيْب حين سأله عنه سليمان .

وروى أيضا أنه لما أنشد نُصَيْب أبياته قال له سليمان: أحسنتَ، ووصلَه(٥) ولم يصل الفرزدق فخرج الفرزدق وهو يقول:

---

(١) قفاذات أوشال : خلف هذا الموضع ؛ والأوشال : جمع وشل ، بالتحريك ؛ وهو الماء القليل يتخلف من جبل أو صخر . وفى حاشيتى الأصل ، ف : « فى ديوانه : ذات أوشان ؛ بالنون » . وفى معجم ما استعجم للبكرى : ٢١٢ : « ذات أوشال : موضع بين الحجاز والشام » وذكر البيت . وأراد بالمولى نفسه ؛ والقارب : طالب الماء ليلا .

(٢) ودان ، بفتح الواو: قرية بين مكة والمدينة ، قريبة من الجحفة ؛ وفى حاشيتى الأصل، ت : « يعنى أنا من أهل ودان ، وهى أرض للعرب » .

(٣) وبعده :

فَقالُوا تَرَكْنَاهُ وفى كلِّ لَيْلَةٍ   يُطِيفُ به من طَالبِى العُرْفِ رَاكِبُ
ولو كان فَوْقَ النَّاس حَىٌّ فَعالُه   كفعلك أو للفِعْلِ منك مُقَارِبُ
لقلنا له شِبْهٌ ولـكن تَعذَّرَتْ   سواكَ عن المستشفعين المطالبُ
هوالبدرُ والنَّاس الـكواكبُ حوله   ولا يُشْبِه البدرَ المنيرَ الـكواكبُ

(٤) الخبر فى (الـكامل ـ بشرح المرصفى ٢ : ٢١٧ ـ ٢١٨ ، والشعر والشعراء ٣٧٢ ـ ٣٧٣ ، واللآلى ٢٩١ ـ ٢٩٢) ، والأبيات فى (البيان والتبيين ١ : ٨٣ ، وأمالى القالى ١ : ٩٤ ، ومعجم البلدان ٨ : ٤٠٥ ؛ ولـكنه لم يذكر « ذات أوشال » فى موضعها) .

(٥) حاشية ف : « حدث محمد بن أحمد عن محمد بن عبدالله عن معاذ صاحب الهروى قال: « دخلت مسجد الـكوفة ، فرأيت رجلا لم أر قط أنقى ثيابا منه ، ولا أشد سوادا ، فقلت له : من أنت ؟ فقال: أنا نصيب ، فقلت : أخبرنى عنك وعن أصحابك ، فقال : جميل إمامنا ، وعمر أوصفنا لربات الحجال ، وكثير أبكانا على الأطلال والدمن ، وقد قلت ما سمعت . قلت : فإن الناس يزعمون أنك لاتحسن أن تهجو ، قال: فأقروا لى أنى أحسن المدح؟ قلت : بلى ، قال : ولـكنى رأيت الناس رجلين : رجلا لم أسأله فلاينبغى أن أهجوه ، ورجلا سألته فمنعنى ، فـكانت نفسى أحق بالهجا ؛ إذ سولت لى أن أطلب منه » .

وَخيرُ الشِّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالاً ‏ ‏ وَشرُّ الشِّعْرِ ما قالَ العَبيدُ[1]

ولا شبهةَ فى أنّ أبيات الفرزدق مقدمةٌ فى الجزَالة والرَّصانة على أبيات نُصيب ؛ وإنْ كان نُصَيْب قد غرّب[2] وأبدَع فى قوله :

* ولوْ سَكتُوا أثْنَتْ عليكَ الحقائِبُ *

إلاّ أنّ أبيات نُصَيب وقعتْ موقعها ، ووردتْ فى حال تَلِيق بها ، وأبيات الفرزدق جاءتْ فى غير وقتها وعلى غير وجهها ؛ فلهذا قُدِّمت أبيات نُصيب .

والفرزدق مع تقدُّمه فى الشعر وبلوغه فيه إلى الذِّرْوة العليا ، والغاية القصوى شريف الآباء ، كريمُ البيت ، له ولآبائه مآثر لا تُدْفع ، ومفاخِرُ لا تجحد . والفرزدق لقبٌ لقِّبَ به، وليس باسمه ، وإنما لُقِّب بذلك لجَهامة وجهه ، وغِلَظه ؛ لأنّ الفرزدقة هى القطعة الضخمة من العجين ، وقيل : إنها الخُبْزة الغليظة التى يتّخذ منها النساء الفَتوتَ[3] ، واسمه هَمام بن غالب ، وكُنيته أبو فِراس ، وقيل إنّه كان يُكْنَى فى شبابه بأبى مكّية[4] وهى أغرَب كُنْيَتِه[5] .

وكان شيعيًّا[6] مائلا إلى بنى هاشم ، ونزَع فى آخر عمره عما كان عليه من القذف[7]

---

(١) فى نسخة بحاشيتى ت ، ف : « أشرفه خولا » ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « يعنى أن نصيبا حبشى مملوك » . (٢) ل ، ونسخة فى حاشيتى ت ، ف : « أغرب » .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الفتوت والفتيت بمعنى » .

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « كان يكنى أبا مكية ، ومكية بنته ، وذكر ذلك فى شعرله فقال :

شاهدْ إذَا مَا كنْتَ ذامَحْمِيَهْ ‏ ‏ بِدارِىٍّ أُمُّــهُ ضَبِّيَّهْ

صَمَحْمَحٍ مثلِ أبى مَكِّيَّهْ

ــ الصمحمح : العظيم الرأس ، وأبو مكية يعنى نفسه » .

(٥) ش : « أعرف كنيته » .

(٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « النسبة إلى الشيعة شيعى ، بكسرة صحيحة على الشين ؛ كما تنسب إلى الجيزة جيزى ، والجيزة محلة بمصر ؛ منها أبو الربيع الجيزى » .

(٧) حاشية ت (من نسخة) : « من القرف » ، والقرف : الرمى بالسوء .

والفسق، وراجع طريقةَ الدين ، على أنه لم يكن فى خلال(١) فسقه منسلِخاً من الدّين جملة، ولا مُهْملا لأمرِه أصلا .

ومما يشهدُ لذلك ما أخبرَنا به عليّ بن محمد الكاتب عن أبى بكر محمد بن يحيى الصولىّ عن أبى حفص الفلاّس عن عبد الله بن سوّار/ عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال : [٢٠ ظ] دخلتُ على الفرزْدق ، فجعلت أحادثه ، فسمعت صوت حديد يتقعقع ، فتأملت الأمر ، فإذا هو مقيّد الرِّجْل(٢) ، فسألتُه عن السبب فى ذلك ، فقال : إنى آليتُ على نفسى ألاّ أنزِع القَيْد من رجلى ، حتى أحفظَ القرآن .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزُبانى قال أخبرنى أبو ذَرّ القراطِيسىّ قال حدثنا ابن أبى الدّنيا قال حَدّثنى الرِّياشىُّ عن الأصمعىِّ عن سلام بن مسكين قال : قيل للفرزْدق ؛ عَلاَمَ تقذِف المحصَنات ؟ فقال: واللهِ ، للهُ أحبّ إلىَّ من عينىَّ هاتين ، أفتراه يعذّبنى بعدها(٣) ! .

ورِوى أنّه تعلّق بأستار الكعبه ، وعاهد الله على ترك الهجاء والقذْف اللّذَين كان ارتكبهما ، وقال:

أَلَمْ ترَنى عاهدتُ ربِّى وإنّنى ... لَبيْنَ رِتاجٍ قائماً ومَقامِ(٤)

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « حال » .   (٢) حاشية ت (من نسخة) : « الرجلين » .

(٣) حاشية ف : « ذكر المبرد فى كتابه قال: دخل لبطة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس فى سجن مالك بن المنذر بن الجارود ؛ ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله القسرى ؛ فقال له : يا أبت ؛ هذا عمر بن يزيد الأزدى ضرب آنفا ألف سوط ومات ، فشد على حمار ، فقال الفرزدق : كأنك والله بمثل هذا الحديث قد تحدثت به عن أبيك — والحسن إذ ذاك محبوس عنده — فقال له : يا أبا فراس، فما عندك إن كان ذلك ؟ فقال : والله يا أبا سعيد، لله أحب إلىّ من سمعى وبصرى ، ومن مالى وولدى ، ومن أهلى وعشيرتى؛ أفتراه يخذلنى ! فقال الحسن : كلا والله يا أبا فراس » .

وانظر الخبر فى (الكامل — بشرح المرصفى ٢ : ٧٦ — ٧٧) .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الرتاج : الباب المغلق ، والباب العظيم أيضا قائما ، حال بما يدل عليه لبين » ، وفى ت ، د : « قائم » .

على حَلْفَةٍ لاَ أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِماً وَلاَ خارجاً مِنْ فِيَّ زُورُ كلاَمِ (١)
أطَعْتُكَ يا إبْليس سبعين حِجةً فلمَّا انْقَضَى عُمْرِى وَتَمَّ تمامِى (٢)
فَزِعْتُ إلى رَبِّى وأَيْقَنْتُ أَنَّنى مُلاَقٍ لأَيَّامِ الْحُتُوفِ حِمامِى (٣)

ورَوَى الصُّولىّ عن الحسين بن الفيّاض عن إدريس بن عمران قال : جاءنى الفرزدقُ ، فتذاكرنا رحمةَ الله وَسعَتَها ؛ فـكان أوثقَنا بالله ، فقال له رجل : ألك هذا الرجاء والمذهبُ وأنت تقذِف المحصَنات ، وتفعلُ ماتفعل ! فقال : أتروْنى لوأذنبتُ إلى أبوىّ، أ كانا يقذِفانى

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « قال مولانا السيد : خارجا ، تقديره : ولا يخرج خروجاً ؛ وذهب عيسى بن عمر إلى أنه فى موضع الحال ؛ لأن قوله : لا أشتم نصب على الحال ؛ كأنه قال : عاهدت لا شاتما ولا خارجا . وقال أبو سعيد : تقديره : عاهدت على أن أحلف لا شاتما ولا خارجا ؛ وهو حال من التاء فى عاهدت ، أو المحذوف من المصدر ؛ وهو الفاعل . وسيبويه يجعل لا أشتم جواب القسم ؛ ولا موضع له من الإعراب ، والقسم عاهدت . فقوله : ولا خارجا ، أى لا يخرج خروجا ؛ وهو معطوف على لا أشتم » . وفى حاشية ف أيضاً : « ذكر المبرد فى كتابه الكامل فى قوله :

* ولا خارجا من فىّ زور كلام *

إنما وضع اسم الفاعل موضع المصدر ، أراد : لا أشتم الدهر مسلما ، ولا يخرج خروجا من فىّ زور كلام ؛ لأنه على هذا أقسم ، والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل ؛ يقال : ماء غور ، أى غائر ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ ؛ ويقال : رجل عدل ، أى عادل ، فعلى هذا جاء المصدر على فاعل ؛ كما جاء اسم الفاعل على المصدر ؛ يقال : قم قائما ؛ فيوضع موضع قولك : قم قياما ؛ قال : وكان عيسى بن عمر يقول : إنما قوله لا أشتم حال ، فأراد : عاهدت ربى فى هذه الحال ، وأنا غير شاتم ولا خارج من فىّ ... ولم يذكر الذى عاهد عليه » .

وانظر (الكامل — بشرح المرصفى ٢ : ٨١ — ٨٣) .

(٢) د ، ومن نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « تسعين » ، وفى حاشية الأصل ، ف : « أى بلغت غايتى ؛ ونسبة التمام إلى التمام ترد على معنى التأكيد كما قال الشاعر : «جُنّ جنونها» ، والجنون لا يجن ، وإنما المرء يجن ؛ وكما قال :

جُنُونكَ مَجنون ولَسْتَ بواجدٍ طَبِيبا يُداوى مِنْ جُنُون جُنُونِى

(٣) ش ، ف : « فررت » ، والأبيات فى (ديوانه ٢ : ٧٧٠) .

فى تنُّور ، وتطيبُ أنفُسُهما بذلك ؟ قلنا : لا ، بل كانا يَرْحمانك ، قال : فأنا والله برحمة ربِّى أوثقُ منى برحمتهما .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزُبانىّ قال حدثنا محمد بن إبراهيم[(١)] قال حدثنا عبد الله بن أبى سعد[(٢)] الورّاق قال حدّثنى محمد بن محمد بن سليمان الطُّفاوِىّ[(٣)] قال : حدثنى أبى عن جدى قال : شهدتُ الحسنَ البصرىّ فى جنازة النَّوار (امرأة الفرزْدق)ـ وكان الفرزدق حاضراً ـ فقال له الحسن وهو عند القبر : يا أبا فِراس ، ما أعددتَ لهذا المضْجع ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله مذ ثمانون سنة ، فقال له الحسنُ : هذا العمودُ فأينَ الطُّنُب ! . وفى رواية أخرى أنه قال له : نِعْمَ ما أعددتَ ، ثم قال الفرزدق فى الحال :

/أخَافُ وَرَاءَ القَبْرِ ـ إنْ لمْ يُعافِنى ـ أَشَدَّ مِنَ المَوْتِ التهاباً وَأَضْيقا[(٤)] [٢١ و]
إذَا جاءَنى يوْمَ القيَامــة قائدٌ عَنيفٌ وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ الفرَزْدقَا
لقدْ خابَ منْ أَوْلادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إلى النَّارِ مَغْلولَ القِلادَةِ أَزْرَقا[(٥)]
يُقَادُ إلى نارِ الجَحيمِ مُسَرْبَلاً سَرَابيلَ قِطْرَانٍ لباساً مُحرَّقَا

قال : فرأيتُ الحسنَ يدخلُ بعضُه فى بعض ، ثم قال : حسبُك. ويقال إن رجلاً رأى الفرزدقَ بعد موته فى منامه ، فقال له ما فعلَ بك ربُّـك ؟ فقال : عفَا عنى بتلك الأبيات[(٦)].

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « محمد بن محمد بن إبراهيم » .

(٢) د ، ونسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « سعيد » .

(٣) حاشية الأصل : « الطفاوى : منسوب إلى طفاوة ؛ وهم قوم » .

(٤) الأبيات فى ديوانه ٢ : ٥٧٨ ، مع اختلاف فى الرواية وترتيب الأبيات ؛ وفى نسخة بحواشى الأصل، ف ، ت : « أشد من القبر » ؛ وهى رواية الديوان .

(٥) ف : « مشدودالقلائد» ، وهى رواية الديوان .

(٦) حاشية ف : « زعم بعض التميمية أن الفرزدق رئى فى النوم فقيل له : ماصنع ربك ؟ فقال : غفرلى ؛ قيل له : بأى شىء ؟ قال : بالـكلمة التى نازعنيها الحسن البصرى على شفير القبر» . وفيها أيضا : « فى الـكامل ، كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بنى تميم والمصاحف فى حجورهم فيسر بذلك ويجذل له ==

وأما ما يدُلُّ على تشيّعِه وميله إلى بنى هاشم ما أخبرَنا به أبو عبيد الله المرزُبانىّ قال حدثنى عمر بن داود العُمانىّ قال حدثنا محمد بن زكريا(1) الغَلاَبىّ قال حدثنا مهدىّ بن سابق قال حدثنا أبو لبيد قال : جاء الكميتُ إلى الفرزدق فقال : ياعمّ إنى قد قلت قصيدةً أريدُ أن أعرِضَها عليك ، فقال له : قل ، فأنشده :

* طَرِبْتُ وَماشَوْقاً إلى البِيضِ أَطْرَبُ *

فقال له الفرزدق : إلى مَنْ طَرِبت ، ثَكِلَتْك أُمُّك ! فقال :

* وَلاَ لعِباً مِنّى وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ *

ولم تُلْهِنِى دَارٌ وَلاَ رَسْمُ مَنْزِلٍ   وَلَمْ يَتَطَرَّبْنِى بَنَانٌ مُخَضَّبُ

= ويقول: إيه فدى لكم أبى وأمى ! كذا والله كان آباؤكم ، قال : ونظر أبو هريرة الدوسى إلى الفرزدق فقال : مهما فعلت فقنطك الناس عليه ، فلا تقنط من رحمة الله ، ثم نظر إلى قدميه فقال : إنى أرى لك قدمين لطيفين ؛ فابتغ لهما موقفا صالحا يوم القيامة » .

و (انظر الكامل — بشرح المرصفى ٢ : ٧٩) .

(١) حواشي الأصل ، ف ، ت : « الغلابى : منسوب إلى غلاب ، اسم امرأة ؛ وكان شيعيا » . وفى حاشية ف أيضا : « حدث الغلابى عن محمد بن عبد الله عن على بن محمد قال : قال أنوشروان لبزرجمهر لما أراد قتله : إنى قاتلك ؛ فتكلم بشىء تذكر به ؛ فقال : أيها الملك ، إن الدنيا حديث حسن وقبيح ؛ فإذا استطعت أن تكون حديثا حسنا فكنه ، قال ابن عبد الله : وذكر هذا الكلام لابن عائشة فقال : صدق ، هو والله من قوله تعالى : ﴿ واجْعَلْ لِى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ ﴾ ، وأنشد ابن عائشة :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّاسَ تَخْلُدُ بَعْدَهُمْ   أَحَادِيثُهُمْ والْمَرْءُ لَيْسَ بخَالِدِ

وقال أيضا :

وإذا الفَتَى لاَقَى الحِمَامَ رَأَيْتَهُ   لَوْلَا الثَّنَاءُ كَأَنَّهُ لَمْ يُولَدِ

وروى محمد بن زكريا الغلابى : كان مزيد يكنى أبا إسحاق ، وكانت له نوادر ؛ فبينا هو ذات يوم جالس إذ جاءه أصحابه فقالوا : يا أبا إسحاق ، هل لك فى الخروج بنا إلى العقيق ، وإلى قباء ، وإلى أحد ، ناحية قبور الشهداء ؛ فإن هذا يوم كما ترى طيب ؛ فقال : اليوم يوم الأربعاء ، ولست أبرح من منزلى ، فقالوا له : ما تكره من يوم الأربعاء وفيه ولد يونس بن متى ؟ فقال : بأبى وأمى صلى الله عليه وآله ! وفيه التقمه الحوت ، فقالوا : يوم نصر فيه يوم الأحزاب ، فقال : أجل ! ، ولكن بعد إذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر » .

فقال له : إلى من طربت ؟ فقال :

وَلاَ أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ ؛ هَمُّهُ :   أَصاحَ غُرابٌ أَمْ تَعَرَّضَ ثَعلبُ(١)

وَلاَ السانحاتُ البارِحاتُ عَشِيَّةً   أَمَرَّ سليمُ القَرْنِ أم مرَّ أَعْضَبُ(٢)

وَلـكنْ إلى أهْلِ الفَضَائلِ وَالنُّهى   وَخَيْرِ بَنِي حوَّاء ، والخيرُ يُطْلَبُ

فقال له الفرزدق : هؤلاء بنو دَارِم ، فقال الـكُمَيت :

إلى النَّفَرِ البيضِ الَّذِينَ بِحُبِّهِمْ   إلى اللهِ فِيما نَابَنِي أَتقَرَّبُ

فقال الفرزدقُ : هؤلاء بنو هاشم ، فقال الـكُمَيْت :

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النبيِّ فإنَّنِي   بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضَى مِرَاراً وَأَغْضَبُ(٣)

فقال له الفرزدقُ : والله لو جُزْتَهم إلى سواهم لذهب قولُك باطلا . [٢١ ظ]

ومما يشهدُ لذلك ما أخبرَنا به أبو عبيد الله المرزُبانيّ قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدَّثني جدّي يحيى بن الحسن العلويّ قال حدّثنا الحسين بن محمد بن طالب قال : حدّثني غير واحد من أهل الأدب أن عليّ بن الحسين عليهما السلام حجَّ فاستجهر(٤) الناس جمالَه ، وتشوَّفوا له ، وجعلوا يقولون : مَنْ هذا ؟ فقال الفرزدقُ :

---

(١) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « فى المتن ، قال المرتضى رضى الله عنه : يجب الوقوف على الطير » ، ثم يبدأ « بهمه » ليعلم الغرض » . والزجر هنا : التيمن أو التشاؤم بالطير وغيره .

(٢) السانح من الطير : مامر من مياسرك إلى ميامنك ، والبارح عكسه ، وكان العرب يتيامنون بالسانح ، ويتشاءمون بالبارح ، والأعضب : مكسور القرن ، وفى ت ، ف بعد هذا البيت : « فقال : إلى من طربت لاأم لك ! فقال الـكميت ... »

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « أعنى بنى هاشم ، أو إلى بنى هاشم » .

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يقال : جهرت الرجل واستجهرته ؛ إذا رأيته عظيم المرآة ، وما أحسن جهر فلان ! أى مايجتهر من هيئته وحسن منظره ؛ وقيل : اجتهر ؛ أى حملهم بجماله على أن يجهروه عليه السلام ، أى يدركوا جهره » .

هـذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهمُ ... هَذا التقيُّ النقيُّ الطَّاهِرُ العلَمُ
هـذا الذي تعرِفُ البطحاءُ وطْأتَه ... وَالبَيْتُ يَعرِفُهُ والحِلُّ وَالحَرَمُ (١)
إذَا رأتْهُ قُرَيْشٌ قالَ قائلُها ... إلى مكارمِ هذَا يَنتهِي الكَرَمُ
يَـكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ راحتِه ... ركنُ الحَطيمِ إذَا ما جاءَ يَسْتلِمُ (٢)
يُغضِى حَياءً ويُغضَى منْ مَهابَتِهِ ... فما يُـكلَّمُ إلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ (٣)
أيُّ القبائلِ لَيستْ في رِقابِهِمُ ... لأوَّليَّـةِ هَذَا أوْ له نِعَمُ
من يَعْرِفِ اللهَ يعرفْ أوَّليَّـةَ ذَا ... فَالدِّينُ من بَيْتِ هذَا نالَه الأُمَمُ (٤)

---

(١) البطحاء: أرض مكة المنبطحة، والحل، بالكسر: خارج المواقيت من البلاد، والحرم: ما بين المواقيت المعروفة؛ وأراد بهما أهل الحل والحرم.

(٢) الحطيم: الجدار الذي عليه ميزاب الكعبة، وانتصب «عرفان» على أنه مفعول له، أي يكاد يمسكه ركن الحطيم؛ لأنه عرف راحته. و يستلم، بمعنى يلمس الحجر الأسود.

(٣) حواشي الأصل، ت، ف: روى أبو الفرج في كتاب الأغاني الكبير هذا البيت: يغضى ... وبيتا آخر وهو:

بكفِّهِ خيزُرانٌ ريحها عَبِقٌ ... من كفِّ أروَعَ في عِرْنينِهِ شَمَمُ

للحزين الكناني، قال: مدح بهما الحزين عبد الله بن عبد الله بن عبد الملك، وقد حج، وكان أبوه عبد الملك قد وصاه بألا يحجب الحزين لخبث لسانه، ووصفه له بهيئته، فدخل عليه وأنشده البيتين. قال أبو الفرج: «والناس يروون هذين البيتين في أبيات الفرزدق التي مدح بها زين العابدين عليه السلام».

وقد ذكر أبو تمام في (الحماسة — بشرح التبريزي ٤—١٦٧—١٦٩) الأبيات منسوبة إلى الحزين الليثي. وانظر تفصيل الخبر وتحقيق نسبة الأبيات في (الأغاني ١٤: ٧٤—٧٧).

(٤) حاشية ف: «روى أنه كان عبد الملك بن مروان لما سمع هذا من الفرزدق قال له: «أو رافضي أيضا أنت! فقال الفرزدق: إن كان حب آل محمد رفضا فأنا هذاك، فقال عبد الملك: قل فيَّ مثل ما قلته فيه، وعليَّ أن أضعف عطاءك، فقال الفرزدق: وتجيئني بأب مثل أبيه وأم بمثل أمه؛ حتى أقول فيك مثل ما قلته فيه؛ أتقول هذا ولا تستحي من الله عز وجل! مر حتى تسقط اسمي من الديوان جملة، فأسقط عطاءه فبلغ ذلك علي بن الحسين عليهما السلام، فبعث إليه، فلما أتاه قال: يا أبا فراس؛ خذ مني جميع ما أملكه ولك الفضل بعد ذلك؛ وما كافأتك بعد! فقال: يا ابن رسول الله، ما قلته فيك لرجاء مثوبة؛ وإن ثوابي على الله، وما أؤمله فيكم عند الله عز وجل أحب إلي من ملك عبد الملك؛ فقال: فكم كان عطاؤه الذي حرمته؟ قال: ألف ومائتان في السنة، فوزن له ثمانية وأربعين ألفا، عطاء أربعين سنة، فأخذه وانصرف».

وفى رواية الغَلابىّ أن هِشام بن عبـد الملك حج فى خلافة عبد الملك ـ أو الوليد ـ وهو حديث[١] السن، فأراد أن يستلم الحجرَ، فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه، فجلس ينتظر خَلْوَةً؛ فأقبل على بن الحسين عليهما السلام، وعليه إزار ورداء، وهو مِنْ أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم ريحاً، بين عينيه سجّادة، كأنها رُكْبَة عَنْز، فجعل يطوف بالبيت، فإذا بلغ الحجر تنحَّى الناس له حتى يستلمه، هيبة له وإجلالا. فغاظ ذلك هشاما، فقال رجل من أهل الشام لهشام: مَنْ هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه ـ لئلا يرغّب فيه أهل الشام. فقال الفرزدق ـ وكان هناك حاضراً ـ: لكنى أعرِفه، وذكر الأبياتَ، وهى أكثرُ مما رويناه؛ وإنما تركناها[٢] لأنها معروفة.

قال: فغضِب هشام، وأمر بحبس الفرزدق بعُسْفان، بين مكّة والمدينة، وبلغ ذلك علىّ بن الحسين عليهما السلام، فبعث إلى الفرزدَق باثنى عشر ألف درهم وقال: اعذِرنا/ يا أبا فِراس، [٢٢ و] فلو كان عندنا فى هذا الوقت أكثر منها لوصلناك به، فردَّها الفرزدق وقال: يابن رسول الله، ما قلتُ الذى قلت إلا غضبا لله ورسوله، وما كنتُ لأُرْزَأ[٣] عليه شيئا؛ فردها إليه وأقسم عليه فى قبولها وقال له: قد رأى الله مكانك، وعلِم نيّتك، وشكر لك، ونحن أهلَ بيت إذا أنفذنا شيئاً لم نرجع فيه؛ فقبِلها، وجعل الفرزدق يَهْجُو هِشاما وهو فى الحبس؛ فما هجاه به قوله:

تحبّسُنى بينَ المدينةِ والّتى ... إليها رقابُ النّاسِ يَهْوِى مُنِيبُها[٤]

يُقلّبُ رأساً لمْ يكنْ رأسَ سيّدٍ ... وعَيْناً لهُ حوْلاء بادٍ عُيُوبُها

(١) د، ف، حاشية ت (من نسخة): «حدث السن».

(٢) حاشية ت (من نسخة): «تركنا أكثرها».

(٣) ت: «لأرزأك». وفى حاشية ف: «يقال: مارزأته شيئا؛ أى لم آخذ منه شيئا».

(٤) ديوانه ١: ١٠٥، وفى حاشية الأصل (من نسخة): «يحبسنى»، وحاشية ف (من نسخة): «قلوب الناس يهوى»؛ وهى رواية الديوان.

مكتبة الدكتور مروان العطية

مجلس آخر [٦]

تأويل آية

إن سأل سائل فقال: ماعندكم فى تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾؛[هود: ١١٨، ١١٩].

وظاهرُ هذه الآية يقتضى أنّه تعالى ماشاء أن يكونوا أمة واحدةً وأن يجتمعوا على الإيمان والهدَى؛ وهذا بخلاف ماتذهبون إليه؛ ثم قال: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فلا يخلو من أن يكون عَنَى أنّه للاختلاف خلَقَهم، أو للرحمة؛ ولا يجوز أن يعنى الرحمة؛ لأن الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظة «ذلك»؛ ولو أرادها لقال: ولتلك خلقهم، فلما قال ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كان رجوعه إلى الاختلاف أولى. وليس يَبْطُلُ حملُ الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكوراً فيها؛ لأن الرحمةَ أيضا غير مذكورة فيها، وإذا جعلتم قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ دالاًّ على الرحمة فكذلك قوله: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ دالٌّ على الاختلاف؛ على أن الرحمةَ هى رقةُ القلب والشفقة؛ وذلك لا يجوز على الله تعالى، ومَتَى تُعُدِّىَ بها ما ذكرناه، لم يُعْنَ بها إلّا العفو وإسقاط الضرر، وما جرى مجراه(١) عن مستحقّه، وهذا مما لا يجوز أن يكونوا مخلوقين له على مذهبكم، لأنه لو خلَقَهم للعفو لماحسُنَ منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين.

الجواب، يقال له: أماقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ فإنما عَنى به المشيئة التى ينضمّ إليها الإلجاء، ولم يعْنِ /المشيئةَ على سبيل الاختيار، وإنما أراد تعالى أن يخبرَنا عن قدرته [٢٢ ظ] وأنه ممّن لا يغالَب، ولا يعصَى مقهوراً؛ من حيث كان قادراً على إلجاء العبيد، وإكراههم على ما أراد منهم.

فأما لفظة «ذَلِكَ» فى الآية فحَمْلُها على الرحمة أوْلَى من حملها على الاختلاف؛ لدليل

---

(١) د، حاشية ت (من نسخة): «مجراهما».

العقل وشهادة اللفظ ، فأما دليل العقل فمن حيثُ علمنا أنّه تعالى كرِه الاختلاف ، والذّهاب عن الدين ، ونهى عنه ، وتوعَّد عليه ، فكيف يجوز أن يكون شائياً له ، ومُجْرِياً[1] بخلق العباد إليه .

وأما شهادةُ اللفظ فلأنَّ الرحمةَ أقربُ الى هذه الكناية من الاختلاف ، وحمْل اللفظ على أقرب المذكورين إليها أوْلَى فى لسان العرب .

فأما ما طعَن به السائل ، وتعلَّق به من تذكير الكناية ، وأنّ الكناية عن الرحمة لا تكون إلا مؤنثة فباطل ، لأن تأنيثَ الرحمة غير حقيقى ، وإذا كُنِىَ عنها بلفظ التذكير كانت الكنايةُ على المعنى ، لأن معناها هو الفضل والإنعام ؛ كما قالوا : سرّنى كلمتك ، يريدون سرَّنى كلامك ، وقال الله تعالى: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى﴾ ؛ [الكهف: ٩٨] ؛ ولم يقل «هذه» ، وإنما أراد هذا فضلٌ من ربى ؛ وقالت الخنساء :

فذَلكِ يا هِنْدُ الرَّزِيَّةُ فاعْلَمِى ... وَنِيرانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُها[2]

أرادت الرُّزْء ؛ وقال امرؤ القيس :

بَرَهْرَهَةٌ رُؤْدَةٌ رَخْصَةٌ ... كَخَرْعُوبَةِ البانَةِ المُنْفَطِرْ[3]

فقال : « المنفطر » ولم يقل المنفطرة ، لأنه ذهب إلى الغصن ؛ وقال الآخر :

هَنِيئاً لسَعْدٍ ماافْتَضَى بعد وَقْعتِى[4] ... بِناقَةِ سَعْدٍ وَالعَشِيَّةُ بَارِدُ

فذكّر الوصف : لأنه ذهب إلى العشىّ ؛ وقال الآخر :

قَامَتْ تُبَكِّيهِ على قَبرِهِ ... مَنْ لِىَ مِنْ بَعْدِكَ يا عامِرُ[5]

---

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الإجراء يستعمل فى المنكر المذموم ؛ يقال : أجرى عليه فعله ، ولا يقال إلا فى الشر » .

(٢) ديوانها : ٥٩

(٣) ديوانه : ٨ . البرهرهة : الرقيقة الجلد ، والرؤدة : الرخصة الناعمة ، والخرعوبة : القضيب الغض ، والمنفطر : المنشق .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « وقفتى » .

(٥) البيتان فى العقد ٣ : ٢٥٩ ، و ٥ : ٣٩٠ ؛ ونسبهما لأعرابية على قبر ابن لها يقال له عامر .

تَرَكْتَنى فى الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ(١)   قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

فقال: « ذا غربة » ولم يقل ذات غربة ، لأنه أراد شخصا ذا غُرْبة ؛ وقال زياد الأعجم :

[٢٣ و] / إنَّ الشَّجَاعَةَ والسَّمَاحَةَ ضُمِّنَا   قَبْراً بِمَرْوَ على الطَّرِيقِ الواضحِ(٢)

فقال: «ضمنا» ولم يقل ضُمِّنَتَا ؛ قال الفرّاء: لأنه ذهب إلى أنّ السماحة والشجاعة مصدران، والعرب تقول : قِصارةُ الثوب يُعجِبُنى ؛ لأن تأنيث المصادر يرجع إلى الفعل ، وهو مذكر .

وقال الفرزدق :

تَجوبُ بِنَا الفَلَاةَ إلى سَعِيدٍ   إذَا ما الشَّاةُ فى الأَرْطَاةِ قَالَا(٣)

فذكّر الوصف ، لأنه أراد التيس؛ فأما الأرطاةُ فهى واحدة الأَرْطَى ، وهى(٤) شجر يَنْبُتُ فى الرمل تستظل بظلاله الظباء من الحرّ ، وتأوى إليه ، قال الشماخ :

إذَا الأَرْطَى تَوَسَّدَ أبردَيْهِ   خُدُودُ جَوَازِئٍ بِالرَّمْلِ عِينِ(٥)

---

(١) فى العقد : « لى وحشة » .

(٢) اللآلئ ٩٢١ ؛ وبعده :

فإذا مَرَرْتَ بقبْرِه فاعْقِرْ بهِ   كُومَ الجِلَادِ وكلَّ طِرْفٍ سَابِحِ

وفى ت ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « إن السماحة والشجاعة » .

(٣) ديوانه ٢ : ٦١٧ ، وروايته : « فروحت القلوص إلى سعيد » .

(٤) فى نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « وهو » .

(٥) ديوانه ٩٤ ، وفى حاشية ت (من نسخة) : « توسط أبرديه » ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « قبله :

إلَيْكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِى تَشَكَّى   هُزالًا بعدَ مَقْحِدِها السَّمِينِ

إذ بَرَكَتْ على شَرَفٍ وألقتْ   عَسِيبَ جِرَانِهَا كَعَصَا الهَجِينِ

إذا الأَرْطَى . . . .

المقحد : أصل السنام ، والشرف : النجد من الأرض ، وعسيب جرانها : صفحة العنق ، والهجين : الراعى ، والجوازئ : التى اكتفت بالرطب عن الماء ، وأبردا الأرطى : الغداة والمشى ؛ وقال خالد بن كلثوم : أبرداه : ظلاه ؛ الظل بالغداة والفئ بالعشى ؛ وقال ابن دريد : معناه أن البقرة تتوسد بالغداة الأرطى الذى يلى المغرب ، فإذا دارت الشمس دارت معها إلى ناحية المشرق تتوسد الغصون التى مالت عنها الشمس » . والعين : جمع عيناء ؛ وهى الواسعة العين .

وقوله: «قالا» من القَيْلُولة لا من القول، على أن قوله تعالى : ﴿إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ كما يدلّ على الرحمة يدلّ أيضاً على «أن يَرْحَم» ، فإذا جعلنا الكناية بلفظة «ذلك» عن أن يرحم كان التذكير في موضعه ؛ لأن الفعلَ مذكر، ويجوز أيضاً أن يكون قوله تعالى ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان ، وكونهم فيه أمة واحدة ؛ ولا محالةَ أنّه لهذا خلقهم ؛ ويطابق هذه الآية قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾؛ [الذاريات:٥٦] .

وقد قال قوم في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ معناه أنه لو شاء أنْ يُدْخِلهم أجمعين الجنـة ، فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم أمة واحدة ، وأجْرَى هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾؛ [السجدة:١٣]. في أنه أراد: هداها إلى طريق الجنة ، فعلى هذا التأويل أيضاً يمكن أن ترجع لفظة « ذلك » إلى إدخالهم أجمعين إلى الجنة ، لأنه إنما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها .

فأما قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ فمعناه الاختلافُ في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوَى والشبهات .

وذكر أبو مسلم ابن بحر في قوله : ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه أن خلَف هؤلاءِ الكافرين يخلُف سلَفهم في الكفر ، / [٢٣ ظ] لأنه سواء قولُك : خلَف بعضُهم بعضاً، وقولُك : اختلفوا[1] ، وسواء قولُك : قَتَل بعضُهم بعضاً ، واقتتلوا ؛ ومنه قولُهم : لا أفعلُ كذا ما اختلفَ العصران والجديدان ، أي جاءَ كلٌّ واحد منهما بعد الآخر .

فأمّا الرحمةُ فليست رقةَ القلب كما ظنه السائل ، لكنها فعل النِّعم والإحسان ، يدلّ على ذلك أنّ مَنْ أحسنَ إلى غيره ، وأنعم عليه يُوصف بأنه رحيم به ، وإن لم يُعلَم منه رقةُ قلب عليه ، بل وصفُهم بالرحمة مَنْ لا يعهدون منه رقّةَ القلب أقوى من وصْفِهم الرقيقَ القلب بذلك ؛ لأنَّ مشقةَ النعمة والفضل والإحسان على مَنْ لا رقّةَ عندهُ أكبر منها على الرقيق القلب ، وقد عَلِمنا أنّ مَنْ رقّ قلبُه لو امتنع من الإفضال والإحسان لم يوصف بالرحمة ، وإذا أنعم

(١) حاشية الأصل : « سمي الاختلاف اختلافا لأن الكلام يخالف بعضه بعضا » .

وُصِف بذلك ، فوجب أن يكون معناها ما ذكرناه ؛ على أنه لا يمتنع أن يكون معنى الرحمة فى الأصل ما ذكرتم[١] ، ثم انتقل بالتعارف إلى ما ذكرناه كنظائره . وقد وصف الله تعالى القرآنَ بأنه هُدًى ورحمة من حيث كان نعمة ، ولا يتأتّى فى القرآن ماظنوه[٢] ؛ وإنما وصفت رقة القلب بأنها رحمة ؛ لأنّها ممّا تجاوره الرحمةُ التى هى النعمة فى الأكثر ، وتوجد عنده ، فحلَّ محلَّ وصفِ الشهوة بأنّها محبة لمّا كانت توجدُ عندها المحبة فى الأكثر ؛ وليست الرحمةُ مختصةً بالعفو ؛ بل تستعمل فى ضُروب النِّعَم، وصنوف الإحسان ؛ ألا تَرى أنّا نصف المنعِمَ على غيره، المحسِنَ إليه بالرحمة ، وإن لم يُسقط عنه ضرراً ، ولا تجاوز له عن زَلّة ؛ وإنما سمى العفوُ عن الضرر وما جرى مجراه رحمةً من حيث كان نعمة ؛ لأنّ النعمةَ بإسقاط الضرر تجرى مجرى النعمة بإيصال النفع ، فقد بانَ بهذه الجملة معنى الآية ، وبطلانُ ما ضمنه السائل سؤاله .

فإن قيل : إذا كانت الرحمةُ هى النعمةَ ، وعندكم أن نِعَمَ الله تعالى شاملةٌ للخلق أجمعين ، فأىُّ معنًى لاستثناء ﴿ مَنْ رَحِمَ ﴾ من جملة المختلفين إن كانت الرحمة هى النعمة ؟ وكيف يصحّ اختصاصها بقوم دون قوم وهى عندكم شاملة عامّة ؟

قلنا : لا شبهةَ فى أنَّ نعَم الله شاملة للخلق أجمعين ؛ غيرَ أنّ فى نعَمِه أيضاً ما يختصُّ
[٢٤ و] بها بعضُ العباد[٣] ، إما لاستحقاق ، أو لسبب يقتضي الاختصاص / فإذا حملْنا قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ على النعمة بالثواب ، فالاختصاص ظاهر ، لأن النعمةَ به لا تكون إلا مستحَقّة ، فمن استحقّ الثواب بأعماله وَصل إلى هذه النعمة، ومَنْ لم يستحقّه لم يصل إليها .

وإن حملْنا الرحمة فى الآية على النعمة بالتوفيق للايمان واللطف الذى وقع بعده فعل الإيمان كانتْ هذه النعمةُ أيضاً مختصّة ، لأنّه تعالى إنما لم يُنعم على سائر المكلّفين بها ؛ من حيثُ

(١) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : ماذكر .

(٢) س : « قالوه » .

(٣) ت : « الخلق » .

لم يكن فى معلومه تعالى أنّ لهم توفيقاً، وأنّ فى الأفعال مايختارون عنده الإيمان؛ فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لايمنع من شُمول نِعَمٍ أُخَرَ لهم؛ كما أن شمولَ تلك النعمِ لا يمنع من اختصاص هذه .

تأويل خبر

روَى أبو مسعود البدرىّ عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال : « ممّا أدركَ النـاسُ من كلام النبوّة الأولى إذا لم تَسْتَحْىِ فاصنعْ[(١)] ما شئت » .

وفى هذا الخبرِ وجوهٌ من التأويل ثلاثة :

أحدُها أن يكونَ معناه : إذا عمِلتَ العملَ للهِ جلّ وعزّ وأنت لا تستحيى من الناظرين إليك ، ولا تتخوّفهم[(٢)] أن ينسُبوك فيه إلى الرياء صنعتَ ما شئت ، لأن فكرَك فيهم ، ومراقبتَك لهم يَقْطعانِك عن استيفاء شروطِ عملِك، ويمنعانِك من القيام بحدوده وحقوقِه ؛ وإذااطّرحتَ الفِكْرَ توفّرت على استيفاء عملك .

والوجه الثـانى أنّ مَنْ لم يَسْتَحْىِ من المعايرِ والمخازى والفضائحِ صنَع ما شاء ، والظاهر[(٣)] ظاهرُ أمرٍ ، والمعنى معنى تغليظٍ وإنكار ؛ مثل قوله تعالى:﴿ اعْمَلُوا مَاشِئْتُمْ ﴾ ؛ [فصلت : ٤٠]، وقوله عزوجل: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ؛[الكهف:٢٩]؛ وهذا نهايةُ التغليظ والزجْر والإخبار عن كِبَرِ[(٤)] الذنب فى اطّراح الحيـاء ؛ ويجرى مجرى قولهم : بعدَ أن فعلَ فلان كذا فليفعل مايشاء ، وبعدَ أن أقدم على كذا فلْيُقْدم على ماشاء؛ والمعنى المبالغةُ فى عِظَم ما ارتـكبه ، وقبْح[(٥)] ما اقترفَه .

والوجه الثالث أن يكونَ معنى الخبر إذا لم تفعل ما تستحيى منـه فافعل ما شئتَ ؛

(١) حاشية ت (من نسخة) : « فافعل » .
(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « خاف وتخوف بمعنى » .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « فالظاهر » .
(٤) حاشية ت (من نسخة) : « عظم الذنب » .
(٥) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « وقبيح » .

فكأنَّ معنى[١] الخبر إذا لم تفعلْ قبيحاً فافعل ما شئت ، لأنه لا قبيحَ[٢] من ضروب القبائح إلا والحياءُ يصاحبه ، ومن شأنِ فاعلِه إذا قُرِّع به أن يَستحييَ منه ، فمتى جانب /الإنسانُ ما يستحَى منه من أفعاله فقد جانبَ سائرَ القبائح ، وما عدا القبيحَ من الأفعال فهو حسن . [٢٤ ظ]

ويجرى هذا مَجرى خبرٍ روى فيما أظن عن نبينا عليه السلام أنّ رجلا جاءه[٣] فاسترشده إلى خَصْلة يكون فيها جِماع الخير ، فقال له عليه السلام : « أشترطُ عليكَ ألّا تكذِبَنى ، ولن أسألَك[٤] ما وراءَ ذلك » . فهان على الرجل تَركُ الكذب خاصّة ، والمعاهدةُ على اجتنابه دونَ سائر القبائح ، وشرَط على نفسه ذلك ، فلمّا انصرف جعل كلّما همّ بقبيح يفكِّر[٥] ويقول : أرأيتُ لو سألنى عنه النبى صلى الله عليه وآله ما كنتُ قائلا له ، لأننى إن صدقته افتضحتُ ، وإن كذبتُه نقضتُ العهدَ بينى وبينه ؛ فكان ذلك سبباً لاجتنابه لسائر القبائح[٦] ، وهكذا معنى الخبر الذى تأوّلناه ؛ لأن فى اجتناب ما يُستحَى منه اجتناباً لسائر القبائح .

(١) م : « المعنى » . (٢) م : « لاضرب » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « أتاه » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « عما » .

(٥) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « يفكر » ؛ بإسكان الفاء وكسر الكاف .

(٦) حاشية ف : « قال السيد الإمام ضياء الدين : وفى رواية أخرى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأسلم ثم قال : أنا آوخذ من الذنوب بما ظهر ، وأنا أستتر بخلال أربع : الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب ؛ فأيتهن أحببت تركت ، قال : دع الكذب ؛ فلما تولى من عند النبى صلى الله عليه وآله هم بالزنا ؛ فقال : يسألنى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن جحدت نقضت ما جعلت ، وإن أقررت حددت ، ثم هم بالسرقة ثم بشرب الخمر ؛ فتفكر فى مثل ذلك ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يارسول الله ، تركتهن أجمع . قال السيد : إنما كتبت هذه الرواية هاهنا ؛ لأن هذه مفصلة ، وتلك مجملة ، ولأنى رأيت السيد غير محقق فيما أورده » .

تأويل خبر آخر

روى محمد بن الحنفيّة رحمة الله عليه عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان قد كُثِّرَ على مارِيَة القِبْطِيّة أم إبراهيم فى ابن عم لها قِبْطِىّ كان يزورها ، ويختلف إليها ، فقال لى النبى صلى الله عليه وآله : « خذ هذا السيف وانطلِق ، فإن وجدتَه عندها فاقتله ». قلت : يا رسول الله ، أكون فى أمرك إذا أرسلتنى كالسِّكّة[1] المحمّاة ، أمضى لما أمرتَنى ، أم الشاهدُ يَرى ما لا يَرى الغائب؟ فقال لى النبى صلى الله عليه وآله : « بل الشاهدُ يَرى ما لا يَرى الغائب » . فأقبلتُ متوشّحاً[2] بالسيف ، فوجدتُه عندها ، فاخترطتُ السيفَ ، فلما أقبلت نحوه عرَف أنى أريده ، فأتى نَخْلة فرقِىَ إليها ، ثم رمى بنفسه على قفاه ، وشغَر برجليه ، فإذا إنه أجبُّ أمْسح ، ماله مما للرجال قليل ولا كثير ، قال : فغمدتُ السيف ورجعت إلى النبى صلى الله عليه وآله فأخبرته ، فقال : « الحمدُ لله الذى يصرف[3] عنّا أهلَ البيت » .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه : فى هذا الخبر أحكام وغريب ، ونحن نبدأ بأحكامه ، ثم نتلوها بغريبه .

فأول ما فيه أن لقائل أن يقول : كيف يجوز أن يأمرَ الرسول عليه السلام بقتل رجل على التُّهَمَة[4] بغير بينة ولا مايجرى مجراها؟ والجواب عن ذلك أن القِبْطِىّ جائز أن يكون من أهل/العهد الذين أخِذ عليهم أن تجرى فيهم[5] أحكامُ المسلمين، وأن يكون الرسول عليه السلام [٢٥ و] تقدم إليه بالانتهاء عن الدخول إلى مارية، فخالف وأقام على ذلك ، وهذا نقضٌ للعهد، وناقض

---

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « السكة : الحديدة التى تكون على طرف آلة الفدان ، والفدان آلة الأكرة » . (٢) توشحت بالسيف ؛ إذا تقلدته .

(٣) حاشية ت من نسخة : « صرف » ، و د : « صرف عنا الرجس أهل البيت » ، و ط ، م : « يصرف عنا الرجس أهل البيت » . (٤) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « التهمة ؛ بالتحريك هو الصحيح » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « عليهم » .

العهد من أهل الكفر مؤذنٌ بالمحاربة ؛ والمؤذَنُ بها مستحقٌّ للقتل .

فأما قوله: « بل[1] الشاهد يَرى مالا يَرَى الغائب[1] » فإنما عنى به رؤية العلم لا رؤية البصر لأنه لا معنى فى هذا الموضع لرؤية البصر ، فكأنه عليه وآله السلام قال : بل الشاهد يعلم؛ ويصحّ له من وجه الرأى والتدبير مالا يصحّ للغائب ؛ ولو لم يقل ذلك لوجب قتلُ الرجل على كل حال ، وإنما جاز منه عليه الصلاة والسلام أن يخيّر بين قتله والكفّ عنه ، ويفوض الأمر فى ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام من حيثُ لم يكن قتله من الحدود والحقوق ، التى لا يجوز العفو عنها ، ولا يسعُ إلا إقامتها ، لأن ناقض العهد ممّنْ إلى الإمام القائم بأمر[2] المسلمين إذا قدرَ عليه قَبْل التوبة أن يقتلَه، أو أنْ يمنّ عليه .

ومما فيه أيضا من الأحكام اقتضاؤه أن مجردَ أمرِ الرسول صلى الله عليه وآله لا يقتضى الوجوبَ ، لأنه لو اقتضَى ذلك لما حسُنَت مراجعته ولا استفهامه ؛ وفى حسْنها ووقوعها موقعها دلالة[3] على أنها لا تقتضى ذلك .

ومما فيه أيضا من الأحكام دلالتُه على أنه لا بأس بالنظر إلى عورة الرجل عند الأمر يَنْزِل فلا يوجد من النظر إليها بدّ إمّا لحدٍّ يقام ، أو لعقوبة تَسقط ، لأن العلم بأنه أمْسح أجَبّ لم يكن إلا عن تأمّل ونظر ، وإنما جاز التأمل والنظر لتبيين : هل هو ممّنْ يكون منه ما قُرِف به أولا ، والواجب على الإمام فيمَن شُهد عليه بالزنا ، وادّعى أنه مجْبوب أن يأمر بالنظر إليه ، وتبيين أمره ، وبمثله أمر النبى صلى الله عليه وآله فى قتل مُقاتلة بنى قُرَيْظة، لأنه أمر أن ينظروا إلى مُؤْتزَر ، وكلّ مَن أشكل عليهم أمره ، فمن وجدوه قد أنبتَ قتلوه ، ولولا جواز النظر إلى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة الزنا ؛ لأن من رأى رجلا مع امرأة واقعاً عليها متى لم يتأملْ أمرَهما حقّ التأمل لم تصحّ شهادته ، ولهذا قال النبى

(١ــ١) حاشية ت (من نسخة) : « بل لايرى الشاهد مايرى الغائب » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بأمور » .

(٣) ط : « وفى حسنها ووقعها دلالة .. » ، م : « وفى حسنها ووقعها موقعها » .

صلى الله عليه وآله لسعد بن عبادة ، وقد سأله عمّنْ وَجَد مع امرأته رجلا ، أيقتله ؟ / فقال [٢٥ ظ] صلى الله عليه وآله : لا، حتى يأتى بأربعة شهداء، ولو لم يكن للشهداء إذا حضروا تعمّدُ النظر إلى عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورُهم كغَيْبَتِهم ، ولم تقمْ شهادة الزّنا ؛ لأن مِن شرطها مشاهدة العضو فى العضو كالمِيل فى المُكْحلة .

فإن قيل : كيف جازَ لأمير المؤمنين الكفُّ عن القتل ، ومِنْ أى جهةٍ آثره لما وجده أجبّ ، وأىّ تأثيرٍ لكونه أجبَّ فيما استحقّ به القتل وهو نقض العهد ؟ قلنا : إنه عليه السلام لما فُوِّضَ إليه الأمر فى القتل والكفّ كان له أن يقتلَه على كلّ حال ، وإنْ وجَده أجَبّ؛ لأنَّ كونَه بهذه الصفة لا يُخرِجه من نقض العهد ، وإنما آثَر الكفَّ الذى كان إليه ، ومفوّضاً إلى رأيه ، لإزالة التّهمة والشك الواقعين فى أمر مارِيَة، ولأنه أشفق من أن يقتله ، فيتحقّق الظنّ ويلحق بذلك العار ، فرأى عليه السلام أن الكفّ أولَى لما ذكرناه.

فأمّا غريب الحديث[١] فقوله : «شَغَر [٢]برجليه» يريد رفعهما[٢]، وأصلُه فى وصف الكلب إذا رفع رجله للبول ، فأما نكاح الشِّغار[٣] ـ وقد قيل الشَّغار بالفتح ـ فهو أن يزوِّج الرجلُ مَنْ هو وَلِيٌّ لها منْ بنتٍ أو أختٍ غيرَه ، على أن يزوجه بنتَه أو أختَه بغير مهْر . وكان أحدُ العرب فى الجاهلية يقول للآخر: شاغِرْنِى ؛ أى زوّجنى حتى أزوِّجك ؛ وأظنه مأخوذاً من الشَّغْر الذى هو رفع الرجل ، لأن النكاح فيه معنى الشَّغْر ، فسمِّى هذا العقد شِغارا ومشاغرة ، لإفضائه فى كل واحد من المزَوّجين[٤] إلى معنى الشَّغْر ، وصار اسما لهذا النكاح كما قيل فى الزنا سِفاح ، لأن الزانيَيْن يتسافحان الماء ، أى يسكُبانه ، والماء هو النُّطْفة، ويمكن أن يكون أيضا الماء الذى يغتسلان به ، فكُنِّى بذلك عن الزناء[٥] ثم صار اسماً له وعلماً عليه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الخبر » . (٢ــ٢) حاشية ت (من نسخة) : « برجليه يريد رفعهما » . (٣) ت ، ف : « الشغار ، بالكسر » . (٤) ت ، ف : « المتزوجين » .

(٥) حاشية ف : « الزنا والزناء كلاهما صحيح » .

ومن الشَّغْر الذى هو رَفْعُ الرجل قول زياد لابنة معاوية ، وكانت عند ابنه ، فافتخرتْ يوما عليــه ، وتطاولتْ ، فشكاها إلى أبيه زياد ، فدخل عليها بالدِّرّة يضربُها ، ويقول لها أشَغراً وفَخْراً ! وأما قولُ الفرزدق :

شَغّارَةٍ تَقِذُ الفَصِيلَ بِرِجْلِها فَطّارَةٍ لِقَوَادِمِ الأَبْكَارِ[1]

[٢٦ و] / فإنه من غريب شعره ، وفسره قال: معنى «شغارة» أنها ترفع رجلها للبول، وقوله: «تَقِذُ الفصيل برجلها» ، أى تَرْكُله وتدفعُه عن الدنوّ إلى الرّضاع ، ليتوفَّر اللبن على الحلْب ، وأراد «بتقذُه»[2] ، أى تبالغ فى إيلامه وضربه ، ومنه الموقوذة[3] ؛ فأما قوله : «فطّارة لقوادم الأبكار» ، فالفَطْرُ هو الحلْب بثلاث أصابع ، والقوادم هى الأخلاف ، وإنما خصَّ الأبكار بذلك ؛ لأنّ صغر أخلافها يمنع من حلْبها ضَبًّا[4] ، والضبُّ هو الحلْب بالأصابع الأربع[5] ؛ فكأنه لا يمكن فيها لقِصَر أخلافها إلا الفَطْر ؛ ومعنى البيت تعييرُه نساءَ جرير بأنهنَّ راعيات ، وذلك مما تُعَيِّر به العربُ النساء ؛ ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت :

كَمْ عَمَّةٍ لكَ يا جَرِيرُ وخَالَةٍ فَدْعاءَ قد حَلَبَتْ علىّ عِشَارِى[6]
كُنا نُحاذِرُ أنْ تُضِيعَ لِقَاحَنَا وَلَهاً إذا سَمِعَتْ دُعاءَ يَسَارِ[7]

ثم تلا ذلك بقوله : شغارة ...

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وعندى أن قوله «شغّارة» كناية عن رفع رجلها للزنا ، وهو أشبه بأن يكونَ مرادُه فى هــذا الموضع ، ألا ترى أنه قد وصفها بالوَلَه ، وترك

(١) ديوانه ٢ : ٤٥٢ .
(٢) ف حاشية ت (من نسخة) : « تقذ » .
(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الموقوذة : الشاة التى يرميها الراعى بالعصا فتموت » .
(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « ضفا ؛ والضف هو الحلب » .
(٥) م : « الأربع كلها » .
(٦) فى حاشيتى الأصل ، ف . « الفدع : اعوجاج فى الزند ، وعلى تتعلق بمحذوف ، كأنه قال متخففة علىّ ، أو قائمة علىّ » ، والعشار : جمع عشراء ؛ وهى الناقة التى أتى عليها من وضعها عشرة أشهر » .
(٧) فى حاشيتى الأصل ، ف : « اللقاح : جمع لقحة ؛ وهى الناقة الحديثة العهد بالنتاج » .

حفظ اللِّقاح عند سماعها دعاء يَسار ؛ ويَسار اسمُ لراع ؛ فكأنه قد وصفها بالوَلَه إلى الزِّنا والإسراع إليه، وترك حفظ مااستُحْفِظَتْهُ من اللِّقاح؛ فالأشبه أن يكون قوله: «شغَّارة» ــ مع كونه عقيب البيت الذى ذكرناه ــ محمولا على ما أشرنا إليه .

فأما قولهم : ذهبوا شغَرَ بغَرَ فليس من هذا فى شىء وإنما يُراد به أنهم ذهبوا متفرِّقين متشتتين ، ومثله ذهبوا عَباديد وعَبابيد ، وشَعاليل وشَعارير وأيادىَ[1] سبا ؛ كلُّ ذلك بمعنى واحد .

وأما قوله: «فإذا أنه أجَبّ»، فيعنى به المقطوعَ الذكَر ؛ لأن الجَبّ هو القطع ؛ ومنه بعير أجَبّ إذا كان مقطوع السَّنام : وقد ظن بعضُ مَنْ تأول هذا الخبر أن الأمْسَحَ ههنا هو القليلُ لحم الأَلْيَة ، كالأرْصَع والأرْسح والأزلّ[2] ، وهذا غلط، لأن الوصفَ بذلك لا معنى له فى الخبر ، وإنما أراد تأكيد الوصف له بأنه أجَبُّ، والمبالغة فيه، لأن قوله : «أمْسَح» [٢٦ ط]
يفيد أنه مصْطلِم[3] الذَّكَر ، ويزيد على معنى أجبّ زيادة ظاهرة .

* * *

أخبرنا أبو عبيد الله المرزُبانىّ قال حدثنى القاسم بن الحسين الورّاق قال حدثنا سليمان ابن داود الطُّوسىّ قال حدّثنا سوّار بن عبد الله القاضى عن الأصمعىّ قال : دخلتُ على

---

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « أيادى ، يجوز أن تكون نصباً على الحال ، وعلى المصدر أيضا ؛ فإذا كان حالا كان التقدير : تفرقوا أمثال أيادى سبا ، وإذا كان مصدرا فالتقدير : تفرقوا تفرق أولاد سبا » . وفى حواشى الأصل ، ت ، ف أيضا : « يقال تفرقوا أيادى سبا ، وفى معناه قولان : أحدهما أنه سبأ بن يشجب، والأيادى : الأولاد ، وفيه إنه من السبى ، ووزنه فعل ؛ وحينئذ ينصرف ، وإنما صار الأولاد أيادى ؛ لأنه يستعان بهم كما يستعان بالأيادى ، والأيادى جمع الجمع ، يد وأيد وأياد » .

(٢) حاشية ف : « الأرصع والأرسح والأزل : قليل لحم الورك » .

(٣) حاشية ف . « مصطلم : مقطوع الذكر » .

الرشيد[1] فى الليل ، فتذاكرنا أحوالَ القمر ، فقلت : العرب تقول للقمر إذا كان ابنَ ليلة: ماأنتَ ابنَ ليلة[2]؟ قال:رضاعُ سُخَيْلَة،حلَّ أهلُها برُمَيْلَة. قيل له:ماأنت[3] ابنَ ليلتين؟ قال: حديثُ أَمَتَيْن، بكذب ومَيْن. قيل له : ما أنت ابنَ ثلاث ؟ قال : قليل اللَّباث ـ وقيل أيضاً : حديثُ فَتيات ، غيرِ جِدٍّ مؤتلفات ـ قيل له : فما أنت ابنَ أربع ؟ قال : عتمةُ أمِّ رُبَع ـ وقيل: عَتَمَةُ أم الرُّبع[4] ـ غير جائع ولا مُرْضَع . قيل له : فماأنت[5] ابنَ خمس ؟ قال : عَشاء خَلِفات قُعْسٍ ـ ويقال : حديث وأُنْس ، ويقال : سرْ ومَسٍّ[6] ـ قيل له : ما أنت[7] ابنَ ست ؟ قال سرْ وبِتْ ـ وقيل : تحدَّث[8] وبِت ـ قيل له : ما أنت[9] ابنَ

---

(١) حاشية ف : « حدث عبيد الله بن محمد التيمى قال : أراد الرشيد سفرا ؛ وأمر الناس أن يتأهبوا لذلك ، وأعلمهم أنه خارج مد الأسبوع ؛ فمضى الأسبوع ولم يخرج ، فاجتمعوا إلى المأمون يسألونه أن يستعلم ذلك ؛ ولم يكن الرشيد يعلم أن المأمون يقول الشعر ؛ فكتب إليه المأمون :

يَاخَيرَ مَنْ خَبّتِ الْمطِىُّ بِهِ ... وَمَنْ تَقَدَّى بِسرْجِهِ فَرَسُ

هَلْ غَايَةٌ فى المسير نَعْرِفُها ... أَمْ أَمْرُنا فى المسيرِ مُلْتَبِسُ

ماعِلْمُ هـذا إلاَّ إلى مَلِك ... مِنْ نُورِه فى الظَّلام ِ يقْتَبَسُ

إنْ سِرْتَ سَارَ الرَّشَادُ مُتَّبِعاً ... وإن تقِفْ بالرَّشاد يَحْتَبِسُ

فقرأها الرشيد وسرّ بها ، ووقع فيها : يابنىّ ، ماأنت والشعر ! أما علمت أن الشعر أرفع حالات الدنى ، وأقل حالات السرى ! والمسير إلى ثلاث إن شاء الله .

ـ قول المأمون فى شعره : « ومن تقدى بسرجه فرس » ، تقدى أى استمر ؛ كما قال ابن قيس الرقيات :

تَقَدَّتْ بِى الشَّهْبَاءُ نحوابن جَعْفرٍ ... سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

أى استمرت وجرت قاصدة إليك » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « أى أستفهمك عن نفسك فى حال كونك ابن ليلة » .

(٣) ط ، م : « فما أنت » .   (٤) د ، حاشية ف (من نسخة) : « أم ربع » .

(٥) ت ، د : « ماأنت » .

(٦) فى حاشيتى ت ، ف : « مس ، أى ليكن سيرك مساء للضوء » .

(٧) ط ، م : « فما أنت » .

(٨) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « حدث » .

(٩) د ، ت، ف : « قيل : ماأنت » . ط ، م : « قيل فما أنت » .

سبع؟ قال دَلْجة[1] ضَبْع[2] ـ وقيل هُدًى لأنسٍ[3] ذي الجَمْع، وقيل: حديث جمع، وقيل: يُضْفَرُ في النِّسْع[4]، وقيل: يُلْتَقَطُ في الجَزْع ـ قيل: ما أنت ابنَ ثمانٍ؟ قال: قمرٌ إضْحِيان[5]. قيل: له: ما أنت ابنَ تسع؟ قال منقطِع الشِّسْع ـ وقيل يُلْتَقَطُ في الجَزْع، وقيل: الوَدْعُ[6]، وقيل عَشِيّة أهل جَمْع ـ قيل له: ما أنت ابنَ عشر؟ قال: ثُلُث الشهر، ـ وقيل: مُحَنِّقُ الفجر، وقيل: أؤدّيك إلى الفجر، وقيل: أبادر الفجر ـ قيل له: ما أنت ابنَ إحدى عشرة[7]؟ قال: أطلُع عِشاءً، وأُرى بُكْرة ـ وقيل: أغيبُ بِسُحْرَةٍ ـ قيل: له ما أنت ابنَ اثنتي عشرة؟ قال: مُؤْنِق للبَشَر[8]، بالبدو والحَضَر. قيل: ما أنت ابنَ ثلاثَ عشرة؟ قال: قمرٌ باهر، يَعْشَى له الناظر؛ قيل له: ما أنت ابنَ أربعَ عشرة؟ قال: مُقتَبَلُ الشباب، أُضيءُ مُدْجِناتِ[9] السَّحاب ـ وقيلَ مُضِيءٌ[10] للسحاب ـ قيل له: ما أنت ابنَ خمسَ عشرة؟ قال: تمَّ الشَّباب، وانتصف الحِساب.

---

(١) س: «بضم الدال»، ت: «بضم الدال وفتحها معا».

(٢) في نسخة بحاشيتي ت، ف: «الضبع».

(٣) ج، س: «لأنس ذي الجمع»، بتنوين السين.

(٤) النسع: سير مضفور مثل الأعنة.

(٥) ت، س: «قمر إضحيان»، بالإضافة؛ وفي حاشية الأصل (من نسخة): «قمر أضحيان»، بضم الهمزة. وفي حواشي الأصل، ت، ف: «قمر إضحيان وليلة ضحيانة، بالكسر؛ هو المعروف الصحيح».

(٦) الودع: خرز أبيض يخرج من البحر؛ معروف.

(٧) في حاشيتي ت، ف: «يقال: إن ما بعد العشر موضوع لم يرو عن قدماء العرب».

(٨) في نسخة بحاشيتي ت، ف: «مونق البشر».

(٩) حاشية ف: «أضيء مدجنات السحاب؛ التقدير: السحاب المدجنات؛ وهذا من باب ما يقال له إضافة الصفة إلى الموصوف في الظاهر؛ كقول: مررت بحسان النساء، وجسام الرجال؛ أي النساء الحسان والرجال الجسام».

(١٠) ت، ف، وحاشية الأصل (من نسخة): «مضيء السحاب».

قيل له: ماأنت[١] ابنَ ست عشرة ؟ قال : نَقَص[٢] الخلْق ، بالغرب والشرق . قيل له : ما أنت ابنَ سبع عشْرة ؟ قال : أمْكَنَتِ الْمُقْتفِرَ القِفْرَة[٣] . قيل له ما أنت ابنَ ثمانى عشرة[٤] ؟ قال : قليل البقاء ، سريع الفناء . قيل له : ماأنت ابنَ تسعَ عشرة ؟ قال : بطىء الطلوع / بيّن الخشوع . قيل : ما أنت ابنَ عشرين ؟ قال : أطلُع بِسُحْرَةٍ ، وأضىء [٢٧ و] بالبُهْرة[٥] — وقيل : ثم أهَجِّر[٦] بالبُهْرة — قيل : ما أنت ابنَ إحدى وعشرين ؟ قال : كالقَبَس ؛ يُرَى بالغَلَس . قيل : ما أنت ابنَ اثنين وعشرين ؟ قال : لا أطلُع إلا رَيْثما أُرى . قيل : ما أنت ابنَ ثلاث وعشرين ، قال : أطلُع فى قُتْمة ، ولا أجْلُو الظُّلْمة . قيل له : ما أنت ابنَ أربع وعشرين ؟ قال: لا قمرٌ ولا هلال . قيل : ماأنت ابنَ خمس وعشرين ؟ قال: دنا الأجل، وانقطع الأمل . قيل : ما أنت ابنَ ست وعشرين ؟ قال : دنا مادنا؛ فلا يُرى مِنّى إلا شفَا. قيل: ماأنت ابنَ سبع وعشرين ؟ قال : أطلع بَكِراً، ولا أُرى ظهرا . قيل : ما أنت ابنَ ثمان وعشرين ؟ قال : أسبق شُعاع الشمس . قيل : ما أنت ابنَ تسع وعشرين ؟ قال : ضئيلٌ صغير ، فلا يرانى إلا البصير . قيل : ما أنت ابنَ ثلاثين ؟ قال : هلال مُسْتَنِير[٧] .

قال الأصمعىّ : ثم قلتُ للرشيد : يقال إنه لا يحفظ هذا الحديثَ من الرجال إلا عاقل ،

(١) ت ، ف : « قيل ماأنت » . (٢) م : « ناقص الخلق » .

(٣) حاشية ف (من نسخة) : « المقفرة » .

(٤) فى نسخة حاشيتى الأصل ، ف : « ثمان عشرة » .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف « البهرة : نصف الليل ؛ يقال ابهار الليل ؛ إذا انتصف ، وبهرة كل شىء وسطه » . ص : « البهرة البهرة : الوسط من كل شىء ، وكأنه إشارة إلى نصف النهار ؛ ويدل عليه ذكر التهجير ؛ والله أعلم » .

(٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « معنى قوله : « أهجر بالبهرة » ، أى أطلع نصف الليل ، واستعمل الهجير ؛ وهو نصف النهار فى الليل استعارة » .

(٧) ف ، وحاشية ت (من نسخة): « مستسر » ، وفى نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « مستسر » ، وفى حاشية ف : « مستسر ، من السرار ؛ وهو آخر الشهر » . وفى حاشية الأصل أيضا (من نسخة) : « مستبين » .

فقال: خذه عليَّ، قلت: هاتِ، فأعاده حتى بَلغ: «قيل له: ما أنت ابنَ ثمان؟ قال: قمرٌ أُضْحِيان».

أما قوله: «رَضاع سُخَيْلة» أراد تصغيرَ سَخْلة، والمعنى أنّ القمرَ يبقَى بقدْر ماينزل قوم، فتضَعُ شاتُهم سَخْلة، ثم تُرْضِعها ويرتحلون، فبقاؤه بالأفُق بمقدارِ هذا الزمان. وقوله: «حَلَّ أهلُها برُمَيْلة» أظنّ أنّ المعنى فيه الإخبارُ عن قلة اللَّبَاث وسرعة الانتقال؛ لأن الرَّملَ ليس بمنزل مُقام للقوم؛ لأنهم كانوا يختارون فى منازلهم جَلَدَ[١] الأرضِ وهَضْبَها والأماكنَ التى لاتستولى السيولُ عليها، فَخصّ الرُّمَيْلة لهذا المعنى. وقوله «حديثُ أمتَيْن، بكذبٍ ومَيْن» يريد أن بقاءه قليل بمقدار ماتلْقَى الأَمَةُ الأمَةَ، فتكذِبُ لهاحديثاً ثم تفترقان. وقوله: «حديث فتياتٍ، غيرِ جدٍّ مؤتلفات»، أراد أنه يبْقَى بقاءَ فتيات اجتمعن على غير ميعاد، فتحادثْن ساعة ثم انصرفن غيرَ مؤتلفات. وقوله «عتمة أم رُبَع[٢]»، يقال: عتَّمتْ إبلُه إذا تأخرتْ عن العَشاء، ومن هذا سمِّيتْ صلاة العَتَمَة؛ لأنها آخرُ الوقت فى العِشاء، وقوله «أم رُبَع» يعنى الناقة، وهو تأخير حَلْبها؛ يريد أن بقاءه بمقدار ماتُحْلَب[٣] ناقة لهاولد ولدتْه فى أول الربيع/؛ وهو أول النِّتاج، والولد فى هذا الوقت يُسَمَّى رُبَعاً، إذا كان ذكراً، [٢٧ ظ] فإن كان أنثى قيل رُبَعة، فإن كان فى آخر النِّتاج قيل هُبَع للذكر وللأنثى هُبَعة. وقوله: «عَشاء خَلِفاتٍ قُعس»؛ فالخلِفات اللواتى قد استبان حملُهن، واحدتها خَلِفة، وهى المخاض؛ ولاواحدَ للمخاض من لفظها[٤]، وإنماقال: «عَشاء خَلِفات»؛ لأنها لا تُعشَّى إلى أن يغيبَ القمر فى هذه الليلة، والقَعْساء الداخلة الظَّهر الخارجة البطن. وقوله: «سِرْ وبِتْ» يريد أنه لايبقى إلا بقدْر (٥ما يبيت الإنسان ثم يسير٥)، يريد أنه يبقى بقدر مايسير الإنسان ثم يبيت،

---

(١) الجلد من الأرض: الصلب المستوى.

(٢) ط، م: «أم الربع». (٣) فى نسخة بحاشيتى ت، ف: «حلب ناقة».

(٤) كذا فى ش، وفى ج: «لفظه».

(٥–٥) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «ما الإنسان ثم يسير يبيت».

فقلب المعنى لأنه يسير فى الضوء .

وقوله : « قمرٌ إضحيانٌ » ؛ أى ضاحٍ وبارز ، ويقال : « قمرٌ إضحيانٌ » بالتنوين فيهما جميعاً ، و « قمرُ إضحيانٍ » بالإضافة ، ومنه قيل : ليلة إضحيانة ، إذا كانت نقيَّة البياض .

وقوله : « منْقَطع الشِّسع » ، أراد أنه يبقى بقدر ما تبقَّى شِسْع من قدٍّ يُمشى به حتى ينْقَطع.

وقوله : « يُلتَقط فىَّ الجزْع » ،أى أنه مضىء أبلج ، لو انقطعتْ مِخْنَقة فتاة فيها شذُورٌ مفصَّلة بجَزْع ماضاع منها شىء لضيائه ونقائه . وقوله : « أضىء بالبُهْرَةِ » ، يعنى به وسط الليل ، لأن بُهْرَة الشىء وسطه . وقوله : « أمكنت المقتفِرَ القِفْرة » ؛ فالمقتفر الذى يتبع الآثار ، ومقتفراته مواضعه التى يقصدها[١] .

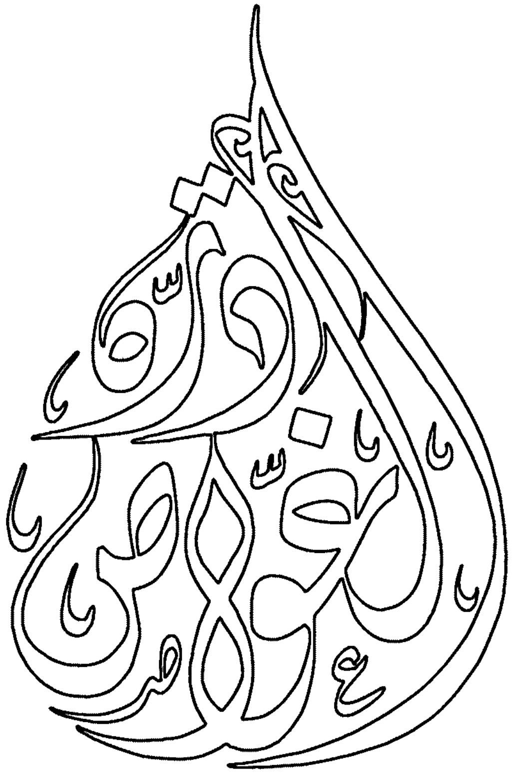

(١) فى نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « وقفرته : موضعه الذى يقصده » .

مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ [الإسراء: ٧٢] فقال: كيف يجوز أن يكونوا فى الآخرة عمياً ، وقد تظاهرَ الخبر عن الرسول عليه وآله السلام بأنّ الخلق يُحشَرون كما بُدِئوا سالمين من الآفات والعاهات ، قال الله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾؛ [الأعراف : ٢٩]،وقال عزّ وجل: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾؛ [الأنبياء : ١٠٤]،وقال جلّ وعلا: ﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾؛ [ق : ٢٢].

الجواب ، يقال فى هذه الآية أربعة أجوبة[1]:

أحدها أن يكون العمى الأول إنما هو عن تأمّل الآيات ، والنظر فى الدّلالات والعِبَر التى أراها الله المكلَّفين فى أنفسهم وفيما يشاهدون ، ويكون العَمى الثانى هو عن الإيمان بالآخرة ، والإقرار / بما يُجازَى به المكلَّفون فيها من ثواب أو عقاب ، وقد قال قوم: [٢٨ و] إن الآية متعلّقة بما قبلها من قوله تعالى : ﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ؛ [الإسراء : ٦٦] إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾؛ [الإسراء: ٧]،ثم قال بعد ذلك : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ؛ يعنى[2] فى هذه النعم ، وعن هذه العِبر ، فهو فى الآخرة أعمى ؛ أىْ هو عمّا غُيِّبَ عنه من أمر الآخرة أعمى ، ويكون قوله : ﴿ فِي هَٰذِهِ ﴾ كناية عن النِّعم لا عن الدنيا ويقال : إن ابن عباس رحمة الله عليه سأله سائل عن هذه الآية فقال له: اتلُ ما قبلها، ونبَّهه على التأويل الذى ذكرناه .

---

(١) م : « أوجه » .   (٢) د ، ف ، حاشية ت (من نسخة) : « يعنى عن هذه النعم » .

والجواب الثانى: ﴿ مَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ ﴾ يعنى الدنيا ﴿ أَعْمَى ﴾ عن الإيمان بالله والمعرفة بماأوجب عليه المعرفة به ؛ فهو فى الآخرة أعمى عن الجنة والثواب؛ بمعنى أنه لا يُهْتَدَى إلى طريقيهما[١]، ولا يوصَل إليهما ، أو عن الحجة[٢] إذا سوئل[٣] ووُوقف ، ومعلوم أن مَنْ ضلّ عن معرفة الله تعالى والإيمان به يكون فى القيامة منقطعَ الحجة ، مفقود المعاذير .

والجواب الثالث: أن يكون العمَى الأول عن المعرفة والإيمان ، والثانى بمعنى المبالغة فى الإخبار عن عِظَم ماينالُه[٤] هؤلاء الكفار الجهال من الخوف والغم والحزن الذى أزاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله: ﴿ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾؛ [يونس : ٦٢] ، ومن عادة العرب أن تُسمِّيَ مَنِ اشتد همُّه وقوىَ حزنه أعمَى سخين العين ، ويصفون المسرور بأنه قرير[٥] العين ، قال الله تعالى : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾؛ [السجدة: ١٧].

والجواب الرابع: أن العمى الأول يكون[٦] عن الإيمان ، والثانى هو الآفة فى العين على سبيل العقوبة؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً . قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾؛ [طه : ١٢٤ ــ ١٢٦] . ومَن يُجيب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ
[٢٨ ظ] خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ على أن المعنى / فيه الإخبار عن الاقتدار وعدم المشقّة فى الإعادة ؛ كما أنها معدومة فى الابتداء ، ويجعل ذلك نظيرا لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ[٧] عَلَيْهِ ﴾؛ [الروم : ٢٧] ، ويتأول قوله تعالى ﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ على أن معناه الإخبار عن قوة المعرفة ، وأن الجاهل بالله فى الدنيا يكون عارفا به فى الآخرة ؛ والعرب

---

(١) ت ، ف : « طريقهما » . (٢) ت ، ف : « يفقد الحجة » . حاشية الأصل من نسخة : « لفقد الحجة » . (٣) ت ، حاشية ف (من نسخة) : « سئل ووقف » .
(٤) فى نسخة بحاشيتى ت ، ف : « ما بنال » . (٥) ت ، د ، ف : « أنه » .
(٦) ساقطة من ف . (٧) حاشية ف : « أهون هاهنا بمعنى الهين ، وإن حمل على المبالغة فهو على مجاز كلام العرب » .

تقول : فلان بصير بهذا الأمر ؛ وزيد أبصر بكذا من عمرو ، ولا يريدون إبصارَ العين ، بل العلمَ والمعرفة ؛ ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ ، أي : كنتَ غافلاعمّا أنت الآن عارف به ، فلما أنْ كشفْنا عنك الغطاء بأنْ أعلمناك وفعلنا فى قلبك المعرفة عرفت وعلمت .

فأما الخبر الذى تُدّعى روايته فهو خبر واحد ، ولا حجة[1] فى مثله ؛ وإذا عرف لفظه ربما أمكن تأوله على مايطابق هذا الجواب ، ومَنْ[2] ذهب إلى الأجوبة الأُوَل يجعل العمى الأول والثانى معاً غير الآفة فى العين ، فإن عورض بقوله تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾[3] تأوّله على العمى عن الثواب أو عن الحجة ، وقال فى قوله تعالى: ﴿ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ﴾ إن معناه : كنت بصيراً فى اعتقادى وظنّى ، من حيث كنت أرجو الهداية إلى الثواب وطريق الجنة .

والمحصَّل من هـذه الجملة أنه لا يجوز أن يُرَاد بالعمى الأول والثانى جميعا الآفة فى العين ؛ لأنه يؤدى إلى أن كلّ مَنْ كان مئوف[4] البصر فى الدنيا ؛ من مؤمن وكافر وطائع وعاصٍ يكون كذلك فى الآخرة ، وهذا باطل وبمثله يبطل أن يراد بلفظة ﴿ أَعْمَى ﴾ الثانية المبالغة بمعنى أفضل من فلان ، ويبطله أيضا أن العمى الذى هو الخِلْقَة لا يُتعجب منه بلفظة «أفعل» وإنما يقال : ما أشدَّ عماه ! ولا يجوز أن يُراد بالعمى الأول العين[5] والثانى العمى عن الثواب والجنة أو الحجة ، لأنا نعلم أنّ فيمن[6] عميتْ عينهُ فى الدنيا مَنْ يستحق الثواب ، ويوصل إليه ، ولا يجوز أن يراد بالأول والثانى العمى عن المعرفة والإيمان ، لا على طريقة[7] المبالغة والتعجب / ولا على غير ذلك ؛ لأنا نعلم أنّ الجهالَ بالله تعالى ، المعرضين فى الدنيا عن معرفته [٢٩ و]

(١) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « واحد لاحجة » . (٢) فى نسخة بحاشيتى ت ، ف : « يذهب » . (٣) فى حاشيتى ت ، ف : «روى نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم وآله : يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة . وفى حديث آخر : غرلا ؛ والأغرل : الأكلف ؛ ورواه غيره : أن ناسى القرآن يحشر يوم القيامة أعمى » . (٤) المئوف : الذى أصابته الآفة ، وفى م : « مكفوف » . (٥) ف ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « عمى العين » (٦) ت ، حاشية ف (من نسخة) : « ممن » . (٧) حاشية ت (من نسخة) : « طريق » .

لا يجوز أن يكونوا فى الآخرة كذلك ؛ فضلا أن يكونوا على أبلغ من هذه الحالة لأن المعارف فى الآخرة ضرورية ، يشترك فيها جميع الناس ، فلم يبق بعد الذى أبطلناه إلا ما دخل فى الأجوبة . وعلى الأجوبة الثلاثة الأول إذا أريد بأعمى الثانية المبالغة والتعجب كان فى موضعه ؛ لأن عَمَى القلب وضلاله يتعجب منه بلفظة « أفعل » وإن لم يَجُزْ ذلك فى عمى الجارحة

ولمن أجاب بالجواب الرابع ألاّ يجعل قوله تعالى : ﴿ فَهُوَ فِى الآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ لفظة تعجب ، بل يجعله إخباراً عن عَمَاهُ من غيرِ تعجّب، وإن عطف عليه بقوله تعالى : ﴿وأضلُّ سَبِيلاً ﴾ ويكون تقدير الكلام : ومَنْ كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وهو أضل سبيلا[(١)] .

فإن قيل : ولمَ أنكرتم التعجب من الخِلَق بلفظة « أفعل » ؟ . قلنا : قد قال النحويون فى ذلك : إن الألوان والعيوب لا يُتعجَّب منها بلفظ التعجّب وإنما يُعْدَلُ فيها إلى أشدّ وأظهر وما جرى مجراها ؛ قالوا : لأن العيوب والألوان قد ضارعت الأسماء ، وصارت خِلْقَةً كاليد والرِّجْل ونحو ذلك ؛ فلا يقال : ما أسوده وما أعوره ، كما لا يقال : ما أيداه[(٢)] وما أرجله؛ ويقال : ما أشدّ سواده ! كما يقال : ما أشدّ يده ورجله ! واعتاوا بعلة أخرى ، قالوا : إن الفعل من الألوان والعيوب على «افعلّ» و «افعالّ» ، نحو احمرّ واعورّ واحولّ واحوالّ؛ والتعجب لا يدخل فيما[(٣)] زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال؛ ألا ترى أنه لايدخلُ فى انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلاثة أحرف[(٤)]؟

---

(١) حاشية ت ، ف : « لو ذكر رحمه الله المبالغة فى الوضعين لكان صوابا ، لأن أفعل فى التعجيب فعل؛ وهو هاهنا اسم كالمبالغة ؛ أولاترى أنا نقول فى التعجب « ماأحسن » والتقدير : شىء أحسنه » .

(٢) فى حاشيتى ت ، ف : « إنما يبنى التعجب من الأفعال دون الأسماء واليد والرجل أسماء » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « على مازاد » ،

(٤) حاشية ف : « إنما امتنعت صورة التعجب فى الرباعى ؛ لأن فعل التعجب يكون أبداً أربعا أحرف ؛ أحدها الف النقل والثانى الفعل ؛ فإذا أدخلت على الرباعى لم يكن بد من طرح أحد الحروف ولا يمكن ذلك لأن كلها أصول فعاها ؛ إذ التعجب يختص الثلاثى فحسب » .

فإن قيل لهم فقد قالوا : عوِرتْ عينُه وحوِلَتْ ، قالوا : هذا منقول من «افعلّ» وهو فى الحكم زائد على ثلاثة أحرف، يدلّ على ذلك صحة الواو فيه ؛ كما صحت فى اسودّ وابيضّ ولولا أنه منقول منه لاعتلت الواو، فقلت: عارتْ وحالت ، كما قيل : خاف وهاب.

وحكى عن الفرّاء فى ذلك جوابان : أحدهما أنّ «أفعل» فى التعجب فيه زيادة على وصف قَبْله إذا قال القائل أفضل وأجمل، فهو أزيد فى الوصف من جميل وفاضل ، فلم يقولوا: ما أبيض زيداً ! لئلا يسقط / التزيد[١] ، ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيضُ عليه ، يخالف لفظُه لفظَه ؛ كما خالف أفضل وأجمل فاضلا وجميلا ، فلما فاتهم فى أبيض وأحمر عَلَم التزيد[٢] أدخلوا عليه ما تَبين الزيادة فيه ، وقالوا : ما أظهر حمرةَ زيد : وما أشد سواد عمرو ! لأن «أظهر» يزيد على ظاهر، و«أشد» يزيد على شديد[٣] . [٢٩ ظ]

والجواب الآخر أنّ التعجب مبنىّ على زيادةٍ فصلح أن يتقدّمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهى ، فقالوا : ما أعلم زيداً ! ليدلّوا على زيادة علمه ؛ لأنهم فى قولهم: عالم وعليمٌ لم يبلغوا فى التناهى مبلغ «أعلم» ، ولم يقولوا : ما أبيض زيداً ! لأن البياض لا تأتّى[٤] منه زيادة بعد نقص، فعدلوا إلى التعجب بأشدّ وأَبْيَن وما جرى مجراهما ، وهذا الجواب ليس بسديد؛ لأنّ الألوان قد تتأتّى فيها الزيادة بعد نقص ، وقد تدخل فيها المفاضلة ، ألا ترى أنّ ما حلَّه قليلُ أجزاء البياض يكون أنقص حالا فى البياض مما حلّه الكثير من الأجزاء !

والجواب الأول الذى حكيناه عن الفرّاء أصوبُ ، وإن كان ماقدمناه عن البصريين هو المعتمد[٥] وقد أنشد بعضهم معترضا على ماذكرناه قول الشاعر :

---

(١) فى نسخة بحاشيتى ت ، ف : « التزايد » .   (٢) حاشية ت (من نسخة) : « المزيد » .

(٣) فى حاشيتى ت ، ف: « متقرر فى علم الأصول أن السواد لا يكون أزيد فى كونه سواداً من سواد آخر؛ وإنما تتكاثر الأجزاء ، فيقال : هذا أشد سواد من ذلك » .

(٤) فى نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « لاتتأتى » .

(٥) حاشية ف : « قال ابن الشجرى : هذان الوجهان متقاربان ، والسيد يفضل الأول ، ولا أدرى مابينهما ، إلا أن الأول اعتبار باللفظ والثانى اعتبار بالمعنى » ، وفى حاشية ت : « الجواب الأول مشتمل على نفى المبالغة فى أبيض ، والعلة ألا يسقط التزيد ، ، والجواب الثانى مشتمل على طرف من ذلك الجواب ؛ إلا أنه يقول إنما لايقال أبيض على طريق المبالغة ؛ لأن التزايد فى البياض لايتأتى » .

يَالَيْتَنى مِثْلُكِ فى البَيَاضِ أبيضُ مِنْ أُخْتِ بَنى إبَاضِ(١)

وأنشدوا أيضاً قول الشاعر(٢) :

أَمَّا المُلوكُ فأَنْتَ اليَوْمَ ألأَمُهُمْ لُؤْماً وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالَ طَبَّاخِ

فأما البيت الأول فإن أبا العباس المبرّد حَمَله على الشذوذ ، وقال: إنّ الشاذّ النادر لايطعَن فى المعمول عليه، والمتفق على صحته ، ويجوز أيضاً أن يقال فى البيت الثانى مثلُ ذلك ، وقد قيل فى البيت الثانى إنّ أبيضَ فيه ليس هو الذى للمفاضلة ، وإنما هوأفعل الذى مؤنثه فعلاء، كقولك أبيض وبيضاء ؛ ويجرى ذلك مَجرى قولهم هو حَسَنُ(٣) القوم وجهاً ، وشريفُهم(٣) خُلُقًا ؛ فكأنّ الشاعرَ قال :(٤) ومبيِّضهم ، فلما أضافه انتصبَ مابعده لتمام الاسم ، وهذا أحسنُ من حَمْله على الشذوذ(٥) .

ويمكن فيه وجه آخر وهو أنّ أبيض فى البيت وإن كان فى الظاهر عبارة عن اللون فهو فى المعنى / كناية عن اللؤم والبخل ، فحمل لفظُ التعجب على المعنى دون اللفظ ، [٣٠ و]

(١) البيت فى اللسان (بيض) ، وروايته فيه :

جَارِيَةٌ فى دِرْعِهَا الفَضْفَاضِ أَبْيَضُ من أُخْتِ بَنِى إبَاض

وفى حاشية ف : « أبيض ، بالرفع على تقدير : أنت أبيض ، وبالفتح على أنه حال من أنا أو أنت وإباض : اسم رجل » .

(٢) فى حاشيتى ت ؛ « قال السيد المرتضى رضى الله عنه : هو لطرفة ؛ وإنما أراد ذمه بقلة القرى فى بيته ، فطباخه نقى الثوب » .

والبيت فى ديوانه : ١٥ ، وروايته فيه :

إنْ قلتَ نَصْرٌ فنصرٌ كان شرَّ فَتًى قِدْماً وأَبيَضُهم سِرْبَالَ طَبَّاخِ

وهو أيضا فى اللسان (بيض) ، وروايته فيه :

إذا الرِّجَالُ اسْتَوَوْا واشْتَدَّ أَكْلُهُمُ فأَنْتَ أَبْيَضُهمْ سِرْبَالَ طَبَّاخِ

(٣ـ٣) حاشية ت (من نسخة) : « هو أحسن القوم وجها وأشرفهم خلقا » .

(٤) حاشية ف : « مبيضهم ؛ أى أبيضهم ، لابمعنى المبالغة » .

(٥) حاشية ف : « تحقيق ماقدره السيد أن يكون أبيضهم سربال طباخ » ليس معناه التعجب والمعنى مبيضهم سربال طباخ ، ويؤول المعنى إلى أن سربال طباخه أبيض فحسب ولا يعنى أنه أشد بياضا من سربال غيره » .

ولو أراد بأبيضهم بياضَ الثوب ونقاءَه على الحقيقة لما جاز أن يتعجب بلفظة «أفعل» ، فالذى جوّز تعجُّبه بهذه اللفظة ماذكرناه .

فأما قول المتنبي :

ابْعَدْ بَعدْتَ بَيَاضاً لَابَيَاضَ لَهُ لأَنْتَ أَسْوَدُ فى عَيْنِى منَ الظُّلَمِ[1]

فقد قيل فيه إن قوله : «لأنت أسْوَدُ فى عينى » كلام تام ، ثم قال : «مِن الظلم» أى من جملةالظُّلَم؛ كما يقال: حُرٌّ من أحرار[2]، ولئيم من لِئام ؛ أى من جُمْلتهم ، وقال الشاعر[3] :

وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الحدِيدِ كأَنَّهُ شِهَابٌ بَدَا وَاللَّيلُ دَاجٍ عَسَاكِرُهْ

كأنه قال: وأبيض كائن من ماء الحديد ، وقوله : « من ماء الحديد » وصف لأبيض ، وليس يتّصل به كاتصال « من » بأفضل فى قولك : هو أفضل من زيد ، ولفظة « من » فى بيت المتنبي مرفوعة الموضع ، لأنهاوصف لأسود ؛ وإذا أريد المفاضلة والتعجب كانتمنصوبة الموضع بأسود[4] كما تقول زيد خير منك ، فمنك فى موضع نصب بخير ، كأنه قال : قد خارك بخيرك ، أى فضَلك فى الخير؛ وهذا التأويل المذكور فى بيت المتنبي يمكن أن يقال فى قول الشاعر :

* أبيضُ من أختِ بَنى إباضِ *

ويحمل على أنه أراد من جملتها ومن قومها ، ولم يرد التعجب وتأوُّله على هذا الوجه أولى من حَمْله على الشذوذ ، فأما قول المتنى :

* ابعَدْ بعِدتَ بياضاً لابياضَ له *

(١) ديوانه ٤ : ٣٥ ؛ وهو يخاطب الشيب ، وقبله

ضَيْفٌ أَلَمَّ برأسِي غيرَ مُحْتَشِمِ والسَّيفُ أَصْدَقُ فِعْلاً مِنْهُ بِاللِّمَمِ

(٢) ش ، ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « حر من الأحرار ولئيم من اللئام » .

(٣) البيت فى شرح العكبرى لبيت المتنبي ، أورده من غير عزو .

(٤) حاشية ف : « إذا قلت زيد أضرب من عمرو كان الجارمع المجرور فى موضع النصب على المعهود من حال الجار والمجرور ؛ لأنه على تقدير : غالب زيد عمرا فى الضرب فغلبه ؛ فيكون إذا « من عمرو » فى موضع النصب ؛ لأنه فى معنى المفعول على ماذكرنا » .

فالمعنى الظاهر للناس فيه أنه أراد : لا ضياء له ولا نور ولا إشراق ، من حيث كان حُلولُه محزنا مؤذنا بتقضِّى الأجل ؛ وهذا لَعمرى معنى ظاهر ؛ إلا أنه يمكن فيه معنى آخر ؛ وهو أنَّه يريد إنك بياضٌ لا لونَ بعده ، لأن البياض آخر ألوان الشعر ، فجعل قوله : « لا بياض له » بمنزلة قوله : لالونَ بعده ، وإنما سوَّغَ ذلك له أنَّ البياضَ هو الآتى بعد السَّواد ، فلما نفى أنْ يكونَ للشيب بياضٌ كان نفياً لأن يكون بعده لون .

وقد اختلف القراء فى فتح الميم وكسرها من قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِى هَذِهِ أَعْمَى

[٣٠ ظ] /فَهُوَ فِى الآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ ، فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو بفتح الميمين معا ، وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر وحمزة والكِسائىّ بكسر الميم فيهما معا[1] ، وفى رواية حفص عن عاصم : لا يكسرهما ، وكسر أبو عمرو الأولى وفتح الأخيرة : ولكل وجه ، أما مَنْ ترك إمالة الجميع ؛ فإن قوله حسن ، لأن كثيراً من العرب لا يُميلون هذه الفتحة ، وأما مَنْ أمال الجميع فوجه قوله أن ينحو بالألف نحو الياء ، ليعلم أنها تنقلب إلى الياء[2] ، وأما قراءة أبى عمرو بإمالة الأولى وفتح الثانية فوجهُ قوله أنَّه جعل الثانية أفعل من كذا مثل أفضل من فلان ، وإذا جعلها كذلك لم تقع الألف فى آخر الكلمة ؛ لأنَّ آخرها إنما هو من كذا ، وإنما تحسن الإمالة فى الأواخر ، وقد حذف من « أفعل » الذى هو للتفضيل الجارُّ والمجرور جميعا ، وهما مرادان فى المعنى مع الحذف ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ ؛ [طه : ٧] ، المعنى وأخفى من السر ، فكذلك قوله تعالى : ﴿ فَهُوَ فِى الآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ ، أى أعمى منه فى الدنيا أو أعمى من غيره ، ويقوى هذه الطريقة ما عطف عليه من قوله تعالى : ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ فكما أن هذا لا يكون إلا على « أفعل من كذا » كذلك المعطوف عليه .

(١) ت ، ونسخة بحاشيتى ت ، ف : « جميعا » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « على هذا الوجه لا تميل بحال ؛ إلا إذا كانت الكلمة من بنات الياء ؛ فأما إذا لم تكن من بنات الياء فلا تميل ، والأعمى أصله عمى ، فهو إذاً من بنات الياء » .

تأويل خبر

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « تَقِىءُ الأرضُ أفلاذَ كَبِدِها مثلَ الأُسْطُوان من الذّهب والفضة ، فيجىءُ القاتلُ فيقول فى مثل هذا : قتلتُ ، ويجىءُ القاطع الرَّحِم[١] فيقول فى مثل هذا : قطعتُ رَحِمِى ، ويجىء السارق فيقول فى مثل هذا : قُطِعَتْ يدى ، ثم يتركونه ولا يأخذون منه شيئاً » .

معنى « تَقِىءُ » أى تخرج مافيها من الذهب والفضة ، وذلك من علامات قُرْب الساعة، وقوله : « تَقِىءُ » تشبيه واستعارة من حيث كان إخراجا وإظهاراً ؛ وكذلك تسميتُهُ[٢] ما فى الأرض من الكنوز « كَبِداً » تشبيهاً[٣] بالكبد التى فى بطن البعير وغيره ؛ وللعرب فى هذا مذهب معروف ؛ قال مُرَّة بن مَحْكان[٤] السَّعدِىّ يصف قِدْراً نصبها للأضياف :

لها أَزِيزٌ يُزِيلُ اللحمَ أَزْمَلُهُ ... عَنِ العِظَامِ إذَا مَااسْتَحْمِشَتْ غَضَبا[٥]
تَرْمِى الصُّلاَةَ بِنَبْلٍ غَيْرِ طَائِشَةٍ ... وَفْقاً إذا آنَسَتْ مِنْ تَحْتِها لَهَبا[٦] [٣١ و]

فوصفها بالغضب تشبيهاً واستعارة ، فأما الأزيزُ فهو الغلَيان ، والعرب تقول : لجوفه أزيزٌ مثل أزيزِ المِرجل ، والأزْمَلُ : الصوت ، واستَحْمَشَتْ ، أىْ غضِبت ؛ يقال : حَمَشه أى أغضبه ، وقال النابغة الجَعْدِىّ فى معنى الاستعارة :

(١) ف ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « للرحم » .

(٢) د ، وحاشية ت (من نسخة) : « تسمية » .

(٣) ش ، ونسخة بحواشى الأصل ، ت، ف : « تشبيه » .

(٤) ضبط بالقلم فى ت بفتح الميم ، وفى ف بالفتح والكسر معا .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : «استحمشت» ، بالبناء للمجهول وفى حاشيتى ت ، ف « أحمشت الرجل وحمشته ؛أى أغضبته فاحتمش واستحمش ، والحمشة الاسم كالحشمة ؛ واحتمش الديكان : اقتتلا » . وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « قبله :

نَصَبْتُ قِدْرِى لَهُمْ وَالأَرْضُ قَدْ لَبِسَتْ ... مِنَ الصَّقِيعِ مُلاءً جِدَّةً قُشُبا

ملاء : جمع ملاءة ، قشبا : جمع قشيب ؛ وهو الجديد » .

(٦) فى حاشيتى الأصل، ف : « الصلاة : جمع صال. غير طائشة: غير مخطئة . وفقاً، أى رميا وفقا؛ شبه ما ترمى به النار من نفيانها بالنبل ؛ أى كلما اشتدت النار تحت القدر اشتد غليها بقدر اشتداد النار تحتها » .

سألَتْنى عَنْ أناسٍ هَلَكُوا ... شَرِبَ الدَّهْرُ عليهم وأَكَلْ(١)

فوصَفَ الدهرَ بالأكل والشرب تشبيها واستعارة . وقال قوم : معنى البيت شرِب أهلُ الدهرِ بعدهم وأكلوا .

واختلَف أهل اللغة فى الأفلاذ ، فقال يعقوب بن السِّكّيت : الفِلْذ لا يكون إلّا للبعير ، وهو قطعة من كَبِده(٢) ، ولا يقال فِلْذ الشاة ، ولا فِلْذ البقرة ، ويقال : أعطِنى فِلْذاً من الكبد ، وفِلْذة من الكَبِد ، قال أعشى باهلة :

تَكْفيهِ حزّةُ فِلْذٍ إن ألمَّ بها ... منَ الشِّوَاءِ وَيُرْوِى شُرْبَهُ الغُمَرُ(٣)

الغُمَر : القَدَح الصغير ؛ وقال يعقوب : ولا يقال : أعطنى حُزّةً من سَنام ولا من لحمٍ ، وإنما الحزّة فى الكبد خاصة ؛ فإذا أرادوا ذلك من السَّنام واللحم قالوا : أعطنى(٤) حِذْيَةً من لحم ؛ وهى القِطْعة الصغيرة ، وفِلْقَةً من سنام ، وقال الطُّوسِىُّ(٥) عن أبى عبيد عن الأصمعىّ قال : يقال: أعطنى حُذْيَةً(٦) من لحم ، وحُزّةً من لحم ؛ إذا كانت مقطوعة طولا ؛ فإذا كانتْ مجتمعةً قلت : أعطنى بَضعةً من لحم ، وهَبْرةً من لحم ، ووَذْرةً من لحم .

ومثل هذا الحديث قوله : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ ؛ [الزلزال : ٢] . معناه أخرجت مافيها من الكنوز ، وقال قوم : عَنَى به الموتى ، وأنها أخرجتْ موتاها ، فسمى

---

(١) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « بأناس » .

(٢) حاشية الأصل : « ذكر ابن الشجرى : الفلذ كبد البعير خاصة ؛ وليس بقطعة من الكبد ؛ وكذا ذكره ابن السكيت » . (٣) من قصيدة له يرثى بها المنتشر بن وهب الباهلى ، أولها :

إنى أتيتُ بشَىْء لا أُسرُّ بهِ ... من عَلوَ لاعجبٌ فيه ولا سَخَرُ

وهى فى (أمالى اليزيدى ١٣ — ١٨ ، وجمهرة الشعر ٢٨٠ — ٢٨٣ ، والأصمعيات ٣٢ ، ٣٥ ؛ والكامل — بشرح المرصفى ٨ : ٢١١ — ٢١٢) ويذكرها المؤلف فيما بعد .

(٤) ش ، ص : « حذية » ؛ بضم الحاء وكسرها .

(٥) حاشية ت : « أبو الحسن على بن عبد الله الطوسى » .

(٦) كذا ضبط بالقلم فى الأصل ، ت ، ف ، وفى الحواشى : « المعروف : الحذية ، بالكسر ؛ وهى القطعة من اللحم على الطول . والحذوة (مثلثة الحاء) : العطية » .

تعالى الموتى ثِقْلاً(١) تشبيها بالحمْل الذى يكون فى البطن ، لأن الحمْل يسمى ثِقْلا ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ ؛ [الأعراف : ١٨٩] . والعرب تقول : إن للسيد الشجاع ثِقْلاً على الأرض ، فإذا مات سقط عنها بموته ثِقْلٌ ، قالت الخنساءُ تَرْثِى أخاها صَخْراً :

أَبَعْدَ ابْنِ عمروٍ من آل الشريد ... حَلَّتْ بهِ الأَرْضُ أثقالَها(٢)

معناه أنه لما مات حلّ عنها بموته ثِقْل لسُؤْدُده(٣) وشرفه ، وقال قوم : معنى « حلَّت » [٣١ ظ] زَيَّنَتْ موتاها به ، وهو مأخوذ من الحِلْيَة ؛ وقال الشَّمَرْدل اليَرْبوعىّ يرثى أخاه :

وَحَلَّتْ بهِ أثقالَهَا الأَرْضُ وَانْتَهى ... لِمَثْوَاهُ مِنْها وَهْوَ عَفٌّ شَمائلُه(٤)

وروى هشام بن المنذر(٥) قال : قال زُهير بن أبى سُلمى المُزَنىّ بيتاً ثم أَكْدَى ، ومرّ به النابغة الذُّبيانىّ فقال له : ياأبا أُمامة ، أَجِزْ ، قال : ماذا ؟ قال :

تَزالُ الأَرْضُ إِمَّا مِتَّ خِفًّا ... وَتحيا ما حَيِيتَ بها ثَقِيلاً(٦)

نَزَلْتَ بِمُسْتَقَرِّ العِزِّ مِنْهَا ... .

فماذا قال ؟ فأَكْدَى والله النابغة أيضا ، وأقبل كعب بن زهير وهو غلام ، فقال له

---

(١) فى نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « أثقالا » .

(٢) ديوانها ٢٠١ .

(٣) ت ، ج ، ف : « بسؤدده » .

(٤) البيت من قصيدة مذكورة (فى أمالى اليزيدى ٣٢ — ٣٤ ، والأغانى ١٢ : ١١٣ — ١١٤ ، وأبيات منها فى ابن أبى الحديد ٤ : ٣٨٣ ، وحماسة ابن الشجرى ٨٣) وفى حاشيتى الأصل ، ف : شمائله : أخلاقه ، والواحد شمال ، بالكسر ، قال الشاعر :

* وَمَا لَوْمِى أخِى مِنْ شِمَالِيَا *

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « نسخة ابن قدامة : وروى أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب قال قال زهير » . والذى فى الأصل يوافق ش ، ص . وفى م : « أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب » .

(٦) ت ، د ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « تراك » ، وفى حاشيتى الأصل ، ت : « يقول : إن مت صارت الأرض خفيفة بموتك ، وإن تحيا بقيت ثقيلة » .

أبوه : أجزْ يا بُنىّ ، فقال : ماذا ؟ فأنشده البيت الأول، ومن الثانى قوله : « بِمُسْتَقَرِّ العزِّ منها » ؛ فقال كعب :

* فتمْنَعُ جانِبَيْها أنْ يَزُولاَ *

فقال زُهير : أنت والله ابنى .

وإنما خَصّ الكَبِد من بين ما يشتمل عليه البطن ، لأنه من أطايب الجَزور ، والعرب تقول : أطايب الجَزور : السَّنام ، والمِلْحاء[1] ، والكَبِد .

***

قال سيدنا الشريف الأجلّ المرتضى ، أدام الله علوّه : وإنى لأستحسِن قولَ الخنساء[2] ، وقد قيل لها : ما مدحتِ أخاكِ حتَّى هَجَنْتِ[3] أباك ، فقالت :

جارَى أباهُ فأقْبَلا وَهُمَا ... يَتَعَاوَرَانِ مُلاَءَةَ الحُضْرِ[4]
حتَّى إذا نَزَتِ القُلُوبُ وَقَدْ ... لُزَّتْ هُناكَ العذْرُ بالعُذْرِ[5]
وَعلا هُتافُ الناسِ : أيُّهمَا ؟ ... قال المُجيبُ هُناكَ : لا أدْرِى
برَزَتْ صفيحةُ وَجهِ وَالدِهِ ... وَمَضَى على غُلَوائِهِ يَجْرِى
أوْلَى فأوْلَى أنْ يُساوِيَهُ ... لوْلاَ جَلالُ السِّنِّ وَالكِبْرِ
وَهُمَا كأنَّهما وقَدْ برَزَا ... صَقْرانِ قدْ حطَّا إلى وَكْرِ

---

(١) الملحاء : وسط الظهر ؛ ما بين الكاهل إلى العجز .

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « كانت الخنساء كثيرة المدح لأخيها ، فقيل لها : قد فضلته على أبيك ، فقالت هذه الأبيات » . وهى فى (زهر الآداب ، ٤ : ٦٧ وحماسة ابن الشجرى ١٠٤ ، والبيت الأول فى خزانة الأدب ٣ : ٢٧٧) .

(٣) ف ، ونسخة بحاشيتى ت ، الأصل : « هجوت » ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « وروى : ما أبنت أخاك حتى هجنت أباك » .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « بارى أباه ، تعنى أخاها ، ويتعاوران : يتداولان ، والحضر العدو » .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « نزت : ارتفعت ، ولزت : لصقت ، يعنى ؛ حتى تحرك قلوب النظارة ، والعذر : جمع العذار ؛ يعنى عذارى فرسيهما فى التسابق ؛ وهو استعارة » .

ويقال : إنه قيل لأبى عُبيدة : ليس هذه الأبيات فى مجموع شعر الخنساء ، فقال أبو عبيدة : العامّة أسقطُ من أن يُجاد عليها بمثل ذلك .

[٣٢ و] ولَعَمْرِى إنها قد بلغت فى مدح أخيها من غير إزْراء على أبيها / النهايةَ ، لأنها جعلت تَقَدُّمَ أبيه له عن قُدْرة منه على المساواة ، وعن غير تقصير منه، وإنما[١] أفْرَج له عن السبق معرفةً بحقه ، وتسليما لِـكُبْرِه وسنه ، وكأنّ الخنساء نظرتْ فى هذا المعنى إلى قول زهير يصف حمار وحش[٢] :

فَشَجَّ بها الأَمَاعِزَ فَهْىَ تَهْوِى ... هُوِىَّ[٣] الدَّلو أسلمَها الرِّشاءُ[٤]

فَلَيْسَ لَحاقُهُ كَلَحاقِ إلْفٍ ... وَلا كَنَجائِها منهُ نَجاءُ[٥]

يُقَدِّمُهُ إذا احْتَفَلَتْ عليها ... تَمامُ السِّنِّ منهُ وَالذَّكاءُ[٦]

ويشبه أن يكون الـكُميت أخذ من الخنساء قولَه فى مَخْلَد بن يزيد بن المهلّب :

ما إنْ أرَى كأبيكَ أدركَ شأْوَهُ ... أحدٌ ومِثْلَكَ طالباً لم يُلْحَقِ

تَتَجاذبان ؛ لهُ فَضيلةُ سِنِّهِ ... وتَلَوْتَ بعدُ مُصَلِّياً لم تُسْبَقِ[٧]

---

(١) ت: « وإنه » . (٢) الأبيات فى ديوانه : ٦٧ ــ ٦٩ . (٣) ضبطت فى ت بضم الهاء وفتحها معا . (٤) حواشى الأصل ، ت ، ف: « أى شج الحمار بالأتن الأماعز ، أى علا الأماعز بهن ، والأمعز : الأرض الصلبة ، وكذلك المعزاء ، والهوىّ : السقوط إلى أسفل ، وكذلك الهوىّ فى السير . وبعد هوى من الليل ؛ أى هزيع ؛ وقيل : الهوى [بالضم] الارتفاع » .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « يقول : ليس يلحق شىء فى السرعة كما يلحق الحمار فى سرعته ، والمراد بالإلف صاحبه. ولا كنجائها ؛ أى ليس شىء ينجو كنجائها ، أى ليس شىء ينجو كنجاء الأتان ؛ أى لايهرب هارب كهربها ، ولايلحق لاحق كلحوقه » .

(٦) احتفلت : اجتهدت وتأهبت ؛ ورواية الديوان :

يُفَضِّلُهُ إذَا اجْتَهَدتْ عَلَيهِ ... تَمامُ السِّنِّ مِنْهُ والذَّكاءُ

(٧) د ، ش، ونسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « تتجاريان » ؛ وفى حاشيتى الأصل ، ف : « قوله تتجاذبان، فى موضع الحال من قوله: « ما إن أرى كأبيك » ، ومثلك ، أى ما رأيت مثلك ومثل أبيك فى حال مجاذبتهما ومجاراتهما فى المجد والشرف . وقوله : « له فضيلة سنه » جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر ؛ المعنى يقول : إن سبقك أبوك فلا غرو ، فإنه لم يسبق قط ، وإن سبقته فأنت جدير بالسبق » .

إنْ تَنْزِعَا ولَهُ فَضِيلَةُ سَبْقِهِ   فَبِمِثْلِ شَأْوِ أبيكَ لَمْ يُتعَلَّقِ
وَلَئِنْ لَحِقْتَ بِهِ على ما قدْ مَضَى   منْ بُعْدِ غَايَتِهِ فأَحْجِ وَأَخْلِقِ

ويشبه هذا المعنى قولُ المؤمَّل بن أُمَيْل الكوفىّ المحارِبىّ يمدح المهدىّ فى حياة المنصور:

لَئِنْ فُتَّ المُلُوكَ وَقدْ تَوَافَوْا   إليْكَ منَ السُّهُولَةِ وَالوُعُورِ[(١)]
لَقدْ فَاتَ الملوكَ أبُوكَ حتَّى   بقُوا مِنْ بَيْنِ كابٍ أوْ حَسِيرِ[(٢)]
وَجِئْتَ وَرَاءَهُ تَجْرِى حثيثاً   وَمَا بِكَ حَيْثُ تَجْرِى من فُتُورِ

(١) خبر هذه الأبيات فى أمالى الزجاجى : ٦٠ — ٦٢ : « وفد المؤمل بن أميل على المهدى بالرى فامتدحه ، فأمر له بعشرين ألف درهم ؛ فاتصل الخبر بالمنصور ؛ فكتب إليه يعذله ويقول : إنما كانت سبيلك أن تأمر للشاعر بعد أن يقوم ببابك سنة بأربعة آلاف درهم ؛ وكتب إلى كاتبه بإنفاذ الشاعر إليه ، فسأل عنه فقيل له : قد شخص إلى مدينة السلام ، فكتب إلى المنصور بخبره ، فأنفذ المنصور قائدا من قواده إلى النهروان يتصفح وجوه الناس ؛ حتى وقع بيده المؤمل ، فأتى به المنصور ، فقال له : أتيت غلاماً غراً فخدعته ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ! أتيت غلاماً غراً كريما فخدعته فانخدع لى ؛ فكأن ذلك أعجبه ، فقال له : أنشدنى ما قلت فيه ؛ فأنشده :

هُوَ المَهْدِىُّ إلاَّ أنَّ فيه   مَشَابِهَ صورةِ القمرِ المنيرِ
تشابَهَ ذا وذا فهُمَا إذا ما   أنارا مُشْكِلانِ على البَصِيرِ
فهذا فى الظَّلام سراجُ نارٍ   وهذا فى النَّهار سِراجُ نورِ
ولكنْ فَضَّلَ الرَّحمنُ هذا   على ذا بالمنابِرِ والسَّرِيرِ
وبالمُلْكِ العزيزِ فذا أميرٌ   وماذا بالأميرِ ولا الوزيرِ
ونَقْصُ الشَّهرِ يخمد ذَا وهَذا   مُنِيرٌ عند نُقصان الشُّهورِ
فيا بن خليفةِ اللهِ المصفَّى   به تعلى مُفاخَرةُ الفخورِ
لئن فت الملوك . . . .

فقال : أحسنت ، ولكن لا يساوى عشرين ألف درهم ، ثم قال : أين المال ؟ فقال : ها هو ذا ، قال يا ربيع : أعطه منه أربعة آلاف درهم ، وخذ الباقى ، ففعل ؛ فلما صارت الخلافة إلى المهدى رفع المؤمل إليه يذكر قصته ، فضحك ، وأمر برد المال إليه ، فرد » .

(٢) الكابى : المتغير اللون ، والحسير : المعيى .

فقالَ النّاسُ ما مِنْ ذَيْنِ إلّا   بمَنْزِلَةِ الخَليقِ مِنَ الجَديرِ[١]
فإن سَبَقَ الكبيرُ فأَهْلُ سَبْقٍ   لهُ فَضْلُ الكَبيرِ على الصَّغيرِ
وإنْ بَلَغَ الصَّغيرُ مَدَى كَبيرٍ   فقدْ خُلِقَ الصَّغيرُ مِنَ الكَبيرِ

ومن هذا المعنى قول الشاعر :

جِيادٌ جرَتْ فى حَلْبَةٍ فتَفاضَلَتْ   على قَدَرِ الأَسْنانِ والعِرْقُ واحدُ[٢]

وممّا له بهذا المعنى بعضُ الشَّبه ، وإن لم يُذكر فيه السِّن وتفضيل الكبير قول زُهير :

/ هُوَ الجَوادُ فإنْ يلْحَقْ بشأْوِهما   على تَكاليفهِ فمِثْلُهُ لَحِقا[٣] [٣٢ ظ]
أو يَسبِقاهُ على ما كانَ مِنْ مَهَلٍ   فمِثْلُ ما قدَّما مِنْ صالِحٍ سَبَقا

وروى أنه عُرِضت على جعفر[٤] بن يحيى بن خالد البرْمكىّ جارية شاعرة، فأراد أن يبلوَها فقال لها : قولى فى معنى بيتىْ زهير اللذين ذكرناها ، فقالت :

---

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « أى لم يكن بينك وبين أبيك من الفرق والتفاوت إلا مثل مابين الخليق والجدير ، ومعناهما واحد » .

(٢) حاشية الأصل : « أى على الكبر والطعن فى السن. والعرق : الأصل » .

(٣) البيتان فى ديوانه : ٥١ ــ ٥٢ ؛ وقبلهما :

يَطْلُبُ شأْوَ امْرأَيْنِ قدَّما حَسَناً   نالَا الملوكَ وبذّا هذهِ السُّوَقا

والشأو : الغاية ، وأراد بالمرأين أباه وجده .

(٤) حاشية ف « قيل : لما قتل جعفر بن يحيى وصلب بباب الجسر ، رأسه فى ناحية ، وجسده فى ناحية مرت به امرأة على حمار فاره ، فوقفت عليه ثم نظرت إلى الناس فقالت بلسان فصيح : والله لئن صرت اليوم آية ؛ لقد كنت فى المكارم غاية ؛ ثم أنشأت تقول :

ولما رأيتُ السَّيفَ خالطَ جَعْفَراً   ونادَى مُنادٍ للخليفَة فى يحيى
بكيتُ على يَحيى وأيقنتُ أنَّما   قُصارى الفتى يوماً مفارقَةُ الدُّنيا
وما هِيَ إلّا دَوْلَةٌ بعدَ دَوْلَةٍ   تُخَوِّلُ ذا نُعْمَى وتُعقِبُ ذا بَلْوَى
إذا أنزلتْ هذا منازلَ رِفْعَةٍ   من الملك حَطَّتْ ذا إلى غايةٍ سُفْلَى

ثم حركت الحمار ؛ فكأنها كانت ريحاً لم تعرف » .

بَلَغْتَ ـ أو كِدْتَ ـ يحيى أو لَحِقْتَ بهِ ... فنِلْتُما خالداً فى شأوِ مُسْتَبِقِ
لَكِنْ مَضَى وتَلا يحيى فأنتَ لهُ ... تالٍ تعلّلْتَ دُونَ الرَّكْضِ بالعَنَقِ (١)

ومن أحسَنِ ماقيل فى المساواة والمقاربة ـ وهو داخل فى هذا المعنى، مناسب له ـ قول عبّاد ابن شِبْل :

إذا اخترْتَ مِنْ قومٍ خيارَ خيارِهِمْ ... فكُلُّ بَنى عبدِ المَدَانِ خِيارُ
جرَوْا بعِنَانٍ واحِدٍ فَضْلُ بَيْنِهِم ... بأَنْ قِيلَ قدْ فاتَ العِذارَ عِذارُ (٢)

وقول الكُميت بن زيد :

مُصَلٍّ أبادُ لهُ سابِقٌ ... بأَن قيلَ فاتَ العِذارَ العِذارا (٣)

ومثله قولُ العتّابى ـ وهو مليح (٤) جداً :

كما تَقاذَفُ جُرْدٌ فى أعِنّتها ... سبْقاً بآذانِها مَرًّا وبالعُذَرِ (٥)

وأول مَنْ سبق إلى هذا المعنى زُهير فى قوله يصف مطارِدةَ البازى القطاة (٦) ومقاربتَه لها :

دُونَ السَّماءِ وفوْقَ الأرْضِ قدْرُهما ... عِندَ الذُّنابَى فلا فَوْتٌ ولا دَرَكُ (٧)

وقد لَحظ أبو نواس هذا المعنى فى قوله يمدحُ الفضلَ بنَ الربيع ، ويذكر مقاربتَه لأبيه فى الفضل (٨) والسؤدُد :

---

(١) ش ، وحاشية ت (من نسخة) : « تملل » . وفى حاشيتى الأصل ، ف : « العنق دون الركض ، أى أنك تتعلل بالعنق إبقاء وحشمة لأبيك وجدك ، ولو سرت ركضا لسبقتهما » .

(٢) العذار من اللجام : ماسال على خد الفرس .

(٣) المصلى : الثانى من خيول السبق .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « حسن » .

(٥) ج ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « تقاذف » ، بفتح الفاء . وفى حاشيتى الأصل ، ف : « تقاذف ، أى تتسابق فى عنان واحد ، على حد واحد ؛ لاتسبق إحداها على الأخرى إلا بأذن أو بعنان » وفرس أجرد ؛ قصير الشعر رقيقه .

(٦) د ، حاشية ت (من نسخة) : « للقطاة » .

(٧) ديوانه : ١٧٤ ، الذنابى : الذنب ، وفى حاشيتى ت ، ف : « عند الذنابى مستأنف ، أى الصقر عند ذنابى القطاة » .

(٨) ف ، ونسخة بحاشية ت : « المجد » .

ثُمَّ جَرَى الفَضْـلُ فانثَنى قُدُماً ... دُونَ مَداهُ مِنْ غَيْرِ تَرْهِيقِ(١)

فقيـلَ راشا سهماً يُرَادُ بهِ الـ ... غايةُ والنَّصْلُ سابقُ الفُوقِ(٢)

ويشاكل ذلك قولُ البحتريّ فى ابن أبى سعيد الثَّغْرِيّ :

جَدٌّ كجَدِّ أبى سعيدٍ إنَّهُ ... تَرَكَ السِّماكَ كأنه لَمْ يُشْرِفِ(٣)

قاسَمْتَهُ أخلاقَهُ وهْىَ الرَّدَى ... لِلْمُعْتَدِى ، وهْىَ النَّدَى لِلْمُعْتَفِى

/ فإذا جرَى مِنْ غايةٍ وجرَيتَ مِنْ ... أُخرى التقى شأْواكُما فى المُنْصَفِ [٣٣ و]

ويشبهه أيضاً قوله :

وإذا رأيتَ شمائلَ ابنَىْ صاعِدٍ ... أدَّتْ إليكَ شمائلَ ابنَىْ مَخْلَدِ(٤)

كالفرْقَدَيْنِ إذا تأمَّلَ ناظِرٌ ... لمْ يَعْلُ موْضِـعُ فرْقَدٍ عن فرْقَدِ

فأما قول الخنساء: «يتعاورانِ مُلاءَةَ الحُضْرِ»، فهى تَعْنى بالمُلاءَة الغبار ، وإنّ عدىّ بن الرِّقاع كأنه نظر إليها فى قوله يصف حماراً وأتانا :

يَتعاوَرانِ مِنَ الغُبارِ مُلاءَةً ... بَيْضاءَ مُحدَثةً هُمَا نَسَجاها(٥)

---

(١) ديوانه: ٩١ ، وفى حاشيتى الأصل ، ت : « أى من غير مداناة أولحوق » .

(٢) راش السهم : وضع عليه الريش ، والنصل : حديدة السهم ، والفوق : موضع الوتر من السهم.

(٣) ديوانه ٢ : ١٢٢ ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « أىجد كجد أبى سعيد مذكور ، أى جعل السماك غير عال ؛ كأنه قد علاه وفاقه » .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « يسوى بين ابنى صاعد وابنى مخلد » ، والبيتان فى ديوانه ١ : ١٧٢ ، وروايته : « ... شمائل ابن محمد » .

(٥) البيتان من قصيدته التى مطلعها :

مَاهَاجَ شوقَكَ من مَغَانِى دِمْنَةٍ ... ومنازلٍ شَغَفَ الفُؤادَ بِلاهَا

وهى فى الطرائف الأدبية : ٩٢-٩٧ ، والبيتان فى (معانى العسكرى ٢ : ٣١، وحماسة ابن الشجرى : ٢٧٦-٢٧٧ ، ومعجم المرزبانى ٢٥٣ ، وشرح المختار من شعر بشار ٣١٧ ، وزهر الآداب ٤ : ٦٨ . ومجموعة المعانى : ٢٠٣). ويتعاوران ؛ أى تصير الغبرة للعير مرة ، وللأتان مرة .

تُطْوَى إذا وَطِئَا مَكاناً جاسيًا ... وإذا السَّنابِكُ أَسْهلَتْ نَشَرَاها[١]

وهذا المعنى ، وإن كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد فى استيفائه عليها زيادة ظاهرة، صار من أجلها بالمعنى أحقَّ منها . وقد ابتدأ بهذا المعنى رجلٌ من بنى عُقيل فقال من قصيدة[٢] :

يُثيران مِنْ نَسْجِ التُّرابِ عليهما ... قَميصَيْنِ أَسْمالًا ويَرْتَدِيَانِ

---

(١) الجاسى : الغليظ من الأرض ، وأسهلت : صارت إلى سهولة الأرض .

(٢) أبيات منها فى الخزانة ٣ : ٢٧٦ ، منسوبة إلى ابن مقبل ، وفى زهر الآداب ٤ : ٦٨ منسوبة لأعرابى من بنى عقيل .

وقبله :

وقَفْرٍ مَرَوْراةٍ يَحارُ بِهَا القَطَا ... ويُضْحِى بِهـا الجأْبانِ يَفْتَرِقَانِ

المروراة : المفازة التى لاشىء فيها ، والجأبان : مثنى جأب ؛ وهو الحمار الغليظ من حمر الوحش ، وأراد بالجأبين الذكر والأنثى .

مجلس آخر [٨]

تأويل آية *

إن سأل سائل عن قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ ؛ [يوسف ١٨].

فقال : كيف وصف الدم بأنه كَذِب ، والكَذِبُ من صفات الأقوال لا من صفات الأجسام؟ وأىّ معنى لوصفه الصبرَ بأنّه جميل؟ ومعلوم أنّ صبرَ يعقوب عليه السلام على فقد ابنه يوسف لا يكون إلا جميلًا ؟ ولِمَ ارتفع الصبر ؟ وما المقتضى لرفعه ؟

والجواب ، يقال له : أمّا ﴿ كَذِبٍ ﴾ فمعناه أنه مكذوب فيه وعليه ، مثل قولهم : هذا ماء سَكْب وشراب صَبٌّ ؛ يريدون مصبوبا ومسكوبا ؛ ومثله : ماء غَوْر ، ورجل صَوْم ، وامرأة نَوْح[١] ، قال الشاعر :

تَظَلُّ جِيادُهُمْ نَوْحًا عليهمْ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَها صُفونا[٢]

أراد بقوله : « نَوْحًا » أى نائحة عليهم ، ومثله : ما لفلان معقول ؛ يريدون عقلا ، وما له على هذا الأمر مجلود ، يريدون جلَدا[٣] ، قال الشاعر :

---

* ورد هذا العنوان فى ت ، ف ، ولم يرد فى سائر الأصول .

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الوصف بالمصدر يفيد قوة ذلك الفعل ؛ كقولهم : رجل صوم ؛ يعنى أنه لكثرة صومه كأنه صار بكليته صوما ، ومن ذلك : ماء سكب وصب » .

(٢) صفونا : جمع صافن ؛ والصافن من الخيل : القائم على ثلاث قوائم ، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر ، والبيت لعمرو بن كلثوم ، من المعلقة ، وروايته فيها :

تركْنا الخَيْلَ عاكفةً عليْه مُقَلَّدةً أعنّتها صُفونا

(وانظر المعلقات ـــ بشرح التبريزى : ٢١٧) .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « بين السيد رضى الله عنه أنه كما يكون بمعنى المفعول ؛ فقد يكون المفعول بمعنى المصدر ؛ وهما متداخلان فى هذا المعنى ؛ فإذا كان المفعول بلفظ المصدر فلأن المفعول الحقيقى هو المصدر ، ألا ترى أنك إذا قلت : ضربت زيدا ففعلك على الحقيقة هو الضرب لا زيدا ، وإذا جاء المصدر بمعنى الفاعل فلأنه سبب له ؛ والفعل له طرفان : أحدهما إلى المفعول ، والآخر إلى الفاعل » .

[٣٣ ظ] / حتَّى إِذا لَمْ يَتْرُكوا لِعِظامِهِ لَحْماً ولا لِفُؤادِهِ مَعْقُولا

وأنشد أبو العباس ثعلب :

قدْ والذى سَمكَ السَّماءَ بقدْرةٍ بُلِـغَ العَزاءُ وأُدْرِكَ المَجاوِدُ

وقال الفرّاء وغيره : يجوز فى النحو : « بدم كَذباً » بالنصب على المصدر ؛ لأنّ ﴿ جاءُوا ﴾ فيه معنى كذبوا كَذِباً ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ﴾ [العاديات : ١] فنصب ضَبْحًا[١] على المصدر ؛ لأن العادياتِ بمعنى الضابحات ، وإنما كان دماً مكذوباً فيه ؛ لأن إخوةَ يوسف[٢] ذبحوا سَخْلة ، ولطخوا قميصَ يوسف بدمها ، وجاءوا أباهم بالقميص، وادّعوا أكلَ الذئب له ، فقال لهم يعقوب[٢] : يا بَنىّ ، لقد كان هـذا الذئب رفيقاً حين أكل ابنى ، ولم يُخَرِّقْ قميصه ؛ قالوا : بل قتله اللصوص ، قال : فـكيف قتلوه وتركوا قميصه ، وهمْ إلى قميصه أحوجُ منهم إلى قتله ! . وقد قيل : إنه كان فى قميص يوسف ثلاثُ آيات : حين قُدّ قميصه من دُبُر ، وحين أُلقِىَ على وجه أبيه فارتد بصيراً ، وحين جاءوا عليه بدم كَذب ؛ فتنبه أبوه على أنّ الذئب لو أكله لخرّق قميصه[٣] .

وأما وصف الصبر بأنه جميل، فلأن الصبرَ قد يكون جميلا وغير جميل ، وإنما يكون جميلا إذا قُصِد به وجهُ الله ، وفُعِل للوجه الذى وَجب ، فلما كان فى هذا الموضع واقعاً على الوجه المحمود صحّ وصفُه بذلك . وقد قيل إنه أراد صبراً لا شكوى فيه ولا جَزَع ، ولو لم يصفه بذلك لَظُنّ مصاحبةُ الشكوى أو الجزع له . وأما ارتفاع قوله: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ فقد قيل إن المعنى : فشأنى صبرٌ جميل ، أو الذى أعتقده صبر جميل[٤] . وقال قطرب : معناه فصبرى صبر جميل ؛ وأنشدوا :

---

(١) الضبح : صوت يسمع من جوف الفرس حال العدو . (٢) ت : « يوسف عليه السلام » .

(٣) فى حاشيتى ت ، ف : « قال السيد المرتضى رضى الله عنه: وقد قرئ: ﴿ بِدَمٍ كَدِبٍ ﴾ وهو الدم المسفوح » . (٤) فى حاشيتى ت ، ف : « يجوز أن يكون «صبر» مبتدأ وخبره محذوف ؛ ويحتمل أن يكون «صبر» مبتدأ و«جميل» خبره » ، وفى حاشية ف أيضا : « وهو وإن كان نـكرة يقوم مقام المعرفة ؛ وذلك أن أى صبر كان فهو المراد » .

شَــكا إلىَّ جَملى طولَ السُّرَى ... يا جَملى ليسَ إلىَّ المُشْتَــكَى
الدِّرهمانِ كَلَّفَانِى ما تَرَى (١) ... صبرٌ جميلٌ فــكِلانا مُبْتَلى

معناه : فليكنْ منك صبر جميل . وقد رُوى أن فى قراءة أبىّ : ﴿ فَصَبْرًا جَمِيــلًا ﴾ بالنصب ، وذلك يكون على الإغراء(٢) ، والمعنى فاصبرى يانفس صبراً جميلًا ، قال ذو الرُّمة :

ألا إنما مَىٌّ ــ فصبراً ــ بليــَّةٌ ... وقدْ يُبْتَلى الحُرُّ الـكرِيمُ فيَصْبِرُ (٣)

وقال الآخر :

أبَى اللهُ أنْ تَبْقَى لحىٍّ بَشاشةٌ ... فصَبْرًا على ما شاءَهُ اللهُ لى صَبْرا

تأويلُ خَبَر

/فى الحديث أن قيسَ بن عاصم قال : أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وآله فقال : « هذا سيِّد أهلِ الوبر » ؛ فقلت : يا رسول الله ، ما المالُ الذى ليست علىّ فيه تِبِعةٌ من طالب ولا ضيف ؟ فقال عليه السلام : « نِعْمَ المالُ أربعون ، والـكُثْر ستون ، وويلٌ لأصحاب المئين ! إلا مَنْ أعطَى الـكريمةَ ، ومنح الغزيرةَ(٤) ، ونحرَ السَّمينة ، فأكل وأطعم القانع والمُعْتَرّ » ــ وفى رواية أخرى : « إلا مَنْ أعطى من رِسْلِها ، وأطرق فحلَها ، وأفقر ظهرَها ، ومنح غزيرتَها ، وأطعم القانعَ والمعترّ » ؛ قلت : يارسول الله : ما أكرمَ هذه الأخلاق وأحسنَها ! إنه لا يُحَلُّ بالوادى الذى فيه إبلى من كثرتها . فقال : « فــكيف(٥) تصنع فى العظيمة »(٦) ؟ قلت : أعطِى البَكْر ، وأعطى الناب . قال : « فــكيف تصنع فى المِنْحَة ؟ » ، قلت : إنى لأمنح المائة . قال : « فــكيف(٥) تُعطى الطَّروقة ؟ » ، قلت : يَغْدُو الناس بإبلهم فلا يوزَع [٢٤ و]

(١) هذا البيت ورد فى ت ، وحاشية ف .

(٢) حاشية ف : « معنى الإغراء أن يغريه القائل بالتزام الذى أشار إليه ؛ كقولهم : عليك به » .

(٣) ديوانه : ٢٢٥ . (٤) الغزيرة كثيرة اللبن .

(٥) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « كيف » .

(٦) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) « العطية » .

رجل عن جَمل يخطِمه(١) فيمسكه مابدا له، حتى يكون هو الذى يردُّه. وفى الرواية الأخرى قال: « فكيف تصنع فى الإطراق ؟ »، قلت: يغدو الناس فمَنْ شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به . قال: « فكيف تصنع فى الإفقار؟ »، قلت : إنى لأُفْقِرُ الناب المدْبِرة والضَّرَع(٢) الصغيرة، قال: « فكيف تصنع فى المَنيحة؟ » قلت : إنى لأمنح فى السنة المائة ، قال : « فمالُكَ أحبُّ إليك أم مالُ مواليك ؟ »(٣)، قلت : لا، بل مالى ، قال : « فإنّ مالَك ما أكلتَ فأفنيتَ ، وأعطيتَ فأمضيتَ » . وفى الرواية الأخرى: « ولبست فأبليتَ ، وسائره لمواليك »، قلت : لا جرَم ! والله لئن رجعت لأُقِلّنّ عددها . فلما حضره الموت جمع بنيه فقال : يا بنيَّ خذوا عنى ، فإنكم لن تأخذوا عن أحد هوأنصحُ لكم منى ، لا تنوحوا علىّ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يُنَحْ عليه ، وقد سمعتُه ينهى عن النياحة ، وكفِّنونى فى ثيابى التى كنت أصلِّى فيها ، وسوِّدوا أكابرَكم ، فإنكم إذا سوّدتم أكابرَكم لم يزل لأبيكم فيكم خليفةٌ، وإذا سوّدتم أصاغركم هان أكابرُكم على الناس ، وزهِدوا فيكم ، وأصلحوا مِنْ(٤) عيشكم ؛ فإن فيه غنى عن طلب إلى الناس ، وإياكم والمسألة ؛ فإنها آخر(٥) كسب المرء ، وإذا دفنتمونى فأخْفُوا قبرى عن بكر بن وائل ، فقد كانت بيننا خُماشات فى الجاهلية ، فلا آمَنُ سفيهاً منهم أن يأتى / أمراً يدخل عليكم عيباً(٦) فى أبيكم(٧) . [٣٤ ظ]

(١) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « يختطمه » .

(٢) رواية ابن الأثير فى النهاية (ضرع) : « إنى لأفقر البكر الضرع ، والناب المدبر ، أى أعيرهما للركوب ؛ يعنى الجمل الضعيف ، والناقة الهرمة » .

(٣) حاشية ف : « المولى من يليك ؛ من ابن العم والمعتق ؛ ويليك ؛ أى يقربك ، وأصل الولى القرب .

(٤) م : « وأصلحوا عيشكم » ، وحاشية ف (من نسخة) : « وأصلحوا من أمر عيشكم » .

(٥) ف ، ونسخة بحاشيتى الأصل، ت « أخس » .

(٦) من نسخة بحاشيتى ت ، ف : « عيثا » .

(٧) الخبر بهذه الرواية فى (الفائق ٣ : ١٣٥) ، وفى رواية أخرى فيه أيضا : « وإذا مت فغيبوا قبرى من بكر بن وائل ، فإنى كنت أناوشهم فى الجاهلية — وروى : أهاوشهم — وروى أغاولهم » .

فأما قوله : « الكُثْرُ سِتّون » فمعناه الكثير ، تقول العرب : نسأل الله الكُثْر ، ونعوذ به من القُل ؛ أى نسأله الكثير ، ونعوذ به من القليل ؛ وقال الشاعر :

فإنَّ الكُثْرَ أعْيانى قَديماً ولمْ أُقْتِرْ لَدُنْ أَنّى غُلامُ(١)

وقال الآخر :

وقدْ يَقْصُرُ القُلُّ الفَتى دُونَ هَمِّهِ وقدْ كانَ لوْلاَ القُلُّ طَلاَّعَ أَنْجُدِ(٢)

والكريمة، يعنى بها كرائمَ ماله . و«أمنح الغزيرة»، أى أعطيها مَنْ يحلُبها ويردّها ، ومن ذلك الحديث : «العاريةُ مُؤدّاة ، والمِنْحَة(٣) مردودة ، والزعيم (٤غارم ، والدَّيْن مقضِىّ٤) » فالمِنْحة الناقة أو الشاة يدفعها الرجل إلى مَنْ يحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها عليه ، والزعيم : الكفيل ، ويقال له أيضا القبيل(٥) والصَّبير والجميل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ ؛ [يوسف : ٧٢] ، قال الشاعر :

فلَسْتُ بآمِرٍ فيها بسِلْمٍ ولَكِنّى على نَفْسى زَعيمُ(٦)

وقال آخر :

قلْتُ كَفّى لكِ رَهْنٌ بالرِّضا فازْعُمى يا هِنْدُ قالتْ قدْ وَجَبْ(٧)

معناه اكفُلِى ، ويروى : «فاقبلِى» ، من القبيل الذى هو الكفيل أيضا .

---

(١) البيت فى اللسان (كثر) ، ونسبه إلى رجل من ربيعة ، وفى حاشيتى ت ، ف : «أى لم أكن قبل مكثرا ولا مقترا ، يصف حاله بالتوسط ، والإقتار : الفقر » .

(٢) البيت فى اللسان (قلل) ، ونسبه إلى خالد بن علقمة الدارمىّ ، وأنشد قبله :

ويل امِّ لذّاتِ الشَّبابِ معيشه مع الكُثْرِ يُعطاه الفتَى المُتْلف النَّدِى

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « المنيحة » ، وهى والمنحة بمعنى .

(٤-٤) حاشية ت (من نسخة) : « والدين مقضى ، والزعيم غارم » .

(٥) القبيل : الكفيل والعريف ، وقد قبل يقبل قبالة ؛ أى يكفل .

(٦) حاشية ف : « معناه لا أملك إلا نفسى » .

(٧) البيت لعمر بن أبى ربيعة ؛ وهو فى ديوانه ٣٧٨ ، وفى حاشية ف : « أى ضمنت وحلفت على نفسى ألا أجاوز رضاك ، فافعلى مثله » .

وقال الفرّاء : القانع هو الذى يأتيك فيسألُك ؛ فإن أعطيتَه قبل ، والمعترّ : الذى يجلس عندالذبيحة ، ويُمْسك عن السؤال ، كأنّه يُعرِّض فى المسألة ولا يصرّح بها ، يقال قنِع الرجل قَناعة إذا رضى ، وقَنَع قُنُوعاً إذا سأل .

فأما قوله : «لا جرم» فقال قوم : معنى جَرَم كسب ، وقالوا فى قوله تعالى: ﴿ لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ [النحل : ٦٢] ، أنّ « لا » ردٌّ على الكفار ، ثم ابتدأ فقال : ﴿ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ بمعنى كسب قولهم أنّ لهم النار ، وقال الشاعر :

نَصَبْنا رَأْسَهُ فى رَأْسِ جِذْعٍ ... بما جَرَمَتْ يَدَاهُ وما اعتَدَيْنا[1]

أى : بما كسَبَت . وقال آخرون : معنى «جَرَم» حَقّ ، وتأول الآية بمعنى حَقّق قولهم أن لهم النار ؛ وأنشدوا :

ولقدْ طَعَنْتُ أبا عُيَيْنَةَ طَعْنةً ... جَرَمَتْ فَزَارَةُ بعدَها أنْ يَغضَبُوا

أراد : حَقّقت فَزارةُ ، وروى الفرّاء « فزارةَ » ، بالنصب على معنى كسبت[2] الطعنة فزارةَ الغضب / ، وقال الفراء : لاجرم فى الأصل مثل لا بُدّ ، ولا محالةَ ، ثم استعملته العرب [٣٥ و] فى معنى حقاً ، وجاءت فيه بجواب الأيمان ، فقالوا : لا جرَم لأقومنّ ؛ كما قالوا : والله لأقومَنّ ، وفيها لغات ، يقال : لا جَرَم ، ولا جُرْمَ ، بضم الجيم وتسكين الراء ، ولا جَرَ بحذف الميم ، ولا ذا جَرَم ؛ قال الشاعر :

إنَّ كِلاَباً والدِى لَا ذَا جَرَمْ[3] ... لأُهْدِرنَّ اليوْمَ هَدْراً فى النَّعَمْ[4]

* هَدْرَ المُعَنّى[5] ذِى الشّقاشِيقِ اللَّهِمْ[6] *

---

(١) البيت فى اللسان (جرم) ، ونسبه إلى أبى أسماء بن الضريبة. (٢) د : « أ كسبت »

(٣) البيت فى اللسان (جرم) من غير عزو . (٤) لأهدرن : لأصوتن ؛ من الهدير ، وهو تردد صوت البعير فى حنجرته . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « المغنى » .

(٦) حواشى الأصل ، ت ، ف : المعنى : الذى يدخل العنة من الإبل ؛ وهى الحظيرة ؛ وذلك أن الفحل اللئيم إذا هاج حبس حتى لايضرب فى النوق الكرام ، ومنه قول الوليد بن عقبة :

قَطَعْتُ الدهرَ كالسَّدِمِ المُعَنَّى ... تُهدِّر فى دِمشْقَ فلا تَرِيمُ

والناب : الناقة الهرِمة ، وجمعها نِيب ، ومثلُها الشارف ، قال الشاعر :

لاَ أَفْتأُ الدَّهرَ أَبكيهِمْ بأَرْبعةٍ   مااجترَّتِ النيبُ أَوْ حَنَّتْ إلى بَلَدِ(١)

ويقال للبعير أيضا إذا كبر عَوْدٌ ، وللأنثى عَوْدة ، قال الشاعر :

عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ مِنَ الْقُدْمِ الأُوَلْ   يَموتُ بالتَّرْكِ ويَحْيَا بالعَمَلْ(٢)

وهذا من أبيات المعانى ، ومعناه بعيرٌ عَوْد على طريق متقادم ، وسُمِّىَ الطريقُ بأنه عَوْد لتقادمه تشبيها بالبعير ، وقوله :

* يموت بالترك ويحيا بالعمل *

أراد أنه إذ سُلك وطُرِق ظهرت أعلامه ، ووضحت طرقُه ، واهتدى سالكه لسلوكه ، ولم يَضِلّ عن قصده ، فكان هذا كالحياة له ، وإذا لم يُسْلَك طمست آثارُه ، وامَّحَتْ(٣) معالمه ، فلم يهتدِ فيه راكب لقصْد ، وكان ذلك كالموت له .

فأما « الخُماشات » فهى الجنايات والجراحات ، : قال ذو الرُّمة يذكر الحمار والأُتُن :

رَبَاعٍ لهـا مُذْ أَوْرَقَ العودُ عندَهُ   خُماشاتُ ذَحْلٍ ما يُرادُ امتِثالُها(٤)

= وأصله « المعنن » ؛ فقلبت إحدى النونات ياء ، كقولك : تغنيت ، وفى التنزيل: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ ، والشقاشق : جمع شقشقة ؛ وهى كالرئة تخرج من فم البعير إذا هاج واغتلم ، واللهم: الذى يلتهم كل شىء ؛ أى يبتلع ، وفرس لهم : سريع ؛ كأن يلتهم الأرض .

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : لا أفتأ ؛ أى لاأزال أبكيهم بأربعة ؛ أى بأربعة شئون ؛ وهى مجارى الدمع من الدماغ ؛ ومثله قول الآخر :

* جُودِى بأَرْبعةٍ على الجرّاحِ *

وقيل بأربعة آماق من موق العين ، واجترت : إذا أكلت الجرة » . والجرة : مايخرجه البعير من بطنه ليبتلعه .

(٢) البيتان فى اللسان (عود) ، ونسبهما إلى بشير بن النكث .

(٣) من نسخة بحاشيتى ت ، ف : « أنهجت » ؛ أى بليت .

(٤) ديوانه : ٥٣٣ ؛ وفى حاشيتى ت ، ف : « الرباع من الغنم ماله أربع سنين ، ومن الحافر ماله خمس سنين ، ومن الخف ماله سبع سنين والجمع ربع ، وقد أربع » .

يريد بقوله : «مايرادامتثالها» ، أى ما يراد اقتصاصها ، يقال : أمثِلْنى من هذا الرجل ، وأقِدْنى وأقِصَّنى بمعنى واحد .

فأماقوله: «لايُوَزَّع» ، أى لا يحبَسْ ، ولا يمنع ، يقال ورَّعت الرجل توريعا إذا منعته وكففته ، والوَرِع هو المتحرج(١) المانع نفسه مما تدعوه إليه ، يقال وَرِعَ ورَعاً ورعة ؛

قال لبيد :

أَكُلَّ يَوْمٍ هامَتِي مُقَزَّعَهْ(٢) لا يَمْنَعُ الفِتْيانَ مِنْ حُسْنِ الرِّعَهْ(٣)

ويقال : ما ورّع أن فعل كذا وكذا، أىما كَذَب(٤) ،فأماالوَرَع بالفتح فهو الجبان، وأما الطّرُوقة / فهى التى قد حان لها أن تُطرَق ، وهى الحِقّة . وقوله فى الرواية الأخرى [٣٠ ظ] « إلا مَنْ أعطى من رِسلها» فالرِّسْل اللبن . والإفقار : هو أن يُركِبهَا الناس، ويحملهم على ظهورها ، مأخوذ من فِقَر الظهر ، والإطراق : للفحول هو أن يبذلها لمن يُنزِيها على إناث إبله. وذكرُالإطراق فىهذه الرواية أحبُّ إلىّ من الطّروقة لأنه قدتقدم من قوله: «إنه يعطى الناب والبَكرَ والضرعَ والمائة » فلا معنى لإعادة ذكر الطَّروقة . وقوله فى الجواب «يغدو الناسُ فلا يورَّع رجلٌ عن جمل يخطمه فيُمسكه قائداً له(٥) ثم يردُّه » لايحتمل غيرالإطراق ولا يليق بمعنى الطَّروقة .

* * *

وكان قيس بن عاصم شريفاً فىقومه ، حليما ويكنى أبا على ، وكان الأحنف بن قيس يقول

---

(١) ت : « هو الرجل المتحرج » .

(٢) منأرجوزةفىديوانه ٧—٨ ، وفى حاشيتى الأصل، ف : « المعنى : أ كل يوم أحارب وألبس الدرع حتى ذهب شعر مقدم رأسى ، والأقزع : الأصلع ؛ إلا أن الأقزع الذى أدى صلعه إلى وسط رأسه »

(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يمكنأن يكون المعنىإن هامته المقزعة التى قزعتها أعداؤه تركت الفتيان من قبيلته على حسن الرعة والتحرج . وهذا الحديث خارج مخرج التذمم » .

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « قوله : ما كذب [بالتخفيف] أى مالبث أن فعل كذا ، وكذب [بالتشديد] ، أى ماجبن ، وحمل فلان فما كذب [بالتشديد] أيضا ، أىصدق الحملة فىالحرب »

(٥) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل من نسخة : « مابداله » .

إنما تعلمت الحلمَ من قيس بن عاصم ؛ أُتِي بقاتل ابنه فقال : زَعَبْتم الفتى ، وأقبل عليه فقال : يا بُنيّ لقد نقصتَ عددَك ، وأوهنْت ركْنَك ، وفتَتَّ فى عضُدِك ، وأشمتّ عدوّك ، وأسأتَ بقومك ؛ خلّوا سبيله ؛ وما حَلّ حُبْوته ، ولا تغيّر وجهُه .

وقال ابن الأعرابىّ : قيل لقيس : بماذا سُدْتَ ؟ فقال بثلاث : بَذْلِ الندى ، وكفّ الأذى ، ونصْر المولى .

وذكر المدائنىّ قال : كان قيس بن عاصم يقول لبنيه : إياكم والبغْى ، فما بَغَى(١) قوم قط إلاّ قَلّوا وذَلّوا . وكان الرجل من بنيه يَظلِمه بعضُ قومه فينهى إخوتَه أن ينصرُوه .

وقيس بن عاصم هو الذى حَفَزَ الحوفزانَ(٢) بن شَريك الشيبانىّ بطعنة فى يوم جدود(٣)، فسمى الحارثُ الحوفزانَ ؛ وقال سَوّار بن حَيّان(٤) المِنْقرىّ(٥) :

ونحنُ حَفَزْنا الحَوْفَزانَ بطَعنةٍ سَقَتْه نَجيعاً من دَمِ الجوْفِ أشكَلاَ(٦)
وحُمْرانَ قَسْراً أنزَلَتْهُ رِماحُنا فعالجَ غُلاًّ فى ذِراعَيْه مُثْقَلاَ(٧)

---

(١) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « فإنه مابغى » . (٢) حفزه ، أى طعنه من خلفه ، وفى اللسان عن التهذيب أن الحوفزان لقب لجرار من جرارى العرب ؛ وكانت العرب تقول للرجل إذا قاد ألفا جراراً .

(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « جدود : موضع فيه ماء يسمى بالكلاب ، وكانت فيه وقعة مرتين ؛ ويقال للكلاب الأول يوم جدود ؛ وهو لتغلب على بكر بن وائل »

(وانظر خبر يوم جدود فى العقد ٥ : ١٩٩ــ٢٠١ ، وابن الأثير ١ : ٣٧٢) .

(٤) كذا ضبط بالقلم فى جميع الأصول ، وضبطه ابن السيد فى الاقتضاب ص ١٣٩ : « بحاء مكسورة غير معجمة وباء معجمة بواحدة » ، والبيتان فى (الأغانى ١٢ : ١٤٧ ، وابن الأثير ١ : ٣٧٢ ، واللآلئ ٢٥٦ ، واللسان ــ حفز ، شكل) .

(٥) م : « ... المنقرى فى ذلك » .

(٦) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « كسته نجيعا » ، والشكلة : حمرة يخالطها بياض ؛ ويسمى الدم أشكل للحمرة والبياض المختلطين فيه .

(٧) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « مقفلا » ؛ وهو حمران بن عمرو بن بشر بن عمرو ؛ وكان على شيبان وذهل واللهازم ؛ حينما خرجوا لقتال بنى يربوع .

وفى يوم جَدود يقول قَيْس بن عاصم :

جَزَى اللهُ يَرْبُوعاً بأَسوَإِ سَعْيِها ... إِذا ذُكِرَتْ فى النَّائباتِ أُمُورُها(١)

ويوْمَ جَدُودٍ قدْ فَضَحْتُمْ ذِمارَكُمْ ... وسالَمْتُمُ والخَيْلُ تَدْمى نُحُورُها

[٣٦ و] / سَتَحْطِمُ سَعْدٌ والرِّبابُ أُنوفَكمْ ... كَما حَزَّ فى أَنفِ القَضيبِ جَرِيرُها

القضيب : الناقة المقتضَبة الصعبة ؛ وفى قيس يقول عَبْدَة بن الطبيب :

عليْكَ سَلَامُ اللهِ قيْسَ بنَ عاصِمٍ ... ورَحمتُهُ ما شاءَ أَنْ يترَحَّما(٢)

سلامَ امرِئٍ جَلَّلْتَهُ منكَ نِعْمةً(٣) ... إِذا زارَ عنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَّما

فما كانَ قيسٌ هُلْكُهُ هلكَ واحِدٍ ... ولكِنَّهُ بُنْيانُ قوْمٍ تَهَدَّما(٤)

* * *

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه : ذاكرنى بعضُ الأصدقاء بقول أبى دَهْبَل الجُمحِىّ وهو يعنى ناقته :

---

(١) الأبيات فى (الأغانى ١٢ : ١٤٧) .

(٢) الأبيات فى (الأغانى ١٢ : ١٤٨ ، والحماسة ـ بشرح التبريزى ٢ : ٢٨٥ـ٢٨٦) .

(٣) رواية التبريزى :

* تَحِيَّةَ مَنْ غادَرْتَه غَرَضَ الرَّدَى *

(٤) قال التبريزى فى شرحه لهذا البيت : « يجوز أن يروى « هلك » بالنصب وبالرفع ؛ فإذا نصبته كان هلكه فى موضع البدل من قيس ، وهلك ينتصب على أنه خبر كان ؛ كأنه قال : فما كان هلك قيس هلك واحد من الناس ؛ بل مات لموته خلق كثير ؛ وإذا رفعته كان هلكه فى موضع المبتدأ وهلك واحد فى موضع الخبر ، والجملة فى موضع النصب على أنه خبر كان ، ويشبه هذا البيت قول امرئ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَموتُ سَوِيَّةً ... ولكِنَّهَا نَفْسٌ تُساقِطُ أَنفُسا

إذا رويت « تساقط » بضم التاء » .

وَأَبرَزْتُهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ عِندَما ... أصاتَ المُنَادِي بالصَّلاةِ فأَعْتَمَا(١)

وسألنى إجازةَ هذا البيت بأبيات تنضم إليه وأجمل الكناية فيه كأنها كناية عن امرأة لا عن ناقة، فقلت فى الحال :

فطيَّبَ مَسراها المَقامُ وضوَّأَتْ ... بإشراقِها بيْنَ الحَطيمِ وزَمْزَما(٢)
فيارَبِّ إنْ لقَّيْتَ وَجهاً تَحِيّةً ... فحَىِّ وُجُوهاً بالمَدِينةِ سُهَّما(٣)
تَجافيْنَ عنْ مَسِّ الدِّهانِ وطالما ... عَصَمْنَ عنِ الحِنّاءِ كَفًّا ومِعْصَمَا
وكمْ مِنْ جَليدٍ لا يُخامِرُهُ الهَوَى ... شَنَنَّ عليهِ الوَجْدَ حتَّى تَتَيَّما(٤)
أهانَ لهُنَّ النَّفْسَ وهْىَ كَرِيمةٌ ... وألْقَى إليهنّ الحَدِيثَ المُكَتَّما
تسَفَّهْتَ لمَّا أنْ مَرَرْتَ بدارِها ... وعُوجِلْتَ دُونَ الحِلْمِ أنْ تتحلَّما(٥)

---

(١) أصات: نادى، وأعتم: دخل فى العتمة ؛ والبيت من قصيدة جيدة ؛ ذكر منها أبو الفرج هذه الأبيات :

أَلا عِلقَ القَلْبُ المتيَّمِ كُلْثُمَا ... لجاجاً ولم يلزمْ من الحب مَلْزَما
خرجتُ بها من بطن مكّةَ بعدَما ... أصاتَ المنادى بالصلاة فأعْتَمَا
فما نام من راعٍ ولا ارتدّ سامِرٌ ... من الحىّ حتى جاوزتْ بى يَلَمْلَمَا
ومرت ببطن الليث تهوِى كأنما ... تبادِرُ بالإدْلاج نَهْبا مُقَسَّما
وجازتْ على البَزْداءِ والليلُ كاسِرٌ ... جناحين بالبزْداءِ وَرْدًا وأدْهما
فما ذرّ قرنُ الشمس حتى تبينتْ ... بِعُلْيَبَ نخلا مُشرفا أو مخيَّما
ومرّتْ على أشطان رَوْنق بالضُّحا ... فما خزّرَت للماء عَيْناً ولا فماَ
وما شربتْ حتى ثنيتُ زِمامَها ... وخِفْتُ عليها أن تَخِرّ وتُكَلما
فقلتُ لها قد بِنْتِ غيرَ ذَميمةٍ ... وأصبحَ وادى البِرْكِ غيثا مُدَيّما

(وانظر الأغانى ٦ : ١٦٣ ، ومعجم البلدان ٦ : ٢١٢–٢١٣ ، والشعر والشعراء ٥٩٧) .

(٢) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « فطيب رياها » . وضوأت : أضاءت .

(٣) سهما : جمع ساهم ؛ وهو المتغير الوجه . (٤) شننن: صببن . (٥) م : « وقفت بدارها » .

فعُجْتَ تَقَرَّى دَارِساً مُتَنكِراً ... وتَسأَلُ مَصْرُوفاً عن النُّطْقِ أعْجَما[1]

ويومَ وَقَفْنا لِلوَداعِ وكُلُّنا ... يَعُدُّ مُطيعَ الشَّوْقِ مَنْ كانَ أحْزَما

نُصِرْتُ بقَلْبٍ لا يُعَنَّفُ في الهَوَى ... وعيْنٍ متَى استَمْطَرْتُها قَطَرَتْ دَما[2]

وكان أبو دَهْبَل[3] من شعراء قريش ، وممنْ جمع إلى الطبع التجويد ، واسمه وهب بن زَمْعَة بن أَسِيْد[4] / بن أُحَيْحَة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، واسمه تيم [٣٦ ظ] ابن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب ، وكان اسم جُمَح تَيْماً ، واسم أخيه زيداً؛ وهما ابنا عمرو بن هُصَيْص ، فاستبقا إلى غاية ، فمضى تَيْمٌ عن الغاية ، فقيل جَمَح تيمٌ فسمى جُمح ، ووقف عليها زيد فقيل سَهَم[5] زيدٌ ، فسمى سهماً[6] ؛ فأما كُنْيته فهى مشتقة من الدَّهْبلة ، وهى المشى الثقيل ، يقال دَهْبَل الرجل دَهْبَلة إذا مشى ثقيلا .

أخبرنا أبو عُبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزُبانيّ قال حدثنى محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحويّ قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال : قيل لأبى عمرو بن العلاء ما يعجبُك من شعر أبى دَهْبل الجُمَحِيّ ؟ فقال قوله :

يا عَمْرَ حُمَّ فِراقُكُمْ عَمْرًا ... وعَزَمْتِ مِنَّا النَّأْيَ والهَجْرا[7]

يا عَمْرَ شيخُكِ وهْوَ ذُو شَرَفٍ ... يَرْعَى الزِّمارَ ويُكْرِمُ الصِّهْرا[8]

واللهِ ما أَحبَبْتُ حُبَّكُمُ ... لا ثَيِّباً خُلِقَتْ ولا بِكْرا[9]

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : تقرى : « تتبع ؛ أراد تتقرى ؛ وهو تتفعل من قولك : قروت الأرض والشىء ؛ إذا تتبعته » . (٢) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « مطرت دما » .

(٣) وانظر ترجمة أبى دهبل فى (الشعر والشعراء ٥٩٦ـ٥٩٩ ، والاشتقاق ٨١ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ١١٧ ، والأغانى ٦ : ١٤٩ـ١٦٥) .

(٤) فى ص : « أسيد » ، بفتح الهمزة وكسر السين .

(٥) « سهم ، بالفتح : تغير وجهه ، وسهم ، بالبناء للمجهول : غلب ؛ وضبط فى ت : بهما معا

(٦) حاشية ف : سهم : « قبيلة من باهلة ، ومن قريش أيضا » .

(٧) الأبيات فى (الأغانى ٦ : ١٥٣) ، وفى حاشية الأصل (من نسخة) « وعزمت منى » .

(٨) شيخك ؛ يعنى أباها (٩) حاشية ف : « تقدير البيت : ما أحببت ثيبا ولا بكرا كحبى إياكم » .

إنْ كانَ هذا السِّحْرُ مِنْكِ فلا ... تُرْعِى عليَّ وَجَدِّدِى السِّحْرا[١]
إحدَى بنى أَوْدٍ كلِفْتُ بِهـا ... حَمَلَتْ بِلاَ تِرَةٍ لنا وِتْرا
وترَى لها دَلاًّ إذا نطَقَتْ ... تَرَكَتْ بناتِ فؤادِهِ صُعْرا[٢]
كتَسَاقُطِ الرُّطَبِ الجَنِىِّ منَ الـ ... أَقْناءِ لا نَثْرًا ولا نَزْرا[٣]
ومَقالةٍ فيكُمْ عَرَكْتُ لها ... جَنْبِى أُرِيدُ بِهـا لكِ العُـذْرا
ومُرِيدُ سِرِّكُمُ عَدَلْتُ بهِ ... عمَّا يُحاوِلُ مَعْدِلاً وَعْرا
قالتْ يُقيمُ لنا لِنَجْزِيَهُ ... يوْماً فخَيَّمَ عندَها شَهْرا
ما إنْ أُقِيمُ لِحاجةٍ عَرَضَتْ ... إلا لأُبْلِىَ فِيكُمُ عُذْرا
وإذا هَمَمْتُ بِرِحْلةٍ جَزِعَتْ ... وإذا أَقَمْنا لمْ تُفِدْ نَقْرا[٤]
إنى لأَرْضَى ما رَضِيتِ بهِ ... وأرَى لِحُسْنِ حَدِيثِكُمْ شُكْرا

[٣٧ و] /ورَوَى أبوعمرو الشيبانىّ لأبى دَهْبَل:

يا ليْتَ مَنْ يَمْنَعُ المَعْرُوفَ يُمْنَعُهُ ... حتى يذُوقَ رِجالٌ غِبَّ ما صَنَعوا[٥]
وليْتَ رِزْقَ رِجالٍ مِثْلُ نائلِهِمْ ... قوتٌ كقوتٍ ووُسعٌ كالذى وَسِعُوا[٦]

ويروى: «ضِيقٌ كضِيقٍ ووسع كالذى اتسعوا».

وليْتَ للنَّاسِ خَطًّا فى وُجُوهِهِمُ ... تبينُ أخلاَقُهمْ فيهِ إذا اجتَمَعوا
وليْتَ ذا الفُحْشِ لاقَى فاحِشاً أبداً ... ووَافَقَ الحِلْمُ أهلَ الحِلْمِ فاتَّدَعُوا[٧]

---

(١) الإرعاء: الإبقاء؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت.

(٢) فى حاشيتى الأصل، ف: «أى أسراره مائلة إليها».

(٣) الأقناء: جمع قنو؛ وهو غصن النخل.

(٤) حواشى الأصل، ت، ف: «نقرا؛ أى قليلا؛ وهو صويت يسمع من وقع الإبهام على الوسطى؛ يقال: ماأعطاه نقرا ونقرة؛ أى شيئا؛ ولا يستعمل إلا فى النفى».

(٥) الأبيات فى المؤتلف والمختلف ١١٧.

(٦) حاشية ف: «يجوز أن يكون «قوت» خبر المبتدأ؛ أى هو قوت؛ ويجوز أن يكون بدلا من مثل نائلهم».

(٧) حاشية ف: «فاتدعوا: فاستراحوا».

ولأبى دَهْبل فى قتل الحسين بن على صلوات الله عليهما :

تَبيتُ النَّشاوَى مِنْ أُمَيّةَ نُوَّماً ... وبالطَّفِّ قَتْلَى ما يَنامُ حَميمُها[١]
وما ضَيَّعَ الإسلامَ إلاّ عِصابةٌ ... تأمَّرَ نَوْكاها ودامَ نَعيمُها[٢]
وصارَتْ قناةُ الدِّينِ فى كَفِّ ظالِمٍ ... إذا مالَ مِنها جانِبٌ لا يُقيمُها

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال روَى أبو عمرو الشيبانىّ لأبى دَهْبل قال — ويقال إنها للمجنون :

أأتْرُكُ لَيلَى ليْسَ بَينى وبيْنَها ... سِوَى لَيْلةٍ إنى إذاً لَصَبُورُ[٣]
هَبُونى امرأً مِنكمْ أضَلَّ بعيرَهُ ... لهُ ذِمّةٌ إنَّ الذِّمامَ كبيرُ
ولَصّاحِبُ المَتْرُوكُ أعظَمُ حُرْمَةً ... على صاحِبٍ مِنْ أنْ يَضِلَّ بَعيرُ[٤]
عَفَا اللهُ عَنْ لَيلَى الغَداةَ فإنّها ... إذا وَلِيَتْ حكماً علَيَّ تَجُورُ

وروى أبو عمرو الشيبانى لأبى دَهْبل — وقد رواه أبو تمام فى الحماسة له[٥] :

أقولُ وَالرَّكْبُ قدْ مالَتْ عَمائِمُهُمْ ... وقدْ سَقَى القومَ كأسَ النَّشْوَةِ السَّهَرُ[٦]
ياليْتَ أنى بأثوابى وراحِلَتى ... عَبْدٌ لأهلكِ طُولَ الدَّهْرِ مُؤْتَجَرُ[٧]
إنْ كانَ ذا قَدَرٌ يُعْطيكِ نافِلةً ... مِنّا ويَحْرِمُنَا ما أنصفَ القَدَرُ![٨]

(١) الأبيات فى (الأغانى ٦ : ١٦٢ ، ومعجم البلدان ٦ : ٥٢) ، والطف : أرض فى ضاحية الكوفة، كان فيها مقتل الحسين بن على رضى الله عنه ، وحميمها : أقرباؤها .

(٢) فى الأغانى ومعجم البلدان : « وما أفسد الإسلام ... » .

(٣) الأبيات فى الأغانى (٦ : ١٦٤ ، وديوان الحماسة — بشرح التبريزى ٣ : ٢٧٢—٢٧٣) .

(٤) حاشية ف : « أضللت بعيرى إذا شذ عنك وذهب ، وضللت الطريق إذا شذذت عنه وذهبت » .

(٥) الحماسة — بشرح التبريزى ٣ : ٢٩٦—٢٩٧ . (٦) الحماسة : « كأس النشوة » .

(٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « هذا الشهر مؤتجر » ، وهى رواية الحماسة .

(٨) وورد بعد هذا البيت فى الحماسة :

جِنّيَّةٌ أو لَهَا جِنٌّ يعلِّمُها ... رمْىَ القلوب بقوسٍ مالها وَتَرُ

وأخبرنا المرزبانىّ قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال : مثل قول أبى دَهْبل : [٣٨ ظ]

ولوْ تركونا لاَ هدَى اللهُ أمرَهُمْ   فلَمْ يُلْجِموا قولاً مِنَ الشَّرِّ يُنْسجُ[1]

لأَوْشَكَ صَرفُ الدَّهْرِ تفْرِيقَ بيْنِنا   وهلْ يَستقيمُ الدَّهرُ والدَّهرُ أعوَجُ!

قولُ العجّاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره، وتمنى موته:

لمّا رآنى أرْعِشَتْ أطرافى[2]   استعْجَلَ الدهرَ وفيهِ كاف

يَخْتَرِمُ الإلْفَ عنِ الأُلاَّفِ

قال ومثله :

عَدِمْتُ ابنَ عَمٍّ لا يَزَالُ كأنَّهُ   وإنْ لمْ أتِرْهُ مُنْطَوٍ لى على وِتْرِ

يُعِينُ علىَّ الدَّهْرَ والدَّهْرُ مُكْتَفٍ   وإنْ أستَعِنْهُ لا يُعِنّى على الدَّهر

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه ومثل الجميع قولُ أبى أحمد عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر :

إلى كمْ يكُون العَتْبُ فى كلِّ ساعةٍ   وكمْ لا تَمَلِّينَ القَطيعةَ والهَجْرا

رُوَيدَكِ إنَّ الدهرَ فيهِ كِفايةٌ   لِتفْرِيقِ ذاتِ البينِ فانتظرى الدَّهرا

---

(١) من قصيدة فى (الأغانى ٦ : ١٥١–١٥٢ ، والشعر والشعراء ٥٩٨–٥٩٩) ، مطلعها :

تطاولَ هـذا اللّيلُ ما يتبَلّجُ   وأعيتْ غواشِى الهمِّ ما تتفرَّجُ

(٢) ديوانه : ٣٩ .

مجلس آخر

تأويل آية *

إن سأل سائل فقال : ما وجهُ التّكرار فى سورة الكافرين، وما الذى حَسَّنَ إعادة النفى لكونه عابدا ما يعبدون ؛ وكونهم عابدين ما يعبد ، وذكرُ ذلك مرة واحدة يُغنى . وما وجه التكرار أيضا فى سورة الرحمن لقوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبانِ ﴾؛ [سورة الرحمن]،

الجواب، يقال له: قد ذكر ابن قتيبة فى معنى التّكرار فى سورة الكافرين وجها ، وهو أنْ قال : القرآن لم ينزل دَفعة واحدة ؛ وإنما كان نزوله شيئا بعد شىء ، والأمر فى ذلك ظاهر ، فكأن المشركين أتوا النبى صلى الله عليه وآله فقالوا له: استلِمْ(1) بعضَ أصنامنا حتى نؤمن بك؛ ونصدّقَ بنبوتك، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم: ﴿ لاَ أَعبدُ ما تَعْبُدُونَ . وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ، ثم غبروا مدة من الزمان وجاءوه / فقالوا له : اعبدْ بعضَ آلهتنا ، واستلم [٣٢ و] بعضَ أصنامنا يوماً أوشهراً أو حولا، لنفعل مثلَ ذلك بإلهك، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم: ﴿ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾؛ أى إن كنتم لا تعبدون إلهى إلا بهذا الشرط فإنكم لا تعبدونه أبداً .

وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال : إنه يقتضى شرطاً وحذفاً لا يدل عليه ظاهر الكلام ، وهو شَرْطُهُ فى قوله : ﴿ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدْ ﴾ ؛ وإذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادته ما يعبدون مطلقاً غير مشروط ، فكذلك ما عطفه عليه . وهذا الطعنُ غير صحيح ، لأنه لا يمتنع إثباتُ شرط بدليل ، وإن لم يكن فى ظاهر الكلام ، ولا يَمتنع عطف المشروط على المطلق بحَسب قيام الدلالة .

وعن هذا السؤال ثلاثة أجوبة ؛ كلٌّ واحد منها أوضح مما ذكره ابن قتيبة .

---

* لم يذكر فى الأصل ، وأثبته عن ت .

(1) حاشية ف : « من استلام الحجر ، وهو التمسح ، ويقال : استلأم الحجر ، والأصل ترك الهمز لأنه من السلمة ؛ وهى الحجر ؛ إلا أن استلأم الحجر جرى فى كلامهم مهموزا » .

أولها ما حُكِىَ عن أبى العباس ثعلب أنه قال: إنما حَسُن التكرار؛ لأن تحت كلِّ لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى، وتلخيص الكلام : قل : يأيها الكافرون : لا أعبد ما تعبدون الساعة وفى هذه الحال ، ولا أنتم عابدون ما أعبد فى هذه الحال أيضا ، فاختَصَّ الفعلان منه ومنهم بالحال ، وقال من بعد : ولا أنا عابد ما عبدتم فى المستقبل ، ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون ، فاختلف[1] المعانى وحَسُن التكرار لاختلافها ، ويجب أن تكون السورة على هذا الجواب[2] مختصةً بمَنِ المعلوم من حاله[3] أنه لا يؤمن . وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت فى أبى جهل والمستهزئين ، ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد ؛ والمستهزئون هم : العاص ابن وائل السَّهمىّ ، والوليد بن المغيرة، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وعدىّ ابن قيس .

والجواب الثانى وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد ؛ كقول المجيب مؤكداً : بلى بلى ، والممتنع مؤكداً : لا لا ؛ ومثله قول الله تعالى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ [التكاثر : ٢ ، ٣] ، وأنشد الفراء :

وكائِنْ وكَمْ عِندِى لهُمْ مِنْ صَنِيعةٍ ... أيادِىَ ثَنَّوها علىَّ وأوْجَبوا

وأنشد أيضاً :

كَمْ نِعْمَةٍ كانتْ لكُمْ كَمْ كَمْ وكَمْ

وقال آخر :

/ نَعَقَ الغُرَابُ ببيْنِ لُبْنَى غُدْوَةً ... كَمْ كَمْ وكَمْ بِفِراقِ لبنَى يَنْعَقُ[4] [٣٨ ط]

وقال آخر :

---

(١) ط : « فاختلفت المعانى » .

(٢) ساقطة من ط ، م .

(٣) ساقطة من ت ، م .

أَرَدْتُ لِنَفْسِيَ بَعْضَ الأُمُورِ ... فَأَوْلَى لِنَفْسِيَ أَوْلَى لَهَا ! (١)

والجواب الثالث ـ وهو أغربها ـ أننى لا أعبد الأصنام التى تعبدونها ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ؛ أى : أنتم غير عابدين الله الذى أنا عابده إذ أشركتم به ، واتخذتم الأصنام وغيرها معبودةً من دونه أو معه ، وإنما يكون عابداً له مَنْ أخلص له العبادة دون غيره ، وأفرده بها ؛ وقوله : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ ؛ أى لست أعبد عبادتكم ، وما فى قوله : ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾ فى موضع المصدر كما قال تعالى : ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا : وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ؛ [الشمس : ٦، ٧] ، أراد : وطَحْيِه إياها وتسويته لها ، وقوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ؛ [غافر : ٧٥] ، يريد : بفرحكم ومرحكم ؛ قال الشاعر :

يا رَبْعَ سَلَّامَةَ بالمُنْحَنَى ... بِخَيْفِ سَلْعٍ جادَكَ الوابِلُ (٢)

إنْ تُمْسِ وَحْشاً فبما قد تُرَى ... وأنتَ مَعْمُورٌ بها آهِلُ (٣)

أراد فبرؤيتك معموراً آهلاً ، ومعنى قوله : ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ ، أى لستم عابدين عبادتى على نحو ما ذكرناه ، فلم يتكرر الكلام إلا لاختلاف المعانى .

وتلخيص ذلك أن النبى صلى الله عليه وآله قال للكفار لا أعبد آلهتكم ، ومَنْ تدعونه من دون الله ، ولا أنتم عابدون إلهى ، فإن زعمتم أنكم عابدون إلهى فأنتم كاذبون ، إذ كنتم من غير الجهة التى أمركم بها تعبدونه ، فأنا لا أعبد مثلَ عبادتكم ، ولا أنتم ما دمتم على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتى .

---

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : «أولى لك : كلمة تحذير ، قال الأصمعىّ : معناه قاربك ماتكره ، والولى : القرب ، وقد وليه يليه . وقال ثعلب : أصح ماذكر فى « أولى » قول الأصمعىّ ، وقد قيل فيها غير ذلك ، وكان محمد بن الحنفية عليه السلام إذا مات جار له يقول : أولى لى ! كدت أكون السواد المخترم » .

(٢) المنحنى : حيث ينحنى السيل ؛ أى يميل . والخيف : ما انحدر عن الجبل وارتفع عن المسيل ، و[بها] سمى خيف منى . وسلع : يطلق على جملة مواضع فى ديار باهلة وأسد .

(٣) وحشا : خاليا ، وبما ترى ؛ أى بما كنت قد ترى ، وآهل : ذو أهل ؛ وفى حاشية ف : « وأنت معمور بها ، يجوز أن يتعلق « بها » بمعمور وبآهل جميعا » . وفى د ، م : « به آهل » .

فإن قيل : أما اختلاف المعبودين فلا شبهةَ فيه ، فما الوجهُ فى اختلاف العبادة ؟ قلنا : إنه صلى الله عليه وآله كان يعبد مَنْ يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئا ، وهم يشركون ، فاختلفتْ عباداتهما(١) ، ولأنه أيضا كان يتقرّب إلى معبوده بالأفعال الشرعية التى تقع على وجه العبادة ، وهم لا يفعلون تلك الأفعال ، ويتقربون بأفعال غيرها ، يعتقدون جهلا أنها عبادة وقُرْبة .

[٣٩ و] / فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ، وظاهر هذا الكلام يقتضِى إباحتهم المقام على أديانهم ؟ قلنا فى هذا ثلاثة أجوبة: أولها أن ظاهر الكلام وإن كان ظاهره إباحة فهو وعيد ومبالغة فى النهى والزجْر ؛ كما قال تعالى: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾؛ [فصلت : ٤٠] . وثانيها أنه أراد لكم جزاء دينكم ، ولى جزاء دينى ، فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه، وثالثها أنه أراد لكم جزاؤكم ولى جزائى؛ لأن نفس الدين هو الجزاء ؛ قال الشاعر :

إِذَا ما لقُونا لَقِينْاهمُ ودنَّاهُمْ مِثْلَ ما يُقْرِضونا

فأما التكرار فى سورة الرحمن فإنما حَسُن للتقرير بالنِّعم المختلفة المعدَّدة ، فكلما ذكرَ نعمة أنعم بها قرّر عليها(٢) ، ووبّخ على التكذيب بها ؛ كما يقول الرجل لغيره : ألم أحسِنْ إليكَ بأن خولتُك الأموال ! ألم أحسِن إليك بأن خلّصتُك من المكاره ! ألم أحسن إليك بأن فعلت بك كذا وكذا ! فيحسُن منه التكرير(٣) لاختلاف ما يقرره به ، وهذا كثير فى كلام العرب وأشعارهم ، قال مهلهل بن ربيعة يرْثى أخاه كليباً(٤) :

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « عبادتاهما » .

(٢) ت ، ف : « بها » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « التكرار » .

(٤) من قصيدة مشهورة ، مطلعها :

أليلتنا بذى حُسُمٍ أَنِيرِى إذا أنتِ انقَضَيْتِ فلا تَحُورى

وهى فى (أمالى القالى ٢ : ١٢٩ـ١٣٣) وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « قبل هذا البيت :

وهَمّامُ بنُ مُرّةَ قدْ تركْنَا عليهِ القَشْعَمانِ مِن النُّسُورِ

على أنْ ليْسَ عِدْلاً مِنْ كُلَيبٍ إذا طُرِدَ(١) اليتيمُ عنِ الجَزُورِ(١)
على أنْ ليْسَ عِدْلاً مِنْ كُليبٍ إذا ما ضِيمَ جيرانُ المُجيرِ
على أنْ ليْسَ عِدْلاً منْ كلَيبٍ إذا رَجَفَ العِضاهُ مِنَ الدَّبُورِ(٢)
على أنْ ليسَ عِدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ إذا خَرَجَتْ مُخبَّأَةُ الخُدُورِ
على أنْ ليسَ عِدْلاً منْ كليبٍ إذا ما أُعْلِنتْ نَجْوَى الأُمورِ
على أنْ ليسَ عِدْلاً من كليبٍ إذا خِيفَ المَخوفُ مِنَ الثُّغُورِ
على أن ليس عِدْلاً من كليبٍ غَدَاةَ تلاتِلِ الأَمْرِ الكَبيرِ(٣)
على أن ليسَ عِدْلاً من كليبٍ إذا ما خامَ جارُ المُسْتَجيرِ(٤)

وقالت ليلى الأخيليَّة تَرْثِي توبة بن الحمَيّر :

[٣٩ ظ] / ولنعمَ الفتى يا توبَ كُنتَ إذا التقتْ صُدُورُ الأعالى واستَشالَ الأَسافِلُ(٥)
ونِعْمَ الفَتى يا تَوْبَ كُنتَ ولم تَكُنْ لتُسْبَقَ يوماً كُنتَ فيهِ تحاوِلُ(٦)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « اللئيم » .

وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « قال مهلهل فى هذه القطعة قبل هذا البيت مرثية أخيه ؛ وهو الذى ثارت لأجله حرب البسوس ؛ وكان سبب تلك الحرب أن كليبا رمى ضرع ناقة البسوس ، فانتظم ضرعها ، فقتل كليب ، وبقيت الحرب فيهم أربعين سنة ، وكان فى أواخر تلك الحروب يوم التحلاق، وعلى أن ليس عدلا ؛ يعنى : ليس همام عدلا من كليب ؛ ويقال : عندى غلام عدل غلامك [بكسر العين] وهذا المال عدل غلامك [بالفتح] ؛ أى قيمته ؛ قال الفراء : العدل [بالفتح] : ماعادل الشىء من غير جنسه ، والعدل [بالكسر] المثل » . (٢) رجف : تحرك حركة شديدة ، والعضاه : كل شجر له شوك ؛ وفى حاشية الأصل : « أى كان الزمان شتاء » .

(٣) التلاتل : الشدائد ، وفى ت ، ف : « بلابل » ، وفى الأصل ذكر الوجهان معا ، وفى الحاشية : « البلابل : الفتن ، والتلاتل : الشدائد ، وفى شعره بالباء » .

(٤) خام : جبن ، وفى نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « خار » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « فى ديوانها : « العوالى » ، وهى رواية ف أيضا .

(٦) ف ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « تحاول » ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « فى نسخة شعرها :

ونِعمَ الْفَتى يا توبَ كُنْت قديمةً على الخيلِ تَمْرِيها ونِعمَ المُنَازِلُ

وقديمة ؛ أى مدة قديمة ، ويجوز أن تكون قديمة بمعنى مقدامة . وتمريها، تحلبها الجرية .

ونِعْمَ الفَتى يا تَوْبَ كنتَ لِخائفٍ أتاكَ لِكَىْ يُحْمى ونِعْمَ المُجامِلُ(١)
ونِعْمَ الفَتى يا تَوبَ جاراً وصاحباً ونعمَ الفَتى يا توبَ حينَ تفاضِلُ(٢)
لعَمْرِى لأنتَ المَرْءُ أبكى لِفقْدِهِ بجِدٍّ ولوْ لامتْ عليهِ العوَاذِلُ
[لعَمْرِى لأنتَ المَرْءُ أبكِى لِفقْدِهِ ويَكْثُرُ تَسْهيدِى لهُ لا أُوائلُ](٣)
لعَمْرِى لأنتَ المَرْءُ أبكِى لفقْدِهِ ولوْ لامَ فيهِ ناقِصُ الرأْى جاهلُ(٤)
لعمرِى لأَنتَ المرْءُ أَبكِى لفقْدِهِ إذا كثُرتْ بالمُلْحَمِينَ التلاتِلُ(٥)
أَبَى لكَ ذَمَّ الناسِ يا توب كُلما ذُكِرْتَ أُمورٌ مُحكَماتٌ كَوامِلُ
أَبَى لك ذمَّ الناسِ يا توبَ كلَّما ذكِرتَ سماحٌ حين تأوى الأَراملُ
فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا تَوْبَ إنّما لَقِيتَ حِمَامَ المَوْتِ والموتُ عاجِلُ
ولا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا تَوب إنها كذاكَ المَنَايا عاجِلاتٌ وآجِلُ
ولا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا توبَ والتقتْ عليكَ الغَوادِى المُدْجِناتُ الهَواطِلُ(٦)

فخرجت فى هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف المعانى التى عددناها على نحو ما ذكرناه(٧).

---

(١) كذا فى الأصل ، ف ؛ وفى ت : « الحامل » ، وفى حاشيتها : « المحامل ؛ من الحمالة ؛ وهى الدية » .

(٢) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « تناضل » ، وحاشية الأصل (من نسخة) : تقاتل » .

(٣) زيادة من م وحاشيتى ط ، ف .

(٤) م : « ناقص العقل » .

(٥) ت : « البلابل » ، وفى حاشية ف : « الملتحم : الذى أشرف على القتل ؛ فكأنه جعل لحما ، والتلاتل : جمع تلتلة ، وهى مضاعف من الرباعى ، يقال : تلة وتلتلة ؛ كما يقال : كبة وكبكبة ؛ قال تعالى : ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ ، والتلاتل : الأمور العظام » .

(٦) المدجنات : السحائب المظلمة ، والهطلان : تتابع المطر والدمع .

(٧) حاشية ف : « فى الجليس والأنيس : من أعجب ماروى فى قصتهما أن ليلى الأخيلية بعد موت توبة تزوجت ، ثم إن زوجها بعد ذلك مرّ بقبر توبة وليلى معه ، فقال لها : ياليلى ؛ هل تعرفين هذا القبر ؟ فقالت : لا ، فقال : هذا قبر توبة فسلمى عليه ، فقالت : امض لشأنك ؛ فما تريد من توبة وقد بليت عظامه ؟ =

وقال الحارث بن عُباد — :

قرِّبا مَرْبطَ النَّعامةِ مِنّى ... لَقِحتْ حَرْبُ وائلٍ عنْ حِيالِ (١)

ثم كرر قوله : «قرِّبا مربط النعامة» فى أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذى ذكرناه.

وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترثى زوجها :

وحدَّثنى أصحابُه أنَّ مالِكاً ... أقامَ ونادَى صَحْبُهُ برَحيلِ
وحدَّثنى أصحابُه أنَّ مالِكاً ... ضَرُوبٌ بنَصْلِ السَّيفِ غيرُ نَكُولِ
وحدَّثنى أصحابُه أنَّ مالِكاً ... جَوَادٌ بما فى الرَّحْلِ غيرُ بَخيلِ
وحدَّثنى أصحابُه أنَّ مالِكاً ... خَفيفٌ على الحُدَّاثِ غيرُ ثقيلِ
[٤٠ و] / وحدَّثنى أصحابُه أنَّ مالِكاً ... صَرُومٌ كَماضى الشَّفْرَتَينِ صقيلِ

وهذا المعنى أكثر من أن نحصيَه . وهذا هو الجواب عن التكرار فى سورة المرسلات بقوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

= قال : أريد تكذيبه؛ أليس هو الذى يقول :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الأخيليَّةَ سَلّمتْ ... علىَّ ودونى تُرْبَةٌ وصَفائِحُ
لسلّمتُ تسليمَ البشاشة أوزَقَا ... إليها صَدًى من جانبِ القبرِ صائِحُ

فوالله ، لابرحت أو تسلمى عليه ؛ فقالت : «السلام عليك يا توبة ورحمك الله ، وبارك لك فيما صرت إليه ؛ فإذا طائر قد خرج من القبر حتى ضرب صدرها ، فشهقت شهقة فماتت ، فدفنت إلى جانب قبره ، فنبتت على قبره شجرة ، وعلى قبرها شجرة ، فطالتا والتفتا » .

(١) مربط ؛ ضبطت بالقلم فى الأصل ، بالفتح والكسر معا ، وفى حاشية ف : «ما كان على فعل يفعل ، بالضم فالمصدر والموضع منه مفعل بالفتح ، وما كان على فعل يفعل بالكسر فالمصدر مفعل ، بالفتح ، والموضع مفعل ، بالكسر ، وما كان على يفعل بالفتح فكلاهما فيه بالفتح» . وفى حاشية الأصل : « الحيال : ألا تحمل الناقة أو الفرس ؛ يعنى أن الحرب لقحت بعد أن كانت لاتحمل » .

وقد ورد هذا البيت فى (أمالى القالى ٣ : ٢٦) ، وبعده :

لم أكُنْ من جُناتِها عَلِمَ اللّـ ... ـهُ وإنّى بحرِّها اليَوْم صالِ
قربا مَرْبَطَ النعـامة منى ... إن بَيْـع الكِرام بالشِّسْع غالِ

فإن قيل: إذا كان الذى حسَّن التكرار فى سورة الرحمن ما عدّده من آلائه ، ونعمه فقد عدّد فى جملة ذلك ما ليس بنعمة، وهو قوله : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾ [آية : ٣٥]، وقوله: ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾[1] [آية:٤٣، ٤٤]. فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وليس هذا من الآلاء والنعم ؟ قلنا : الوجهُ فى ذلك أن فعل العقاب وإن لم يكن نعمة فذكرُه ووصفه والإنذار به من أكبر النعم، لأن فى ذلك زجراً عمّا يُستحقّ به العقاب وبعثا على ما يُستحق به الثواب، فإنما أشار بقوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، بعد ذكر جهنم والعذاب فيها إلى نعمته بوصفها والإنذار بعقابها ، وهذا مما لا شبهة[2] فى كونه نعمة.

فصل

قال سيدنا الشريف الأجلّ المرتضى ذو المجدين أدام الله علوّه : وكما أنه كان فى الجاهلية وقبل الإسلام وفى ابتدائه قوم يقولون بالدهر ، وينْفون الصانع ، وآخرون مشركون يعبدون غير خالقهم ، ويستنزلون الرزقَ من غير رازقهم أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه ، وضرب لهم الأمثال ، وكرّر عليهم البيناتِ والأعلام ، فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستَّر بإظهار الإسلام ويحقن بإظهار شعاره والدخول فى جملة أهله دمَه ومالَه زنادقة مُلْحِدُون ، وكفار مشركون ؛ فمنعهم[3] عِزُّ الإسلام عن المظاهرة والمجاهرة ، وألجأهم خوف القتل إلى المساترة ؛ وبليةُ هؤلاء على الإسلام وأهله أعظم وأغلظ، لأنهم يُدْغِلون فى الدين ، ويموِّهون على المستضعفِين ، بجأشٍ رابط ، ورأىٍ جامع ؛ فِعْلَ من قد أمِن الوحشة، ووَثق بالأنسة ، بما يظهره[4] من لباس الدين ، الذى هو منه على الحقيقة عارٍ ، وبأثوابه غير متوار ، كما يحكى أنّ عبد الكريم بن أبى العوْجاء قال لما قبض عليه محمد بن سليمان ، وهو والى الكوفة من قِبل

---

(١) حاشية ف : « الحميم : الماء الحار ، والآنى : الذى بلغ نهايته » .

(٢) ش : « وهذا لا شبهة » . (٣) ش : « فقمعهم » . (٤) ش : « فيما يظهره » .

[٤٠ ظ] المنصور، وأحضره / للقتل، وأيقن بمفارقة الحياة[١]: لئن قتلتمونى لقد وضعتُ فى أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة[٢].

والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك، والحمادون: حَمَّاد الراوية، وحمّاد ابن الزِّبرقان، وحمّاد عَجْرد؛ وعبد الله بن المقفع، وعبد الكريم بن أبى العوجاء، وبشار بن بُرْد، ومُطيع بن إياس، ويحيى بن زياد الحارثىّ، وصالح بن عبد القدوس الأزْدِىّ، وعلىّ بن خليل الشَّيْبانى، وغير هؤلاء ممن لم نذكره؛ وهم وإن كان عددهم كثيراً فقد أقلهم الله وأذلهم[٣] بما شهدت به دلائله الواضحة، وحججُه اللائحة على عقولهم من الضعف، وآرائهم من السُّخْف.

ونحن نذكر من أخبار كلٍّ واحدٍ ممن ذكرناه وتهمته فى دينه نُبذة[٤]، ونومئ فيها إلى جملة[٥]. والذى دعانا إلى التشاغل بذلك – وإن كانت عنايتنا بغيره أقوى – مسئلةُ مَنْ نرى إجابته، ونؤثر موافقته، فتكلفناه له ومن أجله، مع أنه غير خالٍ من فائدة ينفعُ علمها ويُتأدب بروايتها وحفظها.

* * *

أما الوليد[٦] فكان مشهورا بالإلحاد، متظاهراً بالعناد، غير محتشم فى اطّراح الدين أحداً

(١) حاشية ت (من نسخة): «الدنيا».

(٢) حاشية الأصل (من نسخة): «موضوعة».

(٣) فى ت، د: «وأذلهم وأرذلهم».

(٤) نبذة، بفتح النون وضمها.

(٥) فى ت، د: «جملة كافية».

(٦) حواشى الأصل، ت، ف: «هو الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان؛ ويكنى أبا العباس قتله يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وكان المتولى لذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، وكانت ولايته الملعونة سنة وشهرين ونيفا وعشرين ليلة، وقتل وقد بلغ من السن اثنتين وأربعين سنة، وقتل معه ولداه الحكم وعثمان، وكان يقال لهما الجملان». وانظر أخبار الوليد فى (الأغانى ٦: ٩٨ – ١٣٧ والعقد ٤: ٤٥٢–٤٦٣).

ولا مراقب فيه بَشَراً ؛ وفى الحديث أنه وُلِدَ لأخى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله غلام فسمَّوْه الوليد ، فقال النبى صلى الله عليه وآله: «سمّيتموه بأسماء فراعنتكم ! ليكونَنَّ فى هذه الأمة رجل يقال له الوليد، لَهُوَ شرٌّ على هذه الأمة من فرعون على قومه». قال الأوزاعىّ: فسألت الزُّهرىّ عنه فقال : إن استُخلِف الوليد بن يزيد ، وإلاّ هو الوليد بن عبد الملك .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزُبانىّ قال : حدّثنى محمد بن إبراهيم قال : حدّثنا محمد بن يزيد النحوىّ قال : كان الوليدُ بنُ يزيدَ بن عبد الملك قد عزَم على أنْ يبنىَ فوق البيت الحرام قُبّة يَشرب عليها الخمور ، ويُشرِف على الطّواف ، فقال بعض الحجَبة[1] : لقد رأيتُ المجوسىّ البنّاء فوق الكعبة ؛ وهو يقدّر مواضع أركان القبة ، فلم تُمسِ[2] تلك الليلة حتى وافى الخبرُ بقتل الوليد .

وأخبرنا أبو عُبيدالله المرزبانىّ قال أخبرنى عبدُالله بن يحيى العسكرىّ / عن أبى إسحاق [٤١ و]
الطّلحىّ قال أخبرنى أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبى العالية عن بعض أهل العلم قال : قال يزيد بن الوليد ـ وهو الملقَّب بالناقص[3] لما ولّى : نشدتُ الله رجلًا سمع شيئاً من الوليد إلا أخبر به ! فقام ثوْر بن يزيد فقال : أشهد لَسمعتُه[4] وهو يقول :

اسقيانى وابنَ حَرْبٍ واستُرانا بإزارِ
واترُكا مَنْ طلبَ الجنّةَ يَسْعَى فى خَسارِ
سأسوسُ النّاسَ حتى يرْكَبوا دِينَ الحِمارِ[5]

وأخبرنا المرزُبانىّ قال: أخبرنى أحمد بنُ خالد النخّاس قال: حدثنا محمد بن مكحول قال:

(١) حاشية ت (من نسخة) : « بعض الطواف » .
(٢) حاشية ت (من نسخة) : « فلم تمض » .
(٣) ش: «الملقب الناقص»، وفى حواشى الأصل، ت ، ف : «قيل له الناقص لأنه كان نقص أعطياتهم» .
(٤) ش : « لقد سمعته » .
(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « أى حتى ينزو بعضهم على بعض كما تتنازى الحمير » .

نَشَرَ الوليدُ بنُ يَزيد يوماً المصحَف ، وكان خطُّه كأنَّه أصابع ، وجعل يَرميه بالسهام وهو يقول[١] :

تُذَكِّرُنى الحِساب ولَسْتُ أدْرِى أحَقًّا ما تقولُ مِنَ الحِسابِ
فقُل لِلّهِ يَمْنَعُنى طَعامى وقُلْ لِلّهِ يَمْنَعُنى شَرابى

قال سيدنا الشريف الأجلّ المرتضى أدام الله علوه : ويلَه من هــذه الجرأةِ على الله ويلًا طويلا ! وما أقدرَ الله أن يمنعه طعامه وشرابه وحياته ! وما أولاه اللعينَ بأليم العذاب وشديد العقاب! لولا ما تتِمّ به المحنةُ ، وينتظِم به التكليف ؛ من تأخيرِ المستحِق من الثواب والعقاب ، وتبعيدهما من أحوال الطاعات والمعاصى .

أخبرنا أبو عُبيد الله المرزبانىّ قال: حدثنى أحمد بن كامل قال : كان الوليد بن يزيد زِنديقاً وإنه فتَح[٢] المصحف يوماً فرأى فيــه : ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ؛ [إبراهيم: ١٥] ، فاتخذ المصحف غرَضاً ورماه بالنَّبْل حتى مزّقه ؛ وهو يقول :

أتُوعِدُ كلَّ جَبّارٍ عَنيدٍ فها أنا ذاكَ جَبّارٌ عَنيدُ
فإنْ لاقَيْتَ ربَّكَ يومَ حَشْرٍ فقُلْ يا رَبِّ خَرَّقَنى الوَليدُ[٣]

* * *

(١) ت : « وهو يقول » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « افتتح » .

(٣) حاشية ف : «أخبر أبو حاتم عن العتبىّ قال : كان الوليد بن يزيد قد نظر إلى جارية من أهيا النساء يقال لها : سفرى ، فجن بها ، وجعل يراسلها وتأبى عليه ؛ حتى بلغه أن عيدا للنصارى قد قرب ، وأنها ستخرج فيه ، وكان فى موضع العيد بستان حسن ، وكان النساء يدخلنه ، فصانع الوليد صاحب البستان أن يدخله فينظر إليها ؛ فتابعه ، وحضر الوليد وقد تقشف وغير حليته ، ودخلت سفرى البستان ، فجعلت تمشى حتى انتهت إليه ، فقالت لصاحب البستان : من هذا ؟ قال لها : رجل مصاب ، فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من النظر إليها ومن حديثها ؛ فقيل لها : ويلك ! أتدرين من ذلك الرجل ؟ قالت: لا، =

وأما حمّاد الراوية فكان مُنسلِخاً من الدين ، زارِياً على أهله ، مُدْمِناً لشرب الخمور وارتكاب الفجور .

وقال عمْرو بن بحر الجاحظ : كان مُنقِذ بن زياد الهلالىّ ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد ، وحفْص بن أبى وَدّة(١) ، وقاسم بن زُنْقُطَة ، وابن المقفّع ، ويونس بن أبى فروة ، وحمّاد عجرد / وعلىّ بن الخليل ، وحمّاد بن أبى ليلى الراوية ، وحمّاد بن الزِّبرقان ، ووالبة بن الحُباب ، وعُمارة بن حمزة بن ميمون ، ويزيد بن الفيض ، وجميل بن محفوظ المهلّبىّ ، وبشار ابن بُرْد المرعَّث ، وأبان اللاحقىّ ؛ يجتمعون على الشُّرب وقولِ الشعر ، ويهجو بعضُهم بعضاً ، وكلٌّ منهم مُتّهَم فى دينه(٢) . [٤١ ظ]

= فقيل لها : الوليد بن يزيد ؛ وإنما تقشف حتى ينظر إليك ؛ فجنت بعد ذلك ، وكانت عليه أحر منه عليها ، فقال الوليد فى ذلك :

أَضحى فؤادُكَ يا وَليدُ عَميدَا ... صَبًّا قديما للحسان صَيُودا
من حُبِّ واضحةِ العَوارض طَفْلةٍ ... برزتْ لنا نحو الكنيسة عيدَا
ما زلتُ أرمُقها بعينىْ وَامقٍ ... حتى بَصُرْتُ بها تُقَبِّلُ عودا
عودَ الصَّليبِ ، فويحَ نفسى مَنْ رأى ... منكمْ صليبا مثلَه مَعْبُودا !
فسألتُ ربِّى أن أكونَ مَكانَهُ ... وأكونَ فى لَهَب الجَحِيم وَقُودَا

قال القاضى : لم يبلغ مدرك الشيبانىّ هذا الحد من الخلاعة ؛ إذ قال فى عمرو النصرانى :

يا لَيْتَنى كُنْتُ له صَليبا ... فكنتُ معه أبداً قَريبا
أُبصِرُ حُسْنا وأشَمُّ طيبا ... لا واشياً أَخْشَى ولا رَقِيباَ

فلما ظهر أمره وعلمه الناس قال :

ألا حَبّذا سفْرى وإن قيل إنَّنى ... كلِفتُ بنصرانيّة تَشْربُ الخمرَا
يهونُ علىَّ أنْ تظلَّ نهارَها ... إلى اللّيلِ لا أولَى نُصلِّى ولا عَصْرا

(١) ش : « ودة » ، بفتح الواو ، وضبط فى الأصل بالفتح والضم معا .

(٢) حاشية ف : « حدث أبو الحسن بن راهويه قال : صلى يحيى بن معلى الكاتب — وكان فى مجلس فيه أبونواس ، ووالبة بن الحباب ، وعلى بن الخليل ، والحسين بن الخليع — صلاة ، فقرأ فيها =

وعمل يونس بن أبى فَرْوة كتاباً فى مثالب العرب وعيوب الإسلام بزعمه، وصار به إلى ملك الروم ، فأخذ منه مالًا . وقال أحمد بن يحيى النحوىّ قال رجل يهجو حمّاد الراوية :

نِعْمَ الفتى لو كانَ يَعْرِفُ ربَّهُ ... ويُقيمُ وَقْتَ صَلاتِهِ حمّادُ
بَسَطَتْ مَشافِرَهُ الشَّمولُ فأَنْفُهُ ... مِثْلُ القَدُومِ يَسُنُّها الحَدَّادُ
وابْيَضَّ مِنْ شُرْبِ المُدامةِ وجْهُهُ ... فبَياضُهُ يومَ الحِسابِ سَوادُ
لا يُعْجِبَنَّكَ بَزُّهُ ولِسانُهُ ... إنَّ المَجُوسَ يُرَى لها أَسْبادُ[1]

وكان حمّاد مشهوراً بالكذب فى الرواية وعمل الشعر ، وإضافته إلى الشعراء المتقدمين ودسّه فى أشعارهم ؛ حتى إن كثيراً من الرواة قالوا : قد أفسد حمّاد الشعرَ ، لأنه كان رجلا يقدِر على صنعته فيدس فى شعر كل رجل منهم[2] مايشاكِلُ طريقتَه ، فاختلط لذلك الصحيحُ بالسقيم ؛ وهـذا الفعل منه ، وإن لم يكن دالاًّ على الإلحاد فهو فسقٌ وتهاون بالكذب فى الرواية[3] .

* * *

وأما حمّاد بن الزِّبرقان فهـذه طريقتُه فى التخرُّم[4] والتهتك ؛ أخبرنا أبو الحسن علىّ

= ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فغلط ، فلما سلم ، فقال أبو نواس :

أَكْثَرَ يَحْيَى غَلَطاً ... فِي «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدْ»

فقال والبة :

قَامَ طويلًا ساكِتاً ... حَتَّى إذا أَعْيَا سَجَدْ

فقال على بن الخليل :

يَزْحِرُ فى مِحْرَابِهِ ... زحِيرَ حُبْلَى للولَدْ

فقال الحسين بن الخليع :

كأنَّما لِسَانُهُ ... شُدَّ بِحَبْلٍ مِنْ مَسَدْ

(١) حاشية الأصل : « جمع سبد ؛ وهو المال ، وهاهنا كناية عن الثياب واللباس » . (٢) ساقط من م . (٣) توفى حماد الراوية سنة ١٥٥ . (وانظر ترجمته فى ابن خلكان ١ : ١٦٤-١٦٥)

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « الفجور » ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « التخرم التهتك ، وهو أيضا التدين بدين الخرمية ؛ وهم أهل التناسخ » .

ابن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دُرَيد قال أخبرنا الأشنانْدانيّ قال : دعا حمّاد بن الزبْرِقان(١) أبا الغول النَّهْشَلِيّ إلى منزله وكانا يتقارضان(٢) ، فانتهره أبو الغول ، فلم يزل المفضّل به حتى أجابه ، وانطلق معه ، فلما رجع إلى المفضّل قال : ما صنعتَ أنت وحماد ؟ قال : اصطلحنا على ألّا آمرَه بالصلاة ، ولا يدعونى إلى شرب الخمر ، وأنشد المفضّل قوله :

* نِعْمَ الفتى لو كان يعرف رَبَّه *

وذكَرَ الأبيات التى تقدّمت فى الرواية الأخرى منسوبة إلى هجاء حماد الراوية .

* * *

فأما حمّاد عجْرَد فشهرتُه فى الضَّلالة / كشهرة الحمَّادَين ، وكان يُرْمَى مع ذلك بالتَّثْنيَة . [٢ : ٤ و]

أخبرنا أبو عُبيد الله المرزبانيّ قال حدثنى علىّ بن عبد الله الفارسىّ قال أخبرنى أبى قال حدّثنى ابن مَهْرُويَه(٣) قال حدثنى علىّ بن عبد الله بن سعد قال حدّثنى السّرىّ بن الصَّباح الكوفىّ قال : دخلت على بشّار بالبصرة ، فقال لى : يا أبا علىّ ، أما إنّى قد أوجعتُ صاحبَكم ، وبلغت منه ـ يعنى حمّاد عجْرَد ـ فقلت : بماذا يا أبا مُعاذ ؟ فقال : بقولى فيه :

يا بنَ نِهْيَا رأسٌ علىَّ ثقيلُ ... واحتِمَالُ الرَّأسين خَطْبٌ جليلُ
فادْعُ غيْرِى إلى عِبادَةِ رَبَّيْـــنِ ... فإنى بواحـدٍ مَشْغولُ

فقلت لِمَ(٤) أدعُه فى عماه ؟ ثم قلت له : قد بلَغ حماداً هذا الشعر ، وهو يَرويه على خلاف هذا قال : فما يقول ؟ قلت يقول :

فادْعُ غيْرِى إلى عِبَادة رَبَّيْـــنِ ... فإنى عنْ واحدٍ مَشْغولُ

قال فلما سمعه أطرق وقال : أحسنَ والله ابنُ الفاعلة ! ثم قال : إننى لا أحتشِمك ، فلا تُنْشِدْ أحداً هذين البيتين ؛ وكان إذا سئِل عنهما بعد ذلك قال : ما هما لى !

(١) انظر ترجمته ومراجعها فى (إنباه الرواة ١ : ٣٣٠ ـ ٣٣٢) . (٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : «يتقارضان : يتجازيان ؛ ويقال ذلك فى الخير والشر جميعا ، أى يقرض بعضهم بعضا الهجاء » .
(٣) س : « بهرويه » ، بفتح الميم وسكون الهاء وضم الراء وبعدها واو ساكنة وياء مفتوحة» .
(٤) م : « لن أدعه » .

وأخبرنا المرزُبانىّ قال أخبرنى علىّ بن هارون عن عمه يحيى بن علىّ عن عمر بن شبّة قال حدّثنى خَلاَّدُ الأرقطُ قال قال بشار: بلغنى أن رجلا كان يقرأ القرآن وحمّاد يُنشد الشعر، فاجتمع الناس على القارئ فقال حمّاد: علام تجتمعون؟ فوالله ما أقول⁽١⁾ أحسنَ مما يقول! فمقته الناس على هذا.

وروى ابن شَبّة عن أبى عُبيدة قال: كان حمّاد عجْرد يُعيِّر بشاراً بالقبح؛ لأنه كان عظيم الجسم، مجدوراً، طويلا، جاحظ العينين، قد تغشّاهما لحم أحمر؛ فلما قال حماد فيه:

وَاللهِ ما الخِنْزِيرُ فى نَتْنِه ... بِرُبْعِهِ فى النَّتْنِ أو خُمْسِهِ
بَلْ رِيحُهُ أطْيَبُ مِنْ ريحِهِ ... ومَسُّهُ أَلْيَنُ مِنْ مَسِّهِ
ووَجهُهُ أحْسَنُ مِنْ وَجهِهِ ... ونفسُهُ أفْضَلُ مِنْ نَفْسِهِ
وعُودُهُ أكرَمُ مِنْ عُودِهِ ... وجِنْسُهُ أكرَمُ مِنْ جِنْسِهِ

[٤٢ ظ] / فقال بشار: وَيلى على الزّنديق! لقد نَفَثَ بما فى صدره، قيل: وكيف ذاك؟ قال: ما أراد الزِّنديق إلا قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ [التين: ٤]، فأخرج الجحودَ بها مخرج هجائى، وهذا خبث من بشار وتغلغل شديد لطيف.

وأول من جعل نفى الإلحاد تأكيداً للوصف به، وأخرج ذلك مخرج المبالغة مُساور الوراق فى حمّاد عجرد فقال:

لوْ أنَّ مانِي ودَيْصاناً وعُصْبَتَهُمْ ... جاءوا إليكَ لَما قُلْنَاكَ زِنديقُ
أنتَ العبادَةُ والتَّوحيدُ مُذْ خُلِقَا ... وذَا التَّزَنْدُقُ نيرَنْجٌ مَخارِيقُ⁽٢⁾

* * *

فأما ابن المقفع⁽٣⁾ فإنَّ جعفرَ بن سليمان رَوَى عن المهدىّ أنه قال: ما وجدتُ كتاب

---

(١) ش: « لما أقول ». (٢) توفى حماد عجرد سنة ١٦١؛ (وانظر ترجمته فى ابن خلكان ١: ١٦٥–١٦٦) (٣) حاشية ف: « هو الذى يقول:

قَدْ سَلِمَ السَّاكِتُ الصَّمُوتُ ... كلامُ راعِى الكلامِ قوتُ
لا تُفْشِ سِرًّا إلى جِدارٍ ... فربَّما نَمَّتِ البُيوتُ
واعجبَا لامرئٍ ضحوكٍ! ... مُسْتَيْقِنٍ أنَّهُ يَمُوتُ

زَنْدَقة قط إلاَّ وأصله ابن المقفع . روى ابنُ شبّة قال : حدّثني مَنْ سمِع ابنَ المقفع وقد مر ببيت نار المجوس(١) بعد أن أسلم ، فلمحه وتمثّل :

يا بيْتَ عاتِكَةَ الذى أَتعزَّلُ ... حَذَرَ العِدا وبه الفُؤادُ مُوَكَّلُ(٢)

إنِّى لأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وإننى ... قَسماً إليكَ مَعَ الصُّدُودِ لأَمْيَلُ(٣)

وروى أحمد بن يحيى ثعلب قال : قال ابن المقفع يرثى يحيى بن زياد ــ وقال الأخفش : والصحيح أنه يرثى بها ابنَ أبى العوجاء :

رُزِئْنَا أَبا عَمْرو ولا حَيَّ مِثلُهُ ... فللهِ رَيبُ الحادِثات بِمَنْ وَقَعْ !

فإنْ تكُ قَدْ فارقتنَا وتركتَنا ... ذوِى خَلَّةٍ ما فى انسدادٍ لها طَمَعْ

لقدْ جَرَّ نَفْعاً فَقْدُنا لكَ أَنَّنَا ... أَمِنّا على كُلِّ الرَّزايا من الجَزَعْ

قال ثعلب : البيت الأخير يدلّ على مذهبهم فى أن الخيرَ ممزوجٌ بالشر ، والشرّ ممزوج بالخير .

وأخبرنى علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال حدّثنى المغيرةُ بن محمد المهلّبىّ من حفظه قال حدثنا خالد بن خِداش قال : كان الخليل بن أحمد يحب أن يرَى

(١) ش : « نار » المجوس .

(٢) حاشية الأصل : « هذان البيتان للاحوص بن محمد بن عاصم بن أبى الأقلح حمى الدبر ، وكان حمى الدبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبلى ذات يوم بلاء حسنا فاضطغن المشركون عليه ، ولما قتل أراد المشركون أن يمثلوا بجثته ، وكان قبل المحاربة ، قد رفع يديه وقال : اللهم احفظ جثتى من المشركين ، فلما قتل رحمه الله بعث الله جماعة من النحل ، فلم تزل عنده تحميه حتى هجم عليه الليل ، فجاء سيل فاحتمله ، فلم ير المشركون جثته » .

والبيتان من قصيدة له يمدح فيهما عمر بن عبد العزيز ؛ وهى فى (الأغانى ١٨ : ١٩٦ــ١٩٧) وأبيات منها فى الخزانة (١ : ٢٤٨) ؛ وهى عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية . وأتعزل : أتجنب وأكون بمعزل ، والعدا : جمع عدو ؛ يقال بالضم والكسر .

(٣) أمنحك : أعطيك ؛ والبيت من شواهد الكافية ، على أن « قسما » تأكيد للقسم المفهوم من قوله : « إنى لأمنحك الصدود » .

عبدَ الله بن المقفّع ، وكان ابنُ المقفّع يحب ذلك ، فجمعهما عبّاد بن عبّاد المهلبيّ فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهنّ ، فقيل للخليل : كيف رأيتَ عبد الله ؟ قال : ما رأيتُ مثله ، وعلمُه أكبر من عقله ، / وقيل لابن المقفّع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : ما رأيتُ مثلَه ، وعقله أكبرُ [٤٣ و] من علمه . قال المغيرة : فصدَقا ، أدّى(١ عقلُ الخليل الخليلَ إلى أن مات أزهد الناس١) ، وجهْلُ ابنَ المقفّع أدّاه إلى أن كتب أماناً لعبد الله بن علىّ فقال فيه : ومتَى غدَر أميرُ المؤمنين بعمِّه عبد الله فنساؤه طوالق ؛ ودوابُّه حُبُسٌ(٢) ، وعبيدُه أحرارٌ ، والمسلمون فى حلٍّ من بيعته . فاشتد ذلك على المنصور جدًّا وخاصةً أمر البيعة ، وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلّبىّ وهو أمير البصرة من قِبَلِه بقتله ، فقتله .

وكان ابنُ المقفع مع قلّة دينه جيّد الكلام ، فصيحَ العبارة ، له حكم وأمثال مستفادة ؛ من ذلك ما رُوى من أن يحيى بن زياد الحارثىّ كتب إليه يلتمسُ معاقدة الإخاء والاجتماع على المودّة والصفاء ، فأخّرَ جوابه ، فكتب إليه كتابا آخر يَستَرْثيه ، فكتب إليه عبد الله: إنّ الإخاء رِقٌّ ؛ فكرهتُ أنْ أملّكَك رِقّى قبل أنْ أعرِف حُسْنَ ملكتِك .

وكان يقول : « ذَلِّلْ نفسَك بالصبر على الجار السوء ، والعشير السوء ، والجليس السوء ، فإنّ ذلك لا يكاد يُخطِئُك » .

وكان يقول : « إذا نزل بك أمرٌ مُهِمٌّ فانظر؛ فإنْ كانَ ممّا له حيلةٌ فلا تعجِز ، وإن كان مما لا حيلةَ فيه فلا تجزَعْ » .

ودعاه عيسى بن علىّ إلى الغداء فقال : « أعزّ الله الأميرَ ! لستُ يومى للكرام أكيلا» ، قال: ولم ؟ قال : «لأنّى مزكوم والزّكمة قبيحة الجوار ، مانعة من عشرة الأحرار » .

وكتب إلى بعض إخوانه : « أمّا بعد ، فتعلّم العلمَ ممّن هو أعلم به منك ، وعلِّمه مَنْ

(١–١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فإن عقل الخليل أداه إلى أن مات أزهد الناس » .

(٢) الحبس ، بالضم : ماوقف ؛ وهو جمع الحبيس ؛ وفى الحديث : « ذاك حبيس فى سبيل الله » ؛ أى موقوف على الغزاة، يركبونه فى الجهاد .

أنت أعلمُ به منه ، فإنك إذا فعلتَ ذلك علِمْتَ ما جَهلت ، وحفظت ما علِمت » .

وقال لبعض الـكتّاب : « إياكَ والتتبُّـعَ لِوَحْشِىّ الـكلام طمعاً فى نَيْـل البلاغة ، فإن ذلك هو العىُّ الأكبر » .

وقال لآخر : « عليك بما سَهُلَ من الألفاظ ؛ مع التجنُّبِ لألفاظ السِّفْلة » .

وقيل له : ما البلاغة ؟ فقال : « التى إذا سمعَها الجاهلُ ظنّ أنه يُحسِنُ مثلَها » .

وقال : « لا تحدِّثْ مَنْ تخافُ تـكذيبَه ، ولا تسأل مَنْ تخاف مَنْعه ، ولا تَعِدْ بما لا تقدر على[1] إنجازه ، ولا تَضْمَن ما لا تثِقُ بالقدرة عليـه ، ولا ترجُ ما تُعَنَّفُ برجائه ، ولا تُقْدِم[2] على ما تخاف العجز عنه » .

[٤٣ ظ] وقال لبعض إخوانه / : « إذا صاحبتَ ملِـكاً فاعلم أنهم قد يُنْسَبون إلى قلة الوفاء ، فلا تُشْعِرَنّ قلبَك استبطاءه ، فإنه لم يشعِرْ أحدٌ قلبَه إلّا ظهر على لسانه إن كان سخيفاً[3] ، وعلى وجهه إن كان حليما » .

وكان يقول : « إنّ مما سَخّى بنفس العالم عن الدنيا علمه بأن الأرزاقَ لم تُقْسَمْ فيها على قدر الأخطار »[4] .

* * *

فأما ابن أبى العَوْجاء فقد ذكرنا ما رُوِىَ من اعترافه بدسّه فى أحاديث النبى صلى الله عليه وآله أحاديثَ مكذوبة . ورُوِى أنه رأى عِدْلًا قد كُتِب عليه آيةُ الـكرسىّ فقال لصاحبه : لِمَ كتبتَ هذا عليه ؟ فقال: لئلا يُسْرق، فقال : قد رأينا مصحفاً سرِق! .

ولبشّارٍ فيه :

قُلْ لِعَبْدِ الـكريمِ يابنَ أبى العَوْ   جاءِ بعْتَ الإسلامَ بالـكُفْرِ مُوقا[5]

(١) ش : « ولا تعد مالا تقدر عليه » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « لاتتقدم » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « سفيها » . (٤) توفى ابن المقفع سنة ١٤٢ ، وانظر ترجمته وأخباره فى كتاب أمراء البيان (١ : ٩٩–١٢٩)

(٥) الأبيات فى الأغانى (٣ : ٢٥) ، و الموق : الحمق فى غباوة .

لا تُصَلِّى ولا تَصومُ فإنْ صُمْـ ‏ ‏ ‏ ‏ تَ فبَعْضَ النَّهار صوْماً رقيقا[١]
لا تُبالى إذا أَصبْتَ من الخَمْـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـرِ عَتيقاً ألّا تـكُونَ عَتيقا
ليْتَ شِعْرى غَداة حُلِّيت فى الجُنْـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـدِ حَنيفاً حُلِّيتُ أمْ زِنْدِيقا[٢]

* * *

فأمّا بشّار بن بُرْد فرَوَى المازنىّ قال : قال رجل لبشّار : أتأكلُ اللحم وهو مباين لديانتِك؟ ـ يذهبُ إلى أنّه ثَنَوِىّ[٣] ـ فقال بشار : إنّ هـذا اللحم يدفع عنّى شَرَّ هذه الظلمة .

قال المبرّد : ويروَى أنّ بشاراً كان يتعصّب للنار على الأرض ، ويصوِّبُ رأْيَ إبليس فى الامتناع عن السجود ، ورُوِى له :

النّارُ مُشرقةٌ والأَرْضُ مُظْلِمةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ والنّارُ مَعْبودةٌ مُذْ كانتِ النّارُ

ورَوَى بعضُ أصحابه قال : كنا إذا حضرتِ الصلاةُ نقومُ إليها، ويقعد بشار ، فنجعل حَوْل ثيابه[٤] تراباً ؛ لننظر : هلْ يصلّى ، فنعودَ والترابُ بحاله ولم يَقُمْ إلى الصّلاة .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدّثنى على بن عبـد الله الفارسىّ قال : أخبرنى أبى قال : حدّثنى ابن مَهْرُويَهْ عن أحمد بن خلّاد قال : حدثنى أبى قال: كنت أكلّم بشاراً وأردّ عليه سوءَ مذهبِه بميله إلى الإلحاد ، فـكان يقول : لا أعرِف إلا ما عاينتُ أو عايَنه مُعاين ؛ وكان الـكلامُ يطولُ بيننا ، فقال لى : ماأظنّ الأمرَ[٥] يا أبا مَخْلدٍ إلا كما يقال: إنه خذْلان؛ ولذلك أقول :

---

(١) : ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « رفيقا » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « المحلى : العارض للجيش ، أى أن العارض إذا كتب اسمه كتبه مسلما أو زنديقا » .

(٣) الثنوية : فرقة من الـكفرة تزعم بإثنينية الإله ؛ إله للخير وهوالنور، وإله للشر وهو الظلمة؛ وانظر (الملل والنحل للشهرستانى ١٤٣ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ١ : ١٩٨ـ١٩٩) .

(٤) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) «حوالى ثوبه» .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « ماأظن ماالأمر ... » .

/ طُبِعْتُ على ما فىَّ غيرَ مُخيَّرٍ ... هَوَاىَ ولو خُيِّرْتُ كُنتُ المُهذَّبا [٤٤ و]
أُرِيدُ فلا أُعطَى وأُعطَى ولم أُرِدْ ... وغُيِّبَ عنّى أنْ أنالَ المُغَيَّبا
وأُصرَفُ عنْ قَصْدِى وعِلْمِى مُبْصِرٌ ... فأُمْسِى وما أعقَبْتُ إلّا التَّعَجُّبا

قال الجاحظ : كان بشّار صديقاً لواصل بن عطاء الغزّال قبل أن يُظهِر مذاهبه المكروهة ، وكان بشّار مدَح واصلَ بن عطاء ، وذكر خُطبته التى نزع منها الراء[1] ، وكانت على البديهة فقال :

تكلَّفَ القَوْمُ والأقوامُ قد حَفَلوا ... وحَبَّرُوا خُطَبًا ناهيكَ مِنْ خُطَبِ !
فقامَ مُرْتَجِلًا تَغْلِى بَدَاهَتُهُ ... كمِرْجَلِ القَيْنِ لَمّا حُفَّ باللَّهَبِ[2]
وجانَبَ الرّاءَ لم يَشْعُرْ بهِ أحَدٌ ... قَبْلَ التَّصَفُّحِ والإغْراقِ فى الطَّلَبِ

ومثل ذلك قول بعضهم فى واصل بن عطاء :

ويجعَلُ البُرَّ قَمْحًا فى تكَلُّمِهِ ... وجانَبَ الرّاءَ حتّى احتالَ للشَّعَرِ
ولَمْ يَقُلْ مَطَرًا والقَوْلُ يُعجِلُهُ ... فعاذَ بالغَيْثِ إشفاقاً مِنَ المَطَرِ

فلما أظهر بشار مذاهبه هتَف[3] به واصل ، وقام بذكره وتكفيره وقعد ، فقال بشار فيه :

مالى أُشايِعُ غَزّالًا له عُنُقٌ ... كنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ وَلّى وإن مَثَلا[4]
عُنْقَ الزَّرافةِ ما بالى وبالُكُمُ ... تُكَفِّرُونَ رِجالًا أكفَرُوا رَجُلَا[5]

(١) نشرها الأستاذ عبد السلام هارون فى المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات .

(٢) حاشية الأصل : (من نسخة) : « فقال مرتجلا » ؛ والقين فى الأصل : الحداد ؛ ثم قيل لكل عامل بالنار : قين ، وأراد بالقين هاهنا الصباغ » .

(٣) هتف به : فضحه ، والهتاف فى الأصل الصياح .

(٤) النقنق بكسر النونين : ذكر النعام ، والدو والدوية والداوية : الفلاة .

(٥) حواشى الأصل ، ت ، ف : « عنق ، نصب على الذم ؛ شبه واصلا بالزرافة ، والزرافة : الحيوان المعروف ، وعنقه أصحابه ؛ يقال : هم إليه عنق ؛ أى متتابعون » .

فلما تتابع على واصل ما يشهد بإلحاده قال عند ذلك : أمَا لهذا الأعمى الملحِد ! أما لهذا المشنَّف المكتَنى[١] بأبى معاذٍ مَنْ يقتله ! أما والله لولا أنّ الغِيلة سجيةٌ من سجايا الغالية لدسستُ إليه من يبعَج بطنه فى جوف منزله على مَضْجعه ، أو فى يوم حَفْله ، ثم كان لا يتولى ذلك إلّا عُقَيْلىّ أو سَدُوسىّ ، فعدل واصل بن عطاء من الضرير إلى الأعمى ، ومن الكافر إلى الملحِد ، ومن المرعَّث إلى المشنَّف ، ومن بشَّار إلى أبى معاذ ، ومن الفِراش إلى المضْجَع وزاد قوم فقالوا : ومنْ أرْساتُ إلى دسست ، ومِن يبقر إلى يبعَج ، ومن داره إلى منزله ، ومن المغيرية[٢] إلى الغالِيَة / ، والأول أشبهُ بأن يكون مقصوداً ، وما ذَكَرْتُ[٣] ثانيا قد يتّفق استعمالُه من غير عدول عن استعمال الراء . [٤٤ ظ]

فأما قولُه : « لا يتولّى ذلك إلا [٤]عُقَيلىّ أو سَدُوسىّ »[٤] فلأن بشاراً كان مولًى لهم ، وذكرُه بنى سَدوس لأن بشاراً كان ينزل فيهم . فأما لقبُ بشّار بالمرعَّث فقد قيل فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه لقّب بذلك لبيت قاله وهو :

قالَ رِيمٌ مُرَعَّثٌ ... فاتِرُ الطَّرْفِ والنَّظَرْ
لَسْتَ واللهِ قاتِلى[٥] ... قُلْتُ أو يَغْلِبُ القَدَرْ

والقول الثانى أنّه كان لبشّار ثوبٌ له جيْبان : أحدُهما عن يمينه ، والآخر عن شِماله ، فكان إذا أراد لُبسه يضمّه عليه ضمًّا ، من غير أن يدخل رأسه فيه ، فشبِّه استرسال الجيْبين وتدلّيهما بالرِّعاث ، وهى القِرطة ، فقيل : المرعَّث ، وقال أبو عبيدة : إنّما سمِّى المرعَّث لأنه كان يلبس فى صباه رِعاثاً ، وهذا هو القول الثالث .

وكان بشّار مقدما فى الشعر جداً حتى إن كثيراً من الرّواة يُلحِقه بمن تقدّم عصره عليه

---

(١) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « المكنى » .

(٢) المغيرية : فرقة من غلاة الشيعة ، أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى ، وكان مولى لخالد بن عبد الله القسرى ، وادعى النبوة لنفسه . (وانظر مفاتيح العلوم ٢٠ ، والفرق بين الفرق ٢٢٩) .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وما ذكر » .

(٤ـ٤) ساقط من م .

(٥) ت ، ج ، ش : « نائلى » .

من المجوّدين . وأخبرنا المرزبانىّ عن محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنا محمد بن الحسين اليَشكرىّ(١) قال : قيل لأبى حاتم : مَنْ أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

ولها مَبْسِمٌ كغُرِّ الأَقاحى ... وحَديثٌ كالوَشْى وَشْى البُرُودِ
نَزَلَتْ فى السَّوادِ مِنْ حَبّةِ القلـ ... ـبِ ونالَتْ زِيادَةَ المُستَزِيدِ
عندَها الصَّبرُ عَنْ لِقائى وعِنْدى ... زَفَراتٌ يأْكُلْنَ صَبْرَ الجَليدِ

ـ يعنى بشاراً ؛ قال : وكان يقدّمه على جميع الناس ، ولما قال بشار :

بَنى أُمَيّةَ هُبُّوا طالَ نومُكُمُ ... إنَّ الخَليفَةَ يَعقوبُ بن داوُدِ(٢)
ضاعَتْ خِلافَتُكُمْ يا قَوْمِ فالتَمِسُوا ... خليفةَ اللهِ بَيْنَ الزِّقِّ والعُودِ(٣)

فبلغ ذلك المهدىّ فوجد عليه ، وكان ذلك سبب قتله(٤) .

(١) من نسخة بحاشيتى ت ، ف : « محمد الحسن السكرى » .

(٢) هو أبو عبد الله يعقوب بن داود وزير المهدى ، (وانظر أخباره وتفصيل أسباب قتله ، فى الفخرى ١٦٠ـ١٦٣). (٣) ت ، ج ، د ، ف : « الناى والعود » .

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « كان حماد عجرد قال فى بشار :

لهُ مُقْلَةٌ عَمْياءُ واسْتٌ بَصِيرَةٌ ... إلى الأَيْرِ مِنْ تحتِ الثِّيابِ تُشِيرُ

فقال بشار : ـ وكتب بها إلى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وكان حماد يعلم ولده :

يا أَبا الفَضْلِ لا تَنَمْ ... وَقَعَ الذِّئبُ فى الغَنَمْ
إنّ حَمّادَ عَجْرَدٍ ... إنْ رَأَى سَوْءَةً هَجَمْ
بين فَخْذَيْهِ حَرْبَةٌ ... فى غِلافٍ من الأَدَمْ
كُلّما غِبْتَ ساعَةً ... مَجْمَجَ المِيمَ بالقَلَمْ

فقال العباس : مالى ولبشار ! اصرفوا حماداً عنى ، فقال حماد : لقد فرق بينى وبين رزقى بشعره ، وسوف أفرق بينه وبين حياته بشعر أقوله ، فقال :

بَنى أُمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نومُكُمُ ... إنَّ الخليفةَ يَعْقُوبُ بنُ داودِ
ضَاعتْ خِلافتكُم يا قومِ فالتَمِسُوا ... خليفةَ اللهِ بَيْنَ الزِّقِّ والعُودِ

ونسبهما إلى بشار ، فبلغ ذلك المهدى فقتله » وكان مقتل بشار سنة ١٦٧ . (وانظر ترجمته ومراجعها فى الشعر والشعراء : ٧٣٣ـ ٧٣٦) .

مجلس آخر ١٠

تأويل آية *

فأما مطيع بن إياس الكنانىّ(١) فأخبرنا أبو عُبيد الله المرزبانىّ عن علىّ بن هارون عن عمه يحيى بن / علىّ عن أبى أيوب المدنىّ عن أحمد بن إبراهيم الكاتب قال أخبرنى أبى [٤٥ و] قال: رأيت بنتاً لمطيع بن إياس قد أُتِىَ بها فى أول أيام الرشيد ، فأقرّت بالزّندقة وقراءتها وتابت، وقالت : هذا شىء علمنيه أبى ، فقبِل الرشيد توبتها ، وردها إلى أهلها .

وقال محمدبن داود بن الجراح فى أخبار مطيع بن إياس أنه كان يرمَى بالزّندقة ، وروى أنه لما حضرته الوفاة أحاط به أهل بيته ، فأقبلوا يقولون له : قل يا مطيع : لا إله إلا الله ، فلا يقول حتى إذا صارت نفسُه فى (٢ ثغرته كرّ يتنفس ٢) ، ثم أهوى إلى الكلام ، فقالوا له : قل لا إله إلا الله ، فتكلم كلاما ضعيفاً فتسمّعوا له ، فإذا هو يقول :

لَهْفَ نَفْسى على الزّمانِ وفى أىّ زَمَانٍ دَهَتْنِىَ الأَزْمانُ
حينَ جاءَ الرّبيعُ واستُقْبِلَ الصّيْـفُ وطابَ الطِّلاءُ والريحانُ(٣)

قال المرزُبانىّ : وهذا الحديثُ يرويه(٤) الهيثم بنُ عدىّ ليحيى بن زياد.

* * *

فأما يحيى بن زياد الحارثىّ(٥) فهو يحيى بن زياد بن عُبيد الله بن عبد الله بن عبد المَدَان

---

(١) انظر مطيع بن إياس وأخباره فى (الأغانى ١٢ــ٧٥ــ١٠٥) .

(٢ــ٢) ت ، د ، ف : « ثغرته تنفس » ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « فى ثغرة نحره تنفس » . ط : « فى ثغراته تنفس » .

(٣) الطلاء : الخمر .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « رواه » .

(٥) انظر يحيى بن زياد فى (معجم الشعراء للمرزبانى ٤٩٧ــ٤٩٨) .

ابن الديان الحارثىّ الكوفىّ . وزياد بن عبيد الله هو خال أبى العباس السّفاح ، ويكـنى يحيى أبا الفضل ، وكان يُعرف بالزِّنديق : وكانوا إذا وصفوا إنسانا بالظَّرف قالوا : هو أظرف من الزِّنديق – يعنون يحيى – لأنه كان ظريفاً ، وهذا المعنى قصد أبو نواس بقوله :

* تِيهِ مُغَنٍّ وظَرْفُ زِنْدِيقِ *(١)

قال الصولىّ : وإنما قال ذلك لأن الزِّنديق لا يَرِعُ عن شىء(٢) ولا يمتنع مِمَّن يُدْعَى(٣) إليه ، فنسبه إلى الظَّرف لمساعدته على كل شىء ، وقلة خلافه .

وروى أنه قيل ليحيى بن زياد – وهو يجود بنفسه – قل : لا إله إلا الله ، فقال :

* لم يَبقَ إلاَّ الغُبُطُ والجلاجِلُ(٤) *

ثم أغمِى عليه ، فلما أفاق أعيد عليه القول فقال :

* وبازِلٌ تَغْلى به المَراجِلُ *(٥)

وروى محمد بن يزيد قال : قال مطيع بن إياس يرثى يحيى بن زياد – وكانا جميعاً مرميّيْن بالخروج عن الملة :

يا أهلِ بَـكُّوا لقلبىَ القَرِحِ ... ولِلدُّموعِ الهَوامِلِ السُّفُحِ(٦)
راحوا بيحْـيَى إلى مُغَيَّبةٍ ... فى القبرِ بيْنَ التُّرابِ والصُّفُحِ(٧)

---

(١) ديوانه : ٨٩ ، وصدره :

* وَصِيفُ كَأْسٍ مُحَدِّثُه مَلِكُ *

(٢) فى حاشيتى ت ، ف : « يقال : ورع يرع ورعا ، ورعة ، فهو ورع ؛ أى تقى » .
(٣) م : « لايدع شيئا » .
(٤) ت ، ش ، ف : « والخلاخل » ، د: « القرط والخلاخل » . والغبيط : الرحل ؛ وهو للنساء يشد على الهودج . وفى حاشيتى الأصل : « الغبيط : قتب يأخذ جميع ظهر البعير » .
(٥) البازل : البعير إذا كان فى التاسعة ؛ سمى بذلك لأنه يبزل نابه ؛ أى ينشق .
(٦) ت ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « السواكب » .
(٧) الصفح : جمع صفيحة ؛ وهى الحجارة العراض .

[٤٥ ظ] /راحُوا بيَحْـيَى ولوْ تُساعدُنى الْ   أقدارُ لمْ يَبْتَكِرْ ولمْ يَرُحِ (١)
يا خيرَ مَنْ يَحسُنُ البُكاءُ لهُ الـــيومَ ومَنْ كانَ أمْسِ لِلمِدَحِ
قدْ ظَفِرَ الحُزْنُ بالسُّرُورِ وقدْ   أُدِيلَ مَكْرُوهُنا مِنَ الفرَحِ

ولمطيع يرثيه :

انظُرْ إلى الموْتِ كيفَ بادهَهُ   والموْتُ مِقْدامةٌ على البُهَمِ (٢)
لوْقدْ تَدبَّرْتَ ما صَنَعْتَ بهِ   قَرَعْتَ سِنًّا عليهِ مِنْ نَدَمِ
فاذْهَبْ بمَنْ شئْتَ إذْ ذَهَبْتَ بِهِ   ما بَعْدَ يَحيى لِلرُّزْءِ مِنْ ألَمِ

* * *

وأمّا صالح بن عبد القدُّوس فكان متظاهرا بمذاهب الثَّنوية ، ويقال إن أبا الهذَيل العلاَّف ناظره فقطعه ، ثم قال له : على أىّ شىء تعزم ياصالح ؟ فقال : أستخيرُ الله وأقول بالاثنين ، فقال أبو الهذيل : فأيهما استخرتَ لا أمّ لك !!

وروى أنّ أبا الهذيل ناظره فى مسألة مشهورة فى الامتزاج الذى ادَّعوه بين النور والظلمة فأقام عليه الحجة فانقطع ، وأنشأ يقول :

أبا الهُذَيل هَداكَ اللهُ يا رَجُلُ   فأَنتَ حقًّا لعمرِى مُعْضِلٌ جَدِلُ

وروى أنّه رُؤِىَ يصلى صلاةً تامة الرّكوع والسجود ، فقيل له : ماهذا ومذهبك معروف ! قال : سنّة البلد ، وعادة الجَسَد ، وسلامة الأهل والولد .

ويقال إنّه لما أراد المهدىّ قتلَه على الزندقة دحا إليه بكتاب وقال له : اقرأ هذا ، قال : وما هو ؟ قال : كتاب الزّندقة ، قال صالح : أوتعرفُه أنت يا أمير المؤمنين إذا قرأتَه ؟ قال : لا ، قال : أفتقتلُنى على مالا تعرف! قال: فإنى أعرِفه ، قال صالح: فقد عرفته ولستَ بزنديق وكذلك أقرؤه ولستُ بزنديق

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « لم تبتكر ولم ترح » .
(٢) البهم : جمع بهمة ؛ وهو الشجاع .

وذكر محمد بن يزيد المبرّد قال : ذكر بعض الرواة أنّ صالحاً لما نوظر فيما قُذِف به من الزندقة بحضرة المهدىّ قال له المهدىّ : ألستَ القائل فى حفظك ماأنت عليه :

رُبَّ سِرٍّ كتمتُهُ فكأنّى ... أخْرَسٌ أو ثنى لِسانىَ خَبْلُ

/ولو أنّى أبديْتُ لِلنّاسِ عِلْمى ... لم يكُنْ لى فى غيرِ حَبْسِىَ أُكْلُ [٤٦ و]

قال صالح : فإنى أتوب وأرجع ، فقال له المهدىّ : هيهات ! ألست القائل :

والشَّيخُ لا يترُكُ أخلاقَهُ ... حتَّى يُوارَى فى ثرَى رَمْسِهِ

إذا ارعَوَى عاوَدَهُ جَهْلُهُ(١) ... كَذِى الضَّنَى عادَ إلى نُكْسِهِ(٢)

ثم قدّم فقتِل ، ويقال إنه صلَبه على الجِسر ببغداد .

ومن شعره(٣) وهو فى الحبس :

خرَجْنا مِنَ الدُّنيا ونحنُ مِنَ أهلِها ... فلَسْنا مِنَ الأحياءِ فيها ولا الموْتَى

إذا دَخَلَ السَّجّانُ يوماً لِحاجةٍ ... عَجِبْنا وقُلْنا جاءَ هذا مِنَ الدُّنيا

ونَفْرَحُ بالرُّؤْيا فجُلُّ حَدِيثِنا ... إذا نحنُ أصبَحْنا الحديثُ عَنِ الرُّؤْيا(٤)

---

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « عاد إلى جهله » .

(٢) حاشية الأصل : « عاد إلى نكسه ؛ أى عاد إلى غيه رجوع الناقه من المرض » .

(٣) وردت هذه المقطوعة فى إنباه الرواة ١ : ٦٢ ، ومعجم الأدباء ٣ : ١٥٥ ، منسوبة إلى صالح ابن عبد القدوس ، وفى المحاسن والأضداد ٤٥ـ٤٦ منسوبة إلى عبد الله بن معاوية ، وفى عيون الأخبار ١ : ٨١ـ٨٢ ، من غير عزو ، وورد منها البيت الأول والثانى فى رسالة الغفران ١٤٢ منسوبين لولد صالح ، وفى مقدمة اللزوميات : ٢٧ منسوبين لرجل كان فى السجن على عهد ملوك بنى العباس ، يقال إنه من ولد صالح بن عبد القدوس ، ومطلعها :

إلَى اللهِ أشْكُو إنَّهُ مَوْضِعُ الشَّكْوَى ... وفِى يَدِهِ كَشْفُ الْمَضَرَّةِ والْبَلْوَى

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « هذا المعنى للأحنف العكبرى وإن كان قريب اللفظ :

وأعْلَمُ فى المَنامِ بكلِّ خَيْرٍ ... فأُصْبِحُ لا أَراهُ ولا يرانِى

وإنْ أبصرتُ شَرًّا فى منامى ... لقيتُ الشَّرَّ من قَبلِ الأذانِ

فإنْ حَسُنَتْ لم تأتِ عَجْلَى وأبْطأَتْ ... وإنْ قَبُحَتْ لم تَحْتَبِسْ وأتتْ عَجْلَى

طَوَى دُونَنا الأخبارَ سِجْنٌ مُمَنَّعٌ ... لهُ حارِسٌ تَهْدَا العُيونُ ولا يَهْدَا

قُبِرْنا ولم نُدْفَنْ فنحنُ بِمَعْزِلٍ ... من النّاسِ لا نُخْشَى، فنُغْشَى ولا نَغْشَى

ألا أحَدٌ يأوِى لأهْلِ مَحَلَّةٍ ... مُقيمينَ فى الدُّنيا وقدْ فارَقوا الدُّنيا

قال سيدنا الشريف المرتضى ذو المجدين أدام الله عُلوّه : وأظنّ أن ابنَ الجَهْم لَحظ قولَ صالح : « فنُغْشَى ولا نَغْشَى[(١)] » فى قوله يصف الحبس :

بيتٌ يُجَدِّدُ لِلكريمِ كَرامةً ... ويُزَارُ فيهِ ولا يَزُورُ ويُحْفَدُ[(٢)]

***

وأما علىّ بن الخليل فذكر محمد بن داود قال : كان علىّ بن الخليل — وهو مولى يزيد بن مَزْيَد الشَّيْبانىّ ، ويكْنَى أبا الحسن، وهو كوفىٌّ — مُتَّهماً بالزَّندقة ، فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقةَ ، فاستتر طويلا ، ثم قصد الرَّقة[(٣)] وبها الرشيد ، فمدحه ومدح الفضل بن الربيع .

وروِى[(٤)] أنه لما قعد الرشيد للمظالم بالرَّقة حضر شيخٌ حَسَنُ الهيئة ، حَسَنُ الخِضاب ، معه قصيدة ، فأشار بها ، فأمر الرشيدُ بأخذها منه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحْسَنُ قراءةً لها من غيرى ، / فأْذَنْ لى فى قراءتها ، ففعل ، فقال : إنى شيخ كبير ، ولا آمَنُ [٤٦ ط]

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « حمله السيد رضى الله عنه على أن قوله : « فنغشى ... » كلام مستأنف ، وأن الغشيان واقع ، والبيت الذى ذكر أنه نظر إليه يدل على ذلك ؛ ومراد الشاعر غير هذا — والله أعلم ؛ وهو أن يكون « نغشى » منصوبا بإضمار أن بعد الفاء التى تجىء بعد النفى ، ويكون غشيان الناس إياهم منفيا » .

(٢) يحفد : يخدم ، وفى م : « يحمد » ، والبيت من قصيدة قالها فى الحبس حين حبسه المتوكل ؛ وهى فى ديوانه ص ٤٥ ، والمحاسن والأضداد ٤٢ ، وأولها :

قالتْ حُبِستَ فقلتُ ليسَ بضائِرِى ... حَبْسِى وأىُّ مُهنَّدٍ لاَ يُغْمَدُ

(٣) الرقة : مدينة مشهورة على الجانب الأيسر للفرات بولاية حلب ؛ وهى وطن ربيعة الرقى الشاعر المشهور .

(٤) الخبر فى (الأغانى ١٣ : ١٣—١٤) .

الاضطراب إذا قمت ، فإنْ رأيتَ أن تأذنَ لى فى الجلوس فعلْتَ ، فقال : اجلس ، فجلس ، ثم أنشأ يقول :

يا خيْرَ مَنْ وَخَدَتْ بأَرْحُلهِ ... نُجُبُ الرِّكابِ بِمَهْمَهٍ جَلْسِ (١)
تَطْوى السَّباسِبَ فى أزِمَّتِها ... طَىَّ التِّجارِ عَمائِمَ البِرْسِ (٢)
لمّا رأتْكَ الشَّمْسُ طالعةً ... سَجَدَتْ لِوَجْهِكَ طَلْعةُ الشَّمْسِ
خيْرُ الخَلائفِ (٣) أنتَ كُلِّهِمُ ... فى يوْمِكَ الماضى وفى أمْسِ
وكَذاكَ لا تنفكُّ خيْرَهُمُ ... تُمْسِى وتُصْبِحُ فَوْقَ ما تُمْسِى
مِنْ عُصْبَةٍ طابَتْ أَرُومَتُها ... أهلِ العَفافِ ومُنْتَهَى القُدْسِ
فوْقَ النُّجومِ فُرُوعُ نَبْعَتِهِمْ ... ومعَ الحَضيضِ منابتُ الغَرْسِ
إنّى رَحَلْتُ إليكَ مِنْ فَزَعٍ ... كانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تُرْسِى
ما ذاكَ إلّا أنّنى رَجُلٌ ... أصْبُو إلى بَقَرٍ مِنَ الإنْسِ
بَقَرٍ أوانِسَ لا قُرُونَ لَها ... يَقْتُلْنَ بالتَّطْوابِ والحَبْسِ
وأُجاذِبُ الفِتْيانَ بيْنَهُمُ ... صَهْباءَ مِثْلَ مُجاجة الوَرْسِ
لِلماءِ فى حافاتِها حَبَبٌ ... نَظْمٌ كَطَىِّ صَحائفِ الفُرْسِ (٤)
واللهُ يَعْلَمُ فى بَنِيَّتِهِ ... ما إنْ أضَعْتُ إقامةَ الخَمْسِ

فقال له هارون : مَنْ أنت ؟ قال : علىّ بن الخليل الذى يقال إنه زِنديق ، قال : أنت آمِن ، وكتب إلى حَمْدُويه ألّا يعرض له .

ومن تركْنا ذكرَهُ من هؤلاء أكثر ممن ذكرناه ، وإنما اعتمدْنا من كان بهذه البَلِيّة

(١) وخدت : أسرعت ، ونجب : جمع نجيب ، وهو وصف للناقة الخفيفة السريعة ، والمهمه : البلد القفر ، والجلس : الغليظ من الأرض .

(٢) السباسب : جمع سبسب ؛ وهى الفلاة ، والتجار : جمع تجر ، وتجر : جمع تاجر ؛ كقولهم : صاحب وصحب وصحاب ، والبرس : القطن .

(٣) م : « الخلائق » .

(٤) حاشية الأصل : « ذ كر س : الحباب طرائق الماء ، والحبب ما يعلو المائعات من النفاخات » .

أشهر ، وأمرُه فيها أظهر ، وأوردنا مع ذلك قليلا من كثير ، وجملةً من تفصيل .

***

وإذ قد ذكرنا جملة من أخبار أهل الضلالة ، والمنقادين للجهالة، حَسَب ما سئلنا، فنحن نُتبعها بشىء من أخبار أهل التوحيد والعدل ، ومُلَحِ حكاياتهم ، ومستحْسَن ألفاظهم ، لِيُعْلَم الفرق بين من رَبِحَتْ / بَيْعَتُه ، وبين من خسِرَت صفقَتُه ، فقد سئلنا أيضا ذلك . [٤٧ و]

اِعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ وخُطبه، فإنها تتضمّن من ذلك مالا زيادة عليه ، ولا غايةَ وراءه ، ومَنْ تأمل المأثور فى ذلك من كلامه عِلم أنّ جميع ما أسهب المتكلمون من بعدُ فى تصنيفه وجمعه ، إنما هو تفصيل لتلك الجمل ، وشرح لتلك الأصول ، ورُوِى عن الأئمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك ما يكاد لا يحاط به كثرة ، ومن أحب الوقوف عليه ، وطلبه من مظانه أصاب منه الكثير الغزير ، الذى فى بعضه شفاء للصدور السقيمة ، ونِتاج للعقول العقيمة ؛ ونحن نقدّم على ما نريد ذكره شيئا مما رُوِى عنهم فى هذا الباب .

فمن ذلك ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام[1] وهو يصف الله تعالى : «بمضادّته[2] بين الأشياء عُلم أنْ لا ضدّ له ، وبمقارنته بين الأمور عُلم أن لاقرين له ، ضادّ النور بالظلمة والخشونة باللين ، واليبوسة بالبلل ، والصَّرَد[3] بالحَرور ؛ مؤلِّف بين متعادياتِها[4] ، مفرّق بين متدانياتها » .

---

(١) ت : « ... عليه السلام أنه قال وهو يصف ... » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « أى بنصب المضادة بين الضدين يستدل على أن لاضد له ؛ لأن ما يقدر على ذلك لابد أن يكون متوحداً بصفات الجلال ، التى تحيل أن يكون للموصوف بها ضد » .

(٣) فى حاشيتى ت ، ف : « الصرد : البرد ؛ وهوفارسى معرب، يقال : يوم صرد وصرد [بسكون الراء وفتحها] ، وصردالرجل [بكسر الراء] يصرد صردا [بفتحها] » .

(٤) ف ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « متباعداتها » .

وروى عنه عليه السلام أنه سئل : بِمَ عرفت ربك ؟ فقال : بما عرّفنى به ، قيل : وكيف عرّفك؟ فقال : «لا تشبهه صورة ، ولا يُحَسّ بالحواسّ الخمس ، ولا يقاس بقياس الناس» . وقيل له عليه السلام : كيف يحاسِب الله الخلق؟ فقال : كما يرزقهم ، فقيل : كيف يحاسبهم ولا يرونه؟ فقال : كما يرزقهم ولا يرونه .

وسأله رجل فقال : أين كان ربُّك قبل أن يخلُقَ السماء والأرض ؟ فقال عليه السلام : أين سؤالٌ عن مكان ، وكان الله ولا مكان .

وروى عن أبى عبد الله الصّادق[1] عليه السلام أنه سأله محمد الحلبىّ فقال له : هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربَّه؟ قال : نعم رآه بقلبه ، فأما ربُّنا جلَّ جلاله فلا تدركه أبصارُ الناظرين ، ولا تحيط به أسماعُ السامعين .

وروى صفوان بن يحيى قال: دخل أبو قرّة المحدّث على أبى الحسن الرّضا[2] عليه السلام فسأله[3] عن أشياء من الحلال والحرام والأحكام والفرائض ، حتى بلغ إلى التوحيد ، فقال له أبو قرّة : إنا رُوِّينا أن الله تعالى قسم الكلام والرؤية ، فقسم لموسى الكلامَ ، ولمحمد صلى الله عليه وآله الرؤية ، فقال الرِّضا عليه السلام : فمن المبلّغُ عن الله تعالى إلى الثَّقَلَين: الجنّ والإنس أنه لا تدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شىء ؟ أليس محمد عليه السلام نبياً صادقاً؟ قال: بلى ، قال : فكيف يجىء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرُهم أنه جاء من عند الله تعالى يدعوهم إليه بأمره ، ويقول : لا تدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علما ، وليس كمثله شىء ، ثم يقول:

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر ، ولد بالمدينة سنة ٨٠ ، وروى عن أبيه وجده القاسم وطبقتهما ، وقد ألف تلميذه جابر بن حباب الصوفى كتابا فى ألف ورقة يتضمن رسائله ؛ وتوفى سنة ١٤٨ ، ودفن بالبقيع ؛ (شذرات الذهب ١ : ٢٢٠) .

(٢) هو الإمام أبو الحسن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، ثامن الأئمة الاثنى عشر ، توفى بطوس سنة ٢٠٤ ، وصلى عليه المأمون ؛ ودفن بجانب الرشيد . (شذرات الذهب ٢ : ٦) . (٣) حاشية ت (من نسخة) : «فساء له» .

سأراه بعيني وأحيط به علماً ؛ أما تستحيون ما قدرت الزنادقة أنْ ترميه بهذا أن يكونَ يأتي عن الله تعالى بشيء ، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر ! قال أبو قرّة : فإنه يقول: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾؛ [النجم : ١٣ ، ١٤] ، فقال عليه السلام : ما بعد هذه الآية يدلّ على مارأى؛ حيث يقول: ﴿ مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾؛ [النجم : ١١] ، يقول ما كذب فؤادُ محمد ما رأت عيناه ، ثم أخبر بما رأى ، فقال : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾؛ [النجم : ١٨] ، وآياتُ الله غير الله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾؛ [طه : ١١٠] ، فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم. فقال أبو قرّة : فأ كَذّبَ بالرؤية؟ فقال الرضا عليه السلام : إذنِ القرآن كذّبها ، وما أجمع عليه المسلمون أنه لا يُحاط به علما ، ولا تدركه الأبصار ، وليس كمثله شيء .

وأتى أعرابيّ أبا جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام[1] فقال له : هل رأيتَ ربَّك حين[2] عبدْتَه ؟ فقال : لم أكنْ لأعبدَ شيئاً لم أره ، فقال : كيف رأيته ؟ فقال : لم تره الأبصارُ بمشاهدة العِيان ، بل رأتْه القلوب بحقائق الإيمان ؛ لا يدرَكُ بالحواس ، ولا يقاس بالنّاس ، معروفٌ بالآيات ، منعوت بالعلامات ، لا يجورُ فى قضيّته ؛ هو الله الذى لا إله إلا هو . فقال الأعرابيّ : الله أعلم حيثُ يجعل رسالاته !

وروِي أنّ شيخاً حضر صِفّين مع أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرْنا يا أمير المؤمنين عن مسيرنا إلى الشام ، أكان بقضاء من الله تعالى وقَدَر ؟ قال له : / نعم يا أخا أهل الشام ، [٤٧ ظ] والذى فلَق الحبَّة ، وبرأ النَّسمة ، ما وطِئنا موطِئاً ، ولا هبطْنا وادياً ، ولا علونا تَلْعة إلا بقضاء من الله وقَدَر ، فقال الشاميّ : عند الله أحتسِب عنائى يا أمير المؤمنين ، وما أظنُّ أن لى أجراً فى سعْيي إذ كان الله قَضاه عليّ وقدّره ! فقال له عليه السلام : إن الله قد أعظم

(١) هو الإمام أبو جعفر محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم ؛ أحد الأئمة الاثنى عشر ؛ توفى ببغداد سنة ٢٢٠ ؛ (شذرات الذهب ٢ : ٤٨) .

(٢) ش : « حتى » .

لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون، وعلى مقامكم وأنتم مقيمون، ولم تكونوا فى شىء من حالاتكم مكرَهين، ولا إليها مضطرين، ولا عليها مجبَرين.

فقال الشامىّ: وكيف ذاك والقضاء والقدَر ساقانا، وعنهما كان مسيرُنا وانصرافُنا؟

فقال له عليه السلام: يا أخا أهلِ الشام، لعلّك ظننت قضاءً لازما، وقدرًا حتْما؛ لو كان ذلك كذلك لبطل الثوابُ والعقاب، وسقط الوعدُ والوعيد، والأمرُ من الله والنهى، وما كان المحسِن أوْلَى بثواب الإحسان من المسىء، والمسىء أوْلَى بعقوبة الذنب من المحسِن؛ تلك مقالة عَبدة الأوثان، وحزب الشيطان، وخُصَماء الرحمن، وشهداء الزور، وقَدَريّة هذه الأمة ومجوسها؛ إنّ الله أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلَّف يسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُطَعْ مكرِها، ولم يُعْصَ مغلوبا، ولم يكلِّف عسيراً، ولم يرسِل الأنبياء لعباً، ولم ينزِّل الكتبَ إلى عباده عبثا، ولا خلَق السموات والأرض وما بينهما باطلا؛ ذلك ظنُّ الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار!

قال الشامىّ: فما القضاء والقدَر الذى كان مسيرنا بهما وعنهما؟ قال: الأمر من الله بذلك والحكم، ثم تلا: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾؛ [الأحزاب: ٣٨]، فقام الشامىّ فرِحاً مسروراً لمّا سمع هذا المقال، وقال: فرّجت عنى فرّج الله عنك يا أمير المؤمنين، وأنشأ يقول:

أنتَ الإمامُ الّذِى نَرْجُو بطاعَتِهِ ... يوْمَ الحِسابِ مِنَ الرَّحمنِ غُفرانا[١]
أوْضَحْتَ مِنْ أَمْرِنا[٢] ما كانَ مُلْتَبِساً ... جَزاكَ رَبُّكَ بالإحسانِ إحْسانا[٣]

ورُوِىَ أنّ أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال: دخلتُ المدينةَ، فرأيت أبا عبد الله [جعفر ابن علىّ][٤] عليه السلام، فسلّمت عليه، وخرجت من عِنْده، فرأيت[٥] ابنَه موسى[٦] عليه السلام

(١) حاشية ف: « فى رواية * يوم النشور من الرحمن رضوانا * ».
(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: « أوضحت من ديننا ».
(٣) حاشية ف: « فى رواية: * جزاك ربك عنا فيه إحسانا * ».
(٤) تكملة من ت. (٥) ت، ش: « فأتيت ».
(٦) هو المعروف بموسى الكاظم، أحد الأئمة الاثنى عشر؛ توفى سنة ١٨٣؛ (شذرات الذهب ١: ٣٠٤)

في دِهْليزه، قاعداً في مكتبه، /وهو صغيرُ السن فقلت له : أين يُحْدِثُ[١] الغريب إذا كان[٢] عندكم [٤٨ و] وأراد ذلك ؟ فنظر إليَّ ثم قال : يتجنَّبُ شطوطَ الأنهار ، ومساقط[٣] الثمار ، وأفنيةَ الدور ، والطرق النافذة ، والمساجد ، ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء . قال : فلما سمعتُ هذا القول نَبُلَ في عيني ، وعظُمَ في قلبي . فقلت له : جُعِلت فداك ! فممَّن المعصية ؟ فنظر إليَّ ثم قال: اجلس حتى أخبرَك ، فجلست ، فقال : إنّ المعصيةَ لابدّ أن تكون من العبد أو من ربه ، أو منهما جميعاً ؛ فإن كانتْ من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ، ويأخذَه بما لم يفعله ، وإن كان منهما فهو شريكُه؛ والقويّ أوْلَى بإنصاف عبده الضعيف ، وإن كانت من العبد وحدَه فعليه وقعَ الأمر ، وإليه توجَّه النهي ، وله حق الثواب والعقاب ، ووجبت الجنة والنار ، قال: فلما سمعتُ ذلك قلتُ : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ؛ [آل عمران: ٣٤]،

وقد نُظِم هـذا المعنى شعراً فقيل :

لم تَخْلُ أفعالُنا اللاتى نُذَمُّ لها ... إحْدَى ثلاثِ خِلالٍ حينَ نأْتيها

إمّا تَفرَّدَ بارِينا بصَنْعَتِها ... فيَسقُطُ اللَّوْمُ عنّا حينَ نُنْشِيها

أو كانَ يَشْرَكُنا فيها فيَلْحَقُهُ ... ما سوْفَ يَلْحَقُنا مِنْ لائمٍ فيها

أو لم يكُنْ لإلهى في جِنايَتِها ... ذَنْبٌ فما الذَّنْبُ إلّا ذَنْبُ جانِيها[٤]

* * *

وأحدُ مَنْ تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدْل، الحسنُ بن أبي الحسن البصريّ ، واسم أبيه يَسار ، من أهل مَيْسان ، مولى لبعض الأنصار ، وكان اسم أمه خَيْرة ، مملوكة لأمِّ سلَمة زوج النبي صلى الله عليه وآله ، ويقال إن أمّ سلمة كانتْ تأخذ الحسن إذا بَكَى فتسكِّتُه بثديها،

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « يضع » .

(٢) م : « الرجل » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « ومسقط » .

(٤) في حواشي الأصل ، ت ، ف : « زيادة في آخر هذه القطعة :

سَيَعْلَمُونَ إذا الْمِيزَانُ شَالَ بِهِمْ ... أهُمْ جَنَوْهَا أمِ الرَّحْمٰنُ جَانِيهَا

— من الجنى — » .

فكان يَدِرّ عليه ، فيقال إنّ الحكمة التى أوتيها الحسن من ذلك ، وبلغ الحسنُ من السن تسعا وثمانين سنة .

فمن تصريحه بالعدْل ما رواه علىّ بن الجعْد(١) قال : سمعت الحسن يقول : مَنْ زَعم أن المعاصىَ من الله عز وجلّ جاء يوم القيامة مسودًّا وجهه ، ثم قرأ : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴾ ؛ [الزمر : ٦٠] . وقال داود بن أبى هِنْد : سمعت الحَسَن يقول : كلُّ / شىء بقضاء وقَدَر(٢) إلا المعاصى . [٤٨ ظ]

وكان الحَسَن بارِعَ الفصاحة ، بليغ المواعظ ، كثيرَ العلم . وجميعُ كلامه فى الوعظ وذم الدنيا أو جلّه مأخوذٌ لفظاً ومعنًى ، أو معنًى دون لفظ ؛ من كلامِ أميرِ المؤمنين علىّ ابن أبى طالب عليه السلام ، فهو القُدوة والغاية(٣) .

فمن ذلك قوله عليه السلام : « شيئان أحدُهما مأخوذٌ من الآخر ، أحدُهما أكثر شىء فى الدنيا ، والآخَر أقلُّ شىء فى الدنيا : العِبَر والاعتبار » .

وقوله عليه السلام : « مَثَلُ الدنيا والآخرة ، مثَلُ المشرق والمغرب ، متى ازددتَ من أحدهما قرباً ، ازددت من الآخر بُعداً » .

وقوله : « شتّان بين عملين : عملٍ تذهب لذّتُه ، وتبقى تَبِعَتُه ، وعملٍ تذهب مُؤْنَتُه ويبقى أجره » .

وقوله فى وصف الدنيا : « ما أصِف من دارٍ أولُها عناء ، وآخرها فَناء ، فى حلالها حساب ، وفى حرامها عقاب ، مَنْ صَحَّ فيها أمِنَ(٤) ، ومَنْ فرَّط فيها ندم ، ومن استغنى

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « على بن الجعد لم يلق الحسن ؛ فإن عليا مات سنة ثلاثين ومائتين ، والحسن مات سنة عشر ومائة ، وولد علىّ بن الجعد سنة أربع وثلاثين ومائة . قال القتيبى : على بن الجعد مولى أم سلمة المخزومية ، امرأة أبى العباس أمير المؤمنين ، وولد سنة ست وثلاثين ومائة ، ومات ببغداد سنة ثلاثين ومائتين ، وفيها مات عبد الله بن طاهر » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بقضاء الله وقدره » . (٣) ت : « فهو فى ذلك القدوة والغاية » .

(٤) حاشية ف : « قوله : من صح فيها أمن ، يعنى أن الإنسان إذا صح جسمه أمن الأهوال الدنيوية والأخروية ، وإذا مرض ندم على التقصير » .

فيها فُتِن ، ومَن افتقر فيها حَزِن » .

وقوله فى كلام له : « فيأيها الذّامّ للدنيا ، والمعتلُّ[١] بغرورها ، متَى استذَمّتْ[٢] إليك؟ بل متَى غرّتْك ؟ أبمضاجع آبائك من الثّرَى ؟ أم بمنازِل أمَّهاتك من البِلَى ؟ كَمْ مرَّضْتَ بكفّيْك ؟ وكم عالجتَ بيديْك ؟ تبتغى لهم الشفاء ، وتستوصِف لهم الأطبّاء ؛ مثَّلَتْ لك بهم الدنيا نفسَك ، وبمصرعِهم مصرعَك » .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه : وهذا باب إن ولجْناه اغترفنا من ثَبَج[٣] بحْر زاخر ، أو شُؤْبوبِ[٤] غمامٍ ماطر ؛ وكلُّ قولٍ فى هذا الباب لقائل إذا أضيفَ إليه أو قُويِسَ به كان كإضافة القطْرة إلى الغَمْرة[٥] ، أو الحَصاة إلى الحَرَّة[٦] ، وإنما أشرنا إليه إشارة ، وأومأنا إليه إيماءً ، ثم نعود إلى ما كنا فيه .

روى أن أعرابياً سمع كلامَ الحسن البصرىّ فقال : المؤمن فصيح إذا لفَظ ، نصيح إذا وَعَظ .

وروى أن الحسن تلا يوماً : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ ؛ [الأحزاب : ٧٢] ، ثم قال : « إنّ قوماً غدَوا فى المطارف[٧] العِتاق ، والعمائم الرّقاق ، يطلبون الإمارات ، ويضيّعون الأمانات ، يتعرّضون للبلاء وهم منه فى عافية ؛ حتى إذا أخافوا مَنْ فوقهم من أهلِ العِفّة ، وظلموا مَنْ تحتَهم من أهل الذّمة أهزلُوا[٨] دينَهم وأسمَنُوا بَراذِينَهم ، ووسّعوا دورَهم ، وضيّقوا قبورَهم ؛ ألم ترَهُمْ قد جدّدُوا / الثياب [٤٩ و]

(١) ت ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « المغتر » .

(٢) حاشية الأصل : « قوله عليه السلام استذمت، أى فعلت ما تلام عليه » .

(٣) ثبج البحر : وسطه أو معظمه . (٤) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٥) الغمرة : الماء الكثير الذى يغمر من خاض فيه .

(٦) الحرة : أرض سوداء ذات حصى .

(٧) المطارف : جمع مطرف ؛ وهو كساء من خز ذو أعلام .

(٨) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « هزلوا » .

وأخْلَقُوا الدين ، يتَّكِئ أحدُهم على شماله ، فيأكُلُ من غير ماله ؛ طعامُه غَصْب ، وخَدَمُه سُخْرة ؛ يدعو بحُلْوٍ بعد حامض ، وبحارٍّ بعد بارد ، ورطْبٍ[١] بعد يابس ؛ حتى إذا أخذتْه الكِظَّة ، تجشَّأ من البَشَم ، ثم قال : يا جارية ، هاتى حَاطُوماً (يعنى هاضوما) يهضِمُ الطّعام ؛ يا أُحَيْمِق ! لا والله لنْ تهضِم إلا دينَك ، أين جارُك ! أين يتيمُك ! أين مسكينُك ! أين ما أوصاك الله عزّ وجلّ به ! » .

وذَكَر يوما الحجاجَ فقال : « أتانا أُعَيْمِش أُخَيْفِشُ ، له جُمَيْمَةٌ يُرَجِّلُها ، وأخرج إلينا بَنانا قِصاراً ، والله ما عَرِق فيها عِنان فى سبيل الله ، فقال : بايعونى ، فبايعناه ، ثم رَقِىَ هذه الأعوادَ ينظرُ إلينا بالتصغير ، وننظر إليه بالتعظيم ؛ يأمُرنا بالمعروف ويجتنِبُه ، وينهانا عن المنكر ويرتكبه » .

وروى عيسى بن عمر قال : قال الحسنُ : « إنَّ هذه القلوب طَلِعَة[٢] فاقْدَعوها ، فإنَّكم إنْ تُطِيعوها تنزِعُ بكم إلى شرٍّ غاية ، وحادثوا هذه النفوسَ ، فإنها سريعة الدُّثور » . قال عيسى بن عمر : فحدثتُ بذلك أبا عمرو بن العلاء ، فعجب من فَصاحته .

وكان يقول فى بعض كلامه : « ما يشاء أن ترى أحدَهم أبيَضَ بضًّا ، يملَخ فى الباطل مَلْخًا ، ينفض مِذْرَويه ويقول : هأنذا فاعرِفونى » .

قال : فالبضّ ، هو الرَّخْص اللّحم ، وليس هو من البياض على ما يظنُّه قوم ؛ لأنه قد تكون الرَّخاصة مع الأُدْمة . وأما قوله « يملَخ » فإن المَلْخ هو التَّثَنِّى والتكسُّر ، يقال مَلَخ الفرس إذا لعب[٣] ؛ قال رُؤْبة يصف الحمار :

* مُعْتَزِمُ التَّجْلِيحِ مَلّاخُ المَلَقْ[٤] *

(١) ف ، ونسخة بحاشيتى ت ، ف : « ورطب » .

(٢) الطلعة : الكثيرة التطلع إلى الشىء ؛ أى أنها كثيرة الميل إلى هواها تشتهيه حتى تهلك صاحبها ، قال فى اللسان : « وبعضهم يرويه بفتح الطاء وكسر اللام ، وهو بمعناه ، والمعروف الأول » .

(٣) فى اللسان (ملخ) وحاشيتى ت ، ف : « يملخ فى الباطل ملخا ؛ أى يمر فيه مرا سريعا » .

(٤) الاعتزام : المضى على جهة واحدة ، والتجليح : شدة الإقدام ، والملق : ما استوى من الأرض . =

والمذروان[١] : فرعا الأَلْيتين : قال عنترة :

أَحَوْلى[٢] تَنفُضُ استُكَ مِذْرَوَيْها لِتَقْتلنى فهأنذا عُمَـارا

هذا قول أبو عبيد ؛ وقال ابنُ قتيبة ردًّا عليه : ليس المِذْرَوَان فَرْعَىِ الأَلْيتين حَسْبُ ؛ بل هما الجانبان من كل شيء ؛ تقول العرب : جاء فلان يضرب أَصْدَرَيْهِ ، ويضرب عِطْفَيْه ، وينفُض مِذرَوَيْهِ ، وهما مَنْكِباه. وذَكَرَ أنه سمِعَ رجلا من فصحاء العرب يقول : قنَّع الشيب مِذْرَوَيْه ، يريد جانبي رأسه ، وهما فَوْداه ، وإنما سُمِّى بذلك ، لأنّهما يَذْرَيان ؛ أى

= وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : وقبله :

* إذَا تَتَلاَّهُنَّ صَلْصَالُ الصَّعَقْ *

ـ أى تلا الحمار الأتن ، والصلصال : الصوت ، والصعق : شدة الصوت ؛ وحمار صعق : شديد الصوت ؛ وبعده :

* يَرْمِى الْجَلاَمِيدَ بجُلْمودٍ مَدَقْ *

والبيت من أرجوزته التى مطلعها :

* وقاتِمِ الأَعْماق خاوى المخترَقْ *

وهى فى (ديوانه ١٠٤ـ١٠٨) ، وأبيات منها مشروحة فى (الخزانة ١ : ٣٨ـ٤٤) .

(١) حاشية ف : «قوله المذروان؛ أى أطراف الأليتين ، وليس بمثنى على واحد هو مذرى ، خلافا لما يقوله أبو عبيد ؛ إذ لو كان ذلك كذلك لـكان مذريان ؛ لأن الواو إذ وقعت رابعة فصاعدا قلبت ياء قياسا على «مغزيان» ، ألا ترى إلى المذرى الذى يميز به الطعام إذا ثنى يقال «مذريان»؛ فقوله : « مذروان » لأطراف الأليتين ، كذا ورد عنهم فى صورة التثنية، وإن لم يكن تثنية لواحد مذكور » .

(٢) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة): « أنحوى » ، وهو يخاطب عمارة بن زياد العبسى وكان بلغه أنه يقول لقومه : قد أكثرتم ذكر هذا العبد ؛ وددت أنى لقيته خاليا حتى يعلم أنه عبد ؛ وبعده :

مَتَى ماتلْقَنِى فَرْدَيْنِ تَرْجُفْ رَوانِفُ أَلْيَتَيْكَ وَتُسْتَطَارا

والروانف أعلى الأليتين ؛ والبيتان من قطعة فى (حماسة ابن الشجرى : ٨ ، واللآلئ ٤٨٣ ، والخزانة ٣ : ٣٦٢) .

يَشِيبان ، والذَّرَى وَالذُّرْوة(١) الشيْب ، قال : وهـذا أصل الحرف ، ثم استعير للمنكبين ، والأَلْيتين ، والطرفين من كل شىء ، قال أمية بن أبى عائذ الهُذَلىّ يذكر قوساً :

على عَجْسِ هَتّافة المِذْرَوَيْـــنِ زَوْرَاء مُضْجَعَةٍ فى الشِّمَالِ(٢)

أراد قوساً ينبِض(٣) طرفاها . قال : فلا معنى لوصف الرجل الذى ذكره الحَسَنُ بأنه يحرك أَلْيتَيْهِ ؛ ولا من شأن من يبذَخ(٤) ويتيه على نفسه ويقول : هأنذا فاعرفونى أن يحرّك أَلْيتَيْه ؛ وإنما أراد أنه يضرِب عِطفَيْهِ ، وهذا مما يوصَف به المرِح المختال ، وربما قالوا : جاءنا يَنْفُضُ مِذْرَوَيْه ، إذا تهدّد وتوعّد ، لأنه إذ تكلم وحرّك رأسه نفض قُرُونَ فَوْدَيْه ، وهما مِذْرواه .

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوّه : ليس الذى ذكره أبو عبيد ببعيد ، لأن من شأن المختال الذى يُزْهَى بنفسه أن يهتزّ ويتثنّى ، فتتحرك أعطافه وأعضاؤه ؛ ومِذرواه من جملة ما يهتزّ ويتحرك ، لأنهما بارزان من جِسْمِه ، فيظهر فيهما الاهتزاز ، وإنما خُصَّ المِذْروان(٥) بالذِّكر مع أن غيرها يتحرك أيضا ، على طريق التقبيح على هذا المختال والتهجين لفعله . وقول ابن قتيبة ليس من شأن مَنْ يبذَخ أن يحرّك أَلْيتَيْه ليس بشىء ، لأن الأغلبَ من شأن المختال البذّاخِ الاهتزازُ وتحريكُ الأعطاف ؛ على أن هذا يلزمه فيما قاله ، لأنه ليس

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : العجب من ابن قتيبة كيف خلط المهموز بالمعتل ، وإنما هو الذرأ بالهمز شيب مقدم الرأس ، وقد ذرِئ يذرأ ، ورجل أذرأ وامرأة ذرآء ؛ وهى الذرءة ، وأعجب من ذلك أنه ذكره فى إصلاح غلط أبى عبيد » . وفى حاشية ف أيضا : « الذرأ : هو شيب مقدم الرأس ؛ وهو مهموز لاغير ، وأصل المذروين ينبغى أن يكون من ذرو الريع ، وقد صح أنه إذا كان بمعنى الشيب كان ذرأ، مهموزا ، فلو كان من الذرءة التى هى الشيب لكان مذرأين » .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٨٥ . والعجس : مقبض القوس ، وهتافة المذروين ؛ أى لطرفيها صوت نبض ، وزوراء : معوجة .

(٣) الإنباض : التصويت .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « يتبذخ » .

(٥) ش : « خص المذروين » .

من شأن كل متوعِّد أنْ يحرِّك رأسه ، و يَنْفُض مذرويْه ؛ فإذا قال : إن ذلك فى الأكثر قيل له مثله .

وكان الحسن يقـول : « يا بن آدم ، جمْعًا جمعًا ، سرْطًا سرطًا(١) ، جَمْعًا فى وعاء ، وشدًّا فى وِكاء ، وركوبَ الذَّلول ، ولُبس اللَّيِّن ؛ حتى قيل مات ، فأفضى والله إلى الآخرة ، فطال حسابه » .

وكان يقول : « مسكينُ(٢) ابن آدم ، مكتوم الأجل ، مكنون العِلل ؛ أسير جوع ، صريع شِبَع ، إنَّ مَنْ تؤلِمه البَقَّة ، وتقتله الشَّرْقَة ، لبادِى الضَّعف ، فريسة الحتف » .

وكان يقول : « ما أطال أحد الأمل ، إلا أساء العمل » .

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز : « أما بعد ، فإن طول البقاء إلى فناء ، فخذْ من فنائك الذى لا يبقى ، لبقائك الذى لا يفنى ، والسلام » .

وكان يقول : « إذا رأيت رجلا ينافس فى الدنيا فنافسْه فى الآخرة » . وسأله رجـل : ما حالك ؟ فقال : بأشدّ حال ، ما حالُ مَنْ أصبح وأمسى ينتظر الموت ، ولا يدرى ما يفعل الله به !! .

[٥٠ و] / وكان يقول : « يابن آدم ، بُسِطَتْ لك صحيفة ، ووكِّل بك ملـكان كريمان ، يكتبان عملك فأمْلِل ما شئت ، وأكثر وأقلل » . وفى خبر آخر : « وكِّل بك ملـكان كريمان ، ريقك مدادهما ، ولسانك قلمهما » .

روى أبو بكر الهذلىّ قال : لما وفد(٣) عمرُ بن هبيرة واليًا على العراق نزل واسطا ، فبعث

---

(١) السرط : البلع .

(٢) حواشى الأصل ، ت . ف : يجوز : « مسكينُ ابن آدم » ، ويكون قد حذف التنوين لالتقاء الساكنين ؛ من باب قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحَدُ اللهُ الصَّمدُ﴾ ، وقول الشاعر :

عمرُو الَّذى هَشَم الثَّرِيدَ لقوْمِه ورجالُ مـكَّةَ مسْنِتُون عِجَافُ

(٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « قدم » .

إلى الشعبيّ وإلى الحسن البصريّ ، فقال لهما : إن يزيد بن عبد الملك عَبْدٌ أخذ الله ميثاقَه ، وانتجبه لخلافته ، وقد أخذ بنواصينا، وأعطيناه عهودنا ومواثيقنا وصفْقة أيدينا، فوجب علينا السمعُ والطاعة ، وإنه بعثنى إلى عِراقكم غيرَ سائل إياه ، إلا أنه لا يزال يبعث إلينا فى القوم نقتلهم ، وفى الضِّياع نقبضُها ، أو فى الدور نهدمها، فنوليه من ذلك ما ولّاه الله ، فما تريان ؟ فأما الشّعبيّ فقال قولا فيه بعضُ اللين ؛ وأما الحسن فإنه قال له : يا عمر ، إنى أنْهاك عن الله أن تتعرض له ، فإن الله مانعُك من يزيد ، ولا يمنعك يزيد من الله ؛ إنه يوشك أن ينزل إليك[(١)] مَلَك من السماء ، فيستنزلك من سريرك ، ويُخْرِجك من سَعة قصرك إلى ضيق قبرك ؛ ثم لا يوسِّعه عليك إلا عملك ، إنّ هذا السلطان إنما جُعِل ناصراً لدين الله ، فلا تركبوا دينَ الله وعباد الله بسلطان الله تُذِلُّونهم به ، فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق جلّ وعزّ. وذكر عن الشعبيّ أنه قال : كان والله الحسنُ أكرمَنا عليه .

وروى أبو بكر بن عياش قال : قال مسلمة بن عبد الملك للحسن : عِظْنِى فقال : إذا نزلت عَن المِنبر فاعمل بما تكلمت به ، فقال : عظنى ، فقال : أوُلّيت قط ؟ فقال : نعم ، قال: فما كنت تحب أن يؤتَى إليك فأْتِه إلى مَنْ وَلِيتَه .

وعن ثابت البُنانيّ قال: قال رجل للحسن: آخذ عطائى أم أدَعه حتى آخذَه من حسناتهم يوم القيامة ؟ فقال له : قم ويحك خذ عطاءك ! فإن القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة .

وولد للحسن غلام، فهنأه بعضُ أصحابه، فقال الحسن: «نحمد الله على هِبَتِه ، ونستزيده من نعمه ، ولا مرحبا بمن إن كنتُ غنياً أذهلنى ، وإن كنت فقيرا أتعبنى ؛ لا أرضى بسَعْيِي له سعياً ، ولا بكَدّى له فى الحياة كدًّا ، أشفِقُ عليه من الفاقة بعد وفاتى ، وأنا فى حالٍ لا يصل إلىّ / من همّه حَزَن ، ولا من فرحه سرور » . [٥٠ ظ]

وكان الحسن يقول : «لو لم يكن من شؤم الشَّراب إلا أنه جاء إلى أحبِّ خلق الله إلى الله فأفسده ، لكان ينبغى للعاقل أن يتركه » ـ يعنى العقل .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « أن يرسل عليك ملكا » .

وعزّى جاراً له يهودياً فقال : «جزاكَ الله عن مصيبتك بأعظم ما جازى به أحدا من أهل مِلّتك» . وهذا تخلّصٌ منه مليح ، لأنه لم يَدْعُ له بالثواب الذى لا يستحقه الكفّار ، وأراد بالجزاء العِوض الذى يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب .

وكان الحسن يقول : «ليس للفاسق المعلِن بالفسق غِيبة ، ولا لأهل الأهواء والبدع غيبة ، ولا للسلطان الجائر غيبة » .

وقال فى قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قال العلم ، ﴿ وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ [البقرة : ٢٠١] قال: الجنة .

وخرج الحسن فى جنازة معها نوائح ، فقال له رجل: أما ترى يا أباسعيد هذا ؟ وهمّ الرّجل بالرجوع ، فقال له الحسن : إن كنت كلما رأيتَ قبيحاً تركت له حسنا أسرع ذلك فى دينك.

وذكرت عنده الدنيا فقال :

أحلامُ نوْمٍ أو كظِلٍّ زائلٍ إنَّ اللّبيبَ بمثلها لا يُخدَعُ

وكان يتمثّل :

اليومَ عِندَكَ دَلُّها وحَدِيثُها وغدًا لغيرِكَ كَفُّها والمِعْصَمُ[1]

وعن أبى عبيدة قال : لما فرَغ الحجّاج من خضراء[2] واسط نادى فى الناس أن يخرُجوا فيدْعوا له بالبركة ، فخرج الناس ، وخرج الحسن ، فاجتمع عليه الناس ، فخاف أهلَ الشام على نفسه أن يقتلوه ، فرجع وهو يقول : قد نظرنا يا أخبث الأخبثين ، وأفسق الفاسقين !

(١) حاشية ف : « قبله :

لَا تَـأْمَنَنْ أنثى حَيَاتَكَ واعْلَمنْ أنَّ النِّسَاءَ وَمَا لَهُنَّ مُقسَّمُ

وبعده :

كالبيت يُصْبِح خالياً من أهْلِهِ وَيَحُلُّ بَعْدَكَ فيه مَنْ لا تعلمُ

(٢) حاشية الأصل : «خضراء واسط : بنية كان ابتناها الحجاج » ، وفى م : « قصر واسط

فأما أهلُ السماء فمقتوك ، وأما أهلُ الأرض ففرُّوك ، ثم قال : أبَى الله تعالى للميثاق الذى أخذه على أهلِ العلم لَيبينُنَّه للناس ولا يكتمونه . ثم انصرف وبلغ الحجاجَ ذلك فقال : ياأهلَ الشام ـ وهم حوله : آللهِ (١) ليقومَنَّ (٢) عُبَيد من عبيد أهل البصرة ، ويتكلم فىّ بما يتكلم ، ولا يكونُ عند أحد منكم تغيير ولا نكير ! قالوا : ومَنْ ذاك أصلحك الله ! اسقِنا دمَه ، فقال : علىّ به ، وأمر بالنِّطَع والسيف فأحضرا ، ووجّه إليه ، فلما دنا الحسن من الباب ، حرّك شفتيه والحاجب ينظر إليه ، فلما دخل قال له الحجاج : هاهنا ، وأجلسه قريبا من فرشه ، وقال له : ما تقول فى علىّ وعثمان؟ قال : أقول قولَ مَنْ هو خير منى عند مَن هو شرّ منك ، قال موسى عليه السلام لفرعون إذ قال له : ﴿ مَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى . قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى فِى كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّى وَلاَ يَنْسَى ﴾ ؛ [طه : ٥١ ـ ٥٢] ؛ عِلْمُ علىّ وعثمان عند الله تعالى ، فقال له الحجاج : أنت سيد العلماء ياأباسعيد ، ثم دعا بغالية فغلّل بها لحيته ، فلما خرج الحسن اتّبعه الحاجب ، فقال : يا أبا سعيد ، لقد دعاك لغير ما فعل بك ، ولقد أحضر السيف والنِّطَع ، فلما أقبلتَ رأيتُك قد حرّكت شَفَتيك بشىء ، فما قلت ؟ قال : قلت : يا عُدّتى عند كُرْبتى ، ويا صاحبى عند شدّتى ، ويا ولىّ نعمتى ، ويا إلهى وإله آبائى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ارزقنى مودّته ، واصرف عنى أذاه ومعرّته ؛ ففعل ربى عز وجل ذلك .

وكان الحسن يقول : ما زال النفاقُ مقموعاً حتى عُمِّم هذا عمامة ؛ وقُلِّد سيفاً . ـ يعنى الحجاج .

---

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « هم كثيرا مايتصرفون فى القسم ؛ وذلك لكثرة تردده فى كلامهم فتارة يحذفون الفعل ، كقولك بالله ، وأخرى يحذفون خبر المبتدأ ، كقولك لعمرى ، وتارة يحذفون حرف القسم من غير عوض ، كقولك : الله لأفعلن ؛ بالنصب ، والله لأفعلن بالجر ، وتارة يحذف الحرف عن عوض ، كقولك آلله ، وهالله » .

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « لابد من النون فى صحبة اللام فى جواب القسم ؛ وحذفها ضعيف ؛ ومع ضعفه جائز ؛ كقولك : والله ليقوم زيد ، والفصيح بالنون ؛ وإنما تحرى ذلك فيه لأن الغرض بالقسم التوكيد ؛ فينبغى أن يكون مؤكدا » .

وروى أبو بكر الهذلىّ أنّ رجلا قال للحسن: يا أبا سعيد ، إن الشيعةَ تزعُم أنك تُبغض عليًّا عليه السلام ، فأكبّ يبكى طويلا ، ثم رفع رأسه فقال : لقد فارقكم بالأمس رجلٌ كان سهماً من مرامى رَبّنا عز وجل على عدوّه ، ربّانىُّ هـذه الأمة ، ذو شرفها وفضلها ، وذو قرابة من النبى صلى الله عليه وآله قريبة ، لم يكن بالنُّوَمة عن أمر الله ، ولا بالغافل عن حق الله ، ولا بالسَّروقة من مال الله ، أعطى القرآن عزائمَه فيما له وعليـه ، فأشرف منها على رياضٍ مونقة ، وأعلام بينة ، ذلك ابن أبى طالب يا لُكع ! وكان الحسن إذا أراد أن يحدّث فى زمن بنى أمية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال أبو زينب .

وشهد الحسن جنازة فقال : إنّ أمراً هذا (١ آخره لَينبغى أن يُزْهد فيه ، وإن أمراً هذا أوّله لَينبغى أن يُحْذَرَ منه١) . وعن حُميد الطويل قال : خطب رجل إلى الحسن ابنته ، وكنت السَّفيرَ بينهما ـ فرضِيَه ، وأراد أن يزوجه فأثنيتُ عليه ذاتَ يوم وقلت : وأزيدُك يا أبا سعيد ، إنّ له خمسين ألفا ، قال : أقات له خمسون ألفا ! ما اجتمعتْ من حلال ـ قات : يا أبا سعيد ، إنه والله ما علمت لوَرِع مُسْلم ، فقال : إن كان جَمَعها من حلال ، لقد ضَنَّ بها عن حقٍّ ! لا يجرى بينى وبينه صِهْرٌ أبدا .

وقيـل لعلىّ بن الحسين عليهما السلام : قال الحسنُ البصرىّ ليس العَجَب ممّن هلك كيف هَلَك ، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا ! فقال عليه السلام : أنا أقول: ليس العَجَب ممّن نجا كيف نجا؛ إنما العجب ممن هلَك كيف هلَك مع سَعَة رحمة الله!

وأتى عليه السلام يومًا الحسن البصرى وهو يقصّ عند الحِجْر فقال : أترضى يا حسن نفسَك للموت؟ قال: لا ، قال: فعملَك للحساب ؟ قال : لا ؛ قال : فثَمَّ دار للعمل غيرُ هذه الدار ؟ قال: لا، قال : فلله فى أرضه معاذ غيرُ هذا البيت؟ قال : لا ، قال : فلِمَ تَشْغَلُ الناس عن التَّطْواف(٢) .

(١ـ١) م : « إن امرأ هذا أوله لينبغى أن يحذر منه ، وإن امرأ هذا آخره لينبغى أن يزهد فيه » .

(٢) كذا فى الأصل ، ت ، ج ، ش ، ف ، وفى نسخة بحاشيتى ت ، ف : « الطواف » . وكانت وفاة الحسن البصرى سنة ١١٠ ؛ (وانظر ترجمته فى ابن خلكان ١ : ١٢٨ـ١٢٩)

مجلس آخر [١١]

وممّنْ تظاهرَ بالعدْل واشتَهر به واصلُ بن عطاء الغزّال ، ويكنَى أبا حُذيفْة ، وقيل : إنه مولًى بنى ضَبّة ، وقيل : مولًى بنى مخزوم ، وقيل : مولى بنى هاشم .

ورِوى أنه لم يكن غزّالا ، وإنما لقِّب بذلك ، لأنه كان يكثِر الجلوسَ فى الغزّالين ، وقيل : إنه كان يجلِس فى الغزالين عند رضيع له يعرف بأبى عبدالله الغزّال . وذكر المبرّد : أنّ(١) واصلا كان يَلزم الغزالين ، ليعرفَ المتعففات من النساء ، فيصرفَ صدقتَه إليهن(٢) ، ولقِّب بذلك كما لقِّب أبو سلمة حفص بن سليمان بالخلّال ، وهو وزير أبى العباس(٣) السفّاح ، ولم يكن خلّالا ، وإنما كان منزله بالكوفة بقرب الخلّالين ، وكان يجلس عندهم فسمى خلّالا ، ومثله أبو علىّ الحِرمازىّ(٤) ، وهو مولًى لبنى هاشم ، وإنما لقِّب بذلك لأنه كان ينزل فى بنى الحِرْماز ، وإبراهيم بن يزيد الخُوزِىّ ، وليس بخوزِىّ ، ولكنه كان ينزل(٥) بمكة بشِعْب الخُوز ، وأبو سعيد المقبُرِىّ ، لأنه نزل(٦) المقابر .

وكان واصلٌ ألثغَ فى الراء ، قبيح اللُّثْغَة ؛ (٧فكان يخلِّص من كلامه الراء٧) ، يعدِل عنها فى سائر محاوراته ، وقد ذكرْنا طَرفاً من ذلك فى أخبار بشار بن برد(٨) .

---

(١) انظر الكامل بشرح المرصفى ٧ : ١١٤ . (٢) فى الكامل : « فيجعل صدقته لهن » .

(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال هو الذى قيل فيه :

إن الوزيرَ وزيرَ آل محمد ... أوْدَى فمن يَشْنَاكَ كان وزيرا

إن السَّلامةَ قد تَبِينُ وربما ... كان السُّرورُ بما كرِهتَ جديرَا

وكان يميل إلى أهل البيت عليهم السلام » . وانظر أخباره فى الفخرى : ١٣٣ .

(٤) هو أبو على الحسن بن على الحرمازى ؛ أعرابى راوية ، وكان أيضا شاعرا ، والحرماز : أبو حى من تميم ؛ وهو الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم ؛ (وانظر الفهرست : ٤٨) .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « منزله » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « ينزل بالمقابر » .

(٧-٧) حاشية ت (من نسخة) : « فكان يخلص كلامه من الراء » .

(٨) انظر ص ١٣٩-١٤٠ من هذا الجزء .

وذكر أبو الحسن البرذعىّ المتكلم أن إنساناً سأل عمرو بن عُبيد أو غيره عن شىء فى القَدَر بحضرة واصل بن عطاء ، فتكلّم السائل بشىء أغضب عمْرًا ، فأجابه عمرو بجواب لم يرْضَه واصل ، فقال له واصل : إياك وأجوبةَ الغضب فإنها مندمة ، والشيطانُ يكون معها ، وله فى تضاعيفها هَمْزة(١) ، وقد أوجب الله جلّ وعز على نبيه / عليه السلام أن يستعيذَ من [٥٢ و] همزات الشيطان، وأن يكونوا معه بقوله: ﴿أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾؛ [المؤمنون:٩٧]؛ إلى خاتمة الآية، (٢وقلَّما شاهدتُ أحداً أجاب فتثبتَ فى جوابه٢) ، (٣وما يُطلِق به لسانَه٣) فلحقَه لوم .

قال البرذعىّ : انظر إلى واصل كيف كلّم عَمراً ، فأخرج الرّاء من كلامه، فقال فى موضع « والشيطان يحضرها » : « يكون معها » . وقال : « قد أوجب الله على نبيه » ، ولم يقل: «أمره». وقال:«وأن يكونوا معه» بدلا من قوله.«ويحضروه»ثم قال : « إلى خاتمة الآية » ولم يقل : « إلى آخر الآية » .

قال سيدنا الشريف المرتضى أيده الله : ومما لم يذكره البرذعىّ أنه عدَل عن افتتاح الآية من أجل الراء أيضاً، لأن أولها: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾؛ ولولا قصدُه إلى العدول لكان ذكرُها واجباً من ابتدائها(٤)؛ لاسيما وفى ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة به .

وقيل إن رجلا قال له : كيف تقول أسرِج الفرس ؟ قال : أَلْبِد الجواد.

وقال له آخر : كيف تقول : ركب فرسه ، وجرّ رمحه ، قال : استوَى على جواده وسحب عامِله .

وذكر أبو الحسين الخياط أن واصلا كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ومولده سنة ثمانين ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة .

---

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « همز الشيطان وسوسته وغلبته على العقل » .

(٢–٢) نسخة بحاشية ت : « وقلما شاهدت أحداً أجاب فتثبت فى جوابه » .

(٣–٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « وما ينطلق به لسانه » .

(٤) ش : « من حيث ابتدأ بها » .

وكان واصل ممّنْ لقِيَ أبا هاشم عبـد الله بن محمد بن الحنفيّة وصحِبَه ، وأخذ عنه ، وقال قوم: إنه لقى أباه محمداً عليه السلام، وذلك غلط؛ لأن محمداً توفى سنة ثمانين أو إحدى وثمانين، وواصل وُلد فى سنة ثمانين .

وواصل هو أول من أظهر المنزلة بين المنزلتين ؛ لأن الناس كانوا فى أسماء أهل الكبائر من أهل الصلاة على أقوال ؛ كانت الخوارج تسمّيهم بالكفر والشرك ، والمرجئة تُسَمّيهم بالإيمان ، وكان الحسن وأصحابه يسمُّونَهم بالنفاق ، فأظهر واصل القولَ بأنّهم فُسّاق غير مؤمنين ، ولا كفار ، ولا منافقين.

وكان عمرو بن عُبيد من أصحاب الحسن وتلاميذه ، فجُمِع بينه وبين واصل ليناظره فيما أظهر من القول بالمنزلة بين المنزلتين ، فلما وُوقفوا على الاجتماع ذُكِر أن واصلا أقبل ومعه جماعة من أصحابه إلى حلْقة الحسن ، وفيها عمْرو بن عبيد جالس ، فلما نظر إلى واصل، وكان / فى عنقه [٥٢ ظ] طول واعوجاج قال : أرى عُنُقاً لا يفلح صاحبُها ! فسمع ذلك واصل فلما سلّم عليه قال له : يابن أخى ، إن من عابَ الصنعة عاب الصانع ، للتعلق الذى بين الصانع والمصنوع[1] ؛ فقال له عمرو بن عبيد : يا أبا حُذَيفة ، قد وعظتَ فأحسنت ، ولن أعودَ إلى مثل الذى كان منى .

وجلس واصلٌ فى الحلْقة ، وسئِل أن يكلّم عمراً فقال واصل لعمرو : لِمَ قلتَ إنَّ مَنْ أتى كبيرةً من أهل الصلاة استحق اسم النفاق ؟ فقال عمرو: لقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾؛ [النور : ٤] ، ثم قال فى موضع آخر : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾؛ [التوبة : ٦٧] ، فكان كلّ فاسق منافقاً ؛ إذ كانت ألفُ ولام المعرفة موجودتين فى الفاسق ؛ فقال له واصل: أليسَ قد وجدتَ الله تعالى يقول: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾؛ [المائدة : ٤٥] ، وأجمع أهلُ العلم على أنَّ صاحبَ

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « بين الصنعة والصانع » . ومن نسخة بحاشية ت أيضا : « بين الصنيعة والصانع » .

الكبيرة يستحق اسم ظالم ؛ كما يستحق اسم فاسق؛ فألّا كفَّرت صاحبَ الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله تعالى : ﴿ وَالْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُون ﴾؛ [البقرة : ٢٥٤] ، فعرّف بألف ولام التعريف اللتين في قوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون ﴾ ، كما قال في القاذف: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُون ﴾ ، فسمّيتَه منافقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُون ﴾ ! فأمسك عمرو ، ثم قال له واصل : ياأباعثمان ؛ أيُّما أولَى أن يُستعمل في أسماء المحدثين من أمّتنا؟ ما اتفق عليه أهلُ الفرق من أهل القبلة ، أو ما اختُلِف فيه؟ فقال عمرو : بل ما اتفقوا عليه أولَى ، فقال له واصل : ألست تجدُ أهلَ الفرَق على اختلافهم يسمّون صاحب الكبيرةِ فاسقاً ، ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه ؛ لأن الخوارجَ تسميه مشركا فاسقاً ، والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقاً ! ــ قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه : يعني بالشيعة الزَّيدية[(١)] ــ والحسنُ يسميه منافقاً فاسقاً ، والمرجئة[(٢)] تسميه مؤمناً فاسقاً ؟ فاجتمعوا على تسميته بالفسق ، واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه ، فالواجب أن يُسمَّى بالاسم الذى اتُّفق عليه وهو الفسق ؛ لاتفاق المختلفين عليه ، ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التى اختلف فيها ، فيكون صاحب الكبيرة / فاسقاً ، ولا يقال فيه إنه مؤمنٌ ولا منافقٌ [٥٣ و] ولا مشركٌ ولا كافر نعمة[(٣)] ، فهذا أشبهُ بأهلِ الدين .

فقال له عمرو بن عُبيد : مابيني وبين الحق عداوة ، والقولُ قولُك ، فليشهدْ علىَّ مَنْ حضر أنى تارك المذهب الذى كنت أذهب إليه ؛ مِنْ نفاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ،

(١) الزيدية : ثلاث فرق ؛ الجارودية والسليمانية ، والإبترية ؛ يجمعها القول بإمامة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ؛ فى أيام خروجه فى زمان هشام بن عبد الملك ؛ (وانظر الفرق بين الفرق ١٦ ، والملل والنحل للشهرستانى ٨٧ ، ومفاتيح العلوم ٢١) .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « المرجئة فى القديم غير الذين لايؤيدون العقاب ؛ بل هم الذين كان يؤخرون عليا عليه السلام عن غيره من الصحابة ؛ والإرجاء : التأخير » .

وانظر (الفرق بين الفرق ١٩ ، والملل والنحل للشهرستانى ٧٨ ، ومفاتيح العلوم ٢٠ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٥٧٨) .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « ولا كافر » .

قائلٌ بقول أبى حُذَيفة فى ذلك ، وأنّى قد اعتزلت مذهبَ الحسن فى هذا الباب . فاستحسنَ الناس هذا من عَمْرو .

وقيل إنّ اسمَ الاعتزال إنما اختصّتْ به[١] هذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن بن أبى الحسن فى تسمية مُرْتكِب الكبيرة من أهل الصلاة بالنفاق ؛ وحُكى غير ذلك .

وقيل إن قَتادة بعدموت الحسن البصرى كان جَلَسَ مَجلسه ، وكان هو وعمرو بن عُبيد جميعًارئيسين متقدّمين[٢] فى أصحاب الحسن ، فجرت بينهما نَفرة، فاعتزل عمرو مجلس قَتادة، واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن ، فكان قَتادة إذا جلس مجلسه سأل عن عمرو وأصحابه فيقول : ما فعلتِ المعتزلة ؟ فسمُّوا بذلك .

قال سيدناالشريف المرتضى ذوالمجدين أدام الله علوه : أما ما ألزَمه واصل بن عطاء[٣] لعمرو بن عبيد أولاً فسديدٌ لازم[٤] ، وأما ما كلَّمه به ثانيا فغير واجب ولا لازم ؛ لأن الإجماع وإن لم يوجد فى تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق أو غيره من الأسماء كما وجد فى تسميته بالفسق فغيرُ ممتنع أن يسمَّى بذلك لدليل غير الإجماع ، ووجودُ الإجماع فى الشىء وإن كان دليلا على صحته ، فليس فقدُه دليلا على فساده؛ وواصل إنما ألزم عمراً أن يعدِل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ، ويقتصرَ على التسمية بالفسق للاتفاق عليه ، وهذا باطل ، ولو لزم ما ذكره للزمه أن يقال : قد اتفق أهلُ الصلاة على استحقاق صاحب الكبيرة من أهل القبلة الذمَّ والعقاب ، ولم يتفقوا على استحقاقه التخليد فى العقاب ، أو نقول إنهم اجمعوا على استحقاقه العقاب ، ولم يجمعوا على فعل المستحَق به، فيجب القول بمااتفقوا عليه ، ونفى مااختلفوا فيه.

فإذا قيل استحقاقه[٥] للخلود ، أو فعل المستحِق به من العقاب ، وإن لم يجمعوا عليه ،

---

(١) ت : « إنما اختص » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « مقدمين » .
(٣) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « عمرو بن عبيد » .
(٤) حاشية ت (من نسخة) : « واجب » .
(٥) حاشية ت (من نسخة) : « استحقاق الخلود » .

[٥٣ ظ] فقد علم بدليل غير الإجماع؛ قيل له مثلُ ذلك فيما عوّل عليه ، وبطَل على / كل حال أن يكون الاختلاف فى القول دليلاً على وجوب الامتناع منه ، وهذا ينتقِض بمسائل كثيرة ذكرُها يطول .

على أنّ المقدمة التى قدمها لا تشبه ما ألزم عليها ، لأن الإجماع أولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل ، والإجماع والاختلاف فى الموضع الذى كلم عليه واصل عَمْرا فى مكانين ؛ لأن الإجماع هو على تسميته بالفسق ، والاختلاف هو فى تسميته بما عداه من الأسماء ، فلا تعارضَ بينهما ؛ وله أن يأخذ بالإجماع فى موضعه ، ويعوّلَ فيما الاختلاف فيه على دلالة غير الإجماع ، لأن فقد الإجماع من القول لا يوجب بطلانه .

وحكى أن واصلا كان يقول : أراد الله من العباد أن يعرفوه ثم يعمَلوا، ثم يعلّموا ، قال الله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّى أَنَا اللَّهُ ﴾ ، فعرّفه نفسه، ثم قال: ﴿ اخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾؛ [طه: ١٢]، فبعد أنْ عرّفه نفسَه أمره بالعمل . قال : والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ — يعنى صدقوا — ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ . وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ . ﴾ علموا وعملوا وعلّموا .

وروَى المبرّد قال: حُدِّثت أن واصل بن عطاء أقبل فى رُفْقَةٍ فأحسّوا بالخوارج ، وكانوا قد أشرفوا على العطَب ، فقال واصل لأهل الرفقة: إنّ هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعونى وإياهم ، فقالوا : شأنَك، فقال الخوارج له : ماأنت وأصحابُك ؟ قال : مشركون مستجيرون ليسمعوا كلامَ الله ، ويقيموا حدوده ، فقالوا : قد أجرناكم ؛ قال : فعلّمونا أحكامه ، فجعلوا يعلمونه أحكامهم ، وجعل يقول : قد قبلت أنا ومن معى ، قالوا : فامضوا مصاحَبين فإنكم إخواننا؛ قال لهم: ليس ذلك لكم؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾؛ [التوبة : ٦] ، فأبلغونا مأمننا ، فساروا بأجمعهم حتى بلغوا الأمن(١) .

---

(١) الكامل — بشرح المرصفى ٧ : ٧٩ .

وحكى أنّ محمداً وإبراهيم ابنَىْ عبد الله بن الحسن كانا ممّن دعاهما(١) واصل إلى القول بالعدل ، فاستجابا له ، وذلك لما حجَّ واصل ، ودعا الناس بمكة والمدينة(٢).

وحكى أبو القاسم البلخىّ أنّ عبد الله قال لابنه محمد : كلّ خصالك محمودة يابنىّ إلا قولك بالقدَر ، قال : ياأبَهْ ، أَفَشَىْءٌ لاأقدِر على تركه/(٣ أولا أقدر على تركه٣)؟ فورد الكلام على رجل [٥٤] عاقل فقال : لا عاتبتُك عليه أبدا . قال أبو القاسم : يقول إن كنت أقدر على تركه فهو قولى، وإن كنت لا أقدر فلمَ تُعاتبنى على شىء لا أقدر عليه .

* * *

فأما عمْرو بن عبيد فيكنى أبا عثمان، مولى لبنى العَدَوِية ، من بنى تميم ، قال الجاحظ : هو عمْرو بن عبيد بن باب . وباب نفسُه من سَبْىِ كابُل؛ من سبى عبد الرحمن بن سَمُرَة ، وكان باب مولًى لبنى العَدَويّة قال : وكان أبوه عُبيد شُرْطياً ، وكان عمرو متزهداً، فكانا إذا اجتازا معاً على الناس قالوا : هذا شرُّ الناس أبو خيْر الناس ، فيقول عُبيد : صدقْتم؛ هذا إبراهيم ، وأنا تارخ .

قال علىّ بن الجَعْد : وهو عبيد بن باب ، وكان بوّابا للحَكم بن أيوب ، قال : وكان باب مُكارياً، له دكّان معروف يقال له دكّان باب ، وكان فارسياً، وللفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته وفُحش فيه.

وذكر أبو الحسين الخيّاط أن مولِدَ عمْرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعا فى سنة ثمانين ، قال: ومات عمرو بن عبيد فى سنة مائة وأربعٍ وأربعين؛ وهو ابن أربع وستين سنة .

روِىَ أنّ عمراً استأذن على المنصور ، فدخل عليه الربيع(٤) فقال له : بالباب رجلٌ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ممن دعاهم » .

(٢) وانظر ترجمة واصل فى (معجم الأدباء ١٩ : ٢٤٦–٢٤٧ ، وابن خلكان ٢ : ١٧٠ ، وفوات الوفيات ٢ : ٣٩٥–٣٩٦ ، ولسان الميزان ٦ : ٢١٤–٢١٥ ، وعيون التواريخ وشذرات الذهب – وفيات سنة ١٣١) . (٣–٣) ساقط من م .

(٤) هو الربيع بن يونس بن محمد ، حاجب أبى جعفر المنصور ، ووزيره بعد أبى أيوب المدريانى . توفى سنة ١٧٠ ، (وانظر ترجمته وأخباره فى ابن خلكان ١ : ١٨٥–١٨٦) .

قال: إنى عمرو بن عبيد، وكانت على المنصور جُبّة يمانية محقّقة[١] : فقال : ويلَك يا ربيع ! عمرو بالباب ؟ قال : نعم ، قال : هاتِ لى قميصاً أبيض ، فأتاه به ، فألقاه عليه ، ثم قال : دُرْ من خلفى؛ فغط الجبة وازْرُرْ علىّ - قال الربيع : ولم أكن أرى أحداً يوقِّره المنصور حتى رأيت عمرو بن عبيد - فدخل عليه رجل آدمُ مربوع السَّكْدنة[٢] ، بين عينيه أثر السجود ، حَسَن الأدب ، حسن اللسان ؛ كأنه لم يزل مع الملوك فى توقيره للخليفة ، وإعظامه إياه ، قال : فسلّم ، فاجتذبَه المنصور ليجلس معه فأبى، وطرح نفسه بين يديه ، فساءله واحْتفى[٣] به ؛ فلما أراد عمرو القيام قال له : عِظْنِى يا أبا عثمان وأوجز ، قال له : إنّ ما فى يدك لستَ بوارثه عن أحد ، وإنما هو شىء صار إليك ، وقد كان فى يدِ غيرك قبلك ، ولو دام لك لبقى فى يد الأول ، والسلام . وروى الأصمعىّ قال : قال مَطَر الوراق لعمْرو بن عبيد : إنى لأرحمُك مما يقول الناس فيك ، فقال عمرو : أتسمعُنى[٤] أقول فيهم شيئا ؟ قال : لا ، قال : فإياهم فارحم !

[٥٤ ظ] / وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد : لم لا تأخذ منِّى فتقضىَ دينا إن كان عليك وتصلُ رحمك ؟ فقال له عمرو : أما دينٌ فليس علىّ ، وأما صِلَةُ رَحِمى فلا يجب علىّ ، وليس عندى . قال : فما يمنعك أنْ تأخذَ منّى ؟ قال : يمنعنى أنه لم يأخذ أحدٌ من أحد شيئا إلا ذلَّ له ، وأنا والله أكره أن أذلّ لك .

ويقال إن ابن لَهيعَة أتى عمْرو بن عبيد فى المسجد الحرام ، فسلّم عليه ، وجلس إليه وقال له يا أبا عثمان ما تقول فى قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾؛ [النساء: ١٢٩] ؟فقال: ذلك فى محبّة القلوب التى لايستطيعها العبد ولم يكلّفها[٥] ؛ فأما العدْل بينهن فى القِسمة من النفس والكُسوة والنفقة فهو مُطيق لذلك، وقد كلّفه بقوله

(١) حاشية الأصل : « محققة ، يعنى أن نسبتها إلى اليمن صحيحة » . وفى م : « مخففة » .

(٢) السكدنة : غلظ اللحم على الجسم .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وأحفى به » .

(٤) ت : « أفسمعتنى » .

(٥) ت : « ولا تكلفها » .

تعالى: ﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ ﴾ فيما تطيقون ﴿ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ ؛ بمنزلة مَنْ ليست أيِّمًا، ولا ذات زوج . فقال ابن لَهِيعة: هذا والله هو الحق .

ويقال إن عمرو بن عبيد أتى يونس بن عبيد يعزّيه عن ابن له ، فقال له : إن أباكَ كان أصلَك ، وإن ابنَك كان فرعك ، وإن امرأ ذهب أصله وفرعه لحَرِيٌّ أن يقلّ بقاؤه . وقيل إن عبد الله بن عبد الأعلى أخذ هذا المعنى فقال :

صَحِبْتُكَ قبلَ الرُّوحِ إذْ أنا نُطْفَةٌ ... تُصانُ فما يَبْدُو لعَيْنٍ مَصُونُها
أرَى المَرْءَ دَيْنًا لِلْمَنَايا وما لَها ... مِطالٌ إذا حَلَّتْ بِنَفْسٍ دُيونُها
فماذا بَقاءُ الفَرْعِ مِنْ بَعْدِ أصْلِهِ ... سَتَلْقَى الّذى لاقَى الأُصولَ غُصونُها

وأول من سبق إلى هذا المعنى امرؤ القيس فى قوله :

فَبَعْضَ اللَّوْمِ عاذِلَتِى فإنى ... سَتُغْنِينى التَّجارِبُ وانتِسابى[(١)]
إلى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجتْ عُرُوقى ... وهـذا المَوْتُ يَسْلُبُنى شَبابى

وأخذ ذلك لبيد فى قوله :

فإنْ أنتَ لمْ تَصْدُقْكَ نَفْسُكَ فانتَسِبْ ... لَعلّكَ تَهْدِيكَ القُرُونُ الأوائلُ[(٢)]
فإنْ لمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنانَ والِدًا ... ودُونَ مَعَدٍّ فَلْتَزَعْكَ العَوَاذِلُ[(٣)]

/ وأخذه أيضًا فى قوله : [٥٥ و]

تَوَدُّ ابنَتاىَ أنْ يَعيشَ أبُوهُما ... وهَلْ أنا إلّا مِنْ رَبيعةَ أوْ مُضَرْ![(٤)]

ونظر إليه محمود الوارق وإبراهيم بن العباس الصولىّ ؛ أما محمود ففى قوله :

إذا ما انتَسَبْتَ إلى آدمٍ ... فلَمْ يكُ بَيْنَكُما مِنْ أبِ
وجازَتْ سِنُوكَ بكَ الأرْبعينَ ... وصِرْتَ إلى الجانِبِ الأجْنَبِ

(١) ديوانه : ١٣٣ . (٢) ديوانه : ٨٨ .
(٣) حاشية الأصل : « وجد بخط ابن السكيت رحمه الله : فلتزعك ، ولتزعك (بضم الزاى فى الثانية وفتحها فى الأولى) ؛ وهو من زاع يزوع بمعنى وزع ، وفلترعك من الروع ، ووزع من الكف » .
(٤) ديوانه : ١ : ٢٨ .

وَدَبَّ البَيَاضُ خِلالَ السَّوادِ فأَصْبَحْتَ فى شيةِ الأشهب
وكيفَ تُؤَمِّلُ طُولَ الحَياةِ إذا كانَ حِلْمُكَ لمْ يَعْزُبِ

وأما إبراهيم ففى قوله :

نَعَى نفْسى إلىَّ أبى وخبَّرَ أينَ مُنقَلَبى(١)
لموْعِظَةٍ رآها فى أبيـهِ كما رأيتُ أبى

وكأن أبا نواس لحظ هذا المعنى فى قوله :

وما النّاسُ إلّا هالكٌ وابنُ هالكٍ وذُو نَسَبٍ فى الهالِـكِينَ عَرِيق(٢)
إذا امتَحَنَ الدُّنيا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ لهُ عنْ عَدُوٍّ فى ثيابِ صَدِيق

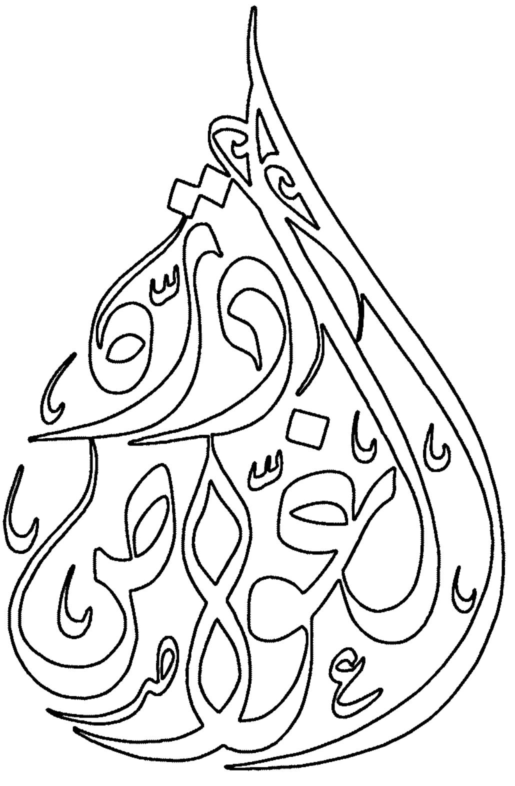

(١) ديوانه ١٦٨ـ١٦٩ . (٢) ديوانه : ١٩٢ .

مجلس آخر [١٢]

قال: رُوِى أنّ عمرو بن عُبيد دخل على معاوية بن عمرو الغَلَابىّ وهو يجود بنفسه فقال له: إنّ الله تعبّدكَ فى حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك، ووضعَ عنك فى هذه الحالِ عملَ الجوارح، ولم يكلفْك إلا العملَ بقلبك، فأعطِه بقلبك ما يجبُ له عليك.

ورِوىَ أنّ قوماً اجتمعوا إلى عمرو بن عبيد، فتذاكروا السَّخاء فأكثروا فى وصْفِه، وعمرو ساكت، فسألوه عمَّا عندَه فقال: ما أصبتُمْ صفتَه؛ إنَّ السخىّ مَنْ جاد بماله تبرُّعاً، وكَفَّ عن أموال الناس تورُّعاً.

وذكر إسحاق بن الفضْل الهاشمىّ قال: إنى لَعلَى باب المنصور يوماً، وإلى جنْبى عُمارة[١] بن حمزة، إذْ طلَع عمرو بن عُبيد على حِمار، فنزل عن حماره، ثم دفع[٢] البساط برِجْله وجلس دونه، فالتفتَ إلىَّ عُمارة فقال: لا تزال / بَصْرَتُكم ترمينا منها بأحمق؛ [٥٦ ظ] فما فَصَل كلامَه مِنْ فيه حتى خرج الربيع وهو يقول: أبو عثمان عَمْرو بن عُبيد! قال: فواللهِ ما دلَّ على نفسه حتى أُرشِد إليه، فأتْكأه[٣] يده، ثم قال له: أجِبْ أميرَ المؤمنين جُعِلتُ فداك! فمرَّ متوكّئاً[٤] عليه؛ فالتفتَ إلىّ عُمارة فقلت: إنّ الرجلَ الذى استحْمَقْت[٥]

---

(١) هو عمارة بن حمزة بن ميمون، من ولد عكرمة مولى عبد الله بن العباس؛ أحد الكتاب البلغاء، وكان سخيا جوادا، وله أخبار مأثورة فى الكرم والجود والتيه، قلده أبو العباس السفاح ضياع آل مروان، وقلده أبو جعفر المنصور ديوان خراج البصرة ونواحيها. (وانظر ترجمته وأخباره فى كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى: ٩٠، ١١٠، ١٢٥، ١٣٣، ١٤٧، وتاريخ بغداد ١٢: ٢٨٠ـ ٢٨٠).

(٢) ش، وحاشية ت (من نسخة): «رفع».

(٣) حواشى الأصل، ت، ف: «أتكأه يده؛ كأنه جعله متكئا عليها، وأصل التاء فى هذه الكلمة بالواو؛ يقال: أوكأت فلانا إذا جعلت له متكئا».

(٤) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «متكئا».

(٥) ف، وحاشية ت (من نسخة): «استحمقته».

قدْ أُدخِل وتُرِكْنا ، فقال : كثيراً ما يكون ذلك ، فأطال اللَّبث ، ثم خرج الربيع وهو متوكِّئ عليه . والربيع يقول : يا غلام ، حِمار أبى عثمان ، فما برح حتى أُتِىَ بالحمار ، فأقرَّه على سَرْجه ؛ وضمّ إليه نَشَر(١) ثوبه ، واستودعه الله .

فأقبل عُمارة على الربيع فقال : لقد فعلتم اليومَ بهذا الرجلِ ما لو فعلتموه بولىّ عهدكم لقضيتم ذِمامه . قال : فما غاب عنك ممّا فُعِل به أكثرُ وأعجب ، قال عُمارة : فإن اتّسعَ لك الحديثُ فحدِّثْنا .

فقال الربيع : ماهو إلّا أن سَمِع الخليفةُ بمكانه ، فما أمهلَ حتى أمرَ بمجلسٍ فَفُرِش لُبُودًا ، ثم انتقل إليه والمهدىّ معه عليه سَوادُه وسيفُه ؛ ثم أذِن له ، فلما دخلَ عليه سلّم بالخلافة ، فردّ عليه ومازال يُدْنيه حتى أتكأه فخِذَه وتحفّى به، ثم سأله عن نفسه وعن عِياله، يُسمّيهم رجلا رجلا ، وامرأةامرأة ، ثم قال : ياأباعثمان، عظنافقال : أعوذبالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (٢ بسم الله الرحمن الرحيم ٢) : ﴿وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ١-٣]، ومرّ فيها إلى آخرها ، وقال: إنّ ربك ياأباجعفر لبالمرصاد ، قال: فبكى بكاءً شديداً كأنه لم يسمع تلك الآيات إلاّ تلك الساعة ، ثم قال : زِدْنى، فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشترِ نفسَك منه ببعضها ، واعلم أن هذا الأمرَ الذى صارَ إليك إنما كان فى يدِ مَن كان قَبلك ، ثم أفضى إليك ، وكذلك يخرج منك إلى مَن هو بَعْدَك ، وإنى أحذِّرك ليلةً تمخَّضُ(٣) صبيحتُها عن يوم القيامة . قال : فبكى أشدَّ من بكائه الأول حتى رَجَفَ جَنْباه .

وفى رواية أُخْرَى أنه لما انتهى إلى آخر السورة قال : إنَّ ربَّكَ لبالمِرصاد لمن عَمِل مثلَ عملهم، أن يُنزِلَ به مثل مانزل بهم ، فاتّق الله ، فإنّ من وراء بابك نيرانًا تأجّج من الجَوْرِ ؛

---

(١) النشر ، بالتحريك : المنتشر من كل شىء .

(٢-٢) ساقط من ط ، ف ، م .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « تتمخض » .

ما يُعمل فيها بكتاب الله ولا بسنّة رسول الله(١) . فقال : يا أبا عثمان ؛ إنا لنكتب إليهم فى الطّوامير(٢) ، / نأمرهم بالعمل بالكتاب والسنّة، فإن لم يفعلوا فما عسى أن نصنع ! فقال له : [٥٦ و] مثلُ أذن الفأرة يُجزِيك من الطّوامير ، آللهِ تكتب إليهم فى حاجة نفسك فينفذونها ، وتكتب إليهم فى حاجة الله فلا ينفذونها؛ إنّك والله لو لم ترض من عمّالك إلا بالعدل إذاً لتقربَ إليك به مَنْ لا نيّةَ له فيه .

قال سيدنا أدام الله علوّه : رجعنا إلى نَسق الحديث، فقال له سليمان بن مجالد: رِفقًا بأمير المؤمنين ، فقد أتعبتَه منذ اليوم، فقال له : بمثلك ضاع الامر وانتشر ، لا أبالَك ! وماذا خِفْتَ على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله ! .

وفى رواية أخرى أنّ سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه فقال له : من أنت؟ فقال أبو جعفر : أوَ لا تعرفه ياأبا عثمان ؟ قال : لا، ولا أبالى ألاّ أعرفه ! فقال : هذا أخوك سليمان بن مجالد ، فقال : هذا أخو الشيطان ، ويلك يابن أم مجالد! خَزَنْتَ نصيحتك عن أمير المؤمنين، ثم أردت أن تحولَ بينه وبين من أراد نصيحته ! ياأميرالمؤمنين؛ إنَّ هؤلاء اتخذُوك سلّماً لشهواتهم، فأنت كالآخذ بالقرنين وغيرُك يحلب، فاتّق الله فإنك ميتٌ وحدَك، ومحاسب وحدك، ومبعوث وحدك ، ولن يغنى عنك هؤلاء من ربك شيئاً! فقال له المنصور: ياأباعثمان؛ أعنِّى بأصحابك أستعِنْ بهم، فقال له: أظهر الحق يتّبعك أهله، قال : بلغنى أن محمد بن عبدالله ابن الحسن(٣) كتب إليك كتابا ، قال: قدجاءنى كتاب يشبه أن يكون كتابَه ، قال : فبماذا أجبته ؟ قال : أو لست قد عرَفْتَ رأيى فى السيف أيام كنت تختلف إلينا ؟ وإنى لا أراه ، قال : أجل ! ولكن تحلف لى ليطمئن قلبى ! قال : لئن كذبتُك تقيّة لأحلفنّ لك تقيّة ، قال له : أنت الصادق البارّ ، وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم ، تستعين بها على زمانك ؛

(١) م : « رسوله » . (٢) الطوامير : جمع طومار ؛ وهو الصحيفة .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ؛ الملقب بالنفس الزكية ؛ وكان من أفضل أهل بيته ؛ علماوفقها وشجاعة وجودا ؛ قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥ ؛ (وانظر ترجمته وأخباره فى مقاتل الطالبيين ٢٣٢-٢٩٩) .

فقال : لا حاجة لى فيها ، قال المنصور والله لتأخذنّها، قال : والله لا أخذنّها، فقال له المهدى: يحلف أمير المؤمنين وتحلف ! فترك المهدىَّ وأقبل على المنصور وقال : مَن هذا الفتى ؟ فقال: هذا ابنى محمد ، وهو المهدىّ وهو ولى العهد ، فقال : (١والله لقد سميتَه أسماء ما استحقها بعمل١)، وألبسته لَبوساً ماهو من لَبوس الأبرار / ولقد مهّدْتَ له أمراً أمتعُ ما يكون به [٥٦ ظ] أشغلَ(٢) ما تكون عنه ! ثم التفت إلى المهدىّ فقال: نعمْ يابن أخى ، إذا حلف أبوك حلف عمّك ؛ لأن أباك أقدر على الكفّارة من عمك؛ قال المنصور : يا أبا عثمان ، هل من حاجة؟ قال: نعم ، قال ما هى ؟ قال : ألا تبعثَ إلىّ حتى آتيك؛ قال : إذاً(٣) لا نلتقى ، قال : عن حاجتى سألتنى ، ثم ودّعه ونهض ؛ فلما ولّى أتبعه بصره وأنشأ يقول :

كلُّكُمْ طالِبُ صيْدْ كلُّكُمْ ماشٍ رُوَيْد(٤)
غيْرَ عَمرِو بنِ عُبَيْدْ

ورُوِىَ أن هشام بن الحكم قدم البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلَس فيها وعمرو لا يعرفه ، فقال لعمرو : أليس قد جعل الله لك عينين ؟ قال: بلى ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنظر بهما فى ملكوت السموات والأرض فأعتبر ، قال : وجعل لك فماً ؟ قال : نعم ، قال : ولم ؟ قال : لأذوق الطعوم(٥) ، وأجيبَ الداعى ؛ ثم عدّد عليه الحواس كلها ، ثم قال : وجعل لك قلباً ؟ قال : نعم : قال : ولم ؟ قال: لتؤدى إليه الحواسُّ ما أدركته ، فيميزَ بينها ، قال :

(١–١) ت : « والله لقد سميته اسماً مااستحقه بعمل » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « قوله : « أمتع » مبتدأ ، و « أشغل » نصب على الحال ؛ وهو ساد مسد خبر المبتدأ كقولك : أخطب مايكون الأمير قائما » .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ت: « إذا انتصب « إذا » لم يكن الفعل الذى بعدها معتمدا على ماقبلها ؛ يقول لك القائل : أنا أكرمك ؛ فتقول : إذاً أحبك ؛ فإن قلت: أنا إذا أحبك رفعت ؛ لاعتماده على الابتداء التى هو أنا ؛ وكذلك : إن تكرمنى [بالجزم] إذا أكرمك ، وإذا وقعت على فعل الحال ألغيت أيضا ؛ تقول لمن يتحدث بحديث : إذا أظنك كاذبا ؛ فتخبر عن حال الظن » .

(٤) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « يمشى رويد » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « المطعوم » .

فأنت لم يرْضَ لك ربُّك تعالى إذ خلق لك خمسَ حواس حتى جعل لها إماماً ترجع إليه ؛ أتَرْضَى (١) لهذا الخاْق الذين (٢) جشأ بهم العالَم ألاّ يجعل لهم إماماً يرجعون إليه ؟ فقال له عمرو : ارتفِعْ حتى ننظر فى مسألتك ، وعرفه ؛ ثم دار هشام فى حَلَق البصرة فما أمسى حتى اختلفوا .

وروى أبو عُبَيدة قال : دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علىّ بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان : أخْبِرنى عن صاحبك ـ يعنى الحسن ـ حين يزعُم أن علياً عليه السلام قال : « إنى ودِدت أنى كنت آكل الحشَفَ بالمدينة ولم أشهد مشهدى هذا » يعنى : يوم صِفّين، فقال له عمرو بن عبيد : لم يقل هذا ؛ لأنه ظنّ أن أمير المؤمنين عليه السلام شكَّ، ولـكنه يقول : ودَّ أنه كان يأكل الحَشَف بالمدينة ، ولم تكن هذه الفتنة ؛ فقال : فقوله فى عبدالله بن العباس : « يُفْتِينا فى القَمْلة والقُمَيْلة ، وطار بأموالنا فى ليلة » ؟ فقال له : وكيف يقول هذا، وابن عباس رحمة الله عليهما لم يفارق علياً حتى قُتِل وشهد صُلح الحسن؟ وأىّ مالٍ يجتمع فى بيت المال بالبصرة مع حاجة علىّ عليه السلام إلى الأموال / وهو يفرِّغ بيت مال [٥٧ و]
الـكوفة فى كل خميس ويَرُشُّه؟ قالوا : إنه كان يَقِيل فيه، فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة؟ وهذا باطل .

قال الجاحظ : نازع رجل عمرو بن عبيد فى القَدَر فقال له عمرو : إن الله تعالى قال فى كتابه ما يزيل الشّكّ عن قلوب المؤمنين فى القضاء والقدر قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾؛ [الحجر : ٩٢ ـ ٩٣] ، ولم يقل : لنسألنهم عما قضيتُ عليهم أو قدرتُه فيهم، أو أردتُه منهم، أو شئتُه لهم ؛ وليس بعد هذا الأمر إلاّ الإقرار بالعدل أو السكوت عن الجور الذى لا يجوز على الله تعالى .

---

(١) ت : « فكيف يرضى ... » . (٢) ت : « ولدى »

قال خلادالأرقط : حدّثني زميلُ عمرو بن عبيد قال : سمعتُه في الليلة التي مات[١] فيها يقول : اللّهم إن كنتَ تعلم أنه لم يعرض لي أمران قطُّ ؛ أحدهما لك فيه رضاً ، والآخر لي فيه هوًى إلاّ قدَمتُ رضاكَ على هواى فاغفر لي .

ومرّ أبوجعفر المنصور على قبره بمَرّان ـ وهو موضع على ليال من مكّة على طريق البَصْرة ـ فأنشأيقول :

صلّى الإلهُ عليكَ مِنْ مُتَوَسِّدٍ قبْراً مَرَرْتُ بهِ على مَرّانِ
قَبْرًا تَضمَّنَ مُؤْمناً مُتَخَشّعاً عَبَدَ الإلهَ ودَانَ بالفُرْقانِ[٢]
وإذا الرِّجالُ تنَازعوا في شُبْهَةٍ فَصَلَ الخِطابَ بحِكمةٍ وَبيانِ
فلوَانَّ هذَا الدَّهرَ أبْقَى صالِحًا أبْقَى لنا عَمْرًا أبا عُثْمانِ

* * *

فأما أبو الهذيل العلاّف فهو محمد بن الهُذَيْل بن عُبيد[٣] الله بن مكحول العبديّ وقال أبوالقاسم البلخيّ : هو من موالي عبد القيس ، وولد في سنة أربع وثلاثين ومائة، وقال أبو الحسيْن الخياط: ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة، وقيل : إنه توفي فيأول أيام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين وسِنُّه مائة سنة .

قال البرذعيّ : لحق أبا الهذيل في آخر عمره خَرَفٌ ؛ إلاّ أنه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام[٤] بحجته ، وكُفَّ بصره قبل وفاته ؛ وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن عطاء .

[٥٧ ظ] وقيل إنَّ أبا الهذيل في حداثته بلَغه أن / رجلا يهودياً قدم البصرة ، وقطع جماعةً من متكلميها ، فقال لعمه : ياعمّ ، امض بي إلى هذا اليهوديّ حتىأُ كلِّمَه ، فقال له عمه : يابنيّ،

(١) توفي عمرو بن عبيد سنة ١٤٤ ، وانظر ترجمته أيضا في (ابن خلكان١ : ٣٨٤ـ٣٨٥ ، والمعارف ٢١٢ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ١٦٦ـ١٨٨) .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « بالقرآن » .

(٣) ت : « ابن عبد الله » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « ولا القيام » .

كيف تكلمه وقد عرفت خبَرَه ، وأنه قطع مشايخ المتكلمين ! فقال : لابدّ من أن تمضىَ بى إليه ، فمضى به قال : فوجدتُه يقرِّر الناس على نبوّة موسى عليه السلام ، فإذا اعترفوا له بها قال : نحن على مااتفقنا عليه إلى أن نُجْمِع على ماتدّعونه ؛ فتقدّمت إليه ، فقلت : أسألُك أم تسألنى؟ فقال : بل أسألُك ، فقلت: ذاك إليك ، فقال لى: أتعترف بأنّ موسى نبىّ صادقٌ، أم تنكر ذلك فتخالف صاحبَك ؟ فقلت له : إن كان موسى الذى تسألنى عنه هو الذى بشَّر بنبيِّى عليه السلام، وشهد بنبوّته، وصدَّقه فهو نبىّ صادق ، وإن كان غير مَن وصفتُ ؛ فذلك شيطان لاأعترف بنبوّته؛ فورد عليه مالم يكن فى حسابه . ثم قال لى: أتقول إن التوراةَ حق؟ فقلت: هذه المسألة تجرى مَجرى الأولى ، إن كانت هذه التوراة التى تسألُنى عنها هى التى تتضمنُ البِشارةَ بنبيِّى عليه السلام فتلك حق ، وإن لم تكنْ كذلك فليستْ بحقّ ، ولا أُقِرُّ بها .

فبُهت وأفحِم ولم يدْرِ مايقول ، ثم قال لى : أحتاج أن أقول لك شيئاً بينى وبينك ، فظننتُ أنه يقول شيئاً من الخير، فتقدمتُ إليه فسارَّنى فقال لى: أمّك كذا وكذا ، وأمّ مَنْ علَّمك لا يكْنى، وقدَّر أنى أثِبُ به ، فيقولُ : وثبُوا بى، وشغَبوا علىَّ، فأقبلتُ على مَنْ كان فى المجلس فقلت : أعزكم الله ! ألستُم قد وقفتمْ على سؤاله[1] إياىَ ، وعلى جوابى إياه؟ قالوا : بلى ! قلت : أفلَيْس عليه أن يَرُدَّ جوابى أيضاً ؟ قالوا : بلى ، قلت لهم: فإنه لما سارّنى شتَمنى بالشتم الذى يوجبُ الحدَّ ، وشتَم مَنْ علَّمنى ، وإنما قدَّرَ أننى أثب عليه ، فيدَّعى أننا واثبناه ، وشغَّبنا عليه ، وقد عرّفتكم شأنه بعد الانقطاع ، فانصرونى ، فأخذتْه الأيدى من كل جهة ، فخرج هارباً من البصرة .

وعن أبى العيناء قال : قال لى أبو الهُذَيل : مامعنى الخسْف ؟ فقلت : أن تنقلِب الأرضُ؛ أعلاها أسفلَها ، فقال : إلّا يَكُنْ هذا اليوم بالأرض فإنه لَبِالنّاس .

وقال أبو الهذيل : قال لى المعذّل بن غيلان العبدىّ ، وكان من سادات عبد القيس ، وكان يجتمع إليه أهلُ النظر : يا أبا الهُذَيل ، إنّ فى نفسى شيئاً من قول القوم فى الاستطاعة ،

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مسألته » .

[٥٨ و] فبيّن لى / ما يذهب بالرّيب عنى ، فقال : خبّرْنى عن قول الله تعالى : ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ؛ [التوبة: ٩]، هلْ يخلو من أن يكونَ أكْذبَهُمْ لأنّهم مستطيعون الخروج(١) (٢وهمْ تاركون له ، فاستطاعة الخروج فيهم وليس يخرجون ، فقال : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أى هم يستطيعون الخروج٢) وهم يكذبون فيقولون: لسنا نستطيع ، ولو استطعنا لخرجنا ، فأكذبهم الله على هذا الوجه، أو يكون على وجه آخر : يقول : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أى إن أعطيتُهم الاستطاعةَ لم يخرجوا ؛ فتكون معهم الاستطاعةُ على الخروج ولا يخروجون ؛ وعلى كلّ حال ؛ قد كانت الاستطاعةُ على الخروج ولا يكون الخروج ، ولا يُعقل للآية معنى ثالث غيرالوجهين اللذين وصفنا(٣) .

وحكى سليمان الرّقى أنّ أبا الهذيل لمّا ورد سُرَّ مَن رأى نزل فى غرفة إلى أن يُطلب له دارٌ تصلَح له ، قال : فمررت به فقلت له : يا أبا الهذيل، أتنزل فى مثل هذا النزل ! فأنشدنى:

يقولونَ زَينُ المرْء يا مَىُّ رَحْلُهُ ألا إنَّ زَينَ الرَّحلِ يامَىُّ راكِبُه

وعن مُجالد(٤) قال : رأيت رجلا ، وقد سأل أبا الهُذَيل وهو فى الورّاقين بقصر وضّاح فقال له : مَنْ جَمَعَ بين الزانِيَيْن؟ فقال له : يابن أخى ، أمّا بالبصرة فإنهم يقولون: القوادون ؛ ولا أحسِب أهلَ بغداد يخالفونهم على هذا القول ، فما تقول أنت ! قال : فخجِل الرجلُ وسكت .

وقال أبو الهذيل : قلتُ لرجل ممَّنْ ينفى الحركة ــ ولم يسمِّه ، وزعم قوم أنه الأصمّ ــ: خبّرنى عن قول الله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾؛ [النور:٢]، وذكر القاذف فقال : فَاجْلِدُوهُ ثمانين جلْدة(٥)، فأيُّهما أكثر؟ فقال : حدُّ(٦)

---

(١) ت: « للخروج » (٢-٢) ساقط من م . (٣) ت ، ج ، ش : « اللذين ذكرنا ».

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « عن أبى مجالد » .

(٥) يشير إلى قوله تعالى » ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾؛ [النور : ٤ » . (٦) حاشية ت (من نسخة) : « جلد الزانى ».

الزّانى ، قلت : بكَمْ ، قال : بعشرين ، قلت : فحدِّثنى(١) عن الجلد ، أهو يَدُ الجلّاد ؟ قال: لا ، قلتُ : أفهو السّوطُ ؟ قال: لا ، قلت : فهو ظهر المجلود ؟ قال: لا ، قلت: أفهو الانفِراجُ الذى بين السَّوْط وظهر المجلود ؟ قال : لا ، قلت : أَفَثَمَّ شىء غير هذا هو الجَلْد ؟ قال : لا ، قلت : فإنما تقولُ أنّ لا شىء أكثرُ من لا شىء بعشرين! فانقطع .

وقال أبو الهذيل : قلت لمجوسىّ : ما تقول فى النار ؟ قال : بنت الله ، قلت : فالبقَر ؟ قال: ملائكة الله ؛ قصَّ أجنحتَها ، وحطّها / إلى الأرض يُحرث عليها ، فقلت : فالماء ، قال : نُور [٥٨ ظ] الله ، قلت : فما الجوعُ والعطش ؟ قال : فقْر الشيطان وفاقتُه ، قلت : فمَنْ يحمِلُ الأرضَ ؟ قال : بَهمن الملك ، قلت : فما فى الدنيا شرٌّ من المجوس ، أخذوا ملائكةَ الله فذبحوها ، ثم غسلوها بنور الله ، ثم شوَوْها ببنت الله ، ثم دفعوها إلى فقْر الشيطان وفاقته ، ثم سلحُوها على رأس بَهمن الملَك أعزّ ملائكة الله! فانقطع المجوسى، وخجِل مما لزمه .

ودخل أبو الهذيل يوماً على الحسن بن سهل بفم الصِّلْح(٢) ، وعنده فتى قد رفَع مجلسه ، فقال أبو الهذيل : مَنْ هـذا الفتى الذى قد رَفعه الأمير، لنوفِّيَه بمعرفته حقَّه ؟ قال : رجل من أهل النجوم ، قال : مِن أهل صناعة الحِساب أم الأحكام ؟ قال : الأحكام ، قال : ذلك عملٌ يَبْطل ، أفأسأله ؟ قال : سلْ فأخذ أبو الهذيل تفاحةً من بين يديه وقال : آكلُ هذه التفاحةَ أم لا ؟ قال : تأكلها ، فوضعَها أبو الهذيل وقال : لست آكُلُها ، قال : فتعيدها إلى يدك وأعيد النظر ، فوضعها وأخـذ غيرَها ، فقال له الحسن : لِمَ أخذت غيرها ؟ قال : لئلا يقولَ لى : لا تأكلها فآكلها خلافاً عليه فيقول لى : قد أصبتُ فى المسألة الأولى .

وقال النعمان المنّانى يوماً لأبى الهذيل : دُلَّ على حدوث العالم بغير الحركة والسكون ، فقال له أبو الهُذَيْل : مثلُك مثلُ رجلٍ قال لخَصْمِه : احضُر معى إلى القاضى ولا تحضِرْ بيّنتك .

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « نخبرنى » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « فم الصلح : موضع قريب من واسط » .

وذكر محمد بن الجهم[١] صاحب الفرّاء قال : رأيت أبا الهذيل وقد جاء إلى الديوان فى أيام المأمون فسأل سهل بن هرون بن راهيُون أن يكتب له كتابا فى حاجة له إلى حَفْصَوَيْه صاحب الجيش ، ونهض أبو الهذيل؛ فأملى علىّ سهل بن هرون :

إنَّ الضَّميرَ إذا سأَلتُكَ حاجةً ... لأَبى الهُذَيل خِلافُ ما أُبدِى
فإذا أتاكَ لحاجةٍ فامدُدْ لهُ ... حَبْلَ الرَّجاءِ بمُخْلَفِ الوَعْدِ
وأَلِنْ لهُ كَنَفاً ليَحسُنَ ظَنُّهُ ... فى غـــيْرِ مَنْفَعةٍ ولا رِفْدِ
حتى إذا طالَتْ شَقاوَةُ جَدِّهِ ... ورَجا الغِـنَى فاجْبَهْهُ بالرَّدِّ
وإنِ استَطَعْتَ لهُ المَضَرَّةَ فاجتَهِدْ ... فيما يَضُرُّ بأَبلَغِ الجَهْدِ
[٥٩ و] / وانظُرْ كلامى فيــهِ فارْمِ بهِ ... خَلفَ الثُّرَيَّا مِنكَ فى البُعْدِ[٢]
وكَذاكَ فافعَلْ غيْرَ مُحتَشِمٍ ... إنْ جِئْتُ أسأَلُ فى أبى الهِنْدِى[٣]

قال سيدنا المرتضى أدام الله تأييده : ويشبه هذا المعنى ماأخبرنا به أبو عبيد الله المرزُبانىّ قال : حدثنى محمد بن أبى الأزهر قال : حدثنا أبو العيناء قال : كان لى صديقٌ فجاءنى يوماً فقال لى : أريد الخروجَ إلى فلان العامل ، وأحببت أن تــكون معى إليه وسيلة ، وقد سألتُ مَنْ صديقه ، فقيل لى : أبو عثمان الجاحظ ، وهو صديقك ، فأحب أن تأخذ لى كتابه إليه بالعناية ، قال : فصرت إلى الجاحظ ، فقال لى : فى أىّ شىء جاء أبو عبدالله ؟ فقلت: مُسَلِّماً وقاضياً الحقَّ ، وفى حاجة لبعض أصدقائى وهى كذا وكذا ، فقال : لا تشغَلْنا الساعة عن المحادثة ، فإنى فى غد أوجِّه إليك بالـكتاب ، فلما كان من الغد وَجّه إلىَّ بالـكتاب مختوماً فقلت لابنى: وجِّهْ هذا الـكتاب إلى فلان ، ففيه حاجتُه ، فقال لى : إنّ أبا عثمان بعيدُ الغَوْر فينبغى أن تفضَّه وتنظر مافيه ، ففعل فإذا فى الـكتاب : « كتابى إليك مَعَ مَنْ لا أعرفه ،

(١) حاشية الأصل : « محمد بن الجهم السمرى » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « أى أخف كلامى هذا » .

(٣) حاشية ت : « أبو الهندى اسم رجل كان خاصا به وملازما له » .

وقد كلمنى فيه مَنْ لا أُوجِب حقّه ، فإن قضيتَ حاجته لم أَحمَدْك ، وإن رددته لم أَذُمُمْك » . فلما قرأت الـكتاب مضيتُ من فورى إلى الجاحظ ، فقال : يا أبا عبد الله ، قد علمتُ أنك أنـكرت ما فى الـكتاب ، فقلت : أو ليس موضع نَـكِرة ! فقال : لا ، هـذه علامة بينى وبين الرجل فيمن أعتنى به ، فقلت : لاوالله ،مارأيتُ رجلاأعلمَ بطبْعك وما جُبِلْتَ عليه من هذا الرجل! ـ أعنى صاحب الحاجة ـ أعلمت أنه لما قرأ الـكتاب قال : أمّ الجاحظ عشرة آلاف، وأمّ مَن يسأله...فقلت : ياهذا ؟ أتشتم صديقنا ؟ فقال: هذه علامتى فيمن أشكُره !

وفى رواية أخرى أنّ أبا العيناء سلّم الـكتاب إلى صاحب الحاجة وقال له : فضّ الـكتاب ، فقال : إنه مختومٌ فقال : طِينَةٌ أهونُ من ظِنّة .

***

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوّه : وأظن أنأبا العيناء تنبّه على فضّ الـكتاب وقراءته بخبر طَرفة بن العبد والمتلمّس الضُّبَعِىّ(١) ، وذاك أنهما وَفَدا على عمرو بن هند ونادماه ، واحتظيا به ، ثم أفضى الأمر إلى أنْ هجاه كلٌّ واحـد منهما وعرّض به بالشعر المشهور(٢) فحَنِقَ عليهما ، وهمّ بقتلهما ، ثم أشفَق من ذلك ، وأراد قَتْلهما بيدِ غـيره ، وكان علَى طرَفَة أحْنَق ، فعلم أنه إن قتله هجاه المتلمِّس : فـكتب لهما كتاباً إلى البحرين ، وقال لهما : إنى قد كتبت لـكما بصِلة ، فاشخَصَا لقبضها ؛ فخرجا من عنده ، والـكتابان فى أيديهما ، فمرّا بشيخ جالس على ظهر الطريق ، مُتَـكَشِّفاً يتبرز ، ومعه كِسرة خبز يأكل منها ، ويتناول القملَ من ثيابه فيقصَعه ، فقال أحدهما لصاحبه : ما رأيت أعجب من هـذا الشيخ ! فسمع الشيخ مقالته فقال : وما ترَى من عجَبى(٣)! أُدْخِلُ طَيِّباً ، وأخرِج خبيثاً ، وأقتل عدواً ، وإنّ أعجبَ منى لمَنْ يحمِل حتْفَه بيده ، وهو لا يدرى ! فأوجس المتلمِّس فى

---

(١) فى حاشيتى الأصل ، ت : « هو من بنى ضبيعة بن ربيعة ، واسمه جرير بن عبد العزى ، وقيل ابن عبد المسيح » .

(٢) انظر تفصيل الخبر وأبيات الهجاء فى (الأغانى ٢١ :١٢٧ ، والشعر والشعراء ١٣١ــ١٣٢ ، و ١٣٧ــ١٣٨ ، ومعجم البلدان ٧ : ٢٠٨ ، والخزانة ١ : ٤١٢ــ٤١٧ . ٤٤٦ ، و ٣ : ٧٣ ومجمع الأمثال ١ : ٣٥٠ــ٣٥٢ وديوان طرفة : ٥ــ٦ ، وديوان المتلمس ١٧٢ــ ١٧٦) .

(٣) م : « عجب » .

نفسه خيفة ، وارتاب بكتابه ، ولقيه غلام من أهل الحيرة ، فقال له : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففضّ خاتم كتابه ، ودفعه إلى الغلام فقرأه ، فإذا فيه : « إذا أتاك المتلمّس فاقطع يديه ورجليه ، وادفنه حياً ».

فأقبل على طرفة فقال له : تعلّمَنْ (١) والله لقد كتب فيك بمثل هذا، فادفع كتابك إلى الغلام يقرؤه عليك ، فقال : كلاَّ ، ما كان ليجسُر على قومى بمثل هذا ، ولم يلتفت إلى قول المتلمّس ، فألقى المتلمس كتابه فى نهر الحيرة ، وقال :

قَذَفتُ بها بالثِّنْىِ مِنْ جَنبِ كافرٍ ... كذلكَ أقنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلَّلِ (٢)
رَضِيتُ لها بالماء لمَّا رأيتُها ... يَجولُ بها التيار فى كُلِّ جَدْوَلِ

كافر : نهر بالحيرة ، وأقنو : أقتنى ، والقِطّ : الكتاب : والتيّار : معظم الماء وكثرته .

وقال المتلمّسُ أيضا :

مَنْ مُبلغُ الشُّعراء عنْ أخَوَيْهِمُ ... نَبأً فتَصْدُقُهُمْ بذاكَ الأنْفُسُ (٣)
أوْدَى الّذى عَلِقَ الصَّحيفةَ منهما ... ونَجا حِذارَ حِبائهِ المتلمِّسُ
ألْقَى صَحيفَتَهُ ونَجَّتْ كُورَهُ ... وَجْناءُ مُجمَرَةُ المناسِمِ عِرْمِسُ (٤)
عَيْرانةٌ طَبَخَ الهَواجِرُ لَحْمَها ... فكأنَّ نُقْبَتَها أديمٌ أمْلَسُ (٥)
أطُرَيْفَةَ بنَ العَبْدِ إنَّكَ حائنٌ ... أبساحةِ المَلِكِ الهُمامِ تَمَرَّسُ !
ألْقِ الصَّحيفةَ لاَ أبا لكَ إنَّهُ ... يُخشَى عليكَ مِنَ الحِباءِ النِّقْرِسُ

---

(١) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « تعلم ».

(٢) ديوانه : ١٧٦ .

(٣) الأبيات فى ديوانه ١٩١–١٩٢ ، والخزانة ٣ : ٧٣ والأغانى ٢١ : ١٢٧ وأخواهم : طرفة والمتلمس .

(٤) الوجناء : الناقة الصلبة ؛ مشتقة من الوجين ؛ وهى الأرض الصلبة ، ومجمرة : مجتمعة ، والمناسم : جمع منسم ، ومنسما خف البعير كالظفرين فى مقدمه ؛ بهما يستبان أثر البعير الضال . والعرمس فى الأصل : الصخرة ؛ شبهت بها الناقة ؛ ورواية الديوان :

ألقَى صحيفتَه ونجّتْ كورَه ... عَنْسٌ مداخَلةُ الفقَارةِ عِرْمِسُ

(٥) العيرانة : الناقة الصلبة التى تشبه عير الوحش لقوتها ، والنقبة هاهنا : اللون .

النقرس هاهنا : الداهية ، ومضى طرفة بكتابه إلى البحرين، فأمر به المعلّى بن حَنَش[١] العبْدىّ فقتِل ؛ فقال المتلمس[٢] :

عَصَانا[٣] فما لاَقى رَشادا وإنّما ... تبيّنَ[٤] فى أمرِ الغَوِىّ عَواقِبُهْ
فأَصبحَ محمولاً على ظَهْرِ آلةٍ ... تَمُجُّ نَجيعَ الجوْفِ منهُ تَرائِبُهْ
فإلاّ تجَلَّلْهَا يُعالوكَ فوْقَها ... وكيفَ تُوَقَّى[٥] ظَهر ماأنتَ راكِبُهْ!

ولحِقَ المتلمّس ببلاد الشام ، وهجا عمراً ، وبلغه أن عمراً يقول : لئن وجده بالعراق لَيقتلنَّه ، فقال :

آلَيْتُ حَبَّ العِراقِ الدَّهرَ أَطعَمُهُ ... والحَبُّ يأْكُلُهُ بالقرْيَةِ السُّوسُ[٦]

وجرى المثل بصحيفة المتلمّس ، فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين أورثوه أشعارهم[٧] :

وَهَبَ القَصائِدَ لى النَّوابِغُ إذْ[٨] مَضَوْا ... وأبو يَزيدَ وذُو القُرُوحِ وجَرْوَلُ
وأخُو بَنى قَيسٍ وهُنَّ قَتَلْنَهُ ... ومُهَلْهِلُ الشُّعَراءِ ذاكَ الأَوَّلُ

يعنى بالنوابغ : النابغة الذُّبيانى والجَعْدِىّ ، ونابغة بنى شيبان ، ويعنى : بأبى يزيد المخبّل السعْدِىّ، وجرْول هو الحطيئة، وذوالقروح امرؤ القيس، وأخو بنى قيس هو طرفة . ومعنى قوله : «وهن قتلنَه» ، يعنى : القصائد التى هجا بها عمرو بن هند ، ويقال إن صاحب المتلمس وطرفة فى هذه القصة هو النعمان بن المنذر ، وذلك أشبه بقول طَرفة :

أَبَا مُنْذِرٍ كانتْ غُرُوراً صَحيفتى ... ولمْ أُعطِكم فى الطَّوْعِ مالى ولاعِرْضِى[٩]
أبا مُنْذِرٍ أفْنَيْتَ فاستَبْقِ بَعضَنَا ... حَنَانَيْكَ[١٠] بعضُ الشَّرِّ أهوَنُ مِنْ بَعْضِ

وأبومنذرٍ هو النعمان بن المنذر، وكان النعمان بعد عمرو بن هند ، وقد مدح طرَفة النعمان فلا يجوز أن يكون عمرو قتله ، فيشبه أن تكون القصّة مع النعمان .

(١) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « حنيش » . (٢) ديوانه : ١٩٣ـ١٩٤ .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « عصانى » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « يبين » .
(٥) ش : « توقى » ، بكسر القاف المشددة . (٦) ديوانه : ١٨٠ ؛ و« حب » ، منصوب على نزع الخافض ؛ والبيت من شواهد (الكتاب ١ : ١٧) ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل : « فى القرية » . (٧) ديوانه ٢ : ٧٢٠ . (٨) حاشية الأصل : « من نسخة » : « كلهم » .
(٩) ديوانه : ٤٨ . (١٠) حاشية الأصل : « حنانيك ؛ أى تحننا بعد تحن » .

مجلس آخر ١٣

وكان أبو سهل بِشر[١] بن المعتمِر من وُجوه أهل الكلام ، ويقال إن جميعَ معتزلةِ بغداد / من مستجيبيه . [٦٠ ظ

وقال أبو القاسم البلخىّ : إنه من أهل بغداذ ، وقيل : من أهلِ الكوفة ، وذكر الجاحظ أنّه كان أبرصَ .

وحُكِى أنّه كان يوماً فى مجلسه ، وعنده أصحابُه ومعه مُجْبِر يسألهم ويقول: أنتم تحمَدون الله على إيمانكم ؟ وهم يقولون : نعم ، فيقول لهم : فكأنّه يحبُّ أن يُحمَد على مالم يفعل ، وقد ذمّ ذلك فى كتابه ، فيقولون له : إنما ذمّ مَن أحب أن يُحمَد على ما لم يفعل ؛ ممّنْ لم يعِنْ عليه ، ولم يَدْعُ إليه ؛ وهو يشغِّب إذ أقبل ثُمامة[٢] بن أشرس ، فقال بِشْر للمجبِر: قد سألتَ القومَ وأجابوك ، وهذا أبو معن فاسأله عن المسألة فقال له : هل يجب عليك أن تحمَد الله على الإيمان ؟ قال: لا ، بل هو يحمَدنى عليه ، لأنه أمرنى به ففعلتُه ، وأنا أحمَده على الأمر به ، والتقوِية عليه ، والدعاءِ إليه ؛ فانقطع المجبِر . فقال بشر : شَنُعَتْ فسهُلت .

قال الجاحظ : وكان بِشرٌ يقعُ فى أبى الهذْيل ، وينسُبُه إلى النفاق ، فقال وهو يصفه : أبو الهُذيل لَأَنْ يكون لايعلم ، وهو عندالناس يَعْلم أحب إليهمن أن يعلم، ويكون عند الناس لايعلم، ولأنْ يكونَمنالسِّفْلة، وهو عند الناس منالعِلْية أحبُّ إليه منأنْ يكونَ منالعِلْية، وهو عندالناسمن السِّفْلة ، ولأن يكون نبيلَ المنظر ، سخيفَ المخبر أحبُّ إليه منأنيكونَ نبيلَالمَخْبر،سخيفَ المنظر ؛ وهوبالنفاق أشَدُّ عُجْباً منه بالإخلاص، ولَباطلٌ مقبولأحبُّإليه من حق مدفوع .

---

(١) بشربن المعتمر؛ انتهت إليهرياسةالمعتزلة ببغداد ؛ وتوفى سنة ٢١٠ . (لسان الميزان ٢ : ٣٣) .

(٢) ثمامة بن الأشرس النميرى ؛ مولى بنىنمير ؛ كان زعيم القدرية فى زمن المأمون والمعتصم والواثق، وهو الذى دعا المأمون إلى الاعتزال ؛ توفى سنة ٢١٣ ؛ (لسان الميزان ٢ : ٨٣ ، والفرق بين الفرق ١٥٧) .

ولبشر أشعارٌ كثيرة ، يحتج فيها على أهلِ المقالات . وذكر الجاحظ أنّه لم يرَ أحداً أقوى(١) على المخمَّس والمزدَوِج(٢) على ما قَوِيَ عليه بِشر ، وإنه كان أكثرَ في ذلك وأقدرَ من أبان اللاحقيّ(٣) ، وهو القائل :

إنْ كُنتَ تعلَمُ ما أقو ... لُ وما تقولُ فأنتَ عالِمْ
أو كُنتَ تجْهَلُ ذا وذا ... كَ فكُنْ لأهْلِ العِلْمِ لازِمْ
أهلُ الرِّياسةِ مَنْ يُنـ ... ـازِعْهُمْ رِياسَتَهُمْ فظالِمْ
سَهِرَتْ عُيُونُهُمُ وأنـ ... ـتَ عن الّذي قاسَوْهُ حالِمْ
لا تَطلُبَنَّ رِياسَـةً ... بالجَهلِ أنتَ لها مُخاصِمْ
لوْلا مَقامُهُمُ رَأيـ ... ـتَ الدِّينَ مُضْطَرِبَ الدَّعائمْ [٦١ و]

* * *

فأما أبو إسحق إبراهيم بن سيّار النظّام ؛ فإنه كان مقدَّماً في العلم بالكلام ، حَسَن الخاطر ، شديدَ التدقيق والغوْص على المعاني ؛ وإنما أدَّاه إلى المذاهب الباطلة التي تفرّد بها واستشنِعَتْ منه تدقيقه وتغلغله . وقيل: إنه مولى الزياديين من ولد العَبيد ، وإن الرِّقَّ جرى على أحد آبائه .

وقيل للنظّام : ما الاختصار ؟ فقال : الذى اختصاره فسادٌ . وقال لرجل : أتعرف فلاناً المجوسيّ ؟ فقال : نعم ، ذاك الذى حلق وَسَط رأسِه ، كما يفعلُ اليهوديّ ، فقال النظّام : لا مجوسيَّ عرفت ، ولا يهوديَّ وصفْت .

قال الجاحظ وذكر عبدالوهاب الثقفيّ فقال: هو أحلى من أمْنٍ بعد خوفٍ، وبُرْء بعد سقَم،

(١) حاشية الأصل : « من نسخة » : « قوى » .
(٢) حاشية الأصل : « المخمس من الشعر : ما كان خمسة مصارع مقفاة، يخالفها الخامس أو يوافقها ، والمزدوج : هو المثنويّ » . (٣) هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق ؛ شاعر مكثر ؛ وأكثر شعره مزدوج ومسمط ؛ (وانظر الفهرست ١٦٣) . (٤) هو أبو إسحاق بن سيار النظام البصرى ، شيخ الجاحظ ، وأحد رءوس المعتزلة ؛ وإليه تنسب الفرقة النظامية ؛ (وانظر آراءه في الفرق بين الفرق ١١٣) .

وخِصْبٍ بعد جَدْب ، وغنًى بعد فقرٍ ، وطاعة المحبوب ، وفرج المكروب ، ومن الوصْل(١) الدائم ، مع الشباب الناعم ؛ وللنظّام شعر كثير صالح ، فمنه :

يا تارِكى جَسدًا بغيْرِ فُؤَادِ ... أسْرَفْتَ فى الهُجْرانِ والإبْعادِ
إنْ كانَ يمنعُكَ الزِّيارَةَ أعيُنٌ ... فادْخُلْ علىَّ بعِلَّةِ العُوَّادِ
كيْما أراكَ وتلكَ أعظَمُ نِعمةٍ ... مَلَكَتْ يَداكَ بها مَنيعَ قِيادِى
إنَّ العُيونَ على القُلوب إذا جَنَتْ ... كانت بَليّتُها على الأجسادِ

وله :

تَوَهَّمَهُ(٢) طَرْفى فآلَمَ خَدَّهُ ... فكانَ(٣) مكانَ الوَهْمِ مِنْ نَظَرِى أثْرُ
وصافَحَهُ قَلْبى فآلَمَ كَفَّهُ ... فَمِنْ صَفْحِ قَلْبى فى أنامِلِه عَقْرُ
ومرَّ بقَلْبى خاطِراً فجَرَحْتُهُ ... ولَمْ أرَ خَلْقاً(٤) قطُّ يجرحُهُ الفِكْرُ
يَمُرُّ فَمِنْ لِينٍ وحُسْنِ تَعطُّفٍ ... يُقالُ بهِ سُكْرٌ وليْسَ بهِ سكْرُ

ويقال إن أبا العتاهية ، قال : أنشدت النظام شعراً :

إذا هَمَّ النَّديمُ لهُ بلَحْظٍ ... تَمَشَّتْ فى مَحاسِنِه الكُلُومُ

فقال : ينبغى أن ينادم هذا أعمى .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوّه : وأبيات النظام تتضمّن معنى بيت أبى العتاهية ، ولسنا ندرى أيّهما أخذ من صاحبه ، والنظّام يكرر هذا المعنى / كثيراً فى شعره ، فمن ذلك [٦١ ظ]

قوله :

رَقَّ فلوْ بُزَّتْ سَرابيلُهُ ... عَلَّقَهُ الجَوُّ مِنَ اللُّطفِ(٥)
يَجْرَحُهُ اللَّحْظُ بتَكْرارِهِ ... ويَشْتَكى الإيماءَ بالطَّرْفِ

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الوصال » . (٢) ف ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « تأمله » . (٣) من نسخة بحاشية ت : « فصار » . (٤) من نسخة بحاشية الأصل : « جسما » . (٥) حاشية ت : « يعنى أن فى سرابيله ثقلا واعتمادا باقيا ، فلو بزت لعلقه الجو » .

وحكى أن أبا النظام(١) جاء به وهو حدَث إلى الخليل بن أحمد ، ليعلّمه، فقال له الخليل يوماً يمتحنهُ ، وفى يده قدَح زجاج : يابنىّ ، صفْ لى هذه الزجاجة ، فقال : أبمدْح أم بذم ؟ قال : بمدح ، قال : نعم ، تُريكَ القذَى ، لا تقبل الأذى ، ولا تستر ماورا ؛ قال : فذمَّها ، قال : سريعٌ كسرُها ، بطىءٌ(٢) جبرُها ، قال : فصِفْ هـذه النخلة ، وأومَأ إلى نخلة فى داره ، فقال : أبمدْح أم بذم ؟ قال : بمدح ، قال : هى حُلو مجتناها ، باسقٌ منتهاها ، ناضر أعلاها ؛ قال : فذمَّها قال: هى صَعْبة المرتقَى، بعيدةُ المجتنَى ، محفوفةٌ بالأذى ؛ فقال الخليل: يا بنىّ ، نحن إلى التعلّم منك أحوج .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوّه : وهـذه بلاغة من النظّام حَسنة ، لأن البلاغة هى وصف الشىء ذمًّا أو مدحاً بأقصى ما يقال فيه .

***

وشبيه بهـذا المعنى خبر لَبيد(٣) المشهور فى هِجائه(٤) البَقْلَة ، التى امتحِنَ بهجائها ، واختبِر بذمها ، فقال فيها أبلغَ ما يقال فى مِثْلها ، وذلك أن عُمارة وأنسًا وقَيْسًا والربيعَ بنى زياد العبسيين وفدوا على النعمان بن المنذر ، ووفد عليه العامريون بنو أم البنين(٥)، وعليهم أبوالبَراء عامر بن مالك جعفر بن كلاب ، وهو ملاعبُ الأسنّة، وكان العامريون ثلاثين رجلا،

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « كان النظام شاعرا فصار متـكلما ، وبالعكس منه أبو نواس » .

(٢) من نسخة بحاشية ت : « بعيد » . (٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « كان لبيد صحابيا مخضرما ، وبقى بعد رسـول الله صلى الله عليه وآله زمانا ، وكان مستبصرا حسن الطريقة ، وكان لا يقول الشعر بعد إسلامه ويقول : عوضنى الله البقرة وآل عمران والمخضرم : الذى أدرك الجاهلية والإسلام » .

وانظر الخبر ضمن ترجمة لبيدوذ كرنسبه وأخباره فى (الأغانى ١٤ : ٩٠ــ٩٨ ، والخزانة ٤ : ١١٧ ، ومجالس ثعلب ٤٤٩ــ٤٥٠ ، وشعراء النصرانية ٧٩٠ ، والعمدة ١ : ٢٧ ، والحيوان ٥ : ١٧٣) .

(٤) من نسخة بحاشية ت : « وهجائه » . (٥) هى فاطمة بنت الخرشب الأنمارية ؛ إحدى المنجبات من العرب ؛ وكان يقال لبنيها الـكملة ؛ روى أن عبد الله بن جدعان لقيها وهى تطوف بالـكعبة ؛ فقال لها : نشدتك الله برب هذه البنية ! أى بنيك أفضل ؟ قالت : الربيع ؛ لابل عمارة ؛ لابل أنس ؛ ثـكلتهم إن كنت أدرى أيهم أفضل » ، (وانظر الأغانى ١٦ : ١٩) .

وفيهم لَبيدُ بنُ ربيعةَ بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وهو يومئذ غلام له ذُوابة ، وكان الربيعُ ابن زياد العبسىّ ينادم النعمان ، ويَكْثُر عنده ، ويتقدم على مَنْ سواه ، وكان يُدْعى الكامل، لشَطاطه[1] وبياضه وكماله .

فضرب النعمان قُبّةً على أبى بَراء ، وأجرى عليه وعلى مَنْ كان معه النُّزْلَ ، فكانوا يحضُرون النعمان لحاجتهم ، فافتخروا يومًا بحضْرته ، فكاد العبسيون يغلبون العامريين ، وكان الربيع إذا خلا بالنعمان طعن فيهم ، وذكر معايبَهم ؛ ففعل ذلك مراراً لمعاداته لبنى جعفر ؛ لأنهم كانوا أسروه ، فصدّ النعمانُ عنهم حتى نزع القبة عن أبى بَراء ، وقطع / النُّزْل ، ودخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاءً ، وقد كان قبل ذلك يكرمهم ، ويقدّم [٦٢ و] مجالسهم ، فخرجوا من عنده غِضاباً ، وهَمُّوا بالانصراف، ولَبيد فى رِحالهم يحفظُ أمتعتهم ، ويغدو بإبلهم فيرعاها ، فإذا أمسى انصرف بها .

فأتاهم تلك الليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع، فقال لهم: ما كنتم[2] تتناجون؟ فكتموه ، وقالوا له : إليك عنا ، فقال : أخْبِرونى ، فلعلّ لكم عندى فرَجاً ، فزَجروه ، فقال : والله لا أحفظ لكم متاعا ، ولا أسْرَح لكم بعيراً[3] أو تُخْبِرونى ؟ وكانت أم لبيد عَبْسية فى حِجْر الربيع ، فقالوا له : خالُك قد غلَبنا على الملِك، وصدّ[4] عنا وجهه ، فقال : هل تقدرون أن تجمعوا بينى وبينه غدا حين يقعد الملك فأرجزَ به رجزاً مُمِضّا مؤلمًا ، لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً؟ قالوا له:وهل عندَك ذلك؟ قال:نعم، قالوا: فإنَّا نبلوكَ بشتم[5] هذه البقلة ـ وقدامهم بقلة دقيقة القضبان ، قليلة الورق، لاصقةٌ فروعها بالأرض، تدْعَى التَّربةَ ـ فاقتلعها من الأرض وأخذها بيده ، وقال: «هذه البقلة التَّربة التَّفِلة الرذْلة ، التى لا تذكى ناراً ، ولا تؤْهِل دارا ، ولا تستر جارا، عودها ضئيل ، وفرعها ذليل، وخيرها قليل، بلدها شاسعٌ ونبتها خاشع، وآكلها

---

(١) حاشية الأصل : « الشطاط هو استواء القامة وحسنها ، والشطط : الخلاف والجدل » .

(٢) حاشية الأصل : « مالكم » . (٣) من نسخة بحاشيتى ت : « إبلا » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « وأصدعنا » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « فاشتم »

جائع ، والمقيم عليها قانع ؛ أقصر البقول فرعاً ، وأخبثها مرعى وأشدها قلعاً ، فحرْباً[١] لجارها وجدعا ! القوابى[٢] أخا بنى عبس ، أرجعه عنكم بتعس وَنكْس ، وأتركه من أمره فى لبس» . فقالوا له : نصبح ونرى فيك رأينا .

فقال لهم عامر : انظروا إلى غلامكم هذا، فإن رأيتموه نائما فليس أمره بشىء، إنما تكلّم بما جرى على لسانه ، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم، فرمقوه بأبصارهم ، فوجدوه قد ركب رَحْلا يكدِم واسطته ؛ حتى أصبح فلما أصبحوا ، قالوا : أنت والله صاحبه ، فحلقوا رأسه ، وتركوا له ذؤابتين ، وألبسوه حُلّة ، وغدوا به معهم ، فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدّى ومعه الربيع، ليس معه غيره، والدار والمجالس مملوءة، بالوفد فلما فرغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا عليه ، والربيع إلى جانبه ، فذكروا للنعمان حاجتهم ، فاعترض الربيع فى كلامهم ، فقام لبيد : وقد دهَن أحد شِقَّىْ رأسه ، وأرخَى إزاره ، وانتعل نعلا واحدة ـ وكذلك / كانت الشعراء تفعل فى الجاهلية إذا أرادت الهجاء ـ فمثل بين يديه ، ثم قال : [٦٢ ظ]

يارُبَّ هَيْجا هىَ خيْرٌ مِنْ دَعَهْ[٣] إذْ لا تزالُ هامَتى مُقَزَّعَهْ
نَحْنُ بَنى أمِّ البَنِينَ الأَرْبَعهْ ونَحْنُ خيرُ عامِرِ بْنِ صَعْصَعَهْ
المُطْعِمونَ الجَفْنَةَ المُدعدعهْ[٤] والضَّارِبُونَ الهامَ تَحْتَ الخَيْضَعَهْ

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فحربا » [بفتح الراء] ، وفى حاشية ت (من نسخة) : « فخزيا » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « فألقوا » . (٣) الأرجوزة فى ديوانه ١ : ٧–٨ ، وقبل هذا البيت فى رواية ثعلب :

* لا تزْجُرِ الْفِتْيانَ عَنْ سُوءِ الرِّعَهْ *

والرعة : حالة الأحمق التى رضى بها . (٤) كذا فى ت ، وفى الأصل ، د ف : « المذعذعة » بالذال المعجمة . وفى حاشية الأصل : « حقه « المدعدعة » بالدال غير المعجمة ؛ وهى المملوءة ، والدعدعة تحريك المكيال ونحوه ليسع الشىء ، ودعدعت الشىء ملأته ، وجفنة مدعدعة أى مملوءة ، قال لبيد أيضا يصف ماءين القيا من السيل :

فدَعْدعا سُرّةَ الرّكاء كما دَعْدَعَ ساقى الأعاجم الغَرَبَا

ـ والركاء : واد معروف ، أما الذعذعة ؛ فهو التفريق ؛ ولم يسمع فى معنى الملء بالذال ، والله أعلم» .

مَهْلاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ لاَ تأْكُلْ مَعَهْ ... إِنَّ اسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ
وإِنَّهُ يُدْخِلُ فيها إصبعَه ... يُدْخِلُها حتَّى يُوَارِي أشجَعَهْ
كأنَّهُ يَطلُبُ شيئاً ضَيَّعَه

فلما فرغ لبيد التفتَ النعمان إلى الربيع يرمقه شَزْراً ، وقال : كذلك أنت؟ قال : كذب والله ابن الحمِق اللئيم ! فقال النعمان : أفّ لهذا الطعام ، لقد خَبّثَ عليّ طعامي ! فقال الربيع : أبيتَ اللعن ! أما إني قد فعلت بأمه ـ لا يكْني، وكانت في حِجْرِه ـ فقال لبيد : أنت لهذا الكلام أهل ، أما إنها من نسوة غير فُعل ، وأنت المرء قال هذا في يتيمته[1] .

قال سيدنا أدام الله علوّه : وجدت في رواية أخرى : أما إنها من نسوة فُعُل، وإنما قال ذلك لأنها كانت من قوم الربيع ، فنسبها إلى القبيح ، وصدّقه عليه تهجينا له ولقومه .

١٠ فأمر الملك بهم جميعاً فأخرجوا ، وأعاد على أبي براء القُبة ، وانصرف الربيع إلى منزله، فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به ، وأمره بالانصراف إلى أهله ، فكتب إليه : إني قد تخوّفت أن يكون قد وقع في صدرك ما قال لبيد ، ولست برائم حتى تبعث إليّ مَن يجردني ، ليعلم مَنْ حضرك من الناس إني لست كما قال ، فأرسل إليه : إنك لست صانعاً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً ، ولا قادراً على ردّ ما زلّت به الألسن ، فالحق بأهلك ؛ ثم كتب

١٥ إليه النعمان في جملة أبيات جواباً عن أبيات[2] كتبها إليه الربيع مشهورة :

---

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « ربيبته » .

(٢) الأبيات برواية صاحب الأغاني :

لئن رحلتُ جِمالِي إنّ لي سَعَةً ... ما مثلُها سَعَةٌ عَرْضاً ولا طُولاَ
بحيث لو وزنَتْ لخمٌ بأجمعها ... لم يَعْدِلوا رِيشةً من ريش سمويلاَ
ترعَى الروائمُ أحرارَ البقولِ بها ... لامثلَ رعيكُم ملحاً وغَسْويلاَ
فابْرُقْ بأرضِكَ يانُعمانُ مُتّكِئاً ... مع النِّطاسِيّ يوماً وابن توفيلاَ

قدْ قيلَ ذلكَ إنْ حَقا وإنْ كَذِباً فما اعتِذارُكَ مِنْ شَىْءٍ إذَا قيلا!(١)

وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله المرزُبانىّ قال حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا/ أبو حاتم عن أبى عبيدة ، وأخبرنا به أيضا المرزُبانىّ قال حدثنى محمد بن أحمد الكاتب قال: حدثنا أحمد بن عُبيد بن ناصح النحوىّ قال : أخبرنا محمد بن زياد بن زبّان عن الكلبىّ عن عبدالله بن مسلم البَكّاوىّ(٢) — وكان قد أدرك الجاهلية — وفى حديث كل واحد زيادة على الآخر، ولم نأت بجميع الخبر على وجْهه ، بل أسقطنا منه ما لم نحتجْ إليه ، وأوردنا ما أوردنا منه بألفاظه . [٦٣ و]

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه : أما قوله : « نَحْنُ بنى أم البنين » فإنه نَصْبٌ على المدح ، والعرب تنصب على المدح والذم جميعاً . وأم البنين هى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة ابن صَعْصَعة ، وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب ، فولدت له منه عامر بن مالك مُلاعب الأسنَّة ، وطُفيل بن مالك فارس قُرْزل ، وهو أبو عامر بن الطُّفيل ، وقرزُل فرس كانت له ، وربيعةَ بن مالك أبا لبيد ، وهو ربيع المقترِين ، ومعاويةَ بن مالك معوِّد الحكّام ، وإنما سمى معوّد الحكام بقوله :

أُعَوِّدُ مِثلَها الحُكَّام بَعدِى إذَا ما الحَقُّ فى الأشياعِ نابا

(١) البيت من مقطوعة ذكرها صاحب الأغانى ؛ وهى :

شَرِّد برَحْلِكَ عنى حيثُ شِئتَ ولا تُكْثِرْ علَىَّ وَدَعْ عنك الأباطيلا
فقدْ ذُكِرتَ بشىء لستُ ناسيَه ماجاورَتْ مصر أهل الشام والنيلَا
فما اتقاؤك مِنْهُ بعد ما جَزِعتْ هوجُ المطىّ به نحو ابن سَمْويلَا
قَدْ قيلَ ذلكَ إن حقًّا وإن كَذِباً فما اعتذارُكَ من قولٍ إذا قيلَا!
فالحق بحيثُ رأيت الأرض واسعةً وانشربها الطرف إن عرضاً وإنْ طولَا

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « البكائى »

وولدتْ عُبَيْدَةَ الوضّاح؛ فهؤلاء خمسة، وقال لبيد: «أربعة»، لأن الشعر لم يمكّنه من ذلك[١].

وأما الجفنة المدَعْدَعَة[٢] فهى المملوءة. وأما الخَيْضَعة، فإن الأصمعىّ يذكر أن لبيداً قال: «تحت الخَضَعة»؛ يعنى الجلبة، فسوّته الرواة. وقيل: إن الخَيْضَعة أصوات وقع السيوف، والخَيْضَعة أيضاً البيضة التى تُلبَس على الرأس، والخَيْضعة الغُبار، والقول يحتمل كلَّ ذلك.

وأما: «أبيت اللعن»، فإن أبا حاتم قال: سألتُ الأصمعىّ عنه فقال: معناه أبيتَ أن تأتىَ من الأمور ما تُلعَن عليه.

وأما: «الأشاجع»؛ فهى العروق والعصب الذى على ظهر الكفّ.

وقد روى: * أكل يوم هامتى مُقزَّعة *

والقزَع: تساقُط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه، يقال: كبش أقزع ونعجة قَزْعاء.

* * *

فأما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، مولًى لأبى القلمّس عمرو بن قِلَع الكِنانىّ ثم الفُقَيْمِىّ. وذكر المبرّد أنه ما رأى أحرَص على العلم من ثلاثة: الجاحظ، والفتح بن خاقان، وإسماعيل بن إسحاق القاضى؛ فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع فى يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره، أىّ كتاب كان. وأما الفتح / بن خاقان[٣] فإنه كان يحمل [٦٣ ظ] الكتاب فى خُفّه، فإذا قام بين يدىِ المتوكل للبول أو للصلاة أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشى حتى يبلغ الموضعَ الذى يريده، ثم يصنع مثلَ ذلك فى رجوعه إلى أن يأخذَ

---

(١) قال صاحب الخزانة (٤ : ١٧٤): قول السيد المرتضى: إن لبيدا إنما قال أربعة وهم خمسة لضرورة الشعر؛ هذا قول الفراء؛ وهو قول فارغ؛ والصواب كما قال ابن عصفور فى الضرائر: لم يقل إلا أربعة وهم خمسة على جهة الغلط؛ وإنما قال ذلك لأن أباه كان قد مات وبقى أعمامه وهم أربعة».

(٢) فى الأصل: «المذعذعة»، وصوابه من ت؛ وانظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩١، من هذا الجزء.

(٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل؛ قتل معه سنة ٢٧٤؛ (النجوم الزاهرة ٢ : ٣٢٥).

مجلسه . وأما إسماعيل بن[١] إسحاق فإنى ما دخلتُ عليه قطُّ إلّا وفى يده كتاب ينظر فيه ، أو يقلّب الـكتبَ لطلب كتاب ينظر فيه .

قال البَلْخِىّ : تفرّد الجاحظ بالقول بأن المعرفة طِباع ، وهى مع ذلك فعـل للعباد على الحقيقة ، وكان يقول فى سائر الأفعال إنها تنسب إلى العباد على أنها وقعت منهم طباعاً ، وأنها وجبت بإرادتهم ، وليس بجائز أن يبلغ أحدٌ فلا يعرف اللهَ تعالى ؛ والـكفار عنده بين معاندٍ ، وبين عارفٍ قد استغرقه حبُّه لمذهبه وشغفه به وإلفه وعصبيته ؛ فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه .

وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك الزيات[٢] ، وكان منحرِفاً عن أحمد بن أبى دؤاد ، للعداوة التى كانت بين أحمـد ومحمّد ، فلما قُبض على محمد بن عبد الملك الزيات هرب الجاحظ ، فقيل له : لم هربت ؟ فقال : خِفْت أن أكون ثانىَ اثنين إذ هما فى التنُّور ! يريد : ما صُنع بمحمد بن عبد الملك من إدخاله تنوراً فيه مسامير ، كان هو صنعَه ليعَذّب الناس فيه ، فعُذب به حتى مات .

وروى انه أُتِىَ بالجاحظ بعـد موت ابن الزيات وفى عنقه سلسلة ، وهو مقيَّد فى قميص سَمَـل ، فلما نظر إليه ابن أبى دؤاد قال : والله ما علمتُك إلاَّ متناسياً للنعمة ، كفورا للصنيعة ، معدناً للمساوئ ، وما فتّـنِى باستصلاحى[٣] لك ، ولـكنَّ الأيام لا تُصلح منك لفساد طوّيتك ، ورداءة دَخِيلتك[٤] ، وسوء اختيارك ، وغالب طبعك ؛ فقال الجاحظ : خفِّضْ عليك أيدك الله ! فوالله لأنْ يكونَ لك الأمر علىَّ خيرٌ من أن يكون لى عليك ، ولأن أُسىء وتُحسن أحسنُ فى الأحدوثة عنك من أن أُحسن فتُسىء ، ولَأن تعفوَ عنى فى حال قدْرتك

(١) هو إسماعيل بن إسحاق القاضى البصرى الفقيه المالـكى ؛ صنف فى القراءات والفقه ؛ وكان إماما فى العربية ؛ قال المبرد : هو أعلم بالتصريف منى ؛ وتوفى سنة ٢٨٢ ؛ (شذرات الذهب ٢ : ١٧٨) .

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن أبان ، المعروف بابن الزيات ؛ كان وزير المعتصم ، وله شعر سائر جيد ، وديوان رسائل ، وتوفى سنة ٢٣٣ ؛ (ابن خلـكان ٢ : ٥٤) .

(٣) حاشية الأصل : « أى ما فوتنى استصلاحك ، والباء للتعدية » .

(٤) ت : « داخلتك » .

أجملُ بك من الانتقام منى ، فقال ابن أبى دؤاد : قبحَكَ الله ! فوالله ما علمتك إلاّ كثيرَ تزويق اللسان ، وقد جعلت بيانك أمام قلبك ، ثم اضطغنْتَ فيه النفاق والكفر ؛ ياغلام صِرْ به إلى الحمام، وأمِطْ عنه الأذى. فأخذتْ عنه السلسلة/والقيد ، وأدخل الحمام، وأميط عنه الأذى، [٦٤ و] وحُمل إليه تختٌ من ثياب وطَويلة وخفّ ، فلبس ذلك، ثم أتاه فصدّره فى مجلسه ، ثم أقبل عليه، وقال : هات الآن حديثك ياأبا عثمان !

وقال المبرّد: سمعت الجاحظ يقول: احذر مَنْ تأمن؛ فإنك على حذَرٍ ممن تخاف.

وقال الجاحظ : قلت لأبى يعقوب الخُرَيمىّ الشاعر : مَن خَلَق المعاصى؟ قال : الله، قلت: فمن عذّب عليها ؟ قال : الله ، قلت : فلم ؟ قال : لا أدرى والله !

وكان الجاحظ يقول : ينبغى للكاتب أن يكون رقيقَ حواشى الكلام ، عذبَ ينابيعه ، إذا حاور سدَّد سهمَ الصواب إلى غرَض المعنى .

وقال: لاتكلِّم العامة بكلام الخاصة، ولا الخاصة بكلام العامة .

وقال سَوّار بن أبى شُراعة : كنتُ عند الجاحظ، فرآنى أكتب خطاً رديئاً فى ورق ردىء متقارب السطور ، فقال لى : ما أحسِبك تحبُّ ورثتك ، فقلت : وكيف ذاك ؟ قال: لأنى أراك تُسىء بهم فيما تخلِّفه !

وذكر أبو العباس المبرّد قال : سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه : أنت والله أحوجُ إلى هوان من كريم إلى إكرام ، ومِن علمٍ إلى عَمل ، ومن قدرة إلى عفو ، ومن نعمة إلى شكر .

وقال المبرّد قال لى الجاحظ يوما : أتعرف مثل قول إسمعيل بن القاسم .

ولا خيرَ فيمَنْ لا يُوَطِّنُ نفْسَهُ   على نائباتِ الدَّهرِ حينَ تَنوبُ

فقلت : نعم ، قول كُثيِّر ، ومنه أخذ :

فقلتُ لها يا عَزُّ كُلُّ مُصيبةٍ   إذَا وُطِّنَتْ يوْماً لها النَّفْسُ ذَلَّتِ

وروى يموتُ بن المزرّع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ فى الجمّاز(١) يهجوه :

نَسَبُ الجمَّازِ مَقْصـــورٌ إليهِ مُنْتهاهُ
تَنتهى الأحسابُ بالنّـــاسِ ولا تَعْدُو قَفَاهُ
يتحاجَى مَنْ أبو الجمَّـــازِ فيهِ كا بَاهُ
ليس يَدْرى مَنْ أبوالجمَّـــاز إلاَّ مَنْ يَرَاهُ

/أخبرنا المرزبانىّ قال: أخبرنا علىّ بن هرون قال أنشدنى وكيع قال أنشدنى أبو العيناء [٦٤ ظ] قال أنشدنى الجاحظ لنفسه فى الخضاب :

زُرْتُ فَتاةً مِنْ بنى هِلالِ فاستَعْجلَتْ إلىّ بالسُّؤالِ
مالى أراكَ قانِئَ السِّبالِ كأنّما كَرَعْتَ فى جِرْيالِ(٢)
ما يَبْتغى مِثْلُكَ مِنْ أمْثالى تَنَحَّ قُدَّامى ومِنْ حِيالى

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه: قوله : « كأنّما كَرَعْتَ فى جِرْيال » مليح قوىّ، ولايشبه شعرَ الجاحظ للينه وضعف كلامه .

وذكر أبو العيناء قال حدثنى إبراهيم بن رياح قال أنشدنى الجاحظ يمدحُنى :

بَدَا حينَ أثْرَى بإخوانِهِ فَفَلَّلَ عنهُمْ شَبَاةَ العَدَمْ
وذَكَّرَهُ الحَزْمُ رَيْبَ الزَّمانِ فبادَرَ بالعُرْفِ قَبْلَ النَّدَمْ

قال إبراهيم : فذاكرتُ بهما أحمد بن أبى دؤاد فقال : قد أنشدنيهما يمدحنى بهما ، ثم لقيت محمد بن الجهم فقال : قد أنشدنيهما يمدحنى بهما ، وقال يموت بن المزرّع : سمعت خالى الجاحظ يقول : لا أعرف شعراً يفضلُ قول أبى نواس :

---

(١) الجماز : لقب له ؛ ومعناه الوثاب ؛ واسمه محمد بن عمرو بن عطاء ؛ شاعر أديب بصرى ؛ وكان ماجنا خبيث اللسان ذا نادرة ؛ وكان أكبر سنا من أبى نواس ؛ دخل بغداد فى أيام المتوكل ؛ وقد أعجب به المتوكل يوما فأمر له بعشرة آلاف درهم ؛ فأخذها وانحدر ، فمات فرحا بها ؛ (تاريخ بغداد ٣ : ١٢٥–١٢٦) .

(٢) الكرع : أن يشرب الرجل بفيه من النهر ، والجريال : صفوة الخمر .

وَدارِ نَدامَى عَطَّلوها وأَدْلجُوا ... بِها أَثَرٌ مِنهُمْ جَديدٌ ودارِسُ(١)
مَساحِيبُ مِنْ جَرِّ الزِّقاقِ على الثَّرَى ... وأَضْغاثُ رَيحانٍ : جَنِيٌّ ويابِسُ
حَبَسْتُ بِها صَحْبِي فجدَّدْتُ عَهدَهُمْ ... وإِنِّي على أَمْثالِ تِلكَ لَحابِسُ
ولَمْ أَدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ ما شَهِدَتْ بهِ ... بِشَرْقِيِّ ساباطَ الدِّيارُ البَسابِسُ(٢)
أَقَمْنا بِهـــا يوماً ويوماً وثالِثاً ... ويوماً لهُ يومُ التَّرَحُّلِ خامِسُ
تُدارُ علينا الرَّاحُ في عَسْجَدِيَّةٍ ... حَبَتْها بأَنواعِ التَّصاوِيرِ فارِسُ
قَرارَتُها كِسرَى وفي جَنَباتِها ... مَهاً تَدَّرِيها بالقِسِيِّ الفَوارِسُ(٣)
[٦٥ و] / فلِلخَمرِ ما زُرَّتْ عليهِ جُيُوبُها ... ولِلماءِ ما دارَتْ عليـهِ القَلانِسُ

قال الجاحظ : فأنشدتُها أبا شعيب القَلّال(٤) فقال : يا أبا عثمان ، لو نُقِر هذا الشعر لطَنَّ ! قلت : ويلك ! ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت ! .

قال سيدنا أيده الله : أخذ أبو نواس قوله :

ولم أَدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ ما شَهِدَتْ بهِ ... بشَرْقِ ساباطَ الدِّيارُ البَسابِسُ

من قول أبي خِراش الهُذَليّ :

ولمْ أَدْرِ مَنْ أَلقَى عليـهِ رِداءَهُ ... سِوَى(٥) أَنَّهُ قدْ سُلَّ عنْ ماجِدٍ مَحْضِ

ويقال إن أبا خِراش أوّل مَن مدح مَنْ لا يعرفه ، وذاك أن خِراش بن أبي خِراش أُسِر هو وعروة بن مرة ، فطرح رجل من القوم رداءه على خِراش حين شغِل القوم بقتل عروة ونجّاه . فلما تفرغوا له قال : أفات منّى ، ويقال : بل رآه في الأَسْر رجلٌ من بني عمه ، فألقى عليه رداءه لِيُجيرَه به ، وقال له : النجاء ويلك ! فقال أبو خِراش في ذلك :

حَمِدْتُ الإِلهَ(٦) بَعْدَ عُرْوَةَ إذْ نَجا ... خِراشٌ وبَعضُ الشَّرِّ أهونُ مِنْ بَعْضِ

---

(١) ديوانه : ٢٩٥ ، والكامل بشرح المرصفي ٧ : ٥٤ . (٢) البسابس : الخوالي ، وساباط : موضع ببلاد فارس . (٣) تدريها : تختلها . (٤) حاشية ت : « أبو شعيب هذا صقر بن عبد الرحمن القلال » . (٥) ت : « ولكنه » . (٦) الأبيات من قصيدة في (ديوان الهذليين ٢ : ١٥٧ـ١٥٨ ، وأمالي القالي ١ : ٢٧١ ، ديوان الحماسة ٢ : ٢٨٠ـ ٢٨٤ ، والشعر والشعراء ٦٤٧ـ٦٤٨) .
(٧) من نسخة بحاشية ت : « إلهي » .

فأقسمت لا أنسى قتيلاً رُزِئتُهُ   بجانبِ قُوَسى (١) مامَشيتُ على الأَرْضِ
على أنَّها تعفو الكُلُومُ وإنَّما   نُوَكَّلُ بالأدنى وإنْ جَلَّ ما يَمْضِى
ولمْ أدْرِ مَنْ ألقَى عليهِ رِدَاءَهُ   سِوى أنَّهُ قدْ سُلَّ عنْ ماجِدٍ مَحْضِ

وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانىّ قال حدثنى إبراهيم بن محمد بن شهاب قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن عمر البرذعىّ المتكلم قال : صِرْتُ إلى منزل الجاحظ فى أول ماقدِمْتُ من بلدى، وقد اعتل علتَه التى فُلِج فيها ، فاستأذنتُ عليه ، فخرج إلىّ خادِمٌ من منزله ، فقال لى : يقول لك : وما تصنعُ بشِقٍّ مائل ، ولُعاب سائل ! فانصرفت عنه .

وذكر يموت بن المزرّع قال : وجّه المتوكل فى السنة التى قُتل فيها أن يُحمَل إليه الجاحظ من البصرة ، وسأله الفتحُ ذلك، فوجدَه لافضلَ فيه (٢) ، فقال لمن أراد حمله : وماتصنع بامرىء ليس بطائل ، ذى شِقٍّ /مائل ، ولعاب سائل ، وفَرْج بائل ، وعقل زائل ، ولون حائل ! . [٦٥ ظ]

وذكر المبرد قال : سمعت الجاحظَ يقول : أنا من جانبى الأيسر مَفْلوج ، فلو قُرِض بالمقاريض ماعلمتُ ، ومن جانبى الأيمنِ مُنقَرِسٌ ، فلو مرَّ به الذباب لألمْتُ ، وبى حصاة لاينسرح لى البول معها ، وأشد ماعلىَّ ست وتسعون !

وقال يوماً لمتطبب يشكو إليه علته : قد اصطلحتِ الأضداد إلى جسدى ، إن أكلت بارداً أخذ برجْلى ، وإن أكلت حاراً أخذ برأسى . وتوفى فى سنة خمس وخمسين ومائتين .

(١) كذا ضبط فى ت ؛ بضم القاف وفتح السين ؛ وضبط فى معجم البلدان بفتح القاف وسكون الواو ؛ وزان « سكرى » ، وهى بلد بالسراة .

(٢) حاشية الأصل : « من نسخة » : « لافضل عنده » .

مجلس آخر ١٤

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ لَيسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ؛ [البقرة : ١٧٧].

فقال : كيف ينفي كونَ تولية الوجوه إلى الجهات من البرّ ، وإنما يُفعل ذلك في الصلاة ، وهي برّ لامحالة ؟ وكيف خَبّر عن البرّ «بمَنْ» والبرُّ كالمصدر ، و«مَن» اسم مَحْضٌ ؟ وعن أيِّ شيء كَنّى بالهاء في قوله تعالى : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾؟ وماالمخصوصُ بأنها كناية عنه وقد تقدمت أشياء كثيرة ؟ وعلى أيّ شيء ارتفع ﴿ الْمُوفُونَ ﴾؟ وكيف نَصَبَ ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ ، وهم معطوفون على الموفين ؟ وكيف وحّد الكناية في مواضع وجَمَعها في أُخر ؟ فقال : ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ و ﴿ آتَى الْمَالَ ﴾ و ﴿ أَقَامَ الصَّلاَةَ ﴾ ، ثم قال: ﴿ وَالْمُوفُونَ ﴾ ، و﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ ؟.

يقال له : فيما ذكرتَه أوّلاً جوابان :

أحدُهما أنَّه أراد تعالى : ليس الصّلاة هي البرّ كلّه ؛ لكنه ماعُدِّد في الآية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات ، فلا تظنوا أنكم إذا توجّهتم إلى الجهات بصلاتكم ، فقد أحرزتُمْ البرَّ بأسره ، وحزتموه بكماله ، بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمُه وأكثره .

والجواب الثاني أن النّصارى لما توجَّهوا إلى المشرق ، واليهود إلى بيت المقدس ، واتخذوا

هاتين الجهتين قبلتين ، واعتقدوا فى الصلاة إليهما أنهما / برٌّ وطاعة خلافاً على الرسول صلى [٦٦ و] الله عليه وآله أكذبهم الله تعالى فى ذلك ، وبيّن أن ذلك ليس من البر ، إذ كان منسوخاً بشريعة النبى صلى الله عليه وآله؛ التى تلزم الأسود والأبيض ، والعربى والعجمى ، وأن البرّ هو ما تضمنتْه الآية .

فأما إخباره «بمن» ففيه وجوه ثلاثة :

أولها أن يكون معنى «البرّ» ههنا البارَّ وذا البرّ ، وجعل أحدَها فى مكان الآخر؛ والتقدير: ولكنَّ البارّ مَنْ آمن بالله؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ ؛ [الملك : ٣٠] ، يريد غائرا ، ومثل قول الشاعر :

تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ حتَّى إذا ادَّكَرَتْ ... فإنمــا هىَ إقبالٌ وإدْبارُ(١)

أراد أنها مقبلة مدبرة ، ومثله :

تَظَلُّ جيادُهُمْ نَوْحاً عليهِمْ ... مُقلَّدَةً أعِنّتَها صُفُونا(٢)

أراد نائحة عليهم ، ومثله قول الشاعر :

هَريقِى مِنْ دموعهما سِجاماً ... ضُبَاعَ(٣) وجاوبى نَوْحاً قِياما

والوجه الثانى أن العرب قد تُخْبِر عن الاسم بالمصدر والفعل ، وعن المصــدر بالاسم ، فأمّا إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ ، وقول العرب : إنما البِرُّ الذى يصل الرحمَ ويفعل كذا وكذا ، وأما إخبارُهم عن الاسم بالمصــدر والفعل فمثل قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ ما الفِتْيانُ أنْ تَنبُتَ اللِّحَى ... ولـكِنَّمَا الفِتْيانُ كُلُّ فَتًى نَدِ(٤)

---

(١) البيت للخنساء ؛ ديوانها : ٧٨ ، والكامل ـ بشرح المرصفى ٨ : ١٧٦ ، واللسان ١٩ : ١٣٥ ، وتاج العروس ٨ : ٧٣ ، وخزانة الأدب ١ : ١٣٨ ، وهو فى وصف بقرة وحشية ، وقبله :

فما عجول على بَوٍّ تُطيفُ بهِ ... لها حنينان إصغارٌ وإكْبارُ

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم ؛ من المعلقة ـ بشرح التبريزى: ٢١٧؛ وانظر ص ١٠٥ من هذا الجزء .

(٣) ضباع : اسم امرأة ؛ وأصله : « ضباعة » . (٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « مقرر=

فجعل « أن تنبتَ » وهو مصدر خبرًا عن الفتيان .

والوجه الثالث أن يكون المعنى : ولكن البرَّ برُّ مَن آمنَ ؛ فحذف البرّ الثانى ، وأقام « مَنْ » مَقامه ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ ؛ [البقرة : ٩٣]، أراد: حبّ العجل، قال الشاعر :

وكيفَ تُواصِلُ مَنْ أَصبَحَتْ خُلَالَتُهُ كأَبِى مَرْحَبِ[1]

أراد : كخُلالة أبى مَرْحَبٍ ؛ وقال النابغة :

[٦٦ ظ] / وقدْ خِفْتُ حتَّى ما تَزِيدُ مَخافتى على وعِلٍ فى ذِى المَطَارَةِ عاقِلِ[2]

أراد على مخافة وَعِلٍ . وتقولُ العرب : بنو فلان يطؤُهم الطريق ، أى أهل الطريق . وحُكِىَ عن بعضهم: أطيبُ النّاس الزُّبْد ، أى أطيبُ ما يأْكلُ[3] النّاس الزُّبْد ، وكذلك قولهم: حَسِبْتُ صِبَاحى زيْداً ، أى صِبَاحَ زَيد ، وروى عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ ؛ [النور: ٦١] ، أى ليس على مَنْ أكل مع الأعمى حرج، وفى قوله تعالى: ﴿ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾، [الكهف : ٢٢] ، وذكروا أنه كان راعياً تَبِعهُمْ.

فأما مَن كنى عنه بالهاء فى قوله تعالى : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ﴾ ففيه وجوه أربعة :

= فى الصناعة أن يكون المبتدأ والخبر هو هو ؛ أو مايقوم مقام ذلك ويجرى مجراه ؛ وهو احتراز من قولك مثلا : أبويوسف أبو حنيفة ؛ يعنى يقوم مقامه ؛ فإذا كان كذلك فالواجب أن يكون الجزءان من المبتدأ والخبر جثتين أو حدثين ؛ حتى لاينخرم هذا الأصل الذى أصلوه ؛ فإذا وجدت شيئا من ذلك قد اختلف فإنما هو على ضرب من الاحتمال والمجاز ؛ كقولك : الهلال الليلة ؛ لأن التقدير حدوث الهلال الليلة ؛ كأن التقدير : حدوث الهلال وقع الليلة ؛ فالواقع هو الحدوث ، والحدوث هو الواقع . والبيت المستشهد به ، التقدير فيه : لعمرك مافتوة الفتيان ، فحذف المضاف وأقام المضاف مقامه ، والتقدير : مافتوة الفتيان نبتة اللحى » .

(١) خلالته : مودته ، وأبو مرحب كناية عن الظل ، والبيت للنابغة الجعدى ، وقبله :

وبعضُ الأخلاَّءِ عندَ البلا ءِ والرُّزْءِ أَرْوغُ من ثَعْلَبِ

وانظر اللسان (رحب) .

(٢) ديوانه : ٦٤ ، ومعجم البلدان ٨ : ٨٤ . وذو المطارة : اسم جبل ؛ وعاقل : متحصن ، وفى حواشى الأصل، ت ، ف : « يمكن أن تجعل « ما » فى البيت زيادة، والتقدير : حتى تزيد : ويمكن أن يكون على القلب ؛ أى ماتزيد مخافة وعل على مخافتى ؛ وهو كثير ، والوعل : الضأن الوحشى» .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « ماأكل الناس » .

أولها : أن تكون الهاء راجعة على المال الذى تقدم ذكره ، ويكون المعنى : وآتى المالَ على حبِّ المال ، وأضيف الحب إلى المفعول ، ولم يذكر الفاعل : كما يقول القائل : اشتريت طعامى كاشتراء طعامك ، والمعنى كاشترائك طعامك .

والوجه الثانى أن تكون الهاء راجعة إلى ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ﴾، فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ، ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه .

والوجه الثالث أن تَرجِعَ الهاء إلى الإيتاء الذى دلّ ﴿ آتَى ﴾ عليه، والمعنى: وأعطى المال على حبّ الإعطاء ، ويجرى ذلك مجرى قول القُطامىّ :

هُمُ الْمُلوكُ وأبناءُ المُلوكِ لَهُم[1] والآخِذُونَ بِهِ والسَّاسةُ الأُوَلُ[2]

فكنّى بالهاء عن الملك ، لدلالة قوله : « الملوك » عليه ، ومثله قول الشاعر :

إذَا نُهِى السَّفِيهُ جَرَى إليه وخالَفَ والسَّفيهُ إلى خِلَافِ[3]

أراد : جرى إلى السَّفَه الذى دلّ ذِكْرُ السفيه عليه .

والوجه الرابع: أن تكون الهاء ترجع إلى الله تعالى ؛ لأن ذكره تعالى قد تقدم ، فيكون المعنى: وآتى المال على حبّ الله ذوى القربَى واليتامى. فإن قيل: فأىُّ فائدة فى ذلك ، وقد علمنا الفائدة فى إيتاء المال مع محبته والضَّنِّ به ، وأن العطيةَ تكون أشرفَ وأمدح ، فما الفائدةُ فيما ذكرتموه ؟ وما معنى محبة الله ، والمحبة عندكم هى الإرادة ، والقديم تعالى لا يصح أن يراد ؟ .

قلنا : أما المحبة عندنا فهى الإرادة ، إلاّ أنهمْ يستعملونها كثيراً مع حذف متعلّقها مجازاً وتوسعاً ، فيقولون : فلان يحب زيدا، إذا أراد منافعَه ، ولا يقولون : زيد / يريد عمراً ؛ بمعنى [٦٧ و]

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « هم » . (٢) جمهرة الأشعار : ٣١٦ ؛ وهو آخر قصيدته التى مطلعها :

إنا محيّوك فاسْلَمْ أيُّهَا الطَّلَلُ وإنْ بليتَ وإنْ طَالَتْ بكَ الطِّوَلُ

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « الخلاف » . وحاشية الأصل (من نسخة) : « اختلاف » .

أنه يريد منافعه ، لأن التعارُف جرى فى استعمال الحذف والاختصار فى المحبة دون الإرادة ، وإن كان المعنى واحداً .

وقد ذُكِر أن لقولهم: زيد يحِب عمراً مزيةً على قولهم: يريد منافعه، لأن اللفظ الأول ينبئ عن أنه لا يريد إلا منافعَه ، وأنه لا يريد شيئاً من مضاره ، والثانى لا يدلُّ على ذلك ، فحصَلت له مزيةٌ ؛ وعلى هذا المعنى نَصِفُ الله تعالى بأنه يحب أولياءه والمؤمنين من عباده ؛ والمعنى فيه أنه يريد لهم ضروب الخير ، من التعظيم والإجلال والنعم ؛ فأما وصف أحدِنا بأنه يحب اللهَ تعالى فالمعنى فيه أنه يريد تعظيمَه وعبادته والقيام بطاعته ، ولا يصحّ المعنى الذى ذكرناه فى محبة العباد بعضِهم بعضاً ؛ لاستحالة المنافع عليه . ومَنْ جوّز عليه تعالى الانتفاع لا يصحُّ أيضا أن يكونَ محبًّا له على هذا المعنى ، لأنه باعتقاده ذلك قد خرج من أن يكون عارفاً به ، فمحبته فى الحقيقة لا تتعلّق به ولا تتوجه إليه ؛ كما تقول فى أصحاب التشبيه : إنّهم إذا عبدوا مَن اعتقدوه إلها فقد عبدوا غير الله تعالى .

فأما الفائدة فى إعطاء المال مع محبة الله تعالى فهى ظاهرة ؛ لأن إعطاء المال متى قارنْته إرادةُ وجه الله وعبادته وطاعته استُحِقّ به الثواب ، ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق الفاعلُ به ثواباً ، وكان ضائعا. وتأثيرُ ما ذكرناه أبلغ من تأثير حبّ المال والضَّنِّ به ؛ لأن المحبَّ
[٦٧ ظ] للمال / الضنينَ به متى بذله وأعطاه ، ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحق به شيئاً من الثواب ؛ وإنما يُؤثِّر حُبُّه للمال فى زيادة الثواب؛ متى حصل ما ذكرناه من قصد القُربة والعبادة ، ولو تقرب بالعطية ، وهو غيرُ ضنين بالمال، ولا محِبّ له لاستحقَّ الثواب . وهذا الوجه لم نُسبق[1] إليه فى هذه الآية ، وهو أحسن ما قيل فيها .

وقد ذُكِر وجه آخر ؛ وهو أن تكون الهاء راجعةً إلى ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ أيضا، وينتصب ذوى القربى بالحبّ ، ولا يجعل « لآتى » منصوباً لوضوح المعنى ، ويكون تقدير الكلام : وأعطى المال فى حال[2] حبه ذوى القربى واليتامى ، على محبَّتهِ أياهم : وهذا الوجه ليس فيه

(١) حاشية ت (من نسخة) : « لم يسبق » . (٢) ت « على حبه » ، وفى حاشية ت أيضا (من نسخة) : « على حال حبه » .

مَزية فى باب رجوع الهاء التى وقع عنها[1] السؤال ، وإنما يتبين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوِى القربى بالحب ، وذلك غير ما وقع السؤال عنه ؛ والأجوبةُ الأول أقوى وأولى .

فأما قوله: ﴿وَالْمُوفُونَ﴾ ، ففى رفعه وجهان :

أحدها أنْ يكون مرفوعاً على المدح ؛ لأنَّ النعتَ إذا طالَ وكَثر رُفِع بعضُه ، ونُصِبَ بعضُه على المدح ؛ ويكون المعنى : وهم الموفون بعهدهم، قال الزجّاج : وهذا أجودُ الوجهين.

والوجه الآخر أن يكونَ معطوفاً على ﴿مَنْ آمَنَ﴾ ، ويكون المعنى : ولكنّ ذا البرّ وذوِى البرِّ المؤمنون والموفون بعهدهم .

فأما نصب ﴿الصَّابِرِينَ﴾ ففيه وجهان :

أحدها المدْح ، لأن مذهَبهم فى الصفات والنعوت إذا طالتْ أن يعترضوا بينها[2] بالمدح أو الذم ، ليميِّزُوا الممدوح أو المذموم ويفردوه ، فيكون غيرَ متبع لأول الكلام ؛ من ذلك قولُ الخِرنِق بنت بدر بن هِفّان :

لا يَبْعَدَنْ قومى الّذِينَ هُمُ ... سَمُّ العُدَاةِ وآفةُ الجُزْرِ[3]
النَّازِلِينَ بكُلِّ مُعتَرَكٍ ... والطَّيِّبين مَعاقِدَ الأُزْرِ

فنصبتْ ذلك على المدح ، وربما رفعوها جميعاً ، على أن يتبع آخرُ الكلام أولَه ؛ ومنهم مَنْ ينصب « النازلين » ويرفع « الطيبين » ، وآخرون يرفعون « النازلين » وينصبون « الطيبين » ؛ والوجه فى النصب والرفع ما ذكرناه ، ومن ذلك قول الشاعر، أنشده الفراء :

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمامِ ... وليْثَ الكَتيبةِ فى المُزْدَحمْ
وذَا الرَّأْيِ حينَ تَغُمُّ الأُمورُ ... بذاتِ الصَّليلِ وذاتِ اللُّجُمْ

فنصب « ليث الكتيبة وذا الرأى » على المدح . وأنشد الفرّاء أيضاً :

---

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : «عنها» .

(٢) ش ، حاشية ت (من نسخة) : « فيها » . (٣) ديوانها : ١٢ ، واللآلئ ٥٤٨ ، ونوادر أبى زيد ١٠٨ ، والكامل – بشرح المرصفى ٦ : ١٥٨ .

فلَيتَ التى فيها النُّجومُ تَوَاضَعَتْ ... على كُلِّ غَثٍّ مِنهُمُ وَسَمِينِ
غُيوثُ الحَيَا فى كُلِّ مَحْلٍ ولَزْبَةٍ ... أُسُودُ الشَّرَى يَحْمِينَ كُلَّ عَرِينِ (١)

ومما نصب على الذم قوله :

سَقَوْنِى الخَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِى ... عُدَاةَ اللهِ مِنْ كَذِبٍ وزُورِ (٢)

والوجه الآخر فى نصب : ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ أن يكون معطوفاً على ذوى القربى ، ويكون المعنى : وآتى المال على/ حبه ذوى القربى والصابرين ؛ قال الزجّاج : وهذا لايصلح إلّا أن [٦٨ و] يكون ﴿والموفُونَ﴾ رُفِعَ (٣) على المدح للمضمَرِين ، لأن مافى الصلة لايعطَف عليه بَعْدَ العطف على الموصول ، وكان يقوى الوجه الأول .

وأما توحيد الذِّكْر فى موضع وجمعُه فى آخر ؛ فلِأن ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ لفظه لفظ الوَحْدة ، وإن كان فى المعنى للجميع (٤) فالذِّكْر الذى أتى بعدَه موحَّداً أُجْرِىَ على اللفظ، وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى: ﴿ وَالْمُوفُونَ ﴾، ﴿ وَالصَّابِرِينَ ﴾ فعلى المعنى .

وقد اختلفتْ قراءة القرّاء (٥) السبعة فى رفع الراء ونصبها من قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ ﴾، فقرأ حمزة وعاصم فى رواية حفص ﴿ لَيْس الْبِرَّ ﴾ بنصب الراء ، وروى هُبَيْرَةُ عن حفص عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع ، وقرأ الباقون بالرفع ، والوجهان جميعاً حسنان ؛ لأنّ كلّ واحد من الاسمين : اسم ليس وخبرها معرفة ، فإذا اجتمعا فى التعريف

(١) اللزبة : الشدة ، والشرى : مأسدة بناحية الفرات . (٢) البيت لعروة بن الورد ، ديوانه : ٤٨ ؛ وهو فى (الكتاب ١ : ٢٥٢) ؛ من أبيات يصف فيها ما كان من فعل قوم امرأته حين احتالوا عليه وسقوه الخمر ؛ حتى أجابهم إلى مفاداتها ؛ وكانت سبية عنده ؛ (وانظر الخبر والأبيات فى الأغانى ٣ : ٧٥ـ٧٧ ـ طبعة دار الكتب المصرية) . (٣) ش ، وحاشية ت (من نسخة) « رفعا » . (٤) من نسخة بحاشيتى ت ، الأصل : « للجمع » .

(٥) ت : « القرأة » .

تكافأا فى جواز كون أحدهما اسما والآخر خبراً ؛ كما تتكافأ النكرات[1] .

وحجة مَنْ رفع «البرُّ» أنه: لأنْ يكون «البرُّ»[2] الفاعلَ أولى ؛ لأنّه ليس يشبه الفعل ، وكونُ الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده ؛ ألا ترى أنك إذا قلتَ: قام زيد ، فإن الاسم يَلِى الفعل . وتقول : ضرب غلامَه زيدٌ ، فيكون التقدير فى الغلام التأخير ، فلولا أن الفاعل أخصُّ بهذا الموضع لم يجز هذا ؛ كما لم يجزْ فى الفاعل: ضرب غلامُه زيداً، حيث لم يجز فى الفاعل تقديرُ التأخير ؛ كما جاز فى المفعول به ، لوقوع الفاعل موقعَه المختص به .

وحجة مَنْ نصب ﴿ الْبِرّ ﴾ أن يقول : كون الاسم أن وصلتها أَوْلَى لشَبَهها بالمضمر فى أنها لا توصف ، كما لا يوصف المضمر ؛ فكأنه اجتمع مضمرٌ ومظهر ؛ والأَولَى إذا اجتمعا أن يكون المضمرُ الاسم من حيث كان أذهبَ فى الاختصاص من المظهر .

* * *

حدثنا أبو القاسم عُبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جَنيقا الدقاق قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمىّ الكاتب قراءةً عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوىّ ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابىّ قال قال ابن الكلبىّ : لمّا كان بعدَ يوم الهَباءة جاوز قَيْس ابن زهير النَّمرِ بن قاسط فقال لهم : إنى / قَدْ جاورتُكم واخترتُكم ، فزوّجونى امرأةً قد [٦٨ ظ] أدَّبها الغِنى ، وأذلّها الفقر ، فى حَسَب وجمالٍ ؛ فزوّجوه ظَبْية بنت الكَيِّس النَّمرِىّ . وقال لهم : إنّ فىّ خلالًا ثلاثاً ؛ إنى غيورٌ ، وإنى فَخورٌ ، وإنى أنِف ، ولست أفخَر حتى أبْدَأ ، ولا أغار حتى أرى ، ولا آنف حتى أظْلَم .

فأقام فيهم حتى وُلِد له ، فلما أراد الرحيل عنهم قال : إنى موصيكم بخِصال ، وناهيكم عن خِصال ؛ عليكم بالأَناة ، فإن بها تُنال الفرصة، وتَسْويدِ من لاتعابون بتسويده ، وعليكم بالوفاء ؛ فإنّ به يعيش الناسُ، وبإعطاء مَنْ تريدون إعطاءه قبْل المسألة ، ومَنْعِ مَنْ تريدون

---

(١) حاشية ت : « لايجوز أن يكون اسم ليس وخبرها نكرتين ؛ فلا أدرى كيف يتكافأان ! ولعله يريد التكافؤ فى غير هذا الموضع » . (٢) ت : « الاسم » .

منعه قبل الإلحاح ، وإجارَة الجار على الدهر ، وتنفيسِ المنازل عن بيوت الأيامَى[١] ، وخلْطِ الضَّيف بالعيال ؛ وأنهاكم عن الرِّهان؛ فإنّ[٢] به ثَكِلْتُ مالِكاً أخى ، والبغىِ ، فإنّه قتل زهيراً أبى ، وعن الإعطاء فى الفُضول فتعجِزوا عن الحقوق ، وعن الإسراف فى الدِّماء ، فإنّ يوم الهَباءَة أَلزمنى العارَ حَقَّه ، ومنع[٣] الحُرَم إلّا من الأكفاء ؛ فإن لم تصيبوا لها[٤] الأكفاءَ فإن خيرَ مناكحها القبور ، أو خيرَ منازلها؛ واعلموا إنى كنت ظالماً مظلوماً ؛ ظلمنى بنو بدر بقتلِهم مالِكاً أخى ، وظلمتهم بأنْ قتلت مَنْ لا ذنب له .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوّه : أما قوله : « أنهاكم عن الرِّهان » فأراد المراهنة فى سِباق الخيل ، وذلك أنَّ قَيس بن زهير راهن حُذيفةبن بدر الفَزارىّ على فرَسَيْه : داحِسٍ والغبراء ، وفرسىْ حُذيفة : الخطَّار والحنْفاء ــ وقال بعضُ بنى فَزارة : بل قُرْزُل والحنْفاء ــ وكان قيسٌ كارهاً لذلك ؛ وإنما هاجه بينهما بعضُ بنى عبد الله بن غَطفان ــ وقيل : بل رجل من بنى عبس ــ والخبر فى شرح ذلك مشهور[٥]؛ ثم وقع الاتفاق على السِّباق، وجعلوا الغاية من وارداتٍ[٦] إلى ذات الإصاد[٧] ، وجعلوا القَصَبة[٨] فى يد رجل من بنىثَعْلبة بن سعد، يقال له حُصين ، وبيد رجل من بنى العُشَراء من بنى فَزارة ، وملئوا البركة ماءً ، وجعلوا السابقَ أوّلَ الخيل يكْرَعُ فيها . ثم إنحُذَيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المَدَى الذىأرسلتِ الخيل منه[٩] ينظران إليها وإلى خروجها ؛ فلما أُرْسِلَتْ عارضاها ، فقال حذيفة : خدعتُك

(١) حاشية ت (من نسخة) : « اليتامى » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « فإنى » ، (٣) حاشية ت (من نسخة) : « وعليكم بمنع الحرم » . (٤) حاشية ت (من نسخة) « لهن » . (٥) هو خبر الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء ؛ وهى تشمل يوم المريقب ، ويوم ذى حسا ، ويوم اليعمرية ، ويوم الهباءة ، ويوم الفروق ، ويومقطن ، ويوم غدير قلهى ، وانظر تفصيل الخبر وما قيلفيهمن الشعر فى (العقد ٥ : ١٥٠ــ١٦٠ ، والأغانى ١٦ : ٢٣ــ٣٢ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٣٠٦ــ٣٠٨ ، وشرحديوان الحماسة للتبريزى ١ــ٣٩٧ــ٣٩٨ ، ٣ : ٣٤ــ٤٢، وابنالأثير ١ : ٣٤٣ــ٣٥٥ ، ومجمع الأمثال ٢ : ٥١ــ٦١ ، وسرحالعيون ٨٩ــ٩١ ومعجم البلدان ــ إصاد ، هباءة، وشرحالنقائض٨٣ــ١٠٨) . (٦) واردات : موضع عن يسار طريق مكة .(٧) ذات الإصاد : ردهة فى ديارعبس. (٨) حاشية ت (مننسخة) : « الفضية »وهو تحريف(١) حاشيةالأصل (مننسخة) : «فيه»

ياقيس ، فقال قيس : « تَرْكُ الخِداعِ مَنْ أجرى من مائة » ؛ يعنى من مائة غلوة ، فأرسلها مثلا ، ثم / ركضا ساعة، فجعلت خيلُ حذيفة تتقدمُ خيلَ قيس ، فقال حذيفة : سُبِقْتَ [٦٩ و] يا قيس ؛ فقال قيس : « جَرْىُ المذكّيات غِلاب » ، فأرسلها مثلا ـ والمذكّيات : المسانُّ من الخيل(١) ـ وروى : «غِلاء» كما يُتغالى(٢) بالنَّبْل. ثم ركضا ساعة، فقال حُذَيْفة : إنك لا تركُضُ مَرْكضاً ، سُبِقَتْ خيلُك ؛ فقال قيس : « رُوَيْدَ يعلون الجَدَد » ، فأرسلها مثلا وروى : « يَعْدُون الجَدد » ، أى يتعدَّيْن الجَدَد إلى الوَعْث(٣) .

وقد كان بنو فزارة أكمنوا بالثَّنِيَّة كميناً لينظروا ؛ فإن جاء داحسٌ سابقاً أمسكوه وصدّوه عن الغاية ؛ فجاء داحسٌ سابقاً ، فأمسكوه، ولم يعرفوا الغبراء. وهى خلفه مُصَلِّية حتى مضت الخيلُ ، وأسهلَتْ من الثَّنِيّة، ثم أرسلوه فتمطّرَ(٤) فى آثارها، فجعل يبدُرها(٥) فرساً فرساً ، حتى انتهى إلى الغاية مصلِّياً(٦) ، وقد طَرَّح الخيلَ غيرَ الغَبْراء ، ولو تباعدت الغايةُ سَبَقها(٧) . فاستقبلتْها بنو فزارة فلطموها ، ثم حَلَّئوها(٨) عن البِرْكة ، ثم لطموا داحساً ، وقد جاءا متواليَيْن ، ثم جاء حُذيفة وقيس فى آخر الناس ، وقد دفعتْهم بنو فزارة عن سبْقهم ، ولطموا فرسيْهم(٩) ، وجرى من الخُلْف فى أخذ السبق ماقد شرحتْه الرواة .

وقد قيل فى بعض الروايات : إن الرهان والسَّبْق(١٠) كان بين حَمَل بن بدر وبين قيس، وفى ذلك يقول قيس :

---

(١) أى أن المذكى يغالب مجاريه فيغلبه لقوته، وفى مجمع الأمثال (١ : ١٤٤): « يجوز أن يراد أن ثانى جريه أبداً أكثر من باديه وثالثه أكثر من ثانيه ؛ فكأنه يغالب بالثانى الأول وبالثالث الثانى ؛ فجريه أبداً غلاب » . (٢) حاشية الأصل : « المغالاة : الرمى فى الهواء » .

(٣) الجدد : الأرض الصلبة ، والوعث : السهلة . (٤) يقال : تمطرت الخيل إذا ذهبت مسرعة .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « يندرها » ، أى يسقطها .

(٦) المصلى من الخيل : التالى للسابق . (٧) ت : « لسبقها » .

(٨) حلئوها عن البركة ؛ أى منعوها من ورد الماء . (٩) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « فرسيهما » . (١٠) ش ، ونسخة بحاشية الأصل : « السباق » .

كَما لاقَيتُ مِنْ حَمَلِ بنِ بَدْرٍ وإخوَتهِ على ذاتِ الإصادِ
هُمُ فَخَرُوا علىَّ بغيْرِ فَخْرٍ ورَدُّوا دُونَ غايَتهِ جَوادِى
وقدْ دَلَفُوا إلىَّ بفِعْلِ سَوْءٍ فألْفَوْنِى لهُمْ صَعْبَ القِيادِ[1]
وكُنتُ إذَا مُنِيتُ بخَصْمِ سَوْءٍ دَلَفْتُ لهُ بداهِيَةٍ نآدِ[2]

ثم إن قيساً أغارَ على عوْف بن بدر فقتله وأخذ إبله ، فبلغ ذلك بنى فَزارة فهمُّوا بالقتال، فحمل الربيع بن زياد العبسىّ دِيَةَ عوف، مائةَ عُشَراءَ مُتْلِيَة[3] .

ويقال إن قيساً قتل ابناً لحُذَيْفَة، يقال له مالك، وأن حذيفة كان أرسله إليه يطلبُ منه السَّبَق[4]، فطعنه فدقّ صُلبَه ، وإن الربيع بن زياد حمل ديته مائة عُشَراء ، فسكن الناس عن القتال .

[٦٩ ظ] ثم إن مالك بن زهير نزل موضعاً يقال له اللُّقَّاطة[5] / قريبا من الحاجر ، ونكح امرأة يقال لها مُلَيْكة بنت حارثة، من بنى غراب من فَزارة ، فبلغَ ذلك حذيفة بن بدر ، فدسَّ إليه فُرساناً فقتلوه ، وكان الربيع بن زياد العبسىّ مجاوراً لحُذيفة بن بدر، وكانت تحت الربيع مُعاذة بنت بدر ، فلما وقف على الخبر قال :

نامَ الخَلِىُّ وما أُغمِّضُ[6] حارِ مِنْ سَيِّئِ النبأِ الجَليلِ السَّارِى
مِنْ مِثْلِه تُمسِى النِّساءُ حَواسِراً وتَقُومُ مُعْوِلَةً معَ الأسْحارِ[7]

---

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الدلوف : تقارب الخطو ؛ مثل مشى الشيوخ ؛ ولا يستعمل إلا فى الذم » .
(٢) نآد: صعبة .
(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « العشراء : الناقة التى يأتى على حملها عشرة أشهر ؛ فتكون أقوى بولدها ؛ وجمعها : عشار . ومتلية ؛ أى تتلوها أولادها » .
(٤) السبق : المال المخاطر عليه .
(٥) اللقاطة : موضع قريب من الحاجر ؛ من منازل بنى فزارة ذكره ياقوت ؛ وقال إنه قتل فيه مالك بن زهير .
(٦) رواية الحماسة : « لم أغمض » ، والغماض : النوم بعينه .
(٧) م : « تمشى » ؛ قال التبريزى : « وتمسى أجود ؛ لأن طبقه : « وتقوم معولة مع الأسحار » ؛ فكأنه قال : « تمسى حواسر وتصبح بواكى » ، « وحواسرا » ؛ أى يأتى عليهن المساء وقد طرحن خمرهن فعل النساء يصبن بكبار قومهن.

مَنْ كانَ مَسرُوراً بِمَقتَلِ مالكٍ   فَلْيأْتِ نِسْوَتَنا بوَجْهِ نَهارِ (١)
يَجِدِ النِّساءَ حَواسِراً يَنْدُبْنَهُ   يَضرِبْنَ أَوْجُهَهُنَّ بالأحجارِ (٢)
قدْ كُنَّ يَخبأْنَ الوُجُوهَ تَسَتُّرًا   فاليومَ حينَ بَدَوْنَ لِلنُّظَّارِ (٣)
أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مالكِ بنِ زُهَيرٍ   تَرْجُو النِّساءُ عَواقِبَ الأَطهارِ (٤)
ما إنْ أَرَى فى قتلِهِ لِذَوِى الحِجَى   إلاَّ المَطيَّ تُشَدُّ بالأَكوارِ (٥)
ومُجنَّباتٍ ما يَذُقْنَ عَذُوفةً   يَقْذِفْنَ بالمُهَراتِ والأَمْهارِ (٦)
ومَساعِراً صَدَأُ الحَدِيدِ عليهِمُ   فكأَنَّما طُلِىَ الوُجوهُ بِقَارِ (٧)

* * *

فأما مقتل زُهَيرِ بنِ جَذِيمةَ العبسىّ أبى قيس، فاختلفت الرواةُ فى سببه، فيقال إن هَوازن

(١) حواشى الأصل، ت، ف: « نقد عليه ذكر الإتيان مع النسوة »؛ ورواية المرزوقى فى الحماسة: « فليأت ساحتنا »، قال: وأكثر من رأيناه يروى: « فليأت نسوتنا »؛ ورأيت الأستاذ الرئيس أبا الفضل بن العميد يقول: إنى لأتعجب من أبى تمام مع تكلفه رم جوانب مايختاره من الأبيات، وغسله من درن الألفاظ، كيف ترك تأمل قوله: « فليأت نسوتنا »؛ وهذه لفظة شنيعة »: ووجه النهار: صدره. (٢) ت: « بالأسحار »، وهى رواية الحماسة، وفى ف ونسخة بحاشية الأصل: « بالأسيار ».

(٣) ف، ونسخة بحاشيتى الأصل، ت: « برزن »؛ وهى رواية الحماسة. ت: « قد أبرزن ».

(٤) المراد بعواقب الأطهار مراجعة الأزواج إلى أزواجهن بعقب أطهارهن؛ وفى حواشى الأصل، ت، ف، تعليقا على قوله: « زهير »، بإسكان الياء: « جعل عروض الضرب الثانى من الكامل مقطوعة، وردها من متفاعلن إلى فعلاتن »؛ وهذا الحذف يسميه المتأخرون القطع، وسماه الخليل الإقعاد؛ وسماه ابن قتيبة الإقواء؛ لأنه نقص من عروضه قوة، (وانظر العمدة ١ : ٩٤، والشعر والشعراء ٤٣، وشروح سقط الزند ١١٤٦). (٥) رواية الحماسة ــ بشرح التبريزى: « لذوى النهى ». وتشد بالأكوار، أى تشد عليها الأكوار. (٦) المجنبات هنا: الخيل تجنب إلى الإبل فى الغزو. والعذوف والعذوفة أدنى مايؤكل، ورواية الحماسة: « عذوفا »، والمهرات: جمع مهرة؛ قال التبريزى فى معنى البيتين: « ماأرى فى قتل مالك بن زهير رأيا لذوى العقول؛ إلا أن تركب الإبل وتجنب الخيل، ويسار بها سيرا عنيفا؛ حتى ترمى أجنتها، فتبلغ بنا إلى عدونا، فنغير عليهم، ونسفك دماءهم ».

(٧) المساعر: جمع مسعر، والمسعر: هو الشجاع؛ كأنه آلة فى إسعار الحرب وإيقادها؛ وصدأ الحديد آت من اتصالهم بالدروع ولبسها.

ابن منصور كانت تؤتى الإتاوة زهيرَ بن جَذِيمة ، ولم تَكْثُرْ عامر بن صعصعة بَعْد ، فهم أذلُّ من يدٍ فى رحمٍ ، فأتت عجوز من هوازن زهيرَ بن جَذِيمة بسَمْنٍ فى نِحْى ، واعتذرت إليه وشكَت السنين اللّواتى تتابعت على الناس، فذاقه فلم يرضَ طعمَه، فدعَّها — أى دفعها — بقوس فى يده عُطُل(١) ، فى صدرها ، فسقطت فبدَتْ عورتُها ، فغضبت من ذلك هَوازن، وحقَدته إلى ما كان فى صدرها(٢) من الغيظ، وكانت يومئذ قد أَمِرَتْ بنو عامر بن صعصعة — أى كثرت — فآلى جعفر بن كلاب فقال : والله لأجعلنّ ذراعى هذه وراء عنقه(٣) حتى أُقتَل أو يُقتَل(٤)؛ وفى ذلك يقول خالد بن جعفر :

أرِيغُونى إراغَتَكُمْ فإنى ... وحَذْفَةَ كالشَّجَى تَحْتَ الوَرِيدِ(٥)

[٧٠ و] مُقَرَّبَةً أُواسيها بنَفْسى ... وأُلْحِفُها رِدَائِىَ فى الجَليدِ

لَعَلَّ اللهَ يُمْكِنُنى عليهـا ... جِهارًا مِنْ زُهَيْرٍ أو أَسِيدِ

فإمَّا تثقفونى فاقتُلونى ... فَمَنْ أَثقَفْ فلَيسَ إلى خلودِ(٦)

ويقال بل كان السبب فى ذلك أن زهيْر بن جَذِيمة لما قتَل فى غَنِىّ مَنْ قتَل بابنه شَأس وافَى عُكاظ ، فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب — وكان حَدَثًا — فقال : يا زهير ، أما آن لك أن تَشْتَفِى وتكف ! — يعنى مما قتل بشأس — فأغلظ له زهير وحقره ، فقال خالد : اللهم أمكِنْ يدى هذه الشعراء القصيرة من عُنق زهير بن جَذيمة ، ثم أعنّى عليه ، فقال زهير : اللهم أمكنْ يدى هذه البيضاء(٧) الطويلة من عنُق خالد، ثم خلِّ بيننا ، فقالت قريش : هلكت

(١) قوس عطل : لاوتر عليها . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « صدورها » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « من وراء » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « أو أقتله » . (٥) أريغونى ؛ أى اطلبوا إلى ، والشجا : مااعترض فى الحلق من عظم وغيره . وفى حاشيتى ت ، ف : « حذفة : اسم فرس خالد ؛ وذكره الجوهرى فى صحاح اللغة ، ويتخيل للناظر فيه أن يكون معنى حذفة حذيفة بن بدر وقوله : « كالشجا تحت الوريد » شبه نفسه بالشجا ، وجعل حذفة كالوريد ؛ و « مقربة » فى البيت الثانى مفعول « اريغونى » فرسا مقربة والله أعلم » . (٦) إما تثقفونى ؛ أى إما تصادفونى؛ وفى اللسان : ثقفته ثقفا ؛ أى صادفته ؛ وأنشد :

فإمّا تَثْقفُونِي فَاقْتُلُونِي ... فإنْ أَثْقَفْ فسوفَ تَرَوْنَ بالِي

(٧) ت : « الشماء » .

واللهيازهير ، قال: أنتم والله الذين لا عِلْمَ لهم . ثم أجمع خالد بن جعفر على قَصْد زُهير و قَتْله .

واتفق نزولُ زهير بالقرب من أرض بني عامر ، وكانت تُماضر بنت عمرو بن الشَّريد امرأةَ زهير بن جَذيمة وأمولده ، فمرَّ به أخوها الحارث بن عمرو بن الشريد، فقال زهير لابنَيه: إنّ هذا الحار لَطليعةٌ عليكم فأوثقوه، فقالت أخته لابنَيها : أيزوركم خالُكم فتوثقونه؟ وقالت تماضر لأخيها الحارث بن عمرو بن الشريد : إنه[1] ليريبُنى اكْبِئنانك وقُروتُك ــ والاكبئنان الغمّ ، والقروت[2] السكوت ــ فلا يأخذنّ فيك ما قال زهير ، فإنه رجل بَيْذارة غَيْذارة شَنُوءة . ــ قال الأثرم : البيْذارة : الكثير الكلام ، والغيْذارة : السَّيّء الخلق ــ ثم حابوا له وطبًا ، وأخذوا عليه يمينًا ألاّ يُخبر[3] عليهم ، ولا يُنْذِر بهم أحدًا ؛ فخرج الحارث حتى أتى بني عامر ، فقعد إلى شجرة يجتمع إليها بنو عامر ، وألْقَى الوطبَ تحتها والقوم ينظرون ، ثم قال : أيتها الشجرة الذليلة ، اشربي من هذا اللبن ، وانظرى ما طعمه . فقال قوم : هذا رجل مأخوذ عليه . وهو يخبركم خبرا ، فذاقوا اللبن فإذا هو حلوٌ لم يقرُص بعد ، فقالوا : إنه يخبرنا أن مطلبنا قريب ، فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة ، وكان راكبا فرسه حذْفة ، فلقوا زهيرا ، فاعتنق خالد زهيرا ، وخرّا عن فرسيهما ، ووقع خالد فوق زهير ونادى : يابنى عامر ، اقتلونى والرجل، واستغاث زهير ببَنيه ، فأقبل إليه ورقاء بن زهير يشدّ[4] بسيفه، فضرب خالدا ثلاث ضربات ، فلم تُغْنِ شيئا ، وكان على خالد دِرْعان قد ظاهر بينهما ، ثم ضرب جُندج رأس زهير فقتله ، ففى ذلك يقول وَرْقاء بن زهير :

رأيتُ زُهَيْرًا تحتَ كَلْكَلِ خَالِدٍ ... فأقبَلْتُ أسعَى كالعَجُولِ أبادِرُ[5]
[إلَى بطَلَيْن يَنهضان كِلاَهمـا ... يُريدان نَصْلَ السَّيْفِ والسيفُ داثِرُ][6] [٧٠] ظ

(١) ت : « إنى » . (٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « قرت الدم يقرت قروتا إذا مات تحت الجلد ؛ وقرت إذا تغير من حزن يصيبه ، والقروت : السكون » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « ألا يخبر عنهم » . (٤) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « يشدّ » . (٥) العجول من النساء والإبل : الواله التى فقدت ولدها .

(٦) تكملة من ت ، والأغانى ، والعقد .

فشَلَّتْ يَمِينى يومَ أضرِبُ خالِدًا ... ويَسْتُرُهُ مِنِّى الحَدِيدُ المُظاهِرُ[1]
فيالَيْتَ أنى قَبْلَ[2] ضربةِ خالِدٍ ... ويومَ زُهَيْرٍ لمْ تَلِدْنى تُماضِرُ!

***

فأما خبر الهَباءة فإن بنى عبس وبنى فَزارة لما التقوا إلى جَنْب جَفْر الهباءة[3] فى يوم قائظ، فاقتتلوا — ولخبرهم شرح طويل معروف — استجار حُذيفة ومَنْ معه بجَفْر الهباءة ليتبرد[4] فيه، فهجم عليه القوم، فقال حذيفة يابنى عبس، فأين العَوْد[5]؟ وأين الأحلام؟ فضرب حَمَل بن بدر بين كتفيه وقال: «اتق مأثور القول بعد اليوم»، فأرسلها مثلا، وقتل قِرْواش ابن هُنَىٍّ حذيفة بنَ بدر، وقتل الحارثُ بن زهير حَمَلا، وأخذ منه ذا النون، سيف مالك بن زهير أخيه، وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل، فقال قيس فى ذلك:

تَعلَّمْ أنَّ خيرَ النَّاسِ مَيْتٌ ... على جَفْرِ الهَباءَةِ لاَ يَرِيمُ
ولوْلَا ظُلْمُهُ ما زِلْتُ أبكِى ... عليهِ الدهرَ ما طَلَعَ النُّجومُ
ولكِنَّ الفتى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ ... بَغَى والبَغْىُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ[6]
أظُنُّ الحِلْمَ دَلَّ علىَّ قَوْمى ... وقدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الحَلِيمُ
ومارَسْتُ الرِّجالَ ومارَسُونى ... فمُعْوَجٌّ علىَّ ومُسْتَقِيمُ

وقال قيس أيضاً:

شَفَيْتُ النفْسَ منْ حَمَلِ بنِ بَدْرٍ ... وسيفى مِنْ حُذَيْفَةَ قدْ شَفانى
فإنْ أكُ قدْ بَرَدْتُ بهم غَليلى ... فلَمْ أَقطعْ بهمْ إلّا بَنانى[7]

---

(١) العقد، ونسخة بحواشى الأصل، ت، ف، : «ويمنعه». ويراد بالحديد هنا الدرع؛ ويقال: ظاهر الدرع؛ إذا لأم بعضها على بعض.
(٢) حاشية ت (من نسخة): «يوم ضربة خالد».
(٣) الهباءة: أرض فى بلاد غطفان؛ وجفر الهباءة: مستنقع فيها.
(٤) حاشية ت (من نسخة): «ليبترد».
(٥) حاشية الأصل: «يقال سودد عود، أى قديم».
(٦) حاشية الأصل (من نسخة): «مصرعه خيم».
(٧) حاشية ت من نسخة: «شفيت بهم»، وروى ياقوت بعد هذا البيت:

فلا كانتِ الغبْرا ولا كان داحسٌ ... ولا كانَ ذاكَ اليومُ يومَ دَهانِي

مجلس آخر [١٠]

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً/ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾؛ [البقرة : ١٧١]. [٧١ و]

فقال : أىُّ وجهٍ لتشبيهِ الذين كفروا بالصائح[١] بالغنم ، والكلامُ يدلُّ على ذمِّهم ووصفِهم بالغفْلة وقِلّة التأمل والتمييز ، والنَّاعِقُ بالغنم قد يكونُ مميِّزًا متأمِّلا مُحصِّلا ؟

يقال له فى هذه الآية خمسةُ أجوبة :

أولها أن يكون المعنى : مَثلُ واعظِ الذين كفروا والداعى لهمْ إلى الإيمان والطاعة كمَثَل الراعى الذى ينعِق بالغنم وهى لا تعقِلُ معنى دعائه ، وإنما تسمعُ صوتَه ولا تفهم غرضَه ؛ والذين كفروا بهذه الصِّفة لأنهم يسمعون وعظَ النبى صلى الله عليه وآله ودعاءه وإنذارَه فينصرفون[٢] عن قبول ذلك ، ويُعْرِضون عن تأمّله ، فيكونون بمنزلة مَنْ لم يعقلْه ولم يفهمْه ؛ لاشتراكهما فى عدم الانتفاع به . وجائز أن يقومَ قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مقامَ الواعظ والداعى لهم ؛ كما تقول العرب : فلان يخافك خوفَ الأسد ؛ والمعنى كخوفه[٣] الأسد ، فأضافَ الخوفَ إلى الأسد وهو فى المعنى مضاف إلى الرجل ، قال الشاعر :

فلَسْتُ مُسَلِّمًا ما دُمْتُ حَيًّا ... على زَيدٍ بتَسْليمِ الأَميرِ

أراد بتسليمى على الأميرِ ، ونظائرُ ذلك كثيرة .

والجواب الثانى أن يكونَ المعنى : ومثَلُ الذين كفروا كمثل الغنمِ التى لا تفهم نِداءَ الناعق ، فأضاف الله تعالى المَثل الثانى إلى الناعق ؛ وهو فى المعنى مضافٌ إلى المنعوق به ،

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « الناعق » ، وفى ت : « الصائح : الناعق »
(٢) حاشية ت (من نسخة) : « فيضربون » . (٣) م : « كخوفه من الأسد » .

على مذهب العرب فى قولها : طلعتِ الشِّعرى ، وانتصب العُود على الحِرْباء(١) ، والمعنى وانتصب الحِرْباء على العُود ؛ وجاز التقديم والتأخير لوضوح المعنى ؛ وأنشد الفرّاء :

إنَّ سِراجاً لَكريمٌ مَفْخَرُهْ ... تَحْلَى بهِ العيْنُ إذا ما تَجْهَرُهْ(٢)

معناه يَحْلَى بالعين ؛ فقدَّم وأخَّر . وأنشد الفراء أيضاً :

كانتْ فَريضَةُ ما تقولُ كما ... كانَ الزِّناءُ فَريضَةَ الرَّجْمِ

المعنى كما كان الرَّجم فريضة الزنا ، وأنشد أيضاً :

وقدْ خفْتُ حتَّى ما تَزِيدُ مَخافتى ... على وَعِلٍ فى ذِى المَطارَةِ عاقِلِ(٣)

[٧١ ظ] /أراد ما تزيد مخافة وعِلٍ على مخافتى ، ومثله :

* كأنَّ لَوْنَ أرْضِه سَماؤُهُ(٤) *

أراد كأنّ لون سمائه أرضه ، ومثله :

تَرَى الثَّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ ... وسائرُهُ بادٍ إلى الشَّمْسِ أجْمَعُ(٥)

أراد مُدخِل رأسه الظلّ ، وقال الراعى :

فصَبَّحَتْهُ كِلابُ الغَوْثِ يُؤْسِدُها ... مُسْتَوْضِحُون يَرَوْنَ العَيْنَ كالأثَرِ(٦)

يريد أنهم يرون الأثر كالعين ؛ وقال أبو النجم :

(١) الحرباء : حيوان كالعظاءة ؛ يدور مع الشمس . (٢) يقال حلى فلان بعينى وفى عينى إذا أعجبك ؛ والبيتان فى اللسان (حلا) ، وفى م : « تجلى » ، تصحيف .

(٣) البيت للنابغة، وقد مر ذكره ص٢٠٢ ، وانظر ما سبق فى تفسيره . (٤) الرجز لرؤبة ، وقبله : * ومهمه مغبرة أرجاؤه * (٥) البيت من شواهد (الكتاب ١ : ٩٢) ؛ قال الأعلم : « الشاهد فيه إضافة مدخل إلى الظل ، ونصب الرأس به على الاتساع والقلب ، وكان الوجه أن يقول : مدخل رأسه الظل ؛ لأن الرأس هو الداخل فى الظل ، والظل المدخل فيه ؛ وهو وصف هاجرة قد ألجأت الثيران إلى كنسها ، فترى الثور مدخلا لرأسه فى ظل كناسه لما يجد من شدة الحر ، وسائره بارز للشمس » . (٦) يذكر ثورا ، والغوث : قبيلة من طيء ، ويؤسدها : يغريها ؛ ومستوضحون : صيادون ينظرون : هل يرون شيئا ؛ يقال استوضح الرجل ، إذا نظر ليرى شبحا أو أثرا ، يريد أن أثر الصيد عندهم إذا رآه يكون بمنزلة الصيد نفسه لا يخفى عليهم . (وانظر معانى الشعر لابن قتيبة ٧٤٢ ، ١١٩٣) .

* قَبْـلَ دُنُوِّ الأُفْقِ مِنْ جَوْزَائِه *

فقلَب ، وقال العباس بن مرداس :

فدَيْتُ بنَفْسِهِ نَفْسى ومالى ولا آلوهُ إلّا ما يُطيقُ

أراد فديت بنفسى نفسَه ، وقال ابن مقبل :

ولا تَهَيّبُنى المَوْمَاةُ أرْكَبُها إذَا تجاوَبَتِ الأصداءُ بالسَّحَر[١]

أراد لا أتهيّب الموماة ؛ وهذا كثير جدًّا[٢] .

والجواب الثالث أن يكون المعنى : ومثل الذين كفروا ومثلُنا، أو مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذى ينعِق ؛ أى مثلُهم فى الإعراض ومثلُنا[٣] فى الدعاء والتنبيه والإرشاد كمثل الناعق بالغنم ، فحذف المثل الثانى اكتفاء بالأول ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ ؛ [النحل : ٨١] ، أراد الحر والبرد ، فاكتفى بذكر الحر من البرد ، وقال أبو ذؤيب :

عَصيتُ إليها القَلْبَ إنى لأمْرِها مُطيعٌ فما أدْرِى أرُشْدٌ طِلابُها[٤]

أراد أرشدٌ أم غىّ ، فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر .

والجواب الرابع أن يكون المراد : ومثَلُ الذين كفروا فى دعائهم للأصنام التى يعبدونها من دونِ الله وهى لا تعقِل ولا تفهم ، ولا تضرّ ولا تنفع كمثَل الذى ينعِق دعاء ونداء بما

---

(١) معانى ابن قتيبة ١٢٦٤ ، واللسان — هيب ؛ يقال: تهيبنى الشىء بمعنى تهيبته أنا ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت . والموماة : المفازة ؛ والأصداء : جمع صدى ؛ وهو البوم .

(٢) حاشية ت : « ومن المقلوب قوله تعالى : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ ، وإنما هو : تنوء العصبة بها ، وقوله سبحانه : ﴿ ولاتَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾؛ يريد مخلف رسله وعده ؛ وإنما جرى القلب فى كلام العرب اتساعا فى الظاهر ؛ لأن المعنى فيه لايشكل » .

(٣) د ، حاشية ت (من نسخة) : « ومثلك » .

(٤) ديوان الهذليين ١ : ٧١ ؛ والروايه فيه :

عَصَانِى إلَيْهَا القَلْبُ إنِّى لِأَمْرِهِ سَمِيعٌ فما أدْرِى أرُشْدٌ طِلَابُهَا

لا يسمع صوتَه جملة ، والدعاء والنداء على هذا الجواب ينتصبان بينعِق ، وإلّا توكيدللكلام؛ ومعناها الإلغاء ؛ قال الفرزدق :

[٧٢ و] هُمُ القومُ إلّا حيثُ سَلُّوا سُيوفَهُمْ وضَحَّوْا بلَحْمٍ مِنْ مُحِلٍّ ومُحرِمِ [1]

والمعنى : هم القوم حيث سلّوا سيوفهم .

والجواب الخامس أن يكون المعنى : ومثَل الذين كفروا فى دعائهم الأصنام [2] وعبادتِهم لها واسترزاقِهم إياها كمثلِ الرّاعى الذى ينعِق بالغنم ويناديها ؛ فهى تسمع دعاءه ونداءه ولا تفهم معنى كلامه ، فشبّه مَنْ يدعوه الكفار من المعبودات دون الله جلّ اسمه بالغنم ، من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ، ولا نفعَ عندها فيه ولا مضرّة .

وهـذا الجواب يقارب الذى قبله ، وإن كانت بينهما مزيّة ظاهرة ؛ لأن الأولَ يقتضى ضربَ المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة ، ويجب أن يكون مصروفاً إلى غير الغنم وما أشبهها مما يسمَع وإن لم يفهمْ . وهذا الجواب يقتضى ضربَ المثل بما يسمع الدعاء والنداء وإن لم يفهمهما ، والأصنام من حيث كانت لا تسمع النداء [3] جملة يجب أن يكون داعيها ومناديها أسوَأَ حالًا من منادى الغنم . ويصحّ أن يصرف إلى الغنم وما أشبهها مما يشارك فى السماع ، ويخالف فى الفهم والتمييز .

وقد اختلف الناس فى ﴿ يَنْعِقُ ﴾ فقال أكثرهم : لا يقال نعَق ينعِق إلّا فى الصّياح بالغنم وحدَها ؛ وقال بعضهم نعَق ينعِق بالغنم والإبل والبقر ؛ والأول أظهر فى كلام العرب؛ قال الأخطل :

فانعِقْ بضأْنِكَ يا جَرِيرُ فإنَّما مَنَّتْكَ نفْسُكَ فى الخَلَاءِ ضَلَالا [4]

(١) ديوانه ٢ : ٧٦٠ ، وفى ت ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « حين » ، وفى حاشية الأصل أيضا : « نظير هذا فى مورد « إلا » للتوكيد دون الاستثناء قولهم : « أسألك إلا غفرت لى » .

(٢) م : « للأصنام » .

(٣) ت : « الدعاء والنداء » ، ف : « الدعاء » .

(٤) ديوانه : ٥٠

ويقال أيضاً: نَعَق الغراب ونَغَق؛ بالغين المعجمة؛ إذا صاح من غير أن يمدّ عنقه ويحركها؛ فإذا مدها وحرّكها ثم صاح قيل: نعَب ، ويقال أيضاً : نَعَب الفرس ينعَب وينعِب نَعْباً ونعيباً ونَعَباناً ، وهو صوته ؛ ويقال : فرسٌ مِنْعَبٌ ، أى جواد ، وناقة نعّابة؛ إذا كانت سريعة .

تأويلُ خبر

رُوِىَ أن النبى صلى الله عليه وآله خرَج مع أصحابه إلى طعام دُعُوا إليه[1]؛ فإذا[2] بالحسين عليه السلام ، وهو صبىّ يلعب مع صبية فى السِّكّة ، فاسْتَنْتَل رسولُ الله صلى الله عليه وآله أمامَ القوم ، فطفِق الصبىُّ يفِرُّ مرّةً هاهنا ، ومرّة هاهنا ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يُضاحِكه ، [3]ثم أخذه[3] ، فجعل إحدى يديه تحت ذقَنِه ، والأخرى / تحت فأس رأسِه ، [٧٢ ظ] وأقنعَه فقبّله ، وقال : « أنا من حُسَيْنٍ وحسينٌ منّى ، أحبَّ اللهُ مَنْ أحبَّ حُسيناً ، حُسينٌ سِبْط من الأسباط» .

قال الشريف أدام الله علوّه : معنى استَنْتَل تقدّم ، يقال : استَنْتَل الرجلُ استِنْتالًا ، وابرنتأ ابرنتاءً[4]، وابرنْدَع ابرنداعاً؛ إذا تقدم ، هكذا ذكره ابنُ الأنبارىّ .

ووجدت بعضَ المتقدمين فى علم اللغة يحكِى فى كتابٍ له قال: تقول: " استنتلتُ الأمر استنتالا إذا استعددتَ له ، واستنتَل الرجلُ تفرّد من القوم ، ويقال : استنتَل أشرف " . والمعانى تتقارب ، والخبر يليق بكل واحد منها . وحكَى هذا الرجل الذى ذكرناه فى كتابه فى ابْرَنْتأ وابرندع أيضاً أنه من الاستِعْداد .

فأما السِّكّة ، فهى المنازل المصطفّة ، والنخل المصطف.

---

(١) ت ، د : « له » . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « تقول خرجت فإذا زيد على الطريق ؛ إذا بمعنى الوقت؛ والتقدير : خرجت والوقت وقت حضور زيد على الطريق ؛ وكذلك أكرمك إذ أنت صديقى ؛ ليست إذ لما مضى من الزمان ؛ بل هى تعليلية ، والتقدير : أكرمك لأنك صديقى » .

(٣–٣) ساقط من م . (٤) س : « ابرنتأ » .

ومعنى طفِق ما زال ، قال الشاعر :

طَفِقَتْ تَبكى وأُسْعِدُها فكلانا ظاهرُ الكَمَدِ[1]

وفأسُ الرأس : طرف القَمَحْدُوَةِ[2] المشرف على القفا .

ومعنى «أقنعه» رفعه ، هكذا ذكرابنُ الأنباريّ . وقال غيرُه : يقال أقنع ظهرَه إقناعاً إذا طأطأه ثم رفعه برفق .

فأما الأسباط فأصلها فى ولد إسحاق عليه السلام كالقبائل فى بنى إسماعيل عليه السلام؛ وقال ابن الأنباريّ : هم الصَّبيَة والصَّبْوَة ، بالياء والواو معاً .

* * *

حدثنا أبوالقاسم عبدالله بن عثمان بن يحيى بن جَنيقا قال أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد الحكيميّ قراءةً عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابى أنه قيل لابنة الخُسّ : ما مائة من المِعز ؟ قالت : « مُوَيْلٌ يشِفُّ الفقْرَ من ورائه ، مالُ الضعيف ، وحرْفَةُ العاجز » . قيل لها : فما مائة من الضأن ؟ قالت : « قرية لا حِمَى بها » ، قيل: فمامائة من الإبل؟ قالت: «بخٍ[3] ! جَمال ومال، ومُنَى الرجال» ، قيل لها : فما مائة من الخيل؟ قالت : «طَغْىٌ عند من كانت ، ولا توجد» . قيل : فمامائة من الحُمُر ؟ قالت: «عازبة الليل، وخِزْى المجلس ، لا لَبنٌ فيحلَب ، ولاصوف فيُجَزّ[4] ، إن رُبِطَ عيرُهادَلَّى[5]، وإن أُرْسِل وَلّى[6]» .

وبهذا الإسناد عن ابن الأعرابىّ قال: قيل لابنة الخُسّ والخُصّ والخُسْف ، قال : كل ذلك يقال : ماأحسنُ شىء؟ قالت: « غادية ، فى أثر سارية ، فى نبخاء قاوية » . قال :/ بنخاء[23 و] أرض مرتفعة ، لأن النبات فى موضع مشرف أحسن . وقالوا أيضاً : «نَفْخاء» ، أى رابية

(١) ت : « الجلد » . (٢) القمحدوة : الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال خلف الأذنين

(٣) «ت، ج : « غ غ » ، بتنوين الخاء . (٤) د : « فيجز » . (٥) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « أدلى » . (٦) ت : « وإن أرسلته » ، و الخبر فى المزهر ٢ : ٥٤٥ .

ليس بها رمل ولا حجارة ، قال : والجمع النّفاخى[١] ، ونبتُ الرابية أحسنُ من نبت الأودية ، لأن السيلَ يصرعُ الشجرَ فيقذفه فى الأودية ، ثم يُلْقى عليه الدِّمَن[٢] .

قال الشريف أدام الله علوّه : ومما يدل أن نبتَ الرابية أحسنُ قولُ الأعشى :

ما رَوْضةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ... خَضْراءُ جادَ عليها مُسبِلٌ هَطِلُ[٣]

وقال كُثَيِّر :

فما رَوْضةٌ بالحَزْنِ طَيِّبةُ الثَّرى ... يَمُجُّ النَّدَى جَثْجاثُها وعَرارُها[٤]

(١) فى حاشيتى ت ، ف : « قال الجوهرى : النبخاء : الأكمة ، والنفخاء من الأرض مثل النبخاء ، وأدوت النار وفويت ؛ أى خلت » . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الدمن : جمع دمنة ؛ وهو مايتلبد من التراب والقش وكسار العيدان ؛ والخبر فى (مجالس ثعلب ٣٤٣ ، والمخصص ١٠ : ١٤٣ ، واللسان — نبخ ، نفخ) . (٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « بعده :

يُضاحِكُ الشمسَ مِنْها كوكبٌ شرِقٌ ... مؤزّرٌ بعَميمِ النّبْتِ مُكْتَهِلُ

يوماً بأطيبَ مِنْهَا نَشْرَ رائحةٍ ... وَلاَ بأحْسَنَ مِنْهَا إذ دنا الأُصُلُ

— كوكب الشىء : معظمه ، والنبت إذا عم وكثر قيل اكتهل ، وقوله : « إذا دنا الأصل » ، يعنى أن الزهر إذا كان فى الأصيل كان أحسن لبعد عن برد الغداة » . والأبيات فى ديوانه : ٤٣ :

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « الجثجاث والعرار : نبتان ، وبعده :

بأطيبَ من أردان عَزّةَ مَوْهِناً ... وقد أُوقِدَتْ بالمندل الرطب نارُها

وللبيتين قصة ؛ وهى أن كثيرا أقبل ذات يوم راكبا ، فاعترضت له فى الطريق عجوز قد أوقدت فى روثة ، فتضجر عليها كثير ، وتأفف فى وجهها ؛ فقالت : أنت القائل :

فما رَوْضَةٌ بالحَزْنِ طَيِّبَةُ الثّرى ... يَمُجُّ النَّدَى جَثْجَاثُهَا وَعَرارُهَا

بأطْيَبَ مِنْ أرْدَانِ عَزَّة مَوْهِناً ... وقَدْ أُوقِدَتْ بالمنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُها

قال : نعم ؛ قالت : والله لو أوقد بالمندل على هذه الروثة لطابت ! هلا قلت كما قال سيدك ومولاك امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلّمَا جِئْتُ طَارِقاً ... وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وإنْ لَمْ تَطَيَّبِ !

فانكسر كثير وخجل . وقيل إنه أعطاها مطرفا كان معه وقال: « استريه على » ؛ (وانظر ديوان امرئ القيس ٧٣ ، وديوان كثير ١ : ٩٣).

تخصّا الحزن للمعنى الذى ذكرنا .

***

وبهذا الإسناد عن ابن الأعرابىّ قال : العرب تقول جاءنا بطعامٍ لا يُنادَى وَلِيدُه؛ إذا جاء بطعامٍ كثير لا يُراد فيه زيادة ، ووقع فى أمر لايُنادَى وليدُه ؛ يقول لايُدْعَى إليه الصبيان؛ ولا يستعان إلا بكبار الرجال فيه .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وفى ذلك قولان آخران ؛ أحدهما عن الأصمعىّ قال : أصلُه من الشدة تصيب القوم حتى تُذْهِلَ المرأة عن ولدها فلا تُناديه لما هى فيه ، ثم صار مثلا لكل شدة ، ولكل أمرٍ عظيم . والقول الآخر عن الكِلابىّ قال: أصله من الكثْرة والسَّعَة ، فإذا أهوى الوليدُ إلى شىء لم يُزْجَرْ عنه حَذَرَ الإفساد ، لسَعَةِماهمْ فيه ، ثم صار مثلا لكل كثْرة؛ قال الفرّاء : وهذا القول يُستعان به فى كل موضع يراد به الغاية ، وأنشد :

لقدْ شرَعَتْ كَفَّا يَزِيدَ بنِ مَزْيَدٍ ... شرائعَ جُودٍ لاَ يُنادَى وَلِيدُها

***

وبالإسناد الذى تقدم عن ابن الأعرابىّ قال: دخل وَدْفَةُ[1] الأسدىّ على معن بن زائدة الشَّيبانىّ فقال : إن رأيتَ أكرمك الله أن تضَعنى من نفسك بحيث وضعتُ نفسى من رَجائك ؛ فإنك قد بلغتَ حالاً لو أعتقنى الله فيها بكرمك من تنصُّف[2] الرجال بعدَك لم يكن كثيراً ، وإنِّى قد قدَّمتُ الرجاء ، وأحسنت الثناء ، ولزمت الحِفاظ، ثم أنشأ يقول :

يا مَعْنُ إنكَ لمْ تُنعِمْ على أحدٍ ... فشَابَ نُعْماكَ تَنغيصٌ ولاَ كَدَرُ

[٧٣ ظ] / فانظُرْ إلىّ بطَرْفٍ غيرِ ذِى مَرَضٍ ... فرُبَّما صَحَّ لى مِن طَرْفِكَ النَّظرُ

أيّامَ وَجهُكَ لى طَلْقٌ يُخبِّرُنى ... إذَا سكَتُّ بما تُخْفِى وتَضطَمِرُ

ومِنْ هَوَاكَ شَفيعٌ ليس يُغْفِلنى ... وإنْ نأيتُ وإنْ قلَّتْ بىَ الذّكَرُ

---

(١) ودفة ؛ بالفاء ، وضبط فى الأصل ، ت بفتح الدال وإسكانها معا .

(٢) حاشية ت ، ف : « التنصف : الخدمة ؛ يقال تنصفه إذاخدمه ، والنصيف : الخادم » .

قدْ كنتَ آثَرْتَ عِنْدِي مَرَّةً أَثَراً ... فقدْ تقاربَ يعفُو ذلكَ الأَثَرُ
فاجبُرْ بفضلِكَ عظماً كُنتَ تجبُرُهُ ... واجمعْ بفعلكَ ماقدْ كادَ ينتَشِرُ(١)
ما نازَعَ العُسْرُ فيَّ اليُسرَ مُذْ عَلِقَتْ ... كَفِّي بحَبْلِكَ إلاَّ ظَفِرَ اليُسُرُ
وقدْ خَشِيتُ وهذا الدَّهرُ ذُو غِيَرٍ ... بأنْ يُدالَ لِطُولِ الجَفْوَةِ العُسُرُ(٢)
وأيّما(٣) كانَ مِنْ عُسْرٍ ومَيْسَرَةٍ ... فإنَّ حَظَّكَ فيهِ الحَمْدُ والشُّكُرُ

فقال معن : أوَ ما كنَّا أعطيناك شيئاً ؟ قال : لا ، قال : أمّا الذهبُ والفضّة فليسا عندنا، ولكنْ هات تختاً(٤) من ثيابي ياغلام؛ فدفعه إليه، وقد كان تحمّل عليه(٥) بابن عيَّاش وحبيبِ بن بُديل ، فأعطاهما معه تختين ، وقال : غرّمتني يا وَدْفَةَ تَختَيْ ثياب! .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوّه : وكان معن بن زائدة جواداً شجاعاً شاعراً ، ويكنّى أبا الوليد ، وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مَطَر بن شريك بن عمرو بن مَطَر ، وهو أخو الحوْفزان بن شريك، وكان معن من أصحاب ابن هُبيرة(٦)، فلما قُتل رثاه معن فقال:

ألَا إنَّ عيناً لَمْ تَجُدْ يومَ واسِطٍ ... عليكَ بجارِي دَمعِها لَجَمُودُ(٧)
عَشِيَّةَ قامَ النائحاتُ وشُقِّقَتْ ... جُيوبٌ بأيدِي مأتَمٍ وخُدُودُ(٨)
فإنْ تُمسِ (٩مَهجورَ الفِناءِ فطالما٩) ... أقامَ بهِ بعدَ الوُفودِ وُفودُ
فإنكَ لمْ تبْعُدْ على مُتَعَهِّدٍ ... بَلَى كُلُّ مَنْ تحتَ التُّرابِ بعيدُ(١٠)

(١) ت : « بفضلك » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « بطول الجفوة » .
(٣) م : « وإن ما » . (٤) التخت : وعاء تصان فيه الثياب :
(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إليه » ، وتحمل إليه ؛ أى تشفع .
(٦) حواشي الأصل ، ت ف : «قتل ابن هبيرة السفاح » . (٧) حواشي الأصل ، ت ، ف : « روى أبو تمام هذه القطعة فى الحماسة لأبى عطاء السندى » . (وانظر ديوان الحماسة ـ بشرح التبريزى ٢ : ٢٩٥ـ٢٩٦) . (٨) حاشية الأصل : « المأتم : جماعة النساء للعزاء » .
(٩ـ٩) م : « مهجور الجناب فطالما » ، ورواية الحماسة : « مهجور الجناب فربما » ؛ قال التبريزى : والرواية المختارة : « وربما » بالواو ؛ وذلك أن جواب الشرط من قوله : « فإن تمس مهجور الفناء » « فإنك لم تبعد على متعهد » ، ويصير : « ربما أقام » بيان الحال فيما تقدم من رياسته » .
(١٠) أى على متعهد يتعهدك بالذكر والبكاء .

أخبرنا أبو عُبيد الله المرزُبانيّ قال أخبرنى يوسف بن يحيى المنجّم عن أبيه قال حدثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويْه قال حدثنى أبو زيد بن الحكم بن موسى قال حدثنى أبى قال : كان معن بن زائدة / من أصحاب يَزيد بن عَمْرو بن هبيرة ، وكان مستتِراً ، حتى كان يومَ الهاشمية[1] ، [٧٤ و فإنه حَضر وهو معتمّ متلثّم ، فلما نظر إلى القوم وقد وَثبوا على المنصور تقدّم فأخذ بلجام بغلته ، ثم جعل يضربهم بالسيف قدّامه ، فلما أفرجوا له وتفرّقوا عنه قال له : مَنْ أنت وَيْحك ! قال: أنا طَلِبتك مَعْنُ بن زائدة . فلما انصرف المنصور حَباه وكساه ورتّبه ، ثم قلّده اليمن ، فلما قدم عليه من اليمن قال له : هِيه يامعن ! تعطِى مَرْوان بن أبى حفْصة مائة ألف درهم على أن قال لك : ت

مَعْنُ بنُ زائدةَ الّذى زِيدتْ بهِ ... شَرَفًا على شَرَفٍ بنو شَيْبانِ
إنْ عُدّ أيّامُ الفَعالِ فإنما ... يوْماهُ : يومُ نَدًى ويومُ طِعانِ

فقال : كلّا يا أمير المؤمنين ، ولكن أعطيتُه على قوله :

ما زِلتَ يومَ الهاشمية مُعلِناً ... بالسّيفِ دُونَ خَليفةِ الرَّحمنِ
فمنَعتَ حَوْزَتَهُ ، وكُنتَ وِقاءه ... مِنْ وَقْعِ كُلِّ مُهنَّدٍ وسِنانِ

فقال له: أحسنت يامعن !

وفى خبر آخر أنّه دخل على المنصور ، فقال له : ويلك[2] ! ماأظنّ مايقال فيك من ظُلمك لأهل اليمن واعتسافك إياهم إلاّ حقًّا ! قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلغنى أنك أعطيت شاعراً كان يلزمك ألفَىْ دينار ، وهذا من السرف الذى لا شىء مثله ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنما أعطيته من فُضول مالى وغلاّت ضِياعى وفَضَلات[3] رِزْقى وكففتهُ عن عِرْضى ، وقضيتُ الواجبَ من حقّه علىّ وقصدِه إلىّ وملازمتِه لى ، قال : فجعل أبو جعفر ينكُت بقضيب فى يده الأرضَ ولم يعاوِدْهُ القول .

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة ، والخبر فى (ابن خلكان ٢ : ١٠٩) .

(٢) ت : « ويلك يامعن ! » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « وفضالات » .

وأخبرنا المرزُبانىّ قال أخبرنى علىّ بن يحيى عن عبد الله بن أبى سعد الورّاق عن خالد ابن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله(١) بن محمد المعروف بمنْقار من أهل خُراسان ـ وكان من ولاة الرشيد ـ قال: حدّثنى معن بن زائدة قال: كنا فى الصّحابة سبعمائة رجل، فكنا ندخل على المنصور فى كلّ يوم، قال: فقلت للربيع: اجعلنى فى آخر مَنْ يدخل عليه، فقال لى: لستَ بأشرفهم فتكونَ فى أولهم، ولا بأخسِّهم نسبا فتكونَ / فى آخرهم، وإن مرتبتك [٧٤ ظ] لَتشبه(٢) نسبك. قال: فدخلتُ على المنصور ذات يوم، وعلىّ دُرّاعة فضفاضة، وسيفٌ حَنَفىّ(٣) أقرع بنعله الأرض، وعمامة قد أسدلتُها من قدامى وخلفى، فسلَّمت عليه وخرجت، فلما صرت عند السِّتر صاح بى: يا معن! صيحةً أنكرتُها، فلبيته فقال: إلىّ، فدنوت منه، فإذا به قد نزل عن فراشه إلى الأرض، وجثا على ركبتيه، واستلّ عموداً من بين فراشين، واستحال لونه، ودَرّتْ أوداجه، وقال: إنك لَصاحبى يوم واسط، لا نجوتُ إن نجوتَ منى! قال: قلت: ياأمير المؤمنين، تلك نصرتى لباطلهم، فكيف نُصرتى لحقك؟ قال: فقال لى: كيف قلت؟ فأعدتُ عليه القول، فما زال يستعيدنىُ حتى ردَّ العمود إلى مستقره، واستوى متربعاً، وأسفَر لونه وقال: يامعن، إن باليمن هَنَاتٍ، قلت: ياأمير المؤمنين، «ليس لمكتوم رأى» ـ وهو أول مَنْ أرسلها مثلا ـ فقال: أنت صاحبى، فاجلس، قال: فجلست، وأمر الربيع بإخراج كل مَنْ كان فى الدار، وخرج الربيع، فقال لى: إنَّ صاحبَ اليمن قد همّ بالمعصية، وإنى أريد أن آخذه أسيراً، ولا يفوتَنى شىء من ماله، قلت: ولّنى اليمن وأظهر أنك قد ضممتنى إليه، ومُرِ الربيع أن يزيح عِلَّتى فى كل ما أحتاج إليه، ويخرجَنى فى يومى هذا لئلاّ ينتشر الخبر، قال: فاستَلّ عهدا من بين فِراشين، فوقّع فيه اسمى وناولنيه، ثم دعا الربيع فقال: يا ربيع، إنا قدْ ضممنا مَعْناً إلى صاحب اليمن، فأزِح علّتَه فيما يحتاج إليـه من السلاح

(١) حاشية ت (من نسخة): «عبيد الله». (٢) حاشية الأصل (من نسخة): «كنسبة نسبك». (٣) السيوف الحنفية: نوع منها ينسب إلى الأحنف بن قيس؛ لأنه أول من أمر باتخاذها، والقياس أحنفية؛ (القاموس).

والكُراع، ولا يُمْسِى إلاّ وهوراحل، قال: ثم ودَّعنى فودعته، وخرجت إلى الدِّهليز، فلقينى أبوالوالى فقال: يامعن، أعْزِزْ علىّ أن تُضمَّ إلى ابن أخيك! قال: فقلت له: إنَّه لا غضاضةَ على الرجل يضمُّه سلطانه إلى ابن أخيه. وخرجت إلى اليمن، فأتيت الرجل، فأخذته أسيراً، وقرأت عليه العهد، وقعدت فى مجلسه.

ورَوى عمر بن شبّة قال: اجتمع عند معن بن زائدة ابنُ أبى عاصية وابنُ أبى حفصة والضَّمْرِىّ، فقال: لِيُنْشِدنى كلُّ واحد منكم أمدحَ بيت قاله فىّ، فأنشده ابنُ أبى حفصة:

مَسَحَتْ رَبيعةُ وَجهَ مَعْنٍ سابِقاً ... لمَّا جَرَى وجَرَى ذَوُو الأَحْسَابِ

[٧٥] / فقال له معن: الجواد يعثُر فيُمْسَح وجهُه من العِثار والغبار وغيرها.

وأنشده الضَّمرِىّ:

أنت امْرُؤٌ هَمُّكَ المَعالى ... ودَلْوُ مَعروفِكَ الرَّبيعُ

ـ وروى: « ودون معروفك الربيع » ـ

وشأْنُكَ الحَمدُ تَشترِيهِ ... يُشيعُهُ عَنكَ ما يُشيعُ[1]

فقال له: ما أحسن ما قلت! إلاّ أنك لم تُسَمِّنِى ولم تذكُرْنى، فمن شاء انتحله.

وأنشدَه ابنُ أبى عاصية:

إنْ زالَ مَعنُ بنى زيادٍ[2] لمْ يَزُلْ ... لِندًى إلى بَلَدٍ بَعيرُ مُسافِرِ[3]

ففضَّله عليهم.

ورِوى أنَّه أُتِى معنُ بن زائدة بثلاثمائة أسير، فأمر بضرب أعناقِهم، فقال له شاب منهم: يا أخا شيبان[4]، نُناشدك الله أن تقتلَنا عطاشا! فقال: اسقوهم ماء، فلما

---

(١) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: « من يشيع ».

(٢) حاشية ت (من نسخة): « شريك ». (٣) فى حاشيتى الأصل، ف: « التقدير: إن زال معن بنى زياد لم يزل لندى بعير مسافر إليه؛ يعنى أن عفاته بعد زواله يتودعون ولا يسافرون لعدم من يقصد ». (٤) حاشية ت (من نسخة): « ياأخا بنى شيبان ».

شربوا قال : يا أخا شيبان ، نناشِدك الله أن تقتل أضيافك ! فقال : أَطلقوهم .

وذكر أحمد بن كامل أن الخوارج قتلت معن بن زائدة بسِجستان فى سنة إحدى وخمسين ومائة[1] .

وروِى أن عبد الله بن طاهر كان يوما عند المأمون ، فقال له : ياأبا العباس ، مَنْ أشعرُ مَنْ قال الشعر فى خلافة بنى هاشم ؟ قال : أميرُ المؤمنين أعرَفُ بهذا مِنى ، قال : قُلْ على كلٍّ حال ، قال عبدُ الله : أشعرهم الذى يقول فى معن بن زائدة :

أيا قبرَ مَعنٍ كُنتَ أوَّلَ حُفْرَةٍ ... مِنَ الأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّماحةِ مَضجعا[2]
أيا قبرَ مَعنٍ كيفَ واريتَ جُودَهُ ... وقدْ كانَ مِنهُ البَرُّ والبَحرُ مُتْرَعا
بلَى قدْ وَسعتَ الجُودَ والجُودُ مَيِّتٌ ... ولوْ كانَ حَيًّا ضِقْتَ حَتَّى تَصَدَّعا

والأبيات للحسين بن مُطَيْر الأسدِىّ ، وهى تزيد على هذا المقدار ، وأولها :

أَلِمَّا بمَعنٍ[3] ثُمَّ قُولَا لِقَبرِهِ ... سَقَتْكَ الغَوادِى مَرْبَعاً ثُمَّ مَرْبَعا

وفيها :

فتًى عِيشَ فى مَعرُوفِهِ بَعدَ موْتِهِ ... كما كانَ بَعدَ السَّيلِ مَجراهُ مَرْتَعا
ولمَّا مَضَى مَعنٌ مَضَى الجُودُ وانقضَى ... وأَصبحَ عِرْنِينُ المَكارِمِ أَجْدَعا

(١) وانظر ترجمة معن وأخباره فى (تاريخ بغداد ١٣ : ٢٣٥ـ٢٤٤ ، وابن خلكان ٢ : ١٠٨ـ١١٢) .
(٢) الأبيات فى (ديوان الحماسة ــ بشرح التبريزى ٢ : ٣٩٠ـ٣٩٢) ، وهى أيضا فى تاريخ بغداد وابن خلكان .
(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « ألما على معن » .

مجلس آخر ١٦

تأويل آية

[٧٥ ظ] قال سيدنا الشريف الأجلّ ذوالمجدين / أطال الله بقاءه : إن سأل سائلٌ فقال: ماالوجهُ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛ [آل‌عمران : ٢١] ، وفي‌موضع‌آخر: ﴿ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛ [آل‌عمران:١٨١]؛ وظاهرُ هــذا القول يقتضى أنّ قتلَهم قد يكون بحقّ . وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ؛ [المؤمنون : ١١٧] . وقوله : ﴿ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ ؛ [الرعد : ٢] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ؛ [البقرة: ٤١] ، وقوله‌تعالى:﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾؛ [البقرة:٢٧٣]؛ والسؤالُ عن هذه الآيات كلِّها من وجهٍ واحد وهو الذى تقدم .

الجواب ، أنّ للعرب فيما جَرَى هــذا المجرَى من الـكلام عادةً معروفةً ، ومذهباً مشهوراً ، عند مَنْ تَصفَّحَ كلامَهم وفَهِم عنهم . ومرادُهم بذلك المبالغة فى النفى وتأْكيده ؛ فمن ذلك قولهم : فلان لا يُرْجَى خيرُه ؛ ليسَ يُريدون أنّ فيه خيرًا لا يُرْجَى ، وإنما غرضُهم أنه لا خيرَ عنده على وجه من الوجوه ؛ ومِثْلُه : قلَّما رأيتُ مثلَ هذا الرجل ، وإنما يُريدون أنّ مثلَه لم يُرَ لا قليلا ولا كثيرا ؛ وقال امرُؤ القَيْس :

على لاحِبٍ لا يُهتَدَى بمَنارِهِ[1] ... إذا سافَهُ العَوْدُ الدِّيافىُّ جَرْجَرا[2]

يصف طريقاً ؛ وأراد بقوله : « لا يُهْتَدَى بمنارِه » أنه لا منارَ له فيُهْتَدَى بهـا ؛

(١) من نسخة بحاشية الأصل : « بمنارة » . (٢) ديوانه : ١٠١ ، واللاحب : الطريق المنقاد الذى لاينقطع . والمنار : جمع منارة ؛ وهى العلامة التى تجعل بين الحدين ؛ ورواية الديوان : « النباطى »

والعوْد : المسِنُّ من الإبل ، والدِّيافيّ : منسوبٌ إلى دِياف ، قرية بالشام مَعْروفة(١) . وسافَهُ : شمّه(٢) ، والجرْجَرة مثلُ الهدير ؛ وإنّما أراد أنَّ العوْد إذا شمَّه عرفه فاستبعده ، وذكَرَ ما يلحقُه فيه من المشقّة ، فجرْجَر لذلك ؛ وقال ابن أحمر :

لا تُفزِعُ الْأَرْنَبَ أَهْوَالُها ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرْ

أراد : ليست بها أهوال فتفزِع الأرنبَ ؛ وقال النَّابغة :

يَحُفُّهُ جانِبا نِيقٍ وتُتْبِعُهُ مِثلَ الزُّجاجةِ لم تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ(٣)

أراد : ليس بها رمَدٌ فتُكْحَلُ له ؛ وقال امْرُؤ القيس أيضا(٤) :

وصُمٌّ حَوَامٍ ما يَقِينَ مِنَ الوَجَى كأَنَّ مكانَ الرِّدْفِ مِنهُ على رَالِ

/ يصف حوافرَ فرسه . وقوله : « مايَقِينَ من الوَجَى » فالوَجَى هو الحفا ، و « يَقِين » ؛ [٧٦ و] أى يَتَوَقَّيْن ، يقال : وَقَى الفرسُ إذا هاب المشى ، فأراد أنه لا وجَى بحوافره فيتهيبْن الأرض من أجله ، والرألُ : فرخ النعام ، وشبّه إشراف عَجُزِه بعجُز الرّأل ؛ وقال الآخر(٥) :

---

(١) ت : « وهى قرية » ، وفى معجم البلدان : « وقيل من قرى الجزيرة ، وأهلها نبط الشام » .

(٢) م : « شمه وعرفه » .

(٣) حاشية ت : « الهاء فى يحفه للحمام ، والنيق : أرفع موضع فى الجبل ، ومثل الزجاجة عين المرأة التى وصفها » ، وفى حاشية الأصل : « وقبله :

واحْكُمْ كحُكْمِ فَتاةِ الحىِّ إذْ نَظَرَتْ إلى حَمَامٍ سِرَاعٍ وارِدِ الثَّمَدِ

قالتْ ألا لَيْتَمَا هـذا الحَمامُ لَنَا إلى حمامتنا ونصفَهُ فَقَدِ

ـ والثمد : الماء القليل » .

وفتاة الحى : هى بنت الخس ، عن الأصمعى ، وعن أبى عبيدة : زرقاء اليمامة . وذكر أبو حاتم أنه كان لها قطاة ، ومر بها سرب من القطا بين جبلين ؛ فقالت : ليت هذا الحمام لى ، ونصفه إلى حمامتى ، فيتم لى مائة ؛ فنظروا فإذا هى كما قالت ، وأرادت بالحمام القطا ، وكانت جملة الحمام ستا وستين » . وانظر الأبيات وشرحها فى ديوان النابغة ـ بشرح البطليوسى ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) ت ، وحاشيتى الأصل ، ف « يصف فرسا ، وقبله :

سَلِيمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا له حَجَبَاتٌ مشرِفَاتٌ على الفَالِى

ـ الشظا : عظم مستدق لاصق بعظم الذراع . والحجبة على الورك ، وهما حجبتان مشرفتان على الخاصرتين لجمعهما بحواليهما . والفالى يعنى به الفائل ؛ فقلبه ، والفائل : لحم على خربة الورك ؛ وانظر الديوان : ٦٥ .

(٥) هو أعشى باهلة ؛ من قصيدة يرثى بها المنتشر بن وهب .

لا يَغمِزُ السَّاقَ مِنْ أينٍ ولا وَصَبٍ ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ(١)

أرادَ : ليس بساقِهِ أَيْنٌ ولا وصَبٌ فيغمِزها من أجلهما ؛ وقال سُوَيد بن أبى كاهل :

مِنْ أُناسٍ لَيْسَ مِنْ أخلاقِهِمْ عاجِلُ الفُحْشِ ولا سُوءُ الجَزَعْ(٢)

ولم يردْ أنَّ فى أخلاقهم فُحشاً آجلاً(٣) ولا جَزَعاً(٤) ؛ وإنما أراد نفىَ الفحش والجزع عن أخلاقهم . ومثـل ذلك قولهم : فلان غير سريع إلى الخنا ، وهم يُريدون أنَّه لا يقرَبُ الخنا، لا نفىَ الإسراع حَسْبُ . وقال الفرزدق وهو يهجُو ابنَىْ جعفر بن كلاب ، ويعيّرهم بقتلى منهم أصيبوا فى حروبهم، فحملتِ النساءُ هؤلاء القتلى حتى أتين بهم الحىَّ(٥) :

ولَمْ تأْتِ عِيرٌ أهلَها بالّذِى(٦) أتتْ بهِ جَعفراً يومَ الهُضَيْباتِ عِيرُها(٧)

أتتْهُمْ بِعِيرٍ لم تـكُن هَجَرِيةً ولا حِنطةَ الشامِ المَزِيتَ خَمِيرُها

يعنى أنَّ العيرَ إنما تحمل التمر أو الطعام إلى الحى، فحملت عِيرُ هؤلاء القوم القتلى، وقوله: « لم تـكنْ هَجَرِيّة » ؛ أى لم تحمل التمر ، وذلك لـكثرة التمر بهَجَر ، ثم قال : «ولا حنطة الشام المزيتَ خميرُها » ، ولم يرِدْ أن هناك حنطة ليس فى خميرها زيت ؛ لـكنه أراد أنها لم تحمل تمراً ولا حِنطة ، ثم وصف الحِنْطَة وما يُجعل فى خميرها من الزيت.

---

(١) كذا فى جميع الأصول ؛ وهو يوافق ما فى اللآلى : ٧٥ ، والـكامل بشرح المرصفى ٨ : ٢١٢ ؛ ورواية جمهرة الأشعار ٢٨٢ ؛ وفى ملحقات ديوان الأعشى ٢٦٨ :

لا يَتأَرّى لِما فى القِدْرِ يَرْقُبُهُ ولا يَعَضُّ على شُرْسوفِهِ الصَّفَرُ

لايغمِزُ السَّاقَ مِنْ أيْنٍ ولا وَصَبٍ ولا يَزال أمامَ القوم يَقْتَفِرُ

وهى توافق رواية المؤلف فيما بعد . والتأرى : التحبس والمـكث ، والصفر : حية فى البطن تعض الشرسوف إذا جاع صاحبه . ولا يغمز الساق : لايحنيها والاقتفار : أن يؤكل الخبز قفارا .

(٢) المفضليات : ١٩٥ . (٣) ت ، د : « فحشا عاجلا ولا آجلا » .

(٤) ت ، د ، ف : « ولا جزعا غير سيء » . (٥) ديوانه ٢ : ٤٥٩ .

(٦) ت ، د ، ونسخة بحاشيتى الأصل، ف : « كالذى » . (٧) الهضيبات : موضع كان فيه يوم من أيام العرب ؛ هو يوم طخفة ؛ ذكره البكرى فى معجم ما استعجم : ١٣٥٤ ، وأورد البيت .

وعلى هذا يقع تأويل[١] الآيات التى وقع السؤال عنها ، لأنه تعالى لما قال : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ دلّ على أن قتلهم لا يكون إلاّ بغير حق ، ثم وصف[٢] القتل بما لابد أن يكون عليه من الصفة ، وهى وقوعه على خلاف الحقّ ؛ وكذلك : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ، إنما[٣] هو وصف لهذا الدعاء ، وأنه لا يكون إلا عن غير برهان[٣] ، وقوله تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ وجهه أيضا أنه لو كان هناك عَمَدٌ / لرأيتموه ، فإذا نفى رؤية العَمد نَفى وجود العمد ؛ كما قال : « لاَ يُهْتَدَى [٧٦ ظ] بِمَنَارِه» ، أى لا منار له من حيث عُلم أنه لو كان له منار لاهْتُدِى به ، فصار نَفْىُ الاهتداء بالمنار نفيا لوجود المنار . وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ تغليظٌ وتأكيد فى تحذيرهم الكفر ، وهو أبلغ من أن يقول : « ولا تكفروا به » ، ويجرى مجرى قولهم : فلان لا يسرع إلى الخنا ؛ وقلّما رأيت مثله إذا أرادوا به تأكيد نفى الخنا ونفى رؤية مثل المذكور . وكذلك قوله : ﴿ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ ، معناه لا مسألةَ تقع منهم ، ومثل الأول : ﴿ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ ؛ والفائدة أن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلا ، فصار نفى الثمن القليل نفيا لكل ثمن ، وهذا واضح بحمد الله ومَنّه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « تأول » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « وإنما وصف » .
(٣-٣) ساقط من م .

بَابٌ

فى ذكر شىء من أخبار المعمَّرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم

أحد المعمَّرين الحارث بن كعب بن عمرو بن وعْلة بن خالد[١] بن مالك بن أُدَدٍ[٢] المَذْحِجىّ، ومذحِج[٣] هى أم مالك بن أددٍ، نسب ولد مالك إليها، وإنما سُمِّيَتْ مَذْحِجاً[٤] لأنها وُلِدَتْ على أَكَمة تسمى مَذْحِجاً، واسمها مُدلَّة بنت ذى مَنْجَشان[٥].

قال أبو حاتم السجستانىّ : جمَع الحارث[٦] بن كعب بنيه لمـا حضرتْه الوفاة فقال : «يا بَنىّ، قد أتى علىّ ستون ومائة سنة، ما صافحت بيمينى[٧] يمين غادر، ولا قنَّعْتُ[٨] نفسى بخُلَّة فاجر، ولا صَبَوْتُ بابنة عمٍ ولا كَنَّة، ولا طَرَحْتُ عندى مُومِسة قِناعها، ولابُحْتُ لصديق بسرٍّ، وإنى لَعلى دين شعيب النبى عليه السلام، وما عليه أحد من العرب غيرى، وغير أسَد بن خُزَيمة، وتميم بن مُرّة، فاحفظوا وصيتى، وموتوا على شريعتى: إلهكم فاتقوه يكفِكم المهمَّ من أموركم، ويُصلح لكم أعمالكم؛ وإياكم ومعصيتَه[٩]، لايُحِلّ بكم الدَّمار، ويُوحِشُ منكم الدِّيار. يا بَنىّ، كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شِيَعا، وإنّ موتاً فى عزٍّ خيرٌ من حياةٍ فى ذلٍّ وعجزٍ، وكُلُّ ماهو كائن كائن، وكلٌّ جميع إلى تَبايُن. الدهر [١٠] صَرْفان : فصرفٌ رخاء، وصرفٌ بَلاء [١٠]، واليوم يومان : فيومٌ حَبْرَة، ويوم

(١) كذا فى جميع الأصول، وفى حاشية الأصل : « ذكر س : هذا سهو، وهو كعب بن عمرو ابن علبة بن جلد بن مالك. ووعلة وخالد تصحيف وغلط ».

(٢) فى حاشية الأصل، ت : « صرفت العرب « أددا »، ولم يجعلوه من باب عمر وزفر ».

(٣) حاشية الأصل : « ذكر س : قال أبو جعفر محمد بن حبيب : مذحج هى أخت مدلة، واسمها مدلة بنت منجشان بن كلة بن زدمان، من حمير ». (٤) حاشية ت : « بخط ش : الصواب ألا تصرف مذحج للتأنيث والتعريف ». (٥) س : « مهجشان »، ت : « همنجشان ».

(٦) لم يذكر فيما طبع من أخبار المعمرين لأبى حاتم. (٧) حاشية ت (من نسخة) : « ماصافحت يمينى ». (٨) حاشية ت (من نسخة) : « قنعت »، بإسكان التاء.

(٩) ت : « ومعصية الله ». (١٠ – ١٠) ش : « والدهر ضربان: فضرب رخاء، وضرب بلاء ».

عَبْرَة ، والناس رجلان : فرجل مَعَك ورجل عليك ، وتزوّجوا الأكفاء ، وليستعمِلْنَ فى فى طِيبِهن الماء ، وتجنّبوا / الحمْقاء ؛ فإن ولدها إلى أفْنٍ ما يكون ، إلا أنه لا راحة لقاطع القرابة ، [٧٧ و] وإذا اختلف القومُ أمكنوا عدوّهم منهم ، وآفة العدد اختلاف الكلمة ؛ والتفضّل بالحسنة يقِى السيئة ، والمكافأة بالسيئة الدخول فيها . العمل السوءُ يُزيل النَّعماء ، وقطيعة الرَّحِم تُورث الهمّ ، وانتهاك الحرمة يُزيل النعمة ، وعقوق الوالدين يعقب النَّكد ، ويمحق العدد ، ويخرِب البلد ، والنصيحة تجر الفضيحة ، والحِقْد يمنع الرِّفْد ، ولزوم الخطيئة يعقب البلية ، وسوء الرِّعة يقطع أسباب المنفعة ، والضغائن تدعو إلى التباين» ؛ ثم أنشأ يقول :

أَكَلْتُ شَبابِى فأَفْنَيتُهُ ... وأَفنيتُ بَعْدَ دُهُورٍ دُهورا
ثلاثةُ أهلِينَ صاحَبتُهُمْ ... فبادُوا وأَصبحتُ شيْخاً كَبيرا
قَليلَ الطّعامِ عَسيرَ القِيامِ ... قدْ ترَكَ الدَّهرُ خَطوِى قَصيرا
أَبِيتُ أُراعِى نُجُومَ السَّماء ... أُقَلِّبُ أَمْرِى بُطُوناً ظُهوراً

قوله: « ولا صبوْت بابنة عم ولا كَنّة » ، الصَّبْوة هى رقّة الحُبّ ، (١والكَنّة . امرأة أخى الرجل وامرأة ابن أخيه١) .

فأما الومسة ، فهى الفاجرة البغِىّ ، وأراد بقوله : « إنها لم تطرَحْ عنده قناعها » أى لم تَبذّل(٢) عنده وتتبسّطُ، كما تفعل مع من يريد الفجور بها .

وقوله : « فيوم حَبْرَة ويوم عَبْرة » ، فالحبرة : الفرح والسرور ، والعَبْرة تكون من ضِدّ ذلك ؛ لأنّ العَبْرة لا تكون إلّا من أمر محزن مؤلم .

وأما الأفْن ، فهو الحُمْق ؛ يقال : رجل أفين ؛ إذا كان أحمق ؛ ومثل من أمثالهم : « وِجْدانُ الرقين؛ يُغطِّى على أفْن الأفِين » ، أى وِجْدانُ المال يغطِّى على حُمْق الاحمق ، وواحدُ الرِّقين رِقَة ، وهى الفضة .

(١–١) حاشية الأصل (من نسخة) « والكنّة هى امرأة ابن الرجل وامرأة أخيه » .
(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « لم تبتذل » .

فأما قوله : « النصيحة تجر الفضيحة » ، فيشبه أن يكون معناهُ أنَّ النَّصِيحَ إذا نَصَح لمن لا يقبل نصِيحَته ، ولا يُصْغِى إلى موعظتِه فقد افتضحَ عنده ؛ لأنه أفضى إليه بسرّه وباح بمكنون صدره .

فأما « سوء الرِّعة » ، فإنه يقال : فلان حَسَن الرِّعة والتورُّع ، أىْ حَسَنُ الطريقة .

* * *

ومن المعمّرين المستوغِرُ ، وهو عَمْرو بن رَبيعة بن كعب بن سعد بن زَيْد مَناة بن تميم ابن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضر .

وإنما سمِّى المستوغِر ببيت قاله ، وهو :

[٧٧ ظ] / يَنِشُّ الماءُ فى الرَّبَلَاتِ مِنْها نَشيشَ الرَّضْفِ فى اللَّبَنِ الوَغِيرِ(١)

الرَّبَلَات : واحدتُها ، رَبَلة ، ورَبْلة ، بفتح الباء وإسكانها ، وهى كلّ لحمة غليظة ؛ هكذا ذكر ابن دريد .

والرَّضْف : الحجارة المحماة ، وفى الحديث : « كأنه على الرَّضْف » ؛ واللبن الوغير : لبن تُلْقَى فيه حجارة مُحْماة ثم يشرب ، أخِذَ من وَغْرةِ الظهيرة ، وهى أشدُّ ما يكون من الحرّ ؛ ومنه : وَغِرَ صدْر فلان يَوْغَرُ وغْراً ، إذا التهب من غضبٍ أو حقد .

وقال أصحابُ الأنساب : عاش المستوغِر ثلاثمائة سنة وعشرين ، وأدرك الإسلام أو كاد يدرك أوّله .

وقال ابن سلام : " كان(٢) المستوغِر قديماً ، وبقى بقاءً طويلا حتى قال :

ولقدْ سَئِمْتُ مِنَ الحياةِ وطُولِها وعَمِرْتُ(٣) مِنْ عَددِ السِّنين مِئِينا
مائةٌ أتتْ مِنْ بَعدِها مائتانِ لى وازْدَدْتُ مِنْ عَددِ الشُّهورِ سِنِينا
هلْ ما بَقَى(٤) إلاَّ كما قدْ فاتَنا يومٌ يَكُرُّ وليلةٌ تحدُونا

(١) ت : « ذى الربلات » ، د : « بالربلات » والبيت فى اللسان (وغر) ، والمعمرين ٩—١٠
(٢) طبقات الشعراء : ٢٩٠—٣٠ . (٣) فى الطبقات : « وازددت » .
(٤) بقى ؛ بالألف ، يريد بقى ، بالياء : لغة طائية .

وهو القائل :

إذا[1] ماالْمَرْءُ صَمَّ فلَمْ يُكَلَّمْ[2] وأوْدَى سَمْعُهُ إلاَّ نِدايا[3]
ولاعَبَ بالعَشِيِّ بَنِي بَنِيهِ كفِعْلِ الهِرِّ يحترِشُ العَظايا
يُلاعِبُهُمْ ووَدُّوا لو سَقَوْهُ مِنَ الذِّيفانِ مُترَعَةً مِلَايا[4]
فلَا ذَاقَ النَّعِيمَ ولا شَرَاباً ولا يُشْفَى مِنَ المَرَضِ الشِّفَايا

أراد بقوله : « صَمَّ فلم يكلم » ، أى لم يسمع ما يكلَّم به ، فاختصر ؛ ويجوزُ أن يريدَ أنّه لم يكلّم لليأس من استماعه فأُعْرِض عن خطابه لذلك . وقوله : « وأودى سمعُه إلّا نِدايا » أرادَ أنَّ سمعَه هلك؛ إلّا أنه يسمعُ الصوتَ العالى الذى ينادَى به .

وأماقوله : « ولاعب بالعشىّ بنى بنيه » ، فإنّه مبالغة فى وصفه بالهَرم والخَرَف ، وأنه قد تناهَى إلى ملاعبة الصبيان وأنسهم به . ويشبه أن يكون خَصَّ العشِيّ بذلك لأنّه وقت رواح الصبيان إلى بيوتهم واستقرارهم فيها .

وقوله : « يحترِش العظايا » / أى يصيدُها ، والاحتراشُ أن يقصِد الرجل إلى جُحْر الضَّب فيضرب بكفّه ليحسِبه الضب أفْعَى ، فيخرج إليه فيأخذه ، يقال : حَرَشْتُ الضَّبَّ ، واحترشتُه ؛ ومن أمثالهم : « هذا أجلُّ من الْحَرْش » ، يضرب عنـد الأمر يُستعظَم ، ويُتكلم بذلك على لسانِ الضب . قال ابن دريد : قال الضب لابنـه : اتَّقِ الحَرْش ، قال : وما الحَرْش ؟ قال : إذا سمعتَ حركة بباب الجُحْر فلا تخرج ؛ فسمع يومًا وقع المِحْفار فقال: ياأبَهْ ، أهذا الحَرْش ؟ فقال : « هذا أجلُّ من الحَرْش » ؛ فجُعل مثلا للرجل إذا سمع الشىء الذى هو أشدُّ مما كان يتوقّعه . [٧٨ و]

(١) الأبيات فى طبقات الشعراء : ٣٠ ، وحماسة البحترى ٣٢٤ (ورواها همزية) ، ومعجم الشعراء : ٢١٣ ، وفى حاشية الأصل : « ذكر س قال : « قرأت س قال : قرأت بخط عبدالسلام البصرى رحمه الله أن هذه القطعة : إذا مالمرء... لعشكلان بن ذى كواهن الحميرى » . (٢) فى الطبقات ومعجم الشعراء « فلم يناجى » . (٣) فى حاشية الأصل ، ت : « إنما قلب الهمزة فى ندايا وشفايا وغيرها ياء لأنه لو قال : شفاءا لكانت تحصل همزة يكتنفها ألفان ، والألف قريب من الهمزة ، فإذا اجتمع ألفان مع همزة صار كأنه قد حصل قريب من الهمزتين ؛ فلما كان كذلك أبدل من الهمزة ياء » .

والذِّيفان: السّم . والعظايا : جمع عَظاية، وهى دوَيبة صغيرة معروفة[١] .

* * *

وأحدالمعمَّرين دُوَيد بن زيد بن نَهْد بن زيد بن ليث بن سُود[٢] بن أسلُم[٣] بن ألحافِ[٤] ابن قُضاعة بن مالك بن مرة بن مالك بن حِمْيَر .

قال أبو حاتم : " عاش دُوَيد بن زيد أربعمائة سنة وستا وخمسين سنة " قال ابن دُريد : لما حضرتْ دوَيد بن زيد الوفاة ــ وكان من المعمَّرين، قال : ولا تَعدُّ العرب معمَّراً إلا مَن عاش مائة وعشرين[٥] سنة فصاعدا ــ قال لبنيه : « أوصيكم بالناس شراً ، لا ترْحَموا لهم عَبرة ؛ ولا تُقيلوهم[٦] عَثرَة ، قصِّروا الأعنّة ، وطوِّلوا[٧] الأسنّة ، واطْعُنوا[٨] شزْراً ، واضربوا هبْراً ؛ وإذا أردتم المحاجزة ، فقبل المناجزة ، والمرء يعجِز لاالمحالةُ ، بالجَدِّ لا بالكَدّ . التجلُّد ولاالتبلُّد ، والمنية ولا الدَّنية . لا تأسَوْا على فائت وإن عزَّ فقدُه ، ولا تحِنُّوا إلى ظاعن وإن ألِفَ قُرْبُه ، ولاتطمعوا فتطبعُوا ، ولا تَهنُوا فتخرَعوا ، ولا يكون[٩] لكم المثلُ السوء؛ إنَّ الموصَّيْنَ بنو سَهْوان . إذا مِتُّ فارحَبوا[١٠] خطَّ مضجعى ، ولا تَضَنُّوا علىَّ برُحب الأرض ، وماذلك بمُؤدٍ إلىَّ روْحاً[١١]؛ ولكن راحةُ نفسٍ[١٢] خامرها الإشفاق». ثم مات.

قال أبو بكر بن دريد فى حديث آخر إنه قال :

---

(١) وانظر أخبار المستوغر فى المعمرين: ٩، وطبقات الشعراء: ٢٩ــ٣٠، ومعجم الشعراء: ٢١٣ــ٢١٤.

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « سويد » . (٣) حاشية الأصل : « بضم اللام » .

(٤) حاشية الأصل : « ألحاف ، بقطع الألف كأنه جمع لحف ؛ كذا وجدته مضبوطا فى النسخة المقروءة على ابن خروزاذ النجيرمى ؛ وهو الصحيح ، والحاف موصولا أيضا يقال » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « مائة وستا وعشرين » . (٦) ت : « ولا تقبلوا لهم » .

(٧) ت : «وأطولوا» . (٨) حاشية ت : طعن بالرمح يطعن [بضم العين] ، وباللسان يطعن [بفتح العين] . (٩) ش : « ولا يكن » . (١٠) حاشية ت : « بخط ش : « فأرحبوا » بالقطع وكسر الحاء . (١١) حاشية ت (من نسخة) : « نفعا » . (١٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « حاجة نفس » .

اليومَ يُبنى[1] لدُوَيدٍ بيتُهْ ... يارُبَّ نَهْبٍ[2] صالحٍ حَوَيتُهْ
ورُبَّ قِرْنٍ[3] بَطَلٍ أرْدَيتُه ... ورُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لوَيتُهْ
ومِعصَمٍ مُخضَّبٍ ثَنيتُهُ ... لوْ كانَ للدَّهرِ بِلًى أبلَيْتُهُ
أو كانَ قِرْنى واحِداً كَفيتُهُ

ومن قوله أيضا :

[٧٨ ظ]

ألقَى علىَّ الدهرُ رِجْلاً ويَدَا ... والدَّهرُ ما أصلحَ يوماً أفْسَدَا
يُفسِدُ ما أصلحَه اليومَ غدا

قوله : «اطعُنوا شَزْراً ، واضربُوا هَبْراً» ، معنى الشَّزْر أن يطعُنه من إحدى ناحيتيه ، يقال: فَتَل الحبلَ شزراً إذا فتله على الشمال، والنظر الشَّزْر: نظرٌ بمؤْخِر العين؛ وقال الأصمعىّ: نظر إلىَّ شَزْرا إذا نظر إليه من عَنْ يمينه وشِماله ، وطعنه شَزْرا كذلك .

وقوله: « هبراً » ، قال ابن دريد : يقال هبرتُ اللحمَ أهبرُه هَبراً إذا قطعته قطعاً كبارا ، والاسم الهَبرة والهُبرة ، وسيف هبَّارٌ وهابرٌ ، واللحم هَبيرٌ ومهبورٌ . والمُحالة : الحيلة[4] .

وقوله : « بالجَدِّ لا بالكَدِّ » ؛ أى يدرك الرجل حاجتَه وطِلبته بالجَدّ ، وهو الحظ والبخْت ، ومنه رجل مجدودٌ ، فإذا كسرت الجيم فهو الانكماش فى الأمر والمبالغة فيه .

وقوله : « التجلد ولا التبلد » ؛ أى تجلَّدوا ولا تتبلَّدوا .

وقوله : « فتَطَبَّعوا » ، أى تَدَنَّسوا ، والطَّبعُ الدنس ، ويقال طَبِعَ السيفُ يطبَع طَبَعاً ، إذا رَكبه الصَّدَأ ؛ قال ثابت قطنة[5] العتكىّ :

لاَ خيرَ فى طَمَعٍ يُدْنى إلى طَبَعٍ ... وغُفَّةٌ مِنْ قَوَامِ العَيْشِ تكفِينى[6]

(١) حاشية ف (من نسخة) : « يدنى » . (٢) النهب : الغنيمة تنتهب .
(٣) القرن : الذى يلقاك ليقاومك . (٤) فى حاشيتى الأصل ، ت : « قد قيل إن المحالة يعنى بها الآلة التى يستقى عليها ، وهى مثل البكرة » . (٥) حاشية ت : « ويقال : قطبة » .
(٦) الغفة : البلغة من العيش ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت .

وقوله : « ولا تَهِنوا فتخرعوا »؛ فالوهن الضَّعف ، والخَرَع والخَرَاعة: اللين ، ومنه سميت الشجرة الخِرْوع للينها، وقوله : «إنَّ الموصَّيْن بنو سهوان»؛ فالموصوْن جمع موصًّى، وبنو سَهْوان ضرب به مثلا ، أى لا تكونوا ممن تُقُدِّم إليهم فَسَهَوْا وأعرضوا عن الوصية ، وقالوا : إنه يُضرَب هذا المثل للرجل الموثوق به ذمة؛ ومعناه أن الذين يحتاجون أن يوصَّوْا بحوائج إخوانهم هم الذين يسهُون عنه لقلة عنايتهم ؛ وأنت غير غافل ولا ساه عن حاجتى.

وقوله : « فارحبوا »؛ أى أوسعوا، والرُّحب السعة ، والرَّوْح : الراحة .

وقوله فى الشعر : « ورب غَيْـل »؛ فالغَيل الساعدُ الممتلىْ . والمعصم : موضع السِّوار من اليد[1] .

* * *

ومن المعمَّرين زُهير بن جناب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثَوْر بن كلب بن وبرة بن تَغْلِب بن حلوان بن عمران بن الحافِ بن قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير .

[٧٩ و] /قال أبو حاتم : " عاش زهيرُ بن جَناب مائتى سنة وعشرين سنة ، وأوقع مائتى وقْعة ، وكان سيداً مطاعاً شريفاً فى قومه ، ويقال : كانت فيه عَشْرُ خِصال لم يجتمعن فى غيره من أهل زمانه ، كان سيدَ قومه ، وشريفَهم ، وخطيبَهم ، وشاعرَهم ، ووافدَهم إلى الملوك ، وطبيبَهم — والطِّبُّ فى ذلك الزمان شرف — وحازِىَ قومِه — والحُزاة الكُهّان — وكان فارسَ قومه ، وله البيت فيهم ، والعدد منهم" .

وأوصى بنيه فقال : « يابنى ، قد كبرتْ سنّى ، وبلغتُ حَرْساً من دهرى ، فأحكمتنى التجارِب، والأمورُ تجربةٌ واحتيال؛ فاحفظوا عنى ما أقول وعُوه ، إياكم والخور عند المصائب، والتواكلَ عند النوائب ، فإنّ ذلك داعيةٌ للغم ، وشماتةٌ للعدو ، وسوءُ ظن بالرّب

(١) وانظر ترجمة دويد وأشعاره فى (طبقات الشعراء ٢٧—٢٨ ، والمعمرين ٢٠—٢١ ، والمختلف والمؤتلف من الشعراء ١١٤—١١٥ ، والاشتقاق ٣٢١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٥١ ، والقاموس—دود)

وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها آمنين ، ومنها ساخرين ، فإنه ماسَخِر قومٌ قطُّ إلّا ابتُلوا ، ولكن توقّعوها ، فإنما الإنسان فى الدنيا غرض تَعاوره الرّماة ، فمقصِّر دونَه ومجاوزٌ لموضعه ، وواقعٌ عن يمينه وشماله؛ ثم لابدّ أنّه مصيبه» .

قوله : «حَرْساً من دهرى» ، يريد طويلا منه ، والحَرْس من الدّهر : الطويل ، قال الراجز :

* فى سَنْبةٍ عشنا بذاكَ حَرْساً *

السَّنْبَة : المدة من الدهر . والتواكل : أن يَكِل القومُ أمرَهم إلى غيرهم ، من قولهم : رجلٌ وكِلٌ ، إذا كان لا يكفى نفسَه ، ويَكِلُ أمرَه إلى غيره ؛ ويقال : رجل وُكَلَة تُكَلَة . والغرض : كلُّ ما نصبتَه للرمى . وتعاوره ، أى تداوله .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوّه : وقد ضمّن ابنُ الرومى[1] معنى قول زهير بن جناب: «الإنسان فى الدهر غَرَض تعاوره الرماة ، فمقصِّر دونَه ومجاوزٌ له ، وواقع عن يمينه وشماله ، ولابدّ أن يصيبه» أبياتاً ، فأحسن كلَّ الإحسان ؛ والأبيات :

كَفَى بِسِرَاجِ الشَّيْبِ فى الرَّأْسِ هادِيا لِمَنْ قدْ أضَلَّتْهُ[2] المَنايا لَيالِيا
أمِنْ بَعدِ إبداءِ المَشيبِ مَقاتلى لِرَامِى المَنايا تحسَبينىَ ناجِيا
غَدَا الدّهرُ يَرْمينى فتَدْنو سِهامُهُ لِشَخصىَ[3] أخلِقْ أنْ يُصِبْنَ سَوَادِيا
وكانَ كَرَامِى اللّيلِ يَرْمى ولا يُرَى فلمَّا أضاءَ الشَّيْبُ شَخصى رَمانيا

أما البيت الأخير ، فإنه أبدَع فيه وغرّب[4] ، وما علمتُ أنّه سُبِق إلى معناه ؛ لأنّه [٧٩ ظ] جعلَ الشباب كالليل الساتر على الإنسان ، الحاجز بينه وبينَ مَنْ أراد رميه لظلْمته

(١) حاشية الأصل : «كان ابن الرومى متشيعا ، وكان مفلقا فى الشعر واللغة ؛ بحيث يقول لتلامذته : اعرضوا شعرى على ثعلب ، فما أنكر من نحوه فخذوه ، وما أنكر من لغته فلا تلفتوا إليه ؛ فإنى أعلم منه باللغة» .

(٢) ش : «إلى من أضلته» . حاشية ت (من نسخة) : «له من أضله» .

(٣) ت ، ونسخة بحاشية الأصل : «لشخصى وأخلق» .

(٤) ت : «وأغرب» .

والشيبَ مبدياً لمقاتله، هادياً إلى إصابته لضوئه وبياضه ، وهذا فى نهاية حسن المعنى .

وأراد بقوله : « رمانى » أى أصابنى ؛ ومثله قول الشاعر :

فلمَّا رَمَى شَخصى رَمَيتُ سَوَادَهُ ولا بدَّ أنْ يُرْمَى سَوادُ الَّذِى يَرْمِى

وكان زهيرُ بن جَناب على عهد كُلَيْب وائل ، ولم يكن فى العرب أنطقُ من ز ولا أوْجَه عند الملوك ، وكان لسداد رأيه يسمى كاهنًا، ولم تُجْمَع قُضاعة إلّا عليه وعلى ر ابن ربيعة .

وسمع زهيرٌ بعضَ نسائه تتكلّم بما لا ينبغى لمرأة تتكلم[1] به عنـد زوجها ، فم فقالت له : اسكتْ عَنى وإلّا ضربتُك بهذا العمود ، فوالله ما كنت أراك تسمع شيئاً ولا نعم فقال عند ذلك :

أَلَا لَقَوْمٍ لا أرَى النَّجْمَ طالِعاً ولا الشَّمسَ إلاَّ حاجَتِى بيَمينى
مُعَزِّبَتِى عِنـدَ القَفا بعَمودِها يكُونُ نكيرى أنْ أقولَ ذَرِينى
أَمِيناً على سِرِّ النِّسـاءِ ورُبَّما أكونُ على الأَسرارِ غيرَ أمينِ
فَلَلموْتُ خيرٌ مِنْ حِداجٍ[2] مُوَطَّإٍ مَعَ الظَّعْنِ لا يأْتِى المَحَلَّ لِحِينِ

وهو القائل :

أَبَنِىَّ إنْ أهلِكْ فقدْ أوْرَثْتُكُمْ مجداً بَنِيَّهْ
وتَرَكْتُكُمْ أرْبابَ سا دَاتٍ زِنادُكُمُ ورِيَّهْ
مِن كُلِّ ما نالَ الفَتى قدْ نِلْتُهُ إلّا التَّحِيَّهْ
ولقَدْ رَحَلْتُ البازِلَ الـ كَوْماءَ ليْسَ لها وَلِيَّهْ
وخَطَبْتُ خُطْبَةَ حازِمٍ غيرِ الضَّعيفِ[3] ولا العَيِيَّهْ

(١) ت : « أن تتكلمه » . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « الحدج : مركب من مرا النساء ؛ كالمحفة ؛ وجمعه أحداج وحدوج ؛ والحداجة لغة فيه ؛ عن يعقوب ، والجمع الحدائج » .

(٣) حاشية ت (من نسخة): « لابالضعيف » .

فَالموْتُ خيْرٌ لِلفَتى فَلْيَهْلِكَنْ وبهِ بَقِيَّهْ
مِن أنْ يُرَى الشّيخَ البَجا لَ وقدْ يُهادَى بالعَشِيَّهْ

[٨٠ و] وهو القائل :

ليتَ شِعْرِى والدهرُ ذُو حَدَثانِ أَىَّ حِينٍ مَنِيَّتِى تَلْقانى!
أَسُباتٌ على الفِراشِ خُفاتٌ أَمْ بكَفَّىْ مُفَجَّعٍ حَرَّانِ[1]!

وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره :

لقدْ عُمِّرْتُ حتى ما أُبالى أَحَتْفِى فى صباحى أمْ مَسائى!
وحُقَّ لِمَنْ أتتْ مائتانِ عاماً عليهِ أنْ يَمَلَّ مِنَ الثَّواءِ

قوله : « مُعزِبتى » يعنى امرأتَه ، يقال : مُعزِبَةُ الرجُلِ وطَلَّتُه وحَنَّتُه ؛ كل ذلك امرأته .

وقوله : « أمينا على سرّ النساء » ، السرّ : خلافُ العَلانية ، والسرُّ أيضا : النكاح ، قال الحُطيئة :

ويَحرُمُ سِرُّ جارِهِمُ عليهِمْ ويأْكُلُ جارُهُمْ أنفَ القِصاعِ[2]

وقال امرؤ القيس :

ألاَ زَعَمَتْ بَسْباسَةُ اليومَ أنني كَبِرْتُ وألاَّ يُحْسِنَ السِّرَّ أمثالى[3]

---

(١) حاشية الأصل : « السبات ، أصله النوم ، ويريد به الموت ، وقد قيل : النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل ؛ يقول : ليت شعرى : أأموت حتف أنفى على فراشى ، أم يقتلنى متأثر عطشان إلى دمى! » .

(٢) ديوانه : ٩٣ ؛ وفى حاشية الأصل : « أنف القصاع أول مايغرف من القدر فيكون أدسم » ، وفى شرح الديوان : « يقول : يؤثرون جارهم بالطعام على أنفسهم ، فيأكل صفوة طعامهم قبلهم ، وأنف كل شىء أوله .

(٣) ديوانه : ٣٠ ، وقد ضبط قوله : « ولايحسن » ، بالضمة والفتحة معا، فى الأصل ، ت ، وفى حاشيتيهما : « الرفع على إضمار الهاء ، والنصب على اللفظ » ، وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « وألا يشهد » .

وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعاً ، لأنه إذا كبِر وهرِم لم تتهيّبه النساء أن (١يتحدّثن بحضرته بأسرارهن١) ، تهاونا به ، أو تعويلا على ثِقَل سمعه ، وكذلك هرَمه وكِبَرُه يُوجبان كونَه أمينا على نِكاح النساء لعجزه عنه .

وقوله : « حِداجٌ مُوطَّأ » ، الحِداج (٢) : مَرْكَبٌ من مراكب النساء ، والجمع أحداج وحُدوج .

والظُّعُنُ والأظعان : الهوادِج ، والظعينة المرأة فى الهودَج ؛ ولا تُسمَّى ظعينة حتى تكون فى هَوْدج ، والجمع ظعائن ؛ وإنما خبّر عن هَرَمه ، وأن موته خيرٌ من كونه مع الظُّعُن فى جملة النساء .

وقوله : « زِنادكم وريّهْ » : الزِّناد : جمع زَنْدٍ وزَنْدَة ، وهما عودان يُقْدَحُ بهما النار ، وفى أحدهما فُرُوض ، وهى ثُقَب ؛ فالتى فيها الفروض هى الأنثى ، والذى يُقْدح بطرَفه هو الذَّكَر ، ويسمى الزَّنْد الأب ، والزَّندة الأم . وكنّى « بزنادكم وريّه » عن بلوغهم مآربَهم ؛ تقول العرب : ورَيتْ بك زِنادى ؛ أى نالتُ بك ما أحب من النُّجْح والنجاة ، ويقال للرجل الكريم : وارِى الزِّناد .

[٨٠ ظ] /فأما التحية ، فهى المُلْك ، فكأنه قال : مِنْ كلِّ ما نال الفتى قد نالتُه إلا المُلك ؛ وقيل التحية هاهنا : الخلود والبقاء .

والبازل : النّاقة التى بلغت تسع سنين ، فهى أشدُّ ما تكون ، ولفظ البازل فى الناقة والجمل سواء .

والكَوْماء : العظيمة السَّنام . والوَلِيَّة : برذعة تُطْرَح على ظهر البعير تَلِى جلده .

والبَجال : الذى يُبَجِّلُه قومُه ويعظّمونه . وقوله : « يهادَى بالمشية » ، أى يماشيه الرجال فيُسندونه لضعفه . والتهادِى : المشى الضعيف .

(١ــ١) ت : « تتحدث بحضرته بأسرارها » (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « القياس حدج [بضمتين] فى جمع حداج ؛ إلا أن يكون نادرا ؛ كظروف فى جمع ظريف » .

وقوله: « أسُبَاتٌ »، فالسُّبات : سكون الحركة ، ورجل مسبوت ، والخُفات : الضعف أيضا ، يقال : خَفَتَ[١] الرجل إذا أصابه ضَعْف من مرض أو جوع .

والمفجَّع : الذى فُجع بولَدٍ له أو قرابة . والحرَّان : العطشان الملتهب[٢] ، وهو هاهنا المحزون على قتْلاه .

ومما يروى لزهير بن جَناب :

إذَا ما شِئتَ أنْ تَسْلَى حبيباً ... فأَكْثِرْ دُونَه عَدَدَ اللَّيالى
فما سلَّى حَبيبَكَ مِثْلُ نَأْىٍ ... وما أبلَى جَدِيدَكَ كابتذَالِ[٣]

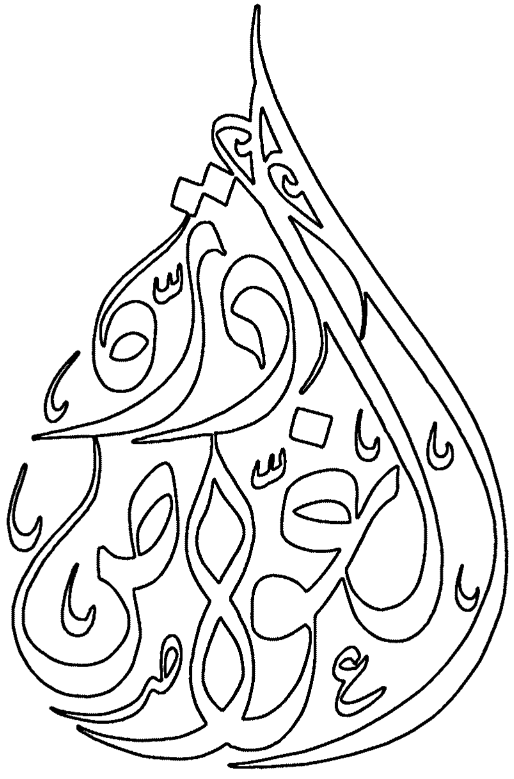

(١) ش : « خفت » ؛ بالنباء للمجهول . (٢) ش : « المحترق » .

(٣) وانظر ترجمة زهير بن جناب وأشعاره وأخباره فى (أخبار المعمرين ٢٤ــ٢٩ ، والمؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء ١٣٠ ، وطبقات الشعراء : ٣٠ ، والأغانى ٢١ : ٦٣ــ٦٨ ، والشعر والشعراء ٣٣٩ــ٣٤٢ ، وتاريخ ابن الاثير ١ : ٢٩٩ــ٣٠١) .

١٧
مجلس آخر

ومن المعمَّرين ذو الإصبع العَدوانيّ ، واسمه حُرثان بن مُحَرِّث بن الحارث بن ربيعة ابن وَهْب بن ثعلبة بن ظَرِب بن عمرو بن عِياذ[١] بن يَشْكُر بن عَدوان . وهو الحارث بن عمرو بن قَيْس بن عَيلان بن مضر[٢] .

وإنما سُمى الحارث عَدْوان ، لأنه عَدَا على أخيه؛ فهَمّ[٣] بقتله ، وقيل : بل فَقَأَ عينه ، وقيل : إن اسمَ ذو الإصبع مُحرّث بن حُرثان، وقيل : حُرْثان بن حُوَيرث، وقيل : حرثان ابن حارثة، ويكنّى أباعدوان .

وسبب لقبه بذى الإصْبَع أنَّ حية نهشته على إصبعه فشَلَّتْ ، فسمى بذلك . ويقال : إنه عاش مائة وسبعين سنة . وقال أبو حاتم: إنه عاش ثلاثمائة سنة .

وهو أحد حكّام العرب فى الجاهلية . وذكر الجاحظ أنه كان أثْرَم[٤] وروى عنه :

لاَ يَبْعَدَنْ عَهدُ الشبابِ ولاَ ... لَذَّاتُهُ ونَباتُهُ النضْرُ[٥]
لوْلاَ أولئك ما حَفَلتُ متى ... عُوليتُ فى حَرَجٍ[٦] إلى قَبْرِى

(١) ش : « عباد بن يشكر » . (٢) حاشية الأصل : « قال ش : هو قيس عيلان؛ وليس بقيس بن عيلان ، وهو لقب للناس بن مضر ، والناس أخو إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وقيل : عيلان اسم فرسه فنسب إليه ، وقيل: بل عيلان لقب مضر بن نزار ، لأنه يقال قيس بن عيلان ؛ قال زفر بن الحارث :

أَلَا إنَّما قيس بن عَيْلانَ بَقَّةٌ ... إذا وَجَدَتْ ريحَ المُصَيْرِ تغنَّتِ

(٣) ش : « فهم فقتله » . (٤) حاشية الأصل : « الأثرم : الذى سقطت مقاديم أسنانه » .

(٥) فى حاشية الأصل ، ت : « إن جررت النضر بدلا من الهاء فى « نباته » تخلصت من الإقواء ؛ ولك أن تقول : « النضرى » مندوبا كقوله : « والدهر بالإنسان دوارىّ » ، ويجوز أن يعطف على الشباب » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « حرجى » والحرج : سرير الموتى .

/ هَزِئتْ أُثَيْلَةُ أنْ رَأتْ هَرَمِى   وأنِ انحَنَى لِتقادُمٍ ظَهْرِى [٨١ و]

وكان(١) لذى الإصبَع بنات أربعٌ ، فعرَض عليهنّ أن يزوّجهنّ فأبين وقُلْن : خِدْمَتُك وقربُك أحبُّ إلينا . ثم أشرف عليهنّ يوماً من حيث لا يرينه ، فقلن : لِتقُل كلٌّ واحدةٍ منّا ما فى نفسها ، فقالت الكبرى :

أَلاَ هَـلْ أَراها مَرّةً وَضَجيعُهَا   أَشَمُّ كَنَصْلِ السَّيفِ عَيْنُ مُهَنَّدِ(٢)
عَليمٌ بِأَدْوَاءِ النِّساءِ وأَصـلُهُ   إذَا ما انتمَى مِنْ سِرِّ أَهْلِى وَمَحتِدِى(٣)

ويروى « من أهل سِرّى ، ومن أصْل سرّى ومحتدى » .

فقلن لها : أنتِ تريدينَ ذا قرابة قد عرفتِه . ثم قالت الثانية :

أَلاَ لَيتَ زَوْجِى مِن أُناسٍ أُولِى عِدًى(٤)   حديثُ الشَّباب طَيِّبُ الثَّوْبِ(٥) وَالعِطْرِ

ويروى : « أولى غنى » .

لَصُوقٌ بأكبادِ النِّساء كأنّهُ   خليفةُ جانٍ لا يَنامُ على وِتْرِ(٦)

ويروى : « لا ينام على هَجْرِى » .

فقلن لها : أنت تريدين فتًى ليس من أهلك . ثم قالت الثالثة :

---

(١) الخبر فى الأغانى ٣ : ٩٤-٩٦ (طبع دار الكتب المصرية) ، ومع شرحه فى الكامل — بشرح المرصفى ٥ : ٩٤-١١١ ، مع اختلاف فى الرواية ونسبة الأبيات .

(٢) حاشية ت (من نسخة) :

أَلا هَلْ أراهَا لَيْلَةً وضَجيعُها   أَغَرُّ كَنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ الْمُهَنَّدِ

ورواية الأغانى :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا لَيْلَةً وَضجيعُها   أَشَمُّ كَنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ مُبَلَّدِ

(٣) رواية الأغانى : « طبيب بأدواء النساء » ، ورواية الكامل : « بأدواء النساء كأنه » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « ذوى غنى » ، وهى رواية الأغانى والكامل .

(٥) رواية الكامل : « طيب النشر » ، ورواية الأغانى : « طيب الريح » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « خليفة جان » .

ألاَ لَيْتَهُ يُكْسَى الجَمالَ نَديهُ[1] لهُ جَفْنةٌ تَشْقَى بِها المَعْزُ[2] والجُزُرُ
لهُ حَكَماتُ الدَّهرِ مِنْ غيرِ كِبْرَةٍ تَشِينُ؛ فلاَ فانٍ ولاَ ضَرَعٌ غُمْرُ

فقلن لها: أنت تريدين سيدا شريفاً.

وقلن للرابعة: قولي، فقالت: لاأقول شيئا، فقلن لها: ياعدوةَ الله، علمتِ مافى أنفسنا ولا تعلمينَنَا مافى نفسك! فقالت: «زوج من عود خيرٌ من قعود»؛ فمضت مثلا.

فزوجهن أربعهن، وتركهن حولاً، ثم أتى الكبرى فقال: يا بُنية، كيف ترين زوجك؟ قالت: خيرُ زَوج، يكرمُ الحليلة، ويُعطِي الوسيلة. قال: فما مالُكم؟ قالت: خير مال، الإبل نشرب ألبانها جُزَعاً ـ ويروى: «جُرَعا»، بالراء غير المعجمة ـ ونأكل لحمانها مِزَعاً، وتحملنا وضعيفَنا[3] معاً؛ فقال: يا بنيّة، زوج كريمٌ، ومال عميمٌ.

ثم أتى الثانية فقال: يا بُنَيَّة، كيف زوجُك؟ قالت: خيرُ زَوجٍ؛ يُكرم أهله، ويَنسى فَضْله، قال: وما مالُكم؟ قالت: البقر تألف الفِناء، وتملأُ الإناء، وتُودِك[4] السقاء، ونساء مع النساء[5]، فقال لها: حظيتِ وبَظيتِ[6].

ثم أتى الثالثة فقال: يا بنية، كيف زوجك؟ قالت: لا سمحٌ بذِر[7]، ولا بخيل حَكِر[8]

(١) رواية الأغانى:

* ألاَ لَيْتَه يَملاَ الجِفَانَ لِضَيفِه *

ورواية الكامل:

* ألا ليته يعطَى الجمال بديئَةً *

(٢) فى الأغانى: «النيب».

(٣) حاشية ت (من نسخة): «وضعفتنا». (٤) حاشية ت (من نسخة): «تودك»، بتشديد الدال مكسورة؛ وكذا ضبطت بالقلم فى الكامل. (٥) ش: «مع نساء»، وهى رواية الأغانى والكامل. (٦) حاشية ت (من نسخة): «رضيت».

(٧) بذر: يبسط ماله بالبذر؛ وهو وصف للمبالغة. (٨) حكر: هو الذى لايزال يحبس سلعته حتى يبيع بالكثير من شدة حكره.

قال: فما مالكم؟ قالت: المِعْزى، قال: وما هى؟ قالت: لو كُنَّا نُوَلِّدُها فُطُماً، ونسلخُها أُدُماً — ويروى: «أَدَماً» بالفتح — لم نَبْغِ بها نعماً. فقال لها: جِذْوةٌ(1) مغنية — ويروى: جَذْوى(2) مُغْنِية.

ثم أتى الصغرى فقال: كيف زوجُك؟ قالت: شرُّ زَوْج؛ يكرِمُ نفسَه، ويُهين عُرسَه؛ قال: فما مالكم؟ قالت: شرُّ مال، قال: وما هو؟ قالت: الضأنُ، جُوفٌ لا يشبَعْن، وهِيمٌ لا يَنقَعن، وصمٌّ لا يسمعن، وأمرُ مُغْوِيَتِهن يَتْبَعن. فقال أبوها: «أشبَه امرؤٌ(3) بعضَ بَزِّه»، فمضتْ مثلا.

أما قول إحدى بناته فى الشمر: «أشمّ»، فالشمَمُ هو ارتفاع أرنبة الأنف وورودها؛ يقال: رجل أشمُّ، وامرأة شماء، وقوم شمّ، قال حسان بن ثابت:

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ ... شُمُّ الأُنوفِ مِنَ الطِّرازِ الأَوَّلِ(4)

والشَّمَمُ: الارتفاع فى كلّ شىء؛ فيحتمل أن يكون حسّانُ أراد بشُمِّ الأنوف ما ذكرناه من ورود الأرنبة؛ لأن ذلك عندهم دليل العِتْق والنجابة. ويجوز أن يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعُدهم عن دنايا الأمور ورذائلها؛ وخصَّ الأنوفَ بذلك؛ لأن الحَمِيَّةَ والغضب والأنَف(5) فيها؛ ولم يُرِد طولَ أنفهم؛ وهذا أشبهُ بأن يكون مرادَه؛ لأنه قال: «بيض الوجوه» ولم يُرِد بياض اللون فى الحقيقة، وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم، وجميل أخلاقهم وأفعالهم؛ كما يقول القائل: جاءنى فلان بوجهٍ أبيض؛ وقد بيَّض فلانٌ وجهَه بكذا وكذا، وإنما يعنى ما ذكرناه. وقول المرأة: «أشمّ كنصْل السيف» يحتمل الوجهين أيضا. وقول حسان «من الطراز الأول»، أى أفعالهم أفعال آبائهم وسلفهم، وأنّهم لم يُحدثوا أخلاقاً مذمومة لا تشبه نِجارهم وأصولهم. وقولها: «عين مهنّدٍ»؛ أى هو المهنّد بعينه، كما يقال: هذا هو بعينه، وعين

(1) حاشية ت (من نسخة): «حذوة».
(2) حاشية ت (من نسخة): «حذوى». (3) حاشية ت (من نسخة): «أشبه امرأ بعض بزه»، والبز فى الأصل: متاع البيت من الثياب خاصة؛ كنى به عن الضأن؛ وهى متاع؛ والمثل يضرب للمتشابهين أخلاقا. (4) ديوانه: ٨٠. (5) حاشية ت (من نسخة): «والأنفة».

الشيء نفسه . وعلى الرواية الأخرى : «غير مهنَّدٍ» أى ليس هو السيف المنسوب إلى الهند فى الحقيقة ، وإنما هو يُشبهه فى مضائه . وقولها : « من سرّ أهلى » ، أى من أكرمهم وأخلصهم ، يقال : فلان فى سرّ قومه ، أى فى صميمهم وشرفهم ، وسرُّ الوادى : أطيبُه ترابًا. والمحتِد : الأصل .

[٨٢ و] وقول الثانية : « أولى عِدًى »/ فإنّما معناه أن يكون لهم أعداء ، لأنَّ مَن لا عدوَّ له هو الفَسْل الرذْل الذى لا خيرَ عنده ، والكريمُ الفاضل من الناس هو المحسَّد المعادَى [١] .

وقولها: « لصوقٌ بأكباد النساء » تعنى فى المضاجعة ، ويحتمِل أن تكون أرادت فى المحبة والمودّة ، وكنَّتْ بذلك عن شدّة محبتهن له ، وميلهن إليـــه ، وهو أشبه . وقولها : « كأنه خليفةُ جانٍ » أى كأنه حيّة لِلُصُوقِه ، والجان : جنس من الحيات [٢] ، نخفّفت لضرورة الشعر .

وقول الثالثة : « يُــكْسَى الجمالَ نديُّه » فالندىّ هو المجلس . وقولها : « له حَــكَمات الدهر » تقول: قد أحكَمته التجارِبُ ، وجملته حكيما. فأما الضَّرَع فهو الضعيف . والغُمْر : الذى لم يجرب الأمور .

وقول الــكبرى: «ويكرم الحليلة، ويعطى الوسيلة» ، فالحليلة هى امرأة الرجل ، والوسيلة الحاجة . وقولها : « نَشرَب ألبانها جُزَعًا » فالجُزَع جمع جُزْعة ، وهو الماء القليل يبقى فى الإناء ، وقولها: «مُزَعًا» ، المُزْعة: البقية من دَسَم ، ويقال : ماله جُزْعة ولا مُزْعة ، هكذا ذكر ابنُ دريد ، الضمّ فى جُزْعة ، ووجدت غيره يكسرها فيقول جِزْعة ، وإذا كسرَت فينبغى

(١) حاشية ت : « الأولى أن يكون العدى هاهنا الغرباء ؛ لما تقدم من : استدلالهن ؛ وهو قولهن « فتى ليس من أهلك » . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « لأن يكون من الجناية أحسن وأقرب إلى الصواب ، ويكون من باب قوله :

* إذا لَمْ أَجْنِ كُنْتَ مِجَنَّ جَانِ *

أن يكون « نشرب ألبانها جِزَعًا » وتكسر المِزْعَة أيضا ليزدوج الكلام ، فتقول : « ونأ كل لُحمانها مِزَعًا » ، قال : المِزْعة، بالكسر : هى القطعة من الشحم ، والمِزْعة بالكسر أيضا من الرِّيش والقُطن وغير ذلك ، كالمِزْقَة من الخِرق ، والتَّمزيع : التقطيع والتشقيق ؛ يقال إنه ليكاد يتمزّع من الغيظ ، ومَزَع الظَّبْىُ فى عَدْوه يَمْزَع مَزْعا ؛ إذا أسرع ، وقوله : «مال عميم» : ، أى كثير .

وقول الثانية : « نُودِكُ السِّقاء »، من الوَدَك الذى هو(١) الدَّسم .

وقول الثالثة: «نُوَلِّدُها فطمًا» ، الفُطُم : جمع فَطِيم، وهو المقطوع من الرَّضاع. وقولها : «نسلخها أُدُمًا»، فالأُدُم : جمع إدام ، وهو الذى يؤكل ؛ تقول : لو أنا فطمناها عند الولادة وسلخناها للأُدُم من الحاجة لم نبغ بها نعماً . وعلى الرواية الأخرى : أَدَمًا ، من الأدِيم . وقوله : « جِذْوة مُغْنِية » ، فالجِذْوة : القطعة .

وقول الصغرى : «جُوفٌ لا يشبَعْن » ، الجُوف : جمع جَوْفاء ؛ وهى العظيمة الجوف . والهيم: العِطاش ، ولا ينقَعن؛ أى لا يَرْوَين ، ومعنى قولها: « وأمر مُغْوِيتهن يَتْبَعْن »، لأنّ القطيع من الضأن يمر على قنطرة فتزِلّ واحدةٌ فتقع فى الماء ، فيقعن كُلُّهُنّ إتباعا لهـا ، والضأن يوصَف / بالبلادة . [٨٢ ظ]

أخبرنا أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابنُ دُرَيد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عُبيدة عن يونس. قال ابن دريد وأخبرنا به العُكْلِىّ عن أبى خالد(٢) عن الهيْثم بن عَدِىّ عن مِسْعَر بن كِدام قال حدثنى سعيدُ بن خالد الجَدَلىّ قال : لما(٣) قدم عبدُ الملك ابن مروان الكوفة بعد قَتْل مُصْعَب ، دعا الناسَ على فرائضهم(٤) ، فأتيناه فقال :

(١) حاشية الأصل : « بخط ابن الشجرى على الحاشية : وجدت فى بعض الروايات : « تودل السقاء » باللام مأخوذ من الأدل ؛ وهو اللبن الحامض » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « عن أبى خالد » .

(٣) الخبر فى الأغانى ٣ـ ٩١ـ ٩٢ ؛ (طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) ت : « إلى فرائضهم » ، والفرائض : العطايا .

(١من القومُ ؟ فقلنا : جَدِيلَة١) ، فقال : جَدِيلة عَدْوَان ؟ قلنا : نعم ، فتمثَّل عبد الملك :

عَذِيرَ الحَىِّ مِنْ عَدْوَا ... نَ كانُوا حيَّةَ الأَرْضِ(٢)
بَغَى بَعْضُهُمُ بَعْضاً ... فَلَمْ يُرْعُوا على بَعضِ
ومِنْهُمْ كانتِ السادَا ... تُ والمُوفُونَ بالقَرْضِ
ومِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِى ... فَلاَ يُنقَضُ ما يَقْضِى
ومِنْهُمْ مَنْ يُجيزُ النا ... سَ فى السُّنَّةِ والفَرْضِ(٣)

ثم أقبل على رجلٍ كُنَّا قدَّمناه أمامنا جَسِيمٍ وَسِيم ، فقال : أيُّكم يقول هذا الشعر ؟ فقال : لا أدرى ، فقلت أنا مِن خَلْفه : يقوله ذو الإصبع ، فتركنى وأقبل على ذاك الجسيم فقال : وما كان اسمُ ذى الإصْبع ؟ فقال : لاأدرى ، فقلت أنا من خلفه: حُرثان ، فأقبل عليه وتركنى ، فقال : لِمَ سمِّى ذا الإصبع ؟ فقال : لا أدرى ، فقلت : أنا من خلفه نَهشَتْه حيّة فى إصبعه، فأقبل عليه وتركنى فقال : مِنْ أيّكم كان ؟ فقال : لا أدرى ، فقلت أنا من خلفه من بنى ناجٍ ، فأقبل على الجسيم فقال : كم عطاؤك ؟ قال : سبعمائة(٤) ، ثم أقبل علىَّ فقال: كم عطاؤك ؟ قلت : أربعمائة (٥) فقال : يا بن الزُّعيزِعة، حطَّ من عطاء هذا ثلاثمائة ، وزدها فى عطاء هذا ، فرُحتُ وعطائى سبعمائة وعطاؤه أربعمائة .

وفى رواية أخرى أنه قال له : من أيّكم كان ؟ فقال : لا أدرى، فقلت أنا من خلفه: من بنى ناجٍ ، الذى يقول فيهم الشاعر :

وأما بنو ناجٍ فلاَ تَذْكُرَنَّهمْ ... ولاَ تُتْبِعَنْ عَيْنَيكَ مَنْ كانَ هالِكا
(٦إذا قلتَ معروفا لِتُصْلحَ بينهم٦) ... يَقولُ وُهَيْبٌ لاَ أُسالِمُ(٧) ذَلِكا

(١ــ١) ت : « ممن القوم ؟ فقلنا : من جديلة » . (٢) حاشية الأصل : « عذير : مصدر يقوم مقام الاستفهام ؛ والتقدير : من يعذرهم ؟ » . (٣) قال أبو الفرج : « قوله « ومنهم من يجيز الناس » ؛ فإن إجازة الحج كانت لخزاعة ، فأخذتها منهم عدوان » ، وانظر القصيدة فى الأغانى مع اختلاف الرواية وعدد الأبيات . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « سبعمائة درهم » (٥) حاشية ت (من نسخة) « أربعمائة درهم » . (٦ــ٦) حاشية ت : « إذا قلت معروفا لأصلح بينهم » ، وهى توافق رواية الأغانى . (٧) م : « لاأسلم » .

ويروى « لا أحاول ذلـكا » .

/فأضحى كظَهْرِ العوْدِ(١) جُبَّ سَنامُهُ　　تَحُومُ عليهِ الطيرُ أحدَبَ بارِكا [٨٣ و]

وقد رُويت هذه الأبيات لذى الإصبع أيضا :

ومن أبيات ذى الإصبع السائرة قوله :

أُكاشِرُ ذَا الضِّغْنِ المُبيِّنِ مِنهمُ　　وأضحكُ حتَّى يَبْدُوَ النَّابُ أجمَعُ(٢)
وأُهدِنُهُ بالقوْلِ هَدْنًا ولوْ يرَى　　سَرِيرَةَ ما أُخْفِى لَباتَ يُفزَّعُ

ومعنى « أُهْدِنه » أسكّنه .

ومن قوله أيضا :

إذَا ما الدّهرُ جرَّ على أُناسٍ　　شَراشِرَهُ أناخَ بآخَرِينا(٣)
فقُلْ للشّامِتِينَ بنا أفيقُوا　　سَيلقَى الشّامِتُونَ كما لَقِينا

ومعنى « الشراشر » هاهنا الثِّقْل ، يقال ألْقَى عليه شَراشره وجَرامِيزَه ، أى ثِقْله .

ومن قوله :

ذَهبَ الّذِينَ إذَا رَأَوْنى مُقْبِلاً　　هشُّوا إلىَّ ورَحَّبوا بالمُقْبِلِ
وهُمُ الّذِينَ إذَا حَمَلْتُ حَمالَةً(٤)　　ولَقِيتُهُمْ فكأنَّنى لمْ أحمِلِ

ومن قوله وهى مشهورة(٥) :

---

(١) العود هنا : المسن من الإبل ، ورواية للأغانى: «الفحل». ورواية أخرى : « فأضحوا كظهر العود » ، وبعده :

فإنْ تَكُ عَدْوانُ بن عمرو تفرَّقَتْ　　فقد غَنِيَتْ دَهْراً مُلوكا هُنالـكا

(٢) البيتان فى حماسة البحترى ١٤٠ ، ونسبهما إلى معن بن أوس .

(٣) نسب البيتان فى الشعر والشعراء: ٥٠٤ ، والحماسة ٣ : ١٩١ ، وعيون الأخبار ٣ : ١١٤ ، للفرزدق ؛ وفى حماسة البحترى : ١٤٩ نسبا إلى مالك بن عمرو الأسدى .

(٤) الحمالة : الدية . (٥) القصيدة فى المفضليات ــ بشرح ابن الأنبارى ٣٢١ــ٣٢٧ ، والأمالى ١ : ٢٥٤ــ٢٥٧ ، والخزانة ٣ : ٢٢٦ــ٢٢٨ ، وشرح شواهد المغنى : ١٤٧ــ١٤٨ ، وأبيات منهاف الشعر والشعراء ٦٨٩ ؛ مع اختلاف فى الرواية وعدد الأبيات .

لِيَ ابنُ عَمٍّ على ما كانَ مِنْ خُلُقٍ ... مُختلِفانِ فأَقْلِيهِ ويَقْلِينى (١)
أَزْرَى بنا أَنَّنا شالَتْ نَعامَتُنا ... فَخالَنى دُونَه بلْ خِلْتُه (٢) دُونى
لاهِ ابنُ عمِّكَ لا أفضلْتَ فى حَسَبٍ ... عَنّى ولا أنتَ دَيّانى فتَخْزُونى (٣)
إنّى لَعَمْرُكَ ما بابى بذى غَلَقٍ ... عن الضيوفِ ولا خَيْرى بمَمْنُونِ (٤)
ولا لِسانى على الأدْنى بمُنطَلِقٍ ... بالفاحشاتِ ولا أُغْضِى على الهُونِ
ماذا علىَّ وإن كُنتُمْ ذَوِى رَحِمى (٥) ... ألاّ أُحِبَّكُمُ إذْ (٦) لمْ تُحِبُّونى
يا عَمْرُو إلاّ تَدَعْ (٧) شَتْمى ومَنقَصَتى ... أَضْرِبْكَ حيثُ (٨) تقولُ الهامةُ اسْقُونى
وأنتمُ مَعْشرٌ زَيْدٌ (٩) على مائةٍ ... فأجْمِعُوا أمرَكُمْ طُرّاً فكِيدُونى
لا يُخرِجُ القَسْرُ مِنّى غيرَ مأْبِيَةٍ ... ولا أَلِينُ لِمَنْ لا يَبْتَغِى لِينى (١٠)

[٨٣ ظ] /قوله « شالتْ نعامتُنا »، معناه تنافرْنا (١١، فضرَبَ النعامَ مثلاً؛ أى لا أطمئن إليه (١١)، ولا يطمئن إلىّ، يقال: شالتْ نعامة القوم إذا جَلَوْا (١٢) عن الموضع.

وقوله: « لاهِ ابنُ عمك » ؛ قال قوم: أراد للهِ ابنُ عمك. وقال ابن دريد: أقسم وأراد اللهِ ابنَ عمك. وقوله: « عنّى » أى علىّ (١٣)، والدَّيّان: الذى يلى أمرَه. ومعنى: «فتَخْزُونى» أى تسوسونى. والهُون: الهوان.

---

(١) حاشية الأصل: «أى نحن مختلفان». (٢) ت، حاشية الأصل (من نسخة): «وخلته»؛ وهى رواية الأمالى. وأزرى بنا: قصر بنا. (٣) لا أفضلت؛ أى ماجئت بفضل.

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «عن الصديق»، وممنون: منقطع؛ أى لا أقطع عنه فضلى.

(٥) حاشية ت (من نسخة): «رحم». (٦) ش: «إن».

(٧) حاشية الأصل (من نسخة): «إن لم تدع». (٨) م: «حتى».

(٩) زيد: زيادة. (١٠) حاشية الأصل (من نسخة) بعد هذا البيت:

كلُّ امْرِئٍ صائرٌ يَوْماً لِشِيمَتِهِ ... وإنْ تَخَلَّقَ أَخْلاقاً إلَى حِينِ

(١١–١١) ت: «نفرت لا أطمئن إليه». (١٢) حاشية ت (من نسخة): «أجلوا».

(١٣) فى حاشيتى الأصل، ت: «الأحسن أن يقدر هاهنا فعل يتعلق «عن» به؛ هكذا هو عند المحققين».

وقوله : « أضربْكَ حيثُ تقول الهامةُ اسقونى » ، قال الأصمعىّ : العطشُ فى الهامة، فأراد أضربك فى ذلك الموضع ، أى على الهامة حتى تعطش . وقال آخرون : العرب تقول : إن الرجل إذا قُتِل خرجت من رأسه هامة تدورُ حولَ قبره، وتقول: اسقونى،اسقونى! فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بثأره ؛ وهذا باطل. ويجوزُ أن يَعنيَه ذو الإصبع على مذاهب العرب .

وقوله : « لا يُخرِج القسْرُ مِنِّى غيرَ مَأْبِيَة » ، فالقَسْر: القهر، أى إن أخِذْت قَسْرًا لم أزْدَدْ إلاَّ إباءً(١) .

* * *

ومن المعمَّرين مَعْدِى كَرِبَ الْحِمْيَرِىّ؛ من آل ذى رُعَيْن« قال ابن سلاَّم : "وقال مَعْدى كَرِبَ(٢) الْحِميرىّ- وقد طال عمره :

أرانى كلَّما أفنيْتُ يوماً   أتانى بَعْدَهُ يومٌ جَديدُ
يَعودُ بَياضهُ(٣) فى كلّ فَجْرٍ   ويأْبى لى شَبابى ما يَعُودُ

* * *

ومن المعمّرين الربيع بن ضُبَع(٤) الفَزَارىّ، ويقال إنه بَقِى إلى أيام بنى أمية. ورُوِى أنَّه دخلَ على عبد الملك بن مروان فقال له : ياربيعُ ، أخبِرْنى عمَّا أدركتَ من العُمْرِ والمَدَى، ورأيت من الخطوب الماضية ، قال : أنا الذى أقول :

هأنذا آمُلُ الخُلُودَ وقدْ   أدْرَكَ عَقْلى ومَوْلِدِى حُجُرَا(٥)

فقال عبد الملك : قد رويتُ هذا من شعرك وأنا صبى ، قال : وأنا القائل :

---

(١) وانظر ترجمة ذى الإصبع وأخباره وأشعاره فى (الاشتقاق ١٦٣ ، والمعمرين ٩٠ ، والأغانى ٣ : ٢-١١ ، واللآلئ ٢٨٩-٢٩٠ ، والخزانة ٢ : ٤٠٦-٤٠٩ والشعر والشعراء ٦٨٨-٦٩٠) .

(٢) حاشية الأصل : « معدى كرب ، بالفتح ، ويكون معدى مضافا إلى كرب » .

(٣) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « ضياؤه » . (٤) ت : « ضبع ، بالتنوين ، وفى حاشية الأصل : « فى نسخة مقروءة من كتاب سيبويه — وقد قرئ على أبى على الفارسى رحمه الله — وفى أخرى مقروءة على ابن أخته أبى الحسين : الربيع بن ضبع ، منونا بآخره » . (٥) حاشية الأصل : «حجر أبو امرئ القيس» .

إذا عاشَ الفتى مِائتَيْنِ عامًا فقدْ ذهَبَ اللَّذاذَةُ والفَتاءُ[١]

قال: قد رويتُ هذا من شعرك وأنا غلام، وأبيك يا ربيع، لقد طلَبك[٢] جَدٌّ غيرُ عاثر، ففصِّل لى عمرَك، قال: عشتُ مائتى سنة فى فترة عيسى عليه السلام، وعشرين ومائة فى الجاهلية، وستين سنة / فى الإسلام. قال: أخبرنى عن فتية من قريش متواطئى الأسماء، قال: سلْ [٨٤ و] عن أيِّهم شئتَ، قال: أخبرنى عن عبد الله بن العباس، قال: فَهمٌ وعلمٌ، وعَطاءٌ جَذْمٌ[٣]، ومِقْرًى ضخمٌ. قال: فأخبرنى عن عبد الله بن عمر قال: حِلم وعلم، وطولُ كَظْمٍ، وبُعْدٌ من الظُّلْم. قال: فأخبرنى عن عبد الله بن جعفر، قال: ريحانةٌ طيِّبٌ ريحُها، ليِّنٌ مسُّها، قليل على المسلمين ضرُّها. قال: فأخبرنى عن عبد الله بن الزُّبير، قال: جَبَلٌ وَعْر، ينحدِر[٤] منه الصَّخْر. قال: لله دَرُّك يا ربيع! ما أعرَفك بهم! قال: قُرْبُ جِوارى، وكثرةُ استِخْبارى.

قال سيدنا الشريف الأجلّ المرتضى أدام الله علوّه: إن كان هذا الخبر صحيحًا فيشبه أن يكون سؤالُ عبد الملك له إنما كان فى أيام معاوية، لا فى أيام ولايته، لأن الربيع يقول فى الخبر: «عشت فى الإسلام ستين سنة»[٥]، وعبد الملك وُلِّى فى سنة خمس وستين من الهجرة، فإن كان صحيحًا فلابد مما ذكرناه؛ فقد رُوِى أن الرَّبيع أدرك أيام معاوية؛ ويقال: إن الربيع لما بلغ مائتى سنة قال:

(١) البيت من شواهد الرضى على الكافية، وهو فى (الخزانة ٣ : ٣٠٦)، أورده شاهدا على أنه قد يفرد مميز المائة وينصب؛ وأورده سيبويه فى موضعين: الأول فى باب الصفة المشبهة بالفاعل وذكر أسماء العدد وعملها فى الأسماء؛ (الكتاب ١ : ١٠٦)، والثانى فى باب كم (١ : ٣٠٦). وأورده ابن قتيبة فى (أدب الكاتب : ٢٩٥)، فى باب «أسماء يتفق لفظها وتختلف معانيها»، قال: «والفتاء من السن ممدود، وروى البيت، وذكره البطليوسى فى الاقتضاب : ٣٦٩، وأورد بيتين بعده.

(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «لقد طار بك».

(٣) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «حذم»، بالحاء، وأصل الحذم الإسراع.

(٤) حاشية الأصل (من نسخة): «ينحدر منه»، وفى حاشية ت (من نسخة): «ينحدر عنه».

(٥) ت: «حجة».

أَلاَ أَبلِغْ بَنِيَّ بَنى رَبيعٍ ... فأَشرَارُ البَنِينَ لكُم فِدَاءُ(١)
بأَنِّى قدْ كَبِرتُ ودَقَّ عَظْمى ... فلا تَشْغَلْكُمُ عنِّى النِّسَاءُ
وإِنَّ كَنائنى لَنِساءُ صِدْقٍ ... وما آلَى بَنِيَّ ولاَ أَساءوا(٢)
إِذَا كانَ(٣) الشِّتاءُ فأَدفِئُونى ... فإِنَّ الشيخَ يَهْدِمُهُ الشِّتاءُ
وأَمَّا حينَ يذهبُ كُلُّ قُرٍّ ... فسِرْبالٌ خَفيفٌ أَو رِداءُ
إِذَا عاشَ الفتَى مِائتَيْنِ عاماً ... فقَدْ ذَهَبَ اللَّذَاذَةُ(٤) والفَتاءُ

وقال حِينَ بلغ مائتين وأربعين سنة :

أَصبحَ مِنِّى الشَّبابُ قدْ حَسَرَا(٥) ... إِنْ يَنْأَ(٦) عنِّى فقدْ ثَوَى عُصُرَا
ودَّعَنا قَبلَ أَنْ نُوَدِّعَهُ ... لَمَّا قضَى مِنْ جِماعِنا وَطَرا
ها أَنا ذَا آمُلُ الخُلودَ وقدْ ... أَدْرَكَ عَقْلِى(٧) ومَولِدِى حُجُرا
أَبا امرِئِ القَيسِ هَلْ سَمِعْتَ بهِ ! ... هَيهاتَ هَيهاتَ طالَ ذَا عُمُرَا
/ أَصبَحْتُ لا أَحمِلُ السِّلاحَ وَلا ... أَملِكُ رأْسَ البَعيرِ إِنْ نَفَرَا [٨٤ ظ]

(١) المقطوعة فى (شرح أدب الكاتب للجواليقى ٢٦٦، والمعمرين ٦—٧ ، وذيل الأمالى : ٢١٤، والخزانة ٣ : ٣٠٦) . قال الجواليقى : « قوله : « فأشرار البنين لكم فداء » ، وصفهم بالبر » ، وفى الخزانة : « أنذال البنين » .

(٢) الكنائن : جمع كنة ؛ بالفتح والتشديد ؛ وهى امرأة الابن والأخ ؛ يريد أنهن نعم النساء، وفى حاشية ت (من نسخة) : « ألى » ، بتشديد اللام قال : « وهو الصحيح؛ ومعنى «ألى» ، قصر فى قول بعضهم ، واللغة الأخرى «ألا» ، مخففا ؛ يقال : ألا الرجل يألو ؛ إذا قصر وفتر ؛ فأما « آلى » فى البيت فلا وجه له ؛ لأنه بمعنى حلف ، ولا معنى له هاهنا » . وفى المعمرين لأبى حاتم : « ويروى : « وما ألى » ، والألية : القصير ، ومن قال : « وما آلى » فالمعنى ماأقسموا ألا يبرونى » ، وروى عن أبى عمرو الشيبانى قال : سألنى القاسم بن معن عن قوله :

* وما ألّى بنىّ وما أساءوا *

قلت: أبطئوا ، قال : ماتدع شيئا ! وانظر اللسان (ألا) .

(٣) كان هاهنا تامة، لااسم لها ولا خبر ، وفى المعمرين : « جاء » .

(٤) فى الاقتضاب : « النخيل » ، وقال فى شرحه : النخيل : الخيلاء ، ويروى : « المسرة » ، ويروى : « المروءة » .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ت : « يقال : حسر البعير يحسر إذا أعيا ، وتحسر واستحسر كذلك ، وحسرته أنا ، يتعدى ولا يتعدى » .

(٦) ت : « بان عنى » .

(٧) ش : « سنى » ، وفى م : « عقلى » .

والذِّئبَ أخشاهُ إنْ مَرَرْتُ به وَحْدِي وأخشَى الرِّياحَ والمَطَرَا
مِنْ بَعـدِ ما قُوَّةٍ أُسَرُّ[(١)] بها أصبحتُ شَيخًا أُعالِجُ الكِبَرَا[(٢)]

قوله : « عطاء جَذْم » أي سريع، وكلّ شيء تسرّعْتَ فيه فقد جَذَمْته ، وفي الحديث: « إذَا أذَّنْتَ فترسَّلْ ، وإذا أقمْتَ فَاجْذِمْ »، أي أسرع . والقِرْي : الإناء الذي يُقْرَى فيه . وقوله : « فما آلى بَنِيّ ولا أساءوا » ، أي لم يقصِّروا ، والآلِي : المقصِّر[(٣)] .

(١) حاشية ت من نسخة : « أنوء » . (٢) وردت هذه الأبيات في حماسة البحتري : ٣٢٢ ، ونوادر أبي زيد ١٥٨ ؛ ونقل صاحب الخزانة (٣ : ٣٠٩) عن ابن السيد في شرح الجمل قال : « روى الرواه أن الربيع بن ضبع عاش حتى أدرك الإسلام، وأنه قدم الشام على معاوية بن أبي سفيان ومعه حفدته، ودخل حفيده على معاوية فقال له : اقعد ياشيخ ؛ فقال له : وكيف يقعد من جده بالباب ؟ فقال له معاوية : لعلك من ولد الربيع بن ضبع ، فقال: أجل ؛ فأمره بالدخول ، فلما دخل سأله معاوية عن سنه فقال :

أَقْفَرَ من مَيَّةَ الجريبُ إلى الزُّ جَّينِ إلاَّ الظبـاءَ والبَقَرا
كأنَّهـا دُرَّةٌ مُنَعَّمَـةٌ من نِسْوَةٍ كُنَّ قبلها دُرَرَا
أصْبَحَ مِنِّي الشبابُ مبتكِرًا إن يَنْأَ عني فقدْ ثَوَى عُصُرَا

إلى آخر الأبيات المتقدمة ؛ فقرأ معاوية، ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ .

(٣) وانظر ترجمة الربيع بن ضبع وأخباره وأشعاره في (المعمرين ٦ ــ ٧ ، واللآلي ٨٠٢ ، والخزانة ٣ : ٣٠٦ ــ ٣٠٩ ، والإصابة ، ٢ : ٢٠٩).

مجلس آخر [١٨]

ومن المعمَّرين أبو الطَّمحان القَيْنِيّ ، واسمُه حنظلةُ بن الشَّرْقِيّ ، من بنى[١] كِنانة ابن القَيْن ؛ قال أبو حاتم : " عاش مائتى سنة ، فقال فى ذلك :

حَنَتْنى حانِياتُ الدَّهرِ حتَّى ... كأنى خاتِلٌ[٢] أدنُو لِصيْدِ
قَصيرُ الخَطْوِ يَحسِبُ مَنْ رآنى ... ـ ولَستُ مُقيَّدًا ـ أنِّى بقَيدِ "

ويروى : « قريب الخطو » .

قال أبو حاتم : " حدثنى عِدّة من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب يُنشد هـذين البيتين ، ويُنشد أيضاً :

تَقارَبَ خَطْوُ رِجْلِكَ يا سوَيْدُ[٣] ... وقَيَّدَكَ الزَّمانُ بشرِّ قَيدِ "

وهو القائل :

وإنِّى مِنَ القوْمِ الذينَ هُمُ هُمُ ... إذا ماتَ منهمْ مَيِّتٌ قامَ صاحبُهْ[٤]
نُجُومُ سماءٍ كلَّما غابَ كَوْكَبٌ ... بَدا كوْكبٌ تأوِى إليهِ كوَاكبُه
أضاءَتْ لهُمْ أحسابُهُمْ ووُجوهُهمْ ... دُجَى اللَّيْـلِ حتَّى نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقبه
وما زالَ مِنْهم حَيْثُ كان مُسوَّدٌ[٥] ... تَسيرُ المَنايا حيْثُ سارَتْ كَتائبُهْ[٦]

ومعنى البيتين الأوّلين يشبه قولَ أوْس بن حجر :

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « من كنانة » . (٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « حابل » .
(٣) ت ، ش : « يادويد » . (٤) ش : « منهم سيد » .
(٥) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « حيث كانوا متوج » . (٦) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « ركائبه » .

إذا مُقْرَمٌ مِنَّا ذَرا حدُّ نابهِ ... تَخَمَّطَ فِينا نابُ آخرَ مُقْرَمِ(١)

[٨٠ و] / ولطُفيلٍ الغَنَوىِّ مثل هذا، وهو :

كوَاكبُ دَجْنٍ كلَّما انقضَّ كوكبٌ ... بَدَا وانجلَتْ عنه الدُّجنَّةُ كوكبُ(٢)

وقدأخذ الخرَيمىّ هذا المعنى فقال:

إذا قَمرٌ مِنَّا تَغوَّرَ أو خَبَا ... بدَا قَمرٌ فى جانِبِ الأُفقِ يَلمَعُ

ومثل ذلك :

خِلاَفةُ أهلِ الأرضِ فِينا وِراثةٌ ... إذا مات منا سَيِّدٌ قامَ صاحبُه

ومثله :

إذا سيِّدٌ مِنا مَضَى لِسَبيلهِ ... أقامَ عَمودَ المُلك(٣) آخرُ سَيِّدُ

وكأنَّ مزاحماً العقيلىّ نظر إلى قول أبى الطمحان :

* أضاءَتْ لهُمْ أحسابُهُم ووُجوهُهُمْ *

فى قوله :

وُجوهٌ لوَاَنَّ المُدْلِجينَ اعتَشوْا بهـا ... صَدَعْن الدُّجى حتَّى ترَى الليلَ يَنجَلى(٤)

ويقارب ذلك قول حُجَيّة بن المضرِّب الـكِنْدِىّ :

أَضاءَتْ لهُمْ أحسابُهُمْ فتضاءَلَتْ ... لنورِهِمُ الشَّمسُ المُضيئةُ والبَدْرُ(٥)

وأنشد محمد بن يحيى الصولىّ فى معنى بيتى أبى الطَّمحان :

(١) ديوانه : ٢٧ ، واللسان (خمط) وفى حاشيتى الأصل ، ت : « ذرا الشىء : سقط ، وذروته : طيرته . وتخمط الفحل ؛ إذا انتفخ عند الهيام » . (٢) ديوانه : ١٩ (٣) حاشية ت (من نسخة) « الدين » . (٤) ديوانه : ٦ ، مجالس ثعلب : ٢٧٧ . (٥) من أبيات ذكرها القالى فى (الأمالى ١ : ٥٢–٥٤) ، وقال : « يمدح فيها يعفر بن زرعة ، أحد الأملوك أملوك ردمان » ؛ وأولها :

إذا كنتَ سائلاً عنِ المَجْد والعُلاَ ... وأين العطاءُ الجَزْلُ والنَّائِلُ الغَمْرُ

فنقِّبْ عن الأملوكِ واهتِفْ لحِميرٍ ... وعِشْ جارَ ظِلٍّ لاَيُغالِبُهُ الدَّهْرُ

والأملوك : قبيلة من حمير ، وردمان : مدينة باليمن » .

مِن البِيضِ الوجوهِ بنى سِنانٍ   لوَ أنَّك تَستَضِىءُ بهم أضاءوا(١)
هُمُ حلُّوا من الشَّرفِ المُعلَّى   ومِن كَرَمِ العَشيرةِ حيثُ شاءوا(٢)
فلو أنَّ السَّماءَ دَنَتْ لمَجْدٍ   ومكرُمةٍ دَنَت لهُمُ السَّماءُ(٣)

وأبو الطمحان القائل:

إذا كانَ فى صَدْرِ ابن عمِّك إحْنةٌ   فلا تَستَثِرْها سوفَ يَبدو دَفينُها(٤)

وهو القائل :

إذَا شاءَ راعِيها استقَى مِن وَقيعةٍ   كعَيْنِ الغُرابِ صَفوُها لم يُكَدَّرِ(٥)

ويروى : «صفيّه لم يُكَدَّر» ، والوقيعة : المستنقع فى الصخرة للماء ، ويقال للماء إذا زل(٦) من صخرة فوقع / فى بطن أخرى ماء الوقائع ، وأنشدوا لذى الرُّمة : [٨٥ ظ]

ونِلنا سِقاطاً مِن حديثٍ كأنهُ   جَنَى النَّحلِ مَمزُوجاً بماءِ الوقائعِ(٧)

ويقال للماء الذى يجرى على الصخر ماءُ الحَشْرج، وللماء الذى يَجرى بين الحصى والرمل ماء المفاصل ، وأنشدوا لأبى ذؤيب :

---

(١) من أبيات ثمانية، نسبها أبو تمام إلى أبى البرج القاسم بن حنبل المرىّ ؛ يقولها فى زفر بن أبى هاشم ابن مسعود بن سنان ؛ وأولها :

أرَى الخلاَّنَ بَعْدَ أبى حَبيبٍ   وحُجْرٍ فى جَنَابِهمُ جفاءُ

وهى فى الحماسة — بشرح التبريزى ١ : ١٩٧—١٩٨ ، وأبيات منها فى الحيوان ٢ : ١—٢ ، والمؤتلف والمختلف ٦٢ ، ومعجم المرزبانى ٣٢٣ .   (٢) فى الحماسة : « حسب العشيرة » .

(٣) فى الحماسة : « لكم السماء » .   (٤) البيت فى اللسان (أحن) ، نسبه إلى الأقيبل القينى ؛ وذكر قبله :

مَتى ما يَسُؤْ ظَنُّ امرئٍ بصَديقِهِ   يُصَدِّقْ بَلاَغاتٍ يَجِئْهُ يَقينُهَا

وهو أيضا بهذه النسبة فى المؤتلف والمختلف : ٢٣ ؛ وفى الفائق ١ : ١٦ ؛ من غير عزو .

(٥) ت : « كعين العداب » ، قال: وذكر فوقها : « وهو اسم موضع » وعين الغراب يضرب بها المثل فى الصفاء .   (٦) ت : « عن صخرة » .   (٧) ديوانه : ٣٥٨ .

مطافيلَ أبكارٍ حَديثٍ نِتاجُها ... يُشابُ بماءٍ مِثل ماء المَفاصِلِ (١)

وأنشد أبو محلِّم السعدىّ لأبى الطَّمَحان :

بُنىَّ إذا ما سامَكَ الذُّلَّ قاهرٌ ... عزيزٌ فبعضُ الذُّلِّ أبقَى وأحرَزُ (٢)
ولاتَحْمَ (٣) مِن بَعضِ الأُمورِ تعزُّزاً ... فقدْ يُورِث الذُّلَّ الطويلَ التَّعزُّزُ

وهذان البيتان يُرْوَيان لعبد الله بن معاوية الجعفرىّ .

وروِىَ لأبى الطَّمحان أيضا فى مثل هذا المعنى :

يارُبَّ مَظلِمةٍ (٤) يوْما لَطيتُ لهـا ... تمضى علىَّ إذا ما غابَ نُصّارِى (٥)
حتَّى إذا ما انجلَتْ عـنّى غَيايَتُها ... وثَبْتُ فيهاوُثوبَ المُخدِرِ الضّارِى (٦)

* * *

ومن المعمَّرين عبدُ المسيح بن بُقيلة الغَسَّانىّ ، وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس ابن حيان بن بُقيلة ، وبُقيلة اسمه ثَعلبة، وقيل الحارث ؛ وإنما سمِّى بُقيلة لأنه خرج فى بُرْدين أخضرين على قومه ، فقالوا له : ما أنت إلا بُقَيْلة ، فسمى لذلك .

وذكر الـكلبىّ وأبومِخْنَف وغيرُهما أنه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة ، وأدرك الإسلام فلم يُسلم ، وكان نصرانياًّ .

وروِى أن خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة ، وتحصَّن منه أهلُها أرسل إليهم: ابعثوا إلىّ رجلاً من عقلائـكم ، وذوى أسنانـكم (٧) . فبعثوا إليه بعبد المسيح بن بُقيلة ، فأقبل يمشى

(١) حاشية الأصل : «قبله :

وإنَّ حديثاً مِنْكِ لو تَبذُلِينَهُ ... جَنى النَّحلِ فى ألبان عُوذٍ مطافِلِ

«مطافيل أبكار» ، بدل من قوله : «عوذ مطافل» ، ومطافل: جمع مطفل ؛ وهى التى معها ولدها» . وانظر ديوان الهذليين ١ : ١٤٠ . (٢) حاشية ت (من نسخة) : «أتقى وأحرز» .
(٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : «ولاتجن» . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : «مظلمة» ، بضم الميم . (٥) ش : «أنصارى» . (٦) الغياية : كل ما أظل الإنسان فوق رأسه . وانظر ترجمة أبى الطمحان وأخباره وأشعاره فى (الشعر والشعراء ٣٤٨ — ٣٤٩ ، والمعمرين ٥٧ ، والاشتقاق ٣١٧ ، والمؤتلف والمختلف ١٤٩—١٥٠ ، والأغانى ١١ : ١٢٥—١٢٨ ، واللآلى ٣٣٢، والإصابة ٢ : ٦٦، والخزانة ٣: ٤٢٦) . (٧) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : «أنسابكم» .

حتى دنا من خالد ، فقال له : اِنْعَمْ صباحاً أيها الملك ! قال : قد أغنانا الله عن تحيّتك هذه ، فمن أين أقْصَى أثرِكَ أيها الشيخ ؟ قال : مِنْ ظهر أبى ، قال : فمن أين خرجت ؟ قال من بطن أمى ، قال : فعلام أنتَ ؟ قال : على الأرض ، قال : ففيم أنت ؟ قال: فى ثيابى ، قال : أتعقل ـ لا عَقَلت؟ قال : إِى والله / وأقيِّد ، قال : ابنُ كم أنت ؟ قال : ابنُ رجل واحد ، قال [٨٦ ظ] خالد : ما رأيت كاليوم قطُّ ، إنى أسأله عن الشىء (١ وينحو فى غيره ١) ، قال : ما أجبتُك إلاّ عما سألتَ ، فسَلْ عمّا بدا لك .

قال: أعربٌ أنتم أم نبيط(٢)؟ قال: عرب استنبطنا ، ونبيط استعربنا ، قال: أَفحربٌ أنتم أم سِلْم ؟ قال : بل سِلْم ، قال : فما هذى الحصونُ ؟ قال : بنيناها للسَّفيه(٣) نحذَر منه حتّى يجىء الحليم فينهاه ، قال : كَمْ أتى لك ؟ قال : ستون وثلاثمائة سنة ، قال : فما أدركت ؟ قال : أدركت سفن البحر تُرْفَأ(٤) فى هذا الجرف ، ورأيت المرأة تخرج من الحيرة ، وتضع مِكْتَلَها على رأسها ، لا تَزوّد إلاّ رغيفاً واحداً حتى تأتى الشام ، ثم قد أصبحتْ خراباً يباباً ، وذلك دأب الله فى البلاد والعباد .

قال ــ ومعه سَمٌّ ساعة يقلّبه فى كفّه ــ : فقال له خالد : ما هذا فى كفّك ؟ قال : هذا السّم ، قال: ماتصنع به ؟ قال : إن كان عندك ما يُوافق قومى وأهل بلدى حمِدت الله وقبلته ، وإن كانت الأخرى لم أكن أول مَن ساق إليهم ذلاًّ وبلاءً ، أشربه فأستريح من الدنيا ، فإنما بَقِى من عمرى اليسير ، قال خالد : هاته ، فأخذه ثم قال : بسم الله وبالله رب الأرض والسماء ، الذى لايضر مع اسمه شىء ، ثم أكله ، فتجللته غشية ، ثم ضرب بذقَنِه فى صدره طويلا ، ثم عَرِق فأفاق ، كأنما أُنْشِطَ من عقال .

فرجع ابن بُقيلة إلى قومه فقال : جئتُكم من عند شيطان ، أكل سَمَّ ساعة فلم يضرّه ،

(١ ـ ١) حاشية ت (من نسخة) : « وينحو بى إلى غيره » .

(٢) ش : « نبط » ، وهو بمعنى النبيط : « وفى حاشية الأصل : «أصل النبط قوم كانوا يستنبطون الماء ويحتفرون الآبار للعرب ؛ فقيل لأهل السواد النبيط » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « لسفيه » . (٤) فى حاشية الأصل ، ت : « أرفأت السفينة : قربتها من الشط ، وذلك الموضع مرفأ » .

صانعوا القوم وأخرجوهم عنكم ، فإن هذا أمر مصنوع[١] لهم ، فصالحوهم[٢] على مائة ألف درهم ، وأنشأ ابن بُقَيْلة يقول :

أَبَعْدَ المُنذرين أرَى سوَاماً تَرَوَّحُ بالخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ![٣]
[أَبعـدَ فوَارسِ النُّعمانِ أَرْعى مَرَاعِىَ نَهْرِ مُرَّةَ فالحفيرِ!][٤]
تَحاماهُ فوَارِسُ كلِّ قومٍ مخافةَ ضَيْغَمٍ عالى الزَّئيرِ
وصرنا بعـدَ هُلْكِ أبى قُبَيسٍ كَمِثلِ الشَّاءِ فى اليوْمِ المَطِيرِ

ــ يريد أبا قابوس ، فصغر ، ويروى « كمِثْل المَعز » ــ

تَقَسَّمُنا القَبائلُ مِن مَعَدٍّ عَلانيةً كأَيسارِ الجَزورِ[٥]
نُؤَدِّى الخَرْجَ بعدَ خراجِ كِسْرَى وخَرْجٍ مِنْ قُرَيظةَ والنَّضِيرِ
كذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلتُهُ سِجالٌ فيومٌ مِن مَساةٍ[٦] أو سُرُورِ

[٨٦ ظ] /ويقال إن عبد المسيح لما بَنى بالحيرة قصرَهُ المعروف بقصر بنى بُقَيْلَةَ قال :

لقـدْ بَنَيْتُ للحدَثانِ حِصْناً لوَانَّ المَرْءَ تنفعُه الحُصُونُ
طَويلَ الرَّأسِ أقعَسَ مُشمخِرًّا لأَنواعِ الرِّياحِ به حَنينُ[٧]

ومما يروى لعبد المسيح بن بُقيلة :

والنَّاسُ أبناءُ عَلاّتٍ فمَنْ عَلموا أنْ قدْ أقلَّ فمَجْفُوٌّ ومهجورُ[٨]
وهُمْ بَنُونَ لأُمٍّ إنْ رَأَوْا نَشَباً فذَاكَ بالغَيْبِ مَحفوظٌ ومَخفُورُ

وهذا يشبه قول أوس بن حجَر :

---

(١) حاشية الأصل : « أى كأن الله صنعه لهم » . (٢) ت ، د : « فصانعوهم » .

(٣) الأبيات فى معجم البلدان : ٣ : ٤٨٥ ، وفى حاشية ت (من نسخة) « تروح » ، بفتح الحاء ؛ والخورنق والسدير : موضعان بالحيرة . (٤) تكملة من ت . (٥) معجم البلدان : « كأنا بعض أجزاء الجزور » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « من مساءة أو سرور » .

(٧) م : « أنين » . (٨) قال فى اللسان (علل) : « أبناء علات ، يستعمل فى الجماعة المختلفين » ؛ واستشهد بالبيتين ؛ وأصله فى الأولاد تختلف أمهاتهن . وفى حاشية الأصل : « بنو العلات : بنو الضرائر » ؛ وفى م : « فجفوّ ومحقور » ؛ وهى رواية اللسان .

بَنى أُمِّ ذى المالِ الكثيرِ يرَوْنَهُ — وإنْ كانَ عبداً — سيدَ الأمرِ جَحفلاَ(١)
وهُمْ لِمُقِلِّ المالِ أولادُ عَلَّةٍ — وإن كانَ مَحْضًا فى العُمومةِ مُخْوِلاَ

وذُكِرأنَّ بعض مشايخ أهل الحيرة خرج إلى ظهرها يختطُّ ديراً(٢)، فلما احتفر موضع الأساس، وأمعن فى الاحتفار أصاب كهيئة البيت(٣)، فدخله فإذا رجلٌ على سرير من رخام(٤)، وعند رأسه كتابة: «أنا عبد المسيح بن بُقَيْلة

حَلَبتُ الدهرَ أشطرَهُ حياتى — ونِلْتُ مِنَ المُنَى بُلغَ المَزِيدِ(٥)
وكافَحْتُ الأُمور وكافَحَتْنى — فلم أحفِلْ بمعضِلةٍ كَئُودِ
وكِدْتُ أنالُ فى الشَّرَفِ الثُّرَيّا — ولكنْ لا سبيلَ إلى الخلُودِ(٦)

* * *

ومن المعمَّرين النابغة الجَعْدِىّ، واسمه قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة، ويكنى أبا لَيلى.

وروى أبو حاتم السجستانىّ قال: كان النابغة الجعدىّ أسنَّ من النابغة الذّبيانىّ، والدليل على ذلك قوله:

تذَكَّرْتُ والذِّكرى تَهِيجُ على الهوى — ومِنْ حاجةِ المَحْزُونِ أنْ يَتذَكَّرَا(٧)
نَدَامایَ عِندَ المُنْذِرِ بن مُحَرِّقٍ — أرَى اليومَ مِنْهُم ظاهرَ الأرْضِ أقْفرا
/ كُهولٌ وفِتيانٌ كأنَّ وُجوهَهمْ — دَنانيرُ مِمَّا شِيفَ فى أرضِ قَيْصرا ٨٧ و

(١) ديوانه: ٢٢، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «سيد الملك». ويقال: رجل جحفل؛ أى سيد عظيم القدر؛ ذكره صاحب اللسان، واستشهد بالبيت. وفى حاشيتى الأصل، ت: «قبله:

وإنى وَجَدْتُ الناسَ إلاَّ أقلَّهُمْ — خفافَ العهودِ يكثرونَ التنقُّلاَ

(٢) حاشية الأصل (من نسخة): «داراً». (٣) حاشية ت (من نسخة): «الكهف».
(٤) ش: «زجاج». (٥) حاشية الأصل: «أى البلغ من المزيد».
(٦) وانظر ترجمة عبد المسيح بن بقيلة أيضا فى المعمرين ٣٧-٣٨.
(٧) من قصيدة طويلة، ٧٦ بيتا، ذكرها صاحب جمهرة الأشعار فى ٣٠١-٣٠٧.

فهذا يدلّ على أنه كان مع المنذر بن محرِّق ، والنابغة الذّبيانىّ كان مع النعمان بن المنذر ابن محرق " .

قوله : « شيف » يعنى جُلّى ، والمشوف المجلوّ .

ويقال : إن النابغة غَبَر ثلاثين سنة لايتكلّم(١)، ثم تكلم بالشعر ومات وهوابن عشرين ومائة سنة بأصبهان ، وكان ديوانه بها، وهو الذى يقول :

فمَن يَكُ سائلاً عنّى فإنى ... من الفِتيانِ أيامَ الخُنَانِ

ـ وأيام الخُنان : أيام كانت للعرب قديمة، هاج بها فيهم مرض فى أنوفهم وحلوقهم ـ

مَضَتْ مِائةٌ لعامِ وُلِدْتُ فيـهِ ... وعَشْرٌ بَعدَ ذاكَ وحِجَّتانِ(٢)

فأبقَى الدّهرُ والأيامُ مِنّى ... كما أبقَى مِنَ السّيفِ اليَمانى

تَفَلّـلَ وهْوَ مأثورٌ جُرازٌ ... إذا جُمِعتْ بقائمِهِ اليَدانِ(٣)

وقال أيضا فى طول عمره :

لبِستُ أناساً فأَفنَيْتُهُمْ ... وأَفنيْتُ بَعدَ أُناسٍ أُناسا

ثلاثةَ أَهلِـينَ أفنَيْتُهمْ ... وكانَ الإلهُ هوَ المُسْتَآسا

---

(١) حاشية الأصل : « أى لايتـكلم بالشعر ، وسميت القصيدة كلمة » .

(٢) فى حاشيتى الأصل، ت : « ذكر المبرد فى قول النابغة :

عَلَى حينَ عاتبتُ المشيبَ عَلَى الصِّبَا ... وقلتُ أَلَمّا أَصْحُ والشيبُ وازِعُ

أنه يجوز فى « حين » النصب والجر . وذكر بعض المتأخرين أنه إذا أضيف الظرف إلى المبنى لم يجز فيه إلا النصب ، وإنما يجوز الجر إذا أضيف إلى المعرب ؛ كقوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ ، و ﴿ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ ، وقول النابغة : « لعام ولدت فيه » لايحتاج إلى « فيه » بل هو كالزيادة المستغنى عنها ؛ لأنه إذا أضيف « العام » إلى « ولدت » كان المضاف إليه مع المضاف فى حكم الشىء الواحد ؛ فلا يحتاج إلى العائد ؛ بخلاف أن تـكون الجملة صفة ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ﴾ ؛ وكأنه للبيان والتحقيق، على تقدير : « لعام ولدت » ، ثم أضمر « ولدت » ، أخرى ، والجار والمجرور يتعلق بولدت المضمر » . وانظر الـكامل ـ بشرح المرصفى ٢ : ٢٢٠

(٣) مأثور : باق أثره . والجراز : الماضى النافذ فى الضريبة ، وانظر طبقات الشعراء : ١٠٤

معنى المستآس : المعتاض[1] .

وروى عن هشام بن محمد الكلبيّ أنه عاش مائة وثمانين سنة .

وروى ابن دريد عن أبى حاتم فى موضع آخر أن النابغة الجَعدىّ عاش مائتى سنة، وأدرك الإسلام، وروى له:

قالت أُمامة كم عَمِرتَ زَمانةً ... وذَبحتَ مِنْ عِترٍ على الأوثانِ ! ه

ـ العتيرة[2] : شاة تذبح لأصنامهم فى رجب فى الجاهلية ـ

ولقدْ شَهِدْتُ عُكاظَ قَبلَ مَحَلِّها ... عنها وكُنتُ أُعَدُّ مِلْ فتيان[3]

والمُنذِرَ بن مُحَرِّقٍ فى مُلْكِهِ ... وشَهِدْتُ يومَ هَجائنِ النُّعمانِ[4]

---

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « المستعاض » ، وهو من العوض .

(٢) حاشية الأصل : « العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة » . (٣) ش : « فيها » ، وفى حاشية الأصل : « محلها فيها » أى نزولها فى عكاظ ، ومحلها عنها ، أى نزولها فيما عداء عكاظ ، و « عن » لما عدا الشىء وجاوزه » (٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « هو المنذر بن امرئ القيس بن عمرو ابن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمى . وعمرو بن عدى هو ابن أخت جذيمة بن مالك الأبرش ؛ وقيل له الأبرش والوضاح لبرص به ؛ وكان يقال لامرئ القيس أبى المنذر محرق ؛ وفيهم يقول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل مُحَرِّقٍ ... ـ تركوا مَنازِلَهمْ ـ وبَعْدَ إيادِ

والنعمان بن امرئ القيس هو النعمان الأكبر ؛ ويقال إن أنوشروان بن قباذ هو الذى ملكه ؛ وقيل ملكه قباذ . والنعمان هذا هو الذى بنى الخورنق ؛ وهو الذى لبس المسوح وتزهد وساح فى الأرض، ثم ملك أخوه المنذر بن امرئ القيس ؛ ملكه أنو شروان ، وأمه من النمر بن قاسط ؛ ويقال لها ماء السماء لجمالها ، وأبوها عوف بن جشم . ومن الأزد رجل يقال له ماء السماء أيضا ؛ وهو عامر أبو عمرو بن عامر، وعمرو هو الذى يقال له مزيقياء ثم ملك المنذر بن المنذر بن امرئ القيس ، ثم ملك عمرو بن هند مضرط الحجارة ؛ وهو محرق أيضا لأنه أحرق من بنى دارم ثمانية وتسعين رجلا ، وكملهم مائة برجل من البراجم وبامرأة نهشلية ؛ ولذلك قيل : « إن الشقى وافد البراجم » . ثم ملك بعده النعمان بن المنذر بن المنذر ابن امرئ القيس ؛ وكان يكنى أبا قابوس ؛ وهو صاحب النابغة الذبيانى ؛ وكان له يومان : يوم نعيم ويوم بؤس ، ومحرق أيضا لقب الحارث بن عمرو ، ملك الشام من آل جفنة ؛ وهو أول من حرق العرب فى ديارهم وامرأة هجان ؛ أى حرة كريمة لم يعرفها الإماء ، من نسوة هجان ؛ قال أبو زيد : والهجان من الإبل : البيض ؛ يوصف به الواحد والجمع ؛ فإذا كان واحداً فهو مثل كتاب ، وإذا كان جمعا فهو مثل كلاب ؛ ويقال ناقة هجان وبعير هجان، والجمع على هجائن أيضا. وهجائن النعمان معروفة ؛ وهى نجائبه ؛ =

وعَمِرْتُ حتى جاءَ أحمدُ بالهدَى وقَوارِعٍ تُتلى مِنَ القُرْآنِ (١)

[٨٧ ظ] / ولَبِسْتُ مِلْ إسلامِ ثوبا واسعاً مِنْ سَيْبِ لاَ حَرِمٍ ولا مَنَّانِ (٢)

وله أيضاً فى طول عمره :

المَرْءُ يَهْوَى أن يَعيــشَ وطُولُ عيشٍ ما يَضُرُّهْ (٣)

تَفنَى بَشاشتُهُ ويَبــقَى بَعد حُلوِ العيشِ مُرُّهْ

وتَتابعُ الأيامِ حـتَّـى لا يَرَى شيئاً يَسرُّهْ

كم شامِتٍ بى إنْ هَلَكْـــتُ وقائلٍ لله دَرُّهْ !

ويروى أن النابغة الجعدىّ كان يفتخر ويقول : أتيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأنشدته:

بَلَغْنا السَّماءَ مجدُنا وجُدُودُنَا وإنَّا لنَرْجو فوْقَ ذلكَ مَظْهرا

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » قلت : الجنة يا رسول الله ، فقال : « أجل إن شاء الله »، ثم أنشدته :

فلا خيرَ فى حِلْمٍ إذا لم تَكُنْ لَهُ بَوادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرا

ولا خَيرَ فى جَهلٍ إذا لم يكنْ لهُ حليمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأَمْرَ أصدَرا

فقال صلى الله عليه وآله : « لا يفضُض الله فاكَ! » ، وفى رواية أخرى : « لا يُفْضَضْ فوكَ! » فيقال: إن النابغة عاش عشرين ومائة سنة، لم تَسْقُط له سنٌّ ولا ضِرْس . وفى رواية أخرى عن بعضهم قال : فرأيته وقد بلغ الثمانين ترِفُّ غروبه، وكان كلَّما سقطت له ثَنِيَّة نبتت له أخرى مكانها ، وهو أحسن الناس ثغرا .

معنى ترِفّ تبرق ، وكأن الماء يقطر منها .

= وكان يقال لها عصافير النعمان لختمها فى سيرها . وفى كلام حسان بن ثابت : فما حسدت أحداً حسدى النابغة حين أمر له النعمان بن المنذر بمائة ناقة بريشها من نوق عصافيره، وجام وآنية من فضة ، وكانوا إذا حيا الملك بعضهم بنوق يغمزون فى أسنمتها ريش النعام ؛ ليعلم أنها حباء الملك » .

(١) القوارع من القرآن : آيات الوعد والوعيد .

(٢) الرجل الحرم : المانع . (٣) ش : « قد يضره » .

قال المرتضى أدام الله علوّه : ومما يشاكلُ قوله: «إلى الجنة» فى جواب قول النبى صلى الله عليه وآله: «أين المطهر يا أبا ليلى» - وإن كان يتضمّنُ العكسَ من معناه - ما رُوِىَ من دخول الأخطل على عبد الملك بن مروان، مستغيثاً من فعل الجحّاف السُّلمىّ ، وأنه أنشده :

لقدْ أوقعَ الجحّافُ بالبِشْرِ وقْعةً ... إلى اللهِ منها المُشتكَى والمُعوّلُ(١)

/ فإنْ لم تُغيّرها قُرَيشٌ بمُلْكِها ... يكنْ عنْ قُرَيشٍ مُستمازٌ ومَزْحَلُ(٢) [٨٨ و]

فقال عبد الملك له : إلى أين يا بنَ اللَّخْناء ؟ فقال : إلى النار ، قال : لو قلتَ غيرها لقطعت لسانك .

فقوله : « النار » تخلُّص مليحٌ على البديهة ، كما تخلَّص الجعدىّ بقوله : «إلى الجنة» .

وأول قصيدة الجعدىّ الذى ذكرنا منها الأبيات :

خليلَىَّ غُضّا ساعةً وتَهجّرَا(٣) ... ولُوما على ما أحدثَ الدهرُ أو ذَرا

ولاَ تسألاَ ، إنَّ الحياةَ قَصيرةٌ ... فَطيرَا لِروعاتِ الحَوادِثِ أوْ قِرَا

وإنْ كانَ أمرٌ لاَ تُطيقانِ دَفعهُ ... فلاَ تجزَعا مما قَضى اللهُ واصبِرَا

ألمْ تعلَما أنَّ المَلاَمةَ نفعُها ... قَليلٌ إذا ما الشَّئُ وَلّى فأدْبرَا(٤)

لوَى اللهُ عِلمَ الغَيبِ عَمّن سَواءَهُ ... ويَعْلَمُ منهُ ما مضى وتأخَّرا

وفيها يقول :

وجاهَدْتُ حتّى ما أَحِسُّ ومَن مَعى ... سُهيلاً إذا ما لاحَ ثمَّ تغوَّرا

- يريد: إنى كنت بالشام ، وسُهيل لا يكاد يُرى هناك ، وهذا بيت معنى - وفيها يقول :

ونحنُ أُناسٌ لا نُعوِّدُ خَيلَنَا ... إذا ما التقينا أَن تحيدَ وتَنفرا

---

(١) ديوانه: ١٠ والطبقات: ٢١٢ ، والبشر : جبل بالجزيرة ، يمتد من عرض الفرات إلى أرض الشام ، وهو الجحاف بن حكيم السلمى ، وانظر خبره وقصة يوم البشر فى الأغانى ١١ : ٥٥ - ٦٠ .

(٢) يقال : امتاز القوم إذا تنحى عصابة منهم ناحية ، وكذلك استماز ؛ ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت. والمزحل : الموضع: الذى يزحل إليه ؛ أى يتنحى ويتباعد. وانظر اللسان (ميز - زحل) .

(٣) التهجر : السير فى الهاجرة . (٤) حاشية ت : « بعده :

يَهيجُ اللحاء والملامَةَ ثم ما ... يقرِّب مِنّا غَيْرَ مَا كانَ قُدِّرا

ونُنكِرُ[1] يَوْمَ الرَّوْعِ ألوانَ خَيلِنا … مِنَ الطَّعْن حتَّى تحسِبَ[2] الجوْنَ أشقرا
وليسَ بمَعرُوفٍ لنا أنْ نَرُدَّها … صِحاحاً ولاَ مُستَنكَرٍ[3] أنْ تُعقَّرَا

وأخبرنا المرزُبانىّ قال أنشدنا علىّ بن سليمان الأخفش قال أنشدَنا أحمد بن يحيى قال: أنشدنا محمد بن سلاَّم وغيره للنابغة الجعدىّ:

تَلومُ على هُلكِ البَعيرِ ظَعينتى … وكنتُ على لوْمِ العوَاذِلِ زَارِيا[4]
ألمْ تعلَمى أنى رُزِئتُ مُحارِباً[5] … فمالكِ منه اليوْم شَىءٌ ولاَ ليا
ومن قَبلهِ ما قدْ رُزِئْتُ بوَحْوَحٍ[6] … وكانَ ابنَ أمِّى والخَليلَ الُمصافيا
فتًى كَمُلَتْ أخلاقُه غيرَ أنهُ … جَوادٌ فما يُبقى مِنَ المالِ باقيا[7]
فتًى تَمَّ فيه ما يسرُّ صَدِيقَهُ … على أنَّ فِيهِ ما يَسوءُ الأعاديا

ـ ويروى: «فتًى كان فيه ما يسرّ» ـ

أشَمُّ طَويلُ[8] السَّاعدَينِ سَمَيدَعٌ … إذَا لمْ يَرُحْ لِلمجْدِ أصبحَ غادِيا

السميدع: السيد.

ومما يروى للنابغة الجعدىّ:

عُقَيلِيَّةٌ أوْ مِن هِلالِ بن عامرٍ … بذى الرِّمْثِ منْ وادِى المنار خِيامُها[9]
إذَا ابْتَسَمَتْ فى اللَّيـلِ واللَّيـلُ دُونَها … أضاءَ دُجَى الليلِ البهيمِ ابتسامُها

---

(١) حاشية ت (من نسخة): «وتنكر»، بالبناء للمجهول. (٢) حاشية ت (من نسخة) «ويحسب الجون»، بالبناء للمجهول. (٣) حاشية ت (من نسخة): «ولا مستنكرا» بالعطف على المعنى. (٤) من أبيات يرثى فيها أخاه لأمه، وقد ذكرت متفرقة فى ديوان الحماسة ٣ : ١٩، والخزانة ٢ : ١٢ـ١٣، وشرح شواهد المغنى: ٢٠٩ والأمالى ٢ : ٢، واللآلى: ٦٣٧).

(٥) هو محارب بن قيس بن عدس؛ كان من أشراف قومه. (٦) هو وحوح بن عبد الله؛ قال أبو عبيد البكرى: «هو أخو النابغة لأمه».

(٧) رواية البيت فى ت:

فتى كملتْ أخلاقُهُ غيرَ أنَّهُ … جَوَادٌ فَمَا بَقَّى من المالِ باقيَا

(٨) حاشية ت (من نسخة): «طوال الساعدين». (٩) ش: «وادى المياه».

وذكر الأصمعىّ عن أبى عمرو بن العلاء قال: سئل الفرزدق بن غالب عن الجعدىّ فقال: صاحب خُلقان؛ يكون عنده مُطرَف بألف دينار، وخمار بوافٍ[١].

قال الأصمعىّ: وصدق الفرزدق، بينا[٢] النابغة فى كلام أسهلُ من الزلال وأشد من الصخر إذ لان فذهب، ثم أنشد له:

سَمَا لكَ همٌّ ولمْ تَطْرَبِ   وبتَّ ببَثٍّ ولمْ تَنصَبِ
وقالت سُلَيمَى أرى رأسَهُ   كناصِيَةِ الفَرَسِ الأشْهبِ
وذَلكَ مِنْ وَقعَاتِ المَنونِ   ففَيئى إليكِ ولاَ تعْجَبى
أتَيْنَ على إخْـوَتى سبعةً[٣]   وعُدْنَ على رَبْعِىَ الأقْربِ

ثم يقول فيها بعدها:

فأدْخَلكَ اللهُ بَرْدَ الجنا   نِ جَذْلانَ فى مَدْخَلٍ طَيِّبِ

فلان كلامُه؛ حتى لو كان أبا الشمقمق قال هذا البيت كان رديئاً ضعيفاً.

قال الأصمعىّ: وطريق الشعر إذا أدخلته فى باب الخير لانَ، ألا ترى أنّ حسان بن ثابت كان علَا فى الجاهلية والإسلام، فلما أدخل شعره فى باب الخير من مراثى النبى صلى الله عليه وآله وحمزة وجعفر[٥] عليهما السلام/ وغيرهما لان شعره[٤]! [٨٩ و]

(١) حاشية ت (من نسخة): «من كلامهم: مطرف بآلاف، وخمار بواف؛ أى بدرهم واف».
(٢) حاشية ت: «بينا وبينما يتلقيان بالفعل؛ ولا يتلقيان بإذا؛ هذا هو الفصيح العالى، كقوله:

* فبيناه يَشْرِى رَحْلَهُ قال قائل *

وكقوله:

بينما نحْنُ بالبلاكِثِ فالقَا   عِ سِرَاعاً والعيسُ تَهْوى هُوِيَّا
خطرتْ خطرة على القَلْبِ مِنْ ذِكْـــراكِ وَهْناً فما استطعتُ مُضِيّا

(٣) ش: «إخوة سبعة»، بالجر والتنوين فيهما. (٤) ش: «فيها». (٥) وانظر ترجمة النابغة الجعدى وأخباره وأشعاره فى (الشعر والشعراء ٢٤٧–٢٥٥، والاستيعاب ٣٢٠–٣٢٥، وأسد الغابة ٥: ٢–٤، والإصابة ٦: ٢١٨–٢٢١، والمعمرين ٦٤–٦٦، والأغانى ٤: ١٢٧–١٣٩، والخزانة ١: ٥١٥–٥٥٩، والمؤتلف والمختلف: ١٩١، ومعجم الشعراء: ٣٢١، واللآلئ: ٢٤٧).

مجلس آخر ١٩

مسألة

تتعلق بما ذكرناه . إن سأل سائل فقال : كيف يصحُّ ما أوردتموه ، من تطاوُلِ الأعمار وامتدادِها ، وقد علمتم أنَّ كثيراً من الناس ينكر ذلك ويُحيله ويقول : إنه لاقدرةَ عليه ، ولا سبيلَ إليه؛ وفيهم[1] مَن ينزِل فى إنكاره درجة فيقول : إنه ـ وإن كان جائزا مِن طريق القدرة والإمكان ـ فإنه مما يُقطَع على انتفائه ؛ لكونه خارقاً للعادات ؛ وإنّ العادات[2] إذا وَثّق الدليلُ بأنّها لا تنخرقُ إلاَّ على سبيل الآية[3] والدّلالة على صدق نبى من الأنبياء عليهم السلام عُلم أن ما رُوى من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع لا يُلتفَت إلى مثله .

الجواب، قيل له : أما مَن أبطلَ تطاولَ الأعمار من حيث الإحالة ، أو أخرجه عن[5] باب الإمكان فقولُه ظاهرُ الفساد ، لأنه لو عَلم ما العمرُ فى الحقيقة ، وما المقتضى لدوامه إذا دام، وانقطاعِه إذا[6] انقطع لعَلِم من جواز امتداده ما علمناه. والعمر هو استمرار كونِ مَنْ يجوز أن يكون حيًّا وغيرَ حىّ حيا . وإن شئتَ أن تقول : هو استمرار كون الحىّ الذى لكونه على هذه الصفة[7] ابتداء حيا .

وإنما شرَطْنا الاستمرار ؛ لأنه يَبْعُد أن يوصَف مَن كان حالةً واحدة حيًّا بأنَّ له عمراً ؛ بل لابدَّ من أن يُراعوا فى ذلك ضرباً من الامتداد والاستمرار ، وإن قلّ .

وشرَطْنا أن يكونَ ممَّنْ يجوز أن يكون غير حىّ ، أو يكون لكونه حيًّا ابتداء لئلا[8] يلزم عليه القديم[8] تعالى ؛ لأنه تعالى جاَّتْ عظمتُه ممن لا يُوصَف بالعمر ؛ وإن استمر كونُه

---

(١) ت : « منهم » . (٢) ت : « ولأن العادات » . (٣) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « الإبانة » ، (٤) ت : « جميع ماروى » . (٥) م : « من باب الإمكان » . (٦) ت : « متى انقطع » . (٧) م : « الصفات » . (٨ـ٨) حاشية ت (من نسخة) : « احترازاً من أن يلزم عليه القديم تعالى » .

حياًّ؛ وقدعلمنا أن المختصَّ بفعل الحياة هو القديم تعالى، وفيما تحتاج إليه الحياة من البنية والمعانى ما يختص به عزوجل ، ولا يدخل إلاَّ تحت مقدوره ؛ كالرّطوبة ومايجرى مجراها؛ فمتى فعل القديمُ تعالى الحياةَ وما تحتاج إليه من البنية ـ وهى مما يجوز عليه البقاء ـ وكذلك ما تحتاج إليه فليست(١) تنتفى إلا بضد يطرأ عليها ، أو بضدٍ ينفى ما تحتاج إليه؛ والأقوى أنه لا ضدَّ لها فى الحقيقة(٢)؛ وإنما ادّعى قوم أنَّه ما يحتاج إليه ، ولو كان للحياة ضدّ على الحقيقة لم يُخِلّ بما نقصده / فى هذا الباب . [٨٩ ظ]

فمهما لم يفعل القديمُ تعالى ضدَّها ، أوضدّ ما تحتاج إليه ، ولا نَقضَ ناقضٌ بِنْيةَ الحى استمرّ كون الحى حيا . ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب مَن رأى ذلك لـكان ماقصدناه صحيحاً ، لأنه تعالى قادر على أن يفعلها حالا فحالاً ، ويوالى بين فعلها وفعل ما تحتاج إليه، فيستمرُّ كون الحىّ حياً .

فأما ما يعرِض من الهرَم بامتدادِ الزمان وعُلُوّ السن وتناقصِ بِنْية الإنسان ، فليس مما لابدّ منه ، وإنما أجْرَى الله تعالى العادةَ بأنْ يَفْعل ذلك عندتطاولِ الزمان ولا إيجابَ هناك، ولا تأثيرَ للزمان على وجه من الوجوه ، وهو تعالى قادرٌ على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله، وإذا ثبتتْ هذه الجملة ثبتَ أنّ تطاولَ العمر مُمكِن غيرُ مستحيل ، وإنما أُتِى من أحالَ ذلك من حيث اعتقد أنّ استمرارَ كون الحى حيًّا مُوجَب عن طبيعة وقوّة لها مبلغٌ من المادة ، متى انتهتا إليه (٣انقطعتا، واستحال أن تدوما٣). ولو أضافوا ذلك إلى فاعلٍ مختارٍ متصرِّف لخرج عندَهم من باب الإحالة .

فأما الـكلامُ فى(٤) دخول ذلك فى العادة أو خروجه عنها ، فلا شكَّ فى أن العادةَ قد جرت فى الأعمار بأقدارٍ متقاربة يُعَدُّ الزائد عليها خارقاً للعادة ؛ إلّا أنه قد ثبت أنَّ العادة قد تختلف فى الأوقات وفى الأماكن أيضاً ، ويجب أن يُراعى فى العادة إضافتُها إلى مَنْ هى عادة له فى المـكان والوقت .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « فليس ينتفى » .　(٢) ت : « وربما » .
(٣ـ٣) ت : « بطل واستحال أن تدوما » .　(٤) حاشية ت (من نسخة):« على ذلك » .

وليس يمتنِـع أن يقلّ ما كانتِ العادةُ جاريةً به على تدريج؛ حتى يصير حدوثُه خارقاً للعادة بغير خلاف ، ولا يكثر[١] الخارق للعادة ، حتى يصيرَ حدوثُه غير خارق لها على خلاف فيه. وإذا صح ذلك لم يمتنع أن تكونَ العاداتُ فى الزمان الغابرِ كانت جاريةً بتطاوُل الأعمار وامتدادِها ، ثم تناقصَ ذلك على تدريج ، حتى صارت عادتنا الآن جارية بخلافه ، وصار ما بلَغ مبلغَ تلك الأعمار خارقاً للعادة ؛ وهذه جملة فيما أردناه كافية .

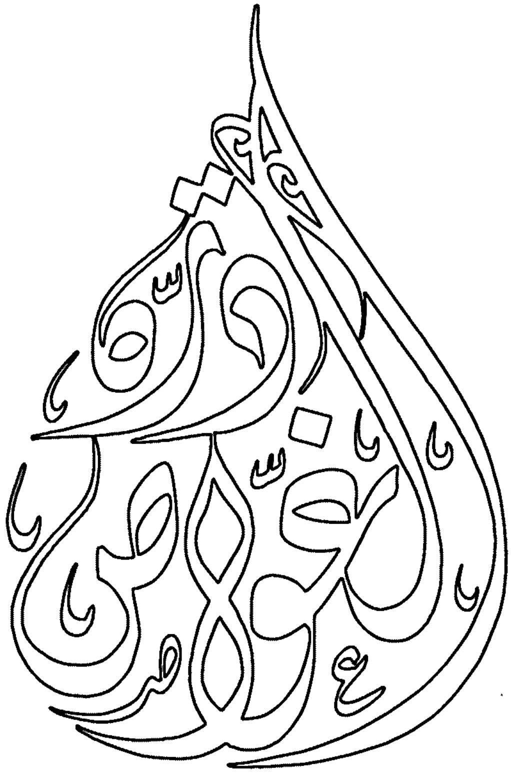

(١) ش : « وأن يكثر » .

باب

فى الجوابات الحاضرة المستحسنة التى يُسمِّيها قوم المسكتة

[٩٠ و] / اعلم أنّ أجوبة المحاورة والمناظرة إنّما تُستحسن وتُؤْثَر إذا جمعتْ مع الصواب سرعةَ الحضور؛ فكمْ من جواب أتى بعد لأْيٍ، ووَرد بعد تقاعس، فلم يكُنْ له فى النفوس وقع، ولا حلّ من القلوب محل الحاضر السريع؛ وإن كان المتثاقل أعْرَقَ فى نسب الإصابة، وآخذَ بأطراف الحجّة، ولهذا قيل: أحسَنُ النّاس جواباً وأحضرُهم قريش، ثم العرب، وإنّ الموالى تأتى أجوبتُها بعد فكرة ورويّة.

وقد مُدِح الجوابُ الحاضر بكل لسان، فقال صُحارٌ العبدىّ لمعاوية بن أبى سفيان ـ وقد سأله عن البلاغة ـ فقال: أنْ تُصيبَ فلا تخطئ، وتُسرع ولا تبطئ، ثم اختصر ذلك فقال: لا تخطئ ولا تبطئ.

ولطول الفِكْرة والإغْراق فى الرويّة مذهب وأوان لا يُحمد فيهما[1] التسرُّع والتعجل، كما لا يُحمَد فى أوانِ السرعة التثاقُل والتأيُّد؛ وإنما تحمَد السرعة فى أجوبة المحاوَرة والمناظرة، وتُراد الفِكْرة والروِيّة للآراء المستخرَجة والأمور المستنبَطة؛ التى على الإنسان فيها مُهْلة، وله فى تأملها فُسْحة، ولا عيبَ عليه معها فى إطالة التأمل، وإعادة التصفُّح؛ ولهذا قال الأحنف ابن قيس بصفّين: أغبّوا الرأى، فإن ذلك يكشِف لكم عن مَحْضه.

وقال عبد الله بن وهب الراسبىّ لما أراده الخوارج على الكلام حين عقدوا له: لا خيرَ فى الرأى الفَطير، والكلام القَضيب.

وشُووِر ابن التوءم الرّقاشىّ[2] فأمسك عن الجواب وقال: ما أحِبّ الخبز إلّا بائتا.

(١) حاشية ت (من نسخة): «فيه». (٢) حاشية ت (من نسخة): «الرؤاسىّ».

فأماقولهم : ثلاثٌ يُعْرَفْنَ فى الأحمق : سرعةُ الجواب ، وكثرةُ الالتفات ، والثِّقة بكل أحد ؛ فمحمولٌ على إسراعه بالجواب عند الرأى والمشاورة ، والأحوالِ التى يستحب فيها التأيّد والتثبُّت ، أو على الإسراع من غير تحصيلٍ ولا ضبط ؛ وذلك مذمومٌ لا إشكالَ فيه .

ثم نعود إلى ما قصدناه .

روى أنّ بعضَ أزواج النبى صلى الله عليه وآله سألته : متَى يعرف الإنسان ربَّه فقال : « إذا عَرَف نَفْسه » . وقال له صلى الله عليه وآله رجلٌ : إنى أكره الموت ، فقال : « ألَكَ مال ؟ »، قال : نعم ، قال : « قدِّم مالَكَ؛ فإن قَلْب كلِّ امرئ عند ماله » .

وقال يهودىٌّ لأمير المؤمنين عليه السلام : ما دفنتم نبيَّكم حتى اختلفْتم فيه ، فقال عليه السلام : إنا اختلفنا عنه، لا فيه[1]؛ ولكنكم ماجفّتْ أقدامكم من البحر حتى قلتُم لنبيكم: اجعلْ لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون .

وروى أنه لما فرغ عليه‌السلام من دفن الرسول صلوات‌الله‌عليه‌وآله، سأل عن خبر السَّقيفة فقيل له : إنّ الأنصار قالت : منّا أميرٌ ومنكم أمير، فقال عليه السلام : فهلّا ذكرتِ الأنصارُ قولَ النبى صلى الله عليه وآله : « نقبَلُ من مُحْسِنِهم ، ونتجاوز عن مسيئِهم » ! فكيف يكونُ الأمرُ فيهم والوصاة بهم !

وقال له عليه السلام ابنُ الكوّاء : يا أميرَ المؤمنين ، كم بينَ السماء والأرض؟ فقال : دعوة مستجابة . وقيل له : ما طعمُ الماء ؟ فقال : طعم الحياة . وقيل له : كم بين المشرق والمغرب؟ فقال : مسيرة يومٍ للشمس . وأثنى عليه رجل ـ وكان له متَّهِما ـ فقال: أنا دونَ ما تقول ، وفوق ما فى نفسك . وكان عليه السلام إذا أطراه رجلٌ قال : اللَّهم إنك أعلمُ بى منه ، وأنا أعلم منه بنفسى ، فاغفر لى ما لا يعلم .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال : حدَّثنى عبدُ الواحد بن محمد الخصيبىّ قال : حدّثنى

---

(١) حاشية ت (من نسخة) « ولم نختلف فيه » .

أبو علىّ أحمد بن إسماعيل قال : حدثنى أيوب بن الحسين الهاشمىّ قال : قدِم على الرشيد رجلٌ من الأنصار ، يقال له نُفَيْع ـ وكان عِرِّيضاً ـ قال : فحضرَ بابَ الرشيد ، ومعه عبدُ العزيز ابن عمر بن عبد العزيز ، وحضرَ موسى بن جعفر عليهما السلام على حمارٍ له ، فتلقّاه الحاجب بالبرّ(١) والإكرام ، وأعظمه مَنْ كان هناك ، وعَجَّل له الإذن ، فقال نفيع لعبد العزيز : مَنْ هذا الشيخ ؟ قال : أوَ ما تعرفُه ؟ قال : لا ، قال : هذا شيخ آل أبى طالب ، هذا موسى بن جعفر ، قال : ما رأيت أعجزَ مِنْ هؤلاء القوم ! يفعلون هـذا برجل (٢يُقدِّر أن يُزيلهم٢) عن السَّرير ! أمَا لَئِنْ خرج لأَسُوءَنَّه ، فقال له عبد العزيز : لا تفعل ، فإن هؤلاء أهلُ بيت قلَّما تعرَّض لهم أحد فى خطاب إلّا وَسموه بالجواب (٣سِمةً يبقى عارُها٣) عليه مدَى الدهر .

قال : وخرج موسى بن جعفر عليهما السلام ، فقام إليه نُفَيع الأنصارىّ ، فأخذ بلِجام حمارِه ثم قال له : مَنْ أنت ؟ فقال له : ياهذا ، إن كنتَ تريدُ النَّسب فأنا ابن محمد حبيب الله ابن إسماعيلَ ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله ، وإن كنتَ تريدُ البلد ، فهو الذى فرَضَ اللهُ على المسلمين وعليك ـ إن كنت منهم ـ الحج إليه ، وإن كنتَ تريد المفاخرة ، فوالله مارضِيَ مشركو قومى(٤) / مسلمِى قومِك أكفاءً لهم حتى قالوا : يا محمـد ، أَخْرِجْ إلينا [٩١ و] أكفاءنا من قريش(٥) ؛ خَلِّ عن الحمار ، قال : فخلَّى عنه ويدُه ترْعَدُ ، وانصرف بخزْى ، فقال له عبد العزيز : ألم أقل لك ! .

ويقال إن معاوية استشارَ الأحنفَ بن قيس فى عَقْد البَيْعة لابنه يزيد ، فقال له : أنت أعلمُ بليله ونهاره .

وقال أحمد بن يوسف لأبى يعقوب الخُرَيمىّ : مَدْحُك لمحمد بن منصور أجودُ من مراثيك

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « بالبشر » . (٢ـ٢) حاشية ت (من نسخة) : يقدر أن يزيلهم » . (٣ـ٣) حاشية ت (من نسخة) : « وسما يبقى عاره » . (٤) حاشية ط : « يعنى بقوله : « مشركو قومى » شيبة وعتبة وعمرو بن عبدود (٥) ورد بعد هذه العبارة فى م ، ومن نسخة بحاشيتى ت ، ف : « وإن كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا فى الصلوات المفروضة بقوله : اللهم صل على محمد وآل محمد ، فنحن آل محمد » .

فيه ، فقال : كُنّا نعمل للرّجاء ، واليوم للوفاء ، وبينهما بونٌ .

ودخل مُطيع بن إياس على الهادى فى حياة المهدىّ فدُهِش وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقيل له : مَهْ ! فقال : بَعْد أمير المؤمنين .

وقال معاوية لعَقيل بن أبى طالب ـ وكان جيّد الجواب حاضره ـ : أنا خيرٌ لك من أخيك ، فقال عَقِيل : إن أخى آثر دينَه على دنياه ، وأنتَ آثرت دنياكَ على دينك ؛ فأخى خيرٌ لنفسه منك ، وأنت خيرٌ لى منه . وقال له يوماً : إنّ فيكم لشَبَقاً يا بنى هاشم ، فقال : هو منّا فى الرّجال ، ومنكم فى النساء . وقال له يوماً وقد دخل عليه : هذا عَقِيل ، عمُّهُ أبو لهب ، فقال عَقيل : هذا معاوية ، عمّتُه حمّالة الحطب . وعمةُ معاوية أمُّ جميل[1] بنت حرب بن أميّة ، وكانت امرأة أبى لهب . وقال له يوماً : ياأبا يزيد ، أين ترى عمّك أبا لهب ؟ فقال له عَقِيل: إذا دخلتَ النار فانظر عَنْ يَسارِكَ تجِدْه مفترشاً عمّتك ، فانظر أيُّهما أسوأ حالاً ، النا كحُ أم المنكوح ! وقال له ليلةَ الهريرِ بصِفّين : يا أبا يزيد ، أنت معنا الليلةَ ، قال : ويوم بدرٍ كنتُ معكم .

وقيل لسعيد بن المسيَّب ـ وقد كُفّ بصرُه : ألا تقدحُ[2] عينَك ؟ قال : حتى أفتحها على مَنْ !

ودخل معنُ بن زائدةَ على المنصور فقال له : كَبِرْتَ يا معن ، قال : فى طاعتِك ، قال : وإنك لتتجلّد ، قال : على أعدائك ، قال : وإنّ فيك لبَقية ، قال : هى لك .

وقال عبيد الله بن زياد لُمسلم بن عَقِيل : والله لأَقتلنك قِتْلة يُتحدَّث بها بعدكَ ، فقال مسلِم : أشهد أنك لا تَدَعُ سوءَ القِتْلة ولؤم القُدْرة لأحد أولَى بهما منك .

وقال رجل لعمْرو بن العاص : لأتفرّغنّ لك ، قال : إذًا وقعتَ[3] فى الشُّغْل .

---

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « أم جميل هى ابنة حرب ، أخت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ألا تفتح عينك؟ » .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذا تقع » .

وقال معاوية لعمرو بن سعيد بن العاص الملقّب بالأشدق : إلى مَنْ أوصَى بك أبوك ؟ فقال : إنّ أبى أوصَى إلىَّ ولم يُوصِ بى .

وقال عبيد الله بن زياد بن ظَبْيان لابنه وقد حضرتْه / الوفاة : قد أوصيتُ بك فلاناً [٩١ ظ] فالْقَه بعدى ، فقال : يا أبَهْ ، إذا لم يكن للحىِّ إلا وصيةُ الميت ، فالحىّ هو الميت .

وقال الوليد بن يزيد لابن الرِّقَاع العاملِىّ : أنشدْنى بعضَ قولك فى الخمر ، فأنشده :

كُميتٌ إذا شُجَّتْ وفى الكأسِ وَرْدَةٌ — لها فى عِظامِ الشَّارِبينَ دَبيبُ

فقال له : شربتَها وربِّ الكعبة ! فقال ابنُ الرِّقاع : لئن كان نعتى لها بذلك رابَك ، لقد رابَنى معرفتُك بها .

ولما أتى معاويةَ نعيُّ الحسن بن علىّ عليهما السلام بعث إلى ابنِ عبّاس رضى الله عنه ــ وهو لا يعلمُ الخبر ــ فقال له : هل عندكَ خبرمن المدينة[١] ؟ قال : لا ، قال : أتانا[٢] نعِىّ الحسن ــ وأظهر سروراً ــ فقال ابنُ عباس : إذًا لا يُنْسَأُ[٣] فى أجلك، ولا تُسَدُّ حفرتُك ، قال : أحسَبه قد ترك صِبْية صغاراً ، قال : كلُّنا كان صغيرًا وكبِر ، قال : وأحسَبه قد كان بلَغ سنًّا ، قال : مثلُ مولدِه لا يُجهَل، قال معاوية : وقال قائل إنك أصبحتَ سيّدَ قومك، قال : أما وأبو عبد الله الحسينُ بن علىّ حىٌّ فلا ؛ فلما كان من غدٍ أتى يزيدُ بن معاوية ابنَ عباس ، وهو فى المسجد يعزَّى[٤] ، فجلس بين يديه جِلْسَةَ المعزِّى ، وأظهر حزناً[٥] وغمًّا ، فلما انصرفَ أتبعه ابنُ عباس بصرَه وقال: إذا ذهبَ آل حربٍ ذهب حِلْم قريش .

ورِوىَ أنّ وفوداً دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فأراد فتًى منهم الكلامَ، فقال عمر : ليتكلمْ أكبرُكُم ، فقال الفتى : إنَّ قريشاً لَترى فيها مَنْ هو أسنّ منك ، فقال له : تكلَّم يا فتى .

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « ماجاءك من المدينة خبر ؟ » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أتى ناعى الحسن » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذاً لاينسىء أجلك » . (٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « كان ذلك بالشام ؛ وروى أن ابن عباس رضى الله عنه عقد بالشام عزاء على الحسن صلوات الله عليه » . (٥) ت : « تحزنا » .

وروى محمد بن سلاّم الجُمحىّ قال: " أَنشد[١] كُثيِّر عبدَ الملك بن مروان شعراً :

على ابنِ أبى العاصى دِلاَصٌ حَصِينةٌ   أجادَ المُسَدِّى نَسجَها فأذَالها[٢]

فقال له: هلاّ قلت كما قال الأعشى :

وإذا تَــكونُ كَتيبةٌ ملْمُومةٌ   شَهباءُ يَخْشَى الذّائدونَ نِهالَها[٣]

كُنتَ المُقدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ   بالسَّيفِ تَضْرِبُ مُعْلِماً أبطالَها[٤]

فقال له : إنَّه وصَفه بالخُرْقِ ووصفْتُك بالحزْم[٥].

ويُشبه ذلك ما رُوِىَ[٦] عن أبى عمرو بن العلاء أنه لقى ذا الرُّمة ، فقـال له : أنشدنى قصيدتك :

* ما بالُ عَينِكَ مِنها الماءُ يَنسكِبُ[٧] *

---

(١) طبقات الشعراء ٤٥٨ـ٤٥٩ ؛ ورواه المرزبانىّ فى الموشح: ١٤٥ ؛ مع اختلاف فى الرواية .

(٢) ابن أبى العاصى هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية ، ودلاص : وصف للدرع اللينة . والحصينة : المحكمة المتدانية الحلق ؛ يكون صاحبها فى حصن مما يصيبه . وسدى الدرع : نسجها . ويقال أذال الدرع ؛ إذا أطال ذيلها وأطرافها .

(٣) ديوانه : ٢٧ . الكتيبة : القطعة العظيمة من الجيش ، وكتيبة ملمومة : مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض . وشهباء : بيضاء صافية الحديد . والذائد : الذى يحمى الحرم ويذود عنها ، والنهال : العطاش .

(٤) المقدم : شديد الإقدام على العدو . والجنة هنا : الدرع تستر لابسها . والمعلم : من يعلم مكانه فى الحرب بعلامة أعلم بها نفسه . (٥) رواية المرزبانى : « فقال : يا أمير المؤمنين ؛ وصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق والتغرير ؛ ووصفتك بالحزم والعزم ، فأرضاه » ؛ وقد فاضل المرزبانى بين هذين الشعرين فقال : « رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى فى هذا المعنى على قول كثير ؛ لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الأوسط ؛ والأعشى بالغ فى وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة؛ على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب؛ فى وصف الأعشى دليل قوى على شدة شجاعة صاحبه» . (٦) الخبر فى الموشح ١٧٤ـ١٧٥ ، والشعر والشعراء ٥١٧ـ٥١٨ ، والأغانى ١٦ : ١١٨؛ واللآلئ: ٨٩٨ ؛ مع اختلاف فى الرواية والشعر . (٧) بقيته :

* كَأَنَّهُ مِنْ كُلَى مَفْرِيّةٍ سَرِبُ *

والكلى : جمع كلية ؛ وهى رقعة تكون فى أصل عروة المزادة . ومفرية : مقطوعة . وسرب : سائل ؛ والقصيدة فى ديوانه ١ ـ ٣٥ .

/ فأنشده إياها ، فلما بلغ إلى قوله : [٩٢ و]

تُصْغِى إذَا شدَّها بالـكورِ جانِحَةً   حتَّى إذَا ما استوَى فى غرْزِها تَثِب

فقال له أبو عمرو بن العلاء : قول الراعى أحسن مما قلت

تَرَاها إذَا قامَ فى غَرْزِها   كَمِثْلِ السَّفِينةِ أو أَوْقَرُ

ولا تُعجِلُ المرْءَ عِندَ الوُرو   كَ وَهْىَ بِرِكْبَتِهِ أبصَرُ(١)

فقال ذو الرُّمةِ : إنَّ الراعىَ وصفَ ناقة ملِك ، وأنا وصفت ناقة سوقة .

وحكى الصُّولىّ أنه سمع أعرابيا يُنشِد بيتَه الذى حكيناه ، فقال : سقَط والله الرجل .

فأما الغرْز فهو للناقة مثل الرِّكاب للدابة ، وهو نِسْع مضفور . وقوله : « تُصْغِى » يريد تُميل رأسها ، كأنها تسمع ، لأنها ليست بنفور ، بل مؤدّبة مقوّمة . والـكور : الرحل.

وقد أخذ هـذا المعنى أبو نواس فأحسن نهاية الإحسان ، فقال يصف الناقة فى مدحه الخصيبَ بن عبدالحميد :

فـكأنَّها مُصْغٍ لِتُسْمِعَهُ   بَعضَ الحَديثِ ، بأذْنِه وَقْرُ

فلم يرضَ بأنْ وصفها بالإصغاء حتى وصفَها بالوقْر ، وهو الثِّقَل فى الأذن ، لأن الثَّقيلَ السمع يكون إصغاؤه وميلُه إلى جهة الحديث أشدَّ وأكدَّ(٢) .

* * *

قال سيدنا الشريف أدام الله علوّه : وإنى لأستحسِن القصيدة التى من جُمْلَتِها البيتُ الذى أوردناه لأبى نواس ؛ لأنها دون العشرين بيتاً ، وقد نَسب فى أولها ، ثم وَصفَ النَّاقةَ بأحسن وصف ، ثم مدَح الرجلَ الذى قصد مدحه واقتضاه حاجَته ؛ كلُّ ذلك بطبع يتدفّق ، ورَوْنَقٍ يترقرق ، وسهولة مع جزالة ؛ والقصيدة(٣) :

---

(١) البيتان فى اللآلى : ٨٩٨ . الوروك : أن يثنى الرجل إحدى وركيه لينزل من فوق السرج ، والبيت الثانى فى اللسان (ورك) ، وفى ت : « الركوب » ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « النزول » .

(٢) من نسخة بحاشية ت : « وأوكد » .   (٣) ديوانه : ١٠١ .

يا مِنَّةً امْتَنَّهَا السُّكْرُ ما يَنقَضِى مِنِّى لها الشُّكْرُ
أَعطتْكَ فوْقَ مُناكَ مِن قُبَلٍ قدْ كُنَّ قَبْلُ، مَرَامُهَا وَعْرُ
يَثْنى إليكَ بهــا سَوالِفَهُ رَشأٌ صِناعةُ عَينهِ السِّحْرُ
ظلَّتْ حُمَيَّا الكأْسِ تبْسُطنَا(١) حتَّى تَهتَّكَ بيْننا السِّتْرُ
[٩٢ ظ] / فى مجلسٍ ضحك السُّرُورُ به عَنْ ناجذَيْهِ وحَلَّتِ الخَمْرُ

أما قوله: «حَلَّتِ الخمرُ» فيحتمِل أن يُريد به أنّ ما وصفه من طيب الموضع وتكامُلِ السرور به وحضور(٢) المأمول فيه صار مقتضِياً لشرب الخمر، ومُلْجِئاً إلى تناولها، ورافعاً للحرج فيها؛ على مذهب الشعراء فى المبالغة؛ وتكون فائدةُ وصفِها بأنها «حلّت» المبالغةَ فى وصف الحال بالحسْن والطِّيب. ويحتمل أن يكونَ عَقَد على نفسه، وآلى ألّا يتناول الخمر إلّا بعد الاجتماع مع محبوبه، وكان الاجتماعُ معه مُخْرِجاً له عن يمينه، على مذهب العرب فى تحريم الخمر على نفوسهم، إلى أن يأخذُوا بثأرهم؛ ويجرى ذلك مَجْرى قول الشَّنْفَرَى:

حَلَّتِ الخمرُ وكانتْ حَراماً وبلأْيٍ ما أَلَمَّتْ تَحِلُّ(٣)

ويحتمل أن يريد «بحلَّت» نزلتْ وأقامت؛ من الحلُول الذى هو المقام؛ لا مِنَ الحَلال؛ فكأنه وصفَ بلوغَ جميع آرابه وحضورَ فنونِ لذّاته، وأنها تكاملتْ بحلول الخمر؛ التى فيها جميعُ اللذات؛ وهذا الوجه وإن لم يُشِرْ إليه أحدٌ مِمَّنْ تقدم فى تفسير هذا البيت؛ فالقول يحتملُه، ولا مانعَ من أن يكون مُرادًا. وقد قيل إنه أراد استحللنا الخمرَ لسكْرِنا، وفقْدِنا العقولَ التى كنا نمتنع لها من الحرام؛ والوجوهُ المتقدمة أشبهُ وأقرب إلى الصواب

(١) د: «تنشطنا». (٢) د، ف: «وحصول». (٣) من قصيدة مطلعها:

إنَّ بالشِّعْبِ الَّذِى دُونَ سَلْعٍ لقتيلاً دَمُهُ ما يُطَلُّ

وفى نسبتها خلاف كبير؛ نسبها أبو تمام فى الحماسة ٢: ٣١٣–٣١٩ إلى تأبط شرا، وقال التبريزى: «إنها لخلف الأحمر؛ وقيل إنها لابن أخت تأبط شرا»؛ ونسبها ابن قتيبة فى الشعر والشعراء إلى خلف؛ وقال: «إنه نحلها ابن أخت تأبط شرا؛ وكان يقول الشعر وينحله المتقدمين»، وممن نسبها إلى الشنفرى صاحب الأغانى (٥: ١٦٢).

ولقدْ تجوبُ بِىَ الفَلاَةَ إذا ‏ ‏ صامَ النَّهارُ وقالتِ العُفْرُ

أراد «بصام» ، وقف ، وذلك وصفٌ له بالامتداد والطول . والعُفر : الظِّباء اللواتى(١) فى ألوانهنَّ حمرة يخالطها كُدْرة(٢) . و «قالت» من القائِلة ، وهى وقتُ نصف النهـار ؛ لا من القول .

شَدَنيَّـةٌ رَعتِ الحِمَى فأَتتْ ‏ ‏ ملْءَ الحِبالِ كأنَّها قَصْرُ

شدَنِيَّـة: منسوبة إلى شدَن ، وهو موضع باليمن ؛ يقال لِمَلِـكِه: ذو شَدَن .

تَثْنى على الحاذَيْنِ ذا خُصَلٍ ‏ ‏ تَعْمالُهُ الشَّذَرانُ والخَطْرُ

الحاذُ : مؤخَّرالفخِذ . والشَّذَران : رفع الناقة ذَنَبها من المرَح(٣) . والخَطَران، معروف من خَطَر يخطِر / . وتعْماله ، أى عمله . [٩٣ و]

أَمّا إذا رَفَعَتْهُ شامِذَةً ‏ ‏ فتقولُ رَنَّقَ فوْقَها نَسْرُ

يعنى بشامِذة ، أى مبالِغة فى رفع ذَنَبها . ويقال ، رنَّق الطائر ؛ إذا نشرَ جَناحه(٤) طائرًا من غير تحريك .

أَمّا إذَا وَضَعَتْهُ خافِضَةً ‏ ‏ فتقولُ أُرْخِيَ خَلْفَها سِتْرُ
وتَسِفُّ أحْيانًا فتَحسِبُها ‏ ‏ مُتَرَسِّمًا يَقْتادُهُ أُثْرُ(٥)

معنى « تَسِفّ » ، أى تُدْنِى رأسها من الأرض . والمترسِّم: الذى يتتبع الرَّسْم ويتأمّله ؛ ومعنى « يقتاده أُثْرُ » ، أى هومَعْنِىٌّ بطلب الأَثَر وموكَّلٌ بتتبُّعه . ويقال: أَثْرٌ وأُثْرٌ وإِثْرٌ ؛

(١) حاشية ت (من نسخة) : « التى » . ‏ (٢) حاشية ت (من نسخة) : « كدورة » .
(٣) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « فى كتاب ابن فارس : تشذرت الناقة إذا رفعت رأسها من النشاط » . ‏ (٤) ت ، ش ، ف : « جناحيه » . ‏ (٥) فى حاشيتى الأصل ، ت : « الأثر [بضم الهمزة والثاء] ، والأثر [بفتح الهمزة والثاء] سواء ؛ قال امرؤ القيس :

وإنْ أدْبَرَتْ قلتَ أُثْفِيَّةٌ ‏ ‏ مُلَمْلَمَةٌ ليسَ فيها أُثُرْ

ثلاث لغات ؛ وقد وهِم الصُّولىّ فى تفسير هذا البيت ؛ لأنّه قال : إن أبا نُوَاس جمع الأثَرَ آثارًا ، ثم جمع الآثار أُثُرًا ، ثم خَفَّف فقال : « أُثْر » . وليس يحتاج إلى ما ذكره مع ما أوردناه ؛ وإنما ذهب عليه أنه يقال فى الأثَر : أُثُر .

فإذا قَصَرْتَ لها الزِّمامَ سَما ... فوْقَ المَقادِمِ مِلْطَمٌ حُرُّ(١)
فكأنَّها مُصْغٍ لِتُسْمِعَهُ ... بَعضَ الحديثِ ، بأُذْنِهِ وَقْرُ
تَبرِى لأَنقاضٍ أَضَرَّ بها ... جَذْبُ البُرَى فخُدُودُها صُعْرُ

معنى تَبرِى ، تنْبرِى ، أى تعرض لهذه الأنقاض ، والأنقاض: جمع نِقْض ؛ وهو البعير الذى قد هزله السفرُ والكدّ . والبُرَى : جمع بُرَة ؛ وهى الحلْقة التى تكون فى أنف البعير يُذَلَّل بها .

يَرْمِى إليكَ بها بَنو أَمَلٍ ... عَتَبُوا فأَعْتَبَهم(٢) بِكَ الدَّهرُ
أَنتَ الخَصيبُ وهذه مِصْرُ ... فتَدَفَّقَا فكِلاكُما بَحْرُ
لا تَقْعُدَا بى عن مَدَى أَمَلى ... شيئًا فما لَكُما بهِ عُذْرُ
وَيَحِقُّ لى إذْ صِرْتُ بَيْنَكُما ... ألّا يَحِلَّ بساحَتى فَقْرُ(٣)

---

(١) الملطم : صفحة العنق . (٢) أعتبهم : أرضاهم . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « الفقر » .

٢٠ مجلس آخر

قال سيدنا أدام الله علوّه: ثم نعود إلى ما كنّا آخذين فيه من ذكر مُسْتَحْسَن الجوابات.

رُوى أن رجلا نظر إلى كُثَيّر الشاعر راكبا / وأبو جعفر محمد بن علىّ عليهما السلام يمشى ، [٩٣ ظ] فقيل له : أتركبُ وأبو جعفر يمشى ! فقال : هو أمرنى بذلك ، وأنا بطاعته فى الركوب أفضلُ منى فى عصيانى إياه بالمشى(١) .

ورُوِى أن دعاةَ خُراسان صاروا إلى أبى عبد الله الصادق عليه(٢) السلام فقالوا له: أردنا ولد محمد بن علىّ(٣)، فقال : أولئك بالسَّراة ولست بصاحبكم ، فقالوا له : لو أراد الله بنا خيراً كنت صاحبَنا ، فقال المنصور بعد ذلك لأبى عبدالله : أردتَ الخروج علينا، فقال : نحن ندلُّ عليكم فى دولة غيركم ، فكيف نخرج عليكم فى دولتكم !

وقال عبدالملك بن مرْوان لنصيْب : هل لك فى الشراب؟ فقال له نُصَيب : الشعر مفلفَل، واللون مرمّد(٤) ، وإنما قرَّبنى إليك عقلى ، فهبه لى .

وقال مرْوان الملقَّب بالحِمار لحاجبه ــ وقد ولّى منهزماً ــ : كُرَّ عليهم بالسيف، فقال : لا طاقةَ لى بذلك ، فقال : والله لئن لم تفعل لأسوءَنَّك ، فقال: وَدِدت أنك تقدر على ذلك .

وقال يحيى بن خالد لشَرِيك : علِّمنا مما علَّمك الله يا أبا عبد الله ، فقال له شَريك : إذا علّمتم بما تعلمون ، علّمنا كم ما تجهلون .

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « فى المشى » . (٢) ت : « أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام » . (٣) هو محمد بن على بن عبد الله بن العباس ؛ جد الخلفاء العباسيين ؛ وهو الذى ابتدأت الدعوة على يديه ؛ وكان ذلك فى حياة أبيه؛ (وانظر تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ١١٨) .

(٤) الرمدة : لون إلى الغبرة ؛ ومن نسخة بحاشيتى ت ، ف : « مربد » .

وقال المأمون لمحمد بن عمران : بَلغني أنك بخيل ، فقال : ما أجُمد فى حقّ ، ولا أذوب فى باطل[1] .

وقيل لأبى دؤاد الإيادىّ ـ و نُظِر إلى بنته تسوس فرسه : أهنتَها يا أبا دؤاد ! فقال : أهنتُها بكرامتى ، كما أكرمتُها بهوانى ؛ ومثل ذلك قول أعرابىٍّ لحِقه ذلٌّ على باب السلطان :

أُهينُ لهُمْ نَفسى لأُكْرِمها بِهِمْ ولن تُكرِمَ النَّفْسَ التى لا تُهِينُها

ودخلَ عُمارة بن حمزة على المنصور ، فجلس مجلَسه الذى كان يجلس فيه ، فقام رجلٌ إلى المنصور فقال : مظلوم ياأمير المؤمنين ، فقال : مَن ظالمك ؟ فقال : عُمارة غصبنى ضَيْعتى ، فقال المنصور : قم يا عُمارة ، فاقعد مع خصمك ، فقال عُمارة : ما هو لى بخَصْم ؛ فقال له : كيف ؟ قال : إن كانت الضيعةُ له فلست أنازِعه فيها ؛ وإن كانت لى فهى له ، ولا أقوم من مجلس شرّفنى به أمير المؤمنين لأقعد فى أدْنى منه بسبب ضَيْعة .

وقال هشام بن عبد الملك لرجل فى الكعبة : سَلْنى حاجتك ، فقال : لا أسأل فى بيت الله غيرَ الله .

[٩٤ و] وهرَب سليمان بن عبد الملك من الطّاعون فقيل له : إن الله تعالى / يقول : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُم الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وَإِذاً لاَ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ ؛ [الأحزاب : ١٦] ، فقال : ذلك القليلَ نطلب .

وقيل إنَّ الجعْد بن دِرْهم جعلَ فى قارورة تراباً وماءً ، فاستحال دوداً وهوامّ ، فقال لأصحابه : أنا خلقتُ ذلك ، لأنى كنتُ سبب كونه . فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما السلام ، فقال : إن كان خلقَه فليقل : كَمْ هو ؟ وكَم الذّكران منه والإناث ؟ وكم وزن كل واحدة منهن ؟ ولْيأمر الذى يسعى إلى هذا الوجه أن يرجع إلى غيره . فانقطع وهرب .

(١) حاشية ف : « فى كتاب آخر : « ولا أتدفق فى باطل »

وقال المأمون للفضل بن سهل: إنى أخافُ عليك أقواماً يمادونك، فلا تركب إلىَّ إلاَّ فى جيش ، فقال الفضل : ما أخاف غيرَك ، فإن أَمَّنْتَنى مِنْ[(١)] نفسِك لم يضرَّنى إنسان .

وقيل لأبى ثور : ما تقولُ فى حمّاد بن زيد بن درهم ، وحمّاد بن سلمَة بن دينار ؟ فقال : بينهما فى العلم كقيمة ما بين أبويهما فى الصرف .

وأراد المأمون تقبيلَ السّواد[(٢)] ، وجلس يناظر العمَّال على ذلك ، فقام إليه رجلٌ من الدَّهّاقين فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الله عز وجل ولاَّكَ علينا بالأمانة ، فلا تقبِّلنا، فأضرَبَ عن ذلك .

وقال رجل لابن عبّاس : زوِّجْنى مِنْ فلانة[(٣)] ـ وكانت يتيمة فى حِجْره ـ فقال : لا أرضاها لك ، لأنها تتشرّف ، فقال الرجل : قد رضيت أنا ، فقال ابن عباس : الآن لا أرضاكَ لها .

[(٤)] ويشبه هذا الخبر مِن وجهٍ ما رواه[(٤)] المدائنىّ قال : أرسل عمر بن عبد العزيز رجلاً من أهل الشام وأمرَه أن يجمعَ بين إياس بن معاوية المُرّىّ[(٥)] وبين القاسم بن ربيعة الحَوْشِىّ[(٦)] من بنى عبدالله بن غَطفان، فيولِّى القضاء أقدمَهما[(٧)]، فقدم الرجل البصرة، فجمع بينهما، فقال إياس للشامىّ: أيُّها الرجل ، سل عنِّى وعن القاسم فقيهَى المِصْر : الحسنَ وابنَ سيرين ، فمن أشارا عليك

(١) من نسخة بحاشيتى ت ، ف : « فإن أمنتنى نفسك » .

(٢) السواد ؛ يراد به رستاق العراق وضياعها مما افتتحه المسلمون ؛ سمى بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار والتقبيل ؛ من القبالة ؛ وهى الكفالة ، قال فى اللسان : « يقال قبلت العامل تقبيلا ؛ والاسم القبالة ؛ وفى حديث ابن عباس: « إياكم والقبالات ؛ فإنها صغار وفضلها ربا ؛ وهو أن يتقبل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى ؛ فذلك الفضل ربا ؛ فإن تقبل وزرع فلا بأس » .

(٣) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « زوجنى فلانة » . (٤ـ٤) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت : « ويشبه هذا الخبر من وجه بخبر رواه » . (٥) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « المزنىّ » وفى حاشية الأصل أيضا: « وهم ، هو إياس بن معاوية بن قرة المزنى» .

(٦) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « الجوشنى » . (٧) حاشية ت (من نسخة) : « أنفذهما » .

بتوليته فولّه ؛ وكان القاسم يأتى الحسن وابن سيرين، ولم يكن إياس يأتيهما ، فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به ، فقال للشامىّ : لا تَسَلْ عنّى ولا عنه ، فوالذى لا إله إلا هو إن إياساً أفضلُ منى وأفقه ، وأعلم بالقضاء ، فإن كنتُ عندك مِمَّن يصَدَّق إنه لَينبغى أن تقبل منى ، وإن كنت كاذباً فما يحلُّ لك أن تولّيَنى وأنا كاذب؛ فقال إياس للشامىّ : إنك جئتَ برجلٍ فأقمته على شفير جهنّم، فافتدَى نفسه من النار(١) أن تقذِفه فيها بيمين حلَفها كذب فيها، يستغفر الله منها، وينجو مما يخاف /. فقال الشامىّ : أما إذْ فطِنتَ لهذا ، فإنى أولّيك ، فاستقضاه . [٩٤ ط]

ولما أمضى معاوية بيعةَ يزيد جعل الناس يقرِّظونه، فقال يزيد لأبيه : ما ندرى أنخدَع الناس أم يخدعوننا ؟ فقال معاويةُ : يا بنىّ، مَن خدعته فتخادع لك ليخدعك فقد خدعته .

وسُمِع عبد الملك بن مروان ليلة قُبِض وهو يَجود بنفسه ـ وقد سمع صوت قصّار ـ يقول: ليتنى كنتُ غسالاً أعيش بما أكسب يوماً بيوم ، فبلغ ذلك أبا حازمٍ فقال : الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه، ولا نتمنّى فى الحياةِ ماهم فيه .

وقال الواثق للجاحظ: يامَنّانىّ(٢)، فقال: لو كان الذى أضفتَنى إليه عبدَك ماقدرتُ على بيعه لكثرة عيوبه ؛ فكيف أكون على دينه(٣) ! .

وقال ابن عباس رضى الله عنه للخوارج ـ وقد أرسله أمير المؤمنين عليه السلام إليهم: نَشَدْتُكم الله، أيُّما أعلمُ بالتنزيل والتأويل : علىّ أم أنتم؟ قالوا : علىّ ، قال : أليس تدرون لعلّ الذى حكَم به فيكم بفضل علمه على ما تعلمون! فرجع أكثرهم .

---

(١) حاشية ف : « بدل اشتمال من « نفسه » ، أى افتدى قذف نفسه » .

(٢) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف: « يامانىّ » ؛ ومانىّ : منسوب إلى مانى ؛ وهو مانى ابن فاتك الحكيم؛ وأتباعه يعرفون بالمانوية ؛ وهم يزعمون أن العالم مركب من أصلين قديمين : نور وظلمة ؛ وهما أزليان ، (وانظر تفصيل مذهبهم فى الملل والنحل للشهرستانى ١٤٣-١٤٦) .

(٣) ت: « على ذلك » .

وقال عتْبَة بن أبى سفيان لعبـد الله بن عباس : ما مَنَع علىّ بن أبى طالب أن يَجعلك أحد الحكمين ؟ فقال : أما والله لو بعثنى لاعترضتُ مَدارج[١] أنفاسه ، أطِير إذا أسَفّ وأُسِفّ[٢] إذا طار ، ولعقدْت له عقدا لا تنتقِض مريرته ، ولا يدْرك طرفاه ؛ ولـكنه سَبَق قدرٌ ، ومضى أجلٌ ، والآخرة خير لأمير المؤمنين من الدنيا .

وقال أبو جعفر محمد بن علىّ عليهما السلام لـكُثَيِّر : امتدحتَ عبدَ الملك بن مروان ؟ فقال : لم أقل له ياإمامَ الهدى ، إنما قلتُ : ياشجاعُ، والشجاع حَيّة ، ويا أسدُ، والأسد كلب، ويا غيْثُ ، والغيث مَوات ! فتبسم أبو جعفر عليه السلام .

وقالت بنت عبد الله بن مطيعٍ لزوجها يحيى بن طلحة : ما رأيتُ ألأم من أصحابِك ، إذا أيسرتَ لزِموك ، وإذا أعسرتَ تركوك ! فقال : هذا من كرمِهم ؛ يأتوننا فى حال القوة مِنّا عليهم ، ويفارقوننا فى حال الضعف مِنّا عنهم .

وقيل لإبراهيم النّخَعِىّ : متى كنت ؟ قال : حيث احتِيج إلىّ .

ورُئِىَ رجلٌ يصلي صلاة خفيفة، فقيل له : ماهذه الصلاة ؟ فقال: صلاةٌ ليس فيها رياء .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزُبانىّ قال حدّثنى محمـد بن أبى الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوىّ قال : تزعمُ الرواة أن قُتَيْبة بن مُسلم لما فتح سَمَرْقَنْد[٣] أفضى إلى أثاثٍ لم يُرَ مثلُه ، وآلاتٍ لم يُسمعْ بمثلها ، فأراد أن يُرِىَ الناسَ عظيمَ ما فتح ، ويُعرّفهم أقدارَ[٤] القوم الذين ظهر عليهم ، فأمر بدارٍ ففُرِشَتْ ، وفى صحنها قُدور يُرْتَقى إليها بسلاليم ، وإذا الحصين بن المنذر بن الحارث[٥] بن وَعْلة الرّقاشىّ قد أقبل ، والناسُ جلوس على مراتبهم ، والحصينُ شيخ كبير ، فلما رآه عبد الله بن مُسلم أخو قُتيبة قال لقُتيبة : أتأذنُ لى فى معاتبته؟

(١) المدارج هنا : جمع مدرجة ؛ وهى ممر النفس .

(٢) يقال: أسف الطائر ؛ إذا دنا من الأرض فى طيرانه .

(٣) سمرقند : من أكبر مدن ماوراء النهر وحاضرة الصغد ؛ فتحها قتيبة بن مسلم الباهلىّ سنة ٩٣ .

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل؛ ف : « مقدار » .

(٥) ت : « المنذر بن الحباب » .

قال : لا تردَّه ، فإنه خبيثُ الجواب ، فأبى عبدُ الله إلاّ أن يأذنَ له ـ وكان عبدالله يُضَعَّف ـ وكان قد تسوَّر حائطا إلى امرأة قبل ذلك ـ فأقبـل على الحصين وقال : أمِنَ الباب دخلت ياأباساسان ؟ فقال: أجل، أسنَّ عمُّك عن تسوّر الحيطان ، قال : رأيت هذه القدور ؟ قال: هى أعظم من ألاَّ تُرَى ، قال : ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها ، قال : أجَل ، ولا عَيلان[1] ، ولو رآها سُمِّى شَبعان ، ولم يسمَّ عَيلان ، فقال له : يا أبا ساسان ، أتعرف الذى يقول[2] :

عَزَلْنا وأمَّرنا وبكرُ بن وائلٍ تَجُرُّ خُصاها تبتغى مَن تحالفُ

قال: أعرفه وأعرف الذى يقول:

وخَيْبةُ من يَخيبُ على غنىٍّ وباهِلةَ بن يَعْصُرَ والرِّبابِ

قال: أتعرفُ الذى يقول[2]:

كأنَّ فِقاحَ الأزدِ حولَ ابنِ مِسمَعٍ وقدْ عَرِقَتْ أفْواهُ بَـكرِ بن وائلِ[3]

قال : أعرفه ، وأعرف الذى يقول :

قومٌ قُتَيبةُ أمُّهم وأبوهمُ لوْلاَ قتَيبةُ أصبَحوا فى مجْهلِ

قال : أمّا الشعر ، فأراك ترويه ، ولـكن هل تقرأ من القرآن شيئاً ؟ قال : نعم ، أقرأ منه الـكثيرالطيب: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَـكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾؛ [الإنسان : ١]، فأغضبه فقال: واللهلقدبلغنى أنامرأةالحُصَين حُمِلت إليهوهى حبلى من غيره، قال : فما تحرّك الشيخ من هيئته الأولى . ثم قال على رِسْله : وما يكونُ ؟ تلِدُ غلاماً على فراشى فيقال: ابن الحصين ، كما يقال عبد الله بن مسلم/؛ فأقبل قُتَيبة على عبد الله فقال . لايبعِدُ [٩٥ ظ]
اللهُ غيرك .

(١) حاشية ف : « عيلان ، بالرفع على أن يكون مبتدأ ؛ أى ولا عيلان أدركها ؛ والنصب على أن يكون عطفا على بكر بن وائل » . وفى حاشية الأصل : « عيلان: قبيلة عبد الله بن مسلم » .

(٢) ف: « من الذى يقول؟ » . (٣) حاشية ف : « قوله : « وقد عرفت » ، الواو للحال ؛ شبه أدبار الأزد فى حال ماعرقت بأفواه بكر بن وائل » .

ولقى شَرِيك(١) النُّمَيرىّ رجلا من بنى تميم ، فقال له التَّميمىّ : يعجبنى من الجوارح البازِى ، فقال له شَرِيك : وخاصّة إذا صاد القطا ؛ أراد التميمىّ بقول البازى قولَ جرير :

أنا البَازِى المُطِلُّ على نُمَيرٍ أُتِيحَ منَ السَّماء لَهَا انصبابا(٢)

وأراد شريك بقوله : « إذا صاد القطا » قولَ الطِّرِمّاح :

تميمٌ بطُرْقِ اللُّؤمِ أهدَى مِنَ القَطَا ولوْ سَلَكَتْ سُبْلَ المَكارِمِ ضَلَّتِ(٣)

وساير(٤) شريكٌ النُّميرىُّ عمرَ بن هُبيرة الفَزارىّ على بَغْلة ، فجاوزت بغلتُه بِرْذَوْنَ عمر، فقال له عمر : اغْضُضْ من لِجامها ، فقال شريك : إنها مكتوبة ، فقال عمر: ما أردتُ ذاك ، قال شَرِيك ولا أنا أردتُه ؛ ظن شَرِيك أنّ عُمر أراد بقوله : « اغْضض من لجامها » قول جرير :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُمَيرٍ فلَا كَعْباً بَلَغتَ ولا كِلابا(٥)

وعنَى شريك بقوله : « مكتوبة » قوله(٦) :

لا تأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بهِ على قَلُوصِكَ واكْتُبْها(٧) بأسْيارِ

يعنى : بـ« اكتبها » شُدَّها .

وأنشد أبو تمام الطائىّ أحمدَ بن المعتصم قصيدتَه(٨) السينية التى يمدحه فيها ، فلما بلغ إلى قوله :

---

(١) الخبر فى اللآلى ٨٦٢–٨٦٣ ؛ مع اختلاف فى الرواية . (٢) ديوانه : ٧٢ ، وروايته : « الدل على نمير » . (٣) ديوانه : ١٣٢ ، وفى حاشية ت (من نسخة) : « طرق المكارم » . (٤) الخبر فى الفاضل والمفضول : ٥٠ ، واللآلى : ٨٦١–٨٦٢ ، والاقتضاب : ٥٠ ، وكنايات الجرجانى : ٧٤ . (٥) ديوانه : ٧٥ . (٦) هو سالم بن دارة ، من قصيدة هجا بها زميل ابن أبير الفزارى ، وأبيات منها فى الخزانة ١ : ٥٥٧ . (٧) ت : « معنى اكتبها : اشددها » .

(٧) القصيدة فى ديوانه ١٧٣–١٧٥ ، ومطلعها :

مافى وقوفكَ سَاعةً مِنْ باسِ نقضِى ذمام الأرْبُعِ الأدراسِ

فى حِلمِ أحنفَ فى شَجاعةِ عامرٍ   فى جودِ حاتِمٍ فى ذَكاءِ إياسِ (١)

فقال له الـكِندىّ ـ وكان حاضراً ـ : ما صنعتَ شيئاً ، قال : وكيف ؟ قال : لأنّ شعراءَ دَهْرِنا قد تجاوزوا بالممدوح مَنْ كان قبله ، ألا ترى إلى قول أبى العَكَوَّك (٢) فى أبى دُلف :

رَجُلٌ أبرَّ على شَجاعةِ عامرٍ   بأْساً وغبَّرَ فى مُحيَّا حاتِمِ

فأطرق الطائىّ ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تُنـكِروا ضَرْبى له مَنْ دُونَهُ   مَثَلًا شَرُودًا فى النَّدَى والباسِ

فاللهُ قدْ ضَرَبَ الأقَلَّ لِنُورِهِ   مثَلًا مِنَ المِشـكاةِ والنِّـبْرَاسِ

وقال ابن هبيرة لأبى دُلامة ـ وكان مولًى لبنى أمية لما ظهرت المسوِّدة (٣) : لأتخذَنَّ لك منهم عبداً صالحاً يخدُمك ، فلما علتْ كلِمتُهم ، وفشتْ دعوتُهم قال أبو دُلامة : ليتَ الله قيَّض لى / منهم مولًى صالحاً أخدُمه . [٩٦ و]

وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمىّ : إنّ خصالَك كاملة سِوى حقدٍ فيك ، فقال : أنا خِزانة تحفظ الخيرَ والشر . وقد نظر ابن الرومى إلى هذا المعنى فى قوله :

وما الحِقْدُ إلاَّ توءمُ الشُّـكْرِ فى الفَتى   وبَعضُ السَّجايا يَنتَسِبْنَ إلى بَعضِ (٤)

فحَيثُ تَرَى حِقْدًا على ذِى إساءةٍ   فثَمَّ تَرَى شُـكْرًا على حَسَنِ القَرْضِ

إذَا الأرْضُ أدَّتْ رَيْعَ ما أنتَ زَارِعٌ   مِنَ البَذْرِ فيها فهىَ ناهِيكَ مِنْ أرْضِ

وقال الحجاج للحُطَيط الخارجىّ : ما تقول فى عبد الملك بن مرْوان ؟ قال : ما أقول فى رجل أنت خَطيئةٌ من خطاياه ! قال : فهل هممتَ بى قطّ ! قال : نعم ، ولـكن حال بيننا

(١) رواية الديوان :

إقْدامُ عمرٍو فى سَماحةِ حاتِمٍ   فى حِلْمِ أحْنَفَ فى ذكاءِ إياسِ

(٢) كذا فى الأصول ؛ وفى الأغانى ونـكت الهميان وابن خلـكان : « العكوك » ؛ وفى حاشية الأصل ، ت : « العكوك فى الأصل : القصير السمين مع صلابة » ، وهو على بن جبلة الضرير ، توفى سنة ٢١٣ .   (٣) حاشية الأصل : « المسودة ؛ يعنى بنى العباس أصحاب الرايات السود » .

(٤) ديوانه : الورقة ١٥٤

بِينٌ وقَدَر ، وقد أعطيتُ الله عهداً إن سألتنى لأصدقنّك ، ولَئِنْ خُلِّيتَ عنى لأطلبنّك ، ولَئِنْ عذبتنى لأصبرن لك؛ فأمر بقتله.

وأما « البِينُ » فهى الأرض الواسعة ، قال ابنُ مقْبل(١) :

بسَرْوِ حِمْيَرَ أبْوَالُ البِغَالِ بِهِ … أنَّى تَسَدَّيتَ وَهْناً ذلكَ البِينا(٢)

وقيل لأبى العتاهية لما قال :

عُتْبُ(٣) ما لِلخَيالِ … خــبِّرينى ومالى

خرجت من العروض ، فقال : أنا أكبرُ من العَروض(٤) .

وقال عبد الملك بن مروان للهيثم بن الأسود : ما مالُك ؟ قال : قِوامٌ من العيش ، وغِنًى من الناس . فقيل له : لِمَ لَمْ تخْبر به ؟ فقال : إن كانَ كثيراً حسدنى ، وإن كان قليلا ازدرانى .

واغتاب الأعمشُ رجلًا من أصحابه، فطلَع الرجلُ على هيئة ذلك ، فقال له رجل من أصحابه : قُلْ له ما قلتَه حتى لا يكون غِيبة ؛ فقال له : قل له أنت حتى لا تــكون نميمة .

وقال معاوية لعمرو بن العاص : هلْ غششتَنى مذ نصحتَنى ؟ قال : لا ، قال : بَلَى يوم أشرتَ علىّ بمبارزة علىّ ، وأنت تعلم مَنْ هو ! فقال عمْرو: دَعاك رجلٌ عظيم الخَطَر إلى المبارزة، فــكنتَ من مبارزته على إحدى الحسنيين ؛ إمّا إنْ قتلتَه فقدْ قتلْت قَتَّال الأقران ، وازددتَ شرفاً إلى شرفك ، وخلوْت بمُلْــكك ، وإمّا إنْ قتلك فتتعجّل مرافقةَ الشهداء والصديقين

---

(١) من قصيدة فى جمهرة الأشعار : ٣٣١-٣٣٥ ، مطلعها :

طافَ الخيالُ بنــا رَكْباً يمانينا … ودُون لَيْلى عَوادٍ لو تُعَدِّينَا

(٢) سرو حمير : من منازلهم باليمن. وأبوال البغال يريدون به السراب ؛ قال الأصمعىّ : يقال لنطف البغال أبوال البغال ؛ ومنه قيل للسراب أبوال البغال على التشبيه ؛ وإنما شبه بأبوال البغال ؛ لأن بول البغال كاذب لا يلقح ، والسراب كذلك . وتسديت : يخاطب الطيف ، ويجوز أن يقرأ : « تسديت » بكسر التاء يخاطب الحبيبة (وانظر المقاييس ١ : ٣٠١ ، واللسان — بين) . (٣) على الترخيم .

(٤) حاشية ت : « يريد أن عمل الشعر قبل عمل الخليل للعروض » .

والصالحين ؛ قال معاوية : لَهذه أشد عليّ من الأولى ، فقال عمرو : أفكنتَ من جهادِك في شك فتكون منه الساعة ! /قال : دَعْني منك الآن . [٩٦ ظ]

وقيل للأحنفِ بن قيس ــ وقد رأى مُسَيْلِمَة الكذّاب : كيفَ هو ؟ فقال : ماهو بنبيّ صادق، ولا بمتنبئ حاذق .

وروى المبرّد قال : قال زياد لأبي الأسود الدُّؤَلِيّ : لولا أنّك قد كَبِرت لاستعنّا بك في بعض أمورِنا ، قال : إنْ كنت تريدني للصِّراع فليس عندي ، وإن كنت تريد عقلي ورأيي فهما أوفر ما كانا .

وكان أبو الأسود حاضرَ الجواب جَيِّد الكلام مليح النادرة . وروِي عن الشَّعبيّ أنّه قال: قاتل الله أبا الأسود ! ما كان أعفّ أطرافَه ، وأحضرَ جوابَه ! دخل على معاوية بالنُّخَيْلة، فقال له مُعاوية : أكنتَ ذُكِرْت للحكومة ؟ قال : نعم ، قال : فماذا كنتَ صانعاً ؟ قال : كنتُ أجمعُ ألفاً من المهاجرين وأبنائهم ، وألفاً من الأنصار وأبنائهم ، ثم أقول : يا معشرَ مَنْ حضر ؛ أرجلٌ من المهاجرين أحقّ أم رجلٌ من الطلقاء ؟ فلعنَه معاويةُ ، وقال : الحمد لله الذي كفاناك .

وقد رُوِي أنّ أبا الأسود طلبَ بأن يكونَ في الحكومة ، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام في وقت الحكَمين : يا أميرَ المؤمنين ، لا ترضَ بأبي موسى ، فإني قد عَجَمْتُ الرجلَ وبلوتُه ، فحلبتُ أشطُرَهُ ، فوجدته قريبَ القَعْر ، مع أنه يمانٍ ، وما أدري ما يبلغ نصحُه ! فابعثْني فإنه لا يحلّ عُقْدةً إلاّ عقدتُ له أشدّ منها ، وإنهم قد رموْك بحجَرِ الأرض ، فإن قيل: إنه لا صحبةَ لي ، فاجعلني ثانيَ اثنين ، فليس صاحبُهم إلاّ مَن تقرّب ، وكان في الخلاف عليهم كالنَّجْم ؛ فأبى عليه السلام.

وروى محمد بن يزيد النحويّ أنّ أبا الأسود كان (١ نازلاً في بني قُشَيْر ؛ وكانوا يخالفونه في المذهب لأن أبا الأسود كان١) شيعياً ، فكانوا يرمونه بالليل ، فإذا أصبحَ شكا ذلك

(١ــ١) ساقط من م .

فشكامرةً ، فقالوا : ما نحن نرميك؛ ولـكنّ الله يرميك ، فقال : كذبتم ، لو كان الله يَرميني ما أخطأني .

وقال لهم يوماً : يابنى(١) قُشَيْر ، ما فى العرب أحدٌ أحبُّ إلىَّ طولَ بقاء منكم ، قالوا : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأنـكم إذا ركبتم أمراً علمت أنه غىّ فأجتنبه ، وإذا اجتنبتم أمراً علمت أنه رشد ، فاتبعته فنازعوه الـكلام ، فأنشأ يقول :

يقولُ الأرْذَلونَ بنو قُشَيرٍ ... طَوالَ الدَّهرِ لا تَنْسَى عليَّا
أُحِبُّ محمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا ... وعَبَّاسًا وَحمزَةَ والوَصِيَّا
[٩٧ و] / أُحِبُّهُم لِحُبِّ اللهِ حتَّى ... أَجِئَ إذا بُعِثْتُ على هَوَيَّا
فإنْ يَكُ حُبُّهُم رُشْدًا أُصِبْهُ ... ولستُ بمُخطِئٍ إنْ كانَ غَيَّا

فقالوا له : أشككتَ يا أبا الأسود ، فقال : ألم تسمعوا الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ، أفترون الله شَكَّ !

أما قوله : «هَوَيَّا» فإنه لغة هذيل ؛ يقولون ذلك فى كل مقصور(٢) ؛ مثل الهوى والعصا والتقى والقفا . قال أبو ذؤيب الهذلى :

سَبَقوا هَوَىَّ وأَعنَقوا لِسَبيلِهِمْ ... فتُخُرِّموا ولِـكُلِّ جَنبٍ مَصْرَعُ(٣)

وروى أن أبا الأسود دخل على معاوية فقال له : أصبحت جميلا يا أبا الأسود ؛ فلو عَلَّقْتَ تميمةً تدفع العين عنك! فقال أبو الأسود :

أفنى الشَّبابَ الَّذى ولَّى وبهجَتَهُ(٤) ... كَرُّ الجَديدَينِ مِنْ آتٍ ومُنطلِقِ
لم يَترُكا لىَ فى طولِ اختِلافِهِما ... شيئًا أخافُ عليــهِ لَذْعَةَ الحَدَقِ

(١) الخبر مع الأبيات ورد فى الأغانى ١١ : ١١٣ ، ونزهة الألباء ٦ــ٧ ، وأخبار النحويين للسيرافى ١٤ــ ٢١٥ ، وإنباه الرواة ١ : ١٧ ، يزيد وينقص فى بعض الروايات ، ويختلف فى بعض الألفاظ وترتيب الأبيات . (٢) وذلك إذا أضيف إلى ياء المتكلم ؛ فيقولون : هوىّ ؛ أى هواى ، وعصىّ ؛ أى عصاى ؛ وهكذا. (٣) ديوان الهذليين ١ : ٢ ، والرواية فيه : « لهواهم » .
(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « فارقت بهجته » .

ورُوِى أنه دخل يوماً السوق يشترى ثَوْباً فقال له رجل : هلُمّ أقاربْك فى هذا الثوب ؛ فقال: إنْ لم تقاربْنى باعدْتك ، ثم قال له : بكمْ هو ؟ قال : قدْ أعطِيت به كذا كذا، قال : إنما تخبرُنى عمافاتك .

وروى أنَّه كان ماشياً فى طريق، فقال له راكب : الطريقَ الطريقَ ، فقال له: عن الطريق تَعدِلنى!

ومرض أبو الأسود فقيل له : هو أمر الله ، فقال : ذاك أشدّ له !

وقيل إن امرأة أبى الأسود خاصمته إلى زياد فى وَلَدها ، فقالت : أيها الأمير ، إن هذا يغلبنى على ولدِى، وقد كان بطنى له وعاء، وثديى له سقاء، وحَجْرى له فناء، فقال أبو الأسود: (١أبهذا تريدين أن تغلبينى على ابنى١)! فوالله لقد حملتُه قبل أن تحمليه ، ووضعتُه قبل أن تضعيه، فقالت: ولا سواء، إنك حملتَه خِفًّا، وحملته ثِقْلا، ووضعتَه شهوة ، ووضعتُه كُرهاً ، فقال له زياد : إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود ، فادْفع ابنها إليها ، فأخْلِق أن تحسِن أدبَه .

وقال رجل لأبى الأسود: أنت والله ظريفُ لفظٍ ، وظَرْف[٢] علمٍ ، ووِعاء حِلْم ، غير أنّك بخيل ؛ فقال: وما خيرُ ظرف لا يُمسك ما فيه !

وسلم عليه أعرابىّ يوماً ، فقال أبو الأسود : كلمة مقولة ، فقال : أتأذن فى الدخول ؟
[٩٧ ظ] قال : / وراءك أوسعُ لك ! قال : فهل عندك شىء ؟ قال : نعم ، قال : أطعِمنى ، قال : عيالى أحقّ منك . قال : ما رأيت ألأمَ منك ، قال : نسيتَ نفسك .

وسأله رجل شيئا فمنعه قال : ما أصبحت حاتمياً[٣] قال : بلى ، قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدرى ، أليس حاتم الذى يقول :

أماوِىَّ إمّا مانِعٌ فمُبيَّنٌ وإمّا عَطاءٌ لا يُنَهْنِهه الزَّجْرُ[٤]

(١ـ١) ت : « إنها لتريد أن تغلبنى على ابنى » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ظريف » بالبناء للمجهول . (٣) ت : « حاتمنا » . (٤) ديوانه: ١١٨

٢١
مجلس آخر

أخبرنا أبو عبيدالله محمد بن عمران المرزُبانىّ قال : أخبرنا أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن عَرَفة النحوىّ قال : لما وَلِىَ سليمان بن عبد الملك أُتِىَ بيزيد بن أبى مسلم مولَى الحجّاج فى جامعة ـ وكان رجلا دميما تقتحِمُه(١) العين ـ فلما رآه سليمان قال : لعن الله مَن أجرّك رَسَنَك ، وولّى مثلَك ! فقال : ياأمير المؤمنين ، رأيتَنى والأمرُ عنى مدبر ، ولو رأيتَنى وهو علىّ مُقبل لاستعظمتَ مااستصغرتَ ، ولاستجْلَلتَ ما استحقرْتَ ، فقال له سليمان: أين تُرَى الحَجاجَ ؟ أيهوِى فى النار ، أم قد استقرّ ! فقال : يا أمير المؤمنين، لا تقلْ كذا ، فإن الحجاج قَمعَ لكم الأعداء ، ووطّأ لكم المنابر ، وزرَع لكم الهيبة فى قلوب الناس ، وبعدُ ، فإنه يأتى يومَ القيامة عن يمين أبيك عبد الملك، وشِمال أخيك الوليد ، فضعْهُ حيث شئتَ .

ورِوى أن خالد بن صفوان فاخَر رجلا من بنى عبد الدار ، الذين يسكنون اليمامة ، فقال له العَبدرِىّ : مَن أنت ؟ فقال : أنا خالد بن صفوان بن الأهتم ، فقال له العَبدرِىّ : أنت خالد ﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ﴾ ؛[محمد: ١٥]، وأنت ابن صُفوان، وقال الله عزّ وجل ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ﴾ ؛[البقرة: ٢٦٤] ، وأنت ابن الأهتم ، والصحيح خيرٌ من الأهتم. فقال له خالد بن صفوان ياأخا بنى عبدالدار ، أتتكلم وقد هَشَمَتْكَ هاشم، وأمّتك بنو أميّة ، وخزمتك بنو مخزوم، وجمحَتْك(٢) بنو جُمَح ، فأنت عبد دارِهم ؛ تفتح إذا دخلوا ، وتُغلق إذا خرجوا ؛ فقام العبدرِىّ محموماً .

وتقدم الأشعث بن قيس إلى شُرَيْح فقال له الأشعث : أتعلِمُنى بلك يابن أمّ شُرَيْح ! لقد

(١) حاشية ت (من نسخة): « تزدريه » . (٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يجوز أن يكون أصله : « جمحت بك » ؛ فحذف حرف الجر ، وأوصل الفعل ؛ ذكره ابن دريد فى كتاب الاشتقاق ، ويجوز أن يكون من جامحته فجمحته » .

عهدُتك وإنَّ شأنك لشُؤَيْن ، فقال له شُرَيح : انت امروٌ تعرف النعمةَ فى غيرِكَ ، وتنساها فى نفسك .

ورَوَى أبو العيناء عن العتبيّ قال : دخل الفرزدقُ إلى سعيد بن العاص ، وعنده الحطيئة ، فلما مَثلَ بين يديه قال :

[٩٨ و] / إليكَ فَرَرْتُ مِنْكَ ومِن زِيادٍ ولم أحسِبْ دَمِى لكما حَلالاَ(١)
فإنْ يكُنِ الهجاءُ أحلَّ قتلى فقدْ قلنا لِشاعِرِكمْ وقالاَ(٢)
تَرَى الغُرَّ الجَحاجِحَ مِن قُرَيْشٍ إذا ماالأَمْرُ فى الحَدَثانِ عالاَ(٣)
قِياماً يَنظُرون إلى سَعيدٍ كأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بهِ هلالاَ(٤)

فقال له الحطيئة : هذا والله أيها الأمير الشِّعر ، لا ما كُنَّا نعلّل(٥) به منذ اليوم ، ياغلام أقدِمَتْ أمك الحجاز ؟ فقال : لا ، ولكن قَدِمه أبى .

أرادالحطيئة بقوله : إن كانت قدمت أمُّك الحجاز ، فقد وقعت بها(٦) ، وكنتَ منّى ، وأراد الفرزدق بقوله : « ولكن قدمه أبى » أى وقع بأمك فكنت أنت(٧) .

ويشبه ذلك ماروى أنَّ الفرزدق كان ينشد شعره يوماً ، والناس حولَه ، إذْ مرَّ به الكُميت بن زيد ، فقال له الفرزدق : كيف ترى شِعرى ؟ فقال الكميت : حسنٌ بَسَنٌ ، فقال له الفرزدق : أيسرُّك أنى أبوك ، قال : أمَّا أبى فلا أريد به بدلا(٨) ، ولكن يسرُّنى أنْ لو كنت أُمى ! فقال له

(١) ديوانه : ٦١٧ ، وبعده :

ولكنِّى هجوت وقَدْ هَجَتْنى مَعاشِرُ قَدْ رَضَخْتُ لهمْ سِجَالا

(٢) بعده :

وإن تك فى الهجاء تريد قتلى فلم تدرِك لمنتصرٍ مقالا

(٣) عال : فدح وأثقل ؛ وبعده :

بنى عمِّ الرسول ورهط عمرٍو وعثمان الذين علوْا فَعالا

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « الهلالا » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « ما كنت تعلل » . (٦) حاشية ت (من نسخة) : « وقعت عليها » . (٧) ابن الشجرى : « فكنت أنت أخى » . (٨) حاشية ت (من نسخة) : « بديلا » .

الفرزدق : اكتُمْ هذه على عمك يابن أخى فما مرّ بى مثلها .

وقيل إنّ عبد الملك بن مروان ظَفِر برجل من بنى مخزوم زُبَيْرِى الرأى ، فقال له لما حضَر مجلسه : أليس قد ردَّكَ الله على عقِبَيك ! فقال الرجل: أوَمَن رُدّ عليك يا أمير المؤمنين فقد رُدَّ على عَقِبَيْه ! فوجَم عبد الملك ،

وقال موسى بن عيسى بن موسى لشَريك : يا أبا عبد الله ، عزلوك عن القضاء ، وما رأينا قاضيا عزِل! فقال شَريك : هم الملوك يعزِلون ويَخلعون — يعرِّض أن أباه خُلِعَ من ولاية العهد .

وذكر أبو عبيدة معْمر بن المثنى أن المفضَّل الضبىّ الراوية وهب لبعض جيرانه أيامَ الأضْحى أُضْحِيَّةً ، فلما لَقِيَه قال : كيف وجدتَ أضحِيَّتك ؟ قال : ما وجدت لها دماً ، يعرِّض بقول الشاعر :

ولوْ ذُبِحَ الضبىّ بالسَّيفِ لم تَجِدْ   مِنَ اللُّؤْمِ للضَّبىّ لَحماً ولا دَما

ورِوِى عن المأمون أنه قال : ما أعيانِى جوابُ أحد قطُّ مثلُ جواب ثلاثة : أحدُهم أمُّ الفضل بن سهل ، فإنى عزَّيْتُها عن ابنها وقلتُ : لَئِنْ جَزِعْتِ على الفضل لأنه وَلَدُكِ ، فهأنذا ابنُكِ مكانه /، فقالت : وكيف لا أجزَعُ على مَنْ جعل مثلَكَ لى ولداً . والثانى رجلٌ [٩٨ ظ] أحضرتُه يزعم أنّه نبى الله موسى عليه السلام ، فقلت له : إن الله تعالى أخبرَنا عن موسى أنّه يُدخِلُ يده فى جيبه فيخرجها بيضاء من غير سُوء ، فقال : مَتَى فعلَ ذلك موسى ؟ أليسَ بعد أنْ لَقِىَ فِرْعون ! فاعْمَل كما عمِل فرعون ، حتى أعمَل كما عمِل موسى . والثالثُ أن جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا إلىَّ يشكُون عاملَها ، فقلت : ارضَوْا بواحد أسمع منه ، فرضُوا برجل منهم ، فقال فى العامل وأكثر ؛ فقلت له : كذبتَ ! بل هو العفيف الورِع العدْل ؛ فذهب أصحابُه يتكلمون فسكَّتَهم ثم قال : صدقتَ يا أمير المؤمنين ، هو كما ذكرتَ ، فواسِ بين رعيتك فى العدل ، فصرفتُه عنهم .

ودخل عدىّ بن حاتم بن عبدالله الطائىّ على مُعاوية ، فقال له معاوية : مافعل الطَّرَفات؟

يعنى طُرَيفاً[١] وطِرافاً وطَرَفة ، قال : قُتِلوا مع علىّ بن أبى طالب عليـه السلام ، فقال له : ما أنصفَك ابنُ أبى طالب ، قدَّم بنيك ، وأخَّر بنيه ، فقال عدىّ : ما أنصفتُه[٢] أنا ، أن قُتِل[٣] وبقيت .

وكتب رجـلٌ إلى صديق له يقترض منه شيئاً ، فأجابه يشكو ضيقَ حاله ، فـكتب إليه : « إن كنتَ كاذباً فجعلك اللهُ صادقاً ، وإن كنتَ صادقاً فجعلك الله كاذباً ، وإن كنتَ معذوراً فجعلك الله ملوماً ، وإن كنتَ ملوماً فجعلك الله معذوراً » .

وسمِع الأحنف رجـلًا يقول : ما أحلَم معاوية ! فقال : لو كان حليما ما سَفِه الحقّ . ووصفه رجل عنـد الشعبىّ بالحِلْم ، فقال الشّعبىّ : ويحَـك ! وهل أغْمَدَ سيفَه وفى قلبه على أحدٍ شىء !

وقال زياد لرجل حضره : أين منزِلك ؟ فقال : وسَط البصرة ، قال : فما لَك من الولد ؟ قال : تسعة ، فقيل لزياد إن دارَه أقصى البصرة عند المقابر ، وله ابن واحد ، فقال الرجل : دارى بين أهل الدنيا والآخرة ، فهى وسط البصرة ، وكان لى عشر بنين فقدّمت تسعة فهم لى ، وبقى واحد لا أدرى ؛ أهو لى أم أنا له !

وقال رجلٌ لابن سيرين : إنّى وقعتُ فيك فاجعلنى فى حلٍّ ، فقال : ماأحبّ أن أحِلّك ممّا حرّم الله عليك .

وخطب الحجاج يوم جمعة فأطال ، فقال له رجل : إنّ الصـلاة لا تنتظرُك ، وإن الله لا يعذِرك ، فأمرَ به فحبس ، فجاءه أهلُه فشهدوا أنّه مجنون ، فقال : إنْ أقرَّ بالجنون أطلقتُه ، فقيل له : اعترِف بذلك وتخلّصْ ، فقال : والله لا أقول / إنّه ابتلانى وقد عافانى . [٩٩ و]

وحدّث الحسن البصرىّ بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد ، عَمَّن ؟ فقال : وما تصنع بـ« عمّن » ؟ أما أنتَ فقد نالتك عظتُه ، وقامتْ عليك حجتُه .

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « طريفا » ، بفتح أوله وكسر ثانيه .
(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بلماأنصفته » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذ قتل »

وقيل لعبد الله بن جعفر — ونُظِر إليه يماكِس فى درهم — فقيل له : أتماكِس فى درهم وأنت تجود بما تجود به ! فقال : ذاك مالى جُدْتُ به ، وهذا عقلى بَخِلتُ به .

ورُوِيَ أنَّ أبا العيناء محمد بن القاسم اليمامِيّ حدّث بعض الزبيريين(١) بفضائل أهله(٢) فقال له : الزُّبيرىّ(٣) : أتجلب التمرَ إلى هجر(٤) ! فقال له أبو العيناء : نعم ، إذا أجدبتْ أرضُها ، وعاوم(٥) نخلُها ؛ وكانَ أبو العيناء مِن أحضرِ الناس جواباً ، وأجودِهم بديهة ، وأملحِهم نادرة .

وروى(٦) الصولىّ عن أبى العيناء قال : لما دخلتُ(٧) على المتوكل دعوتُ له ، وكلَّمته ، فاستحسنَ خطابى ، وقال لى : يا محمد ، بلغنى أنَّ فيك شرًّا ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، إن يكنِ الشرُّ ذكرَ المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، فقد زكَّى الله تعالى وذم ، فقال فى التزكية : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ؛ [ص : ٣٠ — ٤٤] ، وقال فى الذم : ﴿ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ . مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ ؛ [القلم : ١١ — ١٣] ، فذمّه الله تعالى حتى قذفه(٨) ، وقد قال الشاعر :

إِذَا أنا بالمعْروفِ لم أُثْنِ دائباً ... ولم أذْمُمِ الجِبْسَ اللَّئيمَ المذمّما(٩)
ففيمَ عرفتُ الخيرَ والشرَّ باسمِهِ ... وشقَّ لىَ اللهُ المسامِعَ والفما!

وإن كان الشرّ كفعل العقرب يَلْسَعُ النبيّ والذّمى بِطَبْعٍ لا يتميز ؛ فقد صان الله عبدك عن ذلك .

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الزهريين » . (٢) ت : « بحديث فى فضائل أهله .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « الزهرى » . (٤) هجر : مدينة واقعة على جبال العارض ببلاد العرب ؛ وكانت قاعدة البحرين . (٥) المعاومة : أن تحمل النخلة سنة ولا تحمل أخرى .
(٦) ت : « حكى عن الصولى » . (٧) حاشية (من نسخة) : « أدخلت » .
(٨) ت : « قرفه » ، والقذف والقرف : ذكر المرء بالسوء .
(٩) البيتان فى أمالى القالى ٢ : ١٥٩ ؛ رواهما عن أبى العالية الرياحى .

[1]ورُوِى أنه قال له يوماً : إلى كَمْ تمدحُ الناس وتذُمُّهم؟ فقال : ماأحسنوا وأساءوا[1] .

ورُوِى أن المتوكّل قال له يوماً : إنّى لأفرَق من لسانك ، فقال له : إنّ الشريفَ فَروقة ذو إحجام ، وإن اللئيمَ ذو أَمَنَة وإقدام .

وقال له يوماً ـ وقد دخل عليه : اشتقتُك واللهِ يا أباالعيناء ، فقال له يا سيّدى ؛ إنّما يشتد الشوقُ على العَبْدِ لأنه لا يصل إلى مولاه ، فأمَّا السَّيِّد فمتى أراد عبدَه دعاه .

وروى أنه قال له يوماً : ما بَقِىَ أحدٌ فى مجلسِى إلا اغتابَك وذمّك ـ عند ماجرى من[2] ذكرك ـ غيرى ، فقال أبو العيناء :

[٩٩ ظ] / إذَا رَضِيَتْ عنّى كِرامُ عَشيرَتى ... فلا زالَ غَضبانًا علىَّ لِئامُها

وذَكَر أبو العيناء قال : قال لى المتوكل : كيفَ ترَى دارى هذه ؟ فقلت: رأيتُ الناسَ بنَوْا دورَهم فى الدنيا ، وأميرُ المؤمنين جعل الدُّنيا فى داره .

وقال أبو العيناء : قال لى المتوكل : مَنْ أسخَى مَنْ رأيت ؟ ومَنْ أبخلُ مَنْ رأيت ؟ فقلت : ما رأيتُ أسخَى من أحمد بن أبى دؤاد ، ولا أبخلَ من موسى بن عبد الملك ؛ قال : وكيفَ وقفتَ على بخله ؟ فقلتُ : رأيتُه يَحْرِمُ القريب كما يحرِمُ البعيد ، ويعتذر من الإحسان[3] ؛ كما يعتذرُ من الإساءة ؛ فقال : أجئت إلى مَن اطّرحتَه فسخيتَه ، وإلى من أمسكتَه فبخّلْتَه ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ الصدقَ ما هو فى موضع من المواضع أنفقَ منه بحضرتك ، والناس يغلَطُون فيمن ينسبونه إلى السخاء ؛ فإذا نَسَب الناسُ السخاء إلى البرامكة ، فإنما ذاك من سخاء أمير المؤمنين الرشيد ، وإذَا نسب الناسُ الحسنَ ابن سهل ، والفضل بن سهل إلى السخاء ، فإنما ذاك سخاءُ أمير المؤمنين المأمون ، وإذا نسبوا أحمد بن أبى دؤاد إلى السخاء فذاك سخاءُ أمير المؤمنين المعتصم ، وإذا نسبوا الفتح بن خاقان

(١) ساقط من م . (٢) ف : « عندما جرى ذكرك » .
(٣) حاشية ت : « يعنى أن إحسانه يكون ساقطا يحتاج إلى العذر » .

وعُبيد الله بن يحيى إلى السخاء فإنما هو سخاؤك؛ وإلاَّ فمابال هؤلاء القوم لمْ ينسبوا إلى السخاء قبل صحبتهم الخلفاء[١] ! فقال لى : صدقتَ ، وسرّى[٢] عنه .

وقال له المتوكل : ماأشدُّ عليك من ذَهاب البصر ؟ فقال له : فَقْدُ رُؤيتك ؛ مع إجماع الناس على جمالك .

وقال له يوماً : أريدك لمجالستى ، قال : لاأطيق ذاك ، وماأقول هذا جهلا بما لى فى هذا المجلس من الشرف ، ولكن أنا رجل محجوبٌ ، والمحجوب تختلف إشارته ، ويخفى عليه إيماؤه ، ويجوز علىَّ أن أتكلَّم بكلام غضبان ووجهك راضٍ ، وبكلام راضٍ ووجهك غضبان ، ومتى لم أميِّزْ بين هاتين[٣] هلكت ؛ فقال : صدقت .

وروى أنه قال له : لولا أنّك ضرير لنادمتك ، فقال : إنْ أعفيتَنى من رؤية الأهِلّة ، وقراءة نقش الخواتيم فإنى أصلح .

وقال المتوكل : ما تقول فى ابن مكرَم والعباس بن رستم ؟ فقال : هما الخمر والميسر ، وإثمهما أكبر من نفعهما ، فقال : بلغنى أنك تودُّهما ، فقال : لقد ابتعتُ الضَّلال بالهدى ، والعذاب بالمغفرة .

وقال له يوماً : بلغنى أن سعيد بن عبد الملك يضحك منك ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ ؛ [المطففين : ٢٩] وقال أبو العيناء : قال لى المنصور : ما أحسنُ[٤] الجواب ؟ فقلت : ماأسكتَ المبطل ، وحيَّرَ المحِق .

/وقيل لأبى العيناء : إبراهيم بن نوح النصرانىّ عليك عاتب ، فقال : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ ؛ [البقرة : ٢٢] . وراه زُرقان وهو يضاحك [١٠٠ و]

(١) حاشية ت (من نسخة) : « للخلفاء » . (٢) حاشية ف : « قوله : سرى عنه ؛ من قولهم : سروت عنى الدرع ، أى كشفتها ، وسرى عنه الثوب : كشفه ، وانسرى عنه الهم ، وسرى عنه الهم » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « هذين » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « خير الجواب »

نصرانياً فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ ؛ [المائدة : ٥١] ، فقال أبو العيناء ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ ؛ [الممتحنة : ٢٩] .

وأخبرنا أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال أخبرنا أبو العيناء قال : كان سبب اتصالى بأحمد بن أبى دؤاد أنّ قوماً من أهل البصرة عادَوْنِى وادَّعوا علىَّ دَعاوَى كثيرة ؛ منها أنّى رافضىّ ، فاحتجت إلى أن خرجتُ عن البصرة إلى سُرَّ مَن رأى ، وألقيت نفسى على ابن أبى دؤاد ـ وكنت نازلا فى داره ، أجالسه كلَّ يوم ـ وبلغ القوم خبرى، فشخَصوا نحوى إلى سرَّ مَن رأى ، فقلت له: إنَّ القوم قد قدموا من البصرة يداً علىَّ ، فقال : ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ، فقلت: إنَّ لهم مكراً ، فقال : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ؛ [الأنفال : ٣٠] ، فقلت : هم كثيرون قال : ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾ ؛ [البقرة : ٢٤٩] ، فقلتُ : للهِ دَرُّ القاضى ! هو والله كما قال الصَّموت الكلابىّ :

للهِ دَرُّكَ أَىُّ جُنَّةِ خائفٍ ... ومَتاعُ دُنيا أنتَ للحدَثانِ (١)
مُتَخَمِّطٌ تَطأ الرِّجالَ غَلُبَّةً ... وَطْءَ الفَنيقِ دَوارِجَ القِرْدانِ (٢)
وَتَرَكْتَهُمْ حتَّى كأنَّ رُءوسَهم ... مأمُومَةٌ تَنْحَطُّ لِلغِرْبانِ (٣)
وتُفَرِّجُ البابَ الشَّديدَ رِتاجُهُ ... حتَّى يَصيرَ كأنَّهُ بابانِ

وقال لابنه الوليد : اكتب هذه الأبيات ، فكتبها بين يديه .

ـ قال الصولىّ : حفظى من أبى العيناء الصَّموت الكلابىّ على أنه رجل ، وقال وكيع : حفظى أنها للصَّمُوت الكلابية على أنها امرأة ـ

ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل ، فأثنى عليه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال :

(١) ديوان المعانى ١ : ٦٨ . (٢) التخمط : الأخذ والقهر بغلبة ؛ وغلبة مصدر غلب كثير الغلبة ، والفنيق الجمل الفحل ، ودوارج : جمع دارج . (٣) د ، ف حاشية ت (من نسخة) : « وتكبهم » والمأمومة : المشجوجة .

والله ما أستكثر كثيرك أيها الأمير ، ولا أستقلّ قليلك، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لا أستكثر كثيرك لأنك أكثر منه ، ولا أستقل قليلك لأنه أكثر من كثير غيرك[1].

وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوماً : اعذرْنى فإنى مشغول[2] ، فقال : إذا فرغت لم أحتج إليك. وقال له يوماً : قد تبينتُ / فيك الغضب يا أبا عبد الله ، فقال له : قد أجلّ [١٠٠ ظ] الله قدرَك من غضبي، إنما يغضَب الرجل على مَنْ دونه ؛ فأما مَن فوقه فلا، ولكنْ أحزننى تقصيرُك ؛ فسمّيْتَ حزنى غضباً .

ويقال إن صاعد بن مخلد كان من أحسنِ مَن أسلم ديناً ، وأكثرِهم صلاةً وصدقة ، فصار إلى بابه أبو العيناء مراتٍ كثيرة بعقِبِ إسلامه فحُجب وقيل له : هو مشغول فى صلاته ، فقال أبو العيناء : لكل جديد لذة .

ودخل يوماً إلى أبى إسماعيل الصقْر بن بُلبل فى وزارته ، فقال له : ياأباعبد الله ، [3]ما أخّرك عنّا[3] ؟ فقال : سُرِقَ حِمارى ، فقال : وكيف سُرِق ؟ قال: لم أكُن مع الذى سرقه فأخبِر بما كان، قال له : هلاّ اكتريتَ أواستعرت أواشتريتَ؟ قال: قعد بى عن الشراء نَشَبى[4]، وكرهتُ منّة العوارى ، وذلّة المُكارى ، فوهَب له حمارا ووصلَه . وأدناه أبو الصّقْر يوماً ورَفعه فقال : تُدنينى حتّى كأنى بعضُك ، وتُبعِدنى حتى كأنى ضدّك .

وقال يوماً لعبيد الله بن سليمان أيضا ــ وقد رفعه : إلى كَم ترفعُنى ولا ترفع بى رأساً ! وقال له يوماً ــ وقد سأله عن حاله : أنا مَعَك[5] مغبوط الظاهر ، محروم الباطن .

---

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « نظم البحترى هذا المعنى فقال

كَثيرُ نَوالِكَ فِى جَنْبِ مَا   جُبلْتَ عليهِ من الجودِ نَزْرُ
وَنَزْرُ نَوَالِكَ فِى جَنْبِ مَا   يَجُودُ بِهِ سَائِرُ النَّاسِ غَمْرُ

(٢) ت : « فإنى عنك مشغول ». (٣ـ٣) حاشية ت (من نسخة) : « ياأبا عيناء ماأخرك بالله ؟ » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « عدمى » . (٥) ت : « أنا بك » .

ويقال : إن أبا عليٍّ البصير قال لأبي العيناء ـ وكانت بينهما ملاحاةٌ معروفة : في أيِّ وقتٍ ولِدْتَ ؟ فقال له : قبل طلوع الشمس ، فقال أبو عليّ : لذلك خرجت شحاذاً سائلاً ، لأنه الوقت الذي يَنْتشر فيه السؤّال .

وأخبرنا أبو عُبَيْد الله المرزبانيّ قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثني أبو العيناء قال : ما رأيت قطُّ أحسنَ شاهداً عند حاجة من ابن عائشة ! قلت له : يوماً كان أبو عمرو المخزوميّ يقصدك ثم جفاك ، فقال :

فإنْ تَنْأَ عنَّا لاَ تَضِرْنا وإنْ تَعُدْ ... تَجِدْنا على العَهْدِ الذي كنتَ تَعلمُ

وقال : والله لا أدري لمن هذا البيت ، فقلت : إنَّ ابن سلاَّم روَى عن يونس أن الفرزدق لما قال :

تَصَرَّمَ مِني وُدُّ بَكْرِ بنِ وائلٍ ... وما خِلتُ دَهْرِي وِدَّهُم يَتَصَرَّمُ[(1)]

قَوَارِصُ تأْتيني فَيَحْتَقِرونها ... وقد يَملأُ القطْرُ الإناءَ فيُفْعَمُ[(2)]

وكان قد نزل عليهم حين هرب من زياد ، فقال جرير بن خرقاء العجليّ[(3)] يجيبه :

[١٠١ و] / لقد بَوَّأَتْكَ الدَّارَ بكرُ بنُ وائلٍ ... ورَدَّتْ لكَ الأحشاءَ إذْ أنتَ مُجْرِمُ[(4)]

---

(١) ديوانه : ٧٥٦ ، وطبقات الشعراء ٣٠٢ ، والكامل ـ بشرح المرصفي ، ١ : ١٢٧ ، والمؤتلف والمختلف : ٧١ وتصرم الشيء : تقطع . (٢) قوارص : جمع قارصة ؛ وهي الكلمة المؤذية . فعم الإناء يفعمه فعما : ملأه وبالغ في ملئه . (٣) ذكره ابن سلام في ص ٢٥٩ بنسبة « البكري » ، وفي ص ٣٠٣ بكنية « أبي العطاف » . (٤) في الطبقات : « لقد وسطتك » ، وقبله :

لَعَمْرِي لَئنْ كان الفرزدقُ عاتباً ... وَأَحْدَثَ صَرْماً ، لَلفَرَزْدَقُ أَظْلَمُ

وفي حاشية الأصل : « يعني كنت خائفا غاية الخوف فأمنوك » ، ورواية الطبقات :

لقد وَسَّطَتْكَ الدَّارَ بكرُ بن وائلٍ ... وضمتك للأحشاء إذ أنت مجرمُ

لَيالِ تَمنَّى أنْ تكونَ حَمامةً … بمكّة يَغْشاها السِّتارُ المحرَّمُ[١]
فإنْ تَنْأَ عنَّا لاَ تَضِرْنا وإنْ تَعُدْ … تَجِدنا على العَهْد الذى كنتَ تَعلَمُ

فقال ابن عائشة: أنت والله يا بنىّ ممن ستصدق فى العلم مخائله، وتكثر عليه دلائله.

وقال أبو العيناء يوماً لأبى الصقر بن بُلبل وهو زائر: أنت والله تقرُب منا إذا احتجنا إليك، وتَبْعُد منا إذا احتجت إلينا.

قال سيدنا الشريف أدام الله علوّه: وهذا يشبه قول إبراهيم بن العباس الصولىّ:

ولكنَّ الجَوَادَ أبا هِشامٍ … وَفِيُّ العَهدِ مأْمونُ المَغيبِ[٢]
بطىءٌ عَنكَ ما استَغنَيتَ عَنهُ … وطَلاَّعٌ عليكَ مَعَ الخُطُوبِ

ولعلّه مأخوذ منه، فليس يُنكَر ذلك، لأنّهما وإن اجتمعا فى زمان واحد فى بعض الأوقات؛ فإن أبا العيناء بَقِىَ بعد إبراهيم زماناً طويلا؛ لأن إبراهيم توفّى فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وأبا العيناء سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومائتين، وما حكيناه عنه من الكلام قاله لأبى الصقر فى وزارته، وكانت بعد وفاة إبراهيم بن العباس الصولىّ بزمان طويل.

ويوشِك بيتا إبراهيم أن يكونا مأخوذين من قول أوس بن حَجَر:

ولَيْسَ أخوكَ الدَّائمُ العَهدِ بالذى … يَذُمُّكَ إنْ وَلَّى ويُرْضِيكَ مُقْبِلاَ[٣]
ولكنَّهُ النَّائى إذَا كُنتَ آمِناً … وصاحِبُكَ الأَدْنى إذا الخطبُ أعْضَلاَ

ولإبراهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى أيضاً، وهو:

أسَدٌ ضارٍ إذَا هَيَّجتَهُ … وأبٌ بَرٌّ إذَا ما قَدَرا[٤]
يَعلَمُ الأَبْعَدُ إنْ أثْرَى ولا … يَعلَمُ الأَدْنى إذَا ما أقترا[٥]

(١) الستار المحرم: هو ستار الكعبة. (٢) ديوانه: ١٢٩ (ضمن مجموعة الطرائف).
(٣) ديوانه: ٢٢ (٤) ديوانه: ١٣٣؛ (ضمن مجموعة الطرائف).
(٥) ت: «افتقرا»؛ وهى رواية الديوان.

ويشبه أن يكون هذا مأخوذاً من قول المرّار الفقْعسيّ :

/ إذَا افتقَرَ المرّارُ لم يُرَ فَقرُهُ ... وإنْ أيسَرَ المرّارُ أيسَرَ صاحبُه[١] [١٠١ ظ]

ومما يشبه قولَ المرّار بعينه قولُ إبراهيم بن العباس أيضاً :

فتًى غيْرُ محْجوبٍ عن العيْنِ عِرْضه ... ولا مُظْهرِ البَلْوَى إذَا النَّعلُ زَلَّتِ[٢]

رَأى خَلّةً مِنْ حيْثُ يَخْفَى مكانُها ... فكانتْ قَذَى عيْنَيهِ حتَّى تجلّتِ

أو من قول المتنخّل الهذليّ :

أبو مالكٍ قاصرٌ فقْرَهُ ... على نفْسهِ ومُشِيعٌ غِناهُ[٣]

وهذا البيت الذى رويناه للهذليّ من جملة أبيات يَرثى بها المتنخِّل أباه ـ وقيل يرثى أخاه، وأولها

لعَمرُكَ ما إنْ أبو مالكٍ ... بوانٍ ولا بضَعيفٍ قُوَاهُ[٤]

ولا بألَدَّ لهُ نازِعٌ ... يُغارِى أخاهُ إذَا ما نَهاهُ[٥]

ـ فمعنى « له نازع » أى خُلُق سَوْء ينزعه . ويغارى ، أى يلاحِى ويشارّ ـ .

ولكِنَّهُ هيِّنٌ ليِّنٌ ... كعاليةِ الرُّمْحِ عَرْدٌ نَساهُ

ـ العَرْد : الشديد ؛ يقال : وترٌ عُرُدٌّ وعُرُندٌ ، وعَرَندَد بالنون ، أى شديد . والنَّسا عرق معروف ـ

إذَا سُدْتَهُ سُدْتَ مِطْواعةً ... ومَهْمَا وَكَلْتَ إليْهِ كَفاهُ

معنى « سدته » من المساودة ، التى هى المسارّة ، والسِّواد هو السِّرار أيضاً ، كأنه قال:

---

(١) معجم الشعراء : ٤٠٨ . (٢) ديوانه : ١٣٠ ؛ وانظر تخريج البيتين فى الحواشى .

(٣) ديوان الهذليين ٢ : ٢٩ـ٣٩ . (٤) شرح ديوان الهذليين : « ويروى : بواه ولا بضعيف » ، وهو الأجود عند أبى العباس . (٥) ألد : شديد الخصومة ، وفى حواشى الأصل ؛ ت ، ف : « غاريت بين الشيئين ؛ إذا واليت بينهما ، قال كثير :

إذا قلتُ أسلوفاضتِ العينُ بالبكا ... غِراءً ومدَّتْها مدامِعُ حُفَّلُ

قال أبو عبيد : هو من غرى بالشيء يغرى به » .

إذا سارَرتَه طاوعك وساعدك . وقال قوم : إنّه من السيادة ، وكأنه أراد : إذا كنتَ فوقه سيداً له أطاعك ولم يحسدك ، وإن وَكَلْتَ إليه شيئاً كفاك ، وقوم يُنشدونه :

* إذا سُسْتَهُ سُسْتَ مِطْوَاعَةً *

ـ ولم أجد ذلك فى رواية ـ

ألا مَنْ يُنادِى أبا مالكٍ أفى أمرِنا هُو أمْ فى سِوَاهُ ؟
أبو مالكٍ قاصِرٌ فَقْرَهُ على نفسهِ ومُشِيعٌ غِنَاهُ

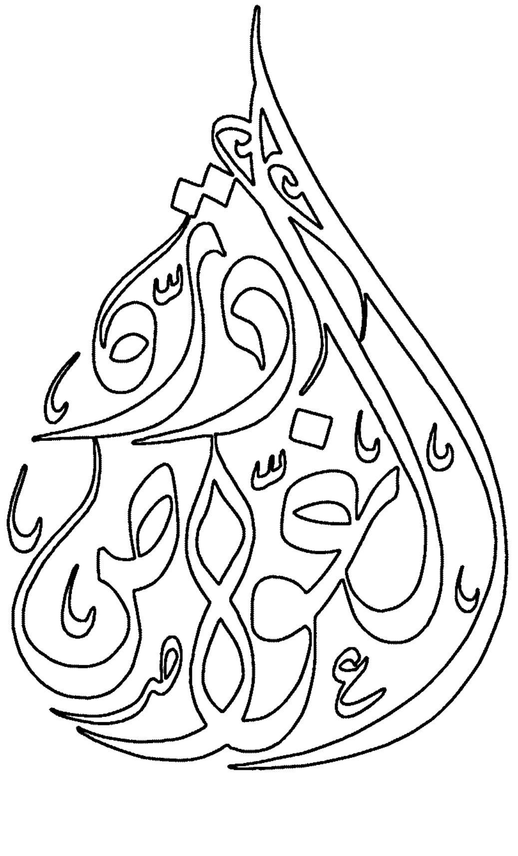

مجلس آخر ٢٢

تأويل آية

[١٠٢ و] / إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

فقال : ماتأويل هذه الآية على ما يُطابق العَدْل ؟ فإنَّ ظاهرَها كأنه مخالف له .

الجواب ، قيل له : فى هذه الآية وجوه ؛ منها ما ابتدأناه فيها ، ومنها ماسبقنا به فحرَّرناه واحترزنا فيه من المطاعن ، وأجبنا عمّا لعله يعترِض(١) فيه من الشُّبَه .

أولها أنْ يكون تعالى عَنَى بذلك صَرْفَهم عن ثواب النظر فى الآيات ، وعن العزّ والكرامة اللذيْن يستحقُّهما مَنْ أدّى الواجب عليه فى آيات الله تعالى وأدلَّته ، وتمسَّك بها . والآياتُ على هذا التأويل يحتمِل أن تكونَ سائرَ الأدلة ، ويحتمِل أن تكون معجزاتِ الأنبياء عليهم السلام خاصة ؛ وهذا التأويل يُطابقه الظاهر ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ؛ فبيَّن أنَّ صرْفهم عن الآيات مُستحَقٌّ(٢) بتكذيبهم ؛ ولا يليقُ ذلك إلّا بما ذكرناه .

وثانيها أن يصرِفَهم(٣) تعالى عن زيادة المعجزات التى يُظهرها(٤) الأنبياء عليهم السلام

(١) حاشية ت (من نسخة) « يعرض » . (٢) ف : « يستحق » .

(٣) ت : « أنه أراد صرفهم » . (٤) ت ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة): « يظهرها على الأنبياء » .

بعد قيام الحجة بِما تقدَّم من آياتهم ومعجزاتهم ؛ لأنّه تعالى إنما يُظهِرُ هـذا الضرب من المعجزات إذا عَلِم أنّه يؤمن عنده مَنْ لم يؤمِنْ بمـا تقدم من الآيات ، فإذا عَلِمَ خلافَ ذلك لم يُظهِرْها ، وصرَفَ الذين عَلِم من حالهم أنهم لايؤمنون عنهـا ، ويكون الصّرف على أحد وجهين : إمَّا بألّا يظهرَها جملة ، أو بأن يصرفَهم عن مشاهدتها ، ويظهرَها بحيث يَنْتفع بها غيرهم .

فإذا قيل : وما الفرقُ فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات ، وبين زيادتها ؟ قلنا : الفرقُ بينهما أن المعجز الأوّلَ يجب إظهارُه لإزاحةِ العلّة فى التكاليف ؛ ولأنّا به نعـلم صدقَ الرسول المؤدِّى إلينا ما فيه لُطْفنا ومصلحتُنا .

فإذا كان التكليف يُوجِبُ تعريف[1] المصالح والألطاف لتنزاحَ العِلّة ، وكان لا سبيلَ إلى معرفتها على الوجه الذى تكونُ عليه لطفاً إلّا من قِبَلِ الرسول ، وكان لا سبيلَ إلى العلم بكونه رسولًا إلّا مِنْ جهة / المعجز وجبتْ بعثةُ الرسول وتحميلُه ما فيـه مصلحتُنا [١٠٢ ظ]
من الشرائع ، وإظهارُ المعجز على يده لتعلُّق هذه الأمور بعضِها ببعض ، ولا فرقَ فى هـذا الموضع بين أن يُعْلَم أنَّ المبعوثَ إليهم الرسول ، أو بعضَهم يطيعون ويؤمنون ، وبين ألّا يعلم ذلك فى وجوب البعثة ، وما يجب بوجوبها ، لأنّ تعريفَ المصالح مما يقتضيه التكليفُ العقلىّ الذى لا فرقَ فى حُسْنه بين أنْ يقع عنده الإيمان أو لا يقع ؛ وليس هذه سبيلَ ما يَظْهر من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها ؛ لأنّه مَتى لم يَنتفع بها منتفع ، ويؤمنْ عندها من لم يؤمنْ لم يكن فى إظهارها فائدة ، وكانت عبثاً ؛ فافترق الأمران .

فإن قيل : كيف يطابق هذا التأويل قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ، ومن المعلوم أنَّ صرفَهم عن الآيات لا يكون مستحَقا بذلك ؟ قلنا : يمكن أن يكونَ قولُه تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ لم يُرد به تعليل قوله : ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ ، بل يكون كالتعليل لما هو أقربُ إليه فى ترتيب الـكلام ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ

---

(١) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « تعريفنا » .

آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ، لأنَّ مَنْ كذب بآيات الله جل وعزّ ؛ وغفل عن تأمُّلها والاهتداء بنورها ركب الغيَّ ، واتخذه سبيلًا ، وحاد عن الرشد وضل ضلالًا بعيدا . ورجوع لفظة ﴿ذَلِكَ﴾ إلى ما ذكرناه أشبهُ بالظاهر من رجوعها إلى قوله : ﴿سَأَصْرِفُ﴾ ؛ لأنَّ رجوعَ اللفظ[١] فى اللغة إلى أقرب المذكورين إليه أولى .

ويمكن أن يكون قوله تعالى : ﴿كَذَّبُوا﴾ وإن كان بلفظ الماضى المرادُ به الاستقبال ، ويكون وجهُه أن التكذيب لما كان معلوما منهم لو أُظْهِرَتْ لهم الآيات جُعِل ذلك كأنه[٢] واقع ، فَبُنِيَ الخطاب عليه ؛ ولهذا نظائر فى اللغة كثيرة . أو يكون جوابا لمحذوف ؛ كأنه[٢] قال : ذلك بأنه متى ما أظهرنا لهم آياتنا كذبوا بها . ويجرى ماذكرناه[٣] أولاً مَجْرى قوله تعالى : ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ فى أنه بلفظ الماضى والمعنى الاستقبال .

وثالثها أن يكون معنى ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ ، أى لا أوتيها[٤] مَنْ هذه صفتُه ، وإذا [٥] صرفهم عنها فقد صرفها عنهم [٥] ، وكلا اللفظين[٦] يفيد معنًى واحدا . وليس لأحد أن يقول هلاّ قال : « سأصرف آياتى عن الذين يتكبرون » ؛ والآيات هاهنا هى المعجزات التى تختص بها الأنبياء .

فإن قيل : فأىّ فائدة فى قوله على سبيل التعليل[٧] : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾

[١٠٣ و] وأىّ معنى لتخصيصه الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وهو لا يُؤْتى الآيات والمعجزات إلاَّ الأنبياء دون غيرهم ، وإن كان ممن لا يتكبر ؟ قلنا : لخروج الكلام مَخْرجَ التعليل على هذا التأويل وجهٌ صحيح ؛ لأن من كذّب بآيات الله لا يؤتى معجزاتِه[٨] لتكذيبه وكفره ،

(١) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « اللفظة » . (٢ـ٢) ساقط من م .
(٣) ت : « ويجرى ذلك » . (٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « لا أريها » .
(٥ـ٥) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « وإذا صرفتهم عنها فقد صرفتها عنهم » .
(٦) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ف : « كلتا اللفظتين » .
(٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « التخصيص » . (٨) ت ، ف « لا يؤتى آياته ومعجزاته » .

وإن كان قد يكون غير مكذِّب، ويمنع من إتيانه الآيات علَّة أخرى (١)؛ فالتكبر والبغيُ بغير الحق مانع من إيتاء الآيات، وإن مَنع غيره. ويجرى هذا مَجْرى قول القائل: أنا لا أودُّ فلاناً لغدره، ولا يلزم إذا لم يكن غادراً أن يودَّه، لأنه ربما خلا من الغَدْر وحَصل على صفة أخرى تمنع من مودته.

ويجوز أيضا أن تكون الآية خرجتْ على ما يَجْرى مَجْرى السبب، وأن يكون بعضُ الجهال فى ذلك العصر اعتقد جوازَ ظهور المعجزات على يد الكفار المتكبرين (٢)، فأكْذَبهم الله تعالى بذلك.

ورابعها أن يكون المراد بالآيات العلامات التى يجعلها الله تعالى فى قلوب المؤمنين؛ ليدلَّ بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر، فيفعلوا بكل واحدٍ منهما ما يستحقه من التعظيم أو الاستخفاف، كما تأول أهل الحق الطبعَ والختمَ اللذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميِّزة بين الكافر والمؤمن؛ فيكون معنى سأصرفهم عنها، أى أعدِل بها عنهم (٣)، وأخصُّ بها المؤمنين المصدقين بآياتى وأنبيائى (٤). وهذا التأويل يشهد له أيضا قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾؛ لأنَّ صرْفهم عن هذه الآيات كالمستحقِّ لتكذيبهم وإعراضهم عن آياته تعالى.

وخامسها أن يريدَ تعالى: أنى أصْرِف مَن رام المنعَ من أداء آياتى وتبليغها؛ لأنَّ من الواجب على الله تعالى أن يحولَ من بين رام ذلك وبينه؛ ولا يمكِّن منه؛ لأنه ينقضُ الغرض فى البِعثة. ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾؛ فتكون الآيات هاهنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التى تَحَمَّلَتْها (٥) الرسل.

والصرف وإن كان متعلقا فى الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلِّقا (٦) فى الآية / بنفس الآيات، فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقا بغيرها (٦) مما هو متعلق بها. فإذا ساغ [١٠٣ ظ]

(١) فى حاشيتى ت، ف: «يعنى وإن كان غير التكذيب أيضا مانعا».
(٢) ت: «المذكورين»، ومن نسخة بحاشية ت: «المكذبين».
(٣) ف، ونسخة بحاشية ت: «أى أعدل بهم عنها». (٤) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «وبيناتى». (٥) ت، وحاشية ف (من نسخة): «تحملها». (٦–٦) ساقط من م.

أن نعلقه بالثواب والكرامة المستحقّيْن على التمسك بالآيات ساغ أن نعلّقه بما يمنع من تبليغها وأدائها وإقامة الحجة بها . وعلى هذا التأويل لا نجعل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ راجعاً إلى ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ بل نردّه إلى ماهو قبله بلا فصْل؛ من قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ على ما بينّاه فى الوجه الثانى، من تأويل هذه الآية . ❁

وسادسها أن يكون الصرْف هاهنا الحُكْمَ والتسمية والشهادة ، ومعلوم أن مَن شهد على غيره بالانصراف عن شىء جازٌ[1] أنْ يقال : صرفه عنه ، كما يقال : [2]أ كْفره و كذّبه وفسّقه[2] ؛ وكما قال جلّ من قائل : ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ ؛ أى شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى ، وكقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ ؛ وهذا التأويل طابقه قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾؛ لأنَّ الحكم عليهم[3] بماذكرنا من التسمية موجب تكذيبهم وغفلتهم[3] عن آيات الله وإعراضهم عنها .

وسابعها أنه تعالى لمّا علم أن الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق سينصرفون عن النظر فى آياته ، والإيمان بها إذا أظهرها على أيدى رسله عليهم السلام جاز أن يقول : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ﴾ فيريد سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه . ويجرى ذلك مجرَى قولهم : سأبخّل فلاناً وأخطّئه ، أى أسأله ما يَبْخَل ببذله وأمتحنه بما يُخطىء فيه ، ولا يكون المعنى: سأفعل[4] فيه البخل والخطأ . والآيات على هذا الوجه جائز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى ، وجائز أن تكون جميع الأدلة ؛ ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ غير راجع إلى قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾؛ بل إلى ما قدمنا ذكره لتصح الفائدة .

(١) ف : « جاز » . (٢ــ٢) ت : « كفره وكذبه وفسقه » ؛ بالتشديد .

(٣ــ٣) ت ، ف : « والتسمية من موجب تكذيبهم وغفلتهم » .

(٤) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « أنى أفعل فيه » .

وثامنها أن يكون الصَّرْف هاهنا معناه المنع من إبطال الآيات والحجج، والقَدْحُ فيها بما يُخرجها عن أن تكون أدلّة وحُججاً ، فيكون تقدير الكلام : إنى بما أؤيِّده من حُججى، وأحْكمه من آياتى وبيناتى ؛ صارفٌ للمبطلين والمكذبين عن القَدْح فى الآيات والدّلالات ، [١٠٤ و] ومانعٌ لهم ممَّا كانوا لولا / هذا الإحكام والتأييد يفترضونه ويغتنمونه من تمويههم الحق ولبسه بالباطل. ويجرى هذا مجرى قول أحدنا(١) : قدمنع فلانٌ أعداءه بأفعاله الكريمة، (٢)وطرائقه المهذَّبة ، وصرَفهم عن ذمِّه(٢) ، وأخرسَ ألسنتهم عن الطعن عليه ؛ وإنما يريد المعنى الذى ذكرناه .

فإن قيل : أليس فى المبطلين مَن طعن على آيات الله تعالى وأورد الشبهة فيها مع ذلك ؟ قلنا : لم يرِد الله تعالى الصرف عن الطعن الذى لا يؤثر ولا يشتبه على من أحسنَ النظر ، وإنما أراد ما قدمناه ، وقد يكون الشىء فى نفسه مطعوناً عليه ، وإن لم يطعُن عليه طاعنٌ ؛ كما قد يكون بريئا من الطعن، وإن طعن فيه بما لم يؤثر؛ ألا ترى أن قولهم : فلانٌ قد أخرسَ أعداءه عن ذمّه ليس يراد به أنه منعهم عن التلفظ بالذم ، وإنما المعنى فيه أنه لم يجعل للذم عليه طريقا ومجالا ؛ ويجب على هذا الوجه(٣) أن يكون قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا ﴾ يرجع إلى ما قبله بلا فصل ، ولا يرجع إلى قوله : ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾(٤) .

وتاسعها أن الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأمّته إهلاكَ عدوهم قال : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ، وأراد جل وعزّ أنه يُهلكهم ويصطلِمهم ويجتاحُهم على طريق العقوبة لهم؛ بما كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى ، والردِّ لِحُججه ، والْمُروقِ عن طاعته ، وبشَّر مَن وعده بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء

(١) ت : « القائل » . (٢–٢) ت ، ش: « وطرائقه الممدوحة ، وأخلاقه المهذبة من عيبه، وصرفهم عن ذمه » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « التأويل » .

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف: « قريب منه قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ؛ ويعترض الآية بأن الحسين عليه السلام جند الله ومع ذلك فقد غلبوا ؛ والجواب : انهم وان غلبوا فى صورة فإنهم الغالبون حقيقة » .

بهـا ، وهو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبَّارين المتكبرين ، واصطلمهم فقد صرَفهم عن آياته ، من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها ، والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم ، وخروجهم عن صفات أهله.

وهذا الوجه يمكن أن يقال فيه : إن العقوبة لاتكون إلاّ مضادّة للاستخفاف والإهانة، كما أن الثواب لابدَّ أن يكون مقترنا بالتعظيم والتبجيل والإجلال(١)؛ وإماتةُ الله تعالى الأمم وما يفعله من بوارٍ وإهلاك لا يَقْتَرِن إليـــه مالا بدّ أن يكون مقترناً إلى العقاب من الاستخفاف ، ولا يخالف مايفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان والاختبار؛ فكيف يصح ماذكرتموه ! .

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن يقال : لا يمتنعُ أن يَضمَّ الله تعالى إلى ما يفعله بهؤلاء الكفار المكذّبين(٢من الإهلاك والبوار اللعنَ والذم والاستخفاف٢)، ويأمرنا (٣ أن نفعل ذلك بهم ، فيكون / ما يقع بهم من الإيلام على وجه العقوبة وبشروطها، ولا يمتنع أن يكون [١٠٤ ظ] الله تعالى يَتعبدُ ويأمر بإهلاكهم٣)، وقتلهم على وجه الاستخفاف والنّكال ، ويضيفُ الله تعالى ذلك إليه من حيث وقع بأمرِه وعن أذنه .

فإن قيل : ما معنى قوله تعالى : ﴿ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ؛ كأنَّ في التكبُّر ما يكون بالحق !

قلنا في هذا وجهان : أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عنْ أنَّ التَّكبر لا يكون إلا بغير الحق ، وأن هذه صفة له لازمة غير مفارقة؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ؛ [المؤمنون : ١١٧] ، وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾؛ [النساء : ١٥٥] ، ولم يرد تعالى إلا المعنى الذى ذكرناه . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ ؛ [البقرة : ٤١] ، ولم يُرِد النهىَ عن الثمن القليل دون الكثير ، بل

(١) ساقطة من ت . (٢) ت ، حاشيتى الأصل ، ف : « المكذبين المستحقين للبوار اللعن والذم » . (٣-٣) ساقط من م .

أراد تأكيد القول بأن كلَّ ثمن يؤخذ عنها يكون قليلا بالإضافة إليها ، ويكون المتعوِّض به عنها مغبوناً مبخوساً خاسرَ الصفقة .

والوجه الآخر أنّ فى التكبر مايكون ممدوحاً لأنَّ مَنْ تكبر وتنزَّه عن الفواحش والدنايا وتباعد من فعلها ، وتجنب أهلها يكون مستحقاً للمدح ، سالكا لطريق الحقّ ؛ وإنما التكبُّرُ المذموم هو الواقع على وَجه النَّخْوة والبَغْى والاستطالة على ذَوِى الضَّعْف والفخر عليهم ، والمباهاة لهم ، ومَن كان بهذه الصفة فهو مجانِب للتواضع الذى ندَب الله تعالى إليه ، وأرشد إلى الثواب المستحَقّ عليه ، ويستحق بذلك الذمَّ والمقتَ ، فلهذا شرَط تعالى أن يكون التكبر بغير الحق . وقوله تعالى فى هذه السورة : ﴿ قُلْ إنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ والإثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ؛ [الأعراف : ٣٣] ، يحتمل أيضاً هذين الوجهين اللّذين ذكرناهما .

فإن أريد به البغى المكروه الذى هو الظلم وما أشبهه ، كان قوله : ﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ تأكيداً وإخبارا عن أن هذه صفته ، وإن أريد بالبغى الطلب — وذلك هو أصله فى اللغة — كان الشرط فى موضعه ؛ لأنَّ الطلب قد يكون بالحَقِّ وبغير الحقِّ .

فإن قيل فما معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ، وَإِنْ يرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ / وهل الرؤية هاهنا العلم والإدراك بالبصر ؟ وَهَبْ [١٠٥ و] أنها يمكن أن تكون فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ محمولة على رؤية البصر ، لأن الآيات والأدلةَ مما يشاهَد كيف تحمل الرؤية الثانية على العلم ، وسبيل الرشد إنما هى طريقه ، ولا يصحُّ أن يرجع بها إلى المذاهب والاعتقادات التى لا تجوز عليها رؤية البصر ، فلا بد إذاً من أن يكون المراد به رؤية العلم ؛ ومَن عَلم طريق الرُّشد لا يجوز أن ينصرف عنه إلى طريق الغىّ ؛ لأن العقلاء لا يختارون مثل ذلك .

قلنا : الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون المراد بالرؤية الثانية رؤيةَ البصر ، ويكون السبيلُ المذكورةُ فى الآية هى الأدلةُ ؛ لأنها مما يدرَك بالبصر ، وتُسمَّى بأنها سبيل إلى

الرشد ، من حيثُ كانت وُصْلَةً إلى الرُّشد ، وذريعةً إلى حصوله ، ويكون سبيل الغىِّ هى الشبهات والمخاريق التى ينصبها المبطلون والمدغلون فى الدين ؛ ليوقعوا بها الشبهة على أهـل الإيمان ، وتسمَّى سبيلَ الغىّ ، وإن كان النظرُ فيها لا يوجب حصولَ الغىِّ من حيث كان المعلوم ممَّن تَشاغل بها ، واغترَّ بأهلها أنه يصير إلى الغىّ .

والوجه الثانى أن يكون المراد بالرؤية العلم ؛ إلا أن العلم لم يتناولْ كونَها سبيلا للرّشد ، وكونَها سبيلاً للغىّ ؛ بل يتناولها لا من هذا الوجه ؛ ألا ترى أن كثيرا من المبطلين يعلمون مذاهبَ أهل الحق واعتقاداتهم وحججهم ؛ إلا أنهم يجهلون كونها صحيحة مُفْضية إلى الحق ، فيجتنبونها ؛ وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة ، إلا أنهم يجهلون كونها باطلة ، ويعتقدون صحتَها بالشبهة فيصيرون إليها ؟ وعلى هذا الوجه لا يجب أن يكون تعالى وصفهم بالعناد وتَرْكَ الحق مع العلم به .

والوجه الثالث أن يكونوا عالمين بسبيل الرشد والغىّ ، ومميزين بينهما ؛ إلا أنهم للميل إلى أعراض الدنيا ، والذَّهاب مع الهوى والشهوات يعدلون عن الرشد إلى الغىّ ، ويجحدون ما يعلمون ، كما أخبر بها عن كثير من أهل الكتاب بأنهم يجحدون الحقَّ وهم يعلمونه ويستيقنونه .

فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ، [١٠٥ ظ] / والتكذيبُ لا يكون فى الحقيقة إلا فى الأخبار دون غيرها ؟

قلنا : التكذيب قد يُطْلَق فى الأخبار وغيرها ؛ ألا ترى أنهم يقولون : فلان يكذِّب بكذا إذا كان يعتقد بُطْلانَه ، كما يقولون : يصدِّق بكذا إذا كان يعتقد صحتَه ؟ ولو صرفنا التكذيب هاهنا إلى أخبار الله تعالى التى تضمنتْها كتبه الواردة على أيدى رسلِه عليهم السلام جازَ ؛ وتكونُ الآياتُ هاهنا هى الكتب المنزلة دون سائر المعجزات .

فإن قيل : فما معنى ذمّه تعالى لهم بأنهم كانوا عن الآيات غافلين ، والغفلةُ على مذاهبكم

من فعله ، لأنها السهو أو ما جرى مجراه مما ينافى العلوم الضرورية، ولا تكليف على الساهى فكيف يُذَمّ بذلك ؟ .

قلنا: المرادهاهنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة، ووجهُ التشبيه أنهم لما أعرضوا عن تأمُّل آيات الله تعالى ، والانتفاع بها أشبهتْ حالهم حال مَن كان ساهيا غافلاً عنها ، فأطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ ؛ [البقرة : ١٨] ، على هذا المعنى ، وكما يقول أحدُنا لمن يستبطئه ويصفه بالإعراض عن التأمل والتبيُّن: أنت ميِّت وراقد، ولا تسمع، ولا تبصرُ ، وما أشبه ذلك ، وكل هذا واضح بحمد الله .

مكتبة الدكتور مروان العطية

تأويل خبر

إن سأل سائل عن الخبر المرويّ عن عبد الله بن عمر أنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إنَّ قلوبَ بنى آدم كلَّها بين إصْبَعَين من أصابع الرَّحمن،يصرِّفها كيف شاء»(١) ثم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك: «اللَّهم مصرِّفَ القلوب، صرِّف(٢) قلوبَنا إلى طاعتك» . وعما يَرْويه أَنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « مامن قلْبِ آدميّ إلاّ وهو بين إصبعَيْنِ من أصابع الله تعالى ، فإذا شاء أن يُثَبِّته ثَبَّته ، وإن شاء أن يقلِّبه قَلَّبه » . وعمَّا يرويه ابنُ حَوْشَبٍ قال : قيلَ(٣) لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله: ماكان أكثرُ دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله ؟ قالت : كان أكثر دعائه : « يا مقلِّب القلوب، ثَبِّتْ قلبي على دينك » ، قالت: قلت: يارسول الله ، ما أكثرَ دعاءك(٤) : « يا مقلِّب القلوب، ثَبِّتْ قلبي على دينك » ! فقال : « يا أمَّ سَلَمة ، ليس من آدميٍ إلا وقلْبه بين إصبَعَيْنِ من أصابع الله ، ما شاءَ أقام ، وما شاءَ أزاغ » .

[١٠٦ و] فقال: ماتأويلُ / هذه الأخبار على مايطابق التوحيدَ وينفى التشبيه؟ أوَ ليس من مذهبِكم أنَّ الأخبار التى يخالف ظاهرُها الأصول ، ولا تطابق العقول لايجب ردُّها، والقطع على كذب رُوَاتِها(٥) إلاَّ بعد ألاَّ يكونَ لها فى اللغة مخرجٌ ولا تأويل؟ وإن كان لها ذلك فباستكراهٍ أو تعسُّف ، ولستم مِمَّن يقول ذلك فى مثل هذه الأخبار ، فما تأويلها ؟ .

الجواب ، إنَّ الذى يعوِّل عليه مَنْ تكلَّم فى تأويل هذه الأخبار هو أن يقول : إنَّ الإصبع فى كلام العرب وإن كانت الجارحة المخصوصة فهى أيضا الأثر الحسَن ؛ يقال : لفلان على ماله وإبله إصْبَعٌ حسنة ؛ أى قيامٌ وأثرٌ حسَن ؛ قال الراعى يصف راعياً حسَن القيام على إبله :

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « يشاء » . (٢) ت ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) « اصرف » . (٣) ت ، ف : « قلت لأم سلمة » . (٤) ت،د، ف : « أكثر دعائك » .
(٥) ج ، ش : « كذب راويها » ، ت ، ف « كذبها » .

ضَعيفُ العَصا بادِي العُرُوقِ تَرَى لَهُ ... علَيْها إذَا ما أجْدَبَ النَّاسُ إصْبَعا[(١)]

وقال طُفَيل الغَنوىّ يَصِف فَحْلاً :

كُمَيْتٌ كَرُكْنِ البابِ أحْيا بَناتِهِ ... مَقالِيتُها واسْتَحْمَشَتْهُنَّ إصبَع[(٢)]

وقال لبيد بن ربيعة :

مَنْ يَبْسُطِ اللهُ علَيْهِ إصْبَعا[(٣)] ... بالخيْرِ والشَّرِّ بأىٍّ أُولِعا

يَمْلأْ لهُ مِنْهُ ذَنوباً مُتْرَعا

وقال حُمَيدُ بنُ ثَوْر:

أغَرُّ كلَوْنِ البَدْرِ فى كلِّ مَنْكِبٍ ... مِنَ النَّاس نُعمى يَحْتَذِيها وإصْبَعُ

وقال آخر :

وأرْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أبَنْ ... ذُو إصْبَعٍ فى مَسِّها وذُو فِطَنْ

وقال آخر :

أكْرِمْ نِزاراً واسْقِهِ المُشَعْشَعَا ... فإنَّ فِيهِ خَصَلاتٍ أرْبَعا

حَدًّا وجُوداً ونَدىً وإصْبَعاً[(٤)]

والإصبع فى كلِّ ما أوردناه المراد بها الأثرُ الحسن والنّعمة ، فيكون المعنى : ما من آدمىٍّ إلا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حَسنتين .

فإن قيل : هذا قد ذُكر كما حكيتم ؛ إلاّ أنه لم يفصِّل : ما النعمتان ؟ وما وجه التثنية هاهنا ونِعَم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى ؟

---

(١) البيت فى اللآلئ ٥٠ ، ٧٦٤ ، واللسان (عصا) ؛ وضعيف العصا كناية عن الرفق بما يرعاه، والعرب تعيب الرعاء بضرب الإبل ؛ لأن ذلك عنف بها وقلة رفق . (٢) ديوانه ٥٢ : ، وفى حاشية ت (من نسخة) : « واستحشمتهن » ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف أيضا : « الحمش : الجمع ، وقد حمش [بفتحتين] ؛ فيمكن أن يكون « استحمش » فى البيت من هذا ، واستحمش ، أى غضب ، غير متعد » وفى حاشية الأصل أيضا : « استحمشتهن : أصلحتهن ؛ من قولهم : حمشت الدابة إذا صلحت ؛ عن النضر بن شميل » . (٣) ديوانه ٢ : ٨ . (٤) حاشية ف : « قوله : « حداً » ، قيل به أراد البأس ، وقيل : المنع » ، وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « جداً » .

[١٠٦ ظ] / قلنا : يحتمل أن يكون الوجه فى ذلك نِعَم الدنيا و نِعم الآخرة ، وثناها لأنهما كالجنسين أو كالنوعين ، وإن كان كل قبيل منهما فى نفسه ذا عدد كثير ؛ لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بأن عرّفهم بأدِلته وبراهينِه ما أنعم به عليهم ، من نعم الدنيا والآخرة ، وعرّفهم ما لهم فى الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل ، والبقاء فى النعيم الطويل .

ويمكن أن يكون الوجهُ فى تسميتهم للأثر الحسن بالإصبع هو منْ حيث يشار إليه بالإصبع إعجاباً به ، وتنبيها عليه ؛ وهذه عادتهم فى تسمية الشيء بما يقع عنده ، وبما له به عُلْقَة، وقد قال قوم فى بيتىْ طُفَيلٍ والراعى: إنهما أرادا أن يقولا «يداً» فى مكان «إصبع» ؛ لأن اليد النعمة ، فلم يمكنهما ، فعدلا عن اليد إلى الإصبع ، لأنها من اليد .

وفى الإصبع الجارحة ثمان لغات : أَصْبَع بفتح الألف والباء ، وأَصِبع ، بفتح الألف وكسر الباء ، وأُصبُع بضم الألف والباء ، وأُصبَع بضم الألف وفتح الباء ، وأُصبوع ، بضم الألف مع الواو ، وإِصِبع ، بكسر الألف والباء ، وإِصبَع ، بكسر الألف وفتح الباء ، وإِصْبُع بكسر الألف وضم الباء .

وفى هذه الأخبار وجه آخر ؛ هو أوضح مما ذُكِر ، وأشبهُ بمذاهب العرب فى ملاحن كلامها، وتَصرُّف كناياتها؛ وهو أن يكون المعنى فى ذكر الأصابع الإخبارَ عن تيسُّر تصريف القلوب وتقليبها، والفعلِ فيها عليه جلّتْ عظمته ، ودخولِ ذلك تحت قدرته . ألا ترى أنهم يقولون : هذا الشيء فى خِنصَرِى وإِصبَعى ، وفى يدى و قَبضتى؛ كلّ ذلك إذا أرادوا تسهّله وتيسُّره وارتفاع المشقة فيه ، والمؤنة(١) .

وعلى هذا المعنى يتأَوّلُ المحققون قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ والسَّمٰوَاتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ، [الزمر : ٦٨] ؛ فكأنه صلى الله عليه وآله لما أراد المبالغة

(١) ت : «المئونة» .

فى وصفِه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفِها بغير مشقَّة ولا كُلفَة ـ وإنْ كان غيرُه تعالى يعجِز عن ذلك، ولا يَتَمَكَّنُ منه ـ قال : إنها بين أصابعه ؛ كِناية عن هـــذا المعنى ، واختصاراً للّفظ الطويل ، وجرياً على مذهب العرب فى إخبارهم عن مثلِ هذا المعنى بمثل هذا اللفظ ؛ وهذا الوجه يجبُ أن يكونَ مقدَّماً على الوجه الأول ومعتَمَداً ؛ لأنه واضح جلىٌّ .

ويمكن أن يكونَ فى الخبَر وجهٌ آخرُ على تسليم ما يقترِحه المخالفون ، / مِنْ أنّ [١٠٧ و] الإصبَعين هما المخلوقتان من اللّحْم والدم ؛ استظهاراً فى الحجَّة ، وإقامةً لها على كل وجه : وهو أنه لا ينكَر أنْ يكون القلبُ يشتمِل عليه جسمان على شكل الإصبَعين ، يحرّكه اللهُ تعالى بهما ، ويقلّبه بالفعل فيهما ؛ ويكون وجهُ تسميتِهما بالأصابع مِنْ حيث كانا[1] على شكلِهما . والوجهُ فى إضافتِهما إلى الله تعالى ـ وإنْ كانت جميعُ أفعاله تُضاف إليه بمعنى المِلْك والقدرة ـ أنه[2] لا يقدِر على الفعل فيهما وتحريكِهما منفردين عما[3] جاوَرها غيرُه تعالى ؛ فقيل إنهما إصبعان له ؛ من حيث اختَصَّ بالفعل فيهما على هذا الوجه ؛ لأنَّ غيرَه إنما يقدِر على تحريك القلب ، وما هو مجاورٌ للقلب من الأعضاء بتحريك جُمْلة الجسم ، ولا يقدِر على تحريكه وتصريفِه منفرداً مما يجاوره غيرُه تعالى ؛ فمن أين للمبطلين المتأوِّلين هذه الأخبار بأهوائِهم وضعفِ آرائِهم أنّ الأصابعَ هاهنا إذا كانت لحماً ودماً فهى جوارح لله تعالى ! وماهذا الوجه الذى ذكرناه ببعيد ؛ وعلى المتأوّل أن يورِد كلَّ ما يحتمِله الكلام؛ مما لا تدفعه حُجّة ، وإنْ ترتَّب بعضُه على بعض فى القوة والوضوح .

ونحن نعود إلى تفسير ما لعلّه أن يَشْتَبِه من الأبيات التى استشهدنا بها .

أما قوله :

* حَدًّا[4] وجُوداً ونَدًى وإِصْبَعاً *

فمعنى الحدّ : المضاء والنَّفاذ .

---

(١) ت : «من حيث كانتا» . (٢) ت : «فإنه» . (٣) ف ، حاشية (من نسخة) : «مما» .
(٤) حاشية ت (من نسخة) : «جدا» .

وقول الآخر :

* وأَرْزَناتٍ ليس فيهنّ أُبَن *

فالأَرْزَنات العصىّ ، والأُبَنُ العُقَد .

فأما قول حميد بن ثور: « فى كل مَنْكِبٍ من الناس »، فالمَنْكِب: الجماعة ، والمَنْكِب: الناحية .

وأما معنى أبيات[1] لبيد، فإنه أراد : مَنْ يَسُقِ اللهُ إليه خيراً ، أو يصرِفْ عنه شرًّا بُهما فعل ذلك به أَسْبَغَ له حتى ينتهى منتهاه .

فأما بيت طُفَيْلٍ الغَنَوِىّ ، فمعناه أنّ هـذا الفحلَ الذى وصفه بأنه كُمَيْتٌ ، وأنه كرُكْنِ الباب لتمامه وشدّته لمّا ضَرَب فى الإبل التى وصفها عاشَتْ أولادُها التى هى بناته بعد أن كُنَّ مقاليتَ ، والمقاليت : التى لايعيش لهنّ ولد ، فكان هذا منه أثراً جميلًا عليها .

فأما بيت الراعى فمعنى قوله : « ضعيف العصا » يريد أنّه قليل الضَّرْب لها ؛ إما لأنّهن لا يُحوِجْنَه سَداداً وتأدباً ، أو لشفقته عليهن ؛ وهـذه كناية فى نهاية الحسْن ، واختصارٌ شديدٌ ؛ لأنّه قد يجوز أن يكون ضعيفَ العصا على الحقيقة من حيث لا يحتاجُ إلى استعمالها/ [١٠٧ ظ] فى الضرب ، فيختارَها قويةً ، ويجوز أن يكون حذف ، وأراد ضعيفَ فِعْل العصا .

وقوله : « بادى العروق » يعنى عروقَ رِجْلِه لفسادها من السعى فى أثر هذه الإبل . وأراد « بالإصْبَع » أنَّ له عليها فى جَدْب الناس أثراً جميلا لحسن قيامه وتعهده .

وقد قيل إنه إنما سُمِّى الراعى لبيت قاله فى هذه القصيدة بعد بيتين من البيت الذى أنشدناه ، وهو :

لها أمرُها حتَّى إذا ما تبوَّأَتْ ... بأخفافها مأْوًى تبوَّأَ مَضْجَعا[2]

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « بيت لبيد » . (٢) اللآلى : ٧٦٤ ؛ والرواية هناك : «لأخفافها» .

وهذا قول الأصمعيّ . وقال السُّكّريّ : سُمِّى بذلك لقوله فى هذه القصيدة أيضا :

هِدَانٌ أخو وَطْبٍ وصاحِبُ عُلْبَةٍ   يَرَى المَجْدَ أَنْ يَلْقَى خَلَاءً ومَرْتَعا(١)

وروى عن بعض بنى نُمَيْرٍ أنه قال : إنما سُمِّى بذلك لقوله :

بُنِيَتْ مَرَافِقُهُنَّ فوقَ مَزَلَّةٍ   لا يستطيعُ بها القُرَادُ مَقِيلا(٢)

فقال بعض بنى نُمَيْرٍ لمَّا سمع هذا البيت : والله ماهو إلّا راعى إبل ، فبقيت عليه . وقال محمد بن سلّام: " إنما(٣) سُمِّى الراعى لكثرة وصفه الإبل وحسن نعته لها " ؛ واسمه عُبَيْد ابن حُصَيْن بن جَنْدل ، وكنيته أبو جَنْدل ، وقيل أبو نُوح .

(١) الهدان : الأحمق الثقيل ، والعلبة : محلب من جلد . (٢) جمهرة الأشعار : ٣٥٣ ، واللسان (زلل) ، والمزلة : موضع الزلل والانزلاق . (٣) طبقات الشعراء : ٢٥٠ .

مجلس آخر ٢٣

تأويل آية

إن سأل سائلٌ عن قولِه تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾؛ [المائدة: ١١٦].

فقال: ماالمرادُ بالنَّفس في هذه الآية؟ وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾؛ [آل عمران: ٢٨] أو يخالِفه؟ وهَلْ يطابق معنى الآيتين والمراد بالنفس فيهما ما رواه أبو هريرةَ عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: قال الله تعالى: «إذَا أحَبَّ العبدُ لِقائي أحببتُ لقاءَه، وإذا ذَكَرَنِي في نفسِهِ ذكرتُه في نفسي، وإذا ذَكَرَني في مَلَأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منه، وإذا تقرَّب إليَّ شِبْرًا تقرّبتُ إليه ذراعاً، وإذا تقرَّب إليَّ ذراعاً تقربتُ إليه باعاً»، أو لايطابقه؟

الجواب، قلنا: النفسُ في اللغة لهـا معانٍ مختلفة، ووجوهٌ في التصرُّف متباينة؛ فالنفس نفس الإنسان وغيره من الحيوان، وهي التي إذا فقدَها خرج عَنْ كونِه حيًّا، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾؛ [آل عمران: ١٨٥].

[١٠٨ و] والنَّفْسُ ذات الشيء الذي يخبر / عنه كقولهم: فعل ذلك فلان نفسُه؛ إذا تولَّى فِعْلَه.

والنفس: الأَنَفَة، من قولهم ليس لفلان نفسٌ، أي لا أَنَفَةَ له.

والنفس الإرادة، من قولهم نفسُ فلان في كذا، أي إرادتُه؛ قال الشاعر:

فنَفْسَايَ نَفْسٌ قالَت ايتِ ابنَ بَحْدَلٍ تجِدْ فَرَجاً مِنْ كلِّ غُمَّى تَهابُها[١]
ونفْسٌ تقولُ اجْهَدْ نَجاءَكَ لاتكُنْ كخاضِبَةٍ لمْ يُغْنِ شيئاً خِضابُها[٢]

---

(١) البيتان في اللسان (نفس). - (٢) ت: «عنها خضابها»، ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «لم يغن يوما».

ومنه أن رجلًا قال للحسَن: ياأبا سعيد ، لم أحجُج قَطُّ ، فنفسٌ تقول لى: حُجَّ ، ونفسٌ تقول لى : تزوّج ، فقال الحسن : إنَّمَا النفسُ واحدةٌ ، ولـكن لك هَمٌّ يقول حُجَّ ، وهَمٌّ يقول : تزوَّجْ ، وأمره بالحج .

وقال المزّق[1] العبْدِىّ ـ وتُرْوَى لمعقِّر بن حِمار البارِقىّ :

ألا مَنْ لعيْنٍ قدْ نآها حَمِيمُها وأرّقنى بعدَ المَنامِ هُمومُها
فباتَتْ لها نفْسانِ شَتَّى هُمومُها فنفْسٌ تُعزِّيها ونفْسٌ تلومُها

وقال النَّمر بن توْلب العُكْلِىّ :

أمَّا خَليـلى فإنى لَسْتُ مُعْجِلَهُ حتى يُؤامِرَ نَفْسَيْهِ كما زَعَما
نفْسٌ لهُ مِنْ نُفوسِ القوْمِ صالِحَةٌ تُعْطى الجَزيلَ ونفْسٌ تَرْضَعُ الغنما[2]

أراد أنَّه بين نفسيْن : نفسٌ تأمرُه بالجود ، وأُخرى تأمره بالبخل ، وكنَّى برضَاعِ الغنم عن البُخْل ، لأنّ اللَّئيمَ يرضَعُ اللبن من الشَّاة ولا يحلُبها ؛ لئلا يسمَع الضيفُ صوتَ الشَّخْب فيهتدى إليه ، ومنه قيل : لئيمٌ راضِـع ؛ وقال كُثيِّر :

فأَصْبحْتُ ذَا نفسيْنِ نفسٌ مَرِيضةٌ مِنَ اليأْسِ ما يَنْفَكُّ هَمٌّ يَعُودُها[3]
ونفْسٌ تُرَجِّى وَصْلَها بعْدَ صَرْمِها تجمَّـلُ كى يَزْدادَ غيْظاً حَسودُها

والنفس العين التى تصيب الإنسان ، يقال : أصابت فلاناً نفسٌ ، أى عينٌ . ورُوِىَ

---

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « المزّق » بكسر الزاى وفتحها ، كلاهما جائز ؛ الـكسر لأنه أتى بذكر التمزيق فى شعره ، والمزق بالفتح ؛ لأنه قال : « لما أمزق » ، وقال أبو القاسم الآمدى : المزق ، بفتح الزاى هو شأس بن نهار العبدى ، الذى قال : « ولما أمزق » ، والممزق ، بكسرها هو الممزق الحضرمىّ ، متأخر ، وولده المزّق بن المزق ، ذكره فى المختلف والمؤتلف .

وانظر ص١٨٥ـ١٨٦ ؛ والبيت الذى يشير إليه هو بتمامه :

فإن كنتُ مأكولاً فكُنْ خيرَ آكلٍ وإلاَّ فأدْرِكْنِى ولَمَّا أُمَزَّقِ

من قصيدة يخاطب فيها عمرو بن المنذر بن عمرو بن النعمان ، وكان هم بغزو عبد القيس .

(٢) البيتان فى الأغانى ١٩ : ١٦١ . (٣) ديوانه : ١ : ٧٥ .

أنَّ رسولَ الله صلى الله عليـه وآله كان يَرْقِى فيقول : « بسم الله أَرْقيك ، والله يَشفيك ، من كلّ داء هو فيك ؛ مِنْ عَيْن عائن ، ونفسِ نافس ، وحسد حاسدٍ » .

[١٠٨ ظ] وقال ابنُ الأعرابىّ : النَّفوس الذى يُصيب الناس بالعين / . وذَكَرَ رجلا فقال : كان والله حسوداً نَفوساً كَذوباً . وقال عُبيد الله بن قَيْس الرُّقَيّات(١) :

يَتّقى أَهلُها النَّفوسَ عليها فَعلى نحرِها الرُّقَى والتَّميمُ

وقال مضرِّس بن رِبْعِىّ الفَقْعَسِىّ :

وإذا نَمَوْا صُعُدًا فليسَ عليهِمُ مِنَّا الخَبالُ ولا نَفوسُ الحُسَّدِ(٢)

وقال ابنُ هَرْمة يمدح عبدَ الواحد بن سليمان بن عبد الملك :

فاسلَمْ سَلِمْتَ مِنَ المَكارِهِ والرَّدَى وعِثارِها ووُقِيتَ نَفْسَ الحُسَّدِ

والنفس أيضا من الدِّباغ بمقـدار الدَّبْغة ؛ تقول : أَعطِنى نَفْساً من دِباغ ، أى قَدْرَ ما أَدْبُغ به مرة .

والنفسُ الغيب ، يقول القائل : إنّى لأعلم نفسَ فلان ، أى غَيْبَه ؛ وعلى هذا تأويل قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ، أى تعلم غَيْبى وما عنـدى ، ولا أعلمُ غيبَك .

وقيل : إنّ النفسَ أيضاً العقوبة ، من قولهم : أحذِّرك نفسى ؛ أى عقوبتى ؛ وبعضُ المفسِّرين حَمل قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ﴾ على هذا المعنى ؛ كأنه يحذِّركم عقوبته. وروى ذلك عن ابن عباس والحسن وآخرون ؛ قالوا : معنى الآية ويحذركم الله إياه . وقد روى عن الحسن ومجاهد فى قوله تعـالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ماذكرناه من التأويل بعينه .

---

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « قيل له ابن قيس الرقيات ؛ لأنه كان يشبب بجماعة كل واحدة منهن اسمها رقية ؛ وقيل : كانت له جدات ؛ اسم كل واحدة منهن رقية » .

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يقال هذا نبات ينمى صعدا ؛ أى يزداد طولا » .

فإن قيل : ما وجهُ تسمية الغيب بأنه نفس ؟ قلنا : لا يمتنع أن يكون الوجه فى ذلك أنّ نفس الإنسان لما كانت خفيّة الموضع نُزِّلَ ما يكتمه ويجتهد فى سَتره منزلتَها ، وسمِّى باسمها ، فقيل فيه إنه نفسه ، مبالغةً فى وصفه بالكتمان والخفاء ؛ وإنما حَسُن أن يقول تعالى مخبراً عن نبيه: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ من حيث تقدم قوله : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى ﴾ ؛ ليزدوج الكلام ، ولهذا لا يحسن ابتداءً أن يقول : أنا لا أعلم ما فى نفس الله تعالى ، وإن حَسُن على الوجه الأول ؛ ولهذا نظائر فى الاستعمال مشهورة مذكورة .

فأما الخبر الذى ذكره السائل فتأويله ظاهر ، وهو خارج على مذهبٍ للعرب فى مثل هذا الباب معروف ؛ ومعناه أنّ مَنْ ذكرَنى فى نفسه جازيته على ذكرِه لى، وإذا تقرّب إلىّ شبرا جازيتُه على تقرّبه إلىّ ؛ وكذلك الخبر إلى آخره ، / فسمَّى المجازاةَ على الشىء باسمه [١٠٩] و
اتساعاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ ، [الشورى : ٤٠] ؛ ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ ؛ [الأنفال : ٤٠] ، ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، [البقرة : ١٥] ؛ وكما قال الشاعر(١) :

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَــدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا

ونظائر هذا كثيرة فى كلام العرب . ولما أراد تعالى المبالغةَ فى وصف ما يفعله به من الثواب والمجازاة على تقرّبه بالكثرة والزيادة ؛ كنّى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال : « باعاً وذراعاً » ، إشارة إلى المعنى من أبلغ الوجوه وأحسنها .

(١) هو عمرو بن كلثوم ؛ والبيت من المعلقة ص ٢٣٨ — بشرح التبريزى .

مجلس آخر ٢٤

تأويل آية

إن سأل سائل فقال: ما تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾؛ [الأحزاب: ١٠].

وكيف يجوز أن تبلغَ القلوبُ الحناجر مع كونهم أحياء، ومعلوم أنّ القلب إذا زال عن موضعِه المخلوق فيه ماتَ صاحبه؟ وعَن أىّ شىء زاغت الأبصار؟ وبأىّ شىء تعلّقت ظنونهم بالله تعالى؟.

الجواب، قيل له فى هذه الآية وجوه:

منها أن يكون المراد بذلك أنهم جَبُنوا وفزِع أكثرُهم لمّا أشرَف المشركون عليهم، وخافوا من بوائقهم وبوادرهم، ومِن شأن الجبان عند العرب إذا اشتد خوفُه أن تنتفخ رئته، ولهذا يقولون للجبان: انتفخ سَحْرُه، أى رئتُه، وليس يمتنع أن تكون الرئة إذا انتفخت رفعتِ القلب، ونهضت به إلى نحو الحنجرة. وهذا التأويل قد ذكره الفرّاء وغيره، ورواه الكلبىّ عن أبى صالح عن ابن عباس.

ومنها أنّ القلوب توصف بالوجيب والاضطراب فى أحوال الجزَع والهلَع؛ قال الشاعر:

كأنَّ قلوبَ أدِلاَّئِها ... مُعلقةٌ بقُرُونِ الظِّبَاءِ[1]

---

(١) الأدلاء: جمع دليل؛ والبيت فى وصف فلاة مخيفة، ذكره ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ص ٨٨؛، ونسبه إلى المرار، وقال فى شرحه: «يريد أن القلوب تنزو وتجب؛ فكأنها معلقة بقرون الظباء؛ لأن الظباء لا تستقر؛ وما كان على قرونها فهو كذلك».

وقال امرؤ القيس :

ولاَ مِثلَ يوْمٍ فى قُدَارَانَ ظَلْتُهُ   كأَنى وأصْحابى على قَرْنِ أَعفَرَا[١]

ويروى : « فى قُدارَ ظَلِلْته » ؛ أراد المبالغةَ فى وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة/السُّكون والاستقرار ؛ وإنما خصَّ الظَّبيَ ؛ لأن قرنه أكثرُ تحركا واضطراباً ؛ [١٠٩ ظ] لنشاطه ومَرَحه وسُرْعته .

وقد قال بعض الناس: إن امرأ القيس لم يصف شدّةً أصابته فى هذا البيت فيليق قوله : «على قرنِ أعفَرا» بالتأويل المذكور؛ بل وصف أماكنَ كان فيها مسرورا متنعماً؛ ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت بلا فصْل :

ألاَ رُبَّ يومٍ صالحٍ قد شَهِدْتُهُ   بتاذِفَ ذَاتِ التلّ مِنْ فوقِ طَرْطَرا[٢]

فيكون معنى قوله : « على قرن اعفرا » على هذا الوجه أنه كان على مكان عال مُشرف؛ شبَّهه لارتفاعه وطوله بقرْن الظبي ؛ وهذا القول لابن الأعرابىّ والأول[٣] للأصمعىّ ؛ فأما قول الآخر :

ألاَ قلّ خيرُ الشَّام[٤] كيفَ تَغيَّرَا   فأصبَح يَرْمى النَّاس عن قَرْنِ أعْفَرَا

فلا يحتمِل إلاَّ الشدة والحال المذمومة ، ويجوز أن يريد أن الناس فيه غير مطمئنين بل هم منزعجون قلِقون ؛ كأنهم على قرن ظبى ، ويحتمِل أنه يريد أن يطعنهم بقرن ظبى، كقولك : رماه بداهية ، ويكون معنى « عن » هاهنا معنى الباء ، فقال : « عَن قَرْنِ أعفرا » وهو يريد بقرن أعفَرا ، وقد ذكر فى هذا البيت الوجهان معاً ، فيكون معنى الآية على هذا التأويل أن القلوب لما اتصل وجيبُها واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق .

---

(١) ديوانه: ١٠٦. قداران: قرية بالشام ؛ وأعفر ؛ أراد قرن ظبي أعفر . وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « فى نسخة الوزير الكامل أبى القاسم المغربى رحمه الله : « قذاران » ، بالذال المعجمة وفتح القاف ، وضب عليه » .   (٢) فى حاشية ت : « طرطر : قرية بالشام بمنبج ، ولها نهر يقال له نهر طرطر » . وفى شرح الديوان : تاذف وطرطر : موضعان فيهما أوقع بعدوه » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « والآخر » .   (٤) ت ، ف : « الشان » .

ومنها أن يكون المعنى: كادت القلوب من شدة الرُّعب والخوف تبلغ الحناجر، وإن لم تبلغ فى الحقيقة ، فألغى ذكر « كادت » لوضوح الأمر فيها، ولفظة « كادت » هاهنا للمقاربة؛ مثل قول قيس بن الخطيم :

أتعرِفُ رَسْماً كاطِّراد المذاهبِ لعَمْرَةَ وحْشاً غيْرَ موْقِفِ راكِبِ (١)
دِيار الَّتى كادَت ونحنُ على مِنًى تَحُلُّ بنا لوْلا نَجاءُ الرَّكائبِ

معناه : قاربت أن تَحُلَّ بنا ، وإن لم تَحْلُل فى الحقيقة .

وقوله: «غير موقف راكب» فيه وجهان : أحدهما أنه ليس بموضع يقف فيه راكب لخُلُوِّه من الناس ووَحشته ، والآخر أن يكون أراد أنَّه وَحْش ؛ إلاَّ أن راكباً واقفٌ به ؛ يعنى نفسه .

وقال نُصَيب :

[١١٠] /وقد كِدْتُ يومَ الحَزْنِ لما تَرَنَّمتْ هَتُوفُ الضُّحى محزونةٌ بالترَنُّمِ
أموت لِمَبْكاها أسًى إنَّ لوْعتى (٢) ووَجدِى بسُعْدَى شَجْوُهُ غير مُنْجِمِ (٣)

معنى المُنجِم : المقلِع .

وقال ذو الرُّمة :

وقفْتُ على رَبْعٍ لِميَّةَ ناقتى فمازِلتُ أبكى عِنْدَهُ وأُخاطبه (٤)
وأسْقِيهِ حتى كادَ مِمَّا أَبُثُّهُ (٥) تُكَلِّمنى أحجارُهُ وملاَعبُهْ

(١) ديوانه : ١٠٠ ، والرسم : ماشخص من آثار الديار بعد البلى ، والمذاهب : جمع مذهب ؛ وهى جلود تجعل فيها خطوط فيرى بعضها فى إثر بعض ، وأطرادها : تتابعها .

(٢) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « لوعتى » . (٣) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « فى ديوانه :

* وَوَجْدِى بسعدى قاتِلٌ لىَ فاعلمى *

وبعده :

ولَوْ قَبْلَ مَبْكاها بَكَيْتُ صبَابَةً بِسُعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّندمِ
ولكِنْ بكَتْ قَبْلى فهيَّجَ لى البُكا بُكاهاَ ، فقُلتُ : الفَضْلُ لِلْمُتقدِّمِ

(٤) ديوانه : ٣٥ . (٥) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « يقال بثثته السر وأبثثته » .

وكل هذا معنى «كاد» فيه المقاربة.

ومتى أدخلت العرب على «كاد» جَحْدا، فقالوا: ما كاد عبد الله يقوم، ولم يَكَد عبدالله يقوم؛ كان فيه وجهان:

أجودهما: قام عبد الله بعد إبطاء ولأْى، ومثله قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ [البقرة: ٧١]، أى ذبحوها بعد إبطاء وتأخير، لأنَّ وِجدانَ البقرة عَسُر عليهم. ورُوِىَ أنهم أصابوها ليتيم لا مال له غيرها، فاشتروها من وليّه بملء جلدها ذهبا، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾، إما لأنهم لم يَقِفوا عليها، أو لغلائها وكثرة ثمنها.

والوجه الآخر فى قولهم: ما يكاد عبد الله يقوم، أى ما يقوم عبد الله، وتكون لفظةُ يكاد على هذا المعنى مُطَّرَحَةً لا حُكْمَ لها، وعلى هذا يَحمِل أكثر المفسرين قوله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾، أى لم يرها أصلاً؛ لأنه جل وعز لما قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾؛ [النور: ٤٠]، كأنَّ بعض هذه الظلمات يحول بين العيْن وبين النظر إلى اليد وسائر المناظر؛ فـ﴿يَكَدْ﴾ على هذا التأويل زيدَت للتوكيد، والمعنى: إذا أخرج يده لم يرها.

وقال قوم: معنى الآية: إذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعُسر؛ لتكاثف الظلمة[١]، وترادُف الموانع من الرؤية؛ فـ﴿يَكَدْ﴾ على هذا الجواب ليست بزائدة.

وقال آخرون: معنى الآية إذا أخرج يده لم يرد أن يراها، لأن الذى شاهده من تكاثف الظلمات أيأسه[٢] من تأمل يده، وقرَّر فى نفسه أنه لا يدركها ببصره. وحكى عن العرب: أولئك أصحابى الذين أكاد أنزل عليهم، أى أريد أن أنزل عليهم؛ قال الشاعر:

كادَتْ وكِدْتُ وتِلكَ خيرُ إرادَةٍ ... لوْ عاد من لَهْوِ الصَّبابةِ ما مَضَى[٣]

/ أى أرادتْ وأردتُ، وقال الأفوهُ الأودِىّ: [١١٠ ظ]

(١) ف: «الظلمات»، حاشية ت (من نسخة): «الظلم». (٢) ت، حاشية ف (من نسخة): «آيسه». (٣) ديوانه: ١٠ (ضمن مجموعة الطرائف). (٣) البيت فى اللسان (كيد).

فإنْ تجمَّعَ أوْتادٌ وأعمِدَةٌ ... وساكِنٌ بلغوا الأمْرَ الذى كادُوا

أى أرادوا .

وقال بعضهم : معنى قوله تعـالى : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ ؛ [يوسف : ٧٦] ، أى أردنا ليوسف .

وقال الـكلبىّ عن أبى صالح عن ابن عباس : معناه كذلك صنعنا ليوسف .

ومما يشهد لمن جعل لفظة ﴿ يَكَدْ ﴾ زائدة فى الآية قول الشاعر :

سَرِيعٌ إلى الهيْجاءِ شاكٍ سِلاحهُ ... فما إنْ يكادُ قِرْنُهُ يتنفَّسُ

أى فما إنْ يتنفسُ قِرْنه ، و« يكاد » مزيدة للتوكيد ، وقال حسان :

وتَـكادُ تَـكْسَلُ أنْ تجئَ فِراشَها ... فى جِسْمِ خَرْعَبةٍ وحُسْنِ قَوَامِ

معناه وتـكسل أن تجئَ فِراشها ، وقال الآخر :

وألّا ألومُ النَّفْسَ فيما أصابَنى ... وألّا أكادُ بالذى نِلْتُ أَنْجَحُ

أى لا أنجح بالذى نلت ؛ ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مَدْحاً .

وروى عبدُ الصمد بن المعذَّل بن غَيْلان عن أبيـه عن جدِّه غَيْلان[1] قال : قدِم علينا ذوالرُّمة الـكوفةَ ، فأنشدنا بالـكُناسة ـ وهو على راحلته ـ قصيدتَه الحائية؛ التى يقول فيها :

إذَا غيَّرَ النَّأىُ المُحِبِّينَ لم يكَدْ ... رَسِيسُ الهوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ[2]

فقال له عبد الله بن شُبْرُمة[3] : قد بَرِح ياذا الرُّمة ، ففكّر ساعة ثم قال :

إذَ غيَّرَ النَّأىُ المُحِبِّينَ لم أجِدْ ... رَسِيسَ الهوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

قال : فأخبرتُ أبى بما كان من قول ذى الرُّمة واعتراضِ ابن شُبْرمة عليـه ، فقال :

(١) حاشية ت (من نسخة) : « عيلان » ، وفيها : « وفى نسختين صحيحتين من ديوانه : غيلان »

(٢) ديوانه : ٧٨ . (٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « هو شبرمة بن الطفيل » بكسر الطاء وسكون الفاء ، الذى يقول :

ويومٍ كظلِّ الرُّمحِ قَصَّرَ طولَهُ ... دَمُ الزِّقِّ عَنَّا واصْطِفَاقُ المَزَاهِرِ

والبيت من أبيات ثلاثة، ذكرها أبو تمام فى الحماسة ـ بشرح التبريزى ٣ : ٢٣٦ .

أخطأ ذوالرُّمة فى رجوعه عن قوله الأوّل ، وأخطأ ابن شبرمة فى اعتراضه عليه ؛ هذا كقوله عز وجل : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ ، أى لم يرها .

فأما قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ ؛ [طه : ـ ١٥] ، فيحتمِلُ أن يكونَ المعنى : أريدُ أخفيها لكى تجزَى كلُّ نفس بما تسعى . ويجوز أن تكونَ زائدة ويكون / المعنى إنّ الساعةَ آتية أخفيها لتُجزَى كلُّ نفس . وقد قيل فيه وجه آخر ؛ وهو [١١١] أن يَتم الكلام عند قوله تعالى : ﴿ آتِيَةٌ أَكَادُ ﴾ ، ويكون المعنى : أكاد آتى بها ، ويقع الابتداء بقوله ﴿ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ؛ ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابئ البرُجمىّ:

هَمَمْتُ ولم أفعَلْ وكِدْتُ وليتَنى تركْتُ على عُثمانَ تبكى حلائلُهْ[(١)]

أراد : وكدت أقتله ، فحذف الفعل لبيان معناه .

ورُوِى عن سعيدبن جُبَيْر أنّه كان يقرأ: ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾، فمعنى أخفيها على هذا الوجه أظهرها ؛ قال عَبْدة بن الطبيب يصف ثوراً :

يَخْفِى التُّرَابَ بأظلافٍ ثمانيةٍ فى أربعٍ مَسُّهُنَّ الأرْضَ تحليلُ[(٢)]

أراد أنه يظهر التراب ويستخرجه بأظلافه، وقال امرؤ القيس :

فإنْ تدْفِنوا الدّاءَ لَانَخْفِهُ وإنْ تبعثوا الحرْبَ لَا نقعُدِ[(٣)]

أى لانظهره ؛ وقال النابغة:

تَخْفِى بأظلافِها حتّى إذا بلغَتْ يُبْسَ الكثيبِ تداعى التُّرْبُ فانهدما[(٤)]

(١) الشعر والشعراء : ٣١٠ . (٢) من قصيدة مفضلية ٢٦٨ ـ ٢٩٣ بشرح ابن الأنبارى . وفى حاشية الأصل : « يصف شدة عدو الثور، وأنه يثير الغبار بأظلاف ثمانية وأربع قوائم ؛ مقدار مسهن الأرض تحليل، أى قول الرجل فى يمينه إن شاء الله » . وفى حواشى ، ت ، ف أيضا : « التحليل ضد التحريم ؛ يقال : حللته تحليلا وتحلة ؛ وتقول : لم أفعل ذلك إلا تحلة القسم ؛ أى القدر الذى لا أحنث معه ، ولم أبالغ فيه ؛ ثم توسع فيه ؛ فقيل لكل شىء لم يبالغ فيه تحليل ؛ يقال : ضربته تحليلا » .

(٣) مختار الشعر الجاهلى : ١٣١ . (٤) البيت ليس فى ديوانه ، وفى حاشية ت: « ولامرئ القيس يصف فرساً أخرج اليرابيع من حجرتها بعدوه :

خَفَاهُنَّ من أنفاقِهن كأنّما خَفَاهُنَّ وَدْقٌ من سحاب مُرَكَّبِ

وانظر ديوانه ٨٦ .

وقد روى أهل العربية: أخفيتُ الشيء يعنى(٤) سترتُه ، وأخفيته بمعنى أظهرته ، وكأنّ القراءةَ بالضم تحتمل الأمرين : الإظهارَ والستر ، والقراءة بالفتح لاتحتمل غيرَ الإظهار ؛ وإذا كانتْ بمعنى الإظهار كان الـكلام فى « كاد » واحتمالها للوجوه الثلاثة التى ذكرناها كالـكلام فيها إذا كانت بمعنى الستر والتغطية .

فإن قيل : فأىّ معنى لقوله: إنى أسترها لتُجْزَى كلُّ نفس بما تسعى ، أو أظهرها على الوجهين جميعاً ؟ وأى فائدة فى ذلك ؟

قلنا : الوجهُ فى هذا ظاهر ، لأنه تعالى إذا سَتر عنّا وقت الساعة كانت دواعينا إلى فعل الحسَنِ والقبيح مترددة ، وإذا عرّفَنا وقتها بعينه كنا ملجئين إلى التوبة ، بعد مقارفة الذنوب ونقضِ ذلك الغَرض بالتـكليف واستحقاق الثواب به ، فصار ماأريدَ من المجازاة للمكلَّفين بسعيهم ، وإيصال ثواب أعمالهم يمنعُ من اطلاعهم على وقت انقطاع التـكليف عنهم .

فأما إذا كانت لفظة ﴿ أُخْفِيهَا ﴾ بمعنى الإظهار فوجهه أيضاواضحٌ ؛ لأنه تعالى إنما يقيم القيامة ، ويقطع التـكليف ليجازى كلًّا باستحقاقه ، ويوفِّى مستحقِّ الثواب ثوابه ، ويعاقب المسىء باستحقاقه ، فوضح وجهُ قوله تعالى : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ على المعنيين جميعاً .

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أطال الله بقاءه : وجدتُ أبا بكر محمد بن القاسم الأنبارىّ يطعَن على جواب مَنْ أجاب فى قوله : ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ بأنّ معناه كادت تبلغ الحناجر ، ويقول : « كاد » لاتضمر ، ولا بدّ من أن يكون منطوقاً بها ، ولو جاز ضميرُها لجاز : قام عبدُ الله بمعنى كاد عبدالله يقوم ، فيـكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبدالله؛ لأن معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم ، وهذا الذى ذكره غير صحيح . ونظُنُّ أن الذى حمله على الطَّعْن فى هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة ، لأنَّ من شأنه أن يردّ كل ما يأتى به ابن

(١) حاشية ت : « أخفيته إذا كان بمعنى أظهرته كانت الألف للسلب ، والمعنى : سلبته الخفاء ؛ مثل شكانى فأشكيته » .

قتيبة، وإن تعسَّف فى الطعن عليه . والذى استبعده غير بعيد ؛ لأنَّ «كاد» قد تضمر فى مواضع يقتضيها بعض الكلام وإن لم تكن فى صريحِهِ ؛ ألا ترى أنهم يَقولون: أوردت على فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع مامات عنده ، وخرجت نفسُه ، ولما رأى فلان فلاناً لم يَبق فيه روح ، وما أشبه ذلك . ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ، ولا بد من إضمار «كاد» فيه ، وقال جرير :

إنَّ العيونَ التى فى طرْفها مرَضٌ قَتَلْنَنَا ثمَّ لمْ يُحْيِينَ قتلاَنا[1]

وإنما المعنى أنهن كدن يقتلننا؛ وهذا أكثر فى الشعر والكلام من أن نذكره .

فأما قوله : «يُحْيِينَ قَتْلاَنَا» فالأظهر فى معناه أنهن لم يُزِلْن ما قاربنا عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما أشبه ذلك ، وسَمَّى هذه الأمور حياةً كما سمى أضدادَها قَتْلاً ، وقد قيل إن معنى « يُحيين قتلانا » أنهن لم يَدِين قتلانا ، من الدِّية ، لأنَّ دية القتيل عند العرب كالحياة له ، وقد روى : «ثم لم يُحِنِنَّ قتلانا» ، وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصّل ومعناها ركيك ضعيف ؛ وإذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقال : قام فلانٌ بمعنى كاد يقوم ، إذا دلَّتِ الحال على ذلك ؛ كما يقال : مات بمعنى كاد يموت .

فأما قوله: «فيكون تأويل قوله: قام عبد الله، لم يقم عبد الله » فخطأ ؛ لأنه ليس معنى كاد يقوم إنه لم يقم / كماظنَّ بل معناه أنه قارب القيام ودنا منه ، فمن قال : قام عبد الله وأراد كاد يقوم ؛ فقد أفاد مالا يفيده لم يقم .

---

(١) ديوانه: ٥٩٥ ؛ وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : «روى أنه وقع الخلاف بين هارون الرشيد وزبيدة فى هذا البيت ؛ فكان هارون يقول : « يحيين » ، وزبيدة تقول : هو : « يحِنِن » ، بالجيم والنون ؛ فتخاطرا على ذلك بألفى دينار ، ودعوا مسرورا الخادم، وأعطياه على أن يخرج فيسأل أفضل من ببغداد من أهل العلم ؛ فإن صوب قول هارون أعطاه ألفا ، وإن صوب قول زبيدة فألفها ، فخرج مسرور بالشموع يطلب من يفتيه فى ذلك ؛ فدل على الكسائى ؛ وكان قريب عهد القدوم من الكوفة إلى بغداد ؛ وكان يأوى إلى مسجد ؛ فدخل مسرورا عليه بخيله وحشمه ؛ فتحفز له الكسائى ؛ فقال : لا بأس ؛ إنه بيت قد أشكل علينا ، واستفتاه فى الكلمتين فصوبهما جميعا ؛ فأعطاه الألفين ؛ فأصبح وقد استفاد بكلمة أوضحها ما أغناه ؛ وهذا دليل على حسن تأتيه ولطافة أدبه » .

وأما قوله تعالى : ﴿ زَاغَتِ الأَبْصَارُ ﴾ فمعناه زاغت عن النظر إلى كل شىء فلم تلتفت إلا إلى عدوها ، ويجوز أن يكون المراد بـ﴿زَاغَتْ﴾ ، أى جارت[1] ومالت عن القصد فى النظر دهشا وتحيراً .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾، معناه أنكم تظنون مرة أنكم تُنصَرون وتَظهرون على عدوّكم، ومرة أنكم تُبتلون وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم .

ويجوز أيضا أن يريد الله تعالى أن ظنونكم اختلفتْ ، فظنَّ المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من النصر، وشكُّوا فى خبره عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾، فظنَّ المؤمنون ما طابق وعدَ الله تعالى لهم كما حكى عز وجل عنهم فى قوله : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴾ .

وكل ما ذكرناه واضح فى تأويل الآية وما تعلّق بها .

---

(١) ت وحاشية الأصل (من نسخة) : « حادت » ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « حارت » .

مكتبة الدكتور مروان العطية

مجلس آخر ٢٥

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ ؛ [النبأ : ٩] .

فقال: إذا كان السُّبات هو النوم ؛ فكأنه قال: وجعلنا نومكم نوماً ، وهذا مما لا فائدة فيه .

الجواب ، قيل له فى هذه الآية وجوه :

منها أن يكون المراد بالسُّبات الراحة والدَّعة ، وقد قال قوم : إنّ اجتماع الخلْق كان فى يوم الجمعة، والفراغَ منه فى يوم السبت ، فسُمِّى اليوم بالسبت للفراغ الذى كان فيه ؛ ولأن الله تعالى أمر بنى إسرائيل فيه بالاستراحة من الأعمال ؛ قيل : وأصل السُّبات التمدُّد ؛ يقال : سَبَتَتِ المرأة شعْرَها إذا حلَّتْه من العقْص وأرسلته ، قال الشاعر :

وإنْ سبَتَتْهُ مالَ جَثْلًا كأنَّهُ ... سَدَى واهلاَتٍ مِن نواسِجِ خَثْعَمَا (١)

أراد : إن أرسلته .

ومنها أنْ يكون المراد بذلك القَطْع ؛ لأن السبْت القَطع ، والسبتُ أيضا الحلْق ؛ يقال: سَبتَ شعرَه سبْتاً إذا حلقَه ، وهو يرجع إلى معنى القطع ، والنعال السِّبْتيَّة التى لا شعْر عليها ؛ قال عنترة :

بَطَلٍ كأنَّ ثِيابَه فى سَرْحةٍ ... يُحْذَى نِعالَ السِّبتِ ليس بتوْءَمِ (٢)

(١) الجثل من الشعر : ما كثف واسود ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « شبه شعرها فى وقت الإرسال بسدى ثياب مسترخيات مرسلات . والنواسج : جمع ناسجة ، وخثعم: قبيلة » .

(٢) المعلقة : ١٩٩ ــ بشرح التبريزى، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « السرحة : شجرة طويلة ، يصفه بالطول . وأراد بقوله : « يحذى نعال السبت » أنه من الملوك ؛ لأن نعال السبت نعال الملوك . والسبت : شىء يشبه القرظ، تدبغ به النعال ؛ ووصفه بالشدة والقوة فى قوله: « ليس بتوءم »، لأنه إذا لم يكن معه توءم كان أقوى وأتم خلقه » .

[١١٢ ظ] / ويقال لكل أرض مرتفعة منقطعة ممَّا حولها : سَبْتَاء ، وجمعها سَبَاتَى ، فيكون المعنى على هذا الجواب : جعلنا نومَكم سُباتاً ، أى قَطْعاً لأعمالكم وتصرّفكم . ومَنْ أجاب بهذا الجواب يقول : إنما سمِّى يوم السبت بذلك لأنَّ بدءَ الخلْق كان يوم الأحد ؛ وجُمِع يومَ الجُمعة ، وقُطِعَ يوم السبت ، فترجع التسمية إلى معنى القطع .

وقد اختلف الناس فى ابتداء الخلْق فقال أهل التوراة : إنَّ الله تعالى ابتدأه فى يوم الأحد ، فكان الخلْق فى يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ، ثم فرغ فى يوم السبت ؛ وهذا قول أهل التوراة .

وقال آخرون : إن الابتداء كان فى يوم الاثنين إلى السبت ، وفرَغ فى يوم الأحد ؛ وهذا قول أهل الإنجيل .

فأما قول أهل الإسلام فهو أن ابتداء الخلق كان فى يوم السبت ، واتصل إلى الخميس ، وجُعِلت الجمعة عيداً ؛ فعلى هذا القول الأخير يمكن أن يُسمَّى اليوم بالسبت ، من حيث قُطِع فيه بعضُ خلق الأرض ، فقد روَى أبو هريرة عن النبى عليه السلام أنه قال: « إن الله تعالى خلَق التُّرْبَةَ[1] فى يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد » .

ومنها أن يكون المراد بذلك أنّا جعلنا نومكم سُباتاً ليس بموت ؛ لأن النائم قد يفقِد من علومه وقصوده وأحواله أشياءَ كثيرةً يفقدها الميت ؛ فأراد تعالى أن يمتنَّ علينا بأنْ جعل نومَنا الذى تُضاهى فيه بعضُ أحوالنا أحوالَ الميت ليس بموتٍ على الحقيقة ، ولا بمخرج لنا عن الحياة والإدراك ؛ فجعل التأكيدَ بذكر المصدر قائماً مقامَ نفىِ الموت ، وسادّا مَسدّ قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُم ﴾ ليس بموت .

ويمكن أن يكون فى الآية وجه آخر لم يُذكر فيها ، وهو أن السُّبات ليس هو كلّ نوم؛ وإنما هو من صفات النوم إذا وقع على بعض الوجوه ، و السُّبات هو النوم الممتد الطويل

(١) من نسخة بحاشيتى ت ، ف : « البرية » .

السكون[١] ، ولهذا يقال فيمن وُصِف بكثرة النوم إنه مَسبوت ، وبه سُبات؛ ولا يقال ذلك فى كلِّ نائم ، وإذا كان الأمر على هذا لم يجر قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً ﴾ مَجْرى أن يقول: وجعلنا نومكم نوماً .

والوجه فى الامتنان علينا بأن جعل نومَنا ممتداً طويلا ـ ظاهرٌ ، وهو لما فى ذلك لنا من المنفعة والراحة ؛ لأن التهويم والنوم الغِرار لا يَكْسِبان[٢] شيئا من الراحة ؛ بل يصحبهما فى الأكثر القَلق والانزعاج ، والهموم / هى التى تقلّل النوم وتُنَزِّره ، وفراغ القلب ورخاءُ [١١٣ و] البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده ؛ وهذا واضح .

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوّه : وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنبارىّ يطعَن على الجواب الذى ذكرناه أوّلا ، ويقول: إن ابن قتيبةَ أخطأ فى اعتماده ؛ لأنَّ الراحةَ لا يقال لها: سُباتٌ ، ولا يقال : سَبَتَ[٣] الرجل بمعنى استراح وأراح ، ويعتمِد على الجواب الذى ثنَّينا بذكره ، ويقول فيما استشهد به ابنُ قتيبة من قولهم سبَتتِ المرأةُ شَعْرها: إن معناه أيضاً القَطع، لأن ذلك إنما يكون بإزالة الشِّداد الذى كان مجموعاً به وقطعِه.

والمقدار الذى ذكره ابن الأنبارىّ لا يَقْدَح فى جواب ابن قتيبة ؛ لأنه لا يُنكَر أن يكون السباتُ هو الراحة والدّعة إذا كانتا عن نومٍ ، وإن لم توصَف كل راحةٍ بأنها سُبات، ويكون هذا الاسم يخصّ[٤] الراحة إذا كانت على هذا الوجه ؛ ولهذا نظائر كثيرة فى الأسماء ، وإذا أمكن ذلك لم يكن فى امتناع قولهم: سَبَت الرجل بمعنى استراح فى كل موضع دلالةٌ على أنَّ السُّبات لا يكون اسما للراحة عند النوم ؛ والذى يَبْقى على ابن قتيبة أن يبيِّن أن السباتَ هو الراحة والدّعة ، ويستشهد على ذلك بشعرٍ أو لغةٍ ، فإن البيت الذى ذكره يمكن أن يكون المراد به القطع دون التمدّد والاسترسال .

---

(١) حاشية ف (من نسخة) : « السكوت » . (٢) ت ، ف : « لا يكسبان » ، بضم الياء .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « سبت » ، بالبناء للمجهول .

(٤) من نسخة بحاشيتى ت ، ف : « يختص بالراحة » .

فإن قيل : فما الفرقُ بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذى ذكرتموه أخيراً ؟ قلنا : الفرق بينهما بَيِّن ، لأنَّ ابن قتيبة جعل السُّبات نفسَه راحةً ، وجعله عبارةً عنها ، وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدّد وغيره ، ونحن جعلنا السُّبات من صفات النوم ، والراحة واقعةٌ عنده للامتداد وطول السكون فيه ؛ فلا يلزمنا أن يقال : سَبَتَ الرجل بمعنى استراح ؛ لأنَّ الشيء لا يسمَّى بما يقع عنده حقيقة، والاستراحة تقع على جوابنا عند السُّبات[1]، وليس السبات إياها بعينها ؛ على أن فى الجواب الذى اختاره ابنُ الأنبارىّ ضرباً من الكلام ؛ لأن السَّبْت وإن كان القطع على ما ذكره فلم يُسْمَع فيه البناء الذى ذكره وهو السُّبات ، ويحتاج فى إثبات مثل هذا البناء إلى سَمْعٍ[2] عن أهل اللغة ، وقد كان يجب أن يورِد من أىّ وجه؛ إذا كان السبت هو القطعُ جاز أن يقال سُبات على هذا المعنى ؛ ولم نَرَه فعل / ذلك . [١١٣ ظ]

تأويل خبر

إن قال قائل: ما تأويل الخبر الذى روِى عن النبى صلى الله عليه وآله: «إنَّ الميت لَيُعذَّب ببكاء الحىّ عليه »، وفى رواية أخرى : « إن الميت يعذَّب فى قبره بالنِّياحة عليه »، وقد روَى هذا المعنى المغيرة بن شُعْبة أيضا فقال : سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول : « مَنْ نِيحَ عليه فإنَّه يعذَّب بما نِيحَ عليه » .

الجواب ، إنَّا إذا كنا قد علمنا بأدلة العقل التى لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبحَ مؤاخذة أحد بذنب غيره ، وعلمنا أيضا ذلك بأدلة السمع مثل قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾؛ [الأنعام : ١٦٤] ، فلا بدّ أن نَصرف ما ظاهره بخلاف هذه الأدلة إلى مايطابقها .

والمعنى فى الأخبار التى سئلنا عنها ــ إن صحّت روايتُها ــ أنه إذا أوصى مُوصٍ بأن يناح

(١) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « قال ابن دريد : السبات : السكون ؛ والرجل مسبوت ؛ وقال الجوهرى : السبت والسبات : السكون والراحة ؛ وقد سبت يسبت، بالضم ».

(٢) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « سماع » .

عليه ففعل ذلك بأمره وعن إذنه فإنّه يعذَّب بالنياحة عليه؛ وليس معنى يعذَّب بها أنه يؤاخذ بفعل النُّواح ، وإنما معناه أن يؤاخذ بأمره بها ووصيته بفعلها ، وإنما قال صلى الله عليه وآله ذلك لأنَّ الجاهلية كانوا يرَوْن البكاء عليهم والنوح فيأمرون به ، ويؤكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم ؛ قال طرَفة بن العبد :

فإنْ مُتُّ فانعِيني بما أنا أهلُهُ ... وشُقِّى علىَّ الجيبَ يا أُمَّ مَعْبَدِ[1]

وقال بِشرُ بن أبى خازم لابنته عُمَيْرَةَ[2] :

فمَنْ يَكُ سائِلاً عن بيتِ بِشْرٍ ... فإنَّ له بجَنْبِ الرَّدْهِ بابا[3]

ثَوَى فى مُلْحَدٍ لاَ بُدَّ منهُ ... كَفَى بالمَوْتِ نَأْيًا وَاغْتِرابا[4]

رَهِينُ بِلًى وكلُّ فتًى سَيَبْلَى ... فأَذْرِى الدَّمْعَ وانتَحِبى انْتِحابا

وقد روى عن ابن عباس فى هذا الخبر أنه قال : وهَلَ[5] ابنُ عمر ، إنما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله على يهودىٍّ فقال : « إنكُم لَتبكون عليه ، وإنه لَيعذَّب فى قبره » . وقد رُوِىَ إنكار هذا الخبر أيضا عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وآله، وأنها قالت لما أخبرت بروايته : وَهَلَ أبو عبد الرحمن كما وَهَلَ يوم قَلِيب بدر ، إنما قال عليه السلام: « إن أهلَ الميت لَيبكون عليه ، وإنه لَيعذب بجُرْمه »/ [١١٤ و]

---

(١) المعلقة ٩٦ — بشرح التبريزى . والرواية فيها :

* وَشُقِّى عَلَىَّ الجيْبَ ياابنة مَعْبَدِ *

(٢) مختارات ابن الشجرى ٢ : ٣٢ ؛ من قصيدة قالها وهو يجود بنفسه بعد أن طعنه غلام من بنى وائلة بسهم فأثخنه ، ومطلعها :

أَسائِلةٌ عُمَيْرَةُ عن أَبيها ... خِلاَلَ الْجَيْشِ تَعْتَرِفُ الرِّكَابا

(٣) الرده : جمع ردهة ؛ وهى نقرة فى صخرة يستنقع فيها الماء . (٤) فى مختارات ابن الشجرى : « هوى فى ملحد » . (٥) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « قال أبو زيد : وهلت [بكسر الهاء] فى الشىء وعنه أوهل وهلا [بفتحتين] إذا غلطت فيه ، ووهلت [بفتح الهاء] إلى الشىء أهل وهلا [بسكون الهاء] إذا ذهب وهمك إليه ، ووهلت [بكسر الهاء] أوهل وهلا [بفتحتين] : فزعت » .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه : معنى « وَهَلَ » أى ذهب وهمه إلى غير الصواب ، يقال وَهِلْتُ إلى الشيء فأنا أهِلُ وَهَلا إذا ذهب وهمك إليه ، ووهَلْتُ عنه أهِلُ وهْلًا ، أى نسيته وغلطت فيه ، ووهِل الرجل يَوْهَل وهَلًا إذا فزِعَ . والوهَل : الفزع .

فأما « القَلِيبُ » فهى البئر ، والجمع القُلُب ، قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين :

يُنادِيهم رَسُولُ الله لمـا ... قَذَفْنَاهُمْ كَبَاكِبَ فى القَلِيبِ[1]
ألم تَجِدُوا حَدِيثى كانَ حَقًّا ... وأمْرُ اللهِ يأْخُـذُ بالقُلُوبِ

وقال آخر يبكى على قتلى بدرٍ من المشركين :

فماذَا بالقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ ... مِنَ القَيْنَاتِ والشَّرْبِ الكِرامِ[2]
وماذَا بالقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ ... مِنَ الشِّيزَى يُكَلَّلُ بالسَّنامِ[3]

ومعنى وَهَلِه فى ذكر القَلِيب أنه روى أن النبى صلى الله عليه وآله وقف على قَلِيب بدر فقال : « هل وجدتم ما وعد ربُّكم حقًّا » ؟ ثم قال : « إنهم لَيسمعون ما أقول » ، فأنكر ذلك عليه ؛ وقيل إنما قال عليه السلام : « إنهم الآن ليعلمون أنَّ الذى كنت أقول لهم هو الحق » ، واستشهد بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ ؛ [النمل : ٨٠] . وأهلُ القليب جماعة من قُرَيش ؛ منهم عُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وغيرهم .

وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم قائمًا يصلِّى بمكة وأُناس من قريش فى حَلْقة ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فقال : ما يمنع أحدَكم أن يأتى الجَزور التى نَحَرها آل فلان ، فيأخذ سَلَاها ثم يأتى به حتى إذا سجد وضعه على ظهره ؟ قال عبد الله : فانبعث أشقى القوم ـ وأنا أنظر إليـه ـ فجاء به حتى وضعه على ظهره ، قال عبد الله : فلو كانت لى يومئذ مَنَعة لمنعته . وجاءتْ فاطمة عليها السلام عليه ، وهى يومئذ صبية حتى أماطتْه عن ظهر أبيها ثم جاءت حتى قامتْ على رءوسهم فأوسعتهم شتمًا ، قال : فوالله لقد رأيتُ بعضهم يضحك ، حتى إنه لَيطرح نفسَه على صاحبه من الضحك ، فلما

(١) ديوانه : ١١ـ١٢ . الكباكب : الجماعات . (٢) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « من الفتيان » . (٣) الشيزى : شجر عظيم يتخذ منه الجفان ، وهو الآبنوس .

[١١٤ ظ] سلّم النبي صلى الله عليه وآله أقبل على القوم فقال: « اللهمّ عليك بفلان وفلان »، فلما رأوا النبي صلى الله عليه وآله قد دعا عليهم أسقِط فى أيديهم، فو الله الذى لا إله غيره ماسمَّى النبي صلى الله عليه وآله يومئذ أحداً إلاّ وقد رأيته يوم بدر، وقد أُخِذَ برجْله يُجَرّ إلى القَليب مقتولا.

وقوله: « فيأخذ سَلَاها » أى جِلْدتها التى فيها ولدُها مادام فى بطنها، والجميع[1] الأسلاء؛ وقال ابن حبيب[2]: الأسلاء التى فيها الأولاد، قال الأخطل:

وَيَطْرَحْنَ بالثَّغْرِ السِّخالَ كأنَّما ... يُشَقِّقْنَ بالأسلاءِ أرديةَ العَصْبِ[3]

وقال الشَّماخ:

والعِيسُ دَامِيةُ المَنَاسِمِ ضُمَّرٌ ... يَقْذِفْنَ بالأسلاءِ تحتَ الأرْكُبِ[4]

قال الفرّاء. سُقِط فى أيديهم من الندامة، وأسقِط لغتان، وهى بغير ألف أكثر وأجود.

ويمكن أن يكون فى قوله: « يعذَّب ببكاء أهله عليه » وجه آخر؛ وهو أن يكون المعنى أن الله تعالى إذا أعلمه ببكاء أهله وأعزّائه عليه وما لحقهم بعده من الحزن والهمّ تألم بذلك؛ فكان عذاباً له؛ والعذاب ليس بجارٍ مَجْرى العقاب الذى لايكون إلاّ على ذَنْب متقدِّم؛ بل قد يُستعمَل كثيراً بحيث يستعمل الألم والضرر؛ ألا تَرَى أنّ القائلَ قد يقول لمن ابتدأه بالضرر والألم: قد عذَّبْتنى بكذا وكذا؛ كما يقول: أضررتَ بى وآلمتنى؛ وإنما لم يُستعمل العقاب حقيقة فى الآلام المبتدأة من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة، التى لا بد من تقدم سبب لها، وليس هذا فى العذاب.

---

(١) ف: « الجمع ».

(٢) حواشى الأصل، ت، ف: « محمد بن حبيب اللغوىّ، وحبيب أمه؛ وكان ولد ملاعنة فلا ينسب إلى أبيه ».

(٣) ديوانه: ٢٠، وفى حاشيتى الأصل، ف: الثغر: موضع المخافة؛ ويمكن أن يريد به هاهنا موضعا بعينه؛ يصف الإبل بالكد والجهد؛ حتى طرحت أولادها وأسلاءها مشقوقة؛ وشبه الأسلاء فى حال انشقاقها عن السخال بأرديه من برود اليمن ».

(٤) لم يرد البيت فى ديوانه وفى حاشيتى الأصل، ف: « العيس: الإبل البيض. والمناسم: مقدمة الخف. والأركب: جمع ركب، والركب: جمع ركبة؛ ويمكن أن تكون الأركب بمعنى الركبان ».

تأويل خبر آخر

إن سأل سائل عن الخبر الذى يَرويه أبو هريرة عن النبى عليه السلام أنه قال : « ما مِنْ أحد يُدْخِلُه عملُه الجنة ، ويُنْجيه من النار »، قيل : ولا أنتَ يارسولَ الله ؟ قال : « ولا أنا ؛ إلاّ أن يتغمّدَنى الله برحمةٍ منه وفضل » ، يقولها ثلاثا .

فقال: أوَليس فى هذا دلالة على أنّ الله تعالى يتفضّل بالثواب ، وأنه غيرُ مستحَق عليه ؟ ومذهبكم بخلاف ذلك .

الجواب ، قلنا : فائدة الخبر ومعناه بيانُ فَقْرِ المكلَّفين إلى الله تعالى ، وحاجتُهم إلى ألْطافِه وتوفيقاته ومعوناته ، وأنّ العبدَ لو أُخرِج إلى نفسه ، وقطع الله تعالى موادَّ المعونة والّلطف عنه لم يدخلْ / [١١٥ و] بعملِه الجنة ، ولا نجا من النار؛ فكأنه عليه السلام أراد أنّ أحداً لايدخلُ الجنة بعمله الذى لم يُعِنْه الله تعالى عليه ، ولا لَطَف له فيه ، ولا أرشدَه إليه ؛ وهذا هو الحق الذى لاشبهةَ فيه ؛ فأما الثواب فما نأبى القولَ بأنه تفضّل؛ بمعنى أنّ الله تعالى تفضّل بسببه الذى هو التكليف، ولهذا نقول: إنه لايجب على الله تعالى شىء ابتداء ، وإنما يجب عليه ماأوجبَه على نفسه ، فالثواب مما كان أوجبه على نفسه بالتكليف؛ وكذلك التمكين والإلطاف، وكل مايجلبه ويوجبه التكليف، ولولا إيجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب.

فإن قيل: فقد سمى الرسول ما يُفعَل به فضلا فقال : « إلاّ أنْ يتغمّدَنى الله برحمةٍ منه وفضل »، قلنا هذا يطابق ماذكرناه ، لأنَّ الرحمة النعمة والثواب نعمة ، وهو يُفَضَّل من الوجه الذى ذكرناه ، وإن حملنا قوله عليه السلام : « برحمة منه وفضل » على ما يُفْعَل به من الألطاف والمعونات فهى أيضاً فَضْل وتفضُّل لأنّ سببها غير واجب .

فأما قوله عليه الصلاة والسلام : « يتغمدنى » فمعناه يسترنى ، يقال غمدت السيف فى غِمْده إذا سترتُه ، قال الشاعر : هو ابن مقبل كما فى المعانى الكبير ٢/١١٠٢ وديوانه ص ٦٨

نَصَبْنَا رِماحاً فوْقَها جَدُّ عامِرٍ ... كظِلِّ السَّماءِ ، كلَّ أرْضٍ تغمّدَا

فالجَدّ هاهنا : الحظ ، وشبّه ماقُسِم لعامر من الغَلبة والظفر بظلّ السماء الذي يستُرُ كلَّ شيء ، ويظهر عليه .

* * *

أخبرنا أبو القاسم عُبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جَنيقا قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحَكيمى قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوىّ قال أخبرنا ابنُ الأعرابى قال: يقال للقوم إذا دعوتَ عليهم : بَهَرَهُم الله، والمبهور هو المكروب ، وأنشدنا :

أَبرَزُوها مِثْلَ المَهاةِ تَهادَى ... بيْنَ خَمْسٍ كَواعِبٍ أَتْرَابِ (١)

ثُمَّ قالوا : تحبُّها ؟ قلتُ : بَهْرًا ... عددَ الرَّمْلِ والحَصَى والتُّرابِ (٢)

قال سيدنا أدام الله أيامه : وقد قيل فى معنى قوله: « بَهْرًا » غير هذا الوجه .

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانىّ قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنا القاسم بن إسماعيل / قال حدثنا التَّوزىُّ عن أبى عمْرو الأسدىّ قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: عمر [١١٥ ط] ابن إبى ربيعة حجّة فى العربية ، وما أُخذ عليه شيء إلا قوله :

* ثم قالوا : تحبها ؟ قلت: بَهْرًا *

وله فيه عذر إن أراد الخبرَ لا الاستفهام ، كأنهم قالوا : أنت تحبها؛ على وجه الإخبار منهم لا الاستفهام ، فوكّد هو إخبارَهم بجوابه ، فهذا حسن . و« بَهْرًا » يجوز أن يكون أراد: نعم حبًّا بَهرنى بَهْرًا ، ويكون أيضاً بمعنى «عَقْراً وتَعْساً» ، دعاء عليهم إذ جهلوا من حبّه لها مالا يُجْهل مثله ، وأنشد أبو عمرو :

---

(١) من قصيدة فى الديوان، مطلعها :

قال لى صاحبى لِيَعْلَمَ مابى: ... أَتُحِب القتول أُختَ الرباب؟

(٢) ف، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ت : «عدد القطر» ، وفى الديوان: «عدد النجم» . و«بهرا» : مصدر بمعنى الغلبة ؛ وكأنه قال : غلبنى حبها واستولى علىّ .

أحَا اللهُ قومى إذْ يَبيعون مُهْجَتى ... بجارِيَةٍ ، بَهْرًا لهم بَعْدَها بَهْرًا[١]

قال أبو عمرو : ويكون « بهراً » بمعنى « ظاهراً » ؛ يريد حباً ظاهراً ، من قولهم : قمرٌ باهرٌ .
وقد روى بعض الرواة أنه قال :

* قيل لى : هل تحبها ؟ قلت : بهراً *

والرواية الأولى هى المشهورة ، ولعلّ مَن روى ذلك فرّ بهذه الرواية من اللَّحْن .
وهذان البيتان لعمر بن أبى ربيعة المخزومىّ ، من جملة أبيات منها :

مَنْ رَسُولى إلى الثُّرَيَّا بأنى ... ضِقْتُ ذَرْعًا بهَجْرِها والكِتابِ[٢]
وهْىَ مَكْنونةٌ تَحَيَّرَ مِنْها ... فى أدِيمِ الخدَّيْنِ ماءُ الشَّبابِ
سَلَبَتْنى مُجاجةُ المِسْكِ عَقْلِى ... فَسَلُوها بما يَحِلُّ اغتصابى
أَزْهَقَتْ[٣] أمُّ نوفلٍ إذْ دَعَتْها ... مُهْجَتى ، ما لِقاتلى مِنْ مَتابِ
حينَ قالتْ لها : أجيبى ، فقالتْ : ... مَن دَعانى ؟ قالتْ : أبو الخَطَّابِ
أبرَزُوها مِثلَ المَهاةِ تَهادَى ... بيْنَ خَمْسٍ كواعِبٍ أتْرابِ
ثمَّ قالوا : تُحِبُّها ؟ قلت : بَهْرًا ... عددَ القطرِ والحَصَى والتُّرابِ

والثريَّا هى التى عَناها عُمر أمويّة ، وقد اختلف فى نسبها ، فقيل : إنها الثريَّا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . أبو عبد شمس ، وقيل : إنها الثريّا بنت علىّ بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وذكر الزبير بن بكّار أن الثريا هى بنت عبد الله بن محمد

(١) البيت لابن ميادة ، وهو فى اللسان (بهر) ، والرواية فيه :

* تَفاقَدَ قَوْمِى إذْ يبيعُون مُهْجَتى *

وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « قوله : « بهرا لهم بعدها بهرا » يجوز أن يكون الضمير ف « بعدها » للجارية ؛ ويكون قد كرر « بهرا » ، ويجوز أن يكون الضمير « لبهرا » الأولى ؛ أى بهرا لهم بعدها بهراً ؛ وإنما أنث لأنها كلمة ، وتكون الجملة التى هى « بعدها بهرا » فى موضع الصفة لبهرا الأولى ، ويجوز أن يكون الضمير للفعلة ؛ أى البيعة » . (٢) فى حاشيتى ت ، ف : « أى امتناعها من الكتاب إلى ، وقيل : هو يحلف بالمصحف » . (٣) ت ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « أزهقت » .

ابن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وأمها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبى جراب العَبْلى[(١)] الذى قتله داود بن علىّ .

[١١٦ و] وأخبرنا أبو عُبيد الله قال حدثنى محمـد بن عبد الله[(٢)] قال حدثنا أحمد بن يحيى عن الزُّبير بن بكّار قال حدثنى موسى بن عمر بن الأفلح قال : أخبرنى بلال، مولى ابن أبى عتيق فى حديث طويل لعمر بن أبى ربيعة مع الثريَّا اختصرناه وأوردنا بعضه قال : لما سَمِع ابنُ أبى عتيق قول عمر :

* مَن رسولى إلى الثريَّا بأنّى *

قال : إياى أراد : وبى نوَّه ، لا جرم ! والله لا أذوق أَكالا حتى أُشخَص إليه لأُصلِح بينهما ، فنهض ونهضتُ معه، فجاء قوماً من بنى الدِّيل بن بكر، لم تَـكن النجائبُ تفارقهم يُـكرونها فاكْترى منهم راحلتين ، وأغلى لهم بهما ، فقلت له : استوضِعْهم شيئاً ، أو دَعْنى أما كِسْهم فقد اشتطُّوا ، فقال لى : ويحَك! أما عِلمت أن المِكاس ليس من خُلُق الـكرام! وركب إحداهما ، وركبت الأخرى ، فسار سيراً شديدا ، فقلت له . ارفُق على نفسك ، فإنّ ما تريد لا يفوتك ، فقال : ويحك !

* أبادر حَبْل الود أن يتقضّبا *

وما مِلْح الدنيا إن يَتِمَّ الصَّدْع بين عُمر والثُّريا ! فقدمنا مكة ليلا غير محرِمَيْن ، فدق على عمرَ بابه ، فخرج إليه فسلّم عليه ، فما نزل ابنُ أبى عتيق عن راحلته ، وقال لعمر : اركب أُصلِحْ بينك وبين الثريَّا ، فأنا رسولك الذى سألت عنه ، فركب معه ، فقدمنا الطائف ، فقال ابنُ أبى عتيق للثريَّا : هذا عمر ، قد جَشَّمنى إليك سفر المدينة ، فجئتك به ، معترفاً بذنب لم يَجْنِه ، معتذراً من إساءتك إليه ، فدعينى من التَّمْداد والتَّرْداد ، فإنه من الشعراء الذين يقولون مالا يفعلون؛ فصالحتْه أحسن صُلْحٍ ، وكررنا راجعين إلى المدينة ، ولم يُقِم ابن أبى عتيق بمكة ساعة واحدة.

(١) فى حاشيتى ت ، ف : « عبلة : اسم جارية ؛ وأمية الصغرى ، وهم حى من قريش ؛ يقال لهم : العبلات ؛ بالتحريك ، والنسبة إليهم عبلى [بسكون الباء] رداً إلى الواحد لأن أمهم عبلة » .

(٢) ت : « محمد بن إبراهيم » ؛ وهو من رواة المرزبانى أيضا ، وانظر الموشح : ٤٥ .

وفى الثريا يقول عمر أيضاً لما تزوَّجها سُهَيْل بن عبد الرحمن بن عوف؛ المكتنى بأبى الأبيض ، وقيل بل تزوَّجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان :

أيُّها المُنْكِحُ الثُّريَّا سُهَيلًا   عَمْرَكَ اللهَ كيفَ يَلْتقيانِ ![1]
هيَ شاميَّةٌ إذا ما استقلَّتْ   وسُهَيلٌ إذا استقلَّ يمانى

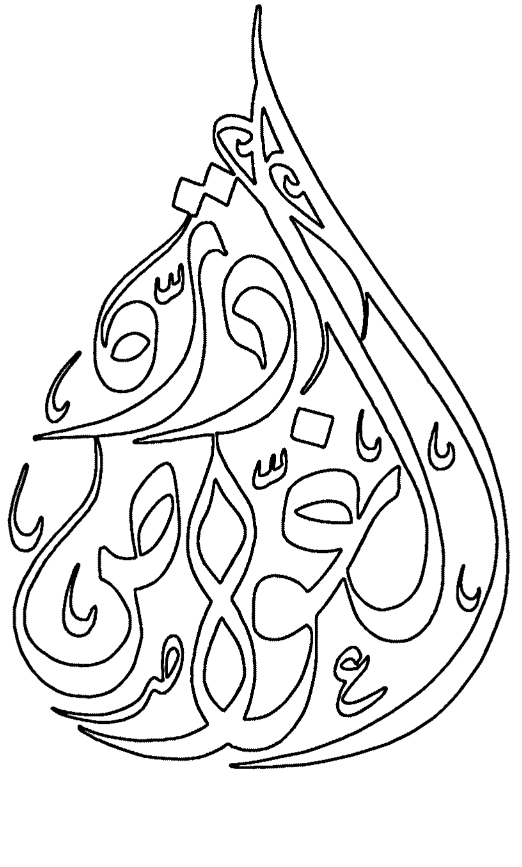

(١) ديوانه : ٤٩٥ .

مجلس آخر ٢٦

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ ؛ [طه : ٧٨] .

فقال: ما الفائدة فى قوله: ﴿ مَا غَشِيَهُمْ ﴾، وقوله: ﴿ غَشِيَهُمْ ﴾ يدل عليه ، ويُستغنى به عنه ، لأن ﴿ غَشِيَهُمْ ﴾ لا يكون إلّا الذى غشيهم ، وما الوجه فى ذلك ؟

قلنا : قد ذكر / فى هذا أجوبة : [١١٦ ظ]

أحدُها أن يكون المعنى : فغشيَهم من اليمّ البعضُ الذى غَشِيَهم ، لأنه لم يغشَهم جميعُ مائه ، بل غشيَهم بعضُه، فقال تعالى: ﴿ مَا غَشِيَهُمْ ﴾؛ ليدل على أنّ الذى غرّقهم بعضُ الماء ، وأنّهم لم يغرَقوا بجميعه ؛ وهذا الوجه حُكِى عن الفرّاء ، وذكره أبو بكر الأنبارىّ، واعتمده، وغيره أوضح منه .

واليم هو البحر ، قال الشاعر :

وبَنَى تُبّعٌ على اليمِّ قصْرًا ... عاليًا مُشْرِفًا على البُنْيانِ

وثانيها أن يكون المعنى: فغشيَهم من اليم ما غَشِى موسى وأصحابَه ؛ وذلك أن موسى عليه السلام وأصحابَه، وفرعون وأصحابَه سلكوا جميعًا البحر، وغشيهم كلَّهم؛ إلّا أنّ فِرعون وقومه لمّا غشيهم غرّقهم ، وموسى عليه السلام وقومُه جُعِلَ لهم فى البحر طريق يَبَس ، فقال تعالى: فَغَشِى فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ من ماء اليم ما غشِى موسى وقومه ، فنجا هؤلاء ، وهلَك هؤلاء . وعلى هذا الوجه والتأويل تكون الهاء فى قوله : ﴿ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ كناية عن غير مَنْ كنّى عنه بقوله: ﴿ فَغَشِيَهُمْ ﴾؛ لأن الأولى كنايةٌ عن فِرْعون وقومه ، والثانية كناية عن موسى وقومه .

وثالثها أنه غشيَهم من عذاب اليمّ وإهلاكه لهم ما غَشِىَ الأمم السالفة من العذاب

والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم ، وإقامتهم على ردّ أقوالهم والعدول عن إرشادهم ، والأمم السالفة؛ وإن لم يغشَهم العذاب والإهلاك من قِبَل البحر، فقد غشيَهم عذابٌ وإهلاك استحقوهما بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم ، فشبَّه بينه وبين هؤلاء من حيث اشتمالُ العذاب على جميعهم عقوبةً على التكذيب .

ورابعها أن يكون المعنى: فغشيَهم من قِبَل اليم ما غشيَهم من العطَب والهلاك ؛ فتكون لفظة ﴿ غَشِيَهُمْ ﴾ الأولى للبحر والثانية للهلاك والعطب اللذَيْن لحقاهم من قبل البحر .

ويمكن فى الآية وجه آخر لم يُذكر فيها، يليق بمذاهب العرب فى استعمال مثل هذا اللفظ، وهو أن تكون الفائدة فى قوله تعالى: ﴿ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ تعظيمَ الأمر وتفخيمَه ؛ كما يقول القائل: فعل فلانٌ ما فعل ، وأقدم على ما أقدم ، إذا أراد التفخيم وكما قال تعالى: ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ ﴾ ؛ [الشعراء: ١٩] ، وما يجرى / هذا المجرى ؛ ويدخل فى هذا الباب قولهم [١١٧ و] للرجل : هذا هذا، وأنت أنت . وفى القوم : هم هم ؛ قال الهذلى(١) :

رَفَوْنى وقالوا : يا خُوَيْلِدُ لا تُرَعْ فقلتُ ،وأنكَرْتُ الوُجوهَ: هُمُ هُمُ(٢)

وقال أبو النجم :

* أنا أبو النَّجْمِ ، وشِعْرِى شِعْرِى(٣) *

كل ذلك أرادوا تعظيمَ الأمر وتكبيرَه :

---

(١) هو أبو خراش الهذلى . (٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٤٤ . ورفونى : سكنونى ، وأصلها : « رفئونى » ، بالهمز . (٣) معاهد التنصيص ، وبعده :

* للهِ درِّى ما يُجِنُّ صَدْرِى *

تأويل آية أخرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ؛ [النحل : ٢٦] فقال : ماالفائدةفي قوله: ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ؛ وهو لا يفيد إلا مايفيده قوله: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ ﴾؛ لأنَّ مع الاقتصار على القول الأول لا يذهب وَهْمُ أحدٍ إلى أن السقف يخِرُّ من تحتهم ؟

الجواب ، قيل له فى ذلك أجوبة :

أولُها : أن يكون « على » بمعنى «عَنْ» ، فيكون المعنى : فخرّ عنهم السقفُ من فوقهم ؛ أى خرّ عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته ، كما يقول القائل : اشتكى فلان عن دواء شرِبه ، وعلى دواء شرِبه ، فيكون « على » و «عن» بمعنى من أجل الدّواء ؛ كذلك يكون معنى الآية فخرّ من أجل كفرهم السَّقْفُ من فوقهم ؛ قال الشاعر :

أرْمِي عليها وهىَ فرْعٌ أجْمَعْ ... وهْىَ ثلاثُ أذْرُعٍ وإصْبَعْ

أراد : أرمِى عنها ؛ لأن كلام العرب: رميت عن القوس ، فأقام «على» مقام «عن»، ولو أنه قال تعالى على هذا المعنى : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ ﴾، ولم يقل ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ جاز أن يتوهمَ متوهمٌ أن السقفَ خرَّ وليس هُمْ تحته.

وثانيها : أن يكون «على» بمعنى اللام ؛ والمراد : فخر لهم السقف ؛ فإن «على» قد تقام مقام اللام ؛ وحكى عن العرب : ما أغيظك علىَّ ! وما أغمّك علىَّ ! يريدون : ما أغيظك ، وما أغمّك لى ! ، قال الطِّرِمّاح يصف ناقة :

كأنَّ مُخوّاها على ثَفِناتِها ... مُعرّسُ خمْسٍ وُقِّعَتْ للجناجِنِ[1]

(١) ديوانه: ١٦٨ . يقال : خوى البعير ؛ إذا تجافى فى بروكه ومكن لثفناته ، والثفنات : جمع ثفنة ؛ وهو من البعير ركبته، ومامس الأرض من كركرته وأصول أفخاذه ، والمعرس: محل التعريس ، وهو النزول =

أراد: وُقِعتْ على الجناجن ؛ وهى عظام الصدر ، فأقام اللام مقام «على».

وقد يقول القائل أيضا : تداعتْ على فلان دارُه ، واستهدم عليه حائطُه ، ولا يريد أنه كان تحته ؛ فأخبر تعالى بقـوله : ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ عن فائدةٍ ؛ لولاه ما فهمت. ولا جاز أنْ يتوهَّمَ مُتوهِّم فى قوله تعالى : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ ﴾ ما يتوهمه من قوله : خرِب عليهِ رَبعُه ، ووقفتْ عليه دابتُه ، وأشباه ذلك.

[١١٧ ظ] وللعرب فى هذا مذهب ظريف لطيف ؛ / لأنهم لا يستعملون لفظة «على» فى مثل هذا الموضع إلا فى الشرّ والأمر المكروه الضارّ ، ويستعملون اللام وغيرها فى خلاف ذلك ؛ ألا ترى أنهم لا يقولون : عَمَرَتْ على فلان ضيعتُه، بدلا من قولهم : خرِبت عليه ضيعته ، ولا ولدَت عليه جاريتُه ؛ بل يقولون : عَمرَت له ضيعته ، وولدت له جاريته ؛ وهكذا من شأنهم إذا قالوا : «قال علىّ» ؛ و «روَى علىّ» ؛ فإنه يقال فى الشرِّ والكذب ، وفى الخير والحق ؛ يقولون : «قال عنِّى» و «روَى عنِّى» ؛ ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ؛ [البقرة : ١٠٢] ، لأنهم لما أضافوا الشرّ والكفْر إلى مُلك سليمان حَسُنَ أن يقال: « يتلونَ عليه » ، ولو كان خيرا لقيل عنــه ، ومثله ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ [آل عمران : ٧٥] ، وقـوله : ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴾ ، [يونس : ٦٨] ؛ وقال الشاعر[1] :

عَرَضْتُ نَصيحةً مِنّى لِيَحْيَى   فقال : غَشَشْتَنى، والنُّصْحُ[2] مُرُّ
ومابى أنْ أكونَ أعيبُ يَحيى   ويَحيَى طاهِرُ الأخلاقِ برُّ

=آخر الليل. وفى حاشية الأصل: « يعنى كأن تجاوف أعضائها المتجافية عند البروك معرس خمس أنوق »؛ والبيت برواية القالى (الأمالى ٣ : ١٦٥) :

لَهَا ثَفِنَاتٌ تَحْتَهَا وَقِصَارُهَا   عَلَى مَشْرَةٍ لم تَعْتَلِقْ بالمُحاجِنِ

(١) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « كان رجل من بنى حنيفة يقال له يحيى ، يجىء إلى امرأة يقال لها بقعاء فى قرية من قرى اليمامة ، فنهاه ابن أرطاة الأعرجى عنها، فلم يقبل إلى أن رصد فجرح ، فقال الأعرجى: عرضت ... الأبيات». (٢) الأبيات فى الكامل ١ : ١٥٨ — بشرح المرصفى .

ولـكِنْ قدْ أتانى أنَّ يَحيى ... يقالُ عليهِ فى بَقْعاءَ شَرٌّ[1]
فقلتُ لهُ : تجنَّبْ كلَّ شئٍ ... يُعابُ عليكَ ، إنَّ الحُرَّ حُرُّ

ومثله قول الفرزدق فى عَنْبَسة بن مَعْدان المعروف بعنبسةَ الفيل ـ وقد كان يَتَتبَّعُ شعره ويخطِّئه ويلحِّنه :

لقدْ كانَ فى مَعْدانَ والفِيلِ زاجرٌ ... لِعنبَسَةَ الراوِى علىَّ القصَائِدَا

فقال : « علىَّ » ولم يقل : « عنِّى » للمعنى الذى ذكرناه .

وثالث الوجوه أن يكون ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ تأكيداً للكلام وزيادة فى البيان ، كما قال تعالى : ﴿وَلَـكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فى الصُّدُورِ﴾ ؛ [الحج : ٤٦] ، والقلب لا يكون إلّا فى الصدر ؛ ونظائرُ ذلك فى الكتاب وكلام العرب كثيرة[2] .

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « بقعاء فى البيت : اسم امرأة . وبقعاء : ماء بالبادية ، قالت امرأة من العرب :

وَمَنْ يُهْدِ لِى مِنْ مَاءِ بَقْعَاءَ شَرْبةً ... فإنّ له من ماءِ لِينةَ أرْبعَا
لَقَدْ زَادَنِى حُبًّا لِبَقْعَاءَ أنَّنِى ... رأيتُ مطايانَا بِلِينةَ ظُلَّعَا
فمَنْ مُبْلِغٌ أُخْتىَّ بالرَّمْلِ أنَّنِى ... بَكَيْتُ فلَمْ أتْرُكْ بِعَيْنَىَّ مَدْمعَا !

ـ بقعاء ماؤها زعاق ، وماء لينة عذب ، وإنما تشكو لينة؛ لأن زوجها حملها إليها وهو عنين ، فذلك قولها :

* رأيْتُ مَطايانــا بِلِينةَ ظُلَّعاً *

ومثله :

تَظَلُّ المطايا حائداتٍ عن الهُدَى ... إذَا ماالمطايا لم تَجِدْ مَنْ يُقيمُهَا

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « من ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ ، وقوله عزمن قائل : ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِى الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ، تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ .

تأويل خبر

إن سأل سائل عن الخبر الذى يَرويه نافعٌ عن أبى إسحاق الهَجَرِىّ عن أبى الأحوَص، عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله أنّه قال : « إنّ هـذا القرآن مأدُبة الله، فتعلَّمُوا مأدُبتَه ما استطعتم ؛ وإنّ أصْفرَ البيوت لَجَوْفٌ[١] أصفرَ من كتاب الله تعالى »

فقال : ما تأويلُه ؟ وكيف بيان غريبه ؟ .

[١١٨ و] الجواب ؛ قلنا : المأدُبة فى كلام العرب هى الطعام ، يصنعه[٢] الرجلُ ويدعو / الناس إليه ؛ فشبه النبىّ صلى الله عليه وآله ما يكتسِبه الإنسانُ من خيرِ القرآن ونفعه وعائدته عليه إذا قرأه وحفِظه؛ بما يناله المدعوّ من طعام الداعى وانتفاعه به ؛ يقال : قد أَدَبَ الرجلُ يأدِبُ فهوآدب ؛ إذا دعا الناسَ إلى طعامه . ويقال للمأدُبة المدْعاة ؛ وذكر الأحمر أنه يقال فيها أيضا: مأدَبة ، بفتح الدال ؛ قال طرَفة :

نحْنُ فى المَشْتاةِ ندْعو الجَفَلَى ... لا تَرَى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ[٣]

ومعنى « الجَفَلَى » أنه عَمَّ بدعوته ولم يَخُصَّ بها قوماً دون قوم ، والنَّقَرى إذا خصَّ بها بعضاً دون بعض ، ومعنى « ينتقر » من النَّقَرَى ؛ قال بعض هُذَيل :

ولَيلةٍ يَصْطَلى بالفَرْثِ جازِرُها ... يَخْتَصُّ بالنَّقَرَى المثْرِينَ دَاعِيها[٤]

لا يَنْبحُ الـكلْبُ فِيها غيْرَ واحِدَةٍ ... عِنْدَ الصَّباحِ ولا تَسْرى أَفاعِيها

معنى « يَصْطَلِى بالفرث جازِرُها » أن الجازِرَ إذا شقَّ فيها الـكَرِش أدخلَ يدَه لشدّة البرد فى الفرث مستدفئاً به . ومعنى : « يختصّ بالنَّقَرَى المثرين داعيها » ؛ أنه يخصُّ بدعائِه إلى طعامه الأغنياءَ الذين يطمع من جهتهم فى المـكافأة ، وقال الآخر :

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « لبيت » . (٢) ت : « يضمه » .

(٣) ديوانه : ٦٨ (٤) البيتان من مقطوعة فى (ديوان الهذليين ٣ : ١٢٦) ، منسوبة إلى جنوب فى رثاء أخيها عمرو ذى الـكلب .

قَالوا ثلاثاؤُهُ خِصْبٌ ومأدُبةٌ   فَكلُّ أيّامِهِ يومُ الثُّلاثاء

وقال الهذلىّ(١) يصف عُقاباً :

كأنَّ قلوبَ الطَّيْرِ فى جوْفِ وَكْرِها   نَوَى القَسْبِ يُلْقَى عِنْدَ بَعضِ المآدبِ(٢)

أراد جمع مأدُبة .

وقد رُوى هذا الحديث بفتح الدال «مأدَبة» ، وقال الأحمر : المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضمّ .

وقال غيره : المأدَبة ، بفتح الدال « مَفْعَلة » من الأدَب ؛ معناه أنّ الله تعالى أنزل القرآن أدَباً للخلق ، وتقويماً لهم ، وإنما دخلت الهاء فى مأدُبة ومأدَبة ، والقرآن مذكَّر ، لمعنى المبالغة ؛ كما قالوا : هذا شراب مَطْيَبَةٌ للنفس ؛ وكما قال عنترة :

* والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنفْسِ المُنعِمِ(٣) *

وجرى ذلك مجرى قولهم : رجلٌ علّامة ونسَّابة / فى باب المدح على جهة التشبيه بالداهية ، [١١٨ ظ] ورجل هِلْباجة(٤) فى باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة . ويقال لطعام الإملاك : وليمة ، ولطعام الختان : العَذِيرة ، ولطعام الزِّفاف : العُرْس ، ولطعام بناء الدار : الوَكيرة ، ولطعام حَلْق(٥) الشعر : العقيقة ، ولطعام القادم من السفر : النَّقيعة ، ولطعام النِّفاس : الخُرْسُ ، والذى تُطْعِمُه النُّفَساء : الخُرْسَة ، قال الشاعر :

إذَا النُّفَساءُ لم تُخَرَّسْ بِبِكْرِها   غُلاماً ولم يُسْكِتْ بحِتْرٍ فَطِيمُها(٦)

الحِتْر : الشىء القليل ، وقال آخر :

(١) هو صخر الغى .   (٢) ديوان الهذليين ٢ : ٥٥ ، والقسب : التمر اليابس يتفتت فى الفم .

(٣) من المعلقة ، ص ٢٠١ — بشرح التبريزى ؛ وصدره :

* نُبِّئْتُ عَمْرًا غيرَ شاكِرِ نِعْمَتِى *

(٤) الهلباجة : القدم الضخم الأكول .   (٥) حاشية ت (من نسخة) : « حلق الرأس » .

(٦) ت : « بختر » والبيت للأعلم الهذلى ؛ كما فى اللسان (خرس — حتر) ، وهو أيضا فى المقاييس ٢ : ١٦٢ ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « كأنه يصف سنة ، وأن النفساء المنفوسة بالبكر الغلام لاتخرس ، ولا يسكت فطيمها بأدنى شىء » .

كلَّ الطَّعامِ تَشتَهى رَبِيعهْ ... الخُرْسَ والإعذَارُ والنَّقيعهْ[(١)]

ويُروى: «العُرْس» . ويُنْشَد أيضاً فى النقيعة قول الشاعر :

إنَّا لَنضرِبُ بالسُّيوفِ رُءوسَهُمْ ... ضَرْبَ القُدَارِ نَقيعةَ القُدَّامِ[(٢)]

والقدار : الجزَّار . والقُدَّام : جمع قادم .

وقال أبو زيد : يقال لطعام الإمْلاك : النَّقيعة ، ولطعام بناء الدار : الوَكِيرة ، ولطعام الخِتان : الإعذار والعَذِيرة .

وقال الفرّاء : الشُّنْدُخِيّ[(٣)] : طعام الإملاك ، والوليمة : طعام العُرْس .

وقال أبو زيد : يقال من النَّقيعة نَقَعتُ . وقال الفراء : منها أنقعْتُ .

وقال ابن السِّكِّيت : يقال للطعام الذى يُتعلَّل به قُدَّام الغدَاء؛ السُّلْفة واللُّهْنَة ؛ يقال: الأصمعىّ : فلان لَهِّنوا ضيفَكم ، أى أطعِموه اللُّهْنَة ، قال الشاعر :

عُجَيِّزٌ عارِضُها مُنْفَلٌّ ... طَعامُها اللُّهْنَةُ أو أَقَلُّ[(٤)]

وقال ابن السِّكِّيت : يقال فلان يأكل الوَزْمة إذا كان يأكل أكلةً فى اليوم . وقال يأكل الوجبةَ ، إذا كان يأكل فى اليوم والليلة أكْلة ، قال بشار :

فاستَغْنِ بالوَجَباتِ عنْ ذَهَبٍ ... لم يَبْقَ فيهِ لامرئٍ ذَهَبُهْ

وقال ابن السِّكِّيت : قال الأصمعىّ لرجل أسرع فى سيره : كيف كان سيرُك ؟ فقال :

---

(١) البيان فى اللسان (خرس) .

(٢) البيتُ فى اللسان (قدر) ، ونسبه إلى المهلهل ، وفى حاشية الأصل : « هذا من باب تسمية الشىء بما يئول إليه ؛ أى اللحم الذى يصير نقيعا ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ .

(٣) ت : « الشندخى » ، بضم الشين وفتح الدال ، وفى د ، وحاشية ت (من نسخة) : « الشندخى » ، بضم الشين مع الألف المقصورة ، وفى ج ، ش : الشندخى » ، بفتح الشين وضم الدال . وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « رواه الأزهرى الهروى عن الفراء « الشنداخى » ؛ وهو الصحيح، وقال : هو طعام البناء » .

(٤) البيتان فى اللسان (فلل) ؛ والثانى فى اللسان أيضا (لهن) ، ونسبه إلى عطية الديبرى . العارض : السن التى فى عرض الفم ، وانفل : تكسر .

كنت آكلُ الوَجْبة، وأنجُو الوَقْعة ، وأعَرِّسُ إذا أفْجَرْتُ ، وأرتحل إذا أسفرت ، وأسير الوضْع ، وأجتنب / المَلْع ، فجئتكم لِمُسْى سَبْع . [١١٩ و

قوله : « أنجو الوَقْعة » ، معناه أقضى حاجَتى مرة فى اليوم، وهو من النَّجْو.

وقوله: «أسير الوَضْع» ، فالوضعُ: سيرٌ فيه بعض الإسراع ، والمَلْعُ: سيرٌ أشدّ منه ، فأراد أنه يجتنِب الشديدَ من السير ؛ كراهةَ أن يقف ظهرُه قبل أن يبلغَ الأرض التى يقصد لها ؛ ويقال: شرُّ السَّيْرِ الحَقْحَقَة ، أى السيرُ الحديد(١) الذى يقطع صاحبَه عن بلوغ بغْيَته ، قال الشاعر :

إذَ ما أَرَدْتَ الأَرْضَ ثمَّ تباعَدَتْ ... عليكَ فضَعْ رَحْلَ المطيَّةِ وانزلِ

أى استرح حتى تقوَى على السير ، فإن جَهَدْتَ نفسَك لم تقطعْ أرضاً ، ولم تُبْقِ ظهراً؛ وهذا من أبيات المعانى التى يُسأل عنها ، والذى قيل فيه ما ذكرناه . ويمكن أن يكون معنى البيت : إذا بعدت عليك أرضٌ فدعْها واسْلُ عنها ؛ كما يقال : دواءُ ما عزَّ مطلبه الصَّبر ؛ وما جَرَى مجرى ذلك من ألفاظِ التسلية؛ والأمر بالعدول عن تتبُّع ما صعب من الأمور(٢) .

وقال الآخر فى معنى البيت الأول :

نُقَطِّعُ بالنُّزُولِ الأَرْضَ عَنَّا ... وبُعْدُ الأَرْضِ يَقْطَعُهُ النُّزُولُ

وقوله: «لِمُسْى سَبْع»، معناه لمساء سبع ليال .

ويقال للذى يحضرُ طعامَ القوم من غير أن يدعُوه إليه : الوارِش والوَرُوش . وقول العامة : طُفَيْلىّ مولَّد لا يوجد فى العتيق من كلام العرب ، وأصلُ ذلك أن رجلاً يقال له طُفَيْل، كان بالكوفة لا يُفقَد من وليمة من غير أن يدعى إليها ، فقيل للوارش : طُفَيلىّ؛ تشبيها بطُفَيْل هذا فى وقته .

(١) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « الشديد » .

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « مثله : أرخص مايكون النفط إذا غلا ؛ يعنى أنه لايشرى فيكون رخيصا » .

ويقال للذى يحضُر شرابَ القوم من غير أن يُدْعَى إليه واغلٌ ؛ قال امرؤ القيس :

فاليَوْمَ فاشْرَبْ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ　　إثْماً من اللهِ ولا واغِلِ(١)

ويقال لمايشرب به الواغلُ : الوغْل ، قال الشاعر :

إنْ أكُ مِسْكيراً فلا أشرَبُ الْـ　　ـوَغْلَ ولاَ يَسْلَمُ منّى البَعِيرُ(٢)

وقوله صلى الله عليه وآله : « إنَّ أصفرَ البيوت لَجَوْفٌ أصفرُ من كتاب الله » ، معناه : [١١٩ ظ] أخْلَى البيوت/ ؛ والصِّفْر عند العرب : الخالى ؛ من الآنية وغيرها . ويمكن فى قوله : « مأدبة » وجهٌ آخر ؛ وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأدُبة وتسميته بها من حيث دَعا الخلْقَ إليه ، وأمرَهم بالاجتماع عليه ، فسماه عليه السلام « مأدُبة » لهذا الوجه ، لأن المأدُبة هى التى يُدْعَى الناس إليها ، ويجتمعون عليها ؛ وهذا الوجه يخالف الأول ، لأن الأول تضمَّن أنَّ وجهَ التشبيه من حيث النفعُ العائد على الحافظ للقرآن كما ينتفع المدْعوّ إلى المأدُبة بما يصيبه من الطَّعام . وهذا الوجه الآخر تضمّن أن التشبيه وقع لاجتماع الناس فى الدعاء إليه ، والإرشاد إلى إصابته . وليس يبعد أن يريد عليه السلام بالخبر المعنيَيْن معاً ، فلا تنافىَ بينهما(٣) .

* * *

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دُرَيْد قال أخبرنا أبو حاتم قال :

---

(١) ديوانه : ١٥٠ ، والرواية فيه :

* فَالْيَوْمَ أُسْقَى غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ *

وفى حاشية ت (من نسخة) :

* فالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ *

(٢) اللسان (وغل) ، ونسبه لعمرو بن قميئة .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « ويمكن أن يكون فى معنى الخبر وجه آخر ، وهو أنه عليه السلام إنما شبه القرآن بالمأدبة لما اشتملت عليه المأدبة من أنواع الأطعمة ، من الحلو والحامض والمالح وغير ذلك مما لايكون فى غير المآدب ؛ فكذلك القرآن يشتمل على أنواع من العلوم لاتوجد فى غيره ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ، وهذا وجه عن الشيخ الإمام جمال الدين أبى الفتوح الرازى رحمه الله فى أثناء الدرس ؛ وهو أقرب وأشبه من الوجهين المذكورين » .

كُنّا فى مجلس الأصمعىّ إذْ أقبل أعرابىٌّ فقال : أين عميدُكم ؟ فأشرنا إلى الأصمعىّ ، فقال له: ما معنى قول الشاعر :

لاَ مَالَ إلاَّ العِطافُ تُؤْزِرُهُ أُمُّ ثَلاَثِينَ وابنةُ الجَبَلِ[1]
لا يَرْتَقِى النزُّ فِى ذَلاذِلِهِ ولا يُعَدِّى نَعْلَيْهِ مِن بَلَلِ[2]

فقال الأصمعىّ :

عُصْرَتُهُ نُطْفَةٌ تَضمَّنَها لِصْبٌ تَلقَّى مواضِعَ السَّبَلِ
أوْ وَجْبَةٌ مِن جَناةِ أَشْكَلَةٍ إن لم يَرُغْها بالقوْس لم تُنَلِ[3]

قال : فأدبر الأعرابىّ وهو يقول : لم أرَ كاليوم عُضْلةً[4].

قال ابن دُرَيْد : إنما وصف رجلا خائفا فى رأس جبل ؛ يقول: لا مال له إلاَّ العِطاف — وهو السَّيْف — تُؤْزِرُه أمّ ثلاثين ؛ يعنى كِنانةً فيها ثلاثون سهما . وابنة الجَبل ؛ يعنى القوس، لأنها تعمَل من شجر الجبال مثل النَّبْع وغيره .

وقوله : « لا يرتقى النزُّ فى ذَلاذله » ، لأنه فى رأس جبل؛ فلا نزَّ هناك يتعلق بما يفضُل من ثيابه ، ولا بَلَلٌ يُعدِّى نعليه عنهما .

والعُصْرة : المَلْجَأ . والنُّطفة : الماء المجتمع فى صخر أو غيره من بقيّة ماء المطر . واللِّصْب: الشّق فى الجبل أضْيَقُ من اللِّهب[5] وأوسع من الشّعب . والسَّبل : المَطَر .

والوجبة: أن يأ كل كلَّ يوم مرة . والأشكل : السِّدر الجبلىّ ، واحده أشْكَلة؛ يقول:

---

(١) الأبيات فى اللسان (عطف) ، وروى عن ثعلب أنها فى وصف صعلوك . وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « أصل العطاف الرداء ؛ فشبه به السيف » ، وتؤزره : تعينه .

(٢) النز : الماء الذى يتحلب من الأرض والذلاذل : أسافل القميص الطويل . (٣) حاشية الأصل (من نسخة): « يرغها » بفتح الياء وضم الراء، وفيها : « أراغ معناه طلب ، وراغ : مال ؛ يقال : راغ إليه ؛ فحذف حرف الجر ، وأوصل الفعل ؛ ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ » .

(٤) العضلة : الداهية ؛ يقال : فلان عضلة وعضل، أى شديد داهية .

(٥) اللهب : الطريق بين الجبلين .

[١٢٠] فهذه النطفة والوَجْبة من الأشكلة/ عُصرَتاه . وقوله : « إن لم يُرِغْها بالقوس »؛ يعنى أنها لا تُنال باليد حتى تُحرِّك بالقوس .

قال سيدنا أدام اللهُ علوَّه : وإنما جعل الأصمعىّ إنشاد باقى الأبيات دلالة على معرفة معناها ؛ لأنه يبعد أن يعرفها ولا يعرف معناها، والأعرابىّ إنما سأل عن المعنى، فأقام إنشادَه لها مقامَ تفسيرها ، واستغنى الأعرابى بذلك وعلم بإتمامه للأبيات معرفتَه بمعانيها .

وكان الأصمعى كثيرا إذا أُنْشِد شيئا من الشعر يُنشد فى معناه فى الحال ، فمن ذلك أن إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ أنشده يوما لنفسه :

إذا كانتِ الأحرارُ أصلى ومَنْصبى ... وقامَ بنَصرى خازِمٌ وابن خازمِ
عَطَسْتُ بأنفٍ شامخٍ وتناوَلتْ ... يداىَ الثُّريَّا قاعِداً غيرَ قائمِ

قال : فلما فرغتُ من إنشادها أنشد بعقِبِ ذلك :

ألا أيُّها السائلى جاهِلاً ... لِيَعْرِفَنى ، أنا أنفُ الكرَمْ
نمَتْ فى الكِرامِ بنى عامر(١) ... فُرُوعى وأصلى قُرَيْشُ العجم(٢)

قال : فجاء والله بالشّعر الذى نحوتُه وعمِلْتُ بيتىّ عليه .

وأخبرنا أبوعبيد الله المرزبانىّ قال حدثنا محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنا عوْن بن محمد قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: ما أنشدت الأصمعىّ شيئا قط إلا أنشدنى مثله ؛ كأنه أعدَّه لى ، فأنشدته يوما للأعشى :

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقَتْ رَجُلاً ... غَيْرِى وعُلِّقَ أُخرَى غيْرَها الرَّجُلُ(٣)

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) :

* نمَتْ فِى الكِرَامِ بَنُو عَامِرٍ *

(٢) حاشية الأصل : « يقول : أصلى قريش الذين يسكنون بلاد العجم وفرعى بنو عامر ؛ كأن أباه قرشى وأمه عامرية » .

(٣) ديوانه : ٤٣ ، وفى حاشية الأصل : « أى عشقتها اعتراضا لاقصدا واعتزاما ، ومثله :

جُنِنْتُ بِلَيْلَى وَهْىَ جُنَّتْ بِغَيْرِنَا ... وأُخْرَى بِنَا مَجْنُونَةٌ لَا نُرِيدُهَا

فأنشدنى من وقته :

قَتَلَتْكَ أُخْتُ بنى لؤَىٍّ إذْ رَمَتْ ... وأصابَ نَبلُكَ إذْ رَمَيْتَ سِواها(١)

وأَعارَها الحَدَثانُ منْكَ مَوَدَّةً ... وأعارَ غيْرَكَ وُدَّها وهَوَاها

وذكر أبو العيناء قال: كان الأصمعىّ إذا سَمع إنسانا يُنشد شعراً فى معنى أَنْشَد فى ذلك المعنى من غير أن يُريه أنه أراده ، فأنشده رجل قولَ القُطامىّ :

[١٢٠ ط] / والناسُ مَن يلْقَ خيْرًا قائلونَ لهُ ... ما يَشتَهى،ولأُمِّ المُخْطِئِ الهَبَلُ(٢)

فأنشد هو قول قَعْنب الفزَارىّ :

فمَنْ يلْقَ خيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أمْرَهُ ... ومَنْ يَغْوِ لا يعْدَم على الغىِّ لائما(٣)

وروى ميمون بن هارون قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول: أنشدت الأصمعىّ قول الأعشى، طلباً أن ينشدنى مثله ــ وكان مع بخله بالعلم لايَضنّ بمثل هذا :

إنْ تَرْكَبوا فركوبُ الخيلِ عادَتُنا ... أَوْ تنْزِلونَ فإنّا مَعْشرٌ نُزُلُ(٤)

فأنشدنى لربيعة بن مقروم الضبىّ .

ولقدْ شَهِدْتُ الخَيْلَ يومَ طِرادِها ... بسَليمِ أوْظِفَةِ القوائمِ هَيْكَلِ(٥)

فدَعَوْا نَزَالِ ، فكُنتُ أوّلَ نازِلٍ ... وعلامَ أَرْكَبُهُ إذَا لمْ أنزِلِ !

ورُوِى عن إسحاق بن إبراهيم أيضا أنه قال : دخل يوماً إلىَّ الأصمعىّ ، وعندى أخ

---

(١) البيتان لعدى بن الرقاع ؛ وهما فى مجموعة الطرائف ٩٢ ، ومعجم البلدان ٨ : ٢٠٤ .

(٢) جمهرة الأشعار : ٣٠٣ ؛ وفى حاشية الأصل : « يقول : من أصاب مالا قيل له مايشتهى ولا يخالف ، ومن تجاوزه المال خولف فى كل شىء ولعن » . (٣) كذا ذكره المؤلف ؛ ونسبه المفضل الضبى إلى المرقش الأصغر ، وانظر المفضليات: ٢٤٧ (طبعة المعارف). (٤) ديوانه : ٤٨ ، وروايته :

* قالوا الرُّكُوبَ فقُلْنا تلك عادَتُنا *

(٥) خزانة الأدب ٣ : ٥٦٥ . الأوظفة : جمع وظيف ، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل . والهيكل : الضخم المشرف .

للعُمانىّ الراجز، حافظٌ راوية ، فلمادخل عَبثَ بهأخو العُمانى(١، فقال له: من هذا ؟ قال: هو الباهلىّ الذى يقول١):

فمـا صَحْفةٌ مأدُومةٌ بإهالةٍ بأطيبَ مِن فيها ولاأقِطٌ رَطْبُ،(٢)

فقال له قبل أن يستتم كلامَه : هو على كلّ حال أصلح من قول أخِيك العُمانىّ :

يا رُبَّ جاريةٍ حوْرَاءَ ناعمةٍ كأَنَّها عُومةٌ فى جوْفِ راقُودِ(٣)

قال إسحاق : فقلت له : أ كنتَ أعددتَ هذا الجواب ؟ قال : لا ، ولـكن ما مرَّ بى شىء إلا وأنا أعرِف منه طرَفاً .

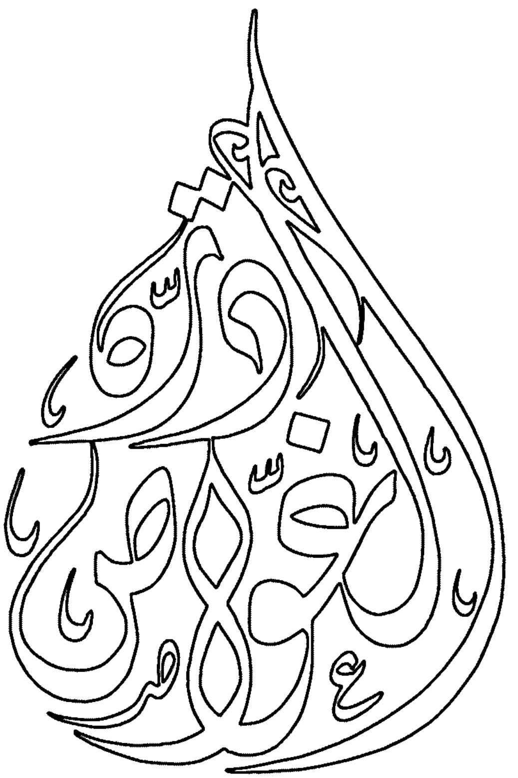

(١–١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « فقال : من هذا الباهلىالذى يقول » .

(٢) الصحفة : قصعة دون الجفنة . والإهالة : الشحم المذاب . والأقط : شىء يتخذمن المخيض الغنمى.

(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « العومة : دويبة تسبح فى الماء ، كأنها فص أسود مدملك . والعومة : ضرب من السمك معروف » . والراقود : دن كبير.

٢٧ مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ؛ [التوبة : ٣٠] .

فقال : أيّ معنى لقوله : ﴿ بأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ومعلومٌ أنّ القول لا يكون إلا بالأفواه ؟ .

الجواب ، قلنا : القَوْل يحتمل معنيين فى لغة العرب : أحدهما القول باللِّسان، والآخر بالقلب، فالقول الذى يضاف إلى القلب هو الظَّنّ والاعتقاد، ولهذا المعنى ذهبت العربُ بالقول مذهبَ الظَّن/ فقالوا : أتقول عبدَالله خارجاً ؟ ومتى تقول محمدا منطلقا؟ يريدون: متى تظن؟ [١٢١ و] قال الشاعر :

أما الرَّحيلُ فدُونَ بَعْدِ غدٍ فَمَتى تقولُ الدَّار تَجمَعُنا!(١)

أراد : فمتى تظن الدار ! وقال الآخر :

أجُهَّالاً تقولُ بنى لُؤَىٍّ لَعمرُ أبيكَ أَمْ مُتجاهِلينا!(٢)

أراد : تظن بنى لؤَىٍّ ، وقال تَوْبة بن الْحُمَيِّر :

ألاَ يا صَفِيَّ النَّفْسِ كيفَ تقولُها لوأَنَّ طَرِيداً خائفاً يستَجيرُها(٣)

(١) البيت لعمر بن أبى ربيعة ، ديوانه : ٣٩٤ . (٢) البيت للكميت بن زيد الأسدى ؛ وهو من (شواهد ابن عقيل على الألفية ١ : ٣٩٧)، وفى حاشية الأصل : « لا يجوز أن تنصب جهالا بتقول إذا جعلته على معنى القول ، لأن القول لا يتعدى إلى ما كان مما لا يندرج تحت السمع ، والجهال جثث، فلا يتأتى ذلك فيها ، فلا بد أن يكون قال بمعنى ظن ، ولهذا يصح أن تقول : سمعت زيدا يقرأ ويقول ويتكلم ويشعر ، ولا تقول : سمعت زيداً يضرب ؛ لأن السمع يقع على ما يسمع » .

(٣) البيتان من قصيدة طويلة ؛ ذكرت بتمامها فى تزيين الأسواق ٩٦-٩٨ .

تُخَبِّرُ إنْ شَطَّتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى ... سَتَنْعَمُ لَيلى أوْ يُفكُّ أسيرُها(١)

أراد: كيف تظنها؟ فلما كان القول يستعمل فى الأمرين معاً أفاد قوله تعالى: ﴿ بِأَفْوَاهِهِم ﴾ قَصْرَ المعنى على ما يكون باللسان دون القلب، ولو أطلق القول، ولم يأت بذكر الأفواه لجاز أن يُتوهَّم المعنى الآخر:

ومما يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾؛ [المنافقون: ١]، فلم يكذِّب الله تعالى قولَ ألسنتهم: لأنهم لم يخبروا بأفواههم إلاّ بالحق، بل كذَّب ما يرجع إلى قلوبهم من الاعتقادات.

ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة فى قوله تعالى: ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ أنَّ القول لا برهانَ عليه، وأنه باطلٌ كذبٌ لا يُرْجع فيه إلاَّ إلى مجرَّد القول باللسان؛ لأن الإنسان قد يقول بلسانه الحقَّ والباطل، وإنما يكون قولُه حقًّا إذا كان راجعاً إلى قلبه، فتكونُ إضافة القول إلى اللسان تقتضِى ما ذكرناه من الفائدة، وهذا كما يقول القائل لمن يشكّ فى قوله أو يكذبه: هكذا تقولُ بلسانك، وليس الشأن فيما تقوله وتتفوَّه به وتقلِّب به لسانَك؛ فكأنَّهم أرادوا أن يقولوا: هذا قول لا برهانَ عليه، فأقاموا قولهم: هكذا تقول بلسانك، وإنما يقولون كذا بأفواههم مُقَامَ ذلك؛ والمعنى أنه قول لا تعضُدُه حجّة ولا برهان، ولا يُرجع فيه إلا إلى اللسان.

(١) حواشى الأصل، ت، ف: « فى ديوانه: « تجير وإن شطت »، يخاطب الشاعر صديقاً له فيقول: ياصفىّ نفسى، كيف تظن ليلى الأخيلية لو استجار بها مستجير! ثم استأنف فقال: هى تجير وإن كانت قد عذبتنا بالفراق، ثم قال: ستنعم ليلى أو يفادى أسيرها، ويعنى بالأسير نفسه، أى ستجود يوما أو أفتدى نفسى منها، هذا إذا روى: « تجير وإن شطت »، وكذلك هو فى ديوانه، وأما وجه مارواه السيد: « تخبر »، فمعناه: تخبرنى أنت ياصفىّ نفسى إن تناءت أنها ستنعم، وإن رويت: « أن شطت » بالفتح كان المعنى: لأن تناءت. وعلى ماذكره السيد رضى الله عنه يمكن أن يذكر للبيت وجه آخر؛ وهو أنه يقول ويخاطب صديقاً له: كيف تظنها لو أنى استجرت بها! كنى عن نفسه بالخائف المستجير ثم يقول: تخبر ياخليلى، يعنى أنى أعلم أنك تقول: هى إما أن تنعم بالوصال أو أنا أسلو؛ وهذا معنى: « يفك أسيرها »، لأنه إذا سلا فقد فك أسره؛ وهذا الوجه الأخير مستفاد من ملك النحاة ».

ووجهٌ آخر ، وهو / أن تكون الفائدة فى ذلك التأكيد ، فقد جرت به عادة العرب [١٢١ ظ] فى كلامها ، وما تقدم من الوجهين أولى ؛ لأنَّ حَمْل كلامه تعالى على الفائدة أولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة .

تَأْوِيلُ آيَةٍ أُخْرَى

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِى أَفْوَاهِهِمْ ﴾ ؛ [ابراهيم : ١٤] .

فقال : أىُّ معنًى لردِّ الأيدِى فى الأفواه ؟ وأىُّ مَدْخلٍ لذلك فى التكذيب بالرسل عليهم السلام ؟

الجواب ، قلنا فى ذلك وجوه :

أولُها أن يكونَ إخباراً عن القوم بأنّهم رَدُّوا أيديَهم فى أفواههم ، عاضّين عليها غيظاً وحَنَقاً على الأنبياء ، كما يَفعلُ المتوعِّدُ لغيره ، المبالِغُ فى معاندته ومُكايَدته ؛ وهذه عادة معروفةٌ فى المَغيظ المحنَق أنّه يَعضُّ على أصابعه ، ويفرُك أناملَه ، ويضربُ بإحدَى يديه على الأخرى ؛ وما شاكل ذلك من الأفعال .

وثانيها أن تكونَ الهاءُ فى الأيدى للكفار المكذِّبين ، والهاءُ التى فى الأفواه للرسل عليهم السلام ؛ فكأنَّهم لمَّا سمِعوا وعْظَ الرسل ودعاءَهم وإنذارَهم أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل، مانعينَ لهمْ عن الكلام كما يفعل المسكِّتُ مِنَّا لصاحبه ، الرّادُّ لقوله .

وثالثها أن تكون الهاء فى الأيدى والتى فى الأفواه معاً للرسل ؛ والمعنى أنهم كانوا يأخذون أيدى الرسل فيضعونها على أفواههم ليسكتُوهم، ويقطعوا كلامهم .

ورابعها أن تكون الهاءان جميعاً يَرْجعان إلى الكفار[١] لا إلى الرسل ؛ فيكون المعنى أنّهم إذا سمعوا وعظَهم وإنذارهم وضعوا أيدىَ أنفسِهم على أفواههم ؛ مشيرين لهم بذلك إلى الكفّ عن الكلام والإمساك عنه ؛ كما يَفْعل مَنْ يريد منّا أن يسكّت غيرَه ، ومنعَه من الكلام ، من وضع إصبَعه على فى نفسه .

وخامسها أن يكون المعنى : فردّوا القولَ بأيدِى أنفسهم إلى أفواه الرُّسل ، أى أنّهم كذَّبوهم ، ولم يُصْغُوا إلى أقوالهم ، فالهاء الأولى للقوم ، والثانيةُ للرسل ؛ والأيدى إنما ذُكِرتْ مثلًا وتأ كيداً ؛ كما يقول القائل : أهلَكَ فلانٌ نفسَه بيده ، أىْ وقَع الهلاك به من جهته ، لا من جهة غيره .

وسادسها أن المراد بالأيدى النعم و﴿ فِى ﴾ محمولة على الباء ، والهاء الثانية للقوم المكذبين والتى قبلها للرُّسل ، والتقدير : فردُّوا بأفواههم نِعَم الرُّسل ؛ أى ردُّوا وعظَهم وإنذارهم وتنبيههم على مصالحهم الذى لو قِبلوه لكان نعماً عليهم .

ويجوز أيضاً أن تكون الهاء التى فى الأيدى للقوم الكفار ، لأنها نِعم من الله تعالى عليهم ، فيجوز إضافتُها إليهم وحمل لفظة ﴿ فِى ﴾ على معنى الباء جائز لقيام بعض الصِّفات مقام بعضٍ ؛ يقولون : رضيتُ عنك ، ورضيت عليك وحُكى فى لغة طَيِّئ : أدخلك الله بالجنة ، يريدون فى الجنة ، فيعبرون بالباء عن معنى « فى » ؛ كذلك أيضاً يصح أن يعبروا بفى عن الباء ؛ قال الشاعر :

وأرغبُ فيها عن لقيطٍ ورهطِه ... ولكِنّنى عن سِنْبِسٍ لستُ أرغبُ

أراد : وأرغب بها فحمل «فى» على الباء .

---

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « يمكن أن يجعل الضميران جميعا للرسل عليهم السلام ، على معنى أنهم لما لم يقبلوا وعظهم وإنذارهم رد الرسل بأيديهم إلى أفواه أنفسهم ، إشارة إلى أنا قد سكتنا ، فافعلوا ماشئتم تهديدا وتهويلا » .

وسابعها ـ وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بحر، وزعم أنه أولى من غيره ـ قال " المضمَرون في قوله : ﴿ أَيْدِيَهُمْ ﴾ الرسل ، وكذلك المضمَرون في ﴿ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ ، والمراد باليد هاهنا ما نَطقَ به الرسل من الحُجَج والبيِّنات التي ذكر الله تعالى أنهم جاءوا بها قومَهم ؛ واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان أيضا ، وعلى المِلك ، وعلى العهد والعقد ؛ ولكل ذلك شاهد من كلامهم ؛ والذى أتى به الأنبياء قومَهم هو الحجة والسلطان، وهو النعمة ، وهو العهد ، وكلٌّ ذلك يقع عليه اسم اليد . ولَمَّا كان ما يعظ به الأنبياءُ قومَهم ويُنذرونهم به إنما يَخرُجُ من أفواههم ، فردوه وكذبوه قيل: إنهم ردُّوا أيديَهم في أفواههم، أى أنهم ردُّوا القول من حيث جاء قال : ولا يجوز أن يكون الضمير في ذلك للمُرْسَلِ إليهم كما تأوله بعضُ المفسرين، وذكر أن معناه أنهم عضُّوا عليهم أناملَهم غيظاً؛ لأن رافعَ يده إلى فيه، والعاضّ عليها لا يسمَّى رادًّا ليده إلى فيه ، إلا إذا كانت يده في فيه فيخرجها ثم يردُّها " .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوّه : وليس ما استنكره أبو مسلم من رد الأيدى إلى الأفواه بمستنكَر ولا بعيد ، لأنه قد يقال : ردَّ يده إلى فيه ، وإلى وجهه ، وعاد فلان يقول كذا، ورجع يفعل كذا ؛ وإن لم يتقدم ذلك الفعلُ منه . ولو لم يَسُغْ هذا القول تحقيقاً؛ لساغَ تجوُّزاً واتساعاً؛ وليس يجب أن تُؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها؛ فإن تجوُّزَها / واستعمارتها [١٢٢ ط] أكثرُ، على أنه يمكن أن يكونَ المراد بذلك أنهم فعلوا ذلك الفعلَ شيئاً بعد شيء، وتكرَّر منهم، فلهذا جاز أن يقول : ردُّوا أيديَهم في أفواههم ، لأنه قد تقدم منهم مثلُ هذا الفعل ، فلما تكرَّر جازت العبارة عنه بالرّد ، وهذا يُبطل استضعافه للجواب إذا صِرْنا إلى مراده .

تأويل خبر

روى أن مسلماً الخُزاعىّ ثم المصطلِقىّ قال : شهدتُ رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المُصْطلقى[(١)] :

لا تَأْمَنَنَّ وإنْ أمسيْتَ فى حَرَمٍ ... إنَّ المَنايا بكَفَّىْ كلِّ إنسانِ[(٢)]

وأسلُكْ طَرِيقَكَ تَمْشى غيرَ مُخْتَشِعٍ[(٣)] ... حتَّى تَبيَّنَ ما يَمْنِى لكَ المانى

فكلُّ ذِى صاحبٍ يوماً يُفارِقُهُ[(٤)] ... وكلُّ زادٍ وإن أبقَيْتَهُ فان

والخيرُ والشَّرُّ مقْرُونانِ فى قرَنٍ[(٥)] ... بكلِّ ذلكَ يأْتيكَ الجَديدانِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لو أدركتُه لأسلم » ، فبكى مُسلم ، فقال له ابنه : ياأبَهْ ، ما يُبكيك من مشركٍ مات فى الجاهلية ! فقال : يابنىَّ ، لا تفعلْ فما رأيت مشركة تلقَّفَت من مشرك خيراً من سُوَيْد .

قوله : « ما يَمنى لك المانى » معناه ما يقدّر لك القادر؛ قال الفرّاء : يقال : مَنَى الله عليه الموتَ ؛ أى قدّر الله عليه الموت . وقال يعقوب : مَنَاكَ الله بما يسرُّك ، أى قدَّرَ الله لك ما يسرُّك ، وأنشد :

---

(١) نسب البيت الأول والثانى والرابع إلى أبى قلادة الهذلى، من قصيدة أولها :

يادَارُ أَعْرِفُهَا وَحْشاً مَنَازِلُهَا ... بيْنَ الْقَوَائِمِ مِنْ رَهْطٍ فَأَلْبَانِ

مع اختلاف فى روايتها وترتيبها ، وانظر ديوان الهذليين ٣ : ٣٦ ـ ٣٩ ، واللسان (منى) .

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « المعروف « بجنبى » ، هذا هو الصحيح » ، وهى أيضا رواية ديوان الهذليين ؛ يقول : لا تأمنن أن تأتيك منيتك وإن كنت بالحرم حيث يأمن الطير » .

(٣) رواية اللسان :

* وَاسْلُكْ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرَ مُحْتَشِمٍ *

ورواية ديوان الهذليين :

* وَلَا تَقُولَنْ لِشَىْءٍ سَوْفَ أَفْعَلُهُ *

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « مفارقه » .

(٥) رواية ديوان الهذليين :

* إِنَّ الرَّشَادَ وَإِنَّ الْغَىَّ فى قَرَنٍ *

لَعَمْرُ أبى عَمرٍو لقدْ ساقهُ الْمَنَى إلى جَدَثٍ يُوزَى لهُ بالأهاضِبِ (١)

وقال ابنُ الأعرابىّ : ساقه الْمَنَى ، أى ساقه القدر ؛ وأنشد ابن الأعرابىّ :

مَنَتْ لكَ أنْ تُلاقيَنى المَنَايا أُحادَ أُحادَ فى الشَّهْرِ الحَلاَلِ (٢)

معناه قدَّرتْ لك.

وقال أبو عبيدة فى قوله تعالى: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ؛[النجم: ٤٦]، معناه إذا تُخْلَق وتُقَدّر.

وقال بعضُ أهلِ اللغة : إنّما سمى «مِنًى» لما يُمْنَى فيه من ثواب الله تعالى ؛ أى يقدَّر فيه ؛ وقيل أيضاً بما يُمْنَى فيه من الدّم (٣) ؛ وقيل: إنما سمى بذلك لأن إبراهيم عليه السلام لما انتهى إليه قال له الملَك : تمنَّ ، قال : أتمنى الجنــة ، فسمى مِنًى لذلك . ومِنًى يذكر ويؤنث ، والتذكير أجود ، قال الشاعر فى التذكير :

/ سقَى مِنًى ثم رَوَّاهُ وساكِنَهُ ومَنْ ثَوَى فيهِ واهِي الوَدْقِ مُنْبَعِقُ (٤) [١٢٣ و]

وقال آخر فى التأنيث :

لَيَوْمُنا بمِنًى إذْ نحنُ ننزِلُها أَسَرُّ مِن يومِنا بالعرْجِ أو مَلَلِ (٥)

---

(١) البيت مطلع قصيدة لصخر الغى، يرثى أخاه أباعمرو بن عبد الله، وقد نهشته حية فمات؛ (ديوان الهذليين ٢ : ٥١ــ٥٧) . وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « يؤزى ، من الإزاء ، والإزاء : مصب الماء فى الحوض، يقال : أزيت الحوض [بالتضعيف] ، وآزيته ، والإزاء للقبر فى الحقيقة ؛ إلا أنه على الاستعارة . ويجوز أن يكون الضمير فى« له » للمرثى ؛ أى يهيأ له ؛ هذا إذا همزت « يؤزى » ؛ وهو قول الأصمعىّ ، فأما إذا لم تهمزه فمعنى يؤزى ينصب ويشخص ؛ يقال: أوزى ظهره إلى الحائط ؛ أى أسنده . ويقال : هضبة وهضبات وهضاب وأهضاب وأهاضب وأهاضيب » . (٢) اللسان (منى) ، وفى حاشية الأصل : « أى قدرت المنايا ملاقاتها إياى لأجلك » . (٣) المراد بيمنى هاهنا: يراق .

(٤) الودق : المطر ، والواهى : المندفع بالماء ، وكذلك المنبعق ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « جعل السحاب سقاء ، ثم جعله واهى العقد ، فهو أشد إرسالا ، وهذا مثل » .

(٥) العرج : موضع قريب من الطائف ، وإليه ينسب العرجىّ الشاعر ، وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان . وملل : موضع فى طريق مكة .

فأما قوله :

* والخيرُ والشَّرُّ مَقْرونان فى قَرَنٍ *

فالقَرَن الحبْل ؛ وأراد أنهما مجموعان لا يفترقان ؛ من حيثُ لا يكاد يُصيب الإنسان فى الدنيا خَيْرٌ صِرْفٌ لا شرَّ فيه ؛ فلهذا قال إنهما مقرونان . ويجوز أيضاً أن يريد أنَّ لسرعةِ تقلُّب الدنيا وإبدالها الخيرَ بالشر كأن الخيرَ والشرَّ مقرونان مجموعان معاً، لتقارب مابينهما .

فأما الجديدان ، فهما اللّيـــل والنهار ، وهما أيضاً الأجَدَّان ، والمَلَوانِ ، والفتيَان ، والرِّدْفان ، والعَصْران ؛ قال الشاعر :

إنَّ الجدِيدَيْنِ فى طُولِ اختِلافِهِما لا يَفْسُدَانِ ولـكِنْ يفسُدُ النَّاسُ(١)

وقال آخر :

وأمْطُلُه العَصْرَيْنِ حتَّى يَملَّنى ويرْضَى بنِصفِ الدَّيْنِ والأنفُ راغمُ(٢)

وقال أبو عبيدة : ويقال الليل والنهار ابنا سُبات ، وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

وكُنَّا وهُمْ كابنىْ سُباتٍ تفَرَّقا سِوًى ثمَّ كانا مُنجِدًا وتَهامِيا(٣)

ويقال للغداة والعشىّ: القَرَّتان(٤)، والبرْدَان، والصِّرْعان(٥) .

* * *

أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمىّ قال : أملَى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوىّ قال : أنشدنا ابنُ الأعرابى لرُفَيْع الوالبىّ :

كذَبتْكَ ما وَعَدَتْكَ أَمسِ صَلاحُ وعسَى يكونُ لِما وُعِدْتَ نجاحُ(٦)

---

(١) البيت للخنساء ، ديوانها : ١٥٤ . (٢) الحيوان ٣ : ٢٤٩ ، وإصلاح المنطق: ٤٣٧ ، من غير عزو . (٣) اللسان (سبت) ، ونسبه إلى ابن أحمر ، وفيه عن ابن حبيب : « أن ابنى سبات رجلان، رأى أحدهما صاحبه فى المنام ثم انتبه ، وأحدهما بنجد والآخر بتهامة » (٤) ت : « القرنان » (٥) حاشية الأصل : « أصل الصرع الذى يصارعك » . (٦) صلاح: اسم امرأة ، وفى حاشية الأصل : « كأنها وعدته بالوصال الذى يبرئ سقمه » .

بُرْءٌ مِنَ السَّقَمِ الطَّوِيلِ ضَمانُهُ لا يَستوِى سَقَمٌ بِكُمْ وصِحاحُ
أصلاحُ إنَّكِ قد رَمَيتِ نَوافِذًا وجَوائِفًا لَيْسَتْ لَهُنَّ جِراحُ(١)
ولقدْ رَأَيْتُكِ بالقَوادِمِ لمحةً وعلىَّ مِن سُدَفِ العَشِىِّ رِياحُ(٢)

معنى رِياح هاهنا ، أى علىّ وقتٌ من العَشِىّ ، ومثله رَواح ؛ وقوم يرْوُونه بالكسر وليس بشىء.

/ ما كانَ أبصَرَنى بغِرَّاتِ الصِّبا فاليومَ قدْ شَفعتْ لِىَ الأشباحُ(٣) [١٢٣ ظ]
ومشَى بجَنبِ الشَّخصِ شخصٌ مثلُهُ والأرْضُ نائيةُ الشُّخوصِ بَراحُ(٤)
حلقَ الحوادِثُ لِمَّتى فترَكْنَ لِى رَأْساً يَصِلُّ كأنَّهُ جُمَّاحُ
وذَكا بأصداغى وقرْنِ ذُؤابتى قبَسُ المَشيبِ كأنَّهُ مِصْباحُ

قال : كأنَّه جُمَّاح من امِّلاسه ، وجُمَّاح : سهْم أو قصبة يُجعل عليه طين ، ثم يُرْمَى به الطير .

وبهذا الإسناد لبعضهم :

أَرَى النَّاسَ للصُّعْلُوكِ حَرْباً ولا أرى لذى نَشَبٍ إلّا خَليلًا مُصافِيا
أَرَى المالَ يَغْشَى ذَا الوُصومِ فلا تُرَى ويُدْعَى مِنَ الأشرافِ مَنْ كان غانِيا(٥)

الصعلوك : الفقير ، وهو أيضاً القُرْضُوب ، والسُّبْروت . والوُصوم : العيوب .

وبهذا الإسناد لعقيل بن عُلَّفَة :

إنى ليَحمَدُنى الخليلُ إذَا اجتَدَى مالى ويكْرَهُنى ذَوُو الأضْغانِ
وأبيتُ تَخْلِجُنى الهُمومُ كأنَّنى دَلْوُ السُّقاةِ تُمَدُّ بالأشْطانِ(٦)

(١) نوافذ ؛ أى سهاماً نافذة ، وجوائف ، أى تبلغ الجوف . (٢) البيت فى اللسان (روح) ، ورواه : « رياح » بالكسر . والقوادم : أوائل النظر . والسدف : جمع سدفة ؛ وهى الظلمة .

(٣) شفعت : صارت شفعا ، أى أصبح يرى الشىء شيئين كما يراه الأحول ؛ يصف ضعف بصره .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « نابية » . (٥) حاشية ت : « غانيا ؛ أى غنيا ؛ ومعناه ذا غنى ، كلابن وتامر » . (٦) تخلجنى : تشغلنى ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت . والأشطان الحبال .

وأَعيشُ بالبَلَلِ القليلِ وقدْ أَرَى ... أنَّ الرُّموسَ مَصارِعُ الفِتْيانِ[١]

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال: حدثنى علىّ بن منصور قال: أخبرنى محمد بن موسى عن دِعْبل بن علىّ قال قال عَقِيل بن عُلَّفة: ــ وذكر الأبيات الثلاثة، وزاد فيها:

ولقدْ عَلِمتُ لئنْ هلَكْتُ لَيذْكُرَنْ ... قومى إِذَا عَانَ النَّجِىُّ مكانِى[٢]

***

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله تأييدَه: وكان عَقِيل بن علَّفة مع قوّة شعره جيِّدَ الكلام حكيم الألفاظ. وروى المدائنى قال: قال عبدالملك بن مروان لِعَقيل بن عُلَّفة المرّىّ: ما أحسنُ[٣] أموالكم؟ فقال: ما نالَه أحدُنا عن أصحابه تفضّلا، قال: ثم أيُّها؟ قال: مواريثُنا، قال: فأيُّها أشرف؟ قال: ما استفدْناه بوقْعَة خَوَّلَتْ نعماً، وأفادتْ عزًّا، قال: فما مبلغُ عِزِّكم؟ قال: ما لم يُطْمَعْ فينا، ولم /نُؤْمَنْ، قال: فما مبلغُ جودِكم؟ قال: ما عَقَدْنا به [١٢٤ و] مِنَنًا، وأبقينا به ذِكْراً، قال: فما مبلغُ حِفاظكم؟ قال: يدْفع كل رجلٍ منّا عن المستجيرِ به كدفاعه عن نَفْسه؛ قال عبدُ الملك: هكذا فليصفِ الرجل قومَه.

وروى أنه قيل لعقيل بن عُلَّفة: قد عَنَّسَتْ[٤] بناتُك، أفما تخشى عليهن الفساد؟ قال: كلّا، إنى خلّفت عندهن الحافِظَيْن، قيل: وما هما؟ قال: الجُوع والعُرْى، أجيعهن فلا يأشَرْن، وأعرِّيهن[٥] فلا يَظْهرن.

وقال له عبد الله يوماً: مالك تهجُو قومك؟ قال: لأنهم أشباه الغَنم، إذا صِيحَ بها رَفَعَتْ، وإذا سُكِتَ عنها رَتَعَتْ، قال: إنّما تقول البيتَ والبيتين، قال: حسبى من القلادة ما أحاط بالعنق.

---

(١) البلل فى الأصل: مابل الحلق من ماء أو لبن أو غيره.

(٢) حاشية الأصل: «يصف نفسه بحفظ الأسرار؛ يقول: إذا مت والناس يناجون غيرى فيفشى أسرارهم؛ يذكرونى عند ذلك ويذكرون مكانى». (٣) من نسخة بحواشى الاصل، ت، ف: «ماأخس». (٤) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «عنست بناتك؛ بتاء الخطاب؛ أى أخرتهن عن التزويج». (٥) حواشى الأصل، ت، ف: «فى معناه الحديث: (اعروا النساء يلزمن الحجال)».

فأما معنى « علفة » اسم أبيه ، فإن ابنَ الأعرابىّ قال : العُلَّفة مثلُ الباقِلّاء الرَّطْبة تكون تحت الزهرة من البقل وغيره . وقال أبو سعيد السُّكَّرِىّ : العُلَّفة ضربٌ من أوعية بَزْرِ بعض النبات مثل قشرة الباقِلَّاء . واللُّوبيا ؛ وهو الغلاف الذى يجمع عِدَّةَ حَبّ .

وقيل : إن عَقِيلًا كان يُكْنَى بأبى الوليد ، وكان رجلًا غيوراً موصوفاً بشدة الغيْرة ، وروى أبو عمرو بن العلاء أنَّه حمل يوماً ابنةً له وأنشأ يقول :

إنى وإنْ سِيقَ إلىَّ المَهْرُ ألفٌ وعبدانِ وذَوْدٌ عَشْرُ[1]

أحبُّ أصهارِى إلىَّ القَبْرُ

وذكر الأصمعىُّ أن عَقيلا كان لغيْرته إذا رأى الرجلَ يتحدث إلى النساء أخذه ، ودَهَن أرفاغَه[2] ومغابِنَه بزُبْد وربطه وطرحه فى قَرْية النمل ، فلا يعود إلى محادثتهنّ .

وروى الأصمعىّ قال : كان[3] عَقِيل بن عُلَّفة فى بعض سفره ، ومعه ابنه العَمَلَّس وابنته الجرْباء، فأنشأ يقول :

قَضَتْ وَطرًا مِنْ دَيْرِ سَعْدٍ ورُبَّما على عَجَلٍ ناطَحْنَهُ بالجَماجِمِ[4]

ثم أقبلَ على ابنه فقال : أجِزْ يا عَمَلّس ، فقال :

وأصبحْنَ بالمَوْماةِ يَحمِلْنَ فِتيةً نَشاوَى مِنَ الإدْلاجِ مِيلَ العَمائِمِ[5]

(١) الذود : القطيع من الإبل . (٢) الأرفاغ : جمع رفغ ؛ وهو أصل الفخذ ، والمغابن : جمع مغبن ، كمنزل وهو الإبط . (٣) الخبر فى الأغانى ١٢ : ٢٥٦—٢٥٧ (طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) دير سعد : بين بلاد غطفان والشام ، وبعده فى رواية الأغانى :

إذَا هَبطَتْ أرضاً يَمُوتُ غُرابُها بِهاَ عَطَشاً أعْطَيْنَهُمْ بالْخَزائِمِ

والخزائم : جمع خزامة ، وهى حلقة من شعر تجعل فى أحد جانبى منخرى البعير لينقاد بها .

(٥) الموماة : المفازة الواسعة . نشاوى : سكارى . الإدلاج : السير من أول الليل ، وبعده فى رواية الأغانى :

إذا عَلَمٌ غَادَرْنَهُ بتَنُوفَةٍ تَذارَعْنَ بالأَيْدِى لآخر طاسِمِ

ـــ والعلم : شىء ينصب فى الفلوات تهتدى به الضالة . التنوفة : المفازة . تذارعن : سرن ، وأصله أن يذرع البعير بيديه فى سيره ذرعاً إذا سار على قدر سعة خطوه . رسم طاسم : دارس .

ثم أقبل على ابنته ، فقال : أجيزى يا جَرْباء ، فقالت :

كأنَّ الكرَى سَقَّاهُمُ صَرْخَدِيَّةً … عُقارًا تَمَشَّتْ فى المَطا والقَوائِمِ [1]

[١٢٥ ط] قال :/ فأقبل على ابنته يضربُها ويقول : والله ما وصفتِها بهذه الصفة حتى شَرِبتِها ؛ فوثب عليه إخوتها فقاتلوه دونها ، ثم رماه أحدُهم بسهم فانتظم فَخِذَيْهِ ، فقال عقيل :

إنَّ بنىَّ زمَّلونى بالدَّمِ [2] … مَنْ يَلْقَ أبطالَ الرِّجالِ يُكْلَمِ [3]

ومَنْ يكُنْ ذا أَوَدٍ يُقَوَّمِ … شِنْشِنَةٌ أعرِفُها مِنْ أَخْزَمِ

الشنشنة : الطبيعة والسجية . وقيل الشبه ، وهذا مَثَل اجتلبه عَقيل [4] ، وقد قيل قبله ؛ ولعقيل :

ولِلدَّهرِ أثوابٌ فكُنْ فى لِباسهِ … كلِبْسَتِه يومًا أَجَدَّ وأَخلَقَا [5]

وكُنْ أَكيَسَ الكَيسَى إذا كُنتَ فيهمُ … وإنْ كُنتَ فى الحَمقَى فكُنْ أنتَ أحمقَا

---

(١) الصرخدية : منسوبة إلى صرخد ، وهو بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . العقار : الخمر . المطا : الظهر . (٢) رواية الأغانى : « سربلونى » ، (٣) رواية اللسان (شنن) : « آساد الرجال » . (٤) حاشية الأصل : « قال س : قرأت فى أمالى ابن الجبان الأصبهانى : شنشنة [بالفتح] ، وشنشنة [بالكسر] ، ونشنشة [بالفتح] ، ونشنشة [بالكسر] ، قال : قد فسروها بالطبيعة وبالمضغة من اللحم وبالمجامعة . ضارب هذا المثل حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائى حين نشأ حاتم ، ونقيل أخلاق جده أخزم فى الجود فقال : « شنشنة أعرفها من أخزم » ، وتمثل به عقيل ابن علفة » وفى اللسان عن ابن برى : « كان أخزم عاقا لأبيه ، فمات وترك بنين عقوا جدهم وضربوه وأدموه ، فقال ذلك » .

وانظر ترجمة عقيل وأخباره وأشعاره فى (الأغانى ١١ : ٨١–٨٩) .

(٥) حاشية ف : « المعنى : فالبس مع الدهر لبوسه ؛ إن لبس الجديد فالبس أيضا أنت الجديد ، وبالعكس » .

مجلس آخر [٢٨]

تأويلُ آيةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٠] فقال : كيف يصِحُّ القولُ بأنَّها رجعتْ عليه وهى لم تخرج عن يده؟ .

الجواب ، قلنا قد ذُكر فى ذلك وجوه :

أوَّلها أنَّ الناس فى دار المحنة والتكليف قد يغترّ بعضُهم ببعض، ويعتقدون فيهم أنهم يملكون جرَّ المنافع إليهم وصَرْف المضارّ عنهم ، وقد تَدخل عليهم الشُّبَه لتقصيرِهم فى النظر ، وعدولهم عن وجهه وطريقه، فيعبدُ قومٌ الأصنام وغيرها من المعبودات الجامِدة الهامدة التى لا تَسمع ولا تُبصِر ، ويعبدُ آخرون البشرَ ، ويجعلونهم شركاء لله تعالى فى استحقاق العبادة ؛ ويضيفُ كلُّ هؤلاء أفعالَ الله عز وجل فيهم إلى غيره ، فإذا جاءَت الآخرةُ ، وانكشف الغِطاء واضطرُّوا إلى المعارف زال ما كانوا عليه فى الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل ، وأيقَن الكلّ أنه لا خالقَ ولا رازقَ ولا ضارَّ ولا نافعَ غيرُ الله تعالى فردوا إليه أمورَهم ، وانقطعت آمالُهم من غيرِه ، وعَلِموا أنَّ الذى كانوا عليه من عبادةِ غيره ، وتأميلِه للضَّرِّ والنفع غُرورٌ وزُور ، فقال الله تعالى : ﴿ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ لهذا المعنى .

والوجه الثانى أن يكونَ معنى الآية فى الأُمور أنّ الأمورَ كلَّها لله تعالى ، وفى يده وقبضتِه من غير خروج ورجوع حقيقىّ ؛ وقد تقولُ العرب: قد رجع علىَّ من فلان مكروه، بمعنى صار إلىَّ منه ؛ ولم يكن سبق إلىّ قبلَ هذا الوقت ، وكذلك يقولون : قد/عاد علىَّ من زيدٍ كذا وكذا وإن وقع منه على سبيل الابتداء قال الشاعر : [١٢٥ و]

وإنْ تكنِ الأيّامُ أَحسنَّ مرّةً ... إلىَّ فقدْ عادَتْ لهنَّ ذُنُوبُ

أى صارت لها ذنوبٌ لم تكُنْ من قبلُ؛ بل كان قبلها إحسان فحَمْلُ الآيةِ على هذا المعنى شائع جائز تشهدله اللغة .

والوجه الثالث أنّا قد علمنا أنّ الله تعالى قد ملّك العبادَ فى دار التكليف أموراً تنقطع بانقطاع التكليف، وإفضاء الأمرِ إلى الدار الآخرة ، مثل ماملّكه الموالى من العبيد ، وما ملّكه الحكام من الحُكم وغيرِ ذلك ؛ فيجوز أنْ يريد تعالى برجوع الأمرِ إليه انتهاء ماذكرْناه من الأُمور التى يملِكُها غيرُه بتمليكه إلى أنْ يكون هو وحدَه مالكها ومُدبِّرَها .

ويمكن فى الآية وجهٌ آخر ؛ وهو أن يكون المراد بها أنّ الأمر ينتهى إلى ألاّ يكون موجود قادر غيرُه ، ويُفضِى الأمرُ فى الانتهاء إلى ما كان عليه فى الابتداء ، لأن قبل إنشاء الخلق هكذا كانت الصورةُ ، وبعد إفنائهم هكذا تصير وتكون الكنايةُ برجوع الأمر إليه عن هذا المعنى ، وهو رجوعٌ حقيقىّ ، لأنه عاد إلى ما كان عليه متقدماً .

ويحتمل أيضاً أنّ المراد بذلك أنّ إلى قدرته تعودُ المقدورات ، لأن ماأفناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والأعراض ترجع إلى قدرته ، ويصحّ منه تعالى إيجادُه لعودِه إلى ما كان عليه ، وإن كان ذلك لايصحّ فى مقدورات البشر ، وإنْ كانت باقية لما دلّ عليه الدليل ، من اختصاص مقدور القُدَر باستحالة العود إليها ، من حيث لم يَجُزْ فيها التقديم والتأخير ؛ وهذا أيضاً حُكْم ، هو تعالى المتفرد به دون غيره من سائر القادرين ، والله أعلم بما أراد .

تأويل آية أخرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ ، [البقرة : ١٨٩] .

فقال : أىّ معنًى لذكرِ البيوت وظهورِها وأبوابِها ؟ وهل المرادُ بذلك البيوتُ المسكونة

على الحقيقة ، أو كَنّى بهذه اللفظة عن غيرها ؟ فإن كان الأول فما الفائدة فى إتيانها من أبوابها دون ظهورها ؟ وإن كانتْ كناية فبينوا وجهها ومعناها .

الجواب قيل له فى الآية وجوه .

أولها ماذكر من أنّ الرجلَ من العرب كان إذا قصد حاجةً فلم تُقْضَ له ، ولم يُنْجِح فيها رَجَع فدخل من مُؤَخَّر البيت ، ولم يدخل من بابه تطيُّراً ، فدلَّهم اللهُ تعالى على أنَّ هذا من فعلهم لابِرَّ فيه ، وأمَرَهم من التُّقى بما ينفعُهم ويقرِّبهم إليه ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن التطيُّر وقال : «/ لاعَدْوَى ولاطِيَرَةَ ولا هامَةَ ولا صَفَر »؛ أى لايُعدِى شىءٌ شيئاً. وقال عليه السلام : « لا يُورِدُ ذو عاهة على مُصحٍّ »؛ ومعنى هذا الكلام أنّ مَنْ لحقتْ إبلَه آفةٌ أو مرضٌ فلا ينبغى أن يوردَها على إبل لغيرِه صِحاح ، لأنَّه متى لَحِقَ الصِّحاح مثلُ هذه العاهة اتفاقاً ، لا لأجلِ العدْوَى لم يؤْمَنْ من صاحبِ الصِّحاح أن يقول إنما لحِق إبلى هذه الآفة من تلك الإبل ، وهى أعدَتْ إبلى ، فنهى النبى صلى الله عليه وآله عن هذا ، ليزولَ المأثمُ بين الفريقين والظَّنُّ القبيح . [١٢٥ ظ]

وثانيها أن العرب إلاَّ قريشاً ومن ولَدَتْه قُريش كانوا إذا أحرموا فى غير الأشهرِ الحرُم لم يدخلوا بيوتَهم من أبوابها ، ودخلوها من ظهورها إذا كانوا من أهل الوبَر ، وإذا كانوا من أهل المَدَر نقبوا فى بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ، ولم يَدْخُلوا ولم يخرجوا من أبواب البيوت ؛ فنهاهم الله تعالى عن ذلك ، وأعلمهم أنه لا معنى له ، وأنه ليس من البرّ وأن البرّ غيرُه .

وثالثها — وهو جواب أبى عُبيدة مَعْمر بن المثنى — أن المعنى ليس البرّ بأن تطلبوا الخيْرَ من غير أهله ، وتلتمسوه من غير بابه، ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ، معناه : واطْلُبُوا الخيرَ من وجهه ، ومن عند أهله .

ورابعها — وهو جواب أبى علىّ الجُبَّائى — أن تكون الفائدة فى هذا الكلام ضربَ المثل ،

وأراد : ليس البرَّ أن يأتىَ الرجل الشىء من خلاف جهته ؛ لأن إتيانَه من خلاف جهته يُخرج الفعل عن حد الصواب والبرّ إلى الإثم والخطأ، وبيَّنَ البرّ والتقوى ، وأمر بإتيان الأمور مِن وجوهِها ، وأن تُفعل على الوجوه التى لها وجبت وحَسُنَت ، وجعل تعالى ذكرَ البيوت وظهورها وأبوابها مثلا ؛ لأن العادل فى الأمر عن وجهه كالعادل فى البيت عن بابه .

وخامسها أن تكون البيوت كنايةً عن النساء ، ويكون المعنى : وأْتُوا النساء من حيث أمركم الله ، والعرب تسمِّى المرأة بيتاً ؛ قال الشاعر :

مالى إذَا أنزِعُها صأيْتُ أ كِبَرٌ غيَّرَنى أم بيْتُ(١)

أراد بالبيت : المرأة .

ومما يمكن أن يكون شاهدا للجواب الذى حكيناه عن أبى علىّ الجُبّائىّ ، والجواب عن

[١٢٦ و] أبى عبيدة أيضاً ماأخبرنابهأبوالقاسم عبيد الله عثمان بن يحيى قال: أخبرنا/أبوعبدالله محمدبن أحمد الحكيمىّ قال : أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوىّ قال : أنشدنا ابن الأعرابىّ(٢) :

إنى عَجِبتُ لأمِّ العَمْرِ إذْ هزِئَتْ مِنْ شيْبِ رَأْسِى ومابالشَّيْبِ مِنْ عارِ(٣)

ما شِقْوَةُ المرْءِ بالإقْتار يُقْتِرُهُ ولا سَعادَتُه يوْماً بإكْثارِ

إنَّ الشَّقىَّ الذى فى النَّارِ مَنْزِلُهُ والفوْزُ فوْزُ الذى يَنجو مِنَ النَّارِ

أَعوذُ باللهِ مِن أمرٍ يُزَيِّنُ لى شَتْمَ العَشيرةِ أو يُدْنى مِنَ العار

وخيرِ دُنيا يُنَسِّى أمْرَ آخرةٍ وسوفَ يُبْدِى لىَ الجَبّارُ أسرارِى(٤)

(١) البيان فى اللسان (صأى) وفى حاشية الأصل : « هذا مستق يستقى الماء من البئر وينزع الدلو . والهاء فى قوله : «أنزعها» راجعة إلى الدلو ؛ وقيل الضمير للقوس ؛ يقال: «صأى يصأى ، مثل صعى يصعى؛ إذا صوت » . (٢) أبيات منها فى الكامل ٢ : ٥١-٥٢ — بشرح المرصفى ؛ عن ابن الأعرابىّ ، ونسبها إلى أحد ابنى حبناء، قال : « وأحسبه صخرا » .

(٣) حاشية الأصل : « ويروى : « لأم الغمر — بالغين المعجمة » ، ورواية الكامل :

إنِّى هزِئْتُ من أمِّ الغَمْرِ إذ هزِئَتْ بشيْبِ رأسِى ، ومابالشَّيْب من عارِ

(٤) د :

* وَسَوْفَ تبدُو إلَى الجبَّارِ أَسْرَارِى *

لا أدْخُلُ البيتَ أحبُو مِن مُؤَخَّرِهِ ولا أُكَسِّرُ فى ابنِ العمِّ أظفارِى

فقوله :

* لا أدخُل البيتَ أحبو من موُخَّره *

يحتمل أن يريد به : إننى لا آتى الأمور من غير وجهها ، على أحد الأجوبة فى الآية ، ويحتمل أيضا أنى لا أطلب الخير إلا من أهله على جواب أبى عبيدة، ويحتمل وجها آخر(١)؛ وهو أن يريد أننى لا أقصد البيتَ للرِّيبة والفساد، لأنّ مِن شأن مَن يسعى إلى إفساد الحُرَم، ويقصد البيوت للريبة أن يعدل عن أبوابها طلباً لإخفاء أمره ، فكأنه نفى عن نفسه هذا القول القبيح ، وتنزَّه عنه؛ كما تنزه بقوله :

* ولا أُكسِّر فى ابن العمِّ أظفارى *

عن مثله، وأراد أنه لا يَنْدَى(٢) ابنَ العمِّ منى السوء، ولا يتألم بشىء من جهتى، فأكون كأننى قد جرحته بأظفارى ، وكسرتها فى لحمه ؛ وهذه كنايات بليغة مشهورة للعرب .

* * *

ويجرى مَجرى هذه الأبيات ويقاربها فى المعنى وحسنِ الكناية قولُ هِلال بن خَثْعَم :

وإنى لَعفٌ عن زيارةِ جارَتى وإنى لَمشْنوءٌ إلىَّ اغْتِيابُها

إذَا غابَ عنها بَعلُها لم أكُنْ لها زَءوراً ولم تَنْبَحْ علىَّ كِلابُها(٣)

وما أنا بالدَّارِى أحادِيثَ بيْتِها ولا عالمٍ مِنْ أىّ حَوْكٍ ثِيابُها

وإنّ قِرابَ البَطْنِ يَكْفيكَ مِلؤُهُ ويكفيكَ عوراتِ الأمورِ اجْتنابُها(٤)

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ووجه آخر » . (٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « من حر كلامهم : ما يندك منى سوء ، أى ما يصيبك ، ويقال : ما نديت بهذا الأمر ولا نطقت به ، ولا بللت به ، أى ما علمته ولا أصبته ، قال النابغة :

وَلَا نديتُ بشىءٍ أنتَ تكْرَهُهُ إذاً فلاَ رَفعتْ سوْطِى إلىّ يَدِى

(٣) يقال رجل زوار وزءور ، كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت .

(٤) حاشية الأصل : « القراب : مادون الملء أو قريب منه » .

قال سيدنا أدام الله علوّه : وقد جمعتْ هذه الأبيات فِقَرًا عجيبة ، وكنايات بليغة ، لأنه نفَى عن نفسه زيارةَ جارته عند غيبة بعلها ، وخصَّ حال الغيبة لأنها أدنى إلى الرِّيبة وأخصُّ بالتهمة فقال /: « ولم تنبحْ علىَّ كِلابها » ، أراد : إنى لا أطرُقها ليلا مستخفياً متنكِّراً فتُنكِرَنى كلابُها ، وتنبَحنى ، وهذه الكناية تجرى مجرى قول الشاعر المتقدم : [١٢٦ ظ]

* لا أدخُل البيت أحبُو مِنْ مؤخَّرِه *

وقد روى : « ولم تأنس إلىَّ كلابها » وهذا معنى آخر ، كأنه أراد أنه ليس يُكثر الطروقَ لها والغشيان لمنزلها ، فتأنس به كلابها لأن الأنس لا يكون إلاَّ مع المواصلة والمواترة .

وقوله :

* وما أنا بالدَّارِى أحاديثَ بيتها *

أراد به أيضاً التأكيدَ فى نفى زيارتها وطروقِها عن نفسه ؛ لأنه إذا أدْمَن الزيارةَ عرف أحاديث بيتها ، فإذا لم يزرها وصارَمها لم يعرف ، ويحتمل أن يريد: إننى لاأسأل عن أحوالها وأحاديثها كما يفعل أهل الفضول؛ فنزَّه نفسه عن ذلك .

وقوله :

* ولا عالمٍ من أىِّ حَوْكٍ ثيابها *

كنايةً مليحة عن أنَّه لا يجتمع معها ، ولا يقرب منها؛ فيعرف صفة ثيابها .

* * *

وبالإسناد المتقدّم لحارثة بن بدر الغُدَانِىّ[(١)] .

إذَا الهَمُّ أمْسَى وهْوَ دَاءٌ فأَمضِهِ ... ولسْتَ بمُمْضِيهِ وأنتَ تُعادِلُهْ

ولا تُنْزِلَنْ أمرَ الشَّدِيدَةِ بامْرئٍ ... إذَا هَمَّ أمْراً عَوَّقتْه عَوَاذِلُه[(٢)]

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن غدانة ؛ من بنى يربوع . كان من فرسان بنى تميم ووجوهها وسادتها ، ولم يكن معدودا فى فحول الشعراء ، ولكنه كان يعارض نظراءه فى الشعر . (وانظر أخباره وأشعاره فى الأغانى ٢١ : ١٣-٣١) (٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « سوفته عواذله » .

فما كلُّ ما حاوَلْتَهُ الموتُ دُونَه ، ولا دُونَهُ أرْصادُهُ وحَبائلُه
وما الفَتْكُ ما آمَرْتَ فيهِ ولا الذى تُحَدِّثُ مَن لاقَيْتَ أنَّكَ فاعِله[1]
وما الفَتْكُ إلاَّ لامرِئٍ ذِى حَفيظةٍ إذَا صالَ لم تُرْعَدْ إليه خصائلُه[2]
ولا تجعلَنْ سِرًّا إلى غيرِ أهلِهِ فتَقْعُدَ إنْ أفْشَى عليكَ تُجادِلُه
ولا تَسأَلِ المالَ البَخيلَ تَرَى لهُ غِنًى بعدَ ضُرٍّ أوْرَثَتْهُ أوائلُه[3]
أرَى المالَ أفياءَ الظِّلالَ فتارةً يَئوبُ ، وأُخرَى يَختِلُ المالَ خاتِلُه

معنى « آمرت » شاورت . والخصائل : كل لحم مجتمع .

وقد روينا فى هذه الأبيات زيادة على القَدْر الذى ذكرناه :

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنى الحسن بن علىّ قال حدثنا محمد بن العباس قال حدّثنى الفضل بن محمد عن أبى المنهال المهلّبىّ قال : من الأبيات السائرة قولُ حارثة ابن بدر الغُدَانِىّ :

لَعمْرُكَ ما أبقَى لِىَ الدَّهرُ مِنْ أخٍ حَفِىٍّ ولا ذِى خُلَّةٍ لى أُواصِلُه[4]
/ ولا مِن خَليلٍ ليسَ فِيهِ غَوائلٌ فشَرُّ الأخِلاَّءِ الكَثيرُ غَوائلُه [١٢٧ و]
وقُلْ لِفُؤَادٍ إنْ نَزَا بكَ نَزْوَةً مِنَ الرَّوعِ أفرِخْ ، أكثَرُ الرَّوْعِ باطِلُه[5]

معنى « أفرخ » أى اسكن ، يقال : أفرخَ رَوْعُه إذا سكن .

وما كلُّ ما حاولتَهُ ، الموتُ دُونَهُ . . . .

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ولا الفتك » . وآمرت : شاورت .

(٢) من نسخة بحاشية الأصل : « لم ترعد إليه » . وفيها : « الخصائل : جمع خصلة ، وهى كل لحم مجتمع ، مثل الساقين والفخذين » .

(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يجوز أن يكون ضمير المال أو البخل » .

(٤) الحفىّ : الذى يكرم خليله ويبالغ فى إكرامه ، مع إظهار المسرة والفرح .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « إنما نكّر الفؤاد على اعتبار أن له فؤادين ، أحدهما يشجعه والآخر يجبنه ، فقال : لا تطع المجبن ؛ وإنما جعل لنفسه فؤادين ينقسمان للخوف والأمن ، لكيلا يكون فى حال من الأحوال جبانا مطلقا ، بل يكون مترنحا بينهما » . وفى حاشية ت (من نسخة) : « للفؤاد » .

وذكر البيتين اللذين بعده ، وزاد :

وكُنْ أنتَ تَرْعَى سِرَّ نفسِكَ واعامَنْ   بأَنَّ أَقلَّ النَّاسِ للنَّاسِ حامِلُه(١)
إذَا ما قَتَلْتَ الشَّىْءَ عِلْماً فبُحْ بِهِ(٢)   ولا تَقُلِ الشَّىْءَ الذى أنتَ جاهِلُه

ومما يستحسَن لحارثة بن بدر قولُه :

لنا نَبْعةٌ كانتْ تَقِينا فُرُوعُها   وقدْ بلَغَتْ إلاَّ قليلًا عُرُوقُها(٣)
وإنَّا لتَستَحلى المنايا نُفوسُنا   ونتْرُكُ أُخرَى مُرَّةً لا تَذُوقُها(٤)
وشيَّبَ رَأْسى قبلَ حينِ مَشيبِهِ   رعودُ المَنايا بينَنا وبُرُوقُها

قوله :

* لنا نَبْعَةٌ كانتْ تقينا فُروعُها *

مَثَلٌ ضربه، وإنما أراد عشيرتَه وأهلَ بيته .

وقد روى هذه الأبيات علىّ بن سليمان الأخفش عن أبى العباس ثعلب ، وزاد فيها :

رَأَيتُ المَنايا بادياتٍ وعُوَّدًا   إلى دَارِنا سَهْلًا إلينا طَرِيقُها
وقدْ قُسِمَتْ نفسى فَرِيقينِ مِنْهُما: فَرِيقٌ مع المَوْتَى ، وعِندى فَرِيقُها
وبيْنا نُرَجِّى النَّفْسُ ما هُو نازِحٌ   مِنَ الأمرِ لاقَتْ دُونَها ما يَعوقُها

وروى أبو العيناء قال : أنشد الشعبىّ عبد الله بن جعفر الأبيات الثلاثة الأُوَل ،

(١) د : « للسر » ، وفى حاشية ت : « نسخة الشجرى : « أقل الناس للسر حامله » ، كأنه أقلهم لحمله .   (٢) قلت الشىء علما ، أى علمته علما تاما ، ومن نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « فقل به » .   (٣) النبع : شجر ينبت فى قلة الجبل ، تتخذ منه العصى .

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « مرة لاتذوقها » ، وفى حاشية ف : مثله «قول السموءل ابن عاديا اليهودى :

يُقَرِّبُ حُبَّ الموتِ آجالَنالنا   وتكرهُهُ آجالُهُمْ فتَطُولُ

أى حبنا الموت ؛ ويجوز أن يكون أضاف الحب من قوله : « حب الموت » إلى الفاعل ؛ فيكون المعنى : يقرب حب الموت لنا آجالنا ؛ ويكون هذا كقول طرفة :

أَرَى المَوْتَ يَعْتامُ الكِرامَ وَيَصْطَفِى   عَقِيلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المتشدِّدِ

فقال عبدالله: لمَنْ هذا يا شعبيّ؟ فقال: لحارثة بن بدر، فقال: نحن أحقّ بهذا، ثم أمر للشّعبيّ بأربعمائة دينار.

ومن مستحسن قول حارثة:

ولقد وليتُ إمارةً فرجَعْتها ... فى المالِ سالمةً ولم أتموَّلِ(١)
ولقد مَنَعتُ النُّصْحَ مِن مُتقبِّلٍ ... ولقدْ رَفَدْتُ النُّصحَ مَن لم يَقبلِ
/ فبأىِّ لَمْسَةِ لامسٍ لمْ ألتمِسْ ... وبأىِّ حيلةِ حائلٍ لم أحتلِ(٢) [١٢٧ ظ]
يا طالِبِ الحاجات يرْجو نُجْحَها ... ليسَ النجاحُ معَ الأخفِّ الأعْجَلِ
فاصْدُقْ إذا حدَّثْتَ تُكتَبْ صادِقاً ... وإذا حَلفْتَ مُمارِياً فتحَلَّلِ(٣)

ــ معنى « تكتب صادقاً » ، أى تكون عند الله صادقاً . وقوله : « فتحلَّل » أى استَثنِ ــ

وإذا رأيتَ الباهِشِينَ إلى العُلا ... غُبْراً أكُفُّهُمُ برَيْثٍ فاعجَلِ

ــ معنى الباهشين : المادِّين أيديهم إلى الشىء المهتشِّين(٤) له ــ

واحْذَر مَكانَ السُّوءِ لا تحْلُل بهِ(٥) ... وإذَا نَبا بِكَ مَنْزِلٌ فتحَوَّلِ
وإذا ابنُ عمِّكَ لجَّ بَعْضَ لَجاجَةٍ ... فانظُرْ بهِ عِدَةً ولاَ تَسْتَعجِلِ
وإذا افتقَرْتَ فلا تكُنْ مُتَخَشِّعاً ... ترجو الفوَاضلَ عند غيرِ المُفْضِلِ
واسْتَغْنِ ما أغْناكَ رَبُّكَ بالغِنَى ... وإذا تكونُ خَصاصةٌ فتجمَّلِ

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدّثنا محمد بن أبى الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد

---

(١) عجز البيت الخامس والبيت ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ نسبت إلى عبد قيس بن خفاف البرجمى فى قصيدة مفضلية ٧٥٠–٧٥٣ مطلعها :

أجبيلَ إنَّ أباكَ كارِبُ يومِهِ ... فإذا دُعيتَ إلى العظَائِمِ فاعْجَلِ

(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ف : « خَتْلَةِ خَاتِلٍ لَمْ أَخْتَلِ ».

(٣) مماريا : مجادلا .

(٤) ف ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « المشتهين » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « لا تنزل به » .

النحوىّ قال : كان(١) حارثة بن بدر الغُدانىّ رجلَ تميم فى وقته ، وكان قد غلب على زياد ، وكان الشرابُ قدغلب عليه، فقيل لزياد: إن هذا قدغلب عليك ، وهو مستَهْتَر(٢) بالشراب؛ فقال زياد : كيف باطِّراح رجلٍ هويسايرنى مذ دخلت العراق، لم يَصْككْ ركابى ركابَه(٣) ، ولا تقدمنى فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخَّر عنى فلويت عنقى إليه ، ولا أخذ علىّ الشمسَ فى شتاء قط ، ولا الرَّوْح(٤) فى صيفٍ قطّ ، ولا سألتُه عن علمٍ إلا ظننتُه لا يحسنُ غيرَه ! فلما مات زياد جفاه ابنُه عبيدالله، فقال له حارثة : أيها الأمير ، ماهذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبى المغيرة(٥)! فقال له عبيد الله : إن أباالمغيرة قد كان برَعَ بُرُوعاً لا يلحقه معه عَيب ، وأنا حَدَثٌ، وإنما أنسب إلى مَن يغلب علىّ ، وأنت رجل تديمُ الشَّراب ، فمتى قرَّبتُك وظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يظنَّ بى ، فدعِ الشراب ، وكن أول داخل علىّ ، وآخر خارج ، فقال له حارثة : أنا لا أدعُه لمن يملك ضرّى ونفعى، أفدعه للحال عندك! قال: فاخترْ

[١٢٨ و] من عملى ماشئت. قال : توليني رامهُرْمُز(٦) ، فإنها أرض عذاة(٧)، وسُرّق(٨)؛ فإن بها شراباً وُصِفَ لى . فولاَّه إياها ، فلما شيَّعه الناسُ قال أنس بن أبى أنيس(٩) ــ وقيل : ابن أبى إياس الدِّيلىّ :

أحارِ بنَ بدْرٍ قد وَليتَ إمارَةً ... فكن جُرَذًا فيها تخونُ وتَسْرِقُ(١٠)

ولا تَحقِرَنْ يا حارِ شيئاً وجدتَه ... فحَظُّكَ مِنْ مُلكِ العِراقَيْنِ سُرّق

---

(١) الخبر فى الكامل ــ بشرح المرصفى ٣ ــ ١٩١ ــ ١٩٢ .

(٢) مستهتر بالشراب : مولع به ؛ من استهتر بكذا ، مبنيا لما لم يسم فاعله : أولع به لايفعل غيره ، ولا يتحدث إلا به . (٣) من نسخة بحاشيتى ف ، ت : « يصطك ركابى ركابه » .

(٤) الروح : برد النسيم. (٥) أبو المغيرة: كنية زياد .

(٦) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحى خوزستان من بلاد الفرس .

(٧) الأرض العذاة : الطيبة التربة ، البعيدة من الأنهار والنجود والسباخ .

(٨) سرق : إحدى كور الأهواز . (٩) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « ابن أبى أنس » . وفى الشعر والشعراء : ٧١٤ : « أنس بن أبى أناس » ، من كنانة ، من الدؤل ، رهط أبى الأسود الدؤلىّ . (١٠) الأبيات فى الشعر والشعراء : ٧١٥ .

وباهِ تميماً بالغِنَى إنَّ للغِنى　　لِساناً به المَرءُ الهَيوبةُ يَنْطِقُ[(١)]
فإنَّ جميعَ الناس؛ إمَّا مُكذِّبٌ　　يقول بما يَهوَى، وإما مُصدِّقُ[(٢)]
يقولون أقوالاً ولا يعلمونَها　　فإن قِيلَ هاتوا حقِّقوا لم يحقِّقوا

وهذه الأبيات تروى لأبى الأسود الدُّؤلىّ، وأنه كتب بها إلى حارثة لما رُدَّت إليه سُرّق، ويزاد فيها:

وكن حازماً فى اليومِ إنَّ الذى بهِ　　يجىءُ غدٌ يومٌ على الناسِ مُطْبَقُ[(٣)]
ولا تَعْجِزَنْ فالعَجْزُ أوطأُ مَرْكَبٍ　　وما كلُّ مَنْ يَدْعُو إلى الخيرِ يُرزَقُ
إذا ما دعاكَ القومُ عَدُّوكَ آكلاً　　وكُلْ حارِ أوجُعْ؛ لستَ مِمَّنْ يُحَمَّقُ

ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله:

جزاكَ إلهُ الناسِ خيرَ جزائهِ　　فقد قلتَ معروفاً وأوْصَيتَ كافِيا
أشَرْتَ بأمرٍ لو أشرتَ بغيرِهِ　　لألفَيْتَنى فيهِ لرأيك عاصيا[(٤)]

ويقال إن حارثة بن بدر والأحنف بن قيس دخلا على ابن زياد، فقال لحارثة: أىُّ الشراب أطيب؟ وكان يتّهم[(٥)]، فقال: بُرّةٌ طاسارية، وأَقطة غَنَويّة، وسَمنة عنبريّة، وسكَّرة سوسية، ونُطفة مَسرُقانيّة[(٦)]. فقال للأحنف: يا أبا بحر، ما أطيبُ الشراب؟ قال:

---

(١) الهيوبة: الذى يهاب الناس؛ والهاء فيه لتأكيد المبالغة. (٢) حاشية الأصل (من نسخة): «تهوى». (٣) حاشية الأصل: «يقال غمام مطبق؛ أى ذو طبق؛ وقد أطبقت السماء».
(٤) البيتان فى الأغانى ٢١: ٢٣، وبعدهما:

سَتَلْقَى أخاً يُصْفيكَ بالوُدِّ حاضرًا　　ويُولِيكَ حِفْظَ الغَيْبِ إن كنت نائياَ

(٥) ت، ومن نسخة بحاشية الأصل: «وكان يتهم». (٦) حواشى الأصل، ت، ف: «ذكره يزيد بن مفرغ الحميرىّ:

سَقَى هَزِمُ الأوساطِ مُنْبَجِسُ العُرَا　　منازلها من مَسْرُقَان فسرَّقا

ـ هزم الأوساط؛ أى مجلجل بالرعد، وهزيم الرعد: صوته، وأوساطه؛ أى أوساط السحاب».

الخمرُ ، قال : وما يُدْرِيك ولست من أهلها ؟ قال : رأيتُ فيها خَصْلتين عرفت أنها أطيبُ الشراب بهما ، قال : وما هما ؟ قال : رأيت من أُحِلَّتْ له لايتعدّاها إلى غيرها ، ومن حُرِّمت عليه يتناولها ، فعرفت أنها أطيبُ الشراب .

ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغيّر عليه بعد اختصاصه كان بأبيه[1] :

[١٢٨ ظ] / أُهانُ وأُقصَى ثمَّ تَنْتَصِحونَنى   وأىُّ امرئ يُعْطِى نَصيحَتَهُ قَسْرَا!
رَأَيتُ الأكُفَّ المُصلتِينَ عليكُمُ   مِلاءً ، وكَفِّى مِن عَطاياكُمُ صِفْرَا
وإنى معَ السَّاعى إليكُمْ بسيْفِهِ   إذَا أحدثَ الأيَّامُ فى عَظْمِكُمْ كَسْرَا
مَتى تَسألونى ما علىَّ وتَمْنَعوا الْـ   ـلذى لِىَ لاأسْطِعْ على ذلِكُمْ صَبْرَا

وقال يعاتبه :

وكم مِن أميرٍ قد تجبَّرَ بَعْدَ ما   مَرَيتُ لهُ الدُّنيا بسيْفِى فدَرَّتِ
إذَا زبَنَتْهُ عن فُوَاقٍ أتتْ بهِ   دَعانى ولا أُدْعَى إذا ما أَقَرَّتِ
إذَا ماهِىَ اخْلَوْلَتْ محا حَقَّ مَقْسِمى   ويَقسِمُ لى مِنها إذَا ما أَمرَّتِ

زبنته : أى دفعته عن أن يحلُبَها . والفُواق : اجتماع اللَّبن فى الضَّرْع بين الحلبتين ومعنى أقرت : تركته يحلُبها .

ويشبه أبيات حارثة هذه قول عبدالله بن الزَّبِير الأسدىّ يعاتب معاوية ومروانَ وأهلَ بيته ؛ من جملة قصيدة ، وهى أبيات قوية جدًّا :

عَطاؤُكُمُ لِلضَّاربينَ رِقابَكُمْ   ونُدْعَى إذَا ما كانَ حَزُّ الكَراكِرِ[2]
أنحنُ أَخوكُمْ فى المَضِيقِ وسَهْمُنا   إذَا ما قَسَمْتُمْ فى الخِطاءِ الأصاغِرِ

ـ الخطاء : سهام صغار ـ .

---

(١) الخبر مبسوط فى (الأغانى ٢١ : ١٥) ، والأبيات فيه منسوبة إلى أنس بن زنيم الليثى .

(٢) الكراكر : جمع كركرة ؛ وهى صدر البعير . وفى حاشية الأصل : « مثله :

وإذا تكونُ كريهَةٌ أُدْعَى لها   وإذا يحاسُ الحيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ

وثَدْيُكُمُ الأَدْنَى إذَا ما سَأَلْتُمُ … ونُلْقَى بثَدْيٍ حِينَ نَسأَلُ باسِرِ [١]
وإنْ كانَ فينا الذَّنبُ فى النَّاسِ مِثْلُهُ … أُخِذْنا بهِ مِن قبلِ ناهٍ وآمِرِ [٢]

– معنى «من قَبْل ناهٍ وآمر» ، أى من قبل أن نُنْهَى عنه أو نؤمر به ، أى باجتنابه –

وإنْ جاءَكُم مِنَّا غَرِيبٌ بأرْضِكُمْ … لوَيْتُمْ لهُ يوماً جُنوبَ المَناخِرِ
فهَلْ يَفْعَلُ الأعداءُ إلّا كَفِعْلِكُمْ … هَوَانَ السَّرَاةِ وابتِغاءَ العَوَاثِرِ [٣]
وغيَّرَ نفْسِى عَنْكُمُ ما فعَلْتُمُ … وذِكْرُ هَوانٍ مِنكُمُ مُتَظاهِرِ
جَفاؤُكُم من عالَجَ الحَرْبَ عنكمُ … وأَعداؤُكم مِن بينِ جابٍ وعاشِرِ [٤]
فلا تَسأَلونى عن هَوايَ ووُدِّكُمْ … وقلْ فى فؤادٍ قد توَجَّهَ نافِرِ [٥]

ولحارثة يرثى زياداً :

لهَفى علَيْكَ لِلَهْفَةٍ مِنْ خائفٍ … يَبْغى جِوارَكَ حينَ ليسَ مُجيرُ
أمَّا القُبورُ فإنَّهنَّ أوانِسٌ … بجِوارِ قَبْرِكَ والدِّيارُ قُبورُ
عَمَّتْ فوَاضِلُهُ فعَمَّ مُصابُهُ … فالنَّاسُ فيهِ كلُّهمْ مأْجُورُ
رَدَّتْ صنائعُهُ إليهِ حَياتَهُ … فكأنَّهُ مِن نَشْرِها مَنْشورُ

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه : وأظن أبا تمام الطائىّ نظر إلى قول حارثة ابن بدر « ردت صنائعه إليه حياته » فى قوله :

ألم تمُتْ يا شَقيقَ النَّفْسِ مُذْ زَمَنٍ ؟ … فقالَ لى : لم يمُتْ مَن لم يمُتْ كرَمُهْ [٦]

وأخبرنا علىّ بن محمد الكاتب قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن – يعنى ابن أخى الأصمعىّ عن عمه قال: مرّ حارثة بن بدر الغُدَانِىّ ، ومعه كَعْب مولاه ، فجعل لا يمرّ

---

(١) باسر : قليل اللبن . (٢) حاشية ت : « أى إن أذنبنا الذنب الذى يذنب الناس مثله أخذنا به من قبل أن ننهى عنه أو نؤمر بالانكفاف عنه » . (٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « هوان » بضم النون . (٤) الجابى : الذى يأخذ الجباية ، والعاشر الذى يأخذ العشر .

(٥) حاشية الأصل : « أى توجه إلى غيركم ونفر عنكم » . وفى ت وحاشية الأصل (من نسخة) : « قد توجد » . (٦) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « ياشقيق الجود » .

بمجلس من مجالس تميم إلاّ قالوا : مرحباً بسيدِنا . فقال كعب : ما سمعت كلاماً قطّ هو أقرّ لعيني، وألذّ فى سمعى مما سمعتُه اليوم ! فقال حارثة : ولـكنِّى ما سمعت كلاماً قطّ هو أكره إلىَّ منه ، ثم قال :

ذهَبَ الرِّجالُ فسُدْتُ غيرَ مُدَافَعٍ ومِنَ الشَّقاءِ تفَرُّدِى بالسُّؤْدُدِ[(١)]

وهذا البيت يقال إنه لحارثة ، لا أنه تمثَّل به .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنى عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد قال قال الـكنانىّ : مرّ حارثةُ بن بدر بالأحنفِ بن قيس فقال : لولا أنّك مستعجلٌ لشاورتُك ، قال له : أجل ، كانوا يكرهون أن يشاوَرَ الجائع حتى يشبَع ، والظمآنَ حتى ينْقَع ، والمُضِلَّ[(٢)] حتى يَجِد ، والغضبان حتى يرضَى ، والمحزونَ حتى يُفيق .

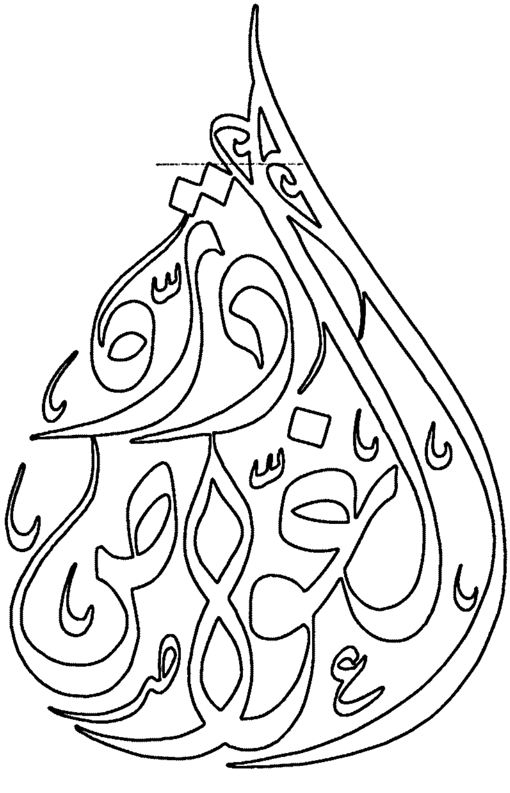

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « غير مسود » . (٢) المضل : الذى ذهب بعيره .

٢٩ مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا / وَاللَّهُ سَرِيعُ [١٢٩ ظ] الْحِسَابِ ﴾ ؛ [البقرة : ٢٠٢].

فقال : أىُّ تمدُّحٍ فى سرعة الحساب ، وليس بظاهرٍ وجهُ المِدْحة فيه ؟ .

الجواب ، قلنا فى ذلك وجوه :

أولها أن يكون المعنى أنه سريع المجازاة[١] للعباد على أعمالهم ، وأنّ وقتَ الجزاء قريب وإن تأخر ، ويجرِى مَجْرَى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ ؛ [النحل : ٧٧] .

وإنما جاز أن يعبّر عن المجازاة أو الجزاء بالحساب ؛ لأنّ ما يجازَى به العبد هو كُفْءٌ لفعله ولمقداره ، فهو حسابٌ له إذا كان مماثلًا مكافئاً .

وممّا يشهد بأنّ فى الحساب معنى الكفاية والمكافأة قوله تعالى : ﴿ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ ؛ [النبأ : ٣٦] ، أى عطاء كافياً ، ويقال : أَحْسَبَنى الطعامُ يُحسِبنى إحساباً إذا كفانِى ، قال الشاعر :

وإِذْ لا تَرَى فى النَّاسِ حُسنا يَفُوتُها ... وفى النَّاسِ حُسنا لوْ تأَمَّلْتَ مُحْسِبُ[٢]

معناه كافٍ .

---

(١) ت : « الحساب » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « يصف امرأة بالحسن ويبالغ فى وصفها ؛ يقول : مارأينا حسنا فات هذه المرأة وتعداها مع أن مافى الناس كفاية حسن » .

وثانيها أنْ يكون المراد أنَّه عزّ وجل يُحاسب الخلْق جميعاً فى أوقات يسيرة ، ويقال : إنّ مقدارَ ذلك مقدارُ حلْبُ شاةٍ ؛ لأنه تعالى لايَشْغَلُه محاسبةُ بعضِهم عن محاسبة غيره[1] ؛ بل يكلِّمهم جميعاً ويحاسبُهم كلَّهم على أعمالهم فى وقت واحدٍ ؛ وهذا أحدُ مايدلّ على أنه تعالى ليس بجسم ، وأنّه لا يحتاج فى فعل الكلام إلى آلة ؛ لأنه لو كان بهذه الصفات ــ تعالى عنها ــ لما جاز أن يخاطِب اثنين فى وقت واحدٍ بمخاطبتين مختلفتين ؛ ولكان خطابُ بعض الناس يشغلُه عن خطاب غيره ، ولكانتْ مدةُ محاسبته للخلْق على أعمالهم طويلة غير قصيرة ؛ كما أنّ جميع ذلك واجب فى المحدَثين الذين يفتقرون فى الكلام إلى الآلات .

وثالثها ماذكره بعضُهم من أنّ المراد بالآية أنه سريعُ العلم بكل محسوبٍ ، وأنه لما كانت عادةُ بنى الدنيا أن يستعمِلوا الحساب والإحصاء فى أكثرأمورِهم؛ أعلمهم الله تعالى أنَّه يعلم ما يحسِبون بغير حسابٍ ؛ وإنما سُمِّي العلم حساباً لأنَّ الحساب إنما يُراد به العلم ؛ وهذا جوابْ ضعيف ؛ لأن العلم بالحسابِ أو المحسوب لا يسمَّى حساباً ، ولو سمِّى بذلك لما جاز أيضاً أن يقال إنه سريع العلم بكذا ؛ لأنَّ علمَه بالأشياء مما لا يتجدّد فيوصف بالسرعة .

ورابعها أنَّ الله تعالى سريعُ القبول لدعاء عباده والإجابة لهم ؛ وذلك أنَّه يُسأل فى وقت
واحدٍ سؤالات مختلفة / من أمور الدنيا والآخرة ، فيجزِى كلَّ عبدٍ بمقدار استحقاقه [١٣٠]
ومصلحته ، فيوصِل إليه عند دعائه ومسألتِه ما يستوجبه بحد ومقدار ؛ فلو كان الأمر على مايتمارفه الناسُ لطال العدد واتصل الحسابُ ، فأعلمنا تعالى أنَّه سريعُ الحساب ، أى سريعُ القبول للدعاء بغير إحساس وبحث عن المقدار الذى يستحقُّه الداعى ؛ كما يبحث المخلوقون للحساب والإحصاء ؛ وهذا الجواب مبنىّ أيضاً على دعوَى أنَّ قبولَ الدعاء لا يسمَّى حساباً فى لغةٍ ولا عُرْفٍ ولا شَرْعٍ . وقد كان يجب على مَنْ أجاب بهذا الجواب أن يستشهِد على ذلك بما يكون حجة فيه ، وإلّا فلا طائل فيما ذكره .

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « بعض » .

ويمكن فى الآية وجه آخر ، وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبةَ الخلْق على أعمالهم يوم القيامة وموافقتهم عليها ، وتكون الفائدة فى الإخبار بسرعته الإخبار عن قرب الساعة ؛ كما قال تعالى : ﴿ سَرِيعُ العِقَابِ ﴾ .

وليس لأحد أن يقول : فهذا هو الجواب الأول الذى حكيتموه ؛ وذلك أن بينهما فرقاً ؛ لأن الأول مبنىّ على أن الحساب فى الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال، وفى هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة ، والمقابلةِ بالأعمال وترجيحها، وذلك غير الجزاء الذى يفضى الحساب إليه .

وقد طعن بعضهم فى الجواب الثانى معترضاً على أبى علىّ الجُبَّائىّ فى اعتماده إياه (١بأن قال١) : مَخرج الكلام فى الآية على وجه الوعيد ، وليس فى خفّة الحساب وسرعة زمانه مايقتضى زجراً ، ولا هو مما يتوعد بمثله ؛ فيجب أن يكون المراد الإخبار عن قرب أمر الآخرة والمجازاة على الأعمال .

وهذا الجواب ليس أبوعلىّ هو المبتدئ به، بل قد حُكِىَ عن الحسن البصرىّ، واعتمده أيضاً قُطْرُب بن المستنير النحوىّ : وذكره المفضَّل بن سلمة، وليس الطَّعْن الذى حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له ، لأنه اعتمد على أنَّ مخرج الآية مخرج الوعيد ، وليس كذلك ، لأنه تعالى قال : ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فى الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِن خَلاَقٍ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فى الدُّنيَا حَسَنَةً وَفى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا واللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ؛ [البقرة : ٢٠٠ – ٢٠٢]، فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعداً بالثواب ، وراجعاً إلى الذين يقولون: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا/فى الدُّنْيَا [١٣٠ ظ] حَسَنَةً وَفى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾، أو يكون راجعاً إلى الجميع، فيكون المعنى: إن للجميع نصيباً مما كسبوا ؛ فلا يكون وعيدا خالصاً ؛ بل إما أن يكون وعدا خالصاً أو وعداً ووعيداً ، على أنه لو كان وعيداً خالصا على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى: ﴿ واللهُ

(١–١) ت : « فقال » .

سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾، على تأويل من أراد قَصْر الزمان ، وسرعة الموافقة وجهٌ وتعلّقٌ بالوعد والوعيد ؛ لأن الكلام على كل حال متضمِّن لوقوع المحاسبة على أعمال العباد ، والإحاطة بخيرها وشرِّها؛ وإن وصف الحساب مع ذلك بالسرعة ؛ وفى هذا ترغيب وترهيب لا محالة ، لأن مَن علم أنه يحاسب بأعماله ، ويواقَفُ[1] على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح ورغب فى فعل الواجب .

فبهذا يُنْصَر الجواب ، وإن كنا لا ندفع أن فى حمل الحساب على قرب المجازاة ، أو قرب المحاسبة على الأعمال ترغيباً فى الطاعات وزجرا عن المقبِّحات ؛ فالتأويل الأول أشبه بالظاهر ونَسق الآية ، إلا أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضا ولا مرذولٍ[2] .

تأويل آية أخرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾؛ [البقرة: ٢١٢]. فقال : أىُّ تمدُّح فى الإعطاء بغير حساب ، وقد يكون المعطِى بحساب أجزلَ عطيةً من المعطِى بغير حساب ؟ .

الجواب ، قلنا فى هذه الآية وجوهٌ :

أولها أن تكون الفائدة أنه تعالى يَرْزُق مَن يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه ، فالحساب هاهنا راجع إلى المرزوق لا إليه تعالى؛ كما يقول القائل : ما كان كذا وكذا فى حسابى ، أى لم أؤمله ، ولم أقدّر أنه يكون ؛ وهذا وصفٌ للرزق بأحسن الأوصاف؛ لأن الرزق إذا لم يكن محتَسَبا كان أهنأ له وأحلى؛ وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية أنه قال : عَنَى بها أموال بنى قُرَيظة والنَّضِير ، وأنَّها تصير إليكم بغير حساب ولا قتال ، على أسهل الأمور وأقربها وأيسرها .

---

(١) ط : « ويوقف » . (٢) د : « مردود » .

وثانيها أن الله تعالى يرزق مَن يشاء رزقا غير مضيّق ولا مقتَّر؛ بل يزيد فى السَّعة والكثرة على كل عطاء المخلوقين(١)، فيكون نفى الحساب فيه نفيا(٢) للتّضييق، ومبالغة فى وصفه بالسَّعة، والعرب تسمِّى العطاء القليل / محسوبا، قال قيس بن الخطيم : [١٣١ و]

أَنَّى سَرَيْتِ وكنتِ غيرَ سَرُوبِ ! وتُقَرِّبُ الأحلامُ غيرَ قريبِ(٣)
ما تمنعى يَقْظى فقد تُؤْتينَه فى النَّوْمِ غيرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ(٤)

وثالثها أن يكون المعنى أنه يرزق مَن يشاء، أى من غير طلب للمكافأة أو إراغةٍ لفائدة تعود إليه، أو منفعة ترجع عليه، لأنّ مِنْ شأن أهل الدنيا أن يُعطَوْا ليكافئوا ولينتفعوا، ولهذا يقال فيمن يقصد بالعطية إلى هذه الأمور : فلان يحاسِب الناس فيما يعطيهم، ويناقشهم فيما يوصِّله إليهم، وما أشبه ذلك، فلما انتفت هذه الأمور من عطاياه سبحانه جاز أن يقول إنه يرزق بغير حساب.

ورابعها ما أجاب به قُطْرُب، قال : معنى الآية يعطى العدد الكثير لا ممّا(٥) يضبطه الحساب، أو يأتى(٦) عليه العدد، لأن مقدوره تعالى لا يتناهى، وما فى خزائنه لا ينحصر، ولا يصحّ عليه النفاد؛ وليس كالمعطى منّا الألف من الألفين، والعشرة من المائة؛ لأن مقدار ما يتَّبع له ويتمكَّن منه محدود متناهٍ، ولا تناهىَ ولا انقطاع لما يقدِّر سبحانه عليه.

وخامسها أنهُ يعطى عباده فى الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا، وأزيد مما وجب لهم، بمحاسبته إياهم على طاعتهم كما قال تعالى : ﴿ مَنْ ذا الذى يُقرِضُ اللهَ قرضاً

(١) ت، وحاشية الأصل (من نسخة) : « عطاء للمخلوقين ». (٢) حاشية الأصل (من نسخة) « نقيضا ». (٣) ديوانه : ٥، وأمالى القالى ٢ : ٢٧٣، وحماسة ابن الشجرى : ١٨٩، واللآلى : ٥٢٤. وفى حاشية الأصل : « يخاطب خيال امرأة رآها فى المنام؛ يتعجب من سير خيالها إليه وكانت غير معتادة للسير، والسروب : السارى، وقيل : السرب سير النهار ». وفى حاشية ت : « أنى سريت ... ». (٤) المصرد : المقطع؛ وفى حاشية ت : « وبعده :

كان المنى بلقائها فلقيتُها فلهوتُ من لهوِ امرئٍ مكذوبِ

(٥) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف : « مما لا يضبطه الحساب ».
(٦) ت : « إذ يأتى عليه العدد ».

حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً ﴾ ؛ [البقرة : ٢٤٥] وكما قال عز وجل : ﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعِفْهُ لَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ؛ [التغابن : ١٧] ، وكما قال تعالى : ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ويَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ؛ [فاطر : ٣٠] .

وسادسها أن يكون المعطِى منّا غيرَه شيئا والرازق سواه رزقا قد يكون له ذلك، فيكون فعله حسنا لا يُسأل عنه ، ولا يؤاخذ به ، ولا يُحاسب عليه؛ وربما لم يكن له ذلك، فيكون فعله قبيحا يؤاخذ به ، ويحاسب عليه ، فنفى الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق القبيح، وماليس له أن يفعله بنفى الحساب عنه ، وأنبأ أنه لا يَرْزُق ولا يُعطِى إلا على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذمّ ؛ وتجرى الآية مجرى قوله تعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ؛ [الأنبياء : ٢٣] ، وإنما أراد أنه تعالى من حيثُ وقعتْ أفعالُه كلُّها حسنة غير قبيحة لم يجزْ أن يُسْأَل عنها / وإن سُئل العباد عن أفعالهم ، لأنهم يفعلون الحسَن [١٣٠ ظ] والقبيح معاً .

وسابعها أنّ الله تعالى إذا رزق العبدَ وأعطاه من فضله كان الحسابُ عن العبد ساقطاً من جهة الناس ، فليس لأحدٍ أن يقولَ له : لِمَ رُزِقْتَ ؟ ولا يقول لربه : لِمَ رَزقته ؟ ولا يسأله ربُّه عن الرزق ، وإنما يسأله عن إنفاقه فى الوجوه التى يُنفقه فيها ، فيسقُط[1] الحساب من هذه الوجوه عمّا يرزقه الله تعالى ، ولذلك قال تعالى : ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

وثامنها أن يكون المرادُ بـ ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أن يرزقه من أهل الجنة ، لأنه يرزقهم رزقاً لا يصحّ أن يتناول جميعَه الحساب ، ولا العدد والإحصاء من حيث لا نهايةَ له ولا انقطاع للمستحَقِّ منه ؛ ويطابق هذه الآية قوله تعالى فى موضع آخر : ﴿ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ؛ [غافر : ٤٠] .

---

(١) ت : « فسقط » .

تأويل خبر

إن سأل سائلٌ عن الخبر الذى يُرْوَى عن زيد بن ثابت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال : « توضَّئُوا مِمَّا غيَّرت النار » ، فقال : ما المرادُ بالوُضوء هاهنا ومذهبُكم أن مَسَّ ما غيَّرته النارُ لا يوجب وضوءًا ؟

الجواب ، إن معنى « توضئوا » أى نظِّفوا أيديَكم من الزُّهومة ، لأنه رُوِى أنَّ جماعة من الأعراب كانوا لا يغسِلون أيديَهم من الزُّهومة ويقولون : فقدُها أشدُّ علينا من رِيحها ، فأمر عليه السلام بتنظيف الأيدى لذلك[١] .

فإن قيل : كيف يصحّ أن تحمِلوا الخبرَ على اللفظ اللغوىّ ، مع انتقاله بالعرف الشرعىّ إلى الأفعال المخصوصة ، بدلالة أنّ مَنْ غسل يده أو وجهه لا يقول بالإطلاق : « توضأت » ، ومتى سلِم لكم أن الوضوء أصلُه من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذى ذكرناه ، وكلامه عليه السلام أخصُّ بالعُرْف الشرعىّ ، وحملُه عليه أولى من حَمْله على اللغة .

قلنا : ليس يُنكَر[٢] أن يكون إطلاق الوُضوء هو المنتقِل من اللغة إلى عُرْف الشرع ، والمختصُّ بالأفعال المعيَّنة ، وكذلك المضاف منه إلى الحدَث أو الصلاة وما أشبههما[٣] . فأما المضافُ إلى الطعام وما جرى مَجْراه فباقٍ على أصله ؛ ألا ترى أنَّهم لو قالوا : توضأتُ من الطعام ، ومن الغمَر[٤] ، أو توضأت للطعام لم يفهم منه إلّا الغسل والتنظيف ، وإذا قالوا : توضأت إطلاقًا ، أو توضأت من الحدَث أو للصلاة فُهِمَ منه / الأفعالُ الشرعية ؛ فليس [١٣٢ و]
يُنْكَر ما ذكرناه من اختصاص النّقل ، لأنه كما يجوز انتقالُ اللفظة من فائدة فى اللغة إلى فائدة فى الشرع على كلِّ وجه ، كذلك يجوز أن تَنتقل على وجهٍ دون وجه ، وتَبقى من الوجه الذى لم تَنتقِل منه على ما كان عليه فى اللغة .

وقد ذهب كثير من الناس إلى أنّ إطلاق لفظة « مؤمن » منتقِل من اللغة إلى عرف

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « عن ذلك » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ليس ننكر »
(٣) فى حاشيتى ت (من نسخة) : « وما أشبهها » . (٤) الغمر ، بالتحريك : زنخ اللحم .

الدين ومختَصّ باستحقاق الثواب ، وإن كان مقيَّدُها باقياً على ما كان عليه فى اللغـــة .

ويبيِّن ذلك أيضاً ماروى عن الحسَن أنه قال: « الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر ، وبعدَه ينفى اللَّمم »؛ وإنما أراد غسل اليدين بغير شك . ورُوِى عن قَتادة أنه قال: « غَسْلُ اليد وُضوء » ورَوَى عِكْراش[١] أن رسول الله صلى الله عليه وآله أكلَ [٢] وغسلَ يده ومسح ببلل يده وجهَه[٢] وذراعيْه ورأسَه[٣] ، وقال : « هكذا الوضوء ممَّا مست النار » ، على أنه لو كانت هذه اللفظة منتقِلة على كلِّ حال إلى الأفعال الشرعية المخصوصة لصحَّ أن نحملَه[٤] فى الخبر على خلاف ذلك ، ونردُّها إلى أصلها بالأدلّة ، وإن كان الأوْلى لولا الأدلةُ أن تحملَ على مقتضى الشرع[٥] .

فمن الأدلة على ماذكرناه مارواه ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وآله أكل كَتِف شاةٍ ، وقام فصلَّى ولم يتوضأ. وروى عطاء عن أمّ سلمة قالت: قرَّبْتُ جَنْباً مشوياً إلى النبى صلى الله عليه وآله، فأكل منه ، وصلَّى ولم يتوضأ . وروى محمد بن المنـكدِر عن جابر أنه قال : كان آخر الأمريْن من رسول الله صلى الله عليه وآله تركَ الوضوء ممَّا مسّت النار[٦] .

وكلُّ هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول لو كان له ظاهر ، فكيف وقد بيَّنا أنّه لاظاهر له !

فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضاءة التى هى الحسْن ، فلما كان مَنْ غسل يده ونظفها قد حسَّنَها قيل وضّأها ؛ ويقال : فلان وضىء الوجْه وقومٌ وِضاء ، قال الشاعر :

(١) هو عكراش بن ذؤيب بن حرقوص ، وفى ت ، ف : « عكرمة عن أنس » .

(٢ــ٢) حاشية ت (من نسخة) : « وغسل يديه ، ومسح ببلل يديه » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وببلل ذراعيه رأسه » . (٤) ت ، د ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « نحملها » .

(٥) حواشى الأصل ، ت ، ف : « إنما نحمل اللفظة على العرف الشرعى فيما يتعلق بالأحكام الشرعية فحسب » . (٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « كان فى الأول يتوضأ مما مسته النار ثم ترك » .

مسَامِيحُ الفعـال ذوُو أَنَاةٍ مَرَاجِيحٌ وأَوْجُهُهم وِضاء[١]

والوُضوء ، بضم الواو : المصدر ، وكذلك أيضاً التّوضؤ والوضُوء ، بفتح الواو : اسمُ مايتوضأبه،وكذلك/الوَقود اسمٌ لما تُوقَد بهالنار : والوُقود، بالضم : المصدر ، ومثله التوقُّد ، [١٣٢ ظ] وقد يجوز أن يكون الوَقود ، بفتح الواو : المصدر ، وكذلك الوَضوء بفتح الواو ؛ كما قالوا : حَسنَ القَبول ، فجعلوا القَبول مصدراً ، وهو مفتوح الأول ، ولا يجوز فى الوُقود والوُضوء بالضم إلا معنى المصدر وحده ، قال جرير .

أَهوىً أَرَاكَ بِرامتَيْنِ وُقُودَا أَمْ بالجُنَيْنَةِ منْ مدَافِعِ أُودَا[٢]

وقال آخر :

إِذَا سُهيْلٌ لَاحَ كالوُقودِ فَرْدًا كَشاةِ البَقَرِ المَطْرُودِ

وقال آخر :

وأَجَّجْنا بِكُلِّ يفَاعِ أَرْض وُقُودَ النَّارِ لِلمتَنَوِّرِينا[٣]

***

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدّثنى محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحى قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنى إبراهيم بن محمد عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن شهاب قال : أتيتُ عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود[٤] يوماً فى منزله ، فإذا هو مَغيظ[٥] ينفُخ، فقلت له : مالى أراك هكذا ! قال : دخل علىّ[٦] عاملُكم هذا ــ يعنى عمر بن عبد العزيز ــ ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان

(١) حاشية ف : « السمح : الجواد والجمع سمحاء ؛ ومساميح ؛ كأنه جمع مسماح . والمراجيح : الحلماء » .

(٢) ديوانه ١٦٩ . ورامة والجنينة وأود : مواضع . والمدافع : جمع مدفع ؛ وهو مسيل الماء إلى الوادى وفىحاشيتىالأصل ، ف : « يقول : الذى يريك وقود النار بهذه المواضع عشق هذا » .

(٣) اليفاع : المرتفع من الأرض ؛ والمتنور : من ينظر إلى النار من بعيد ؛ قال امرؤ القيس :

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتَ وَأَهْلُهَا بِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِ

(٤) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة توفى سنة ٩٨ ؛ وكان ضريرا ؛ ذكره الصفدى فى نكت الهميان : ١٩٧ــ١٩٨ ، وانظر ترجمته وأشعاره فى الأغانى ٨ : ٨٨ــ٩٥ . (٥) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « متغيظ » . (٦) ت : « دخلت على عاملكم .

فسلّمت، فلم يردّا علىّ السلامَ ، فقلت[1] :

أَلَا أبلغا عنّى عِرَاكَ بنَ مالكٍ   فإنْ أنتَ لمْ تَفْعَلْ فأَبلغْ أبا بكْرِ[2]

فقدْ جعلَتْ تَبْدُو شَوا كِلُ منكُما   فإنَّكُما بى مُوقَرَانِ مِنَ الصَّخْرِ[3]

وطاوَعْتُمَا بى غادِراً ذَا مَعاكَةٍ   لَعَمْرِى لقدْ أَوْرَى وما مِثْلُهُ يُورِى[4]

ـ يقال : معك به وسدل به [5] إذا تعرّض له بشرّ [5] ـ

فلولا اتِّقا اللهِ اتِّقائى فيكُما   لِلْمَتُكُما لوماً أَحَرَّ مِنَ الجَمْرِ[6]

فَمسًّا تُرَابَ الأَرْض ، مِنْها خُلِقْتُمَا   وفيها المَعادُ والمَقَامُ إلى الحَشْرِ

ولاَ تأنفَا أَنْ تَغْشَيَا فَتُكَلَّمَا   فما خُشِىَ الأَقوَامُ شَرًّا مِنَ الكِبْرِ[7]

ولوْ شِئْتُ أَدْلى فيكُما غيرُ واحِدٍ   عَلاَنِيَةً أو قال عِنْدِىَ فى السِّرِّ[8]

ـ معناه : لوشئت اغتابكما عندى غير واحد ـ

فإنْ أنا لمْ آمُرْ ولمْ أَنْهَ عنكُما   ضَحِكْتُ لهُ حتّى يَلِجَّ ويَسْتَشْرِى[9]

وكيفَ تُرِيدانِ ابن سَبعينَ حجَّةً   على ما أَتَى وهوَ ابنُ عِشْرِينَ أوعَشْرِ[10]

---

(١) الخبر بروايته عن ابن شهاب فى (الأغانى ٨ : ٩١ ـ ٩٢)، وفيه رواية أخرى أيضا ص ٩١ عن ابن اديس : « كان عراك بن مالك وأبوبكر بن حزم وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يتجالسون بالمدينة زمانا ؛ ثم إن ابن حزم ولى إمرتها ، وولى عراك القضاء ، وكانا يمران بعبيد الله فلا يسلمان عليه ولا يقفان ـ وكان ضريرا ـ فأخبر بذلك فأنشأ يقول ... » ، وأورد الأبيات . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ألا أبلغن »

(٣) الشوا كل : جمع شاكلة ؛ وهى الخاصرة ، وأرادبها هاهنا أموراً ينكرها . وبى ؛ أى بمكانى

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « قوله : « وطاوعتمانى » فى حيز التشبيه ؛ يقول : كأنكما موقران، وكأنكما إذ طاوعتمانى طاوعتما غادراً عريضا . ثم قال : لعمرى لقد أورى هذا الفعل منكما ؛ أى فسد ؛ من ورى جوفه ؛ أو أوقد ـ يعنى شرا ، أى أثر وكنت لا أتأثر بمثل ذلك »

(٥ ـ ٥) ت : « إذا تعرض به لشر » . (٦) حاشية ف : « أى لولا اتقائى بتقى الله للمتكما ؛ وهو مثل ؛ ويجوز أن يكون قوله : « اتقائى » مفعولا له ؛ أى للاتقاء . (٧) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « تكلما » ، بكسر اللام المشددة وفى حاشية الأصل أيضا (من نسخة) : « أن ترجعا فتسلما » . (٨) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « عندى فى سر » . يقال : أدلى فلان فى فلان إذا قال فيه قولا قبيحا . (٩) الضمير فى « له » يعود إلى المغتاب ، واستشرى فى الأمر : لج فيه ؛ أى يجترئ ويظهر ؛ وأصل الكلمة الاستخراج . (١٠) يريد أن يقول : كيف تريدانى على ما امتنعت عنه وأنا صبى !

لقـــد عَلِقتْ دَلوا كما دَلْوَ حُوَّلٍ ... مِنَ القَوْمِ لارِخْوِ المَرَاسِ ولا نَزْرِ[(١)]

قال ابن شهاب : فقلت له : مِثلك يَرْحَمُكَ الله مع نُسكِكَ وفَضْلك وفهْمِك[(٢)] يقول الشعر ! فقال : إن المصدور إذا نفث بَرِئ .

وإنما ذكر عِراكَ بن مالك وأبا بكر بن عمرو بن حَزْم ـ وكانا صديقيه ـ كناية بذكرهما عن ذكر غيرهما .

وقدجاءت رواية أخرى أن أبا بكر بن عمر[(٣)] بن حَزْم وعراك بن مالك كانا يجتازان على عبيد الله فلا يسلّمان عليه، فقال الأبيات يخاطبهما بها .

وروى محمد بن سلّام لعبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَة :

إذا كانَ لى سرٌّ فحَدَّثتهُ العِدَى ... وضاقَ به صدْرى ، فلَلنَّاسُ أعذَرُ[(٤)]
هوَ السِّرُّ ما استوْدَعْتهُ وكتمتَهُ ... وليسَ بسرٍّ حينَ يَفشُو ويظْهرُ[(٥)]

وأُنشد مصعب الزبيرىّ لعبيد الله بن عتبة بن مسعود :

أُواخِي رِجالاً لستُ مُطلِعَ بَعْضِهمْ ... على سرِّ بَعضٍ إنَّ صَدْرِيَ واسِعُه
إذا هيَ حلّتْ وَسْطَ عُوذِ ابنِ غالبٍ ... فذلِكَ وُدٌّ نازِحٌ لا أُطالِعُهُ[(٦)]
تَلاقَت حيازِيمى على قَلبِ حازِمٍ ... كَتومٍ لِمَا ضُمّتْ عليـهِ أضالُعُه[(٧)]
بَـنَى لِىَ عَبدُ اللهِ فى سُورَةِ العُلا ... وعُتبةُ مَجْدًا لا تُنالُ مَصانِعه[(٨)]

والبيت الأول يشبه قول مسكين الدارمىّ :

وفِتْيانِ صِدْقٍ لستُ مُطْلعَ بَعضِهمْ ... على سِرِّ بَعْضٍ غيرَ أنى جِماعِها[(٩)]

(١) حول : شديد الاحتيال ؛ أى أنكما ، وقعتما على من لاتطيقان دفعه عن أنفسكما .

(٢) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « وفقهك » . (٣) حاشية (من نسخة) : « عمرو » . (٤) العدى بالكسر : الأجانب ، وبالضم الأعداء . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « وحفظته » . (٦) الضمير يعود على المودة ، وعوذ : جمع عائذ ، وهى الحديثة النتاج من الإبل وغيرها . (٧) فى الأغانى : « شددت حيازيمى » . والحيزوم : وسط الصدر . ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « ضمت » ، بالبناء للمعلوم (٨) المصانع : الأبنية . (٨) الحماسة ـ بشرح التبريزى ٣ : ١٢٦ .

ومما يستَحْسَن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله :

تَغَلْغَلَ حُبُّ عثْمةَ فى فُؤَادِى   فبادِيه معَ الخافى يَسيرُ(١)
تَغَلْغلَ حيثُ لمْ يَبلُغْ شرَابٌ   ولا حُزْنٌ ولمْ يَبلُغْ سُرُورُ
[١٣٣ ظ] / شَقَقْتِ القلبَ ثمَّ ذَرَرْتِ فيهِ   هَوَاكِ فليمَ فالْتَأَمَ الفُطُورُ(٢)
أَكادُ إذا ذَكَرْتُ العَهْدَ منها   أطيرُ لوَانَّ إنْساناً يَطيرُ
غنيُّ النَّفسِ أنْ أزْدَادَ حُبًّا   ولكنّى إلى وصْلٍ فقيرُ(٣)

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :

أَحْلَلْتِ فى قَلْبى هَوَاكِ مَحِلَّةً   ماحَلَّهَا المشْرُوبُ والمأْكول(٤)

وأخذه المتنبى فى قوله:

وللسِّرِّ مِنى موضعٌ لا ينالُه   نَدِيمٌ ولا يفضى إليه شَرَابُ(٥)

وكأنَّ العباس بن الأحنف ألمَّ به فى قوله :

لو شَقَّ قَلْبى قُرى وَسْطَهُ   اسمُكَ والتوحيدُ فى سَطْرِ

وقال الصاحب اسماعيل بن عباد :

لوْ شُقَّ قلْبى لَرَأَوْا وَسْطَهُ   سَطْرَيْنِ قد خُطَّا بلا كاتبِ
العَدْلُ والتَّوْحِيدُ فى جانبٍ   وحُبُّ أهلِ البيتِ فى جانبِ

وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتنبى .

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

لعَمْرُ أبى المحصينَ أيَّامَ نَلْتَقِى   لِما لَا نُلاقِيها مِن الدَّهْرِ أكْثَرُ

---

(١) الأبيات فى أمالى القالى ٣ : ٢١٧ ، وذكر صاحب الأغانى أن عثمة روجه .

(٢) الفطور : الشقوق .   (٣) حاشية ت : « يعنى أنه يستغنى عن ازدياد حب إلى حبه ، لأنه قد تناهى . وأن أزداد ، يعنى : عن أن ازداد » .   (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « المأكول المشروب » .   (٥) ديوانه : ١٩٢ .

يَعُدُّونَ يوماً واحِداً إنْ أتيْتُها ... ويَنْسَوْنَ ما كانتْ على الدَّهْرِ تَهْجُرُ

فإنْ يكُنِ الوَاشونَ أغْرَوا بهجْرِنا(١) ... فإنَّا بتَجْدِيد المَوَدَّةِ أجدَرُ

ومن مستَحسن قوله :

لَعَمْرِى لئِنْ شطَّتْ بعَثْمةَ دَارُها ... لقد كُنتُ فى وَشْكِ الفِراقِ أُليحُ(٢)

أرُوحُ بِهَمٍّ ثُمَّ أغْدُو بِمِثْلِهِ ... ويُحْسَبُ أنِّى فى الثِّياب صَحيحُ

أخذهذا المعنى بشار، فقصّر عنه فى قوله :

يُصْبِحُ محزُوناً ويُمْسِى بهِ ... وليْسَ يَدْرى مالَهُ عِندَكِ

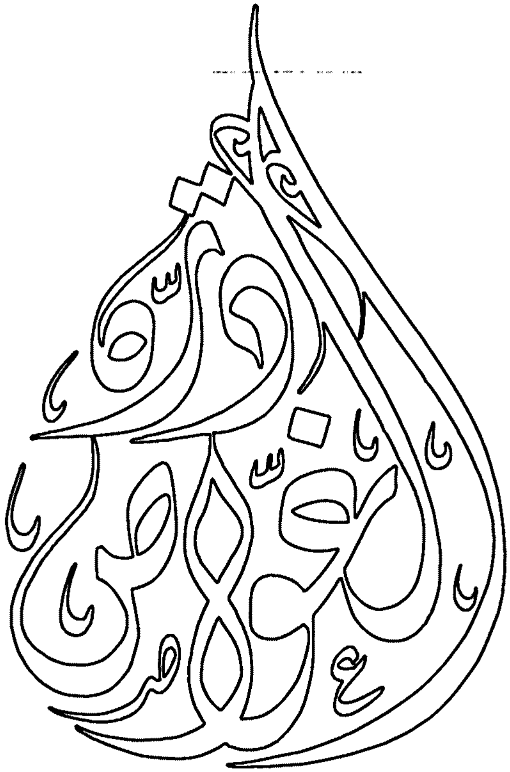

(١) م : « بهجرها » . (٢) ت ، وحاشية الأصل من نسخة : « من وشك الفراق » . وأليح : أشفق .

مجلس آخر ٣٠

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن شُعيب عليه السلام : ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا ﴾ ؛ [الأعراف : ٨٩] .

فقال : أليس هذا تصريحاً منه بأنّ الله تعالى يجوزُ أنْ يشاء الكفر والقبيح ؛ لأن مِلّةَ / [١٣٤] قومِه كانت كفراً وضلالًا ، وقد أخبرَ أنّه لا يعود فيها إلّا أنْ يشاء الله ؟

الجواب ، قيل له فى هذه الآية وجوه :

أولها أن تكون المِلّةُ التى عَناها الله إنما هى العبادات الشرعيات؛ التى كان قومُ شعيب متمسكين بها ؛ وهى منسوخة عنهم ، ولم يَعْنِ بها ما يرجع إلى الاعتقادات فى الله وصفاته ؛ مما لا يجوز أن تختلفَ[1] العبادة فيه ، والشرعياتُ يجوز فيها اختلاف العبادة ؛ من حيث تَبِعَتِ[2] المصالحَ والألطافَ والمعلومَ من أحوالِ المكلَّفين ؛ فكأنّه قال: إنّ ملتكم لا نعود فيها ؛ مع علمنا بأنّ الله تعالى قد نسخها وأزال حُكمَها ، إلّا أن يشاء الله أن يتعبّدنا بمثلها فنعودَ إليها ؛ وتلك الأفعالُ التى كانوا متمسكّين بها؛ مع نسخِها عنهم ونهيهم عنها ـ وإن كانت ضلالا وكفراً ـ فقد كان يجوزُ فيما هو مثلُها أن يكون إيماناً وهُدًى ؛ بل فيها أنفُسِها قد كان يجوز ذلك ؛ وليس تجرى هذه الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى ، الذى لا يجوز أن يكون إلّا قبيحاً .

وقد طعن بعضُهم على هذا الجواب فقال : كيف يجوز أن يتعبّدهم الله تعالى بتلك المِلّة مع قوله : ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فى مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا ﴾ ؟

(١) ت : « اختلاف العبادة . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « تتبع » .

فيقال له : لم ينفِ عَوْدَهم إليها على كل وجهٍ؛ وإنما نفَى العودَ إليها مع كونها منسوخة منهيًّا عنها ؛ والذى علقّه بمشيئة الله تعالى من العَوْد إليها هو بشرطِ أن يأمرَ بها ، ويتعبَّد بمثلها ، والجوابُ مستقيم لا خلَل فيه .

وثانيها أنّه أراد أنّ ذلك لا يكون أبداً من حيث علقّه بمشيئة الله تعالى لمّا كان معلوماً أنّه لا يشاؤه ؛ وكلُّ أمرٍ عُلِّق بما لا يكون فقد نُفِيَ كونُه على أبعد الوجوه ؛ وتجرى الآيةُ مجرى قوله تعالى: ﴿ لا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فى سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾؛ [الأعراف: ٤٠] وكما يقول القائل : أنا لا أفعلُ كذا حتى يبيضَّ القار؛ أو يشيبَ الغراب ؛ وكما قال الشاعر :

وحتَّى يئوبَ القارِظانِ كِلاهُما ... ويُنْشَرَ فى القَتْلَى كُلَيْبٌ لوائلِ (١)

والقارظان لا يئوبان أبداً، وكليب لا يُنْشَر أبداً ؛ فكأنه قال : إنّ هذا لا يكون أبداً .

وثالثها / ماذكره قُطْرب بن المستنير من أنَّ فى الكلام تقديماً وتأخيراً ، وأنّ الاستثناء من الكفار وقع لا من شعيب ؛ فكأنه تعالى قال حاكياً عن الكفار : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ﴾؛ [الأعراف : ٨٨] ، إلّا أن يشاء الله أَنْ تَعُودَ فى ملّتنا ؛ ثم قال تعالى حاكياً عن شعيب : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾ على كل حال . [١٢٤ ظ]

ورابعها أن تعود الهاء التى فى قوله : ﴿ فِيهَا ﴾ إلى القرية لا إلى المِلَّة ؛ لأن ذكرَ القرية قد تقدَّم كما تقدم ذكرُ المِلَّة ؛ ويكون تلخيص الكلام : إنّا سنَخرجُ من قريتكم ، ولا نعودُ فيها إلّا أن يشاء الله بما يُنجِزه لنا من الوعد فى الإظهار عليكم ، والظَّفَر بكم ، فنعود إليها .

وخامسها أن يكونَ المعنى : إلّا أن يشاء الله أن يرُدَّكم إلى الحق ، فنكونَ جميعاً على

(١) البيت لأبى ذؤيب الهذلىّ ، ديوان الهذليين ١ : ١٤٥ . والقارظان هما رجلان من عنزة؛ خرجا ينتحيان القرظ ويجتنيانه ، فلم يرجعا؛ فضرب بهما المثل ؛ وانظر اللسان (قرظ) ، وشرح ديوان الهذليين .

ملة واحدة غيرِ مختلفة ؛ لأنّه لمـا قال تعالى حاكياً عنهم : ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ كان معناه : أو لنكونَنَّ على ملة واحدة غيرِ مختلفة ، فحَسُنَ أن يقول من بعد : إلّا أنْ يشاءَ الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة .

فإن قيل : الاستثناء بالمشيئة إنمـا كان بعد قوله : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾ ؛ فكأنه قال : ليس نعودُ فيها إلّا أن يشاء الله ، فكيف يصحّ هذا الجواب ؟

قلنا: هو كذلك ؛ إلّا أنه لمّا كان معنى ﴿أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ ، هو أن تصيرَ ملتُنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناءَ على المعنى فيقول : ﴿ إِلّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ أن نتفق فى الملة بأنْ ترجعوا أنتم إلى الحق .

فإنْ قيل : فكأنَّ الله تعالى ما شاء أن يَرْجع الكفار إلى الحق !

قلنا : بلى قد شاء ذلك ، إلّا أنه ما شاءَه على كل حالٍ ، بل من وجهٍ دون وجه ، وهو أن يُؤمنوا ويصيروا إلى الحق مختارين ؛ ليستحِقُّوا الثواب الذى أجرِى[1] بالتكاليف إليه ، ولو شاءَه على كل حال لَما جاز ألّا يقع منهم ؛ فكأن شعيباً عليه السلام قال : إن ملّتنا لا تكون واحدة أبداً؛ إلا أن يشاء الله أن يُلجئكم إلى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا فى ملتنا ؛ والفائدةُ فى ذلك واضحة؛ لأنه لو أَطْلَقَ أنّا لا نتفق أبداً ، ولا تصير ملتنا واحدة لتَوَهَّمَ متوهِّم أنّ ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال ؛ فأفاد بتعليقه[2] له بالمشيئة هذا الوجه ؛ ويجرى قوله تعالى: ﴿ إلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ مَجرى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ﴾ ؛ [يونس : ٩٩] .

[١٣٥ و] وسادسها أن يكون المعنى : إلاَّ أن يشاء الله أن يمكّنكم من إكراهنا ، / ويخلّى بينكم وبينه ، فنعود إلى[3] إظهارها مكرهين؛ ويقوّى هذا الوجه قولُه تعالى: ﴿ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ ؛ [الأعراف : ٨٨] .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الذى أجرى » بالألف .   (٢) حاشية ت (من نسخة): « فأفاد تعليقه » .   (٣) حاشية ت (من نسخة) : « فنعود فى إظهارها » .

وسابعها أن يكون المعنى إلّا أن يشاء الله أن يتعبّدنا بإظهار ملّتكم مع الإكراه ؛ لأنّ إظهارَ كلمة الكفر قد تحسُن فى بعض الأحوال إذا تعبّد الله تعالى بإظهارها ؛ وقوله : ﴿ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ يقوّى هذا الوجه أيضاً .

فإن قيل: فكيف يجوزُ من نبيٍّ من أنبياء الله تعالى أن يُتَعَبَّدَ بإظهار الكفر وخلافِ ما جاء به من الشَّرع ؟

قلنا : يجوز أن يكونَ لم يُرِدْ بالاستثناء نفسَه بل قومَه ؛ فكأنه قال : وما يكون لى ولا لأمّتى أن نعودَ فيها إلّا أن يشاء الله أن يتعبّد أمتى بإظهار مِلّتكم على سبيل الإكراه ؛ وهذا جائز غير ممتنع .

تأويلُ خبر

روى أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال : « خَيْرُ الصَّدَقة ما أبقت غِنًى ، واليدُ العليا خَيْرٌ من اليدِ السفْلَى ، وابْدَأْ بمَنْ تعول » .

وقد قيلَ فى قوله : « خَيْرُ الصَّدَقة ما أبقت غِنًى » : قولان :

أحدها أنّ خيرَ ما تصدّقْتَ به ما فَضَلَ عن[١] قوتِ عيالك وكِفايتهم ، فإذا خرجَتْ صدقتُك عنك إلى مَنْ أعطيتَ خرجتْ عن استغناء منك ومن عيالك عنها ؛ ومثلُه فى الحديث الآخر : « إنما الصَّدقةُ عن ظَهْرِ غِنًى » . وقال ابن عباس رحمةُ الله عليه فى قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٩] ؛ قال : ما فَضَلَ عن أهلك .

والجواب الآخر ، أن يكون أراد : خيرُ الصَّدَقة ما أغنيتَ به مَنْ أعطيتَ عن المسألة ، أىْ تجْزِل له فى العطيّة ، فيستغنى بها ويكفّ عن المسألة ؛ وذلك مثلُ أن يريدَ الرجل أن يتصدق بمائة درهم ، فيدفعها إلى رجل واحد محتاج ، فيستغنىَ بها ويكفّ عن المسألة ، فذلك أفضلُ من أن يدفعها إلى مائة رجل لا تَبِينُ عليهم .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « مافضل من قوت عيالك » .

والتأويلُ الأوّلُ يشهد له آخِرُ الخبر وهو قوله : « وابْدَأ بِمَنْ تعولُ » ، ويشهدُ له الحديث الآخر أيضاً : « إنّما الصدقةُ عن ظهرِ غِـنًى » .

وقوله : « اليدُ العليا خيرٌ من اليد السُّفلى » ، قال قوم : يريدُ أنّ اليدَ المعطِية خيرٌ من الآخِذة ، وقال آخرون : إنَّ العُلْيا هى الآخذة ، والسفْلَى هى المعطِية .

وقال ابنُ قتيبة : ولا أرَى هؤلاء إلّا قوماً استطابوا السؤالَ ؛ فهم يحتجُّون للدناءة؛ ولو كان هـذا يجوزُ لقيل : إن المولَى من فوق هو الذى أُعْتِق ، والمولَى من أسفل هو الذى أَعْتَق ، والناسُ إنّما يَعْلُون بالعطايا لا بالسؤال .

قال سيدنا أدام الله علوّه : وعندى أن معنى قوله عليه السلام : « اليدُ العلْيا خيرٌ من اليد السُّفْلى » غيرُ ماذكر من الوجهين جميعاً ؛ وهو أن تكونَ اليد هاهنا هى العطية والنعمة؛ لأنَّ النعمة قد تُسمَّى يدًا فى مذهب أهلِ اللسان بغير شَكٍّ ؛ فـكأنه صلى الله عليه وآله أراد أنّ المعطِيةَ الجزيلَة خيرٌ من العطية القليلة . وهذا حث منه صلى الله عليه وآله على المـكارم ، وتحضيضٌ على اصطناع المعروف بأوْجَز الـكلام وأحسنِه مَخرجاً .

ويشهدُ لهذا التأويل أحدُ التأويلين[1] المتقدمين فى قوله : « ما أبقتْ غِـنًى » ، وهذا أشبهُ وأولى من أن تُحمَلَ اليدُ على الجارحة ؛ لأنّ مَنْ ذهب إلى ذلك وجعل المعطِية خيراً من الآخذة لايستمرُّ قولُه ؛ لأنّ فيمَنْ يأخذ مَنْ هو خيرٌ عند الله تعالى ممَّنْ يعطِى ؛ ولفظة « خير » لا تُحمَل إلّا على الفضل فى الدين واستحقاق الثواب ؛ فأمّا مَنْ جعَلَ الآخذة خيراً من المُعطِية فيدخل عليه هـذا الطعن أيضاً ؛ مع أنه قد قال قولًا شَنِعاً[2] ، وعكَس الأمرَ على ماذكر[3] ابنُ قتيبة .

فإن قيل : كيفَ يصحُّ تأويلُـكم مع قوله عليه السلام: « خيرُ الصّدَقه ماأبقت غِـنًى » وهى[4] لا تبقى غِـنًى إلّا بعد أن تَنقُصَ من غيرها ؟ وإذا كانتِ المعطية التى هى أجزلُ

---

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « أحد الخبرين » . (٢) م : « شنيعا » .
(٣) م : « ماقال » . (٤) ت : « نهى » .

أفضلُ فتلك لاتُبقِى غِنًى ، والتى تبقِى غِنًى ليست الجزيلة، وهذا تناقض .

قلنا : أما تأويلنا فمطابق(١) للوجهين المذكورين فى قوله: « ما بقّت(٢) غِـنًى »؛ لأنّ من تأوّل ذلك على أنّ المراد بها المعطَى، وأنّ خير العطية ما أغنته عن المسألة فالمطابقة ظاهرة ، ومَن تأوّله على الوجه الآخر، وحَمل ماأبقى الغنى على المعطِى وأهله وأقاربه؛ فتأويلنا أيضاً مطابق له ، لأنه قد يكون فى العطايا التى يَبقى بعدها الغنى على الأهل والأقارب جزيلٌ وغير جزيل، فقال عليه السلام : « خير الصدقة ما بقّت(٢) غنى » بعـد إخراجها ؛ والعطية الجزيلة التى تُبقى بعدها غِـنًى خير من القليلة ، فمدح عليه السلام بعد إبقاء الغنى جزيلَ العطية ، وحثَّ على الـكرم والفضل.

* * *

أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جَنيقا قال أخبرنا أبو عبيد الله الحكيمىّ قال أمْلَى علينا أبو العباس/ أحمد بن يحيى النحوىّ قال : أنشدنا ابن الأعرابىّ لثابت قُطْنَة [١٣٦ و] العَتَكِىّ(٣):

يا هِندُ كيفَ بنُصْبٍ باتَ يُبْكينى ... وعائرٍ فى سَوادِ العَيْنِ يُؤْذِينى(٤)

كأنّ لَيلىَ والأَصْدَاء هاجِدةٌ ... لَيلُ السَّلِيمِ وأعْيا مَن يُدَاوِينى

لمّا حَنَى الدَّهْرُ مِن قَوْسِى وعذَّرَنى ... شَيْبِى وقاسيتُ أمرَ الغِلْظِ واللِّينِ(٥)

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « فيطابق الوجهين » . (٢) ت : « ماأبقت » .

(٣) هو أبو العلاء ثابت بن كعب ، شاعر فارس ؛ من شعراء الدولة الأموية ، وكان فى صحابة يزيد بن المهلب ، ولقب قطنة ؛ لأن سهما أصابه فى عينه فى بعض حروب الترك . وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره فى (الأغانى ١٣ : ٤٧ـ٥٤ ، والخزانة ٤ : ١٨٥ـ١٨٧، والشعر والشعراء ٦١٢ـ٦١٣) .

(٤) القصيدة فى رثاء المفضل بن المهلب ؛ وهند هى بنت المفضل ؛ دخل عليها ثابت، والناس حولها جلوس يعزونها ؛ فلما أنشدها هذه القصيدة قالت: ليست المصيبة فى قتل من استشهد ذابا عن دينه ، مطيعا لربه ؛ وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته، وخمل ذكره بعد موته؛ وأرجو ألا يكون المفضل عند الله خاملا » . والقصيدة فى (أمالى الزجاجى ١٣٠ـ١٣١ ، وأبيات منها فى الأغانى ١٣ : ٥١ـ ٥٢) . النصب: البلاء والعذاب . والعائر : القذى والرمد ، وكذلك العوّار .

(٥) عذرنى شيبى ؛ أى شيبنى من جانبى وجهى ؛ من العذارين .

إذَا ذَكَرتُ أبا غسَّانَ أرَّقَنى ... هَمٌّ إذَا عَرِضَ السَّارُونَ يُشجِينى (١)
كانَ المفضَّلُ عِزًّا فى ذَوِى يَمَنٍ ... وعِصْمَةً وثِمالاً لِلمساكِينِ (٢)
غيثًا لدَى أزْمةٍ غبْرَاءَ شاتِيَةٍ ... مِن السِّنين ومأْوَى كلِّ مِسكِينِ (٣)
إنى تذكَّرتُ قَتْلَى لو شَهِدتُهمُ ... فى حَوْمَةِ الحَرْبِ لم يَصْلَوْا بها دُونى
لاخَيْرَ فى العيْشِ إذ لمْ نَجْنِ بعدهُمُ ... حَرْبًا تُنِئُ بهم قَتْلَى فتَشْفِينى
لا خيْرَ فى طَمعٍ يُدْنِى إلى طَبَعٍ ... وغُفَّةٌ مِن قِوامِ العيْشِ تَكْفِينى (٤)
[أنْظُرُ فى الأمر يَعنِينى الجَوابُ بهِ ... ولستُ أنظُرُ فيما ليس يَعْنِينى] (٥)
لا أرْكَبُ الأمرَ تُزْرِى بى عواقِبُه ... ولاَ يُعابُ بهِ عِرْضِى ولاَ دِينى
لا يَغلِبُ الجَهلُ حِلمى عنـد مَقْدِرَةٍ ... ولاَ العَضِيهةُ مِن ذِى الضِّغْنِ تُكْبِينى (٦)
كَم مِن عَدُوٍّ رَمانى لو قَصَدْتُ لهُ ... لمْ يأْخُذِ النِّصفَ مِنِّى حِينَ يَرْمِينى (٧)

قال سيدنا أدام الله علوّه : وهذه الأبيات يروى بعضها لعُرْوة بن أُذَينة (٨) وتُداخِل أبياتًا على هذا الوزن ؛ وهى التى يقول فيها :

لقد عَلِمتُ وما الإشرافُ مِنْ خُلُقى ... أنَّ الذى هوَ رِزْقى سوف يَأتِينى
أسْعى له فيُعَنِّينى تَطَلُّبهُ ... ولو قَعدْتُ أتانى لا يُعنِّينى

(١) ت: « إذاغرض » ، م : « إذاعرّس ». (٢) فى ذوى يمن ، أى فى اليمانين ، وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « فى ذرى يمن » ، جمع ذروة . وثمال المساكين : غياث لهم ، من ثملهم ثملا إذا أطعمهم وسقاهم وقام بأمرهم . (٣) من نسخة بحواشى الاصل ، ت، ف: « لدى أزمة » . والأزمة : القحط . ويقال : شتا القوم إذا أجدبوا فى الشتاء خاصة ، وقال الأزهرى : العرب تسمى القحط شتاء ، لأن المجاعات أكثر ماتصيبهم فى الشتاء البارد . (٤) الغفة : البلغة من العيش . وفى أمالى الزجاجى : « من قليل العيش » . (٥) تكملة من ت ، ف ، د ، وأمالى الزجاجى . ومن نسخة بحاشيتى ت ، ف : « وانظر الأمر » (٦) العضيهة : الإفك والبهتان ، أى لاأكبر إذا عضهنى ذو الضغن .
(٧) النصف : الانتصاف . (٨) هو عروة بن أذينة بن مالك ، من بنى الليث . شاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة ، وهو معدود أيضا فى الفقهاء والمحدثين . وانظر ترجمته وأشعاره وأخباره فى (الأغانى ٢١ : ١٠٥–١١١ ، والشعر والشعراء ٥٦٠–٥٦٢) .

كم قد أفَدْتُ وكم أتلفتُ مِن نَشبٍ ... ومِن مَعاريضِ رِزْقٍ غـيرِ مَمْنُون

فما أشِرْتُ على يسرٍ وما ضَرَعتْ ... نَفْسى لِخُلَّةِ عُسرٍ جاءَ يَبْلُونى (١)

خِيمى كَرِيمٌ ونفْسى لا تُحَدِّثُنى ... أنَّ الإلهَ بِلاَ رِزْقٍ يُخلِّينى

ولا اشْتَرَيتُ بمالى قَطُّ مكرُمةً ... إلاَّ تَيقَّنْتُ أنِّى غيرُ مَغبونِ [١٣٧ ظ]

ولاَ دُعيتُ إلى مَجْدٍ ومَحْمَدَةٍ (٢) ... إلاَّ أجبْتُ إليـــهِ مَن يُنادِينى

لاأبتغِى وَصْلَ مَن يَبغى مُفارَقتى (٣) ... ولا أَلِينُ لمَنْ لا يَبتغى لِينى

إنى سَيعْرِفُنى مَن لست أعرفهُ ... ولو كَرِهْتُ ، وأبدو حينَ يُخفينى

فَعَطِّنى جاهِداً واجهَدْ علىَّ إذَا ... لاَقيتَ قَوْمَكَ فانظُر هَل تُغطِّينى (٤)

وقوم يخطئون (٥) فيروُونَ قوله :

* لقَدْ عَلِمتُ وما الإسرافُ من خُلُقى *

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يقال : ضرع يضرع [بالفتح] ضراعة ، وضرع [بالكسر] يضرع ضرعاً [بالفتح] ، فهو ضارع . (٢) ت : « مكرمة » ، وفى حواشى الأصل ت ، ف : « يقال: محمدة ، بفتح الميم ، مثل مذمة ، والفصيح : المحمدة ، بكسر الميم، وهو المسموع » .

(٣) حاشية الأصل : (من نسخة) : « مصارمتى » . (٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « روى أن عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك فى جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال له : ألست القائل :

لقدْ علمتُ ومَا الإسْرافُ مِنْ خُلقِى ... أنَّ الذى هُوَ رزقى سَوْفَ يأتينى

أسعَى له فيُعَنِّينى تَطَلُّبُهُ ... ولو قَعَدْتُ أتانى لايُعَنِّينى

وأراك قد جئت تضرب من الحجاز إلى الشام فى طلب الرزق ! فقال له : لقد وعظت ياأمير المؤمنين وبالغت فى الوعظ ، وأذكرت بما أنسانيه الدهر . وخرج من فوره إلى راحلته فركبها، ثم نصها راجعا نحو الحجاز ؛ فمكث هشام يومه غافلا عنه ، فلما كان فى الليل تعارّ على فراشه فذكره وقال فى نفسه : رجل من قريش قال حكمة ، ووفد إلىّ فجبهته ورددته عن حاجته ، وهو مع هذا شاعر لا آمن مايقول ! فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه ، فقال : لاجرم ! ليعلمن أن الرزق سيأتيه ، ودعا مولى له وأعطاه ألفى دينار ، وقال له : الحق ابن أذينة ، فأعطه إياها ، قال : فلم أدركه إلا قد دخل بيته ، فقرعت الباب عليه ، فخرج فأعطيته المال ، فقال: أبلغ أمير المؤمنين السلام ؛ وقل له: كيف رأيت قولى ! سعيت فأكديت ، ورجعت إلى بيتى فأتانى فيه الرزق » . (٥) د ، ومن نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف « يخبطون » .

بالسين غير معجمة[١]، وذلك خطأ ، وإنما أراد بالإشراف أنى لا أستشرف وأتطلّع[٢] إلى مافاتنى من أمور الدنيا ومكاسبها، ولا تَتْبَعُها نفسى[٣].

* * *

قال سيدنا أدام الله تأييده: ولى أبيات فى معنى بعض أبيات ثابت قُطنة، وعُروة بن أُذَينة التى تقدمت ، وهى من جملة قصيدة طويلة خرجتْ عنِّى منذ اثنتى عشرة سنة ؛ والأبيات :

تَعاقَبنى بُؤسُ الزَّمانِ وخَفْضُه   وأدَّبنى حَرْبُ الزَّمانِ وسِلْمُه
وقد عَلِم المَغرُور بالدَّهر أنَّهْ   وراءَ سُرُورِ المَرْءِ فى الدَّهرِ غمُّهُ
وما المَرْءُ إلاَّ نَهبُ يومٍ وليلَةٍ   تَخُبُّ بهِ شُهبُ الفَنَاءِ ودُهمُهُ[٤]
يُعلِّلهُ بَرْدُ الحياةِ يَمسُّهُ   ويُغتَرُّه رَوْحُ النَّسيمِ يَشمُّهُ[٥]
وكانَ بَعيداً عن مُنازَعةِ الرَّدى   فألقتْهُ فى كَفِّ المَنيَّةِ أمُّهُ[٦]
ألاَ إنَّ خيرَ الزَّادِ ما سدَّ فاقةً   وخيرُ تِلادىَّ الذى لا أُجمُّهُ[٧]
وإنَّ الطَّوَى بالعِزِّ أحسنُ بالفَتى   إذا كانَ مِن كَسب المَذَلَّةِ طُعمُهُ[٨]
وإنى لأَنهَى النَّفْسَ عن كلِّ لذَّةٍ   إذا ما ارتَقى مِنْهَا إلى العِرضِ وصْمُهُ
وأُعْرِضُ عن نَيْلِ الثُّرَيَّا إذا بَدا   وفى نَيْلِهِ سُوءُ المَقَالِ وذَمُّهُ
أَعِفُّ وما الفحشاءُ عنِّى بَعيدةٌ   وحَسْبىَ فى صَدٍّ عن الأمرِ إثمُهُ[٩]

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « المعجمة » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « وأطلع » .
(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « العجب من تخطئة السيد رضى الله عنه رواية من روى بالسين المهملة ؛ وهو أكثر الروايات ، ومعناه واضح » .
(٤) حاشية الأصل : « دهمه ؛ جمع أدهم ؛ وهو كناية عن الليل والنهار » .
(٥) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « بردالنسيم » . (٦) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) « من منازعة الردى » . (٧) حواشى الأصل ؛ ت ، ف : « أى لاأتركه يجم ويكثر ، من جم الماء يجم جموما ؛ إذا كثر واجتمع ، ولا يبعد أن يكون من أجممت الفرس ، أى أرحته » .
(٨) ت : « كسب المنية » . (٩) حاشية الاصل : « ذكر الفحشاء دليل على شبابه، وكناية عنه » .

وما العَفُّ مَن وَلَّى عن الضَّرْبِ سَيفُهُ ... ولـكِنَّ مَن وَلَّى عَن السُّوءِ حَزْمُهُ

/ ولى فى معنى قوله : « وما الإشراف من خُلُقى » : [١٣٧ و]

ما خامَرَ الرِّزْقُ قلبى قَبْـلَ فَجأَتِهِ ... ولا بَسطتُ له فى النَّائباتِ يَدى

كَمْ قدْ ترادَفَ لم أحفِل زِيادَتَه ... ولوْ تجاوَزَنى ما فتَّ مِن عَضُدى

إن أسخَطِ الأمر أدرِكْ عنه مُضطرَباً ... وإنْ أُرِد بَدَلاً من مَذهَبٍ أجِدِ[1]

ومعنى « ما خامر الرِّزْق قلبى » أى لم أتمَنَّهُ ، ولا تطلَّعْتُ إلى حضوره ، ولا خطر لى ببالٍ تنزُّهاً وتقنعاً؛ والوجه فى تخصيص نفى بسط اليد بالنوائب ، لأن النوائب[2] يَضْرَع عندها فى الأكثر المتنزِّه ، ويطلُب المتعفِّف ؛ فمن لزِم النزاهة مع الحاجة وشدّة الضرورة فهو الـكامل المروءة .

ومعنى البيت الثانى ظاهر .

فأما الثالث فالمراد به أنى ممَّن إذا كرِه شيئاً تمـكَّن من مفارقته والنزوع عنه ، ولست ممَّن تضيق حيلته ، وتقصر قدرته عن استدراك ما يحب بما يكره. وفيه فائدة أخرى ، وهى أنى ممن لا تملـكُه العادات، وتقتاده الأهواء ؛ بل متى أردتُ مفارقة خُلق إلى غيره ، وعادةٍ إلى سواها لم يكنْ ذلك علىَّ متعذِّراً ؛ من حيث كان لرأيى على هوايَ السلطان والرجحان .

* * *

أخبرنا أبو عُبيدالله المرزبانىّ قال حدثنى محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوىّ قال أخبرنا الزبيرُ بن بكّار قال حدّثنى عُروة بن عبيد الله بن عُرْوة بن الزبير قال : كان عُرْوة ابن أُذَيْنَة نازلًا مع أبى فى قصر عُرْوة بالعَقِيق ، فسمعتُه يُنشِد لنفسه :

إِنَّ الَّتى زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّها ... خُلِقَتْ هَوَاكَ كما خُلِقتَ هَوًى لها[3]

---

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « إن أسخط الرزق » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أن النوائب » .

(٣) الأبيات فى زهر الآداب : ١٦٦ (طبعة الحلبى) ، وبعضها فى أمالى القالى ١ : ١٥٦ ، والموشح : ٢٣٠ ، وحماسة أبى تمام ـ بشرح التبريزى ٣ : ٢١ــ٢١٣ . ونسب ابن قتيبة فى الشعراء : ٥٥٤ أبياتا منها للمجنون . والهوى، بمعنى المهوىّ .

فَبِكَ الذى زَعمتْ لها ، وكلاكما … أبدَى لِصاحِبِهِ الصَّبابةَ كُلَّها
ولَعَمرُها لو كانَ حُبُّكَ فوْقَها … يوْماً وقدْ ضَحِيَتْ إذًا لأَظَلَّها
وإذا وجَدْتَ لها وَساوِسَ سَلْوَةٍ … شَفَعَ الضَّميرُ إلى الفُؤَادِ فسَلَّها
بيْضاءُ باكَرَها النَّعيمُ فصاغَها … بلَبـــاقةٍ فأَدَقَّها وأجَلَّها[1]
لمَّا عَرَضْتُ مُسلِّماً لِيَ حاجةٌ … أخشَى صُعوبَتَها ، وأرْجو ذُلَّها[2]
[١٣٧ ظ] / مَنَعَتْ تحيَّتَها، فقلتُ لِصاحِبي: … ما كانَ أَكْثَرَها لنـا وأَقلَّها !
فدَنا ، فقالَ : لَعلَّها معذورَةٌ … فى بَعضِ رِقْبتِنا ، فقلتُ : لَعَلَّها !

قال عُروة بن عبيد الله : فجاءنى أبو السائب المخزومىّ يوماً فسلّم وجلس إلىّ ، فقلت له بعد الرُّحب به : ألكَ حاجةٌ يا أبا السائب ؟ فقال : أوْ كما تـكونُ الحاجةُ ! أبياتٌ لعُروة ابن أذينة؛ بلغنى أنك سمعتَها منه ، قلت : أىّ أبياتٍ ؟ قال : وهل يخفَى القمر ! .

* إنَّ الّتى زَعمتْ فُؤادَكَ ملَّها *

فأنشدتُه فقال : ما يروِى هذا إلّا أهلُ المعرفة والفضل ، هـذا والله الصادق الوُدّ ، الدائمُ العهد ، لا الهُذَلِيّ الذى يقول :

إنْ كانَ أهلُكِ يمنَعونَكِ رَغبةً … عنِّى فأهلى بى أَضَنُّ وأَرْغَبُ

لقد عدا الأعرابىّ طوره ! وإنى لأَرجُو أن يغفرَ الله لابن أُذَيْنَةَ فى حُسن الظَّنِّ بها ، وطلب العُذر لها . فدعوتُ له بطعام ، فقال : لا والله حتى أرْوِىَ هذه الأبيات ، فلمَّا رواها وَثب ، فقلت له : كما أنت يغفر الله لك ، حتى تأكل ، فقال: والله ما كنتُ لأخلِط بحبّى لها وأخذى إياها غيرها[3] .

---

(١) حاشية الأصل : « أى أدق منها ماينبغى أن يكون دقيقا، وأجل منها ماينبغى أن يكون جليلا » وقال ابن الأعرابى : ومعنى قوله : « فأدقها وأجلها » دق منها حاجباها وأنفها وخصرها ، وجل عضداها وساقاها وبوصها ؛ وهذا كما قال آخر :

فدقَّتْ وجَلَّتْ واسْبَكَرَّتْ وأُكْمِلَتْ … فلو جُنَّ إنْسَانٌ من الحسن جُنَّتِ

(٢) الذل هنا ، بالضم ويكسر : ضد الصعوبة .

(٣) وانظر الخبر أيضا فى زهر الآداب (طبعة الحلبى) : ١٦٧ ، والوشح : ٢٣٠ .

قال سيدنا أدام الله علوّه : والهذلىّ الذى عابه وأنشدَ له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم ابن جندَب الهُذَلِيّ .

وقول عروة : « باكَرها النعيم » أراد أنها لم تعِشْ إلّا فى النعيم، ولم تعرفْ إلا الخفضَ، وأنها لم تلاقِ بُؤساً فتخشع وتضرَع ، فيؤثِّر ذلك فى جمالها وتمامها ، والبكور هو التقدّم فى كل وقت .

وكان عروة بن أُذينَة مع تغزّله يُوصَف بالعفاف والنزاهة ، (١) ورُوِى أن سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام مرّت به فقالت : يا أبا عامر ، أنت الذى تقول :

إذَا وَجَدْتُ أُوَارَ الحُبِّ فى كَبِدِى ... أَقبلْتُ نحوَ سِقاءِ القَوْمِ أبترِدُ
هَبْنِى بَرَدْتُ بِبَرْدِ المـــاءِ ظاهِرَهُ ... فمَنْ لِنارٍ على الأحْشاءِ تَتَّقِدُ !

وأنت القائل :

قالتْ وأبثَثْتُها وَجدِى فبُحتُ بهِ ... قد كُنتَ عِندِى تُحِبُّ السَّتْرَ ، فاستَتِرِ
/ ألستَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي؟ فقلتُ لها: ... غَطَّى هَوَاكِ وما أَلقَى على بَصَرِى (٢) [١٣٨ و]

قال : نعم ، قالت : هنّ حرائر ـ وأشارتْ إلى جواريها ـ إن كان هذا خرج من قلب سليم !

وأنشد أبو الحسن أحمد بن يحيى (٣) لعُرْوة :

كأنّ خُزامَى طَلَّةٍ صابَها النّدَى ... وفأرَةَ مِسْكٍ ضُمِّنَتْها ثِيابُها (٤)
وكِدْتُ لِذِكْراها أَطِيرُ صَبابةً ... وغالَبتُ نفْساً زادَ شوْقاً غِلابُها

---

(١) الخبر فى مصارع العشاق : ٣١٣ـ٣١٤ ، وابن خلكان ١ : ٢١١ .
(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « بما ألقى على بصرى » .
(٣) كذا فى الأصول ، وفى حاشيتى الأصل ، ت (من نسخة) : « أبو الحسن على بن أحمد » ، ومن نسخة أخرى : « أبو الحسن عن أحمد بن يحيى » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « ضافها الندى » ؛ الخزامى : نبت زهره أطيب الأزهار رائحة ، والطلة : الروضة بللها الطل ؛ وهو المطر الخفيف . وفأرة المسك : وعاؤه ؛ ويريد به هنا المسك .

إذا اقتربتْ سُعْدَى لَهِجْتُ بهجرها ... وإنْ تغترِبْ يوماً يرُعْكَ اغترابُها
فنى أىِّ هذا راحةٌ لكَ عِنْدَها ! ... سواءٌ لَعَمرى نأيُها واقترابُها
وعادَ الهوَى فيها كظِلِّ سَحابةٍ ... ألَاحتْ ببرْقٍ ثمَّ مرَّ سَحابُها[1]

قال سيدنا أدام الله علوّه : وهيهات هذا البيت الأخير من قول كثيِّر :

وإنى وتَهْيامى بعزَّةَ بعدَ ما ... تخلَّيتُ مِمَّا بيْننا وتخلَّتِ[2]
لَكالمرْتجى ظِلَّ الغمامةِ كلّما ... تبوَّأَ مِنها للمَقيلِ اضمَحلَّتِ
كأنى وإيَّاها سَحابةُ مُمْحِلٍ ... رَجَاها فلمَّا جاوَزَتْهُ استهلَّتِ

وروى يحيى بن علىّ قال حدثنا أبو هِفّان قال : أشعرُ أبيات قيلت فى الحسَدَة والدعاءِ لهم بالكثرة أربعة ، فأولها قول الكُميت بن زيد[3] :

إنْ يَحسُدُونى فإنى لا ألومُهمُ ... قَبْلى مِنَ النَّاسِ أهلُ الفضلِ قد حُسِدُوا[4]
فدامَ بى وبِهم مالى وما لهمُ ... وماتَ أكثرُنا غيظاً بما يَجِدُ
أنا الذى يَجِدُونى فى حُلوقِهِمُ ... لا أرتقى صَدَرًا منها ولا أرِدُ
لا يَنقِصِ اللهُ حُسَّادِى فإنَّهمُ ... أسَرُّ عِندى مِنَ اللّائى لهُ الوَدَدُ[5]

وقال عروة بن أذينة :

لا يُبعِدِ اللهُ حُسادِى وزادَهمُ ... حتَّى يَموتوا بِداءٍ فِىَّ مَكْنُونِ
[١٣٨ ظ] إنِّى رأيتُهمُ فى كلِّ مَنزِلةٍ ... أجلَّ قَدْراً مِنَ اللَّائى يُحبُّونى

وقال نصر بن سيَّار :

إنْ يَحسدُونى على مابى وما بِهمُ ... فمِثلُ ما بى لعمرى جرَّ لى الحَسَدا

---

(١) ألاحت : لوحت . (٢) أمالى القالى ٢ : ١٠٩ .
(٣) فى حاشيتى الأصل ، ت : « الكميت بن معروف الأسدى » .
(٤) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « غير لائمهم » ، والأبيات الثلاثة الأول وردت فى معجم الشعراء : ٣٤٧ ، منسوبة إلى الكميت بن معروف ، ووردت فى عيون الأخبار ٢ : ١٠–١١ ، وأمالى القالى ٢ : ١٩٨ من غير عزو . (٥) ت : « هم الودد » ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « لهم ودد » .

وقال معن بن زائدة :

إنى حُسِدْتُ فزادَ اللهُ فى حَسَدى ... لاعاشَ مَن عاشَ يوْماً غيرَ محسودِ
ما يُحسَدُ المرءُ إلاَّ مِن فضائلهِ ... بالعِلمِ والظرفِ أو بالبأسِ والجُودِ

قال سيدنا أدام الله علوّه : وقد لحَظ البُحترىّ بهذا[1] المعنى فى قوله :

مُحَسَّدٌ بخلالٍ فيه فاضلةٍ ... وليس تفترِقُ النَّعماءُ والحَسَدُ[2]

وأظن أبا العتاهية أخذ قوله :

كم عائبٍ لك لم أسمع مَقالتهُ ... ولم يَزِدْكِ لَدَينا غيرَ تزيينِ
كأنَّ عائبكم يُبدى محاسِنَكم ... وَصْفاً فيمدَحكُم عِندى ويُغرينى
ما فوْقَ حُبِّكِ حُبّاً لستُ أعلمُهُ ... فلا يَضُرُّكِ ألاَّ تستزيدينى

من قول عروة بن أذينة :

لا يُبْعِدُ سُعدَى مُرِيحى مِنْ جَوَى سَقَمٍ ... يوْماً ولا قُرْبُها إنْ حُمَّ يَشفينى
إذَا الوُشاةُ لحَوْا فيها عصيْتُهمُ ... وخِلْتُ أنَّ بسُعدى اليوم يُغرينى

وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى فى قوله :

ما حطَّكَ الواشونَ مِن رُتبةٍ ... عِندى ولا ضرَّكَ مُغتابُ
كأنَّهمْ أثنَوا ولم يَعلموا ... عليك عنـدى بالذى عابوا

ولعروة بن أذينة :

تُرَوِّعُنا الجنائزُ مُقْبِلاتٍ ... ونلهو حينَ تَخْفَى ذَاهِباتِ[3]
كرَوْعَةِ ثَلّةٍ لِمُغَارِ ذِئبٍ ... فلما غابَ عادَت راتِعاتِ [١٣٩ و]

الثَّلّة : القطعة من الضأن ؛ وهذا المعنى قد سبق إليه بعضُ الأعراب فقال :

ونُحْدِثُ رَوْعاتٍ لدَى كلِّ فزْعَةٍ ... ونُسرِعُ نِسياناً وما جاءَنا أمْنُ

---

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « هذا » . (٢) ديوانه ١ : ١٤٠ ، وفى ت ، من نسخة : «فيه ظاهرة» . (٣) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « ونسهو » . والشعر فى الحيوان ٦ : ٥٠٧ وعيون الأخبار ٣ :٦٢ ، والبيان ٣ :٢٠١

وإنا ـ ولا كُفرانَ للهِ رَبِّنَا ـ   لَكالبدنِ ، لا تدرى متى يومُها البُدْنُ !

أخذه أبو العتاهية فى قوله :

إذا ما رأيتم ميِّتِين جَزِعْتمُ   وإنْ غُيِّبوا مِلتُمْ إلى صَبَواتها

وأخذ عروة قولَه :

إنَّ الفَتى مثلُ الهلالِ لهُ   نورٌ ليالىَ ثمَّ يمتحقُ(١)

يَبْلَى وتفنيهِ الدُّهور كما   يَبْلَى ويَنضوا لجِدَّةَ الخلقُ(٢)

من قول لبعض شعراء طيئ :

مَهما يكُن ريْبُ الزَّمانِ فإننى   أرى قَمَرَ اللَّيلِ المُعذَّب كالفتَى(٣)

يُهِلُّ صغيرا ، ثمَّ يعظُمُ ضَوءُهُ   وصورتُهُ حتَّى إذا ما هوَى استوَى

تَقارَبَ يَخبو ضَوْءُهُ وشُعاعُهُ   ويَمصَحُ حتَّى يَستَسِرَّ فلا يُرَى(٤)

كذَلِكَ زيدُ المرْءِ ثُمَّ انتقاصُهُ   يَعودُ إلى مِثلِ الَّذِى كانَ قد بَدا(٥)

أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال :

المرْءُ مِثلُ هِلالٍ عِندَ مَطلَعِه   يَبْدُو ضَئيلًا ضَعيفاً ثمَّ يَتَّسِقُ

يزْدادُ حتَّى إذا ما تمَّ أعقَبَهُ   كَرُّ الجَديدَيْنِ نُقْصاناً فيَمْتَحِقُ(٦)

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « امحق » ، وفيها : « يمحق وامتحق وامحق بمعنى » .

(٢) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « وينضى الحبرة » . وفى حاشية الأصل أيضا : « أنضيت الثوب : أبليته وكذلك انتضيته ، ونضوته : خلعته » .

(٣) معجم البلدان ٤ : ١٣٤ ؛ من أبيات نسبها إلى حنظلة بن أبى عفراء الطائى ؛ وكان قد نسك فى الجاهلية وتنصر ، وبنى ديرا عرف باسمه .

(٤) حاشية الأصل : « يقال : مصح النبات إذا ولى لون زهره » .

(٥) رواية عجز البيت فى معجم البلدان :

* وتكرارُهُ فى إثرِهِ بَعْدَ مامضَى *

(٦) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « فيمحق » .

٣١

مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ / فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ [١٣٩ ظ] فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ [البقرة: ١٠٢] .

فقال : كيف يُنزِلُ الله السِّحْرَ على الملائكة ؟ أم كيف تعلِّم الملائكةُ الناسَ السِّحْرَ والتفريقَ بين المرء وزوجه ؟ وكيف نَسَب الضررَ الواقع عند ذلك إلى أنّه بإذنه ، وهو تعالى قد نَهى عنه ، وحذَّر من فعله ؟ وكيف أثبت العِلْمَ لهم ونفاه عنهم ، بقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ ، ثم قوله : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ؟ .

الجواب، قلنا: فى الآية وجوه؛ كلٌّ منها يُزيل الشبهةَ الداخلة على مَن لا يُنعِم النَّظر فيها:

أوّلها أن يكون ﴿ مَا ﴾ فى قوله : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ بمعنى الّذى ، فكأنه تعالى أخبر عن طائفة من أهل الكتاب ، بأنهم اتبعوا ما تكذب فيه الشياطينُ على ملك سليمان، وتُضيفُه إليه من السِّحْر ؛ فبرأه الله تعالى من قرْفهم ، وأكذبَهم فى قولهم، فقال: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ باستعمال السِّحر والتمويه على الناس ، ثم قال : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾، وأراد أنهم يعلِّمونهم السِّحر

والذى أنزل على المَلَكَيْن، وإنّما أنزلَ على المَلَكين وصفُ السحر وماهيَّته وكيفية الاحتيال فيه؛ ليعرِفا ذلك ويعرِّفاه للناس فيجتنبُوه ويحذروا منه، كما أنَّه تعالى قد أعلمنا ضروبَ المعاصى، ووصَفَ لنا أحوال القبائح لنجتَنبها لا لنُوقِعها؛ لأنَّ الشياطينَ كانوا إذا علموا ذلك وعَرَفوه استعملوه، وأقدموا على فعله؛ وإن كان غيرُهم من المؤمنين لمّا عرفه اجتنبَه وحاذره وانتفع باطّلاعه على كيفيته، ثم قال: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ يعنى المَلَكين، ومعنى ﴿يُعَلِّمَانِ﴾ يُعْلِمَانِ، والعرب تستعمل لفظة علَّمه بمعنى أعلمه، قال القُطامىّ:

تَعلَّمْ أنَّ بَعدَ الغَىِّ رُشْدًا   وأنَّ لِتائِك الغُبَرِ انقشاعا[1]

وقال كعب بن زهير:

تَعلَّم رَسولَ اللهِ أنَّكَ مُدْرِكى   وأنَّ وَعيدًا مِنكَ كالأخذِ باليَدِ[2]

[١٤٠ و] ومعنى «تعلَّم» فى البيتين / معنى «اعلم»[3]؛ والذى يدلُّ على أنَّ المراد هاهنا الإعلام لا التعليم قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، أى أنهما لا يعرِّفانِ صفاتِ السحر وكيفيته إلّا بعد أن يقولا إنما نحن مِحْنَةٌ، لأنّ الفتنة بمعنى المحنة؛ وإنمــا كانا محنة، من حيث أَلْقَيا إلى المكلَّفين أمراً لينزجروا عنه، وليمتنعوا من مواقعته، وهُمْ إذا عَرفوه أمكن أن يستعملوه ويرتكبوه، فقالا لمن يُطْلِعانِه على ذلك: لا تكفرْ باستعماله، ولا تعدِل عن الغرضِ فى إلقاء هذا إليك، فإنه إنّما أُلقِىَ إليك، وأُطْلِعْتَ عليه لتجتنبَه؛ لا لتفعله، ثم قال: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾، أى فيعرفون من جهتهما مايستعملونه فى هذا الباب؛ وإن كان المَلَكان ماألقياه إليهم لذلك؛ ولهذا قال: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾؛ لأنّهم

(١) ديوانه: ٤٠؛ ومن نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «لهذه الغمر»، وهى رواية الديوان والغمر: جمع غمرة، وهى الشدة. (٢) ملحقات ديوانه: ٢٥٨ (عن الفرر).

(٣) حواشى الأصل، ت، ف: «قال ابن السكيت رحمه الله: يقال: تعلمت أن فلانا خارج يعنى علمت، وإذا قال لك: اعلم أن زيداً خارج قلت: قد علمت، وإذا قال: تعلم أن زيداً خارج لم تقل: قد تعلمت؛ يعنى أنه يقتصر على ماورد عنهم، ولا يتجاوز إلى غيره».

لمّا قصدوا بتعلّمه أن يفعلوه ويرتكبوه، لا أن يجتنبوه صار ذلك لسوء اختيارهم ضرراً عليهم.

وثانيها أنْ يكونَ ﴿ مَاأُنْزِلَ ﴾ موضعُه موضعَ جرٍّ؛ فيكون معطوفاً بالواو على ﴿ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ؛ والمعنى : واتبعوا ما كَذَب به الشياطينُ على ملك سليمان ، وعلى ما أنزل على الملَكين ؛ ومعنى ﴿ مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ أى معهما ، وعلى ألسنتهما ؛ كما قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٩٤] ، أى على ألسنتِهم ومعَهم .

وليس بمنكَر أن يكون ﴿ مَاأُنْزِلَ ﴾ معطوفاً على ﴿ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ وإن اعترض بينهما من الكلام ما اعترض ؛ لأن ردّ الشىء إلى نظيره ، وعطفه على ما هو أوْلَى هو الواجبُ ، وإن اعترض بينهما ماليس منهما ؛ ولهذا نظائرُ فى القرآن وكلام العرب كثيرة ، قال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. قَيِّمًا ﴾ ؛[الكهف : ١، ٢] و « قيِّم » من صفات الكتاب حالٌ منه ، لا من صفة « عِوَج » ، وإن تباعد ما بينهما ، ومثله قوله: ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٧] ، فالمسجد هاهنا معطوف به على الشهر الحرام، أى يسألونك عن القتال فى الشهر الحرام وعن المسجد الحرام .

وحُكِى عن بعض علماء أهل اللغة أنه قال : العرب تلفُّ الخبريْنِ المختلفين ، ثم ترمى بتفسيرها جملة ؛ ثقةً بأنّ السامع يردُّ إلى كلٍّ خبره ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ؛ [يونس: ٦٧] ، وهذا واضح فى مذهب العرب ، كثير التظائر .

ثم قال: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾، والمعنى أنهما لايعلِّمان أحداً ، بل ينهيان عنه ، ويبلُغ من نهيهما عنه وصدِّهما عن فعله واستعماله أن يقولا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾ باستعمال السحر والإقدام على فعله، وهذا كما يقول الرجل: ماأمرت فلاناً بكذا ، ولقد بالغتُ فى نهيه حتى قلت له : إنك إن فعلته أصابك كذا وكذا ؛ وهذا

هو نهاية البلاغة فى الكلام ؛ والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعانى الكثيرة ؛ لأنه استغنى بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ عن بسط الكلام الذى ذكرناه ؛ ولذلك نظائر فى القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ؛ [المؤمنون: ٩١]، فلولا الاختصار لكان مع شرح الكلام يقول : ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ، ولو كان معه إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ؛ ومثله قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٠٦] ، أى : فيقال للذين اسودت وجوههم : ﴿ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ؛ وأمثاله أكثر من أن تورد .

ثم قال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾، وليس يجوز أن يرجع الضمير على هذا الجواب إلى الملكين ؛ وكيف يرجع إليهما وقد نفى عنهما التعليم! بل يرجع إلى الكفر والسحر، وقد تقدم ذكرُ السحر، وتقدّم أيضاً ذكرُ ما يدلّ على الكفر ويقتضيه فى قوله: ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾؛ فدل ﴿ كَفَرُوا ﴾ على الكفر ، والعطف عليه مع السحر جائز ، وإن كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه؛ ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى . وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾ ؛ [الأعلى: ١٠-١١] ، أى يتجنّب الذكرى الأشقى ، ولم يتقدم تصريح بالذّكرى ، لكن دلّ عليها قوله: ﴿ سَيَذَّكَّرُ ﴾ .

ويجوز أيضا أن يكون معنى ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ ، أى بدلا مما علّمهم الملكان، ويكون المعنى أنهم يعدِلون عمّا علّمهم ووقفهم عليه الملكان من النهى عن السحر إلى تعلمه واستعماله ؛ كما يقول القائل : ليت لنا من كذا وكذا كذا[1]! أى بدلا منه ، وكما قال الشاعر:

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « من هذا الباب قوله :

فليتَ لَنَا مِنْ ماءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مبرّدةً باتتْ على الطَّهَيانِ

ـ الطهيان : اسم جبل » .

/جمعتَ مِنَ الخيراتِ وَطباً وعُلْبةً ... وصَرّاً لأَخْلافِ المزمَّمةِ البُزْلِ(١) [١٤٠ ظ]

ومِنْ كلِّ أخلاقِ الكِرامِ نميمةً ... وسَعْياً على الجارِ المُجاوِرِ بالمَحْلِ(٢)

يريد جمعتَ مكان الخيرات، ومكانَ أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة.

وقوله: «مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ» فيه وجهان:

أحدهما أن يكونوا يُغوون أحدَ الزوجين، ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى، فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخرَ المؤمنَ المقيمَ على دينه، فيفرِّق بينهما اختلاف النِّحْلة والمِلّة.

والوجه الآخر أنْ يسعَوْا بين الزَّوجين بالنميمة والوشاية والإغراء والتمويه بالباطل؛ حتى يئول أمرُهما إلى الفرقة والمباينة.

وثالث الوجوه في الآية أن يُحمل ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ على الجَحْدِ والنفي، فكأنه تعالى قال: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾، ولا أنزل الله السِّحْر على الملكين، ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ ويكون قوله: ﴿بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ من المؤخَّر الذي معناه التقديم، ويكون — على هذا التأويل — هاروت وماروت رجلين من جملة الناس، هذان اسماهما؛ وإنما ذكرا بعد ذكر الناس تمييزاً وتبييناً، ويكون الملكان المذكوران اللذان

---

(١) في حاشيتي الأصل، ف: «الوطب: زق اللبن، والعلبة: ما يحلب فيه. والصر: شد الضرع. والأخلاف: جمع خلف؛ وهو للناقة كالثدي للمرأة. والمزممة: النوق التي علقت الأزمة عليها، والبزل: جمع بازل؛ وهي التامة السن». وفي د، م: «المزهمة»، وهي السمان الكثيرة الشحم.

(٢) المحل: الكذب والخداع.

نفى عنهما السحرَ جبرائيلُ وميكائيل عليهما السلام ؛ (١ لأن سَحَرة اليهود ـ فيما ذكر ـ كانت تدّعى أن الله تعالى أنزل السحر على لسان جبرائيل وميكائيل ١) إلى سليمان بن داود عليهما السلام، فأكذبهما الله تعالى بذلك .

ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان إلى الشياطين ، كأنه قال: ولكن الشياطين: هاروت وماروت كفروا ؛ ويسوغ ذلك كما ساغ فى قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ ؛ [الانبياء : ٧٨] ، يعنى حكم داود وسليمان عليهما السلام .

ويكون قوله تعالى على هذا التأويل: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ راجعاً إلى هاروت وماروت اللذيْن هما من الشياطين ، أو من الإنس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به . ومعنى قولهما : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فلاَ تَكْفُرْ ﴾ يكون على طريق الاستهزاء والتماجُن والتخالُع ، كما يقول الماجن من الناس إذا فعل قبيحاً [١٤١ و] أو قال باطلا : هذا فعل مَن لاَ يفلح ، وقول من لا يُنجب ، والله ما حصلتُ / إلا على الخسران ؛ وليس ذلك منه على سبيل النُّصْح للناس وتحذيرهم من مثل فعله ، بل على وجْه المجون والتهالك .

ويجوز أيضا على هذا التأويل الذى يتضمّن النفى والجحد أن يكون هاروت وماروت اسمين للملَكين، ونفى عنهما إنزال السحر بقوله : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِلَ ﴾ ويكون قوله : ﴿ ومَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحدٍ ﴾ يرجع إلى قبيلتين من الجنّ أو إلى شياطين الجنّ والإنس ، فتحسن التثنية لهذا.

وقد روى هذا التأويل الأخير فى حمل ﴿ مَا ﴾ على النفى عن ابن عباس وغيره من المفسرين.

وروِىَ عنه أيضا أنه كان يقرأ: ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلِكَيْنِ ﴾ بكسر اللام ، ويقول : متى كان العِلْجان مَلَكين! إنما كانا ملِكين ؛ (١ وعلى هذه القراءة لا ينكر أن يرجع قوله : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ إليهما ١).

(١ ـ ١) ساقط من م .

وعلى(١) هذه القراءة فى الآية وجهٌ آخر وإن لم يحمل قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ﴾ على الجَحْد والنفى ، وهو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتَّبعوا ما تتلوا الشياطين وتدَّعيه على مُلْك سليمان ، واتبعوا ما أنزل على هذين الملكين من السحر ، ولا يكون الإنزال مضافاً إلى الله تعالى، وإن أطلق؛ لأنه جلَّ وعز لا يُنْزِل السحر؛ بل يكون منزلُه إليهما بعض الضُّلاّل العُصاة، ويكون معنى ﴿أُنْزِلَ﴾ ــ وإن كان من الأرض ــ حُمل إليهما لا من السماء أنه أُتِىَ به به من نجود الأرض وأعاليها ؛ فإنَّ من هبطَ من نجد البلاد إلى غَوْرها يقال : نزل وهبط ، وما جرى هذا المجرى .

فأما قوله تعالى : ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنَ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ فيحتمل وجوهاً: منها أن يريد بالإذن العلم ، من قولهم : آذنت فلاناً بكذا إذا أعلمته ، وأَذِنْتُ لكذا إذا استمعته وعلمته ، قال الشاعر :

فى سَماعٍ يأْذَنُ الشَّيخُ لهُ ... وحَدِيثٍ مِثْلِ ماذِىٍّ مُشارِ(٢)

ومنها أن تكون ﴿إلاَّ﴾ زائدة ، فيكون المعنى: وماهم بضارين به من أحدٍ بإذن الله، ويجرى مجرى قول أحدنا: لقيتُ زيداً إلا أنى أكرمته ، أى لقيت زيداً فأكرمته .

ومنها أن يكون أراد بالإذن التخليةَ وتركَ المنع، فكأنه أفاد بذلك أنَّ العباد لن يُعْجِزوه، وماهم بضارين أحداً إلا بأن يخلِّىَ الله تعالى بينهم وبينه ، ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر ، زائداً على منعهم بالزجر والنهى .

[١٤١ ظ] /ومنها أن يكون الضرر الذى عَنَى أنه لا يكون إلا بإذنه ، وأضافه إليه هو ما يلحقُ المسحور من الأدوية والأغذية التى يُطعمه إياها السَّحَرة ويدّعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور ؛ ومعلوم أن الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى بالعادة؛ لأنَّ الأغذية لا توجب ضرَّاً ولا نفعاً ، وإن كان المعرِّض للضرر من حيث كان كالفاعل له هو المستحِق للذم، وعليه يجب العوض .

---

(١) ت : « ويمكن على هذه القراءة ... » . (٢) البيت فى اللسان (أذن) ، ونسبه إلى عدى ابن زيد . الماذى : العسل الأبيض . والمشار : المجنى ، ويقال : شرت العسل واشترته وأشرته ، إذا جنيته .

ومنها أن يكون الضرر المذكور إنما هو ما يحصل عن التفريق بين الأزواج ؛ لأنه أقرب إليه فى ترتيب الكلام ؛ والمعنى أنهم إذا أغوَوْا أحد الزوجين ، وكفر فبانتْ منه زوجته ، فاستضرَّ بذلك كانوا ضارِّين له بما حسَّنوه له من الكفر ، إلاّ أنَّ الفرقة لم تكن إلاَّ بإذن الله وحُكمه ؛ لأنه تعالى هو الذى حَكم وأمر بالتفريق بين المختلفى الأديان ؛ فلهذا قال : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ﴾ ؛ والمعنى أنه لولا حكمُ الله وإذنُه فى الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف المِلّة لم يكونوا ضارين له هذا الضَّرْبَ من الضرر الحاصل عند الفرقة؛ ويقوّى هذا الوجهَ ما رُوى أنه كان من دين سليمان؛ أنه مَن(1) سَحَر بانتْ منه امرأتُه .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ ﴾ ، ثم قال : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ففيه وجوه :

أوّلها أن يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا، ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خُبِّر عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سليمان ، والذين لم يعلموا هم الذين تعلّموا السحر، وشَرَوْا به أنفسهم .

وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا؛ إلا أنهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره، فكأنه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة، ولم يعلموا كُنْهَ ما يصير إليه من عقاب الله الذى لا نفادَ له ولا انقطاع .

وثالثها أن تكون الفائدة فى نفى العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا ، فكأنهم لم يعلموا ، وهذا كما يقول أحدُنا لغيره : ما أدعوك إليه خيرٌ لك وأعْوَدُ عليك ؛ لو كنت تعقل وتنظر فى العواقب ، وهو يعقل وينظر فى العواقب ، إلا أنه لا يعمل بموجب علمه ، فحَسُنَ أن يقال له/مثل هذا القول ؛ قال كعب بن زهير يصف ذئباً وغراباً تبعاه ؛ ليصيبا من زاده : [١٤٢]

إذا حضرَانى قلتُ : لوْ تعلمانهِ   ألمْ تعلمَا أنى منَ الزاد مُرْمِلُ(2)

(1) حاشية الأصل (من نسخة) : « أن من » . (2) ديوانه : ٥١ . المرمل : الذى نفدزاده .

فنفى عنهما العلم ، ثم أثبته بقوله : « ألم تعلما » ، وإنما المعنى فى نفيه العلم عنهما أنهما لم يعملا بما علماه فكأنهما لم يعلماه .

ورابعها أن يكون المعنى أنَّ هؤلاء القوم الذين قد علموا أن الآخرة لا حظَّ لهم فيها مع عملهم القبيح ، إلا أنهم ارتكبوه طمعاً فى حُطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُم لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أن الذى آثروه وجعلوه عِوَضاً من الآخرة لا يتمّ لهم ، ولا يبقى عليهم ، وأنه منقطع زائل ، ومضمحلّ باطل ، وأن المال إلى المستحق فى الآخرة ؛ وكل ذلك واضح بحمد الله .

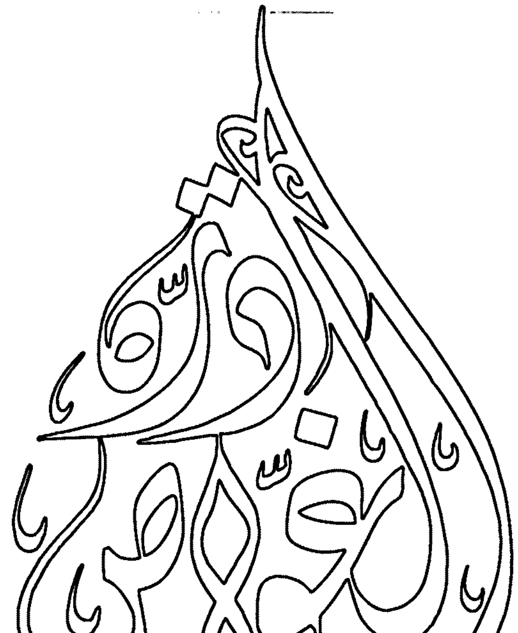

مجلس آخر ٣٢

تأويل خبر

روى عُقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال : « لو كان القرآن فى إهاب ما مسَّتْه النار » .

وقد ذكر متأوّلو حديث النبى صلى الله عليه وآله فى هذا الخبر وجوهاً كثيرة ، كلُّها غيرُ صحيحٍ ولا شافٍ ، وأنا أذكر ما اعتمدوه[١] ، وأبيِّن مافيه ، ثم أذكر الوجه الصحيح .

قال ابنُ قتيبة : ذهب الأصمعىّ إلى أنَّ مَن تعلّم القرآن من المسلمين لو أُلْقِىَ فى النار لم تحرقه ، فكنّى بالإهاب ـ وهو الجلد ـ عن الشخص والجسم ؛ واحتجَّ على تأويله هذا الحديث بما رُوِىَ عن سليمان[٢] بن محمد قال : سمعت أبا أمامة يقول : اقرءوا القرآن ولا تغرّنكم هذه المصاحف المعلَّقة[٣] ؛ فإن الله لا يعذِّب قلباً وَعَى القرآن .

قال ابنقتيبة: وفى الحديث تأويل آخر ، وهو أنَّ القرآن لو كتِب فى جلدٍ ، ثم أُلقِىَ فى النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لم تحرِقْه النار ؛ على وجه الدّلالة على صحة أمر النبى عليه وآله السلام ، ثم انقطع ذلك بعده ، قال : وجرَى هذا مجرى كلام الذئب وشِكاية البعير وغير ذلك من آياته عليه السلام .

قال : وفيه تأويل ثالث ؛ وهو أن يكون الإحراق[٤] إنما نفِىَ عن القرآن لاعن الإهاب؛ ويكون معنى الحديث : لو جُعِل القرآن فى إهاب ثم أُلقِىَ فى النار ما احترق القرآن ؛

(١) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « ما ذكروه » .

(٢ـ٢) ت: « بالحديث عن سليمان » .

(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « المعلقة ؛ يجوز أن يكون معناها الكتب ؛ لأن التعليق الكتب » .

(٤) حاشية ف (من نسخة) : « الاحتراق » .

فكأن النار تُحرِق الجلد والمداد ولا تُحْرِق القرآن ؛ لأنَّ الله تعالى ينسخه ويرفعه من الجلد، صيانة له عن الإحراق .

وقال أبو بكر / محمد بن القاسم الأنبارىّ رداً على ابن قتيبة ، ومعترضاً عليه : اعتبرتُ [١٤٢ ظ] ما قاله ابن قتيبة من ذلك كلِّه ، فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً .

أما قولُه الأول فيردُّه ما روى عنه عليه السلام من قوله : يخرُ ج من النار قومٌ بعد ما يُحرَقون(١) فيها فيقال : هؤلاء الجهنّميون طلقاء الله عز وجل» . قال: وقد روَى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « إذ دخل أهل الجنةِ الجنةَ ، وأهل النار النار قال الله عز وجل : انظروا مَن كان فى قلبه مثقالُ حبة من خردل من إيمان(٢) فأخرجوه منها »؛ قال أبو بكر : وكيف يصحُّ قول ابن قتيبة فى زعمه أن النار لاتُحْرِق مَن قرأ القرآن؛ ولا خلاف بين المسلمين أنَّ الخوارج وغيرَهم ممَّن يُلْحِد فى دين الله تعالى ويقرأ القرآن أن تُحْرِقهم النارُ بغير شكٍّ ؛ واحتجاجُه بخبر أبى أمامة : «إنَّ الله لا يعذِّب قلبا وعَى القرآن» معناه: قرأ القرآن وعمِل به ؛ فأما مَن حفظ ألفاظه وضيَّع حدوده ؛ فإنه غير واعٍ له .

قال: فأما قوله إنه من دلائل النبوَّة التى انقطعت بعده، فما روَى هذا الحديث أحدٌ أنه كان فى دلائله عليه السلام؛ ولو أراد ذلك دليلا لكان صلى الله عليه وآله يجعل القرآن فى إهاب ثم يُلْقِيه فى النار فلا يحترق

قال : وقول ابن قتيبة الثالث : « لا حترق الجلد والمداد ، ولم يحترق القرآن » غير صحيح ؛ لأن الذى يصحِّح هذا القول يوجِب أنَّ القرآن غيرُ المكتوب ؛ وهذا محال ؛ لأن المكتوب فى المصحف هو القرآن . والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ؛ [الواقعة : ٧٩ – ٨١] ، ومنه الحديث : « لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو » ؛ وإنما يريد المصحف .

قال أبو بكر : والقول عندنا فى تأويل هذا الحديث أنه أراد : لو كان القرآن فى جلد

(١) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف: « يحترقون » .
(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « إيمانا » .

ثم أُلقِيَ فى النار ما أبطلته ؛ لأنها وإن أحرقته فإنها لا تدرُسه؛ إذ كان الله قد ضمَّنه قلوب الأخيار من عباده ؛ والدليل على هذا قول الله تعالى للنبى صلى الله عليه وآله فيما روِى عنه : إنى منزِّلٌ عليك كتابا لا يغسله الماء ، تقرأه نائماً ويقظان؛ فلم يرد تعالى أن القرآن لو كتِب فى شىءٍ ثم غسل بالماء لم ينغسل ؛ وإنما أراد أنَّ الماء لا يبطله ولا يَدْرُسه إذا كانت القلوب تَعيه وتحفظه .

قال: ومثل هذا كثير فى كتاب الله تعالى وفى لغة العرب؛ قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ
[١٤٣] و كَفَرُوا / وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً ﴾؛ [النساء: ٤٢] ، فهم قد كتموا الله تعالى لمَّا قالوا : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٣] ، وإنما أراد تعالى ؛ ولا يكتمون الله حديثا فى حقيقة الأمر ؛ لأنهم وإن كتموه فى الظاهر فالذى كتموه غير مستتر عنه.

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه: والوجه الصحيح فى تأويل الخبر غير ما توهّمه ابن قتيبة وابن الأنبارىّ جميعاً ، وهو أن هذا من كلام النبىّ صلى الله عليه وآله على طريق المثلِ والمبالغة فى تعظيم شأن القرآن والإخبار عن جلالة قدره وعظم خَطره ، والمعنى أنه لو كتب فى إهابٍ ، وأُلقِيَ فى النار وكانت النار مما لا تُحرِق شيئا لعلوِّ شأنه وجلالة قدره لم تحرِّقه النار .

ولهذا نظائر فى القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة على من له أدنى أُنْسٍ بمذاهبهم، وتصرُّف كلامهم .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ؛ [الحشر: ٢١] . ومعنى الكلام : إنّنا لو أنزلنا القرآن على جبل ، وكان الجبل مما يتصدّع إشفاقاً من شىء؛ أو خشية لأمرٍ لتصدّع مع صلابته وقوّته ؛ فكيف بكم يامعاشرَ المكلَّفين ، مع ضعفِكم وقلّتكم ! وأنتم أَوْلَى بالخشية والإشفاق ؛ وقد صرح الله تعالى بأنَّ الكلام خرج مخرج

المثل بقوله: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ ؛ [مريم : ٩٠] .

ومثله قول الشاعر :

أَمَا وجَلَالِ اللهِ لَوْ تَذْكُرِينَنِي ... كَذِكْرَاكِ مَا نَهْنَهْتِ لِلْعَيْنِ مَدْمَعَا
فقالتْ : بَلَى واللهِ ذِكْراً لَوَ انَّهُ ... تَضَمَّنَهُ صُمُّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَا(١)

ومثله :

فلو أنَّ مابى بالحصى فَلَقَ الحَصَى ... وبالرِّيحِ لَمْ يُسْمَعْ لَهُنَّ هُبوبُ(٢)

ومثله :

وَقَفْتُ على رَبْعٍ لِمَيَّةَ نَاقَتى ... فما زلت أبكى عِنْدَهُ وأُخاطِبُهْ(٣)
وأُسْقِيهِ حتى كادَ مِمَّا أُبِثُّهُ ... تُكَلِّمُنى أحجارُهُ ومَلَاعِبُهْ(٤)

وهذه طريقة للعرب مشهورة فى المبالغة ؛ يقولون : هذا كلام يُفَلِّقُ الصَّخْر ، ويهدُّ الجبال / ويصرَع الطير ، ويستنزِلُ الوُعول ؛ وليس ذلك بكذب منهم ؛ بل المعنى أنَّه لحسنه [١٤٣ و] وحلاوته وبلاغته يفعل مثلَ هذه الأمور لو تأتت ؛ ولو كانت مما يسْهُلُ(٥) ويتيسر لشىء من الأشياء لتسهّلت به من أجله .

فأما الجواب الأوّل المحكىّ عن ابن قتيبة فالذى يُفسده(٦) زائداً على ماردّه ابن الأنبارىّ أنه لو كان الامرُ على ماذكره ابنُ قتيبة وحكاه عن الأصمعىّ لكان النبى صلى الله عليه وآله قد أغرانا بالذّنوب ؛ لأنه إذا أَمِنَ حافظُ القرآن ومتعلِّمه من النار والعذاب فيها رَكَنَ(٧)

(١) الصفا : جمع الصفاة ؛ وهو الحجر الصلد الضخم لا ينبت . (٢) ت : فلق الحصى .
(٣) ديوانه : ٣٨ . (٤) أسقيه : أدعو له بالسقيا . (٥) من نسخة بحاشيتى ت ، الأصل : « يتسهل » . (٦) ت : « يبطله » .
(٧) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : يقال : ركن [بفتح الكاف] يركن ، [بكسرها] . وركن [بكسر الكاف] يركن [بفتح الكاف] ؛ لغتان إلا أنهم أخذوا الماضى من هذا والمضارع من ذاك ، فقالوا : « ركن يركن » بالفتح فيهما .

المكلّفون إلى تعلّم القرآن والإقدام على القبائح آمنين غير خائفين ؛ وهذا لايجوز عليه صلى الله عليه وآله والمعنى فى قول أبى أمامة أن الله لايعذّب قلباً وعى القرآن على نحو ماذكره ابنُ الأنباريّ .

فأما جواب ابن قتيبة الثانى ، فمن أين له أن ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وآله ، وليس فى اللفظ ولا فى غيره دلالة عليه ! وأقوى ما يُبطله أنّه لوكان كاذكر لماجاز أن يَخفى على جماعة المسلمين الذين رَوَوْا جميع معجزاته عليه وآله السلام وضبطوها . وفى وِجداننا مَنْ روى ذلك وجمعه وعُنِيَ به غيرَ عارفٍ بهذه الدّلالة والآية إبطالٌ لما توهمه .

فأما جوابُه الثالث فباطلٌ ؛ لأنّ القرآن فى الحقيقة ليس يَحُلُّ الجلد ، ولا يكون فيه حتى ينسَبَ الاحتراق إلى الجلد دونه ؛ وإذا كان الأمر على هذالم يكن فى قوله : إن الإهاب هو المحترق دون القرآن فائدة ؛ لأنّ هذه سبيل كلّ كلام كتب فى إهاب أوغيره إذا احترق الإهابلم يُضف الاحتراق إلى الكلام لاستحالة هذه القضيّة[1] عليه .

ومن عجيب الأمور قول ابن الأنباريّ : « وهذا يوجب أنَّ القرآن غير المكتوب »؛ لأنّ كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنَّه ؛ بل يوجب ضده من أن المكتوب هو القرآن ؛ ولهذاعلّق الإحراق[2] بالكتابة والجلد دون المكتوب؛ الذى هوالقرآن؛ وإذا كانالمكتوب فى المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الأنباريّ ، فما المانع من قول ابن قتيبة أنَّ الجلد يحترق دونه ؟ لأن أحداً لا يقول إنالجلدهوالقرآن ؛ وإنما يقول قومٌ إنه مكتوب فيه ؛ وإذا
[١٤٣ و] كان غيره لم يمتنع إضافة الاحتراق إلى أحدهما / دون الآخر ؛ وهذا كله تخليط من الرجلين؛ لأنالقرآن غير حالٍّ فى الجلد على الحقيقة ؛ وليست الكتابة غير المكتوب ؛ وإنما الكتابة أمارة للحروف ؛ فأمّا أن تكون هى الكلام على الحقيقة أو يوجد معها الكلام مكتوبا فمحال .

فأما استشهاده على ذلك بالآية وبقوله : « لا تسافروا بالقرآن » فذلك تجوّز وتوسّع ،

---

(١) ت ، ف : « القصة » . (٢) ت : « الاحتراق » .

وليس يجب أن يُجعل إطلاق الألفاظ المحتملة دليلاً على إثبات الأحكام والمعانى، ومعترضة على أدلّة العقول ؛ وقد تجوّز القوم بأ كثر من هذا فقالوا : فى هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلْم الشافعىّ وفقه فلان ، ولم يقتضِ ذلك أن يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودَين فى الدفتر . وقد بُيِّنَ الكلام ، فى هذا الباب فى مواضع هى أوْلى به .

فأما جواب ابن الأنبارىّ الذى ارتضاه لنفسه ، فلا طائلَ أيضا فيه ، لأنه لا مزيّة للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشعر فى العالم ، لأنّا نعلم أنّ الشعر والكلام المحفوظ فى صدور الرجال إذا كُتِب فى جلد ثم أحرِق أو غسل لم يذهب مافى الصدور منه؛ بل يكون ثابتا بحاله ، فأىّ مزيّة للقرآن فى هذا على غيره ؟ وأىّ فضيلة ؟ فإن قال : وجه المزيّة أنّ غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يندرس ويبطل بإحراق النار ؛ والقرآن إذا كان هو تعالى هو المتولّى لإيداعه الصدور لا يتم ذلك فيه ؟

قلنا : الكل سواء لأن غير القرآن إنما يبطل باحتراق الإهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظاً مودعاً للصدور ، ومتى كان بهذا الصفة لم يبطل باحتراق الجلد ؛ وهكذا القرآن لو لم يُحفظ فى الصدور لبطل بالاحتراق ؛ ولكنه لا يبطل بهذا الشرط ؛ فصار الشرط فى بطلان غير القرآن وثباته كالشَّرْط فى بطلان القرآن وإثباته ، فلا مزيّة على هذا الجواب للقرآن فيماخُصَّ به من أنّ النار لا تمسُّه ، وهذا يبيّن أنه لا وجهَ غيرُ ماذكرناه فى الخبر؛ وهو أشبه بمذاهب العرب وأولى بتفضيل القرآن وتعظيمه .

***

أخبرنا أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريدوأنشدنا عبدالرحمن—يعنى ابن أخى الأصمعىّ — عن عمه للحسين بن مُطَير الأسدىّ[1] — وقال عبد الرحمن قال عمّى : لو كان شعر العرب هكذا ما أُثِمَ منشده— :

---

(١) هو الحسين بن مطير بن مكمل ؛ مولى لبنى سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد ؛ شاعر متقدم من شعراء الدولتين ؛ ومذهبه فى الشعر يشبه كلام الأعراب ومذاهبهم ؛ (وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره فى الأغانى ١٤ : ١١٠—١١٤ ، والخزانة ٢ : ٤٨٥—٤٨٨) .

أَلاَ حَبَّ[١] بالبيتِ الذى أنت هاجِرُهْ ... وأنتَ بتَلْماحٍ مِنَ الطَّرْفِ ناظِرُهْ[٢]
لأنَّكَ مِن بيتٍ لعَينىَ مُعجِبٌ[٣] ... وأملحُ فى عينى مِنَ البيتِ عامِرُهْ
أَصُدُّ حَياءً أنْ يَلَجَّ بِىَ الهوَى ... وفيكَ المُنى لولاَ عدُوٌّ أُحاذِرُهْ[٤]
وفيكَ حَبيبُ النَّفْسِ لوْ تستطيعه[٥] ... لمَاتَ الهوَى والشَّوْقُ حين تجاوِرُهْ[٦]
فإنْ آتِه لم أنْجُ إلا بظِنَّةٍ ... وإنْ يأتِهِ غيرى تُنَطْ بى جرائرُهْ
وكانَ حبيبُ النَّفسِ للقلْبِ واتِراً ... وكيف يُحِبُّ القَلبُ مَنْ هوَ واتِرُه !
وإنْ تكُنِ الأعداءُ أحمَوْا كلامَهُ ... علينا فلَن تُحْمَى علينا مَناظرُه
أُحِبُّكِ يا سَلْمى على غيرِ رِيبةٍ ... ولا بأْس فى حبٍّ تَعِفُّ سَرائرُه
ويا عاذلى لوْلاَ نفاسةُ حبِّها ... عليكَ لَما باليتُ أنكَ خابِرُه
بنفسىَ مَن لابدَّ أنِّىَ هاجِرُهْ ... ومَن أنا فى المَيسورِ والعُسْرِ ذاكرُهُ
ومَن قدْ لَحاه النَّاسُ حتَّى اتَّقاهُمُ ... ببُغضِىَ إلاَّ ما تُجِنُّ ضَمائرُه
أُحبكِ حبًّا لَنْ أُعَنِّفَ بَعدَهُ ... مُحِبًّا ولكنِّى إذا لِيمَ عاذِرُه
لقدْ ماتَ قبلى أوَّلُ الحُبِّ فانقضَى ... ولوْ متُّ أضحَى الحبُّ قدماتَ آخِرُه[٧]
كلامُكِ يا سَلمى وإنْ قلَّ نافِعى ... ولا تَحْسَبى أنِّى وإنْ قلَّ حاقِره[٨]
ألا لاَ أُبالى أىَّ حىٍّ تحمَّلوا ... إذا ثَمَدُ البَرْقاءِ لمْ يَجلُ حاضِرُه[٩]

---

(١) وردت هذه المقطوعة فى أمالى القالى ١ : ٧٨ ، وأمالى ابن الشجرى : ١٥٠ مع اختلاف فى الرواية وعدد الأبيات . (٢) ت : « زائره » . (٣) ف : « إلىّ لمعجب » .

(٤) م : « أن يلجّ بى الهوى » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « نستطيعه » .

(٦) ت : « نجاوره » ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تحاوره » .

(٧) فى حاشيتى الأصل ، ت : « بهذا يدعى أنه أحيا الحب ، وأن الحب كان قبله ميتا . وسيموت بعده » .

(٨) الحقر : التحقير . (٩) تحملوا : ارتحلوا ؛ والثمد : الماء القليل . والبرقاء : موضع بالجزيرة . ولم يجل ؛ من جلاء القوم عن منازلهم .

وأنشدابنُ الأعرابىّ لابن مُطَيْر :

لَعمْرُكَ للبيتُ الذى لا نَطُورُه ... أحبُّ إلينا مِن بِلادٍ نَطُورُها[1]
تَقلَّبتُ فى الإخوانِ حتى عَرَفْتُهمْ ... ولا يَعْرِفُ الإخوانَ إلاَّ خبيرُها
فلا أصرِمُ الخُلاَّنَ حتى يُصارِموا ... وحتى يَسِيرُوا سِيرةً لا أسيرُها
فإنكَ بعدَ الشَّرِّ ما أنتَ واجدٌ ... خليلاً مُديماً شيمةً لا يُديرُها

/ ـ معنى يديرها، يقلّبها مرة هاهنا، ومرة هاهنا ـ [١٤٥ و]

وإنكَ فى غيرِ الأخِلاَّء عالمٌ ... بأنّ الذى يَخفى عليكَ ضَميرُها[2]
فلاَ تَكُ مَغْرُوراً بمَسْحةِ صاحبٍ ... مِن الودِّ لاَ تدْرِى عَلاَمَ مَصيرُها[3]
وما الجُودُ عن فقْرِ الرِّجالِ ولاَ الغِنى ... ولكنَّهُ خِيمُ الرِّجالِ وخِيرُها
وقدْ تَغْدِر الدُّنيا فيُضحِى غَنِيُّهَا ... فقيرا ويَغْنَى بعدَ بُؤْسٍ فقيرُها
وكائنْ ترَى مِن حالِ دُنْيا تغيَّرَتْ ... وحالٍ صَفَا بعدَ اكْدِرارٍ غَدِيرُها
ومِن طامعٍ فى حاجةٍ لَنْ ينالَها ... ومِن يائِسٍ مِنها أتاهُ بَشيرُها
ومَن يتّبِعْ ما يُعْجِبُ النفسَ لا يَزَلْ ... مُطيعاً لها فى فِعْلِ شىءٍ يَضيرُها[4]
فنَفْسَكَ أكرِم عن أمورٍ كثيرَة ... فمالك نَفسٌ بعدها تَسْتَعيرُها

قال سيدنا أدامَ الله علوّه : ولِى فى معنى قول ابن مُطَيْر : « وقد تغدِر الدنيا »، والبيت الذى بعده من جملة قصيدة :

وكيفَ آنَسُ بالدُّنيا ولَستُ أرَى ... إلاَّ امرَأً قدْ تعَرَّى مِنْ عوارِيها[5]

---

(١) حماسة ابن الشجرى : ١٦٣. ونطورها : نقربها. (٢) ف ، حاشية ت (من نسخة) « فى عين الأخلاء ». (٣) المسحة : الأثر الظاهر ؛ ونقل صاحب اللسان عن شمر : أن العرب تقول : هذا رجل عليه مسحة جمال، ومسحة عتق وكرم ؛ ولا يقال ذلك إلا فى المدح . وفى ت : « مِسحة »، بكسر الميم .
(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « فى كل شىء » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « وكيف أنفس بالدنيا » .

نَصْبُو إليهـا بآمالٍ مُخَيَّبةٍ … كأنَّنا ما نَرَى عُقْبَى أمانِيها
فى وَحشةِ الدّارِ مِمَّن كانَ يَسكُنُهَا … كلُّ اعتِبارٍ لِمَن قدْ ظلَّ يَأْوِيها
لاَ تَـكذِبنَّ فما قَلبي لها وَطناً … وقد رأيتُ طُلولاً مِن مَغَانِيهَا

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال أنشدنا علىّ بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيي ثعلب للحسين بن مُطَـيْر:

لقد كنتُ جَلْدًا قبلَ أن يوقِدَ الهوَى … على كَبِدى ناراً بَطيئاً خُمودُها[١]
ولوْ ترِكَتْ نارُ الهَوَى لتَضرَّمَتْ … ولـكنَّ شوْقاً كلَّ يومٍ يَزِيدُها[٢]
وقدْ كُنتُ أَرْجو أنْ تموتَ صبابَتِى … إذَا قَدُمت أحزانُهَا وعُهودُها[٣]
[١٤٥ ظ] /فقدْ جَعلتْ فى حَبّةِ القلْبِ والحَشَا … عِهادَ الهَوَى تُولِى بشَوْقٍ يُعيدُها[٤]
بمُرْتَجَّةِ الأَرْدَافِ هِيفٍ خُصورُها … عِذَابٍ ثَناياها عِجافٍ قُيُودُها[٥]

ــ يعنى أنها عجاف اللِّثات وأصول الأسنان ، وهى قيودها . قال أبو العباس ثعلب : « عِجاف » ، بالخفض لَحْن ، لأنه ليس من صفة النساء ، وسبيله أن يكون نصباً ؛ لأنه حال من الثنايا[٦] ــ .

---

(١) أبيات منها فى أمالى الزجاجى : ١٢٤ــ١٢٥ ، وأمالى القالى ١ : ١٦٥ ، والحماسة بشرح التبريزى ٣ : ٢٠٦ــ٢٠٧ وفى م : «توقد النوى». (٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « أى لو تركت نار الهوى ولم يزدفيها الشوق لـكانت كافية ؛ فـكيف والشوق كل يوم يزيدها ويذكيها! » .

(٣) ت ، د ، ف : « أيامها وعهودها » . (٤) العهاد : جمع عهدة ؛ وهو المطر الأول ، والولى : المطر الثانى ، شبه أول الشوق بالعهاد ، وما وليه بالولى ؛ فأول المطر إذا لحقه المطر الثانى كثر الربيع والخصب.

(٥) هيف : جمع هيفاء ؛ وهو الدقيقة الخصر ، الضامرة البطن وفى حاشية الأصل (من نسخة) : «عجافا».

(٦) حواشى الأصل ، ت ، ف : « إنما قال ثعلب ذلك لأن الضمير فى « قيودها » للثنايا». وفيها أيضا : «هذا الذى ذكره أحمد بن يحيي عجب ، وباب جريان الصفة على غير من هوله واسع . وقوله : « مرتجة الأرداف » ، وإن كان لايحتمل أن يريد به جماعة النساء فإنه يحتمل أن يريد به واحدة ؛ وتـكون « خصورها » جمعا بما يقارب الخصر ، ويكون قوله : « هيف » دون « هيفاء » من باب قوله :

فيا ليلةً خُرْسَ الدَّجاجِ طويلَةً … ببغدادَ مَا كادَتْ عنِ الصُّبْحِ تَنْجَلِي

وإنما جمع الخرس ، لأنها فى الحقيقة صفة الدجاج ، لا الليل ، فـكذلك هاهنا » .

مُخَصَّرَةِ الأوساطِ زانتْ عقودَها   بأحسنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُها
وصُفْرٍ تراقِيها وحُمْرٍ أكُفُّها   وسودٍ نَوَاصيها وبيضٍ خُدُودُها

ــ وصف التَّراقىَ بالصُّفْرَة[1] من الطِّيب، وحمرة أكفها من الخِضاب ــ

يُمَنِّيننا حتَّى تَرِفَّ قُلوبُنا   رَفيفَ الخُزَامى باتَ طَلٌّ يَجودُها[2]

أخذ قوله: « مخصَّرَة الأوساط زانتْ ...»، البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة:

وتَزِيدِينَ أَطْيبَ الطِّيبِ طيباً   ــ إِنْ تَمسِّيهِ ــ أينَ مِثْلُكِ أيْنا!
وإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجوهٍ   كانَ للدُّرِّ حُسْنُ وَجهِكِ زَيْنا

وروى أبو تمام الطائىّ فى الحماسة بعض الأبيات الذى ذكرناها للحسين بن مطير.

وروى له أيضاً[3] ــ ويشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة:

وكنتُ أذُودُ العَينَ أنْ تَرِدَ البُكا   فقد وردَتْ ما كنتُ عنهُ أذُودُها
خليلَىّ ما بالعَيشِ عيبٌ لوَ انَّنا   وَجَدْنا لأيَّامِ الصِّبا مَن يُعيدُها

وروى أبو تمـام أيضا لغيره[4]، وبعض الرواة يرويها لابن مُطَيْر:

ولِى نظرةٌ بعد الصدود من الجَوَى   كنظرة ثَكْلى قد أصيبَ وليدُها
هَـل اللهُ عافٍ عن ذُنوبٍ تَسلَّفَتْ!   أمِ اللهُ إنْ لم يَعفُ عَنها مُعِيدُها![5]

وأنشد أبو محلِّم لابن مُطَيْر:

قَضَى اللهُ يا أسماءُ أنْ لَستُ بارِحاً   أُحِبُّكِ حتَّى يُغمِضَ العيْنَ مُغْمِضُ[6]

(١) حواشى الأصل، ت، ف: « قد ذكر فى صفرة التراقى أنها من الحلى ».

(٢) حاشية الأصل: « يقال: رف النبت إذا مطر فاهتز بالندى ».

(٣) الحماسة بشرح التبريزى ٣: ٣٠٢ـ٣٠٣. (٤) الذى فى ديوان الحماسة بشرح التبريزى أن الأبيات الأربعة منسوبة للحسين بن مطير. (٥) حاشية الأصل: « الضمير للمرأة التى يجوى لها ».

(٦) الزهرة: ٢٤؛ وفى حاشية الأصل: « أغمض وغمض [بالتضعيف] بمعنى واحد، أى يغمض عينه وليه بعد الموت ».

[١٤٦ و] / وحُبُّكِ بَلْوَى غيرَ ألاَّ يَسُرُّنى ... وإنْ كانَ بَلوَى أننى لكِ مُبغِضُ(١)
إذَا أنارُضْتُ النَّفْسَ فى حُبٍّ غيرِها ... أتَى حُبُّها مِن دُونِها يَتعرَّضُ
فياليتَنِى أقرضْتُ جَلْدًا(٢) صَبابتِى ... وأقْرَضنى صبراً على الشَّوْقِ مُقْرِضُ

ويشبه أن يكون أخذ قوله:

* إذا أنا رُضْتُ النفس فى حُبٍّ غيرها *

من قول رجل من أُفزارة:

وأعرِضُ حتَّى يَحسِبَ النَّاسُ أنما ... بِىَ الهَجْرُ لاها للهِ ما بى لكِ الهَجْرُ
ولكِنْ أروضُ النَّفْسَ أنظرُ هَل لها ... ـإذَا فارَقتْ يوْماً أحِبتَهَا ـ صبْرُ!

أو من قول نُصَيْب:

وإنِّى لأَستَحْيِي كثيراً وأتَّقى ... عيوناً(٣) وأستَبقِى المَوَدَّةَ بالهَجْرِ
وأُنذِرُ بالهِجْرانِ نفْسى أرُوضُها ... لتعلم عندَ الهَجْرِ هَل لىَ مِنْ صبْرِ!

ويُشبه أن يكون أخذ قوله:

* فياليتـِنِى أقرضْتَ جَلْداً صبابتى ... * البيت

من قول بعض العرب:

رَمَى قلبَهُ البَرْقُ المُلألِئُ رَمْيةً ... بجَنْبِ الحِمَى وَهناً فَكادَ يَهِيمُ(٤)
فهَل مِن مُعيرٍ طَرْفَ عيْنٍ خَلِيَّةٍ ... فإنسانُ عيْنِ العامِرِىِّ كَلِيمُ

وللحسين فى هذا المعنى ما رواه المبرّد:

ولى كَبدٌ مَقْرُوحةٌ مَنْ يَبيعُنى ... بها كَبِداً ليستْ بذاتِ قُرُوحِ(٥)

---

(١) حاشية ت (من نسخة): «وإن كان دائى». (٢) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «غيرى». (٣) ف: «غيورا»، م: «عدوا». (٤) حاشية ت (من نسخة): «البرق اللالى رمية».
(٥) حواشى الأصل، ت، ف: «رواهما غير المبرد لابن الدمينة، وقبلهما:
أَلاَ يا حِمَى وادِى المِياهِ قَتَلْتَنى ... أباحَكَ لى قَبْلَ المَماتِ مُبِيحُ =

أبى النَّاسُ،وَيْبَ الناس!لايشتَرُونَها   ومَن يَشتَرِى ذَاعُرَّةٍ بصحيحِ ![1]

وأخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى فقال :

مَن ذَا يُعِيرُكَ عَينَهُ تَبكى بها!   أرأيتَ عيناً للبُكاءِ تُعارُ![2]

* * *

وأخبرنا المرزبانىّ قال حدثنا أبو عبد الله الحكيمىّ قال حدثنى يموت بن المزرَّع قال حدثنا محمد بن حُميد قال: كنا عند الأصمعىّ؛ فأنشده رجل أبيات دِعبل :

أين الشَّبابُ وأيَّةً سَلَكا !   لا، أينَ يُطلَبُ ضَلَّ بَلْ هَلَكا![3]

/ لا تَعْجَبى يا سَلْمُ مِنْ رجُلٍ   ضَحِكَ المَشيبُ برأْسِهِ فَبكَى [١٤٦ ظ]

يا سَلْمُ ما بالشَّيبِ مَنْقَصةٌ   لا سوقةً يُبقى ولا مَلِكا

قَصرَ الغِوايةَ عنْ هوَى قَمَرٍ   وَجَدَ السَّبِيلَ إليه مُشتَرَكا

يا ليتَ شِعرى كيفَ نومُكما   يا صاحبىَّ إذَا دَمى سُفِكا !

لا تأْخُذا بُظلامَتى أحَداً   قَلبى وطَرْفى فى دَمى اشترَكا

قال: فاستحسنها كلُّ مَن فى المجلس، وأكثروا التعجب من قوله :

* ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِه فبكَى *

= وبعدها :

أئِنُّ من الشَّوقِ الَّذِى فى جَوانِحِى   أنينَ غَضِيضٍ بالسِّلاح جريحِ »

وفى معجم البلدان ٨ : ٣٧٧ أبيات خمسة نسبها إلى ابن الدمينة ، يتفق البيت الأول والرابع والخامس مع هذه الأبيات ، والبيت الثانى والثالث هناك :

رأيتُكَ غَضَّ النَّبْتِ مرتبط الثَّرَى   يَحُوطُك شجّاعٌ عليك شحِيحُ

كأنَّ مَدُوفَ الزَّعْفَرَانِ بجَنْبِهِ   دمٌ مِنْ ظِباَء الواديَيْنِ ذبيحُ

(١) حاشية ت (من نسخة) : «ذاعلة» . (٢) حاشية الأصل : قبله :

نزَفَ البُكاءُ دُمُوعَ عَينِكَ فاستَعِرْ   عَينًا لِغَيرِكَ دمعُها مِدْرارُ

والبيتان فى ديوانه : ٦٨ . (٣) الأبيات فى العقد ٥ : ٣٧٥ والخزانة ٣ : ٤٨٧ .

فقال الأصمعىّ : إنما أخذ قوله هذا من ابن مُطَيْر الأسدىّ فى قوله :

أينَ أهلُ القِبابِ بالدَّهناءِ ! أينَ جيرانُنا على الأحْساءِ ! (١)

جاوَرُونا والأرضُ مُلْبَسَةٌ نَوْرَ الأقاحى تُجادُ بالأنْواءِ

كلَّ يومٍ عن أقحُوانٍ جَدِيدٍ تَضْحَكُ الأرضُ من بُكاءِ السَّماءِ (٢)

وقد أخذه مسلم صريع الغوانى فى قوله :

مُستَعْبِرٌ يبكى على دِمْنةٍ ورأْسُهُ يَضحكُ فيه المشيبْ (٣)

قال سيدنا أدام الله علوّه : ولأبى الحجناء نُصَيْبٍ الأصغر مثلُ هذا المعنى ، وهو قوله :

يبكى الغمامُ بهِ فأصبحَ رَوْضُهُ جَذْلانَ يَضْحَكُ بالجَميمِ ويُزْهِرُ (٤)

ولابن المعتز مثله :

ألحَّتْ عليهِ كلُّ طَخْياءَ دِيمةٍ إذا ما بكَتْ أجفانُها ضَحِكَ الزَّهرُ (٥)

ولابن دريد مثله :

تبسَّمَ المُزْنُ وانهلَّتْ مَدامِعُهُ فأضحكَ الرَّوْضَ جَفْنُ الضَّاحِكِ الباكى (٦)

وغازَلَ الشَّمسَ نَوْرٌ ظَلَّ يَلْحَقُها (٧) بعينِ مُستعْبرٍ بالدَّمعِ ضَحَّاكِ

وروى عن أبى العباس المبرد أنه قال: أخذ ابن مُطَير قوله :

* تضحكُ الأرضُ مِن بكاءِ السَّماءِ *

[١٤٧ و] / من قول دُكَيْنٍ الراجز :

جُنَّ النَّباتُ فى ذُراها وزَكا (٨) وضَحِكَ المُزْنُ بهِ حتَّى بكَى

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٨٧ ، عن الغرر . وفى حاشية الأصل : « الأحساء : جمع حسى ، وهو الموضع الذى استنقع فيه الماء » . والدهناء : أرض من منازل تميم بنجد . (٢) ت حاشية الأصل (من نسخة) : « بأقحوان » . (٣) ديوانه : ٣٦٧ ، الوساطة : ٤٤ (٤) ت : « يبكى الغمام » . الجميم : الكلأ الكثير . (٥) ديوانه : ١ : ٣٣ (٦) ديوانه : ٩٨ ، والخزانة ٢ : ٤٨٧–٤٨٨ وكلاهما عن الغرر . وفى حاشية ت (من نسخة) « دمع الضاحك الباكى » . (٧) ت : « يلحظها » . (٨) الخزانة ٢ : ٤٨٨ عن الغرر .

٣٣
مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابتغاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللهُ والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كلٌّ مِن عِنْدِ رَبِّنَا، وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾؛ [آل عمران : ٧].

الجواب ، قلنا : ذكر فى هذه الآية وجهان مطابقان للحقّ :

أحدهما أن يكون الراسخون فى العلم معطوفين على اسم الله تعالى ؛ فكأنه قال : وما يعلم تأويله إلا الله وإلاَّ الراسخون فى العلم، وإنهم مع علمهم به ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾؛ فوقع قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ فى موقع الحال؛ والمعنى أنهم يعلمونه قائلين : ﴿ آمَنَّا بِهِ ، كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ وهذا غاية المِدْحَةِ لهم ؛ لأنهم إذا علموا ذلك بقلوبهم، وأظهروا التصديق به على ألسنتهم فقد تكاملت مِدْحَتهم ووصفُهم بأداء الواجب عليهم .

والحجةُ ـ لمن ذهب إلى ما بيَّناه، والردُّ على من استبعد عطفه على الأول وتقديرَه أن يكون قولُه : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ على هذا التأويل لا ابتداء له ، ـ قولُه : ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وِلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى ﴾؛ إلى قوله : ﴿ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾؛ [الحشر : ٧] ، فذكر جملة ، ثم تلاها بالتفصيل ، وتسميةِ مَنْ يستحق هذا الفىء فقال : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا ﴾، إلى قوله: ﴿الصَّادِقُونَ﴾ ؛ [الحشر : ٨] . وقال فى الذين تبوءوا الدار والإيمان ـ وهمُ الأنصار: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾؛ [الحشر : ٩] . وقال فيمن جاء بعدهم: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ ؛ [الحشر : ١٠]، فهذه الآيات تدلّ على أنه لا يُنكَرُ فى آية « الراسخين فى العلم » أن يكون قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ حالاً لهم ؛ مع العلم بتأويل المتشابه ؛ ولو أشكل شىء من ذلك لما أشكل قولُه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ﴾ فى أنه موافق لقوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ وأن الصورتين واحدة .

[١٤٧ ظ] ومما يُستشهد به / على ذلك من الشعر قول يزيد بن[1] مفرِّغ فى عبدٍ له كان يُسمَّى بُرْداً باعه ثم ندم عليه :

وشَرَيتُ بُرْدًا ليتَنى ... مِن بَعدِ بُرْدٍ كنتُ هامَهْ[2]
هامَـةً تَدْعُو صَـدًى ... بينَ المُشَقَّرِ فاليَمامَهْ[3]
الرِّيحُ تبكى شَجْوَهُ ... والبَرْقُ يَلمعُ فى الغَمامَهْ[4]

فعطف البرقَ على الريح ، ثم أتبعه بقوله : « يَلمع »؛ كأنه قال : والبرق أيضاً يَبكيه لامعاً فى غمامه؛ أى فى حال لمعانه ؛ ولولم يكن البرقُ معطوفا على الريح فى البكاء لم يكن للكلام معنًى ولا فائدة .

ويمكن أيضا على هـذا الوجه مع عطف « الراسخين » على ما تقدّم، وإثباتِ العلم بالمتشابِه لهم أن يكون قوله: ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا ﴾ استئنافَ جملة، واستُغنِى فيه عن حرف العطف؛ كما استُغنِى فى قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ؛ [الكهف : ٢٢]، ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباسٌ بالجملة الأولى ، فيُسْتَغْنَى به عن حرف العطف، ولو عطِف بحرف العطف كان حسنا ، يُنزَّل المتلبِّس منزلةَ غير المتلبِّس .

والوجه الثانى فى الآية أن يكون قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ مستأنفاً غير معطوف

---

(١) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ ؛ وخبر بيعه بردا ، مع الأبيات فى الأغانى ١٧ : ٥٣ـ٥٥ .

(٢) شريت : بعت ، والهامة والصدى ، كلاهما كناية عما تزعم العرب أنه يطير من رأس الميت .

(٣) المشقر : حصن بين البحرين ونجران . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « فى غمامة » .

على ماتقدّم، ثم أخبرَ عنهم بأنهم: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، ويكون المرادُ بالتأويل على هذا الجواب المتأوَّل، لأنه قد يسمى تأويلا، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾، [الأعراف: ٥٣] والمراد بذلك لا محالةَ المتأوَّلُ، والمتأوَّل الذى لا يعلمه العلماء؛ وإن كان اللهُ عزوجلّ عالمًا به، كنحو وقت قيام الساعة، ومقادير الثواب والعقاب، وصفة الحساب، وتعيين الصغائر؛ إلى غير ذلك؛ فكأنه قال: وما يعلم تأويل جميعه. على المعنى الذى ذكرناه إلا الله؛ والعلماء يقولون آمنّا به.

وقد اختار أبو عليّ الجُبائىّ هذا الوجهَ، وقوّاه، وضعّف الأول بأن قال: قولُ الراسخين فى العلم ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ دلالة على استسلامهم؛ لأنهم لا يعرفون تأويل المتشابه، كما يعرفون تأويل المحكَم، ولأن ما ذكرناه من وقت القيامة، ومن التمييز بين الصغائر والكبائر هو من تأويل القرآن؛ إذا كان داخلا فى خبر الله؛ والراسخون فى العلم / لا يعلمون [١٤٨ و] ذلك.

وليس الذى ذكره بشىء؛ لأنه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه: ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ على الوجه الذى قدمْناذكرَه؛ فكيف يُظَنّ أنهم لا يقولون ذلك إلا مع فقد العلم به! وما المنكَر من أن يُظْهِر الإنسانُ بلسانه الإيمانَ بما يعلمه ويتحققه! فأما قوله: «ولأن ماذكرناه من تأويل القرآن» فذلك إنما يكون تأويلا للقرآن إذا حُمِلَتْ هذه اللفظة على المتأوَّل، لا على الفائدة والمعنى. وأما إذا حُمِلَت على أنه: وما يعلم معنى المتشابه وفائدته إلاّ الله، فلابدّ من دخول العلماء فيه.

وليس يمكنه أن يقول: إنّ حملَ التأويل على المتأوَّل أظهرُ من حمله على المعنى والفائدة؛ لأن الأمرَ بالعكس من ذلك؛ بل حَمْلُه على المعنى أظهر وأكثر فى الاستعمال، وأشبه بالحقيقة؛ على أنه لو قيل: إنّ الجواب الأولَ أقوى من الثانى لكان أوْلى من قوله من قبل: إنه لو كان المراد بالتأويل المتأوّل لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص المتشابه بذلك دون المحكَم معنًى؛ لأن فى متأوَّل المُحكَم؛ كإخباره عن الثواب والعقاب والحساب؛ ممّا لا شبهة فى كونه

محكما ما لا يعرفُ تفصيلَه وكنهه إلا الله تعالى ؛ فأىّ معنى لتخصيص المتشابه بذلك والكلام يقتضى توجُّهه نحو المتشابه ! ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ ! فخصّ المتشابه بالذكْر .

والأوْلى أيضا أن يكون المراد بلفظة ﴿ تَأْوِيلَهُ ﴾ الثانية هو المراد بلفظة ﴿ تَأْوِيلِهِ ﴾ الأولى ، وقد علمنا أن الذين فى قلوبهم زَيْغٌ إنما اتّبعوا تأويلَه على خلاف معناه ولم يطلبوا تأويلَه الذى هو متأوَّله ؛ فالوجه الأولُ أقوى وأرجح .

ويمكن فى الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه ، على أن يكون قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ مستأنَفاً غيرَ معطوف ، ويكون المعنى : وما يعلمُ تأويلَ المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل إلا الله ؛ وهذا صحيح لأنّ أكثر المتشابه قد يحتملُ الوجوه الكثيرة المطابقة للحق، الموافقة لأدلة العقول ؛ فيذكر المتأوِّل جميعَها ، ولا يقطع على مراد الله منها بعينه ، لأنّ الذى يلزم مثل ذلك أن يُعلَم فى الجملة أنه لم يُرِدْ من المعنى ما يخالف الأدلة ؛ وأنه قد أراد بعضَ الوجوه
[١٤٨ ط] المذكورة المتساوية فى الجواز ، والموافقة للحق . وليس من تكليفنا أن نعلم المراد / بعينه ؛ وهذا مثلُ الضلال والهدى اللّذَين نُبين احتمالها لوجوه كثيرة ؛ منها ما يخالف الحقّ فيُقطع على أنه تعالى لم يردْه، ومنها وجوه تطابق الحق ، فيُعلم فى الجملة أنه قد أراد أحدَها ، ولا يُعلم المرادُ منها بعينه وغير هذا من الآى المتشابهة ؛ فإن أكثرها يحتمل وجوها ، والقليل منها يختص بوجه واحدٍ صحيح لا يحتمل سواه ؛ ويكون قوله تعالى من بعد: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾، أى صدّقنا بما نعلمه مُفَصَّلا ومجملاً من المحكَم والمتشابه؛ وأنّ الكلّ من عند ربنا ؛ وهذا وجه واضح.

* * *

أخبرنا أبو عبيد الله المرزُبانىّ قال أخبرنا محمد بن أبى الأزهر قال أنشدنا محمد بن يزيد لأبى حيّة[1] النُّمَيرىّ – وهى أبيات مختارة :

---

(١) هو أبو حية الهيثم بن الربيع بن زرارة ، ينتهى نسبه إلى مضر بن نزار . من مخضرمى الدولتين، =

وخَبَّرَكِ الواشونَ ألاَّ أُحِبَّكم   بَلَى وستُورِ اللهِ[1] ذاتِ المَحارِمِ[2]
أَصُدُّ ، وما الصَّدُّ الذى تَعْرِفينَهُ   عَزاءً بنا إلاّ اجْتراعُ العَلاقِمِ[3]
حَياءً وبُقْيا أنْ تَشيعَ نميمةٌ   بنا وبِكمْ ؛ أُفٍّ لأهلِ النّمائمِ ![4]
وإنَّ دَماً لوْ تعلَمينَ جَنَيْتِهِ   على الحيِّ ، جانى مِثلِهِ غيرُ سالمِ[5]
أمَا إنَّهُ لو كانَ غيرُكِ أرْقَلَتْ   صِعادُ القَنا بالرّاعفاتِ اللَّهاذِمِ[6]
ولكِنه واللهِ ما طَلَّ مُسْلِماً   كَبِيضِ الثّنايا واضِحاتِ المَلاغِمِ

ـ قال ثعلب : الملاغم ، ماحول الفم ، وقال المبرّد : «واضحات الملاغم» ، يريد العوارض ، وقوله : « ما طلّ مسلماً » ، أى أبطل دمَه ـ

إذا هنَّ ساقَطنَ الحديْثَ حَسِبْتَهُ[7]   سُقوطَ حَصَى المَرجانِ من سِلكِ ناظمِ

ـ ويروى : « ساقَطْنَ الأحاديث للفتى » . ويروى أيضا : « ساقطن الحديث كأنَّهُ » ـ

رَمَيْنَ فأقصَدْنَ القُلوبَ فلا ترَى   دَماً مائرا إلاَّ جَوًى فى الحَيازِمِ[8]

من سا كنى البصرة ، وكان شاعرا راجزا مقصدا ، (وانظر ترجمته وأخباره فى الأغانى ١٥ : ٦١ـ٦٢ والشعر والشعراء ٧٤٩ـ٧٥٠ ، والخزانة ٤ : ٢٨٣ـ٢٨٥) .

(١) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « ستور البيت » .

(٢) الكامل ـ بشرح المرصفى ١ : ٢٣١ـ٢٣٥ ، وأمالى القالى ٢ : ٢٨٠ ، ومختارات ابن الشجرى ١٥٣ . (٣) اجتراع : مصدر اجترع الماء إذا ابتلعه . والعلاقم : واحدها العلقم ، جمع العلقمة ، وهى القطعة من كل شىء مر . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « لهذى النمائم » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « غيرنادم » . (٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الإرقال : ضرب من السير السريع ؛ وهو هنا استعارة ، والصعاد : جمع صعدة ، والراعفات : الأسنة التى يرعفن ، واللهاذم : جمع لهذم ؛ وهن القواطع » . (٧) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « كأنه » ؛ وهى رواية الكامل ، وفى حاشية ت (من نسخة) : « ساقطن الأحاديث بيننا » .

(٨) أقصدن القلوب : رمينها ؛ من قولهم ؛ قصدت الرجل إذا طعنته أورميته ؛ فلم تخطىء مقاتله . والدم المائر : السائل . والحيازم : الحيازيم ؛ وهى ضلع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « فأصمين القلوب » .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ومن مُستحسَن ما مضى فى هذه القصيدة قوله :

كأنْ لمْ أبرَّح بالغَيورِ وأقْتِلْ ... بتَفْتيرِ أبصارِ الصِّحاحِ السَّقائمِ (١)

[١٤٩ و] / ولمْ ألْهُ بالحِدْثِ الألفِّ الذى لهُ ... غدائرُ لمْ يُحْرَمْنَ فارَ اللَّطائمِ (٢)

إذَا اللَّهْوُ يَطبيني وإذْ أَستَميلُهُ ... بمُحْلَولكِ الفَوْدَينِ وَحْفِ القَادِمِ (٣)

وإذْ أنا مُنقادٌ لِكلِّ مُقوِّدٍ ... إلى اللَّهو حَلاَّف البَطالاتِ آثمِ

ـ وروى ابن حبيبٍ : « مُقوَّدٍ ». ومعنى « حلاَّف البطالات »، أى حلاَّف فى البطالات ـ

مُهِينُ المَطايا مُتْلِفٌ غيْرَ أنَّنى ... على هُلْكِ ما أتْلفْتُهُ غيرُ نادِمِ (٤)

أرَى خيْرَ يوْمَىَّ الخَسيسَ وإنْ غَلاَ ... بِىَ اللَّوْمُ لمْ أحفِلْ مَلامةَ لائمِ

ـ معنى « خير يومَىَّ الخسيس »، أى أحَبُّ يومىّ إلىَّ الذى هو أخسّ عند أهل الرأى والعقل .

وأنشد أبو إسحاق إبراهيم بن سيف بن الزّيادىّ لأبى حَيّة ـ واسمه هيثم بن الربيع :

ترَحَّلَ بالشَّبابِ الشَّيبُ عنَّا ... فليتَ الشَّيب كان به الرَّحيلُ

وقدْ كان الشَّبابُ لنا خَليلاً ... فقد قَضَّى مآرِبَه الخَليلُ

لَعَمْرُ أبىء الشَّبابُ لقد تولَّى ... حَميدا ما يُرَادُ بهِ بَديلُ

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « أى كأن لم أعذب بعذاب شديد ؛ ويعنى بالغيور زوجها أو أخاها . ومعنى أقتتل أقتل . والأعرف فى الحب أن يقال : اقتتله الحب ؛ قال ذو الرمة :

إذا مَا امرُؤٌ حاولْنَ أَنْ يَقْتَتِلْنَهُ ... بلاإِحْنَةٍ بَيْنَ النُّفُوسِ وَلَا زَحْلِ

(٢) الحدث : المحادث . والألف : عظيم الفخذ ؛ ويقال : امرأة لفاء ؛ إذا كانت ضخمة الفخذين مكتنزة باللحم . والفار : نافجة المسك . واللطائم : جمع لطيمة ؛ وهى القافلة التى يكون فيها المسك .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « إذا أستميله » . طباه : دعاه . والمحلولك : الحالك الأسود . والفودان : مثنى فود ؛ وهو معظم شعر الرأس مما يلى الأذن وناحية الرأس . والوحف : الشعر الكثير الأسود . والمقادم : مقدمات الرأس . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « على ردما أتلفته » « أى على اكتساب ؛ والتقدير : غير أنى غير نادم ؛ مع أنى قادر على رد ما أتلفت واكتساب مثله » .

إذِ الأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ علَينا   وظِلٌّ أراكةِ الدُّنيا ظَليلُ

وأنشد المبرّد ، قال أنشدنا أبو عثمان المازنىّ لأبى حيّة :

زَمانَ الصِّبا ليتَ أيّامَنا   رَجَعْنَ لنا الصَّالِحاتِ القِصَارا(١)

زَمانٌ علىَّ غُرابٌ غُدافٌ   فطيَّرَهُ الدهرُ عنى فطَارا

فلاَ يُبْعِدِ اللهُ ذاكَ الغُراب   وإن هو لم يُبْقِ إلاَّ ادِّكارا

كأنَّ الشَّبابَ ولَذَّاته   وَرِيقَ الصِّبا كان يوماً مُعارَا(٢)

ــ ريِّق الصبا وريقه وروقه : أوّله ــ

وهازِئةٍ أن رَأَتْ لِمَّتى   تلفَّعَ شيبٌ بها فاستدَارا(٣)

وقلَّدَنى منه بَعدَ الخِطام   عِذارا فما أستَطيعُ اعتِذارَا(٤)

/ أجارَتَنا إنَّ رَيبَ الزَّمانِ   قَبلِى نالَ الرِّجالَ الخِيارَا(٥) [١٤٩ ظ]

فإمَّا ترَىْ لِمَّتى هكذا   فأَسرَعْتِ فيها لِشَيْبى النِّفارَا(٦)

فقد أرْتَدِى وَخْفَةً طَلَّةً   وقد أبْرِزُ الفَتياتِ الخِفارَا

أما قوله : « علىَّ غُراب غُداف » فأراد به الشَّباب والشَّعر الأسود ، ويُشْبِه أن يكون مأخوذا من قول الأعشى:

ومَا طِلابُكَ شيئاً لستَ تُدْرِكُهُ   إنْ كانَ عَنكَ غُرابُ الجَهْلِ قدوَقَعَا!(٧)

ولأبى حَيَّة من قصيدة أولها :

* ألاَ يا اسلَمى أطلالَ خَنْساءَ وانْعمِى(٨) *

(١) حاشية ت : « يحتمل أن تكون «الصالحات» مفعول « رجعن» ، ويحتمل أن يكون نصبا على المدح .   (٢) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « ثوبا معاراً .   (٣) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « أهازئة » . وتلفع الشيب به ، أى شمله .   (٤) حاشية ت : « جعل ظهور الشيب فى شاربه وعنفقته خطاما ، وشيب ماعلى لحييه من الشعر عذاراً ؛ وهذا من حسن التشبيه » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « غال الرجال » .   (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « منها لشيبى » . ومن نسخة أخرى : « فأسرعت منى » . وفى حاشية ت (من نسخة) : « لشيب نفارا » .

(٧) ديوانه : ٧٣ .   (٨) أبيات منها فى زهر الآداب : ١٩٠ (طبعة الحلبى) والحماسة ــ بشرح التبريزى ٣ : ٣٠٨ــ٣١٠ .

وخَنْساءُ مِخْماصُ الوِشاحَين مَشيُها … إلى الرَّوْحِ أفنانٌ خُطَا المُتَجَشِّمِ (١)
ألمَّا بسَلْمى قَبْلَ أنْ تَرْمِيَ النَّوَى … بنا فِدْيَةٍ نَبْضَ الفُؤَادِ المُتيَّمِ
يَقِفْ عاشِقاً لم يَبْقَ مِن رُوحِ نفسِهِ … ولا عَقْلِهِ المَسْلُوبِ غيرُ التَّوَهُّمِ
فقُلْنَ لهـا سِرًّا : فدَيناكِ! لا يَرُحْ … صَحيحاً ، فإنْ لم تَقْتُليهِ فألمِمِى (٢)
فألْقَتْ قِناعاً دُونَهُ الشَّمسُ واتَّقَتْ … بأحسَنِ مَوْصولَينِ : كَفٍّ ومِعْصَمِ

وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول النابغة :

سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَهُ … فتَناوَلَتْهُ واتَّقتْنا باليَدِ (٣)

ولقوله : « وقلْنَ لها سِرًّا فديناكِ لا يَرُح » خبرٌ ، وهو ما أخبرنا به أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال حدّثنى محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنى الباقُطَانىُّ قال : اتصل بعبيد الله بن سليمان بن وهب أَمْرُ علىّ بن العباس الرومىّ وكثرةُ مجالستِه لأبى الحسين القاسم ابنه ، وسمع شيئا من أهاجيه ، فقال لأبى الحسين : قد أحببتُ أن أرى ابنَ روميِّك هذا ؛ فدخل يوماً عبيد الله إلى أبى الحسين وابن الرومىّ عنده ، فاستنشده من شعره فأنشده ، وخاطبه ، فرآه مضطربَ العقل جاهـــلا ، فقال لأبى الحسين ـ بينه وبينه ـ : إنّ لسان هذا أطول من عقله ، ومَن هذه صورتُه لا تُؤْمَن عقاربُه عنـد أول عَتْبٍ ، ولا يفكِّر فى عاقبةٍ ، فأَخْرِجْه عنك ، فقال : أخاف حينئذ أن يُعْلن ما يكتمه فى دولتنا ، ويُذيعَه فى تمكّننا ، فقال : يا بنىّ / لم أُرِدْ بإخراجك له طردَه ، فاستعمل فيه بيت [١٤٣ و]
أبى حَيّة النُّميرىّ :

فقلْنا: لها سِرًّا فدَيناكِ! لا يَرُحْ … صحيحاً ، فإنْ لم تَقْتُليهِ فألمِمِى

---

(١) مخماص الوشاحين ، كناية عن أنها هيفاء . والوشاح : أديم عريض ترصعه المرأة بالجواهر وتشده على عاتقيها . ومشيها إلى الروح ؛ أى حين تخرج من خبائها تطلب الروح . وأفنان : جمع فن ؛ أى أنواع وفنون : « إقتار خطا المتجشم » . (٢) ألمى : اشرعى فى مبادئ قتله . (٣) ديوانه : ٣٠ ؛ والنصيف : الخمار ، أو نصفه .

فحدّث القاسم بن فِراس بما جرى ، وكان أعدَى النَّاس لابن الرومىّ ؛ وقد هجاه بأهاج(١) قبيحة ، فقال له الوزير أعزّه الله : أشار بأن يُغتال حتى يُستراح منهُ وأنا أكفيك ذلك قال : فسمَّه فى الخُشْكَنانَج ، فمات .

قال الباقُطانىّ : والناس يقولون ما قَتله ابن فِراس ، وإنما قتلَه عبيد الله(٢) .

وذكر محمد بن يزيد المبرّد قال: "مما يُفضَّل(٣) لتخلُّصه من التكلُّف، وسلامته من التزّيد وبعده من الاستعانة قولُ أبى حيّة :

رَمَتْنى ـ وسِترُ اللهِ بَينى وبَينها ـ ... عَشيَّةَ آرامِ الكِناسِ رَمِيمُ(٣)
ألا رُبَّ يومٍ لو رَمَتنى رَمَيتُها ، ... ولكنَّ عَهْدى بالنِّضَالِ قَدِيمُ"(٤)

قال سيدنا أدام الله علوّه : وقد روِىَ هذان البيتان لنُصيب فى غير رواية المبرّد . قال المبرّد يقول : " رمتْنى وأصابتنى بمحاسنها ، ولو كنت شابا لرميتُ كما رُميتُ ، وفتنتُ كما فُتِنْتُ ؛ ولكن عهدى قد تطاول بالشباب ، وهذا كلام واضح؛ " وأما الاستعانة فهى أن يُدخل فى الكلام مالا حاجة بالمستمع إليه ليُصحّح نظما أو وزنا" (٥) .

ومما يختار من قول أبى حيّة أيضا :

---

(١) حاشية الأصل : « يقال بينهم أهجوة وأهجية ، ، والجمع الأهاجى ، وقد يخفف كالأثافى » .

(٢) فى ت : « قال ابن الرومى لما رجع ، وقد دب السم فى أعضائه :

أشرب الماء إذا ماالْتهبتْ ... نارُ أحشائى لإطفاء اللهبْ
فأراه زائدا فى حُرْقتى ... فكأن الماءَ للنّارِ حطَبْ

(٣) الكامل ــ بشرح المرصفى ١ : ١٢٩ــ١٣٠ ، وهما أيضا فى الحماسة ــ بشرح التبريزى ٣ : ٢٦٩ــ٢٧٠ وآرام : جمع إرم ، مثل عنب ؛ وهى الحجارة تنصب علما فى المفازة يهتدى بها . رميم : اسم امرأة . وستر الله : الإسلام ، وقيل الشيب ؛ وقيل ما حرم الله عليهما . (٤) ومن زيادات الكامل بعد هذا البيت :

يرى الناسُ أنِّى قد سَلَوْتُ وإننى ... لمرمِىُّ أحناءَ الضلوع سَقِيمُ

(٥) بقية عبارة المبرد : « . . . إن كان فى شعر ، أو ليتذكر به مابعده إن كان فى كلام منثور » .

ألا حَىٍّ مِن أجلِ الحَبيبِ المَغانيا ... لَبِسْنَ البِلَى مِمَّا لَبِسن اللَّياليا(١)
إذا ما تَقاضَى المرْءَ يومٌ ولَيلةٌ ... تقاضاهُ شيءٌ لا يَمِلُّ التَّقاضِيا

ويقال: إن أحسنَ ما وُصفَ به المسواكُ قول أبى حيّة:

لقد طالما عنّيتُ راحِلةَ الصِّبا ... وعَلَّلتُ شيطانَ الغوىِّ المُشوِّقِ(٢)
وداوَيتُ قَرْحَ القَلْبِ مِنهنَّ بالمُنى ... وباللحْظِ ــ لو يَبْذُلنَهُ ــ المُتَسرِّقِ
وساقينَنى كأسَ الهوَى وسَقَيْتُها ... رِقاقَ الثَّنايا عَذْبةَ التَرَيُّقِ(٣)
وخُمْصانةٍ تَفْتَرُّ عن متنَضِّدٍ ... كنَوْرِ الأقاحى طَيِّبِ المُتَذَوَّقِ

[١٥٠ ظ] /ــ ويروى: «عن متنسّق»، يعنى ثغرا على نسق واحدٍ لا اختلاف فيه ــ

إذا مَضغتْ بعدَ امتِناعٍ من الضُّحَى ... أنابيبَ مِنْ عُودِ الأَراكِ المُخَلَّقِ

ــ الامتناع: الارتفاع، يقال مَتع النهار وأمتع إذا طال ــ والمخلّق: الذى عَلِق به الخلوق والطيب من يدها؛ وقال بعضهم: عنى بالمخلّق المملّس ــ

سقتْ شَعَثَ المِسْواكِ ماءُ غَمامةٍ ... فَضيضاً بخُرْطُومِ المُدامِ المُرَوَّقِ(٤)

ــ والفضيض: الذى حينَ سال من الغمامة، أى كما فُضّ(٥)، والخُرطوم: سُلاف الخمر، وهو أول ما يخرج من غير عَصْرٍ ولا دَوْسٍ ــ

وإنْ ذُقْتَ فاهَا بَعد ما سَقَطَ النَّدَى ... بِعِطْفَىْ بَخَنْداةٍ رَداحِ المُنَطَّقِ

ــ البَخَنْداة: الضخمة. والرَّداح: العظيمة الأرداف.

شَمِمْتَ العَرارَ الطَّلَّ غِبَّ هَميمةٍ ... ونَوْرَ الخُزامَى فى النَّدَى المُتَرَقْرِقِ(٦)

---

(١) الكامل ــ بشرح المرصفى ٣ : ٢٥.

(٢) زهر الآداب: ٢٢٧ (طبعة الحلبى)، شرح المختار من شعر بشار: ٢٣٨.

(٣) حاشية ت: «راق السراب يريق ريقا، وتريق، إذا لمع؛ كأنه قال: عذبة موضع التريق. ويجوز أن يكون مشتقا من الريق الذى هو الرضاب؛ أى عذبة مترشف الريق».

(٤) حاشية الأصل (من نسخة): «بخرطوم المدام المروق».

(٥) كما فض؛ أى كما تفرق من السحابة؛ ولم تصل إليه غبرة.

(٦) حاشية الأصل (من نسخة): «ونور الأقاحى».

ـ العَرَار: بَهار البَرّ، والطَّل : الغضّ الطرىّ ، والهَمِيمة : مَطَر ليِّن[١] :

وأخبرنا المرزُبانىّ قال حدثنى علىّ بن هارون بن علىّ قال : سمعت أبى ـ وقد ذكر قولَ أبى حيّة :

نظَرْتُ كأَنِّى مِنْ وَرَاءِ زُجاجةٍ ... إلى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبابةِ أنظُرُ[٢]
بعَيْنينِ طَوْراً تغْرَقانِ مِنَ البُكا ... فأعشى، وطوْراً تَحْسِرانِ فأُبصِرُ[٣]

فقال : لو اعترَضَنى مُملِّكٌ تجب طاعته ، ويلزم الانقيادُ لأمره فقال : أىُّ شعرٍ أجودُ وأوْلَى بأن يُستحسَن؟ ولم يَفسَح لى فى أن أميِّز المدح من الفخر ، والهجاء من التشبيب ، وسائر أصناف الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدلتُ عن هذين البيتين .

ويقال إن أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أجاز بيتىْ أبى حية هذين بقوله :

فلاَ مُقلتى مِنْ غامِرِ الماءِ تَنجلِى ... ولاَ دَمْعَتى مِنْ مُكْمَدِ الوَجْدِ تقطُرُ[٤]

ولأبى حية :

مِنَ المُبْكِياتِ الجَلْدَ حتَّى كأَنما ... تَسُحُّ بعَينيْهِ الدُّموعَ شَعيبُ

ـ الشَّعيب : مَزادة من أدِيمَيْن، يُشْعَبُ[٥] أحدُها بالآخر ـ

---

(١) حاشية الأصل : «فى نسخة س : أخبرنا البارع أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب البغدادى رحمه الله قال : أخبرنى الرئيس الحسن بن على بن محمد بن بارى الواسطى رحمه الله قال : كنا عند الملك العزيز فى مجلس أنسه ، وأنشد منشد بيتى أبى حية : «إذا مضغت . . . »، والذى يليه ، فسألنى الملك العزيز أن أجيزهما فقلت :

هنيئاً عَلَى رُغْمِى لِعُودِ أَرَاكةٍ ... تَسُوكُ به الذَّلْفاءُ مَبْسَمَها الْعَذْبا
لَئِنْ شُفِيتْ منه لقدْ زان ثغرَها ... أرَاكاً يَبيساً،وانْثَنى مَنْدَلاً رَطْبا

(٢) أمالى القالى ١ : ٢٠٨ بلا عزو. وفى ت: «من ماء الصبابة» (٣) حاشية الأصل (من نسخة): «فعيناى طوراً» . وتحسران ، أى تنقشعان وتنكشفان . (٤) حاشية ت من نسخة) : «من مكمد الشوق تقطر» ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : «فى الأصل : بين البيت والبيتين بعيد» . (٥) يشعب: يخاط . ويسح: يصب

[١٥١ و] /لَيالِىَ أهلاَنا جَميعاً وحَوْلنا(١) سوَائمُ منها رائحٌ وغَرِيبُ
وإذْ يَتجنَّينَ الذُّنوبَ ومالَنا إليهِنَّ (٢إلاَّ وُدُّهُنَّ ذُنوبُ٢)

ولأبى حيّة :

أصُدُّ عن البَيْتِ الحَبيبِ وإنَّنى لأُصغِى إلى البَيْتِ الذى أتَجنَّبُ
أزُورُ بُيوتاً غيرَهُ ولأَهلُهُ عَلى ماعدَا عنهُمْ أعَزُّ وأقربُ
وقطَّعَ أسبابَ المَوَدَّةِ مَعْشَرٌ غضابَى ،وهَلْ فى أحسَنِ القولِ مَغْضَبُ(٣) !
وألاَّ تَنِى ياأمَّ عَمرٍو نَميمةٌ(٤) تَدِبُّ بها بَيْنِى وبيْنَكِ عَقْرَبُ
وما بيْننا لوْ أنَّه كانَ عالماً بذَاكَ الأُلَى يُولونَ مايتَرَتَّبُ(٥)
حَدِيثٌ إذا لم تَخْشَ عيناً كأنَّهُ إذَا ساقَطْتَهُ الشَّهْدُ ، بلْ هوَ أطيبُ
لوَ انَّكَ تستشفِى به بعدَ سكْرَةٍ مِنَ المَوْتِ كانت سكْرَةُ المَوْتِ تَذْهَبُ(٦)
وقُلتُ لهـا : ماتأمُرِينَ ؟ فإنَّنى أرَى البَيْنَ أدْنَى رَوْعةٍ تُترَقَّبُ(٧)

قال محمد بن يحيى الصولىّ : ولا أحسبه فى قوله :

* لو انَّكَ تستشفِى به بعد سَكْرَةٍ *

إلاَّ تَبِع قول توبة بن الحُمَيِّر :

ولوْ أنَّ لَيلى الأَخْيَلِيَّةَ سلَّمتْ علىَّ ، ودُونى جَنْدَلٌ وصَفائحُ(٨)
لَسلَّمتُ تَسليمَ البَشاشةِ ، أو زَقا إليها صدى مِنْ جانب القَبرِ صائحُ

---

(١) حاشية ت (من نسخة) : « أهلانا جميع » .

(٢–٢) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « لولا ودهن ذنوب » .

(٣) من نسخة بحاشيتى ت ، الأصل : « يقطع أسباب المودة » ، وفى د « غضاب » .

(٤) حاشية ت : « قوله : « وألاتنى : عطف على معشر » . (٥) حاشية ت : « يولون : يحلفون علينا » ومن نسخة بحاشية الأصل : « يؤذون » . (٦) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « كادت سكرة الموت » . (٧) فى حاشيتى الأصل ، ت (من نسخة) : « ماتأمرينى » .

(٨) ديوان الحماسة — بشرح التبريزى ٣ : ٢١٧ . الصفائح : الحجارة العراض تكون على القبور .

قال سيدنا أدام الله علوّه : وأوّلُ مَنْ سبق إلى هذا المعنى فأحسن الأعشى فى قوله :

عهْدِى بها فى الحىِّ قدْ دُرِّعتْ ... صَفراءَ مثلَ المُهْرةِ الضَّامرِ (١)

لوْ أَسندَتْ مَيْتاً إلى نحْرِها ... عاشَ ولمْ يُنْقلْ إلى قابرِ

حتّى يقولَ النَّاسُ ممّا رأوْا ... ياعجَباً لِلميِّتِ النَّاشرِ!

ومعنى الناشر : المنشور ، يقال : نَشَرَ اللهُ الميْتَ فنَشَر ، وهو ناشر بمعنى منشور ؛ مثل ماء دافق فهو مدفوق .

وقال بعضُ أصحاب المعانى : إنّ الجاريةَ التى وصفها أيضاً هى ميتة بمعنى أنها ستموت ، فيكون المعنى : إن الناس عجبوا من أن يكون مَنْ يموت يَنْشُر الموتى ، ومن قال هذا أجاز : نَشرَ اللهُ الموتى / بمعنى أنشر ؛ والقولُ الأول أظهر ، وما نظن الأعشى عنَى غيره. [١٥١ ظ]

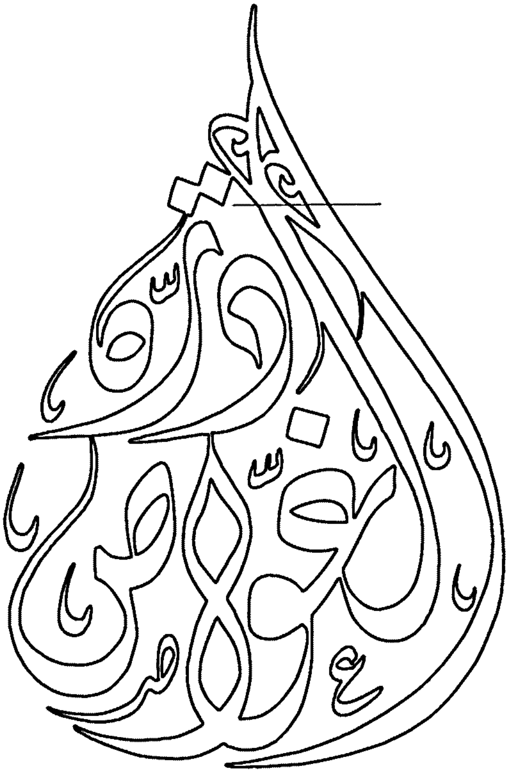

(١) ديوانه ١٠٤ — ١٠٥ ، وفى حاشية الأصل : (من نسخة) : « قد روعت » ، وفى حاشية ت (من نسخة) : « قدأبرزت » ، وفى الديوان : « قد سربلت » .

٣٤

مجلس آخر *

تأويل خبر

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾؛ [يوسف : ٩٢]، حاكياً عن يوسف عليه السلام.

فقال: لِمَ خصّ «اليومَ» بالقول، وإنما أراد العفو عنهم فى جميع مستقبل أوقاتهم؟

الجواب، قلنا: فى هذه الآية وجوهٌ أربعة:

أولها أنه لما كان هذا الوقتُ الذى أشار إليه(١) هو أوّلُ أوقاته التى كشف فيها نفسَه، وأطلعَهم على ما كان يستُره(٢) عنهم من أمرِه؛ أشار إلى الوقت الذى لو أراد الانتقامَ لَابتدأ به فيه؛ والذى متى عفا فيه عنهم(٣) لم يراجع الانتقام.

وثانيها أنّ يوسف عليه السلام لما قدّم توبيخَهم، وعدّدعليهم قبيحَ مافعلوه، وعظيمَ ماارتكبوه؛ وهو مع ذلك يسترُ عليهم(٤) نفسه، ولا يُفصِح لهم بحاله قال لهم عند تبين أمرهم: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾؛ أى قدانقطع عنكم توبيخى، ومضى عذْلى ولائمتى عند اعترافكم بالذنب، وكان ذكرُ «اليوم» دلالةً على انقطاع المعاقبة والتوبيخ؛ وعلى أنّ الأوقاتَ المتصلةَ باليوم تجرى مجراه فى زوال الغضَب، وتمام العفو، وسقوط المواقفة لهم على ماسلَف منهمْ.

وثالثُها أنّ ذِكْرَ «اليوم» المرادُ به الزمانُ والحينُ، فوضع «اليوم» موضع الزّمان كلِّه، المشتمل على الليالى والأيام والشهور والسنين؛ كما يقول العربى لغيره: قد كنتَ تستحسِن شرب الخمر فاليوم قدْ وُفِّقْتَ لتركها ومقْتها؛ يريد فى هذا الزمان، ولا يريدُ يوماً واحداً بعينه؛ ومثله:

---

* فى الأصل: «هذا المجلس نصف الكتاب».

(١) ت: «أشار الله إليه». (٢) حاشية ت (من نسخة): «ستره».

(٣) ساقطة من ت. (٤) ت: «عنهم».

قد كنتَ تقصِّر فى الجواب عن فنون العلم فاليوم ماتُعجِزك مسألة ، ولا تتوقَّفُ عن مُشكلة؛ يريد باليوم باقِى الزمان كله ، وقال امرؤ القيس :

حَلَّتْ لِىَ الخمرُ وكُنتُ امرأً ... عن شُرْبِها فى شُغُلٍ شاغِلِ(١)
فاليَوْم فاشْرَبْ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ ... إثمًا مِنَ اللهِ ولاَ واغِلِ(٢)

لم يقصد يوماً بعينه؛ ومثله :

/اليومَ يَرْحَمُنا مَنْ كانَ يَغبِطُنا ... واليومَ نَتبعُ مَنْ كانوا لنا تبعا [١٥٢ و]

وقال لَبيد :

وما النَّاسُ إلاَّ كالدِّيارِ وأهلِها ... بِها يومَ حَلُّوها، وغَدْوًا بَلاقِعُ(٣)

كل ذلك لا يُراد بذكر اليوم أوالغد فيه إلا جميع الأوقات المستقبلة .

ورابعها أن يكون المرادُ : لاتثريب عليكم البتّة، ثم قال: ﴿ اليْوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ﴾؛ فتعلَّق « اليوم » بالغفران ، وكان المعنى غفر الله لكم اليوم(٤).

وقد ضعَّفَ قومٌ هذا الجواب من جهة أن الدعاء لا ينصِب ما قبله .

فأما التثريب فإن أبا عبيدة قال : معناه لا شغَب ولا معاقبة ولا إفساد(٥).

وقال الشاعر :

فعفَوْتُ عنهمْ عفوَ غيرِ مُثرِّبٍ ... وتَرَكتُهُمْ لعقابِ يومٍ سَرْمَدِ

---

(١) ديوانه : ١٥٠ . وفى شرح الديوان : « كان حلف ألا يشرب خمرا ، ولا يأكل لحما ، ولا يغسل رأسا ؛ حتى يدرك بثأر أبيه ؛ وكذلك كانت العرب تفعل ؛ فلما أخذ بثأر أبيه شربها فبرت يمينه » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أشرب » بسكون الباء ؛ ورواية الديوان :

* فاليوم أُسْقَى غير مُسْتَحقِبٍ *

المستحقب: المكتسب للاثم الحامل له . والواغل : الذى يدخل على القوم وهم يشربون فيشرب معهم من غير دعوة .

(٣) ديوانه ٢ : ٢٢ . (٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « لم لا يكون إخباراً محضا بالغفران حتى لا يعترض بذلك ! وله وجه آخر وهو أن المعنى : اليوم أقول لكم هذا القول الذى هو يغفر الله لكم فاختصر » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « فساد » .

وقال أبو العباس ثعلب: يقال: ثرَّب فلان على فلان إذا عدَّد عليه ذنوبه. وقال بعضهم[١]: التثريب مأخوذ من لفظ الثَّرْب، وهو شحم الجوف، فكأنَّه موضوع للمبالغة فى اللوم والتعنيف والتقصّى إلى أبعد غايتهما[٢].

تأويل خبر

رَوَى أبو عُبَيد القاسم بن سلّام عن حجّاج عن حماد بن سلَمة عن هشام بن حسان، وحبيب بن الشَّهيد عن ابن سيرين عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله نَهى عن كسب الزَّمّارة.

وقال أبو عبيد: قال حجّاج: الزَّمّارة الزانية، وقال: هذا مثلُ حديثِه الآخر أنه نهى عن كَسب البَغِىّ.

وقال أبو عبيد: وقال غير حجّاج: هى الرّمّازة، بتقديم الراء، قال: وقول حجّاج أثبتُ عندنا؛ لأنهم كانوا يُكْرِهون إماءَهم على البغاء، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا؛ لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣]، قال: فالعرَض هو كَسْبُ البغىّ الذى نَهَى النبي صلى الله عليه وآله عنه.

قال أبو عبيد: ولا أعلمُ ممّ أخِذَت «الزَّمارة»؛ غير أنى وجدتُها مفسَّرة فى الحديث.

وقال ابن قتيبة: الأمر على ما ذكر أبو عبيد، إلا ما أنكره على مَن زعم أنها الرَّمازة؛ لأن الرَّمازة هى الفاجرة، سمِّيت بذلك لأنها ترمِز، أى تُومئ بعينيْها وحاجبيْها وشفتيْها.

قال الفرّاء: وأكثر الرَّمْز بالشَّفتين، ومنه قوله تعالى: ﴿آيَتُكَ أَنْ لاَ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً﴾ [آل عمران: ٤١]، فالرَّمازة صفة من صفات الفاجرة،
[١٥٢ ظ] / ثم صار اسما لها أو كالاسم؛ ولذلك قيل لها: هَلوك؛ لأنها تتهالك على الفراش، أو على الرجل، ثم صار اسما لها دون غيرها من النساء، وإن تهالكَتْ على زوجها، وقيل لها خَريع،

(١) م: «وهو ابن مسلم». (٢) حاشية الأصل (من نسخة): «غاياتها».

لِلِينها وتَثَنِّيها ، ثم صار ذلك اسماً لها دون غيرها من النساء ؛ وإن لانت وتثنَّت ؛ ونحوُه قولهم للبعير : أَعْلَمَ ؛ للشَّقِّ فى مِشْفَرِه الأعلى ثم صار كالاسم له ؛ وكذلك قولهم للذئب : أَزَلّ أرسَح(١) ، ثم صار كالاسم له ، والمرِيبة لا تكادُ تمَلِن بالكلام ، إنما تُومض(٢) أو ترْمِزُ أو تَصْفِر ، قال الشاعر :

رَمَزَتْ إلىَّ مخافةً مِن بَعْلِها ... مِن غيرِ أنْ يَبدُو هناكَ كلامُها

وقال الأخطل :

أحاديثُ سَدّاها ابنُ حَدْراءَ فَرْقَدٌ ... ورَمَّازَةٌ مالَتْ لِمنْ يَستميلُها(٣)

وقال الراجز :

يُومِئْنَ بالأعْيُنِ والحَواجِبِ ... إيماضَ بَرْقٍ فى عَماءٍ ناضِبِ(٤)

ـ والعماء : السحاب ، والناضب : البعيد ـ

وقال بعضهم : إنما قيل للفاجرة قَحْبة ، من القُحاب وهو السُّعال ؛ قال : وأحسِبه أراد أنها تتنحْنح أو تَسْعُل ترمِز بذلك .

قال : وبلَغَنى عن المفضَّل أنه كان يقول فى قول الناس : « أجبن من صافر »(٥) أنه الرجل يَصفِر للفاجرة ، فهو يخاف كل شىء .

وأما الأصمعىّ فإنه كان يقول : الصافر مايَصْفِر من الطير ، وإنما وُصِف بالجبن لأنه ليس من الجوارح .

قال ابن قتيبة : ولا أرى القولَ إلا قولَ المفضّل ، والدليل على ذلك قول الكُميت بن زيد الأسدىّ :

---

(١) الأزل : الخفيف الوركين . والأرسح : القليل لحم العجز .

(٢) تومض ، أى تعرض نفسها . (٣) ديوانه : ٢٤١ ، واللسان (رمز) والحدراء : الممتلئة الفخذ والعجز . (٤) البيتان فى اللسان (زمر) ، والرواية فيه : « يومضن بالأعين . . . » .

(٥) المثل فى مجمع الأمثال للميدانى ١ : ١٦٨ ؛ وروى عن ابن حبيب أن الصافر طائر يتعلق من الشجر برجليه ، وينكس رأسه ، خوفاً من أن ينام فيؤخذ فيصفر منكوساً طول ليلته .

أَرْجُو لـكُم أنْ تـكونُوا فى إخائـِكُمُ ... كَلباً كَوَرْهاءَ تَقْلِى كلَّ صَفَّارِ[١]

لمَّا أجابَتْ صفِيراً كانَ آيَتَهَا ... مِن قابِسٍ شَيَّطَ الوَجْعاءَ بالنَّارِ[٢]

وهذه امرأة كان يَصفِر لهـا رجل فتُجيبه ، فتمثّل زوجُها به وصفَرَ لها ، فأتَتْه فشيَّطها بمِيسَمٍ ، فلما أعاد الصَّفر[٣] قالت : « قدْ قَلَيْنا كلَّ صفّار[٤] » ، تريد أنا قد عفَفْنا[٥] واطّرحنا كلَّ فاجر.

قال أبوبكر محمد بن القاسم الأنبارىّ : والاختيار عندى: « الزّمارة » معجمة الزاى على ماقال أبو عُبيد، لِحُجج ثلاث :

[١٥٣ و] / إحداهنّ إجماع أهل الحديث على الزّمارة .

والحجة الثانية أن الفاجرة سُميت زَمارة، لأنها تحسِّن نفسها وكلامها، والزمْر عندالعرب الحسْن ، قال عمرو بن أحمر الباهلىّ يصف شراباً وغناءً :

دَنَّانِ حَنَّانانِ بينَهُما ... رَجُلٌ أجَشُّ غِناؤُهُ زَمِرُ[٦]

قال الأصمعىّ : معناه غناؤه حَسَنٌ ؛ كأنه من مزامير داود .

والحُجة الثالثة أنهم سمَّوْا الفاجرة زَمَّارة، لمهانتها وقلةمافيهامن الخير؛ من قول العرب[٧] : نعجة زَمِرة؛ إذا كانت قليلة الصوف ، ويقال : رجـل زَمِر المروءة ، إذا كان قليلَها ، قال ابن أحمر :

مُطْلَنفِئاً لوْنُ الحَصَى لوْنُهُ ... يَحْجُزُ عنهُ الذَّرَّ رِيشٌ زَمِرْ[٨]

---

(١) البيتان فى مجمع الأمثال ٢ : ٤٠ ، والثانى فى اللسان (شيط) . الورهاء : الحمقاء .

(٢) شيط : أحرق . والوجعاء : الدبر . (٣) ت : « الصفير » .

(٤) المثل فى مجمع الأمثال ٢ : ٤٠ ، والرواية فيه : « قد قلينا صفيركم » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة): « عققنا » . (٦) البيت فى اللسان (زمر)، وفى ت، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة): « زجل » . والزجل : عود أو معزفة .

(٧) م : « من قولهم » . (٨) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يصف فرخ القطاة ؛ وقبله :

تُرْوِى لَقًى أُلْقِىَ فى مَهْمَهٍ ... تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ فما يَنْصَهِرْ

المطلنفئ : اللاصق بالأرض ، والذرّ : النمل، والزّمِر : القليل ، فسمّى البغىّ(١) زَمّارة، على وجه الذم لها والتصغير لشأنها ؛ كما قيل لها : فاجرة لميلها عن القصد ، يقال : فَجَر الرجل إذا مال ، قال لَبيد :

فإنْ تتقدَّمْ تَغْشَ منها مُقدَّماً غَليظاً،وإنْ أخَّرتَ فالكِفْلُ فاجِرُ(٢)

أى مائل ، والـكِفْل : كساءٌ يُوضَع على ظهر البعير يُوَقَّى من العَرَق .

قالسيدنا أدام الله علوّه : ولا أرى لإحدى الروايتين على الأخرى رجحاناً ؛ لأنّ كلّ واحدةمنهما قد أتَتْ منجهة مَن يُسْكَن إلى قوله، ولـكلّ منهما مخرج فى اللغة ، وتأويلُه يرجع إلىمعنى واحد ؛ لأن الرّمازة ، بالراء غيرمعجمة يرجع معناهاعلىماذكَر ابنُ قتيبة إلى معنى الفجور ، ومن رواها بالزاى المعجمة فالمرجعُ فى معناها إلى ذلك أيضاً على الوجهين اللذيْن ذكرها ابنُ الأنبارىّ ، والأَوْلَى أن يَثْبُتا(٣) متساويين ، ويكون الراوى مخيَّراً فيهما .

***

أخبرنا أبو عبيد الله محمـد بن عمران المرزبانىّ قال أنشدنى محمد بن أحمد الـكاتب قال أنشـدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابىّ للمضرِّب(٤)؛ وهو عُقبة بن كعب بن زهير بن أبى سُلْمَى :

---

(١) ف ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « فسميت البغى » .

(٢) ديوانه ١ : ٥ ، ومن نسخة فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « أخرت » : بالبناء للمجهول . وفيها أيضا : « قبله :

فأصبحْتَ أنَّى تأتِها تبتئسْ بها كِلاَ مركبيْها تحْتَ رَحْلِك شاَجِرُ

تأتها ، أىتأت هذه الخصلة والحالة ، وقال الجوهرى : «الـكفل هو ما اكتفل به الراكب ، وهو أن يدار الـكساء حول سنام البعير ثم يركب ؛ ومنه قول إبراهيم : لا تشربوا من ثلمة الإناء ولا من عروته ؛ فإنه كفل الشيطان ؛ وإبراهيم هو التيمى » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « أن يكونا » .

(٤) ذكره المرزبانى فى المؤتلف والمختلف : ٢٨١ ؛ وضبطه صاحب تاج العروس فى مستدرك =

وما زِلْتُ أرْجو نفعَ سَلْمَى ووُدَّها　　　وتُبعِدُ ؛ حتَّى ابيَضَّ مِنِّى المسائحُ(١)

وحتَّى رَأَيتُ الشَّخْصَ يَزْدادُ مِثْلُه(٢)　　　إليهِ ؛ وحتَّى نِصْفُ رأْسِىَ واضِحُ

[١٥٣ ظ] / عَلا حاجِبَيَّ الشَّيبُ حتى كأنَّهُ　　　ظِباءٌ جَرَتْ مِنها سَنيحٌ وبارِحُ(٣)

وهِزَّةَ أظْعانٍ عليهِنَّ بَهْجَةٌ　　　طَلَبْتُ ، وريْعانُ الصِّبا بِىَ جامِحُ(٤)

فلمَّا قَضَيْنا مِنْ مِنًى كلَّ حاجةٍ　　　ومَسَّحَ بالأرْكانِ مَنْ هو ماسِحُ

أخذْنا بأَطْرافِ الأحاديثِ بيْننا　　　وسالَتْ بأعْناقِ المَطِىِّ الأباطِحُ(٥)

وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهارَى رِحالُها　　　ولا يَنظُرُ الغادِى الذى هوَ رائِحُ(٦)

قَفَلْنا على الخُوصِ المَراسيلِ ، وارْتَمتْ　　　بهِنَّ الصَّحارَى والصِّفاحُ الصَّحاصِحُ(٧)

* * *

(ضرب) أنه بوزن « محدث » ، «معظم» ، وضبط فى اللسان بالكسر فقط ، وفى الأصل : بالفتح ؛ وهو الأولى لما رواه ابن قتيبة فى الشعراء : ٩٢ أنه « كان لكعب ابن يقال له عقبة بن كعب ، شاعر ، ولقبه المضرب ؛ وذلك أنه شبب بامرأة من بنى أسد فقال :

ولا عَيْبَ فِيهَا غيرَ أنَّكَ واجِدٌ　　　مَلاقِيهَا قَدْ دُيِّثَتْ بِرُكُوبِ

فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف ، فلم يمت ، وأخذ الدية ، فسمى المضرب » .

(١) ورد البيت الخامس والسادس والسابع من هذه الأبيات فى معاهد التنصيص ٢ : ١٣٤ ؛ وقال : « وقيل الأبيات لابن الطثرية ، وهى مع بيتين تاليين فى زهر الآداب ٢ : ٥٦ ووردت أيضا فى الشعر والشعراء ١١ ، والصناعتين ٥٩ ، وأسرار البلاغة ١٥ ، وورد الخامس والسادس فى الخصائص ١ : ٢٨ ، ٢١٨ ، وأمالى القالى ٣ : ١٦٦ ؛ وفيها جميعا من غير عزو مع اختلاف فى الترتيب . ونقلها أيضا صاحب المعاهد بنسبتها وروايتها عن الغرر ؛ وهى ضمن ١٨ بيتاً فى ديوان كثير : ٧٧ــ٨٤ والمسائح : شعر جوانب الرأس .

(٢) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مثله » ، بفتح اللام .

(٣) السنيح والسانح : ما أتاك عن يمينك من ظبى أو طائر أو غير ذلك ، والبارح : ما أتاك من ذلك عن يسارك . والسانح : أحسن حالا عندهم فى التيمن من البارح .

(٤) يعنى : ورب ظعائن طلبت اهتزازهن وارتياحهن للهو معهن .

(٥) أطراف الأحاديث : ما يستطرف منها ويؤثر . والأباطح : جمع أبطح ؛ وهو المسيل الواسع ، فيه دقاق الحصى .

(٦) المهارى : جمع مهرية ؛ وهى المنسوبة إلى مهرة من حيوان ؛ وهى قبيلة تكثر فيها النجائب . ولا ينظر : لا ينتظر .

(٧) الخوص : الإبل الغائرة العيون . والمراسيل : المسرعات . والصفاح : جمع صفح ؛ وهو مضطجع الجبل ، والصحاصح : جمع صحصح ، وهو المكان المستوى الواسع .

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

فَصَدَّتْ بعينَىْ شادِنٍ وتَبَسَّمتْ ... بحَمَّاءَ عنْ غُرٍّ لهنَّ غُروبُ[١]

جَرَى الإسحِلُ الأَحْوَى عليْهِنَّ أوجَرَى ... عليْهِنَّ مِن فَرْعِ الأَراكِ قَضِيبُ[٢]

***

أخبرنا أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنا محمد بن الحسن البُلغىّ قال حدثنا أبو حاتم قال : سمعت الأصمعىّ يقول : سمعت الرشيد يقول : قلْب العاشق عليه مع معشوقه ، فقلت له : هذا والله يا أمير المؤمنين أحسنُ من قول عُرْوَة بن حزام العذرىّ لعفراء :

أرانِيَ تَعْرُونى لذِكراكِ رَوْعَةٌ ... لها بينَ جِلْدِى والعِظامِ دَبِيبُ[٣]

وما هُوَ إلاَّ أن أراها فُجاءَةً ... فأُبْهَتُ حتى لا أكادُ أُجيبُ[٤]

وأُصْرَفُ عنْ دارِى الذى كنتُ أرتئِى[٥] ... ويَعزُبُ عنِّى علمُهُ ويَغيبُ

ويُضمِرُ قلبى غَدْرَها ويُعينُها ... علىَّ ، فما لى فى الفُؤادِ نَصِيبُ

فقال الرشيد : مَن قال هذا وَهْماً فإنى أقوله علماً ، ولله دَرّكَ يا أصمعىّ ! فإنى أجِدُ عندكَ ماتضلّ عنه العلماء.

قال الصولىّ : فأخذه العباس بن الأحنف فقال:

يَهِيمُ بحرّانِ الجَزِيرَةِ قَلبهُ ... وفيها غزالٌ فاتِرُ الطّرْفِ ساحِرُهْ[٦]

يُؤَازِرُهُ قلبى علىّ وليسَ لى ... يَدانِ بِمَنْ قَلْبى علىَّ يُؤَازِرُه

---

(١) ف ، ومن نسخة بحاشية ت : « تصدت » .

(٢) الإسحل : شجر تتخذ منه أعواد السواك . والأحوى : الأسمر . (٣) ديوانه:٤٣ (مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب المصرية) ، والشعر والشعراء ٦٠ ، وخزانة الأدب ١ : ٥٣٤ ، و ٣ : ٦١٥ ـ ٦١٧ وفيم : « وإنى لتعرونى » . (٤) البيت من (شواهد سيبويه ١ : ٤٣٠) ، على جواز الرفع والنصب فى « أبهت » ، فالنصب محمول على « أن » ، والرفع على القطع والاستئناف .

(٥) م : « عارفا » . (٦) حران : قصبة ديار مضر بالجزيرة ، بين الرها والرقة . ومن نسخة بحاشية الأصل : « ساحر الطرف فاتره » .

[١٠٤ و] / وأشار إليه أيضا فى قوله :

قلبى إلى ما ضَرَّنى داعى   يُكْثِرُ أحزانى وأوجاعى [١]
كيفَ احتِراسِي مِن عَدُوِّى إذا   كانَ عدُوِّى بين أضْلاَعى [٢]

وأخذه سهل بن هرون الكاتب فقال :

أعانَ طَرْفى على جِسمى وأعضائى   بنَظْرَةٍ وقَفتْ جِسمى على دائى
وكنتُ غِرًّا بما تجنِى علىَّ يدى   لا عِلْمَ لى أنَّ بَعضى بعضُ أعدائى

وقال البحترىّ :

ولستُ أعجبُ مِن عِصيانِ قلبكَ لى   يوماً إذا كانَ قلْبى فيكَ يَعْصِينى [٣]

***

وروى أبو عِكرمة الضَّبىّ عن مسعود بن بِشْر المازنىّ قال : قال لنا الأصمعىّ يوماً : ما أحسن ما قيل فى صفة امرأة عَجْزاء خَميصة [٤] فأنْشدَ قول الأعشى :

صِفْرُ الوِشاحين مِلْءُ الدِّرْعِ بَهْكَنةٌ   إذَا تأتّى يَكادُ الخَصْرُ يَنخزِلُ [٥]

وأنشد قول علقمة بن عَبَدة :

صِفْرُ الوِشاحين مِلْءُ الدِّرْعِ خَرْعَبةٌ   كأنها رَشأٌ فى البَيتِ مَلزُومُ [٦]

---

(١) ديوانه : ١٠١ ، وبعده :

وقلّما أبقى على ماأرَى   يوشِكُ أن يَنعَى بى النّاعِى
أسلمنى للوجد أشياعِى   لما سعى به عندهم الساعى

(٢) بعده ؛ كما فى الديوان :

ماأقتلَ اليأسَ لأهل الهوى   لا سيَّما من بَعْدِ أطْماعِ

(٣) ديوانه: ٢ : ٢٩٥ ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « مثله » :

أتطمع أن يُطيعَك قَلْبُ سُعْدَى   وتزعُمُ أن قَلْبَكَ قد عصاكا

(٤) م: « خمصانة » ، والخميصة والخمصانة : الضامرة البطن . (٥) ديوانه : ٤٢ . والمعلقات — بشرح التبريزى : ٢٧٤ . صفر الوشاحين ؛ يعنى أنها خميصة البطن دقيقة الخصر ، فوشاحها يقلق عنها والبهكنة : الكبيرة الخلق، وتأتى : ترفق فى المشى . (٦) ديوانه : ١٣٠ . الخرعبة : الناعمة . الرشأ: الظبي الصغير . ملزوم : مربى فى البيوت ؛ وهو أحسن له .

وأنشد قولَ ذى الرُّمة :

تَرَى خَلْفَهَا نِصْفاً قَناةً قَوِيمةً ... ونِصفاً نقًا يَرْتَجُّ أو يتمَرْمَر[١]

فقال : أحسنُ ما قيل فيه قولُ أبى وَجْزَة السّعدىّ :

أَدْماءُ فى وضَحٍ يَكادُ إزارُها[٢] ... يُقْوِى[٣] ويَشْبعُ ما أَحَبَّ إزارُها[٤]

قال أبو عكرمة : ومثلُه قولُ الحارث بن خالد المخزومىّ :

غَرْثانُ ، سِمطُ وشاحِها قَلِقٌ ... رَيَّانُ مِن أرْدافِها المِرْطُ

* * *

وأخبرنا المرزُبانىّ قال حدثنا محمدبن إبراهيم قال حدثنا أبوالعيناء قال حدثنى الأصمعىّ قال: لما مات/ محمد بن سلمان بن علىّ الهاشمىّ دخلت على أخيه جعفر بن سليمان، وقدحزن عليه حزناً شديداً ولم يطعم ثلاثاً ، فأنشدته لابن أراكة الثقفىّ[٥] : [١٥٤ ظ]

لعَمْرِى لئنْ أتبعْتَ عينَيك[٦] ما مَضى ... مِن[٧] الدّهرِ أو ساقَ الحِمامُ إلى القَبْرِ
لتَسْتنفِدَنْ ماءَ الشئونِ بأسرِهِ ... ولو كنتَ تَمرِيهنَّ مِنْ ثَبَجِ البَحْرِ
فقلتُ لعبدِ اللهِ إذْ خنَّ[٨] باكِياً ... تعزَّ ، وماءُ العيْنِ مُنْهمِرٌ يَجرِى
تَبيَّنْ فإنْ كانَ البُكا رَدَّ هالِكاً ... على أحدٍ فاجْهدْ بُكاكَ على عَمرِو
ولَا تَبْكِ ميتاً بعدَ مَيْتٍ أحبه[٩] ... علىٌّ وعبَّاسٌ وآلُ أبى بكْرِ

(١) ديوانه : ٢٢٦ يتمرر : يتحرك وهو تحرك دون الارتجاج . وفى د ، م: « يترمرم ».

(٢) ت ، ش : « رداؤها » والأدمة هنا : لون أشرب بياضا . والوضح :البياض . وفى م : « أدماء عيطلة » .

(٣) الإقواء فى الأصل : نفاد الزاد ؛ ويريد هنا دقة خصرها وفى س : « لعله : يقوى وشاحها » :

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت: « ماأجن إزارها » ، وفيهما أيضا : « أحب ، فعل الإزار ؛ أى يشبع إزارها ما أحب ، أى ما شاء » .

(٥) الخبر والأبيات فى حماسة ابن الشجرى: ١٣٨ـ١٣٩، بروايته عن ابن قدامة عن المرتضى ؛ مع اختلاف فى ترتيب الأبيات ؛ وهى أيضا فى أمالى الزجاجى : ٧ .

(٦) حاشية ت (من نسخة) « عينك » ؛ وهى رواية ابن الشجرى .

(٧) ت : « به الدهر » ؛ وهى رواية ابن الشجرى .

(٨) ت : « حن » ، ومن نسخة بحاشيتها : « خر » .

(٩) ت : « أجنه » .

قال: فأمر فجيء بالطعام فأكل من ساعته .

قوله: « خن باكياً » معناه رفع صوته بالبكاء ، وقال قوم : الخنين، بالخاء معجمة من الأنف ، والحنين من الصدّر ، وهو صوت يخرج من كلّ واحد منهما .

***

وأخبرنا المرزبانىّ قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوىّ قال : سمعتُ التوَّزىّ يقول : دخلنا مع الأصمعىّ إلى إسماعيل بن جعفر ليلةً فى حاجة، فأنشده الأصمعىّ أبيات ابن هَرْمة :

أتيْناكَ نُرْجى حاجةً ووَسِيلةً ... إليك، وقد تَحْظَى لَدَيكَ الوَسائلُ(١)

ونَذْكُرُ وُدًّا شدَّهُ اللهُ بيننا ... على الدَّهرِ لم تَدْبُبْ إليهِ الغَوائلُ(٢)

فأقسِمُ ما أكْبى زِنادَكَ قادِحٌ ... ولَا أكذَبتْ فيكَ الرَّجاءَ القَوابلُ(٣)

ولَا رَجَعتْ ذَا حاجةٍ عنكَ علّةٌ ... ولَا عاقَ خيرا عاجِلًا منكَ آجلُ(٤)

ولَا لَامَ فيكَ الباذِلُ الوَجهَ نفْسَهُ ... ولَا احتكَمتْ فى الجُودِ منكَ المباخِلُ(٥)

لم يزِدْ على هذه الأبيات ، فقضى حاجته وأجاب مسألته .

قال سيدنا أدام الله علوّه : ويُشبه أن يكون ابنُ هَرْمة أخذ قوله :

* ولا كَذَبت فيكَ الرَّجاءَ القَوابلُ *

من قول الحزين الكنانىّ فى زيد بن علىّ بن الحسين عليهم السلام :

فلما(٦) تَرَدَّى بالحمائلِ وانتَنى ... يَصولُ بأطرافِ القَنِىّ الذّوابلِ(٧)

[١٥٥ و] / تَبيَّنَتِ الأعداءُ أنَّ سِنانَهُ ... يُطيلُ حَنينَ الأُمَّهاتِ الثَّواكِلِ

---

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « نرجو حاجة » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « العواذل » .

(٣) ما أكبى زنادك ، أى ما وجد كابيا . (٤) حاشية ت (من نسخة : « عنك آجل » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة): « عنك المباخل » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « إذا ماتردى » . (٧) وفى م : « القنا والذوابل » .

تُبِيِّنَ فيهِ مِيْسَمُ العِزِّ والتُّقَى وَلِيداً يفدَّى بين أيدِى القَوابِلِ

***

وأخبرنا علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنى محمد بن الحسن البُلَغِىّ قال حدثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : قال الرشيد يوماً : ياأصمعىّ ، أتعرف للعرب اعتذاراً ونَدماً ؟ وَدعِ النابغة فإنه يحتج ويعتذر ، فقلت : ماأعرِف ذلك إلّا لِبشْر بن أبى خازم الأسدىّ ؛ فإنه هجا أوس بن حارثة بن لأم ، فأسره بعد ذلك وأراد قتله ، فقالت له أمه —وكانت ذاتَ رأى—: والله لا يَمحا هجاءَه لك إلّا مدحُه إياك ، فعفا عنه ، فقال بشر [1] :

إنى على ما كانَ مِنّى لَنادِمٌ وإنى إلى أوْسِ بنِ لأْمٍ لَتائِبُ
وَإنى إلى أوْسٍ لِيَقْبَلَ توْبَتِى وَيَعرِفَ وُدّى ماحُيِيْتُ لراغِبُ
فهَبْ لى حَياتى فالحَياةُ لقائِمٍ يَسُرُّكَ فيها خيرُ ماأنتَ واهِبُ
سأَمْحو بمَدْحِي [2] فيكَ إذْأناصادِقٌ كِتَابَ هِجاءٍ سارَ إذْ أنا كاذِبُ

فقال الرشيد للأصمعىّ : إن دولتى لَتَحْسُن ببقائك فيها .

***

وأخبرنا علىّ بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دُريد قال حدثنا عبد الرحمن —يعنى ابن أخى الأصمعىّ— عن عمه قال : سمعت بيتين لم أحفِل بهما ، ثم قال : قلت : هما على كلّ حال خير من موضعهما من الكتاب ، قال : فإنى عند الرشيد يوماً وعنده عيسى بن جعفر ، فأقبل علىّ مسرور الكبير ، فقال : يامسرور ، كم فى بيت مال السرور ؟ فقال : مافيه شىء ، قال عيسى : هذا بيت مال الحُزْن ، فاغتمّ لذلك الرشيد ، وأقبل على عيسى فقال : والله لَتُعطِيَنّ الأصمعىّ سَلَفاً على بيت مال السرور ألف دينار ، فوَجَم عيسى وانكسر ، فقلت فى نفسى : جاء موقع [3] البيتين ، وأنشدت الرشيد :

(١) تنسب إلى الأعشى ؛ وهى فى ملحقات ديوانه : ٢٣٦ . (٢) ت ، ف ، ونسخة بحاشية الأصل : « بمدح » . (٣) ف ، ونسخة بحاشيتى الأصل : ت : « موضع » .

إذَا شئتَ أنْ تلقَى أخاكَ مُعَبِّساً وجَدَّاهُ فى الماضِينَ كَعبٌ وحاتمُ

فكَشِّفْهُ عمَّا فى يَدَيهِ فإنما تُكَشِّفُ أخبارَ الرِّجالِ الدَّراهمُ(١)

قال: فَتُجَلِّىَ عن الرشيد وقال لمسرور: أعطِه على بيت مال السرور ألفَىْ دينار، فأخذتُ بالبيتين ألفىْ دينار، وما كانا يساويان عندى درهمين(٢)!

(١) من نسخة بحواشى الاصل ، ت ، ف : « احوال الرجال » .

(٢) بهذا المجلس ينتهى الجزء الأول — وهو مالدينا من نسخة ت — وجاء فى آخره : « تم نصف الكتاب بحمد الله ومنه وفضله وحوله وطوله ، ويتلوه فى الجزء الثانى أوله: مجلس آخر ، تأويل آية ؛ إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾، إن شاء الله والحمدلله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والطاهرين وسلم » .

٢٥

مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ؛ [الأنبياء : ٣٧] .

الجواب ، قيل له : قد ذُكر فى هذه الآية وجوهٌ من التأويل نحن نذكرها ، ونرجِّح الأرجحَ منها :

أوّلها أن يكون معنى القول المبالغةَ فى وصف الإنسان بكثرة العَجَلة ، وأنه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور ، لهِجٌ باستدناء ما يَجْلِب[1] إليه نفعاً ، أو يدفع عنه ضرراً ؛ ولهم عادة فى استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة ؛ كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم : ما خُلقتَ إلاّ من نومٍ ، وما خُلِق فلان إلاّ من شر ؛ إذا أرادوا كثرةَ وقوع الشرِّ منه ؛ وربما قالوا : ما أنت إلاّ أكلٌ وشربٌ ، وما أشبه ذلك ، قالت الخنساء تصف بقرة[2] :

تَرْتَعُ ما غفلتْ حتَّى إذا ادَّكَرَتْ ... فإنما هى إقبالٌ وإدْبارُ[3]

وإنما أرادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الإقبال والإدبار منها .

ويشهد لهذا التأويل قــــوله تعالى فى موضع آخر : ﴿ وَكَانَ ٱلإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ ، [الإسراء : ١١] ، ويطابقه أيضا قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ؛ لأنه وصفهم بكثرة العَجَلة وأنَّ من شأنهم فعلَها ، توبيخاً لهم وتقريعاً ، ثم نهاهمْ عن الاستعجال باستدعاء الآيات من

---

(١) حاشية ف (من نسخة) : « ماجر » . (٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « ناقة » .

(٣) ديوانها : ٣٨ ، واللسان (سوا) ؛ وفى ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مارتعت » ؛ وهى رواية الديوان .

حيث كانوا متمكِّنين من مفارقة طريقتهم فى الاستعجال ، وقادرين على التثبُّت والتأيُّد .

وثانيها ما أجاب به أبو عُبيدة وقُطرب بن المستنير وغيرها من أنَّ فى الكلام قَلْباً ، والمعنى: خُلق العَجَل من الإنسان، واستُشهِدَ على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِىَ الْكِبَرُ ﴾؛ [آل عمران : ٤٠]، أى قد بلغتُ الكبرَ ، وبقوله تعالى: ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾؛ [القصص : ٧٦] ، والمعنى : إن العصبة تنوءُ بها، وتقول العرب: عرضتُ الناقة على الحوض، وإنما هو عرضتُ الحوضَ على الناقة، وقولهم: إذا طلعت الشِّعرى استوى العود على الحِرْباء؛ يريدون استوى الحرباء على العود ؛ وبقول الأعشى :

[١٥٦ و] /لَمَحْقوقةٌ أنْ تستجيبى لصَوْتِهِ ... وأنْ تعلمى أنَّ المُعانَ مُوَفَّقُ(١)

يريد أن الموفّق معان .

وبقول الآخر :

على العياراتِ هدَّاجُونَ قد بلغَتْ ... نَجْرانَ ، أو بلغَت سَوْءاتِهم هَجَرُ(٢)

والمعنى: أنَّ السوءاتِ هى التى بلغت هَجر .

وبقول خِداش بن زهير :

ونرْكَبُ خَيلا لا هَوادةَ بيْنها ... وتَشْقَى الرِّماحُ بالضياطِرة الحُمرِ(٣)

---

(١) ديوانه: ١٤٩ ، وفى حاشيتى الأصل، ف: «قبله :

وإن امرأً أهداكِ بينى وبينه ... فيافٍ : تنوفاتٌ ويَهْماءُ خَيفَقُ

لمحقوقة ... البيت؛ يخاطب ناقة أهدينه له ، فيقول لها : أنت محقوقة بأن تستجيبى لصوته . تنوفات : جمع تنوفة ؛ وهى المفازة ، وخيفق ، يخفق فيها الآل » .

(٢) البيت للأخطل ، ديوانه ١٠ ، والهدج : مشى فى ارتعاش .

(٣) جمهرة الأشعار : ١٩٣ ، واللسان (ضطر) . والضياطرة : الضخام الذين لاغناء عندهم ؛ وفى اللسان : « قال ابن سيده : يجوز أن يكون عنى أن الرماح تشقى بهم ؛ أى أنهم لايحسنون حملها ولا الطعن بها ، ويجوز أن يكون على القلب ، أى تشقى الضياطرة الحمر بالرماح ؛ يعنى أنهم يقتلون بها . والهوادة : المصالحة والموادعة » .

يريد تشقى الضّياطرة بالرماح .

وبقول الآخر :

تَمْشِى بهِ عُوذُ النِّعَاجِ كأنَّها عَذارَى مُلوكٍ فى بَياضِ ثيابِ(١)

يريد فى ثيابٍ بيض .

وبقول الآخر :

حَسَرْتُ كَفّى عنِ السِّرْبالِ آخُذُهُ(٢) فَرْداً يَجِزُّ على أيدى المُفيضِينا(٣)

يريد حَسَرْتُ السِّربالَ عن كَفّى .

وبقول ابن أحمر :

وجُرْدٍ طارَ باطِلُها نَسِيلًا وأحدَثَ قَمْؤُها شَعَراً قِصارَا(٤)

أراد طار نَسيلُها باطلا .

وبقول الآخر:

وقَسْوَرَةٍ أكتافُهمْ فى قِسِيِّهِمْ إذَا مامَشَوْا لا يَغْمِزُونَ من النَّسا(٥)

أى قسيّهم فى أكتافهم .

وبقول الآخر :

* وهُنَّ مِن الإخلافِ والوَلَعَانِ(٦) *

أى الإخلاف والولَعان منهن .

---

(١) العوذ : جمع عائذ ؛ وهى الحديثة النتاج ؛ والنعجة هنا : البقرة الوحشية .

(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « آخذة » . (٣) حاشية الأصل : « فردا ، يعنى القدح » . يقال أفاض بالقداح : ضرب بها . والبيت لابن مقبل فى الميسر والقداح ١٤١ . (٤) اللسان (قمأ) . النسيل : ماينسل من شعرها . وقمؤها : سمنها . (٥) القسورة : الرماة من الصيادين والغمز: الظلع .

(٦) البيت فى اللسان (ولع) ، وصدره :

* لخلاّبة العَيْنَيْن كَذّابَةِ المُنَى *

قال فى اللسان : « أى من أهل الخلف والكذب ، وجعلهن من الأخلاف لملازمتهن له » .

ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التغاضى له عن حَمْل كلامه تعالى على القلْب أن يقال له : وما المعنى والفائدة فى قوله تعالى : « خُلِقَ الْعَجَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ » أتريدون(1) بذلك أنَّ الله تعالى خلق فى إنسان العجَلة؟ وهذا لا يجوز؛ لأن العجَلة فعل من أفعال الإنسان، فكيف تكون مخلوقة فيه لغيره ! ولو كان كذلك لما جاز أن ينهاهم عن الاستعجال فى الآية فيقول : ﴿ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ ﴾، لأنه لا ينهاهم عمّا خلقه فيهم .

فإن قالوا : لم يردْ أنه تعالى خلقها ؛ لكنه أراد كثرةَ فعل الإنسان لها ؛ وأنه لا يزال / [١٥٦ ظ] يستعملها .

قيل لهم : هذا هو الجواب الذى قدّمناه من غير حاجة إلى القلب والتقديم والتأخير ؛ وإذا كان هذا المعنى يتمّ وينتظم على ما ذكرناه من غير قلْب فلا حاجة بنا إليه .

وقد ذكر أبو القاسم البلخىّ هذا الجوابَ فى تفسيره، واختاره وقوّاه، وسأل نفسَه عليه فقال : كيف جاز أن يقول : ﴿ فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ، وهو خلق العجلة فيهم! وأجاب بأنه قد أعطاهم قُدْرةً على مغالبة طباعهم وكفِّها ، وقد يكون الإنسان مطبوعاً عليها وهو مع ذلك مأمور بالتثبت ، قادرٌ على أن يجانب العجَلة ، وذلك كخلْقه فى البشر شَهْوة النكاح ، وأمَره فى كثير من الأوقات بالامتناع منه .

وهذا الذى ذكره البلخىّ تصريح بأن المراد بالعَجَل غيره ، وهو الطبع الداعى إليه ، والشهوة المتناولة له، ويجب أيضاً أن يكون المراد بـ «من» هاهنا « فى »؛ لأن شهوة العجَل لا تكون مخلوقةً من الإنسان ، وإنما تكون فيه . وهذا تجوّز على تجوّز ، وتوسّع على توسّع ، لأنْ القلْب أوّلاً مجازٌ ، ثم هو من بَعيد المجاز؛ وذكرُ العَجَل والمراد به غيره مجاز آخر، وإقامة «منْ» مقام «فى» كذلك؛ على أنه تعالى إذا نهاهم عن العجَلة بقوله: ﴿فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ﴾ أىّ معنى لتقديم قوله : إنى خلقت شهوةُ العجَلة فيهم ، أو الطبع الداعى إليها ؛ على ماعبَّر به البلخىّ . وهذا إلى أن يكون عذراً لهم أقربُ منه إلى أن يكون حجة عليهم؛ وأيسر

(1) حاشية الأصل (من نسخة) : « أيريد » .

الأحوالِ ألاَّ يكون عذراً ولا احتجاجاً ، فلا يكون لتقديمه معنى .

وفى الجواب الأول حَسُن تقديم ذلك على طريق الذَّم والتوبيخ والتقريع من غير إضافة له إليه عز وجل ؛ فالجواب الأول أوضح وأصحّ .

وثالثها جوابٌ رِوِى عن الحسن ، قال : يعنى بقوله : ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، أى من ضَعْف ، وهى النُّطفة المَهينة الضَّعيفة ، وهذا قريب إن كان فى اللغة شاهد على أن العَجَل يكون عبارة عن الضَّعْفِ أو معناه .

ورابعها ما حُكى أنَّ أبا الحسن الأخفش أجاب به ، وهو : أن يكون المرادُ أنَّ الإنسان خُلِق من تعجيل من الأمر ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ، [النحل : ٤٠] .

فإن قيل : كيف يُطابِقُ هذا الجواب قولَه من بعد : ﴿ فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ؟

قلنا : يمكن أن يكون وجهُ / المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستَبْطئوها أعلمهم تعالى [١٥٧ و] أنه ممن لا يُعْجِزه شىء إذا أراده ، ولا يمتنع عليه ؛ وأنَّ مَنْ خَلَق الإنسان بلا كلفة ولا مئونةٍ بأن قال له : كُن فكان ، مع ما فيه من بدائع الصنعة ، وعجائب الحكمة التى يَعجِز عنها كلُّ قادر ، ويَحار فيها كل ناظر ، لا يُعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات .

وخامسها ما أجاب به بعضُهم من أن العَجَل الطين ، فكأنه تعالى قال : خُلِقَ الإنسان من طين ، كما قال تعالى فى موضع آخَر : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ؛ [السجدة : ٧] ، واستشهد بقول الشاعر :

والنَّبْعُ يَنبُتُ بينَ الصَّخْرِ ضاحِيةً والنخْلُ يَنبُت بينَ الماء والعَجَلِ (١)

ووجدنا قوماً يطعنون فى هذا الجواب ، ويقولون : ليس بمعروف أن العَجَل هو الطين ، وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أن العَجَل الحَمْأة ، ولم يستشهدْ عليه ، إلاَّ أن

---

(١) البيت فى اللسان (عجل) .

البيت الذى حكيناه يمكن أن يكون شاهداً له ، وقد رواه ثعلب عن ابن الأعرابىّ ، وخالف فى شىء من ألفاظه فرواه :

والنَّبْعُ فى الصَّخْرةِ الصَّمَّاءِ منبتُه والنَّخْلُ يَنْبُتُ بينَ الماءِ والعَجَلِ

وإذا صحَّ هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قـوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ على نحو ما ذكرناه ، وهـو أنَّ مَنْ خَلَق الإنسان ــ مع الحِـكم الظاهرة فيه ــ من الطين ، لا يُعْجِزه إظهارُ مااستعجلوه من الآيات؛ أو يكون المعنى أنه لايجب لمنْ خُلِق من الطين المَهين، وكان أصـلُه هذا الأصل الحقير الضعيف أن يهزأ برسُلِ الله وآياته وشرائعه ؛ لأنه تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا، أَهَذَا الَّذِى يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ ؛ [الأنبياء : ٣٦] .

وسادسها أن يكون المراد بالإنسان آدم عليه السلام، ومعنى ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ أىْ فى سرعة[1] من خَلْقه ، لأنه لم يخلقْه من نُطفْة ، ثم من عَلَقة ، ثم من مُضْغة كما خلق غيره ، وإنما ابتداه الله تعالى ابتداءً ، وأنشأه إنشاءً ، فكأنَّه تعالى نبّه بذلك على الآية العجيبة فى خلْقه له، وأنه عزَّ وجل يرِى عباده من آياته وبيناته أوّلاً أولاً ما تقتضيه مصالحُهم وتستدعيه أحوالهم .

[١٥٧ ظ] / وسابعها ماروى عن مجاهد وغيره أنَّ الله تعالى خلق آدم بعـد خَلق كل شىء آخر، نهار يوم الجمعة على سرعة ، معاجلا به غروب الشمس .

وروى أن آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغَت إلى أعالى جسده، ولم تبلغ أسافله قال : يا رب استعجِل بخلقى قبل غروب الشمس .

وثامنها ما روى عن ابن عباس والسُّدِّىّ أن آدم عليه السلام لما خُلِق وجعلتِ الروح فى أكثر جسده وثَب عجلان مبادرا إلى ثمار الجنة ــ وقال قوم بل همَّ بالوثوب ــ فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ .

(١) حاشية الأصل (من نسخة : « من سرعة » .

وهذه الأجوبة المتأخِّرة مبنية على أنَّ المراد بالإنسان فيها آدم عليه السلام دون غيره .

***

قال سيدنا أدام الله تمكينَه : وإنى لأستحسن لمسكين الدارمىّ قولَه (١) :

رُبَّ أمورٍ قد بَرَيتُ لِحاءَها ... وقوَّمتُ مِنْ أصلابِها ثمَّ زُعتُها (٢)
أقيمُ بدارِ الحربِ (٣) ما لمْ أُهَنْ بها ... فإنْ خِفْتُ مِن دارٍ هواناً ترَكتُها
وأصلِحُ جُلَّ المالِ حتى تَخالَنى (٤) ... شَحيحاً وإنْ حَقٌّ عَرانى أَهَنْتُها
ولستُ بوَلّاجِ البُيوتِ لِفاقةٍ ... ولكِن إذا اسْتغنيتُ عنها وَلَجْتُها
أبيتُ عنِ الإدْلاجِ فى الحَىّ نائماً ... وأرْضٌ بإدْلاجٍ وهَمٍّ (٥) قطعتُها
ألاَ أيُّهـا الجارِى سَنيحاً وبارِحاً ... تُعرِّضُ نَفْساً لو أشاءُ قَتَلْتُها
تُعارِضُ فَخرَ الفاخِرِينَ بعصبةٍ ... ولوْ وُضِعَتْ لى فى إناءٍ أ كلْتُها
وَإنَّ لنا رِبْعيَّةَ المَجْدِ كلَّها ... مَوارِثُ آباءٍ كِرامٍ وَرِثْتُها (٦)
إذَا قَصُرَتْ أيدِى الرِّجالِ عن العُلا ... مَدَدْتُ يدى باعاً عليهم فَنِلْتُها
وداعٍ دَعانى للعُلاَ فأَجبْتُه ... ودَعْوَةِ دَاعٍ فى الصَّديقِ خَذَلتها
ومَكرُمةٍ كانتْ رِعايةَ وَالدِى ... فعلَّمنِيها وَالدِى ففَعَلْتُها (٧)

---

(١) هو ربيعة بن عامر بن أنيف ، ينتهى نسبه إلى مالك بن زيد مناة بن تميم ، شاعر شريف من سادات قومه (وانظر ترجمتــه وأخباره وأشعاره فى الأغانى ١٨ : ٦٨ ــ ٧٢ ، ومعجم الأدباء ١١ : ١٢٦ ــ ١٣٢ ، والشعر والشعراء ٥٢٩ ــ ٥٣٠ ، والخزانة ١ : ٤٦٥ ــ ٤٧٠ ، واللآلئ ١٨٦ــ١٨٧) (٢) ديوان المعانى ١ : ٧٩ . ف ، حاشية الأصل (من نسخة) ، ديوان المعانى: «رشتها» وفى حاشية الأصل (من نسخة أخرى) : « رعتها » . وفى حاشيتى الأصل ، ف : « فى الصحاح : زاع بعيره أى حركه إلى قدام يستزيد سيره ؛ قال ذو الرمة :

وَخَافِقِ الرَّأْسِ فَوْقَ الرَّحْلِ قُلْتُ له ... زُعْ بالزِّمامِ وَجَوْزُ اللَّيْلِ مَرْكُومُ

ومن رواه « زع » ، [بفتح الزاى] فقد أخطأ ؛ لأنه لا يأمره بالكف » .

(٣) د ؛ « الحزن » ، ف ، وديوان المعانى : « الحزم » . (٤) ديوان المعانى : « حسبتنى » .

(٥) هم ؛ أى همة . (٦) حاشية الأصل : « ربعية المجد : أوله وأجوده ؛ كربعية النتاج خيره » ومن نسخة بحاشية الأصل : « مواريث آباء » . (٧) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « فعملتها » .

وعوْراءَ مِن قِيلِ امرِئٍ ذِى قرابةٍ … تَصامَمتُ عنها بعدَ ما قد سَمِعتُها(١)

[١٥٨ و] /رَجاةَ غدٍ(٢) أنْ يَعطِفَ الرِّحْمُ بيْننا … ومَظلَمةٍ منهُ بجَنبِي عرَكْتُها

إذَا ما أُمورُ الناسِ رَثَّتْ وَضُيِّعتْ … وجَدْتُ أُمورِى كلَّها قد رَمَمْتُها(٣)

وإنى سألقَى اللهَ لمْ أرمِ حُرَّةً … ولمْ تتَمنَّى(٤) يومَ سِرٍّ فخُنتَها

ولا قاذِفٌ نفْسى ونفْسى برِيئةٌ … وكيفَ اعتِذارِى بَعدَ ما قد قذَفتُها

***

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال أخبرنا أبو ذرّ القراطيسىّ قال حدثنا عبيد الله بن محمد ابن أبى الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدىّ أنّ رجلا من الأنصار حدثه قال قال مسكين الدّارمىّ :

ولستُ إذا ما سرَّنى الدّهرُ ضاحِكاً … ولا خاشِعاً ما عِشتُ مِن حادِثِ الدّهْرِ(٥)

ولاَ جاعِلاً عِرْضى لمالى وقايةً … ولكنْ أقى عِرْضى فيُحْرِزُهُ وَفْرِى

أَعِفُّ لدَى عُسْرِى وأُبْدِى تجَمُّلاً … ولا خيْرَ فيمَنْ لا يَعِفُّ لدَى العُسْرِ

وإنى لأَستَحْيِي إذَا كنتُ مُعْسِراً … صَدِيقى وإخوانى بأَنْ يَعلموا فقْرِى

وأَقطَعُ إِخوانى وما حالَ عهدُهُمْ … حَياءً وإعراضا، ومابِىَ مِنْ كِبْرِ

فإنْ يَكُ عاراً ما أَتيتُ فرُبما … أَتى المَرءَ يومُ السُّوءِ مِن حيْثُ لايدْرِى

ومَنْ يفتقِرْ يَعْلَمْ مكانَ صَدِيقِهِ … ومَن يحْىَ لا يَعْدَمْ بلاءً مِن الدّهرِ(٦)

ومن مستحسن قوله :

إنْ أُدْعَ مسكيناً فمـا قصرَتْ … قِدْرِى بُيوتُ الحَىِّ والجُدُرُ

---

(١) العوراء هنا : الكلمة القبيحة . (٢) د ، ف ، وحاشية الأصل ، وديوان المعانى : « رجاء غد » . (٣) رممتها : أصلحتها . (٤) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « لم تأتمنى » .

(٥) أبيات منها فى معجم الأدباء ١١ : ١٢٩ ، واللآلى : ١٨٦ ، وكنايات الجرجانى : ١٠ ، ٥٧

(٦) حاشية الأصل : (من نسخة) : « ومن يغن » .

وقيل : إن مسكينا ليس باسمه ، وإنما اسمه ربيعة ، وإنما سمِّى بذلك لقوله :

وسُمِّيتُ مِسكيناً وكانت لَجاجـةً   وإنى لِمسكينٌ إلى اللهِ راغِبُ (١)

ــ ومعنى : قصرت قدرى ، أى: سُتِرَتْ ، يريد أنها بارزة لا تحجبها السواتر والحيطان ــ

ما مَسَّ رَحْلِى العَنْكَبوتُ ولاَ   جَدَياتُهُ مِنْ وَضْعِهِ غُبُرُ

وهذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهَجْر الوطن ، لأن العنكبوت إنما تنسج على مالا تناله / الأيدى ولا يكثر استعماله ، والجَديات : جمع جَدْيَة ، وهى باطن دَفَّة الرحل . [١٥٨ ظ]

لا آخُذُ الصِّبيانَ أَلْثِمهمْ   والأَمْرُ قد يُغرِى (٢) بهِ الأَمْرُ

ــ يقول : لا أقبِّل الصبىَّ ؛ وأنا أريد التعريض بأمه .

ومثله لغيره :

ولاَ أُلْقِى لذِى الوَدَعاتِ سَوْطى (٣)   أُلاعبــهُ (٤) وَرِيبتَهُ (٥) أُريدُ

وأنشد ابن الأعرابى مثله :

إِذَا رَأيتَ صَبِىَّ القوْمِ يَلْثَمهُ   ضَخْمُ المَناكِبِ لا عَمٌّ ولاَ خالُ

فاحْفَظْ صَبِيَّكَ مِنهُ أَنْ يُدَنِّسَهُ   ولاَ يَغُرَّنْكَ يوْماً قلَّةُ المالِ (٦)

ــ رجع إلى تمام القصيدة ــ

ولَرُبَّ يوْمٍ قدْ ترَكْتُ وما   بَينى وبينَ لِقائهِ سِتْرُ

ومُخَاصِمٍ (٧) قاوَمتُ فى كَبَدٍ   مِثْلِ الدِّهانِ فكانَ لى العُذْرُ (٨)

---

(١) الشعر والشعراء : ٥٢٩ . (٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « يعزى » .

(٣) م : « صوتى » . (٤) د : « لألثمه » ، ومن نسخة بحاشية ف : « لألهيه » .

(٥) د ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « وربته » ، أى أمه التى تربه . والودعات : الخرزات . (٦) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « كثرة المال » .

(٧) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « ومقادم » . (٨) فى حاشيتى الأصل ، ف : « إنما يكون العذر إذا كان ثم ظلم ، فيقول : إنما أقاوم وأخاصم مظلوماً متعدى عليه ، وإذا كان كذلك ، فيجب الاعتذار على الظالم ؛ ويكون العذر لى ، كقوله :

فإن كانَ سِحْرًا فاعذِرِينى على الْهَوَى   وإن كان داءً غيره فلك العذرُ

ـ ويروى : « القَمَر » ، والكَبَد : المنزلة التي لا تثبت فيها الأرجل ، والدهان الأديم الأحمر ـ

ماعِلّتى(١)!قومى بنو عُدُسٍ وهمُ المُلُوكُ وخالِقَ البَشَرْ(٢)
عَمِّى زُرارَةُ غيرَ مُنتحِلٍ وأبى الذى حُدِّثتهُ عمرُو
فى المَجْدِ غُرَّتُنا مبينةٌ لِلنَّاظِرِينَ كأنَّها البَدْرُ
لا يَرْهَبُ الجيرانُ غَدْرَتَنا حتَّى يُوارِيَ ذِكرنا القَبْرُ
لَسْنا كأقوامٍ إذا كَلَحَتْ إحدَى السِّنينَ فجارُهُمْ تَمْرُ

ـ أى يستحلى الغدر به كما يُسْتَحْلَى التمر ـ

موْلاهُمُ لَحْمٌ على وَضَمٍ تَنْتابُهُ العِقبانُ والنَّسرُ
نارِي ونارُ الجارِ واحِدَةٌ وَاليهِ قَبْلِى تُنْزَلُ القِدْرُ

[١٥٩] و يقال: إنه كان له امرأة تماظّه ، فلما قال ذلك قالت له : أجل؛ إنما ناره ونارك واحدة، لأنه أوقد ولم توقد ، والقِدْر تنزل إليه قبلك ؛ لأنه طبخ ولم تطبخ ، وأنت تستطعمه .

ما ضَرَّ جارِيَ إذْ أُجاوِرُهُ أَنْ لا يكونَ لِبَيْتِه سِترُ

ـ قال : ويقال إنها قالت له فى هذا البيت أيضا: أَجَل إن كان له سِتْرٌ هتكْتَهُ ـ

أَعمَى إِذَا ما جارَتى خَرَجتْ حتّى يُوارِيَ جارَتى الخِدْرُ
ويَصَمُّ عمّا كان بيْنَهُما سَمْعى وما بى غَيْرَهُ وَقْرُ

وأنشد عمر بن شبّة لمسكين أيضاً :

لا تجعلَنّى كأقْوامٍ عَلِمتَهُمُ(٣) لم يَظلِموا لَبَّةً يوْماً ولاَ وَدَجا(٤)

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ماعابنى » . (٢) من نسخة فى حاشيتى الأصل ، ف : « هو مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ؛ فهذا عدس وعدس أبو زرارة ، مثل قثم ؛ وقال ابن دريد : يقال عدس وعدس » ، بضم الدال وفتحها .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « لاتجعلينى كأقوام علمتهم » .

(٤) حاشية الأصل : « أى لم ينحروا للأضياف فيطعنوا فى لبة أو ودج » .

إنى لأَغلاهُمُ باللَّحْمِ قدْ عَلِموا ... نِيئًا، وأرْخَصُهُم باللَّحْم إذْ نَضِجا
أنا ابنُ قاتِلِ جوعِ القَومِ قد عَلِموا ... إذَا السَّماءُ كَسَتْ آفاقها رَهَجا(١)
يارُبَّ أمرَينِ قد فَرَّجْتُ بيْنهما ... إذَا هما نَشبا فى الصَّدر واعْتَلَجا(٢)
أُدِيمُ خُلْقى لمَنْ دامَتْ خَليقَتُه ... وأمزُجُ الحلْوَ أحيانًا لمَنْ مَزَجا
وأقطَعُ الخَرْقَ بالخَرْقاءِ لاهيةً ... إذَا الكواكِبُ كانتْ فى الدُّجى سُرُجا(٣)
ما أنزَلَ اللهُ من أمرٍ فأكرهُهُ ... إلاَّ سيَجعَلُ لى مِن بعدِه فرَجا
ما مدَّ قومٌ بأيدِيهمْ إلى شَرَفٍ ... إلاَّ رَأَوْنا قِياماً فوْقَهم دَرَجا

وأنشد أبو العباس ثعلب له :

أُضاحِكُ ضيفى قَبلَ إنزالِ رَحْلِه ... ولم يُلْهِنى عَنهُ غزالٌ مُقَنَّعُ
أُحدِّثُهُ إن الحديثَ من القِرَى ... وتَعْلَمُ نَفسِى أنه سَوفَ يَهْجَعُ

ومثله لغيره :

أُضاحِكُ ضَيفى قبلَ إنزَالِ رَحْلِهِ ... ويُخصبُ عِندى والمكانُ جَدِيبُ
وما الخِصْبُ للأَضيافِ أنْ يَكْثُرَ القِرَى ... ولكنَّما وَجْهُ الكَريمِ خَصِيبُ

ومعنى:

* أُحدِّثُهُ إنَّ الحديثُ من القرى *

أى أصبر على حديثه، وأعلم أنه سوف ينام، ولا أعرِّض بمحادثته / فأكون قد محقت [١٥٩ ظ]
قِراىَ ؛ والحديثُ الحسَن من تمام القِرى .

وقال الأصمعىّ : أحسنُ ما قيل فى الغَيْرة قول مسكين الدارمىّ :

ألا أيُّها الغائرُ المُستَشيطُ ... علامَ تَغارُ إذَا لمْ تُغَرْ

---

(١) الرهج : الغبار . (٢) اعتلج . اضطرب .

(٣) الخرق : المفازة الواسعة ، والخرقاء : الناقة السريعة .

فما خَيْرُ عِرْسٍ إذَا خِفْتَها ... وما خيرُ بيتٍ إذا لم يُزَرْ(١)
تَغارُ على النَّاسِ أنْ يَنْظرُوا ... وهَل يَفتِنُ الصَّالحاتِ النَّظَرْ
فإنى سأُخْلى لها بيتَها ... فتحفظُ لى نفسَها أو تَذَرْ
إذَا اللهُ لم يُعطِهِ وُدَّها ... فلن يُعطىَ الوُدَّ سوطٌ مُمَرّْ
ومَنْ ذا يُرَاعى له عِرْسَهُ ... إذا ضمّهُ والمطِىَّ السَّفَرْ!

قال المرتضى رضى الله عنه: وكان مسكين كثير اللَّهج بالقول فى هذا المعنى، فمن ذلك قوله:

وإنى امرُؤٌ لا آلَفُ البيتَ قاعداً ... إلى جَنْبِ عِرْسِى لا أُفَرِّطُها شِبرَا
ولا مقسِمٌ لا أبرَحُ الدَّهرَ بيتَها ... لأَجْعلَهُ قبلَ المماتِ لها قبْرا
إذَا هىَ لم تُحْصِنْ أمامَ فنائها ... فليسَ بمُنْجِيها بِنائى لها قَصْرا
ولا حاملى ظَنّى ولا قِيلُ قائلٍ(٢) ... على غيرة حتّى أُحيطَ بها خُبْرا
فهَبْنى امرأً راعيْتُ ما دُمتُ شاهِداً ... فكيفَ إذا ما سِرْتُ مِن بيْتِها شهْرا

وأنشد أبو العبّاس(٣) عن أبى العالية لمسكين:

ما أحسَنَ الغَيرَةَ فى حينِها ... وأقبحَ الغَيرةَ فى كلِّ حِينْ(٤)
مَن لمْ يَزَلْ مُتَّهِماً عِرْسَهُ ... مُناصِباً فيها لوَهْمِ الظُّنون
يُوشِكُ أنْ يغرِيَها بالذى ... يَخافُ، أو يَنصبَها لِلعُيون
حَسْبُكَ مِن تَحْصينِها ضمُّها ... منكَ إلى خُلُقٍ كريمٍ ودِين
لا تَظهَرَنْ مِنكَ على عوْرَةٍ ... فيَتْبعَ المَقْرُونُ حَبْلَ القَرِين(٥)

---

(١) حاشية الأصل : « للسؤال » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « وإن قال قائل »
(٣) ف : « أبو العيناء » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « غير حين » .
(٥) حاشية الأصل : « أى إياك أن تطلع المرأة منك على زنا وريبة ؛ فإنها أيضا تزنى أو تفعل كما فعلت »

مجلس آخر ٣٦

تأويل آية

/إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ ؛ [يوسف : ٢٤] . [١٦٠ و]

فقال : هل يسوغُ ما تأوّل بعضُهم هذه الآية عليه من أن يوسفَ عليه السلام عزَم على المعصية وأرادَها ، وأنه جلَس مجلِس الرجل من المرأة ، ثم انصرف عن ذلك بأن رأى صورةَ أبيه يعقوب عليه السلام عاضًّا على إصبَعه ، متوعّداً له على مواقعة المعصية ، أو بأن نُودِي له بالنهى والزّجر فى الحال على ما ورد به الحديث ؟

الجواب ، قلنا : إذا ثبت بأدلّة العقول التى لا يدْخلها الاحتمالُ والمجاز ووجوه التأويلات أنَّ المعاصِيَ لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام صرفْنا كل ما ورد ظاهرُه بخلاف ذلك من كتابٍ أو سنة إلى ما يطابق الأدلة ويوافقها ، كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهرُه مخالفاً لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى ، وما يجوز عليه أو لا يجوز .

ولهذه الآية وجوه من التأويل؛ كلٌّ واحدٍ منها يقتضى نزاهة نبى الله تعالى من العزْم على الفاحشة وإرادة المعصية .

أوّلها أنَّ الهمَّ فى ظاهر الآية متعلّق بما لا يصح أن يعلّق به العزم أو الإرادة على الحقيقة؛ لأنه تعالى قال : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ ، فعلّق الهمّ بهما، وذاتاهما لا يجوز أن يُراد أو يعزَم عليهما ؛ لأنّ الموجود الباقىَ لا يصحّ ذلك فيه ، فلابدّ من تقدير محذوفٍ يتعلّق العزم به ؛ وقد يمكن أن يكون ما تعلّق به همُّه إنما هو ضربُها أو دفعُها عن نفسه ، كما

يقول القائل : كنت هممت بفلان ، وقد همَّ فلان بفلان ؛ أى بأن يوقع به ضرباً أو مكروها .

فإن قيل : فأىُّ معنًى لقوله تعالى : ﴿ لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ والدفعُ لها عن نفسه طاعةٌ لايصرِفُ البرهانُ عنها ؟

قلنا : يمكن أن يكونَ الوجه فى ذلك أنه لما همَّ بدفعها وضربها أراه الله برهاناً على أنه إن أقدم على ما همَّ به أهلكه أهلها وقتلوه ، أو أنها تدَّعى عليه المراودة على القبيح وتقذِفه بأنه دعاها إليه، وأنَّ ضَرْبَه [illegible] لامتناعها ، فيظنُّ به ذلك مَن لا تأمُّل له ، ولا علم بأنَّ [١٦٠] مثله لا يجوز عليه ، فأخبر الله تعالى بأنه صَرَف بالبرهان عنه السوءَ والفحشاء ، ويعنى بذلك القتل والمكروه اللَّذَين كانا يوقمان به ، لأنهما يستحقان الوصفَ بذلك من حيث القبح، أو يُعنى بالسوء والفحشاء ظنُّهم به ذلك .

فإن قيل : هذا الجواب يقتضى أنّ جواب ﴿ لَوْلاَ ﴾ يتقدَّمها ، ويكون التقدير: لولا أنْ رأى برهان ربِّه لهمَّ بضربها ودفعها، وتقدُّم جوابِ ﴿ لَوْلَا ﴾ قبيح غير مستعْمل، أو يقتضى أن تكون ﴿ لَوْلَا ﴾ بغير جواب .

قلنا : أما تقدّم جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ فجائز ، وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك ، غير أنَّا لا نحتاج إليه فى هذا الجواب ، لأنَّ الْهَمَّ بالضرب قد وقع ، إلا أنه انصرف عنه بالبرهان ؛ والتقدير: ولقد همت به وهمّ بدفعها لولا أن رأى برهان ربه لَفعل ذلك، فالجواب فى الحقيقة محذوف ، والكلام يقتضيه، كما حذف الجواب فى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُه وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ؛[النور : ٢٠] ، معناه : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم ، ومثله : ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ ؛ التكاثر : ٥ ، ٦] ، معناه : لو تعلمون علمَ اليقين لم تتنافسوا فى الدنيا ، وتفاخروا بها ؛ وقال أمرؤ القيس:

فَلَوْ أَنَّها نفسٌ تموتُ سَوِيَّةً وَلـكِنها نفسٌ تَسَاقَطُ أنفُسا(١)

أراد : فلو أنَّها نفسٌ تموت سويَّةً لانقضَتْ وفنيت ، فحذف الجواب؛ على أنَّ مَن تأوّل هذه الآية على الوجه الذى لا يليق بنبيّ الله تعالى ، وأضاف العزم على المعصية إليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ، ويكون التقدير عنده : ولقد همّت بالزِّنا وهمّ به ؛ لولا أنْ رأى برهان ربه لَفعله .

فإن قيل قوله: ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ كقوله : ﴿ هَمَّتْ بِهِ ﴾ فلمَ جعلتم همَّها به متعلِّقا بالقبيح وهمَّه بها متعلقاً بما ذكرتم من الضرب وغيره ؟

قلنا : أما الظاهر فلا يدلُّ على ما تعلق به الهم والعزم فيهما جميعا ، وإنما أثبتناهمَّها به متعلّقا بالقبيح ، لشهادة الكتاب والآثار؛ وهى ممن يجوز عليه فِعْل القبيح ، ولم يُؤْمَن دليلٌ من امتناعه عليها؛ كما أمن ذلك فيه عليه السلام .

والموضع الذى يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ / الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ، [١٦١ و] [يوسف : ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [يوسف: ٢٣]، وقوله تعالى : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ(٢) وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [يوسف : ٥١] ، وفى موضع آخر : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف : ٣٢] .

---

(١) ديوانه : ١٤٠ ، وروايته: « تموت جميعة » . وفى حاشية الأصل : « ويروى : « تساقط » [بضم التاء] ، وساقط بوزن فاعل متعد ؛ ويكون « أنفسا » مفعولا ؛ وإذا روى : « تساقط » [بفتح التاء] جاز أن يكون « تفاعل » متعديا ؛ والمعنى : أسقط . ويجوز أن يكون غير متعد أيضا ؛ و « أنفسا » نصبت على الحال ، كقوله تعالى : ﴿ تَسَاقَطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ ، أى تساقط عليك ثمر النخلة رطبا، وقال الفراء : هو تمييز ، وكلاهما حسن . ويجوز إذا كان حالا أن يفيد كثرة الرطب على الجذع فكأنها إذا تساقطت رطبا » .

(٢) حاشية الأصل: « معنى ﴿ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ؛ أى طلبت منه أن ينزل عن نفسه فيسلمها منى؛ هذا هو حقيقة هذه الكلمة ؛ فاختصر » .

والآثار واردةٌ بإطباق مفسّري القرآن ومتأوّليه على أنها همت بالفاحشة والمعصية .

والوجه الثانى فى تأويل الآية أن يُحمل الكلام على التقديم والتأخير ، ويكون تلخيصه: ولقد همت به ، ولولا أنْ رأى برهان ربه لَهَمَّ بها ؛ ويجرى ذلك مَجرى قولهم : قد كنتَ هَلَكْتَ لولا أنى تداركتك ، وقُتِلت لولا أنى خلّصْتُك ، والمعنى : لولا تداركى لهلكت ، ولولا تخليصى لقتِلْت ، وإن لم يكن وقع هلاك ولا قتل ؛ قال الشاعر :

فلاَ يَدْعُنِى قَوْمِى صَرِيحا لِحُرَّةٍ لئِن كُنتُ مَقْتولاً ، ويَسلَمَ عامِرُ[(١)]

وقال آخر :

فلاَ يَدْعُنِى قَوْمِى صَرِيحاً لِحرة لئنْ لم أُعَجِّل طَعْنَةً أو أعجَّل[(٢)]

فقدم جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ فى البيتين جميعاً ، وقد استشهد عليه أيضا بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ﴾ ، والهمّ لم يقع لمكان فضل الله ورحمته .

ومما يشهد لهذا التأويل أنَّ فى الكلام شرطا ، وهو قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ؛ فكيف يحمَل على الإطلاق ، مع حصول الشرط ؟ وليس لهم أن يجعلوا جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ محذوفا مقدّراً لأن جعل جوابها موجودا أولَى.

وقد استبعد قوم تقديم جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ عليها ، قالوا : ولو جاز ذلك لجاز : « قام زيدٌ لولا عمرو » ، و« قصدتك لولا بكرٌ » وقد بيّنّا بما أوردناه من الأمثلة والشواهد جوازَ تقديم جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ ، والذى ذكروه لا يشبه ما أجزناه .

وقد يجوز أن يقول القائل : «قد كان زيدقام لولا كذا وكذا» ، و«قد كنت قصدتك لولا
[١٦١ ط] أنْ صدّنى فلان» ، وإن لم يقع قيامٌ ولا قصد ؛ وهذا/ هو الذى يُشْبه الآية ؛ وليس تقديمُ

(١) صريحا : خالص النسب . (٢) م :

فلا يَدْعُنِى قَوْمِى ليوم كريهةٍ لَئِنْ لم أُعجِّلْ ضربة أو أعجل

وفى حاشية الأصل : « فى نسخة س البيت الثانى مقدم على الأول » .

جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ بأبْعَدَ من حذف جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ جُملةً من الكلام . وإذا جاز عندهم الحذف – لئلا يلزمهم تقديمُ الجواب – جاز لغيرهم تقديمُ الجواب حتى لا يلزم الحذف .

والجواب الثالث ما اختاره أبو علىّ الجبّائىّ – وإن كان غيرُه قد تقدمه إلى معناه – وهو أن يكون معنى ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ اشتهاها، ومال طبعُه إلى مادعته إليه. وقد يجوز أن تسمَّى الشهوة فى مجاز اللغة همًّا ؛ كما يقول القائل فيما لا يشتهيه: ليس هذا من همِّى، وهذا أهمُّ الأشياء إلىّ ؛ ولا قبيحَ فى الشهوة لأنها من فعل الله تعالى فيه ؛ وإنما يتعلق القُبحُ بتناول المشتهَى .

وقد رُوِى هذا التأويل عن الحسن البصرىّ قال: أما همُّها فكان أخبثَ الهم، وأما همُّه فما طُبِع عليه الرجال من شهوة النساء، ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ، متعلق بمحذوف ؛ كأنه قال : لولا أن رأى برهان ربه لَعزم أو فَعَل .

والجواب الرابع، أنَّ من عادة العرب أن يسمُّوا الشىء باسم مايقع عنده فى الأكثر، وعلى هذا لا يُنكَر أن يكون المراد بـ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ خطرَ بباله أمرُها[1]، ووسوس إليه الشيطان بالدعاء إليها ؛ من غير أن يكون هناك همٌّ أو عزمٌ ، فسمِّى الخُطور بالبال همًّا من حيث كان الهمُّ يقع فى الأكثر عنده ، والعزم فى الأغلب يتبعه .

وإنما أنكرنا ماادّعاه جَهلةُ المفسرين ومُخرِّفو القُصّاص ، وقرَفوا به نبىّ الله عليه السلام، لما فى العقول من الأدلة على أن مثل ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام؛ من حيث كان منفِّراً عنهم، وقادحاً فى الغرَض المجرَى إليه بإرسالهم؛ والقصَّة تشهد بذلك؛ لأنه تعالى قال: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾؛ ومن أكبر السوء والفحشاء العزمُ على الزنا ، ثم الأخذ فيه، والشروع فى مقدماته؛ وقوله تعالى أيضا: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ يقتضى تنزيهه

(١) س : « ماأخطر بباله أمرها » .

عن الهمِّ بالزِّنا ، والعزم عليه . وحكايتُه عن النسوة قولهن : ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ ؛ [يوسف : ٥١] ، تدل أيضا على براءته من القبيح .

فأما البرهان الذى رآه فيحتمل أن يكون لُطْفاً لَطَفَ الله له به فى تلك الحال أو قبلها ، اختار عنده الانصرافَ عن المعاصى ، والتنزه عنها .

[١٦٢] و ويحتمل أيضا /ما ذكره أبو علىّ ، وهو أن يكون البرهان دلالةَ الله تعالى له على تحريم ذلك عليه، وعلى أنَّ مَن فعله يستحق العقاب . وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنَّه الجهَّال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعِّداً له، أو النداء له بالزجْر والتخويف ، لأنَّ ذلك يُنافى المحنة، وينقضُ الغرض بالتكليف ، ويقتضى ألاَّ يستحق على امتناعه وانزجارِه مدحاً ولا ثواباً ؛ وهذا سوءُ ثناء على الأنبياء، وإقدامٌ على قَرْفهم بما لم يكن منهم، ونَحْمد الله على حسن التوفيق .

* * *

روى أحمد بن عبد الله بن العباس الصولىّ الملقب بطماسٍ قال : كنت يوماً عند عمِّى إبراهيم بن العباس[1] ، فدخل عليه رجل فرفعه حتى جلس إلى جانبه ، أو قريبا من ذلك، ثم حادثه إلى أن قال عمى : ياأبا تمام؛ ومَن بقى ممن يُعتصم به ويلجأ إليه؟ قال: أنت لاعُدِمْت – وكان إبراهيم طويلا – أنت والله كما قيل :

يَمُدُّ نِجادَ السَّيفِ حتَّى كأنَّهُ ... بأَعْلَى سَنامَىْ فالجٍ يَتطوَّحُ
ويُدْلِجُ فى حاجاتِ مَنْ هوَ نائمٌ ... ويُورِى كَرِيماتِ النَّدَى حين يَقْدَحُ
إِذَا اعتَمَّ بالبُرْدِ اليمانىّ خِلْتَهُ ... هلالاً بدَا فى جانِبِ الأفْقِ يَلمَحُ
يَزِيد على فَضْلِ الرِّجالِ فَضيلةً ... ويَقصُرُ عنهُ مَدْحُ مَن يَتمدَّحُ

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، شاعر مجيد ؛ توفى سنة ٢٤٣ ، وله ديوان شعر، نشره الأستاذ عبد العزيز الميمنى؛ ضمن مجموعة الطرائف سنة ١٩٣٧م. (وانظر ترجمته فى الأغانى ٩ : ٢٠٩ – ٣٣ ، وابن خلكان ١ : ٩ – ١١ ، ومعجم الأدباء ، ١ : ١٦٤ – ١٩٨ ، وتاريخ بغداد ٦ : ١١٧).

فقال له إبراهيم: أنت تحسِن قائلا، وراوياً، ومتمثلا؛ فلماخرج تبعتُه وقلت له: أكتِبْنى الأبيات ، فقال : هى لأبى الجويرِيَة العبدىّ(١) نخذها من شعره .

* * *

وروى عن يحيى بن البحترىّ قال : رأيت أبى يُذاكر جماعة من أمراء أهل الشام بمعانٍ من الشعر ، فمرّ فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه، فأنشدوا إنشاداتٍ كثيرة، فقال لهم أبى : قد فَرَغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال :

أحسِبُ النومَ حَكاكا إذْ رَأَى منكَ جفاَ كا(٢)
منّىَ الصَّبرُ ومنكَ الْـ ـهَجْرُ فابلُغْ بى مَدَا كا
بَعُدَتْ همَّةُ عَيْنٍ طَمِعَتْ فى أنْ ترَا كا
أوَ ما حُظَّ لِعيْنى أنْ ترَى مَن قد رَآ كا
ليتَ حَظّى منْكَ أنْ تعـ ـلَمَ ما بى مِن هَوا كا

قال أبى: /إنه تَصرَّفَ فى معانٍ من الشعر فى هذه الأبيات ، قال: وكتبها عنه جماعة مَنْ [١٥٨ ظ] حضر؛ والأبيات لإبراهيم بن العباس الصولىّ .

* * *

وأخبرنا علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولىّ قال: لما بايع المأمون لعلىّ ابن موسى الرّضا عليهما السلام بالعهْد، وأمرَ الناس بلبس الخُضرة صار إليه دِعْبل(٣) بن على

(١) اسمه عيسى بن أوس بن عصبة ؛ أبو جويرية العبدى ؛ شاعر محسن متمكن ؛ ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف: ٧٩ ، والمرزبانى فى المعجم : ٢٥٨ .

(٢) ديوان إبراهيم بن العباس : ١٤٨ .

(٣) هو دعبل بن على الخزاعى ، شاعر مطبوع ؛ كان هجاء خبيث اللسان ؛ ولم يسلم من لسانه أحد ممن عاصره من الخلفاء والوزراء ولا من أولادهم وأولاد أولادهم ؛ ولا ذو نباهة ؛ أحسن إليه أو لم يحسن ، وكان من مشاهير الشيعة ؛ قال ياقوت « وقصيدته التائية فى أهل البيت من أحسن الشعر وأسنى المدائح ، قصدبها على بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وخلع عليه بردة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قمّ ثلاثين ألف درهم فلم يبعها ؛ فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها فقال لهم : إنها ترادلله =

وإبراهيم بن العباس الصولى ـ وكانا صديقين لا يفترقان ، فأنشده دِعبل :

مَدارِسُ آياتٍ خَلَتْ مِن تلاوةٍ ومَنْزِلُ وَحىٍ مُقْفِرُ العَرَصاتِ (١)

وأنشده إبراهيم بن العباس على مذهبها قصيدة ، أولها :

أزالتْ عَزَاءَ القَلْبِ بعدَ التَّجلُّدِ مَصارِعُ أوْلادِ النَّبىِّ مُحمَّدِ

قال: فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التى عليها اسمه، وكان المأمون أمر بضربها فى ذلك الوقت؛ فأما دعبل بن على فصار بالشَّطْر منها إلى قُم، فاشترى أهلُها منه كلَّ درهم بعشرة، فباع حصته بمائة ألف درهم .

= عزوجل؛ وهى محرمة عليكم ؛ فدفعوا له ثلاثين ألف درهم ، فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون فى كفنه ، فأعطوه كما واحدا ؛ فكان فى أكفانه ؛ ويقال : إنه كتب القصيدة فى ثوب وأحرم فيه ؛ وأوصى بأن يكون فى أكفانه ، ونسخ هذه القصيدة مختلفة ، فى بعضها زيادات ؛ يظن أنها مصنوعة » ، وتوفى دعبل سنة ٢٤٦ .

(وانظر ترجمته فى معجم الأدباء ١١ : ١٩ : ١١٢ ، وابن خلكان ١ : ١٧٩ ـ ١٨٠ ، والأغانى ١٨ : ٢٩ ـ ٣٢ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٣٨٢) .

(١) القصيدة فى معجم الأدباء ، وتنوير الأبصار : ١٤١ ، ١٤٢ ؛ ومطلعها فيه :

ذكرتُ محلّ الرَّبْعِ من عرَفاتِ وأجريتُ دمع الْعَيْن بالعبراتِ
وفلّ عُرَى صَبْرِى وهاجت صَبَابتى رسومُ ديارٍ أقفرت وعِرَاتِ
مَدارِسُ آيات . . . . . .

وفيها يقول:

ألم ترَ أنى من ثلاثين حجةً أروحُ وأغدو دائمَ الحسراتِ
أرى فيئَهُمْ فى غيرِهمْ متقسَّماً وأيديهم من فيئِهمْ صَفِرَاتِ
فآلُ رسولِ اللهِ نُحْفٌ جسومُهُمْ وآلُ زيادٍ حُفَّلُ القَصَراتِ
بناتُ زيادٍ فى القصورِ مصونةٌ وآلُ رسولِ اللهِ فى الفَلَواتِ
إذا وُتِرُوا مدُّوا إلى أهلِ وِترِهمْ أكفًّا عن الأوتار منقبضاتِ
فلولا الذى أرجوه فى اليوم أو غدٍ لقُطِّعَ قَلبى إثْرَهم حسراتِ

وأما إبراهيم بن العباس فلم يَزَل عنده بعضُها حتى مات؛ قال الصولىّ: ولم أقف من قصيدة إبراهيم على غير هذا البيت .

قال: وكان السبب فى ذهاب هذا الفن من شعره ما حدّثنى به أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات والحسين بن علىّ الباقُطانىّ(١) قالا: كان إبراهيم بن العباس صديقاً لإسحاق بن إبراهيم أخى زيدان الكاتب المعروف بالزَّمِن، فأنسخه شعرَه فى علىّ بن موسى الرِّضا عليهما السلام، وقد انصرف من خُراسان ، ودفع إليه شيئاً بخطِّه منه ، وكانت النُّسخة عنده إلى أن وَلِى المتوكل، ووَلِى إبراهيم بن العباس ديوان الضِّياع ، وقد كان تباعد ما بينه وبين أخى زيدان، فعزله عن ضياع كانت فى يده بحُلوان وغيرها وطالَبه بمالٍ وألَحَّ عليه، وأساء مطالَبته، فدعا إسحاقُ بعضَ مَن يثق به من إخوانه، وقال له: امض إلى إبراهيم بن العباس ، فأعلِمْه أنَّ شعره فى علىّ بن موسى بخطِّه عندى، وبغير خطِّه، والله لئن استمرّ على ظُلْمى(٢)، ولم يُزِل عنِّى المطالبة لأوصلنَّ الشعر إلى المتوكل ؛ قال : فصار الرجل إلى إبراهيم بن العباس ، فأخبره بذلك ، فاضطرب اضطراباً شديداً، وجعل الأمر / فى ذلك إلى الواسطة فى ذلك حتى أسقطَ جميع ما كان طالبه به، وأخذ [١٦٣ و] الشعر منه ، وأحلفه أنه لم يَبق عنده منه شىء، فلما حَصَل عنده أحرقه بحضرته .

وذكر أبو أحمد يحيى بن علىّ المنجم أنَّ أباه علىّ بن يحيى كان الواسطة بينهما .

قال الصولىّ: وما عرفتُ من شعر إبراهيم فى هذا المعنى شيئا إلاَّ أبياتاً؛ وجدتها بخط أبى قال : أنشدنى أخى لعمه فى علىّ بن موسى من قصيدة :

كفى بفَعَالِ امرئٍ عالِمٍ ... على أهلِه عادِلاً شاهِدا(٣)
أرَى لهمُ طارِفاً مُونِقاً ... ولا يُشبهُ الطَّارِفُ التالِدا
يُمَنُّ عليكم بأموالكم ... وتُعْطَوْنَ من مائةٍ واحدا

(١) حاشية الأصل : الباقطان : قرية بالعراق ، والنسبة إليها باقطانى ؛ وثم أيضا قرية يقال لها باقطينا ؛ والنسبة إليها باقطينى .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ظلمه » .

(٣) ديوانه : ١٧٢ ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « على قومه عادلا » .

فلا حَمِدَ اللهُ مستنصِراً[١] يكونُ لأعدائِكُم حامدا
فضَلْتَ قَسِيمَكَ فى قُعدُدٍ[٢] كما فضَلَ الوالدُ الوالدا

قال الصولىّ : فنظرت فى قوله :

* فضلْتَ قسيمَك فى قُعْدُدٍ *

فوجدت علىّ بن موسى عليهما السلام والمأمون متساويين فى قُعْدُد النسب، وهاشم التاسع من آبائهما جميعاً .

وروى الصولىّ أنّ منشداً أنشد إبراهيم بن العباس وهو فى مجلسه فى ديوان الضّياع :

ربّما تكرهُ النفوسُ من الأمـ ـرِ له فَرْجَةٌ كحلّ العقالِ[٣]

قال : فنكت بقلمه ساعة ثم قال :

ولَربّ نازلةٍ يَضِيقُ بها الفتَى ذَرْعاً وعندَ اللهِ منها مخرجُ[٤]
كملَتْ فلما استحكمت حلقَاتُها فُرِجتْ وكانَ يظنُّها لا تُفرَجُ

فعجب من جودة بديهته .

وأخبرنا أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنى القاسم بن إسمعيل أبو ذكْوان الراوية قال : كنت بالأهواز أيام الواثق، وإبراهيم بن العباس يَلِى معونتَها وخراجها ، فوصِفْتُ له بالأدب فأمر بإحضارى ، فلما دخلت عليه قرّب مجلسى وقال : تَسَلَّفْ[٥] أُنْسَ المطاولة؛ فإن الاستمتاع لا يَتِمُّ إلاّ به، فانبسطت وتساءلنا / عن الأشعار، [١٦٣ ظ] فما رأيت أحداقطّ أعلم بالشعر منه، فقال لى : ما عندك فى قول النابغة :

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : * فَلَا حَمِدَ اللهَ مُسْتَبْصِرٌ *

(٢) حاشية الأصل : « فى قعدد » تتعلق بقسيمك ، والقعدد : الأقرب إلى الأب الأكبر ، وفلان أقعد من فلان نسباً إذا كان أقرب إلى الأب الأكبر .

(٣) البيت لأمية بن أبى الصلت ؛ وهو فى شعراء النصرانية : ٢٠٣، واللسان (فرج) . والفرجة ؛ بالفتح مصدر ؛ وبالضم اسم ، والرواية بالفتح .

(٤) ديوانه : ١٧١ .

(٥) حاشية الأصل : تسلف ؛ أى خذه سلفا ؛ يعنى أنك ستنبسط إلىّ بعد المطاولة ؛ فخذ ذلك سلفا وانبسط » .

ألم ترَ أنّ الله أعطاكَ سُورةً ... ترَى كلّ مَلْكٍ دونَها يتذَبذَبُ[١]
فإنكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طَلَعتْ لم يبدُ منهنّ كوكبُ

فقلت: أرادتفضيلَه على الملوك، فقال: صدقت، ولكنْ في الشعر خَبْءٌ[٢]، وهوأنهاعتذر إلى النعمان من ذهابه إلى آل جفنة إلى الشام، ومَدْحِه لهم، وقال: إنما فعلت هذا لجفائك بى، فإذاصلحت لى لم أُرِدْ غيرك، كما أنّ مَنْ أضاءت له الشمس لم يحتجْ إلى ضوء الكواكب؛ فأتى بمعنيين: بهذا، وبتفضيله، قال: فاستحسنتُ ذلك منه.

وكان إبراهيم بن العباس من أصدق الناس لأحمد بن أبى دؤاد، فعتَب على ابنه أبى الوليد من شىء قدّمه، ومدح أباه وأحسن فى التخلّص كلّ الإحسان فقال:

عَفَّتْ مَساوٍ تبدَّتْ منكَ واضِحَةً ... على محاسِنَ بقَّاها أبوكَ لكا[٣]
لئن تقدَّم أبناءُ الكرامِ بهِ ... لقد تقدَّمَ أبناءُ اللِّئامِ بِكا

ولإبراهيم:

تمرُّ الصَّبا صَفْحاً بساكِنِ ذى الغَضا ... ويصدَعُ قلبى أن يَهُبَّ هُبوبُها[٤]
قريبةُ عَهْدٍ بالحبيبِ وإنما ... هَوَى كلِّ نفسٍ حيثُ كان حَبيبُها
تَطلَّعُ من نفسِى إليكَ نوازعٌ ... عَوَارِفُ أنّ اليأسَ منكَ نصيبُها

وأخذ هذا من قول ذى الرُّمة:

إذا هبَّتِ الأرواحُ من نحوِ جانب ... به آل مىّ هاجَ شوقى هُبُوبُها[٥]
هوىً تذرِف العينانِ منه، وإنما ... هوى كلِّ نفس حيثُ كان حبيبُها

ولإبراهيم:

دَنت بأناسٍ عن تَناءٍ زيارةٌ ... وشطَّ بليلَى عن دنوٍ مزارُها[٦]
وإنَّ مقيماتٍ بمنقطَعِ اللِّوَى ... لأَقربُ من ليلَى وهاتيكَ دارُها

(١) ديوانه: ١٣. (٢) الخبء: ماخبىء واستتر، كالخبىء. (٣) ديوانه: ١٦٢.
(٤) ديوانه: ١٣٩. (٥) ديوانه: ٦٥ — ٦٦.
(٦) ديوانه: ١٤٥، وفى حاشية الأصل: «يروى البيتان لمحمد بن عبد الملك الزيات».

[١٦٤ و] / وأخذ ذلك من قول النظار الفقعسىّ :

يقولونَ هَـذِى أم عمرٍو قريبةٌ   دَنَت بكَ أرضٌ نحوها وَسَماءُ
ألاَ إنَّما بُعْدُ الحَبيبِ وقُرْبهُ   إذَا هُو لم يوصلْ إليـهِ سَواءُ

ووجدت بعضَ أهل الأدب يظنّ أن إبراهيم بن العباس سبقَ إلى هذا المعنى فى قوله :

كن كَيْف شِئْت وأنّى تَشا   وأبْرِق يميناً وأرعد شِمَالاَ(١)
نجابكَ لؤمُكَ منْجَى الذُّبابِ   حمتْهُ مقاذِيره أن يُنالاَ(٢)

حتى رأيت مُسلم بن الوليد قد سبَق إلى هذا المعنى ، فأحسن غاية الإحسان فقال :

أمّا الهجاءُ فدَقّ عِرْضُكَ دُونهُ   والمدح عنكَ كما علمتَ جليلُ(٣)
فاذهب فأنت طليقُ عِرْضِكَ إنَّه   عِرْضٌ عَزَزْتَ به وأنتَ ذَليلُ

---

(١) ديوانه : ١٦٣ .   (٢) من نسخة بحاشية الأصل : « مقاذره » .
(٣) ملحقات ديوانه : ٢٤٢ .

٣٧ مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وإلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، [يوسف : ٣٣] .

فقال : إذا كانت المحبةُ عندكم هي الإرادة، فهذا تصريح من يوسف عليه السلام بإرادة المعصية؛ لأن حبسَه في السجن، وقطْعَه عن التصرف معصيةٌ من فاعله ؛ وقبيح من المقدِم عليه ؛ وهو في القُبح يجري مجرَى ما دُعِيَ إليه من الزنا . وقوله من بعد : ﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ يدل على أنّ امتناعَه من القبيح [١]مشروط بمنعِهِنَّ وصرْفِهِنَّ[١] عن كيده ؛ وهذا بخلافِ مذهبِكم ، لأنكم تذهبون إلى أنَّ ذلك لا يقع منه ؛ صَرَفَ النِّسْوةَ عن كَيْدِه، أو لم يصرفْهُنّ .

الجواب، قلنا: أما قوله: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ ففيه وجهان من التأويل:

١

أولُها أنّ المحبَّة متعلقةٌ في ظاهر الكلام بما لا يصحُّ في الحقيقة أن يكون محبوباً مراداً؛ لأنَّ السجن إنما هو الجسم، والأجسام لا يجوز أن يريدها؛ وإنما يريد الفعلَ فيها ، أو المتعلِّق بها ؛ والسجن نفسه[٢] ليس / بطاعة ولا معصية ، وإنما الأفعالُ فيه قد تكون طاعاتٍ [١٦٤ ط]
ومعاصيَ بحسب الوجوه التي يقع عليها؛ وإدخالُ القوم يوسفَ عليه السلام الحبسَ، أو إكراههم له على دخوله معصية منهم ؛ وكونُه فيه وصبرُه على ملازمته ، والمشاقِّ التي تنالهُ باستيطانه طاعةٌ منه وقربةٌ ، وقد علمنا أنَّ ظالماً لو أكرَهَ مؤمناً على ملازمة بعض المواضع ، وترك

(١ ـ ١) د ، ف : « مشروط بمنعهم وصرفهم » .

(٢) حاشية ف (من نسخة) : « وحده » .

التصرّف فى غيره لـكان فعلُ المُكرَه حسناً، وإن كان فعل المكرِه قبيحاً. وهذه الجملة تبيّن ألاّ ظاهرَ فى الآية(١) يقتضى ما عنده؛ وأنه لابدّ من تقدير محذوف يتعلق بالسِّجن؛ وليس لهم أن يقدِّروا ما يرجع إلى الحابس من الأفعال؛ إلاّ ولنا أن نقدِّر ما يرجع إلى المحبوس؛ وإذا احتمل الكلام الأمرَين، ودلّ الدليل على أنّ النبيّ عليه السلام لا يجوز أن يريد المعاصىَ والقبائح اختصّ المحذوف المقدّر بما يرجع إليه مما ذكرناه، وذلك طاعةٌ لا لومَ على مريده ومُحبِّه.

فإن قيل: كيف يجوز أن يقول: ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، وهو لا يحبّ ما دعوْه جملةً؛ ومِنْ شأن هذه اللفظة أن تَدْخُلَ بين ماوقع(٢) فيه اشتراكٌ فى معناها؛ وإن فُضِّل البعض على البعض؟

قلنا: قد تُستَعْمَل هذه اللفظة فى مثل هذا الموضع؛ وإن لم يكن فى معناها اشتراكٌ على الحقيقة، ألاَ ترى أنّ مَن خُيِّر بين ما يحبه وما يكرهه جائزٌ أن يقول: هذا أحبُّ إلىّ من هذا، وإن لم يَجُزْ مبتدئاً أن يقول من غير أن يُخيَّر: هذا أحبّ إلىّ من هذا، إذا كان لا يُحبُّ أحدهما جملة!

وإنما يسوغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر؛ من حيث كان المخيَّر بين الشيئين لا يخيَّر بينهما إلاّ وهما مرادان له، أو مما يصحُّ أن يريدهما، فموضوع التخيير يقتضى ذلك، وإن حصل فيما ليس هـذه صفته، والمجيب على(٣) هذا متى قال: كذا أحبّ إلىّ من كذا كان مُجيباً على ما يقتضيه موضوع التخيير، وإن لم يكن الأمران يشتركان فى تناول محبته.

ومايقارب ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾؛ [الفرقان . ١٥]، ونحن نعلمُ ألاّ خيرَ فى العقاب؛ وإنما حَسُنَ ذلك لوقوعه موقعَ التوبيخ والتقريع على اختيار

---

(١) حاشية ف (من نسخة) : « للآية ». (٢) حاشية ف (من نسخة) : « يقع » .

(٣) حاشية ف (من نسخة) : « عن هذا » .

المعاصى على الطاعات ، وأنهم ما ركبوا المعاصى وآثروها على الطاعات إلاّ لاعتقادهم[1] أنّ فيها خيرا / ونفعاً ، فقيل : أذلك خير على ما تظنونه وتعتقدونه ، أم كذا وكذا ؟ [١٦٥ و]

وقد قال قوم فى قوله تعالى : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ﴾ إنما حَسُن ذلك لاشتراك الحالين فى باب المنزلة ، وإن لم يشتركا فى الخير والنفع ، كما قال تعالى : ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ ؛ [الفرقان : ٢٤] ، ومثل هذا يتأتّى فى قوله تعالى : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ لأنّ الأمرين ـ يعنى المعصية ودخول السجن ـ مشتركان فى أنّ لكل منهما داعياً ، وعليه باعثاً ، وإن لم يشتركا فى تناول المحبة ، فجَعَل اشتراكهما فى داعى المحبة اشتراكا فى المحبة نفسها وأجْرَى اللفظ على ذلك .

ومن قرأ هذه الآية بفتح السين فالتأويل أيضاً ما ذكرناه ؛ لأن «السَّجْن» المصدر ، فيحتمل أن يريد : أنّ سَجْنى لهم نفسى ، وصبرى على حبسهم أحبُّ إلىَّ من مواقعة المعصية ؛ ولا يرجع بالسجن إلى فعلهم بل إلى فعله .

والوجه الثانى أن يكون معنى ﴿ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ أى أهوَن عندى وأسهل علىّ ؛ وهذا كما يقال لأحدنا فى الأمرين يكرههما معا : إن فعلتَ كذا وإلا فُعِل بك كذا وكذا ؛ فيقول : بل كذا أحبُّ إلىَّ ، أى بمعنى أسهل وأخفُّ ، وإن كان لا يريد واحدا منهما ؛ وعلى هذا الجواب لا يمتنع أن يكون إنما عَنَى فعلَهم به دون فعله ، لأنه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التى هى الإرادة ؛ وإنما وضع ﴿ أَحَبُّ ﴾ موضع أخف ، والمعصية قد تكون أهون وأخفّ من أخرى .

وأما قوله : ﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ فليس المعنى فيه على ما ظنّه السائل ؛ بل المراد : متى لم تلطف لى مما يدعونى إلى مجانبة المعصية ، ويَثنينى إلى تركها ومفارقتها صبوتُ ؛ وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى ، والتسليم لأمره ، وأنه لولا معونته ولطفه ما نجا من كيدهنّ ؛ ولا شبهة فى أن النبىّ عليه السلام إنما يكون

(١) حاشية ف (من نسخة) : « لاعتقادتهم » .

معصوماً من القبائح بعصمة الله تعالى له وبلطفه وتوفيقه .

فإن قيل: الظاهر خلاف ذلك لأنه قال: ﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ فيجب أن يكون المراد ما يمنعهم من الكيد ويرْفعه ؛ والذى ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضى ارتفاعَ الكيد والانصراف عنه .

[١٦٥] قلنا: معنى الكلام: وإلا تصرفْ/ عنى ضررَ كيدهنّ والغرضَ به ؛ لأنهنّ إنما أجْرَيْن بكيدهنّ إلى مساعدته لهنّ على المعصية ، فإذا عُصِم منها ولُطِف له فى الانصراف عنْها؛ فكأنَّ الكَيد قد انصرف عنه ولم يقع به ، من حيث لم يقع ضررُه وما أُجْرِىَ به إليه ، ولهذا يقال لمن أجرى بكلامه إلى غرض لم يقع: ما قلتَ شيئاً ، ولمن فَعل مالا تأثير له : ما فعلت شيئاً ، وهذا بَيِّن بحمد الله ومنِّه .

تأويل خبر

إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذى يَرويه عُقْبة بن عامر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال فى خطبة طويلة خطبها : « من يتَّبع المَشْمَعَة يشمِّع اللهُ به » .

والجواب ، إن المشْمَعة هى الضَّحِك والمُزاح واللعب، يقال: شَمِع الرَّجُل يَشْمَع شُموعاً، وامرأة شَموع إذا كانت كثيرة المُزاح والضَّحِك : قال أبو ذؤيب يصف الحمير :

بقرارِ قِيعانٍ سَقاها وابِلٌ ... واهٍ فأثجَمَ بُرْهَةً لا يُقْلِعُ[(١)]

فَلَبِثْنَ حِيناً يَعتَلِجْنَ بِرَوْضَةٍ ... فيُجِدُّ حيناً فى العلاجِ ويَشْمَعُ[(٢)]

أراد أنّ هذا الحمار الذى وصَف حاله مع الأُتُن ، وأنه معهنّ فى بعض القيعان يُعارك هذه الأُتُن .

---

(١) ديوان الهذليين ١ : ٥ . القرار : مستقر الماء . والقيعان : مناقع الماء فى حر الطين ؛ وفى حاشيتى الأصل ، ف : « سقاها ، أى سقى القيعان واه ؛ أى سحاب كثير المطر ؛ وهذه استعارة ؛ أى كأن هذا السحاب ضعيف فينهل عنه الماء انهلالا . وأثجم : أقام برهة ؛ أى مدة من الزمان لا يقلع ولا يذهب » .

(٢) حاشية الأصل : « يروى ، « بروضه » ، والضمير للعير الذى يصفه ، أو للقرار ، أو للوابل » .

ومعنى « يَعْتَلِجْن » يُعاضُّ بعضها بعضاً ، ويتراحْن من النشاط فيجدُّ الفحل معهنّ مرّة ، وأخرى يأخذ معهنّ فى اللعب فيشمَع ، وفى يجدّ لغتان: يَجِد ويُجِدُّ، والمفتوح لغة هذيل ؛ ويقال فلان جادّ مُجِدّ على اللغتين معاً .

وقيل إن معنى يَشمع الحمار أنه يتشَمَّع ، ثم يرفع رأسه فيكَشِّر عن أسنانه ، فجعل ذلك بمنزلة الضحك ، قال الشَّماخ :

ولو أنّى أشاءُ كَنَنْتُ نفسى ⁂ إلى لبَّاتِ بَهْكَنَةٍ شَموعِ (١)

وقال المتنخل الهذلىّ :

ولاَ واللهِ نادِى الحىُّ ضَيْفِى ⁂ هدوءًا بالْمَساءَة والعِلاَط (٢)
سأبْدَؤُهُمْ بَشْمَعَةٍ وأُثْنِى ⁂ بجَهْدِى مِن طَعامٍ أو بساطِ

أراد بقوله «نادى الحىُّ ضَيْفِى» أى لاينادونه، من النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه بمالا يُؤْثر /. والعِلاط : من أعْلَطه واعتلط به؛ إذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر؛ وأصله من [١٦٦ و] عِلاط البعير ، وهو وَسْمٌ فى عنقه .

وقيل إن معنى « نادَى الحىُّ » من النادِى ؛ أى لا يجالسونه بالمكروه والسوء .

ومعنى « سأبدؤهم بشْمعة » أى بلعب وضحك ، لأن ذلك من علامات الكرم والسرورِ بالضيف ، والقَصْد إلى إيناسه وبَسْطِه ، ومنه قول الآخر :

ورُبَّ ضَيفٍ طرَقَ الحَىَّ سُرى ⁂ صادَفَ زاداً وحدِيثاً ما اشْتهَى
إنَّ الحَديثَ جانبٌ من القِرَى (٣)

وروى الأصمعىّ عن خلَف الأحمر قال: سُنَّةُ الأعراب أنهم إذا حدَّثوا الرجل الغريبَ

---

(١) ديوانه : ١٧ ؛ وروايته : « هيكلة » ؛ وهى الضخمة . وكننت نفسى : سترتها . ولبات : جمع لبة ؛ وهى موضع القلادة ؛ والبهكنة : الغضة الحسنة الخلق .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ٢١ . (٣) الأبيات للشماخ يقولها فى عبد الله بن جعفر ، وقبلها :

إنَّكَ يابْنَ جعفرٍ نعمَ الفَتَى ⁂ ونعم مأوى طارقٍ إذا أتَى

وانظر الأغانى ٩ : ١٦٨ (طبع دار الكتب المصرية) .

وهشُّوا إليه ومازحوه أيقن بالقِرى ، وإذا أعرضوا عنه عرفَ الحرمان .

ومعنى : « أثنِي * بجهْدى من طعامٍ أو بساطٍ » ، أى أُتْبِعُ ذلك بهذا .

ومعنى الخبر على هذا أنَّ مَن كان من شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم ، والضحك منهم أصاره الله تعالى إلى حالة يُعبَث به فيها ، ويستَهزَأ منه .

ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر ؛ وهو ما رُوى عن النبى صلى الله عليه وآله : « من يُسَمِّع الناسَ بعمله يُسمِّع الله به » ؛ والمعنى : مَن يرائى[1] بأعماله ويظهرُها تقرباً إلى الناس واتخاذا للمنازل عندهم ؛ يشهرُه[2] الله بالرياء ويَفضحه ويهتِكه .

ويمكن أيضا فى الخبر الأول وجهٌ آخر لم يذكر فيه ؛ وهو أن من عادة العرب أن يسمُّوا الجزاء على الشىء باسمه ؛ ولذلك نظائر فى القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة ، فلا يُنكر أن يكون المعنى : مَن يتَّبع اللهوَ بالناس ، والاستهزاء بهم يعاقبه الله تعالى على ذلك ويجازيه ؛ فسمى الجزاء على الفعل باسمه ؛ وهذا الوجه أيضا ممكن فى الخبر الثانى .

* * *

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمه قال : إنى لفى سوق ضَرِيَّة[3] ، وقد نزلتُ على رجلٍ من بنى كلاب كان متزوجا بالبصرة ، وكان له ابن بضريَّة ، إذ أقبلتْ عجوزٌ على ناقة لها ، حسنة البِزَّة ، فيها بقايا جمالٍ ، فأناختْ / [١٦٦ ظ] وعقلَتْ ناقتها ، وأقبلت تتوكَّأ على محْجنٍ[4] لها فجلست قريبا منَّا ، وقالت : هل من منشد ؟ فقلت للكلابىّ : أيحضرك شىء ؟ قال : لا ، قال : فأنشدتها شعر البشر بن عبد الرحمن الأنصارىّ :

وَقصيرةِ الأيامِ وَدَّ جليسُها   لوْ باعَ مَجلسَها بفقْدِ حَميمِ[5]

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « من براء » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « يشهره » ، بالجزم . (٣) ضرية : قرية بنجد فى طريق مكة من البصرة . (٤) المحجن : عصا معوجة معقفة الرأس ؛ فى رأسها حديدة كالمعلاق .

(٥) الأبيات فى الحماسة — بشرح التبريزى ٣ : ٣٠١ ، وأمالى القالى ١ : ٢٠٣ ، من غير عزو مع اختلاف فى الترتيب . والبيت الأول منها فى اللسان (ردع) منسوب إلى قيس بن معاذ مجنون بنى عامر . وفى الحماسة : « لو نال مجلسها » ، وفى أمالى القالى : « لو دام مجلسها » .

(١ مِن مُحْذِياتِ أخِي الهوَى غُصَصَ الجَوَى ١) بدلالِ غانيةٍ ومُقْلَةِ رِيمِ
صَفْرَاءُ من بقَرِ الْجِواءِ كأنما خَفَرُ الحياءِ بها رُداعُ سقيمِ (٢)

قال: فجثت على رُكبتَيها وأقبلت تحرِش (٣) الأرض بمحجَنِها، وأنشأت تقول (٤):

قِفِي يا أُمَيمَ القلبَ (٥) نقرأ تَحيةً ونشكُ الهوَى، ثم افعلِي مابدَا لكِ (٦)
فلوَ قلتِ: طأْ فى النارِ أعلمُ أنَّهُ (٧) هوىً لكِ، أوْ مُدْنٍ لنا من وِصالِكِ
لقَدَّمْتُ رِجْلِي نحْوَهَا فوَطِئْتُها (٨ هُدًى منكِ لِي، أوضَلَّةً من ضَلالِكِ ٨)
(٩ سَلِي البانةَ العلْيَامِن الأجْرعِ ٩) الذى بهِ البانُ: (١٠ هل حيَّيتُ أطْلالَ دارِكِ ١٠)
وهَلْ قُمتُ فى أطْلالِهنَّ عشيَّةً (١١ مَقامَ سَقيم القلْبِ ١١)، واخترتُ ذَلِكِ

(١ – ١) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف:

* مِنْ محذياتِ أخِي الأَسَى غُصَصَ الْهوَى *

(٢) الجواء: موضع بعمان. (٣) تحرش: تضرب عليها؛ من حرش الضب، والحرش كالخرش وهو الخدش.

(٤) الأبيات لابن الدمينة؛ ديوانه: ١٥، وأمالى الزجاجى ١١٠ عن ابن الأعرابى، وأمالى القالى ٢: ٣٣ عن ابن دريد، ومعاهد التنصيص ١: ١٥٩؛ وهى أيضا فى الحماسة – بشرح التبريزى ٣: ٢٦٣، من غير عزو. (٥) حاشية الأصل: «أضافها إلى القلب كرامة لها وإعجاباً بها».

(٦) فى حاشيتى الأصل ف: «الأحسن أن يقال: "بدالك" بكسر اللام لتتوازن القوافى، والعلة فيه مجاورة كسرة الكاف كقراءة من قرأ: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾، وكقوله تعالى: ﴿عِتِيًّا﴾، و﴿صِلِيًّا﴾».

(٧) حاشية الأصل (من نسخة): «أنها».

(٨ – ٨) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف:

* سُرورًا لأنى قد خَطرتُ ببالِكِ *

(٩ – ٩) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «سلى البانة الغيناء بالأجرع»، وهى رواية الحماسة. والغيناء: الشجرة العظيمة الواسعة الظل. والأجرع: السهل المختلط بالرمل.

(١٠ – ١٠) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «هل حييت أطلال ضالك»، والضال: شجر.

(١١ – ١١) من نسخة بحاشية الأصل، ف: «قيام سقيم البال».

لِيَهْنِئْكِ(١) إِمْسا كِى بكَفِّى على الْحَشا ورَقْرَاقُ عَينى(٢) رَهْبَةً مِن زِيالِكِ(٣)

قال الأصمعىّ: فأظلمت والله علىّ الدنيا بحلاوة منطقها، وفصاحة لهجتها؛ فدنوت منها فقلتُ: نَشَدْتُكِ اللهَ لَمَا زوَّدْتِنى(٤) من هذا! فرأيت الضحك فى عينها، وأنشدت:

ومُستَخْفِياتٍ ليسَ يَخْفَينَ زُرْنَنا يُسَحِّبْنَ(٥) أذيالَ الصَّبَابَةِ والشَّكْلِ(٦)
جَمَعْنَ(٧) الهوَى حتَّى إذا ما مَلَكْنَهُ نَزَعْنَ، وقَدْ أكْثَرْنَ فِينَا مِنَ القَتْلِ
مَرِيضَاتِ رَجْعِ القولِ(٨) خُرْسٍ عن الخَنا تأَلَّفْنَ أهْواءَ القُلُوبِ بلَا بَذْلِ
مَوارِقُ مِن خَتْلِ المُحِبِّ، عَواطِفٍ بخَتْلِ ذَوِى الألبَابِ بالجِدِّ والهَزْلِ(٩)
يُعنِّفُنِى العذَّالُ فِيهِنَّ، وَالهوَى يُحذِّرنى مِن أنْ أطِيعَ ذَوِى الْعذْلِ

أما قول الأنصارى «وقصيرة الأيام» فأراد بذلك أنَّ السرور يتكامل بحضورها لحسنها /وطيب حديثها فتقصر أيام جليسها، لأن أيام السرور موصوفة بالقِصَر. [١٦٧ و]

ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضا حداثة سنِّها وقُرْب عهد مولدها؛ وإن كان الأول أشبه بما أتى فى آخر البيت.

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة): «ليهنك»؛ وهى رواية الحماسة.

(٢) حاشية الأصل (من نسخة): «ورقراق دمع».

(٣) بعد هذا البيت فى ف:

لئن ساءَنى أَنْ نِلْتِنى بمساءةٍ لقد سرنى أنِّى خطرتُ ببالِكِ

وهو أيضا فى حاشية الأصل.

(٤) حاشية الأصل (من نسخة): «زودتينى» ومن نسخة أخرى. «زدتنى».

(٥) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «ويسحبن»

(٦) الأبيات فى أمالى القالى ٢: ٢٨٧ غير منسوبة

(٧) من نسخة بحاشيتى. الأصل: «يلغن»

(٨) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «الطرف».

(٩) فى حاشيتى الأصل، ف: «أى لا يختلهن المحب، بل يختلن ذوى الألباب».

ومعنى:

* لو باعَ مجالسَها بفقد حميمِ *

أى ابتاعه ، وهذا اللفظ من الأضداد؛ لأنه يستعمل فى البائع والمشترى معاً، قال الفراء: سمعت أعرابيا يقول : بِعْ لى تمراً بدرهم ، أى اشتر لى تمراً بدرهم ، وقال الشاعر :

فَيَا عَزُّ ليتَ النأْىَ إذْ حالَ بيْننا وبيْنَكِ باعَ الوُدَّ لِى منْكِ تاجِر[1]

أى ابتاع .

وقوله : « من مُحْذِيات أخى الهـوى » أى من مُعْطِيات ، يقال : أحذيت الرجل من العطية[2] والغنيمة أُحْذِيه إذا أعطيتَه ، والاسم الحَذِيَّة والحِذْوة والحُذْيا ؛ كل ذلك العطية .

وقوله :

* كأنما خَفَرُ الحياء بها رُدَاع سقيمِ *

فالرُّداع هو الوجع فى الجسد ؛ فكأنه أراد أنها منقبضة منكسرة من الحياء كالسقيم، أو يريد تغيُّرَ لونها وصفرتَها[3] كما يتغير لون السقيم؛ ويجرى ذلك مجرى قول ليلى الأخيلية:

ومُخرَّقٍ عنهُ القَميصُ تخالُهُ بَين البُيُوتِ من الحَيَاءِ سقيما[4]

* * *

أخبرنا المرزبانىّ قال حدّثنا أبوعبدالله الحكيمىّ قال حدثنى ميمون بن هارون الكاتب قال: حدثنا ابن أخى الأصمعىّ عن عمه قال : لقيت أعرابيا بالبادية فاسترشدته إلى مكان ، فأرشدنى وأنشدنى :

(١) البيت لكثير ؛ وهى فى ديوانه ١ : ٩٤ .

(٢) ساقطة من م .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « صفرته » .

(٤) من أبيات فى الحماسة ــ بشرح التبريزى ٤ : ١٥٥ ؛ والعينى ٢ : ٤٧ ، وأمالى القالى ١ : ٢٤٨ وفى م بعد هذا البيت :

حَتَّى إذا خَفَقَ اللواءُ رأيتَه تَحتَ اللواءِ على الخميس زَعِيماَ

لَيسَ العمى طُولَ السُّؤالِ وَإنما ... تمام العَمَى طُولُ السُّكُوتِ علىالجَهْلِ

ثم رجعتُ إلى البصرة فمكثت بها حيناً ، ثم قدمت البادية ، فإذا بالأعرابىّ جالساً بين ظهرَانَىْ قوم ؛ وهو يقضى بينهم ، فما رأيت قضية أخطأَتْ قضيةَ الصالحين من قضيَّته ؛ فجلست إليه ، فقلت : يرحمك! الله أما من رشوة ؟ أما من هدية ؟ أما من صلة ؟ فقال: لا إذا جاءهذا ذهب التوفيق ؛ فشكوتُ إليه ما ألقى من عذلْ حليلة لى إياى فى طلب المعيشة ، فقال : لستَ فيها بأوحد ، وإنى لشريكك ، ولقد قلت فى ذلك شعراً ، فقلت : أنشدْنيه ، فأنشدنى :

[١٦٧ ظ] / باتتْ تُعيّرُنِى الإقْتارَ وَالْعدَما ... لَمَّا رَأَتْ لِأَخِيهَا الْمالَ والخدَما
عُنفٌ لرأْيِكِ! ماالأَرْزَاقُ مِنْ جَلَدٍ، ... وَلَا مِنَ الْعَجْزِ؛ بَلْ مَقْسُومَةٌ قِسما
ياأمةَ اللهِ إنِّى لَمْ أَدَعْ طَلَباً ... للرِّزْقِ ـ قَدْ تَعْلَمينَ ـ الشَّرْقَ وَالشأمَا
وكلّ(١) ذَلِكَ بالإجمالِ فى طَلَبٍ ... لَمْ أُرْدِ عِرْضاً، وَلَمْ أسْفِكْ لِذاكَ دَما
لوْ كانَ مِنْ جَلَدٍ ذَا المالُ أوْ أدبٍ ... لَكُنْتُ أَكْثَرَ مِنْ نَمْلِ القُرَى نَعَمَا
ارْضَىْ مِنْ الْعَيْشِ مالمْ تُحْوِجى مَعَهُ ... أنْ تفْتَحِى لِسُؤَالِ الأَغْنِياءِ فَما
وَاسْتَشْعِرِى الصَّبْرَ عَلَّ اللهَ خالِقَنَا ... يَوْماً سَيَكْشِفُ عنَّا الفقْر والعدَما(٢)
لَاتُحْوِجينِى(٣) إلى مالوْ بَذَلْتُ لهُ ... نَفْسِى لأَعْقبَكِ التَّهْمامَ وَالنَّدَما
باللهِ سَرَّكِ أنَّ اللهَ خوَّلَنِى ... ما كانَ خَوَّلَهُ الأَعْرابَ والعَجَما
ماسرَّنى أنَّنى خُوِّلْتُ ذاكَ وَلَا ... الاّ أقولَ لِباغى حاجَةٍ نعمَا
وَأننى لَمْ أَحُزْ(٤) عَقْلاً وَلَا أدَباً ... وَلَمْ أرِثْ وَالدِى مَجْدًا وَلَا كَرَمَا
فَمَعْسَرَةُ الْمَرْءِ(٥) أحْرى فىمَعَاشِكِ مِنْ ... أمْرٍ يَجُرُّ عَلَيْكِ الهَمَّ وَالأَلَمَا

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فكل » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « الضر والعدما » . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « لاتحوجنى » مع نون التوكيد.

(٤) حاشيتى الأصل (من نسخة) : « لم أفد عقلا » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « فعسرة المال » .

قال : فوالله ماأنشدتُها حتى حلفتْ ألّا تعذِلنى أبداً .

***

حدثنا علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمه قال : رأيت بقُباء شاباً من بنى عامر ؛ فما رأيت بدوياً أفصحَ منه ، ولا أظرف ؛ فوالله لَكأنه شُوَاظٌ يتلظّى ، فاستنشدته فأنشدنى :

فَلَمْ أنسَكُمْ يومَ اللِّوى إذْ تعرَّضتْ ‏ ‏ لنا أمُّ طِفْلٍ خاذِلًا قدْ تخلَّتِ[1]
وقالَتْ سأُنْسِيكَ العَشِيَّةَ مامَضَى ‏ ‏ وَأصْرِفُ مِنْكَ النفسَ عمَّا أَجنَّتِ[2]
فما[3] فعلَتْ ـ لَا وَالَّذِى أنا عَبْدُهُ ـ ‏ ‏ على مابدَا مِنْ حُسْنِهَا إِذْ أَدَلَّت
أبَتْ سابقاتُ الْحُبِّ إلاّ مَقرَّها ‏ ‏ إلَيْكِ ، وَما تُثْنَى إذَا مااسْتَقرَّتِ
هَوَاكِ الَّذِى فى النفْسِ أمْسَى دَخيلُها ‏ ‏ عليْهِ انْطوَتْ أحْشاؤها وَاستمرَّتِ

وأنشدنى أيضاً :

دِيارٌ لِلَّتى طَرَقَتْكَ وَهْناً ‏ ‏ برَيَّا رَوْضَةٍ وَذَكاءِ رَنْدِ[4]
تُسَائِلُنى وَأصحَابى هُجُودٌ ‏ ‏ وَتَثْنى عِطْفَهَا مِنْ غَيْرِ صَدِّ
فَلَمَّا أَنْ شَكَوْتُ الْحُبَّ قالَتْ : ‏ ‏ فإنِّى فَوْقَ وَجْدِكَ كانَ وَجْدِى
وَلكِنْ حالَ دُونَكَ ذُو شَذَاةٍ ‏ ‏ أُسَرُّ بفَقْدِهِ وَيَهِرُّ فقدى[5]

***

وبهذا الإسناد عن الأصمعىّ قال : قعدت إلى أعرابىّ يقال له إسماعيل بن عمار ، وإذا هو يفتِل أصابعَه ويتلهف ، فقلت له : عَلامَ تتلهف ؟ فأنشأ يقول :

عَيْنَاىَ مَشْئومَتانِ وَيْحَهُمَا ! ‏ ‏ وَالقَلْبُ حَيْرَانُ[6] مُبْتَلًى بهما

(١) الخاذل من الظباء : التى تتخلف عن صواحبها. (٢) حاشية الأصل : « أى أصرف نفسى عنك عما أجنته ». (٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا فعلت » .

(٤) الدهن : الليل ساعة يدبر . والرند : شجر طيب الرائحة .

(٥) الشذاة : الحدة ، ويهر : يكره . (٦) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « حران » .

عَرَّفتَاهُ الْهوَى بِظُلْمِهِمَا ... يا لَيْتَنِى قَبْلَها عدِمْتُهُمَا
هُمَا إلى الْحَيْنِ قادَتَا وَهُما ... دَلَّ على ماأُجِنُّ دَمْعُهُمَا
سأعْذُرُ الْقَلْبَ فى هَوَاهُ فَمَا ... سَبَّبَ هذا الْبلاَءَ غَيْرُهُمَا

* * *

وبهذا(١) الإسنادعن الأصمعىّ قال : نزلتُ ذاتَ ليلة فى وادى بنى العَنْبر ، وهو إذ ذاك مَمان(٢) بأهله ـ أى آهل ـ فإذا فتيةٌ يريدون البَصْرة ؛ فأحببتُ صحبتَهم، فأقمتُ ليلتى تلك عليهم ؛ وإنِّى لَوَصِبٌ محموم ؛ أخاف ألاَّ أستمسِك على راحلتى ؛ فلمّا أقاموا ليرحلوا أيقظونى ؛ فلما رأَوْا حالى رحلوا وحملونى ؛ وركب أحدُهم ورائى يُمْسِكُنى ؛ فلما أمْعَنَ السيرُ تنادوا ألا فتًى يحدُو بنا أو يُنْشِدُنا ! فإذا منشد فى سواد الليل بصوتٍ نَدٍ حزين يُنْشِد :

لَعَمْرُكَ إنِّى يَوْمَ بانُوا فَلَمْ أمُتْ ... خُفَاتًا على آثَارِهِمْ لَصَبُورُ
غَدَاةَ الْمُنَقَّى إذْ رَمَيْتُ بِنَظْرَةٍ ... وَنحْنُ على مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ(٣)
فَقُلْتُ لِقَلْبِى حِينَ خَفَّ به الْهوَى ... وَكادَ مِنَ الوَجدِ الْمُئِنّ يَطِيرُ(٤)
فَهذَا ولَمَّا تَمضِ لِلْبَينِ لَيْلَةٌ ... فَكَيْفَ إذَا مَرَّتْ عَلَيْهِ شُهُورُ
[١٦٨ ظ] / وَأَصْبَحَ أعْلاَمُ الأَحِبةِ دُونَهَا ... مِنَ الأَرْضِ غَوْلٌ نَازِحٌ وَمَسِيرُ
وَأصْبَحْتُ نَجْدِيَّ الْهوَى مُتْهِمَ النَّوَى ... أزِيدُ اشْتِيَاقًا أنْ يَحِنَّ بَعِيرُ
عسَى اللهُ بَعْدَ النَّأْيِ أنْ يُسْعِفَ النَّوَى ... وَيُجْمَعَ شَمْلٌ بَعْدَهَا وَسُرُورُ

قال : فسكنتْ واللهِ الحمّى عنّى ، حتى ما أحسُّ بها ، فقلت لرفيقى : انزِلْ رحمك الله إلى راحلتك، فإنى متماسك ؛ وجزاك الله عن حُسْنِ الصُّحبة خيراً .

* * *

(١) الخبر والأبيات فى حماسة ابن الشجرى ١٦١ــ١٦٢ بروايته عن ابن قدامة عن المرتضى ، وهو أيضا فى أمالى القالى ٢ : ٢٦٧ براويته عن ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

(٢) فى ابن الشجرى : «مغان آهلة».

(٣) المنقى : موضع بين أحد والمدينة .

(٤) المئن : اللازم المقيم ، وفى س : «المبر» .

أخبرنا المرزبانىّ قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوىّ قال حدَّثنى بعض أصحابنا عن الأصمعىّ قال: كان(١) بالبصرة أعرابىّ من بنى تميم؛ يتطفّل على الناس، فعاتبته على ذلك فقال: والله ما بُنيتِ المنازل إلاّ لتُدخَل، ولا وُضِع الطعام إلاّ ليؤكل؛ وماقدّمتُ هدية فأتوقّع رسولا؛ وماأكره أن أكون ثِقْلاً ثقيلا على مَنْ أراه شحيحاً بخيلا؛ أتقحم عليه مستأنسا، فأضحك إن رأيته عابساً، فآكل برُغْمه، وأدعُه بغمّه؛ وما اخترق اللهوات طعامٌ أطيبُ من طعام لا ينفق فيه درهم، ولا يمنّى إليه خادم، ثمّ أنشد:

كُلَّ يومٍ أدُورُ فى عَرْصَةِ الْحَىِّ ... أشَمُّ القُتارَ شَمَّ الذّئاب(٢)
فإذا ما رَأَيتُ آثارَ عُرْسٍ ... أو خِتانٍ أو مَجْمَعَ الأصْحابِ(٣)
لم أروّعْ دُونَ التَّقَحُّمِ لا أرْ ... هَبُ دَفْعاً ولَكْزَةَ البوّابِ(٤)
مُسْتَهِيناً بما هَجَمْتُ عَلَيْهِ ... غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ، وَلا هَيَّابِ
فَتراني ألُفُّ بالرغم منهم ... كلَّ ما قدموه لفّ العُقابِ(٥)
ذاكَ أدْنى مِن التّكلّفِ والغُرْ ... مِ وغَيْظِ البَقّالِ والقصّابِ(٦)

(١) الخبر فى التطفيل للخطيب البغدادى ٧٣ — ٧٤ يرويه عن الحسن بن أبى القاسم عن أبى الفرج عن جعفر بن قدامة عن أبى هفان.

(٢) فى التطفيل: «عرصة الباب»، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «شم الذباب».

(٣) فى التطفيل: «أو دعوة لصحاب».

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «لم أورع»، ورواية الخطيب فى هذا البيت وتاليه:

لم أعرِّجْ دونَ التقحُّمِ فيهَا ... غير مستأذنٍ ولا هَيّابِ
مستخفًّا بمن دخلتُ عليهِ ... لست أخشى تجهُّمَ البواب

(٥) رواية البيت فى حاشيتى الأصل (من نسخة):

فترانى ألفّ ماقدّم القوْ ... مُ على رغمِهم كلف العُقَابِ

(٦) زاد الخطيب بعد هذا البيت:

قابلٌ إن جرى علىّ امتهانٌ ... فى سبيل الحلْواء والجوذابِ

٣٨
مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾؛ [هود : ٤٥ ، ٤٦] .

[١٦٩ و] فقال: ظاهر قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ يقتضى تكذيب / قوله: ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ والنبيّ لا يجوزُ عليه الكذب ، فما الوجه فى ذلك ؟ وكيف يصحّ أن يخبر عن ابنه بأنه ﴿ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾؟ وما المراد به ؟

الجواب ، قلنا: فى هذه الآية وجوه :

أولها أن نفيَه لأن يكون مِن أهله لم يتناول نَفْىَ النَّسب ، وإنما نَفى أن يكون من أهله الذين وعده الله بنجاتهم؛ لأنه عزَّ وجل كان وعد نوحاً عليه السلام بأن ينجِّىَ أهلَه، ألا ترى إلى قوله: ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ [هود : ٤٠] ، فاستثنى تعالى مِن أهله مَنْ أراد إهلاكه بالغرق! ويدل عليه أيضا قول نوح: ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ﴾ ، وعلى هذا الوجه يتطابق الأمران(١) ولا يتنافيان؛ وقد رُوِى هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين .

والجواب الثانى ، أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ أى أنه ليس على دينك ؛ وأراد تعالى أنه كان كافرا مخالفاً لأبيه ؛ فكأنّ كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام

---

(١) حاشية ف (من نسخة) : « الخبران » .

أهله؛ ويشهد لهذا التأويل قوله عزّ وجلّ على طريق التعليل: ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾، فبيّن أنه إنما خرج عن أحكام أهله لكفره وسيّئ عمله، وقد روى هذا التأويل أيضا عن جماعة من المفسرين؛ وحُكِيَ عن ابن جُرَيج أنه سئلَ عن ابن نوح فسبّح طويلاً ثم قال لا إله إلا الله! يقول الله: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾؛ وتقول: ليس منه! ولكنه خالفه فى العمل فليس منه مَنْ لم يؤمن.

وروى عن عِكرمة أنه قال: كان ابنَه ولكنْ كان مخالفاً له فى النية والعمل؛ فمن ثَمَّ قيل: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾.

والوجهُ الثالث أنه لم يكن ابنه على الحقيقة؛ وإنما وُلِدَ على فِراشه، فقال عليه السلام: إنه ابنى على ظاهر الأمر؛ فأعلمه الله أن الأمر بخلاف الظاهر، ونبهه على خيانة امرأته؛ وليس فى ذلك تكذيب لخبره، لأنه إنما أخبر عن ظنه، وعمّا يقتضيه الحكم الشرعىّ، فأخبره الله تعالى بالغيب الذى لا يعلمه غيره؛ وقد رُوِى هذا الوجه عن الحسن وغيره.

وروَى قتادة عن الحسن قال: كنتُ عنده؛ فقال: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ لعَمْرُ الله ماهو ابنَه، قال: فقلت: يا أبا سعيد؛ يقول الله: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ وتقول: ليس بابنه! قال: أفرأيت قوله: ﴿ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾؟ قال: قلت معناه: / ليس من أهلك الذين [١٦٩ ظ] وعدتُك أن أنجيَهم معك، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه، فقال: أهل الكتاب يكذِبون؛ ورُوِى عن مجاهد وابنُ جُرَيج مثل ذلك.

وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن؛ لأنه تعالى قال: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾، فأطلق عليه اسم البنوّة؛ ولأنه أيضا استثناه من جملة أهله بقوله تعالى: ﴿ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾؛ ولأنَّ الأنبياء عليهم السلام يجب أن يُنزَّهوا عن مثل هذه الحال؛ لأنَّها تعرُّ وتَشِين وتَغُضُّ من القدر؛ وقد جنَّب الله تعالى أنبياءه عليهم السلام ما هو دون ذلك؛ تعظيما لهم وتوقيرا، ونفياً لكل ما ينفِّر عن القبول منهم؛ وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدّلالة على أنّ تأوّل قوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ على أن الخيانة

لم تكن منهما بالزِّنا، بل كانت إحداهما تخبر الناس بأنه مجنون ؛ والأخرى تدل على الأضياف؛ والمعتمد فى تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ فالقراءه المشهورة بالرفع ، وقد روِى عن جماعة من المتقدمين أنهم قرءوا : ﴿ إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ ﴾ بنصب اللام وكسر الميم ونصب «غير» ؛ ولكل وجه .

فأما الوجه فى الرفع فيكون على تقدير أن ابنك ذو عملٍ غيرِ صالحٍ ؛ وصاحب عمل غير صالح ؛ فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ؛ وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء :

ما أُمُّ سَقْبٍ على بَوٍّ تُطيفُ بهِ   قد ساعدَتْها على التَّحْنانِ أظآرُ(١)
تَرْتَعُ مارَتعت حتى إذا ذَكَرتْ   فإنما هى إقبالٌ وإدبارُ(٢)

أرادت إنما هى ذات إقبال وإدبار .

وقال قوم: إن المعنى أصلُ ابنِك هذا الذى وُلِدَ على فراشك وليس بابنك فى الحقيقة(٣) عمل غيرصالح ، يعنى الخيانة من امرأته ، وهذا جواب مَن ذهب إلى أنه لم يكن ابنه على الحقيقة(٣) والذى اخترناه خلاف ذلك .

وقال آخرون إن الهاء فى قوله : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ راجعة إلى السؤال؛ والمعنى:

---

(١) ديوانها : ٧٨ ؛ وروايته :

فما عجولٌ عَلَى برٍّ تُطيفُ بهِ   لها حنينان : إصْغَارٌ وإكبارُ

والسقب : الذكر من ولد الناقة . والبو : أن ينحر ولد الناقة ويؤخذ جلده فيحشى ويدنى من أمه فترأمه والتحنان : الحنين . والأظآر : جمع ظئر ؛ وهى التى تعطف على ولد غيرها .

(٢) بعدها :

لاتَسْمَنُ الدَّهْرَ فى أرضٍ وإنْ رُبِعَتْ   فإنمَا هِيَ تحنانٌ وتَسْجَارُ
يوماً بأوجَدَ مِنِّى يومَ فارقَنى   صَخْرٌ ، وللدَّهرِ إحلاءٌ وإمرارُ

(٣-٣) ساقط من م .

إن سؤالك إياى ماليس لك به علم عملٌ غير صالح لأنه قد وقع من نوح دليل[١] السؤال والرغبة فى قوله: ﴿ إنَّ ابنِى مِنْ أَهْلِى وإنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ﴾ / ومعنى ذلك أى نجِّه كما نجيتهم، ومن [١٧٠] و يجيب بهذا الجواب يقول: إن ذلك صغيرة من النبى؛ لأن الصغائر تجوز عليهم، ومن يمنعُ أن يقع[٢] من الأنبياء شىء من القبائح يدفع هذا الجواب؛ ولا يجعل الهاء راجعة إلى السؤال بل إلى الابن، ويكون تقدير الكلام ما تقدم.

فإذا قيل له: فلِم قال: ﴿ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾؟ وكيف قال نوح عليه السلام من بعد: ﴿ رَبِّ إنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَالَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ وَإلاَّ تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِى أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾؟.

قال: لا يمتنع أنْ يكون نُهىَ عن سؤالِ ما ليس له به علم؛ وإن لم يقع منه وأن يكون تموّد من ذلك وإن لم يوافقه؛ ألا ترى أن الله قد نهى نبيه عن الشِّرْك والكفر؛ وإن لم يكن ذلك قد وقع منه؛ فقال: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾؛ [الزمر: ٥٦]، وكذلك لا يمتنع أن يكون نهاه فى هذا الموضع عمّا لم يقع منه، ويكون عليه السلام إنما سأله نجاةَ ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع؛ وهكذا يجب فى مثل هذا الدعاء.

فأما القراءة بنصب اللام فقد ضعّفها قوم وقالوا: كان يجب أن يقال: إنه عمل عملا غير صالح؛ لأن العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن، حتى يقولوا: عملا غير حسن، وليس وجهها بضعيف فى العربية؛ لأنَّ مِن مذهبهم الظاهر إقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس؛ فيقول القائل: قد فعلتُ صواباً، وقلت حَسناً، بمعنى فعلت فعلا صواباً وقلت قولا حسناً؛ وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومىّ:

أيُّها القائل غيرَ الصوابِ　　　أخِّرِ النُّصْحَ وأقلِل عِتابى[٣]

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة): «دليل فى السؤال»، وحاشية ف من نسخة: «دليل على السؤال».　(٢) ف: «على الأنبياء».　(٣) ديوانه: ٤٢٥.

وقال أيضاً :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ ما يُباءُ بِهِ دَمٌ   وَمِنْ غَلِقٍ رهن إذا لَفَّهُ مِنى(١)
وَمِنْ مالئٍ عَيْنَيْهِ مِن شَىْءِ غَيْرِهِ   إذا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبِيضُ كالدُّمى(٢)

أراد : وكم إنسان قتيل ! وأنشد أبو عبيدة لرجل من بَجيلة :

كَم من ضَعِيفِ الْعَقْلِ مُنْتَكِثِ القُوَى   ما إنْ لهُ نَقْضٌ وَلاَ إبرامُ
/ مالتْ لهُ الدُّنيَا عليهِ بأسرِها   فعَلَيْهِ مِنْ رِزْقِ الإلهِ رُكامُ [١٧٠ ظ]
وَمُشَيَّعٍ جلْدٍ أمِينٍ حازِمٍ   مَرِسٍ لهُ فِيما يَرُومُ مَرَامُ
أعْمَى علَيْهِ سَبِيلَهُ(٣) فكَأَنَّهُ   فِيما يُحاوِلُهُ عَلَيْـهِ حَرَامُ

أراد : كم من إنسان ضعيف القوى .

* * *

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال : كان محمد بن منصور بن زياد الملقّب بفتى العسْكَر يميل إلى الأصمعىّ ويفضّله ، ويقوم بأمره قال : فجئتُه يوماً بعد موت محمد، وعنده عبدٌ كان لمحمد أسود ، وقد ترك الناسَ ، وأقبل عليه وساءله وتحفّى به وحادثه ، فلما خرج لُمتُه على ذلك وقلت : مَنْ هذا حتى أفنيتَ عمر يومك به ؟ فقال : هذا غلام ابن منصور ، ثم أنشدنى :

وَقالُوا يا جَميلُ أتى أخُـوها   فقُلْتُ : أتَى الْحَبيبُ أخُو الْحَبيبِ(٤)

---

(١) ديوانه : ٤٥١ لايباء به دم ، أى ليس من يكافئه فيقتل به . وغلق الرهن إذا صار لاسبيل إلى فكاكه ، وفى حاشية ف (من نسخة) : « ومن غلق رهنا إذا ضمه » .

(٢) حاشية ف (من نسخة) :

* إذا راح نحو الحيرة البيضُ كالدُّمى *

(٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « سبيله » بضم اللام .

(٤) حاشية ف : « صفة الحبيب » ، أى الذى هو أخو الحبيب .

أُحِبُّكَ والقَرِيبُ بنا بَعِيـــدٌ   لأَنْ ناسبْتَ بُثْنَةَ منْ قَرِيبِ

فقلت له ـ وكنت أفعل هذا كثيراً به لأستجرّ كلامه وعِلْمه ـ: ياأباسعيد، ذاك أخوها، وهذا غلامها[1] فضحِك، وقال: أَنشد أبو عمرو ـ أو قال غيره:

أَرَى كلّ أَرْضٍ[2] أَوْطَنَتْها وإن خلتْ   لَها حِجَجٌ تَنْدَى بمِسْكٍ تُرَابُها
وأُقسِمُ لوَ أنِّى أرَى تَبعاً لها[3]   ذِئابَ الغضى حُبَّتْ إِلَىَّ ذِئابُها

قال: فجعلت أعجب من قرب لسانه من قلبه وإجادة حفظه له متى أراده.

***

وبهذا الإسناد عن إسحاق الموصلىّ قال قرأت على الأصمعىّ شعرَ امرىءُ القيس، فلما بلغت إلى هذا البيت:

أَمِن أَجْلِ أَعرابيةٍ حلَّ أهلُها   بِرَوْضِ الشَّرَى عيْناكَ تَبْتَدِرَانِ![4]

فقال لى أتعرف فى هذا البيت خبئاً باطناً غير ظاهرٍ؟ قلت: لا، فسكت عنِّى، فقلت: إن كان فيه شىء فأفدنيه، فقال: نعم، أما يدلّكَ البيت على أنه لفظ مَلِكٍ مُسْتهِين ذِى قدرة على مايريد؟ / قال إسحاق: وما رأيت قطّ مثل الأصمعىّ بالعلم بالشعر. [١٧١ و]

---

(١) من نسخة بحاشية الأصل: «غلامة». (٢) ف: «كل دار».

(٣) حاشية الأصل من نسخة: «حلفت لو أنى»، ومن نسخة أخرى: «حلفت إلهى»، ومن نسخة أخرى:

* حَلَفْتُ بأنى لو أرى تبعا لهـا *

(٤) ديوانه: ١٢٤؛ وروايته:

أَمِنْ ذِكْرِ نبهانيَّةٍ حَلَّ أهْلُهَا   بجزع الملا عيناك تبتدران!

قال شارحه: «نبهانية: امرأة من نبهان، ونبهان من طيّء، وكان امرؤ القيس نازلا فيهم ثم ارتحل عنهم، والجزع: منعطف الوادى، والملا: ماستوى من الأرض؛ ومعنى تبتدران تستبقان بالدمع؛ أى أنه لما أبدع به الشوق وغلبه البكاء لام نفسه على ذلك. وفى حاشية الأصل: «قبله:

فدمعهما سَحٌّ وسَكْبٌ وديمةٌ   ورشٌّ وتَوْكافٌ وتَنْهمِلان

وروى عن إسحاق أيضا أنه قال : قال لى الأصمعىّ : ما يعنى امرؤ القيس بقوله :

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قد طرَقتُ ومُرْضِعٍ   فألهيْتُهَا عن ذِى تمائمَ مُحْوِلِ[(١)]

فقلت : تخبرنى ، فقال : كان مَفرَّكا[(٢)] فيقول : ألهيتُ هؤلاء عن كراهتهنّ للرجال ، فكيف أنا عند المحبات لهم .

* * *

وروى أنّ السبب الذى هاج التنافرَ بين الأصمعىّ وابن الأعرابىّ أنّ الأصمعىّ دخل ذات يوم ٍعلى سعيد بن سلْمٍ وابن الأعرابىّ حينئذ يؤدب ولده ـ فقال لبعضهم: أنشد أباسعيد، فأنشد الغلام أبياتا لرجلٍ من بنى كلاب ، روّاه إياها ابن الأعرابىّ ، وهى :

رَأَتْ نِضْوَ أسْفارٍ أُمَيْمَةُ قاعداً   على نِضْوِ أسفارٍ فَجُنَّ جُنونُها[(٣)]

فقالتْ :مِن اىّ الناس أنتَ ومَن تكُنْ ؟   فإنَّكَ راعِى صِرْمَةٍ لا يَزِينُها[(٤)]

فقُلْتُ لها : ليس الشُّحوبُ على الفَتَى   بعارٍ ، ولا خَيرُ الرِّجال سَمينُها

عَلَيْكِ بِراعِى ثلَّةٍ مُسْلَحِبَّةٍ   يرُوحُ عَلَيْها مَحْضُها وحَقينُها[(٥)]

---

(١) ديوانه : ٢٤ . وفى حاشية الأصل . « روى أن النبى صلى الله عليه وآله استنشد هذه القصيدة، فلما سمع البيت الذى قبله هذا قال : لاتنشد البيت الذى بعده ، وهذا دليل على أنه عليه السلام كان يعرف الشعر . ولما سمع قوله :

☆ قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ وَمَنْزِلٍ ☆

قال : وقف واستوقف، وبكى وأبكى، وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت ؛ فقالوا : يارسول الله ؟ فديناك ! أنت فى هذا النقد أشعر منه » .

(٢) المفرك : الذى تبغضه النساء .

(٣) الخبر بتمامة فى اللسان (ضحا) ، والمزهر ٢ : ٣٧٩ ، والمجالس المذكورة للعلماء ٩ ، وإنباه الرواة ٣ : ١٣٣ــ١٣٤ ؛ والأبيات وردت متفرقة فى اللسان (ضحا ، جنن ، حقن ، نعم) . النضو : الدابة التى أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها . وفى اللسان : « أميمة شاحبا » .

(٤) الصرمة : القطعة من الإبل ؛ مابين العشرين إلى الثلاثين . ورواية اللسان :

☆ فإنّكَ مَوْلَى أسْرَةٍ لايدينُها ☆

(٥) الثلة ، بالفتح : جماعة الغنم . والمسلحبة : الممتدة ؛ وأصله فى الطريق . والمحض : اللبن الخالص، والحقين : اللبن الحبيس فى الوطب ؛ وقد ورد البيت فى اللسان (حقن) ونسبه للمخبل ، والرواية فيه :

وفى إبلٍ سِتّينَ حَسْبُ ظعينةً   يَروحُ عليها مَحْضُها وحَقِينُها

وفى حاشية الأصل : « أى لست بالراعى فاطلبى غيرى لو كنت تطلبين راعيا » .

سَمِينُ الضَّواحى لم تُؤَرِّقْهُ ليلَةً   وأَنْعَمَ أَبكارُ الهُمومِ وَعونُها

ورفع «ليلة» فقال الأصمعىّ: مَن روّاك هذا؟ فقال مؤدبى؛ فأحضره فاستنشده فأنشده، ورفع «ليلة» ، فأخذ ذلك عليه ؛ وفسر البيت فقال : إنما أراد : لمْ تُؤَرِّقه ليلةً أبكار الهموم وعونها، وأنعم ، أى زاد على هذه الصفة .

وقوله : « سَمِين الضواحى » أى ما ظهر منه وبدا سمين ، ثم قال الأصمعى لابن سلْم : مَن لم يُحسنْ هذا المقدار فليس موضعاً لتأديب ولد الملوك .

***

وأخبرنا المرزبانىّ قال : حدثنا أحمد بن المكىّ قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا الأصمعىّ قال : وُلِدَ بشّار بن برْد أكْمَه لم ينظر إلى الدنيا قطّ ـ وكان ذا فطنة ـ فقلت له يوماً: من أين لك هذا الذكاء؟ قال: من قِدَمِ العَمَى؛ وعدمُ النواظر يمنع من كثير من الخواطر المذهِلة فيكسب فراغ الذهن؛ وصحة الذكاء، وأنشد لنفسه يفخر بالعمى :

[١٧١ ظ] /عَمِيتُ جَنِيناً والذكاءُ مِنَ العَمَى   فجئتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْئِلا(١)
وَغاضَ ضِياءُ العَيْنِ لِلْعَقْلِ رافِدًا   بِقَلْبٍ إذا ما ضَيَّعَ الناسُ حَصَّلا
وَشِعْرٍ كَنَوْرِ الرَّوْضِ لاأَمْتَ بَيْنَه   بِقَوْلٍ إذا ما أحْزَنَ الشِّعْرُ أسْهَلا

***

وأخبرنا المرزبانىّ قال أخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا الأصمعىّ قال : أنشد رجل وأنا حاضر بشاراً قول الشاعر :

وقَدْ جَعَلَ الأعداءُ يَنْتَقِصونَنا   وتَطْمَعُ فينا ألسنٌ وعيُونُ(٢)
ألاَ إنما لَيْلَى عصا خَيْزُرانَةٍ   إذا غَمَزُوها بالأكُفِّ تَلِينُ

فقال بشار : والله لوجعلها عصا مخ أو زُبْدٍ لما كان إلاّ مخطئاً مع ذكر العصا! ألا قال كما قلت :

---

(١) الأغانى ٣ : ٢٣ .   (١) الخبر والأبيات فى أمالى الزجاجى: ١٣٦ .

وحَوْراءِ المدامعِ من مَعَدٍّ ... كأنَّ حَدِيثَهَا قِطَعُ الجِنانِ
إذَا قامتْ لسبْحَتِهَا تَثنَّتْ ... كأنَّ قَوَامَها من خَيْزُرانِ
يُنَسِّيكَ المُنى نَظَرٌ إليْها ... ويَصْرِفُ وَجْهَها وَجْهُ الزمانِ

***

وأخبرنا المرزبانيّ قال حدثنا عليّ بن أبي عبد الله الفارسيّ قال حدثني أبي عن عمر بن شبة قال قال لي أبو عبيدة : رحلَ بشار إلى الشام ، فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك ؛ وكان مقيما بحرّان ، ؛ فقال قصيدة طويلة أوّلها :

نأتْكَ على طولِ التَّجاوُرِ زَيْنَبُ ... وماعَلِمتْ أنَّ النَّوَى سوْفَ يَشْعَبُ (١)

وكان سليمان بخيلا فأعطاه خمسة آلاف درهم ، ولم يصب غيرَها بعد أن طال مقامه، فقال:

إن أمْسِ مُنْقَبِضَ اليَدَيْنِ عن النَّدَى ... وَعنِ العَدُوِّ مُحبَّسَ الشَّيْطانِ (٢)
فلقدْ أَرُوحُ على اللِّئامِ مُسلَّطًا ... ثَلِجَ المقيلِ (٣) مُنعَّمَ النُّدْمانِ
في ظلِّ عَيْشٍ عَشِيرةٍ مَحْمُودَةٍ ... تنْدَى يَدِي ، ويخافُ فَرْطَ لِساني
أَزْمانَ سِرْبالُ الشَّبابِ مُذَيَّلٌ ... وَإذِ الأميرُ عَلَيَّ من جِيراني
[١٧٢ و] /رِيمٌ بأحْوِيَةِ العراقِ إذَا بدَا ... بَرَقَتْ عليْهِ أكِلَّةُ المَرْجانِ (٤)
فاكْحَلْ بعَبْدَةَ مُقْلَتَيْكَ من القَذَى ... وبوَشْكِ رُؤْيَتِها من الهَمَلانِ
فَلَقُرْبُ منْ تَهْوَى وأنت مُتَيَّمٌ ... أشْفَى لِدائِكَ منْ بني مرْوَانِ

فلما رجع إلى العراق برّهُ ابن هبيرة ووصلَه ، وكان ابن هبيرة يتقدّمه ويؤثره لمدحه قَيْساً وافتخاره بها ، فلما جاءت دولة خراسان عظم شأنه .

---

(١) الأغاني ٣ : ٥٦ ؛ ويشعب : يفرق، وبعده :

يرى الناسُ ماتلقى بزينب إذ نأتْ ... عجيبا ، وما تخفي بزينب أعجبُ

(٢) الخبر والشعر في الأغاني ٣ : ٥٦ . ومن نسخة بحاشية الأصل : « مخيس الشيطان » .

(٣) م : « ثلج المقام » . (٤) أحوية جمع حواء ؛ والحواء : جماعة البيوت المتدانية . والأكلة : جمع إكليل ؛ وهو التاج ؛ أو شبه عصابة تزين بالجواهر .

وأخبرنى المرزبانىّ قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوىّ قال قال الأصمعى : ما وصف أحدٌ الثَّغْرَ إلاّ احتاج إلى قول بشر بن أبى خازم :

يُفَلِّجْنَ الشِّفاهَ عن اقْحِوانٍ ‍ ‍ ‍ ‍ جلاهُ غِبَّ ساريةٍ قِطَارُ

ولا وصف أحدٌ اللون بأحسن من قول عمر بن أبى ربيعة :

وَهْىَ مَكْنونة تحيَّر منها ‍ ‍ ‍ ‍ فى أديم الخدَّين ماءُ الشَّبابِ (١)
شَفَّ منْها محقَّقٌ جَندِىٌّ ‍ ‍ ‍ ‍ فَهْىَ كالشَّمسِ منْ خلالِ السَّحابِ (٢)

ولا وصف أحدٌ عينى امرأةٍ إلا احتاج إلى قول عدى بن الرِّقاع :

لولاَ الحَياءُ وَأنَّ رأسىَ قد بَدَا ‍ ‍ ‍ ‍ فيهِ المَشِيبُ لزُرْتُ أُمَّ القاسِمِ (٣)
وكأنَّها وَسْطَ النِّساء أعارَها ‍ ‍ ‍ ‍ عَيْنَيْهِ أحْوَرُ من جآذِرِ جاسِمِ (٤)
وَسْنانُ أقْصدَهُ النُّعَاسُ فرنَّقتْ ‍ ‍ ‍ ‍ فى عَينِه سِنَةٌ وليسَ بنائمِ (٥)

ولا وصف أحدٌ نجيباً إلا احتاج إلى قول حُميد بن ثور :

مُحلًّى بأطواقٍ عِتاقٍ يُبينُها ‍ ‍ ‍ ‍ على الضُّرِّ رَاعِى الضَّأْنِ لو يتَقَوَّفُ (٦)

ولا وصف أحد ظَلِيما إلا احتاج إلى قول علقمة بن عبدة :

---

(١) ديوانه : ٤٢٣ . (٢) ثوب محقق محكم النسج ، وجند : بلد باليمن .

(٣) الشعر والشعراء ٦٠٢ ، واللآلئ ٥٢١ ، وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « قدفشا » ، ومن نسخة أخرى : « قد غشا » . (٤) الجآذر : جمع جؤذر ، بضم الذل وفتحها ، وهو ولد البقرة الوحشى . جاسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ . (٥) أقصده : صرعه . رنقت : خالطت ، والبيت أيضا فى اللسان (رنق) . (٦) ديوانه ١١١ ؛ وفى حاشيتى الأصل ، ف : « يصف بعيرا ومحلى ؛ أى عليه نجار العتق ، وإذا رآه صاحب الضأن الذى لا بصيرة له عرف عتقه ونجابته على ما مسه من الضر . لم يتقوف ، من القيافة ، ويروى : « لو يتعيف » . شبه ما يبين من عتقه بأطوق تظهر لمن رآها ويروى : « يبينه » أى البعير ، وقبل هذا البيت :

فِطرْتُ إلى عارِى العظامِ كأنَّهُ ‍ ‍ ‍ ‍ شقا ابن ثلاثٍ ظهره مُتَحَرِّفُ
طوتْهُ الفلاَ حتى كأنّ عِظامَهُ ‍ ‍ ‍ ‍ مآسير عيدانٍ تموج وتُرجفُ
فثارَ وما يُمْسِى فويْقَ عِظامِهِ ‍ ‍ ‍ ‍ برمٍ ولكِنْ عارفٌ مُتَكَلِّفُ =

هَيْقٌ كأَنَّ جناحَيْهِ وجُؤْجُؤَهُ بَيْتٌ أطَافَتْ بهِ خَرْقاء مهجُومُ(١)

ولا اعتذر أحد إلا احتاج إلى قول النابغة :

[١٧٢] ط / فإنَّكَ كالَّليلِ الذى هو مُدْرِكى وَإنْ خِلتُ أَنَّ المُنتَأَى عنكَ واسِعُ(٢)

قال سـيدنا أدام الله علوّه : أما قول حُميد بن ثور : « محلّى بأطواق عِتاق » فإنه يريد أن عليه نِجار الـكرم والعِتق ، فصارت دلالتهما وسماتهما حِلية له من حيث كان موسوماً بهما .

ومعنى : « يبينها على الضراء » يتبينها ويعرفها هذا الراعى فيعلم أنه كريم ، والتقوّف : من القِيافة .

فأما قول علقمة «هَيْق...» فالهيق: ذكر النعام . ومعنى: «أطافت به خَرْقاء» ، أى عملته وابتنته، وقيل : إن خرقاء هاهنا هى الحاذقة، وأن هذه اللفظة تستعمل على طريق الأضداد فى الحاذقة وغير الحاذقة ، ومعنى « مهجوم » : أى مهدوم ، وقال الأصمعىّ: معنى «أطافتْ به» ، أى عملته فخرقت فى عمله ، يقول: قد أرسل جناحيه كأنه خباء امرأة خرقاء ، كلما رفعت ناحية استرخت أخرى ؛ والوجه الثانى أشبه وأملح .

فأما قول بِشر فى وصف الثغر فأحسن منه وأ كشف وأشد استيفاء قول النابغة :

= قوله : « عارى العظام » أى بعير مهزول ، وشقا ابن ثلاث أى هلال ابن ثلاث . وماء أسير عيدان ويروى « ماء آسر عيدان » ، أى عيدان مأسورة مشدودة . والرم . المخ ، يريد أنه ليس يمسى برم ، أى ليس فى عظامه مخ ؛ ولـكنه عارف ؛ أى معترف بالسير ، ذليل متـكاف يتـكاف السير على جهد » .

(١) حاشية الأصل : « هيق ، أى ظليم ، وهو اسم له ، والجؤجؤ : الصدر ؛ وأراد بالبيت بيتان الشعر أو الوبر . الخرقاء : المرأة التى ليست بصناع . ومهجوم : مصروع ساقط ، يقول : أتت البيت هذه الخرقاء لتصلحه فلم تحسن ، واستخرجت عيدانه وأطنابه ، فشبه الظليم به ، لاسترخاء جناحيه ونشره إياهما . وقال المازنى : إذا بنت الخرقاء بيتا انهدم سريعا . وقال غيره : خرقاء هنا : ريح لاتدوم على جهة واحدة » والبيت فى ديوانه ١٣٠ ، والمفضليات : ٤٠٠ ، (طبعة المعارف) وروايته فيهما :

☆ صَعْلٌ كأَنَّ جَناحَيْهِ وجُؤْجُؤه ☆

(٢) ديوانه :

كالأُقحوانِ غداةَ غبٍّ سمائِهِ ... جفَّتْ أعاليهِ وأسْفَلُه نَدِ(١)

فإنما وصف أعاليه بالجُفوف ؛ ليكون متفرقاً متنضِّداً غير متلبِّدٍ ولا مجتمع ؛ فيشبه حينئذ الثغور ، ثم قال : « وأسفله ندِ » حتى لا يكون قَحْلاً يابساً ، بل يكون فيه الغضاضة والصَّقالة، فيشبه غروب الأسنان التى تلمع وتبرق .

وروى الرياشىّ قال : سمعت الأصمعىّ يقول : أحسنُ ما قيل فى وصف الثَّغر قول ذى الرُّمة :

وتَجْلُو بفَرْعٍ مِنْ أرَاكٍ كأنَّه ... من العَنْبَرِ الهِنْدِىّ وَالمسْكِ يُصْبَحُ(٢)
ذُرَا أُقْحوانٍ وَاجهَ الليلَ وارْتَقى ... إليهِ النَّدَى من رَامةَ المتَرَوِّحُ(٣)
هِجَانِ الثَّنايا مُغْرَبًا لو تبَسَّمتْ ... لأَخْرَسَ عنه كاد بالقول يُفصِحُ(٤)

---

(١) ديوانه : ٣١ . الأقحوان : نبت له نوار أصفر ، حواليه ورق أبيض وفى حاشيتى الأصل ، ف : « ضمن اللعام الحرانى هذا البيت فى هجو فجعله آبدة من الأوابد فقال :

ياسائلى عن جعفر ، علمِى به ... رَطْبُ العِجَانِ وكفُّه كالجلمَدِ
كالأقحوان غداةَ غب سمائِهِ ... جَفّتْ أعاليهِ وأسفله ندِ

والبيتان فى خاص الخاص: ١٤٤ . (٢) ديوانه : ٨٣ . يصبح : يسقى وقت الصباح .

(٣) فى الديوان : « راحة الليل » ، بالرفع. رامة : رملة بعينها . المتروح: الذى جاءرواحا . وبعد هذا البيت فى رواية الديوان :

تَحُفُّ بتُرْبِ الرَّوْضِ مِنْ كلِّ جانبٍ ... نسيمٌ كفأرِ الْمِسْكِ حِينَ يُفَتَّحُ

(٤) المغرب : الأبيض من كل شىء .

مجلس آخر ٣٩

تأويل آية

إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ / الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾؛ [١٧٣- و] [التوبة : ٥٥].

فقال : كيف يعذبهم بالأموال والأولاد ، ومعلوم أن لهم فيها سروراً ولذة؟ وما تأويل قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ وظاهرُه يقتضى أنه أرادَ كفرَهم من حيث أراد أن تزهق أنفسُهم فى حال كفرهم ، لأن القائل إذا قال : أريدُ أن يلقانى فلان وهو لابسٌ أو على صفة كذا وكذا ، فالظاهرُ أنه أرادَ كونه على تلك الصفة ؟

الجواب ، قلنا : أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وُجوه :

أولها ما روِى عن ابن عباس وقَتادة ، وهو أن يكون فى الكلام تقديم وتأخير ، ويكون التقدير : فلا تعجبْك يا محمد ولا تُعجب المؤمنين معك أموالُ هؤلاء الكفار والمنافقين ولا أولادهم فى الحياة الدنيا ؛ إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة عقوبةً لهم على منْعهم حقوقَها ؛ واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ؛ [النمل : ٢٨] ، والمعنى : فألقِهْ إليهم فانظرْ ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم ؛ وأنشدَ فى ذلك قول الشاعر :

عشيّةَ أبدَتْ جيد أدْماءَ مُغْزِلٍ ... وطرْفاً يُريكَ الإثمِدَ الجوْنَ أحورا[1]

يريد : وطرَفاً أحور يُريك الإثمدَ الجوْن ؛ وقد اعتمد هـذا الوجه أيضا أبو علىّ قُطرُب ، وذكره أبو القاسم البلخىّ والزّجاج .

---

(١) مغزل : معها غزالها .

وثانيها أن يكون معنى التعذيب بالأموال والأولاد فى الدُّنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسَبى أولادهم واسترقاقهم ؛ وفى ذلك لامحالةَ إيلام لهم ، واستخفاف بهم ، وإنما أراد تعالى بذلك إعلامَ نبيه عليه السلام والمؤمنين أنه لم يرزق الكفار الأموالَ والأولاد ؛ ولم يبقِها فى أيديهم كرامة لهم ، ورضاً عنهم ؛ بل للمصلحة الداعية إلى ذلك ، وأنهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذى ذكرناه ، فلا يجب أن يُغبَطُوا ، ويُحسدوا عليها ؛ إذ كانت هذه عاجلتهم ، والعقاب الأليم فى النار آجلتهم ؛ وهذا جواب أبى علىّ الجبائىّ .

وقد طعن عليه بعضُ مَن لا تأمُّلَ له فقال : كيف يصح هذا التأويل ، مع أنا نجد كثيراً من الكفَّار لا تنالهم أيدى / المسلمين ، ولا يقدرون على غنيمة أموالهم ، ونجد أهلَ [١٧٣ ظ] الكتاب أيضا خارجين عن هذه الجملة لمكان الذِّمة والعهد ؟ وليس هذا الاعتراض بشىء ، لأنه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولاَ عهد ؛ ممن أوجب الله تعالى محاربته ؛ فأما الذين لا تنالهم الأيدى ، أو هم من القوة على حدٍّ لا يتم معه غنيمة أموالهم؛ فلايقدح الاعتراض بهم فى هذا الجواب لأنهم ممن أراد الله تعالى أن يُسْبَى ويُغْنَم ، ويجاهَد ويُغلب ؛ وإن لم يقع ذلك ؛ وليس فى ارتفاعه بالتعذّر دلالة على أنه غير مراد .

وثالثها أن يكون المراد بتعذيبهم بذلك كلَّ ما يُدخله فى الدنيا عليهم من الغموم والمصائب بأموالهم وأولادهم التى لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء ، وللمؤمنين محنة وجالبة للعوض والنفع .

ويجوز أيضاأن يراد به ما ينذَرُ به الكافر قبل موته، وعند احتضاره، وانقطاع التكليف عنه مع أنه حىٌّ، من العذاب الدائم الذى قد أُعِدّ له، وإعلامِه أنه صائر إليه، ومنتقل إلى قراره؛ وهذا الجواب قد روِىمعنى أ كثره عن قوم من متقدمى المفسرين(١)، وذكره أبو علىّ الجبائىّ أيضاً .

---

(١) حاشية الأصل : « نسخة الشجرى : أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى » .

ورابعها [جواب][1] يحكَى عن الحسن البصرىّ ، واختاره الطبرىّ وقدّمه على غيره ، وهو أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الـكفار من الفرائض والحقوق فى أموالهم ؛ لأن ذلك يُؤْخَذُ منهم على كرهٍ ، وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بغـــير نيّة ولا عزيمة ؛ فتصير نفقتُهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقون عليها أجراً .

[2]قال السيد قدس الله روحه : وهذا وجه غير صحيح ؛ لأن الوجهَ فى تـكليف الـكافر إخراج الحقوق من ماله كالوجه فى تـكليف المؤمن ذلك ؛ ومحال أن يكون إنما كلِّف إخراج هذه الحقوق على سبيل العـقاب والجزاء ؛ لأن ذلك لا يقتضى وجوبَه عليه[2]؛ والوجه فى تـكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة واللطف فى التـكليف .

ولا يجرى ذلك مجرى ماقلناه فى الجواب الذى قبل هذا؛ من أن المصائب والغُموم قد تـكون للمؤمنين مِحْنة، وللـكافرين عقوبة ؛ لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجهُ حسنها العقوبة والمحنة جميعاً ؛ ولا يجوز فى هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المـكلَّف إلا وجهٌ واحد ، وهو المصلحة فى الدِّين ، فافترق الأمران .

[١٧٤ و] وليس لهم أن يقولوا : / ليس التعذيب فى إيجاب الفرائض عليهم؛ [3]وإنما هو لإخراجهم أموالهم على وجه التـكرُّه والاستثقال[3] ؛ وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكروه خرج من أن يكون مرادا لله تعالى ؛ لأنه جلّ وعز ما أراد منهم إخراجَ المال على هذا الوجه ، بل على الوجه الذى هو طاعة وقُرْبة ؛ فإذا أخرجوها متكرِّهين مستثقلين لم يُرِدْ ذلك؛ فـكيف يقول : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾ ! ويجب أن يكون مايعذبون به شيئاً يصحُّ أن يريده الله تعالى .

وجميع هذه الوجوه التى حكيناها فى الآية ـ إلا جواب التقديم والتأخير ـ مبنيَّة على أنَّ

---

(١) من ف . (٢ ـ ٢) ساقط من الأصل ، وما أثبته عن ف .

(٣ ـ ٣) ف : « وإنما هو فى إخراجهم لأموالهم على وجه التـكره والاستثقال » .

الحياة الدنيا ظرف للعذاب؛ فتحمَّل[١] كل متأوّل من القوم ضرباً من التأويل ؛ طابق[٢] ذلك .

ومايحتاج عندنا إلى جميع ماتكلّفوه، ولا إلى التقديم والتأخير إذا لم تُجْعَل[٣] الحياة ظرفاً للعقاب ، بل جعلناها ظرفاً للفعل الواقع بالأموال والأولاد ؛ والمتعلّق بهما؛ لأنا قدعامنا أولاً أنَّ قوله : ﴿ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا ﴾ لابد من الانصراف عن ظاهره ؛ لأن الأموال والأولاد أنفسَهالاتكون عذاباً ؛ والمراد على سائر وجوه التأويل الفعل المتعلّق بها والمضاف إليها ؛ سواء كان إنفاقها والمصيبة بها والغمّ عليها، أو إباحة غنيمتها وإخراجها عن أيدى مالكيها؛ فكأنّ تقدير[٤] الآية : إنما يريد الله ليعذّبهم بكذا وكذا؛ مما يتعلق بأموالهم وأولادهم ، ويتّصل بها ؛ وإذا صحّ هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا ظرفا لأفعالهم القبيحة فى أموالهم وأولادهم التى تغضب الله تعالى وتُسخطه ؛ كإنفاقهم الأموال فى وجوه المعاصى ، وحملهم الأولاد على الكفر، وإلزامهم الموافقةَ لهم فى النِّحْلة، ويكون تقدير الكلام: إنما يريدُ الله ليعذِّبهم بفعلهم فى أموالهم وأولادهم ؛ الواقعِ ذلك منهم فى الحياة الدنيا ؛ وهذا وجه ظاهر يغنى عن التقديم والتأخير ؛ وسائر ما ذكروه من الوجوه .

فأماقوله تعالى: ﴿ وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ فمعناه تبطل وتخرج ؛ أى أنّهم يموتون على الكفر؛ وليس يجب إذا كان مريدا لأن تزهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يكون مريدا للحال نفسها على ما ظنّوه؛ لأنّ الواحد منّا قد يأمر / غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البغْى وهم [١٧٤ ظ] محاربون ، ولا يقاتلهم وهم منهزمون ، ولا يكون مريدا لحرب أهل البغْى للمؤمنين؛ وإن أراد قتالهم على هذه الحالة ، وكذلك قد يقول لغلامه: أريد أن تواظب على المصير إلىّ فى السِّجْن وأنا محبوس ، وللطبيب : صِرْ إلىّ ولازمْنى وأنا مريض ، وهو لا يريد المرض ولا

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فتمحل » . (٢) ف : « يطابق » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « لم نجعل الحياة » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « فكان تقدير الكلام » .

الحبْس ؛ وإن كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين .

وقد ذكر فى ذلك وجه آخر على ألاّ يكون قوله : ﴿ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ حالاً لزهوق أنفسهم ؛ بل يكون كأنه كلام مستأنف ، والتقدير فلا تعجبْك أموالهم ولا أولادُهم ؛ إنما يريد الله ليعذِّبهم بها فى الحياة الدنيا؛ وتَزْهَق أنفسهُم وهم مع ذلك كافرون صائرون إلى النار؛ وتكون الفائدة أنهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة؛ ويكون معنى ﴿ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة ، بل المشقة الشديدة والكُلَف[1] الصَّعْبة ، كما يقال: ضربت فلانا حتى مات وتَلِفت نفسه ، وخرجت روحه ، وما أشبه ذلك .

***

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ذاكرنى قوم من أهل الأدب بأشعار المحدَثين وطبقاتهم وانتهوا إلى مروان بن يحيى بن أبى حفصة[2] ؛ فأفرط بعضهم فى وصفه وتقريظه ، وآخرون فى ذمه وتهجينه والإزراء على شعره وطريقته؛ واستخبروا عما أعتقده فيه، فقلت لهم: كان مَرْوان متساوِىَ الكلام ، متشابهَ الألفاظ ، غير متصرِّف فى المعانى ولا غواصٍ عليها ولا مدقِّق لها ؛ فلذلك قلَّتِ النَّظائر فى شعره ، ومدائحه مكرَّرة الألفاظ والمعانى ، وهو غزير الشعر قليلُ المعنى ؛ إلا أنه مع ذلك شاعر له تجويد وحِذْق، وهو أشعر من كثير من أهل زمانه وطبقته ، وأشعر شعراء أهله ؛ ويجب أن يكون دونَ مسلم بن الوليد فى تنقيح الألفاظ وتدقيق المعانى ، وحسن الألفاظ ، ووقوع التشبيهات ، ودون بشّار بن برد فى الأبيات النادرة السائرة ، فكأنه طبقةٌ بينهما ؛ وليس بمقصِّر دونهما شديداً ، ولا منحط عنهما بعيدا .

وكان إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ يقدِّمه على بشار ومسلم ، وكذلك أبو عمرو الشيبانىّ

---

(١) ف : « والكافة » .

(٢) هو أبو السمط ــ وقيل أبو الهندام مروان بن أبى حفصة ؛ ولد سنة ١٠٥ ، وهلك فى أيام الرشيد سنة ١٨٢. (وانظر ترجمته وأشعاره فى الشعر والشعراء ٧٣٩ــ٧٤١ ، وابن خلكان ٢ : ٧٩ــ٨١) .

وكان الأصمعي يقول : مروان / مولَّد[1]، وليس له علم باللغة. واختلافُ الناس في اختيار الشعر [١٧٥ و] بحسب اختلافهم في التنبيه على معانيه ؛ وبحسب ما يَشترطونه من مذاهبه وطرائقه.

فسئلت عند ذلك أن أذكر مُختارَ ما وقع إليّ من شعره وأنبه على سرقاته ونظائر شعره ، وأن أُمْلِيَ ذلك في خلال المجالس وأثنائها .

فمما يختار من شعره قوله من قصيدة يمدح بها المهديّ أولها :

أعادَكَ مِنْ ذِكْرِ الأَحِبَّةِ عائِدُ ! ... أجَلْ ، واسْتَخَفَّتْكَ الرُّسُومُ البَوائِدُ

يقول فيها :

تذَكَّرْتَ من تَهْوَى فأبْكَاكَ ذِكْرُهُ ... فلا الذِّكْرُ مَنْسِيٌّ ولا الدَّمْعُ جامِدُ
تَحِنُّ وَيأبَى أن يُساعِدَكَ الهوَى ... ولَلْمَوْتُ خَيْرٌ من هَوًى لا يُساعِدُ
ألاَ طالمَا أنْهَيْتَ دَمْعَكَ طائِعاً ... وجارَتْ عليك الآنساتُ النَّوَاهِدُ
تُذَكِّرُنا أبْصارُها مُقَلَ المَهَا ... وأعناقُها أُدْمُ الظِّبَاء العَوَاقِدُ[2]
تَسَاقَطُ مِنْهُنَّ الأَحادِيثُ غَضَّةً ... تَساقُطَ دُرٍّ أسلَمَتْهُ المَعَاقِدُ
إِلَيْكَ أَمِيرَ المُؤْمنِينَ تجاذَبَتْ ... بِنا اللَّيْلَ خُوصٌ كالقِسِيِّ شَوارِدُ
يَمانيةٌ يَنأى القَرِيبُ مَحَلَّةً ... بِهِنَّ ، ويَدْنُو الشاحِطُ المُتَباعِدُ
تَجَلَّى السُّرَى عَنْها ، ولِلعِيسِ أعيُنٌ ... سَوَامٍ وأعناقٌ إليك قَوَاصِدُ
إلى مَلِكٍ تَنْدَى إذَا يَبِسَ الثَّرَى ... بِنائِلِ كَفَّيْهِ الأكُفُّ الجَوَامِدُ

---

(١) ف : « المولدون الذين بعد المخضرين » وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « مولد » بكسر اللام ؛ أي يولد الكلام . (٢) العاقد : هو الظبي الذي عطف عنقه إلى ناحية عجزه ؛ وقيل إن الصغائر تفعل ذلك كثيرا ؛ قال ساعدة :

وكأنَّمَا وافاكَ يَوْمَ لَقِيتَها ... من وحش وجرة عاقِدٌ مُتَرَبِّبُ

ولا يبعد أن يكون العواقد اللائى يأوين إلى عقدات الرمل ، أو يكون معناه أنها عقدت أعناقها ملتفة إلى أذنابها ، وذلك معهود من عادتها .

لهُ فوقَ مَجْدِ النَّاسِ مجْدَانِ منهما   طريف وعاديٌّ الجَرَاثيمِ تالِدُ

وَأحوَاضُ عِزٍّ حَوْمَةُ المَوْتِ دُونها   وَأحْواضُ عُرْفٍ ليْسَ عَنْهُنَّ ذائِدُ

أيادِي بَنى العبَّاسِ بيضٌ سَوَابغٌ   على كلِّ قومٍ بَادِياتٌ عَوَائِدُ

هُمُ يَعْدِلُونَ السَّمْكَ من قبةِ الهُدَى   كما تَعْدِلُ البيْتَ الحَرَامَ القوَاعِدُ

سَوَاعِدُ عِزِّ المُسْلِمِينَ، وإنما   تَنُوءُ بصَوْلاتِ الأكُفِّ السَّواعِدُ

[١٧٥] / يَكُونُ غِرارًا نَوْمُهُ منْ حِذَارِهِ   على قُبَّةِ الإسلامِ والخَلْقُ رَاقِدُ

كأَنَّ أميرَ المُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا   لرَأفتِهِ بالنَّاسِ للنَّاسِ وَالِدُ

أما قوله:

تساقط منهنَّ الأحاديث غضَّة   تساقُطَ دُرٍّ أسلمتْه المعاقِدُ

فكثير فى الشعر، وأظن أن الأصل فيه أبو حيّة النميرى فى قوله:

إذَا هُنَّ ساقطْنَ الأحاديثَ للفَتَى   سُقُوطَ حَصَى المَرْجانِ مِنْ كفِّ ناظِمِ

وإنما عَنَى بالمرجان صغار اللؤلؤ، وعلى هذا يُتأوَّل قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾؛ [الرحمن: ٢٢].

ومثله قول الآخر:

هِيَ الدُّرُّ مَنْثُورا إذا ما تَكَلَّمَتْ   وكالدُّرِّ منظوماً إذا لمْ تَكَلَّمِ

ومثله:

مِنْ ثَغْرِها الدُّرُّ النَّظيـ   ـمُ وَلفظُها الدُّرُّ النثِيرُ

ونظيره قول البحترىّ - وأحسن غاية الإحسان:

وَلَمَّا التقينا والنَّقا مَوعدٌ لنا   تَعَجَّب رائى الدُّرِّ حُسْناً ولاقِطُهْ

فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تجلوهُ عِنْدَ ابتِسامِها   وَمِنْ لؤْلؤٍ عِنْدَ الحَدِيثِ تُساقِطُهْ

ومثله قول الأخيْطِل[١].

خَلَوْتُ بها وَسَجْفُ الليلِ مُلْقًى وقدْ أصْغَتْ إلى الغَرْبِ النُّجُومُ
كأَنَّ كلامَها دُرٌّ نَثِيرٌ ورَوْنَقَ ثَغْرِها دُرٌّ نَظِيمُ

ولغيره:

تَبَسَّمَتْ فرأيتُ الدُّرَّ مُنْتَظِماً وَحَدَّثَتْ فرأيتُ الدُّرَّ مُنْتَثِرا

ولآخر:

وَتُحْفَظُ لَا منْ رِيبةٍ يَحْذَرُونَها وَلَكِنَّها منْ أعيُنِ النَّاسِ تُحْفَظُ
وَتَلْفِظُ دُرًّا فِي الحَدِيثِ إذَا جَرَى وَلمْ نَرَ دُرًّا قبلَ ذَلِكَ يُلفَظُ

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا:

أظْهرْنَ وَصْلاً إِذْ رَحِمْنَ مُتَيَّماً وَأَرَيْنَ هَجْراً إِذْ خَشِينَ مُراقِبا
/ فَنظَمْنَ منْ دُرِّ المَبَاسِمِ جامِداً وَنَثَرْنَ من دُرِّ المَدَامِعِ ذائِبا [١٧٦ و]

قال قدس الله روحه: وليس قول أبى دهبل فى صفة الحديث[٢]:

كَتساقُطِ الرُّطَبِ الجَنِىِّ من الـ أقْناءِ لا نَثْراً وَلا نَزْرا

من هذا الباب فى شىء، لأن جميع ما تقدم هو فى وصف الثَّغر؛ وهذا فى وصف حسن الحديث وأنه متوسِّط فى القلة والكثرة، لازم للقصد كانتثار الرُّطَب من الأقناء؛ ويشبه أن يكون أراد أيضاً مع ذلك وصفَه بالحلاوة والغضاضة لتشبيهه له بالرطب، ثم إنه غضٌّ طرىٌّ غير مكرَّرٍ ولا معاد؛ لقوله: «الرطب الجنىّ» فتجتمع له أغراض: الوصف بالاقتصاد فى القلة والكثرة، ثم وصفه بالحلاوة، ثم الفصاحة، ثم الغضاضة.

---

(١) فى م: «الأخطل» خطأ؛ وفى حاشية الأصل: «الأهوازى، يقال له برقوقا»؛ وهو محمد بن عبد الله، شاعر مجيد من أهل الأهواز.

(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «فى وصف حسن الحديث والثغر».

ونظير قول أبى دَهْبَل قول ذى الرمَّة :

لهَا بشَرٌ مِثلُ الحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ   رَخِيمُ الحَوَاشِى لا هُرَاءٌ ولاَ نَزْرُ[(١)]

فأما قول مرْوان :

إلى مَلِكٍ تَنْدَى إذَا يبِسَ الثَّرَى   بنائلِ كَفَّيْهِ الأكُفُّ الجَوَامِدُ

فمثلُ قول أبى حنش النميرىّ فى يحيى بن خالد البرمكىّ :

لا تَرَانِى مُصَافِحاً كَفَّ يَحْيى   إنَّنى إنْ فَعَلْتُ أتْلَفْتُ[(٢)] مالِى

لوْ يَمَسُّ البخِيلُ راحةَ يَحْيى   لسَخَتْ نَفْسُهُ بِبذْلِ النَّوالِ

ومثله قول ابن الخياط[(٣)] المدنىّ فى المهدىّ :

لَمَسْتُ بِكَفِّى كَفَّهُ أبتَغى الغنى   ولمْ أدرِ أنَّ الجُودَ منْ كَفِّهِ يُعْدِى[(٤)]

فلا أنَا مِنْهُ ما أفادَ ذَوُو الغنَى   أفَدْتُ ، وأعْدانِى فأتْلَفْتُ ما عِنْدِى

وقد قيل إن هذا الشاعر كأنه مُصرِّح بالهجاء ؛ لأنه زعمَ أنّ الذى لمسَ كفَّه لم يفِدْه شيئاً بل أعـداه جودُه ، فأتلفَ ماله ، ولم يُرِد الشاعر إلا المدح ؛ ولقوله وجه ، وهو أنَّ ذَوِى الغِنى همالذين تستقر الأموال فىأيديهم وتلبَثُ تحت أيمانهم؛ ومَنْ أخرج مايملِكه حالا بحال لا يوصف بأنه ذو غـنًى ، فأراد الشاعر أننى لم أُفِد منه ما بَقِى فى يدى واستقرَّ تحت مِلْكى ؛ فلهذا قال : لم أُفِد ما أفاد ذوو الغنى .

ومن هذا المعنى قول مسلم :

[١٧٦ ظ] / إلى مَلِكٍ لوْ صافَحَ النَّاسَ كلَّهمْ   لمَا كانَ حَىٌّ فى البرِيَّةِ يبْخَلُ

ومثلهقول العكوّك :

لوْ لَمسَ النَّاسُ رَاحَتَيْهِ   مَا بَخِلَ النَّاسُ بالعَطَاءِ

---

(١) ديوانه ٢١٢ .   (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « أتلف » .

(٣) حاشية الأصل : « ابن الخياط ، هو عبد الله بن محمد ، ويعرف بابن الخياط ؛ ذكر ذلك أبوالفرج الأصبهانىرحمهالله » وترجمته فى الأغانى١٨ : ٩٤ــ١٠٠ .

(٤) الأغانى ١٨ : ٩٤ .

وأحسن من هذا كلّه وأشبهُ بالمَدْحِ ، وأدخل فى طريقته قولُ البحترىّ :

مَنْ شاكِرٌ عَنِّى الخليفَةَ بالَّذِى … أوْلاهُ مِنْ طَوْلٍ ومِنْ إحْسانِ[1]
ملأَتْ يداهُ يَدِى وشرَّدَ جُودُهُ … بُخْلِى ، فأفْقَرَنى كما أغْنانِى
حتى لقَدْ أفْضَلْتُ مِنْ إفْضَالِهِ … ورَأَيتُ نَهْجَ الجُودِ حَيْثُ أرانِى
وَوثِقْتُ بالخَلَفِ الجَمِيلِ مُعَجَّلاً … مِنهُ ، فأعطَيتُ الذى أعْطانِى

ومن هذا قولُ الآخر :

رَأَيتُ الندَى فى آلِ عوفٍ خَليقَةً … إذَا كانَ فى قَوْمٍ سِوَاهُمْ تَخلُّقا
ولو جُزْتَ فى أبياتِهِم[2] لتعلّمَتْ … يدَاكَ النّدَى منهم فأصبحتَ مُمْلِقا

ولابن الرومىّ :

يجودُ البخيلُ إذَا مارآكَ … وَيَسْطُو الجَبَانُ إذَاعايَنَكْ

فأما قوله :

وأحْوَاضُ عزٍّ حَوْمَةُ الموت دُونَها … وَأحْوَاض عُرْفٍ ليسَ عَنْهُنَّ ذَائدُ

فيشبه أن يكون إبراهيم بن العباس الصولىّ أخذه فى قوله :

لنَا إبلٌ كُومٌ يَضِيقُ بها الفَضا … وَتَفْتَرُّ عنْها أرْضُها وَسماؤُها[3]
فَمِنْ دُونِها أنْ تُسْتَباحَ دِماؤُنا … وَمن دُونِنا أنْ تُسْتَباحَ دِماؤُها
حِمًى وَقِرًى فالمَوْتُ دُونَ مَرامِها … وَأيْسَرُ خَطْبٍ عندَ حَقٍّ فَنَاؤُها

وقد أحسن إبراهيم بن العباس فى أبياته كل الإحسان .

فأما قوله :

يكُونُ غِراراً نَوْمُهُ من حِذَارِهِ … على قُبَّةِ الإسْلاَمِ وَالخلْقُ رَاقِدُ

/فكثير متداوَل ، ومن حَسَنِه قولُ محمد بن عبد الملك الزيات : [١٧٧ و]

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٧٢ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « فى أثنائهم » .

(٣) ديوانه : ١٥٣ ، والأغانى ١٠ : ٥٩ (طبع دار الكتب المصرية) . الكوم : الإبل الضخمة العظيمة السنام ؛ الواحد أكوم والأنثى كوماء .

نِعْمَ الخليفةُ للرَّعيَّةِ مَن إذا ... رَقدتْ وَطابَ لهاالكَرى لم يرْقُدِ

ومثله :

وَيَظَلُّ يَحْفَظُنَا ونحنُ بِغفلَةٍ ... ويبيتُ يَكْلَؤُنا وَنحنُ نِيَامُ

ومثله للبحترىّ :

أَرَبيعةَ الفرَسِ اشْكُرِى يدَ مُنْعِمٍ ... وَهَبَ الإساءَةَ للمُسِيءِ الجانِ[١]
رَوَّعْتُمو جاراتِهِ فَبَعَثْتُمُو ... مِنهُ حَمِيَّةَ آنِفٍ غَيْرانِ
لَمْ تَكْرَ عَنْ قاصِى الرَّعِيةِ عَيْنُهُ ... فتنامَ عَنْ وِتْرِ القَرِيبِ الدَّانى

فأما قوله :

كأن أميرَ المؤمنين محمداً ... لرأفته بالناس للناس والدُ

فنظير قول بعض الشعراء فى يحيى بن خالد البرمكى:

أحْيَا لَنا يَحْيى فعَالَ خالِدِ ... فأصْبحَ اليومَ كَثِيرَ الحَامِدِ
يَسْخو بِكُلِّ طارِفٍ وَتالِدِ ... على بَعِيدٍ غائبٍ وشاهِدِ
الناسُ فى إحْسانِهِ كوَاحِدِ ... وَهوَ لهمْ أجْمَعِهِم كالوَالِدِ

ومن جيد قول مرْوان من قصيدة أوّلها :

خلَتْ بَعْدَنا من آلِ لَيْلَى المصانِعُ ... وهاجَتْ لنا الشَّوْقَ الدِّيارُ البلاقِعُ

يقول فيها :

ومالى إلى المَهْدِىّ لوْ كُنْتُ مُذْنِباً ... سِوَى حِلْمِهِ الضَّافى على النَّاسِ شافِعُ
ولاَ هُوَ عِنْدَ السُّخْطِ مِنْهُ ولاَ الرِّضَا ... بغَيْرِ التى يَرْضَى بها اللهُ واقِعُ[٢]
تَغُضُّ لهُ الطَّرْفَ العيُونُ وطرْفُهُ ... على غَيْرِهِ منْ خَشْيَةِ اللهِ خاشِعُ

(١) ديوانه ٢ : ٢٧٢ . وفى حاشية الأصل : « ربيعة رجل ورث أباه دوابه ، فقيل له ربيعة الفرس ؛ وسميت القبيلة باسم ربيعة وهى التى تذكر مع مضر » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ولا هو » وفيها (من نسخة) : « قانع » .

أما قوله :

☆ ولا هو عند السخط منه ولا الرّضا ☆... البيت

فمثل قول أشجع :

وَلَسْتُ بِخَائِفٍ لأَبى علىٍّ ... وَمَنْ خافَ الإلهَ فَلَنْ يُخَافا

[١٧٧] ظ

/ومثله:

أَمَّننى مِنْهُ وَمن خَوْفِهِ ... خِيفَتُهُ من خَشْيَةِ الْبَارِى

ولأبى نُوَاس :

قدْ كُنْتُ خفتُكَ ثمَّ أمَّننى ... منْ أَنْ أخافَكَ خَوْفُكَ اللهَ[١]

ويُشبه هذا المعنى مارُوى عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله أنه دعا غلاماً مراراً فلم يجبه ، فخرج فوجدَه على الباب[٢] فقال له : مَاحملك على تركِ إجابتى ؟ قال : كسِلت عن إجابتك ، وأمنت عقوبَتك ، فقال : عليه السلام: الحمدُ لله الذى جعلنى ممن يأمنه خَلْقُهُ.

فأماقوله: « تَغُضّ له الطرف العيون » فيشبه أن يكون مأخوذاًمن قول الفرزدق، أوممّن تنسب إليه هذه الأبيات :

يُغْضِى حياءً وَيُغْضَى منْ مهابَتِهِ ... فمَا يُكَلَّمُ إلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ[٣]

---

(١) ديوانه ١٠٩ ؛ من أبيات بعث بها الى الفضل بن الربيع .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « على باب البيت » .

(٣) ينسب هذا البيت مع غيره أيضا للحزين الكنانى ؛ وانظر مامر من حواشى ص ٦٨ .

مجلس آخر [٤٠]

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ ؛ [الأنفال : ٢٤] .

فقال : مامعنى الحَوْل بين المرء وقلبه ؟ وهل يصحّ ما تأوَّله قومٌ مِنْ أنه يحولُ بين الكافر وبين الإيمان ؟ وما معنى قوله : ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾؟ وكيفَ تكون الحياة فى إجابته ؟

الجواب، قلنا : أما قوله تعالى: ﴿ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ ففيه وجوه :

أوّلها أنْ يريد بذلك أنَّه تعالى يحولُ بين المرء وبين الانتفاع بقَلْبه بالموت ، وهذا حثٌّ من الله عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوْت وانقطاع التَّكْليف ، وتعذّر مايسوِّفُ به المكلَّف نفسَه من التوبة والإقلاع ؛ فكأنه تعالى قال : بادروا إلى الاستجابة لله وللرسول مِنْ قبل أن يأتيَكم الموت فيحولَ بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ، ويتعذرَ عليكم ماتسوِّفون به[1] نفوسَكم من التوبة بقلوبكم. ويقوّى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [2].

وثانيها أن يحولَ بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تمييزه ، وإن كان حيًّا ، وقد يقال لمن فقد عقلَه وسُلِبَ تمييزه: إنّه بغير عقل[3] ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ ﴾؛[ق : ٣٧] .

وقال الشاعر :

[١٧٨ و] /وَلِى أَلْفُ وجْهٍ قدْ عَرَفْتُ مكانَهُ ... ولكِنْ بلاَ قَلْبٍ إلى أيْنَ أذْهَبُ!

وهذا الوجه يقرُب مِن الأوّل ؛ لأنه تعالى أخرَج هذا الكلام مخرج الإنذار لهم ،

(١) حاشية الأصل (من نسخة) « فيه » . (٢) بقية الآية السابقة

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « بغير قلب ».

والحث لهم[1] على الطاعات قبل فوْتها ، لأنه لافرق بين تعذّر التوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين تعذّرها بإزالة العقل .

وثالثها أن يكون المعنى المبالغةَ فى الإخبارعن قُرْبه من عباده وعلمه بمايبطنون ويخفون ؛ وأنّ الضمائرالمكنونة[2] لهظاهرة، والخفاياالمستورة لعلمهبادية ؛ ويجرى ذلكمجرى قولهتعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ؛ [ق : ١٦] ، ونحن نعلم أنه لمتعالى يُرِدْ بذلك قربَ المسافة ، بل المعنى الذى ذكرناه .

وإذاكان عزّوجل هو أعلم بما فى قلوبنا منَّا ، وكان ما نعلمه أيضا يجوز أن ننساه،ونسهوَ عنه ، ونَضِلَّ عن علمه ــ وكل ذلك لا يجوزعليه ــ جازَأن يقول : إنهيحول بيننا وبين قلوبنا ؛ لأنه معلوم فى الشاهد أن كل شىء يحول بين شيئين فهو أقربُ إليهما .

ولما أراد تعالى المبالغة فى وصف القرب خاطبنا بمانعرِف ونألف؛ وإن كانالقربالذىعناه جلّت عظمتُه لم يُرِدْ به المسافة ، والعرب تضعُ كثيراً لفظة القُرْب على غير معنى المسافة ؛ فيقولون : فلان أقرب إلى قلبى من فلان ، وزيد منى قريب ، وعمرو منّى بعيد ؛ ولا يريدون المسافة .

ورابعها ــماأجاببهبعضهم ــ من أنّ المؤمنين كانوا يفكّرون فى كثرة عدوِّهم ، وقلة عددهم ، فيدخُلُ قلوبهم الخوف، فأعلمهم تعالى أنهيحول بين المرء وقلبه، بأن يبدّله بالخوف الأمنَ؛ ويبدّل عدوّهم ــ بظنهم أنهم قادرون عليهم وغالبون لهم ــ الجبن والخَوَر .

ويمكن فى الآية وجه خامس ؛ وهو أن يكون المراد أنه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه إليه قلبُه من القبائح؛ بالأمر والنهىوالوعد والوعيد ؛ لأنا نعلم أنه تعالى لو لم يكلف العاقلَ مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ؛ ولا عن مواقعته رادع؛ فكأنّ التكليف حائلٌ بينه وبينه ؛ من حيث زُجر عن فعله ، وصُرِفَ عن مواقعته ؛

---

(١) ساقطة من ف. (٢) حاشية ف (من نسخة) : « المكتومة » .

[١٧٨ ظ] وليس يجب فى الحائل / أن يكون فى كل موضع مما يمتنع معه الفعل ؛ لأنا نعلم أن المشير منّا على غيره فى أمر كان قد هَمَّ به وعزم على فعله أن يجتنبَه. والمنبِّه له على أنَّ الحظ فى الانصراف عنه يصح أن يقال : منعه[١]، وحال بينه وبين فعله ، قال عبيد الله بن قيس الرقيات[٢]:

حالَ دُونَ الهوَى وَدُو ... نَ سُرَى اللّيْـلِ مُصْعَبُ
وسِياطٌ على أكُفٍّ رِجالٍ ... تُقلَّبُ

ونحن نعلم أنه لم يحل إلاَّ بالتخويف والترهيب دون غيرها .

فإن قيل : كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية ؟

قلنا : وجهُ المطابقة ظاهرٌ ، لأنه تعالى أمرَهم بالاستجابة لله تعالى ولرسوله فيما يدْعُوان إليه من فعل الطاعات، والامتناع من المقبّحات، وأعلمهم أنه بهذا الدعاء والإنذار ومايجرى[٣] مجراهما يحولُ بين المرء وبين ماتدعوه إليه نفسه من المعاصى؛ ثم إن المآب بعد هذا كلِّه إليه والمنقلَب إلى ما عنده ؛ فيجازِى كلاًّ باستحقاقه .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ففيه وجوه :

أوّلها أنْ يريد بذلك الحياة فى النعيم[٤] والثواب ، لأنّ تلك هى الحياة الطيبة الدائمة التى يُؤْمَنُ مِنْ تغيّرها ، ولا يخاف انتقالُها ، فكأنه تعالى حث على إجابته التى تكسب هذه الحال .

وثانيها أنّه يختص[٥] ذلك بالدعاء إلى الجهاد وقتال العدوّ ، فكأنه تعالى أمرهم بالاستجابة للرسول عليه السلام فيما يأمرهم به من قتال عدوّهم[٦] ؛ ودفعهم عن حَوْزة الإسلام

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : «منعه منه» . (٢) حاشية الأصل : «كان جده شاعرا يشبب بجماعة من النساء ، اسم كل واحدة منهن رقية ؛ فأضيف إليهن » .

(٣) حاشية ف (من نسخة) : « وما جرى » . (٤) حاشية ف (من نسخة) : « النعم » .

(٥) ش : « أن يختص » . (٦) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف « الأعداء» .

وأعلَمهم أنّ ذلك يحييهم من حيث كان فيه قَهْرٌ للمشركين، وتقليل لعددهم، وفلٌّ لحدّهم؛ وحَسْمٌ لأطماعهم، لأنهم متى كثروا وقوُوا استلانوا جانبَ المؤمنين ؛ وأقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره ؛ فمن هاهنا كانت الاستجابة له عليه السلام فى القتال تقتضى الحياةَ والبقاء ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ؛ [البقرة : ١٧٩] .

وثالثها ماقاله قوم من أنَّ كلَّ طاعة حياةٌ ، ويوصف فاعلها بأنه حىّ ، كما أن المعاصىَ يوصف فاعلُها بأنه ميت، والوجه فى ذلك / أنَّ الطائع لما كان[1] منتفعاً بحياته ، وكانت تؤديه [١٧٩ و] إلى الثواب الدائم قيل: إن الطاعة حياة ؛ ولما كان الكافر العاصى لا يَنتفع بحياته؛ من حيث كان مصيره إلى العقاب الدائم كان فى حكم الميّت ؛ ولهذا يقال لمن كان منغّصَ[2] الحياة، غير منتفع بها : فلان بلا عيْش ولا حياة ، وما جرى مجرى ذلك من حيث لم ينتفع بحياته .

ويمكن فى الآية وجه آخر، وهو أن يكون المراد بالكلام الحياة بالحكْم لا فى الفعل ؛ لأنا قد علمنا أنه عليه السلام كان مكلّفاً مأموراً بجهاد جميع المشركين المخالفين لملّته وقتلهم، وإن كان فيما بعد كفّ ذلك فيمن عدا أهلَ الذمة على شَرْطها؛ فكأنه تعالى قال : استجيبوا للرسول ولا تخالفوه ، فإنكم إذا خالفتم كنتم فى الحكم غيرَ أحياء ، من حيث تُعُبِّدَ عليه السلام بقتالكم وقتلكم ، فإذا أطعتم كنتم فى الحكم أحياء؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾؛ [آل عمران : ٩٧] ؛ وإنما أراد تعالى أنه يجب أن يكون آمناً ؛ وهذا[3] حكمه، ولم يخبر بأن ذلك لا محالة واقع .

فأما المُجْبِرَة فلا شبهةَ لهم فى الآية ، ولا متعلّق بها ؛ لأنه تعالى لم يقل : إنه يحول بين المرء وبين الإيمان، بل ظاهر الآية يقتضى أنّه يحول بينه وبين أفعاله ، وإنما يقتضى ظاهرُها أنه يحول بينه وبين قلبه ؛ وليس للإيمان ولا للكفر ذكرٌ ، ولو كان للآية ظاهر يقتضى

(١) ش : « إذا كان » . (٢) حاشية ف (من نسخة) : « متكدر » .
(٣) حاشية ف (من نسخة) : « وهكذا حكمه » .

ماظنوه ــ وليس لها ذلك ــ لا نصرفنا عنه بأدلة العقل الموجبة أنه تعالى لايحول بين المرء وبين ماأمره به ، وأراده منه ، وكلَّفه فعلَه ؛ لأن ذلك قبيح ، والقبائح عنه منفيَّة .

***

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانىّ قال حدثنى أحمد بن محمد الجوهرىّ قال حدثنا الحسن بن عُلَيل العنزىّ قال حدثنا أحمد بن عمرو بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عوف قال حدثنى محمد بن خالد[1] بن عبد الله عن الحجاج السُّلَمىّ قال : لما اشتد بحصْن ابن حذيفة بن بَدْر وجعُه من طَعْنَة كُرْز[2] بن عامر إياه يوم بنى عُقَيْل دعا ولده فقال : إن الموتَ أهونُ مماأجد ، فأيُّكم يُطيعنى ؟ قالوا : كلنا نطيعُك ؛ فبدأ بأكبرهم فقال : قم فخذ سيفى واطعَن به حيث آمرك ، ولا تعجّل ؛ قال : ياأبتاه: أيقتل المرء[3] أباه ! فأتى على القوم كلِّهم /، فأجابوه جواب[4] الأول ؛ حتى انتهى إلى عُيَيْنة فقال : ياأبتاه، أليس لك فيما [١٧٩ ظ] تأمرنى به راحة ، ولى بذلك طاعة ؛ وهو هواك ؟ قال : بلى ، قال: فمرْنى كيف أصنع ، قال : قم فخذ سيفى فضعْه حيث آمرك[5] ، ولا تُعَجّل ، فقام فأخذ سيفه ، ووضعه على قلبه ، ثم قال: ياأبتاه ، كيف أصنع ؟ قال : ألق السيف ؛ إنما أردتُ أن أعلم:أيُّكم أمضَى لما آمربه ؛ فأنت خليفتى ورئيس قومك من بعدى، فقال القوم: إنه [٦ سيقول فيما كان بيتاً، فاحضروه ٦] فلما أمسى قال :

وَلُّوا عُيَيْنَةَ منْ بعدِى أُمورَكُمُ ... واسْتيْقِنُوا أنه بعدِى لكُم حامِ
إما هلكتُ فإنى قد بنيتُ لكُمْ ... عِزَّ الحَياةِ بما قَدَّمْتُ قُدَّامِى
واسْتَوْسِقوا للتى فِيها مَرُوءَتُكُمْ ... قَوْدَ الجيادِ ، وضَرْبَ القَوْمِ فى الْهَامِ[7]

---

(١) ش : « عمر بن خالد » . (٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « كريز » .
(٣) ش : « الرجل » . (٤) ف : « بجواب الأول » . حاشية الأصل (من نسخة) : « الجواب الأول » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « كما أمرت به » .
(٦ـ٦) م: «إنه سيقول فى ذلك شيئافيا بيننا، فأحضروه» . (٧) استوسقوا : انضموا واجتمعوا، وفى حاشية الأصل : « نصب « قود الجياد » ، على تقدير فعل مضمر ؛ كأنه قال : أعنى قود الجياد » .

والقُرْبَ من قَوْمِكم والقُرْبُ يَنْفَعُكم ... والبُعْدَ إنْ باعَدُوا ، والرَّمْىَ للرّامى
ولىَّ حُذَيفَةُ إذْ وَلَّى وَخلَّفَنى ... يوْمَ الهَباةِ يَتِيماً وَسْطَ أيْتَامِ
لا أرْفعُ الطَّرْفَ ذُلاًّ عِنْدَ مُهْلَكَةٍ ... ألْقَى العَدُوَّ بوجْهٍ خَدُّهُ دَامِى
حتَّى اعتَقَدْتُ لِوَاقوْمى فقُمْتُ به ... ثمَّ ارتحَلْتُ إلى الجَفْنىّ بالشامِ
لما قَضَى ما قَضَى من حَقِّ زَائِرِهِ ... عُجْتُ المَطىَّ إلى النُّعمان من عامِ
أسمُو لمَا كانَتِ الآباءُ تَطْلُبُه ... عِندَ الملوكِ فطَرْفِى عِندَهُم سامِى
والدَّهْرُ آخِرُهُ شِبهٌ لأوَّلِهِ ... قوْمٌ كَقَوْمٍ وأيَّامٌ كأيَّامِ
فابْنُوا ولا تَهْدِمُوا فالنَّاسُ كلُّهُمُ ... من بين بانٍ إلى العلْيَا وَهَدَّامِ

قال : ثم أصبحَ ودعا بنى بدر ، فقال : لوائى ورياستى لعُيَينة؛ واسمعوا منى ماأوصيكم به: لا يتكلْ آخركم على أولكم؛ فإنما يدرك الآخر[1] ماأدركه الأول؛ وأنْكحوا الكفء[2] الغريب؛ فإنه عزٌّ حادث؛ وإذاحضركم أمران فخذوا بخيرهما صَدْرا؛ فإن كلَّ موْردٍ معرُوف؛ واصحبوا قومَكم بأجمل أخلاقكم؛ ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه؛ فإن الخِلافَ يُزْرِى بالرئيس المطاع؛ وإذاحارَبتم فأوْقعوا ثم قولوا صدقا ؛ فإنه لاخيرَ فى الكذب ، وصونوا الخيول، فإنها حصون الرجال ؛ وأطيلوا الرماح ؛ فإنها قرون الخيل ؛ وأعزوا[3] الكبير بالكبير؛ فإنى بذلك كنتُ أغلِبُ الناس ، ولا تغزُوا إلاّ بالعيون ؛ ولاتسرَحوا حتى تأمنوا الصباح ؛ وأعطوا على حسب المال ، وأعجلوا الضيف بالقِرى؛ فإن خيرَه أعجلُه، واتقوا فضحاتِ البَغْى، وفلتات المِزاح، ولا تجترِئوا على الملوك ؛ فإن أيديَهم أطول من أيديكم ؛ واقتلوا كُرْز بن عامر .

ومات حصن فأخذ عيينة الرّياسة ، وقال :

أَطعْتُ أبا عُيَيْنَةَ فى هوَاهُ ... فلَمْ تَخلِج صَرِيمتِى الظُّنُونُ[4]

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « الأخير » . (٢) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « الكنى » . (٣) س : « واغزو » . (٤) الصريمة : العزيمة والرأى . وفى حاشية الأصل: « يقال : اختلجته الظنون وتخالجته وخلجته ، أى ظن ، والشاعر يقول : لم تأخذنى الظنون مآخذها إلى طعنه ، ولم أظن ظنا » .

وقَدْ عَرَضَ الرّئيسُ على بَنيهِ   فقال القومُ : هَـــذا لا يكونُ
ستَحْيا أو تمُوتُ ، فطاوَلوهُ(١)   وقَتلُ المَرْءِ والِدَه جُنونُ
فلَمْ أقْتلْ بحَمْدِ اللهِ حِصْناً   وَكلُّ فَـتًى ستُدْرِكُهُ المَنُونُ
ولمْ أنـكُلْ عليـهِ ، وَكلُّ أمْرٍ   إذا هَوَّنْتَهُ يَوماً يَهُونُ
فإنْ يَكُ بَدْءُ هـذا الأمْر غَثًّا   فَـآخِرُه بَنى بَدْرٍ سَمينُ

وحكى عمرو بن بحر الجاحظ أن اسم عيينة بن حصن حُذَيفة، وإنمـا أصابته اللَّقْوَة(٢) فجحظتْ عينُه ؛ وزال فـكُّه ، فسمى لذلك عُيَيْنَة ؛ وإذا عظمت عين الإنسان لقَّبوه أباعيينة، وأبا عَيْناء .

وروى قيس بن أبى حازم أن عُيَيْنة بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : «هذا أحمقُ مطاع» .

وروى أيضاً أنه كان يدلَع(٣) لسانَه للحسين بن علىّ عليهما السلام وهـو صبىّ، فيَرى [الصبىّ](٤) لسانه، فيهشّ له، فقال له عيينة : ألا أراك(٥) تصنع هذا بهذا، فوالله إنه لَيكون لى الابنُ رجلا قدخرج وجهه، ماقبَّلتهُ قطّ ، فقال رسول رسول الله صل الله عليه وآله: «(٦)إنه مَن لم يرْحَم لا يُرْحَم(٦)» .

* * *

ونعود إلى ما كنا وعدْنا به من الـكلام على شعر مروان ؛ فمما يُختار من شعره قوله من قصيدة أوّلها :

صَحا بعْدَ جَهْلٍ فاسْتَراحتْ عَواذلُهْ   وأقْصَرْنَ عنهُ حينَ أقْصَرَ باطِلُهْ
[١٨٠] ط / وَمَن مُدَّ فى أيامِهِ فتأخَّرَتْ   منيَّتُه ، فالشَّيْبُ لا شكَّ شامِلُهْ

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) :

* سَيَحْيا أوْ يموتُ فطاولوه *

(٢) اللقوة : داء فى الوجه يعوج منه الشدق.   (٣) يقال دلع لسانه وأدلعه إذا أخرجه .

(٤) تـكملة من ش .   (٥) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « لا أراك » .

(٦-٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « من لم يرحم لايرحم » .

يقول فى المديح فيها :

هُوَ المَرْءُ ؛ أما دِينُهُ فَهْوَ مانِعٌ　　صَئُونٌ(١) ، وَأما مالُهُ فَهْوَ باذِلُهْ
أَمَرُّ وأحلى ما بَلَى النَّاسُ طَعْمَهُ　　عِقَابُ أميرِ المؤْمِنِينَ ونائِلُهْ
أَبِيٌّ لما يأبَى ذَوُو الحَزْمِ والتُّقَى　　فَعُولٌ إذا ما جدَّ بالأمر فاعِلُهْ
تَرُوكٌ الْهَوَى، لاالسُّخْطُ مِنْهُ ولاالرِّضَا　　لدَى مَوْطِنٍ إلاَّ على الحَقِّ حامِلُهْ(٢)
يَرَى أَنَّ مُرَّ الحَقِّ أَحْلَى مَغَبَّةً　　وأنْجى وَلو كانَتْ زُعافاً مناهِلُهْ
فإنَّ طَلِيقَ اللهِ مَنْ هو مُطْلَقٌ　　وَإنَّ قتيلَ اللهِ مَنْ هوَ قاتلُهْ
وإنَّكَ بَعْدَ اللهِ لَلْحَكَمُ الذى　　تُصَابُ بِهِ مِنْ كلِّ حَقٍّ مفاصِلُهْ

أما قوله :

وَمَنْ مُدَّ فى أيامه فتأَخَّرَت　　منيَّتُه ، فالشَّيبُ لاَ شكَّ شامِلُه

فمأخوذ من قول طريح بن إسماعيل الثقفىّ :

وَالشَّيبُ غايةُ مَنْ تأخَّر حَيْنُهُ　　لا يَسْتَطِيعُ دِفاعَهُ مَنْ يجْزَعُ

والأصل فى هذا قول أميَّة بن أبى الصَّلْت :

مَنْ لم يمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَماً　　وَلِلْمَوْتُ كأسٌ ، والمَرْءُ ذائقُها(٣)

ويشبه ذلك قول الآخر :

قُلْ لِعِرْسِى ليسَ شَيبِى بعَجَبْ　　مَنْ يَعِشْ يا أمَّ عمارٍ يَشِبْ

ومثله قول أبى العتاهية :

مَنْ يَعِشْ يَهْرَمْ، ومن يكْبَرْ يمُتْ　　والمنايا لا تُبالى مَنْ أَتَتْ(٤)

---

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « مصون » . (٢) حاشية الأصل : « أى لايحمد السخط ولا الرضا إلا على الحق » .

(٣) عبطة ؛ أى شابا صحيحا ؛ كذا ذكره صاحب اللسان (فى عبط) ، واستشهد بالبيت . وفى نسخةش : « فالمرء ذائقها » . (٤) ديوانه : ٣٩ .

يشبهُه قول البحترىّ :

ولا بُدَّ منْ تَرْكِ إحْدَى اثنَتَيْنِ فإمَّا الشَّبابُ وإما العُمُرْ(١)

[١٨١] و / ويقاربه أيضا قوله:

وَالشَّيْبُ مَهْرَبُ مَنْ جارَى مَنِيَّتَه ولا نجاءَ لهُ منْ ذَلِكَ الهَرَبِ(٢)

وقريب منه قول ابن المعتز:

وقالَتْ كِبرْتَ وانتَضيت من الصِّبا فقُلْتُ لها: ماعِشْتُ إلاَّ لأَكْبَرَا(٣)

ولبعضهم :

ولا بُدَّ منْ مَوتٍ ؛ فإما شبيبةٌ وَإمَّا مَشِيبٌ ، والشبيبة أصْلحُ

معنى قوله : « والشبيبة أصلح » أنَّ الإنسان إذا مات شاباً كان أكْثَرَ للحزن عليه والأسف على مفارقته، فإذا أسنَّ بَرِمَ به أهلُه، وهان عليهم فقدُه .

فأما قوله :

هوَ المَرْءُ ، أما دِينُهُ فَهْوَ مانِعٌ صئون ، وَأما مالهُ فهْوَ باذِلُه

فمعناه متكرر فى الشعر كثير جداً .

وأحسن شعر جمع بين وصف الممدوح ؛ بمنع ما يجب منعه ، وبذل ما يجب بذله قول مسلم بن الوليد :

يُذَكِّرُ نِيكَ الجُودُ والبُخْلُ والنُّهى وقَوْلُ الخنَا والحِلْمُ والعِلْمُ والجَهْلُ(٤)

فألْقَاكَ عن مَذْمُومِها مُتَنَزِّهاً وَألقَاكَ فى مَحْمُودِها وَلكَ الفَضْل

وأحْمَدُ منْ أخْلاقِكَ البخلَ إنهُ بعِرْضِكَ ـ لا بالمالِ حَاشَا لكَ ـ البخْلُ

---

(١) ديوانه : ١ : ٢١٩ (٢) ديوانه ١ : ٣٠

(٣) ديوانه : ١ : ٣١، وانتضيت من الصبا ، أى خلع عنك صباك .

وقد أحسن البحتريُّ فى قوله :

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى ‏ ‏ ‏ فَمَا إِنْ وَجَدْنا لفَتْحٍ ضَرِيبا(١)
تَنَقَّلَ فى سَلَفَىْ(٢) سُؤْدُدٍ ‏ ‏ ‏ سَمَاحاً مُرَجًّى وبأساً مَهِيبا
فَكالسَّيْفِ إنْ جِئْتَهُ صارِخاً ‏ ‏ ‏ وكالبَحْرِ إِنْ جِئْتَه مُسْتَثِيبا

فأما قوله :

تَرُوكُ الهوى، لاالسخطُ منه ولاالرِّضا ‏ ‏ ‏ لَدَى موطنٍ إلاَّعلى الْحَقِّ حامِلُهْ

فمعنًى متداول(٣) مطروق فى الشعر ، وقد كرّره هو فى قوله :

إذَا هُنَّ أَلْقَيْنَ الرِّحالَ ببابِهِ ‏ ‏ ‏ حطَطْنَ به ثِقْلا، وأدرَكْنَ مَغنَما(٤)
/إلى طاهِرِ الأخلاق، ما نالَ فى رضاً ‏ ‏ ‏ ولاَ غَضَبٍ مالاً حَراماً ولا دما(٥) [١٨١ ظ]

وأحسن من هذا قول أبى تمّام فى محمد بن عبد الملك :

ثَبْتُ الخطاب إذَا اصْطَكَّت بِمَظْلِمةٍ ‏ ‏ ‏ فى رَحْلِه أَلْسُنُ الأقْوامِ والرُّكَبُ(٦)
لا المَنْطِقُ اللَّغْوُ يزْكُو فى مقاومه ‏ ‏ ‏ يوما ، ولا حُجَّةُ المَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ
كأَنَّمَا هوَ فى نادى قَبيلَتِهِ ‏ ‏ ‏ لاالقَلْبُ يَهفُو ولا الأَحْشاءُ تَضْطَرِب
وتَحْتَ ذاكَ قَضَاءٌ حَزُّ شَفْرَتِهِ ‏ ‏ ‏ كما يَعَضُّ بظَهْرِ الغارِبِ القَتَبُ(٧)
لا سَوْرَةٌ تُتَّقَى منهُ ولا بلَهٌ ‏ ‏ ‏ ولا يُخافُ(٨) رضاً منهُ ولاَ غَضَبُ

---

(١) ديوانه ١ : ٥١ ، من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان وزير المتوكل ويعاتبه، ومطلعها :

لوتْ بالسلام بنانا خضيبا ‏ ‏ ‏ ولحظا يشوق الفؤاد الطروبا

ومن نسخة بحاشية الأصل : « فما إن رأينا لفتح ضريبا » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : «خلقى سؤدد»؛ وهى رواية الديوان . (٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « فبذول » .

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « وأدين مغنما » .

(٥) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « طاهر الأثواب » . (٦) ديوانه : ٤٨–٤٩ . وفى م : « ثبت الجنان » . (٧) الغارب : الكاهل . القتب : مايوضع على ظهر الرحل .

(٨) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « ولا يخيف » .

ومثله قول البحترى فى ابن الزّيات أيضا :

وَجّهَ الحَقَّ بيْنَ أخْذٍ وإعْطَا … ءٍ وقَصْدٍ فى الجَمْعِ والتَّبْدِيدِ(١)
واسْتَوَى النَّاسُ فالقَرِيبُ قَرِيبٌ … عندَهُ ، والبَعِيدُ غيرُ بَعِيدِ
لا يميلُ الهوَى بهِ حِينَ يُمضِى الا … أمْرَ بينَ المَقْلِىِّ والموْدودِ
وَسَواءٌ لديْهِ أبْنَاءُ إبْرا … هِيمَ فى حُكْمِهِ وأبناءُ هُودِ(٢)
مُستَرِيحُ الأحْشاءِ من كلِّ ضِغْنٍ … بارِدُ الصَّدْرِ من غَلِيلِ الحُقُودِ

فأما قوله :

* وإنَّ قتيلَ اللهِ مَنْ هوقاتلهْ *

فيشبه أن يكون مأخوذا من قول يزيد بن مفرّغ فى عبيد الله بن زياد :

إنَّ الذى عاشَ خَتَّاراً بذِمَّتِهِ … وماتَ عبْدًا قَتِيلُ اللهِ بالزَّابِ(٣)

أما قوله :

وإنك بعد الله للحَكَمُ الذى … تُصاب به من كل حقٍّ مِفاصِلهْ

فيشبه قول أبى تمام يصف القلم ، من قصيدة يمدح بها ابن الزيات ، وأجمع العلماء أنّ هذه الأبيات أحسن وأفخم من جميع ما قيل فى القلم :

لكَ القلَمُ الأعْلَى الذى بِشباتِهِ … تُصابُ من الأمْرِ الكُلَى والمَفاصِلُ(٤)
[١٨٢ و] / لهُ الخلَواتُ اللّائى لوْلا نَجِيُّهَا … لما احتَفَلَتْ للمُلْكِ تِلْكَ المَحافِلُ

---

(١) ديوانه ١ : ٢٠٥ .

(٢) أبناء إبراهيم : العدنانيون ، وأبناء هود : القحطانيون .

(٣) الزاب : موضع قريب من أذربيجان ؛ وقتيل الزاب هو عبيدالله بن زياد ابن أبيه ؛ قتله أصحاب المختار بن أبى عبيد ؛ ويقال : إن إبراهيم بن الأشتر حمل على كتيبته فانهزموا ، والتى عبيدالله فضربه فقتله ؛ والبيت فى الأغانى ١٧ : ٦٨ ، وبعده :

العبدُ للعبْد ، لا أصْلٌ ولا طرفٌ … ألوتْ به ذاتُ أظفار وأنيابِ

(٤) ديوانه : ٢٥٧ . الشباة هنا : حد القلم ، والكلى : جمع كلية أو كلوة .

لُعَابُ الأَفَاعِى القَاتِلاتِ لُعَابُهُ ... وَأَرْىُ الجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ(١)
لَهُ رِيقَةٌ طَلٌّ ، وَلَكِنَّ وَقْعَهَا ... بِآثَارِهِ فى الشَّرْقِ والغَرْبِ وَابِلُ(٢)
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وهو راكِبٌ ، ... وأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهْوَ رَاجِلُ
إِذَا ما امْتَطَى الخَمْسَ اللِّطَافَ وأُفْرِغَتْ ... عَلَيْهِ شِعَابُ الفِكْرِ وَهْىَ حَوَافِلُ(٣)
أَطَاعَتْهُ أَطْرَافُ القَنَا ، وتَقَوَّضَتْ ... لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الخِيَامِ الجَحَافِلُ
إِذا اسْتَغْزَرَ الذِّهْنَ الذَّكِىَّ وأَقْبَلَتْ ... أَعَالِيهِ فى القِرْطَاسِ وهْىَ أَسَافِلُ
وقَدْ رَفَدَتْهُ الخِنْصَرَانِ وسَدَّدَتْ(٤) ... ثَلاثَ نَوَاحِيهِ الثلاثُ الأَنَامِلُ
رَأَيْتَ جَلِيلاً شَأْنُهُ وهُوَ مُرْهَفٌ ... ضَنًى ، وَسَمِيناً خَطْبُهُ وهُوَ نَاحِلُ

---

(١) الأرى : العسل . اشتارته : استخرجته . عواسل : جمع عاسلة ؛ والعاسل: مستخرج العسل .

(٢) الطل فى الأصل : المطر القليل . والوابل : المطر الكثير .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « جعل القلم ممتطيا الأنامل ؛ لأنهن يحملنه وإن علونه ؛ ولو جعل القلم مطية للأنامل لأنها تعلوه لجاز وحسن. وقوله : « أفرغت عليه شعاب الفكر » دلالة قوية على أن للفكر مطية ؛ وبعد فهو منقول من قول أحمد بن يوسف وعمرو بن مسعدة : «الأقلام مطاياالفطن » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « شددت » .

مجلس آخر [٤١]

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ. إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾؛ [التكوير: ٢٦-٢٩].

فقال: ما تأويل هذه الآية؟ أوليس ظاهرُها يقتضى أنّا لا نشاء شيئا إلا والله تعالى شاء له، ولَمْ يخصّ إيماناً من كفر، ولا طاعةً من معصية؟

الجواب، قلنا: الوجه المذكور فى هذه الآية، أنّ الكلام متعلّق بما تقدّمه من ذكر الاستقامة؛ لأنه تعالى قال: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾؟ ثم قال: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾؛ أى لا تشاءون الاستقامة إلاّ والله تعالى مريدٌ لها؛ ونحن لا ننكر أن يريد الله تعالى الطاعات؛ وإنما أنكرنا إرادتَه المعاصى؛ وليس لهم أن يقولوا: تقدُّم ذكر الاستقامة لا يوجب قَصْرَ الكلام عليها؛ ولا يمنع من عمومه؛ كما أن السبب لا يُوجب قصرَ ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعدّاه؛ وذلك أن الذى ذكروه إنما يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ لا ذكر للمراد فيه؛ فهو غير مستقل بنفسه؛ وإذا علِّق بما تقدم من / ذكر الاستقامة استقلّ؛ على أنه لو كان للآية ظاهر يقتضى [١٨٢] ما ظنوه ـ وليس لها ذلك ـ لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة؛ على أن الله تعالى لا يريد المعاصىَ ولا القبائح؛ على أن مخالفينا فى هذه المسألة لا يمكنهم حملُ الآية على العموم؛ لأن العباد قد يَشَاءُونَ عندهم ما لاَ يشاؤه الله تعالى؛ بأن يريدوا الشىء ويعزموا عليه، فلا يقع لمنعٍ أو غيره؛ وكذلك قد يريد النبى عليه السلام من الكفار الإيمان، وتُعبِّدنا بأن نريد من المقدِم على القبيح تركَه؛ وإن كان تعالى عندهم لا يريد ذلك إذا كان المعلوم أنه لا يقع؛ فلا بد لهم

من تخصيص الآية؛ فإذا جاز لهم ذلك بالشُّبهة جاز لنا مثلُه بالحجة؛ وتجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ، فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾؛ [المزمل : ١٩] ، ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ، [الإنسان : ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ، [المدثر : ٥٦] ، فى تعلّق الكلام بماقبله .

فإن قالوا : فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم[١] من وجه آخر؛ وهو أنه عزوجل قال : ﴿ وما تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ؛ وذلك يقتضى أنه يشاء الاستقامة فى حال مشيئتنالها؛لأن «أن» الخفيفة إذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال؛ وهذايوجب أنه يشاء أفعالَ العباد فى كل حال ، ويُبطل ما تذهبون إليه من أنه إنما يريد الطاعات فى حال الأمر .

قلنا : ليس فى ظاهر الآية ألاَّ نشاء إلاَّ ماشاءه الله تعالى فى حال مشيئتنا كما ظننتم ؛ وإنما يقتضى حصولَ مشيئته لمانشاؤه من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر؛ ويجرى ذلك مجرى قول القائل : ما يدخل زيد هذه الدار إلا أن يدخلها عمرو ؛ ونحن نعلم أنه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولها فى حالٍ واحدة ؛ بل لا يمتنع أن يتقدّم دخول عمرو، ويتلوه دخول زيد، و«أن» الخفيفة وإن كانت للاستقبال على ماذكروه، فلم يبطل على تأويلنامعنى الاستقبال فيها؛ لأن تقدير الكلام: وماتشاءون الطاعات إلا بعد أن يشاء الله تعالى، ومشيئته تعالى قد كانت لها حال الاستقبال[٢].

وقد ذهب أبو علىّ محمد بن عبد الوهاب الجبائىّ إلى أنه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال ؛ وإن كان قد أرادها فى حال الأمر ؛ كما يصحُّ أن يأمر بها أمرا بعد أمرٍ ؛ قال : / لأنه قد يصحُّ أن يتعلّق بإرادته ذلك منا بعد الأمر وفى حال الفعل مصلحة ؛ ويعلم تعالى أنّانكون متى علمنا ذلك كنا إلى فِعْل الطاعات أقرب ، وعلى هذا المذهب لا يعترض بما ذكروه . [١٨٣ و]

(١) حاشية ف (من نسخة) : « مذاهبكم » . (٢) حاشية ف (من نسخة) : « حال استقبال ».

والجواب الأول واضح إذا لم نذهب إلى مذهب أبى علىّ فى هذا الباب ؛ على أنّ اقتضاء الآية للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم ؛ لأن الكلام إذا اقتضى حدوث المشيئة واستقبالها بطل قول مَنْ قال منهم : إنه مريد لنفسه، أو مريد بإرادة قديمة ، وصحّ ماتقوله من إنّ إرادته متجدّدة محدثة .

ويمكن فى تأويل الآية وجه آخر مع حملنا إياها على العموم؛ من غير أن نخصها بماتقدّم ذكره من الاستقامة؛ ويكون المعنى : وماتشاءون شيئاً من فمالكم إلاأن يشاء الله تمكينكم من مشيئته ، وإقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها ؛ وتكون الفائدة فى ذلك الإخبار عن الافتقار إلى الله تعالى؛ وأنه لاقدرة للعبد على مالم يُقَدِّرْهُ الله تعالى عزّوجل، وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه؛ لأن ماتتعلّق به المشيئة فى الآية محذوف غير مذكور ؛ وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى: ﴿ إلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ بالأفعال دون تعلقه بالقدرة؛ لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور ، وكل هذا واضح بحمد الله .

***

ونعود إلى ما كنا وعدْنا به من الكلام على شعر مروان ؛ فمما يختار قوله من قصيدة أوّلها :

طَرَقَتْكَ زائرةً ، فحىِّ خيَالَهَا ... بَيْضَاءُ تَخْلِطُ بالحَياءِ دلالَهَا

يقول فيها :

مالَتْ(١) بقَلْبِكَ فاستَقادَ ومثلُهَا ... قادَ القُلوبَ إلى الصِّبا فأمالَها
وكأنَّما طرَقَتْ بنفْحَةِ روْضَةٍ ... سَحَّتْ بها دِيَمُ الرَّبيعِ ظِلالَها
باتَتْ تُسائلُ فى المَنامِ مُعَرِّساً(٢) ... بالبيدِ أشْعَثَ لا يَمَلُّ سؤالَها
فى فِتْيَةٍ هَجَعُوا غِراراً بعدَما ... سئموا مُراعَشةَ السُّرَى ومِطالَها

---

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : «ملكت» .
(٢) التعريس : النزول فى آخر الليل

فَكأنَّ حَشْوَ ثِيابهم هِنْدِيَّةٌ نَحلَتْ وأغْفَلَتْ العيونُ صِقالها

/ المراعشة(١) : تحريك الرأس فى السَّيْر من النوم . [١٨٣] ظ

أما ذكرُه فى أول القصيدة طروقَ الطيف ؛ فإنه لم يأت فيه بمعنى غريب ؛ ولا لفظ مستعذَب ؛ وقد قال الناس فى الطَّيْف والخيالِ فأكثروا ، وقد سبق فى ذلك قيس بن الخَطيم إلى معنى ؛ كلُّ الناس فيه عيال عليه، وهو قوله:

أنَّى سَرَبْتِ وكنْتِ غَيْرَ سَرُوبِ ! وتُقَرِّبُ الأحْلامُ غيرَ قَرِيبِ(٢)
ما تَمْنَعى يَقْظَى فقَدْ تُؤْتِينَهُ فى النَّوْمِ غيرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ
كانَ المُنَى بلقائِها فلَقِيتُها فلَهَوْتُ من لهوِ امْرِئٍ مكْذُوبِ

وقد أحسن جرير فى قوله :

أتَنْسَى إذْ تُوَدِّعُنا سُلَيْمَى بفَرْعِ بشامةٍ، سُقِىَ البَشامُ(٣)
بِنَفْسِى مَنْ تَجَنُّبِهِ(٤) عزيزٌ علىَّ ، ومَنْ زِيارَتُه لِمامُ
ومن أمْسِى وأصبِحُ لا أراهُ ويطرُقُنى إذا هَجَعَ النِّيَامُ

وهذه الأبيات وإن خلَتْ من معنى فى ذكر الطيف غريب، فلم تَخْلُ من لفظٍ مستعذَب.

ولأبى عبادة البحترىّ فى وصف الخيال الفضْل على كل متقدِّم ومتأخِّر ؛ فإنه تغلغل فى

(١) حاشية الأصل : « فى نسخة الشجرى : قال السيد المرتضى رضى الله عنه : المراعشة فى الأصل : تحريك الرأس فى السير من النوم » وفيها أيضا : « الرعش: المشى الضعيف، من الإعياء وغيره » .

(٢) ديوانه : ٥ ، وحماسة ابن الشجرى ١٨٩ ، واللآلى : ٥٢٤ . وانظر ص ٣٩٣ من هذا الجزء .

(٣) ديوانه : ٥١٢ ، مع اختلاف فى ترتيب الأبيات . والبشامة : واحدة البشام ؛ وهو شجر ذو أفنان وورق صغير ؛ إذا قصفت غصونه سال منها سائل أبيض كاللبن ؛ يتخذ منه سواك ؛ يريد أنها أشارت بسواكها تودعه ؛ ولم تتكلم مخافة الرقباء . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « تجنبه » وهى رواية الديوان. ولمام : قليل .

أوصافه، واهتدى من معانيه إلى ما لا يوجد لغيره، وكان مشغولا بتكرار القول فيه لَهِجا بإبدائه وإعادته؛ وإن كان لأبى تمام فى ذلك مواضع لا يجهل فضلها، ومحاسن لا يُبْلَغُ شأوها؛ فمما لأبى تمام قوله:

زارَ الخَيالُ لها، لا بَل أزارَكَهُ ... فِكرٌ إذا نامَ فِكْرُ الخَلْقِ لم يَنِمِ (١)
ظَبىٌ تَقَنَّصْتُهُ لمَّا نَصَبْتُ لهُ ... من آخرِ اللَّيْلِ أشْرَاكا من الحُلُمِ
ثمَّ اغْتَدَى، وبنا من ذِكْرِهِ سَقَمٌ ... باقٍ، وإنْ كانَ مشغولاً (٢) من السَّقَمِ

وقوله:

عادَكَ الزَّوْرُ ليلةَ الرَّمْلِ من رَمْـ ... ـلَةَ بين الحِمَى وبينَ المطالى (٣)
ثم ما زارَكَ الخيالُ ولكـنَّـ ... ـكَ بالفِكرِ زُرْتَ طَيْفَ الخَيالِ

وقوله:

اللَّيالى أحفَى بقَلبى إذا ما ... جَرَحَتْهُ النَّوَى من الأيامِ

[١٨٤ و] / يالها لَذَّةً تنَزَّهَتِ الأرْ ... واحُ فيها سرًّا من الأجْسامِ
مجْلِسٌ لم يكنْ لنا فيه عيبٌ ... غيرَ أنَّا فى دَعْوَةِ الأحلامِ

فأما البحترىّ فقوله فى هذا المعنى أكثرُ من أن يذكر جميعه هاهنا؛ غير أنا نشير إلى نادره، فمن ذلك قوله:

فلا وصْلَ إلاَّ أنْ يُطيفُ خيالُها ... بنا تحْتَ جُؤشوشٍ من اللَّيلِ أسْفَعِ (٤)
ألمَّتْ بِنا بعْدَ الهُدُوِّ فسامحَتْ ... بوَصْلٍ متَى تطْلُبْهُ فى الجَدِّ تمنعِ
وما بَرِحَتْ حتَّى مَضَى اللّيل وانقَضَى ... وأعْجَلَهَا داعى الصَّباحِ المُلَمَّعِ
فولَّتْ كأنَّ البَيْنَ يخلجُ شخْصَها ... أوانَ تولَّتْ منْ حَشاىَ وأضْلُعى (٥)

---

(١) ديوانه: ٢٦٨. (٢) د؛ ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «معسولا؛ أى وإن كان ذلك السقم حلوا كالعسل». (٣) المطالى: موضع.

(٤) ديوانه: ٢: ٧٨. وفى حاشية الأصل: «الجؤشوش: الصدر؛ وكذلك الجوش والجوشن. أسفع: أسود». (٥) حاشية الأصل: «الخلج: الجذب؛ يقول: كأن البين يخلجها من حشاى وأضلعى».

وربَّ لِقاءٍ لم يُؤَمَّلْ وفُرْقَةٍ ... لأسْماءَ لم تُحذَرْ ولم تُتَوقَّعِ
أرانِيَ لا أنفكّ فى كلِّ ليلَةٍ ... تُعاوِدُ فِيها المَالِكيَّةُ مَضْجَعِى
أسَرُّ بِقُرْبٍ مِنْ ملمٍّ مُسلِّمٍ ... وأشْجَى بِبَيْنٍ من حَبيبٍ مُودِّعٍ
فكائِنْ لنا بعْدَ النَّوَى من تفرُّقٍ ... تُرَجِّيهِ أحْلامُ الكرَى ، وتجمُّعِ

وكقوله :

وإنّى وإنْ ضَنَّتْ علىَّ بوُدِّها ... لأرْتاحُ مِنْها للْخَيالِ المُؤرِّقِ(١)
يَعِزُّ على الواشِينَ لو يَعْلَمُونَها ... لَيالٍ لنا نَزْدَارُ فِيها ونلتَقِى
فَكَمْ غُلَّةٍ للشَّوْقِ أطفأتُ حرَّها ... بطَيفٍ متى يَطْرُقْ دُجَى الليل يَطْرُقِ
أضُمُّ عليْهِ جَفْنَ عَيْنِى تعلُّقاً ... به عندَ إجْلاءِ النُّعاسِ المُرَنِّقِ

وقوله :

بَلَى وخَيالٍ من أثيْلَةَ كلَّما ... تأوَّهتُ من وَجْدٍ تعرَّضَ يُطْمِعُ(٢)
إذَا زوْرَةٌ منهُ تقضَّتْ مع الكرَى ... تنبَّهْتُ من وجْدٍ له أتفزَّعُ
ترَى مُقْلَتِى مالا تَرَى فى لِقائِهِ ... وتَسْمَعُ أُذْنى رَجْعَ ماليسَ تسمَعُ
ويكْفيكَ من حقٍّ تَخَيُّلُ باطلٍ ... تُرَدُّ به نفْسُ اللَّهيفِ فترْجِعُ

وقوله:

/إذَا ما الكرَى أهدَى إلىَّ خيالَهُ ... شفَى قُرْبُهُ التبْريحَ أو نَقَعَ الصَّدَى(٣) [١٨٤ ظ]
إذَا انتَزَعَتْه من يدىَّ انتباهةٌ ... عددْتُ حَبيبا راحَ مِنِّىَ أو غدا
ولمْ أرَ مِثْلَيْنا ولا مِثْلَ شأنِنا ... نُعذَّبُ أيقاظاً ونَنْعَمُ هُجَّدا

وقوله :

فَما نَلْتَقِى إلاَّ على حُلْمِ هاجِدٍ ... يُحِلُّ لنا جدوَاكَ وهىَ حرامُ(٤)

---

(١) ديوانه : ٢ : ١٢٢ . (٢) ديوانه ٢ : ٨٧ ؛ وفيه : « وخيال من قتيلة » .
(٣) ديوانه ١ : ١٧٤ . (٤) ديوانه ٢ : ٢٤٩ .

إذا ما تَبَاذَلْنا النفائسَ خِلتَنا ... منَ الجِدِّ أيقاظاً ونحنُ نِيامُ (١)

وقوله :

ولَيْلَةَ هَوَّمْنا على العِيسِ أرْسَلَتْ ... بِطَيفِ خَيالٍ يُشبِهُ الحَقَّ باطِلُهْ (٢)
فلولا بَياضُ الصُّبحِ طالَ تَشبُّثى ... بِعِطفَىْ غَزالٍ بِتُّ وهناً أغازِلُهْ

وقوله :

أمِنْكِ تأَوُّبُ الطَّيفِ الطَّرُوبِ ... حَبيبٌ جاءَ يُهْدَى من حَبيبِ (٣)
تَخَطَّى رِقْبةَ الواشِينَ كُرْهاً (٤) ... وبُعْدَ مسافةِ الخَرْقِ المَجُوبِ
يُكاذِبنى وأصْدُقُهُ وِداداً ... ومِنْ كَلَفٍ مُصادَقةُ الكَذُوبِ

وقوله :

ما تَقَضَّى لُبانةٌ عند لُبْنَى ... والمُعَنَّى بالغانياتِ مُعَنَّى (٥)
هَجَرَتْنا يَقْظَى وكادتْ على مذْ ... هَبِها (٦) فى الصُّدودِ تهْجُرُ وَسْنَى
بَعْدَ لأْىٍ وقَدْ تَعَرَّضَ منها ... طائفٌ عَرَّجَتْ على الرَّكْبِ وهْنا

قال المرتضى رضى الله عنه : ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدىّ مع ميله إلى البحترىّ وانحطاطه فى شِعْبه، واجتهاده فى تأويل ما أُخِذَ عليه من خطأ وزلل يزعم أن البحترىّ أخطأ فى قوله :

هَجَرَتْنا يَقْظَى وكادتْ على مذْ ... هبِها فى الصُّدودِ تهْجُر وَسْنَى

قال: "لأن (٧) خيالها يتمثل له فى كل أحوالها ؛ يقظى كانت أو وَسْنَى". قال: "ولكنّ الجيد فى هذا المعنى قوله:

(١) حاشية الأصل : « فى نسخة س : قرأت فى ديوانه على شيخى : « خلتنا » ، بضم التاء .
(٢) ديوانه ٢ : ١٦٢ . (٣) ديوانه ١ : ٨٤ .
(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « وهنا » ؛ وهى رواية الديوان .
(٥) ديوانه ٢ : ٢٩٠ . (٦) فى الديوان : « عادتها » :
(٧) الموازنة بين أبى تمام والبحترى : ١٨٨ .

أُرَدُّ دَونَكِ يَقظَانًا ويأْذَنُ لى عَلَيْكِ سُكْرُ الكَرَى إنْ جِئْتُ وَسْنانا

قال : "والذى أوقع البحترىّ فى هذا الغلط قول قيس بن الخَطيم :

[١٨٥ و] / ما تَمْنَعِى يَقْظَى فقدْ تُؤْتِينَهُ فى النَّوْمِ غيرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ

وكان الأجود أن يقول : ما تمنعى فى اليقظة فقد تؤتينه فى النوم ، أى ماتمنْعينَه فى يقظتى فقد تؤتينه فى حال نومى؛ حتى يكونَ النوم واليقظةُ منْسُوبين إليه؛ لأن خيال المحبوب يتمثّل فى حال نومه ويقظته جميعاً ، قال : إلاّ أنه يتّسع من التأويل فى هذا لقيس مالا يتّسِع للبحترىّ لأن قيسا قال : « فقد تؤتينه فى النوم » ولم يقل نائمة ؛ وقد يجوز أن يُحْمَل على أنه أراد : ماتمنعى يَقظى وأنا يقظان ؛ فقد تؤتينه فى النوم، أى فى نومى ؛ ولا يسوغ مثل هذا فى بيت البحترىّ لأنه قال : «وسْنى» ولم يقل فى الوسن".

قال سيّدنا أدام الله علوّه : وقد يمكن من التأويل للبحترىّ ماأمكن مثلُه لقيْس؛ لكنّ الآمِدىَّ قد ذهب عن ذلك؛ لأن البحترىّ لما قال: « وَسْنى » دلّ على حال الوَسَن؛ والحال المعهودة للوسَن حالٌ يشترك الناس فيها فى النوم بالعادة ، كما أنَّ الحال المعهودة لليقظة حالٌ مشتركة بالعادة؛ فقوله : « وَسْنى » يُنبىء عن كونه هو أيضاً نائماً ؛ وإنما أراد المقابلة فى زِنة اللفظ بين يقظَى ووسنَى.

وقوله : «يقظى» متى لم يُحمل أيضا على هذا المعنى لم يصحّ ؛ لأنه لابدَّ أن يريد بذلك: هَجَرْتنا فى أحوال اليقظة ؛ ويكون معنى « يَقْظَى» يتعدّى إليه ؛ ألا ترى أن الآمدىّ حَمل قول قيس:« يقظى » على معنى : «وأنا يقظان» وإن لم يبيِّن الوجهَ ! ؛ فكيف ذهب عليه مثلُ ذلك فى قول البحترىّ !

وقوله: «وسنى» و«يقظى» مثل قول قيس: «يقظى»، ولو مكّن قيسا وزنُ الشعر من أن يقول؛ «وسنى» فى مقابلة: «يقظى» لقاله وماعدل عنه إلى النوم؛ لأنه لم يكن عليه فى «وسْنَى» إلا ما عليه فى «يقْظَى»، وما يُتأوّل له فى أحد الأمرين يُتأوّل له فى الآخر .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ولى فى الخيال وطروقه معنًى ماعلمت أنه سُبِق إليه ، من جملة قصيدة :

وَزَوْرٍ تَخَطَّى جُنُوبَ المَلاَ فَنَادَيْتُ أَهْلاً بِذَا الزَّائِرِ
أتانِى هُدُوًّا وعَيْنُ الرَّقِيـ ـبِ مَطْرُوفةٌ بالكَرَى الغامِرِ
فأَعْجِبْ بِهِ يُسْعِفُ الهاجِرِينَ وَتُحْرَمُهُ مُقْلَةُ السَّاهِرِ
/ وَعَهْدِى بتَمْوِيهِ عَيْنِ المحبِّ يَنِمُّ على قَلْبِهِ الطَّائِرِ [١٨٥ ط]
فلمَّا الْتَقَيْنَا بِرَغْمِ الرُّقا دِ مَوَّهَ قَلْبِى على ناظِرِى

ومعنى البيت الآخر أن الأحلام إنما هى اعتقادات تَحْصُل فى القلب لاحقيقة لأكثرها؛ لأن الإنسان يعتقد أنه راءٍ لما لا يراه على الحقيقة ، ومُدْرِكٌ لما ليس بمدْرِكه على الحقيقة ؛ فالقلب يخيِّل فى النوم للعين مالا حقيقة له ؛ كما أنَّ العين تخيِّل فى كثير من الأحوال للقلب مالا حقيقةَ له .

فأما قول مروان :

* فكأنَّما طرقَتْ بنفحة روْضَةٍ * . . البيت

فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول نَهشَل بن حَرِّىٍّ[(١)] :

طَرَقَتْ أسماءُ الرِّحالَ ودُونَها ثِنْيانِ من لَيل التِّمامِ الأَسْوَدِ[(٢)]
وَمفَاوِزٌ وَصلَ الفَلاةَ جُنُوبَها بجُنُوبِ أُخْرَى ، غيرَ أنْ لم تُعقَدِ

---

(١) حاشية الأصل : « منسوب إلى الحرة ؛ موضع فيه حجارة سود » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الثنى : واحد أثناء الشىء أى تضاعيفه ، وثنى الوادى والجبل : منعطفه » . ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « بينان » ؛ وهو مثنى بين ؛ والبين : القطعة من الأرض على مد البصر . ومن نسخة أيضا :

* نَقَيَانِ مِنْ رَمْلِ التُّمامِ الأَسْوَدِ *

وفى حاشيتى الأصل ، ف : « يقال : ولد المولود لتمام ، وقمر تمام [بفتح التاء وكسرها] ، وليل التمام ، بالكسر لاغير ؛ وهى أطول ليلة فى السنة » .

رَمْلٌ إِذَا أَيْدِى الرِّكَابِ قَطَعْنَهُ ... قُرِعَتْ مَنَاسِمُهَا بِقُفٍّ قَرْدَدِ(١)
وَكَأَنَّ رِيحَ لَطِيمَةٍ هِنْدِيَّةٍ ... وَذَكِىِّ جَادِىٍّ بِنِصْعٍ مُجْسَدِ(٢)
وَنَدَى خُزَامَى الجَوِّ، جَوِّ سُوَيْقَةٍ ... طَرَقَ الخَيَالُ بِهِ بُعَيْدَ المَرْقَدِ(٣)

أو من قول الآخر :

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ وَالمَزَارُ بَعِيدُ ... بِمِنًى وَنَحْنُ مُعَرِّسُونَ هُجُودُ(٤)
فَكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بِرَيَّا رَوْضَةٍ ... أُنُفٍ يُسَحْسِحُ مُزْنُهَا وَيَجُودُ(٥)

وهذا المعنى كثير فى الشعر المتقدم والمتأخر جدًّا.

فأما قوله :

* باتتْ تسائل فى المنام معرّساً *

البيت، والبيتان اللذان بعده؛ فقد قال الناس فى وصف قلة النوم، ومواصلة السّرى، والإدلاج، وشُعْثِ السارين فأكثروا ، فمن أحسن ما قيل فى ذلك قول لَبِيد :

وَمَجُودٍ من صُبَابَاتِ الكَرَى ... عَاطِفِ النُّمْرُقِ صَدْقِ المُبْتَذَلْ(٦)

---

(١) الركاب : الإبل ؛ والمناسم : جمع منسم كمجلس : خف البعير . والقف : ماارتفع من الأرض وغلظ . والقردد : الغليظ المرتفع . (٢) اللطيمة : العير التى تحمل الطيب والمسك . والجادىّ : الزعفران . والنصع : الثوب الأبيض . والمجسد : المصبوغ بالزعفران .

(٣) الخزامى : نبت طيب الريح . وجو سويقة : موضع بالصمان.

(٤) يقال : عرس القوم بالمكان وأعرسوا ؛ إذا نزلوا فى آخر الليل للاستراحة .

(٥) روضة أنف : لم ترع. ويسحسح : يسيل. والجود: المطر الغزير.

(٦) ديوانه ٢ : ١٣ . المجود: الذى يجهد من النعاس ؛ كذا ذكره صاحب اللسان،واستشهد بالبيت . وفى حاشية الأصل : «المجود الذى سقى الجود ؛ وهو المطر ؛ والمعنى هنا على التشبيه ؛ كأن النوم جاده ؛ أى مطره . والصبابات : جمع صبابة ؛ وهى البقية . والنمرقة ، مثلثة : الطنفسة فوق الرحل . وصدق المبتذل: جلد قوى لايتغير عند ابتذاله نفسه ولايسقط ؛ والمبتذل: مصدر بمعنى الابتذال؛ وهو ضد الصيانة» .

[١٨٦ و] / قالَ هَجِّدْنا فقَدْ طالَ السُّرَى   وقَدَرْنَا إنْ خَنَى الدَّهْرِ غَفَلْ(١)
قَلَّمَا عَرَّسَ حَتَّى هِجْتُه   بالتَّباشِيرِ من الصُّبْحِ الأُوَلْ(٢)
يَلْمَسُ الأَحْلاسَ فى مَنْزِلِهِ   بيدَيْهِ كاليَهُودِىِّ المُصَلّْ(٣)
يتمارَى فى الذى قُلْتُ لهُ   ولَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِى حَيَّهَلْ(٤)

ومن ذلك قول ذى الرمة :

وَليلٍ كأَثْناء الرُّوَيْزِىّ جُبْتُهُ   بأَرْبعةٍ،والشَّخصُ فى العَيْنِ واحدُ(٥)

ـ والرُّوَيْزِىّ ، هو الطيلسان . وقد روى أيضاً: « كجلباب العروس ادَّرَعْتُه »؛ وكل ذلك وَصْفٌ له بالسواد ؛ لأن الطيلسان أسود ، وجلباب العروس أخضر ، والعرب تجمع بين الخضرة والسوادـ

أَحَمُّ عِلافىٌّ ، وأبيضُ صارِمٌ ،   وأعْيَسُ مهرِىٌّ ، وأشْعَثُ ماجِدُ(٦)

---

(١) هجدنا ؛ من التهجيد ؛ وهو هنا بمعنى النوم ؛ أى دعنا ننام . والسرى : سير عامة الليل وقدرنا ، أى وقدرنا على ورود الماء ، أو قدرنا على التهجيد ، أو على السير . وخنى الدهر : آفته وفساده ؛ أى إن غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا .   (٢) قلما ؛ ما المتصلة بقل كافة لها عن طلب الفاعل ؛ وتجعلها بمنزلة ماالنافية فى الأغلب ؛ وهنا لإثبات القلة . والتعريس : النزول فى آخر الليل للاستراحة : وهجته : أيقظته من النوم ، وهاج يهيج : يجئ لازما ومتعديا . وبالتباشير ، أى بظهورها . والتباشير : أوائل الصبح ، جمع تبشير . والأول : صفة التباشير ؛ وهو جمع أولى مؤنث الأول .

(٣) يلمس الأحلاس ؛ يطلبها، والأحلاس : جمع حلس ؛ وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت رحله . وقوله: « كاليهودى المصل » ؛ قال فى حاشية الأصل : « شبهه باليهودىّ لأنه يسجد على شق وجهه ، وأصل ذلك أنهم لما نتق الجبل فوقهم قيل لهم : إما أن تسجدوا وإما أن يأتى عليكم ، فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل ؛ فصار عندهم سنة إلى اليوم » . وكذا جاء فى شرح الطوسى .

(٤) التمارى : المجادلة . وحيهل : اسم فعل بمعنى أسرع وعجل ؛ وهذه الأبيات أوردها صاحب الخزانة (٢ : ٢٨) نقلاعن الغرر .

(٥) ديوانه : ١٢٩ . أى لاتتفاوت الشخوص والألوان فيه لظلمته .

(٦) يقول : جبت الليل بأربعة ؛ ثم فسر الأربعة فقال : أحم أسود ؛ ويعنى به الرحل ، وعلافىّ : منسوب إلى علاف ؛ وهو رجل من قضاعة . والأبيض الصارم : السيف القاطع . والأعيس: الأبيض ، يعنى بعيره. والماجد: الكثير المفاخر؛ وفى حاشية الأصل : « الإبل المهرية : منسوبة إلى مهرة بن حيدان ،=

أخُو شُقَّةٍ جابَ الفَلاةَ بِنَفْسِهِ ... على الهَوْلِ حتَّى طوَّحَتْهُ المَطَارِدُ[١]
وأشعَثَ مِثْلِ السَّيْفِ قدلاحَ جسْمَهُ ... وَجِيفُ المَهارَى والهُمُوم الأَباعِدُ[٢]
سَقاهُ الـكَرَى كأسَ النُّعاس فرأسُهُ ... لدينِ الـكرَى من آخرِ الليلِ ساجدُ
أقمْتُ لهُ صَدْرَ المطِيِّ فما دَرَى ... أجائرةٌ أعناقُها أمْ قَوَاصِدُ!
تَرَى النَّاشِئَ الغرِّيدَ يُضْحِي كأنه ... على الرَّحْلِ ممَّا منَّه السَّيْرُ عاصدُ[٣]

ومن ذلك قول أبي حيَّة النميريّ :

وأغْيَدَ منْ طُولِ السُّرَى بَرَّحَتْ بهِ ... أفانِينُ نَهَّاضٍ على الأَيْنِ مِرْجَمِ[٤]
سَرَيْتُ بهِ حتَّى إذا ما تمزَّقتْ ... تَوَالِي الدُّجَى عنْ وَاضِحِ اللَّوْنِ مُعْلَمِ
أنَخْنا فلمَّا أنْ جرَتْ في دِماغِهِ ... وعَيْنَيْهِ كأسُ النَّوْمِ قلْتُ له: قُمِ
فمَا قامَ إلاَّ بَين أيْدٍ تُقيمُهُ ... كما عَطَفتْ ريحُ الصبَّا خُوطَ ساسَمِ[٥]
خَطَا الـكَرْهَ مَغْلُوباً كأنَّ لسانَهُ ... لِما رَدَّ من رَجْعٍ لِسانُ المُبَلْسَمِ
وودَّ بوُسْطَى الخَمْسِ منهُ لوانَّنا ... رَحَلْنَا وقُلْنَا في المُنَاخِ لهُ: نَمِ[٦]

= والجمع المهاريّ، ثم تخفف فيقال: مهارى ، وتفتح الراء فيقال: مهارى، تشبيهاً بصحارى وعذارى، وأصله صحاريّ وعذاريّ، فمنهم من يحذف الياء فيقول صحارى [بالكسر]، ومنهم من يحذف الأولى ويجعل الثانية ألفاً فيقول صحارى [بالفتح] لتسلم الألف من الحذف عند التنوين ، ومن يحذف الثانية يقول : صحار كجوار » .

(١) جاب الفلاة : قطعها . وطوحته : أبعدته . وفي الديوان : « لوحته » . وفي حاشية الأصل : « المطارد : المواضع التي يطرد فيها . ويجوز أن يكون جمع مطرد » . وفي الديوان : « المطاود » . وفي شرحه: « المطاود : الذهاب في الأسفار » . (٢) أشعث ، يعني صاحبه ، يشبهه بالسيف في ضموره ودقته ؛ والوجيف: نوع من السير . (٣) الناشئ : الشاب . والغريد: ذو الصوت الحسن . وفي حاشية الأصل . « العاصد من الإبل : الذي يلوي عنقه إلى حاركه عند الموت . والعصد : الليّ » .

(٤) المرجم : الرجل الشديد ، كأنه يرمي به معاديه .

(٥) الساسم : نوع من الشجر ؛ قيل هو الآبنوس . (٦) بوسطى الخمس ؛ أي بدل قطع الوسطى ؛ وفي حاشية الأصل : « يروى « بجدع الأنف » ، ويروى : « بقطع الخمس » .

مجلس آخر [٤٢]

تأويل آية

[١٨٦ ط] إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ ؛ [هود : ٢٠] .

فقال: أى معنى الاختصاص «الأرض» بالذكر وهم لا يفوتون الله تعالى ولا يُعجزونه، ولا يخرجون عن قبضته على كل حالٍ ، وفى كل مكان ؟ ولِمَ نَفَى الأولياء عنهم ، وقد نجد أهلَ الكفر يتولَّى بعضهم بعضا وينصرونهم ويَحْمونهم من المكاره ؟ وكيف نفَى استطاعتهم للسمع والإبصار ، وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه ؟

الجواب ، قلنا : أمَّا الوجه فى اختصاص الذكر بالأرض ، فلأنَّ عادة العرب جاريةٌ بقولهم للمتوعَّد : لا مهربَ لك منى، ولا وَزَرَ، ولا نَفَق ، والوزر: الجبل، والنَّفَق: السَّرَب، وكلُّ ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلوب، فكأنه تعالى نفَى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه، ومانع من عذابه ؛ وأن جبال الأرض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم؛ كما أنها تحجز عن كثير من أفعال البشر ؛ لأنّ معاقل الأرض هى التى يهرب إليها البشر من المكاره ؛ ويلجئون إلى الاعتصام بها عند المخاوف ؛ فإذا نفَى تعالى أن يكونَ لهم فى الأرض معقل فقد نفَى المعقل من كل وجه .

فأما قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ فمعناه أنه لا ولىّ لهم ، ولا ناصرَ من عذاب الله تعالى وعقابه لهم فى الآخرة ؛ ولا مما يريد أيضا إيقاعَه بهم فى الدنيا، وإنْ كان لهم مَن يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن أرادهم بسوء ؛ وقد يجوز أن يكون ذلك أيضاً بمعنى الأمر، وإن كان مخرجه مخرج الخبر؛ ويكون التقدير : وليس لهم أن يتخذوا أولياء

من دون الله، بل الواجب أن يرجعوا إليه فى معونتهم ونصرهم ، ولا يعوّلوا على غيره .

فأما قوله عز وجل : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ ففيه وجوه:

أحدها أن يكون المعنى : يضاعَف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون؛ وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون ؛ عِناداً للحق ، وذهاباً عن سبيله ؛ فأسقط الباء من الكلام،وذلك جائز كما جاز فى قولهم: لأجزينَّك بما عملت، ولأجزينّك ماعملت؛ ولأحدثنّك بما عملت، ولأحدثنك ما عملت ؛ وكما قال الشاعر :

نُغالِى اللَّحْمَ للأَضْيَافِ نِيئاً ... ونَبْذُله إذا نَضِجَ القَدِيرُ[1]

فأراد : نغالى باللحم .

والوجه الثانى أنهم لاستثقالهم استماعَ آيات الله تعالى، وكراهيتهم[2] تذكّرها وتفهّمها جروا مَجْرى مَنْ لا يستطيع السمعَ ، كما يقول القائل : ما يستطيع فلان أن ينظر لشدّة عداوته إلى فلان ، وما يقــدر على أن يكلمه ؛ وكما نقول لمن عهدنا منه العناد والاستثقال لاستماع الحجج والبينات : ما تستطيع أن تسمع الحق ؛ وما تطيق أن يُذْكَرلك ؛ وكما قال الأعشى :

وَدِّعْ هريرةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... وَهَلْ تُطِيقُ وَداعاً أيُّها الرَّجُلُ[3]!

ونحن نعلم أنه قادرٌ على الوداع ؛ وإنما نفى قدرته عليه من حيث الكراهة والاستثقال . ومعنى : ﴿ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ أى أن إبصارَهم لم يكن نافعا لهم ؛ ولا مُجْدِياً عليهم؛ مع الإعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها ؛ فلما انتفتْ عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفى عنهم الإبصار نفسه ؛ كما يقال للمعرض عن الحق، العادل عن تأمله : مالك لا تبصر، ولاتسمع؛ ولا تعقل ؟ وما أشبه ذلك .

---

(١) البيت فى اللسان (غلا) : قال فى شرحه : « نغالى اللحم ، نشتريه غاليا ، ثم نبذله ونطعمه إذا نضج فى قدورنا » . والقدير : ماطبخ من اللحم بتوابل .

(٣) ديوانه : ٤١ .

والوجه الثالث (١ أن يكون معنى نفى السمع والبصر ١) راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم؛ وتقدير الكلام : أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين فى الأرض، يضاعف لهم العذاب؛ ثم قال مخبراً عن الآلهة : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ ، وهذا الوجه يُرْوَى(٢) عن ابن عباس رحمة الله عليه ، وفيه أدنى بعد .

ويمكن فى الآية وجه رابع ، وهو أن يكون مافى قوله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ ليست للنفى؛ بل تجرى مجرى قولهم: لأواصلنَّك مالاح نجم؛ ولأقيمنَّ على مودتك ما طلعتْ شمس ؛ ويكون المعنى أن العذاب يضاعف لهم فى الآخرة ؛ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ؛ أىْ أنهم معذبون ما كانوا أحياء .

فإن قيل : كيف يعبِّر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار ؛ وقد يكون حياً مَن لا يكون كذلك ؟

[١٨٧ ظ] قلنا : للعرب فى مثل هذا / عادة ؛ لأنهم يقولون : والله لا كلَّمت فلاناً مانظرتْ عينى، ومشتْ قدَمى ؛ وهم ، يريدون : ما بقيتُ وحييتُ ؛ لأن الأغلب من أحوال الحىّ أن تنظر عينُه ، وتمشى قدمه ؛ فجعلوا الأغلب كالواجب ؛ ومن ذلك قول الشاعر :

وما أنسَ منْ شَىْءٍ تقَادَمَ عَهْدُهُ ... فلسْتُ بناسٍ ما هدَتْ قدَمِى نَعْلى

عَشيَّةَ قالتْ والدُّمُوع تُمِيُنها:(٣) ... هَنِيئاً لقَلْبٍ عنكَ لم يُسْلِهِ مُسْلِى(٤)

وإنما أراد : أنّى لا أنسى ذلك ما حييتُ ؛ وكذلك لا يمتنع أن يعلّق على هذا المذهب دوامُ العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والإبصار ؛ ويعودُ المعنى إلى تعلُّقه ببقائهم، وبكونهم أحياء ؛ والمرجع فى ذلك إلى التأبيد ؛ لأنه إذا علّق العـذاب ببقائهم وإحيائهم وعلمْنا أنَّ الآخرة لا موت فيها، ولا خروج عن الحياة ، علمنا تأبيد العذاب .

***

(١ـ١) حاشية ف (من نسخة) : « أن يكون نفى السمع والبصر » .

(٢) م : « مروى » . (٣) د ، ف : « بعينها » .

(٤) د ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « مسل » .

ونعود إلى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مرْوان ؛ فمما يختار له من القصيدة التى مضى أوّلها وتكلمنا عليها :

وَضَمُوا الخُدُودَ لدَى سَوَاهِمَ جُنَّحٍ ... تَشْكُو كُلومَ صِفاحِها وكَلاَلَها

طَلَبَتْ أميرَ المؤْمنينَ فواصَلَتْ ... بعد السُّرَى بغُدُوِّها آصالَها

نزَعَتْ إليكَ صوادِياً فتقاذَفَتْ ... تَطْوِى الفلاَةَ حُزُونَها ورِمالَها[1]

يَتْبَعْنَ ناجِيةً يَهُزُّ مِراحُها ... بَعْدَ النُّحُولِ تَلِيلَها وقَذَالَها[2]

هوْجاءَ تَدَّرِعُ الرُّبا وتَشُقُّها ... شَقَّ الشَّمُوسِ إذا تُراعُ جِلالَها[3]

تَنجُو إذا رُفِعَ القَطِيعُ كما نَجَتْ ... خَرْجاءُ بادرَتِ الظلاَمَ رِئالَها[4]

كالقَوْسِ ساهِمَةً أتتْكَ وقدْ ترَى ... كالبُرْجِ تَملأُ رَحْلَها وحِبالَها

هذه الأبيات فى وصف الرَّواحِل بالسرعة والنُّحول، جيّدة الألفاظ ، مطرّدة النسج ، وقد سبق الناسُ فى هذا المعنى إلى ضروب من الإحسان ؛ فمن ذلك قول الأخطل :

بِخُوصٍ كأَعْطالِ القِسِىِّ تَقَلْقَلَتْ ... أجنَّتُها من شُقَّةٍ ودُءُوبِ[5]

(١) نزعت : اشتاقت . صواديا : عطاشا. تقاذفت : تسارعت . (٢) التليل : العنق .

(٣) الشموس : النفور .

(٤) الخرج ، بالتحريك : لونان؛ سوادوبياض ؛ يقال : نعامة خرجاء وظليم أخرج والرئال : جمع رأل ؛ وهو ولدالنعام ، وبادرت الظلام رئالها ؛ أى بدرت الظلام إلى رئالها .

(٥) ديوانه ١٧٩ــ١٨٠ وفى حاشية الأصل : « هذه الأبيات من قصيدة يمدح الأخطل فيها عياد بن زياد بن أبيه : أولها :

خليلىّ قوماً للرّحيلِ فإنّنى ... وجدت بنى الصمعاء غير قريبِ

ــ يعنى عمير بن الحباب ورهطه ــ :

وأسْفَهْتُ إذْ مَنّيْتُ نفسِى ابن واسعٍ ... مُنًى ذهبتْ لم تَسْقِنى بذَنُوبِ

فإن تنزلا بابن المحلّق تنْزِلا ... بذى عذرةٍ يبدا كما بلغوبِ

ــ المحلق : عبد العزيز بن حنتم ــ

لحا الله أرما كا بدِجْلَةَ لاتقى ... أذاةَ امرئٍ عَضْبِ اللسان شَعوب

ــ يعنى نفسه ــ .

=

[١٨٨ و] /إذا مُعْجَلٌ غادَرْنَهُ عِنْدَ مَبْرَكٍ(١) أُتيحَ لِجَوّابِ الفَلاةِ كَسُوبِ

ـ المعجَل : المُلْقَى من الأجنَّة لغير تمام،وجوّاب الفلاة : الذئب ـ

وَهُنَّ بنا عُوجٌ كأنَّ عُيُونَها بَقايا قِلاتٍ قَلَّصَتْ لِنُضُوبِ(٢)

مَسانِيفُ يَطْوِيها مع القَيْظِ والسُّرَى تَكالِيفُ طلاَّعِ النِّجادِ رَكُوبِ(٣)

قَديمٌ تَرَى الأَصْواءَ فيهِ كأنَّها رجالٌ قِيامٌ عُصِّبُوا بِسُبُوبِ(٤)

يَمُمْنَ بنا عَوْمَ السَّفِينِ إذا انجلَتْ سَحابةُ وَضَّاحِ السَّرَابِ جَنُوبِ(٥)

وقال مسلم بن الوليد الأنصاريّ :

إلى الإمامِ تهادانا بأرحُلِنا خلْقٌ من الرِّيحِ في أشْباحِ ظِلْمانِ(٦)

كأنَّ إفلاتَها والفَجْرُ يأخُذُها إفلاتُ صادِرَةٍ عن قَوْسِ حُسْبانِ(٧)

وقال بشار :

وإذا المطيُّ سَبَحْنَ في أعْطافِهِ فاتَ المَطِيَّ بكاهِلٍ وَتَليلِ(٨)

= إذا نحْنُ ودَّعْنَا بلاداً هُمُ بها فبعداً لحرَّاتٍ لها وسُهُوبِ !

نسيرُ إلى مَنْ لايُغِبُّ نَوالَهُ ولا مسلمٍ أعراضَهُ لِسُبوبِ

بخوص . . .

أعطال : جمع عطل ؛ وهو القوس الذى لاوتر له . وتقلقلت أجنتها : تحركت فى بطونها من سرعة السير .

(١) فى الديوان : « منزل » . (٢) بنا ، أى بحملنا ؛ أو حمل أعيائنا . والعوج : جمع أعوج وعوجاء . والقلات : جمع قلت ؛ وهو النقرة فى الجبل: والتقليص:الانزواء، والنضوب : غئور الماء.

(٣) المسانيف هنا : الإبل المتقدمات والنجاد : جمع نجد ؛ وهو المرتفع من الأرض . والركوب . المذلل . (٤) قديم ؛ أى طريق قديم . والأصواء : الأعلام . والسبوب : جمع سب ؛ وهو الثوب الأبيض الرقيق ؛ وقيل هو العمامة . (٥) ف : « تعوم » . « خبوب » . وهى رواية الديوان .

(٦) ديوانه : ١٠٣ . والتهادى : المشى الضعيف يتكئ صاحبه على اثنين يمينا وشمالا . والظلمان : جمع ظليم ؛ وهو الذكر من النعام . ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « خلق من الزنج » .

(٧) إفلاتها ؛ أى سرعتها . صادرة ، أى إفلات سهام صادرة . والحسبان : سهام يرمى بها الرجل فى جوف قصبة ، ينزع فى القوس ثم يرمى بعشرين منها فلا تمر بشىء إلا عقرته ؛ والواحد حسبانة .

(٨) حاشية الأصل (من نسخة) « سنحن » أى ظهرن . وأعطافه : جوانبه . وفات : سبق ؛ والتليل : العنق ؛ يقول : « إذا بدا يسير مع المطايا جاوزهن بكاهل وعنق » .

فكأنّهُ والناعجاتُ(١) يُرِدْنَه ... قِدْحٌ تَطَلَّعَ منْ قِداحِ مُجيلِ

ولبعض الحارثيين :

نَهَشَ الهجائِرُ والظَّهائِرُ لَحْمَها ... حتى تخدّدَ لَحْمُها المتضابِرُ(٢)

حَرْفٌ تُناهِبُها النَّجاءَ قلائِصٌ ... ممَّا تَنَخَّلَ(٣) شَدْقَمٌ أو داعِرُ(٤)

صُبُرٌ إذا عطفَتْ سَوالِفَها البُرَى ... سُمِعَتْ لهُنَّ كَشَاكِشٌ وجَراجِرُ(٥)

ويُخَلْنَ من عِزِّ النفوسِ وجِدِّها(٦) ... جِنًّا ، وَهُنَّ إذا اخْتُبِرْنَ أباعِرُ

أمَّا إذا ماأقْبلَتْ فكأنَّها ... ذُعُرٌ تَهادَتْها الفلاةُ نَوافِرُ(٧)

أما إذا ما أعْرَضَتْ فكأنّها ... كُدْرٌ تَوَرَّدْنَ النِّطافَ صوادِرُ(٨)

أما إذا ما أبْرِكَتْ فكأنّها ... صُرُحٌ مُشَيَّدَةٌ وهنَّ ضَوامِرُ(٩)

* * *

/ وإنى لأستحسن قول بَشامة بن الغدير فى وصف الناقة بالسرعة(١٠) : [١٨٨ ظ]

---

(١) الناعجات هنا : الخفاف من الإبل ؛ ومنه قوله :

* والناعجات المسرعات للنجا *

(٢) اللحم المتضابر : المتراكم المكتنز ، وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « المتظاهر » . ومن نسخة اخرى « المتطاير » . (٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « منجل » .

(٤) الحرف : الناقة الضامر : الصلبة . وتناهبها : تباريها فى الجرى . والنجاء : السير السريع . والقلائص : جمع قلوص ؛ وهى الفتية من الإبل . و شدقم وداعر : اسمان لفحلين منجبين من فحول الإبل ، تنسب إليهما الإبل الشدقميات والإبل الداعرية . (٥) السوالف : جمع سالفة ؛ وهى أعلى العنق ، والبرى : جمع برة ، وهى الحلقة فى الزمام . والكشاكش والجراجر : أصوات تخرج من جوف الإبل .

(٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « وحدها » . (٧) ذعر ؛ أى وحش مذعورة ؛ ويجوز أن يريد بالذعر النعام ؛ وهى توصف بذلك . (٨) الكدر : قطا ألوانها كلون الرماد . والنطاف : جمع نطفة ؛ وهى الماء القليل . (٩) فى حاشيتى الأصل ، ف : « صرح : جمع صرح ؛ وهو القصر ، وأصله صروح فقصره ؛ وقد قيل فى أسد ، جمع أسد أنه أسود ، فقصر ثم خفف بتسكين السين » .

(١٠) الأبيات من قصيدة فى المفضليات ٧٩ــ٩١ ، ومختارات ابن الشجرى ١٤ــ١٦ ، وأبيات منها فى حماسته ٢٠٥ــ٢٠٦ ، ومجموعة المعانى ٥٢ ، وأبيات منها أيضا فى الأغانى ١١ : ٨٧ ، ونسبها لعقيل بن علفة .

كأنَّ يدَيْها إذا أرْقلتْ وقدْ جُرْنَ ثمَّ اهْتَدَيْنَ السَّبيلاَ (١)
يدَا سابحٍ خرَّ في غمْرَةٍ وقد شارَفَ الموْتَ إلا قليلاَ (٢)
إذَا أقْبلَتْ قلتَ مشحُونةً أطاعَتْ لها الرِّيحُ قِلْعاً جفُولا (٣)
وإنْ أدْبرَتْ قلتَ مَذْعُورةً مِن الرُّبْدِ تَتبَعُ هَيْقا ذمُولا (٤)

ومعنى قوله :

* وقد جرن ثم اهتدين السبيلاَ *

يعنى المطايا ؛ يقول : كن نشيطاتٍ يمرحن فلا يلزمن لقَمَ(٥) الطَّريق ؛ بل يأخذن يميناً وشمالا ؛ فلماعضَّهن الكلال استقمن على المحجة ، فكأنه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المطِىّ ؛ وكنى عن الكلال بلزوم جادة الطريق بعد تنكُّبها وهذه كناية فصيحة مليحة.

ومثله قول الآخر :

كأنَّ يدَيْها حِينَ جدَّ نَجاؤُها يدا سابحٍ فى غَمْرَةٍ يَتذرَّعُ (٦)

ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ :

كأنَّ ذِراعَيْها ذِراعا مُدلَّةٍ بُعيدَ السِّبابِ حاوَلَتْ أن تَعذَّرا (٧)
مُمجَّدَةُ الأعْراقِ قال ابنُ ضَرّةٍ عَلَيْها كلاماً جارَ فيه وأهْجَرا

---

(١) أرقلت : أسرعت . وجرن : عدلن عن محجة الطريق .

(٢) الغمرة : الماء الكثير ؛ ورواية ابن الشجرى :

يدا عائمٍ خرّ فى غَمْرَةٍ فأدركه الموتُ إلّا قليلا

(٣) المشحونة : المملوءة ، وهو من وصف السفينة . والجفول : الذى تستخفه الريح ثم تحركه .

(٤) الربد : جمع ربداء ؛ وهى فى السوداء المنقطة بحمرة ؛ من وصف النعام . والهيق : ذكر النعام والذمول : وصف لسير الظليم ، ورواية المفضل :

إذا أقبلت قلتَ مذعورةٌ من الرُّمْد تلحق هيقاً ذمولا

(٥) لقم الطريق معظمه ؛ وقال الليث : لقم الطريق منفرجه ، تقول : عليك بلقم الطريق فالزمه .

(٦) يقال : ذرع السابح ، إذا حرك يديه للسبح .

(٧) من قصيدة طويلة فى ديوانه : ٢٦-٣٤ ، وأولها :

أتعرف رسماً دارساً قد تغيرا بذَرْوة أقوى بعد ليلى وأقفرا

شبّه ذراعيها وهى تتذرع فى مشيها(١) بذراعى امرأة مُدِلّة على أهلها ببراءة ساحتِها ، وقد حكى عنها ابن ضرّتها كلاماً أهجر فيه ؛ أى أفحش ، فهى ترْفع يديْها وتضمهما تعتذر وتحلف وتنضَح عن نفسها .

وقد قيل إن معنى قوله : « مُدِلّة » أنها تُدِلّ بحسن ذراعيها ، فهى تُدْمن إظهارهما لِتُرِى(٢) حسنَهما .

وقوله : « بُعَيْدَ السِّباب » أى فى عقيب المسابّة قامت تعتذر إلى الناس ؛ وقوم يروونه « بعيْد الشباب » ؛ ومعنى هذه الرواية أنها نَصَفٌ من النساء ، فهى أقوم بحجتها من الحَدَثة الغِرّة ؛ ويشهد لهذه الرّواية الأخيرة قول الآخر :

كأنَّ يَدَيها حينَ يَقْلَقُ ضَفْرُها يدَا نَصَفٍ غَيْرَى تعذَّرُ من جُرْمِ(٣)

و / قوله : « حينَ يَقْلَقُ ضَفْرُها » فيه سرٌّ وفائدة ؛ لأنّ الضَّفر هو الأنساع(٤) ؛ [١٨٩ و] وإنما تقلق إذا جَهَدَها السير فضمَرَتْ ، فكأنه وصفها بالتذرّع والنشاط مع الجهد والكلال ؛ ومثله :

كأنَّ ذِراعَيْها ذِراعا بَذِيَّةٍ مفجَّعَة لاقتْ ضرائرَ عن عُفْرِ(٥)

سَمِعْنَ لها وَاسْتَعْجلتْ فى كلامها فلاَ شَىْءَ يَفْرِى باليَدَيْنِ كما تفْرِى(٦)

ويقاربه قول الآخر :

ألاَ هلْ تُبْلِغَنّيِهِمْ على اللّأْوَاء والظِّنّهْ

وآةٌ لِحَصَى المعْزَا ءِ فى أخْفافِهَا رِنّهْ(٧)

إذَا ما عَسَفَتْ قُلْتَ حَماةٌ فاضحَتْ كَنّهْ(٨)

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فى سيرها » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ليرى حسنهما » بالبناء للمجهول. (٣) النصف : المرأة التى ذهب نصف عمرها ، ويقال للرجل أيضا .

(٤) الأنساع : جمع نسع ، وهو السير المضفور يجعل زماما للبعير وغيره .

(٥) عن عفر ، أى بعد حين . وفى حاشيتى الأصل ، ف : ويروى « عن عقر » . أى بعد كونها عاقرا .

(٦) يفرى ، أى يأتى بالعجب . (٧) الوآة : النجيبة من الإبل . والمعزاء : المكان الصلب الكثير الحصى : (٨) الحماة : أم الزوجة . والكنة : امرأة الولد :

وممن شبه سرعةَ أيدى الإبل بأيدى النوائح كعب بن زهير فقال[١]:

كأنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْها إذا عَرِقَتْ وقَدْ تَلَفَّعَ بالقُورِ العَسَاقِيلُ[٢]
وقال للقوْمِ حادِيهمْ وقد جعلتْ أُرْقُ الجَنادِبِ يرْكُضْنَ الحصَى: قيلوا[٣]
شَدَّ النهارِ ذِراعا عَيْطَلٍ نَصَفٍ قامَتْ فجَاوَبَها نُـكْدٌ مَثاكِيلُ[٤]
نَوّاحَةٌ رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ ليس لها لمَّا نَعَى بِكْرَها النَّاعُونَ مَعْقُولُ[٥]

المساقيـل: أوائل السَّراب؛ ولا واحد لها من لفظها. وأخبر أنَّ ناقته فى شدّة الحر واتقاد الظهيرة تمرحُ فى سيرها وتتذرع بيديها؛ وشبه ذراعَيها بذراعى امرأة نَصَفٍ تنوح على ابنها، وقد نُعِى إليها؛ فهى تشير بيديها وتوالى تحريكهما. والعيطل: الطويلة العنق، وجعلها نَصَفًا لأنها قد كادت تيأس من الولد فهى أشد لحزنها على ابنها وتفجُّعها عليه، والقُور: جمع قارة وهى ما ارتفع واستدار من الرمل؛ وأراد أن يقـول: كما تلفعت القُور بالمساقيل، فلم يمكنه فقلَب.

---

(١) ديوانه: ١٦ـ١٨، من قصيدته المشهورة: «بانت سعاد».

(٢) رواية الديوان: «وقد عرقت». وأوب: رجع. وتلفع: تلحف، وفى حاشية الأصل: «قريب منه قول المرار الفقعسى يصف ناقته:

كأنما أَوْبُ يديْهـا إلى حَيْزُومِها فَوْقَ حَصَى الْجَدْجَدِ
نَوْحُ ابنةِ الجَوْنِ على هَالِكٍ تندبـه رافعـةَ الْمِجْلَدِ

ـ الجدجد: الأرض الصلبة. ابنة الجون: نواحة معروفة. والمجلد: قطعة جلد تضرب بها النائحة على صدرها». (٣) حاشية ف (من نسخة): «ورق»، والورق والأرق: جمع أورق؛ وهو الأخضر المائل إلى السواد. أو ما كان على لون الرماد وقيلوا؛ من القائلة.

(٤) شد النهار: ارتفاع النهار؛ وهو ظرف، أى وقت ارتفاع النهـار. والعيطل: الطويلة، ونـكد: قليلات الأولاد. والنصف، هى التى قامت تنوح، شبه يدى ناقته بيدى هذه المرأة. والنـكد: جمع نـكداء، وهى التى لا يصيبها خير. (٥) نواحة، يعنى هذه النصف، وقوله: «رخوة الضبعين» يريد أنها شديدة الحركة والالتدام. والضبعان هما العضدان، والواحد ضبع. وبكرها: أول ولدها. والمعقول: العقل، يقال: ما لفلان معقول، وما له مجلود.

ومثله :

وكأنَّما رَفَعَتْ يَدَىْ نوَّاحَةٍ شَمْطَاءَ قامَتْ غَيْرَ ذَاتِ خِمارِ

/ وإنما خص الشَّمْطَاءَ لما ذكرناه من اليأس من الولد، كما قال عمرو بن كلثوم : [١٨٩ ط]

ولا شَمْطاءُ لم يَتركْ شَقَاها لهـا من تِسْعَةٍ إلاَّ جَنينا[١]

وقد قيل فى بيت عمرو : بل شَبَّه الناقةَ بشمطاء، لما على رأسها من اللّغام[٢] .

ومثل ما تقدم من المعانى قول الشاعر :

يا لَيتَ شعْرِى والمُنَى لا تَنْفَعُ ! هلْ أغْدُوَنْ يوْماً وأمْرِى مُجْمَعُ!

وَتحتَ رَحْلِى زَفيَانٌ مَيْلَعُ كأنَّها نائحـــةٌ تفَجَّعُ

تَبْكِى لِمَيْتٍ وسِواها المُوجَعُ

ـ الزّفيان : الناقة الخفيفة ، والمَيْلَعُ : السريعة ؛ وشبَّه رَجْع يديها فى السير لنشاطها بيدىْ نائحة تنوح لقوم على ميّتهم بأجرة ، فهى تزيد فى الإشارة بيديها ليُرى مكانها .

ومثله بعينه قول ذى الرمة :

مَجانيقُ تُضْحِى وَهْىَ عُوجٌ كأنها بجَوْزِ الفَلا مُستَأجَراتٌ نَوَائحُ[٣]

(١) من المعلقة : ٢١٥ — بشرح التبريزى ؛ وقبله :

فما وجَدَتْ كوجدى أم سقبٍ أضَلَّتْهُ فرجّعَتِ الحنينـا

والسقب : ولد الناقة الذكر .

(٢) اللغام : الزبد الذى يعلو شفاه الإبل إذا اهتاجت

(٣) ديوانه: ١٠٤ . والعوج : جمع عوجاء ، وهى الناقة الضامرة ، كأنها عجفت فاعوج ظهرها .

وقبل هذا البيت :

ومَيْرِى وأعْراءُ المتانِ كأنَّها إضاءٌ أحسَّتْ نَفْحَ ريحٍ ضَحاضِحُ

على حِمْيَرِيَّاتٍ كأن عيونَهـا ذمام الركايا أنـكرتْها المواتحُ

ـ الأعراء : الخالية من النبات . والمتان : ماارتفع من الأرض. والإضاء : جمع أضاة ، وهو الغدير . والضحاضح : قليلة الماء . والحميريات : إبل منسوبة إلى حمير وركية ذمة : قليلة الماء . ونـكرت الركية : قل ماؤها ، وأنـكرتها أنا .

المجانيـق : التى ضَمَرْن بعـد سِمَن ؛ وخصّ المستأجرات من النوائح للمعنى الذى ذكرناه .

وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى :

كأنَّ أوْبَ يَدَيْها حين أعْجَلَها أوْبُ المُرَاحِ وقَدْ نادَوْا بتَرْحالِ
مَقْطُ الكُرِين على مكنوسَةٍ زَلَقٍ فى ظَهْرِ حَنَّانَةِ النِّيرَيْنِ مِغْوَالِ

ـ معنى : « أوْب ذراعَيها » أىْ رجْعهما ـ وأوب المُراح ، إذا أراح القوم عازبَ أموالهم ليرحلوا، وقدروى: «أوبالمِراح» بالكسر؛ ومعناه رجع المِراح والنشاط. والمَقْط: اللعب بالكرة . والكُرِين : جمع كرة . والمنكوسة : الأرض البرَاح التى لا شىء فيها . والزَّلَق : المستوية من الأرض . والحنانة : الريح . والنيران : جانبا هذه الأرض. ومغوال، قيل : إنه من صفات الريح ؛ وقيل : من صفات الأرض ؛ وإن كان من صفات الريح فمعناه أنّ الريح تَغُول الأرض بأسرها ؛ أى تملؤها ، وإذا كان للأرض فالمعنى أنها تَغُول من
[١٩٠ و] سَلَكها أى تُهلكه ؛ وتلخيص معنى البيت أنه شبه يدىْ ناقته بيدىْ ضاربٍ / بكُرَة فى أرض واسعة فى يوم ريح عاصف ؛ وهذا من دقيق المعانى وحَسن التشبيه والمبالغة .

ومثل بيتى الشماخ قول المسيّب بن عَلَس[١]:

مَرِحَتْ يدَاها للنَّجَاء كأنَّمَا تكْرُو بكَفَّىْ ماقِطٍ فى قاعٍ[٢]
فِعلَ السَّرِيعةِ بادرَتْ جُدَّادَها قَبْلَ المَسَاءِ تَهُمُّ بالإسْرَاعِ

---

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : قال س : «وجدت بخط القاضى أبى عبد الله محمد بن سلامة القضاعى رحمه الله: « علس » بفتح العين مضبوطا كأنه يجعله فعلا ماضيا ، والعلس : حب كالعدس » .

(٢) من قصيدة فى المفضليات ٦٠ـ٦٣ (طبعة المعارف) أولها :

أرحلت من سلمى بغير متاعِ قبل العُطاس ورعتَها بوَداعِ

والماقط : الضارب ، ورواية المفضليات :

* تكْرُو بكفَّىْ لاعبٍ فى صاَعٍ *

معنى: «تَكْرو» أى كأنها تلاعب بِكُرَةٍ . والسريعة ، يعنى نسَّاجة . والجُدّاد: الغزْل الضعيف، فأراد أنها تُسرع الضرب بالحَفّ(١) والنسج قبل المساء ؛ وما دامت تبصر ؛ فشبَّه يدىْ ناقته فى تذرّعها بيدىْ هذه النساجة .

وقال الأصمعىّ الجُدّاد : هُدْبُ الثوب ؛ فيعنى أن هذه النساجة قد قاربت الفراغ من الثوب ، وبلغت إلى هُدْبه ؛ فهى تبادر لتفرُغ منه قبل المساء .

وقريب منه قول الآخر :

كأنَّ أيْدِيهِنّ بالْقَاعِ القَرِقْ(٢) … أيْدِى جوارٍ(٣) يتعاطَيْنَ الوَرِقْ

فالقَرِقْ الخَشِن الذى فيه الحصى؛ وشبّه خَذْف(٤) مناسِمهِنّ(٥) له بخَذف جَوارٍ يلعبن بدراهم، وخصّ الجوارى لأنهن أخفّ يداً من النساء .

وقال آخرون : القَرِق هاهنا: المستوِى من الأرض، الواسع؛ وإنما خُصّ بالوصف لأن أيدى الإبل إذا أسرعت فى المستوى فهو أحمَدُ لها ؛ وإذا أبطأتْ فى غيره فهو أحْمَدُ لها .

ومن أحسن ما قيل فى الإسراع قول المرّار بن سعيد :

فتنَاوَلُوا شُعَبَ الرِّحال فقَلَّصتْ … سُودُ البُطونِ كفضلة المُتَنَمِّسِ

ذكر قوما سَفْراً هبُّوا من رقدتهم إلى رحالهم ليسيروا ؛ ويعنى بسود البطون الإبل ؛ والمتنمِّس: الصائد الذى اتخذ ناموساً ، وهوما يستتر به ليختِلَ الصيد، فشبه المطايا فى سرعتها بقطاً قد صاد الصائد بعضها ، وأفلت بعضُها ؛ فهنّ يَطِرْنَ طيراناً شديداً .

ومثل هذا — وإن كان فى صفة الخيل — قولُ النابغة :

---

(١) الحف : المنسج . (٢) البيتان فى اللسان (قرق) .

(٣) اللسان : « أيدى نساء » . (٤) الخذف : الرمى بالحصى الصغار .

(٥) م « مناسمها » .

* كالطَّيرِ تَنْجُو منَ الشُّؤْبُوبِ ذِى البَرَدِ *(١)

وأما قول مروان :

... يَهُزُّ مِراحُها بعْدَ النُّحُولِ تَلِيلَهَا وقَذَالَها

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السآمة والجَهد مامضى .

[١٩٠ ظ] وأحسنُ من قول مروان / وأشدُّ إفصاحاً بالمعنى وإعراباً عنه قولُ الهذلىّ :

ومن سيرها العَنَقُ المُسْبَطِرُّ والعَجْرَفيَّةُ بعدالكَلالِ(٢)

وإنما كان هذا أحسنَ لأنه صريح بنشاطها بعد كلالها . وقول مروان: «بعد النحول» لا يجرى هذا المجرى ؛ لأن النحولَ قد يكون عن جَهْد السفر والتعب ، ويكون عن غيره .

وأما قوله :

* كالقوس ساهمة أتتك وقد تُرى *

فقد أكثرت العرب فى وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقِسىّ وغيرها ؛ وقد أحسن كُثَيِّر فى قوله :

نفَى السيْرُ عنها كلَّ داءِ إقامَةٍ فهُنَّ رَذَايا بالطَّرِيقِ تَرَائِكُ(٣)
وحُمِّلَتِ الْحاجاتِ خُوصاً كأنَّها وقدضمرَتْ صُفْرُ القِسىِّ العَوَاتِكُ(٤)

وقال سلْم بن عمرو الخاسر(٥) :

وكأنَّهُنَّ من الكَلالِ أهِلَّةٌ أو مِثْلُهُنَّ عَطائفُ الأقْوَاسِ(٦)

---

(١) ديوانه : ٢٣ ، وصدره :

* والخيْلُ تمزعُ غرباً فى أعنّتِها *

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٧٥ ، والبيت لأمية بن عائذ العنق : السير المنبسط . والمسبطر : المسترسل السهل. والعجرفيه : الشديد . (٣) ديوانه: ٢: ١٣٦؛ الرذايا : جمع رذية؛ وهى الناقة المهزولة من السير . والترائك : المتروكة لضعفها . (٤) العواتك : جمع عاتكة ؛ وهى القوس إذا قدمت واحمرت .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « قيل إنما سمى عمرو خاسرا لأنه ورث عن أبيه مصحف قرآن، فاشترى به عوداً » . (٦) القوس العطيفة : المعطوفة ؛ وهى المنحنية .

قُودٌ طَوَاها ما طوَتْ من مَهْمَهٍ نائی الصُّوَی ومناهجٍ أدْرَاسِ(١)

وقال أبو تمام يصف ناقة :

أتَيْنَا القَادِسِيَّةَ وهیَ تَرْنُو إلیَّ بِعَيْنِ شيْطانٍ رَجِيمِ(٢)
فَمَا بلغَتْ بنا عُسْفَانَ حتَّی رَنَتْ بلَحاظِ لقْمانَ الْحَكِيمِ
وَبدَّلَها السُّرَی بالْجَهْلِ حِلْماً وَقَدَّ أدِيمَها قَدَّ الأدِيمِ
أذابَ سَنامَها قَطْعُ الفَيافِی ومزّق جِلْدَها نَضْحُ العَصِيمِ(٣)
بدَتْ كالْبَدْرِ وافَی لَيْلَ سَعْدٍ وآبَتْ مِثْلَ عُرْجُونٍ قَدِيمِ

وقال البحتریّ :

وَخَدَانُ القِلاَصِ حَوْلاً إذَا قا بَلْنَ حَوْلاً من أنْجُمِ الأسْحارِ(٤)
يَتَرَقْرَقْنَ كالسَّرَابِ وقَدْ خُضْـ ـنَ غِماراً من السَّرَابِ الجارِی
/ كالقِسِیِّ المعطَّلاتِ، بل الأسْـ ـهمِ مبْرِيَّةً ، بلِ الأوْتارِ [١٩١ و]

(١) قود : جمع أقود ؛ وهو من الإبل الطويل العنق . الصوی : جمع صوة ؛ وهی الأعلام فی الطريق. وفی حاشية الأصل : «ومثله بعينه للمتنبی :

فتبيت تُسْئِدُ مسئداً فی نِيِّهَا إسْئَادَها فی المَهْمَهِ الإنضاءُ

الإسئاد : إسراع السير فی الليـل . والنی : الشحم . والمهمه : الأرض الواسعة البعيدة . والإنضاء : مصدر أنضاه ينضيه إذا هزله . قال العكبری : « والمعنی أن المهمه ينضيها كما تنضيه » .

(٢) ديوانه : ٤٢٣ ؛ من قصيدة يصف حجة حجها ؛ وأولها :

لعلَّكَ ذاكِرُ الطَّلَلِ الْقَدِيمِ وموفٍ بالعهودِ علی الرُّسُومِ
وواصفُ ناقةٍ تَذَرُ المهارَی موكّلَةً بوخْـدٍ أو رسيم
وقد أممت بيت الله نِضْواً علی عَيْرَانةٍ حَرْف سَعُوم

أتيت القادسية . . .

(٣) النضح : الرشح . والعصيم : العرق . (٤) ديوانه : ٢ : ٢٤ ؛ من قصيدة يمدح فيها أبا جعفر بن حميد . وخدان القلاص : إسراعها . وحول : جمع حائل ، وحول الثانية جمع أحول .

وله أيضاً :

وَهىَ العِيسُ ، دَهْرَها فِي ارتحالٍ   مِنْ حُلُولٍ ، أو فُرْقَةٍ من جميعِ (١)
رُبَّ مَرْتٍ مرَّتْ تُجاذِبُ قُطْرَيْ   هِ سَرَاباً كالمَنْهَلِ المَشْرُوعِ (٢)
وَسُرًى تَنْتَحِيهِ بالوَخْدِ حتَّى   تَصْدَعَ اللَّيْلَ عن بياضِ الصَّدِيعِ (٣)
كالبُرَى فى البُرَى ويُحْسَبْنَ أحْيا   نًا نُسوعاً مَجْدُولةً فى نُسُوعِ (٤)

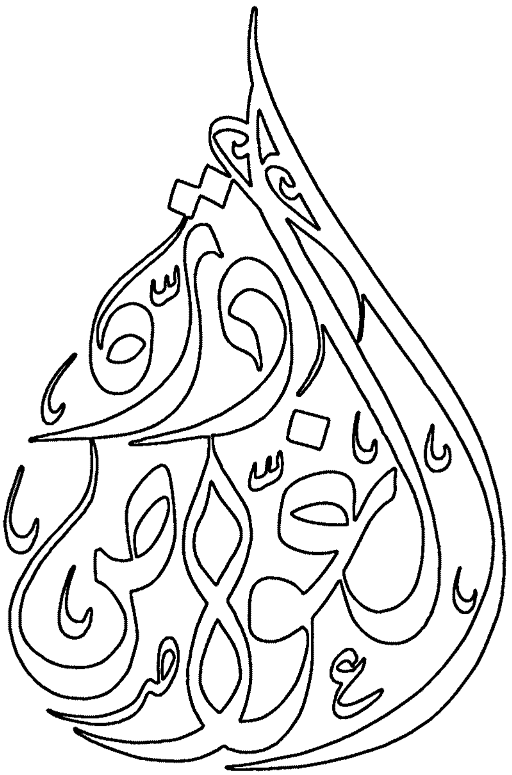

(١) ديوانه ٢ : ٩١ ؛ من قصيدة يمدح فيها محمد بن محمد الواثق .
(٢) المرت : الأرض القفر .   (٣) الصديع : الفجر .
(٤) البرى : جمع برة ؛ وهى الحلقة . والنسوع : الحبال .

مجلس آخر ٤٣

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص : ٧٥] .

فقال : كيف أضافُ إلى نفْسه اليد ؛ وهو ممن يتعالى عن الجوارح ؟

الجواب ، قلنا فى هذه الآية وجوهٌ :

أوّلها أن يكون قوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ جارياً مجرى قوله: «لما خلقت أنا»، وذلك مشهور فى لغة العرب ، يقول أحدهم : هذا ما كسبتْ يداك ؛ وما جرّت عليك يداك؛ وإذا أرادوا نفىَ الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضَّرْب من الكلام فيقولون : فلان لا تمشى قدمه ، ولا ينطق لسانه ، ولا تكتب يده ؛ وكذلك فى الإثبات ، ولا يكون للفعل رجوع إلى الجوارح فى الحقيقة ؛ بل الفائدة فيه النفى عن الفاعل .

وثانيها أن يكون معنى اليد هاهنا النعمة ، ولا إشكال فى أن أحدَ محتملات لفظة اليد النعمة.

فأما الوجه فى تثنيتها فقد قيل فيه إن المراد نعمة الدنيا ونعمة الآخرة ، فكأنه تعالى قال : مامنعك أن تسجدَ لما خلقتُ لنعمتى ؛ وأراد بالباء اللام .

وثالثها أن يكون معنى اليد هاهنا القدرة ؛ وذلك أيضا من محتَملات اللفظة ؛ يقول القائل : مالى بهذا الأمر يَدٌ ولا يدان، وما يجرى مجرى ذلك ؛ والمعنى : أننى لاأقدر عليه ولاأطيقه ؛ وليس المراد بذلك إثباتُ قدرة على الحقيقة؛ بل إثبات كون القادر قادرا، ونفى

كونه قادرا ، فكأنه تعالى قال : ما منعك أن تسجد لما خلقت وأنا قادر على خَلْقه ؛ فعبَّر عن كونه قادراً بلفظِ اليد الذى هو عبارة عن القدرة ؛ وكلُّ ذلك واضح فى تأويل الآية .

***

[١٩١ ظ] ونعود إلى ما كنا ابتدأناهُ من/الـكلام على شعر مروان .

فمن قصيدته التى تقدم بعضُها ووقع الـكلام عليه مما يختار قوله :

أحْيا أمِيرُ المؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ ... سُنَنَ النبِىِّ حَرَامَها وحَلاَلَهَا

مَلِكٌ تَفرَّعَ نَبْعَةً من هاشِمٍ ... مدَّ الإلَهُ على الأنَامِ ظِلالَهَا

جَبَلٌ لأُمَّتِهِ تَلُوذُ بِرُكْنِهِ ... رَادَى جِبالَ عَدُوِّها فأزالَها(١)

لم تَغْشَهَا ممَّا تَخَافُ عَظِيمَةٌ ... إلاَّ أجالَ لها الأمورَ مجالَهَا

حتى يُفرِّجَها أغرُّ مُبارَكٌ (٢) ... الفَى أباهُ مُفرِّجاً أمْثَالَهَا

ثَبْتٌ على زَلَلِ الحَوادِثِ راكِبٌ ... من صرْفِهِنَّ لِـكُلِّ حالٍ حالَها(٣)

كِلْتَا يدَيْكَ جَعلْتَ فَضْلَ نوالِها ... للمُسْلِمِينَ ، وفى العدوِّ وبالَها(٤)

وقَعتْ مواقِعَها بعفْوِكَ أنفُسٌ ... أذْهَبْتَ بعد مخافةٍ أوْجالَها

أمَّنْتَ غير مُعاقِبٍ طُرَّادَها ... وفَكَكْتَ مِن أُسَرائِها أغلالَها

ونَصَبْتَ نَفسكَ خيْرَ نَفْسٍ دُونَها ... وجَعلْتَ مالَكَ واقِياً أمْوالَها(٥)

أما قولُه :

أحْيَا أمِـيرُ المؤمنين محمدٌ ... سنَن النبِىِّ حرامَها وحلالَها

فقد عابه عليه بعضُ مَن لامعرفة له بنقد الشعر فقال : كيف يكون فى سنَن النبىّ عليه

---

(١) فى حاشيتى الأصل ؛ ف « رادى « فاعل » من المراداة ؛ وهى مراماة الحجر ؛ أصله من المردى وهو الحجر الذى يكسر به الحجارة ، يستعمل فى المفاخرة والمناجزة » . (٢) م : « مهذب » .

(٣) أى راكب من الصروف لـكل حال حالها . (٤) ش : « وللعدو وبالها » .

(٥) حاشية ف : « بخط عبد السلام بن الحسين البصرى رحمه الله : صيالها » .

السلام حرام ! وما ذلك بمعيبٍ ؛ لأنه أراد بقوله : « حلالها وحرامها » التحليل والتحريم ؛ ومن سننه تحريمُ الحرام ، وتحليل الحلال ؛ وإنما المعيب من هذا قول ابن الرِّقاع العاملىّ :

ولقد أراد الله إذْ ولاَّ كَها ... من أمَّةٍ إصْلاحَها وفَسادَها[١]

ومثل قول مروان قول سَلْم الخاسر:

ولما وليتَ ذكرتُ النبىّ ... بتحليله وبتحريمهِ

فأما قوله :

* حتى يفرِّجها أغرُّ مباركٌ * ... البيت

فكثير جداً للمتقدمين والمحدَثين ؛ والأصل فيه قول زهير :

وما كانَ منْ خَيْرٍ أتوْه فإنما ... تَوارثَهُ آباءُ آبائِهم قَبْلُ[٢]

وهَلْ يُنْبِتُ الخَطِّىَّ إلاَّ وشِيجُهُ ... وتُغْرَسُ إلاَّ فى منابِتِها النَّخْلُ![٣]

ومثله قول الآخر :

/ وَحمْزَةُ والعبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمُ ... عَقِيلٌ، وماءُ العُودِ من حَيْثُ يُعْصَرُ[٤] [١٩٢ و]

ومثله للرَّبيع بن أبى الحُقَيْق اليهودىّ :

إذَا ماتَ منَّا سيِّدٌ قامَ بَعْدَهُ ... لهُ خَلَفٌ يكْفِى السِّيادَةَ بارِعُ

---

(١) الطرائف الأدبية : ٩٠ ؛ والرواية هناك : « إصلاحها ورشادها » ، وهى أيضا رواية المؤلف فى المجلس التاسع والأربعين. وفى الحاشية: « عدىّ قال : « فسادها » ، والأصمعىّ أنشد: « رشادها » ؛ والبيت من قصيدته التى أولها :

عرف الديار توهما فاعتادَها ... من بعد مادرس البلى أبلادها

وانظر روايتها وتخريج أبياتها فى الطرائف الأدبية ٨٧ــ٩١ .

(٢) ديوانه : ١١٥ ؛ وتوارثه ؛ أى ورثوه كابرا عن كابرا ؛ كناية عن مجدهم القديم .

(٣) الخطىّ : الرماح ؛ منسوبة إلى الخط ؛ وهى جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح . والوشيج : القنا الملتف فى منبته ، واحدها وشيجة .

(٤) حاشية الأصل : « ومثله للمتنبى :

فإن كان سيارُ بن مكرمٍ انقضَى ... فإنك ماء الورد إن ذهب الوردُ

على أَصْلِهِ، والعِرْقُ للعِرْقِ نازِعُ[١]   منَ أَبنائِهِ والعِرْقُ ينصُرُ فَرْعَه

ومثله له:

تَرْجُو الغُلامَ وقَدْ أَعْياكَ والدُهُ   وفى أَرُومَتِهِ ما يَنْبُتُ العُودُ

وأخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكُمَيْت فقال:

تجرِى أصاغِرُهمْ مَجْرَى أكابِرِهِمْ   وفى أَرُومَتِهِ ما يَنْبُتُ الشَّجَرُ

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرُّقيات:

يَخْلُفُكَ البيضُ من بَنِيكَ كما   يخْلُفُ عُودُ النُّضارِ فى شُعَبِهْ[٢]

ومنه قول نَهشل بن حَرِّىّ:

أرَى كلَّ عودٍ نابِتا فى أَرُومَةٍ   أبَى نَسَبُ العِيدانِ أن يَتَغَيَّرا[٣]

بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ ومن يَكُن   لِوَالِدِ سَوْءٍ يَلْقَه حيْثُ سَيَّرا[٤]

ومثله لمسلم بن الوليد الأنصارىّ:

أَلَحَّ على الأَيَّامِ يَفْرِى خُطُوبَها   على مَنْهَجٍ أَلْفَى أباهُ بِهِ قَبْلُ[٥]

ولبشار:

* على أعْراقِها تَجْرِى الجيادُ *

---

(١) نازع؛ أى ينزع إليه فى الشبه. (٢) النضار: شجر الأثل؛ وقيل: النضار: كل شجرة ناضرة. (٣) ف: «ناميا فى أرومة». (٤) نسب هذا البيت فى حماسة أبى تمام — بشرح التبريزى ١: ٣٠٠ إلى جميل بن عبد الله بن معمر؛ ضمن أبيات ثلاثة؛ وهى:

أبوك حبابٌ سارقُ الضيفِ بُرْدَهُ   وجَدِّىَ ياحجاج فارس شمّرا

بنو الصالحين الصالحون ومَنْ يكُنْ   لآباء صدق يَلْقَهمْ حيث سَيَّرا

فإن تغضبوا من قِسْمَةِ الله حَظَّكُمْ   فلَلَّه إذْ لم يُرْضِكُمْ كانَ أبصرَا

وهى فى الحماسة — بشرح المرزوقى ٣١٥–٣١٦ من غير نسبة.

(٥) ديوانه: ٢٠٣

ومثله :

وَمافِىَّ من خَيْرٍ وشَرٍّ فإنها سَجِيَّةُ آبائى وَفِعْلُ جُدُودِى
هُمُ القَوْمُ فَرْعِى منهمُ مُتَفرِّعٌ وعُودُهُمُ عند الحَوَادِثِ عُودِى

وللبحترىّ :

وإذَا أبو الفَضْلِ استعار سَجِيَّةً للمَكْرُماتِ فَمِن أبى يَعْقُوبِ[(١)]
شَرَفٌ تَتابَعَ كابراً عن كابرٍ كالرُّمْحِ أنْبُوبَاً على أنْبُوبِ
وَأرَى النَّجابَةَ لا يكُونُ تمامُها لِنَجيبِ قَوْمٍ لَيْسَ بابْنِ نَجيبِ

[١٩٢] ظ / وله أيضاً :

ما سَعَوْا يَخْلُفُونَ غير أبِيهِمْ كلُّ ساعٍ منَّا يُرِيدُ نِصابَهْ[(٢)]

وله أيضاً :

وَما تابِعٌ فى المَجْدِ نَهْجَ عَدُوِّهِ كَمُتَّبِعٍ فى المَجْدِ نَهْجَ أبيهِ[(٣)]

وفى هذه القصيدة يقول مروان :

هلْ تعلمونَ خليفةً منْ قبلِهِ أجْرَى لِغايَتِهِ التى أجْرَى لَها
طَلَعَ الدُّرُوبَ مُشَمِّراً عن ساقِهِ بالخَيْلِ مُنْصَلِتاً يُجِدُّ نعالَهَا[(٤)]
قُوداً تَرِيعُ إلى أغرَّ لِوَجْهِهِ نُورٌ يُضِىءُ أمامَها وخِلالَهَا[(٥)]
قَصُرَتْ حمائِلُه عليْهِ فقَلَّصَتْ ولقَدْ تَحَفَّظَ قَيْنُها فأطَالَها
حتَّى إذَا وَرَدَتْ أوَائِلُ خَيلِهِ جَيْحَانَ بَثَّ على العَدُوِّ رِعَالَها[(٦)]

---

(١) ديوانه ١ : ٥٧ ؛ من قصيدة يمدح فيهايعقوب بن إسحاق النوبختى .
(٢) ديوانه ١ : ٩٠ ؛ من قصيدة يمدح فيها أبا ثوابة .
(٣) ديوانه ٢ : ٣٢٨ ؛ من قصيدة يمدح بها أحمد بن المدبر .
(٤) الدروب ، يريد بها دروب الروم . والمنصلت : الماضى فى الأمر .
(٥) قود : جمع أقود ، وهو الذلول من الخيل . وتريع : ترجع .
(٦) جيحان : اسم نهر . والرعال : جمع رعيل ؛ وهو القطعة من الخيل تتقدم العسكر .

أحْمى بِلادَ المُسْلمينَ عَلَيْهِمُ ... وأباحَ سَهْلَ بلادِهِمْ وَجِبالَها
أدْمَتْ دَوَابِرَ خَيلِهِ وشكيمَها ... غاراتُهُنَّ وألْحقَتْ آطالَها[١]
لم تُبْقِ بعدُ[٣] مَقادِها وطِرادِها ... إلاَّ نحائزَها وإلاَّ آلَها[٢]
رَفعَ الخَليفَةُ ناظِرىَّ وراشَنِى ... بيَدٍ مُبارَكَةٍ شَكَرْتُ نوالَها
وَحُسِدْتُ حتى قِيلَ أصْبحَ باغِياً ... فى المَشْى مُتْرَفَ شِيمَةٍ مُخْتالَها[٤]
ولقدْ حَذَوْتَ لِمَنْ أطاعَ ومَنْ عصَى ... نَعْلاً وَرِثْتَ عنِ النبىِّ مِثالَها[٥]

أما قوله : «قَصُرَتْ حمائلُه» فالأصل فيه قول عنترة :

بَطَلٌ كأنَّ ثِيابَهُ فى سَرْحَةٍ ... يُحذَى نِعالَ السِّبْتِ ليس بتوْءَمِ[٦]

أو قول الأعشى :

إلى ماجِدٍ كهِلالِ السَّما ... ءِ أزكَى وفاءً ومَجْدا وخيرًا[٧]
طَويلِ النِّجادِ ، رَفيعِ العِما ... دِ ، يَحْمى المُضافَ ، ويُغْنِى الفَقِيرا[٨]

[١٩٣ و] / ومثله:

طَويلُ نِجادِ السَّيْفِ عارٍ جَبينُهُ ... كَنَصْلِ اليَمَانِى أخْلَصَتْهُ صَياقِلُهْ
إذا همَّ بالمعْرُوفِ لم تجْرِ طَيرُهُ ... نُحُوساً ، ولم تَسْبِقْ نَداهَ عواذِلُهْ

---

(١) الدوابر: جمع دابرة ، وهى الموضع الذى يقع عليه مؤخر السرج . والحقت : ضمرت . والآطال: جمع إطل ؛ وهى الخاصرة . (٢) ش : « لم يُبْقِ بُعْدُ » .

(٣) نحائزها : طباعها . وآلها : يريد شخصها . (٤) المترف : المبقى فى الملك والنعمة .

(٥) حاشية الأصل : « يعنى أنه اقتدى عن النبى عليه السلام فى أفعاله حذو النعل بالنعل » .

(٦) المعلقة ــ بشرح التبريزى : ١٩٩ ؛ أى هو بطل . والسرحة : الشجرة الكبيرة الطويلة ؛ يستظل بها . ونعال السبت : المدبوغة بالقرظ ، وكانت الملوك تلبسها وليس بتوءم : لم يولد معه آخر فيكون ضعيفا . (٧) ديوانه : ٧٠ . والرواية فيه : « إلى ملك » .

(٨) رواية الديوان : « ويعطى الفقيرا » . والمضاف : الملجأ ، من قولهم : أضاف ظهره إلى الحائط أى استند إليها .

ومثله قول طُرَيح بن إسماعيل الثَّقفىّ :

وأشعثَ طَلّاعِ الثنايا مباركٍ ... يغولُ نجادَ السَّيف وهو طويلُ[١]

ولأبى جوَيْرِيَة العبدىّ :

يمدُّ نِجادَ السَّيْفِ حتَّى كأنَّهُ ... بأعلى سَنامَىْ فالِجٍ يتَطَوَّحُ

إذَا اهْتَزَّ فى البُرْدِ اليمانىِّ خِلتَهُ ... هلالاً بدَا فى جانِبِ الأُفْقِ يَلْمَحُ

ولأبى عطاء السِّنْدِىّ :

وأزْهَرَ من بَنى عَمرو بْنِ عَمْرٍو ... حَمائلُه وإنَ طالَتْ قِصارُ

ولبعضهم فى آل المهلب :

رَأَيتُكُمُ أعزَّ الناس جاراً ... وأَمْنعَهُمْ إذَا عُدُّوا ذِمارَا[١]

حَمائلُكُمْ وإنْ كانَتْ طِوالاَ ... نرَاها عن شَمائِلِكُمْ قِصارًا

ولبعض بنى العنبر فى معنى الطول :

فَجاءَتْ به عَبْلَ العِظامِ كأنَّما ... عِمامتُه بين الرِّجالِ لواءُ[٢]

ولآخر:

أشَمُّ طَويلُ السَّاعِدَينِ كأنَّمَا ... تُناطُ إلى جِذْعٍ طويلٍ حمائلُهُ[٤]

ولابن هَرْمَة:

تُناطُ حَمائلُ الهِنْدِىِّ منهُ ... بِعاتِقٍ ، لا ألفَّ ولا ضَئيلِ

ولكِن تَسْتَقِلُّ به قُواهُ ... على ماضٍ بقائِمِهِ نَبيلِ

---

(١) د ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « يطول » .

(٢) الذمار : الذمة والعهد .

(٣) عبل العظام : ضخمها ، والبيت من أبيات ثلاثة فى الحماسة — بشرح المرزوقى ٢٦٩ — ٢٧٠ ، والرواية هناك : « سبط العظام » . (٤) حاشية ف (من نسخة) : « طوال الساعدين » .

ولسلْم الخاسر :

يقُومُ معَ الرُّمْحِ الرُّدَينيِّ قائمـا   ويَقْصُرُ عنهُ طُولُ كلِّ نِجادِ

وللخثعميّ :

يُوَازِى الرُّدَينيَّ فى طولهِ   ويَقصُرُ عنه نِجادُ الحُسامِ

[١٩٣] ظ وللوالبيّ :

طَوْلٌ وَطُولٌ فتَرَى كَفَّهُ   يَنْهَلُّ بالطَّوْلِ انهلالَ الغمامْ

وطُولهُ يَمْتَالُ يومَ الوَغَى   وغيْره فَضْلَ نجادِ الحُسامْ

فأما قوله :

ولقد حَذَوْت لمن أطاع ومنْ عصى   نعلا ورِثْتَ عن النبيِّ مثالَها

فقد ردَّد مروان معناه فى مواضع من شعره فقال :

شبيهُ أبيهِ مَنْظَرًا وخَليقَةً   كما حُذِيَتْ يوْماً على أخْتِها النَّعلُ

وقال فى موضع آخر :

أحْيا لَنا سُنَنَ النبِيِّ سَمِيُّهُ(١)   قدَّ الشِّرَاكِ بهِ قَرَنْتَ شِراكا(٢)

وقال أيضا :

صَحِيحُ الضَّمِيرِ، سِرُّهُ مثلُ جَهْرِهِ   قِياسَ الشِّرَاكِ بالشِّرَاكِ تُقابِلُهْ

وقال أيضا :

تَشابَهْتُما حِلْماً وعَدْلاً ونائلاً   وحَزْما إذا أمْرٌ أقامَ وأقْعَدَا

تَنازَعْتُما نَفْسَيْنِ؛ هَذِى كَهَذِهِ   على أصْلِ عِرْقٍ كان أفْخَرَ مُتْلَدَا

كما قاسَ نَعْلًا حَضْرَمِيٌّ فقَدَّها   على أخْتِها لم يألُ أنْ يَتَجَوَّدَا

---

(١) م : « محمد » .   (٢) حاشية ف : « قد الشراك : مصدر فى موضع الحال ، أى قادا » .

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :

تَنازَعَ الأَحْمَدانِ الشَّبْهَ فاتَّفقَا   خَلقاً وَخُلقاً كما قُدَّ الشِّرا كانِ(١)

والأصل فى هذا قول ابن أبى ربيعة :

فلما تواقفْنا عرفْتُ الذى بِها   كَمِثْلِ الذى بى،حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ(٢)

ومثله للسَّيد بن محمد الحميرىّ رحمه الله تعالى :

يَتْلُونَ أخْلاقَ النبىِّ وفعْلَه   فالنَّعْلُ تُشْبِهُ فى المِثَالِ طِراقَها(٣)

وقد تقدّم إلى هذا المعنى يزيد بن المكسّر بن ثعلبة بن سيّار العِجْلىّ بقوله فى يوم ذى قار، يحرض قومه على القتال :

مَنْ فرَّ منكُم فرَّ عن حَرِيمِه(٤)   وجارِهِ ، وفرَّ عن نَدِيمِهِ

/ أنا ابنُ سَيَّارٍ على شَكِيمِهِ(٥)   مِثْلُ الشِّراكِ قُدَّ من أدِيمِهِ [١٩٤] و

* وكُلُّهُمْ يجْرِى على قَدِيمِهِ *

فأما قوله :

* وحُسِدْتَ حتى قيل أصبح باغياً * . . . البيت

ففى معناه قول البحترىّ :

ألنْتَ لىَ الأيامَ من بعْدِ قَسْوَةٍ   وعاتبْتَ لى دَهْرى المُسىءَ فأعْتَبا(٦)

وألبَسْتَنى النُّعمَى التى غيَّرَتْ أخِى   عَلَىَّ فأمْسَى نازِحَ الوُدِّ أجْنبا

* * *

ومما يختار لمروان قوله:

(١) حاشية الأصل : « أى ينزعان فى الشبه ، كل منهما إلى صاحبه فى الشبه ، ويجوز أن يكون تنازع ، من النزع الذى هو السلب » .   (٢) ديوانه : ٣٢٦ .

(٣) طراق النعل : ما أطبقت عليه فخرزت به .   (٤) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٢ : ١٥٤ . وفى حاشية الأصل : من نسخة «منكم» . (٥) شكيمه : طبعه وعادته .   (٦) ديوانه ١ : ٥٦ .

مُوَفَّقٌ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ مُتَّبِعٌ   يَزِينُهُ كلُّ ما يأتِي ويَجْتَنِبُ
تَسْمُو العُيُونُ إليْهِ كلَّما انْفَرَجَتْ   لِلناس عن وجْهِهِ الأبْوَابُ والحُجُبُ
لهُ خلائِقُ بِيضٌ لا يُغَيِّرُها   صَرْفُ الزَّمانِ كما لا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

ووجدت بعض من ينتقِدُ(١) الشعر يقول: ليس فى شعر مروان بيت يُتمثل به غير هذا البيت الأخير من الثلاثة الأبيات. وكأن ابن مناذر(٢) إياه أراد بقوله، وقد سأل وهو مجاور بمكة: عمن ببغداد من الشعراء؟ فقيل له: العباس بن الأحنف؛ فقال: أنشدونى له، فأنشدوه:

لو كُنْتِ عاتِبةً لسَكَّنَ عَبْرَتِي   أمَلِي رِضاكِ، وزُرْتُ غيرَ مُراقَبِ(٣)
لكنْ مَلِلْتِ فلم تكُن لِىَ حيلةٌ،   صَدُّ المَلولِ خلافُ صدِّ العاتِبِ(٤)

فقال ابن مناذر: أخلِقْ بمن أدام بحثَ التراب أن يصيب خرَزة.

قال سيدنا أدام الله تمكينه: ولا شك فى قلة الأمثال فى شعر مروان؛ ولكن ليس إلى هذا الحد؛ وهذا المعنى الذى قد تضمنه البيت قد سُبِق إليه أيضا، قال طُرَيح بن إسماعيل:

جَوادٌ إذا جِئْتَهُ راجِياً   كَفَاكَ السؤالَ وإنْ عُدْتَ عادا
خَلائِقُه كَسَبيكِ النُّضا   رِ لا يَعْمَلُ الدَّهرُ فِيها فَسَادا

ومثله قول الخُرَيْمىّ:

[١٩٤ ظ] /رَأيتُكَ يازَيْدُ زَيْدَ النَّدَى   وزَيْدَ الفخَارِ وزَيْدَ الكَرَمْ
تَزِيدُ على نائباتِ الخُطُو   بِ بَذْلاً وفى سابغاتِ النِّعَمْ
كذَا الخمْرُ والذَّهَبُ المعْدِنىُّ   يُجَوِّدُ هـذا وذاكَ القِدَمْ

وفى قوله: «الذَّهب المعدنىّ» فائدة؛ لأنه إذا خَلَص الذهب وصَفَا لم يفسد؛ وإذا امتزج

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة): «ينقد». (٢) حاشية الأصل: «ابن مناذر، بضم الميم، ومنهم من يفتح الميم، ذهابا إلى أن له آباء اسم كل منهم المنذر، وليس هذا بشىء. وقيل له: يابن مناذر، فقال: مناذر الصغرى أم الكبرى؟ وهما ناحيتان بالأهواز، بل أنا ابن مناذر، بضم الميم».
(٣) ديوانه: ٢: ٢٢. (٤) رواية الديوان: «لكن مللت».

بغيره لم يكن هذا حكمه ؛ ومثله للأُموىّ(١) :

يَأْوِى إِلى خُلُقٍ لم يُصْدِهِ طَبَعٌ   كأَنَّ جوْهَرَهُ من جوْهرِ الذَّهبِ

ولبعضهم :

مَلِكٌ لَهُ خُلُقٌ خَلِيقٌ بالعُلا   كَسبيكَةِ الذَّهَبِ التى لا تـكْلَفُ(٢)

وقد أخذ الخُبزأَرْزِىّ هذا المعنى فى قوله :

فلاَ تُعَنَّ لتَحْذيفٍ تـكَلّفه   لِصُورَةٍ حُسنُها الأَصلىّ تَـكْفيها
إِنَّ الدَّنانيرَ لا تُجْلَى وإن عَتُقَتْ   ولا تُزَادُ على النَّقْشِ الذى فيها

ولجحظة مثله :

صديقٌ لى له أَدَبُ   صَداقَةُ مِثْلِهِ حَسَبُ
رَعَى لِى فَوْقَ ما يُرْعَى   وأوجَبَ فوقَ ما يَجبُ
وَلوْ نُقِدَت خلائِقُهُ   لَبَهْرِجَ عندَها الذَّهبُ

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « الأسدى » (٢) لا تـكلف : لا تصدأ ؛ من الـكلف ؛ وهو لون يخالف لون الوجه .

مكتبة الدكتور مروان العطية

مجلس آخر ٤٤

تأويل آية

إن سائل سائل عن قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلًا مَسْحُوراً﴾ ؛ [الإسراء : ٤٧] .

فقال : لِمَ وحّد ﴿ نَجْوَى ﴾ وهو خبر عن جمع ؟ وما معنى ﴿ مَسْحُورًا ﴾ وما جرت عادة مشركى العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ، بل عادتهم جارية بقَرْفه بأنه ساحر ؟

الجواب ، قلنا : أما قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ فإن « نَجْوَى » مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث ، وهو مُقَرٌّ على لفظه . ويجرى ذلك مَجرَى [١٩٥ و] /قولهم : الرجال صَوم ، والمنازل حَمْد ، يعنى بصوم صائمون ، وبحمد محمودون.

وقد قال قوم : إن معناه: وإذ هم أصحاب نجوى، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

ويقال : القوم نَجِىّ والقوم أنجِيَة ، فمن وَحّد بنى على مذهب المصدر ، ومن جَمع جعله منقولا عن المصادر ، ملحقاً برغيف وأرغفة ، وما أشبه ذلك .

وقد قال الشاعر [١] :

أتانِي نَجِيِّي بعدَ هَدْء ورَقْدَةٍ ... وَلم أكُ فيما قد بلَوْتُ بكَاذبِ [٢]

---

(١) ف : « وقال الشاعر فى التوحيد » ؛ وهو سواد بن قارب السدوسى؛ صحابىّ ذكره ابن حجر فى الإصابة ٣ : ١٤٨–١٤٩ . (٢) من أبيات أنشدها عند الرسول عليه السلام ، ذكرت مع خبر له فى مقدمة جمهرة الأشعار ٢٤–٢٦ . والرواية هناك :

* ولم يَكُ فيما قد عَهِدْتُ بكاذبِ *

وأنشد الفراء فى الجمع:

ظَلَّتْ نِسَاؤُهُمُ والقَوْمُ أَنْجِيَةٌ   يُعْدَى إليها كما يُعْدَى على الغَنَمِ[(١)]

فأما قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً ﴾ ففيه وجوه :

أوّلها أن يكون المراد: إن تتبعون إلا رجلا متغيِّر العقل ؛ لأن المشركين كان من مذهبهم عيبُ النبى صلى الله عليه وآله، وتضعيفُ أمره وتوهينُ رأيه ، وكانوا فى وقت ينسُبونه إلى أنه ساحر ، وفى آخر يرمونه بالجنون ، وأنه مسحور مُغَيَّر العقل[(٢)] ، وربما قذفوه بأنه شاعر حُوشِيّ من ذلك كلِّه. وقد جرت عادة الناس أن يصفوا مَن يُضيفونه إلى البلَه والغفلة وقلة التحصيل بأنه مسحور.

وثانيها أن يريدوا بالمسحور المخدوعَ المعلَّل ؛ لأن ذلك أحد ما يستعمل فيه هذه اللفظة ، قال امرؤ القيس:

أرانا مُوضِعِينَ لِحَتْمِ غيْبٍ   ونُسْحَرُ بالطَّعَام وبالشَّرَابِ[(٣)]

وقال أمية بن أبى الصلت :

فإنْ تَسأَلِينا فِيمَ نَحْنُ فإنَّنا   عَصافِيرُ من هذا الأنامِ المُسَحَّرِ[(٤)]

---

(١) البيت فى اللسان (نجا) ، ونسبه لسحيم ، ولم يذكر فى ديوانه . وفى ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « يعدى عليها » .   (٢) د ، ف ، حاشية الأصل من نسخة : « متغير العقل » .

(٣) ديوانه: ١٣٢ . موضعين : مسرعين ، والإيضاع : نوع من السير . والحتم: الإيجاب ؛ وبعده :

عصافيرٌ وذبّانٌ ودودٌ   وأجرأ من مجلّحةِ الذئابِ

فبعضَ اللوم عاذِلتى فإنِّى   ستَكْفِينى التجاربُ وانْتِسابى

إلى عِرْقِ الثرى وَشَجت عروقِى   وهذا الموت يسلبنى شبابى

(٤) البيت فى اللسان (سحر) ، ونسبه إلى لبيد ؛ وهو أيضا فى ديوانه ١ : ٨١

وثالثها أن السَّحر فى لغة العرب الرِّئة وما تعلق بها، فيها ثلاث لغات: سَحرٌ وسِحْر وسُحرٌ، وقيل السِّحْر مالصق بالحلقوم والمرئ من أعلَى الجوف؛ وقيل إنه الكبد؛ فكأنَّ المعنى على هذا: إنْ تتبعون إلا رجلا ذا سِحْر؛ خلقه الله بَشرا كَخَلْقِكُم.

ورابعها أن يكون معنى مسحور أى ساحر، وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل؛ قال الله
[١٩٥ ظ] تعالى: ﴿ وإذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ / جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبينَ الَّذينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾؛ [الإسراء: ٤٥]، أى ساترا، والعرب تقول للمعسر: مُلْفَج، ومعناه مُلْفِج؛ لأن ماضيه ألْفَجَ[(١)]، فجاءوا بلفظ المفعول وهو الفاعل؛ ومن ذلك قولهم: فلان مشئوم على فلان وميمون؛ وهم يريدون شائم له ويامن؛ لأنه من شأَمهم[(٢)] ويَمَنهم.

ورأيت بعض العلماء يطعَن على هذا الاستشهاد الأخير فيقول: العربُ لا تعرف «فلان مشئوم على فلان»؛ وإنما هذا من كلام أهل الأمصار؛ وإنما تسمى العرب من لحِقه الشؤمُ مشئوما؛ قال علقمة بن عَبَدة:

ومنْ تعرَّض لِلغِرْبانِ يَزْجُرُها ... على سلامَتِهِ لابدَّ مَشْئُومُ[(٣)]

والوجوه الثلاثة الأوَل أوضَح وأشبه.

***

ومما يختار لمروان بن أبى حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيبانىّ، أولها:

أرَى القَلْبَ أمْسَى بالأوَانِس مُولعًا ... وإن كانَ من عهْدِ الصِّبا قد تمتَّعا[(٤)]

يقول فيها:

ولمَّا سرَى الهَمُّ الغَرِيبُ قَرَيْتُه ... قِرى من أزَالَ الشكَّ عنه وأزْمَعا

(١) حاشية الأصل: «يقال: ألفج؛ فهو ملفج، وأسهب إذا ذهب عقله فهو مسهب، وأحصن فهو محصن». (٢) شأمهم: أصابهم بشؤم. (٣) ديوانه: ١٣١، المفضليات: ١٢٠ (طبعة المعارف).
(٤) الأوانس: جمع آنسة؛ وهى الفتاة الطيبة الحديث والنفس.

عزَمْتُ فعجَّلْتُ الرَّحيلَ ولم أكُنْ … كَذى لُوثةٍ لا يُطْلِعُ الهمَّ مَطْلَعا
فأمَّتْ رِكابى أرْضَ مَعْنٍ ولم تزَلْ … إلى أرْضِ مَعْنٍ حَيْثُما كانَ نُزَّعا(١)
نَجائبُ لولاَ أنها سخِّرتْ لَنا … أَبَتْ عِزَّةً من جَهْلِها أن تُوَزَّعا
كَسوْنا رِحالَ المَيْسِ منها غوارِباً … تدَاركَ فيها النَّىُّ صيفاً ومَرْبَعا(٢)
فما بلغتْ صنعاءَ حتى تواضعتْ … ذُرَاها وزالَ الجَهْلُ عنها وأقلَعا(٣)
وما الغَيْثُ إذْ عمَّ البلادَ بصَوْبِه … على الناسِ من معْرُوفِ مَعْنٍ بأوْسَعا

يقول فيها:

تدَاركَ معْنٌ قبَّةَ الدِّينَ بعْدَما … خَشِينا على أوتادِها أن تُنزَّعا
آقامَ على الثَّغْرِ المَخُوفِ، وهاشِمٌ … تَساقَى سِماما بالأسِنَّةِ مُنْقَعا
مُقامَ امْرِئٍ يأبَى سِوَى الخُطَّةِ التى … تَكُونُ لدَى غِبِّ الأحاديثِ أرْفعا
وما أحْجَمَ الأعداءُ عنك بَقيَّةً … علَيْكَ؛ ولكِن لم يرَوْا فِيكَ مطْمَعا
رَأوا مُخْدِرًا قد جرَّبوه وعايَنُوا … لَدَى غِيلِهِ مِنْهُمْ مَجَرًّا ومَصْرَعا(٤)
/ وليسَ بِثانِيهِ إذا شَدَّ أن يرَى … لدَى نَحْرِه زُرقَ الأسِنَّةِ شُرَّعا [١٩٦ و]
لهُ راحتانِ: الحَتْفُ والغَيْثُ فِيهما … أبَى اللهُ إلاَّ أنْ تَضُرَّا وتَنْفعا
لقَدْ دوَّخَ الأعْداءَ مَعْنٌ فأصْبَحُوا … وأمْنَعُهم لا يدْفَعُ الذُّلَّ مَدْفعا
نَجيبُ مناجيبٍ وَسيِّدُ سادَةٍ … ذُرَا المَجْدِ من فَرْعىْ نِزارٍ تفرَّعا
لَبانَتْ خِصالُ الخيرِ فيهِ وأُكْمِلَتْ … وما كَمُلَتْ خَمْسٌ سِنوهُ وأربعا(٥)

(١) نزعا، أى مشتاقين. (٢) الميس: خشبة الرحل، والغوارب: أعلى السنام. والنىّ: الشحم.
(٣) ذراها: جمع ذروة؛ وهى الأعالى؛ ويعنى هنا الأسنمة.
(٤) المخدر: الأسد فى خدره وهو غيله؛ ويعنى بالخدر الأجمة. (٥) فى حاشيتى الأصل، ف:
ومثله لآخر:

لَئِنْ فرِحَتْ بى مَعْقِلٌ عِنْدَ شِيبتى … لَقَدْ فرِحَتْ بى بين أيدى القوابلِ

لقد أصبحتْ فى كلِّ شرْقٍ ومغرِبٍ   بِسَيْفِكَ أعناقُ المُريبِينَ خُضَّعا
وطِئْتَ خُدُودَ الحَضْرَمِيِّينَ وطأةً   لها هُدَّ رُكْنا عِزِّهِم(١) فتَضَعْضَعا
فأقْعَوْا على الأذْنابِ إقْعاءَ مَعْشَرٍ   يَرَوْنَ لُزُومَ السِّلْمِ أبقَى وأودَعا
فلَوْ مُدَّتِ الأيْدِى إلى الحَرْبِ كلها   لَكَفُّوا وما مدُّوا إلى الحَرْبِ إصْبَعا

أما قوله:

فما بلغتْ صنعاءَ حتّى تواضعتْ   ذُراها ، فزالَ الجهلُ عنها فأقْلَعا

فقد ردّده فى موضع آخر فقال :

فما بلَغَتْ حتَّى حَماها كَلالُها   إذَا عُرِّيَتْ أصْلابُها أن تُقَيَّدا

وهذا المعنى(٢ كثير فى الشعر القديم والمحدَث٢)، فمنه قول جرير :

إذَا بلغوا المنازِلَ لم تُقَيَّدْ   وفى طولِ الكَلالِ لها قُيُودُ(٣)

وروِى أنه قيل لنُصَيْب : لك بيت نازعك فيه جرير ؛ أيُّكما فيه أشعر ؟ فقال : ما هو؟ فقيل قولك:

أضرَّ بها التَّهْجيرُ حتَّى كأنَّها   بقايا سُلالٍ لم يدَعْها سُلالُها(٤)

وأنشَد بيتَ جرير الذى تقدّم ، فقال : قاتل الله ابن الخطفى ! فقيل له : قد فضلته عليك ، فقال : هو ذاك .

وأخذ هذا المعنى المؤمل بن أُمَيْل المحاربىّ فقال :

كانتْ تُقَيَّدُ حِين تنْزِلُ منْزِلاً   فاليَوْمَ صار لها الكَلاَلُ قُيُودا

ولأبى نخيلة :

/قَيَّدَها الجَهْدُ ولم تُقَيَّدِ   فَهْىَ سَوامٍ كالقَنَا المُسنَّدِ [١٩٦ ظ]

---

(١) حاشية ف (من نسخة) : « عزمهم » . (٢–٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « كثير فى شعر القدماء والمحدثين » . (٣) ديوانه : ١٤٨ . (٤) السلال : السل .

وما لَها مُعلَّلٌ[١] من مِزْوَدِ مِنها[٢] ولا من شاحِطٍ مُسْتَبْعَدِ

ومعنى قوله : « سَوَامٍ » أى هى رافعة رءوسها ، وشبهها بالقنا ، لأن القنا إذا ركز مال قليلا مع الريح[٣]، فيقول : فى أعناقها ميل من الضعف ، كما قال الشماخ :

فأَضْحتْ تَفالَى بالسِّتارِ كأَنَّها رِماحٌ نَحاها وِجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزُ[٤]

وكما قال حميد بن ثور الهلالىّ :

بمَثْوَى حرامٍ والمَطىُّ كأنهُ قَنًا مُسنَدٌ هَبّتْ لهنَّ خَرِيقُ[٥]

(١) ش « معلل »، بكسر اللام المشددة . وهو على هذا كناية عن العلف الذى تجتره من جوفها .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « منها، متعلق بالمزود ؛ أى من مزود منها، أى من نفسها ، يعنى كرشها ».

(٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « من الرع » .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « وهذا البيت آخر زائيته ؛ وقبله :

فأصبح فوق الحِقْفِ حِقْفِ تَبَالَةٍ له مركدٌ فى مستوى الحبل بارزُ

فأضحت تفالى بالستار كأنها . . .

يصف حميرا وصائدا ، والحقف : ما اعوج من الرمل ، والمركد : المقام والحبل : المتد من الرمل . وقوله : « تفالى » أى تدخل رءوسها بعضها فى بعض . والستار : موضع ؛ وشبهها فى دقتها وطولها بالرماح ونحاها: جعلها فى ناحية الريح؛ شبهها منحرفة إلى ناحية الريح تستنشى ؛ فإن حملت الريح ريح الصائد إليها تركت ذلك المورد وأتت غيره ؛ وإلا تقدمت بالرماح » والقصيدة فى ديوانه : ٤٣-٥٣ ؛ ورواية البيتين فيه:

وأَصْبَحَ فوق النَّشْزِ نشزِ حمامةٍ له مَرْكَضٌ فى مستوى الأرض بارزُ

وظلَّتْ تَفالَى باليفاعِ كأنها رماحٌ نحاها وجهةَ الريحِ راكِزُ

(٥) ديوانه : ٣٤، من قصيدة طويلة ؛ أولها :

نأَتْ أمُّ عمْرٍو فالفؤادُ مَشُوقُ يَحِنُّ إليها والهًا وَيتُوقُ

وهو أيضا فى الكامل بشرح المرصفى ٦ : ١٩٣ ، واللسان (خرق)، وفى حاشيتى الأصل ، ف : نسخة س : « مثوى حرام : منى» ، وقبل هذا البيت:

فأعرضتُ عنها فى الزيارة أتقى وذو اللُّبّ بالتقوى هناك حقيقُ

وهذا البيت لم يرد فى ديوانه ؛ والذى ورد قبل البيت المذكور :

ألاَ طرقتْ صحبى عميرة إنَّها لنَا بالمروراة المُطِلِّ طَرُوقُ

والمروراة هنا : الأرض أو المفازة لا شىء فيها .

فالحريق ريحٌ شديدة تنخرقُ من كل جهة .

ومعنى قول أبى نخيلة : « من مِزْوَد » أى من ثميلة[1] تجترّها، من الاجترار، وأراد أنه لاشىء فى أجوافها تتعلّل[2] به . والمستبعَد : ما بَعُد من المرعى .

وأنشد أبو العباس ثعلب :

إذا بلَغُوا المنَازِلَ لم تُقَيَّدْ ركائِبُهُم ولم تُشْدَدْ بِعقْلِ
فَهُنَّ مُتَيَّدَاتٌ مُطْلَقاتٌ تَقَضّمُ ما تَشَذَّر فى المَحلِّ[3]

والأصل فى هذا قول امرئ القيس :

مَطَوْتُ بهم حتّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ وَحتّى الجِيادُ ما يُقَدْنَ بأرْسانِ[4]

ولعباد بن أنف الكلب الصيداوىّ :

فتُمسِى لا أُقيِّدُها بحَبْلٍ بها طُولُ الضَّرَاوَةِ والكلالِ

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الإبل :

بَدَأْنا بهـا من سِيف رملٍ كُهَيْلَةٍ وفِيها نَشَاطٌ من مِرَاحٍ وعَجْرَفُ[5]

---

(١) الثميلة : بقية العلف .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « فتتعلل به » . (٣) تشذر : تفرق ؛ وفى د ، ف: « تشذب » ، وهى بمعنى تفرق أيضا . (٤) ديوانه : ١٢٩ . مطوت بهم ؛ أى مددت بهم فى السير، ما يقدن بأرسان ؛ أى أعيت فلا تحتاج إلى أرسان . وفى حاشيتى الأصل ، ف : « قبله :

وَمَجْرٍ كغُلّانِ الأنيعمِ بالغٍ ديارَ العدوِّ ذى زُهاءٍ وأركانِ

المجر: الجيش الكبير الثقيل . والغلان : الأودية ؛ واحدها غال ، وهو الوادى الكثير الشجر . وذوزهاء ؛ أى لا يحصون لكثرتهم . (٥) ديوانه٢ : ٥٥١–٥٥٨ ؛ من نقائضه المشهورة ، وأولها:

عزفتَ بأعشاشٍ وما كدتَ تعزفُ وأنكرت من حدراء ما كنت تعرفُ

وأصل السيف شاطئ البحر ، وكهيلة : موضع . والعجرف : سير فيه نشاط . وفى حاشيتى الأصل ، ف : « قبل هذا البيت : =

فما بَلغتْ حتَّى تَقَارَبَ خَطْوُها ... وبادَتْ ذُرَاها والمَنَاسِمُ رُعَّفُ(١)
وحتَّى قَتلْنَا الجَهْـلَ عنها وغُودِرَتْ ... إذا ما أنيختْ والمَدَامِعُ ذُرَّفُ(٢)
/وحتَّى مشَى الحَادِى البَطِىءُ يسُوقُها ... لها بخَصٌ دامٍ ودَأىٌ مُجلِّفُ [١٩٧ و]

ـ البخَص : لحم الخفّ الذى تطأ عليه . والدَّأى : فَقار الظهر . والمجلّف : المقْشور ـ

وحتَّى بعَثْناها وما فِى يَدٍ لَها ... إذا حُلَّ عنها رُمَّةٌ وهى رُسَّفُ

ـ الرُّمة : الحبل ؛ وأراد أنها ترسُف كما يرسُف المقيد ، وإن لم يكن فى يدها قيد ـ

إذا ما نزَلْنا قاتلتْ عن ظُهورِها ... حراجيجُ أمْثالُ الأهلَّة شُسَّفُ

ـ الحراجيج : الطِّوال من الإبل ، والشُّسَّف : اليابسة من الجهد والـكلال . ومعنى قتالها للغربان أنهـا إذا عرِّيت ظهورها تقع الغربان عليها لتأكل دَبَرها ؛ فالإبل تُدَافع الغِربان بأفواهها عن ظهورها وذلك قتالها ـ

= إليك أميرَ المؤمنين رَمَتْ بنَا ... هموم المنى والهوْجَلُ المتعسِّفُ
وعَضُّ زمانٍ يابن مروان لم يَدَعْ ... من المال إلا مُسْحِتا أو مجرّفُ
ومائرةِ الأعضاد صُهْبٍ كأنما ... عليها من الأيْنِ الجِسَادُ المدوّف
بدأنا بها من سيفِ رملِ كُهَيْلَةٍ ... . . .

ـالهوجل : البطن الواسع فى الأرض . المتعسف : الطريق المسلوك من غير علم . ويروى : « إلا مسحت » ، بالرفع ؛ ومعنى : لم يدع » ، من الدعة ؛ أى « لم يتدع » مع هذا الزمان إلا مسحت مستأصل . قال سويد:

أرّق العينَ خَيالٌ لم يَدَعْ ... من سُلَيْمى ففؤادِى منتزعْ

والمجرف : الذى أخذ ما دون الجميع ؛ وقال ثعلب : « مسحتا » نصب بوقوع الفعل عليه ، وقد وليه الفعل ، ولم يلِ الفعل « مجرف » فاستؤنف به فرفع ، قال : التقدير : « هو مجرف » . ومائرة الأعضاد : التى تمور بيديها دون رجليها ، وذلك مما يستحب فى الإبل . والجساد : العرق ؛ وهو ما اصفر ، يضرب إلى الحمرة .

(١) باءت : هلـكت أسنمتها والمناسم : أظفار الإبل . ورعف : دامية من الحفاء .

(٢) نسخة الشجرى : « قتلنا جهلها ؛ وهو مرحها ونشاطها بالـكلال » . ويروى : « وغورت ، من التغوير ، وهو نزول الغائرة ؛ والغائرة نصف النهار » .

إذا ما أرَيناها الأزِمَّةَ أقبلَتْ إلينا بحرّاتِ الخُدُودِ تَصدَّفُ
فأفنَى مِراحَ الدّاعريةِ[١] خَوضُهَا بنا اللَّيلَ إذ نامَ الدَّثُورُ المُلَفَّفُ[٢]

ومن أحسن ما قيل فى وصف الإبل بالنحول من الكلال والجهد بعد السِّمن قول الشاعر:

وذاتِ ماءَيْنِ قد غَيَّضْتُ جُمّتَها بحيثُ تُستَمسَكُ الأرواحُ بالحَجَرِ
رَدَّتْ عواريَ غَيطانِ الفَلا ونَجَت بمثْلِ إيبالةٍ من حائلِ العُشَرِ[٣]

قوله: «ذات مائين» يعنى سِمَناً على سِمَن؛ وقيل: بل عنَى أنها رعتْ كلأً عامين. وقوله «قد غَيَّضْتُ جُمّتَها» يعنى أنه أتعبها بالسير حتى ردّها هزيلًا بعد سِمَن؛ فكأنه غيّض بذلك ماءها.

ومعنى:

* بحيثُ تستمسك الأرواحُ بالحجر *

يعنى الفلاة؛ حيث لا يكون فيها الماء، فيقتسم الركب الماء الذى يكون معهم بالحجر الذى يقال له المَقلة[٣] فتمسك أرماقهم.

وقوله:

* ردت عوارىَ غِيطانِ الفلا ونَجَتْ *

أى مارعتْ من كلأ هذه الأماكن وسمنت عنه كان كعاريةٍ عندها، فردّته حيث جَهَدها السير وأهزلها[٤]. والإيبالة: الحُزْمة من الحطب اليابس.

---

(١) الداعرية: إبل منسوبة إلى فحل يقال له: داعر، معروفة بالنجابة والكرم. وخوضها: سيرها بالليل. والدثور: الرجل المثقل البدن، الذى لا يبرح مكانه. الملفف، أى فى ثيابه.

(٢) العشر: شجر له صمغ، وفى حاشيتى الأصل، ف: «يعنى بحائل العشر ما يبس من هذا الشجر، وأصل الحائل فى الإبل إذا لم تحمل».

(٣) المقلة، بالفتح: حصاة القسم؛ توضع فى الإناء ليعرف قدر ما يسقى كل واحد منهم؛ وذلك عند قلة الماء فى المفاوز.

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «هزلها».

وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال :

رَعَتْهُ الفيَافِى بعْدَ ما كانَ حِقْبَةً   رَعاها، وماءُ المُزْنِ يَنْهَلُّ ساكِبُه(١)

فكَم جِزْعِ وادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غارِبٍ   وَمِن قبلُ كانَتْ أتمَكَتْهُ مذانِبُه(٢)

[١٩٧ ظ] فأما قوله :

فما أحجم الأعداء عنك بَقِيَّةً   علَيْكَ، ولكِن لم يَرَوْا فيك مَطْمَعَا

فمأخوذ من قول الأول(٣) :

فمَا بُقْيا علىَّ تَرَكْتُمانِي   ولكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النِّبالِ(٤)

وقريب منه قول الآخر :

لَعَمْرُكَ ما النَّاسُ أَثْنَوْا عليْكَ   ولاَ قَرَّظُوكَ ولا عَظَّمُوا

ولوْ أنَّهُم وَجدُوا مَطْعَنًا   إلى أنْ يَعِيبوكَ ما أحْجَمُوا

فأنْتَ بفَضْلِكَ أَلْجأتَهُمْ   إلى أنْ يُجِلُّوا وَأَنْ يُعْظِمُوا

---

(١) ديوانه : ٤٤ من قصيدته التى يمدح فيها عبد الله بن طاهر ؛ وأولها :

أَهُنَّ عوادِى يوسفٍ وصواحبُهْ   فعزماً فقدما أدركَ السُّؤْلَ طالبُه

وفى الديوان : « وماء الروض ينهل ساكبه » . وبعده :

فأضحى الفلا قد جدَّ فى برى نحضه   وكان زماناً قبل ذلك يلاعبُهْ

النحض : اللحم المكتنز .

(٢) جب : قطع . أتمكته : أسمنته المذانب : مجارى الماء . ورواية الديوان :

* وبالأمس كانتْ أتمَكَتْه مذانبُهْ *

(٣) هو اللعين المنقرى ؛ وكان قد تعرض لجرير والفرزدق فقال :

سأقضى بين كلب بنى كليبٍ   وبيْن القيْن قيْنِ بنى عقالِ

بأن الكلبَ مرتعه وخيمٌ   وأن القيْنَ يعمل فى سفال

فلم يجبه أحد منهما ؛ فقال :

فمَا بقيا علَىَّ تركْتُمانى ،   ولكِنْ خفتما صَرَد النبال

(٤) البقيا : الرحمة والشفقة . وصرد السهم : نفذ أو نكل ؛ وهو من الأضداد ؛ والمعنى على الأول: أنكما خفتما أن تنفذ سهامى فيكما، أى هجائى، وعلى الثانى : أنكما خفتما ألا تنفذ سهامكما ، فعجزتما عن الرد علىَّ .

ومثله وقريب منه :

أما لوْ رأى فِيكَ العَدُوُّ نقِيصةً ... لَحَبَّ بتَصْرِيفِ العُيُوبِ وأوضَعا
وَلكِنَّهُ لما رَآكَ مبرَّأً ... مِنَ العَيْبِ غَطَّى رَأسَه وتقبَّعَا

ومثله :

قدْ طَلَبَ العاذِلُ عَيْباً فمَا ... أصابَ عَيْباً فانثَنَى عاذِرَا

وللبحتريّ فى معنى قول مَرْوان :

* فما أحجم الأعداءُ عنك بقيَّةً *

من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الأسد :

غداةَ لقِيتَ اللّيْثَ واللّيْثُ خادِرٌ ... يُحدِّدُ ناباً لِلِّقَاءِ ومِخْلَبَا[1]
شَهِدْتُ ، لقَدْ أنصَفْتَهُ يومَ تَنْبَرِى ... لَهُ مُصْلِتاً عَضْباً من البِيضِ مِقْضَبا[2]
فلَمْ أرَ ضِرْغامينِ أصْدَقَ مِنْكُما ... عِراكاً إذا الهَيَّابَةُ النِّكْسُ كذَّبا[3]
هِزَبْرٌ مَشَى يَبْغِى هِزَبْرًا ، وأغلَبٌ ... مِنَ القَوْمِ يغْشَى باسِلَ الوَجْهِ أغْلَبَا[4]
أدلَّ بِشَغْبٍ ثمَّ هالَتْهُ صَوْلَةٌ ... رآكَ لهـا أمْضَى جَناناً وأشْغَبَا
فأحْجَمَ لمَّا لم يَجِدْ فيكَ مَطْمَعاً ... وأقْدَمَ لمَّا لم يَجِدْ عنْكَ مَهْرَبَا
فلم يُغْنِهِ أن كَرَّ نَحْوَكَ مُقْبِلاً ، ... ولمْ يُنْجِه أن حادَ عنْكَ مُنَكِّبَا
حَمَلْتَ عليْهِ السَّيْفَ لا عَزْمُكَ انثَنَى ، ... ولا يَدُكَ ارتدَّتْ ، ولا حدُّه نَبَا
[١٩٨ و] /وكُنْتَ متى تَجْمَعْ يَمِينَيْكَ[5] تَهْتِكِ الـ ... ـضَّرِيبَةَ ، أو لا تُبْقِ لِلسَّيْفِ مَضْرِبَا

ومن صافى كلام مَرْوان ورائقه ، ومما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطِّراد النسج قوله :

---

(١) ديوانه ١ : ٥٦ . (٢) يقال : أصلت السيف إذا جردته . والعضب : السيف القاطع . والقضيب : القطع أيضا. (٣) أى كذب الظن فيه ؛ ومن نسخة بحاشية الأصل : « نكبا ». (٤) الأغلب : الأسد إذا كان غليظ الرقبة . (٦) جمل كلتايديه يمينا .

بنُو مَطَرٍ يومَ اللِّقاءِ كأنّهُمْ ... أُسُودٌ لها فى غِيلِ خَفّانَ أشبُلُ(١)
هُمُ يمْنَعُونَ الجارَ حتى كأنّما ... لِجارِهِمُ بين السِّماكَيْن مَنْزِلُ
لَهامِيمُ فى الإسلامِ سادُوا ولم يكُنْ ... كأوّلِهم فى الجاهِلِيّةِ أوّلُ
هُمُ القَوْمُ إنْ قالوا أصابوا، وإنْ دُعُوا ... أجابُوا ، وإنْ أعطوْا أطابُوا وأجْزَلوا
وَما يَسْتَطِيعُ الفاعِلُونَ فِعالَهمْ ... وإنْ أحْسنوا فى النّائِباتِ وأجْمَلُوا
ثَلاثٌ بأمْثالِ الجِبالِ حُباهُمُ ... وأحْلامُهُم مِنْهَا لدَى الوَزْنِ أثقَلُ

ومن جيد قوله من قصيدة يمدح بها معناً :

ما مِن عدُوٍّ يرَى مَعْناً بِساحَتِهِ ... إلاّ يظُنُّ المَنَايا تَسْبِقُ القَدَرَا
يُلفَى إذا الخَيلُ لم تُقْدِمْ فَوارِسُهاَ ... كاللّيثِ يزْدادُ إقداما إذا زُجِرَا
أغَرَّ يُحْسَبُ يومَ الرّوعِ ذا لِبَدٍ ... وَرْداً ويُحسبُ فَوقَ المِنبَرِ القَمَرَا(٢)

وله من قصيدة يصف يوماً حارًّا :

ويومٍ عَسُولِ الآلِ حامٍ كأنّما ... لَظَى شَمْسِهِ مَشْبُوبُ نارٍ تَلَهّبُ(٣)
نَصَبْنا لهَ منّا الوُجوهَ وَكِنُّها ... عَصائِبُ أسْمالٍ بها نتعصّبُ

ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشَّنْفَرى :

وَيومٍ من الشِّعرَى يَذُوبُ لُعابُه ... أفاعيهِ فى رَمْضائِهِ تَتَمَلْمَلُ(٤)
نَصَبْتُ لهُ وجْهِى ولـكِنّ دُونَهُ ... ولا سِتْرَ إلا الأتْحَمِىُّ المرَعْبَلُ(٥)

---

(١) حماسة ابن الشجرى : ١٠٩ — ١١٠ ، وأبيات منها فى لباب الآداب ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٢) لبد : جمع لبدة ؛ وهو مااجتمع من الشعر على قفا الأسد فتلبد .

(٣) عسول : جار ؛ وأصله فى الذئب والثعلب . وحام : حار. (٤) لامية العرب — بشرح الزمخشرى : ١٢٨ — ١٢٩ . الشعرى : من الـكواكب القيظية . (٥) الأتحمى : نوع من البرود . والمرعبل : المقطع .

ولمروان من أبيات يصف فيها حـــديقة وهبها له المهدىّ ، ويذكر نخلها وشجرها أجاد فيها :

نواضِرَ غُلْباً قد تدانَتْ رءوسُها ... من النَّبتِ حتَّى ما يَطِيرُ غُرابُها[١]

ترَى الباسِقاتِ العُمَّ فيها كأنها ... ظَعائِنُ مَضرُوبٌ عَليهَا قِبابُهَا

[١٩٨ ظ] /ترَى بابَها سَهْلاً لِكلِّ مُدفَّعٍ ... إذا أينَعتْ نَخْلٌ فأُغْلِقَ بابُهَا[٢]

يكُونُ لنا مانجتَنِى من ثمارِها ... رَبِيعاً إذَا الآفاقُ قَلَّ سَحابُهَا

حَظائِرُ لم يُخلَطْ بأثمانِها الرِّبا ... ولم يَكُ من أخْذِ الدِّياتِ اكْتسابُهَا

وَلـكنْ عطاءُ اللهِ من كلِّ مِدْحَةٍ ... جَزِيلٍ منَ المُسْتَخْلِفِينَ ثوابُهَا

وَمنْ رَكْضِنَا بالخيلِ فى كلِّ غارةٍ ... حَلالٌ بأرضِ المُشْرِكِينَ نِهابُهَا[٣]

حوَتْ غُنْمَهَا آباؤنَا وجُدُودُنا ... بِصُمِّ العَوالِى والدِّماء خِضابُهَا

أمّا قوله :

حَظائِرُ لم يُخلَطْ بأثمانِها الرِّبا ... ولم يَكُ منْ أخْذِ الدِّياتِ اكْتِسابُهَا

فكأن ابن المعتز نظر إليه فى قوله :

لَنَا إبلٌ ما وَفَّرَتْها دماؤنا ... ولا ذَعَرَتْها فى الصباحِ الصَّوابِحُ[٤]

وفى ضد هذا قول أبى تمام :

---

(١) ف : « نواضرعليا » .

(٢) يريد أنه إذا أغلق الآخرون الأبواب على نخيلهم ؛ فإن نخل هذه الروضة لايغلق بابه .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « للخيل » .

(٤) ديوانه : ٢٢ ؛ والرواية فيه :

* لنَا وَفْرَةٌ ماوَفَّرَتْها دِماؤُنَا *

وفى نسخة ش : « الصوائح » ؛ والمعنى أنه لم نأخذ عوضاً عن دمائنا .

كَثُرَتْ فِيهِمُ المَسَارِحُ إلاَّ   أنَّها من مَنَاكِحٍ وَدِيَاتِ(١)

ومثل الأول قول حسان يهجو قوماً من قريش :

ومالُكُمُ لا من طِرادِ فَوارِسٍ   ولكِنْ من التَّرْقِيحِ يا آلَ مالِكِ(٢)

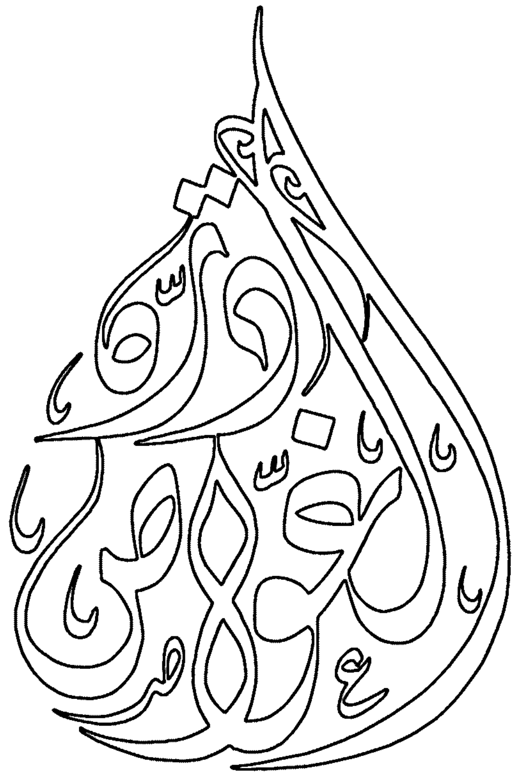

---

(١) ف ، حاشية الأصل من نسخة : « المواشى » ؛ وفى حاشيتيهما أيضا : إذا سكنت الياء من « المواشى » ؛ كان البيت مشعث العروض ؛ والتشعيث فى العروض غير مألوف وإنما هو فى الضرب الأول من الخفيف . والتشعيث : أن تقطع وتد فاعلاتن فتحذف ألفه وتسكن لامه فتصير : « فاعاتن » ، فتصير : « مفولن » .

(٢) الترقيح : إصلاح المال .

مجلس آخر [٤٥]

تأويل آية

إن سأل سائل عن معنى قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨].

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ﴾ ؛ [الإنسان : ٩] .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ ؛ [الرحمن : ٢٧] .

وما شاكل ذلك من آى القرآن المتضمنة لذكر الوجه .

الجواب ، قلنا : الوجه فى اللغة العربية ينقسم إلى أقسام :

فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل حيوان .

والوجه أيضا أولُ الشيء وصدره ؛ ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ ﴾ [آل عمران: ٧٢] أى أوّل النهار ؛ ومنه قول الربيع بن زياد :

[١٩٩ و] / مَنْ كان مسرُوراً بِمقْتلِ مالكٍ فلْيأْتِ نِسْوَتنا بوَجْهِ نَهارِ (١)

أى غداةَ كلِّ يوم . وقال قوم : وجه نهار : موضع .

والوجه القصد بالفعل؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾؛ [لقمان : ٢٢] ؛ معناه : من قصد بأمره وفعله إلى الله سبحانه ، وأراده بهما . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ ﴾ ، [النساء : ١٢٥] ؛ وقال الفرزدق :

---

(١) الحماسة — بشرح المرزوقى ٩٩٥ ؛ وفى نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « فليأت ساحتنا » ؛ وهى رواية الحماسة ؛ وهو مالك بن زهير العبسى قتل فى بنى فزارة ؛ فرثاه الربيع بأبيات من هذا البيت .

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِى حِينَ شُدَّتْ رَكَائِبِى   إلى آلِ مَرْوَانٍ بُنَاةِ المَكَارِمِ

أى جعلت قصدى وإرادتى لهم ، وأنشد الفراء :

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ   رَبَّ العِبادِ إليهِ الوَجهُ والعَمَلُ

أى القصد ؛ ومنه قولهم فى الصلاة : وجَّهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ؛ أى قصدت قصدى بصلاتى وعملى ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ ﴾ [الروم : ٤٣] .

والوجهُ الاحتيال للأمرين ؛ من قولهم كيف الوجه لهذا الأمر ؟ وما الوجه فيه ؟ أى ما الحيلة ؟

والوجه المذهب والجهة والناحية ، قال حمزة بن بيض الحنفىّ :

أَىَّ الوُجُوهِ انتَجَعْتَ ؟ قُلتُ لهُمْ :   لأَىِّ وجْهٍ إلاَّ إلى الْحَكَمِ[1] !
مَتَى يَقُل صاحِبا سُرَادِقِهِ :   هذا ابنُ بَيْضٍ بالبابِ يَبْتَسِمِ

والوجه : القدر والمنزلة ؛ ومنه قولهم : لفلان وجه عريض ، وفلان أَوْجَهُ من فلان ، أى أعظم قدراً وجاهاً ، ويقال : أوجَهَه السلطان إذا جعل له جاهاً ؛ قال امرؤ القيس :

ونادَمْتُ قَيصَرَ فى مُلْكِهِ   فأوجهنِى وَرَكِبْتُ البَرِيدا[2]

والوجه الرئيس المنظور إليه ؛ يقال : فلان وَجْهُ القوم ، وهو وجه عشيرته ؛ ووجه الشىء نفسه وذاته ؛ قال أحمد بن جندل السَّعْدِىّ :

---

(١) الأغانى ١٥ : ١٤ .   (٢) اللسان (وجه) ؛ وهو من أبيات أربعة فى الأغانى ٨ : ١٩٦ (طبعة دار الكتب المصرية) ، وفى حاشية ف : « يقال : حمل فلان على البريد إذا هيىء له فى كل مرحلة مركوب ليركبه ؛ فإذا وصل إلى المرحلة الأخرى نزل عن المعيي وركب المرفه ؛ وهكذا إلى أن يصل إلى مقصده » .

وَنَحْنُ حَفزْنا الحَوْفَزَانَ بطَعْنةٍ ... فأفْلَتَ مِنها وجْهه عَتِدٌ نَهْدُ(١)

أراد أفلته ونجّاه ومنه قولهم : إنما أفعل ذلك لوجهك ، ويدل أيضا على أن الوجه يُعبّر [١٩٩ و] به/عن الذات قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ. تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾؛ [القيامة : ٢٢ – ٢٥] ، وقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ ؛ [الغاشية : ٨ ، ٩] ، لأن جميع ما أضيف إلى الوجوه فى ظاهر الآى ؛ من النظر ، والظن ، والرِّضا لا يصحُّ إضافته فى الحقيقة إليها وإنما يضاف إلى الجملة، فمعنى قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ ؛ أى كل شىء هالك إلا هو ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ﴾؛ لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل «ذى الجلال» كما قال : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ﴾ ؛ [الرحمن : ٧٨] : لما كان اسمه غيره .

ويمكن فى قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ وجه آخر ؛ وقد روى عن بعض المتقدمين ، وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به إلى الله تعالى ويوجَّه ؛ نحو القربة إليه/جلت عظمته ؛ فيقول : لا تُشرك بالله ، ولا تَدعُ إلهاً غيره ؛ فإن كل فعلٍ يُتقرب به إلى غيره ، ويُقصد به سواه فهو هالك باطل ؛ وكيف يسوغ للمشبِّهة أن يحملوا هذه الآية والتى قبلها على الظاهر ! أوَليس ذلك يوجب أنه تعالى يَفنَى ويبقى وجهه: وهذا كفر وجهل من قائله .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ﴾ ، [الإنسان : ٩] ، وقوله : ﴿ إِلاَّ

---

(١) حفزنا : طعنا . ويقال فرس عتد، بفتح التاء وكسرها :إذا كان شديدا تام الخلق سريع الوثبة ؛ ليس فيه اضطراب ولا رخاوة والنهد من نعت الخيل : الجسيم المشرف . والحوفزان هو الحارث بن شريك طعنه قيس بن عاصم يوم جدود ؛ والمشهور فى ذلك قول سوار بن حبان المنقرىّ :

وَنحْنُ حَفَزْنَا الحوفزانَ بطعنةٍ ... سقته نجيعاً من دم الجوف أشْكَلا

وحمرانَ قسْرًا أنزلته رماحُنَا ... فعالج غُلاًّ فى ذراعَيْهِ مُقْفَلا

وانظر شرح المفضليات ٤٧٠ .

ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ ؛ [الليل : ٢٠] ، وقوله : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ ﴾ ، [الروم : ٣٩] ؛ فمعلومٌ أن هـذه الأفعال مفعولة له ؛ ومقصود بها ثوابه ، والقربة إليه ، والزلفة عنده .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ ؛ [البقرة : ١١٥]، فيحتمل أن يُراد به : فثمّ الله ، لا على معنَى الحلول ، ولـكن على معنى التدبير والعلم ، ويحتمل أن يراد به: فثمّ رضا الله وثوابه والقربة إليه .

ويحتمل أن يُراد بالوجه الجهة ، وتكون الإضافة بمعنى الملك والخلق والإنشاء والإحداث ؛ لأنه عزّ وجل قال : ﴿ وَلِلهِ الْمَشْرِقُ والمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾؛ أى أن الجهاتِ كلَّها لله تعالى وتحت ملـكه ؛ وهذا واضح بيّن بحمد الله .

* * *

أخبرنى أبو الحسن علىّ بن محمد الـكاتب قال حدّثنى محمد بن يحيى الصولىّ قال : انحدرنا مع المـكتفى بالله فى آخر سَفْرَة سافرها للصيـد من الموضع المعروف بجُنَّة إلى تَـكْرِيت فى حَرّاقة[1] فـكانت تجنح كثيراً ، فيشتد فزع مَنْ معه من الجلساء / لذلك؛ وكنت أشدّهم [٢٠٠ و] فزعاً ، وكان فى الحَرّاقة سوى من الجلساء يحيى بن علىّ المنجم، ومتوِّج بن محمود بن مروان، والقاسم المعروف بابن حَبابة ، وكان يَضحك لفزعنا ويقول : لقد قسم الله لـكم حظّاً من الشجاعة جزيلا ، فقلت له: إن البحترىّ يقول شعرا يصف فيه مثلَ حالنا، ويمدح به أحمد بن دينار بن عبد الله ــ وقد غزا الروم فى مراكب ــ أوله :

ألمْ ترَ تَغْلِيسَ الرَّبِيعِ المبَـكِّرِ ... وما حاكَ من وَشْىِ الرِّياضِ المُنَشَّرِ[2]

(١) الحراقة : اسم لسفينة ؛ وأصل الحراقات : سفن كانت بالبصرة، فيها مرامى نيران يرمى بها العدو .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٢ ــ ٢٤ .

فقال له : أنشِدْنى الموضعَ الذى ذكر هذا فيه منها ــ وكان جيّد العلم بالأشعار ، حافظاً للأخبار ــ فأنشده :

غَدَوْتَ على المَيْمُونِ صُبْحًا ، وإنما ... غدا المَرْكَبُ الميمُونُ تحْتَ المُظَفَّرِ (١)
إذَا زَمجرَ النُّوتىُّ فوقَ عَلاَتهِ ... رَأَيْتَ خَطِيباً فى ذُؤَابَةِ مِنْبرِ (٢)
يَغُضُّون دُون الإشتيامِ عُيونَهُم ... وفَوْقَ السِّماطِ لِلعَظِيمِ المُؤَمَّرِ (٣)
إذَا ماعلَتْ فيهِ الجَنُوبُ اعْتَلى لهُ ... جنَاحَا عُقَابٍ فى السماءِ مُهجِّرِ (٤)
إذَا ما انْكَفَا فى هَبْوَةِ النَّارِ خِلْتَهُ ... تَلَفَّعَ فى أثناءِ بُرْدٍ مُحَبَّرِ (٥)
وحَوْلَكَ رَكَّابُونَ لِلْهَوْلِ عاقَروا ... كُؤُوسَ الرَّدَى؛ من دارِعِينَ وَحُسَّرِ (٦)
تَمِيلُ المنَايا حيْث مالَتْ أَكُفُّهُمْ ... إذَا أصلتُوا حدَّ الحَدِيدِ المُذَكَّرِ
إذا أرْشَقُوا بالنَّارِ لم يكُ رِشْقُهُم ... لِيُقْلِعَ إلاَّ عنْ شِوَاءٍ مُقَتَّرِ (٧)

---

(١) قبله :

ولمَّا تولَى البحرُ والجودُ صِنْوُهُ ... غدا البَحْرُ من أعلاقِهِ بَيْنَ أبْحُرِ
أضاف إلى التَّدْبير فَضْلَ شجاعَةٍ ... ولا عزم إلا للشجاع المدبِّرِ
إذا شَجَروهُ بالرماحِ تكسّرَتْ ... عواملُها فى صدر ليثٍ غَضَنفَرِ

والميمون ، يريدبه السفينة ؛ وفى حاشية الأصل : « هو اسم حراقة » .

(٢) حاشية الأصل : « العلاة : الموضع الذى يركب فيه الملاح من السفينة » .

(٣) حاشية الأصل: « يقال وقفوا دونه سماطا ؛ أى اصطفوا؛ وفى شعره : « وقوف السماط » ؛ قال س : « وهو الصواب ؛ وكذا قرأت على مشايخى . والإشتيام : رئيس المركب ؛ كلمة نبطية » .

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « إذا عصفت فيه » ؛ وهى رواية الديوان ومهجر ؛ أى يحلق فى الهاجرة .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « انكفا الميمون ؛ أى تمايل ؛ وأراد بهبوة النار ما كانوا يرمون به من النار إلى العدو من الحراقة التى اسمها ميمون ، وشبه مواد الحراقة وحمرة النار وبياض الماء بلون البرد . وانكفا ، أصله الهمز تخفف ؛ يقال : انكفأت المرأة وتكفأت ؛ إذا تمايلت فى سيرها » وفى م : والديوان : « هبوة الماء » تصحيف .

(٦) المعاقرة : الملازمة .

(٧) الرشق : الرمى من جهة واحدة . والشواء المقتر: الذى يصعد منه القتار؛ والقتار عند العرب : ريح الشواء إذا ضهب على الجمر .

صدمْتَ بهم صُهْبَ العثَانِينِ دُونَهم ... ضِرَابٌ كإيقادِ اللّظَى المُتَسعِّرِ
يَسُوقُونَ أسْطُولاً كأنَّ سَفِينَهُ ... سحائِبُ صَيْفٍ، منْ جَهامٍ وَمُمْطِرِ (١)
كأنَّ ضَجيجَ البَحْرِ بيْنَ رِماحِهم ... إذا اختلفتْ ترْجيعُ عَوْدٍ مُجَرْجِرِ (٢)
تُقَارِبُ منْ زَحْفَيْهِم فكأنَّما ... تُؤلِّفُ من أعْناقِ وَحْشٍ مُنفَّرِ
فمَا رِمْتَ حتى أجْلَتِ الحَرْبُ عن طُلًى ... مُقَصَّصَةٍ فيهم، وَهامٍ مُطيَّرِ (٣)
على حينَ لا نَقْعٌ تُطَوِّحُهُ الصَّبا ... ولا أرْضَ تُلْقَى للصَّريعِ المُقَطَّرِ (٤)
وكُنتَ ابْنَ كِسْرَى قبْلَ ذاكَ وبعْدَهُ ... مَلِيًّا بأنْ تُوهِي صَفَاةَ ابْنِ قَيْصَرِ
/ جَدَحْتَ لهُ المَوْتَ الذُّعافَ فعَافَهُ ... وَطارَ على ألْوَاحِ شَطْبٍ مُسَمَّرِ (٥) [٢٠٠ ظ]
مضى وهو مَوْلَى الرِّيحِ يَشْكُرُ فَضْلَهَا ... عليْهِ، وَمنْ يُولَى الصَّنيعةَ يَشْكُرِ

قال: فاستجاد المكتفى قوله:

* على حينَ لا نَقْعٌ تطوِّحُه الصَّبا *

فقال له يحيى بن على: أنشدنى ابنُ الرومى شعرًا له فى هذا المعنى:

وَلَمْ أتعلَّمْ قطُّ منْ ذِي سِباحةٍ ... سِوَى الغَوْصِ، وَالمَضْعُوفُ غيرُ مُغالَبِ (٦)
وَلِمْ لا؟ وَلوْ ألْقيتُ فيهَا وَصَخْرَةً ... لوَافَيْتُ منها القَعْرَ أوَّلَ راسِبِ
وَأيْسَرُ إشْفَاقى منَ الماءِ أنَّنِي ... أمُرُّ بهِ فى الكُوزِ مرَّ المُجانبِ
وأخْشَى الرَّدَى منْهُ على كلِّ شَارِبٍ ... فكَيْفَ بأمْنِيهِ على كلِّ راكِبِ!

(١) الأسطول: جماعات السفن. وفى حاشيتى الأصل، ف: «قال ش: ذكر لى أستاذى عند قراءة شعر البحترى عليه بأصبهان أن الأسطول لغة مصرية؛ وهى عندهم عبارة عن جماعة العسكر الذين يتوجهون إلى البحر بحوائجهم؛ فهم بمجموع مراكبهم وحراقاتهم وشباراتهم وتجارهم أسطول؛ ويشتكى أهل مصر فيقولون: ماجاءنا العام أسطول». وفى حاشية الأصل أيضا: «الشبارات: نوع من المراكب البحرية».

(٢) العود: المسن من الإبل.

(٣) الطلى: جمع طلية؛ وهى صفحة العنق؛ ومقصصة: مقطعة. ورواية الديوان: «طلى مقطعة».

(٤) يقال: طعنه فقطره؛ أى ألقاه على قطره، أى جانبه، فتقطر.

(٥) جدحت: خلطت؛ والشطب فى الأصل: الفرس الطويل؛ وجعل المركب شطبا على التشبيه لمركبه ونجا.

(٦) ديوانه الورقة ٢٣؛ مع اختلاف فى ترتيب الأبيات.

فقلت له : إنما أخذ ابنُ الرومىّ بيتَه الثالث من قول أبى نُواس ؛ فقال المكتفى بالله : فما قال ؟ قلت : حدثنى علىّ بن سراج المصرىّ قال حدثنى أبو وائل اللخمىّ قال حدثنى إبراهيم بن الخصيب قال : وقف أبو نواس بمصر على النيل ؛ فرأى رجلا قد أخذه التمساح فقال :

أضمرْتُ للنِّيلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِيَةً مُذْ قيلَ لى : إنَّما التِّمسَاحُ فى النِّيلِ
فَمَنْ رأَى النِّيلَ رَأْىَ العَيْنِ منْ كَثَبٍ فَمَا أرَى النِّيلَ إلاَّ فى البوَاقِيلِ

قال الصولىّ : والبواقيل سُفُن صغار .

ثم أجرى المكتفى بعد ذلك ذِكْرَ الشيب ، فقال : العربُ تقول أظلم من شَيْب ، وقد شِبْت ، وظلمنى المشيب ؛ وشبتَ ياصولىّ ، فقلت : جواب عبدك فى هذا جوابُ معن بن زائدة الشيبانىّ لجدِّك المنصور وقد قال له : كَبِرْتَ يامعن ، فقال : فى طاعتك ياأمير المؤمنين ، قال : وإنَّكَ لَتَتَجَلَّد ، قال : على أعدائك ، قال : وفيك بحمد الله بقيّة ، قال : لخِدْمتك . فنزع المكتفى عِمامته ، فإذا شَيْبتان فى مقدَّم رأسه ، فقال : لقد غمّنى طلوعُ هاتين الشيبتين ، فقلت له : إنما يعيش الناس فى الشيب ؛ فأما السواد فلا يصحب الناس خالصاً أكثر من أربعين سنة إلى الخمسين /، وقد يعاش فى البياض الذى لاسوادفيه ثمانون سنة . وأنشده يحيى [٢٠١ و] ابن علىّ فى معنى طول العمر مع المشيب قولَ امرئ القيس :

ألا إنَّ بعدَ العُدْمِ للمرْءِ قِنْوَةً وَبعدَ المَشيبِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسَا[1]

وأنشدته أنا أيضاً أبياتاً أنشدها إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ لبعض القيسيين :

لم يَنْتَقِصْ مِنى المَشِيبُ قُلاَمَةً الآنَ حِين بدَا أَلَبُّ وَأَكْيَسُ
وَالشَّيْبُ إنْ يَظْهَرْ فإنَّ وَرَاءَهُ عُمْرًا يكونُ خلالَهُ مُتَنَفَّسُ

قال سيدنا أدام الله تمكينه : أما قول البحترىّ : « مضى وهو مَوْلَى الريح » فقد كرر معناه فى قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغرىّ :

---

(١) ديوانه : ١٤٢ ؛ والقنوة : المال .

أَشْلَى على منْويلَ أطرَافَ القنا ... فنَجا عَتيقَ عَتيقَةٍ جَرْدَاءِ[1]
ولَو أنَّهُ أَبطَا لهُنَّ هُنَيْهَةً ... لَصدَرْنَ عنه ، وَهُنَّ غيرُ ظِماءِ
فَلَئِنْ تَبقَّاهُ القَضَاءُ لوَقْتِهِ ... فلقدْ عَممْتَ جُنُودَهُ بفَناءِ

وأظنه أخذ هذا المعنى من قـول أبى تمام فى قصيدةٍ يمدح بها المعتصم ، ويذكر فتح الخُرميَّة[2].

لوْلاَ الظَّلاَمُ وقُلَّةٌ عَلِقُوا بها ... باتَتْ رِقابُهُمُ بغَيْرِ قِلالِ[3]
فلْيَشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلاَمِ ودَرْوَزاً ... فهُمُ لِدَرْوَزَ والظلاَمِ مَوَالِي[4]

وقد أخطأ الصولىّ فى تفسير بيت أبى نواس بأن البواقيل سُفُن صغار ؛ لأن البواقيـل جمع بوقال؛ وهو آلة على هيئة الـكوز معروفة؛ تُعمل من الزجاج وغيره ؛ وهذا مثل قول ابن الرومىّ :

✲ أمُرُّ بهِ فِى الـكُوزِ مرَّ المُجانِبِ ✲

وإنما أراد أننى لا أمرّ بماء النيل إلا إذا أردت شربه فى كوز أو بوقال .

وأظن الصولىّ استمر عليه الوهم من جهة قوله : « فما أرى النيل » وصرف ذلك إلى أنه أراد النيلَ على الحقيقة؛ وإنما أراد ماء النيل؛ وماعلمت أن السفن الصغار يقال لها بواقيل إلا من قول الصولىّ ، هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من أنّ ذلك اسم لصغار السفن لـكان بيت أبى نواس بما ذكرناه أشبه / وألْيق وأدخلَ فىمعنى الشعر ؛ وكيف تدخل الشُّبْهة فى [٢٠١ ظ] ذلك مع قوله :

---

(١) ديوانه ١ : ٥؛ أشلى : أغرى. ومنويل : اسم قلعة والعتيقة هنا : الفرس.

(٢) الخُرمية: فرق تنسب إلىبابك الخرمى ؛ خرج من كورة بفارس تدعى البذ، وأثار فتنة على الخليفة سنة ٢١٠ ؛ وامتدت زمن المأمون والمعتصم ؛ إلى أن قتل بعد حوادث دامية فى أزمان متطاولة ؛ على يد الأفشين قائد المعتصم سنة ٢٢٣ .

(٣) ديوانه : ٢٦٢ .

(٤) دروز : موضع فى ثغر أذربيجان ؛ كذا ذكره ياقوت وأورد بيتى أبى تمام .

* فمنْ رأى النيل رأى العين من كَثَبٍ *

ومن رأى النيل فى السفن فقد رآه من كَثَب، ومن رأى ماءه فى الآنية على بُعد لا يكون رائياً له من كَثَب .

* * *

فأما مدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس فأكثروا؛ فمما تقدم من ذلك قول رُؤبة بن العجّاج ؛ ويقال إن رؤبة لم يقل من القصيدة إلا هذين البيتين :

أيُّها الشَّامِتُ المُعيِّرُ بالشَّيْـ ... ـبِ أقِلَّنَّ بالشَّبابِ افْتِخَارا
قد لَبِسْتُ الشَّباب غَضًّا جَدِيداً ... فوجدْتُ الشَّبابَ ثَوْباً مُعارا

وللعلىّ بن جبلة :

جفا طرَبَ الفتيانِ وهوَ طرُوبُ ... وأعْقَبَهُ قُرْبَ الشَّبابِ مَشيبُ
تجافَتْ عُيُونُ البيضِ عنه، ورُبَّمَا ... مدَدْنَ إليْهِ الوَصْل وَهْوَ حَبِيبُ
لعَمْرِى لَنِعْمَ الصَّاحِبُ الشَّيْبُ واعِظا ... وإن كانَ منه للعيونِ نُكُوبُ
خَلِيط نُهىً، مُنتابُ حِلْمٍ؛ وَإنَّه ... علَى ذاكَ مكْروهُ الخِلاَطِ مُرِيبُ

ولآخر :

وتَنَكَّرَتْ شَيبِى فقلتُ لَها : ... لَيسَ المَشيب بناقِصٍ عُمرى
سِيَّانِ شَيْبِى والشَّبابُ إذا ... ما كنتُ من عُمْرِى على قَدْرِ

ولآخر :

إنْ أكُنْ قدْ رُزِئتُ أسْوَدَ كالفَحْـ ... ـمِ وأُعْقِبْتُ مِثْلَ لونِ الثُّغامه(١)
فلقَدْ أُسْعِفُ الكَرِيمَ وأحْبو ... أهلَهُ بالنَّدَى وآبَى الظُّلاَمَهْ

(١) الثغامة : نبت أبيض يشبه به الشيب .

غيْرَ أنَّ الشَّبابَ كانَ رِداءً … خانَنا فَيْؤُه كفَىْء الغَمامهْ

ولآخر :

إنَّ المَشِيبَ رِداءُ الحِلْمِ والأدَبِ … كما الشَّبابُ رِداءُ اللَّهوِ واللَّعِبِ
تَعجَّبَتْ إذ رَأَتْ شَيْبي فقلتُ لَها: … لاتَعْجَبي، من يَطُلْ عُمرٌ به يَشِبِ (١)

ولابن الجهم :

حَسَرَتْ عنِّيَ القِناعَ ظَلُومُ … وتَوَلَّتْ ودَمعُها مَسجومُ (٢)
/ أنكَرَتْ ما رأَتْ برأسِي فقالتْ : … أَمَشِيبٌ أم لُؤلُؤٌ مَنظُومُ ! [٢٠٢ و]
قلتُ : شَيْبٌ وليسَ عَيباً ، فأَنَّتْ … أَنَّــةً يَستَثيرُها المَهْمُومُ
شدَّ ما أنكَرَتْ تَصرُّمَ عهْدٍ … لم يدُمْ لِي ، وأيُّ شيْءٍ يَدُومُ !

ولأبي هِفَّان :

تَعجَّبَت دُرُّ من شَيْبي فقلتُ لها : … لاتَعْجَبي فطُلُوع الشَّيْب في السُّدَفِ (٣)
وَزادَها عَجباً لَمــا رأَتْ سَمَلي … وما دَرَتْ دُرُّ أنَّ الدُّرَ في الصَّدَفِ (٤)

وقد أحسن أبو تمام غاية الإحسان في قوله:

أبْدَتْ أسًى أنْ رأَتْني (٥) مُخلِسَ القَصَبِ (٦) … وآلَ ما كانَ من عُجْبٍ إلى عَجَبِ (٧)

---

(١) د ، ف ، حاشية الأصل من نسخة : « تعجبت أن رأت شيبي ». (٢) ديوانه : ١٧٦–١٧٧ ؛ وظلوم : اسم امرأة . (٣) حماسة ابن الشجري : ٢٤٥ ؛ والسدف : الظلمات .

(٤) السمل ، محركة : الثوب الخلق البالي ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « أن رحت في سمل » ؛ وهي رواية الحماسة . (٥) ديوانه : ١٥ ، والشهاب ١٠ ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « إذ رأتني » ، وهي رواية الشهاب والديوان . (٦) يقال : أخلس النبت ؛ إذا جف أعلاه وابيض ، وفي حاشية الأصل : « القصب : الذوائب المقصبة ؛ الواحدة قصبة وتجمع قصائب ، يقال : قصب ، فيسكن » . وبخط الشجري : « القصب » ، بضم ففتح . (٧) حاشية الأصل : « أي كانت تعجب بي فصارت تعجب من شيبي ». وفي الشهاب : « أما قوله : « من عجب إلى عجب » فمن البلاغة الحسنة والاختصار السديد البارع ».

سِتٌّ وعِشْرُونَ تَدْعُونى فأُتْبِعُها ... إلى المَشِيب ولم تَظْلِم ولم تَحُبِ (١)
فلا يُؤرِّقْكِ إيماضُ القَتِيرِ بهِ ... فإنَّ ذاكَ ابتِسامُ الرَّأىِ والأَدَبِ (٢)

وللبحترىّ :

عيَّرَتنى بالشيب وهْىَ رَمَتْهُ ... فى عِذَارِى بالصَّدِّ والاجتنابِ (٣)
لا تَرَيْهِ عاراً فما هوَ بالشَّيـ ... بِ ولكنَّه جلاءُ الشَّبابِ (٤)
وبياضُ البازِىِّ أصْدَقُ حُسْناً ... إنْ تأمَّلْتِ من سَوادِ الغُرابِ

وله:

ها هُوَ الشَّيب لائِماً فأَفِيقِى ... واترُكِيهِ إن كانَ غيرَ مُفِيقِ (٥)
فلقد كَفَّ من عناءِ المُعنَّى (٦) ... وتلافَى من اشْتِياقِ المَشُوقِ

---

(١) لم تحب : لم تأثم ؛ والحوب : الإثم ، وبعده فى الديوان :

يومِى من الدهرِ مثلُ الدَّهْرِ مشتهِرٌ ... عزماً وحزْماً وساعِى منه كالحُقُبِ
فأصغرِى أنَّ شيباً لاحَ بى حدثاً ... وأكبرِى أننى فى المهد لم أشِبِ

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا يغرنك » . والقتير : الشيب ، او أوله . وفى الشهاب للمرتضى : « وقوله :

* فإن ذاك ابتسام الرأى والأدب *

يريد أن الرأى والأدب والحلم إنما يجتمع ويتكامل فى أوان الكبر والشيب دون زمان الشباب، وقد تصف الشعراء أبدا الشيب بأنه تبسم فى الشعر لبياضه؛ إلا أن هذه من أبى تمام تسلية عن الشيب وتنبيه على منفعته » .

(٣) ديوانه ١ : ٧ ، والشهاب : ٢٥ . وفى حاشية الأصل :

* عَيَّرَتنِى المشيبَ وهى بدتْه *

وهى رواية الديوان ؛ وبدتة ، مخفف من بدأته بالهمز . وفى حاشية الأصل أيضا (من نسخة) : « جنته » . (٤) لاتريه : لاتظنه . وفى حاشية الأصل : « جعل سواد الشباب وسخا وصدأ على الشخص والشيب جلاء له » .

(٥) ديوانه ٢ : ١٢٥ ، والشهاب : ٢٥ ، وحماسة ابن الشجرى : ٢٤٣ — ٢٤٤ ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « يقول: أيتها العاذلة، أفيقى من عذله وملامته ، فقد أقبل الشيب يلومه ويعذله، ولا حاجة إلى عذلك وإن لم يفق فاتركيه » . (٦) د ، والحماسة والشهاب . « عن عناء المعنى » .

عَذَلَتْنَا فى عِشْقِها أُمُّ عَمْرٍو   هَلْ سَمِعْتُمْ بالعاذِلِ المَعْشُوقِ(1)
وَرأتْ لِمَّةً أَلَمَّ بهـا الشَّيْـ   ـبُ فَرِيعَتْ من ظلمةٍ فى شُرُوقِ
وَلعَمْرِى لوْلاالأَقاحِى لأَبصَرْ   تِ أنيقَ الرِّيَاضِ غيرَ أَنِيقِ
وَسوادُ العُيُونِ لو لم يكمَّلْ   ببَياضٍ ما كانَ بالمَوْمُوقِ(2)
/وَمِزَاجُ الصَّهْبَاءِ بالماءِ أملى(3)   بصَبوحٍ مُستَحْسَنٍ وغَبوقِ [٢٠٢ ظ]
أىُّ ليلٍ يَبْهَى بغَيْرِ نجُومٍ   أو سماءٌ تندَى بغيرِ برُوقٍ!

ويشبه أن يكون أخذ قوله :

* أىُّ لَيلٍ يَبْهى بغير نجوم *

من قول الشاعر :

أشَيْبٌ ولم أقْضِ الشَّبابَ حُقوقَهُ   ولم يَمْضِ من عهد الشَّبابِ قَديمُ(4)
رأتْ وَضَحاً فى مَفْرِقِ الرَّأْس راعَها   وشتَّانَ مُبْيَضٌّ به وبهيمُ
تَفارِيقُ شَيْبٍ فى الشَّبابِ لوامِعٌ   وما حُسنُ ليلٍ ليس فِيهِ نُجُومُ!

ولمحمود الوراق فى مثل هذا المعنى وهو قوله :

ما الدُّرُّ منظُوماً بأَحْسنَ من   شَيْبٍ يُجلِّل هامةَ الكَهلِ
وكأنَّهُ فيها النُّجُوم إذَا   جَدَّ المَسِيرُ بها على مَهْلِ
لا تَبْكِينَّ على الشَّبابِ إذا   يَبْكِى الجَهُولُ عليه لِلْجَهْلِ
واشكُرْ لشَيْبكَ حُسنَ صُحْبَتِه   فلقَدْ كَسَاكَ جَلالَةَ الفَضْلِ

---

(١) حاشية الأصل : « إنما عذلته لأنه شاخ والعشق مع الشيخوخة لايستحسن » .

(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « بالمرموق » ؛   (٣) فى حاشيتى الأصل : « أملى ، مخفف من أملأ ؛ أى أوثق؛ يقال : ملؤ فلان بذلك؛ إذا كان ثقة به ، وفلان أملأ بكذا من فلان » .

(٤) البيت الأول والثالث فى حماسة ابن الشجرى : ٢٤٤ ، من غير نسبة .

ولآخر في مدح الشيب :

لا يَرُعْكِ المشيبُ يا ابنةَ عبْدِ الـ ... لَّهِ فالشَّيْبُ حِلْيةٌ ووَقارُ(١)
إنما تَحْسُنُ الرِّياضُ إذا ما ... ضَحِكَتْ في خِلالِها الأنْوارُ

ولي في هذا المعنى من قصيدة :

جزِعَتْ لِوَخْطاتِ المَشيبِ وإنما ... بَلَغَ الشَّبابُ مدى الكَمالِ فنوَّرا
والشَّيْبُ إن فكَّرْتِ فيهِ مَوْرِدٌ ... لابُدَّ يُورِدُه الفتى إن عُمِّرا
يَبْيَضُّ بعد سوادِهِ الشَّعَرُ الذي ... إنْ لم يَزُرْهُ الشَّيْبُ واراهُ الثَّرَى

وممن عدل بين الشيب والشباب ، ومدح كل واحد منهما طريح بن إسماعيل الثقفي فقال:

والشَّيْبُ للحُكَماءِ من سَفَهِ الصِّبا ... بدلٌ يكونُ لذي الفَضيلةِ مَقْنَعُ
[٢٠٣ /وَالشَّيْبُ غايةُ من تأخَّر حَيْنُهُ ... لا يَسْتَطيعُ دِفاعَهُ من يجزَعُ
إنَّ الشَّبابَ له لَذاذَةُ جِدَّةٍ ... والشَّيْبُ منه في المَغَبَّةِ أنفعُ
لا يبعدِ اللهُ الشَّبابَ فمرحبا ... بالشَّيْبِ حِينَ أوَى إليهِ المرجعُ

ومثله لآخر :

وكان الشبابُ الغضُّ لِي فيهِ لذَّةٌ ... فوقَّرني عنه المَشيبُ وأدَّبا
فَسَقْياً ورعْياً للشبابِ الذي مَضَى ... وَأهْلاً وَسَهْلاً بالمَشِيبِ وَمَرْحَبا

---

(١) حماسة ابن الشجري : ونسبهما إلى علي بن الجهم .

مجلس آخر ٤٦

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ؛ [البقرة : ١٨٦] فقال : كيف ضَمِنَ الإجابَة وتكفَّل بها ، وقد نرى مَنْ يدعو فلا يجاب ؟ .

الجواب، قلنا في ذلك وجوهٌ .

أوّلها أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي ﴾ أي أسمع دعوته ؛ ولهذا يقال للرجل : دعوتُ مَنْ لايجيب أي دعوتُ من لايسمع . وقد يكون أيضاً يسمع بمعنى يجيب ؛ كما كان يجيب بمعنى يسمع ؛ يقال : سمع الله لِمَنْ حَمِده ؛ يراد به : أجاب الله مَنْ حمده وأنشد ابنُ الأعرابيّ :

دَعَوْتُ اللهَ حتى خِفْتُ ألاّ يكُونَ اللهُ يَسْمَعُ ما أقُولُ

أراد يجيب ما أقول .

وثانيها أنّه تعالى لم يُرِدْ بقوله : ﴿ قَرِيبٌ ﴾ من قُرْب المسافة ؛ بل أراد أنني قريب بإجابتي ومعونتي ونعمتي، أو بعلمي بما يأتي العبد وَيذَر ، وما يُسِرّ ويَجْهَر ، تشبيهاً بقرب المسافة ؛ لأن مَنْ قرب من غيره عرف أحواله ولم تخف عليه ؛ ويكون قوله : ﴿ أُجِيبُ ﴾ على هذا تأكيداً للقرب ؛ فكأنه أراد : إنني قريب قرباً شديدا ، وإنني بحيث لايخفى عليّ أحوال العباد ؛ كما يقول القائل إذا وصفَ نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله : أنا بحيث أسمع كلامَك ، وأجيب نداءَك، وما جرى هذا المجرى . وقد رُوِي أن قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وآله فقالوا / له : أربُّنا قريب فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية . [٢٠٣ ظ]

وثالثها أن يكون معنى هذه الآية أنى أجيب دعوة الداعى إذا دعانى على الوجه الصحيح، وبالشرط الذى يجب أن يقارِن الدعاء ؛ وهو أنْ يدعو باشتراط المصلحة ؛ ولا يطلب وقوعَ مايدعو به على كل حالٍ ؛ ومَنْ دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال ؛ لأنه إن كان صلاحاً فَعل مادعا به ؛ وإن لم يكن صلاحاً لم يفعل لفقد شرط دعائه ، فهو أيضاً مجاب إلى دعائه .

ورابعها أن يكون معنى ﴿ دَعَانِ ﴾ أى عبدنى ، وتكون الإجابة هى الثواب والجزاء على ذلك ؛ فكأنه قال : إننى أُثيبُ العباد على دعائهم لى ؛ وهذا مما لا اختصاص فيه .

وخامسها ماقاله قومٌ من أنّ معنى الآية أنّ العبد إذا سأل الله تعالى شيئًا فى إعطائه صلاحٌ فَعَله به وأجابه إليه ، وإن لم يكن فى إعطائه إياه فى الدنيا صلاحٌ وخِيرة لم يُعطه ذلك فى الدنيا ، وأعطاه إياه فى الآخرة ، فهو مجيب لدعائه على كل حال .

وسادسها أنّه إذا دعاه العبد لم يَخْلُ من أحد أمرين : إمَّا أن يُجاب دعاؤه ، وإمَّا أن يخارَ له بصرفه عما سأل ودعا ، فحسْنُ اختيار الله له يقوم مقام الإجابة ، فكأنه يجاب على كل حالٍ .

وهذا الجواب يضعَّف لأنّ العبد ربما سأل مافيه صلاحٌ ومنفعة له فى الدنيا ، وإن كان فيه فساد فى الدين لغيره فلا يعطَى ذلك ، لأمر يرجع إليه ، لكن لِمَا فيه(1) من فساد غيره ، فكيف يكون مجاباً مع المنع الذى(1) لايرجع إليه منه شىء من الصلاح ! اللهم إلاّ أن يقال : إنه دعاء مشروط بأن يكون صلاحاً ، ولا يكون فسادا ، وهذا مما تقدم .

ومعنى قوله تعالى ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ ، أى فليجيبونى وليصدّقوا رسلى ، قال الشاعر :

وَدَاعٍ دَعَا يامنْ يُجيبُ إلى النَّدَى ... فلمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجيبُ(2)

(1—1) ساقط من الأصل، وتكملته من د ، ف . (2) مطلع قصيدة كعب بن سعد الغنوى ؛ وهى فى أمالى القالى ٢ : ١٤٨ — ١٥١ .

أى لم يجبه .

***

قال سيدنا أدام الله علوّه : وإذْ كنا قد ذكرنا فى المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرَفا من الشعر فى تفضيل الشيب وتقديمه ، والتعزّى عنه ، والتسلّى عن نزوله ؛ فنحن متبعوه بطرف مما قيل فى ذمّه والتألم به والجزع منه .

فمن ذلك قول أبى حيَّة النميرىّ :

/ ترحَّلَ بالشَّبابِ الشَّيْبُ عنَّا ... فليتَ الشَّيبَ كانَ به الرَّحيلُ(١) [٢٠٤ و]
وقد كان الشبابُ لنا خَليلاً ... فقد قَضَّى مآرِبَهُ الخَليلُ
لعمْرُ أبى الشبابُ لقد توَلَّى ... حَميداً ما يُرادُ به بَديلُ(٢)
إذِ الأيامُ مُقْبِلَةٌ علينَا ... وَظِلُّ أراكَةِ الدُّنيا ظَليلُ

وقال الفرزدق :

أرَى الدَّهرَ ، أيامُ المشيبِ أمَرُّهُ ... علينا ، وأيام الشبابِ أطايبه(٣)
وفى الشيبِ لَذَّاتٌ وقُرَّةُ أعْيُنٍ ... ومن قَبْلِهِ عَيْشٌ تَعلَّلَ جادِبُهُ(٤)
إذا نازَلَ الشَّيْبُ الشبابَ فأصْلَتا ... بسَيْفَيهما ، فالشَّيْبُ لابدَّ غالِبُهْ
فيا خَيْرَ مهزُومٍ ، ويا شرَّ هازمٍ ... إذَا الشَّيبُ وافَتْ للشَّبابِ كتائِبُهْ
وَلَيْسَ شبابٌ بعْدَ شَيْبٍ براجعٍ ... مدَى الدَّهْرِ حتى يُرْجِعَ الدَّرَّ حالبُهْ
وما المَرْءُ مَنْفوعاً بتَجْريبٍ وَاعِظٍ ... إذا لم تَعِظْهُ نَفْسُهُ وتجارِبُهْ

وأنشد إسحاق الموصلىّ :

---

(١) حماسة ابن الشجرى : ٢٣٩ ، مع اختلاف فى ترتيب الأبيات .

(٢) الحماسة : « لايرادبه بديل » . (٣) ديوانه : ١ : ٥٢ .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : جادبه : عائبه ، أى لم يجد عيبا فتعلل وجها يتمحل به باطلا ومنه قول ذى الرمه :

فيالك من خد أَسِيلٍ، ومَنْطِقٍ ... رخيم ، ومن خَلْقٍ تعلل جادبه

لعَمْرِى لئِنْ حُلِّئْتُ عن مَنهلِ الصِّبا … لقد كنت ورَّاداً لِمَشْرَبِهِ العذبِ(١)
ليالِىَ أمْشِى بين بُرْدَىَّ لاهِياً … أمِيسُ كغُصْنِ البانةِ النَّاعمِ الرَّطْبِ
سلامٌ على سَيْرِ القِلاَصِ مع الرَّكْبِ … ووَصْلِ الغَوانى والمُدَامَةِ والشَّرْبِ
سلامَ امرِئٍ لم تَبْقَ منه بقيَّةٌ … سِوَى منظَرِ العينَيْنِ أو شَهْوَةِ القَلْبِ(٢)

ولمنصور النَّمَرِىّ :

ما تَنْقَضِى حسْرَةٌ منى ولا جَزَعُ … إذا ذكَرتُ شباباً ليسَ يرْتَجِعُ(٣)
بانَ الشبابُ ففاتتنى بشرَّتهِ … صروفُ دَهرٍ وأيامٍ لها خُدَعُ
ما كنتُ أُوفِى شبابِى كُنْهَ عِزَّتهِ … حتَّى مضَى فإذا الدُّنيا له تبعُ(٤)

ولمحمد بن أبى حازم :

عَهدَ الشبابِ ، لقد أبقَيْتَ لى حَزَناً … ماجدَّ ذِكرُكَ إلاَّ جدَّ لى ثُكُلُ(٥)
سَقْيا ورعْياً لأيَّامِ الشَّبابِ وإنْ … لم يَبْقَ منكَ لهُ رسْمٌ ولا طَلَلُ
جرَّ الزَّمانُ ذُيُولاً فى مَفارِقِهِ … وللزَّمانِ على إحْسانِه عِلَلُ(٦)
وَربَّمَا جرَّ أذيالَ الصِّبا مَرَحاً … وبين بُرْدَيْهِ غُصْنٌ ناعِمٌ خَضِلُ
لا تَكْذِبَنَّ فما الدُّنيا بأجْمَعِها … من الشبابِ بيَوْمٍ واحدٍ بدلُ
كَفاكَ بالشَّيبِ عيباً عند غانيَةٍ … وبالشَّبابِ شَفِيعاً أيها الرَّجُلُ

---

(١) حلئت : طردت ومنعت . (٢) د ؛ ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « نظر العينين » .
(٣) حماسة ابن الشجرى : ٢٣٩ (٤) حاشية الأصل (من نسخة) :

ما كِدْتُ أُوفِى شبابى كُنْهَ شِرَّتِهِ … حتى مَضى فإذا الدُّنْيَا لها تَبَعُ

(٥) من أبيات فى الأغانى ١٢ : ١٥٢ — ١٥٣ مجموعها ثلاثة عشرة بيتا ؛ وأبيات منها فى الورقة : ١١٠ ، وحماسة ابن الشجرى : ٢٣٩ . (٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « أى للزمان علل على تركه الإحسان ؛ ويجوز أن يكون المعنى : له مع إحسانه علل » .

ولأبى نواس :

كانَ الشبابُ مَطيَّةَ الجَهْـلِ ... ومُحسِّنَ الضَّحِـكاتِ والهَزْلِ(١)

كانَ الجميلَ إذا ارتَديتُ بهِ(٢) ... ومشيتُ أخطِرُ صَيِّتَ النَّعْـلِ

كانَ البَليغَ إذا نطقتُ بهِ ... وأصاخَتِ الآذانُ للمُملى

كانَ المُشَفَّعَ فى مآربهِ ... عندَ الحِسانِ ومُدرِكَ التَّبْـلِ

والباعِثى والناسُ قد هَجَعُوا ... حتَّى أبيت خليفَةَ البَعْلِ

والآمِرِى حتَّى إذا عزَمَتْ ... نَفسى أعانَ علىَّ بالفعلِ

فالآن صرتُ إلى مقارَبَةٍ ... وحَطَطْتُ عن ظهرِ الصِّبا رحلى

قال سيدنا رضى الله عنه : وعلى هذا الكلام طلاوة ومَسْحَة من أعرابية ليستا لغيره .

ولبشار :

الشَّيبُ كُرْهٌ، وكُرْهٌ أن يفارِقَنِى ... أعْجِبْ بشَىْءٍ على البَغْضاء مَوْدُودِ(٣)

يَمْضِى الشَّبابُ ويأتِى بعْدَهُ خَلَفٌ ... والشَّيْبُ يذهَبُ مفقُوداً بمفقُودِ

وهذا البيت الأخير يُرْوَى لمسلم بن الوليد الأنصارى .

ومما أحسن فيه مسلم فى هذا المعنى قوله :

طَرَفَتْ عُيُونَ الغانياتِ وربما ... أمَلْنَ إلىَّ الطَّرْفَ كلَّ مَمِيلِ(٤)

/وما الشَّيْبُ إلا شَعْرَةٌ، غيرَ أنَّه(٥) ... قليلُ قذاةِ العينِ غيرُ قليلِ [٢٠٥ و]

---

(١) ديوانه : ٣١١ . (٢) ديوانه : « كان الجمال » .

(٣) البيتان فى حماسة ابن الشجرى : ٢٤٥ ، ونسبهما إلى مسلم .

(٤) البيتان فى حماسة ابن الشجرى : ٢٤٢ ، ونسبهما لابن الرومى ؛ وفى حاشيتى الأصل ، ف : « يقال : فلان مطروف العين بفلان ؛ أى يحبه . والمعنى أنه وقع فى عينه ، يقال : طرفت عينه بشوكة وبحاشية ثوب ؛ وأصله من طرفته إذا أصبت طرفه ، ورأسته إذا أصبت رأسه » . (٥) الحماسة :

* وما شبتُ إلاَّ شيبةً غير أنَّه *

وله :

أهْلاً بوافِدَةٍ للشَّيْبِ واحِدَةٍ ... وإن تَرَاءَتْ بشَخْصٍ غيرِ موْدُودِ
لا أجْمَعُ الْحِلْمَ والصَّهْبَاءَ قد سكَنَتْ ... نَفسى إلى الماء عن ماءِ العناقِيدِ
لم يَنْهَنِى كِبَرٌ عنها ولا فَنَدٌ ... لكن صَحَوتُ وغُصْنى غيرِ مَخْضُودِ
أوْفَى بىَ الحِلْمُ واقتادَ النُّهَى طلَقاً ... شأْوِى وعِفْتُ الصِّبا من غيرِ تَفْنِيدِ(١)

وقد أحسن دعبل فى قوله يصف الشباب والشيب :

كانَ كُحْلاً لمآقِيها فقدْ ... صارَ بالشَّيْبِ لعَيْنَيْهَا قَذَى

ولغيره :

رَأَتْ طَالِعاً للشيبِ أغْفَلتُ أمْرَهُ ... فلْم تتعاهَدْهُ أكُفُّ الخَوَاضِبِ(٢)
فقالتْ: أشَيْبٌ ما أرى؟ قلتُ : شامَةٌ ... فقالتْ: لقَدْ شانَتْكَ بين الحبائِبِ(٣)

ولمحمود الورَّاق - ويروى لمحمد بن حازم(٤) :

أليسَ عَجِيباً بأنَّ الفَتَى ... يُصابُ ببعضِ الذى فى يديْهِ
فمن بين باكٍ له مُوجَعٍ ... وبَينَ مُعزٍّ مُغِذٍّ إليْهِ
ويَسْلُبُهُ الشيبُ شَرْخَ الشباب ... فليْسَ يُعزِّيه خَلْقٌ عليْه(٥)

ولأبى دُلَف :

فى كلِّ يومٍ أرَى بَيْضاءَ طالِعَةً ... كأنَّما طَلَعَتْ فى أسودِ البصرِ
لئِنْ قَصَصْتُكِ بالمِقْرَاضِ عن بصَرى ... لمَا قَصَصْتُكِ عن هَمِّى وعن فِكَرِى

---

(١) حاشية الأصل : « يقال عدا طلقا وشأوا إذا عدا عدوا شديدا إلى غاية » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة): « تتعهده » . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) « شامتك » .

(٤) فى الأصل : « محمد بن أبى حازم » ، وصوابه من ف . (٥) حاشية الأصل: « يقول : عجبت من الناس يعزى بعضهم بعضا على فوت المال ، ولا يعزون على فوت الشباب » .

وليحيي بن خالد بن برمك(١) – ويروى لغيره :

اللَّيلُ شَيَّبَ والنهارُ كلاهما ... رَأْسِى بكَثْرَةِ ما تدور رَحاهُما
يَتناهبانِ نُفوسَنا ودِماءَنا ... ولُحُومَنا عَمْداً ونَحْنُ نَراهما
والشَّيبُ إِحدَى الْمِيتَتَيْنِ تَقدَّمتْ ... أُولاهُما وتأَخَّرتْ أُخراهُما

/ وقدأتى الفحْلان المبرِّزان أبو تمام وأبو عبادة فى هذا المعنى بكل غريب عجيب . [٢٠٥ ظ]

فمن ذلك قول أبى تمام :

غدَا الهمُّ مُخْتطًّا بفَوْدَىَّ خِطَّةً ... طَرِيقُ الرَّدَى مِنها إلى الْمَوْتِ مَهْيَعُ(٢)
هُوَ الزَّورُ يُجفَى، والمُعاشرُ يُجتوى ... وَذُو الإلْفِ يُقلَى ، والجَدِيدُ يُرَقَّعُ
لهُ مَنْظَرٌ فى العَيْنِ أَبيضُ ناصِعٌ ... ولـٰكنَّهُ فى القَلبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ
ونَحْن نُرَجِّيهِ على الـكرهِ والرِّضا ... وأَنْفُ الفَتى مِنْ وجْهِه وهوَ أَجْدَعُ(٣)

وله :

شُعْلةٌ فى المَفارِقِ اسْتَوْدَعَتْنِى ... فِى صمِيمِ الفُؤَادِ ثُكْلاً صَمِيما(٤)
تَستَثِيرُ الهُمُومُ ما اكْتَنَّ مِنْها ... صُعُداً وهْىَ تَسْتَثِيرُ الهُمُوما
غُرَّةٌ(٥) مُرَّةٌ الاَ إنما كُنْـ ... ـتُ أَغرًّا أَيَّامَ كنتُ بَهِيما

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « البرمكى » . (٢) ديوانه : ١٩٠ ، والشهاب : ٦ ؛ وحماسة ابن الشجرى : ٢٤١ – ٢٤٢ . وفى م قبل هذا البيت :

لَئِنْ جَزِعَ الوحشىّ منها لرؤيتى ... لَإنسيّها من شَيب رأسِىَ أجْزَعُ

وفى حماسة ابن الشجرى : « غدا الشيب » ، وفى م : « غدا العمر » . وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « إلى النفس مهيع » ، وهى روايةالديوان ؛ ومهيع: واسع .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « يجدع » .

(٤) ديوانه : ٢٩١ ، وحماسة ابن الشجرى : ٢٤١ ، والشهاب :٧ .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « عرة » أى عيب .

دِقَّةٌ فى الحياةِ تُدْعَى جلالاً مثلَ ما سُمِّىَ اللَّدِيغ سليما(١)
حَلَّمتْنى — زَعَمْتُمُ — وأرانِى قبلَ هذا التَّحْلِيمِ كنتُ حَلِيما

وله :

لَعِبَ الشَّيبُ بالمَفَارِقِ بلْ جِدَّ فأبكى تُماضِراً ولَعُوبَا(٢)
خَضبتْ خَدَّها إلى لُؤلُؤِ العِقْدِ دَمًا أنْ رأتْ شَواتى خَضِيبا
كلُّ داءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ له إلا الفظيعَين : مِيتَةً ومَشِيبا
يا نَسيبَ الثَّغامِ ذَنْبُكَ أبقَى حَسنَاتِى عندَ الحِسانِ ذُنُوبا
ولَئِنْ عِبْنَ ما رأيْنَ لقَدْ أنْكَرْنَ مُسْتَنْكَراً وعِبْنَ مَعِيبا
أو تَصدَّعنَ عنْ قِلًى لكَفى بالشَّيبِ بينى وبَيْنَهُنَّ حَسِيبا
لوْ رأى اللهُ أنَّ فى الشَّيْبِ فضْلاً جاوَرَتْهُ الأبرارُ فى الخُلْدِ شيبا

قال سيدنا أدام الله علوّه : وجدت الآمدىّ يذكر أن قوما ادَّعوا المناقضة على أبى تمام فى هذه الأبيات بقوله :

لَعِبَ الشَّيبُ بالمَفَارِقِ بل جَدّ فأبْكَى تماضرا ولعوبا *

وقوله :

خضبتْ خدّها إلى لؤلؤ العِقْد دماً أنْ رأت شَواتى خضيبا
يا نسيب الثَّغام ذنبك أبقى حسناتى عند الحسان ذنوبا

[٢٠٦ و] /وقوله:

ولئن عبن مَا رأين لقد أنْكرْنَ مُسْتَنْكَراً وعِبن مَعِيبا

---

(١) حاشية الأصل: «مثل» بنى لإضافته إلى «ما»، ويجوز أن يكون صفة لمحذوف ، أى تدعى جلالا دعوة مثل تسمية اللديغ سليما» . (٢) ديوانه : ٢٥، ٢٦ ، والشهاب : ٩ .

قالوا: كيف يبكين دماً على شيبه ثم يعبنه !

قال الآمدىّ : ”وليس هذا بتناقض ؛ لأن الشيب إنما أبكى تُماضر ولعوب أسفاً على شبابه ، والحسان اللواتى عِبْنه غير هاتين المرأتين ، فيكون مَنْ أشفق عليه من الشيْب منهن وأسِفَ على شبابه بَـكى ؛ كما قال الأخطل :

لمَّا رأتْ بدَلَ الشبابِ بكَت لهُ   إنَّ المَشيبَ لأرذَلُ الأبْدَالِ(١)

ولم يكن هذه حال من عابه“. قال : ” وهذا مستقيم صحيح “ .

قال سيدنا أدام الله علوّه : وليس يحتاج فى الاعتذار لأبى تمام إلى ما تـكلفه الآمدىّ ؛ بل المناقضة زائلة عنه على كل حال ، وإن كان مَنْ قد بكى شبابه ، وتلهف عليه من النساء هُنّ اللواتى أنـكرن شيْبه ، وعِبْنه به ، وما المنكَر من ذلك ! وكيف يتناقض أن يبكِى على شبابه ونزول شيبِه منهن مَن رأيْنَ الشيب ذنباً وعيباً منـكراً ! وفى هـذا غاية المطابقة؛ لأنه لا يبكى الشيب، ويجزع مِن حلوله وفراق الشباب إلاَّ مَن رآه منـكراً ومعيباً .

وقال أبو تمام :

رَاحتْ غَوانى الحَىِّ عنكَ غَوانِيا   يَلْبَسنَ نأياً تارةً وصُدودَا(٢)

منْ كلِّ سابغَةِ الشبابِ إذابدَتْ   ترَكتْ عَميدَ القرْيَتينِ عَميدَا

أرْبَبْنَ بالمُرْدِ الغَطارِفِ بُدَّناً   غِيـدا ألفنهُمُ لِدَانا غِيدَا

أحْلَى الرِّجالِ من النِّساءِ مواقِعاً   مَنْ كانَ أشْبَهَهُم بِهِنَّ خُدُودَا

وقوله : « أرْبَبْنَ بالمُرْدِ » من أربَّ بالشىء إذا لزمه ، وأقام عليه ، يقال: أَربَّ وألبَّ بالمـكان إذا لزمه : يريد أنهن لَزِمْنَ هوى المُرْد وأقمن عليهم. ورواه قوم « أرْبَيْن بالمُرْد » من الرِّبا الذى معناه الزيادة ، يقال: قد أربى الرجل إذا ازداد ؛ فيقول: أرْبين بالمُرْدِ، أى زِدْنَ علينا بهم، وجعلن للمُرْد زيادةً اخترنها علينا(٣).

---

(١) ديوانه ١٥٨   (٢) ديوانه : ٨٧ ــ ٨٨ .   (٣) انظر الشهاب : ١٠ .

ويقال(١): إنه أخذ قوله:

* أحلى الرجال من النساء مواقعاً * . . . البيت

من قول الأعشى:

وأَرَى الغَوَانِيَ لا يُوَاصِلْنَ امرأً ... فقدَ الشَّبابَ وقَدْ يصِلْنَ الأَمْرَدَا(٢)

[٢٠٦ ظ] /ولمنصور النَّمَرِيّ مثله:

كرِهْنَ مِنَ الشَّيبِ الذى لوْ رأينَهُ ... بِهِنَّ رَأَينَ الطَّرْفَ عَنْهُنَّ أَزْوَرَا

ونحوه قول الآخر:

أرَى شَيْبَ الرِّجالِ مِنَ الغَوَانِي ... كوقْعِ مَشِيبِهِنَّ من الرِّجالِ

وقال أبو تمام:

شابَ رأسِي وما رأيتُ مَشِيبَ الرَّ ... أْسِ إلاَّ من فَضْلِ شَيبِ الفُؤَادِ(٣)

وَكَذَاكَ القُلُوبُ فى كلِّ بُؤْسٍ ... وَنَعِيمٍ طلائعُ الأجْسادِ

طَالَ إنْكارِيَ البيَاضَ وَإنْ عُمِّـ ... ـرْتُ شَيباً أنكَرْتُ لوْنَ السَّوادِ(٤)

زادَنِي شَخْصُهُ بطَلْعَةِ ضَيْمٍ ... عَمَّرَتْ مَجْلِسِي مِنَ العُوَّادِ

نالَ رَأْسِي من ثُغْرَةِ الهَمِّ لمَّا ... لم ينَلْهُ من ثُغْرَةِ الميلادِ(٥)

ومعنى هذا البيت الأخير أن «الثغر» هى الفرجة والثُّلْمة تكون فى الشىء؛ ولذلك سُمِّىَ كل بلد جاور عدواً ثَغْراً؛ كأن معناه مكشوف للعدو. ويجوز أن يكون أصلُه من ثَغْر الإنسان، لأنه أول ما يقابلك من أسنانه، وأول ما يظهر عند الكلام، وأول ما يسقط فيرَى مثلوماً، فيشبَّه الثَّغر الذى هو البلد؛ يقال اثَّغَر الصبىُّ واتَّغَر؛ وتسمى تلك الفرجة فى موضع

(١) الموازنة: ٣٠. (٢) ديوانه: ١٥١؛ والرواية: «وأرى الغوانى».

(٣) ديوانه: ٧٥. (٤) حاشية الأصل (من نسخة): «ولو عمرت شيئا» أى تعميرا، وهى رواية الديوان. (٥) حاشية الأصل: يروى: «من ثغرة الهم مالم * تشتمله».

السن ثُغرة وفى كل موضع منفرج ؛ ومنه ثغرة النَّحْر.

وأراد بقوله :

* نال رأسى من ثغرة الهم لَمّا *

أى وجد الشيبُ من الهم فرجة دخل على رأسى منها ؛ لأن الهَمَّ يُشيب لا محالة .

وقوله :

* مالم ينلْه من ثُغرة الميلاد *

أراد بثُغْرَة الميلاد الوقت الذى يهجم عليه فيه الشَّيب من عمره؛ لأنه يجد السبيل فى ذلك الوقت إلى الحلول برأسه ؛ فجعله ثغرة من هذا الوجه ؛ فأراد أن الشيب حلّ برأسه من جهة همومه وأحزانه لمّا لم يبلغ السن التى تُوجب حلولَه به من حيث كِبره .

ورأيت الآمدىّ يطعن على قوله :

* عمرت مجلسى من العوّاد *

ويقول: "لاحقيقة لذلك ولامعنى، لأنا مارأينا ولا سمعنا أحدا / جاءه عوادٌ يعودونه من [٢٠٧ و
الشيب ؛ ولا أن أحدا أمرضَه الشَّيب ، ولا عزّاه المعزون عن الشباب" ؛ وهذا من الآمدىّ قلةُ نقد للشِّعر وضعف بصيرة بدقيق معانيه التى يغُوص عليها حذاقُ الشعراء؛ ولم يرد أبو تمام بقوله :

* عمرتْ مجلسى من العوّاد *

العيادة الحقيقية التى يغشى فيها العوّاد مجالسَ المرضى وذوى الأوجاع، وإنما هذه استعارة وتشبيه وإشارة إلى الغرض خَفِيَّة ؛ فكأنه أراد أنّ شخص الشيب لمازارنى كَثُر المتوجعون لى ، والمتأسفون على شبابى ، والمتوحشون(١) من مفارقته ؛ فكأنهم فى مجلسى عُوَّاد لِى ، لأن مِن شأن العائد للمريض أن يتوجَّع ويتفجع .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « والمتفجعون » .

وكنى بقوله :

* عمرتْ مجلسى من العوّاد *

عن كثرة مَن تفجع له وتوجَّع من مشيبه؛ وهذا من أبى تمام كلام فى نهاية البلاغة والحسن؛ وما المعيب إلا مَنْ عابه وطعَن عليه ؛ ونحن نذكر فى المجلس الآتى بمشيئة الله ما للبحترىّ فى هذا المعنى إن شاء الله .

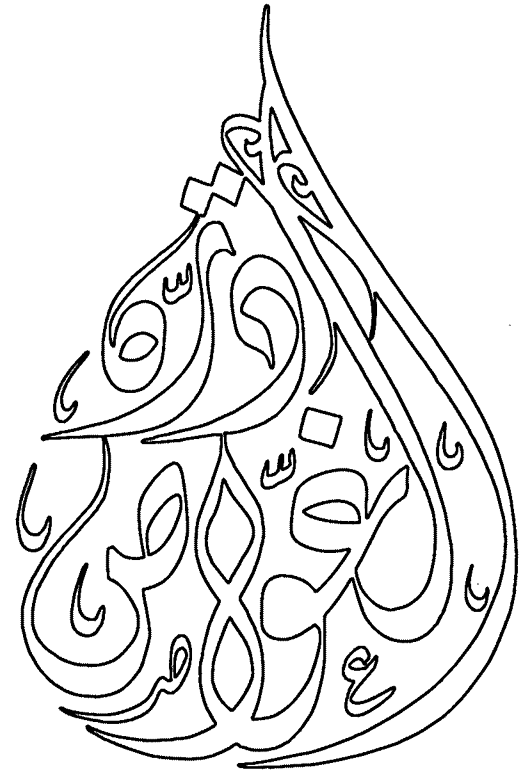

مجلس آخر ٤٧

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ ؛ [النحل : ١٠] .

فقال: إذا كانَ الشجر ليس ببعضٍ للماء كما كان الشراب بعضاً له؛ فكيف جازأن يقول: ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ بعدقوله : ﴿ مِنْهُ شَرَابٌ ﴾؟ وما معنى ﴿ تُسِيمُونَ ﴾؟ وهل الفائدة فى هذه اللفظة هى الفائدة فى قوله: ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٤]، وقوله: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [هود : ٨٢ ، ٨٣] ؟.

الجواب ، قلنا فى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ وجهان :

أحدهما أن يكون المراد منه سَقْى شجرٍ ، وشُرْب شجر ؛ فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه ؛ وذلك كثير فى لغة العرب، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ [البقرة : ٩٣] ، أى حبَّ العجل .

والوجه الآخر أن يكون المراد: ومِن جهة الماء شجر ، ومن سقيه وإنباته شجر؛ فحذف الأول وخلَفه الثانى ؛ كما قال عَوْف بن الخَرِع :

أمِن آلِ لَيْلَى عَرَفتَ الدِّيارَا ... بجَنْبِ الشَّقِيقِ خَلاَءً قِفارَا[1]

أراد : من ناحية آل ليلى .

---

(١) المفضليات ٤١٢ (طبعة المعارف) ، والرواية هناك :

أمِنْ آل مَىٍّ عَرَفْتَ الدِّيارَا ... بحيث الشقيقُ خلاءً قفارا

والشقيق : ماء لبنى أسيد بن عمرو بن تميم .

وقال زهير :

[٢٠٧ ظ] /أمِنْ أمِّ أوْفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ   بحَوْمانةِ الدَّرَّاجِ فالمُتَثَلَّمِ[1]

أراد : من ناحية أم أوفى .

وقال أبو ذؤيب :

أمِنْكَ البَرْقُ أرْقُبُه فهاجَا   فَبِتُّ إخالُهُ دُهْماً خِلاَجَا[2]

وقال أيضاً :

أمِنْكِ بَرْقٌ أبيتُ اللَّيْلَ أرْقُبُهُ   كأنَّهُ في عِرَاضِ الشَّامِ مِصْباحُ[3]

وقال الجعدىّ :

لِمَنِ الدِّيارُ عَفَوْنَ بالتَّهْطَالِ   بَقِيَتْ على حِجَجٍ خَلَوْنَ طِوَالِ

أراد بقيت على مَرّ حجج، وتكرار حجج .

فأما قوله تعالى: ﴿ فيهِ تُسِيمُونَ ﴾ فمعناه ترعَون ، وترسلون أنعامكم؛ يقال: أسامَ الإبلَ يُسيمها إسامة ؛ إذا أرعاها وأطلقها فرعَتْ منصرفة حيث شاءت ؛ وسوَّمها أيضا يُسَوِّمها من ذلك ؛ وسامت هى إذا رعت ؛ فهى تَسوم، وهى إبل سائمة ؛ ويقال : سمتها إذا قصرتها على مرعًى بعينه ؛ وسُمْتُها الخسفَ ؛ إذا تركتَها على غير مَرْعى؛ ومنه قيل لمن أُذِلَّ واهتُضِم: سِيمَ فلان الخَسْفَ ؛ وسِيم خُطَّةَ الضَّيم ؛ قال الكميت بن زيد فى الإسامة التى هى الإطلاق فى الرَّعْى[4]:

---

(١) أول المعلقة ، ديوانه : ٤ . الدمنة آثار الناس وما سودوا من الرماد وغيره . ولم تبين : لم تكلم . وحومانة الدراج والمتثلم : موضعان .

(٢) ديوان الهذليين ١ : ١٦٤؛ وفى حاشيتى الأصل، ف : « شبه السحاب بإبل سود ، وصوت الرعد بحنينها؛ ولم يذكر السحاب إلا أن البرق دل عليه ، وخلاج : جمع خلوج ؛ وهى الناقة التى خلج ولدها؛ وهو فعول فى معنى مفعول ، كالركوب والحلوب » .

(٣) ديوان الهذليين ١ : ٤٧ ، واللسان (عرض)؛ وعراض الشام نواحيه ؛ الواحد عرض .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « المرعى » .

رَاعِيا كانَ مُسْجِحاً فَفَقَدْنا ... هُوفَقْدُ المُسِيمِ هُلْكُ السَّوَامِ (١)

وقال آخر :

وأَسْكُنُ ماسَكَنْتِ بِبَطْنِ وادٍ ... وأَظْعَنُ إن ظَعَنْتِ فلا أُسِيمُ (٢)

وذهب قوم إلى أنَّ السَّومَ فى البيع من هذا ؛ لأن كل واحدٍ من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه إلى ما يهواهُ ، كما تذهب سوائم المواشى حيث شاءت .

وقد جاء فى الحديث : « لا سوْم قبل طلوع الشَّمس » فحمله قوم على أن الإبل وغيرها لا تُسام قبل طلوع الشَّمس ؛ لئلا تنتشر وتفوت الراعى ويخفى عليه مقاصدها .

وحمله آخرون على أنَّ السوم قبل طلوع الشَّمس فى البيوع مكروهٌ ، لأن السِّلعة المبيعة تستتر عيوبها أو بعضها ، فيدخل ذلك / فى بيوع الغَرر المنهىّ عنها. [٢٠٨ و]

فأما الخيل المسوّمة، فقد قيل : إنها المعلَمة بعلامات؛ مأخوذ من السِّيماء وهى العلامة .

وروى عن الحسن البصرىّ فى قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال : سُوِّم نواصيها وأذنابها بالصوف .

وقيل أيضا : إن المسوّمة هى الحسان .

وروى عن مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال : هى المطهّمة الحسان .

وقال آخرون : بل هى الراعيـة ؛ روى ذلك عن سعيد بن جبير ؛ وكلٌّ يرجع إلى أصل واحد ، وهو معنى العلامة ، لأن تحسينَ الخيل يجرى مجرى العلامة فيها ؛ التى تُعرف بها وتتميز لمكانها؛ وقد قيل : إن السَّوم من الرَّعْى يرجع إلى هذا المعنى أيضا ، لأن الراعىَ يجعل فى المواضع التى يرعاها علامات أو كالعلامات بما يزيلُه من نباتها ، ويمحوه من آثارها؛ فكأن الأصل فى الكلّ متفق غير مختلف .

(١) مسجحا: رفيقا سهلا ، وفى م : «مسيما » (٢) د ، ونسخة بحاشيتى الأصل، ف: « ماظعنت ».

وقال لبيد فى التسويم الذى هو التعليم:

وغَداة قاعِ القَرْنتين ِ أتينَهمْ   رهْواً يلوحُ خِلالها التسويمُ(١)

أراد التعليم .

وأماقوله فى الملائكة: ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾؛ فالمراد به المعلمين، وكذلك قوله تعالى: ﴿ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوَّمَةً ﴾ أى مُعْلَمة ؛ وقيل : إنه كان عليها كأمثال الخواتيم .

***

قال سيدنا أدام الله علوّه : ونعود إلى ما كنا وعدنا به من ذكر ماللبحترىِّ فى ذمّ الشيب والتألم من فقد الشباب ؛ فمن ذلك قوله(٢) :

وكُنتُ أرجِّى فى الشَّباب شفاعَةً   فكيفَ لباغِى حاجةٍ بشفيعِهِ(٣)
مَشيبٌ كَنَثِّ السِّرِّ عَىَّ بحَمْلِهِ   مُحدِّثُهُ ، أو ضاقَ صَدْرُ مُذيعِهِ(٤)
تلاحَقَ حتّى كادَ يأْتِى بطيئُهُ   لِحَثِّ اللَّيَالِى قبلَ أتى سرِيعِهِ

وما أحسن هذا من كلام! وأبلغه وأطبعَه(٥)!

---

(١) ديوانه : ١ : ١٠٤ وفى حاشية الأصل: « بعد هذا البيت :

بكتائبٍ رُجُحٍ تعوّد كبشُها   نَطْحَ الكباش كأنهنَّ نجومُ

والقرنتان : موضع ، ورها فى السير رهوا أى رفق ، قال القطامىّ :

يَمْشِينَ رَهْوًا،فلاَ الأعجازخاذلةٌ   ولا الصدُور على الأعجاز تَتَّكِلُ

(٢) ديوانه ٢ : ٩٠ ، والشهاب : ١٣ ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « يقول : كنت أرجى أنه يكون الشباب شفيعى. ويجوز أن يكون المعنى : كنت أرجى فى شبابى شفاعة إلى الحسان من طراوتى وحسنى » .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « يعنى أنه جد محتاج إلى الشفيع ؛ ولكنه ولى وذهب » .

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « كبث السر » . وفيهما أيضا : « أى أنه كان كالسر تبرم به صاحبه فأفشاه » .

(٥) ذكر المرتضى فى الشهاب تعليقا على هذه الأبيات : « وهذا والله أبلغ كلام وأحسنه وأحلاه وأسلمه وأجمعه لحسن اللفظ وجودة المعنى ؛ وماأحسن ماشبه تكاثر الشيب وتلاحقه ببث السر عن ضيق صدر صاحبه وإعيائه بحمله وعجزه عن طيه ! ويشبه بعض الشبه قوله :

* تَلاحَقَ حَتى كاد يأْتى بطيئه *

=

وقال أيضاً :

رُدِّى علىَّ الصِّبا إن كنتِ فاعِلةً   إنَّ الصِّبا لَيْسَ من شانِى ولا أرَبِى (١)
جاوَزْتُ حَدَّ الشَّبابِ النَّضْرِ مُلْتفِتاً   إلى بناتِ الصِّبا يرْكُضْنَ فى طَلَبِى (٢)
/والشَّيبُ مَهْرَبُ مَن جارَى مَنِيَّتَهُ   ولا نَجاءَ لهُ مِنْ ذَلِكَ الهَرَبِ [٢٠٨ ظ]
والمَرْءُ لو كانَتِ الشِّعْرَى لهُ وَطَناً   صُبَّتْ عليهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كَثَبِ (٣)

وقال أيضا :

لاَبِسٌ من شبيبةٍ أمْ ناضِ   وَمُلِيحٌ من شَيبةٍ أمْ راضِى (٤)
وَإذَا ما امْتَعَضْتُ من ولَعِ الشَّ   يْبِ برَأسى لم يَثْنِ ذَاكَ امْتِعاضِى (٥)
لَيْسَ يرْضَى عن الزَّمانِ مروٍّ   فيهِ إلاَّ عن غَفْلةٍ أو تَغَاضِ (٧)
والبواقِى منَ اللَّيَالِى وإنْ خا   لَفْنَ شيئاً فمشْبِهاتُ المَوَاضِى (٦)
نا كَرَتْ لِمَّتى ونا كَرْتُ مِنها   سُوءَ هَذِى الأَبْدَالِ والأَعْواضِ

═ قولى من أبيات :

سَبَقَ احتراسِى من أذاهُ بطيئُه   حتى تجلَّلَنى ، فكيف عجولُه !

وفى البيت لمحة بعيدة من بيت البحترى وليس بنظير له على التحقيق ؛ ومعنى البيت الذى يخصنى أدخل فى الصحة والتحقيق ؛ لأنى خبرت بأن بطىء الشيب سبق وغلب احتراسى وحذرى ؛ فكيف بعجوله ! ومن سبقه البطىء كيف لايسبقه السريع ! والبحترى قال : إن البطىء كاد أن يسبق السريع ؛ وهذا على ظاهره لايصح ؛ لأنه يجعل البطىء هو السريع ؛ بل أسرع منه ؛ لكن المعنى : أنه متداول متواتر فيكاد البطىء له يسبق السريع ؛ وهذا فى غاية الملاحة » .

(١) ديوانه ١ : ٢٩ ، ٣٠ ، والشهاب : ١٤ . (٢) حاشية الأصل : « فى نسخة س : قرأت فى شعره على شيخى : إلى بنات الردى » . (٣) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « من صبب » أى حدور ؛ وهو الموضع الذى ينحدر فيه » . وفى م : « ويروى : حطت عليه صروف الدهر من كثب » .

(٤) ناض : خالع ، ومليح : مشفق ؛ يخاطب نفسه فيقول : ألابس أنت برد الشباب أم خالعه ؟ .

(٥) فى م : « لم يغن ذاك » وفى الديوان : « لم يعد » . (٦) مروٍّ : مفكر .

(٧) د ؛ ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « مشبهات » ؛ وفى حاشية الأصل : « ويروى : شبيه بالمواضى وهو أحسن . قال س : فمشبهات ، لابأس به ، والذى حسن الفاء طول الكلام وإن الشرطية فيه » .

شَعَرَاتٌ أُقُصُّهُنَّ وَيَرْجِعْـ ... ـنَ رُجُوعَ السِّهامِ فى الأَغْرَاضِ (١)
وَأَبَتْ تَرْكِىَ الغُدَيَّاتُ والآ ... صَالُ حتَّى خَضَبْتُ بالمِقْرَاضِ (٢)
غَيْرَ نَفْعٍ إلاَّ التَّعَلُّلَ من شخْـ ... ـصٍ عَدوٍّ لم يَعْدُهُ إبْغَاضى
وَرُواءُ المشيبِ كالبخْصِ فى عيـ ... ـنِى فَقُلْ فيهِ فى العيُونِ المِرَاضِ (٣)
طِبْتُ نفساً عن الشَّبابِ وما سَـ ... ـوَّدَ من صِبْغِ بُرْدِهِ الفضْفَاضِ
فَهَلِ الحادِثَاتُ يا بْنَ عُوَيفٍ ... تارِكاتِى ولُبْسَ هذا البَيَاضِ !

وقال أيضاً :

تَعِيبُ الغَانياتُ علىَّ شَيْبِى ... وَمَن لى أنْ أمَتَّعَ بالمَعيبِ ! (٤)
ووَجْدِى بالشَّبابِ وَإنْ تَوَلَّى ... حَميداً دُونَ وَجْدِى بالمَشيبِ

وقال أيضاً :

أَرَأَيْتِهِ منْ بعْدِ جَثْلٍ فاحِمٍ ... جَوْنَ المَفَارِقِ بالنَّهارِ خَضِيباَ (٥)
فَعَجِبْتِ من حالَيْنِ خالَفَ فيهما ... صَرْفُ الزَّمانِ وَما رَأيْتِ عجيباَ

---

(١) حاشية الأصل : « من شأن الغرض أن تنزع السهام منه ثم تعود إليه فى الحال » .

(٢) قال المرتضى فى الشهاب تعليقا على هذا البيت والذى قبله: « قوله : خضبت بالمقراض فى غاية الملاحة والرشاقة. ومعنى قوله: رجوع السهام فى الأغراض أنه لا يملك ردا لطلوع الشيب فى شعره ولا تلافيا لحلوله، فيجرى فى ذلك مجرى رجوع السهام إلى الغرض فى أنه لا يملك مرسل السهم صده عنه ولا رده عن إصابته . ويمكن فى ذلك وجه آخر ؛ وإن كان الأول أشف ؛ وهو أن يريد بالأغراض المقاتل والمواضع الشريفة من الأعضاء ؛ فكأنه يشبه رجوع الشيب بعد قصه له وطلوعه فى شدة إيلامه وإيجاعه بإصابة السهام للمقاتل والفرائص. ويحتمل وجها آخر؛ وهو أن السهام تنزع من الأغراض، ثم ترجع بالرمى إليها أبدا، فأشبهت فى ذلك الشيب فى قصه ثم طلوعه ورجوعه إلى موضعه » .

(٣) حاشية الأصل : الرؤاء يهمز ولا يهمز ؛ فإذا لم يهمز كان من الرى وإذا همز كان من الرؤية». والبخص : لحم نانئ فوق العينين أو تحتهما كهيئة النفخة . وفى حاشية الأصل أيضا : « مثله لابن الرومى :

إذا شَنِئَتْ عَيْنُ الْفَتى عَيْبَ نَفْسِهِ ... فعيْنُ سِواهُ بالشناءةِ أجْدَرُ

(٤) ديوانه : ٢ : ٨٤ .

(٥) ديوانه : ١ : ٧٥ . الجثل من الشعر : الكثير . والجون هنا : الأسود ؛ وهو من الأضداد ، يطلق على الأسود والأبيض . وفى حاشية الأصل : « جعل النهار خضابا لأنه شىء قد شاع وتمرن عليه » .

/ إنَّ الزَّمانَ إذَا تتَابَع خَطْوُهُ   سبَقَ الطَّلُوبَ وَأدركَ المَطْلُوبا [٢٠٦ و]

وقال أيضاً :

رَأتْ فَلتَاتِ الشَّيبِ فابتَسَمتْ لها   وَقالتْ : نُجُومٌ لو طَلَعْنَ بأسْعُدِ[1]

أعانِكُ ما كانَ الشَّبابُ مُقرّبى   إليكِ ،فألحَى الشَّيبَ إذ كانَ مُبْعِدِى

وقال أيضاً :

عَنَتْ كَبِدِى قَسْوَةٌ مِنْكَ ماإنْ   تَزَالُ تُجَدِّدُ فيها نُدُوبَا[2]

وحُمِّلْتُ عندكَ[3] ذَنبَ المشيـ   ـبِ حتى كأنى ابْتَدَعْتُ المَشِيبَا

وَمن يطَّلعْ شَرَفَ الأرْبعينَ   يُحَيِّ منَ الشَّيب شخصاً[4] غَرِيبا

قال المرتضى رضى الله عنه : ولى فى هذا المعنى :

قُلْنَ لمّا رَأَيْنَ وخطاً مِن الشَّـ   ـيْبِ برأسِى أعْيا على مَجْهودِى

كَسِنا بارقٍ تعرَّضَ وَهْناً   فى حَواشِى بعضِ اللَّيالى السُّودِ

أبياضٌ مُجدَّدٌ من سَوَادٍ   كانَ قِدْما ! لا مَرْحباً بالجَدِيدِ

يالَحَا كُنَّ من رَما كُنَّ بالحُسْـ   ـنِ لتَقْهَرْننا بغير جُنُودِ

ليسَ بيضى منى فأُجْزَى علَيْهِنَّ   صُدُوداً أو ليسَ فيكنَّ سُودى

قَلَّ ماضَرَّكُنَّ منْ شعرَاتٍ   كُنَّ يوْماً على الوَقارِ شُهُودِى

وقال البحترى أيضاً :

خَلِيَاهُ وَجِدَّةَ اللَّهْوِ مادَا   مَ رِدَاءُ الشَّبابِ غَضًّا جَدِيدَا

---

(١) الشهاب : ١٧ . (٢) ديوانه ١ : ٥١ ، والشهاب : ١٨ عنت:قصدت والندوب : آثار الجراحات . وفى حاشية الأصل : « نسخة ج : ما تزال هو حسن ؛ لتكون عروض البيت محذوفة ؛ والقصيدة بأسرها محذوفة العروض إلا البيت المصرع فى أولها ؛ وإذا روعيت : « ما إن تزال » فالعروض سالمة ، فعولن » .

(٣) حاشية الأصل : « س: روى « حملت عبدك »؛ كأنه تصحيف ، ولكنه حسن » .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « يروى : زورا » . (١) ديوانه ١ : ١٨٢ ، الشهاب : ١٩ .

إنَّ أيَّامَهُ منَ البيضِ بيضٌ   مارأَيْنَ المفارِقَ السُّودَ سُودَا

وقال أيضاً :

تَرَكَ السَّوَادَ لِلاَبِسِيهِ وَبَيَّضَا   وَنَضَا مِنَ السِّتِّينَ عنْهُ ما نَضَا(١)

وَشَآه أَغْيَدُ فى تَصَرُّفِ لَحْظِهِ   مَرَضٌ أعلَّ بهِ القُلُوبَ وَأَمْرَضَا(٢)

وكأَنَّهُ وَجَدَ الصِّبا وَجَدِيدَهُ   دَيْنًا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى

أَسْيَانُ أَثْرَى منْ جَوىً وَصَبابةٍ   وَأَسافَ منْ وصْلِ الحِسَانِ وأنْفَضَا(٣)

وقال أيضاً :

هلْ أَنْتَ صارِفُ شيبةٍ إنْ غَلَّسَتْ   فى الوقتِ أوْ عجِلَتْ عنِ الميعادِ(٤)

جاءَتْ مُقَدَّمَةً أمام طَوَالعٍ   هذِى تُرَاوِحُنى وَتِلْكَ تُغَادِى

وَأَخُو الْغَبِينَةِ تَاجِرٌ فى لِمَّةٍ   يَشْرِى جَدِيدَ بَيَاضِهَا بسوادِ(٥)

لاتَكْذِبَنَّ فما الصبا بمُخلِّفٍ   لهوًا وَلا زَمَنُ الصِّبا بمُعادِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٧٠ ، الشهاب : ١٩ . وفى حاشـية الأصل : « أى خلع إتيان الستين عليه المسرة والنشاط » . (٢) شآه : غلبه ، وفى م : « سباه » . (٣) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف : « أسوان » ، وهو الحزين ، وأساف الرجل : ذهب ماله ، وكذلك أنفض ، والمراد هنا أنه ذهب من يده وصل الحسان وميلهن إليه. (٤) ديوانه ١ : ١٤٤ ، الشهاب ٢٠ — ٢١ .

(٥) قال المرتضى فى الشهاب تعليقاً على هذا البيت : ووجدت الآمدى قد نزل فى معنى قوله :

* يَشْرِى جديدَ بياضِها بسوادِ *

لأنه قال : معنى يشرى يبيع ؛ وأراد : أن الغبين من باع جديد بياضه بالسواد ، وأراد بالسواد الخضاب ؛ فكأنه ذم الخضاب . والأمر بخلاف ماذكره ، وماجرى للخضاب ذكر ، ولاها هنا موضع للكناية عنه ؛ ومعنى : « يشرى » هاهنا يبتاع ؛ لأن قولهم : شريت يستعمل فى البائع والمبتاع جميعا ؛ وهذا من الأضداد ، نص أهل اللغة على هذا فى كتبهم ؛ فكأنه شهد بالغبن لمن يبتاع الشيب بالشباب ويتعوض عنه به ؛ وإنما ذهب على الآمدى أن لفظة « يشرى » تقع على الأمرين المضادين ؛ فتمحل ذكر الخضاب الذى لامعنى له هاهنا » .

وَأرى الشَّبابَ على غضارَةِ حُسْنِهِ … وَكمالِهِ عَدداً مِنَ الأَعْدادِ(١)

/ وقال أيضا : [٢٠٩ ظ]

أَيُثَنّى الشَّبابُ أمْ ما تَوَلّى … منهُ فى الدَّهْرِ دَوْلَةٌ ماتَعُودُ(٢)

لا أرى العَيْشَ وَالمفارِقُ بيضٌ … أُسْوةَ العَيشِ والمفارِقُ سُودُ

وَأعُدُّ الشَّقِىَّ جدًّا وَلوْ أعْ … طِىَ غُنْماً حتى يُقَالَ سَعيدُ

مَنْ عَدَتْهُ العُيُونُ وَانْصَرَفَتْ عنْ … هُ الْتِفاتاً إلى سِوَاه الخدُودُ

وقال أيضا :

قدْكِ مِنى فما جَرَى السُّقْمُ إلاَّ … فى ضُلوعٍ على جوَى الحبِّ تُحْنَى(٣)

لو رأتْ حادِثَ الخِضَابِ لأنَّتْ … وَأرنَّتْ من احمرارِ اليَرَنَّا(٤)

كَلَفُ البِيضِ بالمُعَمَّرِ قدْراً … حين يَكْلَفْنَ وَالمصغَّرِ سِنَّا(٥)

يَتَشاغفْنَ بالغَرِيرِ المُسَمَّى … مِنْ تَصابٍ دُونَ الجَليلِ المكَنّى(٦)

---

(١) قال المرتضى فى الشهاب أيضا : « وقال الآمدى فى قوله : عددا من الأعداد » أنه أراد : عددا قليلا ؛ وقد أصاب فى ذلك ؛ إلا أنه ماذكرشاهده ووجهه ؛ والعرب تقول فى الشىء القليل إنه معدود؛ إذ أرادوا الإخبار عن قلته ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ وقال جل اسمه فى موضع آخر : ﴿ وَاذْكُرُوا اللّهَ فِى أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ وأظنهم ذهبوا فى وصف القليل بأنه معدود من حيث كان العد والحصر لايقع إلا على القليل والكثير ؛ ولكثرته لا ينضبط ولاينحصر ». (٢) ديوانه ١ : ٢٠٨ ، الشهاب : ١٨ ؛ وبرده : جمع برد ؛ وهو كساء مربع مخطط.

(٣) ديوانه ٢ : ٢٩٠ ، الشهاب : ١٩ . (٤) اليرنا ، بضم الياء وفتحها ، مقصورة مشددة النون ، واليرناء ، بالضم والمد : الحناء ؛ ويرنأ صبغ به ، كحنأ ؛ وهو من غريب الأفعال .

(٥) فى حاشية الأصل ف : الكاف : المحبة ؛ وهذا كما قال أبو الشيص :

شيئان لاتصبو النساءُ إليهما … حَلَلُ المشيب وحُلة الإنفاض

(٦) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « الكبير » .

وقال أيضاً :

أخيّ إنّ الصِّبا استمرَّ به ... سيرُ الليالي فأنهجَتْ بُرُدُه(١)
تَصُدُّ عني الحِسانُ مُبْعِدَةً ... إذْ أنا لاقُرْبُه ولا صَدَدُه
شَيبٌ على المفرقين بارِضُهُ ... يَكْثُرُني أن أبينهُ عدَدُه(٢)
تطلُب مني الشَّبابَ ظالمةً ... بُعَيْدَ خمسينَ حينَ لاتجِدُه
لاعجبٌ إنْ مَلِلْتِ خُلّتَنا ... فافْتَقِدَ الوصلَ مِنْك مُفْتَقِدُه
مَن يتطاوَلْ على مُطاوَلةِ الْ ... عيش تُقَعْقِعْ مَنْ مَلّةٍ عَمَدُه

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ورأيت الآمديّ قد أخطأ في معنى البيت الأخير ، لأنه قال: "معنى «تُقَعْقَعْ من مَلّةٍ عَمَدُه» أي عظامُه ، يجيء لها صوت إذا قام وقعد من كِبَرِه وضعْفه" قال: "وقوله : « من ملّة » أي من تملّي العيش ؛ يريد طوله ودوامه ؛ ومنه تملَّيْتَ حبيبك" والأمر بخِلاف ماتوهمه ، ومعنى « تُقَعْقَعْ من مَلّةٍ عَمَدُه » أنّ مَنْ تطاوَل عمرُه تعجَّلَ ترحُّلُه وانتقاله عن الدنيا ؛ وكَنَى عن ذلك / بتقعقع العَمد ؛ وهذا مثلٌ معروف للعرب ، [٢١٠ و] يقولون: « مَنْ يتجمّع يتقَعْقعْ عَمَده » ؛ يريدون أنّ التجمُّع داعي التفرق ؛ وأنّ الاجتماع يعقِب ويورث مايدعو إلى الانتقال الذى يتقعْقع معه العَمَد .

والآمديّ على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقير على علوم العرب إن كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف ، وإن كان قد سمعه وجهل أنّ معنى بيت البحتريّ يطابقه فهو أطرف .

فأما قوله: « من مَلّة » فإنما أراد به من مَلَل ؛ ومَلّة « فَعْلَة» من المَلَل ، وكيف يكون

---

(١) ديوانه : ١ : ١٤٥ ، الشهاب : ٢٠ . (٢) حاشية الأصل : « البارض : النبت أول ما يبدو من البهمى ، وهو شوك . أبينه : أزيله. يكثرنى : يغلبنى بالكثرة » .

من تملِّى العيش، ولم يسمع فى تملَّيت «مَلّةً» ! وهذا خطأ على خطأ(١) .

وقال البحترىّ :

ما كانَ شَوْقى بِبِدْعٍ يومَ ذاكَ ولا ... دَمْعى بأوَّلِ دَمْعٍ فى الهوَى سُفِحا(٢)
ولِمَّةٍ كُنْتُ مَشْغُوفاً بجِدَّتها ... فما عَفا الشَّيْبُ لى عَنْهَا وَلا صفحَا

وقال أيضاً :

وَما أنْسَ لا أنْسَ عهْدَ الشَّبابِ ... وَعَلْوةَ إذْ عيَّرَتنى الكِبَرْ(٣)
كَواكِبُ شَيْبٍ عَلِقْنَ الصِّبا ... فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ ما كَثُرْ
وَإنى وَجَدْتُ وَلاَ تَكْذِبَنَّ ... سَوَادَ الهوَى فى بياض الشَّعَرْ
ولابُدَّ من تَرْكِ إحدى اثنتَيْن إمَّا الشَّبابِ وإما العُمُرْ

قال الآمدى : "وعليه فى قوله :

ولا بدَّ من تَرْكِ إحدى اثنتَيْن إمَّا الشَّبَاب وَإما الْعُمُرْ

معارضة ، وهو أن يقال له : إنَّ مَنْ مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر أيضاً ، فهو تاركٌ لهما معاً ، ومَنْ شاب فارق الشباب ، وهو مفارق للعمر لامحالة؛ فهو أيضاً تاركٌ لهما جميعاً" .

---

(١) وعاد المرتضى فبسط هذا النقد مرة ثانية فى كتابه الشهاب فقال : "وقد نبهنا فى كتاب الغرر على هفوة الآمدى فى قول البحترىّ : « تَقَعْقَعَ مِنْ مَلّةٍ عَمَدُهْ » ؛ لأنه ظن أن معناه أن عظام الكبير المسن يجىء لها صوت إذا قام وقعد ، وتسمع لها قعقعة ؛ وماسمعنا بهذا الذى ظنه فى وصف ذوى الأسنان والكبر؛ والمعنى أظهر من أن يخفى على أحد ؛ لأنه أراد : من عمر وأسن وطاول العيش تعجل رحيله وانتقاله عن الدنيا ؛ وكنى عن ذلك بتقعقع العمد ؛ لأن ذوى الأطناب والخيام إذا انتقلوا من محل إلى غيره وقوضوا عمد خيامهم ، وسارت بها الإبل سمعت لها قعقعة ، ومن أمثال العرب المعروفة : « من يتجمع يتقعقع عمده » ، يريدون أن التجمع يعقب التفرق والرحيل الذى تتقعقع معه العمد . ومعنى قوله : « من ملة » يريد من السأم والملال دون ما ظنه الآمدى من أنه تملى العيش" . (٢) ديوانه ١ : ١١٤ . (٣) ديوانه ١ : ٢١٩ .

وقوله : «إماوإمَّا» لا نوجب إلا إحداهما" قال: " والعذر للبحتريّ أنْ يقال: إنَّ مَنْ مات شاباً فقدفارق الشباب وحدَه لأنَّه لم يعمَّر ، فيكون مفارقا للعمر ألا ترى أنهم يقولون: عُمِّر فلان إذا أسنّ ، وفلان لم يعمَّر إذا مات شابا ، و مَنْ شاب وعُمِّر ثم مات لم يكن مفارقا للشباب فى حال موته؛ لأنه قد قطع أيام الشباب ، وتقدمتْ مفارقتُه له ، وإنما يكون فى حال موته مفارقاً للعمْر وحده،فإلى هذا ذهب البحتريّ، وهو صحيح / ولم يُرِدْ بالعمر المدَّة القصيرة [٢١٠ ظ]
التى يعمَّرُها الإنسان ، وإنما أراد بالعمر هاهنا الكِبَرَ ، كما قال زهير :

رأيْتُ المنَايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ ، وَمَنْ تخطئْ يُعمَّرْ فَيَهْرَمِ (١)

قال رضى الله عنه : وما رأيت أشدّ تهافتاً فى الخطأ منه فيما يفسِّرُه ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ! ومعنى البيت غيرُ ما توهّمه ؛ وهو أظهر من أن يخفى ؛ حتى يحتاج فيه إلى هذا التَّغلغل والتعسّف ؛ وإنما أراد البحتريّ أن الإنسان بين حالَيْن: إما أن يفارق الشباب بالشَّيب، أوالعمر بالموت ؛ فمن مات شاباً ــ وإن كان قد خرج من العمر، وخرج بخروجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما ــ فإنه لم يفارق الشباب وحدَه ؛ وإنما فارق العمرالذى فارق بمفارقته الشباب وغيره . وقِسْمَة الرجل تناولت أحد الأمرَين : إمَّا مفارقة الشباب وحدَه بلاواسطة ــ ولَنْ يكون ذلك إلاَّ بالشَّيب ــ أو مفارقة العمر بالموت. وتلخيص كلامه: أنه لا بدّ للحى من شيب أو موت ، فكأن الشيب والموت متعاقبان ؛ والبحتريّ إنما جعل قوله : «العمر» مقام الحياة والبقاء ، وإنما قال: «العمر» لأجل القافية؛ مع أنه مُنْبِئ عن مراده ؛ ولو أنّه قال: ولابدَّ من ترك الحياة أو ترك الشباب لقامَ مقام قوله: «العُمُر» .

* * *

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنى علىّ بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال : مِن معانى ابن الرومىّ التى فتقهَا قولُه يذمُّ مَن جعل مصيبةَ غيره مُنْسِية له مصيبتَه ، وعاب

---

(١) من المعلقة ، ديوانه : ٢٩ ؛ خبط عشواء ؛ أى تسير على غير قصد ؛ يقال : عشا يعشو عشا إذا أصابه العشا؛ وهو السير على غير بصر .

مَنْ تعلّل بالتأسِّى بما نال غيره، وهو يرثى شبابه ، وأحسن :

يا شَبابى وأيْنَ منِّى شَبابى !　　آذَنَتْنى أيّامهُ بانقِضابِ(١)

لَهْفَ نفسِى على نعِيمى وَلَهْوِى !　　تحْتَ أفنانه اللِّدانِ الرِّطابِ

ومُعزٍّ عن الشبابِ مُؤَسٍّ　　بمَشِيب اللِّدات والأَصحاب

قُلْتُ لمَّا انتَحى يَعُدُّ أَساه(٢)　　من مصابٍ شَبابه كمُصابِ

ليسَ تأسُو كُلومُ غيرِى كلومِى　　مابهِ مابهِ ، ومابِىَ مابِى

ولابن الرومىّ :

[٢١١] و / لَهفِى على الدُّنيا وَهلْ لَهْفَةٌ　　تنْصِفُ منها إن تلَهَّفْتُها!(٣)

قُبحاً لهـا قُبحاً على أنها　　أقْبَحُ شىء حِينَ كَشَّفْتُهَا

وَقَدْ يعزِّينى شَبابٌ مَضَى　　ومدّةٌ للعَيشِ أسْلَفْتُها

فَكَّرتُ فى خَمْسِينَ عاماً مَضَتْ　　كانتْ أمامِى ثم خلّفْتُها

أُجْهِلْتُها إذْ هى موفُورَةٌ　　ثم مَضَتْ عنِّى فَعُرِّفْتُها

فَفرْحَةُ المَوْهوبِ أُعْدِمْتُها　　وَترْحَةُ المَسْلُوبِ أُلْحِفْتُها

لو أَنَّ عمْرِى مائةٌ هَدَّنى　　تذَكُّرِى أنِّى تَنَصَّفْتُها

وله فى هذا المعنى ، وقد تقدمت هذه الأبيات فى الأمالى السالفة ، وقد أَحسن فى معناها كلَّ الإحسان :

كفَى بسَراجِ الشَّيبِ فى الرأس هادِيا　　إلى مَنْ أضلَّتْهُ المنايا لَيالِيا(٤)

أمِنْ بعدِ إبْداءِ المَشيبِ مقاتِلى　　لِرامِى المَنايا تَحْسبِينىَ ناجيا !

غدَا الدَّهْرُ يَرْمِينِى فتَدْنو سِهامُهُ　　لِشَخْصِىَ أخْلِقْ أنْ يُصِبْنَ سَوَادِيا

وكانَ كَرامِى اللَّيْلِ يَرْمِى وَلا يَرَى　　فلمَّا أضاءَ الشَّيبُ شَخصِىَ رَمانِيا

(١) ديوانه، الورقة ٤٢　(٢) أساة : جمع أسوة ؛ وهو القدوة .　(٣) ديوانه ،الورقة ٤٤

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « لمن قد أضلته » .

مجلس آخر [٤٧]

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٢٨] .

فقال : كيف جاءت ﴿ أَوْ ﴾ بعد مالا يجوز أن يعطَف عليه ؟ وما الناصب لقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ وليس فى الكلام مايقتضى نصبَه ؟

الجواب ، قلنا : قد ذكر فى ذلك وجوه :

أوّلها أن يكون قوله : ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ معطوفاً على قوله : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا ﴾ والمعنى أنه تعالى عجَّل لكم هذا النصر ، ومَنَحكم به ليقطع طرَفاً من الذين كفروا ، أى قِطْعَةً منهم ، وطائفة من جمعهم أو يكبتهم ؛ أى يغلبهم ويهزمهم بكم فيخيِّب سعيَهم ، ويُكَذِّبَ فيكم ظنونَهم ، أو يعظهم مايرون مِنْ تظاهر آيات الله تعالى ، الموجبة لتصديق [٢١١ ظ] / نبيه صلى الله عليه وآله ، فيتوبوا ويؤمنوا ، فيقبَلُ الله تعالى ذلك منهم ، ويتوب عليهم ، أو يكفروا بعدقيام الحجج ، وتأكيدالبينات والدلائل ، فيموتواأَوْ يُقْتَلُوا كافرين ؛ فيعذبهم اللهباستحقاقهم فى النار ؛ ويكون على هذا الجواب قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ معطوفا على قوله تعالى : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ ؛ أى ليس لك ولا لغيرك مِنْ هذا النَّصْر شىء ؛ وإنما هو من الله تعالى .

والجواب الثانى أن يكون ﴿ أَوْ ﴾ بمعنى «حتى» ، أو «إلاّ أنّ» ؛ والتقدير: ليس لك من الأمر شىء حتى يتوب عليهم ؛ أو إلا أن يتوب عليهم ، كما قال امرؤ القيس :

بكى صاحِبى لَمَّا رأى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيْقَنَ أنا لاحِقانِ بقَيصَرا(١)
فقُلْتُ لهُ : لاتبْكِ عينك إنَّما نُحاوِلُ مُلْكاً ، أوْ نَمُوتَ فنعذَرَا

أراد : إلاّ أن نموت

وهذا الجواب يضعَّف من طريق المعنى ؛ لأن لقائل أن يقول : إنّ أمْر الخلق ليس إلى أحدٍ سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم بعد ذلك ؛ فكيف يصحُّ أن يقول : ليس لك من الأمر شيء إلاّ أن يتوب عليهم أو يعذبهم ؛ حتى كأنه إذا كان أحد الأمرين كان إليه من الأمر شيء !

ويمكن أن ينصر ذلك بأن يقال : قد يصحُّ الكلام إذا حُمِل على المعنى ؛ وذلك أن قوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ معناه: ليس يقع ماتريده وتؤثره من إيمانهم وتوبتهم ، أو ماتريده من استئصالِهم وعذابهم ، على اختلاف الرواية فى معنى الآية وسبب نزولها؛ إلاّ بأنْ يلطُف الله لهم فى التوبة فيتوبَ عليهم أو يعذبهم ؛ وتقدير الكلام : ليس ماتريده من توبتهم أو عذابهم بك ، وإنما يكون ذلك بالله تعالى .

والجواب الثالث أن يكون المعنى : ليس لك من الأمر شيء أو مِنْ أن يتوب الله عليهم؛ فأضمر «من» اكتفاءً بالأولى ، وأضمر «أن» بعدها لدلالة الكلام عليها واقتضائه لها ، وهى مع الفعل الذى بعدها بمنزلة المصْدر ؛ وتقدير الكلام : ليس لك من الأمر شيء ومِنْ توبتهم وعذابهم .

ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنبارىّ يطعن على هذا الجواب ويستبعده ، قال : لأنّ الفعل لايكون محمولا على إعراب الاسم الجامد ، الذى لاتصرُّفَ له على إضمار « أن » مع الفعل / [٢١٢ و] لأنه ليس من كلام العرب: «عجبت من أخيك ويقوم» ، على معنى: «عجبت من أخيك ومن

---

(١) ديوانه : ١٠٠ . الدرب : باب السكة الواسع ؛ وهو هنا كل مدخل إلى الروم فهو درب ؛ وصاحبه عمرو بن قميئة الشاعر ؛ وكان رفيق امرئ القيس فى رحلته .

أن يقوم» ، لأنّ أخاك اسمٌ جامد محْض، لايعطف عليه إلاّ ماشا كله. وقال : وهذا إذاً يستقيم ويصلح فى ردّ الفعل على المصدر ، كقولهم : «كرهت غضَبَك وأنْ يُغضبَ أبوك »؛ على معنى: «كرهت غضَبَك وأن يغضب أبوك»، فيطرد هذا فى المصادر ، لأنّها تتأوّل بـ«أنْ» فيقول النحويون: «يعجبنى قيامك» ، وتأويله: «يعجبنى أن تقوم»، قال : والاسم الجامد لايمكن مثل هذا فيه .

وليس الذى ذكره ابن الأنبارىّ مستبعَداً، وإن لم يضعُف هذا الجواب إلاّ من حيث ذكر فليس بضعيف؛ وذلك أن فيما امتنع منه مثل الذى أجازه؛ لأنه قد أجاز ذلك فى المصادر، وإنْ لم يجزه فى غيرها.

وقوله تعالى: ﴿ لَيسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ فيه دلالة الفعل ، لأنّ «الأمر» مصدر أمرت أمراً؛ فكأنه تعالى قال : ليس لك مِن أنْ آمُرَهُم أو تأمرهم شىء ، ولا من أن يتوبوا، وجرى ذلك مجرى قولهم : «كرهت غضبك ويغضب أبوك» ، فى رد الفعل على المصدر ؛ والوجه الأول أقوى الوجوه ؛ والله أعلم بمراده .

تأويل خبر

إن سأل سائل عن الخبر الذى يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : «لاتناجَشُوا ولا تَدَابروا ، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ دمه وعِرْضُه » .

الجواب ، قيل له : أما النَّجْشُ فهو المدح والإطراء ، قال نابغة بنى شيبان يذكر الخمر :

وَتُرَخِّى بالَ مَنْ يَشْرَبُها ويُفَدَّى كَرْمُها عِنْدَ النَّجَشْ[(١)]

أى عند مدحها ، ومنه النَّجْشُ فى البيع ؛ وهو مدح السلعة والزيادة فى ثمنها من غير إرادة لشرائها؛ بل ليقتدى بالزائد فى زيادته غيره ؛ وأصل النجْش استخراج الشىء والتنقيرُ عنه، قال بعض الفقْعَسِيين :

---

(١) ديوانه : ٨٦ .

أَجْرِسْ لها يابْنَ أبى كِباشِ⁽¹⁾   فمَـا لها الليلَةَ من إنْفَاشِ⁽²⁾
غيرَ السُّرَى وسائِقٍ نجّاشِ   أسمَرَ مثل الحَيَّة الخَشْخاشِ

والنّجاش : هو المستثير لسيرها ، والمستخرج لما عندها منه ، ومعنى : أجْرِسْ لها ، أى أُحْدُ لها لتسمع / الحداء فتسير ، وهو مأخـــوذ من الجرْس وهو الصوت ؛ ومعنى : [٢١٢ و] الإنفاش، أرادأنها لا تُترك ترعى ليلا، والنفش أن ترْعى الإبل ليلا، وقدأنفشتُها إذا أرسلتها بالليل ترعى .

والخشخاش : الخفيف الحركة السريع التقلّب .

والنجْش فى البيوع يرجع معناه إلى هذا أيضاً؛ لأن الناجش يستثير بزيادته فى الثمن ، ومدحه السلعةَ الزيادة فى ثمنها ؛ فيكون معنى الخبر على هـذا : لا تناجشوا ، أى لا يمدح أحدكم السلعة فيزيد فى ثمنها ، وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيده .

وقد يجوز أيضاً أن يريد بذلك : لا يمدح أحدُكم صاحبه من غـير استحقاق ليستدعىَ منفعته، ويستثيرفائدته؛ وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه السلام، لأن قوله: «ولا تدابروا» أشدُّ مطابقة له.

ومعنى : « لا تدابروا » أى لا تهاجروا ويولّى كلٌّ واحـد صاحبه دُبُرَ وجهه ، قال الشاعر :

وأَوْصى أبو قَيْسٍ بأن تَتَوَاصلُوا   وَأَوْصى أبوكُمْ،وَيْحَـكُم!أن تدابرُوا⁽³⁾

فـكأنه قال عليه السلام: لا تمادحوا وتتواصلوا بالمدْح الذى ليس بمستحق، ولا تهاجروا وتتقاطعوا .

---

(١) اللسان (جرس) ؛ وفى حاشية الأصل : «صوت الجرس ؛ وروى ابن السكيت : «أجرش» ، وأنكروا عليه : أجرشت الشىء إذا لم تنعم دقه » .

(٢) حاشية الأصل : « نفشت الإبل : تفرقت فى المرعى ، وأنفشتها أنا ، أى ليس لها الليلة استراحة » .

(٣) اللسان (دبر) ، من غير نسبة .

فأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « كلُّ المسلم على المسلم حرام دمُه وعرضه »، فقد ذهب قوم إلى أنَّ عِرْض الرجل إنما هو سلَفه من آبائه وأمهاته ؛ ومَن جرى مجراهم .

وذهب ابن قُتيبة إلى أن عِرْض الرجل نفسُه ، واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وآله حين ذكر أهل الجنة فقال : «لا يبولون ولا يتغوّطون ؛ إنما هو عرَقٌ يجرى من أعراضهم مثل المسك »؛ أى من أبدانهم ؛ قال : ومنه قول أبى الدرداء: «أقرِضْ من عِرْضك ليوم فقرك» أراد مَنْ شتمك فلا تشتمه ، ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ، ودعْ ذلك قرضاً عليه ليوم الجزاء والقصاص .

واحتج أيضاً بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: « أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضَمْضَم ! كان إذا خرج من منزله قال : اللَّهُمَّ إنى قد تصدَّقت بعِرْضى على عبادك»؛ قال: فمعناه قد تصدّقت بنفسى وأحللت مَن يغتابنى ، فلو كان العِرْض الأسلاف ما جاز أن يُحِلّ مَنْ سبَّ الموتى؛ لأن ذلك إليهم لا إليه.

[٢١٣ و] قال : ويدلّ على ذلك أيضاً حديثُ سفيان بن عيينة: «لو أن رجلا أصاب / من عِرْض رجل شتماً ثم تورَّع من بَعْدُ ؛ فجاء إلى ورثته بعد موته فأحلّوه له ، ولم يكن ذلك كفارةً له، ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه إلى ورثته ؛ لكنّا نرَى أن ذلك كفارة له »

قال : ويدلّ على أن عِرْض الرجل نفسه قول حسان :

هَجَوْتَ محمَّدًا فأجَبْتُ عنهُ ... وعندَ اللهِ فى ذاكَ الجزَاءُ[1]
فإنَّ أبى ووَالدَه وعِرْضِى ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ منكمْ وِقاءُ

(١) ديوانه : ٩ ؛ يخاطب أباسفيان بن الحارث بن عبد المطلب ويهجوه ؛ وقبله :

ألا أبلِغْ أبا سفيانَ عَنِّى ... فأنتَ مجوّفٌ نَخَبٌ هواءُ
بأن سيوفَنا تركتك عبداً ... وعَبْدُ الدار سادتها الإماءُ

والأبيات فى الاقتضاب : ٣٠٠ ؛ ونقل عن محمد بن الحسن بن دريد بسنده : ,, أنشد النبى صلى الله عليه وسلم قصيدته التى أولها :

عَفَت ذاتُ الأصابع فالجِواءُ ... إلى عذراء منزلُها خلاءُ
=

أراد : فإنّ أبى وجدّى ونفسى وقاء لنفس محمد، صلى الله عليه وآله .

وقال آخرون ـ وهو الصحيح : العِرْض موضع المدح والذّم من الإنسان ، فإذا قيل: ذَكَرَ عِرْض فلان ، فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ، ويُمْدح أو يذم به ، وقد يدخل فى ذلك ذكر الرجُل نفسَه ، وذكر آبائه وأسلافه ؛ لأن كل ذلك مما يمدح به ويذم ؛ والذى يدل على هذا أن أهـلَ اللغة لا يفرّقون فى قولهم : «شتَمَ فلان عِرْض فلان» بين أن يكون ذَكَره فى نفسه بقبيح الأفعال، أو شتم سلَفه وآباءه ؛ ويدلّ عليه قول مسكين الدارمىّ :

رُبَّ مَهزولٍ سَمينٍ عِرْضُهُ وسَمينِ الجِسْمِ مَهْزُولِ الحَسَبْ(١)

فلو كان العرض نفسَ الإنسان لـكان الـكلام متناقضاً ؛ لأن السِّمَن والهُزَال يرْجِعان إلى شىء واحد ؛ وإنما أراد : رُبَّ مهزول كريمة أفعاله ، أو كريم آباؤه وأسلافه ؛ وقد قال ابن عبدل الأسدىّ(٢):

= حتى انتهى إلى قوله :

هجوتَ محمداً وأجبْتُ عنه وعند الله فى ذاك الجزاءُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جزاؤك على الله الجنة ياحسان ؛ فلما انتهى إلى قوله :

فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى لعِرْضِ محمدٍ منكمْ وقاءُ

قال رسول الله صلى الله عليه : وقاك الله ياحسان النار ؛ فلما قال :

أتَهْجوه ولستَ له بِندٍّ فشرُّكما لخيركما الفِدَاءُ

فقال من حضر : هذا أنصف بيت قالته العرب".

(١) بعده :

كسبَتْه الوَرِقُ البيضُ أباً ولقد كانَ وما يُدْعَى لأبْ

وانظر الأغانى ١٨ : ٧٠ ، وأمالى القالى ١ : ١١٨ ، واللآلى : ٣٥٢ .

(٢) من مقطوعة فى أمالى القالى ٢ : ٢٦١ ، عدد أبياتها أربعة عشر بيتا؛ ومنها فى حماسة أبى تمام ـ بشرح المرزوقى ١١٦٣ ـ ١١٦٤ ستة أبيات ؛ وذكر القالى من خبر هذه الأبيات أنه "اجتمع الشعراء بباب الحجاج ؛ وفيهم الحكم بن عبدل الأسدىّ فقالوا : أصلح الله الأمير ! إنما شعر هذا فى الفأر وما أشبهه، قال : ما يقول هؤلاء يابن عبدل ؟ قال : اسمع أيها الأمير ، قال : هات، فأنشده الأبيات ؛ حتى انتهى إلى قوله :

ولستُ بذى وجهيْن فيمنْ عرفتُه ولا البخلُ فاعْلَمْ من سمائى ولا أرضى

وإنّى لاسْتَغْـنِى فمـا أبطَرُ الغِنى ، وأبذُلُ مَيْسُورى لمن يَبْتَغِى قَرضى (١)
وأعسِرُ أحْياناً فتَشْتَدُّ عُسْرَتى وأدْرِكُ مَيْسورَ الغِـنَى ومعى عِرْضى

ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه .

قال سيدنا أدام الله تأييده: وجدت أبا بكر بن الأنبارىّ قد ردّ على ابن قتيبة قولَه هذا وطعن على ما احتج به ، فقال فى الحديث المروىّ عنه عليه السلام فى وصف أهل الجنة : إن المرادبالأعراض مَغابِن (٢) الجَسَد .

وحكى عن الأموىّ أنه قال : الأعراض المغابِن التى تعرَق من الجسد ؛ نحو الإبطين
[٢١٣ ظ] وغيرهما، وقال فى حديث أبى الدرداء : معناه : مَن عابك / ، وذكر أسلافكَ ، فلا تجازِه؛ ليكون الله تعالى هو المثيب لك .

وقال فى قول أبى ضَمْضَم: معناه أنه أحلّ من أوصل إليه أذًى بذكره وذكر آبائه فلم يُحلّ إلا من أمْرٍ إليه .

وقال فى قول حسان : المراد بعِرضه أيضاً أسلافه ؛ كأنه قال : إن أبى ووالده وجميع أسلافى الذين أُمْدَح وأُذَمُّ من جهتهم وقاءٌ له عليه السلام ، فأتى بالعموم بعـد الخصوص؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ ؛ [الحجر : ٨٧]، فأتى بالعموم بعد الخصوص ؛ ولم أجده ذكر فى خبر سفيان بن عيينة شيئاً ؛ وتأويله يقرب مِن تأويل خبرأبى ضَمْضَم ، لأنَّ من آذى رجلا بسبِّه فى نفسه ، أوسبِّ سلفَه وأدخل عليه بذلك وضعا ونقصا لم يكن إلى ورثته بعـد موته الإحلالُ من ذلك ، لأن الأذى لم يدخـل عليهم، ولو كان داخلا عليهم أيضا مع دخوله على المسبوب لـكان إحلالُهم مما يرجع إلى غيرهم لايصحّ ؛ على أن فى الإحلال من الضرر وسقوط العوَض المستحق عليه ، وهل يسقط بإسقاط مستحقه أم لا ؟ فيه كلام ليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه فى مواضع .

= فلما سمع الحجاج هذا البيت فضله على الشعراء بجائزة ألف درهم فى كل مرة يعطيهم" .

(١) أبطر الغنى ، أى أبطر فى الغنى حتى أذهب عن سنن الشكر . وأعرض ميسورى ؛ يريد يسرى ؛ وضع اسم المفعول موضع المصدر .   (٢) المغابن : معاطف الجلد ؛ جمع مغبن .

وبعد، فلو سلِّم لابن قتيبة أنَّ المراد بالعِرْض فى كلِّ المواضع التى ذكرناها النفس دون السّلف ، أو سُلِّم له ذلك فى بيت حسان خاصة ؛ فإنه أقرب إلى أن يكونَ المراد به ما ذكره لم يقدحْ فيما ذكرناه؛ لأنا لم نقل : إن العِرْضَ مقصور على سلَف الإنسان ، بل ذكرنا أنه موضع الذم والمدح من الإنسان ، ولا فرق بين سلَفه ونفسه ؛ فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعِرض فيه النفس طعناً علينا، وإنما ينفع ابن قتيبة أن يأتى بما يدلُّ على أن العِرْض لا يستعمل إلاَّ فى النفس دون السَّلَف، وكل شىء فيما المراد بالعِرض فيه النفس ، أو المراد به السلَف فهو مؤكِّد لقولنا فى أنّ هذه اللفظة مستعملة فى موضع الذمّ والمدح من الإنسان؛ وإنما يكون مااستشهدنا به ، وما جرى مَجراه؛ مما يدلّ على استعمال لفظة «العِرض» فى السَّلف حجة على ابن قتيبة ؛ لأنه قصَرَ معناها على النفس والذات، دون السلف ؛ وهذا واضح بَيِّنٌ بحمد الله .

* * *

أخبرنا أبو عبيدالله محمدبن عمران المرزبانىّ قال حدثنا محمدبن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال: كان أبو عبيدة/ مَعْمَر بن المثنىَّ صُفْرِيا(١)، وكان يكتم ذلك ؛ فأنشدنى لعمران بن حِطّان(٢): [٢١٤ و]

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الصفرية : جنس من الخوارج ، سموا بذلك لاصفرار وجوههم ؛ وقيل: نسبوا إلى رجل اسمه صفار » .

(٢) هو أبو سماك عمران بن حطان بن ذبيان السدوسى ؛ رأس القعدة من الصفرية ، وخطيبهم وشاعرهم ، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم ، ثم لحق بالشراة ، فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام ، فطلبه عبد الملك بن مروان ففر إلى عمان ، ولما طال عمره قعد عن الحرب ، واكتفى بالتحريض والدعوة بشعره ؛ وتوفى سنة ٨٤ . وهذه الأبيات يقولها فى رثاء أبى بلال مرداس بن أدية ؛ وكان قد قتل فى إمارة عبيدالله بن زياد، سنة ٦١ ؛ وهى برواية أبى العباس المبرد:

يا عَيْنُ بكِّى لمرداسٍ ومصرعِه ... يا ربَّ مرداسٍ اجعلنى كمرداسِ
تركتنى هائماً أبكى لمرزأتِى ... فى منزلٍ مُوحِشٍ من بعد إيناسِ
أنكرتُ بعدكَ ما قد كنتُ أعرفُه، ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناسِ
إمّا شَربْت بكأسٍ دار أوَّلُها ... على القرونِ فذاقوا جرعة الكاس
فكلَّ مَنْ لم يذقها شاربٌ عجِلاً ... منها بأنفاس وردٍ بعد أنفاسِ

وانظر الإصابة ٥ : ٨١ ، والكامل — بشرح المرصفى ٧ : ٨٣ .

أنْـكَرتُ بعدكَ مَنْ قد كُنْتُ أعْرِفهُ، ما الناسُ بعدكَ يا مِرْدَاسُ بالناس
إمَّا تـكُنْ ذُقْتَ كأساً دارَ أوَّلُها على القُرُونِ فذَاقُوا نَهْلَةَ الـكاسِ
قدْ كُنتُ أبْـكيكَ حِيناً ثمّ قد يَئِستْ نَفْسِى فمـا ردَّ عَنِّى عَبْرَتِى ياسِى

***

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال أخبرنا ابن دريد قال حـدثنا الأشنانداني قال قال التوَّزِىّ : كنت إذا أردت أن أنشط أبا عُبيدة سألته عن أخبار الخوارج فأبعَجُ منـه ثَبَجَ بَحْرٍ ؛ فجئته يوماً وهو مُطْرِقٌ ينـكُتُ الأرض فى صحن المسجد ؛ وقد قربت منه الشمس، فسلمت عليه فلم يَرْدُدْ(١) ، فتمثلت :

وَما للْمَرْءِ خَيْرٌ فى حياةٍ إذَا ماعُدَّ مِنْ سَقَطِ المتَاعِ

ـ والبيت لقَطرىّ بن الفجاءة ـ فنظر إلىَّ وقال : ويحك ! أتدرى مَنْ يقوله ؟ قلت : قَطَرِىّ، فقال : اسكت ، رَضّ(٢) الله فاكَ ! فألاّ قلت : أمير المؤمنين أبو نعامة(٣) ! ثم انتبه فقال : اكتمها علىَّ ياتوَّزىّ ، فقلت : هى ابنةُ الأرض ، فأنشدنى :

أقُولُ(٤) لهـا إذا جاشَتْ حَياءً مِنَ الأَبْطَالِ وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِى(٥)
فإنَّكِ لو طَلَبْتِ حياةَ يومٍ على الأجَلِ الَّذِى لكِ لَمْ تُطَاعِى(٦)
فَصَبْراً فى مجَالِ المَوْتِ صَبْراً فمَا نَيْلُ الخلودِ بِمُسْتَطاعِ

---

(١) د ؛ ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف ، : « فلم يرد » (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « فض الله فاك » . (٣) هى كنية قطرى بن الفجاءة بن مازن الخارجى ؛ كان زعيما من زعماء الخوارج ؛ خرج زمن مصعب بن الزبير سنة ٦٦ ، وبقى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ؛ وكان الحجاج يسير إليه جيشا ، وهو يستظهر عليه ، إلى أن توجه إليه سفيان بن أبرد الـكلبى ، فظهر عليه وقتله سنه ٧٨ ، (ابن خلـكان ١ : ٤٣٠) . (٤) الأبيات فى الحماسة ـ بشرح التبريزى ١ : ٩٦ـ٩٧ .

(٥) د ، ومن نسخة بحاشية الأصـل : « وقد جاشت » . وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « وقد طارت حياء » ، ورواية الحماسة : « وقد طارت شعاعا » ؛ الشعاع : المتفرق ، والخطاب لنفسه ؛ ولن تراعى ، من الروع ، وهو الفزع . (٦) الحماسة : « بقاء يوم ».

وَما طُولُ الحَياةِ بِثَوْبِ مَجْدٍ   فَيُطْوَى عَنْ أَخِى الخَنَعِ اليَرَاعِ (١)
سَبِيلُ المَوْتِ مَنْهَجُ كلِّ حَىٍّ   وَدَاعِيهِ لأَهْلِ الأَرْضِ دَاعِ (٢)
وَمَنْ لا يُعْتَبَطْ يَسْأَمْ وَيَهْرَمْ   وَتُفْضِ بِهِ المَنُونُ إلى انْقِطَاعِ (٣)
وَما لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فى حَيَاةٍ   إذَا ماعُدَّ مِنْ سَقَطِ المَتَاعِ

فكتبتها وقمت لأنصرف ؛ فقال : اقعُد، ثم أنشدنى :

إلى كم تعاريني السُّيُوفُ ولا أرَى   مُغاراتَها تدعُو إلىَّ حِمامِيا (٤)
أُقارِعُ عنْ دَارِ الخلودِ ولا أرَى   بَقَاءً على حالٍ لمـا ليْسَ باقِيَا
/ وَلو قرَّبَ المَوْتَ القِراعُ لقَدْ أَنَى   لِمَوْتِىَ أنْ يَدْنُو لِطُولِ قِرَاعِيا [٢١٤ ظ]
أُغادِى جِلَادَ العالمين كأنَّنى (٥)   على العَسَلِ المَاذِىِّ أُصْبِحُ غادِيا (٦)

---

(١) الحماسة : « بثوب عز » . الخنع : الجبن ، واليراع : الجبان الضعيف .

(٢) حاشية ف (من نسخة) : « غاية كل حى » ، وهى رواية الحماسة .

(٣) ف :

* وَيُفْضِ به البَقَاءُ إلَى انقطاعِ *

ورواية الحماسة :

* وَتُسْلِمُهُ المَنُونُ إلى انقِطَاعِ *

والاعتباط : أن الحى يموت من غير علة ؛ أى من لم يمت شابا مات هرما

(٤) د ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تعاريني » ، وفى حاشية الأصل ، ف : « المعاراة » بالعين المهملة : من العرى ، أى تلقانى السيوف عارية ، وبالغين المعجمة : من غرى به إذا أولع ، والمغاراة أيضا : المتابعة بين الشيئين ، يقال غاريت بين الشيئين ، إذا واليت بينهما » . وفى م : « تغازينى » ، تحريف .

(٥) د ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « المعلمين » ، بكسر اللام ، والمعلم : الفارس الذى علم مكانه فى ساحة الحرب بعلامة أعلمها ؛ ومنه قول الشاعر :

فتعرَّفونى أننى أنـا ذاكُمُ   شاكٍ سلاحى فى الحوادث معلِمِ

وقول الأخطل :

مازال فينا رباط الخيل معلِمةً   وفى كليبٍ رباط اللؤم والعارِ

(٦) الماذىّ : العسل الأبيض .

وأدْعُو الكُماةَ للنِّزَالِ إذا القنا ... تحطَّمَ فيما بَيْنَنا مِنْ طِعانِيا
وَلسْتُ أرَى نفْسًا تَمُوتُ وإنْ دَنَتْ ... منَ المَوْتِ حتى يَبْعَثَ اللهُ داعِيا[1]

فقال ابن دُريد : وهذا الشعر أيضاً لقطرىّ بن الفُجاءة .

***

أخبرنا أبوالحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبوحاتم قال : جئتُ[2] أبا عبيدة يوماً ، ومعى شعر عُرْوة بن الورد ، فقال . فارغٌ حَمَلَ شعر فقير ليقرأه على فَقير ، فقلت : مامعى غيرُه ، فأنشِدْنى أنت ماشئت ، فأنشَدَنى :

يارُبَّ ظِلِّ حمارٍ قَدْ وقَيْتُ بهِ ... مُهْرِى منَ الشَّمْسِ ، والأَبْطالُ تَجْتَلِدُ[3]
وَرُبَّ يَوْمٍ حِمًى أرْعيتُ عَقْوتَهُ ... خيلى اقْتِسارًا ، وَأَطْرَافُ القَنَا قِصَدُ[4]
وَيَوْمَ لَهْوٍ لأَهْلِ الخَفْضِ ظلَّ بهِ ... لَهْوِى اصْطلاءَ الوَغا ونارُهُ تَقِدُ[5]
مُشَهِّرًا مَوْقِفى والحَرْبُ كاشفَةٌ ... عنْها القِناعَ وَبَحْرُ المَوْتِ يَطَّرِدُ
وَرُبَّ هاجِرَةٍ تَغْلِى مَرَاجِلُها ... نحرتُها بمَطَايا غارَةٍ تَخِدُ[6]
تجْتابُ أوْدِيَةَ الأَفْزاعِ آمِنَةً ... كأنَّها أُسُدٌ يَقْتادُها أَسَدُ[7]
فإنْ أَمُتْ حَتْفَ نَفْسِى لا أمُتْ كَمَدًا ... على الطِّعَانِ وَقَصْرُ العَاجِزِ الكَمَدُ
وَلم أقُلْ لَمْ أُساقِ القَتْلَ شاربَهُ[8] ... فى كأْسِهِ والمَنايا تُرَّعٌ وُرُدُ

ثم قال له : هذا الشعر ! ؛ لا ماتعلِّلُون به نفوسَكم من أشعار المخنَّثين . والشعر لِقَطرىّ .

***

(١) حاشية الأصل : « أى ملكا يقبض روحه ويدعوه » .
(٢) الخبر والأبيات فى أمالى القالى ١ : ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ، وزهر الآداب ـ طبعة الحلبى ١٠٢٧ ـ ١٠٢٨ . (٣) د : « ظل عقاب » وفى حاشية الأصل : « روى ظل عقاب ، يريد بها الراية » .
(٤) العقوة : الساحة ، والقصد : القطع ؛ واحده قصدة . (٥) د ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « إذ ناره » . (٦) د : « نحرتها » . وتخد : تسرع . (٧) الأفزاع : المخاوف ، وفى زهر الآداب : « يصطادها » . (٨) حاشية الأصل (من نسخة) : « ساقيه » .

أخبرنا على بن محمد الكاتب قال قال أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم قال : كان أبو عبيدة يأنس إلىّ فى أول مااختلفتُ إليه ، لأنه كان يظنّنِى على رأْيِهمْ ويسألنى عن خوارج سِجِسْتان ـ لأنه كان يظنّنى على رأيهم ـ وكنت أوهمه أنى على رأيهم، فنالتنى منه لذلك عناية خاصة ، فكان كثيرا ما يُنشدنى أشعارهم ، ثم يتمثل :

أولئكَ قومٌ إنْ بَنَوْا أحسنو البُنَى وإن عاهدوا أوفَوْا ، وإن عَقَدُوا شَدُّوا[(١)]

/ قال : وأنشدنى يوما لرجل من طيئ من الخوارج : [٢١٥]

لا كابن ملحانَ من شارٍ أخى ثقةٍ أو كابن علقمةَ المستشهد الشارى[(٢)] و

من صادقٍ كنتُ أصفيه مُخالَصَتى فباعَ دارى بأعلى صفقة الدار[(٣)]

إخوان صدقٍ أرجِّيهم وأحذرُهمْ أشكو إلى الله إخوانى وإحذارى

فصرتُ صاحبَ دنيا لستُ أملكُها وصار صاحبَ جناتٍ وأنهارِ

تم القسم الأول من كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى ، ويليه القسم الثانى إن شاء الله تعالى ، وأوله : تأويل آية ؛ إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ . . . ﴾

---

(١) البيت للحطيئة، ديوانه : ٢٠ . (٢) الشارى : واحد الشراة؛ والخوارج تسمى نفسها بذلك؛ كأنهم شروا أنفسهم لله؛ أى باعوها ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ أى يبيعها . وقال قطرى فى هذا المعنى :

رَأَتْ فِئَةً باعُوا الإلَهَ نفوسهم بجنّاتِ عَدْنٍ عِنْدَه ونَعِيم

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « دارى ، يعنى الدنيا التى كانت داره ؛ وهو فى قيد الحياة ؛ يعنى أنه باعها بصفقة رابحة ؛ أراد أنه استشهد وقتل ، فباع داره بدار فى الجنة » .

مكتبة الدكتور مروان العطية

فهرس الموضوعات

المجلس الأول

تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] ٢ ـ ٥

تأويل الحديث: «من تعلّم القرآن ثم نسِيه لقىَ الله وهو أجْذم» ٥ ـ ٩

مسألة فى القول بوجوب الأصلح عليه تعالى ٩ ـ ١٠

المجلس الثانى

تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾ [الإسراء: ٨٥] ١١ ـ ١٢

تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا...﴾ [الحجر: ١٩] ١٣ ـ ١٥

تفسير معنى «اللحن» عند العرب ١٥ ـ ١٦

خبر أسير بنى العنبر فى بكر بن وائل ورسالته إلى قومه وشرح مافيه من كنايات ١٦ ـ ١٧

تأويل كلام على بن أبى طالب: «من أحبنا أهلَ البيت فليستعدّ للفقر جلبابا أوتجفافا» ١٧ ـ ٢٨

ذكر بعض أخبار الشعراء المتقدمين ممن كان على مذاهب أهل العدل ١٩ ـ ٢١

ذكر بعض أخبار الشعراء المتقدمين ممن كان على مذهب أهل الجبر ٢١ ـ

مسألة فى الاستدلال على نفى الرؤية بالأبصار ٢٢ ـ ٢٤

المجلس الثالث

تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢] ٢٥ ـ ٢٧
وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ، فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ...﴾ [القصص: ٣١]

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ،
[الأعراف:١٧٢، ١٧٣] ٢٨ ـ ٣٠
تأويل الحديث : « ليس منّا مَنْ لم يتغنّ بالقرآن » . ٣١ ـ ٣٦
الكلام على قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾
[القيامة :٢٢، ٢٣] ٣٦ ـ ٣٨

المجلس الرابع

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ﴾
[يونس:١٠٠] ٣٨ ـ ٤٢
تأويل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ... ﴾ [هود:١٠٣، ١٠٤] ٤٣ ـ ٤٥
وقوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ ﴾ [المرسلات :٣٥، ٣٦]
وقوله تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصافات:٢٧]
تأويل الحديث :« لاتسبُّوا الدهرَ فإن الدهر هو الله » . ٤٥ ـ ٤٦
مسألة فى ذكر المنافع التى عرض الله الأحياء لها ٤٧ ـ ٤٨

المجلس الخامس

تأويل قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ ﴾ [الدخان:٢٨، ٢٩] ٤٩ ـ ٥٥
تأويل الحديث : « إن أحبَّ الأعمال إلى الله أدومُها وإن قلّ » . ٥٥ ـ ٥٧
خبر حسد الفرزدق لليلى الأخيلية على أبيات قالتها ٥٨
خبره مع الكميت حين عرض عليه أبياتا له من قصيدة ٥٩
خبره عند سليمان بن عبدالملك ٦٠ ـ ٦٢
خبر تنسكه فى آخر عمره وما قاله من شعر فى ذلك ٦٣ ـ ٦٥
عود إلى خبره مع الكميت ٦٦ ـ ٦٧
خبر مديحه لعلى بن الحسين بن على ٦٧ ـ ٦٩

المجلس السادس

تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] ٧٠ ـ ٧٥

تأويل الحديث: «ممّا أدرك الناس من كلام النبوّة الأولى: إذا لم تستح فاصنعْ ماشئت». ٧٥ ـ ٧٦

خبر على بن أبى طالب ومارية القبطية ، وتفسير ماورد فيه من غريب ٧٧ ـ ٨١

ما قالته العرب فى أحوال القمر، وتفسير ماورد فى ذلك من الغريب ٨١ ـ ٨٦

المجلس السابع

تأويل قوله : ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى ...﴾ [الإسراء: ٧٢] ٨٧ ـ ٩٤

تأويل الحديث : «تقئُ الأرض أفلاذ أكبادها مثل الأسطُوان». ٩٥ ـ ٩٨

أبيات للخنساء فى مدح أخيها ، ثم استطراد لذكر أبيات تشبهها ٩٨ ـ ١٠٤

المجلس الثامن

تأويل قوله تعالى : ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] ١٠٥ ـ ١٠٧

خبر قيس بن عاصم حين وفد على الرسول عليه السلام وشرح ماورد فى ذلك من الغريب ١٠٧ ـ ١١٢

بعض أخبار قيس بن عاصم ١١٢ ـ ١١٤

قصيدة للمؤلف أجاز بها بيت أبى دهبل: ١١٦ ـ ١١٧

وأبرزتُها من بطن مكّة عندمَا أصاتَ المنادى بالصلاة فأعتَمَا ١١٤ ـ ١١٥

نسب أبى دهبل وذكر بعض أشعاره

المجلس التاسع

تأويل قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن ٢٠] ١٢٠ ـ ١٢٣

إيراد طائفة من شعر العرب مما وقع فيه التكرار ١٢٤ ـ ١٢٧

فصل فى أخبار الدهريين والزنادقة المتهتكين ممن كانوا فى صدر الإسلام ١٢٧ـ١٢٨
أخبار الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٢٨ـ١٣٠
أخبار حماد الراوية ١٣١ـ١٣٢
أخبار حماد بن الزبرقان ١٣٢ـ١٣٣
أخبار حماد عجرد ١٣٣ـ١٣٤
أخبار ابن المقفع، وإيراد بعض كلامه ١٣٤ـ١٣٧
أخبار ابن أبى العوجاء ١٣٧ـ١٣٨
أخبار بشار بن برد ١٣٨ـ١٤١

المجلس العاشر

أخبار مطيع بن إياس ١٤٢ـ
أخبار يحيى بن زياد الحارثى ١٤١ـ١٤٤
أخبار صالح بن عبد القدوس ١٤٤ـ١٤٦
أخبار على بن الخليل ١٤٦ـ١٤٧
الكلام على أن أصول مذهب أهل العدل مأخوذة من كلام على بن أبى طالب ١٤٨ـ
فِقَر من كلام على بن أبى طالب والأئمة من أبنائه ١٤٨ـ١٥٢
أخبار الحسن بن أبى الحسن البصرى وشىء من كلامه ١٥٢ـ١٦٢

المجلس الحادى عشر

أخبار واصل بن عطاء ١٦٣ـ١٦٥
مناظرة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد فى القول بالمنزلة بين المنزلتين ١٦٥ـ١٦٩
أخبار عمرو بن عبيد ١٦٩ـ١٧٣

المجلس الثانى عشر

عمرو بن عبيد وأبو جعفر المنصور ١٧٣ـ١٧٦

عمرو بن عبيد وهشام بن الحكم ١٧٦ـ١٧٧

عمرو بن عبيد وسليمان بن على ـ١٧٧ـ

كلام عمرو بن عبيد على القدر ـ١٧٧ـ

أخبار أبى الهذيل العلاف وأخباره ١٧٨ـ١٨٣

خبر طرفة بن العبد والمتلمس الضبعىّ وحديث الصحيفة ١٨٣ـ١٨٥

المجلس الثالث عشر

أخبار بشر بن المعتمد وإيراد بعض أشعاره ١٨٦ـ١٨٧

أخبار إبراهيم بن إسحاق النظام وبعض أشعاره ١٨٧ـ١٨٩

اختبار لبيد بهجائه للبقلة وخبره مع الربيع بن زياد عند النعمان ١٨٩ـ١٩٤

أخبار الجاحظ ونتف من كلامه ١٩٤ـ١٩٩

المجلس الرابع عشر

تأويل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧] ٢٠٠ـ٢٠١

خبر قيس بن زهير العبسى مع النِّمِر بن قاسط ٢٠٧ـ٢٠٨

خبر يوم داحس والغبراء وتفسير ما ورد فى ذلك من الأمثال ٢٠٨ـ٢١١

مقتل زهير بن جذيمة العبسىّ ٢١١ـ٢١٤

خبر يوم الهباءة ٢١٤

المجلس الخامس عشر

تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ...﴾ [البقرة: ١٧١] ٢١٥_٢١٩

خبر النبي عليه السلام حين دعى إلى مأدبة ومعه الحسين وهو صبى ، وتأويل ماورد من الغريب فى ذلك ٢١٩_٢٢٠

من كلام ابنة الخُسّ وتأويل ماورد فى ذلك من الغريب ٢٢٠_٢٢٢

تأويل قول العرب: « جاءنا بطعام لا يُنادَى وليدُه » . ٢٢٢

أخبار معن بن زائدة ٢٢٢_٢٢٧

المجلس السادس عشر

تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١] ٢٢٨_٢٣١

باب فى ذكر المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم ٣٣٢

أخبار الحارث بن كعب المذحجىّ ووصيته حين الموت وشرح ماورد فى ذلك ٢٣٢_٢٣٤

أخبار عمرو بن ربيعة المستوغر وإيراد بعض أشعاره ٢٣٤_٢٣٦

أخبار دريد بن زيد بن نهد وشرح ما أورده من كلامه ٢٣٦_٢٣٨

أخبار زهير بن جناب وإيراد بعض أشعاره ٢٣٨_٢٤٣

المجلس السابع عشر

أخبار ذى الإصبع العدوانى وحديثه مع بناته الأربع ٢٤٤_٢٤٩

خبر عبد الملك بن مروان مع سعيد بن خالد الجدلىّ ٢٤٩_٢٥١

إيراد شعر لذى الإصبع وشرح ماورد فى ذلك من الغريب ٢٥١_٢٥٣

ذكر معدى كرب الحميرى وبعض شعره ٢٥٣

أخبار الربيع بن ضبع الفزارىّ ٢٥٣_٢٥٦

المجلس الثامن عشر

أخبار أبى الطمحان القينىّ وإيراد طائفة من شعره ٢٥٧_٢٦٠
أخبار عبد المسيح بن بقيلة الغسانىّ ٢٦٠_٢٦٣
أخبار النابغة الجعدى وإيراد طائفة من أشعاره ٢٦٣_٢٦٩

المجلس التاسع عشر

مسألة تتضمن الرد على منكرى تطاول الأعمار وامتدادها ٣٧٠_٣٧٢
باب فى الجوابات الحاضرة المستحسنة ٢٧٣_٢٧٩
قصيدة لأبى نواس وشرح ما ورد فيها من الغريب ٢٧٩_٢٨٢

المجلس العشرون

عود إلى ذكر الجوابات المستحسنة ٢٨٣_٢٨٧
خبر قتيبة بن مسلم مع الحصين بن المنذر الرقاشىّ ٢٨٧_٢٨٨
بعض ما يروى من أجوبة أبى الأسود الدؤلى الحاضرة ٢٩٢_٢٦٤

المجلس الحادى والعشرون

خبر سليمان بن عبد الملك مع يزيد بن أبى مسلم ٢٩٥
خبر صفوان بن الأهتم مع رجل من بنى عبد الدار ٢٩٥
مادار بين الفرزدق والحطيئة عند سعيد بن العاص ٢٩٦
من أجوبة أبى العيناء المسكتة ٢٩٩_٣٠٣
موازنة بين شعر لإبراهيم بن العباس الصولى وأوس بن حجر ٣٠٥_٣٠٦
أبيات للمتنخل الهذلى وشرح ما ورد فيها من الغريب ٦٠٦_٣٠٧

المجلس الثانى والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٤٦] ٣٠٨_٣١٧
تأويل الحديث : «إنّ قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن...» ٣١٨_٣٢٣

المجلس الثالث والعشرن

تأويل قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة:١١٦] ٣٢٤_٣٢٧

المجلس الرابع والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٠] ٣٢٨_٣٣٦

المجلس الخامس والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبأ : ٩] ٣٣٧_٣٤٠
تأويل الحديث : «إن الميّت يعذَّب فى قبره بالنياحة عليه» . ٣٤٠_٣٤٣
تأويل الحديث : «مامن أحدٍ يُدْخِلُه عمله الجنة ويُنجيه من النار...» ٣٤٤_٣٤٥
أبيات لعمر بن أبى ربيعة يقولها فى الثريا بنت عبد الله ٣٤٦_٣٤٧
خبر عمر بن أبى ربيعة وابن أبى عتيق والثريا بنت عبد الله ٣٤٧_٣٤٨

المجلس السادس والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه : ٧٨] ٣٤٩_٣٥٠
تأويل قوله تعالى : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٢٦] ٣٥١_٣٥٣
تأويل الحديث : « إن هذا القرآن مأدبة الله... » ٣٥٤_٣٥٨
ذكر أنواع المآدب وأسمائها وما ورد فى ذلك من الشعر ٣٥٥_٣٥٨
أخبار متفرقة عن الأصمعىّ وحضور ذهنه عند إنشاء الشعر ٣٥٨_٣٦٢

المجلس السابع والعشرون

تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ٣٦٣ـ٣٦٥

تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ...﴾ [إبراهيم: ١٤] ٣٦٥ـ٣٦٧

خبر النبي عليه السلام حين سمع رجلا ينشد شعراً لسويد بن عامر وتأويل ماورد فيه الغريب ٣٦٨ـ٣٧٠

أبيات لرفيع الوالبيّ ٣٧٠ـ٣٧١

أخبار عقيل بن علّفة وإيراد طائفة من شعره ٣٧١ـ٣٧٤

المجلس الثامن والعشرون

تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠] ٣٧٥ـ٣٧٦

تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا..﴾ [البقرة: ١٨٩] ٣٧١ـ٣٧٩

أبيات لهلال بن خثعم وشرح ماورد فيها من الغريب ٣٧٩ـ٣٨٠

إيراد مقطعات مختلفة لحارثة بن بدر الغدانيّ ٣٨٠ـ٣٨٣

طرف من أخبار حارثة بن بدر وبعض نوادره ٣٨٣ـ٣٨٨

المجلس التاسع والعشرون

تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا...﴾ [البقرة: ٢٠٢] ٣٨٩ـ٣٩٢

تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢] ٣٩٢ـ٣٩٤

تأويل الحديث: «توضئوا مما غيرت النار». ٣٩٥ـ٣٩٧

بعض أخبار عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وطائفة من شعره ٣٩٧ـ٤٠١

المجلس الثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٩] ٤٠٢_٤٠٥
تأويل الحديث : « خير الصَّدَقة ماأبقتْ غِنًى » . ٤٠٥_٤٠٧
ذكر أبيات تروى لثابت قُطْنة وعروة بن أذينة ٤٠٧_٤١٠
أبيات للسيدالمرتضي فى معنى أبيات ثابت قطنة وعروة بن أذينة المذكورة ٤١٠_٤١١
خبر عروة بن عبيد الله عن عروة بن أذينة وروايته أبياتا له ٤١١_٤١٢
عروة بن أذينة وسكينة بنت الحسين ٤١٣_
أبيات لعروة بن أذينة فى الغزل ٤١٣_٤١٤
موازنة بين ماقاله الكميت بن زيد وعروة بن أذينة ونصر بن سيار فى الحسد ٤١٤_٤١٥

المجلس الحادى والثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَاتَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ... ﴾ [البقرة: ١٠٢] ٤١٧

المجلس الثانى والثلاثون

تأويل الحديث : لو كان القرآن فى إهابٍ مامسَّتْهُ النارُ . ٤٢٦_٤٣١
من شعر الحسين بن مطير الأسدىّ ٤٣١_٤٣٣
أبيات للسيدالمرتضى فى معنى بيت للحسين بن مطير الأسدى ٤٣٣_٤٣٤
عود إلى شعر الحسين بن مطير الأسدى ٤٣٥_٤٣٧

المجلس الثالث والثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ... ﴾ [آل عمران: ٧] ٤٣٩_٤٤٢
إيراد طائفة من محاسن شعر أبى حية النميرىّ وتفسير مافيها من الغريب ٤٤٢_٤٥١

المجلس الرابع والثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ... ﴾ [يوسف : ٩٢] ٤٥٢ـ٤٥٤
تأويل ماورد فى حديث نهى النبى عليه السلام عن كسب الزمارة ٤٥٤ـ٤٥٧
أبيات للمضرّب بن كعب بن زهير ٤٥٧ـ٤٥٩
موازنة بين قول الرشيد: «قلب العاشق عليه مع معشوقه»، وقول طائفة من الشعراء ٤٥٩ـ٤٦٠
أحسن ماقيل من الشعر فى صفة امرأة عجزاء خميصة ، عن الأصمعىّ ٤٦٠ـ٤٦١
خبر جعفر بن سليمان وحزنه على موت أخيه محمد ، واستترواحه لشعر ابن أراكة الثقفى ٤٦١ـ٤٦٢
تلطف الأصمعىّ بإنشاده شعر ابن هرمة عند إسماعيل بن جعفر، وقضاء حاجته عنده بسبب ذلك ٤٦٢
أبيات لبشر بن خازم فى الاعتذار، رواها الأصمعىّ للرشيد ٤٦٣

المجلس الخامس والثلاثون

تأويل قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ... ﴾ [الأنبياء : ٣٧] ٤٦٥ـ٤٧١
طائفة من شعر مسكين الدارمىّ وذكر بعض أخباره ٤٧١ـ٤٧٦

المجلس السادس والثلاثون

تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ... ﴾ [يوسف : ٢٤] ٤٧٧ـ٤٨٢
أخبار متفرقة لإبراهيم بن العباس الصولى وذكر طائفة من شعره ٤٨٢ـ٤٨٨

المجلس السابع والثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ... ﴾ [يوسف:٣٣] ٤٨٩ـ٤٩٢
تأويل الحديث : «من يتبع المشمعة يشمّع الله به» ٤٩٢ـ٤٩٤
خبر الأصمعىّ مع عجوز فى سوق ضريّة حينما أنشدها شعر بشر بن عبد الرحمن الأنصارى وأنشدته شعر ابن الدمينة، وتفسير ما ورد فى ذلك من الغريب ٤٩٤ـ٤٩٩

خبر الأصمعىّ مع شاب بدوى فصيح من بنى عامر واستنشاده الشعر ٤٩٩
خبر الأصمعىّ مع إسماعيل بن عمار الأعرابىّ ٤٩٩_٥٠٠
خبر الأصمعىّ حين سافر إلى البصرة؛ وسماعه لشعر استحسنه ورواه ٥٠٠
خبر الأصمعىّ مع أحد الطفيليين وما ورد فى ذلك من الشعر ٥٠١

المجلس الثامن والثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ ...﴾ [هود: ٤٥، ٤٦] ٥٠٢_٥٠٦
من أفاكيه الأصمعىّ ٥٠٦_٥٠٧
تأويل الأصمعىّ لبيت من شعر امرئ القيس ٥٠٧_٥٠٨
نقد الأصمعىّ لرواية ابن الأعرابىّ أبياتاً روّاها ولَدَ سعيد بن سلم ٥٠٨_٥٠٩
حديث الأصمعىّ عن بشار بن برد ٥٠٩
نقد بشار لشعر سمعه ٥٠٩_٥١٠
أبيات لبشار يمدح فيها سليمان بن هشام بن عبد الملك ٥١٠
أبيات مختلفة فى وصف الثغر واللون والعيون والنجيب والظليم والاعتذار، رواها الأصمعىّ ٥١١_٥١٢

المجلس التاسع والثلاثون

تأويل قوله تعالى: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ...﴾ [التوبة: ٥٥] ٥١٤_٥١٥
رأى الشريف المرتضى فى شعر مروان بن أبى حفصة ومختارات من محاسن شعره وموازنة بين قوله وقول غيره من الشعراء ٥١٨_٥٢٥

المجلس الأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ...﴾ [الأنفال: ٢٤] ٥٢٦_٥٣٠

خبر حصن بن حذيفة مع أولاده حين طعنه كرز بن عامر ، وما روى له فى ذلك من شعر ٥٣٠_٥٣٢

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبى حفصة ، وموازنة شعره بشعر غيره من الشعراء ٥٣٢_٥٣٦

أبيات أبى تمام فى وصف القلم ٥٣٦_٥٣٧

المجلس الحادى والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير:٢٦_٢٩] ٥٣٨_٥٤٠

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبى حفصة، وموازنة شعره بشعر غيره من الشعراء ٥٤٠_٥٤٩

المجلس الثانى والأربعون

تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ...﴾ [هود : ٢٠] ٥٥٠_٥٥٢

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبى حفصة وموازنته بشعر غيره من الشعراء ٥٥٣_٥٦٤

المجلس الثالث والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ... ﴾ [ص : ٧٥] ٥٦٥_٥٦٦

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبى حفصة وموازنته بشعر غيره من الشعراء ٥٦٦_٥٧٥

المجلس الرابع والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ... ﴾ [الإسراء : ٤٧] ٥٧٦_٥٧٧

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبى حفصة وموازنته بشعر غيره من الشعراء ٥٧٨_٥٨٩

المجلس الخامس والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٧٨] ٥٩٠ـ٥٩٣

وقوله : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ﴾ [الإنسان : ٩]

وقوله : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧]

قصة سفرة للمكتفى بالله فى حرّاقة ؛ مع جماعة من الأدباء ؛ واستنشاده شعر البحترىّ ٥٩٣ـ٥٩٥

أبيات لابن الرومى وموازنتها بشعر غيره من الشعراء ٥٩٥ـ٥٩٦

طائفة من أقوال الشعراء فى مدح الشيب وتفضيله ٥٩٨ـ٦٠٢

المجلس السادس والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ... ﴾ [البقرة : ١٨٦] ٦٠٣ـ٦٠٥

طائفة من أقوال الشعراء فى ذم الشيب والتألم به والجزع منه ٦٠٥ـ٦١٤

المجلس السابع والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... ﴾ [النحل ١٠] ٦١٥ـ٦١٨

طائفة من أشعار البحترىّ فى ذم الشيب والتألم من فقد الشباب ٦١٨ـ٦٢٧

المجلس الثامن والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ... ﴾ [آل عمران : ٢٨] ٦٢٨ـ٦٣٠

تأويل حديث : « لاتناجشوا ولا تدابروا ... » ٦٣٠ـ٦٣٥

ذكر ماورد فى اللغة من معانى « العِرْض » ٦٣٢ـ٦٣٥

طائفة من أشعار قطرىّ بن الفجاءة ٦٣٥ـ٦٣٩

أبيات لرجل خارجىّ من طيئ ٦٣٩

مكتبة الدكتور مروان العطية

تصويبات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	١٩	ووبينه	وبينه
٥	٧	البيت	الحديث
٢١	٣	يكتب البيت هكذا :	
		استأثر الله بالوفاء وبالـ	ـعدل وولّى الملامةَ الرجُلاَ
٣٧	٥	ولا يخون إلى	ولا يخون إلا
٥٢	١٦	إياء	إياه
٥٣	٦	الجازِعِينَ	الجازعَيْنَ
٥٩	٢	عَجاجةِ	عَجاجةٍ
٨٥	٢٢	صواب ما نقل عن حاشيتى الأصل ، ف : « مايسير الإنسان ثم يبيت »	
٩٧	١	يكتب بيت الخنساء هكذا :	
		أبْعد ابن عمرٍو مِنَ آلِ الشريـ	ـدِ حلّتْ به الأرضُ أثقالَها
١٠٦	٢٠	كذبٍ	كَدِبٍ، بالدال المهملة
١١٠	١٧	اللّهمْ	اللّهمّ
١١١	١٥	كأن	كأنّه
١١٦	١	أعجُبا	أعجبا
١١٦	٢	للوِداع	للوَداع
١١٦	١٤	الزّمار	الذّمار
١٣٩	٧	القومُ	القولَ
١٤٢	—	يحذف هذا العنوان : « تأويل آية »	

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٨٧	٢	وإنه	وأنه
١٩٢	١٣	إنى	وأنى
٢٠٧	١٢	جاوز	جاور
٢٠٨	٥	إنّى	أنى
٢٢٦	١٥	مَعَنُ	معْن
١٥٦	٥	والآلىّ	والآلى
٢٥٧	١٤	المضرِّب	المضرَّب ، بالفتح
٣٨٧	٩	ولحارث	ولحارثة
٣٨٩	١٣	حُسْناً	حُسْنٌ
٤٠٠	١٢	يكتب الشطر الأول هكذا :	
		☆ لو شُقَّ عن قلبى قُرِى وسطه ☆	
٤٣٤	٣	لا تكذِبَنَّ	لا تُكْذَبَنّ
٤٣٦	٦	أفزارة	فزارة
٤٤٥	٦	وَرِيق	ورَيْق
٤٤٥	٧	وَرِيقه	ورَيْقه
٤٦٤	٦	يحلب	يجلب
٤٧١	٢٠	الرِّجل	الرَّحْل
٥٤٤	١	الجَدّ	الِجدّ
٥٧٨	٥	لا يُؤَمِنونَ	لا يُؤْمنون
٥٨٣	٥	باءت	بادت

أمالى المرتضى

غرر الفوائد و درر القلائد

للشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوى

٣٥٥ — ٤٣٦ هـ

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

القسم الثانى

[ومعه التكملة]

مكتبة الدكتور مروان العطية

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابى الحلبى وشركاه

الطبعة الأولى

« جميع الحقوق محفوظة »

[١٣٧٣هـ — ١٩٥٤م]

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٩ مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة : ٦٤] .

فقال : ما اليدُ التى أضافتها اليهود إلى الله تعالى ، وادّعوْا أنها مغلولة ؟ وما نرى أنَّ عاقلاً من اليهود ولا غيرِهم يزعم أن لربّه يداً مغلولة ، واليهود تتبرأ من أن يكون فيها قائل بذلك ؛ وما معنى الدعاء عليهم بـ ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ (١ وهو تعالى ممن لا يصحُّ أن ١) يدعوَ على غيره؟ لأنه تعالى قادر على أن يفعلَ مايشاء ، وإنما يدعو الداعى بما لا يتمكَّن من فعله طلباً له .

الجواب، قلنا: يحتمل أن يكون قوم من اليهود وصفُوا الله تعالى بما يقتضى تناهىَ مقدوره، فجرَى ذلك مجرَى أن يقولوا : إنَّ يده مغلولة، لأنَّ عادة الناس جارية بأن يعبِّروا بهذه العبارة عن [illegible]منى ، فيقولون : يدُ فلان منقبضة عن كذا ، ويده لا تنبسط إلى كذا ، إذا أرادوا [illegible] فقر والقصور ، ويشهد بذلك قوله تعالى فى موضع آخر: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران : ١٨١] ، ثم قال تعالى مكذباً لهم : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾؛ أى أنه ممّن لا يُعجزه شىء، وثنّى اليدين تأكيداً للأمر، وتفخيما له ؛ ولأنه أبلغ فى المعنى المقصود من أن يقول : بل يده مبسوطة .

وقد قيل أيضاً : إن اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل ، واستبطئوا فضلَه ورزقه ؛ وقيل : إنهم قالوا على سبيل الاستهزاء : إن إلهَ محمد الذى أرسله؛ يداه إلى عنقه ؛ إذ ليس يوسّع عليه وعلى أصحابه، /فردَّ اللهُ قولهم وكذَّبهم بقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾، واليد هاهنا الفضل [٢١٥ و]

(١ ــ ١) حاشية ف (من نسخة) : « وهو تعالى لا يصح أن » .

والنعمة ، وذلك معروف فى اللغة ، متظاهر فى كلام العرب وأشعارهم .

ويشهد له من الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٦٩] ، ولا معنى لذلك إلاّ الأمر بترك إمساك اليد عن النفقة فى الحقوق ؛ وترك الإسراف، إلى القصد والتوسط .

ويمكن أن يكون الوجه فى تثنية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة ؛ لأن الكل ـ وإن كانت نعم الله تعالى ـ فمن حيث اختص كلّ واحد من الأمرين بصفة تخالف صفة الآخر صارا كأنهما جنسان أو قبيلان .

ويمكن أيضاً(١ أن يكون بتثنية النعمة١) أنه أريد بها النعم الظاهرة والباطنة .

فأما قوله تعالى : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، ففيه وجوه :

أوّلها : أن يكونَ ذلك على غير سبيل الدّعاء؛ بل على جهة الإخبار منه عز وجل عن نزول ذلك بهم ؛ وفى الكلام ضميرُ «قد» قبل قوله : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾، وموضع ﴿ غُلَّتْ ﴾ نصب على الحال، كأنّه تعالى قال: وقالت اليهود كذا وكذا؛ فى حال ماغلّ الله تعالى أيديَهم ولعنهم، أو حكم بذلك فيهم ؛ ويسوغ إضمار «قد» هاهنا كما ساغ فى قوله عز وجل: ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ ﴾ [يوسف: ٢٦، ٢٧] والمعنى: فقد صدقت، وقد كذبت.

وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلّتْ أيديهم ، أو وغُلَّتْ أيديهم ، وأضْمَر تعالى الفاء والواو ؛ لأنّ كلامهم تمَّ، واستؤنف بعده كلام آخر؛ ومن عادة العرب أن تحذف فيما يَجرى مجرَى هذا الموضع ؛ من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ [البقرة : ٦٧] أراد :

(١ ـ ١) حاشية الأصل (من نسخة) : « يكون المراد بتثنيته النعمة » .

فقالوا أتتخذنا هزواً ، فأضمر تعالى الفاء ؛ لتمام كلام موسى عليه السلام ، ومنه قول الشاعر :

لمَّا رَأيْتُ نَبطا أنْصارَا شمَّرتُ عن رُكبتِىَ الإزارَا(١)
كُنْتُ لها مِنَ النَّصارَى جارَا

أراد: «وكنت» ، فأضمر الواو .

وثالثها أن يكون القول خرجَ مخرَجَ الدعاء؛ إلا أن معناه التعليم من الله تعالى لنا والتأديب؛ فكأنه جلَّتْ عظمتُه وَقَفنا على الدعاء عليهم ، وعلَّمنا/ما ينبغى أن نقول فيهم، كما علَّمنا الاستثناء فى [٢١٦ و] غير هذا الموضع بقوله تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ﴾ [الفتح : ٢٧] ، وكل ذلك جلىٌّ واضح، والمنة لله .

تأويل خبر

إن سأل سائل عن الخبر الذى رُوِىَ عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: «لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ؛ يَسْرِقُ البَيْضَةَ فتقْطَعُ يده ، ويسْرِقُ الحَبْلَ فتُقْطَع يده » .

الجواب، قلنا: قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس ؛ فالخوارج تتعلَّق به، وتدَّعى أنَّ القطع يجب فى القليل والكثير؛ وتستشهد على ذلك بظاهر قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة : ٣٨] ،ويتعلق بهذا الخبر أيضاً الملحِدة والشُّكاك، ويدَّعون أنه مناقض للرواية المتضمِّنة أنه لا قطع إلاَّ فى ربع دينار . ونحن نذكر ما فيه :

فأول ما نقوله إنَّ الخبر مطعون عند أصحاب الحديث على سنده ، وقد حكَى ابن قتيبة فى تأويله وجهاً عن يحيى بن أكثم ، طعَن عليه وضعَّفه ، وذكر عن نفسه وجهاً آخر ؛ نحن نذكرهما وما فيهما، ونتْبعهما بما نختاره .

---

(١) حاشية ف : « أهل السواد يقال لهم النبط، لأنهم يستخرجون النبط وهو الماء » .

قال ابن قُتيبة : كنت حضرتُ يوما مجلسَ يحيى بن أكثم بمكة ، فرأيته يذهب إلى أنَّ البيْضة فى هذا الحديث بَيْضة الحديد التى تَغفِرالرأس فى الحرب، وأن الحبْل من حبال السفن، قال : وكُلُّ واحـد من هذيْن يبلغ ثمنه دنانيرَ كثيرة؛ قال : ورأيتُه يُعْجَب بهذا التأويل ، ويُبدى فيه ويعيد ، ويرى أنه قَطَع به حجة الخصم .

قال ابن قتيبة . وهذا إنما يجوزُ على مَنْ لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام ، وليس هذا موضعَ تكثيرٍ لما يأخذه السارق فيصرِفه إلى بَيْضةٍ تساوى دنانير؛ وحبلٍ لا يقدِر السارق على حمله؛ ولا من عادة العرب والعجم أن يقولوا : قبح الله فلانا ! عرَّض نفسه للضرر فى عِقْد جوهر ، وتعرَّض لعقوبة الغلول فى جراب مسك؛ وإنما العادة فى مثل هذا أن يقال: لعنه الله ، تعرَّض للقطع فى حبل رَثٍّ ، أو إداوة خَلَق، أو كُبَّةِ شعر ؛ وكلُّ ما كان من ذلك أحقر كان أبلغ .

قال: والوجه فى الحديث أن الله تعالى لما أنزل على رسوله صلى الله عليه وآله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ﴾؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لعَن الله السارق؛ يسرق البيضة / فتقطَع يده »، على ظاهر ما أنزل عليه[1] فى ذلك الوقت، ثُمَّ أعلمه الله تعالى بعدُ أن القطعَ لا يكون إلاَّ فى ربع دينار فما فوقه، ولم يكن عليه السلام يعلَم من حكم الله تعالى إلا ما علّمه الله تعالى ، وما كان الله يعرِّفه ذلك جملة جملة ، بل بيَّنَ[2] شيئاً بعد شىء . [٢١٦]

قال سيدنا أدام الله علوّه : ووجدت أبا بكر الأنبارىّ يقول: ليس الذى طَعَن به ابن قتيبة[3] على تأويل الخبر بشىء؛ قال: لأن البيضة من السلاح ليست عَلَماً فى كثرة الثمن ونهاية علو القيمة؛ فتجرى مجرَى العِقد من الجوهر، والجراب من المِسْك؛ اللّذَين هما ربّما ساويا الألوف من الدنانير، والبيْضةُ من الحديد ربّما اشتريت بأقلَّ مما يجب فيه القطع ، وإنما أراد عليه السلام أنه يكتسب قَطعَ يده بما لا غنَى له به ، لأن البيضة من السلاح لا يَستغنى بها أحد ، والجوهر والمسك فى اليسير منهما غِنًى .

(١) ف : « إليه » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « بل يبين له » .

(٣–٣) م : « ليس الذى ذكر ابن قتيبة » .

قال سيدنا أدام الله أيامه: والذى نقوله إن ماطَعن به ابن الأنبارىّ على كلام ابن قتيبة متوجِّه؛ وليس فى ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظَنّ؛ فيشبه العقد والجراب من المسك؛ غير أنه يبقى فى ذلك أن يقال: أىُّ وجهٍ لتخصيص البيضة والحبل بالذكر، وليس هما النهاية فى التقليل؛ وإن كان كما ذكره ابن الأنبارىّ؛ من أنّ المعنى أنه يَسْرِقُ ولا يستغنى به؛ فليس ذكر ذلك بأَولى من غيره؛ ولا بُدَّ من ذكر وجه فى ذلك .

وأما تأْويل ابن قتيبة فباطل لأن النبى صلى الله عليه وآله لا يجوز أن يقول ماحكاه عند سماع قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾؛ لأن الآية مجملة مفتقرة إلى بيان؛ ولا يجوز أن يحملها أو يصرفها إلى بعض محتملاتها دون بعض بلا دلالة؛ على أنّ أكثر من قال: إن الآية غير مُجملة، وأن ظاهر القول يقتضى العموم يذهب إلى أن مااقتضَى تخصيصَها بسارق دون سارق لم يتأخر عن حال الخطاب بها؛ فكيف يصحّ ماقاله ابن الأنبارىّ أن الآية تقدمت، ثم تأخر تخصيص السارق؛ ولو كان ذلك كما ظنّ لكان المتأَخر ناسخاً للآية .

وعلى تأْويله هذا يقتضى أن يكون كلُّ الخبر منسوخاً؛ وإذا أمكن تأْويلُ أخباره عليه السلام على / مالا يقتضى رفع أحكامها ونسخها كان أَولى . [٢١٧] و

والأشبه أن يكون المراد بهذا الخبر أنّ السارق يسرق الكثير الجليل، فتقطع يده، ويسرق الحقير القليل فتقطع يده؛ فكأنه تعجيز له، وتضعيف لاختياره، من حيث باع يده بقليل الثمن؛ كما باعها بكثيره .

وقد حكى أهلُ اللغة أن بَيْضة القوم وَسَطُهم، وبيضة الدار وسطُها، وبيضة السنام شحمتُه، وبيضة الصَّيف معظمُه، وبيضة البلد الذى لا نظير له؛ وإن كان قد يستعمل ذلك فى المدح والذم على سبيل الأضداد، وإذا استعمِل فى الذم فمعناه أنّ الموصوف بذلك حقير مهين، كالبيضة التى تفسِدها النعامة فتتركها ملقاةً لا تلتفت إليها .

فمما جاء من ذلك فى المدح قول أخت عمرو بن عبد وَدّ ترثيه، وتذكر قتل أمير المؤمنين

عليه السلام له ؛ وقيل إنَّ الأبيات لامرأة من العرب ؛ غير أخته :

لوْ كانَ قاتِلُ عمْرٍو غيْرَ قاتِلِهِ ... لـكُنْتُ أبْـكِى عليْهِ آخِرَ الأَبدِ[1]
لَـكِنَّ قاتِلَهُ مَن لا يُعابُ بِهِ[2] ... مَنْ كانَ يُدْعَى قَدِيماً بَيْضَةَ البلَدِ[3]

وقال آخر فى المدح :

كانتْ قُرَيش بيْضَةً فتَفَلَّقَتْ ... فالُمخُّ خالِصه[4] لعبْدِ منافِ

وقال آخر فى الذمّ .

تَأْبَى قُضَاعَةُ أن تعْرِفْ لـكم نسباً ... وَابْنَا نِزارٍ ، فأنْتُم بيضةُ البلَدِ[5]

أراد : « أن تعرفَ » فأسكن .

وقال آخر فى ذلك :

لـكنَّه حَوْضُ منْ أوْدَى بإخْوَتِهِ ... رَيبُ الزَّمانِ فأمْسَى بَيضةَ البلَدِ[6]

فقد صار معنى البيضة كلّه يعود إلى التفخيم والتعظيم .

وأما الحبل فذكر على سبيل المثل ؛ والمراد المبالغة فى التحقير والتقليل ؛ كما يقول القائل :

---

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « عليها » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :

* لـكنّ قاتل عمرٍو لا يعابُ به *

(٣) البيتان فى شرح المرزوقى لحماسة أبى تمام : ٨٠٤ واللسان (بيض).

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف : « خالصها » . (٥) اللسان (بيض)، ونسبه إلى الراعى يهجو ابن الرقاع العاملى وقبله :

لَوْ كُنْتَ مِنْ أحَدٍ يُهْجَى هجوتُـكُمُ ... يابْنَ الرِّقَاعِ ، وَلَـكِنْ لَسْتَ مِنْ أحَدِ

(٦) من أبيات فى حماسة أبى تمام — بشرح المرزوقى ٨٠٢ — ٨٠٤ ، وفى اللسان (بيض) منسوبة إلى صنان بن عباد اليشكرى ؛ وقبله :

لمـا رأى شَمَطٌ حَوْضِى لَهُ تَرَعٌ ... على الحياضِ أتانى غير ذى لَدَدِ
لَوْ كان حوضَ حمارٍ ماشربْت به ... إلاَّ بإذْنِ حمارٍ آخرَ الأبَدِ

ما أعطانى فلان عِقالا ، وما ذهب من فلان عقال ، ولا يساوى كذا نقيراً ؛ كل ذلك على سبيل المثل والمبالغة فى التقليل ؛ وليس الغرَض بذكر الحبل الواحد من الحبال على الحقيقة ؛ وإذا كان على هذا تأويلَ الخبر / زال عنه المناقضة التى ظنّتْ ؛ وبطلت شبهةُ الخوارج فى أن القطع [٢١٧ ظ] يجب فى القليل والكثير .

أخبرنا(١) أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنى أبو عبيد الله الحكيمىّ قال حدثنى يموت بن المزرّع قال حدثنى أبو زينب(٢) علىّ بن ثابت قال، قال الأصمعىّ : (٣تصرفتُ فى الأسباب على باب الرشيد٣) مؤملا للظَّفر(٤) به؛ والوصول إليه ؛ حتى إنى صرت لبعض حَرَسه خدينا ؛ فإنى فى ليلة قد نثرتِ السعادة والتوفيقُ فيها الأرقَ بين أجفان الرشيد إذْ خرج خادم فقال : أ بِالْحَضْرة(٥) أحد يُنْشِدُ(٦) الشّعر ؟ فقلت: اللهأكبر! ربَّ قَيْد مَضِيقَةٍ قدحلَّه التيسير، فقال لى الخادم: ادخل، فلعلّها أن تكون ليلةً تُعَرِّس فى صباحها بالغنى إن فزت بالحظوة عند أمير المؤمنين؛ فدخلت فواجهتُ الرشيد فى بَهْوه(٧)، والفضل بن يحيى إلى جانبه، فوقف الخادم بى بحيث يسمع التسليم، فسلّمت فردَّ السلام ثم قال: ياغلام، أرِحْه قليلا يُفرخ رَوْعُه ؛ إن كان قد وجد للروعة حسًّا، فدنوت قليلا ثم قلت : ياأمير المؤمنين، إضاءة مجدك، وبهاء كرمك ، مُجيران لمن نظر إليك عن اعتراض أذيّة؛ فقال : ادْنُ ، فدَنَوْتُ، فقال: أشاعر أم راوية ؟ فقلت: راويةٌ لكل ذى جدّ وهَزْل؛ بعد أن يكون محْسِناً ؛ فقال : تالله مارأيتُ ادّعاءأعمّ! فقلت : أنا على المَيْدان، فأطلِق من عنانى ياأمير المؤمنين ، فقال : «قد أنصفَ القارة من راماها(٨)»؛ ثم قال: ما معنى

(١) روى البغدادى الخبر فى خزانة الأدب ٢ : ٢٦٧ — ٢٦٩ ؛ عن الغرر .

(٢) حاشية ف (من نسخة) : « أبو وهب » . (٣ — ٣) ف، حاشية الأصل (من نسخة) : « تصرفت بى الأسباب على باب الرشيد » . (٤) د ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « الظفر » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة): « أما بالحضرة » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « يحسن » .

(٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « بهو » . (٨) فى مجمع الأمثال للميدانى (١ : ٤٢) : « القارة : قبيلة ؛ وهم عضل والديش ابنا الهول بن خزيمة ؛ وإنما سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم لما أراد الشداخ أن يفرقهم فى بنى كنانه ؛ فقال شاعرهم :

دَعُونَا قادةً لاتُنْفِرونَا فَنُجْفِلَ مثلَ إجْفَالِ الظَّلِيمِ =

هذه الـكلمة بَدِيًّا؟ قلت: فيهاقولان؛ القارةُ هى الحَرَّة من الأرض، وزعمت الرواة أن القارَة كانت رماة للتبابعة(١)، والملكُ إذْ ذاك أبوحسّان، فواقف(٢) عسكره عسكرا للسُّغد(٣)، فخرج فارس من السُّغد، قد وضع سهمَه فى كبد قوسه فقال: أين رماةُ العرب؟ فقالت العرب: «أنصف القارة من راماها» فقال لى الرشيد: أصبت، ثم قال: أتروى لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئًا، فقلت: هماشاهدان لك بالقوافى؛ وإن غُيِّبا عن بصرك بالأشخاص، فأخرج من ثِنْىِ فرشِه رقعة ثم قال: أنْشِدنى:

* أرّقـنِى طارِقُ همٍّ أرَقا(٤) *

فمضيتُ فيها مُضِىّ الجوادفى مَتْن ميدانه، تهدِرُ بى أشداقى(٥)، فلماصرت إلى مديحه لبنى أميةثنيتُ لسانى إلى امتداحه للمنصور فى قوله:

= وهم رماة الحدق فى الجاهلية، وهم اليوم فى اليمن». وفى اللسان (قور): «زعموا أن رجلين التقيا؛ أحدهما قارىّ والآخر أسدىّ، فقال القارىّ: إن شئت صارعتك وإن شئت راميتك، فقال: اخترت المراماة؛ فقال القارىّ: قد أنصفتنى؛ وأنشد:

قد أنْصَفَ القارةَ مَنْ راماها   إنّا إذا مائة نلقاها

* نَرُدُّ أُولاها على أخراها *

ثم انتزع له سهماً، فشك فؤاده». ونقل صاحب اللسان أيضا عن ابن برى: «إنما قيل: «أنصف القارة من راماها» لحرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة، وكانت القارة مع قريش، فلما التقى الفريقان راماهم الآخرون حين رمتهم القارة، فقيل: قد أنصفكم هؤلاء الذين سادوكم فى العمل الذى هو صناعتكم، وأراد الشداخ أن يفرق القارة فى قبائل كنانة فأبوا».

(١) حاشية الأصل: «التبابعة ملوك العرب الجاهلية؛ وكانوا يكونون باليمن؛ الواحد تبع».

(٢) المواقفة: أن تقف مع غيرك، ويقف معك فى حرب أو خصومة.

(٣) حاشية الأصل: «السغد: بين سمرقند وبخارى».

(٤) مطلع أرجوزة طويلة لرؤبة، يمدح فيها مروان بن الحكم، وهى فى ديوانه ١٠٨ — ١١٥، وبعد هذا البيت:

* ورَكْضِ غِرْبانٍ غَدَوْنَ نُعَّقا *

(٥) حاشية الأصل (من نسخة): «تهدر بها أشداقى».

* قلتُ لِزِيرٍ لم تَصِلْهُ مريمُه[١] *

/ فلما رآنى قد عدلت من أرجوزة إلى غيرها قال : أعَن حَيْرةٍ أم عن عمدٍ؟ قلت: عن [٢١٨ و] عمدٍ تركت كذبه إلى صدقه فيما وصف به المنصور من مَجْدِه ، فقال الفضل : أحسنتَ بارك الله عليك ! مثلُك يؤهل لمثل هذا المجلس . فلما أتيت على آخرها قال لى الرشيد : أتروِى كلمة عدىّ بن الرقاع :

*عَرَفَ الدِّيارَ توهُّماً فاعْتادَها[٢] *

قلت : نعم ، قال : هات ، فمضيت فيها حتى إذا صرت إلى وصفه الجمل قال لى الفضل : ناشدتُك الله أن تقطع علينا ما أمتعْنَا به من السهر فى ليلتنا هذه بصفة جملٍ أجْرَب ، فقال الرشيد: اسكت ، فالإبل هى التى أخرجتْك عن دارك ، واستلبتْ تاج ملكك ، ثم ماتت وعُملت جلودُها سياطاً ضُرِبْتَ بها أنت وقومك ، فقال الفضل : لقد عُوقِبتُ[٣] على غير ذنب والحمد لله ! فقال الرشيد : أخطأت ، الحمد لله على النِّعم ، ولو قلت : وأستغفر الله لكنت مصيباً ، ثم قال لى : امضِ فى أمرك ، فأنشدته حتى إذا بلغت إلى قوله :

* تُزجى أغَنَّ كأنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ *

استوى جالساً وقال : أتحفظ فى هذا ذكراً ؟ قلت : نعم ، ذكرتِ الرواة أنَّ الفرزدق قال : كنت فى المجلس وجرير إلى جانبى ، فلما ابتدأ عدىّ فى قصيدته قلت لجرير مسرّا إليه : هلمّ نَسْخَر من هذا الشامىّ ، فلما ذقنا كلامه يئسنا منه ؛ فلما قال :

* تُزْجى أغَنَّ كأنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ *

---

(١) مطلع أرجوزة أخرى لرؤبة أيضا ، وهى فى ديوانه : ١٤٩ ــ ١٥٩ وفى حاشية الأصل : « يقال : هو زير نساء إذا كان يحبهن ويزورهن كثيرا ، وأصله : زور ، فعل ، من الزيارة ، ومريم اسم عشيقته » . (٢) بقيته :

* مِنْ بَعْدِما دَرَسَ الْبِلى أبْلادَهَا *

وهو مطلع قصيدة فى الطرائف الأدبية ٨٧ ــ ٩١ . (٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الإشارة بالمعاقبة إلى إسماع الرشيد كلامه الموحش الخشن إياه ، وهو يعيره بالعجم ويذكر غلبة العرب الذين هم أصحاب الجمال عليهم ، وسلبهم ملكهم » .

ـوعدىّ كالمستريح ـ قال جرير : أماتراه يستلب بها مثلا ! فقال الفرزدق: يا لُكَع ، إنه يقول :

* قلمٌ أصاب من الدَّواةِ مِدادَها *

فقال عدىّ :

* قلمٌ أصابَ منَ الدَّوَاةِ مِدَادَها[1] *

فقال جرير: كان سمُكَ مخبوءاً[2] فى صدره ! فقال لى : اسكت شغَلَنى سبُّك عن جيّد الكلام؛ فلما بلغ إلى قوله :

ولقد أرادَ اللّهُ إذْ ولاَّكها ... منْ أمَّةٍ إصْلاحها ورَشادَها[3]

قال الأصمعىّ: فقال لى: ما تراه قال إذ أنشده الشاعر هذا البيت ؟ فقلت : قال : كذا أراد الله ، فقال الرشيد : ما كان فى جلالته ليقول هذا ، أحسبه قال : ما شاء[4] الله! قلت: وكذا جاءت الرواية، فلما أتيت على آخرها قال لى : أتروِى لذى الرُّمة شيئاً؟ قلت: الأكثر، قال : فماذا أراد بقوله :

[٢١٨ ظ] / مُمَرٌّ أمرَّتْ مَتْنَهُ أَسَدِيَّةٌ ... ذِرَاعِيَةٌ حلاَّلَةٌ بالمَصَانعِ[5]

قلت : وصف حِمَار وحش ، أسمَنه بَقْلُ روضةٍ تواشجت أصوله ، وتشابكت فروعه ، عن مطر سحابة كانت بنوءِ الأسد فى الذِّراع من ذلك. فقال الرشيد : أرِحْ ، فقد وجدناك ممتعاً ، وعرفناك محسناً ، ثم قال : أجد ملالة ونهض، فأخذ الخادم يصلح عقب النعل فى رِجْله وكانت عربيّةً ، فقال الرشيد : عَقَرْتنى يا غلام ، فقال الفضل : قاتل الله الأعاجم ، أما إنها

---

(١) حاشية ف : « يصف ظبية تسوق ولداً، فى صوته غنة ، ثم شبه رأس قرنه بقلم أصاب طرفه المداد . وأراد بالروق رأس القرن ، وروق كل شىء: أوله » . (٢ـ٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « كأن سمك مخبوء فى قلبه » . (٣) حاشية الأصل : « عدىّ قال : « وفسادها » ، والأصمعى أنشد : « رشادها » . (٤) حاشية الأصل : «قوله « ماشاء الله » على الطريقة المعهودة أى ماشاء الله كان ، كأنه يشير إلى أن دولته فى مشيئة الله تعالى » . (٥) ديوانه : ٣٦١ ، وروايته :

* يمانيةٌ حَلَّتْ جنوب المضاجِعِ *

لو كانت سِنْدِية لمَا احتجت إلى هذه الكلفة(١)، فقال الرشيد: هذه نعلى ونعلُ آبائى، كم تمارِض فلا تُترَكُ من جواب مُمِضّ ! ثم قال : ياغلام، يؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا الرجل فى ليلته ولا يحْجَب فى المستأنف ، فقال الفضل : لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمثل ما أمر لك به ، وقد أمرت لك به، إلاّ ألف درهم، فتلقَّ الخادم صباحاً .

قال الأصمعىّ : فما صليتُ من غد إلاّ وفى منزلى تسعة وخمسون ألف درهم .

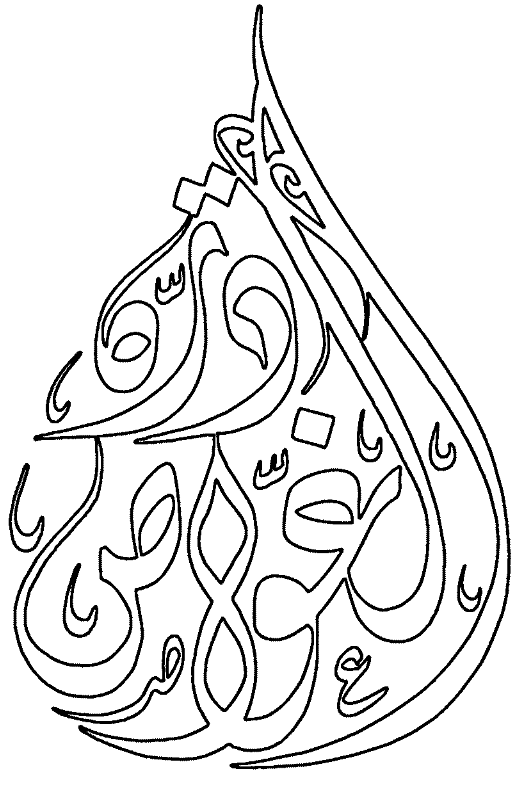

(١) فى خزانة الأدب : « الكلمة » .

مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧].

فقال: أليس ظاهر هذه الآية يقتضى أنه هو الفاعل للإيمَان فيهم ؟ لأن النور هاهنا كناية عن الإيمَان والطاعات ، والظلمة كناية عن الكفر والمعاصى ، ولا معنى لذلك غير ماذكرناه. وإذا كان مضيفاً للإخراج إليه فهو الفاعل لمَا كانوا به خارجين ، وهذا خلاف مذهبكم .

الجواب ، قلنا : أما النور والظلمة المذكوران فى الآية فجائز أن يكون المراد بهما الإيمان والكفر ، وجائز أيضا أن يراد بهما الجنة والنار ، والثواب والعقاب فقد تصحّ الكناية عن الثواب والنعيم فى الجنة بأنه نور ، وعن العقاب فى النار بأنه ظلمة ، وإذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغ إضافة إخراجهم من الظلمات إلى النور إليه تعالى ؛ لأنه لا شبْهة فى أنه جل وعز هو المدخل للمؤمن الجنة ، والعادل به عن طريق [٢١٩ و] النار . والظاهر بما ذكرناه أشبه؛ لأنه يقتضى أنّ المؤمن الذى ثبتَ كونُه مؤمناً / يخرج من الظلمة إلى النور ؛ فلو حمِل على الإيمان والكفر لتناقض المعنى ، ولصار تقديرُ الكلام: أنه يخرج المؤمن الذى قد تقدّم كونه مؤمناً من الكفر إلى الإيمان ؛ وذلك لايصحّ .

وإذا كان الكلام يقتضى الاستقبال فى إخراج مَنْ قد ثبت كونه مؤمنا كان حملُه على دخول الجنة والعدول به عن طريق النار أشبه بالظاهر .

على أنا لو حملنا الكلام على الإيمان والكفر لصحّ ، ولم يكن مقتضيا لما توهموه ، ويكون وجهُ إضافة الإخراج إليه ، وإن لم يكن الإيمان من فعله من حيث دلّ وبيّن وأرشد ولطَّف وسهّل؛ وقد علمنا أنه لولا هذه الأمور لم يخرج المكلَّف من الكفر إلى الإيمان ، فيصح

إضافة الإخراج إليه تعالى لكون ما عددناه من جهته : وعلى هذا يصحّ من أحدنا إذا أشار على غيره بدخول بلدٍ من البلدان ورغّبه فى ذلك ، وعرّفه ما فيه من الصلاح ، أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول : أنا أدخلت فلانا البلد الفلانىّ ؛ وأنا أخرجته من كذا وكذا وأنقذته منه ؛ ويكون وجه الإضافة ما ذكرناه من الترغيب ، وتقوية الدواعى .

ألا ترى أنه تعالى قد أضاف إخراجهم من النور إلى الظلمات ، إلى الطواغيت ، وإن لم يدلّ ذلك على أن الطاغوت هو الفاعل للكفر فى الكفار ؛ بل وجه الإضافة ما تقدم ؛ لأن الشياطين يُغْوُون ويدْعون إلى الكفر ، ويزيِّنون فعله ، فتصح إضافته إليهم من هذا الوجه ، والطاغُوتُ هو الشيطان وحزبه ، وكلُّ عَدوٍ لله تعالى صدَّ عن طاعته ، وأغرى(١) بمعصيته يصحُّ إجراء هذه التَّسمية عليه ؛ فكيف اقتضت الإضافة الأُولى أن الإيمَان من فعل الله تعاَلى فى المؤمن ، ولم تقتض الإضافة الثانية أنَّ الكفر من فعل الشياطين فى الكفار ؛ لولا بلَه المخالفين وغفلتهم !

وبعد ، فلو كان الأَمرُ على ما ظنوه لما صار الله تعالى وليًّا للمؤمنين ، وناصراً لهم على ما اقتضتْه الآية ، والإيمان مِن فعله تعالى لامِن فعلهم ؛ ولِمَ كان خاذلا للكفار ومضيفاً لولايتهم إلى الطاغوت والكفر مِن فعله تعالَى فيهم ؟ وَلمَ فَصَل بيْنَ الكافر والمؤمِن فى باب الولاية ، وهو المتولى لفعل الأَمرين فيهما ؟ ومثل هذا لا يذهب على أحد ، ولا يعرض عنه إلاَّ معاند مغالط لنفسه .

* * *

/ أخبرنا أبو عبيدالله المرزبانىّ قال : قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارىّ حدثنا أحمدبن [٢١٩ ظ]
حيان قال حدثنا أبو عبد الله بن النطاح قال أخبرنا أبو عبيدة قال، قال عبد الملك بن مسلم : كتب(٢) عبدالملك بن مروان إلى الحجاج: إنه ليس شىء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ،

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « أغوى » (٢) القصة فى الأغانى ٩ : ١٦٢ ــ ١٦٥ ، ووردت مختصرة فى الشعر والشعراء ١٠٩ ــ ١١٠ ، ونقلها عن ابن قتيبة البغدادى فى الخزانة ١ : ٢٨٨ .

ولم يبق لى من لذة الدنيا إلاّ مناقلةُ الإخوان الأحاديثَ ، وقبلَك عامر الشعبىّ ، فابعثْ به إلىّ يحدثنى .

فدعا الحجاج بالشعبىّ ، وجهزه وبعث به إليه ، وقرّظه وأطراه فى كتابه ، فخرج الشعبىّ حتى إذا كان بباب عبدالملك ، قال للحاجب : استأذن لى ، قال : مَن أنت؟ قال: عامر الشعبىّ؛ قال: حيَّاك الله، ثم نهض فأجلسه على كرسيه، فلم يلبث أن خرج الحاجب إليه فقال: ادخل، فدخل، قال: فدخلت فإذا عبدالملك جالس على كرسىٍّ ، وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية، على كرسىّ، فسلمت فرد السلام، ثم أومأ إلىّ بقضيبه ، فقعدت عن يساره ، ثم أقبل على الذى بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس ؟قال: أنا ياأميرَ المؤمنين، قال الشعبىّ: فأظلم علىّ ما بينى وبين عبدالملك، ولم أصبر أن قلت : ومَن هذا ياأمير المؤمنين الذى يزعم أنه أشعر الناس ! فعجب عبد الملك من عجَلَتى قبل أن يسألنى عن حالى، ثم قال : هذا الأخطل ، قلت : يا أخطل ، أشعر منك الذى يقول:

هذا غُلامٌ حَسنٌ وجْههُ مُستقْبِلُ الخيْرِ سريعُ التَّمامْ(١)
للحارثِ الأكْبرِ والحارثِ الـ ـأصْغرِ والحارثِ خيرِ الأنامْ(٢)
خَمْسةُ آباءٍ همُ ماهمُ همْ خيرُ من يَشْرَبُ صوْبَ الغمامْ

فقال عبدالملك: رُدَّها علىّ، فرددتُها حتى حفظها، فقال الأخطل: مَنْ هذا ياأمير المؤمنين؟ فقال : هذا الشعبىّ ، قال : صدق والله ، النابغة أشعرُ منى .

قال الشعبىّ : ثم أقبل علىّ عبد الملك فقال . كيف أنت يا شعبىّ ؟ قلت : بخير لازلت

---

(١) وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « مقتبل الخير » ، أى يستقبل خيره فيما يؤتنف من الأيام .

(٢) رواية الأغانى وابن قتيبة :

للحارث الأكْبرِ والحارث الأ صغرِ والأعرج خير الأنامْ

وبعده :

ثمّ لهند ولِهِنْدٍ وقد أسرع فى الخيراتِ منه إمامْ

به ، ثم ذهبتُ لأصنعَ معاذيرى لما كان من خلافى على الحجّاج مع عبدالرحمن بن محمد الأشعث فقال : مَهْ ! فإنا لانحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراءمنّا فى قول ولا فعل حتى تفارقَنا . ثم أقبل علىّ فقال : ماتقول فى النابغة ؟ قلت : ياأمير المؤمنين ، قد فَضَّله عمر بن الخطاب / فى غير [٢٢٠ و] موطن على جميع الشعراء ، وذلك أنه خرج يوماً وبِبابه وَفْدُ غطفان ، فقال : يامعاشرَ غَطَفان ، أىُّ شعرائكم الذى يقول :

حَلَفتُ فلم أَتْرُكَ لِنَفْسِكَ رِيبةً ... وَليْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ(١)

لَئِنْ كُنْتَ قدْ بُلِّغْتَ عنّى خِيانةً ... لَمُبْلِغُكَ الوَاشى أَغَشُّ وأَكْذَبُ

وَلستَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لاَ تَلُمُّهُ ... على شَعَثٍ ، أىُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ !

قالوا : النابغة ، قال : فأيّكم الذى يقول :

فإنكَ كاللَّيْلِ الذى هُوَ مُدْرِكِى ... وإنْ خِلْتُ أَنَّ المُنتأَى عنكَ واسِعُ(٢)

خَطاطِيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ مَتِينَةٍ ... تَمُدُّ بها أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ(٣)

قالوا : النابغة ، قال : أيُّكم الذى يقول :

إلى ابْنِ مُحَرِّقٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِى ... وَرَاحِلَتى وقَدْ هَدَتِ العُيُونُ(٤)

أَتَيْتُكَ عارِياً خَلَقاً ثِيابى ... على خَوْفٍ تُظَنُّ بِىَ الظُّنُونُ

فأَلْفيتُ الأَمانَةَ لم تَخُنْها ... كَذَلِكَ كانَ نُوحٌ لايَخُونُ

قالوا : النابغة ، قال : هذا أشعرُ شعرائكم .

---

(١) ديوانه ١٣ — ١٢ ، وفى م بعد هذا البيت :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أعطاكَ سُورةً ... تَرَى كلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبذَبُ

لأَنَّكَ شَمْسٌ والمُلوكُ كواكِبٌ ... إذَا طلعتْ لم يَبْدُ مِنهنّ كوكب

ولم يذكر البيتان فى الأصول المخطوطة .

(٢) ديوانه : ٥٥ . (٣) خطاطيف : جمع خطاف ، وهو مايخرج به الدلو من البئر . وحجن : معوجة ، واحدها أحجن . ونوازع : جواذب . (٤) أصله : « هدأت » ، بالهمز .

ثم أقبل عبد الملك على الأخطل فقال : أتحبّ أنّ لك قياضاً بشعرك شعر أحدٍ من العرب، أم تحب أنك قلته ؟ فقال : لاوالله ؛ إلاَّ أنى وددت أنى كنت قلتُ أبياتاً قالها رجل منّا ، كان والله مُغدَف القناع(١) ، قليل السَّماع ، قصير الذراع ، قال : وما قال ؟ فأنشده :

إنَّا مُحَيُّوكَ فاسْلم أيُّها الطَّللُ وإنْ بَليت، وإنْ طالَتْ بكَ الطِّيَلُ(٢)

ليس الجديدُ بهِ تبقى بشاشتهُ إلاَّ قليلاً ، ولا ذُو خَلَّةٍ يَصِلُ(٣)

وَالعَيْشُ لاَ عَيْشَ إلاَّ ما تَقرُّ بهِ عيْنٌ ، ولاحالَ إلاَّ سَوْفَ تَنْتَقِلُ

إنْ تَرْجِعِى منْ أَبى عُثْمان مُنْجحةً فقَدْ يَهُونُ على المُسْتَنْجِحِ العَمَلُ(٤)

[٢٢٠] / والنَّاسُ مَنْ يَلْقَ خيْراً قائلُون لهُ مايَشْتَهى ، وَلأُمِّ المخطىءِ الهَبَلُ

قدْ يُدْرِكُ المُتَأَنِّى بَعْضَ حاجَتِهِ وَقدْ يكُونُ مع المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

قال الشعبىّ : فقلت : قدْ قال القطامىّ أفضلَ من هذا ، قال : وماقال ؟ قلت : قال(٥) :

طرَقَتْ جَنُوبُ رِحالَنا مَنْ مَطْرِق ما كُنْتُ أحْسِبهُ قريبَ المُعْنَقِ(٦)

حتى أتيت إلى آخر القصيدة ، فقال عبد الملك : ثَكِلت القُطامىّ أمّه ! هـذا والله الشعر .

قال : فالتفت إلىّ الأخطل فقال : ياشعبىّ ، إنَّ لك فنوناً فى الأحاديث ، وإنَّ لنا فنًّا واحدا ، فإن رأيت ألاّ تحملَنى على أكتاف قومك ، فأدَعَهُمْ حرَضاً ! قلت : لاأعرِض لك

---

(١) مغدف القناع ، أى خامل الذكر . (٢) ديوان القطامى ٣٢ ، وجمهرة الأشعار ٣١٣ — ٣١٦ ، والطيل : جمع طيلة ، هى الدهر . (٣) الضمير فى « به » ، للدهر فى البيت الذى قبله ، وهو :

كانتْ منازِلُ مِنّا قد نَحُلُّ بها حتى تغيَّر دهرٌ خائنٌ خبِلُ

(٤) الخطاب للناقة ، ومنجحة : ظافرة . والمستنجح : طالب النجاح .

(٥) حاشية الأصل : « القطامى ، هو عمير بن شييم بن عمر بن عباد » .

(٦) اللسان (عنق) ، والمعنق : المكان الذى أعنقت منه ؛ أى سرت ؛ يقول : لم أظن أنهـا تقدر على أن تعنق وتسرع من هذا المكان . والعنق : ضرب من السير السريع ؛ يقال : عانق وأعنق إذا أسرع .

فى شىء من الشعر أبداً ، فأقلنى هذه المرة ، قال : مَنْ يكفُل بك ؟ قلت : أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : هو علىّ ألاّ يعرِض لك أبدا .

ثم قال : ياشعبىّ ، أىّ شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء ؟ قلت : خنساء ، قال : ولم فضّلتها على غيرها ؟ قلت: لقولها:

وقائلةٍ ـ والنَّعْشُ قدْ فاتَ خَطْوَها لِتُدْرِكَهُ ـ : يالَهْفَ نفسِى على صَخْرِ !
ألا ثَـكِلَتْ أمُّ الَّذينَ غَدَوْا بهِ إلى القَبْرِ ! ماذَا يَحْمِلُونَ إلى القَبْرِ !

فقال عبد الملك : أشعرُ منها والله ليلى الأخيلية حيث تقول :

مُهَفْهَفُ الـكَشْحِ والسِّرْبالِ مُنْخَرِقٌ عنْهُ القَمِيصُ لِسَيْرِ اللَّيْـلِ مُحْتَقِرُ
لايأمَنُ النَّاسُ مُمْساهُ وَمُصْبَحَهُ فى كلِّ فَجٍّ، وَإن لم يَغْزُ يُنْتَظَرُ

ثم قال : ياشعبىّ ، لعله شَقَّ عليك ماسمعته ؟ فقلت : إى والله ياأمير المؤمنين أشدَّ المشقَّة ! إنى لمحدّثك منذ شهرين لم أفِدْك إلاأبيات النابغة فى الغلام ، ثم قال : ياشعبىّ ، إنما أعلمناكهذا، لأنّه بلغنى أنّ أهلَ العراق يتطاولون على أهل الشام ويقولون : إنْ كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلبونا على العلْم والرواية ، وأهلُ الشام أَعْلَمُ بعلم أهل العراق من أهل العراق؛ ثم ردَّدعلىَّ أبيات ليلى حتى حفظتها ، وأذِن لى فانصرفت، فـكنتُ أولَ داخلٍ/وآخر خارج. [٢٢١ و]

☆ ☆ ☆

قال سيدنا أدام الله تمكينَه : والصحيح فى الرواية أن البيتين اللذين رواهما عبد الملك ونسبهما إلى ليلى الأخيلية لأعشى باهلة(٣)، يرثِى المنتشر بن وهب الباهلىّ(٤)، وهذه القصيدة

---

١ (١) حاشية الأصل : « الحرض : الذى أذيب حزنا وهما » . والحرض يوصف به المفرد، مذكرا ومؤنثا ، والمثنى والجمع بلفظ واحد . (٢) ديوانها : ٩٢ (٣) ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف ص ١٤ فقال : « أعشى باهلة يكنى أبا قحفان ، جاهلى ، واسمه عامر بن الحارث ، إحد بنى عامر ابن عوف بن وائل بن معن ، ومعن أبو باهلة ، وباهلة امرأة من همدان ، وهو الشاعر المشهور صاحب القصيدة المرثية فى أخيه لأمه ، المنتشر » . (٤) هو المنتشر بن وهب بن سلمة بن كراشة بن هلال بن عمرو =

من المراثى المفضّلة المشهورة بالبلاغة والبراعة وهى[1] :

إنى أَتَتْنِى لِسانٌ لا أُسَرُّ بهــا ... منْ عَلْوَ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ[2]

فَظَلْتُ مُكْتَئِباً حرَّانَ أَندُبُهُ ... وكنتُ أَحْذَرُه، لو ينفعُ الْحَذَرُ!

فَجاشَتِ النَّفْسُ لمـا جاءَ جَمْعُهُمُ ... وراكبٌ جاءَ منْ تَثْلِيثَ مُعْتَمِرُ[3]

يأْتِى على الناسِ لايَلْوِى على أَحَدٍ ... حتى الْتَقَيْنَا، وكانتْ بيْنَنَا مُضَرُ[4]

* * *

إنَّ الذى جِئْتَ منْ تَثْلِيثَ تَنْدُبُهُ ... منهُ السماحُ ومنهُ النَّهْىُ والغِيَرُ[5]

= ابن سلامة ؛ كان رئيساً فارساً ، وكان رئيس الأبناء يوم أرمام ، وهو أحد يومى مضر فى اليمن وكان يوما عظيما . (خزانة الأدب ١ : ٩١) .

(١) القصيدة فى الأصمعيات ٣٢ــ٣٤ ، وأمالى اليزيدى ١٣ــ١٨ ، وجمهرة الأشعار ٢٨٠ــ٢٨٣ ، والكامل ــ شرح المرصفى ٨ : ٢١١ــ٢١٢ ، وملحقات ديوان الأعشى ٢٦٦ــ٢٦٨ ، ونقلها صاحب الخزانة عن الغرر فى ١ : ٩١ــ٩٢ . وذكر أبو العباس المبرد خبر هذه القصيدة فقال : « كانت العرب تقدم مراثى وتفضلها وترى قائلها بها فوق كل مؤبن ؛ وكأنهم يرون ما بعدها من المراثى ؛ منها أخذت ، وفى كنفها تصلح ؛ فمنها قصيدة أعشى باهلة ، ويكنى أبا قحافة التى يرثى بها المنتشر بن وهب الباهلى ــ وكان أحد رجلىّ العرب ، وهم السعاة السابقون فى سعيهم ، وكان من خبره أنه أسر صلاءة بن العنبر الحارثى ، فقال : افد نفسك ، فأبى فقال : لأقطعنك أنملة أنملة وعضوا عضوا مالم تفتد نفسك ، فجعل يفعل ذلك به حتى قتله . ثم حج من بعد ذلك ذا الخلصة (وهو بيت كانت خثعم تحجه) ، فدلت عليه بنو نفيل بن عمرو بن كلاب الحارثيين فقبضوا عليه ، فقالوا : لنفعلن بك كما فعلت بصلاءة ، ففعلوا ذلك به ، فلقى راكب أعشى باهلة ، فقال له أعشى باهلة : هل من جائية خبر ؟ قال : نعم ، أسرت بنو الحارث المنتشر ــ وكانت بنو الحارث تسمى المنتشر مجدعا ــ فلما صار فى أيديهم قالوا : لنقطعنك كما فعلت بصلاءة ؛ فقال أعشى باهلة يرثى المنتشر . . . » . وأورد القصيدة .

(٢) اللسان هنا : الرسالة ، وأراد بها نعى المنتشر ، ولهذا أنث الفعل . وعلو ، يريد من مكان عال ، ورواية المبرد : « من عل » (بالضم) ؛ وفى حاشية الأصل : « لاسخر ، أى لاأقول ذلك سخرية ، وقيل معناه : ولا سخر بالموت » .

(٣) جاشت نفسه ، أى غثت . وتثليث : موضع بالحجاز قرب مكة ؛ ذكره ياقوت واستشهد بالبيت ومعتمر : صفة لراكب ؛ وهو بمعنى زائر . وفى حاشية الأصل : « جمهم ، يعنى الذين شهدوا مقتله » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « يأبى على الناس » ، وفيها أيضا : « لايلوى على أحد ، أى لم يعرج على أحد حتى أتانى ؛ لأنى كنت خلصانه » .

(٥) أى فقلت للراكب : إن الذى جئت . . . ، وتندبه : تبكى عليه ، يقال : ندب الميت ، أى بكى عليه وعدد محاسنه . والغير : اسم من غيرت الشىء فتغير ، أقامه مقام الأمر .

تَنْعَى امْرَأً لا تُغِبُّ الْحَيَّ جَفْنَتُهُ ... إذا الكواكبُ أخطا(١) نَوْءَها المَطَرُ(٢)
وراحتِ الشَّوْلُ مُغبرًّا مناكبُها(٣) ... شُعْثًا تَغَيَّرَ منها النِّيُّ والوَبَرُ(٤)
وألجأ الكلبَ مَوْقُوعُ الصَّقِيعِ به(٥) ... وألجأ الحيَّ من تَنْفاحها الحُجَرُ(٦)
عليهِ أوَّلُ زادِ القَوْمِ قد عَلِمُوا ... ثُمَّ المَطِيُّ إذا ما أرملوا جُزُرُ(٧)
قد تَكْظِمُ البُزْلُ منه حين تُبْصِره(٨) ... حتَّى تَقَطَّعَ فى أعناقِها الجِرَرُ(٩)
أخو رَغائبَ يُعْطِيها ويُسْأَلُها ... يأبَى الظُّلامةَ منه النَّوفَلُ الزُّفَرُ(١٠)

---

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « خوّى، وخوّى سقط ، من قولك : خوت الدار : خلت أو سقطت ، ومعنى خوّى فى البيت : نسب الخىّ إلى النجوم وهو المحل ، يقال : خوت النجوم إذا أمحلت ، خيا » .

(٢) النعى : خبر الموت ، قال الأصمعى : كانت العرب إذا مات ميت له قدر، ركب راكب فرسا ، وجعل يسير فى الناس ويقول : نعاء فلانا ! أى انعه وأظهر خبر وفاته ، مبنية على الكسر. ولا يغب ، من قولهم: لايغبنا عطاؤه ، أى لا يأتينا يوما دون يوم؛ بل يأتينا كل يوم . والجفنة : القصعة . وأخطاه كتخطاه: تجاوز. والنوء : سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبة من المشرق ، يقابله من ساعته كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوما ؛ وهكذا إلى انقضاء السنة ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها ، يريد أن جفانه لا تنقطع فى الشدة والقحط .

(٣) حاشية الأصل : « رواية الأصمعى: « مباءتها » أى مراحها » .

(٤) الشول : النوق التى خف لبنها وقد أتى عليها سبعة أشهر أو ثمانية من يوم نتاجها ، الواحدة شائلة . والنىّ بالفتح : الشحم

(٥) حاشية الأصل (من نسخة):

* وأَحْجَرَ الْكَلْبَ مَوْقُوعُ الصَّقِيعِ بِهِ *

وأحجرته أنا : ألجأته إلى الحجر .

(٦) الصقيع : الجليد . وتنفاحه : ضربه ، وهو مصدر نفحت الريح إذا هبت باردة ؛ يقول : إنه لا ينقطع عن إطعام الطعام فى شدة البرد حينما يضطر الكلب ما يتلبد على شعره من الجليد الأبيض إلى الدخول فى الحجر » .

(٧) يريد أنه يرتب على نفسه زاد أصحابه أولا ، وإذا فنى الزاد نحر لهم . وأرمل الرجل : نفد زاده. وجزر : قطع ، يقال تركهم جزرا للسباع .

(٨) حاشية الأصل : فى رواية :

* وتَفْزَعُ الشَّوْلُ منه حين يفجؤها *

(٩) كظم البعير كظوما : إذا أمسك عن الجرة ، والبزل : جمع بازل ؛ وهو الجمل إذا دخل فى التاسعة . والجرر : جمع جرة ؛ وهى ما يخرجه البعير للاجترار . يقول : تعودت الإبل أنه يعقر منها ، فإذا رأته كظمت على جرتها فزعامنه .

(١٠) الرغيبة : العطاء الكثير . والنوفل : الكثير العطاء . والزفر : الكثير الناصر والعدد والعدد « ومنه » للتجريد .

لم تَرَ أرضاً ولم تسْمَعْ بساكِنِها ... إلاَّ بهـا من نوادى وَقْعِهِ أثرُ(١)

وليْسَ فيـهِ إذا استَنْظَرْتَه عَجلٌ ... وليْسَ فيه إذا ياسَرْتَهُ عُسُرُ

فإن يُصِبْكَ عَدُوٌّ فى مناوَأةٍ ... يوماً، فقد كنتَ تَسْتَعْلى وتَنْتَصِرُ

منْ ليسَ فى خيرِهِ منٌّ يكدِّرُهُ ... على الصَّديقِ، ولا فى صَفْوِهِ كَدَرُ

أخُو شُرُوبٍ، ومِكْسابٌ إذا عَدِموا ... وفى المَخافةِ منهُ الجِدُّ والحَذَرُ(٢)

مِرْدَى حرُوبٍ، ونورٌ يُسْتَضَاءُ بهِ ... كما أضاءَ سوادَ الظُّلْمَةِ القمرُ(٣)

[٢٢١ ظ] /مُهَفْهَفٌ أهْضَمُ الكَشْحَينِ مُنْخَرِقٌ ... عنهُ القَميصُ لِسَيْرِ اللَّيْلِ مُحتَقِرُ(٤)

طَاوِى المَصِيرِ على العزَّاءِ منْجَرِدٌ ... بالقومِ ليلةَ لا ماءٌ ولا شَجَرُ(٥)

لا يُصْعِبُ الأمْرَ إلاَّ ريثَ يَرْكَبُهُ ... وكلَّ أمرٍ سوى الفَحْشاءِ يأتمِرُ

— معنى «لايصعبُ الأمر» أى لا يجده صعباً —

لا يتأرَّى لمـا فى القِدْرِ يرْقُبُهُ ... ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ(٦)

---

(١) نوادى كل شىء : أوله

(٢) شرب : جمع شرب ؛ وهو جمع شارب ؛ كصحب وصاحب، ومكساب : اسم مبالغة من كاسب ، وفى حاشية الأصل : « نسخة ص : أخو حروب » . (٣) المردى فى الأصل : حجر يرمى ؛ والمعنى : أنه شجاع يقذف فى الحروب ويرجم فيها ؛ وفى حاشية الأصل (من نسخة) :

مِرْدَى حروبٍ شهابٌ يُسْتَضاءُ به ... كما أضاء سواد الطَّخْيَةِ القمرُ

والطخية، بالفتح وبضم : الظلمة . (٤) المهفهف : الخميص البطن الدقيق الخصر . والأهضم : المنضم الجنبين . والكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف ؛ وهو مما تمدح به العرب . ويقال : رجل منخرق السربال ؛ إذا طال سفره فشققت ثيابه ؛ وهو كناية عن الجلادة وتحمل المشقات .

(٥) المصير : جمع مصران ، والعزاء : الشدة والجهد ؛ والمنجرد : المشمر نشاطا، ومن نسخة بحاشية الأصل : « منصلت » . وقوله : « ليلة لاماء ولا شجر » ، أى يرعى . وفى الخزانة بعد هذا البيت :

لايَهْتِكُ السِّتْرَ عن أنثى يُطالعها ... ولا يُشَدُّ إلى جاراتِه النَّظَرُ

(٦) لايتأرى : لايتحبس ويتلبث ؛ يقال : تأرى بالمكان إذا أقام فيه . الشرسوف : طرف الضلع والصفر — فيمايزعم العرب : حية تكون فى البطن إذا جاع الإنسان عضته ؛ وقد كذبه النبى عليه السلام بقوله : « لاعدوى ولاهامة ولاصفر » .

لا يَغمِزُ السّاقَ من أينٍ ولا وَصَبٍ ... ولا يَزالُ أمامَ القَوْمِ يَقْتَفِرُ (١)
لا يأمَنُ النّاسُ مُمْساهُ ومُصبَحهُ ... فى كلِّ فَجٍّ ، وإنْ لم يَغزُ يُنْتَظَرُ (٢)
تَكْفيهِ حُزَّةُ فِلْذٍ إنْ ألَمَّ بها ... من الشِّواءِ ويُرْوِى شُرْبَهُ الغُمَرُ (٣)
لا تأْمَنُ البازِلُ الكَوماءُ عَدْوَتَه (٤) ... ولاَ الأمونُ إذا ما اخْرَوَّطَ السَّفَرُ (٥)
كأنَّهُ بَعْدَ صِدْقِ الناسِ أنفُسَهُمْ ... باليأْسِ تَلمَعُ من قُدّامِهِ البُشُرُ (٦)

ـ قال المبرّد " لا نعلم بيتاً فى يُمْنِ النقيبة وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت " ـ

لا يُعْجِلُ القومَ أنْ تغلى مراجلُهمْ ... ويُدْلِجُ اللَّيلَ حتى يَفسَحَ البصرُ (٧)
(٨ عِشْنَا به حِقْبَةً حيًّا ففارَقَنَا ٨) ... كذلكَ الرُّمْحَ ذُوالنَّصْلَيْنِ ينكَسِرُ (٩)
أصَبْتَ فى حَرَمٍ منّا أخا ثقةٍ ... هِنْدَ بنَ أسماءَ ، لايَهنِئ لكَ الظَّفَرُ (١٠) !
لوْ لم تَخُنْهُ نُفَيْلٌ وهىَ خائنةٌ ... لَصَبَّحَ القَوْمَ وِرْدٌ ماله صَدَرُ (١١)

---

(١) يصف جلده وتحمله المشاق ، والأين : الإعياء ، والوصب : الوجع ، والاقتفار : تتبع الآثار .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « من كل أوب » . (٣) الحزة : قطعة من اللحم قطعت طولا؛ والفلذ : كبد البعير والجمع أفلاذ . وألم بها : أصابها . والغمر : قدح صغير لايروى .

(٤) حاشية الأصل : « نسخة ص : «ضربته » . (٥) البازل : البعير الذى فطر نابه بدخوله فى السنة التاسعة ، ويقال للناقة أيضا . والكوماء : الناقة العظيمة السنام . والعدوة : التعدى . والأمون : الناقة الموثقة الخلق ، واخروط : امتد . (٦) البشر : جمع بشير ، وفى حاشية الأصل : « أى إذا يئس الناس من أمورهم ووطنوا نفوسهم على اليأس فالبشائر تلمع من قدامه » .

(٧) حتى يفسح البصر ، أى يجد متسعا من الصبح ؛ وفى حاشية الأصل : « أى هو رابط الجأش عند الفزع ، لايستخفه الفزع فيعجل أصحابه عن الإطباخ » . (٨ـ٨) حاشية الأصل (من نسخة) :

* عِشْنَا بذلكَ دَهْرًا ثم وَدَّعنا *

(٩) النصلانهما : السنان ــ وهى الحديدة العليا من الرمح ــ والزج ، وهو الحديدة السفلى : ويقال : هما الزجان أيضا ؛ وهو مثل . وفى حاشية الأصل : « رواية الأصمعى بعد قوله « ينكسر » :

فإن جَزِعْنَا فقد هدّتْ مُصابَتُنَا ... وإنْ صبرْنا فإنا مَعْشَرٌ صُبُرُ

والمصابة : المصيبة ، والصبر : جمع صبور ، مبالغة صابر » . (١٠) حاشية الأصل : « هند بن أسماء : من قبيلة نفيل ، قاتل المنتشر » ، وأراد بالحرم ذا الخلصة .

(١١) صبحه : سقاه الصبوح ؛ وهوالشرب بالغداة ، أراد : أنه كان يقتلهم .

وأقبَلَ(١) الخَيْلَ من تَثليثَ مُصْغِيَةً ... وضمَّ أعْيُنَهَا عَوْرانُ أو حضَرُ(٢)
إمَّا سَلَكْتَ سَبيلاً كنتَ سالِكَها ... فاذْهَبْ فلا يُبعِدَنْكَ اللهُ مُنتَشِرُ

قال رحمه الله: وقد رويت هذه القصيدة للدَّعجاء أخت المنتشر، وقيل لليلى أخته، ولعل الشبهة الواقعة فى نسبتهما إلى ليلى الأخيلية من هاهنا والصحيح، ما ذكرناه.

***

أخبرنا أبوالحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة.
قال: وفد الأخطل على معاوية فقال: إنى قد امتدحتُك بأبيات فاسمعها، فقال: إن كنت شبَّهتنى [٢٢٢ و]
بالحية أو الأسد أو الصَّقْر فلا حاجة لى فيها؛ وإن كنت قلت فىّ كما قالت الخنساء(٣):

وما بَلَغَتْ كفُّ امرئٍ متناولٍ(٤) ... بهِ المَجْدَ إلاَّ حَيثُ ما نِلْتَ أَطْوَلُ(٥)
وما بلَغَ المُهْدُونَ فى القَوْلِ مِدْحَةً ... وإنْ صَدَقُوا إلاَّ الذى فيكَ أفْضَلُ

فهات، فقال الأخطل: والله لقد أحْسَنْت وقلْت بيتين؛ ما هما بدون ما سمعتُه، وأنشد:

إذا متَّ ماتَ العزُّ(٦) وانقطَعَ الغِنَى ... فلم يَبْقَ إلاَّ من قليلٍ مُصَرَّدِ(٧)

---

(١) حاشية الأصل: «قبل، بمعنى أقبل، ويعدّى بالألف، تقول: أقبلته أنا حملته مقبلا، وأقبلته الشىء أى جعلته يلى قبالته؛ يقال: أقبلت الرماح نحو القوم، وأقبلت الإبل أفواه الوادى».

(٢) عوران وحضر: موضعان. ف: «خوان»، د، م: «رغوان». وهو يوافق ما فى الخزانة، وفى حاشية الأصل (من نسخة): «روعان»، وفيها أيضا: «فى نسخة ديوانه: رعوان، جوان، خوان، هذه كلها مواضع». (٣) ديوانها: ٤٨١. (٤) م: «متطاول»

(٥) رواية اللسان (طول):

* من المجدِ إلاَّ والَّذِى نِلتُ أَطْوَلُ *

(٦) ف: «العرف». (٧) مصرد: مقلل، وفى حاشية الأصل: «أى لم يبق الغنى إلا من قبل عطاء قليل».

وَرُدَّتْ أَكُفُّ الرَّاغِبِينَ وأَمْسكُوا   من الدِّينِ والدُّنيا بِخِلْفٍ مُجدَّدِ(١)

فأحسن صلته .

وأخبرنا المرزبانيّ قال أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد النحويّ قال أخبرنا أحمد بن يحيى النحويّ أن ابن الأعرابيّ أنشدهم :

مَرَرْنا عليهِ وهو يَكْعَمُ كلْبَهَ   دع الكلْبَ ينبحْ؛ إنما الكلب نابحُ

ـ قوله « يكْعم كلبه » ـ أي يشدُّ فاه خوفاً أن ينبح فيدل عليه .

وقال آخر :

وتَكْعَمُ كلْبَ الحَيِّ من خشْيَةِ القِرَى   ونارُكَ كالعَذْراءِ من دونِها سِتْرُ(٢)

قال : وقد قال الأخطل :

قَوْمٌ إذا اسْتَنْبَحَ الأضيافُ كلبَهُمُ   قالوا لأُمِّهِمُ بُولِي على النارِ

قال أبو عبد الله: وسمعت محمد بن يزيد الأزديّ يقول: هذا من أهجى ما هُجى به جرير ، لأنه جعل نارهُم تطفئها البوْلة ، وجعلهم يأمرون أمهم بالبوْل استخفافاً بها .

(١) حاشية الأصل : « منقطع اللبن ، من قولهم : ناقة جداء ؛ يقال : ناقة مجددة الأخلاف إذا ضربها الصرار وقطعها ، وتجدد ضرع الناقة ذهب لبنه » . وفيها أيضا : « لما احتضر عبد الملك بن مروان غشى عليه ، ثم أفاق ، فسمع امرأة تقول : مات أمير المؤمنين : فتمثل بهذين البيتين » .

(٢) اللسان (كعم) من غير عزو .

مجلس آخر [٥١]

تأويل آية

إن سأل سائل فقال: ما تأويل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾؛ [آل عمران : ٨].

أوَليس ظاهرُ الآية يقتضى أنه تعالى يجوز أن يُزيغ القلوب عن الإيمان حتى تصحّ مسألتُه تعالى ألاّ يُزيغها ، ويكون هذا الدعاء مفيداً ؟

الجواب ، قلنا فى هذه الآية وجوه :

[٢٢٢ ظ] أوّلها أن يكون المراد بالآية : ربنا لا تشدّد علينا المحنة فى التكاليف ، ولا تشق علينا فيه ، فيُفْضِى بنا ذلك إلى زيغ القلوب منّا بعد الهداية ؛ وليس يمتنع أن يُضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى عليهم المحنة إليه؛ كما قال عز وجل فى السورة: إِنَّهَا(١) زَادَتْهُم رِجْساً إِلى رِجْسِهِمْ ، وكما قال مخبراً عن نوح عليه السلام: ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً ﴾؛ [نوح : ٦].

فإن قيل : كيف يشدّدُ عليهم فى المحنة ؟

قلنا: بأن يقوّى شهواتهم ، لما قبحه فى عقولهم ، ونفورهم(٢) عن الواجب عليهم ، فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً ، والثواب المستحَقّ عليهم عظيما متضاعفاً وإنما يحسن أن يجعله شاقاً تعريضاً لهذه المنزلة .

وثانيها أن يكون ذلك دعاء بالتثبيت لهم على الهداية ، وإمدادهم بالألطاف التى معها يستمرّون على الإيمان .

فإن قيل : وكيف يكون مُزِيغاً لقلوبهم بألّا يفعل اللّطف ؟

---

(١) الضمير يعود إلى المحنة ؛ والآية فى سورة التوبة : ١٢٥ : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾. (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ونفارهم » .

قلنا : من حيث كان المعلوم أنه متى قطع إمدَادهم بألطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الإيمان . ويجرى هذا مجرى قولهم : اللَّهم لاتسلِّط علينا مَنْ لايَرْحمُنا ؛ معناه لاتُخلّ بيننا وبين مَنْ لا يرحمنا فيتسلّط علينا ؛ ومثله قول الشاعر :

أَنَانِى ورَحْلِى بالمَدِينَةِ وَقْعَةٌ لآلِ تَميمٍ أَقْعَدَتْ كلَّ قائِمِ

أراد : قَعد لها كل قائم ؛ فكأنهم قالوا : لا تُخلِّ بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا ألطافك، فنزيغَ ونَضلّ .

وثانيها ما أجاب به أبو علىّ الجبائى محمد بن عبد الوهاب ، لأنه قال : المراد بالآية ربَّنا لاتُزِغْ قلوبَنا عن ثوابك ورحمتك . ومعنى هذا السؤال أنهم سألوا اللهَ تعالى أن يلطِفَ لهم فى فعل الإيمان ؛ حتى يقيموا عليه ولا يتركوه فى مستقبل عُمْرِهم ، فيستحقوا بترك الإيمان أن تَزِيغ قلوبهم عن الثواب ، وأن يفعل بهم بدلا منه العقاب .

فإن قال قائل : فما هذا الثواب الذى هو فى قلوب المؤمنين ؛ حتى زعمتم أنّهم سألوا الله تعالى ألّا يُزيغ قلوبهم عنه ؟ وأجاب بأنّ مِنَ الثواب الذى فى قلوب المؤمنين ماذكره الله تعالى من الشرح والسَّعة بقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ ؛ [الأنعام : ١٢٥] ؛ وقوله تعالى لرسوله / عليه وآله السلام : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [٢٢٣ و]
[الشرح : ١] وذكر أن ضدّ هذا الشرح هو الضِّيق والحرج اللّذان يفعلان بالكفار عقوبة، قال : ومِنْ ذلك أيضاً التطهير الذى يفعله فى قلوب المؤمنين ، وهو الذى مَنعه الكافرين ، فقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ ؛ [المائدة : ٤١] .

قال : ومن ذلك أيضا كتابته الإيمان فى قلوب المؤمنين ، كما قال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] وضِدّ هذه الكتابة هى سِماتُ الكفر التى فى قلوب الكافرين ؛ فكأنهم سألوا الله تعالى ألاّ يُزِيغَ قلوبهم عن هذا الثواب إلى ضده من العقاب .

ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بألاّ يُزِيغَ القلوب عن اليقين والإيمان . ولا يقتضى ذلك أنّه تعالى سئل ما كان لايجب أن يفعله ، وما لولا المسألةُ لجاز فعله ؛ لأنه غيرُ ممتنع أن يدعوَه على سبيل الانقطاع إليه، والافتقار إلى ماعنده بأن يفعلَ تعالى مانعلم أنه لابدّ من أن يفعله ، وبألاّ يفعل مانعلم أنه واجب ألاّ يفعله ؛ إذا تعلق بذلك ضربٌ من المصلحة؛ كما قال تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَلَا تُخزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾؛ [الشعراء: ٨٧] وكما قال فى تعليمنا ماندعو به : ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ ﴾؛ [الأنبياء: ١١٢] وكقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَالاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾؛ [البقرة: ٢٨٦]، على أحد الأجوبة. وكل ماذكرناه واضح بين بحمد الله .

* * *

قال سيدنا أدام الله تمكينه : وإنى لأستحسنُ قولَ الراعى فى وصف الأثافىّ والرماد، فقدْ[1] طبّق وصفه المفصِل، مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده :

وَأَوْرَقَ مُذْ عَهْدِ ابْنِ عَفَّانَ حَوْلَهُ ... حَوَاضِنُ أُلاَّفٌ عَلَى غيْرِ مَشْرَبِ
وِرَادُ الأَعالى أَقْبَلَتْ بِنُحُورِهَا ... على رَاشِحٍ ذِى شامَةٍ مُتَقَوِّبِ
كأَنَّ بَقايا لوْنِهِ فى مُتُونِهـا ... بَقَايا هِنَاءٍ فى قَلاَئِصِ مُجْرِبِ

الأوْرق : الرّماد ، جعل الأثافِىّ له كالحواضن ؛ لاحتضانها له واستدارتها حوله . وأراد بوراد الأعالى أن ألوانَها تضرب إلى الحمرة ، وخصّ الأعالى؛ لأنها مواضعُ القِدْر [٢٢٣] فلا تكاد / تسودّ . والراشح : هو الراضع ؛ وإنما شبّه الرماد بينهن بفصيل بين أظآر . والمتقوّب : الذى قد انحسر أعلاه .

وشبّه ماسوّدت النار منهن بأثر قَطِران على قلائص جَرْبَى . والمجرِب : الذى قد جَرِبَتْ إبلُه.

ونظير هذا المعنى بعينه ، أعنى تشبيه تسويدِ النار بالهَناء قولُ ذى الرُّمة :

---

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « فلقد » .

عَفَا الزُّرْقُ مِنْ أَطْلَالِ مَيَّةَ فَالدَّحْلُ ... فَأَجْمَادُ حَوْضَى حَيْثُ زَاحَمَهَا الحَبْلُ[1]
سِوَى أَنْ يُرَى سَوْدَاءَ مِنْ غَيْرِ خِلْقَةٍ ... تَخَاطَأَهَا ، وَارْتُثَّ جَارَاتُهَا النَّقْلُ[2]
مِنَ الرَّضَمَاتِ البِيضِ غَيَّرَ لَوْنَهَا ... بَنَاتُ فِرَاضِ المَرْخِ وَاليَابِسُ الجَزْلُ
كَجَرْبَاءَ دُسَّتْ بِالهِنَاءِ فَأُفْصِيَتْ ... بِأَرْضٍ خَلَاءٍ أَنْ تُقَارِبَهَا الإِبِلُ

قوله : «سوداء من غير خِلْقة» يعنى أُثْفِيّة ؛ لأن السواد ليس بخلقة بها ؛ وإنما سوّدتها النار .

وقوله : تخاطأها النقل ، أى تجاوزها فلم تحمَل من مكان إلى مكان ؛ بل بقيت منفردة .

وارتُثَّ جاراتُها : يعنى بجاراتها ؛ أى نقلن عنها الأثافىّ اللواتى كنّ معها . والمرتثّ : هو المنقول من مكان إلى مكان ؛ وأصل ذلك فى الجريح والعليل ؛ يقال ارتُثّ الرجل ارتثاثاً إذا حمل من المعركة وبه رَمَق . قال النضر بن شُمَيل : معنى ارتُثَّ صُرِع . وقال أبو زيد : هو مأخوذ من قولهم ارتَثَثْنا رِثَّةَ القوم إذا جمعوا ردىء متاعِهم بعد أن يتحملوا من موضعهم ؛ وكلا المعنيين يليق ببيت ذى الرُّمة ؛ لأنه قد يجوز أن يريد [3] بقوله : « وارتُثّ جاراتها » ، أى نقلن عنها ، ويجوز أن يريد[3] : صُرِعْنَ وبقيت ثابتة قائمة .

والرَّضَمات : حجارة بيض بعضها على بعض . والفِراض : جمع فَرْض ، وهو الحزّ يكون فى الزند وعنى ببنات فِراض المرْخ شرَر النار الخارجة من ذلك الفرض : والمرْخ : شجر تتخذ منه الزندة . ومن أمثالهم : « فى كل شجر نار ، واستمْجَدَ المَرْخ والعَفار[4] » ، وهذا المثل يضرب للرجل الكريم الذى يفضُل على القوم ويزيد عليهم ؛ فكأن المعنى : كلّ القوم كرام وأكرمهم فلان .

---

(١) ديوانه : ٤٥٤ . الزرق : أكثبة بالدهناء ؛ والدحل وحوضى : موضعان ؛ والأجماد : جمع جمد ؛ وهى الأرض الغليظة فى صلابة الجبل ، ويعنى بالحبل حبل الرمل ، وهو رمل مستطيل .

(٢) من نسخة بحاشية الأصل : « تخطأها » .   (٣–٣) ساقط من م .

(٤) المثل فى مجمع الأمثال للميدانى (٢ : ١٨) ؛ قال : استمجد المرخ والعفار ؛ أى استكثرا وأخذا من النار ماهو حسبهما ؛ شبها بمن يكثر العطاء طلبا للمجد لأنهما يسرعان الورى » .

ومعنى « كجرباء دَسّت بالهَنَاء » أنه شبه الأثفيَّة المفردة بناقة جَرْباء قد أفردت وأبعدت عن الإبل حتى لا تجربها ولا تُعْدِيها . ومعنى دسَّت بالهَناء ، طُلِيَتْ به .

وفى معنى قول الراعى : « وِرَادُ الأعالى » شَبَهٌ من قول الشَّماخ بن ضرار :

[٢٢٤ و] /أَقامَتْ على رَبْعَيْهِما جارَتا صَفاً ... كُمَيْتا الأعالى جَوْنَتا مُصْطَلاهُما[1]

يعنى « بربْعيهما » منزلى الإمْرأتين[2] اللتين ذكرها ، ويعنى « بجارتا صفا » الأُثفيَّتَيْن ؛ لأنهما مقطوعتان من الصَّفا الذى هو الصَّخْر. ويمكن فى قوله : « جارتا صَفاً » وجه آخر هو أحسنُ من هذا ؛ وهو أنّ الأثفيَّتين تُوضعان قريباً من الجبل ، لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما ، وممسِكةً للقِدْر معهما ؛ ولهذا تقول العرب : رماه بثالثة الأثافىّ ؛ أى بالصخرة أو الجبل ، وشبه أعلاهما بلون الكُمَيْت ؛ وهو لون الحجر نفسه ؛ لأن النار لم تصل إليه فتسوده[3] .

ومصطلاهما جَوْن أى أسود ؛ لأنّ النار قد سفعته وسوّدته .

وقال الراعى فى وصف الأثافىّ أيضاً :

أَذَاعَ بأَعْلاهُ ، وَأَبْقى شَرِيدَهُ ... ذَرَا مُجْنَحاتٍ بَيْنَهُنَّ فُرُوجُ
كأَنَّ بِجِزْعِ الدّارِ لَمَّا تَحَمَّلُوا ... سَلائِبَ وُرْقاً بَيْنَهُنَّ خَدِيجُ

أذاع بأعلاه ، يعنى الرماد؛ لأن السافى[4] يطيّر ظاهره وما علا منه .

وأبقى شريده، أى بقِىَ[5] لما شرد على السافى فلم يَطِرْ .

وذرا مُجْنَحات يعنى الأثافىّ. وذَرَا كل شىء: جانبه وما استذريت به منه. والمجنَحات : المسيَّلات منه .

---

(١) ديوانه ٨٦ (٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « منزلى المرأتين » . (٣) حاشية الأصل : ويمكن فى « جارتا صفا » وجه آخر ؛ وهو أحسن من هذا ؛ وهو أن الأثفيتين توضعان قريبا من الجبل ، لتكون حجارة الجبل ثالثة الأثافى وممسكة للقدر معهما ؛ ولهذا يقال: رماه بثالثة الأثافى ؛ أى الصخرة أو الجبل » .

(٤) السافى : الريح التى تسفى التراب . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « يبقى » .

والسلائب : جمع سَلُوب ؛ وهى الناقة التى قَدْ سُلِبَتْ ولدَها بموت أو نحر ؛ فقد عطفتْ على حِوار آخر .

والخديج : الذى قد سقط لغير تمام .

والوُرْقُ : اللواتى ألوانهن كلَوْن الرماد .

وفى معنى قول الراعى : « وأبقى شريدَه ذرا مجنحات » قولُ المخبَّل السعدىّ :

وأرَى لَها دَارًا بأغْدِرَةِ السيِّـــــدَانِ لم يَدْرُسْ لهـا رَسمُ(١)
إلاَّ رَمادًا هامِدًا دَفعَتْ عنْهُ الرِّياحَ خَوَالِدٌ سُحمُ(٢)

إلا هاهنا: بمعنى الواو، فكأنه قال : وأرى رماداً هامداً ، ولولا أن « إلاَّ » هاهنا بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض آخرُه أوّلَه ، لأنه يقول فى آخر البيت : إنّ الخوالد السُّحْم دفعتْ عنه الرياح ، فكيف يُخْبِر بأنه قد دَرَس ، وإنما أراد أنّه باقٍ ثابت ، لأنّ الأثافىّ دفعتْ عنه الرياح فلم يَسْتَثْنِهِ ، إذن هو من جملة مالم يدرس ، بل هو داخل فى جملته .

وللراعى أيضاً فى الأثافىّ :

أُنخنَ وَهُنَّ أغْفالٌ علَيْها فَقَدْ تَرَكَ الصِّلاءُ بِهِنَّ نارَا

/ شبه الأثافىّ بنوق أُنخن أغفالا ، لمست عليهنّ سِمَة ؛ ثم أخبر أنّ الوقود أثّرفيهن [٢٢٥ ظ] أثراً كالسِّمة ،والنارالسمة ، تقول العرب : مانارُبعيرك ؟ أى،ماسِمتُه ؟ وفى أمثالهم: « نجارها نارها » ، أى سمتها تدلُّ على كرمها ، يضرب ذلك للرجل ترىله ظاهراً حسناً يدلُّ على باطن خبره .

---

(١) من قصيدة فى المفضليات ١١٣—١١٨ ، مطلعها :

ذكر الربابَ وذكرها سقْمُ فصبا وليس لمن صبا حِلْمُ

وأغدرة : جمع غدير . والسيدان : أرض لبنى سعد ؛ والرسم : الأثر بلا شخص ؛ ودروسه : ذهابه ؛ يريد: لم يذهب كله . (٢) الخوالد : البواقى ، عنىبها لأثافى. بسحم : من السحمة ؛ وهو لون يضرب الى السواد .

وقال عدىّ بن الرِّقاع العاملىّ :

إلاَّ رَوَاكِدَ كلُّهُنَّ قَدِ اصْطَلَى ... حَمْرَاءَ أَشْعَلَ أَهْلُها إيقَادَها(١)

كانَتْ رَوَاحِلَ لِلْقُدُورِ فَعُرِّيَتْ ... مِنْهُنَّ ، وَاسْتَلَبَ الزَّمانُ رَمادَها

وقال الأسعر الجعفىّ :

إلاَّ رَوَاكِدَ بَيْنَهُنَّ خَصاصةٌ ... سُفْعَ المنَاكِبِ ، كلُّهُنَّ قَدِ اصْطَلَى(٢)

وقال حُميد بن ثَوْر :

فَتَغَيَّرَتْ إلاَّ ملاَعِبَهَا ... وَمُعَرَّساً من جَوْنَةٍ ظَهْرِ(٣)

عُرِشَ الثِّقابُ لهابدَارِ مقامةٍ ... لِلحَىِّ بيْنَ نَظَائِرٍ وِتْرِ

الجوْنة : القِدْر : ويقال : قِدْرٌ ظَهْر ، وقُدُور ظهور ، إذا كانت قديمة(٤) . وعُرِش ، أى جعل مثل العريش، يعنى الوقود . والثقّاب : ماأثقبت به النار من الوقود . والنظائر : هى الأثافىّ : والوتر : الفرْد ، وأراد أنها ثلاث .

وقال الكميت بن زيْد :

وَلَنْ تُحَيِّيَكَ أَظْآرٌ مُعطَّفَةٌ ... بالقَاعِ ، لاتَمكٌ فِيها ولاَ مَيَلُ

ليْستْ بعُوذٍ ، وَلمْ تُعْطَفْ على رُبَعٍ ... ولاَ يَهِيبُ بِها ذُو النِّيةِ الأَبِلُ

يعنى الأثافىّ ، فشبَّه عطفها على الرماد بنوق أظآر قد عطفْنَ على فَصِيل . والتَّمك : انتصاب السنام . والمَيَل : من صفة السَّنام أيضاً .

والعائذ من النُّوق : التى يتبعها ولدها : والرُّبَع : الذى نُتِجَ فى أول الربيع . والإهابة : الدعاء ؛ أهاب بإبله إذادعاها . وذو النية : الذى قد نوى الرَّحيل : الأَبِل : صاحب الإبل .

(١) الطرائف الأدبية ٨٧ مع اختلاف فى الرواية .

(٢) البيت فى أمالى القالى ١ : ٤٥ غير منسوب، ونسبه فى اللآلى : ١٨٩ للرخيم العبدى ، وفى م نسب إلى مالك الجعفى ، والبيت ليس فى قصيدة الأسعر التى فى أول الأصمعيات .

(٣) ديوانه : ٩٣ . المعرس : مكان تعريس القوم فى السفر فى آخر الليل .

(٤) فى اللسان : « وقدر ظهر : قديمة ؛ كأنها تاتى وراء الظهر لقدمها » ، واستشهد بالبيت .

وقال ذو الرُّمة :

فلم يَبْقَ إلاَّ أنْ تَرَى فى مَحَلِّهِ   رَمادًا نَحَتْ عنْهُ السيولَ جنَادِلُهْ[1]

/كأنَّ الحَمامَ الوُرْقَ فى الدَّارِ وَقَّعَتْ[2]   على حَرِقٍ بيْنَ الظُّؤورِ جوَازِلُهْ [٢٢٥ و

شبه الأثافىّ بالحمام الوُرْق ؛ وجعلها ظؤوراً لتعطّفها على الرماد ؛ وشبه الرَّماد بفرخٍ حَرِقٍ قد سقَط ريشه. والجوازل : الفراخ. واحدها جوْزل .

وقال البَعيث :

ألاَ حَيِّيا الرَّبْعَ القَواءَ وَسَلِّما   وَرَسْماً كَجُثْمانِ الحَمامةِ أدهَمَا

قيل إن الحمام هاهنا القَطاة ؛ وإنه شبّه ألوان الرسوم من الرّماد ، وموقد نارٍ ، ودمنةٍ ، ومَجَرّ طَنَبٍ ، وما أشبه هذه الأشياء بألوان ريش قطاةٍ .

ومثله لجرير :

كأَنَّ رُسُومَ الدَّارِ رِيشُ حَمَامَةٍ   مَحَاها البِلى واستَعْجَمَتْ أنْ تَكَلَّمَا[3]

ولقد أحسن كلَّ الإحسان كُثَيِّر فى قوله :

أَمِنَ آلِ قيلةَ بالدَّخولِ رُسومُ   وَبحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَديمُ[4]

لَعِبَ الرِّياحُ بِرَسْمِهِ فأَجدَّهُ   جُونٌ عَوَاكِفُ فى الرَّمادِ جُثُومُ

سفْعُ الخدُودِ كأنَّهُنَّ وَقَدْ مَضتْ   حِججٌ عَوَائِدُ بَيْنَهُنَّ سَقيمُ

وقيل فى قوله : «فأجدَّه جُونٌ عوا كف» يعنى الأثافىّ ، لأن الريح لما كشفت عنها، وظهرت صارت هى كأنها أجدَّت الرَّسْم. ويحتمل وجهٌ آخر ، وهو أن يكون معنى «أجدَّت» أنّها حَمَتْ الرماد الذى أحاطت به عن لعب الرّياح ، فبقى بحاله يستدِلّ به المترسم[5] ،

(١) ديوانه : ٤٦٥ . نحت : صرفت ؛ وفى الديوان : «نفت»، والجنادل : الحجارة .

(٢) وقعت: ربضت ، وفى الديوان: «جثمت».

(٣) ديوانه : ٥٤٣   (٤) ديوانه ١: ٢٥٣   (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : «المتوسم» .

فكأن الرياح دَرَست الربع ومحته إلاّ ماأجدَّته هذه الأثافىّ من الرماد، ومنعت الريح منه، ويجرى ذلك مجرى قول المخبّل :

إلاّ رماداً هامداً ... البيت ...

وقال المرار الفقعسىّ فى الأثافىّ :

أَثَرُ الوَقُودِ على جَوانِبِها   بِخُدُودِهِنَّ كأنَّهُ لَطْمُ

ويقال إن أبا تمام الطائىّ أخذ ذلك فى قوله :

قِفُوا نُعْطِ المَنازِلَ من عُيُونٍ   لَها فى الشَّوْقِ أَحْسَاءٌ غِزَارُ (١)
عَفَتْ آياتُهُنَّ ، وَأَىُّ رَبْعٍ   يَكُونُ لهُ على الزَّمَنِ الخِيارُ!
[٢٢٥ ط] / أثافٍ كالخدُودِ لُطِمنَ حُزْناً   وَنُؤْىٌ مِثْلُ ماانْفَصَمَ السِّوَارُ

وقد عاب عليه قولَه : « لُطِمْنَ حزناً » بعضُ مَنْ لامعرفةَ له ، وقال : لافائدةَ فى قوله «حزنا»، ولذلك فائدة ؛ وذلك أنّ لَطْمَ الحزن يكون أوْجَع وأبلغ، فتأثيرُه أظهر وأبين ؛ وقد يكون اللطم لغير الحزن ؛ فأما قوله .

* ونؤىٌ مثل ماانفصَم السوارُ *

فمأخوذ من قول الشاعر :

نؤىٌ كما نَقَصَ الهلالُ مَحاقُهُ (٢)   أو مثلما فَصَمَ السِّوَارَ المِعْصَمُ

وقد شبّه الناس النُّؤْىَ بالسوار والخلخال كثيراً، وبغيرذلك ، قال كُثَيِّرٌ :

عَرَفْتُ لِسُعْدَى بعد عشرِينَ حِجَّةً   بِها دَرْسَ نُؤْىٍ فى المَحَلَّةِ مُنْحَنِ (٣)
قَدِيمٌ كوَقْفِ العَاجِ ثُبِّتَ حَوْلَهُ   مغارز أَوْتَادٍ بِرَضْمٍ مُوَضَّنِ

---

(١) ديوانه : ١٤٠ ؛ والرواية فيه : « قفانعط » . وأحساء : جمع حسى ؛ وهو الماء تحت الرمل، ينبط بالأيدى . (٢) المحاق ، مثلثة : آخر الشهر . (٣) ديوانه: ١ : ٥٨ .

ـ الوقْف : السوار من الذَّبْـل ومن العاج . والرَّضْمُ : صخور عظام. والمُوَضَّن: الذى بعضه فوق بعض .

وقال بشار:

ونُؤْىٌ كخلخال الفتاةِ ، وصائمٌ أشجُّ على رَيْبِ الزمانِ رَقُوبُ[(١)]

ـ الصائم الأشج: يعنى الوتِد ؛ وإنما وصفه بأنه صائم لقيامه وثباته، وجعله رَقوباً لانفراده، والمرأة الرَّقوب والشيخ الرَّقوب: الذى لا يعيش له ولد .

ومن مستحسن ماوُصف به النؤى قول أبى تمام :

والنُّؤْىُ أَهْمِدَ شَطْرُهُ فكأنَّهُ تحْتَ الحَوَادِثِ حاجِبٌ مقْرُونُ[(٢)]

وقال المتنبى فى ذلك :

قِفْ على الدِّمْنَتَيْنِ بالدَّوِّ مِن ريَّا كَخالٍ فى وَجْنَةٍ جَنْبَ خالِ[(٣)]

بطُلُولٍ كأنَّهُنَّ نُجُومٌ فى عِراضٍ كأنهنَّ ليالِ

وَنُؤِيٍّ كأنهُنَّ علَيْهِنَّ خِدَامٌ خُرْسٌ بسُوقٍ خِدَالِ

ـ الخِدام : جمع خَدَمة[(٤)]؛ وهى الخلخال، وجعلها خرساً لأنها غير قلقة، وشبه ما أحدق به النؤى من الأرض وامتلائها بامتلاء الخلخال، من الساق الخَدْلة، وهى الممتلئة.

---

(١) ديوانه : ١ : ١٨١ . (٢) ديوانه : ٣٢٨ .

(٣) ديوانه : ٣ : ١٩٢ . الدو : الأرض الواسعة المستوية القفرة ؛ وريا : اسم امرأة ؛ والمراد : من ربا ، والخال : شامة تخالف لون الوجه . والشامة : تكون فى الوجه والجسم .

(٤) الخدمة فى الأصل : سير يشد فى رسغ البعير ، وبه سمى الخلخال ؛ لأنه ربما كان من سيور، يركب فيه الذهب والفضة .

مجلس آخر ٥٢

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ . قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ . قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ . قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ، [البقرة : ٦٧ ـ ٧٠] .

فقال: ما تأويل هذه الآيات ؟ وهل البقرة التي نُعتت بجميع النعوت هي البقرة المرادة باللفظ الأول والتكليف واحد ، أو المراد مختلف والتكليف متغاير ؟

الجواب، قلنا: أهلُ العلم في تأويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلاف أصولهم؛ فمن جوّز تأخيرَ البيان عن وقت الخطاب يذهبُ إلى أن التكليف واحد ، وأن الأوصاف المتأخرة هي للبقرة المتقدّمة؛ وإنما تأخر البيان، ولما سأل القومُ عن الصفات ورد البيانُ شيئاً بعد شيء .

ومَنْ لم يجوّز تأخير البيان يقول: إن التكليف متغاير؛ وإنهم لما قيل لهم : اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم إلا ذبح أيّ بقرة شاءوا، من غير تعيين بصفة، ولو أنهم ذبحوا أيّ بقرة اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الأمر، فلمّا لم يفعلوا كُلِّفُوا ذبحَ بقرة لا فارضٌ ولا بكرٌ، ولو ذبحوا ما اختصّ بهذه الصفة من أيّ لون كان لأجزأ عنهم ، فلمّا لم يفعلوا كلِّفُوا ذبحَ بقرة صفراء، فلما لم يفعلوا كلِّفُوا ذبح ما اختص بالصفات الأخيرة .

ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر، فمنهم من قال فى التكليف الأخير: إنه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفة تقدّمت، حتى تكون البقرة مع أنها غير ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث، مسلّمة لا شِيَة فيها، (١صفراء فاقعٌ لونها، ولا فارض ولا بِكر١). ومنهم مَن قال: إنما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط، دون ما تقدم.

[٢٢٦ ظ] وظاهر الكتاب بالقول/المبنى على جواز تأخير البيان أشبه، وذلك أنه تعالى لما كلّفهم ذبح بقرة قالوا للرسول: ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾، فلا يخلو قولهم: ﴿ مَا هِيَ ﴾ من أن يكون كناية عن البقرة المتقدّم ذِكرُها، أو عن التى أُمِرُوا بها ثانياً؛ على قول من يدّعى ذلك.

وليس يجوز أن يكون(٢) سألوا عن صفةٍ غير التى تقدّم ذكرها، لأن الظاهر من قولهم ﴿مَا هِيَ﴾ بعد قوله لهم: اذْبحُوا بَقَرَةً يقتضى أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها؛ ولأنه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أخرى فيستفهموا عنها؛ وإذا صحّ أن السؤال إنما كان عن صفة البقرة المنكّرة التى أمروا فى الابتداء بذبحها فليس يخلو قوله: ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ من أن يكون كناية عن البقرة الأولى، أو عن غيرها، وليس يجوز أن يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية، لأن ظاهر قوله: إِنَّهَا بَقَرَةٌ من صفتها كذا بعد قولهم: ﴿مَا هِيَ﴾ يقتضى أن يكون كنايةً متعلقة بما تضمنه سؤالهم، ولأنّ الأمر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جواباً لهم، بل كان يجب أن يكونوا سألوه عن شىء فأجابهم عن غيره، وهذا لا يليق بالنبى عليه السلام.

على أنه لما أراد أن يكلّفهم تكليفاً ثانيا عند تفريطهم فى الأول على ما يدعيه مَن ذهب إلى هذا المذهب قد كان يجب أن يجيبهم عن سؤالهم، وينكر عليهم الاستفهامَ فى غير موضعه، وتفريطَهم فيما أُمِروا به؛ مما لا حاجة بهم إلى الاستفهام عنه، فيقول فى جواب قولهم: ﴿مَا هِيَ﴾:

(١–١) حاشية الأصل: « ش: صفراء فاقعا لونها، ولا فارضاً ولا بكرا ».
(٢) حاشية الأصل (من نسخة): أن يكونوا ».

إنما كُلِّفتُم أىَّ بقرة شئتم، ومايستحق اسم بقرة ، وقد فرَّطتم فى ترك الامتثال، وأخطأتم فى الاستفهام، مع وضوح الكلام ، إلاَّ أنكم قدكلِّفتم ثانياً كذا وكذا، لأن هذا مما يجب عليه بيانه ؛ لإزالة الشك والإبهام واللبس؛ فلمالم يفعلْ ذلك، وأجاب بالجواب الذى ظاهره يقتضى التعلُّق بالسؤال عُلم أن الأمر على ماذكرناه. وهبْ أنه لم يفعل ذلك فى أول سؤال، كيف لم يفعلْه مع تكرار الأسئلة والاستفهامات التى لم تقع على هذا المذهب بموقعها ؟ ومع تكرر المعصية والتفريط كيف يُسْتَحْسن أن يكون جميع أجوبته غير متعلِّقة بسؤالاتهم؟ لأنهم يسألونه/ عن صفة [٢٢٧ و] شىء فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان؛ بل على أقوى الوجوه الموجبة لتعلّق الجواب بالسؤال؛ لأنَّ قولَ القائل فى جواب مَن سأله ما كذا وكذا: إنه بالصفة الفلانية صريح فى أن الهاء كنايةٌ عمَّاوقع السؤالُ عنه؛ هذا مع قولهم: إن البقر تَشابه علينا، لأنهم لم يقولوا ذلك إلاوقد اعتقدوا أن خطابَهم مجملٌ غير مبين ، فلِمَ لم يقل: أىُّ تشابهٍ عليكم إذ إنما أمرتُمْ فى الابتداء بأىِّ بقرة كانت ، وفى الثانى بما اختص باللون المخصوص من أى البقر كان ؟

فإن قيل: كيف يجوز أن يأمرَهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة إلى آخر الكلام ولا يبين ذلك لهم ، وهل هذا إلا تكليف مالايطاق !

قلنا: لم يُرِدْ منهم أن يذبحوا البقرة فى الثانى من حال الخطاب؛ ولوكانت حال الفعل حاضرة لما جاز أن يتأخر البيان ، لأن تأخيره عن وقت الحاجة هو القبيح الذى لاشبهة فى قبحه، وإنما أراد أن يذبحوها فى المستقبل ، فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم عند الحاجة إليه .

فإن قيل : إذا كان الخطاب غيرَ متضمِّن لصفةِ ما أمروا بذبحه، فوجودُه كعدمه ، وهذا يخرجه من باب الفائدة ، ويوجب كونه عبثاً !

قلنا: ليس يجب ماظننتم؛ لأن القول وإن كان لم يُفِدْ صفةَ البقرة بعينها فقد أفاد تكليفَ ذبح بقرة على سبيل الجملة؛ ولولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا الخطاب، لصار مفيداً من حيث ذكرناه،

وخرج من أن يكون وجوده كعدمه. وفوائدُ الكلام لا يجب أن يدخلها الاقتراح، وليس يُخرج الخطابَ من تعلّقه ببعض الفوائد كونُه غيرَ متعلق بغيرها ، وبما هو زيادة عليها .

فإن قيل : ظاهرُ قوله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ يدلُّ على استبطائهم وذَمِّهم على التقصير فى امتثال الأَمر !

قلنا: ليس ذلك صريح ذمّ ، لأَن ﴿ كَادُوا ﴾ للمقاربة، وقد يجوز أن يكون التكليف صَعُب عليهم لغلاء ثمن البقرة التى تكاملت لها تلك الصفات، فقد رُوِى أنهم ابتاعوها بملء جلدها ذهباً .

على أن الذمّ يقتضى ظاهرُه أن يُصْرَف إلى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأَمر بعد/البيان [٢٢٧ ظ] التام ، لأَن قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ إنما ورد بعد تقدّم البيان التامّ المتكرر ، ولا يقتضى ذمَّهم على ترك المبادرة فى الأَول إلى ذبح بقرة ، فليس فيه دلالة على ما يخالف ما ذكرناه .

فإن قيل : لو ثبت تقديراً أن التكليف فى البقرة متغايرٌ، أىّ القولين اللَّذَيْن حكيتموها عن أهل هذا المذهب أصحّ وأَشبه ؟ قلنا: قولُ من ذهب إلى أَنّ البقرة إنما يجب أَن تكون بالصفة الأَخيرة فقط ، لأَن الظاهرَ به أَشبه ؛ من حيث إذا ثبت تغاير التكليف : وليس فى قوله : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ إلى آخر الأوصاف ذكرٌ لما تقدم من الصفات، وهذا التكليف غير الأَول، فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه.

فأما «الفارض» فهى المُسِنَّة ، وقيل: هى العظيمة الضخمة ؛ يقال: غَرْب فارض ، أىْ ضخم، والغَرْب الدلو؛ ويقال أيضا: لحية فارضة؛ إذا كانت عظيمة؛ والأشبه بالكلام أن يكون المراد المسِنّة .

فأما « البِكر » فهى الصغيرة التى لم تلد، فكأنه تعالى قال : تكون غير مسنّة، ولا صغيرة .

والعوان : دون المسنّة وفوق الصغيرة ؛ وهى النَّصَف التى ولدت بطناً أو بطنين ؛ يقال: حرب عَوان إذا لم تكن أول حرب وكانت ثانية ؛ وإنما جاز أن يقول: ﴿ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ «وبين» لا يكون إلا مع اثنين أو أكثر ؛ لأن لفظة «ذلك» تنوب عن الجمل ، تقول : ظننت زيداً قائماً ، ويقول القائل : قد ظننت ذلك .

ومعنى ﴿ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾، أى خالصة الصفرة، وقيل: إن كل ناصع اللون؛ بياضاً كان أو غيره فهو فاقعٌ . وقيل : إنه أراد بـ«صفراء» هاهنا سوداء .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ أى تكون صعبة لا يذللها العمل فى إثارة الأرض وسقى الزرع .

ومعنى ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾، مفعلة، من السلامة من العيوب، وقال قوم : مسلَّمة من الشِّية، أى لا شية فيها تخالف لونها .

وقيل: ﴿ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾، أى لا عيْب فيها ؛ وقيل: لا وَضَح، وقيل: لا لونَ يخالف لونَ جلدِها، والله أعلم بما أراد، وإياه نسأل حسنَ التوفيق .

* * *

قال سيدنا أدام الله تمكينه : كنت أظن أن المتنبى قد سبق إلى معنى قوله فى مرثية أخت سيف الدولة :

[٢٢٨ و] / طَوَى الجَزِيرَةَ حتَّى جاءَنِى خبرٌ ... فَزِعْتُ فِيهِ بآمالِى إلى الكَذِبِ[1]

حتَّى إذا لم يَدَعْ لِى صِدْقُهُ أملاً ... شَرِقْتُ بالدَّمعْ حتّى كاد يشْرَقُ بى

حتى رأيتُ هذا المعنى لمسلم بن الوليد الأنصارىّ ، وللبحترىّ .

---

(١) ديوانه ١ : ٨٧–٨٨ . الجزيرة : ما كان من الموصل إلى الفرات ؛ وكان الخبر بوفاتها ورد إليه من حلب .

أما الذى لمسلم فقوله فى قصيدة يرثى بها سهل بن الصباح :

وقَفَ العُفاةُ عليكَ مِن متحيِّرٍ … وَلِهِ الرَّجاءِ، وذى غنًى يسترجعُ
ومُخادِعُ السَّمْعِ النعىَّ ودُونَهُ … خَطْبٌ ألمَّ بصادقٍ لا يَخْدَعُ

وقال البحترى يرثى وصيفا التركىّ :

إذا جدّ ناعيهِ توهَّمتُ أنهُ … يُكَرِّر من أخباره قول مازِحِ(١)

وكنت أظن المتنبى قد سُبق إلى قوله :

يحلُّ القنَا يومَ الطِّعانِ بعَقْوَتِى … فأَحْرِمُهُ عِرْضِى، وأُطْعِمُهُ جِلْدِى(٢)

حتى رأيت هذا المعنى واللفظ بعينه لجهم بن شِبْل الكلابىّ من أهل اليمامة فى قوله :

ثَنَى قَوْمَهُ عن حِدْرِجانَ وقَدْ حَنَا … إلى المَوْت دامى الصَّفْحَتَيْنِ كَلِيمُ(٣)
أخُو الحَرْبِ، أمَّا جِلْدُهُ فمُجَرَّحٌ … كَلِيمٌ، وَأما عِرْضُهُ فَسَلِيمُ(٤)

وكنت أظنّ البحترى قد سُبق إلى معنى قوله فى الفتح بن خاقان :

حَمَلْتُ عليه السَّيفَ، لا عَزْمُكَ انثَنَى … ولاَ يَدُكَ ارتدَّتْ، ولا حدُّهُ نَبا(٥)

حتى وجدتُ لشاعر متقدم :

طعَنْتُ ابن دَهْمانٍ بنَجْرانَ طَعْنَةً … شَقَقْتُ بها عنه مُضاعفةَ السَّرْدِ
فلا الكفُّ أوْهَتْ بى، ولاَ الرُّمْحُ خانَنى، … ولاَ الأدْهَم المَنْعُوتُ حادَ عن القَصْدِ

***

(١) ديوانه ١ : ١٢١ . (٢) ديوانه ٢ : ٦١ . عقوتى ؛ أى بقربى .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ت : « الحدرجان ، بالكسر : القصير ؛ قال ابن دريد فى كتاب الاشتقاق : حدرجان : اسم رجل قتله أمير المؤمنين صلوات الله عليه ؛ وهو فعللان ؛ من قولهم : حدرجت السوط وغيره ؛ إذا فتلته فتلا شديدا ، ويجوز أن يكون من مقلوب دحرج » .

(٤) التبيان ٢ : ٦١ . (٥) ديوانه : ١ : ٥٦ .

قال محمد بن يحيى الصولى: وصف الناس صفرة اللون فى العِلل ؛ فكلٌّ حكى ذلك، وبلا فضيلة إلاّ البحترى:

قال أعرابى من أبيات :

جَعَلْتُ وما عايَنْتُ عِطراً كأنَّمَا ... جَرَى بينَ جِلدِى والعِظَامِ خَلُوقُ

[٢٧٨ ط] /وقال أبو تمام :

لم تَشِنْ وجْهَهُ الْمَلِيحَ ولكِنْ ... جَعَلَتْ وَرْدَ وَجْنَتَيْهِ بَهارَا[١]

وقال غيره :

ولم تَشِنْ شَيْئاً ولكِنَّهَا ... بَدَّلَت التُّفَّاحَ بالياسمين

وقال بكر بن عيسى :

عِلةٌ زَعْفَرَتْ مُوَرَّدَ خَدٍّ ... كادَ من رقةٍ وَرِيٍّ يفيضُ

ولأحمد بن يزيد المهلبى :

وقالوا عَرَتْ غراءَ حمّى شَدِيدَةٌ ... فوَجْنَتُهَا منها شديدٌ صَفارُها

فَقُلْتُ لَهُمْ : هَيهاتَ ها تيكَ رَوْضَةٌ ... مَضَى وَرْدُها عنا ، وَجاءَ بَهارُها

ولأبى العتاهية:

وكأننى مما تطاوَلَ بى ... منكَ السَّقام طليتُ بالوَرْسِ

وقال ابن المعتز :

وَصَفَّرَتْ عِلتُهُ وَجْهَهُ ... فصارَ كالدِّينارِ من حَقٍّ[٢]

---

(١) ديوانه : ١ : ٤٤ .

(٢) حاشية الأصل : « كذا فى ديوانه ، وحق كلمة عراقية » أى حقيقة ، أى هذا الذى أقوله من جملة الحق ، وقبله :

وابأَبِى مَنْ جِئْتُهُ عائداً ... فزادنى عِشقاً على عِشْقِ

وقال البحترىّ :

بدَتْ صُفْرَةٌ فى لَوْنِهِ إنَّ حَمْدَهُمْ … من الدُّرِّ ما اصْفَرَّتْ نَوَاحِيهِ فى العِقْدِ
وجَرَّتْ على الأيْدِى مَجَسَّةُ كَفِّهِ … كذَلِكَ مَوْجُ البَحْرِ مُلْتَهِبُ الوَقْدِ
وما الكَلْبُ مَحْمُوماً، وإنْ طالَ عُمْرُهُ … ولكنَّما الحُمَّى على الأسَدِ الوَرْدِ

قال سيدنا أدام الله تمكينه : أما تَشْبيهه صفرة اللون بصفرة الدرّ فهو تشبيه مليح موافق لغرضه ؛ إلاّ أنه أخطأ فى قوله :

. . . إنّ حمدهم … من الدُّر ما اصفرَّتْ نَواحِيه فى العقد

لأن ذلك ليس بمحمود بل مذموم ؛ ولو شبَّه وترك التمليل لكان أجود .

* * *

وروى أبو العباس أحمد بن فارس المنبجىّ قال حدّثنا أبو أحمد عبيدالله بن يحيى بن البحترىّ قال حدثنى أبى قال حدثنى جدّى البحترىّ قال : كنت عند أبى العباس المبرّد ، فتذاكرْنا شعر عُمارة بن عَقيل ، فقال لى : لقد أحسنَ عُمارة فى قوله لخالد بن يزيد لما وجّه إليه بهذين البيتين :

لم أسْتَطِعْ سَيْرًا لِمِدْحَةِ خالدٍ … فجَعَلْتُ مَدْحِيهِ إليه رسُولاَ
/ فلْيَرْحَلَنّ إلَىَّ نائِلُ خالدٍ … ولَيَكْفِيَنّ رَوَاحِلِى التَّرْحِيلاَ [٢٢٩ و]

قال البحترىّ : فقلت له : لمروان بن أبى حفصة فى عبد الله بن طاهر — وقد أتاه نائلُه من الجزيرة ما هو أحسن من هذا — وأنشدته :

لَعَمْرِى لَنِعْمَ الغَيْثُ غَيْثٌ أصابَنا … بِبَغْدادَ مِنْ أرْضِ الجَزِيرَةِ وابِلُهْ
فكُنَّا كحَىٍّ صَبَّحَ الغَيْثُ أهلَهُ … ولم تَرْتَحِلْ أظْعانُهُ ورَوَاحِلُهْ

فقال : نعم ، هذا أحسن ، فقلت له : إن لى فى بنى السِّمط — وقد أتانى برُّهم من حِمْص مالا يتضع عن الجميع وأنشدته :

جَزَى اللهُ خَيْرًا ـوالجَزَاءُ بكفِّهِـ   بنى السِّمْطِ أَخْدَانَ السَّماحةِ والمجْدِ
هُمُ وَصَلُونِى وَالمَهَامِهُ بَيْنَنَا   كما ارْفَضَّ غَيْثٌ من تِهامَةَ فى نَجْدِ

فقال : هذا والله أرقّ مما قالا وأحسن .

* * *

وروى أحمد بن فارس المنبجىّ عن عبيـد الله بن يحيى بن البحترىّ قال حدثنا أبى عن جماعة من أهل العلم والأدب، منهم يموت بن المزرّع قال: قلت لأبى عثمان الجاحظ : مَن أنسب العرب ؟ فقال : الذى يقول :

عَجِلَتْ إلى فَضْلِ الخِمَارِ فأثَّرَتْ   عَذَبَاتُهُ بمواضِعِ التَّقبيلِ (١)

وهذا للبحترىّ فى القصيدة التى أوّلها :

* صَبٌّ يُخاطِبُ مُفْحَماتِ طُلُولِ (٢) *

قال سيدنا : وفى نسيب هذه القصيدة بيتٌ ليس يقصر فى ملاحة الـكلام ورشاقته، وأخذه بمجامع القلوب عن البيت الذى فضله به الجاحظ ، وهو :

أأَخِيبُ عندَكِ والصِّبَا لىَ شافِعٌ   وأُرَدُّ دونَكِ والشَّبَابُ رسُولِى

وفى مديح هذه القصيدة بيت معروف بفرْط الحسن ، وهو :

لا تطْلُبَنَّ لهُ الشَّبيهَ فإنَّهُ   قمرُ التأَمُّلِ مُزْنَةُ التأْمِيلِ

* * *

وبهذا الإسناد عن يحيى بن البحترىّ قال : انصرفت يوماً من مجلس أبى العباس محمد بن يزيد المبرّد / فقال لى البحترىّ أبى : ما الذى أفدْتَ يوْمَك هذا من أبى العباس ؟ قلت : [٢٢٩ ظ] أَمْلَى علىَّ أخباراً حَسنة ، وأنشدنى أبياتاً للحسين بن الضحاك، فقال أبى : أنشدْنى الأبيات، فأنشدته :

كأنِّى إذَا فارَقْتُ شَخْصَكَ ساعةً   لِفقْدِكَ بينَ العالَمِينَ غَرِيبُ

---

(١) عذاباته : جوانبه وأهدابه .   (٢) ديوانه ٢ : ٢٠٥ــ٢٠٧ .

وقد رُمْتُ أسبابَ السُّلُوِّ فخانَنى ... ضميرٌ عليْهِ من هَوَاكَ رَقِيبُ
أغرَّكَ صَفْحِى عن ذُنُوبٍ كثيرةٍ ... وغَضِّى على أشياءَ منكَ تَرِيبُ
كأنْ لم يَكُنْ فى النَّاسِ قبْلى مُتَيَّمٌ ... ولم يكُ فى الدُّنيا سواكَ حبيبُ
إلى اللهِ أشْكو إنْ شَكَوْتُ فلم يَكُنْ ... لِشَكْوايَ من عطفِ الحَبيبِ نَصِيبُ

فقال: ماأحْسنَ هذا الكلام ! وأنشدنى لنفسه :

حَبيبى حَبيبٌ يَكتُمُ النَّاسَ أنَّهُ ... لنَا حِينَ تَلْقانَا العُيُونُ حَبيبُ
يُباعِدُنى فى المُلْتَقَى وفُؤَادُهُ ... وإنْ هوَ أبدَى لى البِعادَ قَريبُ
ويُعرِضُ عنِّى والهوَى منهُ مقْبِلٌ ... إذَا خافَ عَيْناً أوْ أشارَ رَقِيبُ
فتَنْطِقُ مِنَّا أعْيُنٌ حِينَ نلْتقِى ... وتَخْرَسُ منَّا ألْسُنٌ وقلوبُ

ثم قال : اروِ يا بُنىَّ هذيْنِ ؛ فإنهما من حَسَنِ الشِّعر وطريفه .

* * *

روى أحمد بن فارس المنبجّى عن أبى نصر محمد بن إسحاق النحوىّ قال: سمعت بعضَ أهل الأدب يقول للزجاج: قد كنت تعرف أبا العباس المبرّد وكِبْرَه، وأنه لم يكن يقوم لأحد ولا يتطاول له ، وينشد إذا أشرف عليه الرجل :

* ثَهْلانُ ذُو الهَضَباتِ لا يَتحَلْحَلُ(١) *

ولقد رأيته يوماً وقد دخل عليه رجلٌ متدرع، فقام إليه أبو العباس فاعتنقه وتنحَّى عن موضعه وأجلسه ، فجعل الرجل يكفه ويستعفيه من ذلك ؛ فلما أكثر من ذلك عليه أنشده أبو العباس:

أتُنْكِرُ أن أقومَ وقد بدَالِى ... لِأُكْرِمَهُ وأُعْظِمَهُ هِشامُ
فلا تُنْكِرْ مُبادرَتِى إليْهِ ... فإنَّ لِمِثْلِهِ خُلِقَ القِيامُ(١)

/ فلما انصرف الرجل سألت عنه فقيل لِى هذَا البحترىّ . [٢٣٠] و

(١) البيتان والخبر فى طبقات النحويين واللغويين للزبيدى : ١١٤ .

مجلس آخر [٥٣]

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى فى قصة قابيل وهابيل حاكيا عن هابيل : ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾؛ [المائدة : ٢٧ ، ٢٨] .

فقال : كيف يجوزُ أن يخبر عن هابيل ـ وقد وصفه بالتقوى والطاعة ـ بأنه يريد أن يبوءَ أخُوه بالإثم ؛ وذلك إرادةُ القبيح ، وإرادةُ القبيح قبيحة عندكم على كل حال ؛ ووجهُ قبحها كونُها إرادةً لقبيح ، وليس قبحها مما يتغير ؟

وكيف يصحّ أن يبوءَ القاتل بإثمه وإثم غيره ؟ وهل هذا إلا ما تأبَوْنه من أخذ البريء بجرم السقيم ؟

الجواب ، قلنا : جواب أهل الحق عن هذه الآية معروف ؛ وهو أن هابيل لم يُرِدْ من أخيه قبيحاً ، ولا أراد أن يقتله ، وإنما أراد ما خبر الله تعالى عنه من قوله : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾ ؛ أى إنى أريد أن تبوء بجزاء ما أقدمت عليه من القبيح وعقابه ، وليس بقبيح أن يريد نزول العقاب المستحق بمستحقِّه. ونظير قوله: «إِثْمِي» ؛ مع أن المراد به عقوبة إثمى ؛ الذى هو قتلى قولُ القائل لمنْ يعاقب على ذنب جناه : هذا ما كسبت يداك ، والمعنى: هذا جزاء ما كسبَتْ يداك ، وكذلك قولهم لمن يدعون عليه: لقّاك الله عملك، وستلقى عملك يوم القيامة ، معناه ما ذكرناه .

فإن قيل : كيف يجوز أن يحسن إرادة عقَاب غير مستحق لم يقع سببه ؛ لأن القتل على هذا القول لم يكن واقعا ؟

قلنا : ذلك جائز بشرط وقوع الأمر الذى يستحقُّ به العقاب ؛ فهابيل لمّارأى من أخيه التصميم على قتله ، والعزم على إمضاء القبيح فيه ، وغلَب على ظنه وقوعُ ذلك جاز أن يريدَ عقابه؛ بشرط أن يفعل ما همّ به ، وعزم عليه.

فأما قوله : ﴿ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ ﴾ فالمعنى فيه واضح لأنه أراد بإثْمِى عقاب قتلك لى وبإثْمِكَ أىْ عقاب المعصية التى أقدمت عليها من قبل ؛ فلم يُتقبل قربانك لسببها ، لأن الله تعالى أخبرعنهما بأنهما : ﴿ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا / وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾، [٢٣٠ ظ] وأن العلة فى أن قربانَ أحدهما لم يُتقبل أنه غير متقٍ ، وليس يمتنع أن يريد بإثْمِى ما ذكرناه ؛ لأن الإثم مصدر، والمصادر قدتضاف إلى الفاعل والمفعول جميعا ، وذلك مستعمل مطرد فى القرآن والشعر والكلام .

فمثال ماأضيف إلىالفاعل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾؛ [الحج : ٤٠] ومن إضافته إلى المفعول قوله تعالى : ﴿ لاَ يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِنْ دُعاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾؛ [فصلت : ٥١] وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾ ؛ [ص: ٢٤] .

ومما جاء فى الشعر من إضافته إلى المفعول ومعه الفاعل قول الشاعر :

أمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرْبَعٌ ومَصِيفُ ... لِعَيْنَيْكَ مِنْ ماءِ الشُّؤُونِ وكِيفُ[1]

---

(١) البيت للحطيئة ، ديوانه : ٣٩ ؛ وهو مطلع قصيدة يمدح فيها سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ؛ حينما كان واليا على المدينة . الشئون : مجارى الدمع من الرأس إلى العين ؛ واحدها شأن ، ووكيف : مصدر وكف ، أى سال . وفى حاشية الأصل : «يقول : أأن رسم داراً مربع ومصيف بكيت ! والمربع والمصيف واردان مورد المصدر، فلذلك عملا فى رسم دار » .

وفى الـكلام : يقول القائل : أعجبنى ضربُ عمرٍو خالداً، إذا كان «عمرو» فاعلا ، وضربُ عمرو خالدٌ إذا كان «عمرو» مفعولا :

وقد ذكر قومٌ فى الآية وجها آخر ؛ وهو أن يكون المراد: إنى أريد زوال أن تبوء بإثمى وإثمك؛ لأنه لم يرد له إلا الخير والرُّشد؛ فحذف «الزوال»، وأقام «أن» وما اتصل بها مقامه؛ كما قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ ؛ [البقرة: ٩٣] أراد «حبَّ العجل» فحذف «الحب» وأقام «العجل» مقامه ، وكما قال تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾؛ [يوسف : ٨٢]، وهذا قول بعيد ، لأنه لا دلالة فى الـكلام على محذوف ، وإنما تَستحسن العرب الحذفَ فى بعض المواضع لاقتضاء الـكلام المحذوف ودلالته عليه .

وذُكر أيضا وجه آخر وهو أن يكون المعنى : إنى أريد ألاّ تبوء بإثمى وإثمك ، أى أريد ألاّ تقتلنى ولا أقتلك ، فحذف « لا » واكتفى بما فى الـكلام[1] ، كما قال تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَـكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ ؛ [النساء: ١٧٦] ، معنـاه ألاّ تضلوا ، وكقوله تعالى : ﴿وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾؛ [النحل : ١٥] ، معناه ألا تميـد بكم ، وكقول الخنساء :

فأقْسَمْتُ آسىَ على هالِكٍ   وَأسألُ نائحةً ما لَهـا[2]

أرادت : «لا آسى» .

وقال امرؤ القيس :

فقلت يَمِينَ اللهِ أبْرَحُ قاعِداً   ولوْ قَطَعُوا رَأسِى لَدَيْكِ وأوصالِى[3]

أراد «لا أبرح» .

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : (بباقى الـكلام) :

(٢) ديوانها ، ٢٠٢ والرواية هناك :

يَدَ الدَّهْرِ آسَى على هالِكٍ   وَأسألُ نائحةً مالَها

(٣) ديوانه : ٥٨ .

وقال عمرو بن كُلثوم :

نَزَلتُمْ منزِلَ الأضْيافِ مِنّا فعَجَّلْنا القِرى أنْ تَشتِمُونا[(١)]

أراد ألّا[(٢)] تشتِمونا؛ والشواهد فى هذا كثيرة جدًّا.

وهذا الجواب يضعّفه كثيرٌ من أهل العربية ؛ لأنهم لا يستحسنون إضمار «لا» فى مثل هذا الموضع .

فأما قوله تعالى حاكياً عنه: ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾؛ فقال قوم من المفسرين: إن القتلَ على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحاً فى ذلك الوقت ؛ وإن الله تعالى أمره بالصبر عليه ، وامْتُحِن بذلك ، ليكون هو المتولّى للانتصاف .

وقال آخرون : بل المعنى أنك إن بسطتَ إلىَّ يدكَ مبتدئاً ظالماً لتقتُلنى ما أنا بباسطٍ يدى إليك على وجه الظلم والابتداء ؛ فكأنه نفَى عن نفسه القتل القبيح ، وهو الواقع على سبيل الظلم .

والظاهر من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين أشبَهُ، لأنه تعالى خبَّر عنه أنه وإن بسط أخوه إليه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله؛ أى وهو مريد لقتله ومخيرٌ[(٣)] إليه؛ لأن هذه اللام بمعنى «كى»، وهى منبئة عن الإرادة والغرض ؛ ولا شبهة فى حظر ذلك وقبحه ؛ ولأن المدافِع إنما تحسن منه المدافعة للظالم طلبا للتخلص[(٤)] من غير أن يقصد إلى قتله أو الإضرار به ؛ ومتى قصدَ ذلك كان فى حكم المبتدئ بالقتل؛ لأنه[(٥)] فاعل القبيح، والعقل شاهد بوجوب التخلص من المضرة بأى وجه يمكن منه ؛ بعد أن يكون غير قبيح .

(١) من المعلقة ، ص ٢٣٥ — بشرح التبريزى .(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : «لئلا تشتمونا» .
(٣) حاشية ف (من نسخة) : «مختار له» . (٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : «طلبا للنجاة» ، م : «طلب التخلص» . (٥) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : «فى أنه» .

فإن قيل: فكأنكم تمنعون من حُسْنِ امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة وتوجبونهما على كل حال!

قلنا: لا نمنع من ذلك؛ وإنما بيّنا أن الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصاف؛ على ما ذهب إليه قوم؛ لأن قوله: ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ يقتضى أن يكون البسط لهذا الغرض؛ والمدافعة لا تقتضى ذلك، ولا يحسن من المدافع أن يجرى بها إلى ضرر[١]؛ فلا دلالة فى الآية على تحريم المدافعة، ووجب أن يكون ما ذكرناه أولى بشهادة الظاهر.

تأويل خبر

[٢٣١ ظ] إن سأل سائلٌ عن معنى الخبر الذى رواه أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال:/ «لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسه النار إلا تَحِلَّةَ القسم».

الجواب، قيل له: أما أبو عبيد القاسم بن سلّام فإنه قال: يعنى بتحِلّة القسم قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾؛ [مريم: ٧١]، فكأنه قال عليه السلام: لا يرد النار إلا بقدر ما يبرّ الله قسمه.

وأما ابن قتيبة فإنه قال فى تأويل أبى عُبيد: هذا مذهب حَسَن من الاستخراج؛ إن كان هذا قسماً.

قال: وفيه مذهب آخر أشبهُ بكلام العرب ومعانيهم؛ وهو أن العربَ إذا أرادوا تقليل مكث الشىء وتقصير مدّته شبهوه بتحِلّة القسم؛ وذلك أن يقول الرجل بعد حلفِهِ: إن شاء الله، فيقولون: مايقيم فلان عندنا إلا تحِلَّة القسم، وما ينام العليل إلا كتحليل الأليَّة، وهو كثير مشهور.

قال ابن أحمر[٢] وذكر الريح:

---

(١) ف، وحاشية الأصل (من نسخة): «إلى الضرر».

(٢) ف: «مزاحم بن أحمر».

إذا عَصفَتْ رَسْماً فَلَيْسَ بِدائِمٍ ... بهِ وَتِدٌ إلا تَحِلَّةَ مُقْسِمِ (١)

يقول : لا يثبتُ الوتِد إلاّ قليلاً كتحِلَّةِ القَسَم ، لأن هبوب الريح يقلعه .

وقال آخر (٢) يذكر ثوراً :

يَخْفِى التُّرَابَ بأظْلاَفٍ ثمانيَةٍ ... فى أرْبعٍ ، مَسُّهنَّ الأرْضَ تَحْليلُ (٣)

يقول : هو سريعُ خفيف ؛ فقوائمه لا تثبت فى الأرض إلا كتحليل اليمين .

وقال ذوالرُّمة :

طوَى طيَّهُ فَوْقَ الكرَى جفْنُ عَيْنِهِ ... على رَهَبَاتٍ من جِنَانِ المَحاذِرِ (٤)

قَليلاً كتَحْليلِ الألَى ثمَّ قَلَّصَتْ ... بهِ شِيمَةٌ رَوْعاءُ تَقْليصَ طائِرِ (٥)

والأُلَى : جمع ألوة ، وهى اليمين .

قال : ومعنى الخبر على هذا التأويل أن النار لا تمسه إلا قليلا كتحليل اليمين ثم ينجِّيه الله منها .

وقال أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارىّ : الصواب قول أبى عبيد، لحجج ثلاث :

منها أن جماعة من كبار أهل العلم فسّروه على تفسير أبى عبيد .

ومنها أنه ادّعى أن النار تمسّ الذى وقعت منزلته عندالله جليلة، لـكن مسًّا قليلا، والقليل لا يقع به الألم المظيم ؛ وليس صفة الأبرار فى الآخرة صـفة مَن تَمسُّه النـار لا قليلا ولا كثيراً .

(١) حاشية الأصل : « أى ضمته وأحاطت به » . وفى ف ، ش : « عصفت » .

(٢) هو عبدة بن الطبيب، من قصيدةله فى المفضليات ١٣٥ــ١٤٥ (طبعة المعارف) .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « يخفى [بفتح الياء]، أى يظهر ويثير ؛ يقال :أخفى إذا ستر، وخفى إذا ظهر » . فىأربع : أربع قوائم ، فى كلقائمة ظلفان . تحليل : تحلة القسم ؛ كأنه أقسم أن يمس الأرض؛ فهو يتحلل من قسمه بأدنى مس .

(٤) ديوانه : ٢٦٤ ؛ وفى حاشية الأصل : « يصف صاحب سفر أغفى إغفاءة ثم انتبه سريعاً » .

(٥) قلصت ؛ أى ارتفعت . والشيمة : الطبيعة . روعاء : حديدة .

[٢٣٢ و] ومنها أنَّ أبا عبيد لم يحكُم على هذا المصاب بولده بمسّ النار، وإنما حكم عليه بالورود،/ والورود لا يوجب ألّا يكون من الأبرار؛ لأن «إلاَّ» معناه الاستثناء المنقطع ، فكأنه قال: فتمسّه النار لكن تَحِلَّةَ اليمين ، أى لكن ورودُ النار لا بد منه ، فجرى مجرى قول العرب : سار الناس إلا الأثقالَ ، وارتحل العسكر إلاَّ أهلَ الخيام، وأنشد الفرّاء :

وَسَمْحَةِ المَشْىِ شِمْلالٍ قَطَعْتُ بها ... أرْضاً يَحارُ بها الْهادُونَ دَيْمُوما[1]
مهامِهاً وَحُزُوناً لا أنيسَ بها ... إلاَّ الصَّوائِحَ والأَصْداءَ والبُوما[2]

وأنشد الفراء أيضا :

لَيْسَ عَلَيْكَ عَطَشٌ ولا جُوع ... إلاَّ الرُّقادَ، والرُّقادُ مَمْنُوع

فمعنى الحديث : لا يموت للمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار البتة ، لكن تَحِلَّة اليمين لا بد منها، وتحلّة اليمين الورود ، والورود لا يقع فيه مسّ .

وقال أبو بكر : وقد سنَح لى فيه قولٌ آخر : وهو أن تكون «إلا» زائدة دخلت للتوكيد، و«تَحِلَّة» اليمين منصوب على الوقت والزمان، ومعنى الخبر: فتمسه النار ، وقت تَحِلَّة القسم ، و«إلا» زائدة .

قال الفرزدق شاهداً لهذا :

هُمُ القَوْمُ إلاَّ حيثُ سَلُّوا سُيُوفَهُمْ ... وضَحَّوْا بلَحْمٍ من مُحِلٍّ ومُحْرِمِ[3]

معناه : هم القوم حيث سلّوا سيوفهم ، و«إلا» مؤكدة .

وقال الأخطل:

يُقَطِّعْنَ إلاَّ من فروعٍ يَرِدْنَها ... بمَدْحَةِ مَحْمُودٍ ثَنَاهُ وَنائِلُهْ[4]

معناه يقطعون من فروع يردنها ، والفروع : الواسعة من الأرض .

---

(١) سمحة المشى : سهلة المشى. والشملال : الناقة السريعة. والديموم والديمومة . الفلاة يدوم السير فيها لبعدها . (٢) لا أنيس بها : لا أحد بها . والصوائح : جمع ضابح، والضباح صوت الثعالب. والأصداء : جمع صدى ، وهو الهامة . (٣) ديوانه ٢ : ٧٦٠ .
(٤) ديوانه: ٦٣ . ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « ويقطعن » . وفى الديوان :

* إليكُم من الأغوارِ حتى يَزُرْنَكُمْ *

قال سيدنا أدام الله تمكينه: والوجوه المذكورة فى تأويل الخبر كالمتقاربة[١] ، إلا أن الوجه الذى اختص به ابن الأنبارىّ فيه أدنى تعسّف، وبُعد ؛ من حيث جعل « إلاَّ » زائدة ، وذلك كالمستضعف عند جماعة من أهل العربيّة .

وقد تبقَّى فى الخبر مسألة ، التشاغل بالجواب عنها أَوْلَى مما تكلّفه القوم، وهى متوجِّهة على كل الوجوه التى ذكروها فى تأويله .

وهو أن يقال : كيف يجوز أن يخبر عليه السلام بأنَّ مَن مات له ثلاثة من الولد لا تمسّه النار إما جُملة ، أو مقدار تَحِلة القسم ؛ / وهو النهاية فى القلة ! أوَليس ذلك يوجب أن يكون [٢٣٢ ط] إغراء بالذنوب لمن هذه حاله ! وإذا كان مَنْ يموت وله هذا العدد من الأولاد غيرَ خارج عن التكليف ، فكيف يصحّ أن يؤمَّن من العقاب !

والجواب عن ذلك، أنَّا قد علمنا أولا خروج هذا الخبر مخرَجَ المِدْحَة لمن هذه صفته والتخصيص له والتمييز، ولا مِدْحَة فى مجرد موت الأولاد؛ لأن ذلك لا يرجع إلى فعله، فلا بدّ من أن يكون تقدير الكلام: إنَّ النار لا تمسّ المسلم الذى يموت له ثلاثة أولاد؛ إذا حسُن صبره واحتسابه وعزاؤه، ورضاه بما جرى به القضاء عليه ؛ لأنه بذلك يستحقّ الثواب والمدح ؛ وإذا كان إضمار الصبر والاحتساب لا بدّ منه لم يكن فى القول إغراء؛ لأن كيفيةَ وقوع الصبر والوجهِ الذى إذا وقع عليه تَفَضَّلَ الله سبحانه بغفران ما لعلّه أن يستحقّه من العقاب فى المستقبل وإذا لم يكن معلوماً، فلا وجهَ للاغراء .

وأكثرُ ما فى هذا الكلام أن يكون القول مرغِّباً فى حسن الصبر ، وحاثًّا عليه رغبة فى الثواب ، ورجاء لغفرانِ ما لعلّه أن يستحق فى المستقبل من العقاب؛ وهذا واضح لمن تأمله .

---

(١) م ، « متقاربة » .

مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾؛ [البقرة : ٧٤] .

فقال: مامعنى ﴿ أَوْ ﴾ هاهنا؟ وظاهرُها يفيد الشك الذى لا يجوز عليه تعالى .

الجواب ، قلنا فى ذلك وجوه :

أوّلها أن تكون ﴿ أَوْ ﴾ هاهنا للإباحة كقولهم: جالس الحسنَ أو ابن سيرين؛ والقَ الفقهاء أو المحدّثين ، ولم يريدوا الشك؛ بل كأنهم قالوا : هذان الرجلان أهلٌ للمجالسة ، وهذان القبيلان أهل للقاء ؛ فإن جالستَ الحسن فأنت مصيبٌ ، وإن جالستَ ابن سيرين فأنت مصيب ، وإن جمعتَ بينهما فكذلك .

فيكون معنى الآية على هذا : إن قلوب هؤلاء قاسية متجافية عن الرُّشد والخير، فإنْ شبَّهتُم قسوتها بالحجارة أصبتمْ ، وإن شبّهتموها بما هو أشدّ أصبتُم ، وإن شبهتموها بالجميع فكذلك .

وعلى هذا يتأوّل قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ ﴾؛ [البقرة : ١٩] ، لأن ﴿أَوْ﴾ لم يُرد بها الشكّ بل على نحو الذى ذكرناه /، من أنكم إن شبهتموهم بالذى استوقد ناراً [٢٣٣ ظ] فجائز ، وإن شبهتموهم بأصحاب الصيّب فجائز ، وإن شبهتموهم بالجميع فكذلك .

وثانيها أن تكون ﴿ أَوْ ﴾ دخلت للتفصيل والتميز ، ويكون معنى الآية : إن قلوبهم قَسَتْ ، فبعضُها ما هو كالحجارة فى القسوة ، وبعضها ما هو أشد قسوة منها .

ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارَى تَهْتَدُوا﴾؛ [البقرة : ١٣٥] معناه: وقال بعضهم: كونوا هوداً ـ وهم اليهود ـ وقال بعضهم: كونوا نصارى ـ وهم النصارى ـ فدخلت ﴿أَوْ﴾ للتفصيل .

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَياتاً أَوْ هُمْ قائِلُونَ﴾ [الأعراف : ٤] معناه فجاء بعض أهلها بأسُنا بياتاً ، وجاء بعض أهلها بأسنا فى وقت القيلولة .

وقد يحتمِل قوله تعالى : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ﴾ هذا الوجه أيضا ، ويكون المعنى أن بعضَهم يشبِه الذى استوقد ناراً ، وبعضهم يشبه أصحاب الصيب .

وثالثها أن يكون ﴿أَوْ﴾ دخلت على سبيل الإبهام فيما يرجع إلى المخاطب ، وإن كان الله تعالى عالما بذلك غير شاك فيه، لأنه تعالى لم يقصد فى إخبارهم عن ذلك إلا التفصيل ؛ بل علِمَ عز وجلّ أن خطابهم بالإجمال أبلغ فى مصلحتهم ، فأخبر تعالى أنّ قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمَّهم كالحجارة أو أشد قسوة، والمعنى أنها كانت كأحد هذين لا يخرج عنهما .

ويجرى ذلك مجرى قولهم : ما أطعمتُك إلا حلوا أو حامضا ، فيبهمون على المخاطَب ما يعلمون أنه لافائدة فى تفصيله ؛ والمعنى: ما أطعمتك إلا أحَد هذين الضَّرْبين .

وكذلك يقول أحدهم : أ كلت بُسْرَة أو تمرة ؛ وهو قد علم ما أ كل على التفصيل إلا أنه أبهمه على المخاطب، قال لبيد :

تمنَّى ابنتَاىَ أنْ يَعيشَ أبُوهُما ... وهَلْ أنَا إلاَّ من رَبيعةَ أو مُضَرْ[(١)]

أراد: هل أنا إلاَّ من أحد هذين الجِنْسَيْن[(٢)]، فسبيلى أن أفنى كما فنيا؛ وإنما حَسُن ذلك لأن قصده الذى أجرى إليه ، وغَرضه الذى نحاه وهو أن يخبر بكونه ممن يموت ويَفنَى، ولا يُخلّ به إجمال ما أجمل من كلامه ، فأَضرب عن التفصيل؛ لأنه لا فائدة فيه، ولأنه سواء

(١) ديوانه ٢ : ١ . (٢) ش «الحيين» .

كان من ربيعة أو مُضَر فموته واجب . وكذلك الآية، لأن الغرض فيها أن يخبر تعالى عن [٢٣٢ و] شدة قسوة / قلوبهم ، وأنها مما لا تنثني لوعظٍ ، ولا تُصغي إلى حق، فسواء كانتْ في القسوة كالحجارة أو أشد منها ، فقد تم ما أجرى إليه من الغرض في وصفها وذمّها ، وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة وبما هو أشد قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة أو مضر؛ في أنه غير محتاج إليه، ولا يقتضيه الغرضُ في الكلام .

ورابعها أن تكون ﴿أَوْ﴾ بمعنى « بل » كقوله تعالى : ﴿وأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1] [الصافات: ١٤٧] معناه: بل يزيدون .

وروِى عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مَائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾؛ قال : كانوا مائة ألف وبضعاً وأربعين ألفاً . وأنشد الفراء :

بَدَتْ مثلَ قَرْنِ الشمْسِ فِى رَوْنَقِ الضُّحَا وصُورَتِهَا ، أو أَنْتِ في العَيْنِ أَمْلَحُ[2]

وقد تكون «أم» في الاستفهام أيضاً بمعنى «بل»، كقول القائل : أضربت عبد الله أم أنت رجل متعنت؟ معناه : بل أنت رجل متعنت.

وقال الشاعر :

فواللهِ ما أدْرِى أَسَلْمَى تَغَوَّلَتْ ، أَمِ النَّوْمُ ، أم كلٌّ إلَىَّ حَبِيبُ !

معناه : بل كلٌّ .

وقد طعَن بعضُهم على هذا الجواب فقال : وكيف يجوز أن يخاطبنا تعالى بلفظة ﴿بَلْ﴾؛ وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والإضراب عنه، وليس ذلك بشيء .

أما الاستدراك فإن أريد به الاستفادة أو التذكر لما لم يكن معلوماً فليس بصحيح ، لأن

---

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « قال ابن جني : الغرض في قوله تعالى : ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أنهم بحيث يحزرهم الحازر فيقول : هم مائة ألف أو يزيدون ، فحكى على موجب الحزر » .

(٢) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « وصورتها » بالضم . والمعنى : وصورة الشمس في العين أملح ؛ بل أنت » .

أحدَنا قد يقول : أعطيته ألفاً بل ألفين ، وقصدته دفعة بل دفعتين ؛ وهو عالم فى ابتداء كلامه بما أخبر به فى الثانى ، ولم يتجدد به علم ، وإن أريد به الأخذُ فى كلام غير الماضى ، واستئناف زيادة عليه فهو صحيح ؛ ومثله جائز عليه تعالَى .

فأما النقض للكلام الماضى فليس بواجب فى كل موضع تستعمل فيه لفظة « بل » ، لأن القائل إذا قال : أعطيته ألفا بل ألفين لم ينقض الأول ؛ وكيف ينقضه ؛ والأول داخل فى الثانى وإنما زاد عليه ! وإنما يكون ناقضا للماضى إذا قال : لقيت رجلا بل حماراً ؛ وأعطيته درهما بل ثوباً ؛ لأن الأول لم يدخل فى الثانى على وجه ، وقوله تعالى : ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ غير ناقض للأول ، لأنها لا تزيد فى القسوة على الحجارة إلا بعد أن تساويها ، وإنما / تزيد المساواة . [٢٣٤ و]

وخامسها أن تكون ﴿ أَوْ ﴾ بمعنى الواو كقوله : ﴿ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ ﴾ ؛ [النور : ٦١] ، معناه : وبيوت آبائكم ، قال جرير :

نالَ الخِلافَةَ أَوْ كانَتْ لهُ قَدَراً كما أتَى رَبَّهُ مُوسَى على قَدَرِ(١)

وقال تَوْبة بن الحمير :

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بأَنِّىَ فاجِرٌ لِنَفْسِى تُقاها ، أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُها(٢)

وقال جرير أيضا :

أَثَعْلَبَةَ الفَوارِسَ أَمْ رِياحاً عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ والخِشَابا(٣)

أراد : أو رياحا .

---

(١) ديوانه : ٢٧٥ ؛ والبيت من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز ؛ مطلعها :

لَجَّتْ أُمَامَةُ فِى لَوْمِى وَمَا عَلِمَتْ عَرْضَ السماوةِ روحاتِى ولا بُكَرِى

(٢) أمالى القالى : ١ : ١٣١ .

(٣) ديوانه : ٦٦ ؛ من قصيدته المشهورة التى يذم فيها الراعى ؛ ومطلعها :

أقلِّى اللومَ عاذلَ والعِتابا وقُولِى إن أصبتُ لقد أَصابا =

وقال آخر(١) :

فَلَوْ كانَ البُكاءُ يَرُدُّ شيئًا(٢) بَكَيْتُ على بُجَيْرٍ أوْ عِفَاقِ
على المَرْأَيْنِ إذْ هَلَكا جَميعاً لشأْنِهما بشَجْوٍ واشْتِياقِ(٣)

أراد على بُجير وعِفاق .

وقد حكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قُطْرب ، وطعَن عليه بأن قال : ليس شىء يُعلم أشدّ قسوةً عند المخاطبين من الحجارة ، فينْسَق به عليها(٤) ؛ وإنما يصح ذلك فى قولهم : أطعمتُك تمراً أو أحلى منه، لأن أحلى منه معلوم .

واختار المفضل الوجه الذى يتضمن أن ﴿ أَوْ ﴾ بمعنى « بل » .

وهذا الذى طعن به المفَضَّل ليس بشىء ، لأنهم وإن لم يشاهدوا أو يعرفوا ما هو أشدّ قسوة من الحجارة فصورةُ قسوة الحجارة معلومة لهم، ويصحُّ أن يتصوروا ماهو أشد قسوة منها ، وما له الزيادة عليها؛ لأن قدراً ما إذا عرف صح(٥) أن يعرف ما هو أزيد منه أو أنقص،

= وهى القصيدة التى تسميها العرب : الفاضحة . والبيت من شواهد الكتاب (١ : ٥٢) استشهد به على نصب « ثعلبة » ، بإضمار فعل دل عليه مابعده ؛ فكأنه قال : أظلمت ثعلبة ، عدات بهم طهية ، ونحوه من التقدير . وأورده أيضا فى (١ : ٤٨٩) شاهدا على دخول «أم» عديلة للألف . وفى حاشية الأصل : « كأنه قال : أأخلت ثعلبة الفوارس فعدلت بهم طهية والخشاب! » .

(١) البيتان فى اللسان (عفق) ؛ ونقل عن ابن برى أنهما لمتمم بن نويرة ، وعفاق : اسم رجل أكلته باهلة فى قحط أصابهم . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ميتا »

(٣) رواية اللسان :

هُمَا الْمَرْآنِ إذْ ذَهَبَا جميعاً لِشَأْنِهِمَا بحُزْنٍ واشْتِيَاقِ

وذكر أن بسطام بن قيس أغار على بنى يربوع فقتل عفاقا وقتل بجيرا أخاه بعد قتله عفاقا فى العام الأول، وأسر أباهما أبامليك، ثم أعتقه وشرط عليه ألايغير عليه؛ قال ابن برى : ويقوى قول من قال إن باهلة أكلته قول الراجز :

إنّ عفاقاً أكلتْهُ باهلَهْ تمششوا عظامه وكاهلَهْ

(٤) حاشية ف : « النسق أن تعطف كلاما على كلام ، والنسق الترتيب » . (٥) م : « جاز » .

لأن الزيادة والنقصان إنما يضافان إلى معلوم معروف ، على أن الآيةَ خرجت مخرج المثل ، وأراد تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة فى القسوة على الحجارة أنها قد انتهتْ إلى حد لا تلين معه للخير على وجه من الوجوه ، وإن كانت الحجارة ربما لانتْ وانتفع بهاَ ، فصارت من هذا الوجه كأنها أشدُّ قسوة منها تمثيلاً وتشبيها .

فقول المفضل : « ليس يعرفون مَا هو أقسى من الحجارة » لا معنى له إذا كان القول على طريق المثل .

وبعد ؛ فإن الذى طُعِن به على هذا الجواب يعترِضُ على الوجه الذى اختاَره ، لأنه إذا اختار أنّ ﴿ أَوْ ﴾ فى الآية بمعنى « بل » فكيف جاز بأن يخبرَهم بأنّ قلوبهم أشدّ قسوة من الحجارة ، وهم لا يعرفون ماهو أقسى من الحجارة ! وإذا جاز أن يقول لهم : بل قلوبهم أقسى مما يعرفون من الحجارة جاز أن يخبِر عن مثل ذلك بالواو فيقول : قلوبهم كالحجارة التى يعرفون فى القسوة ، وهى مع ذلك تزيد عليها .

فإن قال [قائل][1] كيف يكون ﴿ أَوْ ﴾ فى الآية بمعنى الواو ، والواو للجمع ، وليس يجوز أن تكونَ قلوبهم كالحجارة ، وأشد من الحجارة فى حالة واحدة ؛ لأن الشىء إذا كان على صفة لم يجز أن يكون على خلافها !

قلنا : قد أجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بأن قال : ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجارة فى حالٍ ، وأشد من الحجارة فى حال أخرى ؛ فيصحّ المعنى ، ولا يتنافى ، وهذا قريب ، ويكون فائدة هذا الجواب أن قلوبَ هؤلاء فى بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن قبول[2] الحق والفكر فيه ؛ ربما لانتْ بعض اللين ؛ [3]وَهمّتْ بالانعطاف ، وكادت تُصغى إلى الحق فتكون فى هذه الحال كالحجارة التى ربما لانت[3] ، وفى حال أخرى تكون فى نهاية البعد عن الخير[4] والنفور عنه ، فتكون فى هذا الحال أشدَّ قسوة من الحجارة .

---

(١) من ف . (٢) م : « تصور » .

(٣–٣) ساقط من م (٤) م : « الحق » .

على أنه يمكن فى الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر ؛ وقد تقدم معناه فى بعض كلامنا، وهو أن قلوبهم لا تكون أشدّ من الحجارة إلا بعد أن يكون فيها قسوة الحجارة؛ لأن القائل إذا قال : فلان أعلم من فلان فقد أخبر أنه زائد عليه فى العلم الذى اشتركا فيه ؛ فلابدّ من الاشتراك ثم الزيادة ، فليس هاهنا تنافٍ على ما ظنّ المعترض ، ولا إثبات لصفة ونفيها ، فكل هذا واضح(١) بحمد الله .

* * *

قال سيدنا أدام الله تمكينه : وإنى لأستحسن من الشعر قول الأحوص بن محمد الأنصارىّ :

وَمَوْلًى سَخِيفِ الرَّأْىِ رِخْوٍ تَزِيدُهُ ... أَنَاتِى ، وعَفوِى(٢) جَهْلَهُ عِنْدَهُ ذَمَّا(٣)
دَمَلْتُ ، ولَوْلاَ غيرُه لأَصَبْتُهُ ... بِشَنْعَاءَ باقٍ عارُها تَقِرُ العَظْمَا(٤)
طَوَى حَسَداً ضِغْناً علىَّ كأَنَّمَا ... أداوِى به فى كلِّ مَجْمَعَةٍ كَلْمَا(٥)
/ ويَجْهَلُ أحياناً فلاَ يَسْتَخِفُّنى ... ولا أجْهَلُ العُتْبَى إذا راجَعَ الحِلْمَا(٦) [٢٣٥ و]
يَصُدُّ ويَنْأَى فى الرَّخاءِ بودِّهِ ... ويَدْعُو ويَدْعُونِى إذَا خَشِىَ الهَضْمَا
فَيُفْرِجُ عنهُ أرْبَةَ الخَصْمِ مَشْهَدِى ... وأَدْفَعُ عنهُ عندَ عَثْرَتِهِ الظُّلْمَا

ـ الأربة : الدهاء ، والأُربة : العقدة ، وكلا المعنيين يحتمل لفظُ البيت ـ

وكُنْتَ امْرَأً عَوْدَ(٧) الفِعَالِ تَهُزُّنى ... مآثِرُ مَجْدٍ تالِدٍ لم يَكُن زَعْمَا

(١) م : «بين» . (٢) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : «غفرى» .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : «أى كلما غفرت جهله زادنى ذما» .

(٤) دملت : داريت وداجيت ؛ ويقال : «ادمل القوم» ؛ أى اطوهم على مافيهم ؛ ومنه قول ابن الطيفان :

وَمَوْلًى كمولَى الزِّبْرقانِ دملتُه ... كما اندملتْ ساقٌ يُهَاضُ بها الكَسْرُ

وتقر العظم : تصدعه وتكسره . وشنعاء ، أى قصيدة فى الهجو .

(٥) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : «أدارى» . وبه أى بحطئه ، والمجمعة : المجمع .

(٦) العتبى : الرضا . (٧) عود الفعال : جليله وعظيمه .

وكنتُ وشَتْمِى فى أرومةِ مالكٍ ... بسَبِّى له كالكَلْبِ إذْ يَنْبَحُ النَّجْما
ولسْتَ بلاقٍ سيِّدًا سادَ مالكاً ... فتنْسُبُهُ إلاَّ أباً لى أو عمّا
سَتَعْلَمُ إنْ عاديْتَنِى فَقْعَ قَرْقرٍ ... أمالاً أفدْتَ ـ لا أبا لكَ ـ أوْ عُدْما(١)
لقدْ أبقتِ الأيَّامُ منِّى وحَرْسُها ... لأعدائنا ثُكْلاً وحُسَّادِنا رَغْما(٢)
وكانت عُرُوقُ السُّوءِ أزْرَتْ(٣) وقصَّرتْ ... بهِ أنْ ينالَ الحمْدَ فالتمسَ الذَّمّا

ومن مختار قوله :

إنى إذا خَفِىَ اللئامُ(٤) رأيتنى ... كالشَّمْسِ لا تَخْفَى بكلِّ مكانِ
ما منْ مصيبةِ نَكْبةٍ أُمْنَى بها ... إلاَّ تُشرِّفُنى وتُعظِمُ شانى
وتَزُولُ حين تزُولُ عن مُتَخَمِّطٍ(٥) ... تُخْشَى بوادرُهُ على(٦) الأقْرانِ

ومن جيد شعره .

خليلانِ باحا بالهوَى فتَشاحَنتْ ... أقاربُها فى وَصْلِها(٧) وأقاربُهْ
ألاَ إنَّ أهْوَى النَّاسِ قُرْباً ورُؤْيةً ... وريحاً إذا ما اللَّيلُ غارتْ كواكِبُهْ
ضَجيعٌ دَنا منِّى جَذِلْتُ بقُرْبِهِ ... فباتَ يُمنِّينِى وبتُّ أُعاتِبُهْ
وأخْبِرُهُ فى السِّرِّ بيْنِى وبيْنَهُ ... بأنْ ليْسَ شىْءٌ عندَ نفْسى يقارِبُهْ

* * *

(١) فقع قرقر ، أى يافقع قرقر ، والفقع : ضرب من أردأ الكمأة ، والقرقر : الأرض الخالية ؛ ويشبه به الرجل الذليل ؛ يقال : أذل من فقع بقرقر ؛ لأن الدواب تنجله بأرضها ؛ قال النابغة :

حَدِّثُونِى بنى الشَّقِيقةِ مايَمْـــنعُ فقعا بقرقَرٍ أن يزولا

(٢) الحرس : الدهر . (٣) م: «أودت» . (٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : «الرجال» . (٥) التخمط : الغضب مع الثورة والجلبة . (٦) البوادر : جمع بادرة وهى مايبدر من الإنسان عند الشر ، وفى ف : « لدى الأقران » . (٧) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف :

* أقاربُها فى وصله وأقاربُه *

وقد غبَّر فى وجه كل مَنْ وصف المضاجعة امرؤ القيس حيث يقول [١] :

تقولُ وقدْ جرَّدْتُها من ثِيابِها ... كما رُعْتَ مَكْحولًا من العِينِ أَتْلَعَا [٢]
وجَدِّكَ لو شىءٌ أتانا رسُولُه ... سوَاكَ، ولكِنْ لم نَجِدْ لكَ مَدْفعَا
فَبِتْنَا نَذُودُ الوَحْشَ عنَّا كأنَّنَا ... قَتيلانِ لم تَعْلَمْ لنا النَّاسُ مَصْرَعَا [٣]
إذَا أَخذَتْها هِزَّةُ الرَّوْعِ أَمسَكَتْ ... بمَنْكِبِ مِقْدامٍ على الهَوْلِ أَرْوَعا [٤]

وقال على بن الجهم فى وصفه شدة الالتزام :

سَقَى اللهُ ليلاً ضَمَّنَا بعدَ هَجْعَةٍ ... وأَدْنَى فُؤَاداً من فُؤَادٍ مُعَذَّبِ [٥]
فَبِتْنَا جَميعا لَوْ تُرَاقُ زُجاجَةٌ ... منَ الرَّاحِ فِيما بَيْنَنا لم تسرَّبِ

ولعبد الصمد بن المعذّل فى هذا المعنى :

كأنَّنى عانَقْتُ رَيحانةً ... تنَفَّسَتْ فى لَيْلِها البَارِدِ [٦]
فلَوْ ترَانا فى قَمِيصِ الدُّجَى ... حَسِبْتَنا فى جَسَدٍ واحِدِ

---

(١) من قصيدة رواها أبو عمرو الشيبانى، وأولها :

جزعتُ ولم أجزعْ من البَيْنِ مجزَعا ... وغويت قلباً بالكواعب مولَعا
وأصبحت ودَّعْتُ الصبا غير أننى ... أراقب خَلّاتٍ من العيش أربعا

ولم تذكر فى ديوانه بشرح البطليوسى ؛ وهى فى مجموعة أشعار الستة للأعلم ص ٧٩ (مخطوطة الكتبة التيمورية ٤٥٠ أدب) والأبيات أيضاً فى حماسة ابن الشجرى : ١٩٥–١٩٦ .

(٢) قال الأعلم : « قوله : » كما رعت مكحول المدامع » ، أى لما جردتها من ثيابها بدت محاسنها وتبين طول عنقها ، كما تبين ذلك من الغزل المروع. والأتلع : الطويل العنق » .

(٣) بعد هذا البيت فى رواية الأعلم عن أبى عمرو :

تجافِى عن المأثور بينى وبينَها ... وتُدْنِى علىَّ السَّابرِىَّ المضلَّعَا

— تجافى : ترفع . والمأثور : السيف الذى فيه أثر ؛ وهو فرند السيف، والسابرىّ : ضرب من الثياب. والمضلع : الذى فيه طرائق وشى .

(٤) أخذتها هزة الروع : ارتعدت فزعا وهيبة . والمقدام : الكثير الإقدام على الأهوال . والأروع : المعجب المنظر جمالا وقوة .

(٥) ديوانه ٩٥ وحماسة ابن الشجرى : ١٩٦ .

(٦) حماسة ابن الشجرى ١٩٦ .

ولبشار بن برد:

إنَّنى أَشْتَهِى لِقاءَكَ واللـــهِ فماذا علَيْكَ أَنْ تَلْقانى
قَدْ تَلُفُّ الرِّياحُ غُصْنامنَ البـــانِ إلى مِثْلِهِ فيلْتَقِيانِ

ومثل هذا للبحترىّ :

ولَمْ أَنْسَ لَيْلَتَنا فى العِنـــاقِ لَفَّ الصَّبا بقَضِيبٍ قَضِيبا[(١)]
كما افْتَنَّتِ الرِّيحُ فى مَرِّها فطَوْراً خفُوتا ، وطَوْراً هُبوبا

ولآخر فى مثل هذا بعَيْنِهِ ، ولسنا ندرى هل سبق البحترىّ أو تأخر عنه :

وضَمٍّ لَا يُنَهْنِهُهُ اعْتِناقٌ كماالْتَفَّ القَضِيبُ على القَضِيبِ

ولعلى بن الجهم :

وبِتْنَا على رَغْمِ الحَسُودِ كأَنَّنَا خَلِيطانِ من ماءِ الغَمامَةِ والخَمْرِ[(٢)]

[٢٣٦ و] / وهذا وإن جمله فى العناق فهو مأخوذ من قول بشار :

وإنْ نَلْتَقِى خلْفَ الغَيُور كأَنَّنا سلافُ عُقَارٍ بالنُّقَاخِ مَشُوبُ[(٣)]

والأصل فى هذا قول الأخطل، والناس من بعده على أثره :

منَ الجَازِئَاتِ الحُورِ مَطْلَبُ سرِّهَا كَبَيْضِ الأَنُوقِ المُسْتَكِنَّةِ فى الوَكْرِ[(٤)]
وإنى وإيَّاهَا إذَا ما لَقِيتُهَا لَـكالْماءِ مِنْ صَوْبِ الغَمامَةِ والخَمرِ

وقد أخذه أيضاً ابن أبى عيينة فقال :

---

(١) ديوانه ١ : ٥١ (٢) ديوانه ١٤٤ وحماسة ابن الشجرى ١٩٦ ، وروايته هناك :

٭ وبِتْنا على رغم الوشاةِ كأنّنا ٭

(٣) ديوانه ١ : ١٨٥ . والنقاخ : الماء البارد ؛ وفى حاشية الأصل : « س : خلف العيون » .

(٤) ديوانه : ٢١٢ الأنوق : الرخمة ؛ وفى المثل: « أعزّ من بيض الأنوق » ، لأنها تحرزه فلا يكاد يظفر به ؛ لأن أوكارها فى رءوس الجبال والأماكن الصعبة .

(١ذاكَ إذْ روحها وروحى مزاجاَ ... نِ كأصْفَى خمر بأعذبِ ماء

وأخذه العباس بن الأحنف فقَال١) :

ما أنسَ لا أنْسَ يُمْنَاهَا مُعطَّفَةً ... على فؤَادِى ، ويُسْرَاها على رَاسِى(٢)

وقَوْلَهَا : لَيْتَهُ ثَوْبٌ على جَسدِى ... أوْ لَيتَنى كنتُ سِرْبالاً لِعبَّاسِ(٣)

أَوْ ليتَهُ كانَ لِى خمراً وكنتُ لهُ ... منْ ماءِمزْنٍ،فكُنَّاالدَّهْرَفى كَاسِ

ومثل هذا للبحترىِّ :

وَجَدْتُ نَفْسَكَ منْ نَفْسِى بمنْزلةٍ ... هى المُصَافَاةُ بين المَاءِ والرَّاحِ(٤)

ولقد أحسن بشار فى قوله :

لقد كانَ ما بَيْنِى زَماناً وبَيْنَهَا ... كما بين رِيحِ المِسْكِ والعَنْبَرِ الوَرْدِ

***

أخبَرَنَا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنا أَحمد بن محمد المكّى قال حدثنا أبو العيناء قال

(١—١) ساقط من م . (٢) ديوانه : ٩٠ ؛ وبعده :

قَالَتْ وإنسانُ ماءِ العيْنِ فى لجج ... يكاد ينْطِق عن كربٍ وَوَسْوَاسِ!

يطفُو ويرسو غريقاً مايُكَفْكِفُهُ ... كَفٌّ ، فيالك من طاف ومن راسِ

(٣) رواية الديوان:

عَبّاسُ ليتَك سِرْبالى على جَسدِى ... أو ليتنى كنت سربالا لعباسِ

(٤) ديوانه : ١ : ١١٣ ؛ وفى حاشية الأصل : وأشد إمعانا منه قوله :

وبتنا جميعاً لو تراقُ زجاجةٌ ... من الخمر فيما بيننا لم تَسَرَّبِ

وقول أبى الجوائز الواسطى رحمه الله :

فاعتنقنا ضَمًّا يَذوب حصى اليـــــاقوت منه، وتطمّن النهودُ

حدثنا العتبىّ عن أبيه قال: سيّر الوليد بن عبد الملك(١) الأحوص إلى دَهْلَك(٢)، فكتب الأحوص إلى عمر بن عبد العزيز حين استخلف:

وكيفَ ترَى للنَّوْمِ طَعْماً ولذَّةً وخالُكَ أمْسى مُوثَقا فى الحبائِلِ!
فمن يكُ أمْسَى سائلاً عن شماتةٍ لِيَشْمَتَ بى، أو شامِتاً غيرَ سائلِ
/ فقد عَجَمَتْ مِنّى الحَوَادِثُ ماجداً صبُوراً على غمّاءِ تلك البلاَبِلِ [٢٣٦ ط]
إذا سُرَّ لم يَفْرَحْ، وليْسَ لنكْبَةٍ ألَمَّتْ بهِ بالخاشِعِ المُتضائلِ

فبعث عمر بن عبد العزيز إلى عِراك بن مالك، الذى كان شهد عليه فقال: ما ترى فى هذا البائس؟ فقال عراك: مكانه خير له، فتركه فى موضعه، فلما وَلِىَ يزيد بن عبد الملك جلب الأحوص وسيَّر عِراكا(٣).

---

(١) كذا جاءت الرواية هنا؛ وفى الأغانى ٤ : ٢٤٦ (طبعة الدار) أن الأحوص كان ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ويتغنى فى شعره معبد ومالك، ويشيع ذلك فى الناس، فنهى فلم ينته، فشكى إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة، وسألوه الكتاب فيه إليه، ففعل ذلك؛ فكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوط، ويقيمه على البلس للناس، ثم يصيره إلى دهلك. ففعل ذلك به، فثوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك، ثم ولى عمر بن عبد العزيز فكتب إليه يستأذنه فى القدوم ويمدحه، فأبى أن يأذن له، وكتب فيما كتب إليه به... ثم أورد الأبيات.

(٢) دهلك: جزيرة فى بحر اليمن؛ وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة.

(٣) فى خبر صاحب الأغانى: «فأتى رجال من الأنصار عمر عبد العزيز فكلموه فيه وسألوه أن يقدمه، وقالوا له: قد عرفت نسبه وموضعه وقديمه، وقد أخرج إلى أرض الشرك، فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه؛ فقال لهم عمر: فمن الذى يقول:

فما هو إلا أنْ أرَاهَا فُجاءةً فأُبْهَتَ حتَّى ماأكادُ أُجيبُ

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذى يقول:

أدورُ ولولا أن أرَى أم جعفرٍ بأبياتِكُمْ مادرتُ حيث أدورُ
وما كنتُ زوّاراولكنَّ ذاالهوى إذا لم يزرْ لابدّ أن سيزور

قالوا: الأحوص، قال فمن الذى يقول: =

قال سيدنا أدام الله علوه : وإنما كان الأحوص خالَ عمرَ بن عبد العزيز من جهة أنّ أمّ عمر هى أمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وأمها أنصارية .

فأما قوله « إذا سرّ لم يفرح » فمأخوذ من قول لَقيط بن زُرارة :

لاَ مُتْرَفاً إنْ رَخاءُ العَيْشِ ساعَدَهُ ، وَلَيْسَ إنْ عضّ مكْرُوهٌ بهِ خَشَعَا[(١)]

وللأحوص :

وَبِبطْنِ مَكّةَ لا أبوحُ بهِ قُرَشِيَّةٌ غَلَبَتْ على قَلْبى
ولوْ أنَّهَا إذْ مَرّ مَوْكِبُهَا يَوْمَ الكَدِيدِ أطاعَنِى صَحْبى[(٢)]
قُلْنَا لَهَا : حُيِّيتِ مِنْ شَجَنٍ ولِرَكْبِها : حيِّيتَ مِنْ رَكْبِ
والشَّوْقُ أقْتلُهُ بِرُؤْيَتِهَا قَتْلَ الظَّما بالباردِ العَذْبِ
وَالنَّاسُ إنْ حَلُّوا جميعُهُمُ شِعْباً ـ سلامَ ، وأنتِ فى شِعبِ[(٣)]

كأنَّ لُبنَى صَبِيرُ غاديةٍ أو دُمْيةٌ زُيِّنَتْ بهَا البِيَعُ
اللهُ بينى وبينَ قَيِّمِها يفرُّ مِنِّى بها وأتَّبِعُ

قالوا : الأحوص، قال : بل الله بينها وبين قيمه . قال : فمن الذى يقول :

ستُبْلَى لَكُمْ فى مُضْمَرِ القلْبِ والحَشَا سَرِيرَةُ حُبٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرائرُ

قالوا : الأحوص . قال : إن الفاسق عنها يومئذ لمشغول ، والله لاأرده ماكان لى سلطان . فمكث هناك بقية ولاية عمر وصدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك . قال فبينا يزيد وجاريته حبابة ذات ليلة على سطح تغنيه بشعر الأحوص ، فقال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا وعينيك ماأدرى ـ وقدكان ذهب من الليل شطره ـ فقال : ابعثوا إلى ابن شهاب الزهرى فعسى أن يكون عنده علم من ذلك ، فأتى الزهرى فقرع عليه بابه ، فخرج مروعا إلى يزيد ، فلما صعدإليه قال له يزيد : لاترع ، لم ندعك إلا لخير ، اجلس ، من يقول هذاالشعر؟ قال : الأحوص بن محمدياأمير المؤمنين ، قال : مافعل ؟ قال: طال حبسه بدهلك قال : قدعجبت لعمر كيف أغفله . ثم أمر بتخلية سبيله ووهب له أربعمائةدينار ، فأقبل الزهرى من ليلته إلى قومه من الأنصار فبشرهم بذلك » .

(١) مختارات ابن الشجرى : ٥ . (٢) حاشية الأصل : « خبر » إن » قوله : « أطاعنى صحبى » . والعائد إلى الاسم الهاء من « موكبها » والتقدير : ولو أنها أطاعنى صحبى إذا مرموكبها يوم الكديد » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « وأنت فى شعب » .

حللتُ شِعْبَكِ دُونَ شِعْبِهُمُ ولكانَ قُرْبُكِ مِنْهُمُ حَسْبِى (١)

قوله :

* والشوق أقْتُلُه بِرُؤْيتِها *

نظير قول جرير :

فلما التقَى الحيَّانِ أُلقيتِ العصاَ ومات الهوَى لمَّا أُصِيبَتْ مقاتِلُه (٢)

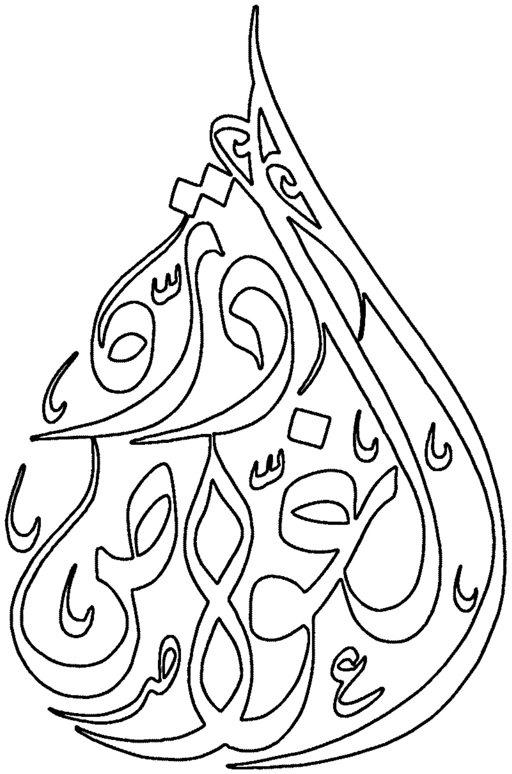

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « فى هذه الأبيات :

ثِنْتَانِ لاأدنو لِوَصْلِهِما عِرْسُ الخليل وجارة الْجَنْبِ
أما الخليلُ فلستُ خائنَه والجارُ قد أوصَى به رَبِّى

(٢) ديوانه : ٤٧٨ .

مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾، [البقرة : ٣١] .

فقال : كيف يأمرهم أنْ يخبروا بما لا يَعْلَمُون ، أوَ ليس ذلك أقبحَ من تكليف ما لا يطاق ؛ الذى تأبَوْنه ؛ والذى جوّز(١) أن يكلِّف تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوِّزه .

[٢٣٧ و] / الجواب ، قلنا: قد ذكر فى هذه الآية وجهان :

أحدها أنّ ظاهر الآية إن كان أمراً يقتضى التَّعَلُّقَ بشرط ، وهو كونهم صادقين عالمين بأنهم إذا أَخْبَرُوا عن ذلك صدقوا ــ فكأنه قال لهم : خبِّروا بذلك إنْ علمتموه ؛ ومتى رجعوا إلى نفوسهم فلم يعلموا، فلا تكليف عليهم . وهذا بمنزلة أن يقول القائل لغيره : خبِّرنى بكذا وكذا إن كنت تعلمه ، أو إن كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به عنه .

فإن قيل : أليس قد قال المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إنّ المراد به : إن كنتم تعلمون بالعلّة التى من أجلها جَعلْتُ فى الأرض خليفة ، أو إن كنتم صادقين فى اعتقادكم أنكم تقومون بما أنصِب الخليفة له ، وتضطلعون به ، وتصلحون له ؟.

قلنا : قد قيل كل ذلك ، وقيل أيضا ما ذكرناه ؛ وإذا كان القول محتمِلا للأمرين جاز أن يُبْنَى الكلام على كل واحد منهما؛ وهذا الجواب لا يتمّ إلاَّ لمن يذهب إلى أن الله تعالى يصحّ أن يأمر العبد بشرطٍ قد علم أنه لا يحصل ، ولا يحسن أن يريد منه الفعل على هذا

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ومن يجوّز » .

الوجه ؛ ومَن ذهب إلى جواز ذلك صحّ منه أن يعتمد على هذا الجواب .

فإن قيل : فأىّ فائدة فى أن يأمرَهم بأن يخبروا عن ذلك بشرط أن يكونوا صادقين ، وهو عالم بأنهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به ؟

قلنا : لمن ذهب إلى الأصل الذى ذكرناه أن يقول : لا يمتنع أن يكون الغرض فى ذلك هو أن ينكشف بإقرارهم وامتناعهم من الإخبار بالأسماء ماأراد تعالى بيانَه من استئثاره بعلْم الغيب، وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح فى الدين .

فإن قيل : فهذا يرجع إلى الجواب الذى تذكرونه من بعد ؟ قلنا : هو وإن رجع إلى هذا المعنى فبينهما فرقٌ(١) من حيث كان هذا الجواب ، على تسليم أنّ الآية تضمنت الأمر والتكليف الحقيقيين .

والجواب الثانى لا نسلِّم فيه أنّ القول أمرٌ على الحقيقة ، فمن هاهنا افترقا .

والجواب(٢) الثانى أن يكون الأمر(٣) وإن كان ظاهره ظاهر أمر ، فغير أمر على الحقيقة ؛ بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة ؛ وقد يرد بصورة الأمر ما ليس بأمر ، / والقرآن [٢٣٧ ظ] والشعر (٤ وكلام العرب مملوءٌ بذلك ٤) .

وتلخيص هذا الجواب أنّ الله تعالى لما قال للملائكة : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] ؛ أى مطّلع من مصالحكم، وما هو أنفعُ لكم فى دينكم على مالا تطّلعون عليه . ثم أراد التنبيه على أنه لايمتنعُ أن يكون غيرُ الملائكة — مع أنها تسبح وتقدّس وتُطيع ولا تعصى — أوْلَى بالاستخلاف فى الأرض ؛ وإن

---

(١) د ، ف : « بون » . (٢) م : « والوجه الثانى » . (٣) حاشية ف (من نسخة) : « القول » . (٤—٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « وأخبار العرب مملوءة بذلك » .

كان فى ذريته من يفسد ويَسفك الدماء . فعلّم آدم عليه السلام أسماء جميع الأجناس، أو أكثرها[١] ثم قال : ﴿ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ مقرراً لهم ومنبهاً على ما ذكرناه ، ودالا على اختصاص آدم بما لم يَخُصُّوا به. فلما أجابوه بالاعتراف والتسليم إليه عِلْمَ الغيب الذى لايعلمونه، فقال تعالى لهم ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٣] منبّهاً على أنه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح فى الدين ، وأن الواجب على كل مكلف أن يسلم لأمره ، ويعلم أنه لا يختار لعباده إلا ما هو أصلحُ لهم فى دينهم ؛ علموا وجه ذلك أم جهلوه .

وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ محمولا على كونهم صادقين فى العلم بوجه المصلحة فى نصب الخليفة ، أو فى ظنهم أنهم يقومون بما يقوم به هذا الخليفة ، ويكملون له ؛ فلولا أن الأمر على ما ذكرناه ، وأنَّ القول لا يقتضى التكليف لم يكن لقوله تعالى بعداعترافهم وإقرارهم: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَاتُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ معنى، لأن التكليف الأول لايتغير حالُه بأن يخبرهم آدم عليه السلام بالأسماء ، ولا يكون قوله : ﴿ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ إلى آخر الآية إلاَّ مطابقاً لما ذكرناه من المعنى ؛ دون معنى التكليف؛ فكأنه قال تعالى: إذا كنتم لاتعلمون هذه الأسماء، فأنتم عن عِلْمَ الغيب أعجز ؛ وبأن تسلموا الأمر لمن يعلمه ويدبّر أمركم بحسبه أَوْلى.

فإن قيل : فكيف علمت الملائكة بأن فى ذُرية آدم عليه السلام مَن يفسد فى الأرض ، [٢٣٨] و ويسفك الدماء ؟ وما طريق علمها بذلك ؟ /وإن كانت غيرَ عالمة فكيف يحسن أن تخبر عنه بغير علمٍ !

قلنا : قد قيل إنها لم تخبر وإنما استفهمت؛ فكأنها قالت متعرفة: أتجعل فيها مَنْ يفعل كذا وكذا .

(١) م : بعد هذه الكلمة : « وقيل أسماء محمد صلى الله عليه وآله والأئمة من ولده وسلم ، وفيه أحاديث مروية » .

وقيل : إن الله تعالى أخبرها بأنه سيكون من ذرّية هذا المستخلَف مَن يعصى ويفسد فى الأرض : فقالت على وجه التعرف لما فى هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه: أتجعلُ فيها مَنْ يفعل كذا وكذا ؟

وهذا الجواب الأخير يقتضى أن يكون فى أول الكلام حذفٌ ويكون التقدير : وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ، وإنى عالم أن سيكون من ذريته مَن يفسد فيها، ويسفك الدماء ، فاكتفى عن إيراد هذا المحذوف بقوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ لأن ذلك دلالة على الأول ؛ وإنما حذفه اختصاراً .

وفى جملة جميع الكلام اختصار شديد، لأنه تعالى لما حكى عنهم قولهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ كان فى ضمن هذا الكلام : فنحن على ما نظنه ويظهرُ لنا من الأمر أَوْلَى بذلك لأنا نطيع وغيرُنا يعصى .

وقوله تعالى: ﴿ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يتضمن أيضا أنى أعلم من مصالح المكلّفين مالا تعلمونه ، وما يكون مخالفاً لما تظنونه على ظواهر الأمور .

وفى القرآن من الحذوف العجيبة، والاختصارات الفصيحة مالا يوجد فى شىء من الكلام ؛ فمن ذلك قوله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام والناجى من صاحبيه فى السجن عند رؤيا البقر السمان والعجاف: ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ ؛[يوسف : ٤٥] ، (١ ففعلوا ، فأتى يوسف، فقال له١) : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ ؛ [يوسف : ٤٦] [ولو بسط الكلام فأورد محذوفه لقال أنا أنبئكم بتأويله ، فأرسلون ففعلوا ، فأتى يوسف فقال له : يا يوسف أيها الصديق أفتنا(٢)] .

ومثله قوله فى الأنعام، ﴿ قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ؛[الأنعام: ١٤] : أى ، وقيل لى : ولا تكونن من المشركين .

(١ـ١) ساقط من م .   (٢) تكملة من ف .

وكذلك قوله تعالى فى قصة سليمان عليه والسلام : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ، وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ. يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ ﴾ إلى قوله: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً ﴾ [سبأ : ١٢ ، ١٣]، أى وقيل لهم : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً ﴾ .

وقال جرير :

[٢٣٨ ظ] / وَرَدْتُمْ على قَيْسٍ بِخُورِ مُجَاشِعٍ فَنُؤْتُم على ساقٍ بَطِيءٍ جُبُورُها[1]

أراد : فنؤتم على ساق مكسورة بطىء جبورها ، كأنه لما كانَ فى قوله : « بطىء جُبورها » دليل على الكسر اقْتَصَرَ عليه .

وقال عنترة :

هَلْ تُبْلِغَنِّى دَارَها شَدَنِيَّةٌ لُعِنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرَّمِ[2]

يعنى ناقته؛ ومعنى « لعنت » دعاء عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضَرْعها، فصار[3] كذلك هذا كله[4]؛ والناقة إذا كانت لا تنتج كان أقوى لها على السير . قال : تأبط شراً ــ ويروى للشنفرَى :

(١) ديوانه : ٢٦٨ ؛ وفى حاشية الأصل : « قبله :

أَلَمْ تَرَ قيساً حِينَ خَارَتْ مجاشِعٌ تُجِيرُ، وَما إنْ تبتَغى مَنْ يُجِيرُهَا

بَنِى دَارِمٍ مَنْ رَدَّ خيلاً مُغِيرَةً غَداةَ الصَّفَا لَمْ يَنْجُ إلاَّ عُشورُها

وَرَدْتُمْ . . . . : البيت

ومجاشع هو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن عمرو بن تميم » وخور : جمع خوار ، والخور: الضعف ، وناقة خوارة ، والجمع أيضا خور» . من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : «فبؤتم» .

(٢) من المعلقة ؛ ص ١٨٣ ــ بشرح التبريزى . والشدنية : ناقة نسبت إلى شدن ؛ موضع باليمن ، وقيل : هو فحل كان باليمن ، تنسب إليه الإبل : والمصرم : الذى أصاب أخلافه شىء فقطعه ؛ من صرار أو غيره . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) : «فصارت» . (٤) من نسخة بحاشية الأصل ، ف : « فحذف هذا كله ».

فلاَ تَدْفِنونِي إنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُم، ولَكِنْ خامِرِى أمَّ عَامِرِ[1]

لأنه أراد : فلا تدفنونى بل دعونى تأكلنى التى يقال لها: خامرى أم عامر ؛ وهى الضَّبُع .

وقال أوْس بن حجَر :

حتَّى إذَا الكَلاَّبُ قالَ لَها كاليَوْمِ مَطْلُوبا ولاَ طَلَبا[2]

أراد : « لم أر كاليوم » ، فحذف .

وقال أبو دؤاد الإيادىّ :

إنَّ مِنْ شيمَتِي لَبَذْلُ تِلاَدِي دُونَ عِرْضِي، فإنْ رَضِيتِ فكُونِي

أراد : فكونى معى على ما أنتِ عليه ، وإن سخطت فبينى فحذف هذا كلّه .

وقال الآخر :

إذَا قِيلَ سيرُوا إنَّ لَيلَى لعلَّها جَرَى دَونَ لَيْلَى مائِلُ القَرْنِ أعْضَبُ[3]

أراد لعلّها قريب ، وهذا يتسع ؛ وهو أكثر من أن يحيط[4] به قول . والحذف غير الاختصار. وقوم يظنون أنهما واحد ؛ وليس كذلك لأن الحذف يتعلق بالألفاظ ؛ وهو أن تأتىَ بلفظ يقتضى غيره ويتعلق به ، ولا يستقلّ بنفسه ؛ ويكون فى الموجود دلالةٌ على المحذوف ، فتقتصر عليه طلبا للاختصار ، والاختصار يرجع إلى المعانى وهو أن تأتى بلفظ مفيدٍ لمعانٍ كثيرة لو عُبِّر عنها بغيره لاحتيج إلى أكثر من ذلك اللفظ ، فلا حذف إلا وهو اختصار ، وليس كل اختصار حذفاً .

---

(١) شعر الشنفرى ١ : ٣٦ (ضمن الطرائف الأدبية للأستاذ عبد العزيز الميمنى) ، وانظر تحقيق نسبة البيت هناك والرواية فيه : « أبشرى أم عامر » . وأورد بعده :

إذا احْتَمَلُوا رأسِي وفى الرأسِ أكثرِى وغودِر عنـد الملتقَى ثم سائِرِى

هنالك لاأرجو حياةً تسرّنى سَجِيسَ الليالى مُبْسِلاً بالجرائر

(٢) ديوانه : ٢ (٣) فى حاشيتى الأصل ، ف « يعنى به الوحشى من الأوعال » .

(٤) ف وحاشية الأصل (من نسخة) : « نحيط به » ، ومن نسخة أيضا بحاشيتى الأصل ، ف : « أن يضبط » .

فمثال الحذف قوله : « ولـكن خامرى أمّ عامر » ونظائره مما أنشدناه؛ لأن القولَ غير مستغنٍ بنفسه ؛ بل يقتضى كلاما آخر غير أنه لما كان فيه دلالة على ما حذف حَسُنَ استعماله :

ومثال الاختصار الذى ليس بحذف قول الشاعر :

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ قَبْرِ ابنِ مارِيَةَ الـكَرِيمِ المُفْضِلِ(١)

أراد أنهم أعزاء مقيمون بدار مملـكتهم ، لا ينتجعون كالأعراب ؛ فاختصرَ هـذا المبسوط فى قوله : «حول قبر أبيهم» .

ومثله قول عدىّ بن زيد :

عالِمٌ بالذى يُرِيدُ نقى الصَّدْ رِ وعَفٌّ على جُثَاهُ نَحُورُ(٢)

وفى معنى الاختصار قول أَوْس بن حَجَر :

وَفِتيانِ صِدْقٍ لا تَخِمُّ لِحَامُهُمْ إذَا شُبِّهَ النَّجْمُ الصِّوَار النَّوَافِرا

فقوله : « لا تخم لحامهم » لفظ مختصر ؛ ولو بسطه لقال : إنهم لا يدّخرون اللحم ولا يستبْقو نه فيخِمّ ، بل يطعمو نه الأضياف والطُّرَّاق .

ومعنى قوله :

* إذا شُبِّهَ النَّجْمُ الصِّوارَ النَّوافِرَا *

يعنى فى شدة البرد وكلَب الشتاء ؛ والثريا تطلع فى هذا الزمان عشاءً ، كأنها صُوار متفرق .

---

(١) ديوانه : ٨٠ ؛ وهى مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة .

(٢) اللسان (جثا) . وفى حاشيتى الأصل ، ف : « قوله « جثاه » : تراب كان يجمع ويجعل عليه حجارة وينحر عليها الأصنام ؛ يريد أنه طائع متدين ؛ ويروى: على جباه » ؛ وهى الحياض . والجابية : شىء مثل الحوض يجعل فيها الماء للإبل ؛ وجمعها الجوابى » .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « خم اللحم يخم » ، وأخم يخم : إذا أنتن » .

وهذا أيضاً أكثر من أن يحصى، وإنما فُضِّل الكلام الفصيح بعضه على بعض ؛ لقوّة حظه من إفادة المعانى الكثيرة بالألفاظ المختصرة .

فأما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ بعد ذكر الأسماء التى لا تليق بها هذه الكناية ، فالمراد به أنه عَرَض المسمّيات ؛ لأن الكناية لا تليق بالأسماء، ولابدّ من أن تكون تلك المسميات، أو فيها مايجوز(١) أن يكنَّى عنه بهذه الكناية؛ لأنها لا تستعمل إلاّ فى العقلاء ومَن يجرى مجراهم .

وقيل إن فى قراءة أُبىّ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهَا ﴾ وفى قراءة عبدالله بن مسعود: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُنَّ ﴾ وعلى هاتين القراءتين يصلُح أن تكون عبارةً عن الأسماء .

وقد يبقى فى هذه الآية سؤالٌ لم نجد أحداً ممّن تكلم فى تفسير القرآن ، ولا فى متشابهه ومشكله تعرَّض له ؛ وهو مِنْ مُهِمّ مايسأل عنه .

وذلك أن يقال : مِنْ أين علمت الملائكة لما خبَّرها آدم عليه السلام بتلك الأسماء صحةَ قوله ، ومطابقةَ الأسماء للمسمّيات ؛ وهى لم تكن عالمةً بذلك من قبل ؛ إذ لو كانت عالمة لأخبرتْ بالأسماء ؛ ولم تعترف بفقد العلم ؛ والكلام يقتضِى أنّهم لما أنبأهم آدم بالأسماء / علموا [٢٣٩ ط] صحتها ومطابقتها للمسميات ؛ ولولا ذلك لم يكن لقوله : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ معنى ، ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوّته وتميزَه واختصاصَه بما ليس لهم ؛ لأنّ كلَّ ذلك إنما يتمّ مع العلم دون غيره .

والجواب أنّه غيرُ ممتنع أن يكون الملائكة فى الأوّل غير عارفين بتلك الأسماء ؛ فلما أنبأهم آدم عليه السلام بها فعل الله لهم فى الحال العلمَ الضرورى بصحتها ومطابقتها للمسميات؛ إما عن طريق أو ابتداء بلا طريق؛ فعلموا بذلك تميّزه(٢) واختصاصَه ؛ وليس لأحدٍ أن يقول: إن ذلك يؤدى إلى أنهم علموا نبوّته اضطراراً ؛ وفى هذا منافاة طريقة التكليف ؛ وذلك أنّه ليس فى علمهم بصحة ماأخبر به ضرورة مايقتضى العلمَ بالنبوّة ضرورةً ، بل بعده

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « من يجوز » . (٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « تمييزه » .

درجات ومراتبُ لابدمن الاستدلال عليها ؛ ويجرى هذا مجرى أن يخبِر أحدَنا نبىٌّ بما فعلَ على سبيل التفصيل على وجه يخرق العادة ؛ وهو وإن كان عالماً بصدق خبره ضرورة لابدّ له من الاستدلال فيما بعدُ على نبوّته ، لأنّ علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوّته ، لكنه طريق يوصل إليها على ترتيب .

ووجه آخر وهوأنه لايمتنعأن يكون للملائكة لغات مختلفة ، فكلُّ قبيلٍ منهم يعرف أسماءَ الأجناس فى لغته دون لغة غيره ، إلاّ أن يكون إحاطة عالم واحد لأسماء الأجناس فى جميع لغاتهم خارقة للعادة ، فلما أراداللّه تعالى التنبيه على نبوّة آدم علّمه جميع تلك الأسماء ، فلما أخبرهم بها علّم كل فريق مطابقة ماخبّر بهمن الأسماء للغته ، وهذا لا يُحتاج فيه إلى الرجوع إلى غيره ، وعلم مطابقته ذلك لباقى اللغات يخبر كل قبيل ، ولا شكَّ فى أنّ كل قبيل إذا كانوا كثيرة[1] ، وخبّروا بشىء يجرى هذا المجرى علم مخبرهم ، وإذا أخبر كلّ قبيل صاحبَه علم من ذلك فى لغة غيره ماعلمه من لغته .

وهذا الجواب يقتضى أن يكون قوله: ﴿أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ أى ليخبرْنى كلُّ قبيل منكم بجميعَ هذه الأسماء .

وهذان الجوابان جميعاً مبنيّان على أن آدم عليه السلام مقدّم له العلم بنبوّته ، وأن إخباره بالأسماء كانَ افتتاح معجزاته[2] ، لأنه لو كان نبياً قبل ذلك ، وكانوا قدعلموا بقدم ظهور معجزاتٍ على يده لم يحتجْ إلى هذين الجوابين معاً ، لأنهم يعلمون إذا كانت الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد أنْ لم يعلموا ذلك بقوله الذى قد أمنوا به فيه غيرَ الصدق ، وهذا بيّن لمن تأمله .

* * *

قال سيدنا أدام الله علوّه : رأيت قوماً ممن تكلم على معانى الشعر ، يذكرون فى بيت حسان بن ثابت :

---

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « كثرة » .

(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « افتتاحا لمعجزاته » .

لَمْ تَفُتْهَا شمسُ النَّهارِ بِشَىْءٍ غيرَ أَنَّ الشَّبابَ ليسَ يدُومُ(١)

أن المرادبهالاعتذار من كِبَرِها وعلوِّ سنها ، فـكأنهقال : « لم تفتها شمس النهار بشىء » غيرأنها كبيرة طاعنة فى السن ، وعذرها فى ذلكأنَّ الشباب ليس يدوم لأمثالها . وهذاالذى ذكروه ليس بشىء ، والأشبه والأولى أن يكون مرادُ حسّان أنَّ شمس النهار لمتفتها بشىء غير أنّ شبابها مما لايدوم ، ولا بُدَّمن أن يلحقها الهرم الذى لايلحق الشمس ، ولم يردْ أنها فى الحال كذلك ، وكيف يريد ماتوهموه مع قوله :

يالقَوْمِ(٢) هَلْ يَقْتُلُ المَرْءَ مِثْلِى واهِنُ البَطْشِ والعِظَامِ سَؤُومُ !
شأْنُها العِطْرُ والفِراشُ وَيَعْلُو ها لُجَيْنٌ وَلُؤْلُؤٌ مَنظُومُ
لوْ يَدِبُّ الحَوْلِىُّ مِنْ وَلَدِ الذَّ رِّ عليْها لأَنْدَبَتْها الـكُلُومُ(٣)

وهذه الأوصاف لاتليق بمن طعن فى السنّ من النساء ، ولا يوصف بمثلها إلاّ الصبيان والأحداث .

ومن العجائب أنّ هذا الاستخراج على ركاكته مسندٌ إلى الأصمعىّ ، وما أوْلى مَنْ يكون نتيجة تغلغله ، وثمرةُ توصله مثل هـذه الثمرة بالإضراب عن استخراج المعانى والبحث عنها !

ومما فسّره أصحابُ المعانى على وجه، وهو بغيره أشبه، وأقلُّ الأحوال أن يكون محتمِلا للأمرين ، فلا يُقْصَر على أحدهما قولُ الخنساء :

ياصخرُ وَرّادَ ماءٍ قدْ تناذَرَهُ أَهْلُ المَوَارِدِ مافى وِرْدِهِ عارُ(٤)

/لأنهم يقولون : مرادها بالبيت مافى تركِ وِرْدِهِ عار ، يظنون أنه مَتى لم يحمل على [٢٤٠ ط] ذلك لم يكن له فائدة ، ولا فيه مدح ، ويُجْرُونه مجرى قول المرقّش(٥) :

(١) ديوانه : ٩٩ ، والرواية فيه « لم تفقها » .
(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « يالقومى » . (٣) أندبتها : أثرت فيها وجرحتها .
(٤) ديوانها : ٧٥ .
(٥) هو المرقش الأكبر ، والبيت فى المفضليات : ٢٣٩ (طبعة المعارف) . ووراء هنا بمعنى أمام ؛ ومنهقولهتعالى: ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ . ومايعلم : عاقبة عمله ؛ أوالهرم والـكبر والضعف.

لَيْسَ على طول الحَياةِ نَدَمْ وَمِنْ وَرَاءَ المَرْءِ مايَعْلَمْ

وليس الأَمر كما ظنّوه، لأَنه يحتمل أن يريد أنه لاعارَ فى وِرْده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لأَن البيت وإن تضمّن ذكر ورود الماء فهو كنايةٌ عن ركوب الأُمور الصعاب التى من جملتها إيراد الماءغَلَبةً وقهراً ، فكأنها قالت : إنك تورد ماء قد تناذره الناس ، وتركب أمراً صعباً قدنَكَلَ عنه الخلق ، ولكبذلكحظ فى الشجاعة والبسالة، ومع ذلك فلا عارعليك فى ركوبه ، لأَنّه ربما فعل الإنسانفعلاً يحوزبه أَكثرَ الحظمنالشجاعة وإنْلحقه بعضُ العار ، من قطيعةِ رحمٍ ، أو نكث عهدٍ ، أوماجرى هذا المجرى، فكأنها نفتْ عن فعله وجوهَ العار .

وليس يجرى ذلك مجرى قول المرقّش :

٭ ليس على طول الحياة َندمْ ٭

لأنالبيت متىلم يُحَمَلْ على أن المراد به : ليس علىفوتطول الحياة ندم ، لم يُفِدْ شيئاً ، وقد بينا فائدة قول الخنساء إذاكان المراد ما ذكرناه .

مكتبة الدكتور مروان العطية

مجلس آخر [٥٦]

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٥] .

قلنا : قد ذكر فى هذه الآية وجوه :

أولها أن يكون المعنى: وسَلْ أتْبَاع مَنْ أرسلنا من قبلك من رسلنا ؛ ويجرى ذلك مجرى قولهم : السخاء حاتم ، والشعر زهير ؛ وهم يريدون السخاء سخاء حاتم، والشعر شعر زهير وأقاموا حاتما مقام السخاء المضاف إليه ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، ومثله قول الشاعر :

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبَالِ أَذِلَّةٌ ... سَوَاسِيَةٌ أَحْرَارُهَا وعَبِيدُهَا

والمأمور بالسؤال فى ظاهر الكلام النبي عليه وآله السلام ؛ وهو فى المعنى لأمته ؛ لأنه عليه السلام لا يحتاج إلى السؤال؛ لكنه خوطب خطاب أمته، كما قال تعالى : ﴿ الٓمٓصٓ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُنْ / فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾ [الأعراف: ١، ٢] ، فأفرده الله تعالى [٢٤١ و] بالمخاطبة ، ثم رجع إلى خطاب أمته فقال : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ٢] ، وفى موضع آخر: ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأحزاب: ١] فخاطبه عليه السلام والمعنى لأمته ، لأنه بيّن بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ [الأحزاب: ٢] ، وقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [الطلاق: ١] فوحّد وجمع فى موضع واحد وذلك للمعنى الذى ذكرناه .

وقال الكميت :

إلى السِّرَاجِ المُنيرِ أحمدَ لاَ ... تَعْدِلُنى رَغْبَةٌ وَلاَ رَهَبُ
عنْهُ إلى غيْرِهِ وَلو رَفَعَ النَّا ... سُ إلىَّ العُيُونَ وارْتقَبُوا
لوْقيلَ أفرَطتَ بلْ قصدْتَ ولوْعَـ ... ـنَّفَنى القائِلُونَ ، أو ثَلَبُوا
لجَّ بتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلوْ أُكْـ ... ـثِرَ فيكَ الضَّجاجُ واللَّجَبُ
أنْتَ المُصَفَّى المُهَذَّبُ المَحْضُ فى التشـ ... ـبيه إنْ نَصَّ قَوْمَكَ النَّسَبُ[1]

فظاهر الخطاب للنبي عليه السلام ، والمقصود به أهلُ بيته عليهم السلام ، لأن أحداً من المسلمين لا يمتنع من تفضيله عليه السلام والإطناب فى وصف فضائله ومناقبه ؛ ولا يعنّف فى ذلك أحدٌ ، وإنما أراد الكميت : وإنْ أكثر فى أهل بيتـه وذويه السلام الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف ، فوجَّه القولَ[2] إليه والمراد غيره ، ولذلك وجه صحيح وهو أنّ المراد بموالاتهم والانحياز إليهم والانقطاع إلى حبهم؛ لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو المقصود بذلك أجمع جاز أن يُخرِج الكميتُ الكلامَ هذا المخرج ، ويضعه هذا الموضع . وقيل إن المراد بتبّاع الأنبياء الذين أمر بمسألتهم هم مؤمنو أهل الكتاب[3] كعبدالله ابن سَلام ونظرائه ، وليس يمتنع أن يكون هو عليه السلام المأمور بالمسألة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب ، وإن لم يكن شاكا فى ذلك ، ولا مرتاباً به . ويكون الوجهُ فيه تقرير أهل الكتاب به ، وإقامة الحجة عليهم باعترافهم ، أو لأنّ بعضَ مشركى العرب أنكر أن تكون كتب الله تعالى المتقدمة وأنبياؤه الآتون بها دعت إلى التوحيد، فأمر عليه السلام بتقرير أهل الكتاب[4]/ بذلك دعت لنزول الشبهة عمن اعترضته . [٢٤١ ظ]

والجواب الثانى أن يكون السؤال متوجهاً إليه عليه السلام دون أمته ، والمعنى : إذا لقيت

---

(١) نص : رفع . (٢) فى حاشية الأصل : « نسخة ش: فوجه القول » ، بالإضافة .
(٣) ف : « أهل الكتب » . (٤) من نسخة بحاشية الأصل : « الكتاب » .

النبيين فى السماء فاسألهم عن ذلك؛ لأن الروايةَ قد وردت بأنه صلى الله عليه وآله لَقِيَ النبيين فى السماء فسلّم عليهم وأمَّهم ؛ ولا يكون أمرُه بالسؤال ، لأنه كان شاكا ، لأن مثـــل ذلك لا يجوز عليه الشكّ فيه ؛ لـكن لبعض المصالح الراجعة إلى الدين ؛ إمَّا لشىء يخصه عليه السلام ، أو يتعلّق ببعض الملائـكة الذين يستمعون ما يجرى بينه وبين النبيين من سؤال وجواب .

والجواب الثالث ما أجاب به ابن قتيبة ، وهو أن يكون المعنى : وسَلْ مَنْ أرسلنا إليه قبلك رسلا من رسلنا ـ يعنى أهل الـكتاب. وهذا الجواب ـ وإن كان يوافق فى المعنى الجواب الأول ـ فبينهما خلاف فى تقدير الـكلام وكيفية تأويله ، فلهذا صارا مفترقين .

وقد رُدَّ على ابن قتيبة هذا الجواب ، وقيل إنه أخطأ فى الإعراب ؛ لأن لفظة « إليه » لا يصح إضمارها فى هذا الموضع ؛ لأنهم لا يجيزون : « الذى جلستُ عبـد الله »، على معنى « الذى جلست إليه » ، لأن «إليه» حرف منفصل عن الفعل ، والمنفصل لا يضمر ، فلما كان القائل إذا قال : « الذى أكرمت إياه عبد الله» لم يجز أن يضمر « إياه » ؛ لانفصاله من الفعل كانت لفظة «إليه» منزلته .

وكذلك لا يجوز: «الذى رغبت محمد»، بمعنى « الذى رغبت فيه محمد »؛ لأن الإضمار إنما يحسن فى الهاء المتعلقة بالفعل كقولك: «الذى أكلت طعامك»، و«الذى لقيت صديقك»، معناها: الذى أكلته ولقيته .

وقال الفراء : إنما حذفت « الهاء » لدلالة الذى عليها . وقال غـيره فى حذفها غيرَ ذلك ؛ وكلُّ هذا ليس مما تقدم فى شىء ، فصحّ أن جواب ابن قتيبة مستضعَف ، والمعتمد على ما تقدم .

تأويل خبر

إن سأل سائل عن معنى مارواه أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله من قوله: «كلّ مولود يولَد على الفطرة حتى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه ».

قلنا: أمّا أبوعبيدالقاسم بن سلاّم فإنه قال فى تأويل هذا الخبر : سألت محمدَ بن الحسن [٢٤٢ و] عن تفسيره / فقال : كان هذا فى أول الإسلام قبل أن تُنزَل الفرائض ، ويؤمَر المسلمون بالجهاد.

قال أبوعبيد : كأنه يذهب إلى أنه لو كان يولد على الفطرة، ثم مات قبل أن ينصّره أبواه ويهوّداه ما ورّثاه ، وكذلك لو ماتا قبله ماورثهما ، لأنه مسلم وهما كافران ؛ وما كان أيضاً يجوز أن يُسْبَى ، فلما نزلت الفرائض وجرت السُّنن بخلاف ذلك عُلِم أنه يولد على دين أبويه .

قال أبو عبيد : وأما عبد الله بن المبارك فإنه قال: هو بمنزلة الحديث الآخر الذى يتضمّن أنه عليه السلام سئل عن أطفال المشركين فقال :«الله أعلم بما كانوا عاملين» يذهب إلى أنهم يولدون على مايَصِيرون إليه من إسلام أو كفر ؛ فمن كان فى علمه تعالى أنه يصير مسلماً فإنه يولد على الفطرة ، ومَنْ كان فى علمه أنه يموت كافراً وُلِد على ذلك .

قال أبو عبيد : ومما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر أنه قال : «يقول الله عز وجل : إنى خلقتُ عبيدى جميعاً حُنَفاء ، فاجتالتهم الشياطين عن دينهِم ، وجعلت ماأحللته لهم حراماً» . قال أبوعبيدة: يريد بذلك البحائر والسُّيَّب وغير ذلك مما أحله الله تعالى ، فجعلوه حراماً .

وأما ابن قتيبة فقال ـ وقد حكى ماذكرناه عن أبى عبيدـ : لستُ أرى ماحكاه أبوعبيد عن عبد الله ابن المبارك ومحمد بن الحسن مقنِعاً لمن أراد أن يعرف معنى الحديث ؛ لأنهما لم يزيدا على أن ردَّا على ما قال به من أهل القدَر .

وتفسير محمد بن الحسن يدلّ على أن الحديث عنده منسوخ، والنسخ لا يكون فى الأخبار، وإنما يكون فى الأمر والنهى؛ قال : ولا يجوز أن يراد به ـ على تأويل ابن المبارك ـ بعضُ المولودين دون بعض ؛ لأن مخرجه مخرج العموم. قال: ولا أرى معنى الحديث إلاّ ما ذهب إليه حماد بن سلمة ؛ فإنه قال فيه: هذا عندنا حيث أُخِذ العهد عليهم فى أصلاب آبائهم ؛ يريد حين مسح الله تعالى ظهر آدم ؛ فأخرج منه ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذرّ، وأشهدهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾؛[الأعراف : ١٧٢]، فأراد عليه السلام أنّ كلّ مولود يولد فى العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الإقرار الأول وهو الفطرة .

[٢٤٢ ظ] /قال سيدنا أدام الله علوّه : وهذا كله تخليط وبُعد عن الجواب الصحيح . والصحيح فى تأويله أن قوله عليه السلام: «يولد على الفطرة» يحتمل أمرين :

أحدهما أن تكون الفطرة هاهنا الدين ، وتكون «على» بمعنى اللام؛ فكأنه قال: كل مولود يولد للدّين ومن أجل الدين؛ لأن الله تعالى لم يخلق مَن يبلغه مبلغ المكلّفين إلاّ ليعبده فينتفع بعبادته، يشهد بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛[الذريات: ٥٦]؛ والدليل على أن «على» تقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السِّكِّيت عن أبى زيد عن العرب أنهم يقولون: صِفْ علَىّ كذا وكذا حتى أعرفه؛ بمعنى صِفْ لى ؛ ويقولون ما أغيظك علىّ ! يريدون ما أغيظك لى ! والعرب تقيم بعض حروف الصفات مقام بعض فيقولون : سقط الرجل لوجهه؛ يريدون على وجهه ، وقال الطِّرِمّاح :

كأنَّ مُخوَّاها على ثَفِناتها ... مُعَرَّسُ خَمْسٍ وقَّعَتْ للجناجِنِ[1]

ـ أراد: على الجناجن[2] ـ

---

(١) ديوانه : ١٦٦ وفى حاشية الأصل : « خوّى البعير إذا تجافى فى بروكه ، ومنه خوّى الرجل فى سجوده ، وخوت المرأة عند جلوسها على المجمر » ، وفيها أيضا : « يعنى أن نجوات هذه الناقة عند البروك تسم خمس أينق بوارك » . (٢) الجناجن : عظام الصدر .

وقال عنترة :

شَرِبَتْ بماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فأصْبَحَتْ   زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيلمِ (١)

معناه: شربت الناقة من ماء الدّحرُضين؛ وهما ماءان؛ يقال لأحدهما: وسيع والآخر دُحْرُض، فغلب الأشهر؛ وهو الدّحرض. وإنما ساغ أن يريد بالفطرة ـ التى هى الخِلْقة فى اللغة ـ الدّين من حيث كان هو المقصود بها، وقد يجرى على الشىء اسم ماله به هذا الضرب من التعلّق والاختصاص؛ وعلى هذا يتأول قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾؛ [الروم: ٣٠] أراد دين الله الذى خلق الخلق له.

وقوله تعالى: ﴿ لَاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾؛ [الروم: ٣٠] المراد به أن ماخُلِقَ العباد له من العبادة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف، حتى يخلق قوما للطاعة، وآخرين للمعصية.

ويجوز أن يريد بذلك الأمر، وإن كان ظاهره الخبر، فكأنه تعالى قال: ولا تبدّلوا ما خلقكم الله له من الدّين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا.

والوجه الآخر فى تأويل الفطرة أن يكون المراد بها الخِلْقة، وتكون لفظة «على» على [٢٠٣ و] ظاهرها/لم يرد(٢) بها غيرها، ويكون المعنى: كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والإيمان به، لأنه عز وجل قد صوّر الخلق وخلقهم على وجهٍ يقتضى النظر فيه معرفته والإيمان به؛ وإن لم ينظروا ولم يعرفوا، فكأنه عليه السلام قال: كل مخلوق ومولود فهو يدلّ بخَلْقه وصورته على عبادة الله تعالى؛ وإن عَدَل بعضهم فصار يهوديا أو نصارياً.

وهذا الوجه يحتمل له أيضا قوله تعالى: ﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾.

وإذا ثبت ما ذكرناه فى معنى الفطرة فقوله: «حتى يكون أبواه يهوّدانه وينصرانه» يحتمل وجهين:

---

(١) من المعلقة ص ١٨٦ — بشرح التبريزى. الزوراء: المائلة، والديلم: الأعداء، عن الأصمعى.

(٢) حاشية الأصل (من نسخة): «بها».

أحدها أنَّ مَن كان يهودياً أو نصرانياً ممن خلقتُه لعبادتى ودينى ؛ فإنما جعله كذلك أبواه ، ومن جرى مجراها ممن أوقع له الشبهة وقلده الضلال عن الدين .

وإنما خص الأبوين لأن الأولاد فى الأكثر ينشؤن على مذاهب آبائهم، ويألفون أديانهم ونحلَهم ؛ ويكون الغرض بالكلام تنزيهَ الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم ، وأنه إنما خلقهم للإيمان فصدهم عنه آباؤهم ، أى ومَن جرى مجراهم :

والوجه الآخر أن يكون معنى: « يُهَوّدانه وينصّرانه » أى يلحقانه بأحكامهما ، لأنّ أطفال أهل الذمة قد ألحق الشرع أحكامهم بأحكامهم ؛ فكأنه عليه السلام قال : لا تتوهموا من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى أطفالهم، أنهم خلقوا لدينهم، بل لم يخلقوا إلا للإيمان والدين الصحيح ؛ لكنّ أباءهم هم الذين أدخلوهم فى أحكامهم. وعبَّر عن إدخالهم فى أحكامهم بقولهم: « يُهوّدانه وينصّرانه »؛ وهذا واضح .

فأما جواب أبى عبيد الذى حكاه عن محمد بن الحسن فإنا إذا تمكنا من حمل الخبر على وجه نسلَم معه من النسخ لم نحتج إلى غيره ؛ وإنما توهّم النسخ لاعتقاده أن خلْقهم على الفطرة يمنع من إلحاقهم بحكم آبائهم ؛ وذلك غير ممتنع .

وأما الجواب الذى حكاه عن ابن المبارك ففاسد ، لأن الله تعالى لا يجوز أن يخلُق أحداً للكفر ؛ وكيف يخلقه للكفر وهو يأمره بالإيمان ويريده منه ، ويعاقبه ويذمه على خلافه !

فأما ماروى عنه / عليه السلام ــ وقد سئل عن أطفال المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا [٢٤٣ ظ] عاملين » ــ فإنه يحتمل أن يكون عليه السلام سئل عمّن لم يبلغ من أطفال المشركين : كيف تكون صورته ؟ وإلى أىِّ شىء تنتهى عاقبتُه ؟ فقال : «الله أعلم بما كانوا عاملين»، وأراد أن ذلك مستور عنّى ؛ ولو كانت المسألة عمّن اخترم طفلا لم يجز أن يكون الجواب ذلك .

وأما ابن قتيبة فإنه رد على أبي عبيد من غير وجه يقتضى الرّد واعترض جواب ابن المبارك، باعتبار العموم والخصوص، وترك أن يُفسِده من الوجه الذى يفسد به وهو الذى ذكرناه، وكيف ننبه على فساده من هذه الجهة ، وقد اختار فى تأويل الخبر ما يجرى فى الفساد والاختلال مجرى تأويل ابن المبارك.!

فأما النّسخ فى الأخبار فجائز إذا تضمنت معنى الأمر والنهى ؛ ويكون ما دلّ على جواز النسخ فى الأوامر دالا على جواز ذلك فيها ؛ وهذا مثل أن يقول : الصلاة واجبة عليكم ، ثم يقول بعد زمان: ليست بواجبة، فيستدل بالثانى على نَسْخ الحكم الأول، كما لو قال عليه السلام: صلوا ، ثم قال: لا تصلوا كان النهى الثانى ناسخا للأول.

فأما الجواب الذى ذكره ابن قتيبة فقد بينا فساده فيما تقدم[1] من الأمالى عند تأويلنا قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾؛ [الأعراف:١٧٢]؛ وأفسدْنا قولَ من اعتقد أنه مَسَح ظهر آدم ، واستخرج منه الذرّية وأشهدَها على نفوسها ، وأخذ إقرارها بمعرفته بوجوه من الكلام؛ فلا طائل فى إعادة ذلك .

(١) انظر الجزء الأول ص ٢٨ ـ ٣٠ .

مجلس آخر [٥٧]

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ ؛ [هود : ١٠٦ ــ ١٠٨] .

فقال : مامعنى الاستثناء هاهنا والمراد الدوام والتأبيد ؟ ثم ما معنى التمثيل بمدّة السموات والأرض التى تفنى وتنقطع ؟

الجواب ،/ قلنا : قد ذكر فى هذه الآية وجوه : [٢٤٤ و]

أولها أن تكون ﴿ إِلاَّ ﴾ ــ وإن كان ظاهرها الاستثناء ــ فالمراد بها الزيادة ؛ فكأنه تعالى قال : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ من الزيادة لهم على هذا المقدار ؛ كما يقول الرجل لغيره : لى عليك ألف دينار إلا الألفين الذين أقرضتكهما وقت كذا وكذا ، فالألفان زيادة على الألف بغير شك ؛ لأن الكثير لا يُستثنى من القليل ؛ وهذا الجواب يختاره الفرّاء وغيره من المفسرين .

والوجه الثانى أن يكون المعنى : إلاّ ماشاء ربُّك من كونهم قبل دخول الجنة والنار فى الدنيا ؛ وفى البرزخ الذى هو ما بين الحياة والموت وأحوال المحاسبة والعرْض وغير ذلك ؛ لأنه تعالى لو قال : خالدين فيها أبدا ، ولم يستثن لتوهَّم متوهِّم أنهم يكونون فى الجنة والنار من لَدُن نزول الآية ، أو مِنْ بعد انقطاع التكليف ، فصار للاستثناء وجه ، وفائدة معقولة .

والوجه الثالث أن تكون ﴿ إلاَّ ﴾ بمعنى الواو؛ والتأويل: خالدين فيها مادامت السموات والأرض، وما شاء ربك من الزيادة . واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

وكلُّ أخٍ مُفارِقُهُ أخُوهُ لعَمْرُ أبِيكَ إلاَّ الفرْقَدَانِ(١)

معناه : والفرقدان ، وبقول الآخر :

وأرَى لها داراً بأغْدِرَةِ السِّيدَانِ لم يَدْرُسْ لها رَسْمُ(٢)
إلاَّ رَماداً هامِداً دَفَعَتْ عنْهُ الرِّياحَ خَوالدٌ سُحْمُ

والمراد بـ« إلا » هاهنا الواو؛ وإلا كان الكلام متناقضاً .

والوجه الرابع أن يكون الاستثناء الأول متصلا بقوله: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وشَهِيقٌ ﴾؛ وتقدير الكلام : لهم فى النار زفير وشهيق إلا ما شاء ربك من أجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ، ولا يتعلق الاستثناء بالخلود .

فإن قيل : فهبُوا أنَّ هذا أمكن فى الاستثناء الأول ، كيف يمكن فى الثانى ؟

قلنا : يحمل الثانى على استثناء المُكْث فى المحاسبة والموقف ، أو غير ذلك مما تقدّم ذكره .

---

(١) البيت من شواهد سيبويه (الكتاب ١ : ٣٧١) ، ونسبه إلى عمرو بن معدى كرب، وأورده شاهدا على نعت « كلّ » ، بقوله : « إلا الفرقدان » ؛ على تأويل «غير» . وفى حاشية الأصل : قوله « إلا الفرقدان» قبل « إلا » بمعنى غير ، والتقدير : غير الفرقدين ، ومثله قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ أى غير الله

(٢) أغدرة السيدان : موضع وراء كاظمة ؛ بين البصرة والبحرين ؛ كذا ذكره ياقوت واستشهد بالبيت . والبيتان من قصيدة مفضلية ؛ للمخبل السعدى ؛ وقبلهما :

ذكر الرَّبابَ وذِكْرُها سُقْمُ فصبا ، وليس لمن صبا حِلْمُ
وإذا ألمّ خيالُها طُرِفَتْ عينى ، فماء شؤونها سَجْمُ
كاللؤلؤ المسجور أغفلَ فى سلك النّظام فخانه النّظمُ

وانظر المفضليات ١١٣ ــ ١١٨ (طبعة المعارف) .

[٢٤٤ ظ] / والوجه الخامس أن يكون الاستثناء غير مؤثِّر فى النقصان من الخلود ؛ وإنما الغرض فيه: أنه لو شاء أن يخرجهم وألاّ يخلدهم لفعَل، وأن التخليد إنما يكون بمشيئته وإرادته ، كما يقول القائل لغيره: والله لأضربنّك إلا أن أرى غير ذلك ، وهو لا ينوى إلا ضربَه ، ومعنى استثنائه هاهنا: أنى لو شئت ألاّ أضربك لفعلت وتمكنت؛ غير أنى مُجْمِعٌ على ضربك .

والوجه السادس أن يكون تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود ، والتبعيد للخروج ؛ لأن الله تعالى لا يشاء إلا تخليدهم على ماحكم به ، ودلّ عليه؛ ويجرى ذلك مجرى قول العرب : والله لأهجرنّك إلا أن يشيب الغراب، ويبيضّ القار؛ ومعنى ذلك أنى أهجرك أبداً ؛ من حيث علّق بشرط معلوم أنه لا يحصل ؛ وكذلك معنى الآيتين ؛ والمراد بهما أنهم خالدون أبداً؛ لأن الله تعالى لا يشاءُ أن يقطع خلودهم .

والوجه السابع أن يكون المراد بالذين شقوا مَن أدخِل النار من أهل الإيمان ، الذين ضمُّوا إلى إيمانهم وطاعتهم المعاصىَ ؛ فقال تعالى: إنهم معاقبون فى النار إلا ماشاء ربك ؛ من إخراجهم إلى الجنة ، وإيصال ثواب طاعاتهم إليهم .

ويجوز أيضاً أن يريد بأهل الشقاء هاهنا جميعَ الداخلين إلى جهنم؛ ثم استثنى تعالى بقوله : ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ أهلَ الطاعات منهم ، ومن يستحقُّ ثواباً لابدّ أنه يوصَل إليه فقال: ﴿ إِلاَّ مَاشَاءَ رَبُّكَ ﴾ من إخراج بعضهم؛ وهم أهل الثواب .

وأما الذين سُعِدُوا فإنما استثنى من خلودهم أيضا لما ذكرناه؛ لأنَّ من نُقِل من النار إلى الجنة وخُلِّدَ فيها لابدّ من الإخبار عنه بتأبيد خلوده من استثناء ما تقدّم ؛ فكأنه تعالى قال : إنهم خالدون فى الجنة ما دامت السموات والأرض ؛ إلا ما شاء ربك من الوقت الذى أدخلهم فيه النار ، قبل أن ينقلهم إلى الجنة .

والذين شَقُوا على هذا الجواب هم الذين سُعِدوا ، وإنما أجرى عليهم كل لفظ فى الحال التى تليق بهم؛ فهم إذا أدخلوا النار وعوقبوا فيها من أهل الشقاء، وإذا نُقِلوا إلى الجنة من أهل الجنة والسعادة .

[٢٤٥ و] وقد ذهب إلى هذا الوجه جماعة من المفسرين كابن عباس وقتادة والضحّاك / وغيرهم.

وروى بشر بن عمارة عن أبى رَوْق عن الضَّحاك عن ابن عباس قال: الذين شَقُوا ليس فيهم كافر ؛ وإنما هم قوم من أهل التوحيد، يدخلون النار بذنوبهم ، ثم يتفضّل الله تعالى عليهم فيخرجُهم من النار إلى الجنة ، فيكونون أشقياء فى حال ، سعداء فى حال أخرى.

وأما تعليق الخلود بدوام السموات والأرض ؛ فقد قيل فيه: إن ذلك لم يُجعل شرطاً فى الدوام ؛ وإنما عُلِّق به على طريق التبعيد وتأكيد الدوام ؛ لأن للعرب فى مثل هذا عادةً معروفة خاطبهم الله تعالى عليها ؛ لأنهم يقولون: لا أفعل كذا مالاح كوكب ، وما أضاء الفجر ، وما اختلف الليل والنهار ، وما بلّ بحرٌ صوفة ، وما تغنّت حمامة ، ونحو ذلك ، ومرادهم التأبيد والدوام .

ويجرى كل ما ذكرناه مجرى قولهم : لا أفعل كذا أبدا ؛ لأنهم يعتقدون فى جميع ما ذكرناه أنه لا يزول ولا يتغير ؛ وعباراتهم إنما يخرجونها بحسب اعتقاداتهم ، لا بحسب ما عليه الشئ فى نفسه ؛ ألا ترى أن بعضهم لما اعتقد فى الأصنام أن العبادة تحِقّ لها سمّاها آلهة بحسب اعتقادهم ، وإن لم تكن فى الحقيقة كذلك!

ومما يشهد لمذهبهم الذى حكيناه قول أبى الجويرية العبدىّ :

ذَهبَ الجُودُ والجُنَيْدُ جَميعاً فَعلى الجُودِ والجُنَيْدِ السلاَمُ
أَصْبَحَا ثَاوِيَيْنِ فى قَعْرِمَرْتٍ(١) ما تَغَنَّتْ على الغُصونِ الحَمامُ

وقال الأعشى:

(١) معجم الشعراء للمرزبانى ٢٥٨ ، والمختلف والمؤتلف للآمدى ٧٩ ؛ وذكر بعدها بيتا ثالثا :

لم تزل غاية الكرام فلمّا متّ مات الندى ومات الكرام

وهو الجنيد بن عبد الرحمن المرى، كان والى خراسان . (٢) المرت: القفر من الأرض ؛ وفى المؤتلف : « بطن مرو » . وفى ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « قعرمرو » .

أَلسْتَ مُنْتَهِياً عنْ نَحْتِ أَثْلَتِنا   وَلسْتَ ضائِرَها ما أطَّتِ الإِبِلُ!(١)

وقال الآخر :

لاَ أفْتأُ الدَّهْرَ أبْكِيهِمْ بأَرْبعةٍ   ما اجْتَرّتِ النِّيبُ أوْحَنّتْ إلى بَلَدِ(٢)

وقال زهير منبئا(٣) عن اعتقاده دوام الجبال، وأنها لا تفنى ولا تتغير :

أَلاَ لاَ أرَى على الحَوادِثِ باقِيا   ولاَ خالِداً إلاَّ الجِبالَ الرَّواسِيَا(٤)

[٢٤٥ ظ] /فهذا وجه .

وقيل أيضاً فى ذلك أنه أراد به الشرط ، وعنَى بالآية دوام السموات والأرض المبدّلتين؛ لأنه تعالى قال: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾؛ [إبراهيم: ٤٨]، فأعلمنا تعالى أنهما تُبدّلان ؛ وقد يجوز أن يديمهما بعد التغيير أبداً بلا انقطاع ؛ وإنما المنقطع هو دوام السموات والأرض قبل التبديل والفناء .

ويمكن أيضاً أن يكون المرادُ أنهم خالدون بمقدار مدّة السموات والأرض التى يعلم الله تعالى انقطاعها ثم يزيدها الله تعالى على ذلك ويخلّدهم، ويؤيد مقامهم وهذا الوجه يليق بالأجوبة التى تتضمن أن الاستثناء أريد به الزيادة على المقدار المتقدم لا النقصان .

* * *

قال سيدنا أدام الله تمكينه : وجدت الآمدىّ قد ظلم البحترىّ فى تفسير بيت له مضاف إليه مع ظلمه له فى أشياء كثيرة تأوّلها على خلاف مراد البحترىّ ، وحكى قوله :

---

(١) ديوانه : ٤٦ . أثلة كل شىء : أصله ؛ ويريد بها هاهنا الحسب ؛ يقال : فلان ينحت أثلتنا إذا قال فى حقه قبيحا ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت . والأطيط : صوت الأبل من ثقل أحمالها . (٢) الجرة : ماتخرجه الإبل من أجوافها ، وتعيد مضمه . وفى حاشية الأصل : يعنى بأربعة أحجبة العين؛ كما قال :

يا عَيْنُ بَكِّى عِنْدَ كلِّ صَبَاحِ   جُودِى بأَرْبعةٍ على الجَرَّاحِ

(٣) د ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مبينا » . (٤) ديوانه : ٢٨٨ .

كالبَدْرِ إلاَّ أنَّهَا لاَ تُجْتَلَى والشَّمْسِ إلاَّ أنها لاتَغْرُبُ[١]

ثم قال: " وهذا فيه سؤال ؛ لأنه لما قال :

✲ كالبدر إلا أنها لا تجتلى ✲

فالمعنى أن عيون الناس كلهم ترى البدر وتجتليه ، وهى لا تراها العيون ولاتُجتلى " .

ثم قال :

✲ " والشمس إلا أنها لا تغربُ ✲

وإنما قال: «لا تجتلى» لأنها محجوبة؛ فإذا كانت فى حجاب فهى فى غروب؛ لأن الشمس إذا غربت فإنما تدخل تحت حجاب ، فظاهر المعنى : كالبدر إلا أن العيون لا تراها، والشمس إلا أن العيون لا تفقدها" . قال: " وهذا القول متناقض كما ترى " قال : " وأظنه أراد أنها وإن كانت فى حجاب فإنه لا يقال لها: غربت تغرب كما يقال للشمس؛ وإنما يقال لها إذا سافرت: بعدت ، واغتربت وغرّبت إذا توجهت نحو الغرْب، وقد يقال للرجل اغرُبْ عنا[٢]، أى ابعد، ولو استعار لها اسم الغروب عن الأرض التى تكون فيها إذا ظعنت عنها إلى أرض أخرى كان ذلك حسناً جداً ، لاسيما وقد جعلها شمساً ، كما قال ابراهيم بن العباس الصولىّ :

وَزالتْ زَوَالَ الشَّمسِ عن مُسْتَقَرِّها فَمنْ مخْبرى: فى أىِّ أرْضٍ غُرُوبُها؟[٣]

قال: " وقد يجوز أن يقول قائل: إنه أراد: لاتغرب تحت الأرض كما تغرب الشمس؛ وهذه معاذير / ضيقة ، لأبى عبادة فإن لم يكن قد أخطأ فقد أساء " . [٢٤٦ و]

قال سيدنا أدام الله علوّه : وما المخطىءُ غير الآمدىّ ، ومراد البحترىّ بقوله أوضح من أن يذهب على متأمّل، لأنه أراد بقوله :

✲ والشمس إلا أنها لا تغربُ ✲

أى أنها لا تصير بحيث يتعذر رؤيتها ويمتنع ، كما يتعذر رؤيةُ الشمس على من غربت

(١) ديوانه ١ : ٦٢ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : «عنى» .

(٣) ديوانه : ١٤٠ (ضمن مجموعة الطرائف) .

عن أفق بلده. والمرأة — وإن احتجبت باختيارها — فإن ذلك ليس بغروب كغروب الشمس؛ لأنها إذا شاءت ظهرت وبرزت للعيون، والشمس إذا غربت فرؤيتها غير ممكنة، ولهذا لا يصحّ أن يقال لمن استظل بدار أو جدار عن الشمس: إنها غربت عنه، وإن كان غير راءٍ لها، لأنَّ رؤيتها ممكنة بزوال ذلك المانع، وكذلك القول فى احتجاب المرأة؛ فلا تناقض فى بيت البحترى على ما ظنه الآمدىّ.

ولبعضهم فى هذا المعنى:

قدْ قلتُ لِلبَدْرِ واسْتَعْبَرْتُ حِينَ بَدَا … ما فِيكَ يا بَدْرُ لى من وجْهِها خلَفُ
تُبْدِى لَنا كلما شِئْنا محاسِنَها … وأنْتَ تَنْقُصُ أحْياناً وتَنكَسِفُ

فمعنى قوله: «فأنت تنقص وتنكَسِفُ» جارٍ مَجرى غروبِ الشمس، لأنه فضّلها على البدر من حيث كان بروزُها لمبصرها موقوفا على اختيارها، والبدر ينكسف ويغيب على وجه لا تمكن رؤيته، كما فضلها البحترىّ بأنها لا تغرب حتى تصير رؤيتها مستحيلةً، والشمس كذلك.

وقد ظلم الآمدىّ البحترىّ فى قوله:

لَا العَذْل يَرْدَعُهُ ولاَ التَّعْنِيفُ عَنْ كَرَمٍ يَصُدُّهْ

قال الآمدىُّ "وهذا عندى من أهْجَى مامُدِحَ به خليفة وأقبحه، ومن ذا يعنّف الخليفة على الكرم أو يصده! إن هذا بالهجو أولَى منه بالمدح".

قال سيدنا رضى الله عنه: وللبحترى فى هذا عذرٌ من وجهين:

أحدهما أن يكون الكلام خرج مخرج التقدير؛ فكأنه قال: لو عُنِّف وعُذِل لما صدّه ذلك عن الكرم، وإن كان من حق العَذْل والتعنيف أن يصدّ أو يحجز عن الشىء،

وهذا له نظائر فى القرآن ، وفى كلامِ العرب كثير مشهور ، وقد مضى فيما أمليناه شىء من ذلك .

[٢٤٨ ظ] والوجه الآخر أن العذْل والتمنيف/وإن لم يتوَّجها إليه فى نفسه فهما موجودان فى الجملة على الإسراف فى البذل والجود بنفائس الأَموال ، ولم يقل البحترىّ : إن عذله يردعه ، أو تمنيفه يصدّه ، وإنما قال : «لاالعذل يردعه ولا التمنيف يصده» ، فكأنه أخبَر أن مايسمعه من عذل العذال على الكرم وتمنيفهم على الجود وإن كان متوجِّهاً إلى غيره فهو غير صادّ له لقوة عزيمته ، وشدّة بصيرته .

☆ ☆ ☆

ومما خطأَ الآمدىّ فيه البحترىّ وإن كان له فيه عذر صحيح لم يهتد إليه قوله :

ذَنَبٌ كما سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذبُّ عن ... عُرُفٍ وَعُرْفٌ كالقِنَاعِ المُسْبِلِ

قال الآمدىّ : " وهذا خطأ من الوصف لأنّ ذنب الفرس إذا مسّ الأَرض كان عيباً فكيف إذا سَحَبَه ! وإنما الممدوحُ من الأذناب ما قرب من الأَرض ، ولم يمسها كما قال امرؤ القيس :

☆ بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بأَعْزَلِ(١) " ☆

قال " وقد عيب امرؤ القيس بقوله :

لها ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيلِ العَرُوسِ ... تَسُدُّ بهِ فَرْجَها مِنْ دُبُرْ " (٢)

قال " وماأرى العيبَ يلحق امرأ القيس ، لأَن العروس وإن كانت تسحب أذيالها ، وكان ذنبُ الفرس إذا مس الأَرض عيباً فليس بمنكَرٍ أن يشبَّه به الذنب ، وإن لم يبلغ إلى

(١) ديوانه ٤٤ ، وصدره :

☆ كُمَيْتٍ إِذَا استَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ ☆

ـاستدبرته : جئت من ورائه . والضافى : الذنب الطويل الشعر . والأعزل : الذى يميل ذنبه إلى جانبه ، وهو عادة لاخلقة ؛ وذلك عيب عندهم

(٢) ديوانه : ١٣ :

أن يمسّ الأرض ، لأن الشىء إنما يشبهٌ الشىء إذا قاربه ، أو دنا من معناه ، فإذا أشبهه فى أكثر أحواله فقد صحّ التشبيه ولاق به .

وامرؤ القيس لم يقصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط ، وإنما أراد السُّبوغ والكثرة والكثافة ، ألا ترى أنه قال :

* تَسُدُّ به فرجَها من دُبُرْ *

وقد يكون الذَنب طويلا يكاد يمس الأَرض ولا يكون كثيفاً ، ولا يسد فرْج الفرس فلما قال : « تسد به فرجها » علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول ، فإذا أشبه الذنب الذيل من هذه الجهة كان فى الطول قريباً منه ، فالتشبيه صحيح ، وليس ذلك بموجب للعيب وإنما العيب فى قول البحترى : « ذنب كما سحب الرداء » ، فأفصح بأَن الفرس يسحب ذنبه .

ومثل قول امرئ القيس قول خداش بن زهير :

/ لهَا ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الهَدِىِّ إلى جُؤْجُؤٍ أَيِّدِ الزَّافِرِ [٢٤٩] و

ـ والهدىّ : العروس التى تُهْدَى إلى زوجها . والأَيِّد : الشديد . والزافر : الصَّدر ، لأنها تزفر منه" . قال ": فشبه الذنب الطويل السابغ بذيل الهدىّ ، وإن لم يبلغ فى الطول إلى أن يمس الأرض"

قال سيدنا أدام الله تمكينه : وللبحترىّ وجهٌ فى العذر يقرُب من عذر امرئ القيس فى قوله : « مثل ذيل العروس » غير أن الآمدىّ لم يفطن له ؛ وأول ما نقوله : إن الشاعر لا يجب أن يؤخذ عليه فى كلامه التحقيق والتحديد ، فإن ذلك مَتَى اعتبر فى الشعر بطل جميعُهُ ، وكلام القوم مبنىّ على التجوز والتوسع والإشارات الخفية والإيماء على المعانى تارةً من بُعْد ، وأخرى من قُرْب ؛ لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق ؛ وإنما خاطبوا مَن يعرف أوضاعهم ويفهم أغراضهم .

وإنما أراد البحترىّ بقوله : «ذنب كما سحب الرداء» المبالغة فى وصفه بالطول والسبوغ وأنه قد قارب أن ينسحب ، وكاد يمسّ الأرض . ومن شأن العرب أن تجرى على الشيء الوصف الذى قد كان قد يستحقه، وقرب منه القرب الشديد فيقولون: قد قتل فلاناً هوى فلانة، ودلّه[1] عقله؛ وأزال تمييزه وأخرج نفسه ، وكل ذلك لم يقع وإنما أرادوا المبالغة وإفادة المقاربة والمشارفة؛ ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى .

ومن شأنهم أيضا إذا أرادوا المبالغة التامة أن يستعملوا مثل هذا ؛ فيشبهون الكفل بالكثيب وبالدّعص وبالتلّ ، ويشبهون الخَصْر بوسط الزنبور ، وبمَدَار[2] حلقة الخاتم ، ويعدُّون هذا غاية المدح وأحسن الوصف ، ونحن نعلم أنا لو رأينا من خصره مقدار وسط الزنبور ، وكفله كالكثيب العظيم لاستبعدناه واستهجنا صورته لنكارتها وقبحها ، وإنما أتوا بألفاظ المبالغة صنعة وتأنقاً ، لا لتحمل على ظواهرها تحديداً وتحقيقاً ؛ بل ليفهم منها الغاية المحمودة ، والنهاية المستحسنة ، ويترك ما وراء ذلك ، فإنا نفهم من قولهم: خصرها كخَصْر الزنبور أنه فى نهاية الدقة المستحسنة فى البشر ، ومن قولهم / : كَفَلها كالكثيب أى أنه [٢٤٩ ظ] فى نهاية الوثارة المحمودة المطلوبة، لا أنه كالتل على التحقيق؛ فهكذا لا ننكر أن يريد البحترى بقوله: «كما سحب الرداء» أنه فى غاية الطول الممدوح ، لا أنه ينجرّ على الأرض الحقيقة ، ووكلنا فى تخليص معناه وتفصيله إلى العادة الجارية لنظرائه من الشعراء فى استعمال مثل اللفظ الذى استعمله؛ وقد قال بعضهم فى ثِقَل العجيزة :

تَمْشِى فَتُثْقِلُها رَوَادِفُهَا ... فكأنها تَمْشِى إلى خَلْفِ

وقال المؤمل :

منْ رَأى مِثْلَ حِبَّتى ... تُشبهُ البَدْرَ إذ بدَا
تَدْخُلُ اليَوْمَ ثمَّ تدْ ... خُلُ أَرْدَافُها غَدَا

وقال ذو الرمة :

وَرَمْلٍ كأوْرَاكِ العَذارَى قطَعْتُه ... وقدْ جَلَّلَتْهُ المُظْلِماتُ الحَنادِسُ

(١) حاشية الأصل : « نسخة ش : ووله » (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « بمقدار » .

وهذا كلامٌ لو حُمِل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوفُ به فى نهاية القبح ؛ لأن مَنْ يمشى إلى خلف ، ومَنْ يدخُل كَفَلُه بعده لايكون مستحسناً .

وقال بكر بن النطاح :

فَرْعاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيامٍ شَعْرَها(١) ... وَتَغيبُ فِيهِ وَهْوَ جَثْلٌ أَسْحَمُ

فكأنَّها فِيهِ نَهارٌ مشرقٌ(٢) ... وكأَنَّهُ لَيْلٌ عليها مُظْلِمُ

فوصف شعرَها بأنه ينسحب مع قيامها ، ونحن نعلم أن طولَ الشعر — وإن كان مستحسناً — فليس إلى هذا الحد؛ وإنما أراد بقوله: « تسحب شعرها » ما أراده البحترىّ بقوله: « كما سحب الرداء » من المبالغة فى الوصف بالطول المحمود دون المذموم .

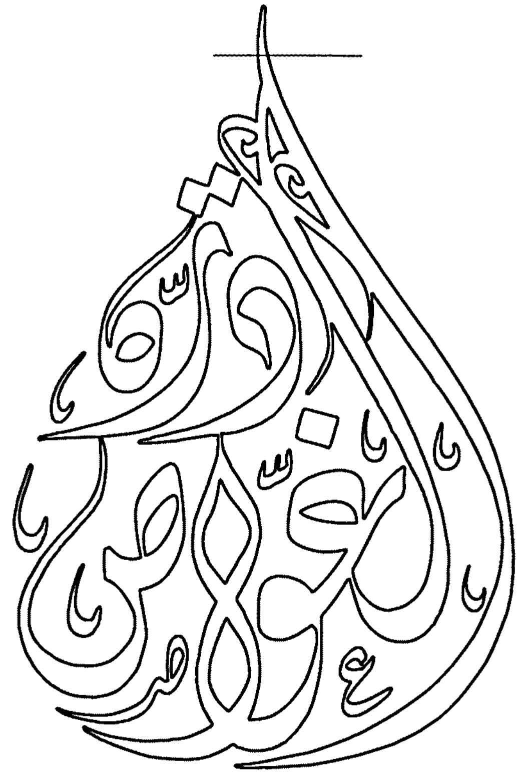

(١) م : « فرعها » .   (٢) م : « ساطع » .

مجلس آخر [٥٨]

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا، لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾؛ [مريم: ٣٨].

فقال: ما تأويلُ هذه الآية؟ فإن كان المراد بها التعجّبَ من قوة أسماعهم ونفاذ أبصارهم؛ فكيف يطابقُ ما خبّر به عنهم في مواضعَ كثيرة من الكتاب/ بأنهم لا يبصرون ولا يسمعون [٢٤٨ و] وأن على أسماعهم وأبصارهم غشاوة؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾؟ أيّ يوم هو اليوم المشار إليه؟ وما المراد بالضلال المذكور؟.

الجواب، قلنا: أمّا قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾؛ فهو على مذهب العرب في التعجّب؛ ويجري مجرى قولهم: ما أسمعه! وما أبصره! والمراد بذلك الإخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال؛ وأنهم عارفون به على وجه الاعتراض للشبهة عليه؛ وهذا يدلُّ على أنّ أهل الآخرة عارفون بالله تعالى ضرورة؛ ولا تنافيَ بين هذه الآية وبين الآيات التي أخبر عنهم فيها بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون؛ وبأن على أبصارهم غشاوة؛ لأنّ تلك الآيات تناولت أحوالَ التكليف، وهي الأحوالُ التي كان الكفار فيها ضُلّالاً عن الدين، جاهلين بالله تعالى وصفاته. وهذه الآية تناولَتْ يوم القيامة؛ وهو المعنيّ بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾؛ وأحوال يوم القيامة لا بدّ فيها من المعرفة الضرورية. وتجري هذه الآيةُ مجرى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

فأما قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فيحتمل أن يريد تعالى بقوله: ﴿الْيَوْمَ﴾ الدّنيا وأحوال التكليف؛ ويكون الضلال المذكور إنما هو الذّهاب عن الدين والعدول عن الحق، فأراد تعالى أنّهم في الدنيا جاهلون، وفي الآخرة عارفون؛ بحيث لا تنفعهم المعرفة. ويحتمل أن يريد تعالى باليوم يوم القيامة؛ ويعني تعالى

«بالضلال» العدول عن طريق الجنةِ ودارالثواب إلى دار العقاب؛ فكأنه تعالى قال : أسْمِعْ بهم وأبصر يوم يأتوننا؛ غير أنهم مع معرفتهم هذه وعلمهم يصيرون فى هذا اليوم إلى العقاب؛ ويعدل بهم عن طريق الثواب .

وقد روى معنى هذا التأويل عن جماعة من المفسرين فروىَ عن الحسن فى قوله تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ قال : يقول تعالى : هم يوم القيامة سمعاء بصراء؛ لكنِ الظالمون اليوم فى الدنيا ليسوا سمعاء وبصراء؛ ولكنهم فى ضلال عن الدين مبين .

وقال قَتادة وابنُ زيد : ذلك والله يومُ القيامة؛ سمعوا حين لم ينفع السمع، وأبصروا حين لم ينفعهم / البصر . [٢٤٨ ظ]

وقال أبومسلم بن بحر فى تأويل هذه الآية كلاما جيداً، قال: "معنى ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ ماأسمعهم! وماأبصرهم ! وهذا على طريق المبالغة فى الوصف؛ يقول : فهم يوم يأتوننا أى يوم القيامة سمعاء بصراء؛ أى عالمون وهم اليوم فى دار الدنيا فى ضلال مبين، أى جهل واضح" . قال : "وهذه الآية تدلّ على أنّ قوله : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَايَعْقِلُونَ﴾، [البقرة: ١٧١] ليس معناه الآفة فى الأذن، والعين والجوارح ؛ بل هو أنهم لايسمعون عن قدْرة، ولا يتدبرون مايسمعون، ولايعتبرون بما يرون؛ بل هم عن ذلك غافلون؛ فقد نرى أنَّ الله تعالى جعل قوله تعالى : ﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ مقابلا لقوله تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾، أى ماأسمعهم ! وماأبصرهم ! فأقام تعالى السمعَ والبصر مقام الهدى؛ إذ جعله بإزاء الضلال المبين" .

وأما أبو على بن عبد الوهاب فإنه اختار فى تأويل هذه الآية غيرَ هذا الوجه، ونحن نحكى كلامه على وجهه، قال: "وعنى بقوله : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ أى أسمِعْهمْ وبصِّرهم وبيِّن لهم أنهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون فى ضلال عن الجنة وعن الثواب الذى يناله المؤمنون والظالمون الذين ذكرهم الله همْ هؤلاء الذين توعَّدهم الله بالعذاب فى ذلك اليوم" .

ويجوز أيضاً أنْ يكون عَنى بقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾، أى أسمع الناس بهؤلاء الأنبياء وأبصرهم بهم؛ ليعرفوهم ويعرفوا خبرَهم، فيؤمنوا بهم، ويقتدوا بأعمالهم.

وأراد بقوله تعالى ﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ لكنْ مَنْ كفر بهم من الظالمين اليوم؛ وهو يعنى يوم القيامة فى ضلالٍ عن الجنة، وعن نيل الثواب، مبين.

وهذا الموضع من جملة المواضع التى استدركت على أبى على، وينسب فيها إلى الزلل؛ لأن الكلام وإن كان محتملا لما ذكره بعضَ الاحتمال من بُعْدٍ، فإن الأَوْلَى والأظهر فى معنى ماتقدم ذكره من المبالغة فى وصفهم. وقوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بَعْدَ ما تقدّم لايليقُ إلا بالمعنى الذى ذكرناه؛ لاسيما إذا حمل الْيَوْمُ على أنّ المرادبه يوم القيامة؛ على أن أبا علىّ جعل قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ من صلة قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ وتأوله على أنّ المعنىّ به أعلِمْهم وبصِّرهم [٢٤٩ و] / بأنهم يوم القيامة فى ضلال عن الجنة. والكلام يشهدُ بأنّ ذلك لايكون من صلة الأول وأنّ قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ﴾ استئناف لكلام ثان.

ومايحتاج أبوعلىّ إلى هذا؛ بل لو قال على مااختاره من التأويل أنه أراد أسمعهم وأبصرهم يَوْمَ يأتوننا أى ذكِّرهم بأهواله، وأعلمْهم بما فيه؛ ثم قال مستأنفا. ﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ لم يحتج إلى ماذكره؛ وكان هذا أشبه بالصواب.

فأما الوجه الثانى الذى ذكره فباطل، لأن قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ إذا تعلَّق بالأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى بَقِى قوله ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ بلا عامل(١) ومحال أن يكون ظرف لاعامل له؛ فالأقرب والأَوْلَى أن يكون على الوجه الأول مفعولا.

ووجدت بعضَ من اعترض على أبى علىّ يقول راداً عليه: لو كان الأمر على ماذهب إليه أبوعلىّ لوجب أن يقول تعالى: أسمعهم وأبصرهم بغير باء، وهذا الردُّ غير صحيح؛ لأن

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة): «لاعلاقة له بذلك».

الباء فى مثل هذا الموضع غير منكر زيادتها ؛ وذلك موجود كثير فى القرآن والشعر؛ قال الله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ؛ [العلق : ٩٦]، ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُاللهِ ﴾ ؛ [الإنسان : ٦]، ﴿ وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [مريم : ٢٥]، ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾؛ [الممتحنة : ١] .

وقال الأعشى :

ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيالِنَا أرماحُنا

وقال امرؤ القيس :

هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِى شَمارِيخَ مَيَّالِ(١)

وأظن أبا علىّ إنما أنَّسه بهذا الجواب أنه وجد تاليا للآية لفظ أمرٍ ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ ، فحمل الأول على الثانى ؛ والكلام لاتشتبه معانيه من حيث المجاورة ؛ بل الواجب أنْ يوضع كلّ منه حيث يقتضيه معناه .

***

قال:المرتضى وجدتُ جماعةً من أهل الأدب يستبعدون أنْ يُرْتَج على إنسان فى خطبة أو كلام قَصَد له، فينبعث منه فى تلك الحال كلام هو أحْسَنُ مما قصد إليه؛ وأبلغ مما أرْتج عليه دونه ويقولون : إنّ النسيان لايكون إلا عن حيرة وَضلالة ؛ فكيف يجتمع معهما البراعة الثاقبة، والبلاغة المأثورة ؛ مع حاجتهما إلى اجتماع الفكرة وحضور(٢) الذكر ! وينسبُون جميع مايحكى من كلام مستَحسن ، ولفظٍ مستغرب(٣) عمّن حَصِر فى خطبة أو فى منطق إلى أنه موضوع مصنوع .

---

(١) ديوانه : ١٩ ؛ وصدره :

* فلما تنازعنا الحديثَ وأسْمَحَتْ *

تنازعنا : تعاطينا . أسمحت : لانت وانقادت . ؛ ويريد بالشماريخ هاهنا خصائل الشعر ؛ وأصل الشمراخ : الغصن .

(٢) حاشية ف (من نسخة) : « حصول » . (٣) حاشية ف (من نسخة) : « مستعذب » .

[٢٤٩ ظ] /وليس الذى استبعدوه وأنكروه ببعيد ولا منكَر ، لأن النسيان قد يخص شيئاً دون شىء ، ويتعلّق بجهة دون جهة ، وهذا أمرٌ متعارَف ، فلا ينكَر أن ينسى الإنسانُ شيئا قصده وعزم على الكلام فيه ، ويكون مع ذلك ذاكراً لغيره ، متكلّما فيه بأبلغ الكلام وأحسنه ، بلْ ربما كان الحصَر والذّهاب عن القصْد بحميان القريحة ، وبُوقدان الفكرة ، ويبعثان على أحسن الكلام وأبرعه ، ليكون ذلك هرباً من العىّ وانتفاءً من اللُّكْنة .

ومن أحسن مارُوِى من الكلام وأبرعه فى حال الحصَر والانقطاع عن المقصود من الكلام ما أخبرنى به أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم . قال المرزبانىّ : وأخبرنا ابن دريدمرة أخرى قال : حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عبادٍ عن ابن الكلبىّ قالا : صعد خالد بن عبد الله القَسْرِىّ[1] يوماً المنبر بالبصرة فأُرتِج عليه ، فقال: «أيها الناس ، إن الكلام ــ وقال أبوحاتم: إن هذا القول ــ يجيء أحيانا ، ويذهب أحياناً ، فيتسبب عند مجيئه سببُه ، ويعِزّ عند عزوبه طلبُه ، وربما كوبر فأتى، وعولج فأبطأ ــ وقال ابن الكلبى : ربما طُلِب فأبى ، وعولج فقسا ــ فالتّأتى لمجيئه أصوب من التعاطى لأبيِّه». ثم نزل. فما رؤى حَصِرٌ أبلغ منه .

وقال أبوحاتم : « والترْك لأبيِّه أفضل من التعاطى لمجيئه ، وتجاوزُه عند تعززه أولى من طلبه عند تنزُّحِه ؛ وقد يختلج من الجرىء جَنانه ، ويُرْتَج على البليغ لسانه » ، ثم نزل .

وأخبرنا بهذا الخبر أبوعبيدالله المرزبانىّ على وجه آخر قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطىّ قال : كان خالد بن عبد الله القَسْرى حين ولاّه هشام بن عبد الملك يُكْثِر الخطب والتبالغ، فقدم واسطا ، فصعد المِنْبر فحاول الخطبة فأُرتِج عليه، فقال:«أيها الناس ، إن هذا الكلام يجىء أحياناً ويعزب أحياناً ، فيعِز عند عزوبه طلبُه ؛ ويتسبب عند مجيئه سببُه ، وربما كوثر فأبى ، وعوسر فقسا ، والتأتِّى لمجيئه أسهل من التعاطى لأبيه؛ وتركه عند تعزُّزه[2] أحمد من طلبه

(١) فى حاشيتى الأصل، ف : «القسرىّ : منسوب إلى قسر، وهى قرية من قرى العرب» .
(٢) ف : «تعذره» .

عند تنكّره ، فقد يُرْتَجُ على اللسِنِ لسانه ، فلا ينظره القول إذا اتسع ، ولا ينشأُ إذا امتنع ، ومن لم تمكِنْ له الخطوة ، فخليق أن تعنّ له النَّبْوة».

وأخبرنا المرزبانيّ قال أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني أبوالعباس المنصوريّ قال: صعِد أبوالعباس السفّاح/المنبرَ فأُرتِج عليه فقال: «أيها الناس، إنما اللسانُ [٢٥٠ و] بَضعة من الإنسان ، يكلّ إذا كلَّ ، وينفسح بانفساحه إذا انفَسَح، ونحن أمراءُ الكلام، منّا تفرعَتْ فروعه ، وعلينا تهدّلَتْ غصونه ، ألا وإنّا لانتكلم هذرا؛ ولا نسكت إلامعتبرين». ثم نزل .

فبلغ ذلك أبا جعفر فقال: لله هو ! لوخَطَب بمثل ما اعتذر لكان من أخطب الناس .

وهذا الكلام يُروى لداود بن على .

وبهذا الإسناد عن محمد بن الصباح عن قُثَم بن جعفر بن سليمان عن أبيه قال : أراد أبو العباس السفّاح يوماً أن يتكلم فى أمرٍ من الأمور بعد ما أفضت الخلافة إليه ، وكان فيه حياءٌ مفرِط فأُرتِج عليه ، فقال داود بن علىّ بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه : إن أميرَ المؤمنين ، الذى قلّده الله سياسةَ رعيتِه عَقل من لسانه عند ما تعهّد من بيانه ، ولكل مُرْتَقٍ بُهْر ، حتى تُنَفِّسَه العادات ، فأبشروا بنِعمة الله فى صلاح دينكم ، ورَغَد عيشكم» .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا عبدالله بن إسحاق بن سلاّم قال: صَعِدَ عثمان بن عفان المنبرَ فأُرتِج عليه فقال: «أيها الناس، سيجعل الله بعد عسر يسراً ، وبعد عيٍّ نطقا ، وإنكم إلى إمامٍ فعّال أحوَجُ منكم إلى إمامٍ قوّال» .

وروى محمد بن يزيد النحوىّ هذا الكلام بعينه عن زياد بن يزيد بن أبى سفيان(١) وقد

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « يزيد بن أبى سفيان » ؛ وفيهما أيضا . « يزيد بن أبى سفيان يقال له : يزيد الخير ؛ واستعمله أبو بكر على الشام ، ثم أقره عمر بعده ؛ ومات بالشام وهو عامل عمر فى طاعون عمواس فى سنة ثمانى عشرة ؛ فولى عمر أخاه معاوية ما كان يليه ، ولا عقب له » .

خطب على بعض منابر الشام وإنَّ عمرو بن العاص لما بلغه كلامه قال : هنَّ مخرجاتى من الشام؛ استحسانا لكلامه .

وروى محمد بن يزيد النحوىّ قال : بلغَنى أن رجلا صعِد المنبر أيام يزيد ــ وكان والياً على قوم ــ فقال لهم: «أيها الناس، إنى إلاَّ أ كن فارساً خطيبًا بهذا القرآن فإنَّ معى من أشعار العرب ما أرجو أن يكون خلَفاً منه ، وما أساء القائل أخو البراجم[1] حيث يقول :

وما عاجلاتُ الطَّيرِ يُدْنينَ للفتَى رَشَاداً ، ولا مِنْ رَيْثِهِنَّ يَخيبُ[2]
وَرُبَّ أُمورٍ لا تَضيرُكَ ضَيْرَةً وللقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وجيبُ[3]
ولاَ خَيْرَ فِيمَنْ لا يُوَطِّنُ نفسَهُ على حادثاتِ الدَّهْرِ حين تَنُوبُ[4]
وفى الشَّكِّ تَفْرِيطٌ ، وفى الحَزْمِ قُوَّةٌ ويُخطِى الفَتَى فى حَدْسِهِ ويُصِيبُ[5]

[٢٥٠ ظ] /فقال له رجل من كلْب: إنَّ هذا المنبر لم ينصَب للشعر، بل ليحمَد الله عليه ويصلَّى على النبى صلّى الله عليه وآله وللقرآن ، فقال : أما لو أنشدتكم شعر رجل من كلب لسرّكم، فكُتِب إلى يزيد بذلك فعزله ، وقال : قد كنت أرى أنك جاهل ، ولم أحسب أنَّ الحمق بلغ بك هذا كلّه ، فقال له : أحمق منِّى مَن ولاَّنى .

---

(١) الأبيات فى الكامل ٣ : ٢٠١ ــ بشرح المرصفى ؛ ونسبها إلى ضابئ بن الحارث البرجمى ؛ وقبلها :

وَمن يكُ أمْسى بالمدينةِ رَحْلُهُ فإنى وقيارا بها لغريب

(٢) رواية الكامل :

وماعاجلاتُ الطَّيرِ تُدْنِ من الفَتَى نجاحاً ولا عَنْ ريثهنَّ يَخيبُ

قال المبرد فى شرح البيت : " يقول : إذا لم تعجل له طير سانحة فليس ذلك بمبعد خيرا عنه ، ولا إذا أبطأت خاب ؛ فعاجلها لايأتيه بخير ، وآجلها لايدفعه عنه إغاله ماقدّر له ؛ والعرب تزجر على السانح وتتبرك به ، وتكره البارح وتتشاءم به ؛ والسانح ما أراك ميامنه فأمكن الصائد ، والبارح ماأراك مياسره فلم يمكن الصائد إلا أن ينحرف له " . (٣) المخشاة كالمخشية : مصدر خشية يخشاه ، ووجيب القلب : خفقانه واضطرابه . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « حيث تنوب » . (٥) وبعده :

ولستَ بمستبْقٍ صديقاً ولا أخاً إذا لم تُعَدِّ الشىءَ وهو يَريبُ

وكان يزيد بن المهلب[١] ولّى ثابت قطنة بعض قرى خُراسان ، فصعِد المنبر فَحَصِر فنزل وهو يقول :

فإلاَّ أكُنْ فيكُمْ خَطِيباً فإننى ... بِسَيْفِى إذَا جدَّ الوَغَى لخَطِيبُ

فقيل : لوقلت هذا على المنبر لكنت أخطبَ الناس ؛ فبلغ ذلك حاجب[٢] الفيل فقال :

أَبا العلاء لقَدْ لاقيْتَ مُعْضِلَةً ... يَوْمَ العَرُوبةِ من كَرْبٍ وتَخْنِيقِ

أما القُرآنُ فلا تُهدَى لِمُحْكَمِه ... ولم تُسَدَّدْ مِنَ الدُّنيا بتَوْفِيقِ

لمَّا رَمَتْكَ عُيُونُ النَّاسِ هِبْتَهُمُ ... وكِدْتَ تَشْرَقُ لمَّا قُمْتَ بالرِيقِ

تلْوِى اللِّسَانَ إِذَارُمْتَ الكَلامَ به ... كمَا هَوَى زَلِقٌ من حالقٍ نيق[٣]

ورُوِىَ أن بعض خلفاء بنى العباس ــ وأظنه الرشيد ــ صعِد المنبر ليخطب ، فسقطت ذبابة على وجهه فطردها ، فعادت فحَصِر وأُرتِج عليه ، فقال : أعوذ بالله السميع العليم : ﴿ يأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا لَهُ ، إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣] ، ثم نزلَ ، فاستُحْسن ذلك منه .

ومما يشاكل هذه الحكاية ما حكاه عمرو بن بحر الجاحظ قال : " كان[٤] لنا بالبصرة قاضٍ يقال له عبد الله بن سوّار لم يَرَ الناسُ حاكما قطّ [ولا زِمّيتاً][٥] ، ولا رَكيناً[٦] ، ولا وقوراً ، ضَبَط من نفْسِه ، ومَلَك من حركته مثلَ الذى ضَبَط وملك ؛ وكان يصلى الغداة

---

(١) الخبر فى الأغانى ١٣ : ٤٧ ــ ٤٨ . (٢) اسمه حاجب بن دينار المازنى ؛ ذكره الجاحظ فى الحيوان ١ : ١٩١ ، والبيتان ٢ : ١٨٣ .

(٣) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « من جانبى نيق » . ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف أيضا : « من جانب النيق » ، والنيق : أعلى الجبل .

(٤) الحيوان ٣ : ٣٤٣ ، ونقله الثعالبى فى ثمار القلوب ٣٩٦ ــ ٣٩٧ .

(٥) زيادة منم ؛ وهى توافق مافى الحيوان والزميت ، كسكيت العظيم الوقار . (٦) الركين : الرزين.

فى منزله وهو قريب الدار من مسجده ، فيأتى مجلسَه، فيحتبِى ولا يتّكِى ، ولا يزال منتصبا لا يتحرّك له عضو ، ولا يلتفت، ولا تُحَلُّ حبوَته(١)، ولا يحوّل رجلا عن رجل، ولا يعتمد على أحد شِقّيْه ، حتى كأنه بناء مبنىّ أو صخرة منصوبة؛ فلا يزال كذلك؛ حتى يقوم لصلاة الظهر، ثم يعود إلى مجلسه، فلا يزال كذلك / حتى يقوم لصلاة العصر ، ثم يرجع إلى مجلسه(٢)، [٢٥١] و
فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ، ثم ربما عاد إلى مجلسه(٣)، بل كثيراً ما يكون ذلك إذا بقى عليه من قراءة العهد والشروط والوثائق، ثم يصلى العشاء(٤) وينصرف ، لم يقم فى تلك الولاية مرة واحدة إلى الوضوء، ولا احتاج إليه، ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب، وكذلك كان شأنُه فى طِـــوال الأيام وفى قصارها ، وفى صيفها وشتائها ، وكان مع ذلك لا يحرِّك يداً(٥)، ولا يشير برأسه ؛ وليس إلا أن يتكلم ثم يُوجز ؛ ويبلغ بالكلام اليسير المعانىَ الكثيرة :

فبينما هو ذاتَ يوم كذلك، وأصحابُه حوله(٦) وفى السِّماطين(٧) بين يديه إذ سقَطَ على أنفه ذُباب، فأطال السكوت والمكث، ثم تحوّل إلى مؤقِ(٨) عينه؛ فرام الصبر فى سقوطه على المؤق وعلى عضّته ، ونفاذِ خُرطومه ؛ كما رام الصبر على سقوطه على أنفه ، من غير أن يحرِّك أرنبته، أو يُغَضِّن وجهه ؛ أو يذبّ بإصبعه ؛ فلما طال عليه ذلك من الذباب وأوجعه وأحرقه وقصد إلى مكان لا يحتمل التغافلَ عنه أطبق جفنَه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض ، فدعاه ذلك إلى أن وَالَى بين الإطباق والفتح؛ فتنحى ريثما سكن جَفنُه .

ثم عاد إلى موقفه(٩) ثانيا ، أشد من مرته الأولى ، فغمس خرطومه فى مكان قد كان أوهاه قبل ذلك ، فكان احتماله له أضعفَ ، وعجزُه عن الصبر فى الثانية أقوَى، فحرّك أجفانه، وزاد

---

(١) الحبوة ، بالفتح وتضم : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

(٢) الحيوان : « لمجلسه » . (٣) الحيوان : « إلى محله » .

(٤) فى ثمار القلوب : « العشاء الأخيرة » . (٥) الحيوان : « يده » .

(٦) م : « حواليه » ؛ وهى رواية الحيوان . (٧) السماط : الصف .

(٨) المؤق : طرف العين مما يلى الأنف . (٩) د ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « موقه »

فى شدة الحركة[١] فى تتابع الفتح والإطباق ، فتنحَّى عنه بقدر ماسكنتْ حركته ، ثم عاد إلى موضعه ، فما زال يُلِحُّ عليه حتى استفرغ جهده[٢] ، وبلغ مجهوده ، فلم يجد بُدًّا من أن يذبَّ عنه بيده ، ففعل ذلك وعيون القوم إليه يرمقونه ، كأنهم لا يرَوْنه ، فتنحى عنه بمقدار ماردَّ يده ، وسكنت حركته ، ثم عاد إلى موضعه ؛ فألجأه إلى أن ذبَّ عن وجهه بطارف كمه ، ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك ، وعلم أن ذلك كلَّه بعين مَن حضر من أمنائه وجلسائه ، فلما نظروا إليه قال : أشهد أن الذباب ألجُّ[٣] من الخنفساء ، وأزهى من الغراب ، وأستغفر الله فما أكثر مَنْ أعجبتْه نفسه ، فأراد الله أن يعرِّفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً . وقد علمتُ أنى كنتُ/ عند الناس من أرصن الناس ، وقد غلبنى وفضحنى أضعفُ خلق الله ، ثم تلا قول [٢٥١ ظ] الله تعالى : ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ والْمَطْلُوبُ ﴾ " .

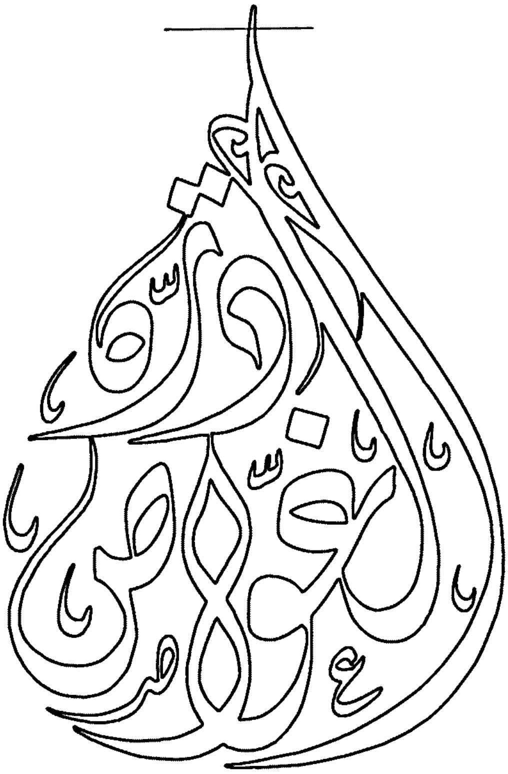

(١) الحيوان : « فى فتح العين وتتابع الفتح » . (٢) م : « صبره » . وهى رواية الحيوان وثمار القلوب . (٣) فى الثمار : « ألح » ، بالحاء .

مجلس آخر [٥٩]

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ، وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾؛ [البقرة : ٤٩].

فقال: ما تُنكرون أن يكون فى هذه الآية دلالة على إضافة الأفعال التى تظهر من العباد إليه تعالى، من وجهين: أحدها أنه قال بعد ماتقدم من أفعالهم ومعاصيهم: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ فأضافها إلى نفسه، والثانى أنه أضاف نجاتَهم من آل فرعون إليه فقال: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾، ومعلوم أنهم هم الذين ساروا حتى نجوا؛ فيجب أن يكون ذلك السير من فعله على الحقيقة حتى تصح الإضافة.

الجواب، قلنا: أما قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ فهو إشارة إلى ما تقدّم ذكره من إنجائه لهم من المكروه والعذاب: وقد قال قوم: إنه معطوف على ماتقدّم من قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾؛ [البقرة : ٤٧]، والبلاء هاهنا الإحسان والنعمة.

ولاشك فى أن تخليصه لهم من ضروب المكاره التى عددها الله نعمة عليهم وإحسان إليهم؛ والبلاء عند العرب قد يكون حسنا، ويكون سيئاً، قال الله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ [الأنفال : ١٧]؛ ويقول الناس فى الرجل إذا أحسن القتال والثبات فى الحرب: قد أبْلَى فلان، ولفلان بلاء؛ والبلوى أيضا قد يستعمل فى الخير والشر؛ إلا أن أكثر ما يستعملون البلاء الممدود فى الجميل والخير، والبلوى المقصور فى السوء

والشر ، وقال قومٌ : أصل البلاء فى كلام العرب الاختبار والامتحان ، ثم يستعمل فى الخير والشر ؛ لأن الاختبار والامتحان قد يكون فى الخير والشر جميعاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾؛ [الأعراف : ١٦٨] ، يعنى اختبرناهم، وكما قال تعالى : ﴿ وَنَبْلُو كُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾؛ [الأنبياء: ٣٥] ، فالخير يسمى بلاء ، والشر يسمى بلاء؛ غير أن الأكثر فى الشر أن يقال : بلوته أبلوه بلاءً ، وفى الخير: أبليتُه أُبليه إبلاءً وبلاءً؛ وقال زهير فى البلاء الذى هو الخير :

/ جَزَى اللهُ بالإحْسانِ ما فَعَلا بِكُمْ　　وأبلاهُما خيْرَ البَلَاءِ الذى يَبْلُو[(١)] [٢٥٢]

فجمع بين اللغتين ، لأنه أراد: فأنعم الله عليهما خير النعمة التى يختبر بها عباده. وكيف يجوز أن يضيف تعالى ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الأبناء وغيره إلى نفسه ، وهو قد ذمّهم عليه ، ووبّخهم ! وكيف يكون ذلك من فعله ؛ وهو تعالى قد عدّ تخليصهم منه نعمةً عليهم ! وكان يجب على هذا أن يكون إنما نجاهم من فعله تعالى بفعله، وهذا مستحيل لا يعقل ولا يحصل ؛ على أنّه يمكن أن تردّ قوله : ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ إلى ماحكاه عن آل فرعون من الأفعال القبيحة ؛ ويكون المعنى: فى تخليته بين هؤلاء وبينكم ، وتركه منعهم من إيقاع هذه الأفعال بكم بلاءٌ من ربّكم عظيم ؛ أى محنة واختبار لكم .

والوجه الأول أقْوَى وأوْلى ، وعليه جماعة من المفسرين .

وروى أبو بكر الهذلىّ عن الحسن فى قوله تعالى : ﴿ وَفِى ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ ، قال : نعمة عظيمة ؛ إذ أنجاكم من ذلك ؛ وقد روى مثل ذلك عن ابن عباس والسُّدِّى ومجاهد وغيرهم .

فأما إضافة النَّجاة إليه وإن كانت واقعةً بسيرهم وفعلهم ؛ فلو دَلّ على ماظنُّوه لوجب إذا قلنا: إنّ الرسول أنقذنا من الشّكّ ، وأخرجنا من الضلالة إلى الهدى ، ونجّانا من الكفر أن يكون فاعلاً لأفعالنا .

وكذلك قد يقول أحدنا لغيره : أنا نجيتك من كذا وكذا ، واستنقذتك وخلصتُك ،

(١) ديوانه : ١٠٩ ؛ والرواية فيه : « رأى الله بالإحسان... » ، وهى رواية الأصمعى .

ولا يريد أنّه فعل بنفسه فعله . والمعنى فى ذلك ظاهر ؛ لأن ماوقع بتوفيق الله تعالى ودلالته وهدايته ومعونته وألطافه قد يصح إضافته إليه فعلى هذا صحت إضافة النجاة إليه تعالى .

ويمكن أيضاً أن يكون مضيفاً لها من حيث ثبّط عنهم الأعداء ، وشغلهم عن طلبهم ؛ وكل هذا يرجعُ إلى المعونة ؛ فتارة تـكون بأمر يرجع إليهم ، وتارة بأمر يرجع إلى أعدائهم .

فإن قيل : كيف يصحّ أن يقول : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَا كُمْ ﴾ فيخاطب بذلك مَنْ لم يدرك فرعون ولانجا من شره ؟

قلنا: ذلك معروف مشهور فى كلام العرب ؛ وله نظائر ؛ لأن العربىّ قد يقول مفتخراً على غيره : قتلنا كم يوم عُـكاظ[1] وهزمنا كم ؛ وإنما يريدُ أنَّ قومى فعلوا ذلك بقومك .

قال الأخطل يهجو جرير بن عطية :

[٢٥٢ ظ] / ولقَدْ سَمالـكُمُ الهُذَيْلُ فنالـكمْ ... بإرَابَ حيثُ يُقَسِّمُ الأَنفالاَ[2]

فى فيْلَقٍ يَدْعُو الأَرَاقِمَ لم تـكُنْ ... فُرْسانُهُ عُزْلاً ولا أ كْفالا[3]

ولم يلحق جرير الهذيل ؛ ولا أدرك اليوم الذى ذكَره ؛ غير أنه لمـا كان يوم من أيام قوم الأخطل على قوم جرير، أضاف الخطاب إليه وإلى قومه ؛ فـكذلك خطاب الله تعالى بالآية إنما توجَّه إلى أبناء من نَجّى من آل فرعون وأحلافِهم . والمعنى : وإذ نجينا آباءكم وأسلافـكم ؛ والنعمةُ على السلف نعمةٌ على الخلف.

✲ ✲ ✲

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : «عكاظ : سوق للعرب معروفة كانوا يجتمعون فيها فيتفاخرون » .

(٢) ديوانه ٤٨ وفى حاشيتى الأصل ، ف : « الهذيل بن هبيرة التغلبى ، وكان غزابنى رباح يوم إراب ؛ وإراب اسم ماء » . (٣) الأراقم : قبائل معروفة ، والعزل : الضعفاء والأكفال : جمع كفل ، وهو الذى لايثبت على ظهور الخيل ؛ ومثله قول الشاعر :

ما كنتَ تَلْقَى فى الحروبِ فوارسِى ... مِيلاً إذا ركِبُوا وَلاَ أَكْفَالاَ

قال سيدنا أدام الله تمكينه: ومن أحسن الشعر فى تعوّد الضيافة والأنس بها والاستمرار عليها قول حاتم بن عبد الله الطائى :

إذا ما بَخِيلُ القَوْمِ هَرَّتْ كِلابُه ... وشَقَّ على الضَّيْفِ الْغَرِيبِ عَقُورُها[1]

فإنى جبانُ الكلبِ، بيْتى مُوَطَّأٌ ... جَوَادٌ إذَا ماالنَّفْسُ شَحَّ ضَمِيرُها

وإنَّ كلاَبى مُذْ أُقِرَّتْ[2] وَعُوِّدَتْ ... قليلٌ على منْ يَعْتَرِينا هَرِيرُها

أراد بقوله :

* قَليلٌ على من يعترينا هَرِيرُها *

أنها لا تهرُّ جملة؛ ولذلك نظائر كثيرة، ومثله قوله تعالى: ﴿ فَقَلِيلاً مَايُؤْمِنُون ﴾؛[البقرة: ٨٨]

ومثل قوله : « فإنى جبانُ الكلب » معنًى ولفظًا قولُ الشاعر :

وما يَكُ فِىَّ من عيْبٍ فإنى ... جبَانُ الكلْبِ مَهْزُولُ الفصيلِ[3]

وإنما أراد أنى أوثر الضيفَ بالألبان ففصالى مهازيل .

ومثل اللفظ والمعنى[4] قول أبى وَجْزَة :

وآلُ الزُّبيْرِ بَنُو حُرَّةٍ ... مَرَوْا بالسُّيُوفِ الصُّدُورَ الجنافا[5]

---

(١) ديوانه : ١١٠ ؛ والفاضل والمفضول ٤٠ ــ ٤١ ، وفى د، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « بخيل الناس » ؛ وهى رواية الديوان . (٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « أقرت » ؛ بالفتح . (٣) كتاب الصناعتين ٣٥١، والحيوان ١ : ٣٨٤ ، والحماسة بشرح المرزوقى ١٦٥٠ من غير عزو . (٤) من أبيات ستة مذكورة فى الأغانى ١٢ : ٢٥٢ (طبع دار الكتب المصرية) ؛ وكان أبو وجزة منقطعا إلى آل الزبير ؛ وإلى عبد الله بن عروة بن الزبير خاصة ، وكان يفضل عليه ويقوم بأمره ؛ ثم بلغه أن أبا وجزة أتى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فمدحه ووصله ؛ فاطرحه عبد الله بن عروة ، وأمسك يده عنه ؛ فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزبير ويستعطف ابن عروة ؛ وهو يشيح عنه إلى أن قال فيه هذه الأبيات ، فرضى عنه وعاد إلى صلته .

(٥) بعده .

سل الجرد عَنْهُمْ وأيامها ... إذا امتعطوا المرهفاتِ الخفافَا

ــ امتعطوا : سلوا ؛ ومنه ذئب أمعط ، منسل من شعره ــ .

يمُوتُونَ والقَتْلُ منْ دَأْبِهِمْ وَيَغْشَوْنَ يومَ السُّيُوفِ السِّيافا(١)
وَأَجْبَنُ منْ صافِرٍ كلبُهُمْ وإنْ قَذَفتهُ حَصاةٌ أَضافا

يقول : أدركوا بسيوفهم ثاراتهم ؛ فكأنهم شفَوْا وَغَر قلوبهم ، وأزالوا ما كان فيها من الأحقاد.

ومعنى « مروا » استخرجوا كما تمرِى الناقةَ إذا أردت أن تحلبها لتدرّ. والجانف: المائل. ثم قال : وإن مات بعضهم على فراشه فإن أكثرَهم يموت مقتولا؛ لشجاعتهم وإقدامهم، فلذلك قال : «والقتل من/ دأبهم» . [٢٥٣ و]

وجعل كلبَهم جبانا لكثرة مَنْ يغشاهم ويطرقُهم من النُّزّال والأضياف فقد ألفتهم كلابهم وأنِسَتْ بهم ؛ فهى لاتنبحهم . وقيل أيضاً: إنها لاتهرّ عليهم ؛ لأنها تصيب مما ينحر لهم وتشاركهم فيه. ومعنى:

* وإن قذَفَتْه حصاةٌ أضافا *

أى أشفق؛ وهذا تأكيد لجُبْنِهِ؛ ويقال : أضاف الرجلُ من الأمر إذا أشفق منه.
ومعنى « وأجبن من صافرٍ كلبهم » قد تقدم ذكره فى الأمالى.

ومثله فى المعنى :

يُغْشَوْنَ حتى ماتَهِرُّ كِلابُهُمْ لاَيسأَلونَ عنِ السَّوَادِ المُقبِلِ(٢)

وقال المرار بن المنقذ العدوىّ :

أَعْرِفُ الحقَّ ولا أُنْكِرُهُ وكِلابى أُنُسٌ غيرُ عُقُرْ(٣)

---

(١) رواية الأغانى :

يموتونَ والقتلُ داءٌ لَهمْ ويصلوْن يومَ السِّيافِ السِّيافَا

وبعده :

إذا فَرَجَ القتلُ عَنْ عِيصِهِمْ أَبَى ذَلكَ العيصُ إلا الْتفافَا
مَطَاعِيمُ تُحْمَدُ أَبياتُهُمْ إذا قُنِّعَ الشاهقاتُ الطَّخافا

ــ قنعت : غطى رأسها . والطخاف : السحاب المرتفع .

(٢) البيت لحسان ؛ ديوانه ٨٠ .

(٣) من قصيدة مفضلية (٨٢ ــ ٩٣ ، طبعة المعارف) .

لا تَرَى كلبى إلاَّ آنِسًا ... إنْ أتى خابطُ ليلٍ لم يَهِرّْ[(١)]
كَثُرَ النَّاسُ فما يُنْكِرُهُمْ ... مِنْ أَسِيفٍ يَبْتغى الخيرَ وحُرّْ

ـ الأسيف : العبد هاهنا ـ

وقال آخر :

إلى ماجِدٍ لاينبَحُ الكلْبُ ضَيْفَهُ ... وَلا يَتَأَدَّاه احْتِمالُ المغارِمِ[(٢)]

معنى « يتأداه » يثقله ؛ وأراد أن يقول: يتأوَّده ؛ فقلب .

وقال ابن هرْمة :

وإذا أتانا طارِقٌ مُتَنَوِّرٌ ... نبحَتْ فَدَلَّتْهُ علىَّ كِلابى[(٣)]
وفرِحْنَ إذْ أبصَرْنَهُ فَلَقِينَهُ ... يَضْرِبْنَهُ بِشَرَاشِرِ الأَذْنابِ[(٤)]

وإنماتفرح به، لأنها قد تعودت إذا نزلت الضيوف أن ينحر لهم فتصيب من قِراهم .

ومثله له :

ومُستنبِحٍ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ ثَوْبَهُ ... لِيَسْقط عنْهُ ، وهُوَ بالثَّوْب مُعْصِمُ[(٥)]
عَوَى فى سَوادِ اللَّيْلِ بعدَ اعْتِسافِهِ ... لِيَنْبَحَ كلْبٌ ، أوْ لِيَفْزَعَ نُوَّمُ[(٦)]
فجاوَبهُ مُستَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلقِرى ... لهُ مع إتيانِ المُهِبِّينَ مَطْعَمُ

---

(١) خابط ليل : ضيف يسير على غير هدى . (٢) البيت فى اللسان (أود) من غير نسبة .
(٣) البيتان فى الخزانة ٤ : ٥٨٤ . (٤) حاشية الأصل : « شراشر الذنب : ذباذبه ؛ وهى ماتدلى من شعر ذنبه » ، ويقال : شرشر الكلب ؛ إذا ضرب بذنبه .
(٥) حماسة أبى تمام ـ بشرح التبريزى ٤ ـ ١٣٦ـ١٣٧ ، والحيوان ١ : ٣٧٧ ، والفاضل للمبرد ٣٧ـ٣٨ ، من غير عزو ، والخزانة ٤ : ٥٨٤ . وكشط واستكشط بمعنى ، والمعصم : المستمسك بالشىء .
(٦) الاعتساف: السير على غير هدى .

يَـكادُ إذا ماأبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلاً يُـكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ ، وَهْوَ أَعْجَمُ

أراد بقوله: « فجاوبه مستسمع الصوت » أنه جاوَبه كلب . والمهبُّون : الموقظون له ولأهله وهم / الأضياف ؛ وإنما كانَ له معهم مطعم، لأنه ينحر لهم مايصيب منه . [٢٥٣ ظ]

وأراد بقوله :

* يكلّمه من حبّه وهْوَ أعجمُ *

بصبصتَه وتحريكه ذنبَه .

وأما قوله : « ليفزع نوّم » فإنما أراد ليُعِين[١] نوم، يقال: فزعت لفلان إذا أعنته[٢].

ومعنى « عوى فى سواد الليل » أنّ العرب تزعم أنّ ساريَ الليل إذا أظلم عليه وادلهمّ فلم يستَبِنْ محجةً ، ولم يدر أين الحِلّة وضع وجهَه على[٣] الأرض، وعوى عواء الكلب لتسمع[٤] ذلك الصوت الكلاب إن كان الحىُّ قريباً منه فتجيبه ، فيقصد الأبيات. وهذا معنى قوله أيضاً : « ومستنبح »، أى ينبح نبح الكلاب[٥] .

---

(١) حاشية الأصل ، ف (من نسخة) : « ليغيث » . (٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « أغثته » . (٣) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مع الأرض » .

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « لتستمع » . (٥) حاشية الأصل : « مما يناسب هذا الفن قول امرأة من بنى عامر ترثى رجلا :

أيا شجراتِ الوادِ مَنْ يَضْمَنُ القِرَى إذا لم يَـكُنْ بالواد عمرو بن عامرِ
فـتًى جعفرىٌّ كان غير ميامنٍ طريقَ الندى عنه وغير مياسرِ
ولـكن إليه قصدُ كلِّ محصّبٍ صبورٍ على مستصعبات الجرائرِ
ومستنبحٍ تزهى الصَّبا عنـه ثوبَه تقلّبه الأرواحُ بين الدياجرِ
يجاوبهُ كلبان ، والليلُ مُسْدِفٌ يكادان يَبْتدّانِه بالشراشرِ
يكادان من وَجْدٍ به وتملق يقولان : أهلا بالمـكلِّ المسافِرِ

ــ قولها « يبتدانه » ، أى يأتيانه من جانبيه يتبصبصان ويقال : السبعان يبتدان الرجل ابتدادا ، أى يأتيانه ، والرضيعان يبتدان أمهما ، ولا تقل : فلانة يبتدها ابنها حتى يكونا اثنين » .

وقال الفرزدق :

وَدَاعٍ بلَحْنِ الـكلْبِ يَدْعُو وَدُونَهُ   مِنَ اللَّيْلِ سِجْفَا ظُلْمَةٍ وغُيُومُها(١)
دعا وَهْوَ يَرْجُو أَنْ ينبِّه إذْ دَعا   فَتى كابْنِ لَيْلى حِينَ غارَتْ نُجُومُها

ـ ابن ليلى ، يعنى أباه غالباً ـ

بعَثْتُ له دَهْماءَ ليستْ بِلِقْحَةٍ(٢)   تَدِرُّ إذا ماهَبَّ نحْسًا عَقِيمُها

معنى « بعثت له دهماء » أى رفعتها على أثافيها ؛ ويعنى بالدهماء القِدْر . واللِّقْحة : الناقة؛ وأراد أن قِدْره تَدِرّ إذا هبت الريح عقيما لامطر فيها ـ

كأَنَّ المحالَ(٣) الغُرَّ فى حجراتِها   عَذَارَى بَدَتْ لمَّا أُصِيب حَمِيمُها

ـ أراد أن قطع اللحم لاتستتر منها(٤) بشيء؛ كما لاتستتر العذارى اللواتى أصيب حميمُهنّ فيظهرن حواسرَ ـ

غَضُوبا كحَيْزُومِ النعامةِ أُحْمِشَتْ   بأَجْوازِ خُشْبٍ زَالَ عنْها هَشِيمُها(٥)

ـ الأجواز : الأوساط، وأوسط الخشب أصلبه وأبقى ناراً ـ

مُحضَّرَةً لا يُجعلُ السّترُ دُونَها   إذا المرْضعُ العوْجاءُ جالَ برِيمُها

ـ البريم : الحِقاب(٦)؛ وإنما يجول من الهزال والجهد والطوى . والعوجاء : التى قد اعوجّت من الطوى .

وقال الأخطل فى الضيف :

دَعانِى بصَوْتٍ واحِدٍ فأَجابَهُ   مُنادٍ بَلاَ صَوْتٍ ، وآخَرُ صَيِّتُ(٧)

---

(١) ديوانه : ٨٠٣ ؛ والرواية فيه :

وداعٍ بنبح الـكَلْبِ يدعو ودونه   غياطلُ مِنْ دَهْماء داجٍ بهيمُها

(٢) الديوان : « بناقة » . (٣) المحال: الفطم . (٤) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: « فيها » .

(٥) هذا البيت والذى يليه لم يذكرا فى الديوان . (٦) الحقاب : شيء محلى تشده المرأة على وسطها . (٧) الخزانة ٤ : ٥٨٤ .

ذكر ضيفا عوى بالليل والصَّدى من الجبل يجيبه ؛ فذلك معنى قوله: « بصوتٍ واحدٍ »، وقوله : « فأجابه مناد / بلا صوتٍ » ، يعنى ناراً رفعها له فرأى سَنَاها فقصدها ، والآخر الصيّت الكلب ، لأنه أجاب دعواه . [٢٠٤ و]

ومثله :

وَسارِي ظَلَامٍ مُقْفَعِلّ وهَبْوَةٍ … دَعَوْتُ بِضَوْءِ ساطِعٍ فاهْتَدَى لِيا

يعنى ناراً رفعها ليقصِدَه طرّاق الليل . والمقفعلّ : المنتفِض[١] من شدة البرد .

وأنشد محمد بن يزيد :

ومُسْتَنْبِحٍ تَهْوِى مَساقِطُ رَأْسِهِ … إلى كلِّ شَخْصٍ فهْوَ لِلصَّوْتِ أصْوَرُ[٢]

حَبيبٌ إلى كلبِ الكِرَامِ مناَخُهُ … بَغِيضٌ إلى الكَوْماءِ، والكلْبُ أعذرُ[٣]

دَعَتْهُ بغَيْرِ اسْمٍ : هلُمَّ إلى القِرَى … فأَسْرَى يَبُوعُ الأرْضَ شَقْرَاءُ تَزْهَرُ

معنى « أصور » مائل ؛ أراد أنه يُميلُ رأسَه إلى كلِّ شخص يتخيل له يظنه إنسانا.

ومعنى : «حبيب إلى قلب الكرام» المعنى الذى تقدم

ومعنى : «بغيض إلى الكَوْماء » إلى الناقة لأنها تنحر له .

وقوله : «دَعَتْه شقْراء بغير اسم» يعنى ناراً رأى ضوءها فقصدها ؛ فكأنها دعتْه :

وقال ابن هَرْمة وقد نزل به ضيف :

فقلْتُ لِقَيْنَيَّ ارْفَعَاها وحَرِّقا … لعَلَّ سنَا نارِى بآخَرَ تَهْتِفُ[٤]

وفى معنى قوله : « بغيض إلى الكَوْماء » قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله :

وأَبِيكَ خَيْرًا إنّ إبْلَ مُحَمَّدٍ … عُزْلٌ تنَاوَحُ أنْ تَهُبَّ شَمالُ

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « المنقبض » . (٢) حماسة أبى تمام — بشرح المرزوقى ١٦٤٥ . (٣) ف : « أبصر » ؛ وهى رواية الحماسة . وفى حاشية الأصل: «أعذر ، أى أمعن فى كونه معذورا فى الحب » . (٤) القين : الخادم .

وإذَا رَأَيْنَ لدَى الفِناء غَرِيبَةً ذَرَفَتْ لهُنَّ مِنَ الدُّمُوعِ سِجالُ
وتَرَى لها زمَنَ الشِّتاء على الثَّرَى رَخَما ، وما تَحْيَا لَهُنَّ فِصَالُ

أرادأبيكِ الخير، فلما طرح الألف واللام نصب . والعُزْل : التي لا سلاح معها ؛ وسلاح الإبل سنامُها(١) وأولادها ؛ وإنما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها إذا رأى سِمَنها وحسن أجسامها ، ورأى أولادها تتبعها نَفِس بها على الأضياف فامتنع من نحرها ، فلما كان ذلك صادًّا عن الذبح ، ومانعاً منه جَرَى مجرى السلاح لها ؛ فكأنه يقول : هذه الإبل وإن كانت ذوات سلاح ؛ من حيث كانت شَحيمة سمينة فهى كالعُزْل إذْ كان سلاحها لا يغنى عنها شيئاً ، ولا يَمْنع من عقرها .

ومعنى: « تَنَاوَحُ » يقابل بعضها بعضاً ، أى هنَّ مدفآت بأَسْنِمَتِها وأوبارها / لاتبالى [٢٠٤ ظ] بهبوب الشمال ، ولايدخل بعضها فى بعض من البرد .

وقوله :

☆ وإذا رأين لدى الفِناءِ غريبة ☆

أى إذا نزل ضيف فعقل ناقته التى جاء عليها وهى الغريبة عِلْمن أنه سينحر بعضهن لامحالة؛ فلذلك تَذْرِفُ دموعهن .

وقوله :

وتَرَى لها زَمَنَ الشِّتاء على الثرى رخماً . . . .

فقد قيل فيه : إنه أراد به أن يَهَبُ فصالهن فتبقى ألبانهن على الأرض كهيئة الرَّخم .

وحكى عن ابن عباس أنه قال: الرَّخم : قطع العَلَق من الدم .

وعندى أن المعنى غير هذين جميعاً؛ وإنما أراد أنها تنحر وتعقر فتسقط الرَّخم على موضع عَقْرِها وبقايا دمائها وأشلائها ؛ فهذا معنى قوله، لا ما تقدم.

---

(١) د ، ف : « سمنها » .

وقال آخر فى معنى سلاح الإبل يمدح بنى عَوْذ بن غالب من عَبْس[١]:

جزَى اللهُ عنى غالِباً خيْرَ ما جزَى   إذَا حدَثَانُ الدَّهْرِ نابَتْ نَوائِبُهْ[٢]
إذَا أخَذَتْ بُزْلُ المَخاضِ سِلاحَها   تَجرَّدَ فِيها مُتْلِفُ المالِ كاسِبُهْ[٣]

أراد أن سِمَنَها وحسنها وتمامها لا يمنعنى[٤] من عقْرِها للأضياف .

ومثله :

إذَا البَقْلُ فى أصْلابِ شَوْلِ ابن مُسْهِرٍ   نما لم يَزِدْهُ البَقْلُ إلاَّ تكَرُّما
إذَا أخَذَتْ شَوْلُ البَخِيلِ رِماحَها   دَحا بِرِماحِ الشَّوْلِ حتَّى تَحطَّما

وقوله : « أخذت رماحها » من المعنى المتقدم .

وقال مسكين الدارمىّ :

فَقُمْتُ ولم تأخُذْ إلَىَّ رِماحَها   عِشارِى،ولم أرجُب[٥] عَراقِبَها عَقْرًا

لمأرجَب : لمأ كبر ذلك ولم يعظم علىّ،وسُمّى رجب رجباً من ذلك؛ لأنه شهر معظّم .

وقالت ليلى الأخيلية :

---

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « قيس » .

(٢) من أبيات أربعة فى حماسة أبى تمام — بشرح المرزوقى ١٦٦٦ — ١٦٦٧ ؛ وبعده :

فكم دافعوا مِنْ كُرْبَةٍ قد تلاحمتْ   علىَّ ، وموجٍ قد علتْنِى غواربُهْ
إذا قلتُ عودوا عادَ كلُّ شمَرْدَلٍ   أشَمَّ مِنَ الفتيانِ جزلٍ مواهبُهْ

إذا أخذت . . . .

(٣) البزل : جمع بازل ؛ وهو المتناهى قوة وشبابا . والمخاض : النوق الحوامل .

(٤) د ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « يمنعه » .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « ولم أحفل » .

ولاَ تأْخُذُ الـكُومُ الجِيَادُ سِلاَحَها ... لِتَوْبَةَ فى قُرِّ الشِّتاءِ الصنابِرِ(١)

ومثله :

لا أَخُونُ الصَّدِيقَ ما حَفِظَ العَهْـــدَ، ولاَ تأْخُذُ السِّلاَحَ لِقاحِى

وقال النمر بن تَوْلَب :

أَزْمانَ لم تأْخُذْ إلىّ سِلاَحَهاَ ... إبِلى بجِلَّتِها ولا أَبْكارِها(٢)

أبتزُّها أَلْبَانَهاَ ولُحُومَهاَ ... فأُهِينُ ذاكَ لِضَيفِها ولِجارِها

/وقال مُضَرِّس بن رِبْعِىّ الأسدىّ : [٢٠٥ و]

وما نَلْعَنُ الأَضْيافَ إنْ نَزَلُوا بِناَ ... ولاَ يَمْنَعُ الـكَوْماَءَ مِنَّا نَصِيرُها

ومعنى : « لا نلعنهم » ، أى لا نبعدهم ، واللعين : البعيد. ونصيرها هاهنا : ما يمنع من عقرها من حسن وتمام وولد وما جرى مجرى ذلك . والنصير والسلاح فى المعنى واحد .

(١) حماسة ابن الشجرى : ٨٤ ؛ من أبيات ترثى فيها توبة بن الحمير الخفاجى ، ورواية البيت هناك :

ولا تأخذ الـكوم المخاضُ سلاحَها ... لتوبةَ فى صَرِّ الشتاء الصَّنابرِ

ـــ والصنابر : جمع صنبر ؛ وهو البرد الشديد . (٢) البيت فى اللآلى ٦٣٢ . والجلة : المسان .

مجلس آخر ٦٠

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ؛ [الكهف : ٢٣] .

فقال : ما تنكرون أن يكون ظاهر هذه الآية يقتضى أن يكون جميعُ ما نفعله يشاؤه ويريده ؟ لأنه لم يخصّ شيئاً من شيء ؛ وهذا بخلاف مذهبكم . وليس لكم أن تقولوا: إنه خطاب للرسول عليه وآله السلام خاصة ؛ وهو لا يفعل إلا ما يشاؤه الله ؛ لأنه قد يفعل المباح بلا خلاف ؛ ويفعل الصغائر عند أكثركم ؛ فلا بد من أن يكون فى أفعاله تعالى مالا يشاؤه عندكم ، ولأنه أيضاً تأديب لنا ، كما أنه تعليم له عليه السلام ؛ ولذلك يحسنُ منا أن نقولَ ذلك فيما يفعله .

الجواب ، قلنا : تأويل هذه الآية مبنىٌّ على وجهين :

أحدهما أن نجعل حرفَ الشرط الذى هو «إن» متعلقاً بما يليه وبما هو متعلّق به فى الظاهر من غير تقدير محذوف ؛ ويكون التقدير : ولا تقولن إنك تفعل إلا ما يريد الله.

وهذا الجواب ذكره الفراء ، وما رأيته إلا له . ومن العجب تغلغله إلى مثل هذا ؛ مع مع أنه لم يكن متظاهرا بالقول بالعدل . وعلى هذا الجواب لا شبهة فى الآية ، ولا سؤال للقوم علينا.

وفى هذا الوجه ترجيح[1] لغيره من حيث اتبعنا فيه الظاهر ، ولم نقدِّر محذوفاً ، وكلُّ جواب مطابق الظاهر ولم يُبْنَ على محذوف كان أولى.

---

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « المعنى أن الله تعالى ينهى أن يقول أحد إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ؛ لأن الله تعالى لا يشاء جميع ما يفعلونه ؛ وكأنه تعالى نهاهم عن تعليق أفعالهم بمشيئة الله عز وجل . وهو حسن » .

والجواب الآخر أن نجعل «أن» متعلقة بمحذوف؛ ويكون التقدير: ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن تقول : «إن شاء الله» ؛ لأن من عاداتهم إضمارَ القول فى مثل هذا الموضع، واختصار الكلام إذا طال وكان فى الموجود منه دلالة على المفقود .

وعلى هذا الجواب يحتاج إلى الجواب عما سئلنا عنه ، فنقول : هذا تأديب من الله تعالى/ [٢٠٦ ظ] لعباده، وتعليم لهم أن يعلّقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة ؛ حتى يخرج من حد القطع .

ولا شبهة فى أن ذلك مختصٌّ بالطاعات، وأنّ الأفعال القبيحةَ خارجة عنه؛ لأن أحدا من المسلمين لا يستحسن أن يقول : إنى أزنى غدا إن شاء الله ، أو أقتل مؤمناً ، وكلهم يمنَع من ذلك أشدّ المنع؛ فعُلِم سقوطُ شبهة مَنْ ظن أن الآية عامّة فى جميع الأفعال .

وأما أبو علىّ محمد بن عبد الوهاب فإنه ذكر فى تأويل هذه الآية ما نحن ذاكروه بعينه ، قال " إنما عَنَى بذلك أنّ مَنْ كان لا يعلم أنه يبقى إلى غدٍ حياً فلا يجوز أن يقول : إنى سأفعل غدا كذا وكذا ، فيطلق الخبر بذلك وهو لا يدرى، لعله سيموت ولا يفعل ما أخبَر به ؛ لأن هذا الخبر إذا (١ لم يوجد مخبِره على ما أخبر به ١) فهو كذب ؛ وإذا كان المخبر لا يأمن أن لا يوجد مُخْبِره لحدوث أمر من فعل الله نحو الموت أو العجز أو بعض الأمراض، أو لا يحدث(٢) ذلك بأن يبدو له هو فى ذلك ، فلا يأمن أن يكون خبره كذبا فى معلوم الله عز وجل؛ وإذا لم يأمن ذلك لم يجز أن يخبر به ؛ ولا يسلم خبره هذا من الكذب إلا بالاستثناء الذى ذكره الله تعالى؛ فإذا قال : إنى صائر غدا إلى المسجد إن شاء الله ، فاستثنى فى مصيره مشيئةَ الله أمِنَ أن يكون خبره فى هذا كذباً؛ لأن الله إن شاء أن يلجئه إلى المصير إلى المسجد غداً ألجأه إلى ذلك ؛ وكان المصيرُ منه لا محالة؛ فإذا كان ذلك على ما وصفنا لم يكن خبره هذا كذبا ؛ وإن لم يوجد منه المصير إلى المسجد ؛ لأنه لم يوجد ما استثناه فى ذلك من مشيئة الله تعالى" .

(١ـ١) د ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « إذا لم يوجد مخبر على ما أخبر به المخبر » .

(٢) م : « لا يوجد ذلك » .

قال: " وينبغى ألا يستثنى مشيئة دون مشيئة، لأنه إن استثنى فى ذلك مشيئة الله لمصيره إلى المسجد على وجه التعبد ، فهو أيضا لا يأمن أن يكون خبره كذبا ؛ لأن الإنسان قد يترك كثيرا مما يشاؤه الله تعالى منه ويتعبده به ، ولو كان استثناء مشيئة الله لأن يبقيه ويقدره ويرفع عنه الموانع كان أيضا لا يأمن أن يكون خبره كذباً؛ لأنه قد يجوز ألاّ يصير إلى المسجد مع تبقية الله تعالى له قادرا مختارا ، فلا يأمن من الكذب فى هذا الخبر دون أن يستثنى المشيئة العامة التى ذكرناها ، فإذا دخلت هذه المشيئة فى الاستثناء فقد أمِن أن يكون خبره كذبا/ إذا كانت هذه المشيئة متى وُجِدَت وجب أن يدخل المسجد لا محالة " . [٢٥٦ و]

قال: " وبمثل هذا الاستثناء يزول الحِنْث عمن حلف فقال: والله لأصيرنَّ غدا إلى المسجد إن شاء الله ، لأنه إن استثنى على سبيل ما بيّنّا لم يجز أن يحنث فى يمينه، ولو خص استثناءه بمشيئة بعينها ثم كانت ولم يدخل معها المسجد حنَث فى يمينه " .

وقال غير أبى علىّ : إن المشيئة المستثناة هاهنا هى مشيئة المنع والحيلولة؛ فكأنه قال : إن شاءَ الله يخليني ولا يمنعنى .

وفى الناس من قال : القصد بذلك أن يقف الكلام على جهة القطع وإن لم يلزم به ما كان يلزم لولا الاستثناء ، ولا ينوى فى ذلك إلجاءً ولا غيره؛ وهذا الوجه يحكَى عن الحسن البصرىّ .

واعلم إن فى الاستثناء[(١)] الداخل على الكلام وجوهاً مختلفة ؛ فقد يدخل على الأيمان والطلاق والعتاق وسائر العقود ومايجرى مجراها من الأخبار؛ فإذا دخلَ ذلك اقتضى التوقيف عن إمضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به إزالتُه عن الوجه الذى وضع له ؛ ولذلك يصير ما تكلّم به كأنه لا حكم له ؛ ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثنى فى الماضى فيقول : قد

---

(١) د ، ف : « للاستثناء » .

دخلتُ الدار إن شاء الله ، ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خبراً قاطعاً أو يلزمه حُكْم .

وإنما لم يصحّ دخوله فى المعاصى على هذا الوجه؛ لأن فيه إظهار الانقطاع(١) إلى الله تعالى؛ والمعاصى لا يصح ذلك فيها ؛ وهذا الوجه أحدُ(٢) ما يحتمله تأويل الآية .

وقد يدخل الاستثناء فى الكلام فيراد به اللطف والتسهيل . وهذا الوجه يخصّ الطاعات ، ولهـــذا الوجه جرى قول القائل : لأقضينّ غداً ما علىَّ من الدين ، ولأصلِّينَّ غداً إن شاء الله مجرى أن يقول : إنى أفعل ذلك إن لطف الله تعالى فيه وسهّله ؛ فعُلِم أن المقصد واحد ، وأنه متى قصد الحالف فيه هذا الوجه لم يجب إذا لم يقع(٣) منه هذا الفعل أن يكون حانثاً وكاذبا، لأنه إن لم يقعْ علمنا أنه لم يلطف له(٤) ، لأنه لا لطف له .

وليس لأحد أن يعترض هذا بأن يقول : الطاعات لابد فيها من لطف ؛ وذلك لأنّ فيها ما لا لطف فيه جملة، فارتفاع ما هذه سبيله يكشف عن أنه لا لطف فيه، وهذا الوجه لا يصح أن يقال فى الآية أنه يخص الطاعات؛ والآية / تتناول كلَّ ما لم يكن قبيحاً؛ بدلالة إجماع(٥) [٢٠٦ ظ] المسلمين على حسن الاستثناء ما تضمنتْه فى فعل ما لم يكن قبيحاً .

وقد يدخل الاستثناء فى الكلام ويُرَاد به التسهيل والإقدار والتخلية والبقاءُ على ما هى عليه من الأحوال ؛ وهذا هو المراد به إذا دخل فى المباحات .

وهذا الوجه يمكن فى الآية إلا أنه يعترضه ما ذكره أبو على مما حكيناه من كلامه .

وقد يذكر استثناء المشيئة أيضا فى الكلام وإن لم يُرَدْ به فى شىء مما تقدم ؛ بل يكون الغرضُ إظهار الانقطاع إلى الله تعالى من غير أن يقصد إلى شىء من الوجوه المتقدمة .

وقد يكون هذا الاستثناء غيرَ معتدّ به فى كونه كاذبا أو صادقاً ؛ لأنه فى الحكم كأنه

(١) م : « إظهاراً للانقطاع » . (٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « أجود » .
(٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « وإن لم يقع منه » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « لم يلطف فيه » . (٥) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « اجتماع » .

قال : لأ فمان كذا إذا وصلتُ إلى مرادى مع انقطاعى إلى الله تعالى وإظهارى الحاجة إليه؛ وهذا الوجه أيضاً مما يمكن فى تأويل الآية .

ومنْ تأمل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف منه الجواب عن المسألة التى لا يزال يسأل عنها المخالفون من قولهم : لو كان الله تعالى إنما يريد العبادات من الأفعال دون المعاصى لوجب إذا قال مَنْ لغيره عليه دَين طالبه به: والله لأعطينّك حقّك غداً إن شاء الله أن يكون كاذبا أو حانثا إذا لم يفعل ؛ لأن الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم ، وإن كان لم يقع ؛ فكان يجب أن تلزمه الكفارة؛ وألا يؤثر هذا الاستثناء فى يمينه ، ولا يخرجه عن كونه حانثا؛ كما أنه لو قال : والله لأعطينّك حقك غدا إن قدم زيد فقدم ولم يعطه يكون حانثا ؛ وفى إلزام هذا الحنث خروج عن إجماع المسلمين ، فصار ما أوردناه جامعا لبيان تأويل الآية، وللجوابِ عن هذه المسألة ونظائرها من المسائل، والحمد لله وحده .

* * *

قال سيدنا أدام الله تمكينه: تأمّلْتُ ما اشتملتْ عليه تشبيهات الشعراء فوجدت أكثر ما شبهوا فيه الشىء بالشىء الواحد ، أو الشيئين بالشيئين ؛ وقد تجاوزوا ذلك إلى تشبيه ثلاثة بثلاثة ، وأربعة بأربعة ، وهو قليل؛ ولم أجد مَن تجاوز هذا القدر إلا قطعة مرّتْ بى لابن المعتز ، فإنها تضمنت تشبيه ستة أشياء بستة أشياء .

فأما تشبيه الواحد بالواحد فمثل قول عنترة فى وصف الذباب :

هَزِجًا يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدْحَ المُكِبِّ على الزِّنَادِ الأَجْذَمِ (١)

[٢٥٧ و] / ومثله قول عدى بن الرّقاع :

---

(١) من المعلقة ، ص ١٨٢ — بشرح التبريزى . الهزج : السريع الصوت .

تُزْجِى أغَنَّ كأنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ   قلمٌ أصابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدادَها(١)

ومثله قول امرئ القيس :

كأنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ قِبابنا   وأرْحُلِنَا الجَزْعُ الذى لم يُثقَّبِ(٢)

وقوله :

إذَا ما الثُّرَيَّا فى السَّماء تَعَرَّضَتْ   تعَرُّضَ أثْناءِ الوشاحِ المُفَصَّلِ(٣)

ولذى الرُّمة :

وَرَدْتُ اعْتِسافاً والثُّرَيَّا كأنَّهَا   على قِمَّة الرَّأْسِ ابْنُ ماء مُحَلِّقُ(٤)

وهذا الباب أكثر من أن يحصى .

فأما تشبيه شيئين بشيئين فمثل قول امرئ القيس يصف عُقابا :

كأنَّ قُلُوبَ الطَّيرِ رَطْباً ويابساً   لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والْحَشَفُ البالى(٥)

وقوله :

وكَشْحٍ لطِيفٍ كالجَدِيلِ مُخَصَّرٍ   وساقٍ كأُنْبُوبِ السَّقِىِّ المُذَلَّلِ(٦)

(١) الطرائف الأدبية : ٨٨ . وفى حاشية الأصل : « أى تزجى البقرة ولدا فى صوته غنة ؛ كأن رأس قرنه قلم قد سود بمداد » . (٢) ديوانه ٨٨ . الجزع ، بالفتح ويكسر: الخرز اليمانىّ .

(٣) ديوانه : ٢٧ . تعرضت : أبدت عرضها ، والأثناء : جمع ثنى ؛ وهو ما أنثنى من الوشاح ، والوشاح : قلائد يضم بعضها إلى بعض ؛ تكون من لؤلؤ وجوهر منظومين مخالف بينهما ، معطوف أحدهما على الآخر ، وتتوشح به المرأة فتشده بين عاتقها وكشحها ، والمفصل : المرصع مابين كل خرزتين منه بلؤلؤة أو ذهب ، وتعرض الثريا يكون عندانصبابها للمغيب . وفى طبقات الشعراء : ٧٣ : "أنكرقوم قوله : « إذا ماالثريا فى السماء تعرضت » ، وقالوا : الثريا لاتتعرض". وقال بعض العلماء : عنى الجوزاء ، وقد تفعل العرب بعض ذلك ؛ قال زهير :

فتُنْتَجْ لَكُمْ غلمان أشْأَمَ ، كُلُّهُمْ   كأحمر عادٍ ، ثم ، ترضِعْ فتفْطِمِ

يريدأحمر ثمود.

(٤) ديوانه : ٤٠١ (٥) ديوانه : ٧٠ . العناب : ثمر أحمر ، والحشف : مايبس من التمر .

(٦) ديوانه : ٣٢ . الجديل : زمام يتخذ من سيور فيجىء حسنا لينا يتثنى . والأنبوب البردى ؛ وهو الذى ينبت وسط النخل ؛ يشبه به لبياضه . والسقى : النخل المسقى ؛ كأنه قال كأنبوب النخل السقى ، والمذلل: الذىسقى وذلل بالماء

ولبشار :

كأنَّ مُثارَ النَّقعِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ … وأسْيافَنا ليْلٌ تَهاوَى كَوا كِبُهُ[1]

ولآخر :

كأنَّ سُمُوَّ النَّقْعِ والبِيضَ حَوْلَهُ … سَماوَةُ ليلٍ أسْفرَتْ عنْ كواكِبِ

وقول أبى نواس :

كأنَّ صُغْرَى وكُبْرَى من فقاقِعِها … حَصْباءُ دُرٍّ على أرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ[2]

ولآخر :

إنَّ الشَّمُولَ هِىَ التى … جَمَعَتْ لأهْلِ الوُدِّ شَملاَ[3]

شَبَّهْتُهــا وحُبابَهــا … بشَقائِقٍ يَحْمِلْنَ طَلاَّ[4]

ولآخر :

أَبْصَرْتُهُ والـكأسُ بَيْنَ فَمٍ … مِنْهُ وبينَ أناملٍ خَمْسِ

فـكأنَّها وكأنَّ شارِبَها[5] … قَمرٌ يُقَبِّلُ عارِضَ الشَّمْسِ

[٢٠٧ و] /ولآخر:

حتى إذَا جُلِيَتْ فى الـكأْسِ خِلتُ بها … عَقِيقَةً جُلِيَتْ فى قِشْرِ بَلّورِ[6]

---

(١) ديوانه ١ : ٣١٨ . النقع : غبارالحرب .

(٢) حاشية الأصل : « أصل السماوة المفازة الواسعة ؛ ويعنى به الهواء . » .

(٣) ديوانه : ٢٤٣ . وفى حاشيتى الأصل، ف: «أخذ على أبى نواس استعماله «فعلى» هذه بلا ألف ولام » . (٤) الشمول : الخمر . قال فى اللسان : ,, لأنهاتشمل بريحها الناس؛ وقيل : سميت بذلك لأن لها عصفة كعصفة الشمال''. (٥) الطل : أخف المطر وأضعفه . (٦) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف :

☆ فـكأنّه والـكأسُ فى يَدِهِ ☆

(٦) جليت، من الجلوة ، وبها أى مكانها؛ وفى حاشية الأصل: « بلور كتنور، و بلور كسنور، كلاهما صحيح».

تُعْلِى إذَا مُزِجَتْ فى كأسِها حبَباً — كأنَّهُ عَرَقٌ فى خَدِّ مَخْمُورِ

وقال البحترىّ :

شَقائِقُ يحْمِلْنَ النَّدَى فكأنَّهُ — دُمُوعُ التَّصابِى فى خُدُودِ الخَرائدِ (١)

وقال آخر :

فكأنَّ الرَّبيعَ يَجْلُو عَرُوساً — وكأنَّا مِنْ قَطْرِهِ فى نِثارِ (٢)

ولأبى العباس الناشى :

كأنَّ الدُّمُوعَ على خَدِّها — بَقِيَّةُ طَلٍّ على جُلَّنارِ

وقال ابن الرومى وأحسن :

لوْ كنتَ يوْمَ الفِراقِ حاضِرَنا — وهُنَّ يُطْفِئْنَ غُلَّةَ الوَجْدِ (٣)
لم تَرَ إلا الدُّمُوعَ سافِحَةً — تَسْفَحُ مِنْ مُقْلَةٍ على خَدِّ
كأنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطْرُ نَدًى — يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ على وَرْدِ (٤)

وقال جران العَوْد :

أبيت كأنَّ اللَّيْلَ أفْنَانُ سِدْرَةٍ — عليْها سَقِيطٌ مِنْ نَدَى الطَّلِّ يَنْطِفُ (٥)
أُرَاقِبُ لمْحًا مِنْ سُهَيْلٍ كأنَّهُ — إذَا ما بَدَا فى آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرِفُ

ولابن المعتز :

سَقَتْنِىَ فى لَيْلٍ شَبيهٍ بشَعْرِها — شَبيهَةَ خَدَّيْها بغَيْرِ رَقيبِ
فأمْسَيْتُ فى لَيْلَيْنِ بالشَّعْرِ والدُّجَى — وشَمْسَيْنِ مِنْ خَمْرٍ ووجْهِ حَبيبِ (٥)

---

(١) ديوانه ١ : ١٣٦ . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « شبه ماتناثر عليهم من قطر المطر النثار » . (٣) ديوانه ورقة ٩٤ (مخطوطة دار الكتب المصرية). (٤) فى ف : « كأن العين » وهو رواية . (٥) ديوانه : ١٣ـ١٤ . (٦) شرح ديوان المتنبى للعكبرى ١ : ٢٦٠ .

وقال المتنبي :

نَشَرَتْ ثلاثَ ذَوَائِبٍ منْ شَعْرِها ... فى لَيْلَةٍ فأَرَتْ لَيالِيَ أَرْبَعا[١]

واسْتَقْبَلَتْ قمرَ السماء بوَجْهِها ... فأَرَتْنِىَ القَمَرَيْنِ فى وقْتٍ مَعا[٢]

[٢٠٨ و] / فأَما تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فمثل قول مانى الموسوس :

نَشَرَتْ غدائِرَ شعْرِها لِتُظِلَّنى ... خَوْفَ العُيُونِ مِنَ الوُشَاةِ الرُّمَّقِ

فَكَأَنَّهُ وكأَنَّها[٣] وكأَنَّنى ... صُبْحَانِ باتَا تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ

ولبعضهم :

رَوْضُ وَرْدٍ خَلالَهُ نَرْجِسٌ غَضٌّ يحفَّانِ أُقْحُوانًا نَضِيرا

ذَا يُباهِى لَنا خُدودا ، وذَا يَحْـ ... ـكِى عُيُونا ، وذا يُضاهِى ثُغُورا

ولآخر فى النرجس :

مَداهِنُ تِبْرٍ بيْنَ أَوْراقِ فِضَّةٍ ... لها عُمُدٌ مخْرُوطَةٌ مِنْ زَبَرْجَدِ

وللبحترىّ فى وصف ضمر المطايا ونحولها :

كالقِسِىِّ المُعَطَّفَاتِ بلِ الأَسْـ ... ـهُمِ مَبْرِيَّةً بلِ الأَوْتَارِ[٤]

ولبعض الطالبيين :

وأَنا ابنُ مُعْتَلَجِ البِطاحِ إِذَا غَدَا ... غيْرِى وَرَاحَ على مُتُونِ ضَوامِرِ[٥]

---

(١) ديوانه ١ : ٢٦٠ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « فى ليل معا » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « فكأنها وكأنه » . (٤) ديوانه ٢ : ٢٤ .

(٥) حاشية الأصل : « المعتلج : المكان الذى تختلف فيه الأباطح ؛ وأصله من اعتلجت الأمواج ؛ إذا التطمت » . والبطاح : جمع بطحاء ؛ وهى بطاح مكة . وعن ابن الأعرابى : قريش البطاح الذين ينزلون الشعب بين أخشبى مكة .

يَفْتَرُّ عَنِّى رُكْنُهَا وحَطِيمُها كالجَفْنِ يُفتَحُ عن سَوادِ النَّاظِرِ
كَجِبالِها شَرَفِى ، ومِثْلُ سُهُولِها خُلُقِى ، وَمِثْلُ ظِبائِهِنَّ مُجاوِرِى

وأما تشبيه أربعة بأربعة فمثل قول امرئ القيس :

لهُ أيطلاَ ظَبْىٍ ، وَساقا نَعامةٍ وإرْخاءُ سِرْحانٍ ، وتقريبُ تَتْفُلِ(١)

ولآخر :

كفٌّ تَنَاوَلُ رَاحها بزُجاجةٍ(٢) خَضْرَاءَ تَقْذِفُ بالحَبابِ وتُزْبِدُ
فالكَفُّ عاجٌ ، والحَبابُ لآلِئٌ ، وَالرَّاحُ تِبْرٌ ، والإناءُ زَبَرْجَدُ

ولبعضهم وقدأهدِىَ إليه نرجس وأُقحوان وشقائق وآس، فكتب إلى المهدىّ :

لله ما أظْرَفَ أخْ لاقَكَ يا بَدْرَ الكَرَمْ
أهْدَيْتَ ما ناسَبْنَها حُسْنًا وظَرْفا ومَشَمْ
[٢٥٨ ط] / فما رَأَينَا مُهْدِيًا قَبْلَكَ فى كلِّ الأُمَمْ
أَهْدَى العُيُونَ والخُدُو دَ والثُّغُورَ واللِّمَمْ

ولآخر :

أفْدِى حَبِيبًا لهُ بَدَائِعُ أوْ صافٍ تعالتْ عن كلِّ ما أصِفُ
كالبَدْرِ يَعْلُو ، والشَّمْسِ تُشْرِقُ ،وَالْـ ـغَزَالِ يعْطُو ، والغُصْنِ يَنْعَطِفُ(٣)

وللمتنبي :

بَدَتْ قمَرًا ، وماسَتْ خُوطَ بَانٍ، وفاحَتْ عَنْبَرًا ، ورَنَتْ غزالاَ(٤)

---

(١) ديوانه : ٣٩ . أيطلا الظبي : خاصرتاه ؛ وخص الظبي لأنه ضامر . والسرحان : الذئب ؛ والإرخاء: نوع من الجرى فيه سهولة . والتتفل : ولد الثعلب. والتقريب : أن يرفع يديه معا ويضعهما معا .
(٢) حاشية الأصل: «بزجاجة، الباء للآلة؛ أى بواسطة زجاجة، ويجوز أن تكون الباء للاستصحاب» .
(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « يعطو ، أى يتناول ورق الشجر ، ويكون الظبي فى تلك الحال أحسن » . (٤) ديوانه ٣ : ٢٢٤ . الخوط : القضيب .

ولآخر :

سَفَرْنَ بُدُوراً ، وانتقبْنَ أهِلّةً ، وَمِسْنَ غُصُونا ، والتَفَتْنَ جآذِرَا(١)

وأما تشبيه خمسة بخمسة فقول الوأواء الدمشقىّ ، وهو أبو الفرج :

وأسْبَلَتْ لؤلؤاً مِنْ نَرْجِسٍ ، وَسَقَتْ وَرْداً ، وعَضَّتْ على العُنّابِ بالبَرَدِ(٢)

وأما تشبيه ستة بستة فلم أجده إلا لابن المعتز فى قوله :

بدْرٌ ولَيلٌ وغصنٌ وجهٌ وشعرٌ وقَدُّ(٣)

خمرٌ وورْدٌ ودُرٌّ رِيقٌ وثغرٌ وخدُّ

---

(١) شرح العكبرى للمتنبى ٢ : ٢٢٤ ، من غير نسبة . (٢) ديوانه : ٨٤ ؛ وروايته : « وأمطرت » . وقبله :

قالت ، وقد فَتَكَتْ فينا لواحظُها كم ذا ؟ أما لقتيل الحب من قَوَدِ !

(٣) حاشية الأصل : « تشبيهات ابن المعتز وإن كانت ستة بستة فإنها فى بيتين ؛ وأعجب من ذلك وأحسن قول المخزومى :

نقَا الرِّدفِ ، غُصْنُ المُنْثَنى ، حيَّةُ الحشا دُجَى اللَّيلِ ، بدرُ الوجْهِ ، ظَبيُ المقلَّد

مجلس آخر ٦١

تأويل آية

إن سأل سائل عن قـــوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَـأْنَا ﴾؛ [البقرة : ٢٨٦] .

فقال : كيف يجوز أن يأمرَنا على سبيل العبادة بالدّعاء بذلك ، وعندكم أن النسيان من فعله تعالى ؟ ولا تـكليف على الناسى فى حال نسيانه ؛ وهذا يقتضى أحدَ أمرين : إما أن يكون النسيان من فعل العباد على ما يقوله كثير من الناس ، أو نـكون متعبدين بمسألته تعالى ما نعلم أنه واقع حاصل ؛ لأن مؤاخذةَ الناسى مأمونة منه تعالى، والقول فى الخطأ إذا أريد به ما وقع سهواً أو عن غير عمد يجرى هذا المجرى .

الجواب ، قلنا : قد قيل فى تأويل هذه الآية: إنّ المراد بنسياننا تركنا .

قال أبو علىّ قطرب بن المستنير : معنى النسيان هاهنا الترك ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ ؛ [طه : ١١٥] ، فنسى أى ترك؛ ولولا ذلك لم يكن فعله معصية ، وكقوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ؛ [التوبة : ٦٧] ، أى [٢٥٩] و
تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته . وقد يقول / الرجل لصاحبه : لا تنسنى من عطيتك ، أى لا تتركنى منها، وأنشد ابن عرفة(١) :

وَلم أكُ عندَ الجُودِ لِلجُودِ قالِياً ولا كنْتُ يوْمَ الرَّوْعِ للطَّعْنِ ناسِيا

أى تاركا .

ومما يمكن أن يكون على ذلك شاهدا قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ؛ [البقرة: ٤٤]، أى تتركون أنفسكم .

(١) حاشية الأصل : « هو نفطويه » .

ويمكن فى الآية وجه آخر على أن يُحْمل النسيان على السَّهو وفقد المعلوم ؛ ويكون وجهُ الدعاء بذلك ماقد بيناه فيما تقدم من الأمالى؛ من أنه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى ، وإظهار الفقر إلى مسألته والاستعانة به؛ وان كان مأمونا منه المؤاخذة بمثله؛ ويجرى مجرى قوله تعالى فى تعليمنا وتأديبنا: ﴿لاَ تُحَمِّلْنَا مَالاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾؛ [البقرة : ٢٨٦]، ومجرى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾، [الأنبياء : ١١٢] ؛ وقوله ﴿وَلاَ تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾؛ [الشعراء : ٨٧] ؛ وقوله تعالى حاكياً عن الملائكة : ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾؛ [غافر : ٧] .

وهذا الوجه يمكن أيضا فى قوله تعالى : ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ إذا كان الخطأ ما وقع سهوا أو عن غير عَمْد .

فأما على ما يطابق الوجه الأول فقد يجوز أن يريد تعالى بالخطأ ما يفعل من المعاصى بالتأويل السيّئ وعن جَهْل بأنها معاص، لأن من قصد شيئا على اعتقاد أنه بصفةٍ، فوقع ماهو بخلاف معتقده يقال : قد أخطأ، فكأنه أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل، ومما أقدموا عليه مخطئين متأولين .

ويمكن أيضا أن يريد بـ﴿أَخْطَأْنَا﴾ هاهنا أذنبنا وفعلنا قبيحا ؛ وإن كانوا له متعمدين وبه عالمين ، لأن جميع معاصينا لله تعالى قد تُوصَف بأنها خطأ من حيث فارقت الصواب ؛ وإن كان فاعلها متعمدا ؛ وكأنه تعالى أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه من الواجبات؛ ومما فعلوه من المقبّحات، ليشتمل الكلام على جهتى الذنوب ؛ والله أعلم بمراده .

***

أخبرنا أبوعبيد الله المرزبانىّ قال حدثنى محمد بن العباس قال: قال رجل يوماً لأبى العباس:

محمد بن يزيد النحوىّ : ما أعرف ضادية أحسنَ من ضادية أبى الشِّيص(١) فقال له : كم ضاديةٍ حسنة لا تعرفها ! ثم أنشده لبشار :

/ غَمَضَ الجديدُ بِصاحِبَيْكَ فغمّضا ... وَبقيتَ تَطْلُبُ فى الحِبالَةِ مَنْهَضا(٢) [٢٠٩ ط]

وكأنَّ قلبى عِندَ كلِّ مُصيبةٍ ... عَظْمٌ تَكَرَّرَ صَدْعُهُ فَتَهَيَّضا

وأخٍ سَلَوْتُ لهُ ، فأَذْكُرَه أخٌ ... قَمَضَى ، وتُذْكِرُكَ الحوادِثُ ما مَضَى(٣)

فاشْرَبْ على تَلَفِ الأَحِبَّةِ إِنَّنا ... جَزَرُ المنيَّةِ ، ظاعِنِينَ وخُفَّضا(٤)

ولقد جَرَيتُ معَ الصِّبا طَلَقَ الصِّبا ... ثمَّ ارْعَوَيْتُ فلم أجِدْ لِيَ مرْكَضا(٥)

وعَلِمْتُ ماعَلِمَ امْرُؤٌ فى دَهْرِهِ ... فأَطَعْتُ عُذَّالِى ، وأعْطَيْتُ الرِّضا

وصحَوْتُ من سُكْرٍ وكنْتُ مُوَكَّلاً ... أرْعَى الحمامَةَ والغُرابَ الأَبْيَضا

ــ الحمامة : المرآة ، والغراب الأبيض : الشعر الشائب ؛ فيقول : كنت كثيراً أتعهد نفسى بالنظر فى المرآة وترطيل(٦) الشعر .

ــ وقوله : « والغراب الأبيض » لأن الشعرَ كان غِرْبيباً أسود ؛ من حيث كان شابا ثم ابيض بالشيب ــ

ما كلُّ بارِقَةٍ تَجُودُ بِمائِها ... وكذاكَ لو صَدَقَ الرَّبيعُ لَرَوَّضا(٧)

---

(١) مطلعها :

لاتنكرِى صَدِّى ولا إعْراضِى ... ليسَ المقلُّ عَنِ الزَّمانِ براضِ

وأبيات منها فى حماسة ابن الشجرى ٢٠٠ ، ٢٤٠ ، واللآلى ٣٣٨ ، ونكت الهميان ٢٥٨ ، وعيون الأخبار ٤ : ٥٢ .

(٢) المختار من شعر بشار ص ٢٥ مع اختلاف فى الرواية وعدد الأبيات . والجديد : الزمان .

(٣) رواية المختار :

* وأخٍ فجِعتُ به وكانَ مُؤَمَّلاً *

(٤) حاشية الأصل : « أى راحلين ومقيمين » . (٥) الطلق والشأو والشوط بمعنى ؛ يقال : أجريت الفرس شأوا وطلقا وشوطا ؛ إذا أجريته مرة واحدة ، وارعويت : أقصرت وأقلعت عما كنت عليه .

(٦) ترطيل الشعر : تدهينه وتكسيره . (٧) ف : « فروضا » ويقال : روض الربيع ؛ إذا أنبت رياضا .

هكذا أنشده المبرّد، ويحيى بن علىّ، وأنشده ابن الأعرابىّ:

ماكلُّ(١) بارِقَةٍ تجُودُ بِمائِها ... ولَرُبّما صَدَقَ الرَّبيعُ فرَوَّضا(٢)

قد ذُقْتُ أُلفتَهُ، وذُقْتُ فِراقَهُ ... فوَجدْتُ ذا عَسلاً، وذا جَمْرَ الغَضا

ياليْتَ شِعْرِى! فِيمَ كانَ صُدُودُهُ ... أَأَسأْتُ أمْ رَعدَ السَّحابُ وأوْمَضا!

ــ وغير مَن ذكرنا يرويه: «أم أَجِمَ الخِلالَ فأَحْمَضَا» ــ(٣).

وَيْلِى عليه، وَوَيْلَتِى مِنْ بَيْنِهِ! ... كانَ الذى قدْ كانَ حُلْماً فانقَضَى

سبحانَ مِنْ كتب الشقَّاءَ لِذِى الهَوَى ... ما كانَ إلاَّ كالخِضابِ فقَدْ نَضا

قال المبرّد: وهى طويلة.

وذكر يوسف بن يحيى بن علىّ عن أبيه أنّ أبا نواس أخذ قوله:

جَرَيْتُ مَعَ الصِّبا طَلَقَ الجَمُوحِ(٤)

من قول بشار:

ولقدْ جَرَيْتُ معَ الصِّبا طَلَقَ الصِّبا

[٢٦٠ و] قال سيدنا الشريف المرتضى ذو المجْدَيْن / أدام اللهُ علوَّه: ولأبى تمام والبحترىّ على هذا الوزن والقافية وحركة القافية قصيدتان، إن لم يزيدا على ضادية بشار التى استحسنها المبرّد لم يَقْصُرا(٥) عنها؛ وأول قصيدة أبى تمام:

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة): «من كل بارقة».

(٢) بين هذا البيت والذى يليه وردت فى المختار الأبيات التالية؛ وبها يتم المعنى:

ومنيفةٍ شرفاً جعلتُ لها الْهَوَى ... إما مكافأة وإما مَقْرَضا

حتى إذا شربتْ بماء مودّتِى ... وشربتُ بردَ رضابها متبرِّضا

قالتْ لتربَيْها: اذهبا فتحسّسا ... ما باله ترك السلام وأعرضا!

(٣) أجم: كره، وفى حاشية الأصل: «الخلة: ماحلا من النبت، والحمض: ما حمض؛ ولذلك يقال: الخلة خبز الإبل، والحمض: فاكهتها؛ يقول: لاأعلم سبب فراقه، أإساءة صدرت منى إليه أو ملال بدا له ففارقنى. وضرب الخلة والحمض مثلا لذلك». (٤) ديوانه: ٢٥٧، وبقيته:

* وَهَانَ علىّ مَأْثُورُ القَبِيحِ *

(٥) حاشية الأصل: (نسخة س): «تُقصِّرا»

أهلوكَ أَضْحَوْا شاخصاً(١) ومُقوّضا   ومُزَمِّماً يَصِفُ النَّوَى ومُغرِّضا(٢)
إنْ يَدجُ عَيْشك أنهمْ أَمُّوا اللِّوَى   فبما إضاؤُهُمُ على ذَاتِ الأَضا(٣)
بُدِّلْتَ مِنْ بَرْقِ الثُّغُورِ وَبَرْدِها   بَرْقاً إذا ظَعَنَ الأَحبةُ أوْمَضا(٤)

يقول فيها :

ماأنْصَفَ الشَّرْخُ الذى بعثَ الهوَى   فقضى عليْكَ بِأَوْبَةٍ ثمَّ انقْضى(٥)
عِنـدِى مِنَ الأَيامِ مالوْ أنَّهُ   أَضْحى بِشارِبِ مُرْقِدٍ ماغمَّضا(٦)
لاتَطْلُبنَّ الرِّزْقَ بعدَ شِماسِهِ   فترُومَـهُ سَبُعاً إذَا ماغيِّضـا(٧)
ماعُوِّضَ الصَّبرَ امْرُؤٌ إلاّ رَأى   مافاتَهُ دُونَ الذِى قدْ عُوِّضـا
ياأحمدَ بنَ أبى دؤادٍ دَعْوَةً   ذَلَّتْ بذِكْرِكَ لى وكانتْ رَيِّضا(٨)
لمَّا انْتَضيْتُكَ لِلخُطُوبِ كَفيْتَها   والسَّيْفُ لايُرْضِيكَ حتى يُنْتَضى

يقول فيها :

قدْ كانَ صَوَّحَ نبتُ كلِّ قَرَارَةٍ(٩)   حتى تَرَوَّحَ فى نَدَاكَ فَرَوَّضا
أَوْرَدْتَنى العِدَّ الخسِيفَ وقدْ أَرَى   أتبرَّضُ الثَّمَدَ البكِىَّ تبرُّضا(١٠)

وأما قصيدة البحترىّ فأوّلها :

تَرَكَ السَّوَادَ لِلاَبِسِيهِ وبَيَّضا   وَنَضَا مِنَ السِّتينَ عنهُ مانَضا(١١)
وشآه(١٢) أَغْيَدُ فى تَصَرُّفِ لحظِهِ   مَرضٌ أَعَلَّ بهِ القُلُوبَ وأمْرَضا

(١) حاشية الأصل: فى شعره: «راحلا». (٢) ديوانه: ١٨٥، وفى حاشية الأصل : « التقويض : هدم الخيمة ، والتغريض: شد الغرضة ؛ وهى التصدير، وهو للرحل بمنزلة الحزام للسرج » .

(٣) إن يدج : إن يظلم ، وفى الديوان : « إن يدج ليلك » .

(٤) حاشية الأصل : « أى صرت أشيم البرق من ناحيتهم وأتذكرهم » .

(٥) الشرخ : غرة الشباب، وفى الديوان : « الزمن » . (٦) المرقد : دواء إذا شربه الإنسان نام .

(٧) شماسه : عصيانه، وغيض السبع : مكث فى الغيضة .

(٨) فى الديوان : « بشكرك لى » ، وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « ببرّك » .

(٩) القرارة : الروضة المنخفضة . (١٠) العدّ : الماء الدائم الذى لا انقطاع لمادته ، والخسيف : البئر التى حفرت فى حجارة تخرج منها ماء كثير . وأتبرض : آخذ قليلا . والثمد والبكىّ : المـاء القليل .

(١١) ديوانه٢ : ٧٠ (١٢) شآه : سبقه ، وفى حاشية الأصل (من نسخة) : «وسباه» .

وكأنَّهُ وَجدَ الصِّبا وَجديدَهُ　　دَيْناً دنا ميقاتُهُ أنْ يُقْتضى
أَسْيانُ أثْرَى مِن جوىً وصبابَةٍ　　وَأساف مَنْ وَصْلِ الحِسانِ وأنْفضا(١)
[٢٦٠ ظ] / كافٌ يُكفكِفُ عَبْرَةً مُهَراقَةً　　أسَفاً على عَهْدِ الشَّباب وما انْقضى
عَدَدٌ تكامَلَ لِلشَّباب مَجيئُهُ　　وَإِذا مُضِيُّ الشَّيءِ حانَ فقدْ مَضى

يقول فيها :

قَعْقَعْتُ لِلبُخَلاءِ أذْعَرُ جأْشَهُمْ　　وَنذيرةٌ مِنْ قاصِلٍ أنْ يُنْتَضَى(٢)
وَكَفاكَ مِنْ حَنَش الصَّرِيمِ تَهدُّدًا　　أنْ مَدَّ فضْلَ لِسانِهِ أو نَضْنضا(٣)

وفيها :

لاتُنْكِرَنْ مِنْ جارِ بَيْتِكَ أنْ طوَى　　أطْناب جانِبِ بَيْتِهِ أو قَوَّضا(٤)
فالأرْضُ وَاسِعَةٌ لِنقْلَةِ راغِبٍ　　عَمَّنْ تَنَقَّلَ وُدُّهُ وَتَنَقَّضا
لاتَهْتَبِلْ إغْضايَ ، إما كُنْتُ قد(٥)　　أغْضَيْتُ مُشْتَمِلاً على جَمْرِ الغَضا
لسْتُ الذى إنْ عارَضَتْهُ مُلِمَّةٌ　　أصْغَى إلى حُكْمِ الزَّمانِ وفوَّضا
لَايستفِزُّنِىَ الطَّفِيفُ وَلَا أُرى　　تَبعاً لِبارِقِ خُلَّبٍ إنْ أوْمَضا(٦)
أَنا مَنْ أحَبَّ تَحَرِّيا وكأَنَّنى　　فِيما أُعانُ مِنْكَ(٧) مِمَّنْ أبْغَضا
أغْبَبْتَ سَيْبَكَ كى يَجِمَّ وإنَّما　　غُمِدَ الحُسامُ المَشْرَفِىُّ لِيُنْتَضَى(٨)

(١) الأسيان هنا: الحزين ، وأساف الرجل : ذهب ماله ، وكذلك أنفض ، والمراد هنا أنه ذهب من يده وصل الحسان وميلهن إليه . (٢) القعقعة : صوت السلاح ، ونذيرة : إنذار ، والقاصل : السيف . وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « من نابل أن ينبضا » ، أى يحرك وترقوسه .

(٣) حنش الصريم : حية الرمل .　　(٤) أى ارتحل عنك وسافر .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) :

* لاتهتبلْ إغضاءَتى إنْ كنتَ قدْ *

وهى رواية الديوان .　　(٦) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « لبارق خلة » .

(٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « فيما أعانى » .

(٨) أغببت ، أخرت ، ومنه إغباب الزيارة ، وهو أن يزور يوما ويترك يوما . والسيب: العطية ؛ ويجم : يكثر ويجتمع .

وَسَكَتُّ إلاَّ أنْ أُعَرِّضَ قائِلاً   نَزْراً ، وَصَرَّحَ جَهْدَهُ مَنْ عَرَّضا

***

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدّثنى يوسف بن يحيى عن أبيه قال : من مختار شعر بشار قولُه فى وصف الزمان :

عَتَبْتُ على الزَّمانِ وَأَىُّ حَىٍّ   مِنَ الأَحْياءِ أعْتَبَهُ الزَّمانُ!(١)
وآمِنَةٍ مِنَ الحدَثانِ تُزْرِى   علىّ ، وَلَيْسَ مِنْ حَدَثٍ أَمانُ
وَلَيْسَ بزَائِلٍ يَرْمِى وَيُرْمى   مُعانٌ مَرَّةً أو مُسْتَمانُ(٢)
متى تأب الكَرَامَةَ مِنْ كَرِيم   فَمالكَ عِنْدَهُ إلاَّ الهَوَانُ

وله فى نحوه :

[٢٦١ و] /ياخَلِيلَىَّ أَصِيبا أوذَرَا   لَيْسَ كلُّ البَرْقِ يُهْدِى المطَرَا
لاتكُونا كامْرِئٍ صاحَبْتُهُ   يتْرُكُ العَيْنَ وَيَبْغى الأَثَرَا
ذَهَبَ المَعْرُوفُ إلاَّ ذِكْرَهُ   رُبَّمَا أَبْكَى الفَتى ما ذَكَرَا
وَبَقِينا فى زَمانٍ مُعْضِلٍ   يَشْرَبُ الصَّفْوَ ، ويُبْقِى الكَدَرَا(٣)

قال: وله:

قدْ أُدْرِكُ الحاجَةَ مَمْنُوعَةً   وتُولَعُ النَّفْسُ بِمَا لاَ تَنَالْ
والهَمُّ ما امْسَكْتَهُ فى الحَشا   دَاءٌ ، وَبعضُ الدَّاءِ لا يُسْتَقَالْ
فاحْتَمِلِ الهَمَّ على عاتِقٍ   إنْ لم تُساعِفْكَ العَلَنْدَى الجُلاَلْ(٤)

---

(١) أعتبه : أرضاه.   (٢) حاشية الأصل : « يقول : لايزال الحى يرمى ويرمى ؛ فهو معان ضعيف مرة ؛ ومستعان قوى أخرى » .

(٣) حاشية الأصل : « أى يذهب الدهر الكرام ويبقى اللئام » .

(٤) العلندى : الجمل القوى ، والجلال : العظيم .

قال يحيى: قوله: « عاتق » يعنى الخمر ، وهذا مثل قوله :

رَحَلْتُ عَنْساً مِنْ شرابِ بابِلِ ... فَبِتُّ مِنْ عَقْلِى على مَرَاحِلِ (١)

قال سيدنا أدام الله تمكينه : هذا الذى ذكره يحتمله البيت على استكراه ، ويحتمل أيضاً أن يريد بالعاتق العضو، ويكون المعنى: إن لم تجد من يحمل عنك همومك ويقوم بأثقالك، ويخفف عنك ، فتحمّل ذلك أنت بنفسك، واصبر عليه؛ فكأنّه يأمر نفسه بالتجلّد والتصبّر على البأس ، وهذا البيت له نظائر كثيرة فى الشعر .

***

وأخبرنا المرزبانىّ قال حدثنا على بن هارون قال حدثنى أبى قال : مِن بارع شعر بشار قوله يصف جارية مغنية . قال على : وما فى الدنيا شىء لقديم ولا محدَث من منثور ولا منظوم فى صفة الغناء واستحسانه مثل هذه الأبيات :

وَرائحةٍ ، للعَيْنِ فيها مَخِيلَةٌ ... إذا بَرَقَتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صعيدِ (٢)

مِنَ المُسْتَهِلاَّتِ الهُمُومِ على الفَتى ... خَفا بَرْقُها فى عُصْفُرٍ وَعُقُودِ (٣)

حَسَدْتُ عليها كلَّ شَىْءٍ يَمَسُّهَا ... وما كنتُ لولاَ حُبُّهَا بحَسُودِ

وأصفرَ مثلِ الزَّعْفَرانِ شَرِبْتُهُ ... على صَوْتِ صفْرَاءِ التَّرائِبِ رُودِ (٤)

[٢٦١] /كأنَّ أميراً جالساً فى ثيابها ... تُؤَمِّلُ رُؤْياهُ عُيُونُ وُفُودِ

مِنَ البِيضِ لم تَسْرَحْ على أهْلِ ثَلَّةٍ ... سَواماً ، وَلم تَرْفَعْ حِداجَ قَعُودِ (٥)

---

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « أوله :

لَمَّا رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهِلِ ... ولم أر المغبونَ غيرَ العاقِلِ

ـ والعنس : الجمل القـوى . (٢) المختار من شعر بشار ٣٠٩ ، والأغانى ٣ : ١٨٩ (طبع دار الـكتب المصرية) . الرائحة: السحابة تروح ؛ والمخيلة : علامة المطر . (٣) استهل السحاب : إذا أمطر، وفى الأغانى : « المستهلات السرور » ، وخفى البرق : ظهر ولمع ، وأراد بالعصفر: الثياب المعصفرة.

(٤) رود : ناعمة .

(٥) الثلة : قطعة من الغنم ، والسوام: الإبل السائمة ، والحداج: جمع حدج؛ وهو مركب من مراكب النساء .

تُميتُ بهِ ألبابَنا وَقُلُوبَنا مِرَاراً ، وتُحْيِيهِنَّ بعْدَ هُمُودِ
إذا نطقَتْ صِحْنا، وصاحَ لنا الصَّدَى صِياحَ جُنودٍ وُجِّهَتْ لجنودِ
ظَلِلْنا بذاكَ الدَّيدنِ اليَوْمَ كلَّهُ كأنّا من الفِرْدَوْسِ تحتَ خُلودِ[1]
وَلا بأسَ إلاّ أنّنا عندَ أهْلِنا شُهُودٌ ، وما ألبابُنا بشُهُودِ

قال: وأنشدنى أبى له فى وصف مغنية :

لعَمْرُو أبى زُوّارِها الصِّيدِ إنّهُمْ لفى مَنْظَرٍ مِنْهَا وَحُسْنِ سَماعِ[2]
تُصَلّى لها آذانُنَا وعُيُونُنا إذا ما التَقَيْنَا والقُلُوبُ دوَاعِ
وَصَفْرَاءَ مِثْلِ الخَيْزُرَانَةِ لم تعِشْ بِبُؤْسٍ وَلم تَرْكَبْ مَطِيّةَ رَاعِ
جرى اللؤلؤُ المكْنُونُ فوق لسانِهَا لزُوّارِها مِنْ مِزْهَرٍ ويَرَاعِ[3]
إذا قلّدَتْ أطْرافَها[4] العُودَ زلْزَلَتْ قلُوباً دَعاها للوَساوِسِ دَاعِ
كأنّهُمُ فى جَنّةٍ قد تلاحَقَتْ محاسِنُها مِنْ رَوْضَةٍ ويَفاعِ[5]
يَرُوحُونَ مِنْ تغْرِيدِها وحَدِيثِها نَشَاوَى ، وما تَسْقِيهِمُ بصُوَاعِ
لعُوبٌ بألبابِ الرِّجَالِ، وَإنْ دَنَتْ أطِيعَ التقَى، وَالغَىُّ غيرُ مطاعِ

قال على بن هارون : الصّواع : المكيال؛ يقول: إذا غنّت شربوا جُزافاً بلا كيل ولا مقدار من حسن ما يسمعون .

قال سيدنا أدام الله علوه: هذا خطأ منه؛ وإنما المراد أن غناءها لفرط حسنه[6] وشدة[7] إطرابه ينسيان شِرَّة الخمر[8] ؛ وإن لم يكن هناك شرب بصُواع ، وهذا يجرى مجرى قول الشاعر :

(١) الديدن : العادة . (٢) المختار من شعر بشار : ٣١٤ .

(٣) هذا البيت ساقط من م . المزهر : العود ، واليراع : القصب ؛ وأراد به ها هنا الزمار . وفى حاشية الأصل : « هذا البيت يفيد أنها تغنى وتضرب بالمزهر، وقوله : « من مزهر ويراع » إشارة إلى أن كلا منهما مختلط الجرس بنقر المزهر واليراع » . (٤) رواية المختار : « إذا قلبت أطرافها » .

(٥) اليفاع : المرتفع من الأرض . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « حسنها » .

(٧) حاشية الأصل (من نسخة): « سورة إطرابه » . (٨) حاشية الأصل: « فى نسخة الشجرى : الهم » .

وَيَوْمٍ ظَلِلْنَا عِنْدَ أُمِّ مُحَلَّمٍ   نَشاوَى، ولم نَشْربْ طِلاءً ولاَ خَمْرا

[٢٦٢ و] /وما كان عندى أن أحدا يتوهم فى معنى هذا البيت ما ظنه هذا الرجل .

وأما قوله فى القطعة الأولى :

وأَصْفَرَ مِثلِ الزَّعْفَرانِ شَرِبْتُهُ   على صَوْتِ صفراءِ الترائب رُودِ

فيحتمل وجوهاً ثلاثة :

أولها أن يكون أراد بصُفْرة ترائبها الكناية عن كثرة تطيّبها وتضمّخها ، وأن ترائبها تَصْفرُّ لذلك، كما قال الأعشى:

بَيْضاءُ ضَحْوَتَها،وَصَفْ   راءُ العَشِيَّةِ كالعَرَارهْ(١)

ـ والعرَار : بَهار البرّ ؛ وإنما أراد أنها تتضمّخ بالعشىّ بالطيب فيصفّرها ؛ ومثله لذى الرُّمة :

بَيْضاءُ فى دَعَجٍ ، كَحْلاءُ فى بَرَجٍ ،   كأَنَّهَا فِضَّةٌ قدْ مَسَّها ذَهبُ(٢)

وقيل فى بيت قيس بن الخطيم :

فرَأَيْتُ مِثلَ الشَّمسِ عندَ طُلُوعِها   فى الحُسْنِ ، أوْ كدُنوِّها لِغرُوبِ(٣)

وجهان :

أحدها أنه أراد أنها تتطيّب بالعَشِىّ فتصفرّ ؛ لأن الشمس تغيب صفراء الوجه .

والآخر أراد المبالغة فى الحسن ، لأن الشمس أحسن ما تكون فى وقتيها هذين؛ ومن ذلك أيضا قول قيس بن الخطيم :

---

(١) ديوانه : ١١١ .   (٢) ديوانه : ٥ ، والدعج : سواد الحدقة ، والبرج : سعة فى بياض العين ؛ ورواية الديوان :

٭ كَحْلاءُ فِى بَرَجٍ صَفْراءُ فى نَعَجٍ ٭

(٣) ديوانه ٥ ، وفى حاشيتى الأصل ، ف « بعده :

صفراء أعجَلَهَا الشبابُ لِداتِها   مَوْسُومَةٌ بالْحُسْنِ غير قطوبِ

أى أنها سبقت أقرانها ، ومثله قول ابن قيس الرقيات :

لم تلتفتْ لِلِداتِها   فمضتْ على غُلَوائِها

* صَفْرَاءَ أعْجلَها الشَّبابُ لِدَاتِها *

ومثله للأعشى :

إذا جُرِّدَتْ يَوْماحَسِبْتَ خَمِيصَةً　　　　عليها وَجِرْيَالَ النَّضِيرِ الدُّلاَمِصا(١)

الخميصة : ثوب ناعم لين ؛ شبه به نَعمة جسمها . والنَّضير: الذهب . والجريال : كلّ صِبْغ أحمر ، وإنما يعنى لون الطِّيب عليها . والدُّلامص : البرّاق ، فهذا وجه .

والوجه الثانى أن يكون أراد بوصْفها بالصفرة رقَّة لونها ؛ فعندهم أنّ المرأة إذا كانت صافية اللون رقيقة ضرب لونُها بالعشىّ إلى الصفرة .

قال مهدىّ بن علىّ الأصفهانىّ : قال لى أبى قال لى الجاحظ : زعموا أن المرأة إذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة إلى البياض وبالعشىّ إلى الصفرة ، واحتجَّ فى ذلك بقول الراجز :

* قدْ عَلِمَتْ بَيضاءُ صَفْرَاءُ الأُصُلْ *

وزعم أن بيت ذى الرمة / الذى أنشدناه من هـذا المعنى ، وكذلك بيت الأعشى الذى [٢٦٢ ظ] أنشدناه ؛ والأبيات محتمِلة للأمرين .

فأما الذى لا يحتمل إلا وجها واحدا فهو قول الشاعر :

وَقدْ خَنَقَتْها عَبْرَةٌ فدُمُوعُها　　　　على خَدِّها حُمْرٌ وَفى نَحْرِها صُفْرُ

لأنها لا تكون صفرا فى نحرها إلا لأجل الطيب .

فأما قوله « على خدها حمر » فإنما أراد أنها تنصبغ بلون خدِّها .

والوجه الثالث أن تكون المرأة كانت صفراء على الحقيقة ؛ فإن بشاراً كثيرا ما يشبّب بامرأة صفراء ، كقوله :

---

(١) ديوانه : ١٠٨ .

أَصفْرَاءُ لا أنسى هَواكِ ولاَ وُدِّى ... ولاَ مامَضَى[1] بَيْـنِى وَبَيْنَكِ مِنْ عَهْدِ
لقَدْ كانَ ما بينى زَمانا وبيْنِها ... كما كان بين المِسْك والعَنْبر الوَرْد

أى كما كان بين طيب المسك والعنبر .

وكقوله :

أَصَفْرَاءُ كانَ الوُدُّ مِنْكِ مُباحا ... لَيَالِيَ كانَ الهَجْرُ منكِ مُزَاحا
وَكان جَوَارِي الحَيِّ إذْ كُنتِ فِيهمُ ... قِباحا ، فَلَمَّا غِبْتِ صِرْنَ مِلاَحا

وقد روى :

* ملاحا فلما غبت صِرْنَ قباحا *

وقوله: « قباحا فلما غبت » يشبه قول السيد بن محمد الحميرىّ .

وإذا حَضرْنَ معَ المِلاَحِ بمَجْلِسٍ ... أبْصَرْتَهُنَّ - وَما قَبُحْنَ - قِباحا

فأماقوله : « من البيض لم تسرح سواما » فإنه لا يكون مناقضا لقوله « صفراء »، وإن أراد بالصفرة لونها ، لأن البياض هاهنا ليس بعبارة عن اللون ؛ وإنما هو عبارة عن نقاء العِرْض وسلامته من الأدناس ؛ والعرب لا تكاد تستعمل بيضاء[2] إلا فى هذا المعنى دون اللون ،لأن البياض عندهم البَرَص، ويقولون فى الأبيض الأحمر، ومنه قول الشاعر :

جاءَتْ به بيضاءُ تَحْمِلُهُ ... مِنْ عَبْدِ شمسٍ صَلْتَةُ الخَدِّ

ومثله « بيض الوجوه » .

فأما قول بشار فى القطعة الثانية : « صفراء مثل الخيزرانة » فإنه يحتمل ما تقدّم من الوجـوه ، وإن كان اللون الحقيقى أخصّ لقوله : « كالخيزرانة »؛ لأن الخيزران يضرب إلى الصُّفْرة .

(١) حاشية الأصل : « نسخة الشجرى - وكان » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « البيضاء » ، ومن نسخة أخرى : « البياض » .

ويحتمل أيضا أن يريد « بصفراء » غير اللون الثابت ، ويكون قوله : « كالخيزرانة »
أنها مثلها/في التثنّى والتعطف. [٢٦٣] و

ولقد أحسن جِران العوْد في قوله في المعنى الذي تقدم :

كأنَّ سَبيكَةً صَفْرَاءَ صُبَّتْ عليْها ثمَّ لِيثَ بها الإزَارُ(١)
بَرُودُ العَارِضَيْنِ كأنَّ فاها بُعَيْدَ النَّوْمِ مِسْكٌ مُسْتَثَارُ

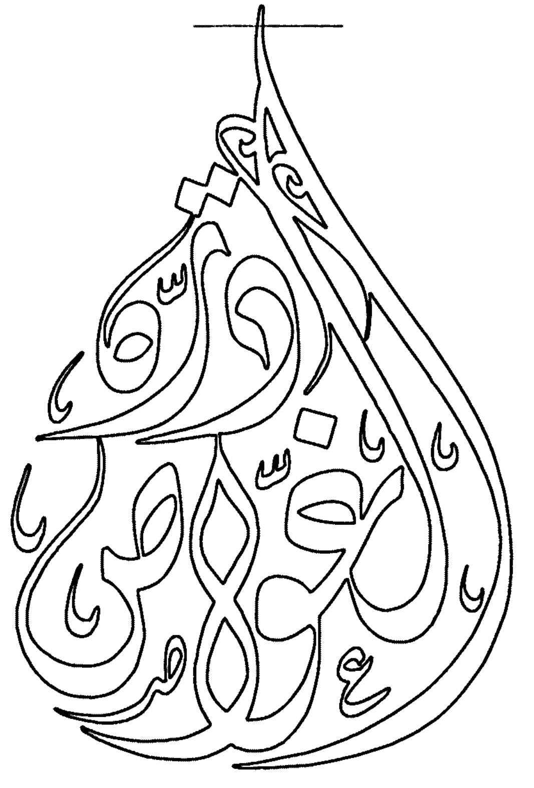

(١) رواية البيتين فى ديوانه ٤٥ــ٤٦ ، والثانى مقدم على الأول :

بَرُود العارضَيْن كأنّ فَاها بُعَيْدَ النَّوْم عاتقةٌ عُقارُ
كأنّ سَبيكةً صفراءَ شِيفَتْ عليها ، ثمَّ لِيثَ بها الخِمارُ

مجلس آخر ٦٢

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ؛ [البقرة : ١٥] .

فقال كيف أضاف الاستهزاء إليه تعالى ؛ وهو مما لا يجوز فى الحقيقة عليه ؟ وكيف خبّر (١ بأنهم فى الطُّغيان والعَمَه١) وذلك بخلاف مذهبكم؟

الجواب ، قلنا : فى قوله تعالى ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ وجوه :

أولها أن يكون معنى الاستهزاء الذى أضافه تعالى إلى نفسه تجهيلَه لهم وتخطئتَه إياهم فى إقامتهم على الكفر وإصرارهم على الضلال ؛ وسمّى الله تعالى ذلك استهزاء مجازا وتشبيهاً(٢) ؛ كما يقول القائل: إن فلانا ليُسْتَهْزَأُ به منذ اليوم، إذا فعل فعلا عابه الناس به ، وخَطَّئُوه فيه(٣) فأقيم عيب الناس على ذلك الفعل ، وإزراؤهم على فاعله مقام الاستهزاء به ؛ وإنما أقيم مقامه لتقارب ما بينهما فى المعنى ؛ لأن الاستهزاء الحقيقى هو ما يقصد به إلى عيب المستهزَأ به ، والإزراء عليه ، وإذا تضمنت التخطئة والتجهيلُ والتبكيت هذا المعنى جاز أن يُجرى عليه اسم الاستهزاء ؛ ويشهد بذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ﴾ ؛ [النساء : ١٤٠] ؛ ونحن نعلم أن الآيات لا يصحّ عليها الاستهزاء على الحقيقة ولا السخرية ؛ وإنما المعنى : إذا سمعتم آيات الله يُكفَر بها

(١–١) ف : « بأنه يمدهم فى الطغيان والعمه » . (٢) م : « واتساعا » .
(٣) ساقطة من م .

ويُزْرَى عليها ؛ والعرب قد تُقيم الشيءُ مُقام ما قاربه فى معناه ، فتُجرى اسمه عليه ؛ قال الشاعر :

كَمْ أُنَاسٍ فى نَعِيمٍ عُمِّرُوا ... فِى ذَرَى مُلْكٍ تعالَى فَبَسَقْ

سَكَتَ الدَّهْرُ زمانًا عَنْهُمُ ... ثمَّ أبْكاهُمْ دَماً حِينَ نَطَقْ

والسكوت والنطق على الحقيقة لا يجوزان على الدهر ؛ وإنما شبَّه تركَه الحالَ على ما هى(١) /عليه بالسكوت ، وشبه تغييرَه لها بالنطق . وأنشد الفراء : [٢٦٣ ظ]

إنَّ دَهْراً يَلُفُّ شَمْلى بجُمْلٍ ... لزَمانٌ يَهُمُّ بالإحْسانِ

ومثل ذلك فى الاستعارة لتقارب المعنى قوله :

سأَلَتْنى بأُناس هَلَكُوا ... شَرِبَ الدَّهْرُ عليهِمْ وأَكَلْ(٢)

وإنما أراد بالأكل والشرب الإفسادَ لهم ، والتغيير لأحوالهم ، ومنه قول الآخر :

يُقِرُّ بعَيْنِى أنْ أرَى بابَ دَارِها ... وإنْ كانَ بابُ الدّارِ يَحسَبُنى جَلْدَا

والجواب الثانى أن يكون معنى الاستهزاء المضاف إليه عزوجلّ أن يستدرِجهم ويُهلكهم من حيث لايعلمون ولا يشعرون .

ويروى عن ابن عباس أنه قال فى معنى استدراجه إياهم : إنهم كلّما أحدثوا خطيئة جدّد لهم نعمة ؛ وإنما سُمِّىَ هذا الفعل استهزاء من حيث غُيِّب عنهم من الاستدراج إلى الهلاك غير ماأظهرَ لهم من النعم ؛ كما أن المستهزئ مِنّا، المخادعَ لغيره يظهر أمراً ؛ ويضمر غيره .

فإن قيل : على هذا الجواب فالمسألة قائمة، وأىّ وجه لأن يستدرجهم بالنعمة إلى الهلاك ؟

قلنا : ليس الهلاك هاهنا هو الكفر، وماأشبهه من المعاصى التى يُستحقّ بها العقاب ؛ وإنما يَستدرجهم إلى الضرر والعقاب الذى استحقوه بماتقدّم من كفرهم ؛ ولله تعالى أن يعاقب

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : «ماهو عليه» .
(٢) اللسان (أكل) ، ونسبه إلى النابغة الجعدىّ . ومن نسخة بحاشية الأصل ، ف : «سألتنى عن أناس» .

المستحق بما يشاء أىّ وقت شاء ؛ فكأنه تعالى لمـّا كفروا وبدّلوا نعمة الله ، وعاندوا رسلَه لم يغيِّرْ نعمَه عليهم فى الدنيا؛ بل أبقاها لتكونَ ـ متى نزَعها عنهم ، وأبدلهم بها نقمًا ـ الحسرةُ منهم أعظم ، والضرر عليهم أكثر .

فإن قيل : فهذا يؤدِّى إلى تجويز أن يكون بعضُ ماظاهِرُه ظاهِرُ النعمة على الكفار مما لايستحق اللهُ به الشكرَ عليهم .

قلنا : ليس يمتنع هذا فيمن استحقّ العقاب ؛ وإنما المنكر أن تكون النعم المبتدأة بهذه الصفة على ماألزمه مخالفنا ، ألا ترى أن الحياةَ وما جرى مجراها من حفظ التركيب، والصحة لاتعدّ على أهل النار نعمة ؛ وإن كانت على أهل الجنة نعماً من حيث كان الغرض فيه إيصالَ العقاب إليهم .

[٢٦٤ و] والجواب الثالث أن يكون معنى استهزائه بهم/أنّه جعل لهم بما أظهروه من موافقة أهل الإيمان ظاهر أحكامهم ؛ من نصرة ومناكحة وموارثة ومدافنة، وغيرذلك من الأحكام ؛ وإن كان تعالى معِدًّا لهم فى الآخرة أليمَ العقاب لما أبطنوه من النفاق، واستسرُّوا به من الكفر؛ فكأنه تعالى قال : إن كنتم أيها المنافقون بما تظهرونه للمؤمنين من المتابعة والموافقة، وتبطنونه من النفاق، وتُطْلِعونَ عليه شياطينكم إذا خلوتم بهم تظنون أنكم مستهزِئون ؛ فالله تعالى هو المستهزئ بكم من حيث جعل لكم أحكامَ المؤمنين ظاهراً ؛ حتىظننتم أنّ لكم مالهم ، ثم ميَّز بينكم فى الآخرة ودار الجزاء ؛ من حيث أثاب المخلصين الذين يوافق ظواهرُهم بواطنهم ، وعاقب المنافقين . وهذا الجواب يقرُب معناه من الجواب الثانى ؛ وإن كان بينهما خلافٌ من بعض الوجوه .

والجواب الرابع أن يكون معنى ذلك أن الله هو الذى يردّ استهزاءكم ومكركم عليكم ؛ وأنّ ضرر مافعلتموه لم يتعدكم ؛ ولم يُحِطْ بسواكم ؛ ونظير ذلك قول القائل : إن فلانا أراد أن يخدَعنى فخدعته ؛ وقصد إلى أنْ يمكر بى فمكرتُ به ؛ والمعنى أنّ ضررَ خداعه ومكره

عاد إليه ولم يضرُرْنى(١) به .

والجواب الخامس أنْ يكونَ المعنى أنه يجازيهم على استهزائهم؛ فسمّى الجزاء على الذنب باسم الذنب ؛ والعرب تسمِّى الجزاء على الفعل باسمه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾؛ [الشورى : ٤٠]، وقال تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ ؛ [البقرة:١٩٤] ، وقال : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ ؛ [النحل:١٢٦] والمبتدأ ليس بعقوبة ، وقال الشاعر(٢) :

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أحَدٌ علَيْنَا فَنَجْهَلَ فوْق جَهْلِ الجاهِلِينا

ومن شأن العرب أن تسمِّىَ الشىء باسم ما يقاربه ويصاحبه ، ويشتد اختصاصُه وتعلُّقه به ؛ إذا انكشف المعنى وأُمِنَ الإبهام؛ وربما غلّبوا أيضاً اسمَ أحدالشيئين على الآخر لقوة التعلّق بينهما ، وشدة الاختصاص فيهما ؛ فمثالُ الأول قولهم للبعير الذى يحمل المزادة : راوية ، وللمزادة المحمولة على البعير رواية ، فسموا البعير باسم مايحمل عليه؛ قال الشاعر(٣) :

/ مَشْىَ الرَّوَايا بالمَزَادِ الأَثْقَلِ [٢٦٤ ظ]

أراد بالروايا الإبل ؛ ومن ذلك قولهم: صرعتْه الكأس واستلبَتْ(٤) عقلَه ، قال الشاعر :

وَمازَالتِ الكاسُ تَغْتالُنا وَتَذْهَبُ بالأَوَّلِ الأَوَّلِ

والكأس هى ظرف الشراب ، والفعل الذى أضافوه إليها إنما هو مضاف إلى الشراب الذى يحلّ الكأس إلاّ أن(٥ الفراء لايقولُ الكأس إلا بما فيه٥) من الشراب ؛ وكأنّ الإناء

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة : « لم يضرنى » . (٢) هو عمرو بن كلثوم ، والبيت من المعلقة : ٢٣٨ ـ بشرح التبريزى . (٣) هوأبو النجم العجلى الراجز؛ والبيت من أرجوزته المشهورة التى أولها:

* الحمدُ لله الوَهُوب المجْزِلِ *

وهى ضمن الطرائف الأدبية ص ٥٥ ـ ٧١؛ وقبله :

* تمشى من الردّة مَشْىَ الحفَلِ *

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « فسلبت » . (٥ ـ ٥) حاشية الأصل : « نسخة س : الفراء يقول: الكأس الإناء بما فيه » .

الفارغ لايسمى كأساً، وعلى هذا القول يكون إضافة اختلاس العقل والتصريع وما جرى مجرى ذلك إلى الـكأس على وجه الحقيقة؛ لأن الـكأسَ على هذا القول اسم للإناء وما حلّه من الشراب .

ومثال الوجه الثانى ماذكرناه عنهم من التغليب تغليبُهم اسم القمر على الشمس؛ قال الشاعر :

أَخَذْنا بآفاقِ السَّماءِ عليكُمُ ... لنَا قَمَرَاها وَالنُّجُومُ الطوالِعُ[1]

أراد : لنا شمسها وقمرها؛ فغلّب .

ومنه قول الآخر :

فَقُولاَ لأَهْلِ المَكَّتَيْنِ : تحاشَدُوا ... وَسيرُوا إلى آطامِ يَثْرِبَ والنَّخْلِ

أراد بالمكّتين : مكة والمدينة ، فغلّب .

وقال الآخر :

فَبَصْرَةُ الأَزْدِ مِنَّا والعِرَاقُ لنَا ... وَالمَوْصِلاَنِ، وَمِنَّا مِصْرُ والحَرَمُ

أراد بالموصلين الموصل والجزيرة .

وقال الآخر :

نحْنُ سَبَيْنا أمَّكُمْ مُقْرِبا[2] ... يَوْمَ صبحْنا الحِيرَتيْنِ المَنُونْ

أراد الحيرة والكوفة ، وقال آخر :

إذا اجْتَمعَ العَمْرَانِ: عَمْرُوبْنُ عامِرٍ ... وَبَدْرُ بنُ عَمْرٍو خلْتَ ذُبْيانَ جُوَّعا[3]

وَألقَوْا مَقالِيـدَ الأمُورِ إليهِمُ ... جَميعا ، وكانُوا كارِهِينَ وَطُوَّعا

أرادبالعمرين: رجلين ؛ يقال لأحدهما عمرو، وللآخر بدر؛ وقدفسره الشاعر فى البيت .

ومثله :

---

(١) البيت للفرزدق، ديوانه : ٥١٩ .

(٢) المقرب : المرأة تدنو ولادتها. (٣) البيتان فى المخصص ١٣ : ٢٢٧

جَزَانِي الزَّهْدَمانِ جَزَاءَ سَوءٍ ... وكُنْتُ المَرْءَ يُجْزَى بالكَرَامَهْ(١)

/أرادبالزّهدمين رجلين؛ يقال لأحدهما زَهْدم ، وللآخر كَرْدَم ، فغلّب . [٢٦٥ و]

وكلّ الذى ذكرناه يقوّى هذا الجواب مِنْ جوازالتسمية للجزاء على الذنب باسمه، أوتغليبه عليه ، للمقاربة والاختصاص التام بين الذنب والجزاء عليه .

والجواب السادس ماروى عن ابن عباس قال : يُفتح لهم وهم فى النار باب من الجنة ، فيقبلون إليه مسرعين؛ حتى إذا انتهوْا إليه سُدّ عليهم، فيضحك المؤمنون منهم إذارأوا الأبواب وقدأغلقت دونهم؛ ولذلك قال عز وجل: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ. عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾؛ [المطففين: ٣٤-٣٥] .

فإن قيل: وأىّ فائدة فى هذا الفعل ؟ وما وجه الحكمة فيه ؟

قلنا: وجهُ الحكمة فيه ظاهر ؛ لأن ذلك أغلظُ فى نفوسهم، وأعظم فى مكروههم؛ وهو ضرْب من العقاب الذى يستحقونه بأفعالهم القبيحة؛ لأن من طمع فى النجاة والخلاص من المكروه، واشتدحرصُه على ذلك؛ ثم حيل بينه وبين الفرج ورُدّ إلى المكروه يكون عذابُه أصعب وأغلظ من عذاب مَن لا طريق للطمع عليه .

فإن قيل : فعلَى هذا الجواب، ما الفعل الذى هو الاستهزاء ؟

قلنا : فى ترداده لهم من باب إلى آخر على سبيل التعذيب معنى الاستهزاء ؛ من حيث كان إظهاراً لماالمراد بخلافه؛ وإن لم يكن فيه من معنى الاستهزاء مايقتضى قبحه من اللهو والعبث وما جرى مجرى ذلك .

والجواب السابع أن يكونَ ما وقعَ منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة ؛ لكنّه سماه بذلك ليزدوج اللفظ ويخف على اللسان؛ وللعرب فى ذلك عادةٌ معروفة فى كلامها؛ والشواهد عليه مذكورة مشهورة .

---

(١) اللسان (زهدم) والمخصص ١٣ : ٢٢٧ ، وهو لقيس بن زهير العبسى .

وهذه الوجوه التى ذكرناها فى الآية يمكن أن تذكر فى قوله تعالى : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾؛ [الأنفال : ٣٠] ؛ وفى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾؛ [النساء : ١٤٢] فليُتأمل ذلك .

فأما قوله تعالى : ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فيحتَمِل وجهين :

أحدهما أن يريد : أنى أُملِى لهم ليؤمنوا ويطيعوا ؛ وهم مع ذلك مستمسكون بطغيانهم وعَمَهِهِمْ .

[٢٦٥] والوجه الآخر أن يريد بـ ﴿يَمُدُّهُمْ﴾ أنه يتركهم من فوائده ومِنَحه / التى يؤتيها المؤمنين ثوابًا لهم ، ويمنعها الكافرين عقابا كشرحه لصدورهم ، وتنويره لقلوبهم ؛ وكل هذا واضح بحمد الله .

***

قال سيدنا أدام الله علوّه : وإنى لأستحسن لبعض الأعراب قوله :

خَلِيلَىَّ هل يَشْفِى النُّفُوسَ منَ الْجَوَى ... بُدُوُّ ذَوِى الأَوْطانِ ، لابلْ يَشُوقُها ![1]
وتَزْدَادُ فى قُرْبٍ إليهَا صَبابَةً[2] ... وَيَبْعُدُ من فَرْطِ اشْتِيَاقٍ طَرِيقُهَا
وَما يَنْفَعُ الحَرَّانَ ذَا اللَّوْحِ[3] أنْ يَرَى ... حِيَاضَ القِرَى مَمْلُوءَةً لا يذُوقها

ولآخر فى تذكر الأوطان والحنين إليها :

ألاَ قُلْ لدَارٍ بَينَ أكْثِبَةِ الحِمَى ... وذَاتِ الغَضا: جادَتْ عليْكِ الهوَاضِبُ !

---

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف (من نسخة): «بدو ذوى الأوطان» . والبدو : الظهور ، من بدا يبدو إذا ظهر . (٢) فى حاشية الأصل : «إليها؛ ضمير الأوطان أو المرأة» ، وفيها أيضا : «إذا قلت صبابة [بالنصب] كان «تزداد متعديا» ، أى تزداد أنت ، وإذا قلت : «صبابة» [بالرفع] «فتزداد» لازم .

(٣) اللوح : العطش .

أجِدَّكِ لا آتيكِ إلّا تَقَلَّبَتْ[(١)] دُمُوعٌ أضاعَتْ ماحَفِظْتُ سَوَاكِبُ
دِيارٌ تَناسَمتْ[(٢)] الهَوَاءَ بجَوِّها وَطاوَعَني فيها الهَوَى والحبائبُ
لَيالِيَ؛ لا الهِجْرانُ مُحْتَكِمٌ بِها على وصْلِ مَنْ أهْوَى، ولا الظنُّ كاذِبُ

وأنشد أبو نصر صاحب الأصمعيّ لأعرابيّ :

ألا لَيْتَ شِعْرِي! هل أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بأسنادِ[(٣)] نَجْدٍ،وَهْيَ خُضْرٌ مُتُونُها!
وَهل أشْرَبَنَّ الدَّهْرَ من ماء مُزْنَةٍ بحَرَّةِ لَيْلَى حَيْثُ فاضَ مَعِينُها![(٤)]
بِلادٌ بها كُنَّا نَحُلُّ ، فأصْبَحَتْ خَلاءً تَرَعَّاها معَ الأُدْمِ عِينُها
تفَيَّأتُ فيها بالشَّبابِ وبالصِّبا تَمِيلُ بما أهْوَى عليَّ غُصُونُها

وأنشد الأصمعيّ لصدقة بن نافع الغَنَويّ :

ألا لَيْتَ شِعْرِي هل تَحِنَّنَّ ناقَتِي[(٥)] بِبَيْضاءِ نَجْدٍ حَيْثُ كانَ مَسِيرُها![(٦)]
فَتِلْكَ بِلادٌ حَبَّبَ اللهُ أهْلَها إليك ، وإنْ لم يُعْطِ نَصْفاً أميرُها[(٧)]
بلادٌ بها أنْضَيْتُ راحِلَةَ الصِّبا ولانَتْ لنا أيّامُها وشُهُورُها
/فقَدْنَا بها الهَمَّ المُكَدِّرَ شُرْبُهُ وَدَارَ علَيْنَا بالنَّعيمِ سُرُورُها [٢٦٦ و]

وأنشد أبو محلّم لسوّار بن المضرّب :

سَقَى اللهُ اليَمامَةَ من بلادٍ نَوَافِحُها كأَرْوَاحِ الغَوانِي

---

(١) ف، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تفلتت » .
(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « تبادرت » .
(٣) الأسناد : جمع سند ؛ وهو الجبل ، ومن نسخة بحاشية ف : « بأكناف » .
(٤) حرة ليلى : موضع لبنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وفى حاشية الأصل (من نسخة) : «حين فاض معينها»
(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « هل تخبن ناقتى » ، أى تسرعن.
(٦) بيضاء نجد : موضع . (٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف :
* إلَيْكَ وإن لم يُعْطَ نَصْفاً أسيرُها *

وجوٌّ زاهرٌ للرِّيحِ فيهِ ... نَسِيمٌ لا يَرُوعُ التُّرْبَ وانِ (١)
بها سُقْتُ الشَّبابَ إلى مَشيبٍ ... يُقَبِّحُ عندَنا حُسْنَ الزَّمانِ

وأنشد إبراهيم بن إسحاق الموصليّ :

ألاَ يا حَبَّذَا جَنَبات سَلْمَى ... وَجادَرِياضَهاجَوْنُ السَّحَابِ!
خَلَعْتُ بها العِذارَونِلْتُ فِيها ... مُنایَ بطاعَةٍ أو باغْتصابِ
أَسُومُ بِباطلى طَلَبات لَهْوِى ... ويَعْذِرُنى بها عَصْرُ الشَّبابِ

فكلٌّ هؤلاء على ما ترى قد أفصحوا بأن سببَ حنينهم إلى الأوطان مالبسوه فيها من ثوب الشباب، واستظلوه من ظلّه ، وأنضوْه من رواحله، وأنه كان يعذرهم ويحسن قبائحهم. فعلَى أى شىء يغلو الناس فى قول ابن الرومى :

وَحَبَّبَ أَوْطانَ الرِّجالِ إليْهِمُ ... مآرِبُ قَضَّاها الشَّبابُ هُنالِكا (٢)
إذا ذَكَرُوا أَوْطانَهُم ذَكَّرَتْهُمُ ... عُهُودَ الصِّبا فيها فَحَنُّوا لِذلِكا

ويزعمون أنه سَبَقَ إلى مالم يسبق إليه، وكشف عن هذا المعنى مستورا ، ووَسَم غُفْلا! وقوله وإن كان جيد المعنى سليم اللفظ ، فلم يَزِدْ فيه على من تقدم ولا أبدع ، بل اتبع؛ ولكن الجيد إذا ورد ممَّن يُعهد منه الردىء كثر استحسانه؛ وزاد استطرافه .

ولقد أحسن البحترىّ فى قوله فى هذا المعنى :

فَسَقى الغَضى وَالنَّازِليهِ وإنْ هُمُ ... شَبُّوهُ بينَ جَوانِحٍ وقُلوبِ (٣)
وَقِصارِ أَيَّامٍ بهِ سُرِقَتْ لَنَا ... حَسَناتُها من كاشحٍ ورَقيبِ
خُضْرٍ تُساقِطُها الصَّبا فكأنَّها ... وَرَقٌ يُساقِطُهُ اهْتِزازُ قَضِيبِ

(١) حاشية الأصل : « قوله : «لايروع الترب» ، من أحسن الكلام؛ أى لايرفع فيغبر ؛ فكأن هبوبها يسالم التراب ولايخوفه بأن يرفعه أو يحركه » .

(٢) ديوانه الورقه ٢٠٢. (٣) ديوانه ١ : ٥٧ .

/كانَتْ فُنُونَ بَطالةٍ فَتَقَطَّعَتْ   عن هَجْرِ غانِيَةٍ وَوَصْلِ مَشِيبِ [٢٦٦ ظ]

وأحسن فى قوله :

سَقَى اللهُ أخْلاقاً مِنَ الدَّهْرِ رَطْبَةً   سَقَتْنا الجَوَى إذْ أبْرَقُ الحَزْنِ أبْرَقُ (١)
ليالٍ سَرَقْناها مِن الدَّهْرِ بَعْدَما   أَضاءَ بإصْباحٍ من الشَّيْبِ مَفْرِقُ
تَداوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بلَيْلَى فما اشْتَفَى   بماءِ الرُّبا مَنْ باتَ بالماءِ يَشْرَقُ

ولأبى تمام فى هذا المعنى مالا يقصر عن إحسان ، وهو :

سَلَامٌ تَرْجُفُ الأَحشاءُ مِنهُ   على الْحَسَنِ بن وهْبٍ والعِرَاقِ (٢)
على البَلَدِ الحَبيبِ إلىَّ غَوْراً   ونَجْدا ، والأخِ العَذْبِ المَذَاقِ (٣)
ليالِىَ نَحْنُ فى وَسَناتِ عَيْشٍ   كأنَّ الدَّهْرَ عنَّا فى وَثاقِ (٤)
وأيَّامٍ له ولَنا لِدانٍ   غَنِينا فى حَوَاشِيها الرِّقاقِ
كأنَّ العَهدَ عن عُفرٍ لدَيْنا   وإنْ كانَ التَّلاَقِى عن تَلاَقِ (٥)

(١) ديوانه ٢ : ١٣٨ ، وفى ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « أبرق الجون » .

(٢) ديوانه ٢١٤ — ٢١٥ .   (٣) من نسخة بحاشية الأصل ، ت :

* ونَجْدًا والْفَتى الحلْوَ الْمَذَاقِ *

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : فى شعره :

سَنَبْكِى بعده غفلاتِ عيشٍ   كأنّ الدّهرَ عنها فى وثاقِ
وأياماً له ولنا لداناً   عرينا مِنْ حواشيها الرقاقِ

وفى ف ، وحاشية الأصل من نسخة : « له ولنا لذاذ » .

(٥) فى حاشية الأصل : « لقتيبة عن عفر ، أى بعد خمسة عشرة يوما ؛ حتى جاوز الليالى العفر ، والعرب تسمى الليالى البيض عفرا لبياضها » .

مجلس آخر [٦٣]

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ ؛ [البقرة : ٣٦] :

فقال : كيف خاطب آدم وحواء عليهما السلام بخطاب الجمع وهما اثنان ؟ وكيف نسب بينهما العداوة ؟ وأىّ عداوة كانت بينهما ؟

الجواب ، قلنا قد ذكر فى هذه الآية وجوه :

أولها أن يكون الخطاب متوجّهاً إلى آدم وحواء وذرّيتهما ، لأن الوالدين يدلان على الذرّية ويتعلق بهما ؛ ويقوّى ذلك قوله تعالى حاكيا عن إبراهيم وإسماعيل : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ ؛ [البقرة : ١٢٨].

وثانيها أن يكون الخطابُ لآدم وحواء عليهما السلام ولإبليس اللعين ؛ وأن يكون الجميعُ مشتركين فى الأمر بالهبوط ؛ وليس لأحد أن يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لإبليس [٢٦٧] ذكر فى قوله تعالى : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ؛ [البقرة : ٣٥] لأنه وإنْ لم يخاطب بذلك فقد جرى ذكره فى قوله تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ ، [البقرة : ٣٦] ؛ فجائز أن يعود الخطاب على الجميع.

وثالثها أن يكون الخطاب متوجهاً إلى آدم وحواء والحية التى كانت معهما ، على ما روِىَ عن كثير من المفسرين ؛ وفى هذا الوجه بُعْدٌ من قِبَل أن خطابَ من لا يفهم الخطاب لا يحسن ؛ فلابد من أن يكون قبيحاً ؛ اللهم إلا أن يقال : إنه لم يكن هناك قول فى الحقيقة ولا خطاب ؛

وإنما كنّى تعالى عن إهباطه لهم بالقول ؛ كما يقول أحدنا: قلت: فلقيت الأمير، وقلت: فضربت زيداً، وإنما يخبر عن الفعل دون القول؛ وهذا خلاف الظاهر وإن كان مستعملا .

وفى هذا الوجه بُعد من وجه آخر؛ وهو أنه لم يتقدم للحية ذكر فى نصّ القرآن، والكنايةُ عن غير مذكور لا تَحسُن إلا بحيث لا يقع لَبْس ، ولا يسبق وهْم إلى تعلق الكناية بغير مكنىّ عنه ؛ حتى يكونَ ذكره كتركه فى البيان عن المعنى المقصود ، مثل قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾؛ [ص : ٣٢] ؛ وَ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾؛ [الرحمن: ٢٧] وقول الشاعر :

أماوِىُّ ما يُغنِى الثَّراءُ عن الفَتَى ... إذاحشْرَجَتْ يوْما؛ وَضاقَ بها الصَّدْرُ[(١)]

فأما بحيث لا يكون الحال على هذا فالكنايةُ عن غير مذكور قبيحة .

ورابعها أن يكون الخطاب يختصّ آدم وحواء عليهما السلام ، وخاطب الاثنين بالجمع على عادة العرب فى ذلك؛ لأن التثنية أول الجمع؛ قال الله تعالى : ﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ ؛ [الأنبياء: ٧٨] ، أراد لحكم داود وسليمان عليهما السلام ؛ وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يتأول قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾؛ [النساء : ١١] على معنى فإن كان له أخوان ؛ قال الراعى:

أخُليدُ إنَّ أباكِ ضافَ وِسادَهُ ... هَمَّانِ باتا جَنْبَةً ودَخِيلاَ[(٢)]

طَرقَا فَتلِكَ هماهِمى أقرِيهما ... قُلُصاً لَوَاقِحَ كالقِسِىِّ وَحُولاَ

فعبّر بالهماهم وهى جمع عن الهمين؛ وهما اثنان .

فإن قيل : فما معنى الهبوط الذى أمروا به ؟ قلنا : أكثر المفسرين على أن الهبوط هو

---

(١) ديوانه ١١٨ .

(١) جمهرة الأشعار : ٣٥٣ . وفى حاشيتى الأصل، ف : « خليدة ابنته فرخم ، وضافه : نزل به. جنبه أى ناحية . ودخيلا : داخلا فى الفؤاد . قال ابن الأعرابى : أراد: هما داخل القلب ، وآخر قريبا من ذلك ؛ كالضيف إذا حل بالقوم فأدخلوه فهو دخيل ؛ وإن كان بفنائهم فهو جنبة » .

[٢٦٧ ظ] النزول من السماء إلى الأرض /، وليس فى ظاهر القرآن ما يوجب ذلك؛ لأن الهبوط كما يكون النزولُ من علو إلى سُفلٍ فقد يراد به الحلول فى المكان والنزول به؛ قال الله تعالى: ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾؛ [البقرة: ٦١] ، ويقول القائل من العرب : هَبَطنا بلدَ كذا وكذا، يريد حللنا ، قال زهير :

ما زِلت أرْمُقُهمْ حتى إذَا هَبطتْ أيدِى المِطىِّ بهم مِنْ را كسٍ فلَقَا[1]

فقد يجوز على هذا أن يريد تعالى بالهبوط[2] الخروج من المكان وحلول غيره ؛ ويحتمل أيضا أن يريد بالهبوط[2] معنى غير المسافة، بل الانحطاط من منزلة إلى دونها ، كما يقولون : قد هبط فلان عن منزلته ، ونزل عن مكانه ؛ إذا كان على رتبة فانحطّ إلى دونها .

فإن قيل : فما معنى قوله : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾؟ قلنا : أما عداوة إبليس لآدم وذريته فمعروفة مشهورة ، وأما عداوة آدم عليه السلام والمؤمنين من ذريته لإبليس فهى واجبة لما يجب على المؤمنين من معاداة الكفار ؛ المارقين عن طاعة الله تعالى، المستحقين لمقته وعداوته، وعداوة الحية على الوجه الذى تضمّن إدخالها فى الخطاب لبنى آدم معروفة؛ ولذلك يحذّرهم منها ، ويجنبهم؛ فأما على الوجه الذى يتضمّن أن الخطاب اختص آدم وحواء دون غيرهما؛ فيجب أن يحمل قوله تعالى: ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ على أن المراد به الذرية؛ كأنه قال تعالى: ﴿اهْبِطُوا﴾ وقد علمت من حال ذريتكم أن بعضكم يُعادى بعضاً ؛ وعلّق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية وبين أصلها .

فإن قيل : أليسَ ظاهرُ قوله تعالى : ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يقتضى الأمرَ بالمعاداة ، كأنه أمرٌ بالهبوط ، وهذا يوجب أن يكون تعالى آمراً بالقبيح على وجه؛ لأن معاداة إبليس لآدم عليه السلام قبيحة، ومعاداة الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك ؟

قلنا : ليس يقتضى الظاهر ما ظننتموه ؛ وإنما يقتضى أنه أمرَهما بالهبوط فى حال عداوة

(١) ديوانه ٣٧ . راكس : موضع ، والفلق : المكان المطمئن بين ربوتين؛ وهو منصوب على أنه مفعول به ؛ قيل : الفلق : الصبح » .

(٢-٢) ساقط من الأصل ، وما اثبتة عن ف .

بعضهم بعضا ؛ فالأمر مختص بالهبوط ، والعداوة تجْرى مجرى الحال ؛ وهذا له نظائر كثيرة فى كلام العرب . ويجرى مجرى هذه الآية فى أن المراد بها الحال قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ؛ [التوبة : ٥٥] وليس معنى ذلك أنه أراد كفرَهم كما أراد تعذيبهم / وإزهاق نفوسهم ؛ بل أراد أن تزهق أنفسهم [٢٦٨ و] فى حال كفرهم ، وكذلك القول فى الأمر بالهبوط ، وهذا بيّن .

* * *

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ومن مستحسَن تمدح السادة الكرام قول الشاعر :

وَيلُ امِّ قَوْمٍ غدَوْا عَنْكُمْ لِطيَّتِهِمْ ... لاَ يَكْتَنُونَ غَدَاةَ العَلِّ والنَّهَلِ
صُدْءِ السرابيل لا تُوكَى مَقانِبُهُمْ ... عُجْرِ البُطُونِ، ولاتُطوَى على الفُضُلِ

قوله : « ويل أم قوم » من الزَّجْر المحمود الذى لا يُقصد به الشر ؛ مثل قولهم : قاتل الله فلانا ما أشجعه! وتَرَّحه ما أسمحه ! وقد قيل فى قول جميل :

رَمَى اللهُ فى عَيْنَىْ بُثَيْنَةَ بالقذَى ... وفى الغُرِّ من أنْيابها بالقَوادِحِ[1]

إنه أراد هذا المعنى بعينه ، وقيل : إنه دعا لها بالهرَم وعلوّ السن ، لأن الكبير يكثر قذى عينيه وتتهتم أسنانه. وقيل: إنه أراد بعينيها رقيبيْها، وبغر أنيابها سادات قومها ووجوههم؛ والأول أشبه بطريقة القوم ؛ وإن كان القول محتمِلا للكل .

فأما قوله :

* لا يكتَنُون غداة العَلّ والنَّهلِ *

فإنما أنهم ليسوا برعاة[2] يسقون الإبل ، بل لهم مَنْ يخدُمهم ويكفيهم ويرعى إبلَهم ؛

---

(١) أمالى القالى ٢ : ١٠٩ ، واللآلى ٧٣٦ ، والبيت من شواهد الرضى على الكافية (الخزانة ٣ : ٩٣) . القذى : كل ما وقع فى العينين من شىء يؤذيها كالتراب والعود ونحوها . والغر : جمع أغر وغراء ؛ وهو وصف لأسنانها بالبياض . وهو السن . والقوادح : جمع القادح ؛ وهو السواد الذى يظهر فى الأسنان . (٢) ف ، حاشية الأصل (من نسخة): « برعاء » .

وإنما يكتنى ويرتجز على الدَّلو السقاة والرعاة ؛ وفيه وجه آخر ؛ قيل: إنهم يسامحون شَرِيبهم ويؤثرونه بالسَّقى قبل أموالهم؛ ولا يصولونَ عليه ولا يكتنون ؛ وهذا من الكرم والتفضّل لا من الضعف .

وقيل أيضا: بل عَنَى أنهم أعزاء ذَوُو منَعة ، إذا وردتْ إبلهم ماءً أفرج الناس لها عنه؛ لأنها قد عرفت فليس يحتاج أربابها إلى الاكتناء والتعرف .

وقد قال قوم فى قوله : « يكتنون »: إنه من قوله كتنت يده تَكْتَن إذا خشنت من العمل ؛ فيقول : ليسوا أهل مَهْنة ، فتكتَن أيديهم وتخشنُ من العمل ؛ بل لهم عبيد يكفونهم ذلك .

وقوله : « صُدْء السرابيل » فإنما أراد به طولَ حملهم للسلاح ولبسهم له . والمقانب : هى الأوعية التى يكون فيها الزاد ؛ فكأنه يقول: إذا سافروا لم يشدُّوا الأوعية على مافيها [٢٦٨ ظ] وأطعموا أهل الرفقة ؛ وهذه كناية عن الإطعام وبذل / الزاد مليحة. وعُجر البطون : من صفات المقانب ؛ أراد أنها لانوكأ ، ولا تُطْوى على فضل الزاد .

ولبعض شعراء بنى أسد ، وأحسن غاية الإحسان :

رَأَتْ صِرْمَةً[1] لِابْنَىْ عُبَيْدٍ تَمَنَّعَتْ مِنَ الْحَقِّ لم تُوْزَلْ بحَقٍّ إفالُها
فقالتْ : ألاَ تَغْذُو فِصالَكَ هَكَذَا فَقُلْتُ : أبَتْ ضِيفانُها وعِيالُها
فما حُلِبَت إلاَّ الثلاثة والثُّنى ولا قُيِّلَتْ إلاَّ قَرِيباً مَقَالُها
حَدَابيرُ مِنْ كلِّ العِيالِ كأنَّها أناضِىُّ شُقْرٌ حُلَّ عنها جِلالُها

شكا هذا الشاعر امرأته ، وحكى عنها أنها رأت إبلا لجيرانها لم تمط فى حِمالة[2]، ولم تعقَرْ فى حق ، ولم تحلبْ لضيف ولا جار؛ فهى سمان . وقوله: « لم تُوْزَلْ إفالُها » والإفال:

(١) الصرمة : القطعة من الأبل ؛ مابين العشرين إلى الثلاثين ، أو إلى الخمسين .
(٢) الحمالة : الإبل

الصّغار ، وتؤزل ؛ من الأزْل وهو الضّيق فى العيش والشدّة ؛ فيقول : فصال هؤلاء سمان لم تلق بؤساً ؛ لأن ألبان أمهاتِها موفورة عليها .

وحكى عن امرأته أنها تقول له: غَذِّ(١) أنت فصالك هكذا؛ فقال لها : تأبى ذلك الحقوق وعيالها ؛ وهم الجيران والضيفان .

ثم أخبر أنه لم يلتفت إلى لومها ، وأنَّ الإبل ماحلبت بعد مقالتها إلا مرتين أو ثلاث . ولا قُيِّلت ، من القائلة إلا بقرب البيوت حتى نَحَرها ووهبها .

والحدابير: المهازيل؛ وإنما يمنى فصاله وهُزالها لأجل أنها لاتسقى الألبان؛ وتعقر أمهاتها، وأناضيّ : جمع نضو(٢)، فشبه فصاله من هزالها بأنضاءِ خيل شُقْر .

وقوله:«حدابير من كل العيال» فيه معنى حسن ؛ لأنه أراد أنها من بين جميع العيال: مهازيل ؛ وهذا تأكيد ، لأن سبب هزالها هو الإيثار بألبانها ؛ واختَصَّت بالهزال من بين كلِّ العيال . والعيالُ هاهنا هم الجيران والضيفان ؛ وإنما جعلهم عيالاً لكرمه وأنجُوده قد ألزمه مودَّتهم؛ فصاروا كأخص عياله .

ومثل ذلك قول الشاعر :

تُعَيِّرُنِي الحِظْلاَنَ أُمُّ مُحلِّمٍ(٣) فَقُلْتُ لها : لا تَقْذِفِينى بِدائِيا(٤)
فإنِّى رأيْتُ الضَّامِرِينَ(٥) مَتَاعَهُمْ يُذَمُّ ويَفْنَى، فارْضَخِى منْ وِعائِيا
فلَمْ تَجِدينى فى المَعِيشَةِ عاجِزاً ولاَ حِصْرِماً خَبًّا شَدِيداً وكائِيا

ـ الحِظلان : الممسكون البخلاء ، والحَظْل الإمساك. وأم محلّم : امرأته . ومعنى قوله:

---

(١) د ، حاشية ف (من نسخة) : « اغذ » .
(٢) حاشية الأصل : « كأنه يجمع نضو أنضاء ، ثم يجمع أنضاء أناضىّ ؛ فهو جمع الجمع » .
(٣) فى اللسان : « أم مغلس » . (٤) الأبيات فى اللسان (حظل) وعزاها إلى منظور الدبيرى .
(٥) رواية اللسان : « الباخلين » .

[٢٦٩ و] « تعيرنى الحِظْلان» / أى بالحِظْلاَن(١) ؛ تقول : مالك لا تـكون مثل هؤلاء الذين يحفظون أموالهم .

والضامِرون أيضاً : البخلاء ؛ فقال لها : رأيت البخلاء يضنّون بمـا عندهم وهو يفنى ويبقى الذّم ، فارضَخِى من وعائى؛ وهذا مَثَل؛ أى أعطى الناس مما عندى؛ وهو من قولك: رَضَخ له بشىء من عطيته . والحِصْرِم : المُمْسِك ؛ تقول العرب حَصْرِمْ قوسك ، أى شدِّد وَتَرَها .

وقوله :

* فلم تجدينى فى المعيشة عاجزاً *

أى أنا صاحب غاراتٍ ، أفيد وأستفيد وأتلف وأخلف فلا تخافى الفقر ــ

وقال مسكين الدارمىّ :

أَصْبَحَتْ عاذِلَتِى مُعْتَلَّةً قَرِماً(٢) ، أم هىَ وَحْمَى للصَّخَبْ
أَصْبَحَتْ تَتْفِلُ فى شَحْمِ الذُّرَى وتَظُنُّ اللَّوْمَ دُرًّا يُنْتَهَبْ
لا تَلُمْها إنهـا مِنْ أُمَّة مِلْحُها مَوْضُوعَةٌ فوقَ الرُّكَبْ(٣)

يقول : إنها تُـكْثِرُ لومى ؛ وكأنها قِرمةٌ إلى اللوم ، كقرم الأشبال إلى اللحم ، وهى وَحْمَى تَشْتهى الصخب . والوَحَم: شدة شهوة الطعام عند الحمل .

وشحم الذّرى . الأسنمة ؛ وأراد بـ«تَتْفِلُ»فيها أى تعوِّذ إبلى لتزيّنها فى عينى؛ وتعظم قدرها، فلاأهَبُ منهاولاأنحر ؛ ثم أخبر أن أصلها من الزَّنْج . والمِلْح: الشحم، وشَحْم الزَّنْج(٤)

---

(١) حاشية الأصل : « بل الفصيح أن يقال : عيرته كذا ، وعيرته بكذا من كلام؛ العامة قال النابغة:

وعيَّرتنى بَنُو ذبيانَ خشيتَهُ وهلْ علىَّ بأن أَخْشاكَ من عارِ !

(٢) حاشية الأصل : «فى شعره قرمت» . (٣) حاشية الأصل : « أى لاعرق لها فى الـكرم » .

(٤) حاشية الأصل : « أراد أنها ليست بعربية ؛ بل زنجية .

يكون على أوراكهم وأكفالهم. وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد(١) :

أيابْنَةَ عبْدِ اللهِ وابْنَةَ مالكٍ ويابْنَةَ ذِى البُرْدَيْنِ والفرَسِ الوِرْدِ(٢)
إذا ما صَنَعْتِ الزَّادَ فالتمِسِى لهُ أكِيلاً؛ فإنِّى لسْتُ آكِلَهُ(٣) وَحْدِى
قَصِيًّا كريمًا، أوْ قَرِيبًا فإنَّنِى أخَافُ مَذَمَّاتِ الأَحادِيثِ مِنْ بعْدِى
وإنِّى لَعَبْدُ الضَّيْفِ مادَامَ نازِلاً وما مِنْ صِفاتِى غيرها شِيمَةُ العَبْدِ

قال أبو العباس : استثنى الكرمَ فى القصىّ البعيد، ولم يستثنه فى القريب ؛ لأن أهلَه جميعاً عنده كرام . وأراد بقوله : « عبد الضيف » أنه يخدُم الضيف هو بنفسه لا يرضى أن يخدمه عبدُه .

قال سيدنا أدام الله علوّه : ويشبه ذلك قولُ المقنَّع الكندىّ :

/وإنِّى لعبْدُ الضَّيفِ ما دامَ نازِلاً ومابِى سِوَاها خَلَّةٌ تُشْبِهُ العَبْدَا(٤) [٢٦٩ ظ]

(١) فى الكامل — بشرح المرصفى ٥ : ١٤٥ ؛ ونسبها إلى قيس بن عاصم المنقرى ، وفى حماسة أبى تمام — بشرح التبريزى ٤ : ٢٠٥ ، وعزاها التبريزى إلى حاتم الطائىّ ولم ترد فى ديوانه . وفى الأغانى (١٢ : ١٤٤) بسنده: «تزوج قيس بن عاصم المنقرى منفوسة بنت زيد الفوارس الضبى ، وأتته فى الليلة الثانية من بنائه بها بطعام فقال : فأين أكيلى ؟ فلم تعلم مايريد ؛ فأنشأ يقول ... وأورد الأبيات . قال : « فأرسلت جارية لها مليحة فطلبت له أكيلا ، وأنشأت تقول له :

أبى المرءُ قيسٌ أن يذوقَ طعامَهُ بغير أكيل ؛ إنه لكريم!
فبوركت حيا ياأخا الجود والندى وبوركت ميتاً قد حوتْك رُجومُ

(٢) أضافها إلى عمها وجدها الأكبرين، لعزتهما بين قبائل العرب ؛ وذلك أن زيد الفوارس هو ابن حصين بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك ، أخى عبد الله بن سعد ابن ضبة . ويريد بذى البردين جدمنفوسة من قبل أمها ، وهو عامر بن أحيمر بن بهدلة ؛ لقب بذلك لما روى أن النعمان أخرج بردى محرق ، وقد اجتمعت وفود العرب وقال : ليقم أعز العرب فليلبسهما ، فقام عامر، فاتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ؛ ولم ينازعه أحد ... فى خبر ذكره المرزوقى فى شرح الحماسة ١٦٦٨ .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة): « آكله » ، بضم الكاف واللام .

(٤) حماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ١١٨٠ ؛ وفى حاشيه الأصل (من نسخة) :

* وما شيمة لى غيرها تشبه العبدا *

وإنما اشترط فى كونه عبدا للضيف فى البيت الأول والثانى [١]ثواءه ونزوله[١] مؤثراً له؛ ليُعلم [٢]أن الخِدْمة لضيفه لم تكن لضَعة قدره[٢]، بل لما يوجبه الكرم من حق الأضياف[٣]، وأنه يخرُج عن أن يكون مخدوما بخروجه من أن يكون ضيفاً . ولو قال : « وإنى لعبدُ الضيف » ولم يشرط[٤] لم يحصل هذا المعنى الجليل.

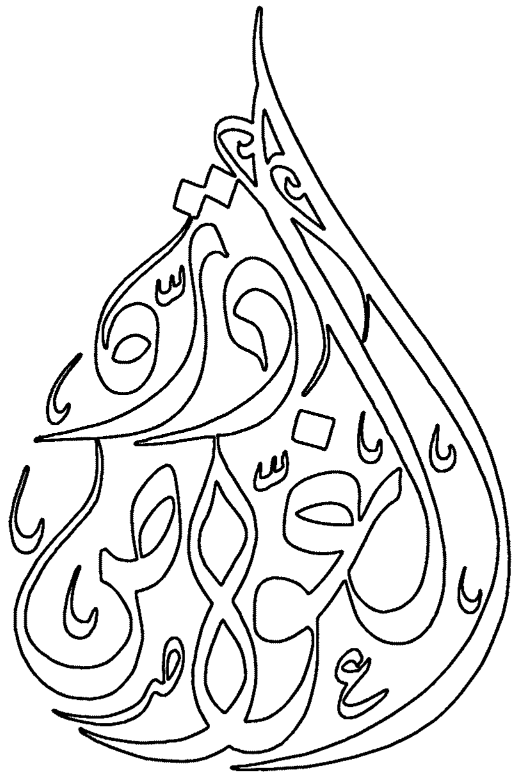

(١ـ١) حاشية الأصل (من نسخة) : مدة ثوائه ونزوله » .

(٢ـ٢) م : أن الخدمة لم تكن لضعة وصغر قدر» . (٣) حاشية الأصل (من نسخة): «الإضافة».

(٤) م : « يشترط » .

٦٤
مجلس آخر
تأويل آية

إن سأل سائل فقال : بِمَ تَدْفعون مَنْ خالفكم فى الاستطاعة ، وزعم أن المكلَّف يؤمَر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه إذا تعلق بقوله تعالى : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ ؛ [الإسراء : ٤٨] فإن الظاهرَ من هذه الآية يوجب أنهم غيرُ مستطيعين للأمر الذى هم غير فاعلين له ، وأن القدرة مع الفعل. وإذا تعلق بقوله تعالى : فى قصة موسى عليه السلام : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾؛ [الكهف : ٦٧] ؛ وأنه نفى أن يكون قادرا على الصبر فى حالٍ هو فيها غير صابر؛ وهذا يوجب أنّ القدرة مع الفعل. وبقوله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ ؛ [هود: ٢٠] .

الجواب ، يقال له : أول ما نقوله: إنّ المخالف لنا فى هذا الباب من الاستطاعة لا يصحُّ له فيه التعلُّق بالسمع ؛ لأن مذهبَه لا يسلَم معه صحة السمع ، ولا يتمكن مع المُقام عليه من معرفة السمع بأدلته ؛ وإنما قلنا ذلك؛ لأن مَن جوّز تكليفَ الله تعالى الكافر الإيمانَ وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلمُ بنفى القبائح عن الله عز وجل ؛ وإذا لم يمكنْ ذلك فلابدّ من أن يلزمَه تجويزُ القبائح فى أفعاله وأخباره؛ ولا يأمَنُ من أنْ يرسل كذابا، وأن يخبر هو بالكذب ـ تعالى عن ذلك ! فالسمع إن كان كلامَه قدَح فى حجته تجويزُ الكذب عليه ، وإن كان كلامَ رسوله قدَح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذّاب ؛ وإنما طرق ذلك تجويزُ بعض القبائح عليه .

وليس لهم أن يقولوا: إن أمره تعالى الكافر بالإيمان وإن لم يقدر عليه يحسُنُ من حيث أتى الكافر فيه من قِبَل نفسه؛ لأنه تشاغل بالكفر فترَكَ الإيمان. وإنما كان يبطل تعلُّقنا / بالسمع [٢٧٠ و]
لو أضفنا ذلك إليه تعالى على وجهٍ يقبح؛ وذلك لأن ما قالوه إذا لم يؤثِّر فى كون ما ذكرناه

تـكليفاً لما لايطاق لم يؤثر فى نفى ماألزمناه عنهم ؛ لأنه يلزم على ذلك أن يفعلَ الـكذب وسائر القبائح، وتـكون حسنةً منه بأن يفعلها من وجهٍ لايقبح منه :

وليس قولهم: إنا لم نُضِفْه إليه من وجه يقبح بشئ يعتمد ؛ بل يجرى مَجرى قول من جوَّز عليه تعالى أن يكذب ، ويكون الـكذب منه تعالى حسناً ؛ ويدّعى مع ذلك صحةَ معرفة السمع بأن يقول : إننى لم أضف إليه تعالى قبيحاً، فيلزمنى إفسادُ طريقة السمع ، فلما كان مَنْ ذكرناه لا عذرَ له فى هذا الـكلام لم يكن للمخالف فى الاستطاعة عذر بمثله .

ونعود إلى تأويل الآى ؛ أما قوله تعالى : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ فليس فيه ذكر للشىء الذى لا يقدرون عليه ، ولا بيانٌ له ، وإنما يصح ما قالوه لو بين أنهم لا يستطيعون سبيلا إلى أمر معين ؛ فأما ولم يذكر ذلك فلا متعلَّق لهم .

فإن قيل: فقدذكرتعالى من قَبْلُ ضلالَهم؛ فيجب أن يكون المراد بقوله: ﴿ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ إلى مفارقة الضلال .

قلنا : إنه تعالى كما ذكر الضلالَ فقـــد ذكر ضَرْبَ المثل ؛ فيجوز أن يريد أنهم لا يستطيعون سبيلا إلى تحقيق ماضربوه من الأمثال وذلك غير مقدور على الحقيقة ، ولا مستطاع .

والظاهرُ بهذا الوجه أولى ؛ لأنه تعالى حَكَى أنهم ضربوا له الأمثال ، وجعل ضلالَهم وأنهم لايستطيعون السبيل متعلقاً بماتقدّم ذكره. وظاهر ذلك يُوجب رجوعَ الأمرين جميعا إليه ، وأنهم ضلُّوا بضرب المثل، وأنهم لايستطيعون سبيلا إلى تحقيق ماضربوه من المثل؛ على أنه تعالى قدأخبر عنهم بأنهم ضلّوا ، وظاهر ذلك الإخبارُ عن ماضى فعلهم .

فإن كان قوله تعالى: ﴿ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ يرجع إليه، فيجب أن يدلَّ على أنهم

لايقدرون على ترك الماضى ؛ وهذا مما لانُخالف فيه (١وليس فيه مانأباه١) من أنهم لايقدرون فى المستقبل أو فى الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه بعد تركه .

وبعد ؛ فإذا لم يكن للآية ظاهر ، فلِمَ صاروا بأن يحملوا نفى الاستطاعة على أمر كلفوه / [٢٧٠ ب] أوْلى منا إذا حملنا ذلك على أمرٍ لم يكلفوه ، أو على أنه أراد الاستثقال والخبر عن عُظْم المشقة عليهم .

وقد جرتْ عادةُ أهل اللغة بأن يقولوا لمن يستثقِلُ شيئاً : إنه لا يستطيعه ، ولا يقدر عليه ، ولا يتمكن منه ؛ ألا ترى أنهم يقولون : فلان لا يستطيع أن يكلِّم فلانا ، ولا ينظر إليه ، وما أشبه ذلك ، وإنما غرضُهم الاستثقالُ وشدة الكُلْفة والمشقة .

فإن قيل : فإذا كان لاظاهرَ للآية يشهد بمذهب المخالف ، فما المراد بها عندكم ؟ .

قلنا : قد ذكر أبو على أن المراد أنهم لا يستطيعون إلى بيان تكذيبه سبيلا ، لأنه ضربوا الأمثال ؛ ظناً منهم بأن ذلك يبيِّن كذبه ، فأخبر تعالى أن ذلك غيرُ مستطاع ؛ لأنّ تكذيبَ صادق ، وإبطالَ حق مما لاتتعلق به قدرة ، ولا تتناوله استطاعة .

وقد ذكر أبو هاشم أن المراد بالآية أنهم لأجل ضلالهم بضربِ المثل وكفرهم لايستطيعون سبيلا إلى الخير الذى هو النجاة من العقاب والوصول إلى الثواب .

وليس يمكن على هذا أن يقال : كيف لا يستطيعون سبيلا إلى الخير والهدَى ، وهم عندكم قادرون على الإيمان والتوبة ؟ ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب ؛ لأن المراد أنهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لا سبيلَ لهم إلى خيرٍ وهدى ؛ وإنما يكون لهم سبيلٌ إلى ذلك بأن يفارقوا ماهمْ عليه .

وقد يمكن أيضاً فى معنى الآية ماتقدم ذكره من أن المرادَ بنفى الاستطاعة عنهم أنهم مستثقلون للإيمان ؛ وقد يخبَر عمن استثقل شيئا بأنه لا يستطيعه على ماتقدم ذكره .

(١ـ١) حاشية الأصل (من نسخة) : « وليس مما نأباه » .

فأما قوله تعالى فى قصة موسى عليه السلام : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً ﴾ فظاهره يقتضى أنك لا تستطيع ذلك فى المستقبل ؛ ولا يدلُّ على أنه غير مستطيع للصبر فى الحال أن يفعله فى الثانى.

وقد يجوز أن يخرج فى المستقبل من أن يستطيع ماهو فى الحال مستطيعٌ له؛ غيرَ أن الآية تقتضى خلاف ذلك ؛ لأنه قد صبَرَ عن المسألة أوقاتا ، إن ولم يصبر عنها فى جميع الأوقات، فلم تَنْتَفِ الاستطاعةُ للصبر عنه فى جميع الأحوال المستقبلة .

على أن المراد بذلك واضح ، وأنه تعالى خبّر عن استثقاله الصبرَ عن المسألة مما لايعرف /ولا يقفُ عليه ؛ لأن مِثْلَ ذلك يصعب على النفس؛ ولهذا نجد أحدنا إذا وُجد[1] بين يديه [٢٧١ و] مايكره ويستبعده تُنازعه نفسه إلى المسألة عنه ، والبحثِ عن حقيقته ، ويثقَل عليه الـكفّ عن الفحص عن أمره ؛ فلما حدث من صاحب موسى ما يُستنكَر ظاهره استثقل الصبر عن المسألة عن ذلك .

ويشهد بهذا الوجـــه قوله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَالَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾؛ [الـكهف:٦٨] ؛ فبيّن تعالى أن العلةَ فى قلة صبره ماذكرناه دون غيره ، ولو كان على ما ظنوا لوجب أن يقول : وكيف تصبر وأنت غير مطيق للصبر !

فأما قوله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ فلا تعلّق لهم بظاهره ؛ لأن السمع ليس بمعـنى فيكون مقدوراً، لأن الإدراكَ على المذهب الصحيح ليس بمعـنًى ، ولو ثبت أنه معـنًى على ما يقوله أبو على لـكان أيضا غير مقدور للعبد من حيث يختصّ القديم تعالى بالقدرة عليه .

هذا إن أريد بالسمع الإدراك؛ وإن أريد به نفس الحاسة فهى أيضا غير مقدورة للعباد؛ لأن الجواهر وما تخصّ به الحواس من البِنْية والمعانى ليصحّ به الإدراك مما ينفرد به القديم تعالى فى القدرة عليه . فالظاهر لا حجّة لهم فيه .

(١) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « إذا جرى بين يديه » .

فإن قالوا : فلعلّ المرادَ بالسمع كونهم سامعين ؛ كأنه تعالى نفى عنهم استطاعة أن يسمعوا .

قلنا : هذا خلافُ الظاهر؛ ولو ثبت أن المرادَ ذلك لحملنا نفى الاستطاعة هاهنا على ما تقدم ذكرُه من الاستثقال وشدة المشقة ، كما يقول القائل : فلان لا يستطيع أن يرانى ، ولا يقدر أن يكلّمنى ؛ وما أشبه ذلك ، وهذا بيّن لمن تأمله .

تأويلُ خبر

إن سأل سائل فقال: ما تأويلُ ما رواه يسار عن معاوية بن الحكم قال: قلت يارسول الله، كانت لى جاريةٌ كانت ترعى غنما لى ، قِبَلَ أُحُد، فذهب الذئب بشاة من غنمها ، وأنا رجل من بنى آدم آسف، كما يأسفون ، لكننى[1] غضبت فصككتُها صكّة ، قال : فعظم ذلك على النبى صلى الله عليه وآله، قال ، قلت : يارسول الله؛ أفلا أعتِقها ؟ قال: « ائتنى بها »، فأتيته بها فقال لها : « أين الله؟ » فقالت: فى السماء ، قال : «من أنا» ؟ قالت : أنت رسول الله ، فقال عليه السلام : / « أعتقها[2] فإنها مؤمنة » . [٢٧١] ظ

الجواب، أما قوله: «أنا رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون» فمعناه أغضب كما يغضبون، قال محمد بن حبيب: الأسف: الغضب، وأنشد للراعى:

فَما لحِقَتْنِي العِيسُ حتَّى وَجَدْتُنى أسِيفاً على حادِيهِمُ المُتَجَرِّدِ

والأسف أيضا الحزن؛ قال ابن الأعرابىّ : الأسف: الحزن، والأسف : الغضب ، قال كعب بن زهير :

---

(١) د ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : «لكنى » .

(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « فأعتقها »

فى كلِّ يَوْمٍ أرَى فِيهِ مبينةً   تَـكادُ تُسقِطُ مِنِّى مُنَّةً أسَفا(١)

وقوله : « ولـكنى غضبت فصكَـكْتُها » أراد لطمتها ، يقال : صكَّ جبهته ، إذا لطمها بيده؛ قال الله تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾؛ [الذاريات : ٢٩] ؛ وقال بشر بن أبى خازم يصف حمار وحش وأتانا :

فَتَصُكُّ مَحْجِرَهُ إذا ماسافَها   وَجَبِينَهُ بحَوَافِرٍ لم تُنْكَبِ(٢)

سافها : أى شمها.

وقولها : « فى السماء »؛ فالسماء هى الارتفاع والعلو ، فمعنى ذلك أنّه تعالى عالٍ فى قدرته، عزيز فى سلطانه، لا يُبْلَغ ولا يُدْرَك. ويقال: سما فلان يسمو سموًّا، إذا ارتفع شأنه علا أمرُه، قال الله تعالى: ﴿ أَأَمِنتُم مَنْ فِى السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ . أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ﴾ ؛[الملك : ١٦ ، ١٧] فأخبر بقدرته وسلطانه وعلوّ شأنه ونفاذ أمره .

وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ ﴾ غير هذا ، وأن المراد: أأمنتم مَنْ فى السماء أمره وآياته ورزقه ؛ وما جرى مجرى ذلك . وقال أمية بن أبى الصلت شاهداً لما تقدم :

وأشْهَدُ أنَّ اللهَ لاَ شَىْءَ فَوْقَهُ   عَلِيًّا وأمْسَى ذِكْرُهُ مُتعالِيا

وقال سليمان بن يزيد العدوىّ :

لكَ الحَمْدُ ياذَا الطَّوْلِ والمُلْكِ والغِنى   تَعاليْتَ مَحْمُودًا كَرِيمًا وَجازِيا
/عَلَوْتَ على قُرْبٍ بِعِزٍّ وَقُـدْرَةٍ   وكُنْتَ قَرِيبًا فى دُنُوِّكَ عالِيـا(٣) [٢٧٢ ظ]

---

(١) ديوانه : ٧٠ . المنة : القوة ؛ وفى حاشيتى الأصل ، ف : قبله :

بانَ الشبابُ وأمسى الشَّيْبُ قد أَزِفَا   وَلاَ أرى لشبابٍ ذاهبٍ خَلَفا
عادَ السوادُ بياضاً فِى مفارِقه   لا مرحباً ها بذا اللَّوْنِ الذى رَدِفا

(٢) محجر العين : مادار بها ؛ ويقال : نـكبت الحجارة خف البعير إذا أصابته وأدمته .

(٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « فى علوك دانيا » .

والسماء أيضاً سقفُ البيت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ ؛ [الحج : ١٥] .

وقال ابن الأعرابىّ : يقال لأعلى البيت : سماء البيت ، وسماوته ، وسراته ، وصهْوته ؛ والسماء أيضاً : المطر قال الله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا ﴾ ؛ [الأنعام : ٦] . ومنه الحديث الذى رواه أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله مر على صُبْرة طعام ؛ فأدخَل عليه السلام يدَه فيها، فنالت أصابعُه بللاً؛ فقال: ماهذا ياصاحبَ البُرّ؟ قال : أصابتْه السماء يارسول الله ، قال عليه السلام : « أوَ لا جعلته فوْق الطَّعام، يراه الناس ! مَنْ غشّ فليس منا » . وقال المثقِّب العبدىّ :

فَلَمَّـا أتانِي وَالسَّمَاءُ تَبُلُّهُ فقلْتُ لهُ: أهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبا

ويقال أيضاً لظهر الفرس : سماء؛ كما يقال فى حوافره : أرض. ولبعضهم فى فرس:

وأحمرَ كالدِّينارِ ، أمّا سَماؤُهُ فَخِصْبٌ ، وأما أرْضُهُ فَمُحُولُ(١)

وإنما أراد أنه سمين الأعلى ، عريان القوائم ممشوقها ؛ وكل معانى السماء التى تتصرف وتتنوع ترجع إلى معنى الارتفاع والعلو والسموّ ؛ وإن اختلفت المواضع التى أجريت هـذه اللفظة فيها.

وأوْلى المعانى بالخبر الذى سئلنا عنه ماقدّمناه من معنى العزة وعلو الشأن والسلطان ، وما عدا ذلك من المعانى لاتليق به تعالى ؛ لأنّ العلوّ بالمسافة لايجوز على القديم تعالى الذى ليس بجسْم ولا جوهر ولا حالٍّ فيهما ؛ ولأن الخبر والآية التى تضمنتْ أيضاً ذكر السماء خرجت مخرج المِدْحة، ولا تمدّح فى العـلو بالمسافـة ؛ وإنما التمدّحُ بالعلو والشأن والسلطان ونفاذ الأمر ؛ ولهذا لاتجد أحداً من العرب مدَح غيره فى شعر أو نثر بمثل هذه اللفظة ؛ وأراد بها علوّ المسافة ؛ بل لايريدون إلا ماذكرناه من معنى العلوّ فى الشأن؛ وإنما يَظن فى هذا الموضع خلاف هذا مَنْ لافطنة عنده ولابصيرة له؛ والحمد لله رب العالمين .

---

(١) البيت لطفيل الغنوى ، وهو فى ملحقات ديوانه ٦٣ ، واللسان (سما).

مجلس آخر ٦٥

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾؛[هود : ٤٠].

الجواب ، قلنا : أمّا التنور فقد ذُكِر فى معناه وجوه :

أولها أنّه أراد بالتنُّور وجهَ الأرض ؛ وأنّ الماءَ نبع وظهر على وجْه الأرض وفار ؛ وهذا قول عِكْرمة ، وقال ابن عباس مثله ، والعرب تسمى وجه الأرض تَنُّوراً .

وثانيها أن يكون المعنى أن الماء نبعَ من أعالى الأرض ، وفار من الأماكن المرتفعة منها ؛ وهذا قول قَتادة ؛ وروى عنه فى قوله تعالى : ﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ ؛ قال : ذُكِر لنا أنه أرفع الأرض وأشرفُها .

وثالثها أن يكون المراد بـ﴿ فارَ التَّنُّورُ ﴾ أى برزَ النّور ، وظهر الضوء ، وتكاثفَتْ حرارة دخول النهار ، وتقضّى الليل . وهذا القول يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام .

ورابعها أن يكون المراد بالتنّور الذى يختَبز فيه على الحقيقة ؛ وأنه تنور كان لآدم عليه السلام[1] . وقال قوم : إن التَّنُّور كان فى دار نوح عليه السلام بعيْن ورْدَة[2] من أرض الشام . وقال آخرون : بل كان التنُّور فى ناحية الكوفة ؛ والذى[3] روى عنه أن التنُّور هو تنور الخبز الحقيقى ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم .

---

(١) م : « لآدم عليه السلام أبى البشر » . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : وردة : اسم امرأة ؛ تنسب العين إليها » . (٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « والذين روى عنهم » .

وخامسها أن يكون معنى ذلك : اشتدَّ غضب الله تعالى عليهم ، وحلّ وقوع نقمته بهم؛ فذكر تعالى التَّنُّور مثلا لحضور العذاب ، كما تقول العرب : قد حَمِيَ الوطيس(١) ؛ إذا اشتد الحرب ، وعظُم الخطب . والوطيس هو التَّنُّور . وتقول العرب أيضاً : قد فارتْ قِدْر القوم إذا اشتد حربهم ؛ قال الشاعر:

تفُورُ علَيْنا قِدْرُهُمْ فَنَدِيمُها ... ونَفْثَؤُها عنّا إذا حَمْيُها غَلاَ(٢)

أراد بقِدْرهم حَرْبهم ، ومعنى نديمها : نسكِّنها ، ومن ذلك الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه نهى عن البول فى الماء الدائم ؛ يعنى الساكن. ويقال: قد دوَّم الطائر فى الهواء، إذا بسط جناحيه وسكنهما ولم يخفِقْ بهما . ونفثؤها، معناه نسكِّنها ؛ يقال: قد فثأتُ غضبه عنى ، وفثأت الحارَّ بالبارد / إذا كسرته به . [٢٧٣ و]

وسادسها أن يكون التنّور الباب الذى يجتمع فيه ماء السفينة ؛ فجعل فوران الماء منه والسفينةُ(٣) على الأرض عَلَماً على ما أنذر به من إهلاك قومه ؛ وهذا القول يروى عن الحسن .

وأوْلى الأقوال بالصواب قولُ من حَمل الكلام على التنّور الحقيقى ؛ لأنه الحقيقة وما سواه مجاز ؛ ولأن الروايات الظاهرةَ تشهد له؛ وأضعفُها وأبعدها من شهادة الأثر قولُ مَن حمل ذلك على شدة الغضب واحتداد الأمر تمثيلا وتشبيها ؛ لأن حمْلَ الكلام على الحقيقة التى تَعْضِدها الرواية أولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية .

وأىُّ المعانى أريد بالتنُّور فإن الله تعالى جعل فورانَ الماء منه علماً لنبيِّه ؛ وآيةً تدلّ على نزول العذاب بقومه ؛ لينجوَ بنفسه وبالمؤمنين .

---

(١) حاشية الأصل : « روى أن أول من تكلم بحمى الوطيس رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال عليه السلام : « الآن حمى الوطيس » . (٢) البيت فى اللسان (فثأ)، ومقاييس اللغة (٢ : ٣١٥) منسوبا إلى النابغة الجعدى . (٣) ضبطت فى الأصل بالفتح والضم معا ؛ وفى حاشية الأصل: « إذا نصبت كان عطفا على « فوران » ويكون « على الأرض » حالا ؛ والرفع أولى » .

فأما قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ فقد قيل : المراد به : احمِلْ من كلٍّ ذكر وأنثى اثنين ، وإنه يقال لكل واحد من الذكر والأنثى زوج .

وقال آخرون : الزوجان هاهنا الضربان ؛ وقال آخرون: الزوْج: اللون؛ وإن كل ضرب يسمى زوجا ؛ واستشهدوا ببيت الأعشى[(١)] :

وكلُّ زَوْجٍ منَ الدِّيباجِ يَلْبَسُهُ أبو قُدامَةَ مَجْبُوراً بذاكَ مَعا[(٢)]

ومعنى ﴿مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ ؛ أى مَنْ أخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك به. والله أعلم بمراده .

تأويل خبر

إن سأل سائل عن الخبر الذى يرويه شَريك بن عمار الدُّهْنِى[(٣)] عن أبى صالح الحنفىّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «رأيت النبى صلى الله عليه وآله فى المنام وأنا أشكو إليه مالقيت من الأوَد واللَّدَد » .

الجواب ، يقال له: أما الأوَد فهو المَيْل، تقول العرب: لأُقيمَنَّ ميلك، وجَنَفَك، وأوَدَك، ودَرْأَكَ، وضَلَعَك ، وصَدْغَك ، وظَلْعَكَ (بالظاء)،وصِغْوَكَ ، وصَعَرَك، وصَدَدَك؛ كل هذا بمعنًى واحد .

وقال ثعلب : الأوَد إذا كان من الإنسان فى كلامه ورأيه فهو عِوَج؛ وإذا كان فى الشىء المنتصب مثل عصا / وما أشبهها فهو عَوَج ؛ وهذا قول الناس كلهم إلا أبا عمرو الشيبانىّ ؛ [٢٧٣ ظ]

---

(١) ديوانه : ٨٦ ؛ وفى حاشية الأصل : « قبله :

لَهُ أكالِيلُ بالياقوتِ زيَّنَهَا صواغُها ، لاترى عَيباً وَلاَ طَبَعا

يمدح هوذة بن على ؛ ولم يلبس التاج معدّى غيره» .

(٢) حاشية الأصل : « مجبورا ؛ من الجبر ، وهو الإصلاح » . وفى ديوانه : « مجبوا » ؛ وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « مجبو ؛ أى هو مجبو » .

(٣) فى م : « شريك عن عمار الذهنى » ؛ وهو تحريف، وبنو دهن : حى من العرب .

فإنه قال : العِوَج، بالكسر: الاسم ، والعَوَج، بالفتح: المصدر . وقال ثعلب : كأنه مصدر عَوِج يَعْوَج عَوَجاً ؛ ويقال : عصاً معوجّة ، وعُود معوَجّ ؛ وليس فى كلامهم معوَّج .

وأما اللَّدَد ؛ فقيل : هو الخصومات ، وقال ثعلب : يقال رجل ألدّ ، وقوم لُدٌّ إذا كانوا شديدى الخصومة ؛ ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ؛ [البقرة: ٢٠٤] .

وقال الأموىّ: اللدَد: الاعوجاج ، والألدّ فى الخصومة : الذى ليس بمستقيم ، أى هو أعوج الخصومة ؛ يميل فلا يقوَى عليه ولا يُستمكَن[(١)] منه، ومن ذلك قولهم: لُدَّ الصَّبىُّ، وإنما يُلَدُّ فى شقّ فيه ؛ وليس «يُلَدُّ» مستقيما ؛ فهو يرجع إلى معنى الميل والاعوجاج . وقال : فسَّر لنا الحكم بن ظهير، فقال : ألدّ الخصام، أى أعوج الخصام ، وأنشد أبو السمح لابن مُقْبل :

لقدْ طالَ عن دَهْماءَ لَدِّى وعِذْرَتى ... وَكِتْمانُهَا أُكْنِى بأُمِّ فُلانِ
جَعَلْتُ لِجُهَّالِ الرِّجَالِ مَخاضَةً ... ولوْ شِئْتُ قد بَيَّنْتُها بِلِسَانِى

اللّد : الجدال والخصومة .

وقال أبو عمرو: الألد: الذى لا يقبل الحق، ويطلب الظلم .

وقوله: «مخاضة» يقول : إنهم يخوضون فى شعرى ويطلبون معانيه ، فلا يقفون عليه.

وأنشد أبو السمح :

لاَ تَفْتَرِ الْكَذِبَ القَبِيحَ فَإِنَّهُ ... لِلمَرْءِ مَعْيَبَةٌ وبابُ إِثامِ
واصْدُقْ بقَوْلِكَ حِينَ تَنْطِقُ ؛ إِنَّهُ ... للصِّدْقِ فَضْلٌ فَوْقَ كلِّ كلامِ
وإذَا صَدَقْتَ على الرِّجالِ خَصَمْتَهُمْ ... والصِّدْقُ مقْطَعَةٌ على الظُّلاَّمِ
وإذَا رَمَاكَ غَشُومُ قَوْمٍ فارْمِهِ ... بأَلَدَّ مُشْتَغِرِ المدَى غَشَّامِ
لا تَعْرِضَنَّ على العَدُوِّ وَسِيلَةً ... واحْذَرْ عَدُوَّكَ عِنْدَ كلِّ مَقامِ

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « يتمكن » .

واعْلَمْ بأنه ليسَ يوماً نافِعاً … عِنْدَ اللَّئيمِ وسائِلُ الأَرْحامِ
مالم يَخَفْكَ ويَلْقَ عِنْدَكَ جانِباً … خَشِناً وَتَصْبَحْهُ بِكَأْسِ سِمامِ
وإذا حَلَلْتَ(١) بمأزِقٍ فاكْرُمْ بِهِ … حتَّى تُفرِّجَ حَلْبَةَ الإظْلامِ
[٢٧٤ و] /واصْبِرْ على كَرْبِ البَلاءِ فإنَّهُ … ليسَ البَلاءُ على الفَتَى بِلِزامِ
واعلَم بأنَّكَ مَيِّتٌ وَمُحدَّثٌ … عمَّا فَعَلْتَ مَعاشِرُ الأَقْوامِ

معنى قوله « مشتفر المدى »، أى بعيد المدى .

ومعنى قوله :

☆ لا تعرِضَنَّ على العَدُوِّ وَسيلةً ☆

أى لا تقاربه ولا تصانعه ولا يَكُنْ بينك وبينه إلا صدق العداوة .

وأنشد أيضاً شاهداً لما تقدم :

يا وَهْبُ أشْبِهْ باطِلى وجِدِّى … أشْبَهْتَ أخْلاقِى فأشْبِهْ مَجْدِى
☆ وجِدَّ لِى عندَ الخُصُومِ اللُّدِّ ☆

☆ ☆ ☆

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ومن أحسن ما وصف به الثغر قول فضالة بن وكيع البكرىّ :

تَبَسَّمُ عنْ حُمِّ اللِّثَاتِ كأنَّها … حَصَى بَرَدٍ أو أُقْحُوَانُ كَثِيبِ
إذا ارتفعَتْ عنْ مَرْقَدٍ عَلَّلَتْ بهِ … مِنَ اليانِعِ الغَوْرِىِّ فرعَ قَضِيبِ
قَضِيبٍ نَجَاهُ الرَّكْبُ أيامَ عرَّفُوا … لها منْ ذُرَى مالِ النَّبَاتِ خَضِيبِ

— يعنى من يانع الأراك . ومعنى نجاه، أى قطعه ، ومثله استنجاه أيضاً، ومال النبات ، أى ناعمه وحسنه ، يقال : عشب مالٌ ومادٌّ، سواء ، أى ميّاد ناعم .

ومعنى ـ أيام عرفوا، أى اجتنوه من عرفات، وذكر أنه خضيب بالطيب الذى بيديها لإدمانها الاستعمال

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « وإذا حبست » .

وقال الأخطل يصف ثغراً :

شَتِيتا يَرْتَوِى الظمآنُ مِنْهُ   إذَا الجوْزَاءُ أجْحَرَتِ الضِّبابا[١]

ـ الشتيت : المفرق المفلّج الذى ليس بمتراكب ـ

ومعنى قوله :

* إذا الجوزاءُ أجْحَرَتِ الضبابا *

فيه وجهان : أحدهما أنه أرادعندسقوط الجوزاء ؛ وذلك فى شدة البرد وطول الليل إذا انجحرت الضباب من البرد، وتغيرت الأفواه لطول ليل الشتاءِ ؛ يقول : فثغرها حينئذ عَذْب غير متغيّر .

والوجه الآخر أنه أراد عند طلوع الجوزاء فى شدة الحر إذا انجحرت الضِّباب من شدة الحر والقيظ ؛ فالظمآنُ حينئذ أشدُّ عطشاً وأحرّ غُلّه/، فريقُها يرويه ويبرد غُلَّته. [٢٧٤ ظ]

وقال آخر :

فَوَيْلٌ بها[٢] لِمَنْ تَكُونُ ضَجيعَهُ   إذَا ما الثُّرَيَّا ذَبْذَبَتْ كلَّ كوْكَبِ

قوله : « فويل بها » من الزّجر المحمود : مثل قولهم : ويل امه ما أشجعه ! فكأنه يقول : نعم الضجيع هى عند السَّحَر ، إذا تحادرت النجوم للمَغيب ، كما قال ذو الرُّمة :

وأبْدِى الثُّرَيَّا جُنَّحٌ فى المغارِبِ[٣]

---

(١) حاشية الأصل : «قبله :

أفاطم أعرضى قبل المنايا   كفى بالموت هَجْراً واجتنابا

برقْت بعارضيك ولم تجودى   ولم يك ذاك من نُعْمَى ثوابا

كذلك أخلفتنا أم بشْرٍ   على أن قد جلت غرًّا عذابا

وانظر الديوان ص٥٥ . (٢) حاشية الأصل : « نسخة س : « فويل امها » .

(٣) ديوانه : ٥٥ ، وصدره :

* ألا طرقَتْ مَىٌّ هَيُوماً بذكْرِها *

ومثل قول الآخر :

نِعْمَ شِمارُ الفتى إذا بَرَدَ اللَّيْـــلُ سُحَيْرًا وَقَفْقَفَ الصَّرِدُ (١)

وإنما يعنى أنها فى ذلك الوقت الذى تتغير فيه الأفواه طيبةُ الريق عذبتُه .

وأنشد أبو العباس المبرّد لأم الهيثم:

وَعارِضٍ كَجانِبِ العِرَاقِ أَنْبَتَ بَرَّاقًا مِنَ البرَّاقِ (٢)

يذَاقُ (٣) مِثْلَ العَسَلِ المُراقِ (٤)

قال أبو العباس: فى هذا قولان :

أحدهما أنه وصفت ثغراً . وعارضاه : جانباه ، والعِراق : مايثنى ثم يخرز كعِراق القربة ، فأخبرت أنه ليس فيه اعوجاج ولا تراكب ولا نقص .

وقولها :

* أنبتَ براقا من البرّاق *

أى ماتنبته الأرض إذا مطرت من النَّوْر .

قال المبرّد : والقول الأول عندنا أصح لذكرها العسل .

وأنشد أحمد بن يحيي لتأبط شراً (٥) :

---

(١) من القفقفة ؛ وهى الرعدة ، والصرد : الذى آلمه الصرد ؛ وهو شدة البرد ؛ والبيت فى اللسان (قفف) ، والكامل — بشرح المرصفى ٣ : ٦٣ ، وذكر بعده :

زيّنَها اللهُ فى الفُؤَادِ كما زُيِّنَ فى عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُ

وهو أيضا فى كتاب الألفاظ ١٢١ ، ٢١٢ ؛ وذكر قبله :

ما اكتحلَتْ مقْلةٌ بِرُؤْيَتِها فمسَّها الدَّهْرَ بَعْدَها رَمَدُ

ونسب البيتين إلى عمر بن أبى ربيعة ، وهما فى ملحقات ديوانه : ٤٨٣ .

(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « البراق » بكسر الباء.

(٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « يداف » .

(٤) حاشية الأصل : « نسخة ش : المذاق ».

(٥) البيتان فى الأصمعيات : ٣٥ ، والمخصص : ١٠ : ١٠٣، واللسان (صوح).

وشِعْبٍ كَشَلِّ[١] الثَّوْبِ شَكْسٍ طَرِيقُهُ مَجَامِعُ ضَوْجَيهِ[٢] نِطافٌ مَخَاصِرُ
تَعَسَّفْتُهُ باللَّيلِ لم يَهْدِنِي لهُ دَلِيلٌ ، ولم يُحسِنْ لهُ النَّعتَ خابِرُ

قال : يعنى بالشِّعْب فمَ جارية . كَشَلِّ الثوب ، يعنى كفَّ الثوب إذا خاطه الخيّاط . والشَّكْس : الضيق ، يَصِفُها بصِغَر الفم وحسنه ورقّة الشفتين . وضوجاء : جانباه وضَوْج الوادى /: جانبه؛ ويعنى بالنِّطاف: الريق. والمخاصر : الباردة ، من الخَصَر . [٢٧٥ و]

وقوله: « لم يهدنى له دليل » ؛ أى لم يصل إليه غيرى ، كما قال جرير :

ألاَ رُبَّ يَوْمٍ قد شَرِبْتُ بمَشْرَبٍ شَفَى الغَيْمَ، لم يَشْرَبْ بهِ أحَدٌ قَبْلِى[٣]

الغيم والغين : العطش ؛ وإنما يعنى ريقَ جارية .

قال المبرّد وقال آخرون : بل يعنى شِعْباً من الشِّعاب مَخوفاً ضيّقا ، سلكه وحده .

قال أبو العباس : إنما كَنَى بالشِّعب عن فم جارية؛ ثم أخذ فى وصف الشِّعب ؛ ليكون الأمر أشدَّ التباساً .

قال سيدنا أدام الله علوّه : والأشبه أن يكون أراد شِعباً حقيقيًّا ، لأن تأبط شراً كان لصّاً وصّافا للأهوال التى تمضى به، ويعاينها فى تلصّصه. وكان كثيراً ما يصف تدلّيَه من الجبال، وتخلّصه من المضايق، وقطعَه المفاوز، وأشباه ذلك ؛ والقطعة التى فيها البيتان كلُّها تشهد بأن الوصفَ لشِعْب لا لفم جارية ؛ لأنه يقول بعد قوله: «وَشِعْبٍ كشَلِّ الثوب» :

لدُنْ[٤] مَطْلَعِ الشِّعْرَى، قَلِيلٍ أنِيسُهُ كأنَّ الطَّخا فى جانِبَيْهِ مَعاجِرُ[٥]

---

(١) حاشية الأصل . « يقال : شللت الثوب إذا خطته خياطة خفيفة » . وفى حاشية الأصل : أيضا « نسخة س : كشك » ؛ وهى رواية د ، ف ، والأصمعيات ، واللسان ، والمخصص .

(٢) كذا فى الأصول ؛ وفى حاشية الأصل : « ضوجيه : جانبيه ، والضوج : منعطف الوادى » . وفى الأصمعيات واللسان والمخصص : « صوحيه » بالصاد ، والصوح : وجه الجبل القائم .

(٣) ديوانه : ٤٦١ . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « لدى » .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الطخاء ، ممدود : السحاب ؛ ولعله قصره ضرورة. وإن رويت الطخا بالضم ، كان جمع طخية » .

بهِ منْ نجـاءِ الدَّلْوِ بِيضٌ أقَرَّها ... خَبارٌ لصُمِّ الصَّخْرِ فيهِ قَرَاقِرُ(١)
وقُرِّرْنَ حتَّى كُنَّ للْماءِ مُنْتَهًى ... وَغادَرَهُنَّ السَّيْلُ فِيما يُغادِرُ
بهِ نُطَفٌ زُرْقٌ قَلِيلٌ تُرابُهَا ... جَلَا الماءُ عنْ أرْجائها فَهْوَ حائرُ

وهذه الأوصاف كلُّها لا تليق إلا بالشَّبم دون غيره ؛ وتأوُّل ذلك على الفم تأوُّلٌ بعيد.

وقد أحسن كُثيّر فى قوله يصف ثغراً :

وَيوْمَ الحَبْلِ قدْ سَفَرَتْ وكَفَّتْ ... رِدَاءَ العَصْبِ عنْ رَتِلٍ بُرَادِ(٢)
وَعنْ نجْلَاءَ تدْمَعُ فى بَياضٍ ... إذَا دَمَعَتْ وتَنْظُرُ فِى سَوَادِ
وَعنْ مُتَكاوِسٍ فى العَقْصِ جَثْلٍ ... أثِيثِ النَّبْتِ ذِى غُدُرٍ جِعادِ(٣)

وقال أبو تمام فى هذا المعنى :

[٢٧٥ ظ] /وَعلى العِيسِ خُرَّدٌ يَتبسَّمْـ ... ـنَ عنِ الأشْنبِ الشَّتِيتِ البُرَادِ(٤)
كانَ شَوْكَ السَّيَالِ حُسْناً فأضْحَى ... دُونَه لِلفراقِ شَوْكُ القَتادِ(٥)

وقال البحترىّ :

وأرَتْنا خَدًّا يُرَاحُ لهُ الور ... دُ، ويَشْتَمُّهُ جَنَى التُّفَّاحِ(٦)
وشتيتاً يَغُضُّ مِنْ لُؤْلُؤِ النَّظْـ ... ـمِ، ويُزْرِى على شَتِيتِ الأقاحِى
فأضاءَتْ تحتَ الدُّجُنَّةِ للشَّرْ ... بِ، وكادَتْ تُضِئُ للمِصْباحِ(٧)

---

(١) حاشية الأصل : « يعنى بالدلو النجم ، وما يزعمون من كون المطر عند طلوع نجم وسقوط نجم. والنجاء : جمع نجو ، وهو السحاب الذى هراق ماءه ، ويجوز أن يكون المعنى : من مياه النجاء بيض. ، فاقتصر على ذكر النجاء ؛ لأنها تدل على المياه والخبار : الارض الرخوة » . (٢) ديوانه ٢ : ١٥٩ ، والأغانى ١٢ . ١٧٧ـــ ١٧٨ ؛ (طبع دار الكتب المصرية) . ويقال : ثغر رتل ؛ إذا كان حسن التنضيد مستوى النبات . والبراد : البارد. (٣) الشعر المتكاوس : الكثيف المتراكم . والجثل : الكثيف الملتف . (٤) ديوانه : ٧٥

(٥) حاشية الأصل : « السيال : ياسمين البر ، وله شوك . تشبه به الأسنان ؛ فيقول : كان أسنانها مثل شوك السيال حسنا ، فاعترض دونها شوك الفراق » .

(٦) ديوانه ١ : ١٢٠ . (٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « كالمصباح » .

وقال أيضاً :

سَفَرَتْ كما سَفرَ الرَّبيعُ الطَّلْقُ عنْ وَرْدٍ يُرَقْرِقُهُ الضُّحَى مَصْقولِ
وَتبَسَّمَتْ عنْ لؤلُؤٍ في رَصْفِهِ بَرَدٌ بَرُدُّ حُشاشَةَ المَتبُولِ

وقد جمع كلّ مايُوصف به الثّغر في قوله :

كأنما تَضْحكُ عَنْ لؤلؤ منضَّد أو بَرَدٍ أو أقاح[1]

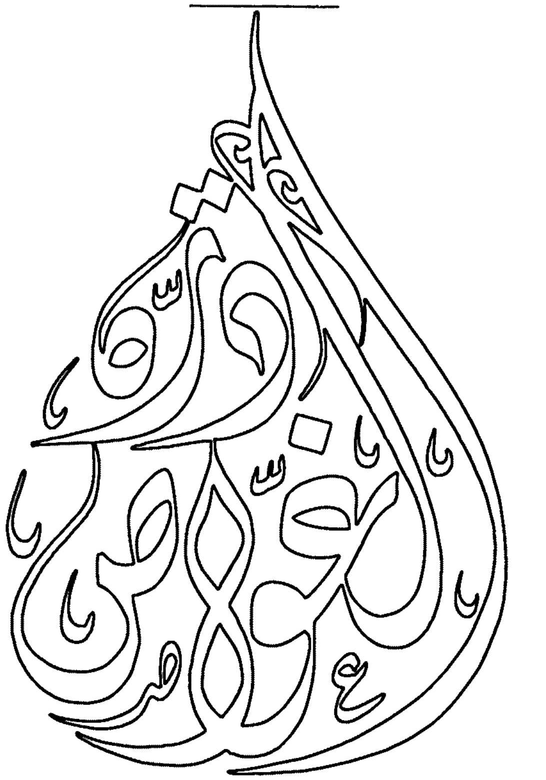

(١) ديوانه : ١ : ١١٢ .

٦٦

مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ؛ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾؛ [المائدة : ٦٠] .

فقال: ما أنكرتم أن تكون هذه الآية دالةً على أنه تعالى جعل الكافر كافراً؛ لأنه أخبر بأنه جعل منهم مَن عَبَد الطاغوت؛ كما جعل القردة والخنازير ؟ وليس يجعله كافراً إلا بأن خلق كفره ! .

الجواب ، يقال له[1]: قبل أن نتكلَّم فى تأويل الآية بما تحتمله من المعانى : [2] كيف يجوز أن يخبرنا بأنه [2] جعلهم[3]؛ كفاراً وخلق كفرهم! والكلامُ خرجَ مخرجَ الذّم لهم؛ والتوبيخِ على كفرهم، والمبالغةِ فى الإزراء عَليهم ! وأىّ مدخل لكونه خالقاً لكفرهم فى باب [٢٧٦] ذمِّهم ! وأىَّ نسبة بينه وبين ذلك ! بل لا شىء أبلغُ فى عذرهم وبراءتهم من أن يكون/ و خالقاً لما ذمَّهم من أجله . وهذا يقتضى أن يكون الكلام متناقضاً مستحيل المعنى ؛ ونحن نعلم أن أحداً إذا أراد ذمَّ غيره، وتوبيخَه وتهجينه بمثل هذا الضرب من الكلام إنما يقول : ألا أخبرُكم بشرِّ الناس وأحقّهم بالذم واللوم! مَن فعلَ كذا، وصنع كذا؛ وكان على كذا وكذا؛ فيعدِّد من الأحوال والأفعال قبائحَها ، ولا يجوز أن يُدْخِل فى جملتها ماليس بقبيح؛ ولا ما هو من فعل الذم ومن جهته؛ حتى يقول فى جملة ذلك: ومن تشاغل بالصَّنْعة الفلانية التى أسلمها إليه وحمله عليها ؛ وإن عقلاً يقبَل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف .

---

(١) حاشية الأصل : « نسخة س : لهم » . (٢—٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « كيف يجوز أن يخبر الله تعالى » . (٣) م : « يجعلهم » .

فإن قيل : أليس قد ذمّهم فى الكلام بأن جعل منهم القردةَ والخنازير ؛ ولا صُنْعَ لهم فى ذلك ! وكذلك يجوز أن يذمَّهم ويجعلهم عابدين للطاغوت ؛ وإن كان من فعله !

قيل(١) : إنما جعلهم قردة وخنازيرَ عقوبةً لهم على أفعالهم وباستحقاقهم ، فجرَى ذلك مَجرى أفعالهم ، كما ذمَّهم بأن لعنهم وغضب عليهم ؛ من حيث استحقُّوا ذلك منه بأفعالهم وعبادتهم للطاغوت ؛ فإن كان هو خلَقها فلاوجهَ لذمهم بها؛ لأن ذلك مما لا يستحقونه بفعل متقدِّم كالألَم والمَسْخ .

ثم نعود إلى تأويل الآية فنقول : لا ظاهرَ للآية يقتضى ماظنُّوه ، وأ كثر ما تضمنته الإخبارُ بأنه خلَق وجعل مَن يعبد الطاغوت كاجعل منهم القردة والخنازير؛ ولا شبهة فى أنه تعالى هوخَلق الكافر ، وأنه لاخالِقَ له سواه؛ غيرَ أن ذلك لايوجب أنه خلَق كفره وجعله كافرا.

وليس لهم أن يقولوا : كما نستفيد من قوله : ﴿ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ أنه جعل مابه كانوا كذلك ؛ هكذا نستفيد من قوله: جعل منهم من عبد الطاغوت أنه خلق مابه كان عابداً للطاغوت ؛ وذلك إنما استفدنا ماذكروه من الأول ؛ لأنّ الدليلَ قد دَلَّ على أنّ مابه يكون القرد قرداً والخنزير خنزيرا ؛ لايكون إلاّ من فعله .

وليس مابه يكون الكافر كافرا مقصورا على فعله تعالى ؛ بل قد دلَّ / الدليلُ على أنه يتعالى [٢٧٦ ظ] عن فعل ذلك وخَلْقِـه ، فافترق الأمران .

وفى الآية وجه آخر ؛ وهو ألاّ يكون قوله تعالى : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ معطوفا على القردة والخنازير ؛ بل معطوفا على ﴿ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ ؛ وتقدير الكلام: مَنْ لعنه الله، ومَنْ غضب عليه، ومَنْ عبدالطاغوت، ومَنْ جعل الله منهم القردة والخنازير ؛ وهذا هو الواجب ؛ لأن ﴿عَبَدَ﴾ فعل ، والفعل لايعطف على الاسم ، فلو عطفناه على القردة والخنازير لكنا قد عطفنا فعلا على اسم ، فالأَوْلَى عطفُه على ماتقدم من الأفعال .

(١) د ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « قلنا » .

وقال قوم : يجوز أن يعطف ﴿ عَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ على الهاء والميم فى ﴿ مِنْهُمْ ﴾؛ فكأنه جعل منهم ، ومِمّن عبد الطاغوت القردةَ والخنازير ؛ وقد يحذف « مَنْ » فى الكلام ؛ قال الشاعر :

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ(١)

أراد : ومن يمدحه وينصره .

فإن قيل : فهبُوا هذا التأويل ساغ فى قراءة مَنْ قرأ بالفتح ، أين أنتم عن قراءة مَنْ قرأ ﴿ وَعَبُدَ ﴾ بفتح العين وضمّ الباء ، وكسر التاء من ﴿ الطَّاغُوتِ ﴾، ومن قرأ ﴿ عُبُدَ الطَّاغُوتِ ﴾ بضم العين والباء ، ومن قرأ ﴿ وَعُبَّدَ الطَّاغُوتِ ﴾ بضم العين والتشديد ، ومن قرأ ﴿ وَعُبَّادَ الطَّاغُوتِ ﴾ !

قلنا : المختار من هذه القراءة عند أهل العربية كلِّهم القراءةُ بالفتح ، وعليها جميع القراء السبعة ؛ إلا حمزة فإنه قرأ : ﴿ عَبُدَ ﴾ بفتح العين وضم الباء ، وباقى القراءات شاذة غير مأخوذ بها .

قال أبو إسحاق الزجاج فى كتابه فى معانى القرآن : "﴿ عَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ نَسَقٌ على ﴿ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ ﴾" قال : "وقد قرئت ﴿ عَبُدَ الطَّاغُوتِ ﴾ ؛ و ﴿ عُبُدَ الطَّاغُوتِ ﴾؛ والذى أختاره ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾" .

"وروى عن ابن مسعود رحمه الله : ﴿ وَعَبَدُوا الطَّاغُوتَ ﴾ فهذا يقوّى : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾" قال : "ومَنْ قرأ ﴿ وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ ﴾ بضم الباء وخَفْض الطاغوت فإنه عند بعض أهل العربية ليس بالوجه من جهتين : إحداهما أن « عَبُد » على وزن « فَعُل »، وليس هذا من أمثلة الجمع ؛

[٢٧٢] / لأنهم فسّروه خدَم الطاغوت . والثانى أن يكون محمولاً على « وَجَعَل منهم عَبُداً للطّاغوت ». ثم خرّج لمن قرأ ﴿ عبُدَ ﴾ وجهاً فقال : إن الاسم بنى على « فَعُل »؛ كما يقال : رجل حَذُر أى مبالغ فى الحذر ؛ فتأويل ﴿ عَبُدَ ﴾ أنه بلغ الغاية فى طاعة الشيطان" . وهذا كلام الزجاج .

وقال أبو على الحسن بن عبد الغفار الفارسىّ محتجاً لقراءة حمزة : "ليس ﴿ عَبُدَ ﴾ لفظ

---

(١) البيت لحسان ، ديوانه : ٩ ، وروايته : « فمن يهجو ... » .

جمع ؛ ألا ترى أنه ليس فى أبنية الجموع شىء على هذا البناء ! ولكنه واحدٌ يراد به الكثرة؛ ألا ترى أن فى الأسماء المفردة المضافة إلى المعارف مالفظه لفظ الإفراد ومعناه الجمع ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ؛ [ابراهيم: ٣٤_ وكذلك قوله: ﴿ وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ ﴾ جاء على « فَعُل » لأنّ هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة ؛ وذلك نحو « يَقُظ ونَدُس »؛ فهذا كأنّ تقديره أنَّه قد ذهب فى عبادة الشيطان والتذلّل له كلَّ مذهب" .

قال: "وجاء على هذا الآن «عَبُد» فى الأصل صفة، وإن كان قد استعمل استعمال الأسماء، واستعمالهم إياه استعمالها لا يزيل عنه كونه صفة ؛ ألا ترى أنّ «الأبْرق والأبْطح»[1] وإن كانا قد استعملا استعمال الأسماء حتى كسِّرا هذا النحو عندهم من التكسير فى قولهم: «أبارق وأباطح» ؛ فلم يزُل عنه حكم الصفة ، يدُلّك على ذلك تركُهم صرفَه ، كتركهم صرفَ «أحمر» ، ولم يجعلوا ذلك كأفْكَل وأيْدع[2] ؛ وكذلك ﴿عَبُدَ﴾ وإن كان قد استعمل استعمال الأسماء لم يخرجه ذلك عن أن يكون صفة ، وإذا لم يخرج عن أن يكون صفة لم يمتنع أن يبنى بناءَ الصفات على « فَعُل »"

وهذا كلام مفيد فى الاحتجاج لحمزة ؛ فإذا صحت قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقين المختارة ، وصح أيضاً سائرُ ماروى من القراءات التى حكاها السائل كان الوجه الأول الذى ذكرناه فى الآية يزِيل الشبهة فيها .

ويمكن فى الآية وجه آخر على جميع القراءات المختلفة فى ﴿ عَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾؛ وهو أن يكونَ المراد بجعل منهم عبد الطاغوت ؛ أى نسبه إليهم، وشهد عليه بكونه مِنْ جملتهم . و«جعل» مواضع قد تكون بمعنى الخلق والفعل ؛ كقوله : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾، [الأنعام : ١]؛/ وكقوله: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾؛ [النحل: ٨١] ؛ وهى هاهنا [٢٧٧ ظ] تتعدى إلى مفعول واحد ؛ وقد تكون أيضاً بمعنى التسمية والشهادة؛ كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾؛ [الزخرف: ١٩] ؛ وكقول القائل: جعلت البصرة

(١) الأبرق : أرض فيها حجارة سود وبيض ، والأبطح : الأرض المنبطحة .

(٢) الأفكل : الرعدة، والأيدع : صبغ أحمر ؛ وهو المسمى دم الأخوين .

بغداذ، وجعلتنى كافراً، وجعلت حسنى قبيحاً ؛ وماأشبه ذلك؛ فهى هاهنا تتعدى إلى مفعولين. و«جعل» مواضع أخر لاحاجة بنا إلى ذكرها؛ فكأنه تعالى قال: ونسب عبد الطاغوت إليهم، وشهد أنهم من جملتهم.

فإن قيل : لو كانت ﴿ جَعَلَ ﴾ هاهنا على ماذكرتم لوجب أن تكون متعدية إلى مفعولين؛ لأنها إذا لم تتعد إلاّ إلى مفعول واحد فلا معنى لها إلا الخَلْق.

قلنا : هذا غلط من متوهِّمه ؛ لأن ﴿ جَعَلَ ﴾ هاهنا متعدية إلى مفعولين، وقوله تعالى : ﴿ مِنْهُمْ ﴾ يقوم مقام المفعول الثانى عند جميع أهل العربية ، لأن كلّ جملة تقع فى موضع خبر المبتدأ فهى تحسُنُ أن تقع فى موضع المفعول الثانى؛ كجعلت وظننت وما أشبههما. وقال الشاعر :

أبالأَرَاجِيزِ يابْنَ اللُّؤْمِ تُوعِدُنى وفى الأَرَاجِيزِ خِلْتُ اللؤمُ والخَوَرُ[(١)]

وقد فسر هذا على وجهين : أحدهما على الغاء « خلت » من حيث توسطت الكلام؛ فيكون «فى الأراجيز» على هذا فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ، والوجه الثانى على إعمال « خلت » فيكون « فى الأراجيز » فى موضع نصب من حيث وقع موقع المفعول الثانى . وهذا بَيِّنٌ لمن تدبره .

قال سيدنا أدام الله علوّه : أنشد ثعلب عن ابن الأعرابىّ :

أما وأبى لَلصَّبْرُ فى كلِّ خَلَّةٍ أقَرُّ لِعَيْنِى منْ غِنًى رَهْنَ ذِلَّةِ
وإنى لأَخْتارُ الظَّما فى مَواطِنٍ على بارِدٍ عَذْبٍ وأَغْنى بغُلَّةِ
وأسْتُرُ ذَنْبَ الدَّهْرِ حتى كأنَّهُ صَدِيقٌ ، وَلاَ أغْتابُهُ عِنْدَ زَلَّةِ
ولسْتُ كمَنْ كانَ ابْنَ أُمّى مُقْتِرًا فَلَمَّا أفادَ المْالَ عادَ ابْنَ عَلَّةِ
فَدَابَرْتُهُ حتى انْقَضَى الودُّ بيْنَنا وَلم أتَمَطَّقْ مِن نَدَاهُ بِبِلَّةِ
[٢٧٨ و] / وكُنْتُ لهُ عِنْدَ المِلِمَّاتِ عُدَّةً أَسُدُّ بمالِى دونَهُ كلَّ خَلَّةِ

(١) البيت للعين المنقرى يهجو العجاج ؛ وهو من شواهد الكتاب (١ : ٦٠) .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : الأولى فى هذه القطعة إطلاقها . الخَلّة : الحاجة ، والخَلّة أيضاً: الخَصْلة. والخُلّة، بالضم : المودّة ، والخُلّة أيضاً، بالضم: ما كان خلواً من المرعى. والخِلّة ، بالكسر : مايخرُج من الأسنانِ بالخِلال .

والخليل : الحبيب ؛ من المودة والمحبة ، والخليل أيضاً: الفقير ؛ وكلا الوجهين قد ذكر فى قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ ؛ [النساء : ١٢٥] ، ومنه حديث ابن مسعود : « تعلموا القرآن فإنه لا يدرى أحدكم متى يُخْتَلُّ إليه » .

قال أبو العباس ثعلب يكون من شيئين : أحدهما من الخَلّة التى هى الحاجة ؛ أى متى يُحتاج إليه ، ويكون من الخُلة وهى النبات الحلوْ ؛ ويكون معناه : متى يُشتهى ما عنده ، مُشبَّهٌ بالإبل ؛ لأنها ترعى الخُلّة فإذا ملّتْها عدَلوا بها إلى الحَمْض ؛ فإذا ملَّت الحَمْضَ اشتهت الخُلّة ؛ ومن أمثالهم : « جاءوا مُخِلِّين فلاقوا حَمْضًا » ؛ أى جاءوا مشتهين لقتالنا فلاقوا ما كرهوا .

والخَلّة أيضاً: بنت المخاض والذكر الخلّ؛ ويقال: جسم خَلّ إذا كان مهزولا؛ قال الشاعر :

فاسْقِنيها ياسَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إنَّ جِسْمى بعدَ خالِى لَخَلُّ(١)

ويقال أيضا: فصيل مخلول إذا شدّ لسانه حتى لا يرضع؛ ويقال : خَلَلْتُه فهو خليل ومخلول؛ ومثله أجررته ؛ قال الشاعر :

فلوْ أنَّ قَوْمِى أنْطَقَتنى رِماحُهُمْ نَطَقْتُ ؛ وَلَكِنَّ الرِّماحَ أَجَرَّتِ(٢)

أى لم يعملوا فى الحرب شيئاً فكنت أفتخر بهم .

وقوله :

* أقرَّ لِعيْنى مِنْ غِنًى رَهْنَ ذِلَّةٍ *

(١) من قصيدة تنسب لتأبط شرا ، وقيل إنها لابن أخته خفاف بن نضلة ، وقيل للشنفرى ، وقيل لخلف الأحمر؛ وأولها :

إنّ بالشِّعْب الذى دونَ سَلْعٍ لقتيلا دمُه مايُطَلُّ

وهى فى حماسة أبى تمام — بشرح المرزوقى ٨٢٧–٨٣٩ وانظر اللآلى : ٩١٩ .

(٢) البيت فى حماسة أبى تمام — بشرح المرزوقى ١٦١ ؛ من قطعة لعمرو بن معدى كرب .

يقول : أختار الصيانة مع الفقر أحبّ إلىّ من الغنى مع الذلّ ؛ ومثله :

إذَا كانَ بابُ الذُّلّ مِنْ جانِبِ الغِنى   سَمَوْتُ إلى العَلْياءِ مِنْ جانِبِ الفَقْرِ
صَبَرْتُ وكانَ الصَّبْرُ مِنِّى سَجِيَّةً   وَحَسْبُكَ أنَّ اللهَ أثْنى على الصَّبْرِ

وقوله :

وأستر ذنب الدهر حتى كأنه   صديق ....

أراد : أنى لا أشكو ما يمسّنى به الدهر من خَصاصة ؛ بل أستر ذلك وأُظْهِرُ التجمُّلَ حتى لا أسوء الصديق وأسر العدوّ . وهذا المعنى / أراد بقوله : « ولا أغتابه عند زلّتى » . [٢٧٨ ظ]

وقوله :

٭ فلما أفادَ المالَ عادَ ابنَ عَلَّةٍ ٭

فالعرب تقول : هم بنو أعيان ؛ إذا كان أبوهم واحدا وأمهم واحدة ؛ فإذا كان أبوهم واحداً وأمهاتهم شتى قيل أولاد علاّت ؛ ومنه الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « النبيون أولاد علاّت » ؛ أى أمهاتُهم شتّى وأبوهم واحد ؛ وكنى الشاعر بذلك عن التباعد والتقاطع والتقالى ؛ لأن الأكثر فى بنى العَلاّت ماذكرناه .

وقوله : « ودابرته » أى قاطعته .

وقوله :

٭ ولم أتمطّق من نداه ببِلّةٍ ٭

فالتمطُّق يكون بالشفتين ، والتلمّظ يكون باللسان ، وكنى بذلك عن أنه لم يصِبْ من خيره شيئاً ؛ وصان نفسه عنه .

مجلس آخر ٦٧

تأويل آية

إن سأل سائل فقال : ما تأويل قوله تعالى : ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ؛ [البقرة : ٢٢] .

وما الذى أثبت لهم العلم به ؟ وكيف يطابق وصفهم هاهنا بالعلم لوصفهم بالجهل فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ ؛ [الزمر : ٦٤] .

الجواب ، قلنا : هذه الآية معناها متعلِّق بما قبلها ؛ لأنه تعالى أمرهم بعبادته ، والاعتراف بنعمته ؛ ثم عدَّد عليهم صنوفَ النِّعم التى ليست إلا من جهته ؛ ليستدِلّوا بذلك على وجوب عبادته ؛ وإن العبادة إنما تجب لأجل النِّعم المخصوصة؛ فقال جل من قائل : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ إلى آخر الآية؛ ونبّه فى آخرها على وجوب توحيده والإخلاص له ، وألاّ يُشْرَكَ به شىء ، بقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً ﴾ أى يمكن أن تستقرُّوا عليها وتفرشوها وتتصرفوا فيها ؛ وذلك لايمكن إلا بأن تكونَ مبسوطة ساكنةً دائمة السكون .

وقد استدل أبو علىّ بذلك، وبقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً ﴾ على بطلان ماتقوّله المنجِّمون من أن الأرض كريّة الشكل ؛ وهذا القدر / لايدرك ؛ لأنه يكفى فى [٢٧٩ و] النعمة علينا أن يكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن التصرّف عليها ؛ وليس يجب أن يكون جميعُها كذلك ؛ ومعلوم ضرورة أن جميع الأرض ليس مسطوحا مبسوطا وإن كان

مواضع التصرّف منها بهذه الصفة ، والمنجّمون لايدفعون أن يكون فى الأرض بسائط وسطوح يتصرّف عليها ، ويستقرّ فيها ؛ وإنما يذهبون إلى أن بجملتها شكل الكرة .

وليس له أن يقول : قوله : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ يقتضى الإشارة إلى جميع الأرض وجملتها ؛ لا إلى مواضع منها ، لأن ذلك تدفعه الضرورة من حيث أنا نعلم بالمشاهدة أنّ فيها ماليس ببساط ولا فراش؛ ولا شبهة فى أن جَعْلَه السماء على ماهى عليه من الصّفة ممّا له تعلّق بمنافعنا ومصالحنا . وكذلك إنزاله تعالى منها الماءَ الذى هو المطر الذى تظهر به الثمرات فننتفع بنَيلها والاغتذاء بها .

فأما قوله تعالى : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ فإن الندّ هو المِثل والعِدْل ؛ قال حسان ابن ثابت :

أَتَهْجُوهُ وَلستَ لهُ بِنِدٍّ فشَرُّكما لِخَيْرِكما الفِداءُ[(1)]

فأما قوله تعالى : ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فيحتمل وجوهاً :

أولها أن يريد أنكم تعلمون أنّ الأنداد التى هى الأصنام وماجرى مجراها التى تعبدونها من دون الله تعالى لم يُنعم عليكم بهذه النعم التى عدّدها ولا بأمثالها ، وأنها لاتضرُّ ولا تنفع، ولاتسمع ولا تبصر ؛ ومعلوم أن المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام ما كانوا يدّعون ولا تعتقدون أنّ الأصنام خلقت السماء والأرض من دون الله ولا معه تعالى ؛ فالوصْف لهم هاهنا بالعلم إنما هو لتأكيد الحجة عليهم. ويصح لزومُها لهم ؛ لأنهم مع العلم بما ذكرناه يكونون أضيقَ عذرا .

والوجه الثانى أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أى تعقلون وتميزون، وتعلمون ماتقولون وتفعلون ، وتأتون وتذَرون ، لأنَّ مَن كان بهذه الصفة فقداستوفى شروطَ التكليف ، ولزمتْه الحجة ، وضاق عذره فى التخلّف عن النظر وإصابة الحق .

[٢٧٩ ظ] ونظير ذلك/ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾؛ [الزمر : ٩] و ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾؛ [فاطر: ٢٨] .

(١) ديوانه : ٩ .

والوجه الثالث ما قاله بعض المفسرين كمجاهد وغيره أن المراد بذلك أهل الكتابين التوراة والإنجيل خاصة . ومعنى ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أى أنكم تعلمون أنه إله واحد فى التوراة والإنجيل .

فعلى الوجهين الأولين لا تنافِىَ بين هذه الآية وبين قوله تعالى : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ؛ لأنّ علمهم تعلّق بشىء ، وجهلهم تعلق بغيره . وعلى الوجه الثالث إذا جعل الآية التى سُئِلْنا عنها مختصة بأهل الكتاب أمكن أن تُجعل الآية التى وُصِفوا فيها بالجهل تتناول غير هؤلاء ؛ ممن لم يكن ذا كتاب يجدُ فيه بيان التوحيد ؛ وكلّ هذا واضح بحمد الله .

* * *

قال سيدنا أدام اللهُ علوّه : ومما يفسَّر من الشعر تفاسير مختلفة ؛ والقول محتمِل للكلّ قول امرئ القيس :

وَقدْ أغْتَدِى وَمَعِى القانِصانِ ... وكلٌّ بمَرْبَأةٍ مُقْتَفِرْ(١)
فَيُدْرِكُنا فَغِمٌ دَاجِنٌ ... سَمِيعٌ بَصِيرٌ طَلُوبٌ نَكِرْ
ألصُّ الضُّرُوسِ ، حَبِىُّ الضُّلُوعِ ، ... تَبُوعٌ ، أرِيبٌ ، نَشِيطٌ ، أشِرْ
فأَنْشَبَ أظْفَارَهُ فى النَّسا ... فقُلْتُ : هُبِلْتَ ! ألاَ تَنْتَصِرْ !
فَكَرَّ إليْهِ بِمِبْرَاتِهِ ... كما خَلَّ ظَهْرَ اللِّسَانِ المُجِرْ
فَظَلَّ يُرَنِّحُ فى غَيْطَلٍ ... كما يَسْتَدِيرُ الحِمَارُ النَّعِرْ

قال ابن السِّكّيت : القانصان : الصائدان ، والمربأة : الموضع المرتفع يُرْبَأُ فيه ، والمقتفر : الذى يقتفر آثار الوحش ، يتبعها . وقال غيره : القانصان : البازى والصقر .

والفَغِم : الكلب الحريص على الصيد ؛ يقال : ما أشدَّ فَغَمه ! أى ما أشد حرصه ! ، قال الأعشى :

---

(١) ديوانه : ١٠ ـ ١٢ .

نَؤُومٌ دِيَارَ بَنِى عامِرٍ وأنْتَ بآلِ عُقَيْلٍ فَغِمْ[(١)]

أى مولَع ، والدَّاجن : الذى يألف الصيد ، والسميع : الذى إذا سمع حسًّا لم يفُتْه ، والبصير : الذى إذا رأى شيئاً من بُعد لم يكذبْه بصره، والتبوع: الذى إذا تبع الصيد أدركه ولم يعجز عن لحقوقه / ، والنَّكِر : المنكَر الحاذق بالصيد ، ويروى « نكُر » بالضم . [٢٨٠ و]

وقال ابن السكيت وغيره فى قوله :

* فَأنشَبَ أظْفَارَهُ فى النَّسا *

أىأنشب الكلب أظفاره فى نَساَ الثور ، والنَّسا: عِرْق فى الفخذ معروف . «فقلت: هُبِلْتَ » ؛ أى : فقلت للثور : هُبِلت ، ألا تنتصر من الكلب ! قالوا : وهذا تهكُّم منه بالثور واستهزاء به ، والأصل فى التهكُّم الوقوع على الشىء ؛ يقال : تهكّم البيتُ إذا وقع بعضُه على بعض .

ومعنى :

* فكرَّ إليه بمبراتِهِ *

قال ابن السكّيت وغيره : معناه : فكرَّ الثور إلى الكلب بمبراته ؛ أى بقرنه .

ومعنى:

* كما خلَّ ظهرَ اللسان المُجِرّ *

أى طعنه كما يجرّ الرجلُ لسان الفصيل ، وهو أن يقطع طرف لسانه أو يشقَّه حتى لايقدر على الشرب من خِلْف أمه ، وذلك إذا كبِر واستغنى عن الشرب.

ومعنى :

* فظل يرنِّح فى غَيْطَلٍ *

أىظل الكلب يرنّح [(٢)]، أى يميد ويتمايل كالسكران، والغَيْطل: الشجر الملتف ، ويكون أيضاً الجلبة والصياح .

---

(١) ديوانه: ٣٠ . (٢) حاشية الأصل : « ترنح : تمايل من السكر وغيره ، ورنح عليه، على مالم يسم على فاعله، إذا استدار » .

وقوله :

* كما يَسْتَدِيرُ الحمار النعِرْ *

فالنَّعر : الذى يدخل فى رأسه ذباب أزرق أو أخضر ، فيطَح برأسه وينزو ، فشبَّه الكلب فى اضطرابه ونزوِّه بالحمار النَّعِـر ، قال ابن مقبل :

تَرَى النُّعرَاتِ الزُّرْقَ تحتَ لَبَانِهِ   أُحادَ وَمَثْنَى أصْعَقَتْها صَوَاهِلُهْ[(١)]

وقال أحمد بن عُبيد : القانصان: الفرس وصاحبه ؛ والحجَّة أن الفرس تسمى قانصاً قولُ عدىّ بن زيد :

تَقْنِصُكَ الخَيلُ ويَصْطادُكَ الطَّـــيرُ ولاَ تُنْكَعُ لَهْوَ القَنِيصْ[(٢)]

أى لا تمنع به .

قال: وقوله :

* فأنْشَبَ أظفارَه فى النَّسا *

معناه فأنشب الكلب أظفاره فى نسا الثور ، فقلت لصاحب الفرس أو لغلامى الممسك للفرس : هُبِلْتَ ! ألا تدنو إلى الثور فتطعنه فقد أمسكه عليك الكلْب ! قال : ومحال أن يكون امرؤ القيس أغرى الثور بقتل كلبه ؛ لأن امرأ القيس يفخَر بالصيد ويصفه فى أكثر شعره بأنه مرزوق منه مظفَّر فيه ، كقوله :

إذَا ما خَرَجْنا قالَ وِلْدَانُ أهْلِنا: تعالوْا إلى أنْ يأْتِنا الصَّيدُ نَحْطِبِ[(٣)]

وكقوله :

مُطْعَمٌ لِلصَّيْدِ ليسَ لهُ   غيْرُهُ كَسبٌ على كِبَرِهْ[(٤)]

---

(١) اللسان (نعر) . (٢) شعراء النصرانية ٤٧٠ ، واللسان (نكع) .

(٣) خزانة الأدب ٢ : ١٩٧ ؛ ولم يرد فى ديوانه بشرح البطليوسى .

(٤) حاشية الأصل : « أى يطعم الصيد ؛ واللام دخلت للتقوية » والبيت فى اللسان (طعم) ، وشرح الستة للأعلم ص ٥٦ .

فمحالٌ على هذا أن يغرى الثور بقتل كلبه .

[٢٨٠ ظ] قال: وتأويل « ألا تنتصر ! » ألا تدنو من الثور ! / والدليل على أن « تنتصر » بمعنى «تدنو» قولُ الراعى :

وأفْرِغنَ فى وادِى جَلاَمِيدَ بَعْدَما   علا البِيدَ سافِى القَيْظَةِ المُتَنَاصِرُ

أى المتدانى .

وقال مضرّس بن ربْعىّ :

فإيّاكَ لا تُعْطِى امْرأً حَظَّ غَيْرِهِ   ولا تَمْلِكُ الشِّقَّ الذِى الغَيْثُ ناصِرُهْ

أى دانٍ منه .

ومعنى: « ألَصُّ الضّرُوس » أى بعض أسنانه ملتصق ببعض .

وحبىُّ الضلوع : أى مشرف الضلوع عاليها . ويروى : « حنى الضَّلوع » بالنون أى منحنيها. ويقال : إن الضّلوع إذا تقوّست كان أوسع لجوفه وأقوى له ؛ ويروى أيضاً: «خفىّ الضلوع » أى ضلوعه خفية داخلة فى جنبه .

ومعنى:

* فظلّ يرنّحُ فى غَيْطَلٍ *

أى ظل الثور يرنّح فى غيطل لمّا طعنه صاحب الفرس. وقد يجوز أيضاً أن يكون ترنُّح الثور لظفَر الكلب به ، ولأنه أنشب أظفاره فيه ؛ وكلٌّ ذلك محتمل .

ومما يحتمل أيضاً على وجوه مختلفة قول امرئ القيس :

فَتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رَسْمُها   لِمَا نَسَجَتْها مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ(١)

قال قوم : معناه لم يدرُسْ رسمُها لنسج هاتين الريحين فقط؛ بل لتتابع الرياح والأمطار؛ والدليل على ذلك قوله فى البيت الآخر :

---

(١) ديوانه : ١٩ .

☆ فَهلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ (١) ☆

وقال آخرون: ومعنى: «لم يعفُ رسمُها» لم يدرُس، فالرسْم على هذا القول باقٍ غير دارس.

ومعنى قوله فى البيت الآخر: «رَسْمٍ دارسٍ»، أى فهل عند رسْم سيدرُس فى المستقبل! وإن كان الساعة موجوداً غير دارس!

وقال آخرون فى معنى قوله: «لم يعف» مثل الوجه الثانى؛ أى أنه لم يدرُس أثرها لما نسجتها، بل هى بواقٍ ثوابت، فنحن نحزن لها، ونجزع عند رؤيتها، ولو عفتْ وامّحت لاسترحنا، وهذا مثل قول ابن أحمر:

أَلاَ لَيْتَ المَنَازِلَ قدْ بَلِينا   فلاَ يَبْكِينَ ذَا شَجِنٍ حزينا

ومثل قول الآخر:

أَلَيْتَ الدِّيَارَ التى تَبْقَى لِتَحْزِنَنا   كانت تَبِينُ إِذَا ما أَهْلُها بانُوا [٢٨١ و]

وليس قوله:

☆ فهلْ عند رسمٍ دارسٍ من مُعَوَّلِ ☆

نقضاً لهذا، إنما هو كقولك: دَرَسَ كتابُك، أى ذهب بعضُه وبقى بعض.

وقال أبو بكرٍ العبدىّ: معناه لم يَعْفُ رسمها من قلبى، وهو دارس من الموضع، فلم يتناول قوله: «لم يَعْفُ رَسْمُها» ما تناوله قوله: «فَهَلْ عند رسمٍ دارسٍ» من جميع وجوهه فيتناقض الكلام.

وقال آخرون: أراد بقوله: «لم يعف»، لم يدرس، ثم أكذب نفسه بقوله:

☆ فهلْ عند رسم دارسٍ من مُعَوَّل ☆

(١) ديوانه: ٢١، وأوله:

☆ وإنّ شِفَائى عَبْرةٌ مُهرَاقةٌ ☆

كما قال زهير :

قِفْ بالدِّيارِ التى لم يَعْفُها القِـدَمُ ... بلى ، وغيَّرَها الأَرْوَاحُ والدِّيَمُ(١)

وكما قال الآخر :

فلاَ تبعَدنْ يا خَيْرَ عَمرِو بن مالِكٍ ... بَلى ، إنَّ مَنْ زَارَ القُبُورَ ليَبْعَدَا

أراد « لَيبعدنْ » ، فأبدل الألف من النون الخفيفة ؛ وهذا وجه ضعيف ، وبيت زهير ليس يجب فيه ماتُوُهِّم من المناقضة والتـكذيب ؛ لأنه يمكن أن يحمل على ماذكرناه فى أحد الوجوه المتقدمة ؛ مِنْ أنه أراد أنّ رسمَها لم يعفُ ولم يبطل كلُّه ، وإن كان قد غيَّرَت الدِّيَمُ والأرواح بعضَه وأثَّرت فى بعض .

فأما البيت الثانى فلا حجَّة فيه ؛ لأنه لم يتضمن إثباتاً ونفياً ، وإنما دعا له ألا يبعَد ، ثم رجع إلى قوله : « بلى » إنه ليبعد مَنْ زار القبور ، وما يُدعَى به غـير واجب ولا ثابت ، فـكيف ينافى الإثبات الثانى !

ويمكن فى البيت وجه آخر ، وهـو أن يكون معنى : « لم يعفُ رسمها » أى لم يزد ويكثر فيظهر حتى يعرفه المترسِّم ؛ ويثبتَه المتأمل ، بل هو خاف غير لائح ولا ظاهر . ثم قال من بعد :

* فهلْ عندَ رَسْمٍ دارس من معوّل *

فلم يتناقض الأول ؛ لأنه قد أثبت الدروس له فى كلا الموضعين . ولا شبهة فى أن «عفا» من حروف الأضداد التى تستعمل تارةً فى الدروس ، وأخرى فى الزيادة والـكثرة ؛ قال الله تعالى : ﴿ حَتَّى عَفَوْا ﴾ ؛ [الأعراف : ٩٥] ؛ أى كثروا ؛ ويقـال : قد عفا الشَّعْر إذا كثر ، وقال الشاعر :

---

(١) ديوانه ١٤٥ .

ولـكِنَّا نُعِضُّ السَّيفَ مِنْهَا بأسْوُقِ عافِياتِ اللَّحْمِ كُومِ

/أراد كثيرات اللحم؛ يقال : قدعَفَا وبَرُ البعير إذا زاد؛ ويقال : أعفيت الشعر وعفوته [٢٨١ ظ]
إذا كثرته وزدت فيه، وأمَرَرسول الله صلى الله عليه وآله بأن تُحْفَى الشوارب وتُعْفَى اللِّحَى؛
أى توفر ، وهذا الوجه عندى أشبه مما تقدم .

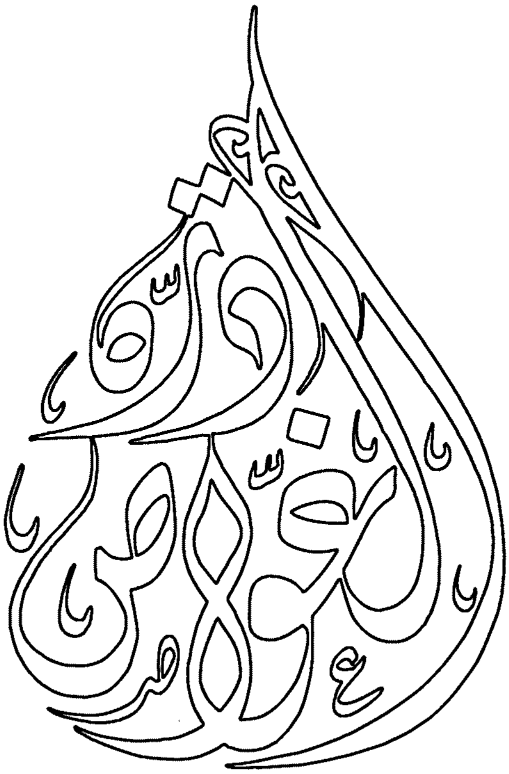

مجلس آخر ٦٨

تأويل آية

إن سأل سائل عن قـــوله تعالى : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا . فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ؛ [مريم : ٢٨، ٢٩] .

فقال : مَن هارون الذى نسبت مريم إلى أنها أخته ؟ ومعلوم أنها لم تـكن أختاً لهارون أخى موسى . ومامعنى ﴿ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ، ولفظة « كان » تدلّ على مامضى[1] وعيسى عليه السلام فى حال قولهم ذلك كان فى المهد ؟

الجواب، قلنا : هارون الذى نسبت إليه مريم قد قيل فيه أقوال :

منها أن هارون المذكور كان رجلا فاسقاً مشهوراً بالعُهْر والشرّ وفساد الطريقة، فلما أنكروا ماجاءت به من الولد، وظنوا بها ماهى مبرأة منه نسبوها إلى هذا الرجل تشبيهاً وتمثيلا ؛ وكان تقدير الكلام : ياشبيهةَ هارونَ فى فسقه وقبيح فعله؛ وهذا القول يُرْوَى عن سعيد بن جُبير .

ومنها أن هارون هذا كان أخاها لأبيها دون أمّها؛ وقيل إنه كان أخاها لأبيها وأمها، وكان رجلا معروفاً بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتألّه .

وقيل: إنه لم يكن أخاها على الحقيقة ؛ بل كان رجلا صالحا من قومها ، وإنه لما مات شيّع جنازتَه أربعون ألفاً ، كلّهم يُسَمَّى هارون ، من بنى إسرائيل ، فلما أنكروا ماظهرَ من أمرها قالوا لها : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾؛ أى ياشَبيهتَه فى الصلاح ، ما كان هذا معروفاً منك، ولا كان والدُك ممن يفعل القبيح ، ولا تتطرّق عليه الرِّيَب !

---

(١) ف : « مامضى من الزمان » .

وعلى قول مَن قال إنه كان أخاها يكون معنى قولهم : إنك من أهـل بيت الصلاح والسداد؛ لأن أباكِ لم يكن امرأ سوء ، ولا كانت أمكِ بغيّا ، وأنت مع ذلك أختُ هارون المعروف بالصلاح والعفة ، فكيف أتيتِ بما لايشبه نسبَك ، ولا يعرف مِن مثلك !

ويقوّي هذا القول مارواه المغيرة بن شعبة قال: لما أرسلنى / رسول الله صلى الله عليه وآله [٢٨٢ و] إلى أهل نَجْران قال لى أهلها : أليس نبيُّكم يزعم أن هارون أخو موسى ، وقد علم الله ما كان بين موسى وعيسى من السنين ! فلم أدر ما أردُّ عليهم حتى رجعت إلى النبى صلى الله عليه وآله فذكرت ذلك فقال لى : « فهلاَّ قلتَ إنهم كانوا يُدْعَوْن بأنبيائهم والصالحين قبلهم» !

ومنها أن يكون معنى قوله: ﴿ يَاأُخْتَ هَارُونَ ﴾ يامَن هى مِنْ نسل هارون أخى موسى ؛ كما يقال للرجل : ياأخا بنى تميم ، ويا أخا بنى فلان .

وذكر مقاتل بن سليمان فى قوله تعالى : ﴿ يَاأُخْتَ هَارُونَ ﴾ (١ قال: روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال : « هارون الذى ذكروه هو هارون أخو موسى عليهما السلام » .

قال مقاتل : تأويل١) ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ يامَنْ هى من نسل هارون ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾ ؛ [الأعراف : ٦٥] ، ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ ؛ [الأعراف: ٧٣] يعنى بأخيهم أنه مِنْ نسلهم وجنسهم .

وكلُّ قول من هذه الأقوال قد اختاره قوم من المفسرين .

فأما قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ فهو كلام مبنىّ على الشرط والجزاء ، مقصود به إليهما ؛ والمعنى : مَنْ يكن فى المهد صبيا، فكيف نكلّمه ! ووضع فى ظاهر اللفظ الماضى موضع المستقبل ، لأن الشارط لا يشرط إلا فيما يستقبل، فيقول القائل : إن زرتَنى زُرتك ؛ يريد إن تزُرْنى أزرْكَ ؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ؛ ﴾ ؛ [الفرقان: ١٠] يعنى إن يشأ يجعل .

(١ــ١) ساقط من الأصل ؛ والمثبت عن د ، ف .

وقال قُطْرب : معنى ﴿ كَانَ ﴾ هاهنا معنى صار ؛ فكأنّ المعنى : وكيف نكلّم مَنْ صار في المهد صبيا ، ويشهد بذلك قول زهير :

أجَزْتُ إليْهِ حُرَّةً أرْحَبِيَّةً وقدْ كانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الأَرَنْدَجِ (١)

وقال غيره : ﴿ كَانَ ﴾ هاهنا بمعنى خلَق ووجد ؛ كما قالت العرب : كان الحرّ ، وكان البرد ؛ أي وجدا وحدثا .

وقال قوم: لفظة ﴿ كان ﴾ وإن أريد بها الماضي فقد يراد بها الحال والاستقبال ؛ كقوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ؛ [آل عمران : ١١٠] ، أي أنتم كذلك ، وقوله تعالى : ﴿ هَلْ كُنْتُ إلاَّ بَشَراً رَسُولاً ﴾ [الإسراء : ٧٣] وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ ؛ [النساء: ١٧] ؛ وإن كان قد قيل في هذه الآية الأخيرة غيرُ هذا ؛ قيل إن القوم شاهدوا من آثار علمه وحكمته تعالى ما شاهدوا ، فأخبرهم أنه لم يزل عليما حكيما ، أي فلا تظنُّوا أنه استفاد علما وحكمة لم يكن عليهما .

[٢٨٢ ظ] ومما يقوى مذهبَ / مَنْ وضع لفظة الماضي في موضع الحال والاستقبال قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ١١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ ؛ [الأعراف : ٤٤] ؛ وقولهم في الدعاء : غفر الله لك ، وأطال بقاءك ! وما جرى مجرى ذلك .

ومعنى الكلّ يفعل الله ذلك بك ؛ إلاَّ أنه لما أَمِنَ اللبس وضع لفظ الماضي في موضع المستقبل ، قال الشاعر :

---

(١) ديوانه : ٣٢٣ ؛ والرواية فيه :

زَجَرْتُ عَلَيْهِ حُرَّةً أَرْحَبِيَّةً وَقَدْ كانَ لَوْنُ الليل مثل الْيَرَنْدَجِ

ـ الضمير يعود إلى الطريق في البيت قبله ، والحرة : الكريمة ، والأرحبية : منسوب إلى أرحب ؛ وهو بطن من همدان تنسب إليه النجائب ؛ لأنها من نسله . والأرندج واليرندج : السواد ، يسود به الخف ـ

فأدرَكْتُ منْ قدْ كانَ قَبْلِى ولم أدَعْ　　لِمَنْ كانَ بَعْدِى فى القصائدِ مَصْعَدا(١)

أراد لمن يكون بعدى .

ومما جعلوا فيه المستقبل فى موضع الماضى قول الصَّلَتان العَبْدِىّ يرثى المغيرة بن المهلَّب(٢) :

قُلْ لِلقَوافِلِ والغُزَاةِ(٣) إذا غزَوْا　　والباكِرِينَ ولِلمُجِدِّ الرَّائِحِ

إنَّ الشَّجاعَةَ والسَّماحَةَ ضُمِّنَا　　قبْرًا بمَرْوَ على الطَّرِيقِ الواضِحِ

فإذا مرَرْتَ بقَبْرِهِ فاعْقِرْ بهِ　　كُومَ الجِلادِ وكلَّ طِرْفٍ سابِحِ(٤)

وانْضَحْ جَوانِبَ قبْرِهِ بِدِمائِها　　فلقَدْ يَكُونُ أخَا دَمٍ وَذَبائِحِ

معناه : « فلقد كان كذلك » .

(١) د ، ف : «الفضائل مصعدا» ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « أى بلغت درجة من كان قبلى » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « هذه قصيدة رواها الأصمعى لزياد الأعجم ، وتروى للصلتان العبدى ؛ وهى إحدى المراثى السبع ، وقال غيره : هى لزياد الأعجم ؛ وهو من عبد القيس ، وكان يلقب بالصلتان ، وإنما قيل له الأعجم للثغة فى لسانه ، ويقال : إنه نشأ فى العجم ، وكان من أشعر أهل زمانه ؛ وكان اصطفاه المهلب بن أبى صفرة الأزدى ؛ فكان زياد يمدحه وأهله ، وكان ألثغ ، يقول للجرادة « زرادة » ، فقال له شاعر :

وما صفراء تُدْعَى أم عوف　　كأنَّ رجيْلَتَيْهـا مِنْجَلان

فقال زياد :

أردْتَ زرادةً وأظنُّ أخْرَى　　أردتَ بما أردتَ به لِسانى

وكان يقول : « أنا أقول « السعر » ، و « الأرب » تقوم لى ، أراد « الشعر » ، و « العرب » » .
والقصيدة فى أمالى اليزيدى ١ — ٧ .　　(٣) فى الأمالى : « والغزىّ » كغنى .

(٤) الكوم : جمع كوماء ؛ وهى الناقة السمينة ؛ والجلاد : جمع جلدة ؛ وهى أدسم الإبل لبنا . وفى د : « كوم المطىّ » ، وفى الأمالى : « كوم الهجان » . والطرف : الأصيل من الخيل . والسابح : الذى يجرى بقوة . وفى أمالى اليزيدى : « لما أنشد زياد الأعجم المهلب هذا الموضع من القصيدة قال : أعقرت يا أبا أمامة ؟ قال : لا والله ، أصلحك الله ! قال : ولم ؟ قال : لأنى كنت على ابنة الأتان ، قال : أما إنك لو عقرت ما بقى بالبصرة طرف عتيق ، ولا حمل نجيب إلا شدّ بمربطك أو نيخ بفنائك » .

تأويل خبر

إن سأل سائل فقال : كيف يطابق ما رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : «لاعَدْوَى ولاهامةَ ولاطِيرَة» وأنه قيل له: إن النُّقْبَةَ(١) تقع بِمِشْفَرِ البعير فتَجْرَب لذلك الإبل، فقال عليه السلام: « فما أعدى الأول؟ » لما روى عنه عليه السلام من قوله : « لايورِدنَّ ذوعاهة على مُصِحّ »، وقوله : « فِرّ من المجذومِ فرارك من الأسد »، وأن رجلا مجذوما أتاه ليبايعه بيعة الإسلام فأرسل إليه بالبيعة ، وأمره بالانصراف ، ولم يأذن له عليه السلام، وروى عنه عليه السلام أنه قال: «الشؤم فى المرأة والدار والدابّةِ»؛ وظواهر هذه الأخبار متنافية متناقضة فبيِّنوا وجه الجمع بينها .

الجواب ، قلنا : إن ابن قتيبة قد سأل نفسه عن اختلاف هذه الأخبار، وأجاب عن ذلك [٢٨٣] بما نذكره على وجهه ، ونذكر ما عندنا فيه ، فإنه خلّط / وأتى بما ليس بمرضىّ .

قال: "إنَّ لكلٍّ(٢) من هذه الأخبار معنًى وموضعاً؛ فإذا وضع موضعه زال الاختلاف".

قال : "وللعدوى معنيان :

أحدها عدوى الجُذام ، وإنّ المجذوم تشتد رائحته حتى تُسقِمَ فى الحال مجالسيه ومؤاكليه، وكذلك المرأة تكون تحت المجذوم فتضاجعه فى شعار واحد، فيوصل إليها الأذى ؛ وربما جُذِمَتْ، وكذلك ولده ينزعون فى الكبر إليه، وكذلك من كان به سُلّ ودِقّ(٣)، والأطباء تأمر بألاّ يجالَس المسلول والمجذوم ؛ ولا يريدون بذلك مَعْنَى العدوى؛ وإنما يريدون بذلك تغيُّر الرائحة، وأنها قد يسقم فى الحال اشتمامها . والأطباء أبعدُ الناس من الإيمان بِيُمْنٍ أو شؤم ، وكذلك النُّقْبَة تكون بالبعير وهو جَرَبٌ رطب ، فإذا خالط الإبل وحاكّها أوصل إليها بالماء الذى يسيل منه نحواً مما به ؛ فهذا هو المعنى الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا يُورِدَنّ ذو عاهة على مُصِحّ »" .

---

(١) النقبة : أول شىء يظهر من الجرب ؛ وجمعها نقب . (وانظر نهاية ابن الأثير ٤ : ١٦٨) .

(٢) تأويل مختلف الأحاديث ص١٢٣ ومابعدها؛ مع اختلاف فى العبارة . (٣) الدق: نوع من الحمى .
و١٠٤ وعيون الأخبار ١/١٤٤

قال : ”وقد ذهب قــوم إلى أنه أراد بذلك ألاَّ يظن أنَّ الذى نال إبله من ذوات العاهة ، فيأثم .“

قال: ”وليس لهذا عندى وجه؛ لأنا نجد الذى خبرتك به عيانا»“ .

قال: ”وأما الجنس الآخر من العدوى فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرَج منه خوفا من الطاعون، وحكى عن الأصمعىّ عن بعض البصريين أنه هرب من الطاعون ، فركب حمارا ومضى بأهله نحو سفَوان(١) ، فسمع حاديا يحدو خلفه، وهو يقول :

الصاهل والشاحج ٤٥٩

لنْ يُسْبَقَ اللهُ على حِمارِ ولاَ على ذى مَيْعَةٍ مُطّارِ(٢)
أوْ يأتِيَ الحقّ(٣) على مِقْدارِ قدْ يُصْبِحُ اللهُ أمامَ السَّارِى

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « إذا كان بالبلد الذى أنتم فيــه فلا تخرجوا منه ». وقال أيضا: « إذا كان ببلد فلا تدخلوه »؛ يريد بقوله : «لا تخرجوا» من البلد إذا كان فيه. كأنــكم تظنون أن الفِرار من قَدَر الله تعالى ينجيكم؛ ويريد بقوله: «إذا كان ببلد فلا تدخلوه» إن مقامكم بالموضع الذى لا طاعون فيه أسكَن لأنفسكم، وأطيب لعيشكم / “. قال : ”ومن [٢٨٣ ظ] ذلك المرأة تعرف بالشؤم، والدارُ ، فينال الرجل مكروهاً أو جائحة فيقول: أعْدَتْنى بشؤمها»“. قال: ”فهذا الذى قال فيه عليه السلام : « لا عدوى »“ .

”فأما الحديث الذى رواه أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال : «الشؤم فى المرأة والدار والدابّة » فإن هذا يتوهَّم فيه الغلط على أبى هريرة ، وأنه سمع من النبى صلى الله عليــه وآله شيئا فلم يَعِه .“

وروى ابن قتيبة خبراً ورفعه إلى أبى حسَّان الأعرج أنَّ رجلين دخلا على عائشة فقالا: إن أباهريرة يحدّث عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال : « إنمــا الطِّيَرة فى المرأة والدار والدابة »، فطارت

(١) سفوان : منزل قريب من البصرة . (٢) الميعة: مصدر ماع الفرس إذا جرى .
(٣) حاشية الأصل : « نسخة س : الحتف » ، وهى رواية ابن قتيبة .

شِقَقاً[1] فقالت : كذب والذى أنزل القرآن على أبى القاسم ، مَنْ حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله! وإنما قال رسول الله : «كان أهل الجاهلية يقولون: إن الطيرة فى المرأة والدار والدابة» ، ثم قرأتْ : ﴿ مَاأَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾؛ [الحديد : ٢٢] .

وروى خبرا يرفعه إلى أنس بن مالك قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله إنا نزلنا دارا فكثر فيها عددُنا ، وكثر بها أموالنا ، ثم تحولنا منها إلى أخرى ، فقلَّتْ فيها أموالنا ، وقلّ عددنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «ذروها فهى ذميمة» .

قال ابن قتيبة: "وهذا ليس ينقض الحديث الأول؛ وإنما أمرهم بالتحوُّل منها؛ لأنهم كانوا مقيمين فيها على استثقال ظلِّها ، واستيحاشٍ لما نالهم فيها ، فأمرهم بالتحوّل منها، وقد جعل الله فى غرائز الناس وتركيبهم استثقالَ ما نالهم السوء فيه ؛ وإن كان لاسبب لهم فى ذلك ؛ وحب مَن جرى على يده الخير لهم وإن لم يردهم به ، وبغض مَنْ جرى على يده الشر لهم وإن لم يردهم به .

قال سيدنا أدام الله علوه : ما وجدنا ابن قتيبة عمل شيئاً أكثر من أنه لما أعجزه تأويلُ الأخبار التى سأل نفسه عنها، والمطابقة بينها وبين قوله عليه السلام : «لاعدوى ولاطيرة» ادّعى الخصوص فيما ظاهره العموم، وخصَّ العدوى بشىء دون آخر ؛ وكلاهما سواء، وأورد تأويلا / يدفعه نص قول النبي صلى الله عليه وآله ؛ لأنه عليه السلام لما سئل عن النُّقْبة تقع بمشفر [٢٨٤ و]
البعير فتجربُ لذلك الإبل قال عليه السلام: «فما أعْدَى الأول ؟» تكذيبا بعدوى هذه النُّقْبة وتأثيرها ، فاطّرح ابن قتيبة ذلك، وزعم أن الجرب يُعْدِى ويؤثر فى المخالط والمؤاكل ، وعوَّل فى ذلك على قول الأطباء ، وترك قول الرسول صلى الله عليه وآله .

ومن طريف أمره أنه قال: "إن الأطباء يَنهوْن عن مجالسة المسلول والمجذوم؛ ولا يريدون

---

(١) الشفقة فى الأصل : القطع .

بذلك معنى العدوى ، وإنما يريدون تغيُّر الرائحة؛ وأنها تُسْقِم من أدْمَن اشتمامها". وهذا غلط لأن الأطباء إنما تنهى عن ذلك خوفا من العدوى ، وسببُ العدوى عندهم هو اشتمام الرائحة، وانفصال أجزاء من السقيم إلى الصحيح ، وليس إذا كان غير هذا عدوى عند قوم مايوجب ألاَّ يكون هذا أيضا من العدوى .

ولما حكى عن غيره تأويلا صحيحا فى قوله عليه السلام. « لايوردنّ ذو عاهة على مُصِحّ » ادّعى أن العِيان يدفع، وأىّ عِيان معه! ونحن نجد كثيرا ممن يخالط الجربى فلا يجرب، ونجد إبلاً صحاحا تخالِط ذوات العاهات فلا يصيبها شىء من أدْوائها ؛ فكأنه إنما يدّعى أن العيان يدفع قول النبى صلى الله عليه وآله: « فما أعدى الأول » ؟

والوجه عندنا فى قول النبى عليه السلام: « لايورَدنَّ ذو عاهة على مصحّ » أنه عليه السلام إنما نهى عن ذلك ؛ وإن لم يكن مؤثرا على الحقيقة ؛ لأنّ فاعلَه كالمدخل الضرَر على غيره ؛ لأنّ من اعتقد أن ذلك يُعدى ويؤثر فأورد على إبله ؛ فلا بدّ من أن يلحقه لما تقدم من اعتقاده ضرر وغمّ ، ولا بُدّ من أن يذم مَنْ عامله بذلك ؛ فكأنه عليه السلام نهى عن أذى الناس والتعرّض لذمهم .

وقد يجوز أيضاً فيه ماحكاه ابن قتيبة عن غيرِه مما لم يرتضِه من أنهم متى ظنوا ذلك أثموا فنهى عليه السلام عن التعرض لما يؤثم .

ولو نقل ابن قُتيبة ماقاله عليه السلام فى الطاعون: « إذا كان ببلد فلا تدخلوه »، وأمرَه لمن شكى إليه مالحقه فى الدار بالتحوّل عنها إلى هاهنا لكان قد أصاب ، لأنه حمل ذلك على أن تجنّبَ البلد أسكنُ للنفس وأطيب للعيش؛/ وكذلك الدار، وهذا يمكن فى قوله عليه السلام : [٢٨٤] ط
« لايوردنّ ذو عاهة على مصحّ » بعينه .

فأما قوله عليه السلام : « فِرّ من المجذوم فِرارَك من الأسد » ، فليس فيه أنّ ذلك لأجل العدوى ؛ وقد يمكن أن يكون لأجل نَتن ريحه واستقذاره ، ونفور النفس عنه ، وأن ذلك رُبما دعا إلى تعييره والإزراء عليه . وامتناعُه عليه السلام من إدخال المجذوم عليه ليبايعه

يجوز أن يكونَ الغرضُ فيهِ غير العدوى ؛ بل بعض الأسباب المانعة التى ذكرْنا بعضها .

وأما حديث الطاعون والقول فيه على ماقاله ؛ فقد كان سبيله لما عوّل فى عدوى الجذام والجرَب على قول الأطباء أن يرجع أيضاً إلى أقوالهم فى الطاعون؛ لأنهم يزعمون أنّ الطاعون الذى يعرض من تغير الأهوية وما جرى مجراها يُعْدِى كعدوى الجرَب والجذام ، والعيان الذى ادعاه ليس هو أكثرَ من وجود من يجرَب أو يُجْذم لمخالطة مَنْ كان بهذه الصفة . وهذا العِيان موجودٌ فى الطاعون؛ فإنا نرى عمومه لمن يسكُن البلد الذى يكون فيه ، ويطرأ إليه .

فأما الخبر الذى يتضمّن أن الشؤم فى المرأة والدار والدابة ، فالّذى ذكره من الرواية فى معناه يزِيل الشبهةَ به؛ على أنه لو لم يكن هاهنا رواية فى تأويله جاز أن يُحْمَل على أن الذى يتطير به المتطيّرون ، ويدّعون أن الشؤم فيه هو المرأة، والدار ، والدابة ؛ ولا يكون ذلك إثباتا للطِّيَرَة والشؤم فى هذه الأشياء؛ بل على طريق الإخبار بأنَّ الطِّيَرة الثابتة إنما هى فيها لقوّة أمرها عند أصحاب الطِّيَرَة وما ذكره بعد ذلك فى الدار ؛ وأمره عليه السلام بانتقاله عنها تأويل قريب ؛ وكان يجب أن يهتدى إليه فيما تقدم. وما التوفيق إلا من عند الله.

مجلس آخر ٦٩

تأويل آية

إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾؛ [الشورى : ٥١].

فقال : أَوَلَيْسَ ظاهرُ هذا الكلام يقتضى جواز الحجابَ عليه وأنتم تمنعون من ذلك !

الجواب ، / قلنا : ليس فى الآية أكثر من ذكر الحجاب ، وليس فيها أنه حجاب له [٢٨٥ و] تعالى أو لمحلّ كلامه أو لمن يكلّمه . وإذا لم يكنْ فى الظاهر شىء من ذلك جاز صَرْفُ الحجاب إلى غيره عز وجل ؛ مما يجوز أن يكون محجوباً . وقد يجوز أن يريد تعالى بقوله : ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أنه يفعل كلاما فى جسم مُحتَجِب على المكلَّم، غير معلوم له على سبيل التفصيل ، فيسمع المخاطبُ الكلامَ ولا يعرف محلّه على طريق التفصيل ، فيقال على هذا : هو مكلَّم من وراء حجاب .

وروى عن مجاهد فى قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً﴾ قال : هو داود أُوحِيَ فى صَدْره فزبر الزَّبور ، ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ وهو موسى، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ وهو جبريل إلى محمد صلى الله عليه وآله .

فأما الجُبّائىّ فإنه ذكَر أنَّ المراد بالآية : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ﴾ إلا مثل مايكلِّم به عباده من الأمر بطاعته ، والنهى لهم عن معاصيه ، وتنبيهه إيّاهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام ، وما أشبه ذلك على سبيل الوحْى .

قال : وإنما سمى الله تعالى ذلك وحياً لأنه خاطر وتنبيه ، وليس هو كلاما لهم على سبيل الإفصاح، كما يفصح الرجل منّا لصاحبه إذا خاطبه . والوحىُ فى اللغة إنما هو ماجَرَى مجرى الإيماء والتنبيه على شىء من غير أن يُفْصِح به ؛ فهذا هو معنى ماذكره الله تعالى فى الآية .

قال : وعَنَى بقوله : ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ أن يحجُب ذلك الكلام عن جميع خلقه، إلا مَنْ يريد أن يكلّمه به ؛ نحو كلامه تعالى لموسى عليه السلام ، لانه حجب ذلك عن جميع الخلْق إلا موسى عليه السلام وحدَه فى كلامه إياه أولا . فأما كلامه إياه فى المرة الثانية فإنه إنما أسمع ذلك موسى والسبعين الذين كانوا معه، وحُجِب(١) عن جميع الخلق سواهم. فهذا معنى قوله عزوجل: ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾، لأن الكلام هو الذى كان محجوبا عن الناس .

وقد يقال : إنه تعالى حُجِب عنهم موضعُ الكلام الذى أقام الكلام فيه ؛ فلم يكونوا يدرون مِنْ أين يسمعونه ؛ لأنّ الكلام عَرَضٌ لا يقوم إلا فى جسم .

ولا يجوز أن يكون أراد بقوله : ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ أنّ الله تعالى كان ﴿ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ / يكلّم عباده ؛ لأن الحجاب لايجوز إلاَّ على الأجسام المحدودة . [٢٨٦ ظ]

قال : وعنى بقوله : ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَايَشَاءُ ﴾ إرساله ملائكته بكتبه وبكلامه إلى أنبيائه عليهم السلام ، ليبلّغوا عنه ذلك عباده على سبيل إنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وآله، وإنزاله سائر الكتب على أنبيائه .

فهذا أيضا ضربٌ من الكلام الذى يكلّم الله تعالى عبادَه ويأمرهم فيه بطاعته، وينهاهم عَنْ معاصيه؛ من غير أن يكلّمهم على سبيل ما كلّم به موسى، وهذا الكلامُ هو خلاف الوحْى الذى ذكره(٢) الله تعالى فى أول الآية لأنه قد أفصح لهم فى هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه . والوحْىُ الذى ذكره تعالى فى أول الآية إنَّما هو تنبيه وخاطرٌ ، وليس فيه إفصاح .

وهذا الذى ذكره أبو علىّ أيضاً سديد ، والكلام محتمل لما ذكره .

ويمكن فى الآية وجه آخر ، وهو أنْ يكون المرادُ بالحجاب البعدَ والخفاء ، ونفْىَ الظهور . وقد تستعمل العربُ لفظة «الحجاب» فيما ذكرناه ؛ يقول أحدهم لغيره إذا استبعد فهمه ، واستبطأ فِطْنَته : بينى وبينك حجاب ، وتَقول للأمر الذى تستبعده وتستصعب طريقَه : بينى وبين هذا الأمر حُجُبٌ وموانع وسواتر ؛ وما جرى مَجْرى ذلك ؛ فيكون

(١) د ، حاشية ف (من نسخة) : « حجبه » .

(٢) حاشية الأصل : « ش « ذكر » ، بالبناء للمجهول .

معنى الآية : أنه تعالى لا يكلّم البشر إلاّ وحياً ؛ بأنْ يُخْطر فى قلوبهم ، أو بأنْ ينصِب لهم أدلةً تدُلّهم على مايريده أو يكرهه منهم ؛ فيكون من حيث نصبها للدلالة على ذلك والإرشاد إليه مخاطباً ومكلّما(١) للعباد بمايدلُّ عليه . وجعل هذا الخطابَ من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعا ـ كما يُسْمَع الخاطر وقولُ الرسول ـ ولاظاهراً معلوما لكل من أدركه ؛ كما أن أقوالَ الرسل المؤدِّين عنه تعالى من الملائكة بهذه الصفة . فصار الحجابُ هاهنا كناية عن الخفاء وعبارة عمّا تدلُّ عليه الدلالة . وليس لأحد أن يقول : إنّ الذى تدلُّ عليه الأجسام من صفاته تعالى وأحواله ومراده . ولا يقال : إنّه تعالى مكلّم لَنَا به ؛ وذلك أنه غير ممتنع على سبيل التجوّز(٢) أن يقال فيما يدلُّ عليه الدليل الذى نصبه الله تعالى ليدل على مراده ، ويرشد إليه : إنه مكلِّم لنا ومخاطب به ؛ / ولا يمتنع المسلمون [٢٨٦ و] أن يقولوا : إنه تعالى خاطبنا بما دلَّتْ عليه الأدلة العقلية ، وأمرنا بعبادته واجتناب ما كرهه منا ، وفعل ما أراده ، وهكذا يقولون فيمن فعل فعلا يدل على أمر من الأمور : قد خاطبنا فلان بما فعل من كذا وكذا ، وقال لنا ، وأمرنا ؛ وزجرنا ، وما أشبه ذلك من الألفاظ التى يُجرونها على الكلام الحقيقى . وهذا الاستعمال أكثر وأظهر من أن يورد أمثلته ونظائره.

* * *

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ومن مستحسَن ماقيل فى الذئب قولُ أسماء بن خارجة ابن حِصْن الفزارىّ :

وَلقد أَلَمَّ بنا لِنَقْرِيَهُ   بادِى الشَّقاء مُحارَفُ الكَسْب(٣)
يَدْعُو الغِنى أَنْ نالَ عُلْقَتَه   مِنْ مَطْعَمٍ غِبًّا إلى غِبِّ

(١) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « أو مكلما » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « التجويز » .

(٣) من قصيدة له فى الأصمعيات ٩ـ١١ ، مطلعها :

إنّى لسائلُ كلِّ ذى طبٍّ   ماذا دواء صبابة الصبِّ

وَطَوَى ثَمِيلَتَهُ وَأَلْحَقَهَا ... بالصُّلْبِ بَعْدَ لُدُونَةِ الصُّلْبِ
يا ضَلَّ سَعْيُكَ ما صَنَعْتَ بِمَا ... جَمَّعْتَ مِنْ شُبٍّ إلى دُبٍّ !
لوْ كُنْتَ ذا لُبٍّ تَعِيشُ بِهِ ... لَفَعَلْتَ فِعْلَ المَرْءِ ذِي اللُّبِّ
وجَمَعْتَ صالحَ ما اخْتَرَفْتَ وما ... جَمَّعْتَ مِنْ نَهْبٍ إلى نَهْبِ
وأظُنُّهُ شَغْباً تُدِلُّ بِهِ ... فلقَدْ مُنِيتَ بغايَةِ الشَّغْبِ
أو كانَ غيرَ مَناصِلٍ نَعْصِي بها ... مَشْحُوذَةٍ وَرَكائِبَ الرَّكْبِ(١)
فاعْمِدْ إلى أهلِ الوَقِيرِ فما ... يَخْشاكَ غيرُ مُقَرْمَصِ الزَّرْبِ
أحَسِبْتَنَا مِمَّنْ تُطِيفُ بِهِ ... فاخْتَرْتَنا لِلأَمْنِ والخِصْبِ
وبِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ ولاَ سَبَبٍ ... أَنِّى ، وشَعْبُكَ ليسَ مِنْ شَعْبِي
لمَّا رأى أنْ ليسَ نافِعَهُ ... جِدٌّ تَهاوَنَ صادِقَ الإِرْبِ
وأَلَحَّ إلْحاحاً لحاجَتِهِ(٢) ... شَكْوَى الضَّرِيرِ ومَزْجَرَ(٣) الكَلْبِ
بادِي التَّكَلُّحِ يَشْتَكِي سَغَباً ... وأنا ابنُ قاتِلِ شِدَّةِ السَّغْبِ
[٢٨٦ ظ] /فرَأَيْتُ أنْ قدْ نِلْتُهُ بأَذًى ... مِنْ عَذْمٍ(٤) مَثْلَبَةٍ وَمِنْ سَبِّ
ورَأَيْتُ حقًّا أنْ أُضَيِّفَهُ ... إذْ أمَّ سِلْمِي واتَّقَى حَرْبِي(٥)
فوَقَفْتُ مُعْتَاماً أُزاوِلُها ... بِمُهَنَّدٍ ذِي رَوْنَقٍ عَضْبِ
فعَرَضْتُهُ في ساقِ أَسْمَنِها ... فاجْتازَ بينَ الحاذِ والكَعْبِ

---

(١) د ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ف : « إذ كان » ؛ ويقال : عصى بالسيف يعصى؛ إذا ضرب به. وفى حاشيتى الأصل ، ف : « عروض هذا البيت من القطعة سالم ، لأنها « متفاعلن » ، وأعارض سواه أحذ وضربه أحذ مضمر » . (٢) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « لحاجته » .

(٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « بمزجر الكلب » .

(٤) العذم : العض ؛ ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « من بعد مثلبة » ؛ ومن نسخة أخرى : « من عظم مثلبة » .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « يجوز أن يكون معناه : فرأيت إن عاملته بشىء يؤذينى ويرجع باللوم والسب علىّ ، فأعطيته تفاديا من ذلك » .

فَتَرَكْتُهُ[1] لِعيالِهِ جَزَراً عَمْدًا وعَلَّقَ رَحْلَها صَحبى

ذكر ذئبا طرقه ليلا .

وقوله : « محارف الكسب » مَثَلٌ ضَربه ، أى لا يبقى له نَشَبٌ إلا شىء يكتسبه .

وقوله :

* يدعو الغنى أن نال عُلْقَتَهُ *

أى إن وجد ما يتملّق به من مطعم .

غِبًّا : أى بين يومين ، فذلك عنده الغِنَى .

والثَّميلة : ما يبقى فى البطن من طعام أوعَلَف ، ومعنى طوى ثميلته : ذهب بها، وأراد أنه لم يبق فى بطنه ما يمسكه . واللدونة : اللين، واللدْن : اللين ، فأراد أنه ألحق بقية طعامه بصلبه بعد أن لان ما صلُب منها .

ثم أقبل على الذئب كالعاذل له فقال : ماصنعت بما جمعت من شُبَّ إلى دُبَّ ! وهذان اسمان للشباب والهرَم لايفرَدان ولايلفظ بهما إلا هكذا ، والمعنى فيهما : هومنذ كنتَ شابا حتى أن دببتَ على العصا ، ثم قال : لو كنت ذا لُبّ لجمعت ماتصيبه .

ومعنى « احترفت » اكتسبت . ومعنى « من نَهْب إلى نَهْب »؛ أى من عَدْوَتِكَ على الغنم إلى العدْوة الأخرى .

ثم قال : إن كان تعرُّضك لنا شَغْبا علينا فقد مُنِيتَ بغاية الشَّغْب ؛ أى هو يُنافرك ويقاتلك ، وليس هاهنا ما تُغير عليه، وإنما معنا « مَناصِل » أى سيوف مشحوذة ، وركائبنا التى نمتطيها ؛ فاعمِدْ إلى أهل الوقير ، والوقير : القطيع من الغنم ، ولا يسمَّى وقيراً إلا إذا كان فيه حمار ؛ يقول: فمليك بمواضع الغنم فإنما يخشاك الراعى .

والمقرْمِص : الذى يتخذ القُرْموصة ، وأصـله المكان الضيّق ، وهو ها هنا

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فتركتها » .

حفرة[١] يحتفرها الراعى فى الرمل فى شدة الحر للشاة الكريمة الصفيَّة ؛ حتى إذا بركت كان ضرعها فى القُرْ موصة .

ومعنى « شعبك ليس من شعبى »، أى لست من جِنْسى ولا شكلى .

والإرب : الخديعة عند الحاجة

وشكوى الضرير : الذى قد مسه الضرُّ . ومزجر الكلب ، أى هو قريب المكان بقدْر مزجَر الكلب إذا زجرته ، أى إذا خسأته .

[٢٨٧ و] والسّغب : الجوع؛ وأراد/ بقوله :

☆ وأنا ابن قاتل شدة السَّغْب ☆

أى أنا ابنُ مَنْ كان يَقْرِى ويطعم .

ثم رجع إلى كرمه فقال : ورأيتُ بعدماسببتهُ وعضضته بالأذى والعَدْم أن أضيفه وأقريَه لأنه ضيْف وإن كان ذئبا ، فوقفت أنظر فى ركائبى وأختار أسمنها . والاعتيام : الاختيار ؛ وأزاولها : ألابسها[٢] . والحاذان : حدّا الفخذيْن اللذين يليان الذنَب .

وخبّر أن رحل المطيّة التى عَقَرها علّقه بعضُ أصحابه على مطية أخرى .

☆ ☆ ☆

وقال النجاشىّ[٣] يذكر ذئبا :

---

(١) د ، وحاشية ف (من نسخة) : « حفيرة » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ألامسها » .

(٣) هو قيس بن عمرو بن مالك الحارثى ؛ ذكره ابن قتيبة فى الشعراء ٢٨٨ ـ ٢٩٣ ؛ وفى حاشيتى الأصل ، ف : « قال ابن دريد : النجاشىّ : كلمة حبشية يسمون ملوكهم بها ؛ كما يسمون كسرى وقيصر . وقال غيره : النجاشى ، بسكون الياء ولا يجوز تشديده قال س : قرأت أنا بخط ابن جنى : النجاشىّ ؛ بكسر النون والتشديد وصحح عليه . وفى شعر الفرزدق « والنجاشيا » . وانظر الاشتقاق ص ٢٣٩ والأبيات فى حماسة ابن الشجرى ٢٠٧ ، ومعانى ابن قتيبة ٢٠٧ ـ ٢٠٨ . وخزانة الأدب : ٤ ـ ٣٦٧

وَماءٍ كَلَوْنِ الغِسْلِ قَدْ عادَ آجِناً ... قَلِيلٌ به الأصْوَاتُ فى بَلَدٍ مَحْلِ (١)
وَجَدْتُ عليْه الذِّئْبَ يَعْوِى كأَنَّهُ ... خَلِيعٌ خَلاَ مِنْ كلِّ مالٍ ومِنْ أهْلِ (٢)
فَقُلتُ لهُ : ياذِئْبُ هلْ لكَ فى فَتًى ... يوَاسى بلاَ مَنٍّ علَيْكَ ولاَ بُخْلِ ؟
فقالَ : هَدَاكَ اللهُ لِلرُّشْدِ ! إنَّما ... دَعَوْتَ لِمَا لمْ يأْتِهِ سَبُعٌ قَبْلى
فلَسْتُ بآتِيهِ وَلاَ أَسْتَطِيعُهُ ... وَلاَكِ اسْقِنى إنْ كانَ ماؤُكَ ذافَضْلِ (٣)
فَقُلْتُ : عليْكَ الحَوْضَ إنّى تَرَكْتُهُ ... وفى صَغْوِهِ فضْلُ القَلُوصِ منَ السَّجْلِ (٤)
فطَرَّبَ يَسْتَعْوِى ذِئاباً كثِيرَةً ... وَعدَّيتُ ، كلٌّ مِنْ هَوَاهُ على شُغْلِ (٥)

٭ ٭ ٭

وروى أن الفرزدقَ نزل بالغَرِيَّيْن فعراه بأعلى ناره ذئب ، فأبصره مقعياً يَصِىء ومع الفرزدق مسلوخة ، فرمى إليه بيد فأكلها ، فرمى إليه بما بقى فأكله ؛ فلما شبع ولّى عنه فقال :

وليلَةَ بِتْنا بالغَرِيَّيْنِ ضافَنَا ... على الزّادِ مَوْشِىُّ الذِّرَاعَيْنِ أطْلَسُ (٦)
تَلَمَّسَنَا حتى أتانا ولم يَزَلْ ... لَدُنْ فطَمَتْهُ أمُّه يَتَلَمَّسُ

---

(١) قال البغدادى : « كان النجاشىّ عرض له ذئب فى سفر له ، فدعاه إلى طعام وقال له : هل لك ميل فى أخ — يعنى نفسه — يواسيك فى طعامه بغير من ولا بخل ؟ فقال له الذئب : قد دعوتنى إلى شىء لم يفعله السباع قبلى من مؤاكلة بنى آدم ، وهذا لايمكننى فعله ، ولست بآتيه ولا أستطيعه ؛ ولكن إن كان فى مائك الذى معك فضل عما تحتاج إليه فاسقنى منه . وهذا الكلام وضعه النجاشىّ على لسان ذئب ؛ كأنه اعتقد فيه أنه لو كان ممن يعقل أو يتكلم لقال هذا القول وأشار به إلى تعشقه للفلوات التى لاماء فيها ، فيهتدى الذئب إلى مظانه فيها » . والغسل : مايغسل به من سدر ونحوه ، والآجن : الماء المتغير الطعم . وفى المعانى « كاون البول » . (٢) الخليع : الذى خلعه أهله لجناية وتبرءوا منه .

(٣) البيت من شواهد الرضى على أن حذف النون من « لكن » لالتقاء الساكنين ضرورة ؛ تشبيها بالتنوين أو بحرف المد واللين من حيث كانت ساكنة . وأورده سيبويه فى باب ضرورة الشعر (الكتاب ١ : ٩) وقال الأعلم : « حذف النون لالتقاء الساكنين ضرورة لإقامة الوزن ؛ وكان وجه الكلام أن يكسر لالتقاء الساكنين ، شبهها فى الحذف بحرف المد واللين ؛ إذا سكنت وسكن ما بعدها ؛ نحو يغزو العدو ، ويقضى الحق ، ويخشى الله » . (٤) الصغو : الجانب المائل ؛ وضبطت فى الأصل بالفتح والكسر معا ، والسجل : الدلو العظيمة . (٥) التطريب : ترجيع الصوت ومده .

(٦) ديوانه : ٤٨٥ ، وحماسة ابن الشجرى ٢٠٨ . أطلس : أغبر تعلوه حمرة .

فلوْ أنَّهُ إذْ جاءَنا كانَ دَانياً   لأَلبَسْتُهُ لوْ أنـهُ يتلبَّسُ(١)

ولـكنْ تَنَحَّى جَنْبَةً بعْدَ ما دَنَا   فـكانَ كقابِ القَوْسِ أوهُوَ أنْفَسُ

فَقاسَمْتُه نِصْفَيْنِ بيْنِي وبَيْنَهُ   بَقِيَّةَ زَادٍ والرَّكائِبُ نُعَّسُ(٢)

وكانَ ابْنُ ليْلَى إذْ قِرَى الذئْبَ زَادَهُ   على طارِفِ الظَّلْماءِ لا يتَعبَّسُ(٣)

* * *

[٢٨٧ ظ] / ولابن عنقاء الفزاريّ، واسمه قيس بن بَجْرَة ـ وقيل بُجْرَة بالضم ـ الأبيات المشهورة في الذئب :

وأعْوَجَ مِنْ آلِ الصَّرِيحِ كأنَّهُ   بِذِي الشَّثِّ سِيدٌ آبهُ اللَّيْلُ جائِعُ(٤)

بَغَى كَسْبَهُ أطْرَافَ لَيْلٍ كأنَّهُ   ولَيْسَ بهِ ظَلْعٌ منَ الخَمْصِ ظالِعُ

فلمَّا أتاهُ(٥) الرِّزْقُ مِنْ كلِّ وِجْهَةٍ   جُنُوبَ المَلاَ وآيَسَتْهُ المَطامِعُ(٦)

طَوَى نَفْسَهُ طَيَّ الجَرِيرِ كأنَّهُ   حَوَى حَيَّةٍ فى رَبْوَةٍ ، فهو هاجِعُ(٧)

فلمَّا أصابَتْ مَتْنَهُ الشَّمْسُ حَكَّهُ   بأعْصَلَ ، فى أنيابِهِ السَّمُّ ناقِعُ(٨)

---

(١) ف : « لو أنه كان يلبس » ، وهى رواية الديوان وابن الشجرى

(٢) د، ف : « زادى » ، وهى رواية الديوان .

(٣) د ، ف : « طارق الظلماء » ؛ وهى رواية الديوان .

(٤) الأبيات فى المؤتلف والمختلف : ١٥٨ ، أعوج : فرس والصريح : فحل من خيل العرب؛ وفى حاشيتى الأصل ، ف : « ش : آخر الليل » ؛ ورواية البيت فى المؤتلف :

ويخْطُو على صُمٍّ صِلابٍ كأنّه   بذى الشَّثِّ سيدٌ آخر الليل جائِعُ

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « أباه » .

(٦) حاشية الأصل : « نسخة ابن الشجرى : « أيأسته » .

(٧) حاشية الأصل : « حوى حية ، أى تحوى حية ، وحوى الحية : مقدار استدارتها » .

(٨) يريد بالأعصل: الناب المعوج.

وفكَّكَ لَحْيَيْهِ فلمّا تَعادَيا ... صَأَى ثمَّ أقْعَى، والبلادُ بَلاقِعُ(١)
وَهَمَّ بأمْرٍ ثمَّ أزْمَعَ غيْرَهُ ، ... وإن ضاقَ رِزْقٌ مَرَّةً فَهْوَ واسِعُ
وعارَضَ أطْرافَ الصَّبا وكأنَّهُ ... رِجاعُ غَديرٍ هَزَّهُ الرِّيحُ رائِعُ (٢)

ولآخر فى الذئب :

فَقُلْتُ : تَعَلَّمْ أنَّنى غيرُ نائِمٍ ... إلى مُسْتَقِلٍّ بالخيانة أنيَبا
بَعِيدِ المَطافِ لا يُفِيدُ على الغِنَى ... ولا يَأْتَلى ما اسْطاعَ إلاّ تَكَسُّبا

معنى « أنيَب » غليظ الناب. لا أنام إليه ، أى لا أثق به ، من ذلك استنمتُ إلى فلان أى اطمأننت إليه .

ومعنى « لا يفيد على الغنى » أى لا يلتمس مطعما وهو شبعان .

ولحُميد بن ثور فى الذئب :

فَظَلَّ يُراعِى الجَيْشَ حتى تَغَيَّبَتْ ... حُباشُ ، وَحالَتْ دُونَهُنَّ الأجارِعُ(٣)
إذا ما غدا يوْماً رَأَيْتَ غَيابَةً(٤) ... من الطَّيرِ يَنْظُرْنَ الَّذى هُوَ صانِعُ
خَفِيفُ المِعا إلاَّ مَصِيراً يَبُلُّهُ ... دَمُ الجَوْفِ أو سُؤْرٌ من الحَوْضِ ناقِعُ
هوَ البَعلُ الدّانِى مِنَ النّاسِ كالذى ... لهُ صُحْبَةٌ وَهْوَ العَدُوُّ المُنازِعُ
يَنامُ بإحْدَى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقى ... بأُخْرَى المَنايا، فهْوَ يَقْظانُ هاجِعُ

/ وصف ذئباً يتبع الجيش طمعاً فى أن يتخلف رجل يذب عليه لأنه من بين السباع لا يرغب [٢٨٨ و]

(١) صأى : صاح ، وهذا البيت والذى يليه ينسبان لحميد بن ثور (وانظر ديوانه ١٠٥ ، ١٠٦).
(٢) رجاع الغدير : ما يتراجع من الماء ويتلفف إذا ضربته الريح . والبيت فى اللسان (رجع) .
(٣) من قصيدة فى ديوانه ١٠٣—١٠٦ ، وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « حناش » ، وفى حاشية ف والأصل أيضا : « فى شعره :

* يظلّ يراعى الخنس حيثُ تيمَّمتْ *

ويعنى الخنس بقر الوحش ، الواحد أخنس وخنساء . (٤) الغيابة : كل شىء أظل الإنسان فوق رأسه .

فى القتلى ، ولا يكاد يأكل إلا ما فرَسه .

وحُباش[1] : اسم هضْبة. وقال بعضهم: وليس بمعروف أن حُباش اسم من أسماء الشمس:
وأخبر أن الطير تتبعه لتصيبَ مما يقتل .

والَصير : المِعَا . والبَهِل : الدَّهِش .

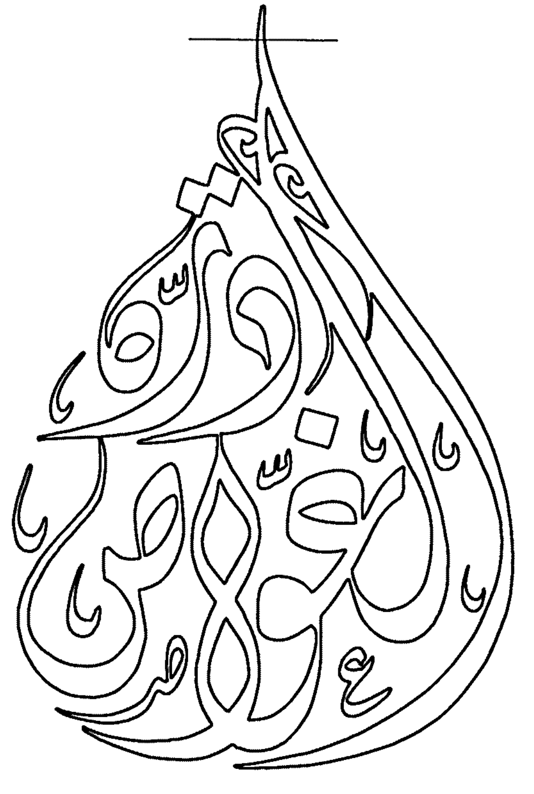

(١) م : « خباش » ، بالخاء المعجمة ، تحريف .

مجلس آخر ٧٠

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ [الأعراف: ١٤٣] .

وقال: ماتنكرون أن تكون هذه الآية دالةً على جواز الرؤية عليه عزّ وجلّ؟ لأنها لولم تَجُزْ لم يَجُزْ أن يسألها موسى عليه السلام؛ كما لا يجوز أن يسأل اتخاذ الصاحبة والولد؛ ولو كانت أيضا الرؤية مستحيلةً لم يعلّقها بأمر يصح أن يقع وهو استقرار الجبل. فإذا علمنا صحة استقرار الجبل فى موضعه فيجب أن تكون الرؤية أيضا صحيحة فى حكم ما علّقت به. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ يقتضى جواز الحجاب عليه تعالى؛ لأن التجلّيَ والظهور لايكونان إلا بعدَ احتجابٍ واستتار.

الجواب، قلنا: أولُ ماتقوله إنه ليس فى مسألة الشىء دلالة على صحة وقوعه ولا جوازه؛ لأن السائل يسأل عن الصحيح والمحال، مع العلم وفقد العلم؛ لِأغراض مختلفة؛ فلا دلالة فى ظاهر مسألة الرؤية على جوازها.

ولأصحابنا عن هذه المسألة أجوبة:

أوّلها وهو الأولى والأقوى ـ أن يكون موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه؛ وإنما سألها لقومه، فقد روى أنهم طلبوا ذلك منه والتمسوه، فأجابهم بأنها لا تجوز عليه تبارك وتعالى؛ فلم يقنعوا بجوابه، وآثروا أن يرد الجواب من قِبَل ربه تعالى، فوعدهم ذلك، وغلب فى ظنه أن الجوابَ إذ ورد من جهته جلّ وعزّ كان أحسَم للشبهة؛ وأبلغَ فى دفعها عنهم، فاختار السبعين الذين حضروا الميقات؛ / ليكونَ سؤاله [٢٨٨ ظ]

بمَحْضَرٍ منهم ، فيعرفوا مايَرِدُ من الجواب ، فسأل وأجيب بما يدلُّ على أن الرؤية لاتجوز عليه تعالى .

ويقوّى هذا الجواب أشياء، منها قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾؛ [النساء : ١٥٣] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ ؛ [البقرة: ٥٥] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ ؛ [الأعراف : ١٥٥] لأن إضافةَ ذلك إلى السفهاء تدلُّ على أنه كان بسببهم ومن أجلهم ؛ وإنما سألوا مالا يجوز عليه .

ومنها ذكر الجهرة فى الرؤية ، وهى لاتليق إلا برؤية البصر دون العلم ؛ وهذا يقوِّى أن الطلب لم يكن للعلم الضرورىّ ، على ماسنذكره فى الجواب الثانى .

ومنهاقوله: ﴿ أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ لأنا إذا حملنا الآية على طلب الرؤية لقومه أمكن أن يُحمَل قوله : ﴿ أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ على حقيقته ؛ فإذا حملت الآية على طلب العلم الضرورىّ احتيج إلى حذفٍ فى الكلام ، ويصير تقديره : أرنى أنظر إلى الآيات التى عندها أعرفك ضرورة .

ويمكن فى هذا الوجه الأخير خاصة أن يقال : إذا كان المذهب الصحيح عندكم هو أنّ النظر فى الحقيقة غير الرؤية ، فكيف يكون قوله : ﴿ أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ حقيقة فى جواب مَنْ حمل الآية على طلب الرؤية لقومه ؟

فإن قلتم: لايمتنع أن يكونوا التمسوا الرؤية التى معها يكون النظر والتحديق إلىالجهة ؛ فسأل على حَسَب ما التمسوا .

قيل لكم : هذا ينقض فَرْقكم فى هذا الجواب بين سؤال الرؤية ، وبين سؤال جميع

مايستحيل عليه من الصاحبة والولد ؛ وما يقتضى الجسمية بأن تقولوا : الشك فى الرؤية لايمنع من صحة معرفة السمع ، والشك فى جميع ماذُكِر يمنع من ذلك ؛ لأن الشكَّ الذى لايمنع من معرفة السمع إنما هو فى الرؤية التى لايكون معها نظر ، ولا تقتضى التشبيه .

فإن قلتم: يُحمَل / ذكرُ النَّظَرِ على أن المراد به نفس الرؤية على سبيل المجاز ؛ لأنَّ من عادة العرب أن يسمُّوا الشىء باسم الطريق إليه، وما قاربه وداناه . [٢٨٩ و]

قلنا : فكأنَّكم عدلتم من مَجازٍ إلى مجازٍ ؛ فلا قوة فى هذا الوجه ؛ والوجوهُ التى ذكرناها فى تقوية هذا الجواب المتقدمة أوْلى .

وليس لأحد أن يقول : لوكان عليه السلام إنما سأله الرؤيةَ لقومه لم يضف السؤال إلى نفسه فيقول : ﴿ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ ولا كان الجواب مختصا به ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ ، وذلك لأنه غير ممتنع وقوعُ الإضافة على هذا الوجه؛ مع أن المسألة كانت من أجل الغير ؛ إذا كانت هناك دلالة تؤمِن من اللبس وتزيل الشبهة .

فلهذا يقول أحدنا إذا شفع فى حاجة غيره للمشفوع له : أسألك أن تفعلَ بى كذا ، وتجيبنى إلى كذا . ويحسن أن يقول المشفوع إليه : قد أجبتك وشفَّعتك[1] ، وما جَرى مجرى ذلك؛ وإنما حَسُن هذا لأن للسائل فى المسألة غرضاً[2]، وإن رجعتْ إلى الغير فتحققُّه بها وتكلفه كتكلُّفه إذا اختصه ولم يتعدّه .

فإن قيل ؛ كيف يجوز منه عليه السلام مع علْمه باستحالة الرؤية عليه تعالى أن يسأل فيها لقومه ! ولئن جاز ذلك ليجوزَنَّ أن يسألَ لقومه سائرَ مايستحيل عليه من كونه جسما ، وما أشبهه متى شكُّوا فيه.

قلنا : إنما صحّ ماذكرناه فى الرؤية ولم يصحّ فيما سألتَ عنه ؛ لأن مع الشك فى جواز الرؤية التى لا تقتضى كونه جسما يمكن معرفة السمع ، وأنه حكيم صادق فى أخباره ، فيصح

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « أسعفتك » .

(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « أغراضا » .

أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالةَ ما شكُّوا فى صحته وجوازه ؛ ومع الشك فى كونه جسما لا يصحُّ معرفة السمع ، فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم .

وقد قال بعض مَن تكلم فى هذه الآية : قد كان جائزا أن يسأل موسى عليه السلام لقومه مايعلم استحالته؛ وإن كانت دلالة السمع لاتثبت قبل معرفته؛ متى كان المعلوم أن فى ذلك صلاحا للمكلَّفين فى الدين ، وإنَّ ورود الجواب يكون لطفا لهم فى النظر فى الأدلة، وإصابة الحق منها؛ غيرَ / أن مَنْ أجاب بذلك شرط أن يتبين النبى عليه السلام فى مسألته علمَه باستحالة ماسأل عنه ، وأن غرضه فى السؤال ورود الجواب ليكون لطفاً . [٢٨٩ ظ]

والجواب الثانى فى الآية أن يكون موسى عليه السلام إنما سأل ربَّه أن يعلمه نفسه ضرورة بإظهار بعض أعلام الآخرة، التى تضطرّ إلى المعرفة، فتزول عنه الدواعى والشكوك والشبهات، ويستغنى عن الاستدلال ، فتخفّ المحنة عليه بذلك ؛ كما سأل إبراهيم عليه السلام ربه تعالى أن يرَيه كيف يحيى الموتى طلبا لتخفيف المحنة ، وإن كان قد عرف ذلك قبل أن يراه ؛ والسؤال إن وقع بلفظ الرؤية فإن الرؤية تفيد العلم كما تفيد الإدراك بالبصر، وذلك أظهر من أن يستدل عليه أو يستشهد عليه؛ فقال له جل وعز : ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أى لن تعلمنى على هذا الوجه الذى التمسته منى ، ثم أكّد ذلك بأن أظهر فى الجبل من آياته وعجائبه ما دلَّ به على أنَّ إظهار ماتقعُ به المعرفة الضرورية فى الدنيا مع التكليف وبيانه لا يجوز ، وأن الحكمة تمنع منه .

والوجه الأول أولى لما ذكرناه من الوجوه ؛ ولأنه لايخلو موسى عليه السلام من أن يكون شاكًّا فى أنَّ المعرفة الضرورية لايصح دخولها(١) فى الدنيا أو عالما بذلك. فإن كان شاكا فهذا مما لا يجوز على النبى عليه السلام ؛ لأن الشكَّ فيما يرجع إلى أصول الديانات وقواعد التكليف لايجوز عليهم، ولاسيما أن يُعلم الله ذلك على حقيقتهم بعضَ أمتهم ، فيزيد عليهم فى المعرفة ؛ وهذا أبلغ فى التنفير عنهم من كل شىء يمنع(٣) منه فيهم . وإن كان عالما فلا وجه لسؤاله إلا أن

(١) ف : « حصولها » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « يمتنع منه » .

يقال : إنه سأل لقومه ، فيعود إلى معنى الجواب الأول.

والجواب الثالث فى الآية ما حُكِى عن بعض مَن تكلم فى هذه الآية من أهل التوحيد وهو أن قال : يجوز أن يكون موسى عليه السلام / فى وقت مسألته ذلك كان شاكا فى جواز [٢٩٠ و] الرؤية على الله تعالى ؛ فسأل عن ذلك ليعلَم هل يجوز عليه أم لا . قال : وليس شكُّه فى ذلك بمانع من أن يعرف الله تعالى بصفاته ، بل يجرى مجرى شكِّه فى جواز الرؤية على بعض ما لا يُرى من الأعراض فى أنه غيرُ مخلّ بما يحتاج إليه فى معرفته تعالى؛ فلا يمتنع أن يكون غلطه فى ذلك ذنباً صغيرا أو تكون التوبة الواقعة منه لأجل ذلك .

وهذا الجواب يبعُد من قِبَل أن الشك فى جواز الرؤية التى لا تقتضى تشبيها، وإن كان لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته فإن الشكّ فى ذلك لا يجوز على الأنبياء من حيث يجوز من بعض مَنْ بعثُوا إليه أن يعرفَ ذلك على حقيقته ، فيكون النبيّ شاكا فيه وغيره عارفا به ؛ مع رجوعه إلى المعرفة بالله تعالى ، وما يجوز علينا فلا يجوز عليهم ، وهذا أقوى فى التنفير وأزيد على كل ما يوجب أن يجتنبه الأنبياء .

فإن قيل : ففى[1] أىّ شىء كانت توبة موسى عليه السلام على الجوابين المتقدمين؟ .

قلنا : أما من ذهب إلى أن المسألة كانت لقومه فإنه يقول : إنما تاب لأنه أقدم على أن سأل على لسان قومه مالم يؤذَن له فيه ؛ وليس للأنبياء ذلك؛ لأنه لا يؤمَن أن يكون الصلاح فى المنع منه ، فيكون ترك إجابتهم إليه منفراً عنهم .

ومَنْ ذهب إلى أنه سأل المعرفة الضرورية يقول : إنه تاب من حيث سأل معرفة لا يقتضيها التكليف. وعلى جميع الأحوال تكون التوبة من ذنب صغيرٍ لا يستحق عليه العقاب ولا الذم .

والأولى أن يقال فى توبته عليه السلام : إنه ليس فى الآية ما يقتضى أن تكون التوبةُ وقعت من المسألة أو من أمر يَرجع إليها؛ وقد يجوز أن يكون سأل ذلك ؛ إما لذنب صغير تقدم

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « فعن » .

تلك الحال، أو تقدم النبوة فلا ترجع إلى المسألة . وقد يجوز أن يكون ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع إلى الله تعالى؛ وإظهار الانقطاع إليه ، والتقرب منه ، وإن لم يكن هناك ذنب معروف .

وقد يجوز أن يكون الغرضُ فى ذلك مضافا إلى ما قلناه تعليما وتوقيفـا على ما نَستعمله وندعو به عند الشدائد ونزول الأهوال ، وتنبيه القوم المخطئين خاصة على التوبة مما التمسوه [٢٩٠ ظ] من الرؤية/ المستحيلة عليه تعالى ؛ فإن الأنبياء، وإن لم يقع منهم القبيح عندنا فقد يقعُ من غيرهم ؛ ويحتاج من وقع ذلك منه إلى التوبة والاستقالة .

فأما قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ فإن التجلّىَ هاهنا التعريف والإعلام والإظهار لما تقتضى المعرفة ، كقولهم : هذا كلام جلىٌّ أى واضح ، وكقول الشاعر :

تجلَّى لنـا بالْمَشْرَفيَّةِ والقنَا وقدْ كانَ عنْ وَقْعِ الأَسِنَّةِ نائيا

أراد أن تدبيره دل عليه حتى عُلِم أنه المدبِّر له وإن كان نائيا عن وقع الأسنة، فأقام ماظهر من دلالة فعله مقام مشاهدته ، وعبر عنه بأنه تجلّى منه .

وفى قوله : ﴿ لِلْجَبَلِ ﴾ وجهان :

أحدهما أن يكون لأهل الجبل ، ومن كان عند الجبل ، فحذف؛ كما قال تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢]؛ ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾؛ [الدخان : ٢٩]؛ وقد علمنا أنه بما أظهره من الآيات إنما دلَّ من كان عند الجبل على أن رؤيته تعالى غير جائزة .

والوجه الآخر أن يكون معنى ﴿ لِلْجَبَلِ ﴾ أى بالجبل، فأقام اللام مقام الباء؛ كما قال تعالى: ﴿ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾ ؛ [الأعراف : ١٢٣] ؛ أى به ؛ وكما يقولون : أخذتك لجرمك وبجرمك .

ولما كانت الآية الدالة على منع ماسئل فيه إنما حلّت الجبل وظهرت فيه جاز أن يضاف التجلى إليه .

وقد استدل بهذه الآية كثير من العلماء الموحّدين على أنه تعالى لا يُرى بالأبصار من حيث نفى الرؤية نفياً عاماً بقوله تعالى : ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ؛ ثم أكّد ذلك بأن علّق الرؤية باستقرار الجبل الذى علمنا أنه لم يستقرّ . وهذه طريقة للعرب فى تبعيد الشىء ؛ لأنهم يعلّقونه بما يُعلم أنه لايكون؛ كقولهم : لا كلمتك ما أضاء الفجر ، وطلعت الشمس؛ وكقول الشاعر :

إذَا شَابَ الغُرَابُ رَجَوْتُ أهْلِي ... وَصَارَ القَارُ كاللبن الحليبِ

ومما يجرى هذا المجرى قوله تعالى : ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾؛ [الاعراف: ٤٠] .

وليس لأحد أن يقول : إذا علّق الرؤية باستقرار الجبل ؛ وكان ذلك فى مقدوره ، فيجب أن تكون الرؤية معلقة به أيضاً فى مقدوره ؛ بأنه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلّقه بأمرٍ يستحيل ، كما علّق / دخولهم الجنة بأمرٍ مستحيل ؛ من وُلوج الجمل فى سَمِّ [٢٩٠ ظ] الخياط ؛ وذلك أن تشبيه الشىء بغيره لا يجب أن يكون من جميع الوجوه؛ ولمّا علّق وقوعَ الرؤية باستقرار الجبل ـ وقد علم أنه لا يستقرّ ـ عُلِمَ نفى الرؤية . وما عدا ذلك مِنْ كون الرؤية مستحيلة وغير مقدورة ، واستقرار الجبل بخلافها يخرج عن ماهو الغرض فى التشبيه على أنه إنما علّق تعالى جواز الرؤية باستقرار الجبل فى تلك الحال التى جعله فيها دكّا ، وذلك محال لما فيه من اجتماع الضِّدين ، فجرى مجرى جواز الرؤية فى الاستحالة. وليس يجب فى كل ماعُلِّق بغيره أن يجرى مجراه فى سائر وجوهه؛ حتى إذا كان أحدهما مع انتفائه مستحيلاً كان الآخر بمثابته ؛ لأن تعلّق دخول الكفار الجنة إنما علّق بولوج الجمل فى سمّ الخياط؛ وولوج الجمل فى سمِّ الخياط مستحيل ، بل معلوم أن الأول فى المقدور وإن كان لايحسن والثانى ليس فى المقدور . وهذه الجملة كافية فى تأويل هذه الآية ، وبيان مافيها ، والحمد لله .

❊ ❊ ❊

قال سيدنا أدام الله تمكينه : وإنى لأستجيد قـول أبى العيص بن حرام بن عبد الله بن قَتادة بن جابر بن ربيعة بن كابية[١] المازنىّ رضى الله عنه .

وكَمْ مِنْ صاحِبٍ قَدْ بانَ عَنِّى ... رُمِيتُ بِفَقْدِهِ وَهْوَ الْحَبِيبُ[٢]
فلَمْ أُبْدِ الذى تَحْنُو ضُلُوعِى ... عليْهِ ، وإنَّنى لأَنا الكَئِيبُ
مَخافَةَ أنْ يرَانِي مُستَكِينا ... عَدُوٌّ أو يساء به قَرِيبُ
فَيَشْمَتَ كاشِحٌ ويَظُنَّ أنِّى ... جَزُوعٌ عِنْدَ نائِبَةٍ تَنُوبُ
فَبَعْدَكَ شَدَّتِ الأَعْدَاءُ طَرْفاً ... إلىَّ وَرَابَنِى دَهْرٌ مُرِيبُ

ـ معنى ، شدّت الأعداء طرفاً ، أى نظرت إلىّ نظراً شديداً[٣] فظهر الغضبُ فى عيونها ـ

وأنْكَرْتُ الزَّمانَ وكلَّ أَهْلى ... وهَرَّتنى لِغَيْبَتِكَ الكَلِيبُ

ـ يقال : كلب وكليب مثل عبد وعبيد ـ

وكُنْتُ تَقَطَّعُ الأَبْصارُ دُونِى ... وانْ وَغِرَتْ مِنَ الغَيْظِ القلُوبُ
وَيمْنَعُنِى مِنَ الأَعْدَاءِ أنّى ... وإنْ رغمُوا لَمَخْشِىٌّ مَهِيبُ
[٢٩١ ظ] /فلَمْ أرَ مِثْلَ يَوْمِكَ كانَ يَوْما ... بَدَتْ فِيهِ النُّجُومُ فما تَغِيبُ
ولَيْلٍ ما أنامُ بهِ طويلٍ ... كأنِّى للنُّجُومِ بِهِ رَقِيبُ
وَما يكُ جائِياً لابُدَّ منهُ ... إلَيْكَ فَسَوْفَ تَجْلُبُهُ الجَلُوبُ

(١) ب ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « حارثه » .
(٢) الأبيات فى لباب الآداب ٤٠٧ ، ٤٠٨ مع اختلاف فى الرواية وعدد الأبيات .
(٣) ف : « شزراً » .

مجلس آخر ٧١

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ . فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ؛ [البقرة : ٧٢ ، ٧٣] .

فقال : كيف ذكر تعالى هذا بعد ذكره[1] البقرة والأمر بذبحها ؟ وقد كان ينبغي أن يتقدّمه ، لأنه إنما أمر بذبح البقرة لينكشف أمرُ القاتل ، فكيف أخَّر ذكر السبب عن المسبب ، وبنى الكلام بناء يقتضي أنه كان بعده ؟

ولم قال : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً ﴾ ، والرواية وردت بأن القاتل كان واحداً ؟ وكيف يجوز أن يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل بينها واحد ! وإلى أيّ شيء وقعت الإشارة بقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى ﴾ ؟.

الجواب ، قيل له : أما قوله تعالى ؛ ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ ففيه وجهان :

أولهما أن تكون هذه الآية ـ وإن أُخِّرَتْ ـ فهي مقدّمة في المعنى على الآية التي ذكرت فيها البقرة ؛ ويكون التأويل : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ فسألتم موسى فقال : إنّ الله يأمرُكم أن تذبحوا بقرة ، فأخر المقدم وقدم المؤخر ؛ ومثل هذا في القرآن وكلام العرب كثير. ومثله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً . قَيِّماً ﴾ [الكهف : ١ ، ٢] .

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « بعد ذكر البقرة » .

وقال الشاعر :

إنَّ الفرَزْدَقَ صَخْرَةٌ ملمومةٌ طالَتْ ـ فلَيْسَ تنالُها ـ الأَوْعالا(١)

أراد : طالت الأوعال فليس تنالها .

ومثله :

طافَ الخَيالُ وأيْنَ منكَ لماما ! فارْجِعْ لزَوْرِكَ بالسَّلامِ سَلاما

أراد : طافَ الخيالُ لِماما وأيْنَ هو مِنْكَ !

والوجه الثانى أن يكون وجه تأخير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً﴾ أنه عُلِّق بما هو [٢٩٢] متأخر فى الحقيقة ، وواقع بعد ذبح البقرة ، وهو قوله تعالى : ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى﴾؛ لأن الأمر بضرب المقتول ببعض البقرة إنما هو بعد الذبح ؛ فكأنه تعالى قال : ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ولأنكم ﴿قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ أمرناكم أن تضربوه ببعضها، لينكشف أمره. فأما إخراجُ الخطاب مخرج ما يتوجّه إلى الجميع مع أن القاتل واحد فعلَى عادة العرب فى خطاب الأبناء بخطاب الآباء والأجداد، وخطاب العشيرة بما يكون من أحدها ؛ فيقول أحدهم : فعلتْ بنو تميم كذا، وقتل بنو فلان فلاناً ؛ وإن كان القاتل والفاعل واحدا من بين الجماعة ؛ ومنه قراءة مَن قرأ : ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ﴾ [التوبة : ١١١] ؛ بتقديم المفعولين على الفاعلين؛ وهو اختيار الكسائى وأبى العباس ثعلب ؛ فيُقتَلُ بعضهم ويَقتُلون ؛ وهو أبلغ فى وصفهم وأمدح لهم، لأنهم إذا قاتلوا وقُتلوا بعد أن قُتل بعضهم كان ذلك أدلّ على شجاعتهم وقلة جزعهم وحسن صبرهم .

وقد قيل : إنه كان القاتلان اثنين ، قتلا ابن عم لهما ، وإن الخطاب جرى عليهما بلفظ الجمع ؛ كما قال تعالى : ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء : ٧٩] ؛ يريد داود وسليمان

(١) البيت فى شرح شواهد سيبويه للأعلم (٢ : ٣٥٦) .

عليهما السلام ؛ والوجه الأول أولى وأقوى بشهادة الاستعمال الظاهر له ، ولأن أكثرَ أهل العلم أجمعوا على أن القاتل كان واحداً .

ومعنى ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾ فتدارأتم؛ أى تدافعتم، وألقى بعضُكم القتلَ على بعض؛ يقال: دارأتُ فلانا إذا دافعته وداريتَه ، إذا لاينته ، ودريتُه إذا ختلتَه ؛ ويقال : ادَّرأ القوم إذا تدافعوا .

والهاء فى قوله : ﴿ فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ تعود إلى النفس، وقيل: إنها تعود على القِتْلة ، أى اختلفتم فى القتلة؛ لأن ﴿ قَتَلْتُمْ ﴾ تدل على المصدر ؛ والقِتْلة من المصادر، تدل عليها الأفعال ، ورجوع الهاء إلى النفس أولى وأشبه بالظاهر .

فأما قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ المَوْتَى ﴾ فالإشارة وقعت به إلى قيام المقتول عند ضربه ببعض أعضاء البقرة؛ لأنه رُوِىَ أنه قام حياً وأوداجُه تشخب دماً، فقال: قتلنى فلان!

ونبّه الله تعالى بهذا الكلام وبذكر هذه القصة على جواز ما أنكره مشركو قريش واستبعدوه من البعث وقيام الأموات ؛ لأنهم قالوا : ﴿ أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴾ ؛ [الإسراء : ٤٩] ؛ فأخبرهم الله تعالى بأنّ الذى / أنكروه واستبعدوه هيّن عليه، [٢٩٢ ظ] غيرُ متعذر فى اتساع قدرته .

وكان مما ضرب تعالى لهم من الأمثال، ونبّههم عليه من الأدلة ذكر المقتول الذى ضُرِب ببعض البقرة فقام حيا . وأراد تعالى : أننى إذا كنت قد أحييتُ هذا المقتول بعد خروجه من الحياة، ويئِس قومُه من عَوْده وانطواء خبر كيفية قتله عنهم، ورددتُه حياً مخاطباً باسم قاتله؛ فكذلك فاعلموا أن إحياءَ جميع الأموات عند البعث لا يُعْجِزُنى ولا يتعذر علىّ . وهذا بين لمن تأمله .

* * *

قال سيدنا أدام الله علوّه : ومن الشعر المشهور بالجودة فى ذم الدنيا والتذكير بمصائبها قولُ

نهشل بن(١) حَرِّيّ يرثى أخاه مالكا:

ذَكَرْتُ أخِي المُخَوَّلَ بعْدَ يَأسٍ(٢) ... فهَاجَ علىَّ ذِكْرَاهُ اشْتِياقِى

فلاَ أنْسَى أخِى مادُمْتُ حيًّا ... وإخْوانِى بأقْرِنَةِ العِناقِ(٣)

يَجُرُّونَ الفِصَالَ إلى النَّدَامَى ... بروضِ الحَزْنِ مِنْ كَنَفَىْ أُفاقِ(٤)

ويُغلونَ السِّبَاءَ إذَا أتَوْهُ ... بِضُمْرِ الخَيْلِ والشَّوْلِ الحِقاقِ(٥)

إذَا اتَّصَلوا وقالوا : ياَلَغَوْثٍ! ... وراحُوا فى المُحَبَّرَةِ الرِّقاقِ(٦)

أجابَكَ كلُّ أرْوَعَ شَمَّرِيٍّ ... رَخِيِّ البَالِ مُنْطَلِقِ الخِناقِ(٧)

أُناسٌ صالِحُونَ نَشأْتُ فيهِمْ ... فأوْدَوْا بَعْدَ إلْفٍ واتساق

مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ ولبِثْتُ عنهمْ ... وَلكِنْ لاَ مَحالةَ من لَحاقِ(٨)

كذِى الإلْفِ الذى أدْلَجْنَ عنهُ ... فَحَنَّ ولا يَتُوقُ إلى مَتاقِ(٩)

---

(١) هو نهشل بن حرىّ بن ضمرة بن ضمرة ، شاعر شريف مشهور مخضرم، بقى إلى أيام معاوية ، وكان مع على فى حروبه ، وقتل أخوه مالك بصفين ؛ وهو يومئذ رئيس بنى حنظلة ، وكانت رايتهم معه ؛ ورثاه نهشل بمراث كثيرة . (وانظر الشعر والشعراء ٦١٩ـ٦٢١) .

(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : رواية أبى محمد الأسود : بعد هدء » .

(٣) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « العناق ، بفتح العين وكسرها : موضع » .

(٤) « أفاق : موضع فى بلاد يربوع .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « السباء فى الأصل : شراء الخمر ، وأراد هاهنا نفس الخمر ؛ وعلى هذا قول لبيد :

* أُغْلِى السِّبَاءَ بكلِّ أدْكَنَ عاتقٍ *

والشول : جمع شائلة ؛ وهى الناقة التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها ، والحقاق : الضوامر، يعنى أنهم يبيعون الخيل والإبل ويشترون بها الخمر .

(٦) المحبرة : الثياب المنقشة . (٧) الأروع : الذى يعجبك حسنه وجماله ، والشمرىّ : الماضى فى الأمور ؛ وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « دارىّ » . (٨) حاشية الأصل : « نسخة س : « لا محالة فى لحاق » ، ورواية الأسود « فى لحاق » . (٩) فى حاشيتى الأصل ، ف من نسخة : « كذا الإلف » .

أرَى الدُّنْيَا ونَحْنُ نَعِيشُ فِيهـا   مُوَلِّيَـةً تَهَيَّأُ لانْطلاَقِ
أعاذِلَ قدْ بَقِيتُ بَقاءَ قَيْسٍ   وَما حَىٌّ على الدُّنْيَا بباقِ
[هَبَطْتُ السَّيْلَحِين وذاتَ عِرْقٍ   وأوردت المطىَّ على حِذَاق](١)
كأنَّ الشَّيْبَ والأَحْـداثَ تَجْرِى   إلى نَفْسِ الفَتى فرَسَا سِباقِ
فإما الشَّيبُ يُدْرِكُهُ وإما   يُلاقِى حَتْفَهُ فِيما يلاقِى
/فإنْ تَكُ لِمَّتِى بالشَّيْبِ أمْسَتْ   شَمِيـطَ اللَّوْنِ واضِحَةَ المُشاقِ(٢) [٢٩٣ و]
فقَـد أغدُو بِدَاجِيَةٍ أُرانِي   بهـا المُتَطَلِّعَاتِ من الرِّوَاقِ(٣)

ـ الداجية : اللمّة السوداء . وأُرانى : « أُفاعِل » ، من المراناة ـ

إلىَّ كأنَّهنَّ ظِباءُ قفْرٍ(٤)   بِرَهْبَى ، أو بباعجتى فِتاقِ(٥)
يُرَامِضْنَ(٦) الحِبالَ لِغَيْرِ وصْلٍ   وَلَيْسَ حِبالُ وَصْلِى بالرِّماقِ
وَعَهْدُ الغانيَاتِ كَعَهْدِ قَيْنٍ   وَنَتْ عنْهُ الجَعائِلُ مُسْتَذَاقِ

ـ القين : الحداد ، والجعائل : جمع جعالة وهى أجرته ، وأراد أن القينَ إذ عدم الجعالة رحلَ ولم يستقرّ فى مكان ـ

كجُلْبِ السَّوْءِ يُعجِبُ مَنْ رَآهُ   ولاَ يَشْفِى الحوَائِمَ مِنْ لَماقِ

ـ الجُلْب : الغيم الذى لامطر فيه ، والحوائم : العطاش ، ولَماقِ : شىء قليل ـ

فلاَ يَبْعَدْ مَضائِى فى المَوَامِى   وإشرافى العَلايَةَ وانصفاقِ(٧)

---

(١) ورد هذا البيت فى ف وحاشية الأصل ، من رواية الأسود . والسيلحين، وذات عرق ، وحذاق : مواضع . (٢) حاشية الأصل : « شبه الشعر بالمشاقة ؛ وهى الكتان غير المغزول » .

(٣) الرواق : الخيمة . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « نفر » .

(٥) رهبى : موضع . والباعجان : مثنى باعجة ؛ وهى متسع الوادى . وفتاق : موضع أيضا .

(٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : نسخة س : « يوامضن » ، ونسخة الأسود « يوامقن » .

(٧) العلاية : ماعلا من الأرض . والانصفاق : الانصراف .

وَغَبْرَاءَ القَتَامِ جَلَوْتُ عَنِّى (١)   بِعَجْلَى الطَّرْفِ سالِمَةِ المَآقى
وقدْ طَوَّفْتُ فى الآفاقِ حتى   سَئِمْتُ النَّصَّ بالقُلُصِ العِتاقِ (٢)
وكم قاسَيْتُ مِنْ سنَةٍ جَمَادٍ   تَمَضُّ اللَّحْمَ مادُونَ العُرَاقِ (٣)
إذا أفنَيْتُها بُدِّلتُ أُخْرَى   أعُدُّ شُهورَها عَدَّ الأَوَاقى
وَأفْنَتْنى الشُّهُورُ وَلَيْسَ تَفْنى   وَتَعْـدَادُ الأَهِلَّةِ وَالمِحاقِ
وما سَبَقَ الحَوَادِثَ لَيْثُ غابٍ   يَجُرُّ لِعِرْسِهِ جَزَرَ الرِّفاقِ
[كُمَيْتٌ تعجز الحُلَفَاءُ عنْهُ   كبغل المرْج حُطَّ من الزِّنَاقِ] (٤)
[تنازعه الفريسةَ أم شبلٍ   عبوس الوجه فاحشة العِناقِ] (٤)
وَلا بَطَلٌ تفادَى الخَيْلُ مِنْهُ   فِرَارَ الطَّيرِ مِنْ بَرَدٍ بُعَاقِ (٥)
[كريمٌ من خزيمةَ أو تميمٍ   أغرّ على مساعِفةٍ مِزاقِ] (٦)
[فذلك لن تخاطأه المنايا   فكيف يقيه طولَ الدهر واقِ]

☆☆☆

وأحسنَ حارثةُ بنُ بدر الغُدَانىّ فى قوله :

يا كعبُ ماراحَ مِنْ قَوْمٍ ولا ابْتَكَروا   إلاَّ وَلِلمَوْتِ فى آثارِهِمْ حادِى
[٢٩٣ ظ] /يا كَعْبُ ماطَلَعَتْ شَمْسٌ ولاَ غَرَبَتْ   إلاَّ تُقَرِّبُ آجالاً لِميعادِ

ولأبى العتاهية فى هذا المعنى :

إذَا انْقَطَعَتْ عَنى منَ العَيْشِ مُدَّتِى   فإنَّ بُكاءَ الباكياتِ قليلُ (٧)

---

(١) حاشية الأصل : نسخة الأسود « نفضت » .   (٢) النص : أرفع السير .

(٣) العراق : العظام التى يقشر عنها معظم اللحم وتبقى عليه بقية .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : والزنقة : المضيق فى الجبل ، وجمعه زناق » .

(٥) البعاق : المندفع. (٦) تكملة من رواية الأسود فى حاشيتى الأصل ، ف. والمساعفة : المساعدة ، والمزاق : المسرعة التى تمزق الهواء .   (٧) هذه الأبيات فى حماسة ابن الشجرى ١٤٢ ، مع اختلاف فى الترتيب وعدد الأبيات .

سَيُعْرَضُ عن ذِكْرِى وتُنْسى مَوَدَّتى ... وَيَحْدُثُ بعْدِى لِلخَليلِ خَليلُ
أَجلكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إلى الغنى ... وكلُّ غَنِىٍّ فى العُيُونِ جَلِيلُ
وليْسَ الغنى إلا غِنًى زَيَّنَ الفتى ... عَشِيَّةَ يَقْرِى أَوْ غَداةَ يُنِيلُ
ولم يَفْتَقِرْ يَوْماً وإنْ كانَ مُعْدِماً ... جَوَادٌ ولم يَسْتَغْنِ قَطُّ بَخِيلُ
إذَا مالَتِ الدُّنيا إلى المرْءِ رَغَّبَتْ ... إليْهِ ، وَمالَ النَّاسُ حيْثُ يَمِيلُ
أَرَى عِلَلَ الدُّنيا علىَّ كثِيرَةً ... وَصاحِبُها حتى المماتِ عَلِيلُ
وإنّى وإنْ أصْبَحْتُ بالمَوْتِ مُوقِناً ... فلى أَمَلٌ دُونَ اليَقِينِ طَوِيلُ(١)

وقد أحسن البحترىُّ فى قوله فى هذا المعنى :

أُخَىَّ متى خاصَمْتَ نَفْسكَ فاحْتَشِدْ ... لهـا، وَمَتى حَدَّثْتَ نَفْسكَ فاصْدُقِ
أرَى عِلَلَ الأَشْياءِ شتَّى وَلاَ أرَى الـ ... ـجَمْعَ إلاَّ غاية لِلتفَرُّقِ(٢)
أرَى العَيْشَ ظِلاًّ تُوشِكُ الشَّمْسُ نَقْلَهُ ... فكِسْ فى ابْتِغاءِ العَيْشِ كَيْسكَ أوْ مِقِ(٣)
أرَى الدَّهْرَ غُولاً لِلنُّفُوسِ وإنما ... يَقِى اللهُ فى بَعْضِ المَوَاطِنِ مَنْ يَقِى
فلا تُتْبِعِ الماضِى سُؤَالَكَ لِمْ مَضى ... وعَرِّجْ على الباقِى فَسائِلْهُ لِمْ بَقِى
ولمْ أَرَ كالدُّنْيَا خَلِيلَةَ صاحِبٍ ... مُحِبٍّ مَتى تَحْسُنْ بِعَيْنَيْهِ تُعْنِقِ(٤)
تَرَاها عياناً وَهْىَ صَنْعَةُ واحِدٍ ... فَتَحْسبُها صُنْعَى لَطِيفٍ وأَخْرَقِ

وقد قيل إن السبب فى خروج البحترىّ عن بغداد فى آخر أيامه كان هذه الأبيات ؛ لأن بعض أعدائه شنّع عليه بأنه ثنوىّ من حيث قال :

* فتحسبها صنعىْ لطيف وأَخْرَقِ *

وكانت العامة حينئذ غالبة على البلد ، فخاف على نفسه فقال لابنه أبى الغوث : قم يابنىّ حتى نطفئ عنا هذه الثائرة بخَرْجةٍ نلِمّ فيها ببلدنا؛ فخرج ولم يعد .

(١) لم أعثر على هذه الأبيات فى ديوانه ؛ وهى فى مجموعة المعانى ٥ ، ٦ مع اختلاف فى الرواية .

(٢) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) ، مجموعة المعانى : « علة للتفرق » .

(٣) مق ، أى تحامق . (٤) مجموعة المعانى، د، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « تطلق » .

وأحسن أيضاً غاية الإحسان فى قوله :

أَغْشَى الخُطُوبَ فإمّا جِئْنَ مأرَبَتى ... فيما أُسيِّرُ أوْ أحْكَمْنَ تأدِيبى (١)
إنْ تَلْتَمِسْ أَخْلافَ الخُطوبِ (٢) وإنْ ... تَلَبَّثْ مَعَ الدَّهْرِ تَسْمَعْ بالأعاجِيبِ

وفى قوله :

مَتى تَسْتَزِدْ فَضْلاً مِنَ العُمْرِ تَغْتَرِفْ ... بسَجْلَيْكَ مِنْ شَهْدِ الخُطُوبِ وَصابِها (٣)
تُشَذِّبُنا (٤) الدُّنْيا بأخْفَضِ سَعْيِها ... وَغُولُ الأفاعِى بِلَّةٌ مِنْ لُعابِها
يُسَرُّ بِعُمْرانِ الدِّيارِ مُضَلَّلٌ ... وَعُمْرانُها مُستأنَفٌ مِنْ خَرابِها
ولَمْ أرْتَضِ الدُّنْيا أوانَ مَجِيئِها ... فكَيْفَ ارْتِضائِيها أوانَ ذَهابِها !
أقولُ لِمَكْذُوبٍ عنِ الدَّهْرِ زاغَ عنْ ... تَخَيُّرِ آراءِ الحِجَى وَانْتِخابِها
سَيُرْدِيكَ أوْ يُثْوِيكَ أنّكَ مُحْلِسٌ ... إلى شُقَّةٍ يُبْكِيكَ بُعْدُ مآبِها (٥)
وَهلْ أنْتَ فى مَرْمُوسَةٍ طالَ أخْذُها ... مِنَ الأرْضِ إلا حَفْنَةٌ مِنْ تُرابِها (٦)

وجدت الآمدىّ يروى فى هذا البيت « أنك مُحبَس » بالباء؛ وتفسير ذلك أنّ المعنى أنك موقوف إلى أن تصير إلى هذا ؛ من قولك: أحبست فرسا فى سبيل الله ، وأحبست داراً؛ أى أى وقفتها. والرواية المشهورة: «أنك محلِس» باللام؛ والمعنى أنك متهيئ للرحيل ومتخذ حِلْساً. والحِلْس : هو الكساء الذى يوضع تحت الرحل ؛ وهذا أشبه بالمعنى الذى قصده البحترىّ؛ وأوْلى بأن يختاره ؛ مع دقة طبعه وسلامة ألفاظه .

(١) ديوانه ١ : ٦٩ . (٢) فى الديوان : « الأمور » .
(٣) ديوانه : ١ : ٤٧ ، وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « شهد الأمور » .
(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « تسيرنا » . (٥) محلس : مقيم . والشقة : الطريقة .
(٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « حثوة » .

٧٢

مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ ، فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ / شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ؛ [الأعراف : ١٨٩ ، ١٩٠] . [٢٩٤ ظ]

فقال: أليس ظاهرُ هذه الآية يقتضى جوازَ الشرك على الأنبياء؛ لأنه لم يتقدم إلا ذكر آدم وحواء عليهما السلام ؛ فيجب أن يكون قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ يرجع إليهما .

الجواب ، قلنا : كما أنّ ذكر آدم وحواء قد تقدّم، فقد تقدم ذكر غيرهما فى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ ، ومعلوم أنّ المراد بذلك جميعُ ولد آدم ، وقد تقدم ذكر ولد آدم فى قوله : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا ﴾ ؛ والمعنى : فلما آتاهما ولداً صالحا ، والمراد بهذا الجنس دون الواحد ؛ وإن كان اللفظ لفظ واحدٍ ؛ والمعنى: فلما آتاهما جنساً من الأولاد صالحين؛ وإذا كان الأمر على ما ذكرناه جاز أن يرجع قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ إلى ولدهما؛ وقد تقدم ذكرهما .

فإن قيل : إنما وجب ردّه إلى آدم وحواء لأجل التثنية فى الكلام ؛ ولم يتقدم ذكر اثنين إلا ذكرهما .

قلنا : إن جُعِل هذا ترجيحاً فى رجوعه إليهما جاز أيضاً أن يجعل قوله فى آخر الآية: ﴿ فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وجهاً مقربا لرجوع الكلام إلى جملة الأولاد . ويجوز أن يكون أشيرَ فى التثنية إلى الذكور والإناث من ولد آدم أو إلى جنسين منهم؛ فحسنت التثنية لذلك

على أنه إذا تقدم فى الـكلام أمران ثم تلاهما حكْم من الأحكام ، وعُلم بالدليل استحالةُ تعلقُّه بأحد الأمرين وجب ردُّه إلى الآخر .

وإذا علمنا أن آدم عليه السلام لايجوز عليه الشرك لم يجزْ عودُ الـكلام إليه ، فوجب عودُه إلى المذكورين من ولده .

وذكر أبو على الجبائىّ ما نحن نورده على وجهه ، قال : إنمـا عَـنَى[1] الله تعالى بهذا أنه تعالى خلق بنى آدم[1] من نفس واحـدة ؛ لأن الإضمار فى قوله تعالى: ﴿ خَلَقَـكُمْ ﴾ إنما عَـنَى به بنى آدم، والنفسُ الواحدة التى خلقهم منها هى آدم ؛ لأنه خلق حواءَ من آدم ؛ ويقال : إنه تعالى خلقهامن ضِلَعٍ من أضلاعه[2] ؛ فرجعوا جميعاً إلى أنهم خُلِقوامن آدم ؛ وبيّن ذلك بقوله : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ؛ لأنه عنى به أنّه خلق من هـذا النفس زوجها ، وزوجها هو حواء .

وعنى بقوله : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً ﴾ ، وحمْلها[3] هو حَبَلها منه فى [٢٩٥ و] / ابتداء الحمل ؛ لأنه فى ذلك الوقت خفيف عليها .

وعَنى بقوله: ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ أنَّ مرورَهابهذا الحمل، وتصرّفها به كان عليها سهلا لخفّته؛ فلما كَـبِر الولَد فى بطنها ثقُل ذلك عليها ، فهو معنى قوله : ﴿ أَثْقَلَتْ ﴾ ؛ وثقل عليهـا عند ذلك المشىُ والحركة .

وعنى بقوله : ﴿ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا ﴾ أنهمادعَوا عند كِبَرالولد فى بطنها فقالا : لئن آتيتَنا يارَبِّ نسلاً صالحا لنـكوننَّ من الشاكرينَ لنعمتك علينا ؛ لأنهما أراد أن يكون لهما أولاد تُؤْنسهما فى الموضع الذى كانافيه ؛ لأنهما كانا فردينْ مستوحشين؛ فـكان إذا غاب أحدهماعن الآخر بقىَ الآخرُ مستوحشاً بلا مؤنس؛ فلما آتاهمانسلاً صالحا معافى ، وهم الأولاد الذين كانوا يولدون لهما لأن حواء كانت تَلِد فى كلّ بطن ذكرا وأنثى فيقال : إنهـا ولدت فى خمسمائة بطن ألف ولد .

(١ــ١) حاشية ف (من نسخة) : « إنما عنى الله تعالى خلق بنى آدم » .

(٢) م : « ويقال من طينته » . (٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « وأن حملها » .

وعنى بقوله : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ (١أى أن هـذا النسل الصالح الذى هم ذكر وأنثى جعلا له شركاء فيما آتاهما١) من نعمة؛ وأضافا تلك النعم إلى الذين اتخذوهم آلهة مع الله عزّ وجلّ من الأصنام والأوثان ، ولم يعن بقوله : ﴿ جَعَلَا ﴾ آدم وحواء عليهما السلام ؛ لأن آدم لايجوز عليه الشرك بالله لأنه نبىٌّ من أنبيائه ، ولو جاز الشرك والكفر على الأنبياء لما جاز أن يثق أحدُنا بما يؤديه إليه الأنبياء عن الله عزوجل ؛ لأن مَنْ جاز عليـه الكفر جاز عليه الكذب ومن جاز عليه الكذب لم يؤخذ بأخباره ؛ فصحَّ بهذا أنّ الإضمار فى قوله : ﴿ جَعَلَا ﴾ إنما يعنى به النسل .

وإنما ذكر ذلك على سبيل التثنية؛ لأنهم كانوا ذكراً وأنثى ، فلما كانوا صِنْفين جاز أن يجعل إخباره عنهما كالإخبار عن الاثنين إذا كانا صنفين .

وقد دلّ على صحة تأويلنا هذا قوله تعالى فى آخر الآية: ﴿ فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، فبيّن عز وجل أنّ الذين جعلوا لله شركاء هم جماعة ، فلهذا جمع إضمارهم إضمار الجماعـة ، فقال: ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾؛ مضى كلام أبى علىّ .

وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا ﴾ مضافا إلى الوجه المتقدم ـ الذى هوأنه أراد بالصلاح الاستواءَ فى الخِلْقَة والاعتدال فى الأعضاء ـ وجـهٌ آخر ؛ وهو أنّه لو أراد الصلاح فى الدين لـكان الكلامُ أيضاً مستقيما ؛ لأن الصالح فى الدين قد يجوز أن يكفُر بعدَ صلاحه ، / فيكون فى حالٍ صالحا، وفى آخر مشركا ؛ وهذا لايتنافى . [٢٩٥ ظ]

وقد استُشهد فى جواز الانتقال من خطاب إلى غيره، ومن كناية عن مذكور إلى مذكور سواه ؛ ليصحَّ ماقلناه من الانتقال من الكناية عن آدم وحوّاء إلى ولدهما بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ، فانصرف عن مخاطبة الرسول عليه السلام إلى مخاطبة المرسل إليهم ، ثم قال : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾، يعنى الرسول عليه السلام ، ثم قال : ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ ، [الفتح : ٩] ؛ وهو يعنى مُرسِل الرسول ؛ فالكلام

(١ـ١) ساقط من الأصل ، والمثبت عن د ، ف .

واحد متّصل بعضه ببعض ، والخطاب منتقل من واحد إلى غيره ؛ ويقول الهذلىّ(١) :

يالَهْفَ نَفْسِى كانَ جِدَّةُ خالِدٍ ... وَبَياضُ وَجْهِكَ لِلتُّرابِ الأَعْفَرِ

ولم يقل: وبياض وجهه .

وقال كثيِّر :

أَسِيئى بِنا، أَوْ أَحْسِنى لامَلُومَةً ... لَدَينا ، ولاَ مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ(٢)

فخاطب ثمّ ترك الخطاب . وقال آخر :

فِدًى لكَ يافَتَى وَجَمِيعُ أَهْلِى ... وَما لِى إِنَّهُ منهُ أَتانى(٣)

ولم يقل: منك أتانى .

ووجدت أبا مسلم محمد بن بحر يحملُ هـذه الآية على أنّ الخطاب فى جميعها غير متعلّق بحواء وآدم، ويجعل الهاءفى ﴿تَغَشَّاهَا﴾ ، والـكناية فى ﴿دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا﴾ و ﴿آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ راجعتين إلى مَنْ أشرك ؛ ولم يتعلق بآدم وحواء من الخطاب إلا قوله : ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ؛ لأن الإشارة فى قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلى الخلق عامة ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ، ثم خص منها بعضهم كما قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ ، فخاطب الجماعة بالتسيير فى البر والبحر ، ثم خص راكب البحر بقوله تعالى : ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ ؛ [يونس:٢٢] كذلك الآية أخبرت عن جملة البشر ؛ وأنهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها، وهما آدم وحواء عليهما السلام ثمّ عاد الذكرُ إلى الذى سأل الله تعالى ماسأل؛ فلما أعطاه إياه ادعى الشُّركاء فى عطيته .

قال: وجائز أن يكون عنى بقوله: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ المشركين؛ خصوصاً إذ كان كلُّ بنى آدم مخلوقاً من نفس واحدة وزوجها .

---

(١) هو أبو كبير، والبيت من قصيدة له فى شعر الهذليين ٢ : ١٠١ . (٢) أمالى القالى ٢ : ١٠٩ .
(٣) حاشية الأصل : « فدى وفداء كلاهما صحيح ، فإذا قلت فدى فهو مقصور من الممدود » .

ويجوز أن يكون المعنى فى قوله : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ خلق كلَّ واحد منكم من نفس واحدة ؛ وهذا يجئ كثيراً فى القرآن وفى كلام العرب ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾؛ [النور: ٤] أى فاجلدوا كل واحدٍ ثمانين جلدة .

وقال عز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ ؛ [الروم: ٢١] فلكل نفس زوج منها أى من جنسها .

﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾، أى تغشَّى كلَّ نفس زوجُها. ﴿ حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً ﴾ وهوماءالفحل . ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ أى مارتْ، والمور: التردّد والمراد تردّد هذا الماء فى رَحِم هذه الحامل. ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ أى ثقل حملها؛ أى بمصير ذلك الماء لحماً ودماً وعظماً. ﴿ دَعَوَا اللهَ ﴾ أى الرجل والمرأة لمّااستبان حَمْلُ المرأة فقالا : ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً ﴾ أى أعطاهما ماسألا من الولد الصالح نسبا ذلك إلى شركاء معه، ﴿ فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

وقال قوم: معنى ﴿ جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ أى طلبا من الله أمثالاً للولد الصالح فشركا بين الطِّلبتَيْن وتكون الهاء فى قوله: ﴿ لَهُ ﴾ راجعة إلى الصالح لا إلى الله تعالى. ويجرى مجرى قول القائل : طلبت منى درهماً فلما أعطيتك أشركته بآخر ؛ أى طلبت آخر مضافا إليه . وعلى هذا الوجه لايمتنع أن يكونا قوله : ﴿ جَعَلاَ ﴾ والخطاب كله متوجهاً إلى آدم وحواء عليهما السلام .

مجلس آخر ٧٣

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ . وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ؛ [الصافات: ٩٥، ٩٦] .

فقال : أليس ظاهرُ هذا القول يقتضى أنه خالقٌ لأعمال العباد ، لأن ﴿ مَا ﴾ هاهنا بمعنى «الذى» ؛ فكأنه قال : خلقكم وخلق أعمالكم .

الجواب ، قلنا : قد حمل أهلُ الحق هذه الآية على أنّ المراد بقوله : ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾

[٢٩٦ ظ] أى وماتعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرها ؛ مما كانوا يتخذونه أصناماً / ويعبدونها .

قالوا: وغيرمنكر أن يريد بقوله: ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ذلك ؛ كما أنه قدأراد ماذكرناه بقوله ؛ ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ لأنه لم يرد أنكم تعبدون نحتكم الذى هو فعلٌ لكم ؛ بل أراد ماتفعلون فيه النّحت ؛ وكما قال تعالى فى عصا موسى عليه السلام : ﴿ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٧] و﴿ تَلْقَفْ مَاصَنَعُوا ﴾ ؛ [طه : ٦٩] ؛ وإنما أراد تعالى أنّ العصا تلقفُ الحبال التى أظهروا سحرهم فيها ، وهى التى حلتها صنعتهم وإفكهم ؛ فقال : ﴿ مَاصَنَعُوا ﴾ و ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ وأراد ماصنعوا فيه ، وما يأفكون فيه ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ ﴾ ، [سبأ: ١٣] ؛ وإنما أراد المعمولَ فيه دون العمل ؛ (١)وهذا الاستعمال أيضاً سائغ(١) شائع ؛ لأنهم يقولون: هذا الباب عمل النّجار . وفى الخلخال: هذا من عمل الصائغ ؛ وإن كانت الأجسام التى أشير إليها ليست أعمالا ؛ وإنما عملوا فيها ؛ فحسن إجراء هذه العبارة .

فإن قيل : كلّ الذى ذكرتموه وإن استعمل فعلَى وجه المجازو الاتساع ؛ لأن العمل فى

(١ـ١) حاشية الأصل (من نسخة) : « وهذا فى الاستعمال » .

الحقيقة لايجرى إلا على فعل الفاعل دون مايفعل فيه ؛ وإن استعير فى بعض المواضع .

قلنا : ليس نسلّم لـكم أنّ الاستعمال الذى ذكرناه على سبيل المجاز ؛ بل نقول : هو المفهوم الذى لايستفاد سواه ، لأن القائل إذا قال : هـذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه إلا أنّه عمِـل فيه ، وما رأينا أحداً قط يقول فى الثوب بدلا من قوله: هذا من عمل فلان : هذا مما حلّه عمل فلان ؛ فالأول أولَى بأن يكون حقيقة .

وليس ينـكر أن يكون الأصل فى الحقيقة ماذكروه ، ثم انتقل بعرف الاستعمال إلى ماذكرناه ؛ وصار أخصَّ به ، ومما لايستفاد من الـكلام سواه ؛ كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحدّ والاعتبار فى المفهوم من الألفاظ إلا ما يستقرّ عليه استعمالهـا دون ما كانت عليه فى الأصل ؛ فوجب أن يـكون المفهوم والظاهر من الآية ماذكرناه .

على أنا لو سلّمنا أن ذلك مجاز لوجب المصير إليه من وجوه :

منها مايشهد به ظاهر الآية ويقتضيه ، ولا يسوغ سواه .

ومنها ماتقتضيه الأدلة القاطعة الخارجة عن الآية ؛ فمن ذلك أنه تعالى أخرج الـكلام مُخْرَجَ التهجين لهم ، والتوبيخ لأفعـالهم والإزراء على مذاهبهم ، فقال : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَاتَنْحِتُونَ . وَاللهُ خَلَقَـكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ / ومتى لم يكن قوله : ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المراد [٢٩٧ و]
﴿تَعْمَلُونَ﴾ فيه ؛ ليصير تقديرُ الـكلام: أتعبدون الأصنامَ التى تنحتونها، والله خلقـكم وخلق هذه الأصنام التى تفعلون فيها التخطيط والتصوير ؛ لم يكن للـكلام معنى، ولا مدخل فى باب التوبيخ . ويصيرُ على مايذكره المخالف كأنه قال : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَاتَنْحِتُونَ ﴾ والله خلقـكم وخلق عبادتـكم ؛ فأىُّ وجه للتقريع ! وهـذا إلى أن يكون عذراً أقربُ من أن يكون لوماً وتوبيخاً ؛ إذا خلق عبادتهم للأصنام ؛ فأىُّ وجه للومهم عليها وتقريعهم بها ! على أن قوله عز وجـلّ: ﴿ خَلَقَـكُم وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ بعدقوله: ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَاتَنْحِتُونَ ﴾ خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره تعالى ؛ فلا بدّ أن يكون متعلقاً بما تقدم من قوله : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَاتَنْحِتُونَ ﴾ ومؤثراً فى المنع من عبادة غير الله. فلو أفاد قوله: ﴿ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ نفسَ العمل

الذى هو النحتُ دون المعمول فيه لـكان لا فائدة فى الـكلام ؛ لأن القوم لم يكونوا يعبدون النحت ؛ وإنما كانوا يعبدون محل النحت ؛ ولأنه كان لاحظّ فى الـكلام للمنع من عبادة الأصنام. وكذلك إن حمل قوله تعالى: ﴿ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ على أعمال أُخَر ليست نحتهم ، ولاهى ما عملوا فيه لـكان أظهرَ فى باب اللغو والعبث والبعد عن التعلق بما تقدم ؛ فلم يبق إلا أنه أراد : أنه خلقـكم وما تعملون فيه النحت ، فـكيف تعبدون مخلوقا مثلـكم !

فإن قيل: لم زعمتم أنه لو كان الأمر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثانى حظّ فى باب المنع من عبادة الأصنام؟وماتنكرون أن يكون لماذكرناه وجهٌ فى المنع من ذلك؟[(١] ؛ كما أن ماذكرتموه[١)] أيضاً لو أريد لـكان وجهاً ؛ وهو أن مَنْ خلقنا وخلق الأفعال فينا لا يكون إلا الإله القديم، الذى تحقُّ له العبادة ، وغير القديم ــ كما يستحيل أن يخلقنا ــ يستحيل أن يخلق فينا الأفعال على الوجه الذى يخلقها القديم تعالى ؛ فصار لما ذكرناه تأثير .

قلنا : معلوم أن الثانى إذا كان كالتعليل للأول والمؤثر فى المنع من العبادة فلأن يتضمن أنـكم مخلوقون وما تعبدونه أوْلى من أن ينصرف إلى ما ذكرتموه ممّا لايقتضى أكثر من [٢٩٧ ظ] خلقهم دون خلْق ماعبدوه؛ وأنه لاشىء أدلّ على / المنع من عبادة الأصنام من كونها مخلوقة كما أن عابدَها مخلوق .

ويشهد لـما ذكرناه قوله تعالى فى موضع آخر : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَالاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ . وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ ؛ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢] فاحتج تعالى عليهم فى المنع من عبادة الآلهة دونه بأنها مخلوقة لا تخلق شيئا ، ولا تدفع عن أنفسها ضراً ولا عنهم ؛ وهذا واضح .

على أنه لو ساوى ما ذكروه ما ذكرناه فى التعلّق بالأول لم يَسُغْ حمله على ما ادعوْه ؛ لأن فيه عذراً لهم فى الفعل الذى عنفوابه وقُرِّعوا من أجله ؛ وقبيح أن يوبخهم بما يَعْذِرُهم؛ ويذمّهم بما ينزّههم على ما تقدم .

(١ــ١) فى حاشيتى الأصل ، ف : نسخة ش « وإن كان ماذكرتموه » .

على أنا لا نسلِّم أن مَنْ يفعل أفعال العباد ويخلقها يستحق العبادة؛ لأن مِنْ جملة أفعالهم القبائح ، ومَنْ فعل القبائح لا يكون إلهـا ، ولا تحقُّ له العبادة ؛ فخرج ما ذكروه من أن يكون مؤثراً بانفراده فى العبادة .

على أن إضافته العمل إليهم بقوله: ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ يبطل تأويلَهم الآية ؛ لأنه لو كان تعالى خالقاً له[1] لم يكن عملا لهم ؛ لأن العملَ إنما يكون لمن يُحدثه ويوجده ، فكيف يكون عملا لهم والله خلقه ! وهذه مناقضة ، فثبت بهذا أن الظاهر شاهد لنا أيضا .

على أن قوله : ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ يقتضى الاستقبال ؛ وكل فعل لم يوجد فهو معدوم . ومحال أن يقول تعالى : إنى خالق للمعدوم !

فإن قالوا : اللفظ وإن كان للاستقبال فالمراد به المضىّ ؛ فكأنه قال : والله خلقكم وما عملتم !

قلنا : هذا عدول منكم عن الظاهر الذى ادّعيتم أنكم متمسكون به ؛ وليس أنتم بأن تعدلوا عنه بأوْلى منا ؛ بل نحن أحق ؛ لأنا نعدل عنه لدلالة ؛ وأنتم تعدلون بغير حجة .

فإن قالوا : فأنتم أيضا تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تأويلكم، وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضى.

قلنا : لا نحتاج نحن فى تأويلنا إلى ذلك ؛ لأنا إذا حملنا قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ على الأصنام المعمول فيها — ومعلوم أن الأصنام موجودة قبل عملهم فيها — فجاز أن يقول تعالى: إنى خلقتها ؛ ولا يجوز أن يقول : إنى خلقت ماسيقع من العمل فى المستقبل .

على أنه تعالى/ لو أراد بذلك أعمالهم؛ لا ماعملوا فيه على ماادعوه لم يكن فى الظاهر حجة على ماريدون ؛ لأن الخلْق هو التقدير والتدبير، وليس يمتنع فى اللغة أن يكون الخالق خالقا لفعل غيره إذا قدّره ودبّره؛ ألا ترى أنهم يقولون : خلقت الأديم؛ وإن لم يكن الأديم فعلا لمن يقال [٢٩٨ و]

(١) حاشية الأصل : « نسخة ش : « لها » .

ذلك فيه ! ويكون معنى خلقه لأفعال العباد أنه مقدر لها، ومعرف لنا مقاديرها ومراتبها ومابه نستحق عليها من الجزاء .

وليس يمتنع أن يقال : إنه خالق للأعمال على هذا المعنى إذا ارتفع الإبهام وفُهِم المراد؛ فهذا كله تقتضيه الآية . ولو لم يكن فى الآية شىء مما ذكرناه مما يوجب العدول عن حمل قوله : ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ على خَلْق نفس الأعمال لوجب أن نعدل بها عن ذلك، ونحملها على ما ذكرناه بالأدلة العقلية الدّالة على أنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقا لأعمالنا، وإن تصرفنا محدثٌ بنا، ولا فاعل له سوانا؛ وكل هذا واضح بين[1] .

* * *

قال سيدنا أدام الله علوّه : وإنى لأستحسن لبعض نساء بنى أسد قولها :

أَلمْ تَرَنَا غِبنَّا ماؤنا زَمانا ، فَظلْنَا نَكُدّ البِئارَا[2]
فلمَّا عدا الْماءُ أوْطانَهُ وَجَفّ الثّمادُ فَصارَتْ حِرارَا[3]
وَضجّتْ إلى رَبِّها فى السَّماء[4] رُءُوسُ العِضاهِ تُناجى السِّرَارَا
وفَتَّحَتِ الأَرْضُ أفوَاهها عَجِيجَ الجِمالِ وَرَدْنَ الجِفارَا[5]
لبِسْنا لَدَى عَطَنٍ لَيْلَةً على اليأْسِ آتابنا والخِمارَا[6]
وقُلْنا : أعِيرُوا النَّدَى حَقَّهُ وصَبْرَ الحِفاظَ ، وَمُوتُوا حِرارَا[7]

(١) ف : « واضح بين بحمد الله » . (٢) الكد هنا : انتزاع السائل .

(٣) الثماد : بقايا الماء فى الحوض والحفر ، جمع ثَمد . والحرار : جمع حرة ، وهى حجارة سوداء .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « بخط عبد السلام البصرى :

* وعَجّتْ عجيجاً إلى رَبِّها *

(٥) الجفار : جمع جفرة ، وهى البئر الواسعة . (٦) الآناب : جمع إتب ؛ وهو برد أو ثوب يؤخذ فيشق فى وسطه ، ثم تلقيه المرأة فى عنقها من غير جيب ولا كمين .

(٧) موتوا حرارا ؛ أى جودوا بأنفسكم . وفى حاشية الأصل : « نسخة س : وجدت بخط المرتضى رضى الله عنه : « فى مجموع أكثره بخط الرضىّ رضى الله عنه : حرار : جمع حرة » .

فإنَّ النَّدَى لعَسى مرَّةً ... يَرُدّ إلى أهلهِ ما استعَارَا

فَبِتْنَا نُوَطِّنُ أحْشاءَنا ... أضاء لَنا عارِضٌ فاسْتطارَا(١)

وأقْبلَ يَزْحَفُ زَحْفَ الكسيرِ ... سِياقَ الرعاءِ البطاءَ العِشارَا

/ تُمَرِّى وتَضْحَكُ حافاتُهُ ... خِلالَ الغمام وتَبْكِي مِرارَا [٢٩٨ ظ]

كأنَّا تُضِيءُ لنا حُرَّةٌ ... تَشُدّ إزاراً وتُلْقِى(٢) إزارَا

فلمَّا خَشِينا بأن لا نجاءَ ... وألاَّ يَكُونَ قرارٌ قرارَا

أشارَ إليه امْرُؤٌ فَوْقَهُ ... هلُمَّ، فأَمَّ(٣) إلى ما أشارَا

٭٭٭

وأنشد أبو هِفّان لولّادة المِهْزَمِيّة(٤):

لوْلاَ اتقَاءُ اللهِ قُمْتُ بمَفْخَرٍ ... لا يَبْلُغُ الثَّقلانِ فيهِ مَقامِى

بأُبُوَّةٍ فى الجاهِلِيَّةِ سادَةٍ ... بَذُّوا المُلاَ أُمَراءَ فى الإسلامِ

جادُوا فَسادُوا مانِعِينَ أذاهُمُ ... لِنَداهُمُ، بُذُلٌ(٥) على الأقْوَامِ

قد أُنْجِبُوا فى السُّؤْدُدَيْنِ(٦) وأَنْجَبُوا ... بِنَجابةِ الأَخْوالِ والأَعْمامِ

قَوْمٌ إذا سَكَتُوا تَكلَّمَ مَجْدُهُمْ ... عنهُمْ؛ فأخْرَسَ دُونَ كلِّ كلامِ

---

(١) حاشية الأصل: «نسخة ش «فبينا»، وبخط المرتضى رضى الله عنه: «نوطد أحسابنا».

(٢) حاشية الأصل: «بخط عبدالسلام: وترخى».

(٣) حاشية الأصل: «بخط عبد السلام: فصار».

(٤) حاشية الأصل: «قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى رحمه الله: هو أبو هفان عبد الله بن أحمد المهزمى. وأبو هفان، بكسر الهاء».

(٥) بذل: جمع بذول، أى باذلون. (٦) فى حاشيتى الأصل، ف: «أى الأبوة والأمومة».

وقالت امرأة من بنى سعد بن بكر(١) :

أيا أخَوَىَّ المُلْزِمَىَّ ملامَةً(٢) ⁂ أعيذُ كما(٣) باللهِ من مِثْلِ ما بِيَا
سأُلتكُما باللهِ إلاَّ جَعلْتُما(٤) ⁂ مَكانَ الأَذَى واللَّوْمِ أنْ تأوِيا لِيَا(٥)
أيا أمتا حُبُّ الهِلالِىِّ قاتِلى ⁂ شَطُونُ النَّوَى يَحتَلُّ عَرْضاً يمانِيا(٦)
أشَمُّ كغُصْنِ البانِ جَعْدٌ مُرَجَّلٌ ⁂ شعِفْتُ بِهِ لوْ كانَ شَيْئاً مُدانِيا(٧)
فإنْ لم أُوَسّد ساعِدِى بعْدَ هَجْعَةٍ ⁂ غُلاَماً هِلاَلِياً فشَلَّ بَنانِيا(٨)
ثَكِلَتْ أُبى إنْ كنْتُ ذُقتُ كَرِيقِهِ ⁂ لشىء ولا ماءَ الغَمامةِ غادِيا(٩)

ولضاحية الهلالية :

ألَمَّ كبيرٌ لَمَّةً ثمَّ شَمَّرَتْ ⁂ بهِ رِجلَةٌ يَطْلُبنَ بَرْقاً يمانِيا(١٠)
[٢٩٩ و] / [ألاَ لَيْتنا والنَّفْسُ تسكُن لِلمُنَى ⁂ يمانون إن أمسى حبيبٌ يمانيا]

ولها :

وإنِّى لأَهْوَى القَصْدَ ثمَّ يَرُدُّنِى ⁂ عنِ القَصْدِ(١١) مَيْلاَتُ الهَوَى فأمِيلُ

---

(١) الأبيات فى حماسة ابن الشجرى : ١٥٦ـ١٥٧ ؛ منسوبة إلى ضاحية الهلالية .

(٢) فى ابن الشجرى :

⁂ أيا أخوىَّ اللائمىَّ على الهوىَّ ⁂

(٣) م ، وابن الشجرى : « أعندكما » . (٤) ابن الشجرى : « لما خلعتما » .

(٥) أن تأويا لى ؛ أى أن ترحمانى .

(٦) حاشية الأصل : « أمتا ، أى أمى ، وشطون ، أى هو شطون النوى ، والعرض : سفح الجبل؛ أى بسفح يمان » . (٧) حاشية الأصل : « أراد بالجعد السخىّ الكديم ، وهو من الأضداد ، قال طرفة :

أنا الرّجل الجعْد الذى تعرفونَهُ ⁂ خَشاشٌ كرأس الحية المتوقد

(٨) حاشية الأصل : « نسخة س : فشلت بنانيا » وهى رواية ابن الشجرى .

(٩) فى ابن الشجرى بعد هذا البيت :

وأقسم لو خيِّرْتُ بين فراقِه ⁂ وبين أبى لاخترت أنلا أبا لِيَا

(١٠) فى حاشيتى الأصل ، ف : « كبير ، رجل ، ونسخة س « كثير » ، لمة : إلماما ، شمرت ، أى ذهبن به ، والجلة : المسان من الإبل ، ويجوز أن يريد بها الجليلة ؛ ومن نسخة : « يطرن برقا يمانيا » .

(١١) القصد : الأمر السوىّ والطريقة المستقيمة .

وما وَجْدُ مَسْجُونٍ بِصَنْعاءَ مُوثَقٍ ... بِساقَيْهِ من حَبْسِ الأَمِيرِ كَبُولُ
وَما لَيْلُ مَوْلًى مُسْلَمٍ بجَرِيرَةٍ ... لهُ بَعْدَ ما نامَ العُيُونُ عَوِيلُ
بأَكْثرَ مِنِّى لَوْعَةً يومَ عجّلوا[1]، ... فِرَاقُ حبيبٍ ما إليــهِ سَبيلُ

ولعمرة[2] بنت العجلان أخت عمرو ذى الكلب بن عجلان الكاهلىّ ترثى أخاها عمرا، وقد كان فى بعض غزواته نائما، فوثب عليه نَمِران فأكلاه، فوجدتْ فَهْم سلاحه، فادّعت قتله[3]:

سأَلْتُ بعَمْرٍو أخى صَحْبَهُ ... فأَفْظَعنِى حِينَ رَدُّوا السُّؤالاَ
وَقالوا: أُتِيحَ لهُ نائماً ... أعزُّ السِّباعِ عليْهِ أحالاَ[4]
أُتِيحَ لهُ نَمِرَا أَجْبُلٍ ... فَنَالاَ لَعَمْرُكَ منهُ مَنالاَ
فأقْسَمْتُ[5] يا عَمْرُو لو نَبَّهاكَ ... إذًا نَبَّهَا مِنْكَ أمْراً[6] عُضالاَ
[إذَنْ نبها غــير رِعْدِيدةٍ ... ولا طائشٍ رَعِشٍ حين صالا][7]
إذًا نبَّها لَيْثَ عِرِّيسةٍ ... مُفِيتاً مفيداً نُفُوسا ومالاَ[8]

---

(١) د، ف، حاشية الأصل (من نسخة) : « يوم راعنى ».

(٢) فى حاشيتى الأصل، ف : « نسخة س : وجدت هذه القصيدة فى دواوين هذيل منسوبة إلى جنوب أخت عمرو » ؛ وهى أيضا فى ديوان الهذليين ٣ : ١٢٠–١٢٣ وخزانة الأدب وزهر الآداب (طبعة الحلبى) ٧٩٥–٧٩٦ ؛ وشواهد العينى .. منسوبة إلى الجنوب.

(٣) فى ديوان الهذليين عن أبى عبيدة : « كان ذو الكلب يغزو فهما ؛ فوضعوا له الرصد على الماء فأخذوه وقتلوه، ثم مروا بأخته جنوب ؛ فقالت لهم : ماشأنكم ؟ فقالوا : إنا طلبنا أخاك عمرا، فقالت : لئن طلبتموه لتجدنه منيعا، ولئن أضفتموه لتجدن جنابه مريعا ؛ ولئن دعوتموه لتجدنه سريعا. قالوا : فقد أخذناه وقتلناه، وهذا سلبه ؛ قالت : لئن سلبتموه لاتجدن ثنته وافية، ولا حجزته جافية، ولا ضالته كافية ؛ ولرب ثدى منكم قد افترشه، ونهب قد احتوشه، وضب قد احترشه ؛ ثم قالت ترثيه ... » وأورد القصيدة.

(٤) أحال : حمل عليه فقتله وأكله.

(٥) فى ديوان الهذليين : « فأقسم ».

(٦) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف : « داء » ؛ وهى رواية ديوان الهذليين.

(٧) من ديوان الهذليين.

(٨) العريس والعريسة : مأوى الأسد ؛ والمفيت : مهلك النفوس.

هِزَبْرًا فَرُوسا لِأعْدَائِهِ هَصوراً إذا لقى القِرْنَ صالاَ(١)

هما معْ تصرُّفِ رَيْبِ المَنُونِ منَ الأَرْضِ رُكْناً ثبيتا أمالاَ(٢)

هما يومَ حُمَّ لهُ يَوْمُهُ وقَالَ أخُو فَهْمٍ بطلاً وفالاَ(٣)

ـ معنى «فال» أخطأ؛ يقال: رجل فائل الرأى ـ

وقالاَ(٤) قَتَلْنَاهُ فى غارَةٍ بآيَةِ ما إنْ وَرِثْنَا النِّبَالاَ

ـ كأنها تهزأ بهم وتكذبهم ؛ أى بعلامة أن قد ورثتم النبال ـ

فَهلاَّ ومِنْ قبـلِ رَيْبِ المَنُونِ فقدْ كانَ رَجْلاً وكُنتُمْ رِجالاَ

وَقَدْ عَلِمَتْ فَهْمُ يومَ(٥) اللِّقَـاء بأنَّهمْ لكَ كانُوا نِفالا(٦)

[٢٩٩ ظ] /كأنهمُ لم يُحسُّوا بهِ فَيُخْلُوا النِّساءَ لهُ والحِجالا

ولم يَنْزِلوا بمُحُولِ(٧) السِّنين بهِ فيكونُوا علَيْـــهِ عِيالاَ

وقدْ عَلِمَ الضَّيْفُ والمُجْتَدُونَ إذَا اغْبَرَّ أُفْقٌ وَهبَّتْ شَمالاَ(٨)

وخَانَتْ عن اوْلاَدِها المُرْضِعاتُ ولم تَرَ عَيْنٌ لِمُزْنٍ بِلاَلاَ(٩)

بأنَّكَ كُنْتَ الرَّبِيعَ المُغيثَ لمَنْ يَعْتَرِيكَ وكُنْتَ الثِّمالا(١٠)

وخَرْقٍ تجاوَزْتَ مَجْهُولَهُ بوَجْناءَ حَرْفٍ تَشكَّى الـكَلاَلا(١١)

(١) ديوان الهذليين : « لأقرانه » . والهزبر : اسم السبع ، والفروس : الذى يدق الأعناق .

(٢) الثبيت : الثابت ؛ وفى ديوان الهذليين « ركنا عزيزا » .

(٣) حم : قدر . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « وقالوا » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « عند » ، وهى رواية ديوان الهذليين .

(٦) نفالا : غنائم . (٧) ديوان الهذليين : « لزبات السنين » ، واللزبات : الشدائد .

(٨) ديوان الهذليين : « والمرملون » . وهبت شمالا ؛ أى الريح :

(٩) بلالا ، أى بللا . (١٠) وفى حاشية الأصل : « يقال : فلان ثمال قومه إذا كان الاعتماد والمعول عليه . (١) الخرق: الفلاة الواسعة؛ والوجناء : الناقة الشديدة ؛ والحرف: الضامر ؛ شبهت بحرف الجبل ؛ وفى حاشية الأصل (من نسخة) :

٭ وخرق تجاوزتَ مجهولةٍ ٭

فكنتَ النهارَ بهِ شمسَهُ وكنتَ دُجى اللَّيْلِ فيهِ الهلالاَ
وخَيْلٍ سَمَتْ لكَ فُرْسانُها فوَلَّوا ولم يَسْتَقِلُّوا قِبالاَ(1)
[وحيٍّ أبحتَ، وحيٍّ صبحتَ غداة الهِياجِ منايا عجالا](2)
وكلُّ قبيلٍ وإنْ لم تكُنْ أرَدْتَهُم، مِنكَ باتُوا وِجالاَ(3)

(1) القبال: شسع النعل، تريد شيئا قليلا. (2) من ديوان الهذليين.
(3) الوجال: المتخوفون.

مجلس آخر ٧٤

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِى إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ؛ [هود : ٣٤].

فقال : أليس ظاهر هذه الآية يقتضى أنّ نصح النبي صلى الله عليه وآله لم ينفع[١] الكفار الذين أراد الله بهم الكفر والغواية ، وهذا بخلاف مذهبكم !

الجواب ، قلنا : ليس فى ظاهر الآية ما يقتضيه خلاف مذهبنا ؛ لأنه تعالى لم يقل إنه فعل الغواية أو أرادها ؛ وإنما أخبر أن نُصْحَ[٢] النبيّ عليه السلام لا ينفع إن كان الله يريد غَوايتهم. ووقوع الإرادة لذلك أو جواز وقوعها لا دلالةَ عليه فى الظاهر ؛ على أن الغواية هاهنا الخيبة وحرمان الثواب ؛ ويشهد بصحة ما ذكرناه فى هذه اللفظة قول الشاعر :

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ ... وَمَنْ يَغْوَ لاَ يَعْدَمْ عَلى الغَيِّ لاَئِمًا[٣]

فكأنه قال : إن كان الله يريد أن يعاقبكم بسوء أعمالكم وكفركم ، ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم / [٣٠٠ و] نصحى مادمتم مقيمين على ما أنتم عليه ؛ إلا أن تُقلعوا وتتوبوا .

وقد سمى الله تعالى العقاب غياً ، فقال : ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم : ٥٩] ؛ وما قبل هذه الآية يشهد بما ذكرناه ؛ وأن القوم استعجلوا عقاب الله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ . وَلاَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِى .... ﴾ الآية ؛ [هود : ٣٢ ، ٣٣] ؛ فأخبر أن نصحه لا ينفع مَنْ يريد الله أن ينزل به العذاب ، ولا يغنى عنه شيئاً .

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا ينفع » . (٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « وإنما أخبرنا » . (٣) البيت للمرقش الأصغر (المفضليات ٢٤٧ ـ طبعة المعارف) .

وقال جعفر بن حرب : إن الآية تتعلق بأنه كان فى قوم نوح طائفة تقول بالجبْر ، فنبّههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذهبهم ؛ وقال لهم على طريق الإنكار عليهم والتعجب من قولهم: إن كان القول كما تقولون من أن الله يفعل فيكم الكفر والفساد ، فما ينفعكم نصحى؛ فلا تطلبوا منى نصحا وأنتم على ذلك لا تنتفعون به ؛ وهذا جيد .

وروى عن الحسن البصرىّ فى هذه الآية وجه صالح؛ وهو أنه قال : المعنى فيها إن كان الله يريد أن يعذّبكم فليس ينفعكم نصحى عند نزول العذاب بكم ، وإن قبلتموه وآمنتم به؛ لأنّ كان من حكم الله تعالى ألاّ يقبل الإيمان عند نزول العذاب؛ وهذا كله واضح فى زوال الشبهة بالآية .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ومن مستحسَن ما قيل فى صفة المصلوب قولُ أبى تمام الطائىّ فى قصيدة يمدح بها المعتصم ، ويذكر قتل الأفشين وحرقه وصلبه :

مازَالَ سِرُّ الكُفْرِ بينَ ضُلُوعِهِ ... حتى اصْطَلَى سِرَّ الزِّنادِ الوَارِى(٢)
ناراً يُساوِرُ جِسمَهُ مِنْ حَرِّها ... لَهَبٌ كما عَصْفَرْتَ شِقَّ إزَارِ
طارَتْ لها شُعَلٌ يُهَدِّمُ لفْحُها ... أرْكانَهُ هَدْماً بِغَيْرِ غُبارِ
فَصَّلْنَ مِنْهُ كلَّ مَجْمَعِ مَفْصِلٍ ... وفَعَلْنَ فاقِرَةً بِكلِّ فَقَارِ(٣)
مَشْبوبَةً رُفِعَتْ لأَعْظَمِ(٤) مُشْرِكٍ ... ما كانَ يُرْفَعُ ضَوْءُها للسَّارِى
صلَّى لها حَيًّا وكانَ وَقُودَها ... مَيْتاً ، ويَدْخُلُها معَ الكُفَّارِ(٥)

---

(١) من قصيدة فى ديوانه : ١٥١ـ١٥٥ ؛ مطلعها :

الحقُّ أَبْلَجُ والسيوفُ عوارِ ... فحذار من أسد العرين حذارِ

وكان الأفشين من أكابر قواد المعتصم ، وجهه لحرب بابك الخرمىّ ؛ فقبض عليه وحمله إلى المعتصم فقطعه وصلبه وانتهى أمره ، ثم علم المعتصم خيانة من الأفشين؛ فقبض عليه وقتله وصلبه على خشبة بابك سنة ٢٢٦ هـ

(٢) سر الزناد : النار المخبوءة فيها . (٣) الفاقرة : الداهية .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « لأعظم » ، بضم الظاء .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « الفجار » ، وهى رواية الديوان .

[٣٠٠ ظ] / وكَذاكَ أهلُ النَّارِ فى الدُّنْيا هُمُ ... يَوْمَ القِيامَةِ جُــلُّ أهْلِ النارِ
يا مَشْهدًا صَدَرَتْ بِفَرْحَتِهِ إلى ... أمْصارِها القُصْوَى بنُو الأمْصارِ
رَمَقُوا أعالى جِذْعِهِ فكأنَّما ... رَمَقُوا الهِلالَ[١] عَشِيَّةَ الإفْطارِ
واسْتَنْشَقُوا مِنْهُ قُتاراً نَشْرُهُ ... مِنْ عَنْبَرٍ ذَفِرٍ ومِسْكٍ دارِى[٢]
وتحدَّثوا عَنْ هُلْكِهِ بحديثِ[٣] مَنْ ... بالبَدْوِ عَنْ مُتَتابِعِ الأمْطارِ
قدْ كانَ بوَّأهُ الخَليفةُ جانِباً ... مِنْ قَلْبِهِ حَرَماً على الأقْدارِ
فَسقاهُ ماءَ الخَفْضِ غيرَ مُصَرَّدٍ ... وأنامَهُ فى الأمْنِ غيرَ غِرارِ[٤]
ولقَدْ شَفَى الأحْشاءَ من بُرَحائِها ... أنْ صارَ بابَكُ جارَ مازِيارِ[٥]
ثانِيهِ فى كَبِدِ السَّماءِ ولم يكُنْ ... لاثنَيْنِ ثانٍ إذْ هما فى الغارِ[٦]
وكأنَّما انْتَبَذا لِكَيْما يَطْوِيا ... عن ناطِسٍ[٧] خبَراً مِنَ الأخْبارِ
سُودُ اللِّباسِ كأنَّما نَسجَتْ لهُمْ ... أيْدِى السَّمُومِ مَدارِعاً مِنْ قارِ
بَكَرُوا وأسْرَوْا فى مُتُونِ ضَوامِرٍ ... قِيدَتْ لهُمْ مِنْ مَرْبِطِ النَّجَّارِ
لا يَبْرَحُونَ ومَنْ رآهُمْ خالهُمْ ... أبداً على سَفَرٍ مِنَ الأسفارِ
كادُوا النُّبُوَّةَ والهُدَى فتَقَطَّعَتْ ... أعْناقُهُمْ فى ذلِكَ المِضْمارِ

---

(١) الديوان : « وجدوا » .

(٢) القتار : الرائحة ، ونشره : فوحانه ؛ والذفر : الحاد ، والدارى : منسوب إلى دارين ؛ وهى فرضة يجلب منها المسك . ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : واستنشئوا » .

(٣) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) ، والديوان : « كحديث » .

(٤) غرار : قليل . (٥) مازيار : رجل ، وضبط فى الأصل بفتح الزاى وكسرها معاً .

(٦) كذا وردت الرواية فى الأصول ؛ وتأويله : ولم يكن كاثنين إذ هما فى الغار ثان ؛ أى لم يكن كهذه القضية قضية أخرى . وفى الديوان : « ثانيا إذ هما » ، بتسهيل الهمزة ، وفى حاشية الأصل : « أى هو ثان فى الصلب والضلالة لما زيار ؛ وليس هو كأبى بكر إذ كان مع النبي عليه السلام فى الغار » .

(٧) فى حاشيتى الأصل ، ف : « ناطس اسم ملك الروم » .

وله يذكر صَلْب بابك :

لمَّا قضى رمضانُ منهُ قضاءَهُ ... شالتْ بهِ الأيَّامُ فى شوَّالِ(١)
مازالَ مَغلولَ العزيمةِ سادراً ... حتى غدا فى القيْدِ والأغْلالِ
مُستبْسِلاً للبأس طوْقاً مِنْ دمٍ(٢) ... لما استبانَ فظاظةَ الخلْخالِ
أهْدَى لمتْنِ الجذْعِ متْنَيْهِ كذا ... مَنْ عافَ متْنَ الأسْمرِ العسَّالِ(٣)
لاَ كعْبَ أسفلُ موْضِعاً من كعبِهِ ... معْ أنَّهُ عنْ كلِّ كعْبٍ عالِ
/سامٍ كأنَّ العِزَّ يجذِبُ ضَبْعَهُ ... وسُمُوُّهُ مِنْ ذِلَّةٍ وسِفالِ [٣٠١ و]
مُتفرِّغٌ أبداً وليْسَ بفارغٍ ... مَنْ لا سبيلَ لهُ إلى الأشْغالِ

قال سيدنا أدام الله علوَّه : ومن عجيب الأمور أن أبا العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار يُنشد هذه الأبيات المفرطة فى الحسن فى جملة مقابح أبى تمام ، وماخرَّجه ـ بزعمه ـ من سَقَطه وغلَطه ؛ ويقول فى عقبها: ولم يسمع بشعر وصف فيه مصلوب بأغثّ من هذا الوصف ، وأين كان عن مثل إبراهيم بن المهدى يصف صلب بابك فى قصيدة يمدح بها المعتصم :

مازالَ يعْنُفُ بالنُّعْمَى فنفَّرَها ... عنه الغمُوطُ ، ووافتْهُ الأراصيدُ(٤)
حتى علا حَيْثُ لا ينْحطُّ مُجْتمِعاً ... كما علاَ أبداً ما أوْرقَ العُودُ
يا بقْعةً ضُرِبتْ فِيهـا عِلاوَتُهُ ... وعينُهُ، وذَوَتْ أغْصانُهُ المِيدُ
بُورِكْتِ أرْضاً وأوْطاناً مُباركةً ... ماعنْكِ فى الأرْضِ للتقْدِيسِ تعْرِيدُ
لوْ تقْدِرُ الأرْضُ حجَّتْكِ البلادُ فلا ... يبْقَى على الأرْضِ إلاَّ الحجَّ جُلْمُودُ
لم يبْكِ إبْليسُ إلاَّ حِينَ أبْصرَهُ ... فى زِيِّهِ، وهْوَ فوْقَ الفيلِ مَصْفُودُ
كناقةِ النَّحْرِ تزْهَى تحْتَ زِينَتِهَا ... وحدُّ شفْرَتِهَا لِلنَّحْرِ مَحْدُودُ

(١) من قصيدة فى ديوانه ٢٥٩ـ٢٦٥ يمدح فيها المعتصم ، وأولها :

آلتْ أمورُ الشِّرْكِ شرَّ مآلِ ... وأقرَّ بعد تخمُّطٍ وصيالِ

(٢) الديوان

* متلبِّسًا للموتِ طوقاً مِنْ دمٍ *

(٣) العسال : المضطرب . (٤) يعنى القضاء الواقف له بالمرصاد .

ما كانَ أَحْسنَ قَولَ النَّاسِ يوْمَئِذٍ ... أَيَوْمُ بابكَ هـذا أَمْ هُوَ العِيدُ!
صَيَّرْتَ جُثَّتَهُ جيداً لِباسِقَةٍ ... جَرْداءَ، وَالرَّأسُ مِنْهُ ماله جِيدُ
فـآض تَلْعَبُ هُوجُ الْعاصِفاتِ به ... على الطَّرِيقِ صَلِيباً طَرْفُهُ عُودُ
كأَنَّهُ شِلْوُ كَبْشٍ وَالهَواءُ لهُ ... تَنُّورُ شاوِيةٍ ، وَالجِذْعُ سَـفُّودُ

وهكذا ينبغى أن يطعن على أبيات أبى تمام مَنْ يستجيد هذه الأبيات ويُفرط فى تقريظها؛ وليتَ مَنْ جهل شيئاً عدل عن الخوض فيـه والـكلام عليه ؛ فـكان ذلك وأولى به . وأبيات أبى تمام فى نهاية القوَّة وجَوْدة المعانى والألفاظ وسلامة السَّبْك واطراد/النسج، [٣٠١ ظ] وأبيات ابن المهدى مضطربة الألفاظ ، مختلفة النسج ، متفاوتة الـكلام ؛ وما فيها شىء يجوز أن يوضع عليه اليد إلا قوله :

حتَّى عَلَا حَيْثُ لا يَنْحَط مُجْتَمِعاً ... كما عَلَا أَبدًا ماأَوْرَقَ العُودُ

وبعده البيت الأخير وإن كان باردالألفاظ .

وقد أحسن مسلم بن الوليد فى قوله :

مازَالَ يَعْنُفُ بالنُّعْمى وَيَغْمِطُهَا ... حتى اسْتَقَلَّ بهِ عودٌ على عُودِ(١)
نَصَبْتَهُ حَيْثُ تَرْتابُ الرياح بهِ ... وَتَحسُدُ الطَّيرَ فِيهِ أَضْبُعُ البيدِ(٢)

وللبحترىّ فى هذا المعنى من قصيدة يمدح بها أبا سعيد أو لها :

لَا دِمْنَةٌ بلوَى خَبْتٍ وَلا طَلَلُ ... يرُدُّ قَوْلاً على ذِى لوْعَةٍ يَسَلُ(٣)
إنْ عَزَّ دَمْعُكَ فى آىِ الرُّسُومِ فلَمْ ... يَصُبْ عليها فَعِنْدِى أَدْمُعٌ بُلُلُ
هل أَنْتَ يوماً مُعِيرِى نَظْرَةً فترى ... فى رَمْلِ يَبْرِينَ عِيراً سَيْرُهارَمَلُ!
حَثُّوا النَّوَى بِحُداةٍ مالها وَطَنٌ ... غيْرَ النَّوَى ، وَجمالٌ مالها عُقُلُ

---

(١) ديوانه : ١٣٣ ، يعنف بالنعمى : يسرف ويجاوز حقه فيها ، ويغمطها : يكفرها .

(٢) قال شارح ديوانه : « ترتاب الرياح ، أى تستنـكر ؛ يريد : إذا خلف أحد على ذلك المـكان أتته ريحه قبيحة منه ؛ يقول : جعلته فى مكان تبلغه الطير ، ولا تبلغه الضبع فتحسد الطير » .

(٣) ديوانه ٢ : ٢١٤ .

يقول فيها :

تحمِله البُرْد مِنْ أقصى الثُّغُورِ إلى * أدْنى العِراقِ سِراعا رَيْثُها عَجِلُ(١)

بِسُرَّ مَنْ رَاءَ مَنْكوساً تُجاذِبُهُ * أيْدِي الشَّمالِ فُضُولاً كلُّها فُضُلُ

أَمْسَى يَرُدُّ حريق الشمسِ جانبه * عن بابكٍ ، وهى فى الباقين تشتَعِلُ

تفاوَتُوا بيْنَ مرْفُوعٍ وَمُنْخَفِضٍ * على مَراتِبِ ماقالوا وَما فَعلُوا

رَدَّ الهَجيرُ لِحاهُمْ بعْدَ شُعْلَتِها * سُودًا ، فعادُوا شَباباً بعْد ما اكْتَهَلُوا

تَمَّما لهُ حابلُ الآسادِ فى لُمَةٍ * مِنَ المنايا ، فأمْسى وَهْوَ مُحْتَبَلُ

حالى الذِّرَاعَيْنِ والسَّاقَيْنِ لوْ صَدَقَتْ * لهُ المُنى لَتمنَّى أنَّها عُطُلُ

مِنْ تحْتِ مُطْبَقِ أرْضِ الشَّامِ فى نَفَرٍ * أسْرَى يَوَدُّونَ وُدًّا أنَّهُمْ قُتِلُوا

/ غابُوا عَنِ الأَرْضِ أنأَى غَيْبَةٍ وهُمُ * فيها؛ فلا وَصْلَ إلاَّ الكُتْبُ والرُّسُلُ [٣٠٢ و]

وله فى هذا المعنى :

مازِلْتَ تَقْرَعُ بابَ بابكَ بالقَنا * وَتَزُورُهُ فى غارَةٍ شَعْوَاءِ(٢)

حتى أخَذْتَ بنَصْلِ سَيْفِكَ عَنْوَةً * مِنْهُ الذى أعْيَا على الأُمَراءِ

أخْلَيْتَ مِنْهُ البذَّ وَهْيَ قَرارُهُ * وَنَصَبْتَهُ عَلَماً بسامَرَّاءِ(٣)

لمْ يُبْقِ فيهِ خَوْفُ بأْسِكَ مَطْمَعاً(٤) * لِلطَّيرِ فى عَوْدٍ وَلا إبْدَاءِ

فَتَرَاهُ مُطَّرِدًا على أعْوَادِهِ * مِثْلَ اطِّرَادِ كَوَاكِبِ الجَوْزاءِ

مُسْتَشْرِفاً لِلشَّمْسِ مُنْتَصِباً لها * فى أُخْرَيَاتِ الجِذْعِ كالحِرْباءِ

---

(١) البرد : جمع بريد ؛ وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « تأتى به البرد » .

(٢) ديوانه ١ : ٤ ، من قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف مطلعها :

زعم الغرابُ منبِّيءُ الأنباءِ * أنَّ الأحبَّةَ آذنوا بتناءِ

(٣) البذّ : كورة بين أذربيجان وأران . وسامراء : لغة فى سرّ من رأى ؛ مدينة كانت بين بغداد وتكريت . (٤) ف : « مطمعا » .

مجلس آخر [٧٥]

تأويل آية

إن سأل سائل عن قـوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ ؛ [البقرة: ١٨٥].

فقال : كيف أخبر تعالى بأنه أنزل فيه القرآن ، وقد أنزله فى غيره من الشهور على ما جاءت به الرواية ؟ والظاهر يقتضى أنه أنزل الجميع فيه، وما المعنى فى قوله : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ ؟ وهل أراد الإقامة والحضور اللذين هما ضدّا[1] الغيبة ، أو أراد المشاهدة والإدراك ؟ .

الجواب ، قلنا: أما قوله تعالى : ﴿ أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ ﴾ فقد قال قوم : المراد به أنه تعالى أنزل القرآن جملةً واحـدة إلى سماء الدنيا فى شهر رمضان ، ثم فرق إنزاله على نبيه صلى الله عليه وآله بحسب ماتدعو الحاجة إليه .

وقال آخرون: المراد بقوله ﴿ أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ ﴾ أنه أنزل فى فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن ؛ فيكون ﴿ فِيهِ ﴾ بمعنى فى فرضه ، كما يقول القائل : أنزل الله فى الزكاة كذا وكذا ، يريد فى فرضها ، وأنزل الله فى الخمر كذا وكذا يريد فى تحريمها .

وهذا الجواب إنما هرب متكلِّفه من شىء ، وظن أنه قد اعتصم بجوابه عنه ، وهو بعد [٣٠٢ ظ] ثابت على ما كان عليه؛ لأن قوله: ﴿ القُرْآنُ ﴾ إذا كان يقتضى ظاهرُه إنزال / جميع القرآن فيجب على هذا الجواب أن يكون قد أنزل فى فرض الصيام جميع القرآن ؛ ونحن نعلم أنّ قليلا من القرآن يتضمّن إيجاب صوم شهر رمضان ، وأن أكثره خالٍ من ذلك .

فإن قيل : المراد بذلك أنه أنزل فى فرضه شيئا من القرآن، وبعضا منه .

---

(١) حاشية الأصل : « نسخة ش : « ضد الغيبة » .

قيل : فألاَّ اقتصر على هذا ، وحمل الكلام على أنه تعالى أنزل شيئا من القرآن فى شهر رمضان ولم يحتج إلى أن يجعل لفظة ﴿ فِيهِ ﴾ بمعنى فى فرضه وإيجاب صومه .

والجواب الصحيح، أن قوله تعالى: ﴿ الْقُرْآنُ ﴾ فى هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق، وإنما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق، فكأنه قال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ ﴾ هذا الجنس من الكلام ؛ فأىّ شىء نزل منه فى الشهر فقد طابق الظاهر .

وليس لأحد أن يقول : إن الألف واللام هاهنا لا يكونان إلا للعموم والاستغراق ؛ لأنا لو سلمنا أن الألف واللام صيغة العموم والصورة المقتضية لاستغراق الجنس لم يجب أن يكون هاهنا بهذه الصفة ؛ لأن هذه اللفظة قد تستعمل فى مواضع كثيرة من الكلام ولا يراد بها أكثر من الإشارة إلى الجنس والطبقة من غير استغراق وعموم؛ حتى يكون حمل كلام المتكلم بها على خصوص أو عموم ؛ كالناقض لغرضه والمنافى لمراده ؛ ألا ترى أن القائل إذا قال : فلان يأكل اللحم ، ويشرب الخمر ، وضرَب الأميرُ اليوم اللصوصَ ، وخاطب الجند لم يُفْهم من كلامه إلا محض الجنس والطبقة من غير معنى خصوص ولا عموم ؛ حتى لو قيل له : فلان يأكل جميع اللحم ، ويشرب جميع الخمر أو بعضها لكان جوابُه : إننى لم أرد عموماً ولا خصوصاً ؛ إنما أريد أنّه يأكل هذا الجنس من الطعام ، ويشرب هذا الجنس من الشراب؛ فمن فَهِم من كلامى العموم أو الخصوص فهو بعيد من فَهْم مرادى .

وأرى كثيراً من الناس يغلطون فى هذا الموضع ، فيظنون أنّ الإشارةَ إلى الجنس من غير إرادة العموم والاستغراق ليست مفهومة ؛ حتى يحملوا قول من قال : أردت الجنس فى كل موضع على العموم ؛ وهذا بعيد ممّن يظنه ؛ لأنه كما أنّ العموم والخصوص مفهومان / [٣٠٢ و] فى بعض المواضع بهذه الألفاظ فكذلك الإشارة إلى الجنس والطبقة من غير إرادة عموم ولا خصوص مفهومة مميزة ؛ وقد ذكرنا أمثلة ذلك .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ فأكثر المفسرين حملوه على أنَّ المراد بمن شهد منكم الشهر مَنْ كان مقيما فى بلد غير مسافر . وأبو علىّ حَمَله على أنّ المراد

به فمن أدرك الشهر وشاهده وبلغ إليـه وهو متكامل الشروط فَلْيصمه ، ذهب فى معنى ﴿ شَهِدَ ﴾ إلى معنى الإدراك والمشاهدة .

وقد طعن قوم على تأويل أبى علىّ وقالوا : ليس يحتمل الـكلامُ إلّا الوجه الأول . وليس الأمر على ما ظنوه ؛ لأن الـكلام يحتمل الوجهين معاً ؛ وإن كان للقول الأول ترجيحٌ ومزية على الثانى من حيث يحتاج فى الثانى من الإضمار إلى أكثر مما يحتاج إليه فى الأول ؛ لأن على القول الأول لا يحتاج إلى إضمار الإقامة وارتفاع السفر ؛ لأن قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَهِدَ ﴾ يقتضى الإقامة ؛ وإنما يحتاج إلى إضمار باقى الشروط من الإمكان والبلوغ وغير ذلك .

وفى القول الثانى يحتاج مع كلٍّ ما أضمرناه فى القول الأول إلى إضمار الإقامة ؛ ويكون التقديرُ: فمَنْ شَاهد الشهرَ وهو مقيم مطيق بالغ إلى سائر الشروط ؛ فمِنْ هـذا الوجه كان الأول أقْوَى .

وليسَ لأحدٍ أن يقول : إن ﴿ شَهِدَ ﴾ بنفسه من غير محذوف لا يدلُّ على إقامة ؛ وذلك أنّ الظاهر من قولهم فى اللغة : فلان شاهد إذا أطلِق ولم يُضَفْ أفاد الإقامة فى البلد ؛ وهو عندهم ضدّ الغائب والمسافر ؛ وإن كانوا ربما أضافوا فقالوا: فلان شاهد لـكذا ، وشهد فلان كذا ؛ ولا يريدون هذا المعنى؛ ففى إطلاق ﴿شَهِدَ﴾ دلالة على الإقامة من غير تقدير محذوف؛ وهذه جملة كافية بحمد الله .

✲ ✲ ✲

قال سيدنا أدام الله علوّه : وجدت أبا العباس بن عمّار يعيب على أبى تمام فى قوله :

لَمَّا اسْتَحَرَّ الوداعُ المَحْضُ وانْصَرَمَتْ ... أواخِرُ الصَّـبْرِ إلا كاظِماً وَجِمَا[(١)]

رَأَيْتَ أحْسَنَ مَرْئِىٍّ وأقْبَحَهُ ... مُسْتَجْمِعَيْنِ لىَ : التَّوْديعَ والعَنَما

[٣٠٣] / قال أبو العباس : وهذا قد ذُمّ مثله على شاعر متقدم ؛ وهو أن جمع بين كلمتين احداهما لا تناسب الأخرى ؛ وهو قول الـكميت :

وقَدْ رَأَيْنَا بها حُورًا مُنَعَّمَةً ... رُودا تَـكامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ

---

(١) ديوانه ٣٠٢ ؛ من قصيدة يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبىّ .

فقيل له: أخطأت وباعدت بقولك : « الدَّلُّ والشَّنَبُ » ؛ ألا قلت كقول ذى الرُّمة :

بَيْضاء فى شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ ... وَفى اللِّثاتِ وَفى أنيابها شَنَبُ(١)

قال : فقال الطائىّ :

* مُسْتَجْمِعِينَ لِىَ: التَّوْديعَ والْعَنَما *

فجمل المنظر القبيح للتوديع ، والتوديع لا يستقبَح ، وإنما يستقبح عاقبته وهى الفراق ، وجعل المنظر الحسن الخضاب ؛ وشبهه بالعنم ، ولم يذكر الأنامل المخضّبة . وإنما سمع قول المجنون :

ويُبْدِى الحَصَى منها إذا قَذَفَتْ به ... مِنَ البُرْدِ أطْرافَ البَنانِ المُخَضَّبِ(٢)

قال: وهذا هو الأصل؛ استعاره الناس من بعد ، فقال الشاعر :

النَّشْرُ مِسكٌ ، والوجُوهُ دَنا ... نِيرٌ، وأطرافُ الأكُفِّ عَنَمْ(٣)

وأغرب أبو نواس فى قوله :

تَبْكِى فتذْرِى الدُّرَّ من طَرْفِها ... وتَلْطمُ الوَرْدَ بعُنَّابِ(٤)

قال . فلم يُحسن هذا العِلْج أن يستعير شيئاً من محاسن القائلين .

قال سيدنا أدام الله علوّه : وهــذا غلطٌ من ابن عمار وسفهٌ على أبى تمام ؛ لأن الكميت جمع بين شيئين متباعدين؛ وهما الدّل وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة، والشَّنَب وهو بَرد الأسنان، وتطرّق عليه بذلك بعض العيب، وأبو تمام بين شيئين غير متفرّقين(٥)، لأن التوديع إنما أشار به إلى ما أشارت إليه بإصبعها من وداعه عند الفراق ، وشبّه مع ذلك أصابعها

---

(١) ديوانه : ٥ . اللعى سمرة فى الشفة ؛ والحوة : حمرة فى الشفتين تضرب إلى السواد .

(٢) البيت فى الأغانى ٢ : ٢٠ (طبع دار الكتب المصرية) ، وقبله :

فَلَمْ أرَ ليلَى بعد موقفِ ساعةٍ ... بخَيْفِ مِنًى ترمى جمار المحصَّب

(٣) البيت المرقش الأكبر (المفضليات : ٢٣٨ ، طبعة المعارف) .

(٤) ديوانه : ٣٦١ . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « مفترقين » .

بالعنم، والعنم نبتٌ أغصانه غضة دقاق شبه الأصابع ، وقيل : إن العنم واحدته عَنَمَة ؛ وهى العَظاية الصغيرة البيضاء ؛ وهى أشبه شىء بالأصابع البيضاء الغضة ؛ وهذا حكاه صاحب / [٣٠٤ و] كتاب العين .

وقيل: إن العنَم نبت له نوْر أحمر تُشبَّه به الأصابع المخضوبة، فوجْه حُسْن قوله: «التوديع والعنم» أنَّ التوديع كان بالإصبع التى تشبه العنَم ، فجمع بينهما بذلك ؛ ولا حاجة به إلى ذكر الأنامل المخضَّبة على ماظنَّ أبو العباس؛ بل ذكر المشبَّه به أحسن وأفصح من أن يقول التوديع والأنامل التى تشبه العنَم .

فأما قوله: إن التوديع لا يستقبح ؛ وإنما يستقبح عاقبته فخطأ ؛ ومطالبة الشاعر بما لايطالب بمثله الشعراء؛ لأن التوديع إذا كان منذرا بالفراق وبعد الدار وغيبة المحبوب لا محالة إنه مكروه مستقبَح .

وقوله: مستقبح عاقبته صحيح، إلاأن مايعقبه ويثمره لما كان عند حضوره متيقنا مذكورا عاد الإكراه والاستقباح إليه . ونحن نعلم أن الناس يتكرهون ويستقبحون تناول الأشياء الملذة من الأغذية وغيرها إذا علموا مافى عواقبها من المكروه؛ فإن مَن قُدِّم إليه طعام مسموم وأعلِم بذلك يتكرّهه ويستقبحُ تناوله لما يتوقعه من سوء عاقبته ؛ وإن كان ملذا فى الحال ؛ ولم تزل الشعراء تذكر كراهتها للوداع وهربها منه. لما يتصور فيه من ⁽¹ ألم الفرقة ، وغُصَص الوحشة¹⁾. وهذا معروف مشهور ، وقد قال فيه أبو تمام :

أآلِفَةَ النحِيبِ كم افتِرَاقٍ ... أظَلَّ فكانَ داعيةَ اجتماعِ (٢)
ولَيْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْباتِ إلاَّ ... لِمَوْقُوفٍ على تَرَحِ الوَدَاعِ

فجعل للوداع ترحا يقابل فرح الإياب ، وهذا صحيح .

فأما قول جرير :

أتنْسَى إذْ تُوَدِّعُنا سُلَيْمَى ... بفَرْعِ بشامةٍ سُقِىَ البشامُ (٣)

(١ـ١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ألم الفرقة وغصص الاستيحاش » .
(٢) ديوانه : ١٩٣ . (٣) ديوانه : ٥١٢ .

فإنه دعا البَشام — وهو شجر — بالسَّقى ؛ لأنها ودعته عنده ، فسُرَّ بتوديعها، وقول الشاعر :

مَنْ يَكن يكرهُ الفراقَ فإنى أشتهيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْليمِ
إنَّ فيهِ اعتناقةً لوداعٍ وانتظارَ اعْتِناقةٍ لقُدُومِ

فمن شأن الشعراء أن يتصرَّفوا فى المعانى بحسب أغراضهم وقصودهم ، فإذا رأى أحدُهم مَدْحَ / شىء قَصد إلى أحسن أوصافه فذكرها ، وأشار بها؛ حتى كأنه لا وصفَ له غيرُ ذلك [٣٠٤ ظ] الوصف الحسن ؛ وإذا أراد ذمَّه قصد إلى أقبح أحواله فذكرها؛ حتى كأنه لا شىء فيه غيرُ ذلك ؛ وكلٌّ مصيب بحسب قصده .

ولهذا ترى أحدهم يقصد إلى مدح الشيب فيذكر ما فيه من وقار وخشوع ، وأن العمر معه أطول ، وما أشبه ذلك ، ويقصد إلى ذمه فيصف ما فيه من الإدناء إلى الأجل ، وأنه آخر الألوان وأبغضُها إلى النساء ؛ وما أشبه ذلك ؛ وهذه سبيلُهم فى كل شىء وصفوه ؛ ولمدحهم موضِعُه، ولذمهم موضعه ؛ فمن ذمَّ الوداع لما فيه من الإنذار بالفراق وبُعد الدار قد ذهب مذهبا صحيحا ؛ كما أنَّ مَن مدحه لما فيه من القرب من المحبوب والسرور بالنظر إليه — وإن كان يسيرا — قد ذهب أيضا مذهبا صحيحا .

ومن غلط ابن عمار القبيح قولُه بعد أن أنشدَ شعر المجنون ، قال : وهـــذا هو الأصل ، ثم استعاره الناس من بعد ؛ فقال الشاعر :

النَّشْرُ مِسكٌ ، وَالوجُوهُ دَنا نِيرٌ ، وَأَطْرافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

وهذا الشعر للمرقِّش الأكبر ؛ وهو والمرقِّش الأصغر جميعاً كانا على عهد مهلهل بن ربيعة ، وشهدا حرب بكر بن وائل ، فكيف يكون قول المرقّش الأكبر بعد قول المجنون لولا الغفلة !

٧٦
مجلس آخر
تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعـالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ؛ [البقرة : ٥٣] . فقال : كيف يكون ذلك ، والفرقان هو القرآن ، ولم يؤتَ موسى القرآن ، وإنما اختصَّ به محمد صلى الله عليه وآله ؟

الجواب ، قلنا : قد ذكر فى ذلك وجوه :

أولها أن يكون الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره ؛ وهو التوراة ، فلا يكون هاهنا اسما للفرقان المنزل على محمد صلى الله عليه وآله ، ويحسن نَسَقُه على الكتاب لمخالفته للفظه ؛ كما قال تعالى : ﴿ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ؛ [البقرة : ١٥١] ، وإن كانت الحكمة مما يتضمنها الكتاب ، وكُتُب الله تعالى كلها فرقان ، يَفرِق بين الحق والباطل ، والحلال / والحرام . [٣٠٥ و]

ويُستشهد على هذا الوجه بقول طَرَفة :

فَما لِي أرَانِي وابنَ عَمِّيَ مالِكاً مَتَى أدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّى ويَبْعُدِ(١)

فنَسَق « يبعد » على « ينأ » وهو بعينه ، وحسَّن ذلك اختلافُ اللفظين . وقال عدى بن زيد :

وقَدَّمَتِ الأديمَ لِراهِشَيْهِ وَألْفى قَوْلَها كَذِباً وَمَيْنا(٢)

والمَيْن الكذب .

وثانيها أن يكون الكتاب عبارةً عن التوراة ، والفرقانُ انفراقُ البحر الذى أوتيه موسى عليه السلام .

---

(١) من المعلقة ص ٨٦ — بشرح التبريزى .

(٢) حاشية الأصل : « يعنى الزباء وجذيمة ، والراهشان : عرقان فى الذراعين ، والأديم : النطع ، وكانت قد وعدته بأن تتزوجه ، ثم غدرت به فقتلته على نطع ، وهو الأديم الذى ذكره » .

وثالثها أن يُرادبالفرقان الفرقُ بين الحلال والحرام ، والفرقُ بين موسى وأصحابه المؤمنين وبين فرعون وأصحابه الكافرين ؛ لأنّ الله تعالى قد فرق بينهم فى أمور كثيرة ؛ منها أنه نجّى هؤلاء وأغرق أولئك .

ورابعها أن يكون الفرقان المراد به القرآن المنزّل على نبينا صلى الله عليه وآله ؛ ويكون المعنى فى ذلك: وآتينا موسى التوراة والتصديق والإيمان بالفرقان الذى هو القرآن ؛ لأن موسى عليه السلام كان مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وآله وما جاء به ، ومبشراً ببعثته . وساغ حذف القَبُول والإيمان والتصديق وما جَرى مجراه وإقامةُ الفرقان مقامه ؛ كما ساغ فى قوله تعالى : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ ؛ [يوسف : ٨٢] ، وهو يريد أهل القرية.

وخامسها أن يكون المراد الفرقان القرآن ، ويكون تقدير الكلام : ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الذى هو التوراة ، ﴿وَ﴾ آتينا محمدا ﴿الْفُرْقَانَ﴾ ، فحذف ما حذَف مما يقتضيه الكلام ؛ كما حذف الشاعر فى قوله :

تَرَاهُ كأنَّ اللهَ يَجْدَعُ أنفَهُ ... وعَيْنَيْهِ إنْ مَوْلاهُ كانَ لَهُ وَفْرُ(١)

أراد: ويفقأ عينيه ؛ لأن الجَدْع لا يكون بالعين ؛ واكتفى بـ«يجدَع» منْ «يفقأ» .

وقال الشاعر :

تَسْمَعُ لِلأَحْشاءِ مِنْهُ لَغَطا ... وَلليَدَيْنِ جُسْأَةً وبَدَدا

أى وترى لليدين؛ لأنَّ الجُسْأَة والبدد(٢) لا يُسمعان وإنما يُريان .

وقال الآخر :

عَلَفْتُها تِبْناً وَماءً بارِداً ... حتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْناها(٣)

أراد وسقيتها ماءً بارداً ، فدلّ علفت على سقيت .

(١) البيت فى (الحيوان ٦ : ٤٠) ونسبه إلى خالد بن الطيفان ؛ والرواية فيه :

تراهُ كأنَّ اللهَ يجدعُ أنفَه ... وأذنَيْه إن مولاه ثاب له وفْرُ

(٢) الجسأ : اليبس، والبدد: تباعد ما بين اليدين أو الفخذين.

(٣) البيت من شواهد النحاة فى باب المفعول معه على أنه إذا لم يمكن عطف الاسم الواقع بعد الواو على ما قبله تعين النصب على المعية ، أو على إضمار فعل يليق به . وهو فى ابن عقيل ١ : ٥٢٤ ، غير منسوب.

وقال الآخر[1]:

يَا لَيْتَ بَعْلَكِ قدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفاً وَرُمْحا

أراد حاملا رمحا .

ووجدت أبا بكر بن الأنبارىّ يقول : إن الاستشهاد بهذه الأبيات لا يجوز على هذا الوجه ؛ لأنَّ الأبيات اكتفِىَ فيها بذكر فعل عن ذكر فعل غيره ، والآية اكتفِى فيها باسم دون اسم

والأمر وإن كان على ما قاله فى الاسم والفعل ؛ فإن موضع الاستشهاد صحيح ؛ لأن الاكتفاء فى الأبيات بفعل عن فعل إنما حُسن من حيث دلّ الكلام على المحذوف والمضمر واقتضاه، فحُذِف تمويلا على أن المراد مفهومٌ غير ملتبِس ولا مشتَبه.

وهذا المعنى قائم فى الآية ، وإن كان المحذوف اسما؛ لأن اللبس قد زال ، والشبهة قد أُمِنَتْ فى المراد بها ؛ فحسُن الحذف؛ لأن الفرقان إذا كان اسما للقرآن؛ وكان من المعلوم أن القرآن إنما أُنزِل على نبينا صلى الله عليه وآله دون موسى عليه السلام استُغنى عن أن يقال: وآتينا محمدا الفرقان؛ كما استغنَى الشاعر أن يقول : ويفقأ عينيه، وترى لليدين جُسْأةً وبددا، وما شاكل ذلك.

إلا أنه يمكن أن يقال فيما استُشهد به فى جميع الأبيات مما لا يمكن أن يقال مثله فى الآية؛ وهو أنه يقال : لا محذوف ، ولا تقدير لفعلٍ مضمر ؛ بل الكلام فى كلِّ بيت منها محمول على المعنى ؛ ومعطوف عليه ؛ لأنه لما قال :

٭ تراه كأنّ اللهَ يَجْدَعُ أنفَه ٭

وكان معنى الجدْع هو الإفسادَ للعضو والتشويهَ به عَطَف على المعنى، فقال : « وعينيه » فكأنه قال: كأنّ الله يَجْدَعُ أنفه ، أى يُفسِدُه ويشوِّهه، ثم قال : « وعينيه ». وكذلك لما كان السامع للَّغط من الأحشاء عالما به عطف على المعنى فقال : «ولليدين جُسْأة وبددا» ؛ أى أنه يعلم هذا وذاك معاً ؛ وكذلك لما كان فى قوله : «عَلَفت» معنى غذيت عطف عليه الماء ؛ لأنه مما

(١) هو عبد الله بن الزبعرى ، كما فى حواشى ابن القوطية على الكامل ١٨٩ ليبسك . وانظر حواشى شرح المرزوقى للحماسة ١١٤٧.

يقتدى به ؛ وكذلك لما كان المتقلِّد للسيف حاملا له جاز أن يَعطف عليه الرمحَ المحمولَ . وهذا أوْلى فى الطعن على الاستشهاد بهذه الأبيات مما ذكره ابن الأنبارىّ .

☆ ☆ ☆

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولىّ قال أخبرنا يحيى بن على بن يحيى / المنجم قال أخبرنا أحمد بن يحيى بن جابر البلاذُرىّ عن الهيثم بن عدىّ [٣٠٦ و] قال : لما دخل خالد بن صفوان الأهتمىّ[1] على هشام بن عبد الملك ـ وذلك بعد عزله خالد ابن عبد الله القسرىّ ـ قال : فألفيتُه جالساً على كرسىّ فى بركة ماؤها إلى الكعبين ، فدعا لى بكرسىّ فجلستُ عليه ؛ فقال يا خالد ، ربّ خالدٍ جلس مجلسَك كان ألْوَطَ بقلبى ، وأحبّ إلىّ منك! فقلت: ياأمير المؤمنين؛ إنّ حلمَك لايضيق عنه ، فلو صفحت عن جُرْمه ! فقال : ياخالد ؛ إنَّ خالداً أدلّ فأملّ ، وأوجف فأعْجف ؛ ولم يدعْ لراجع مرجماً ، ولا لعودة موضعاً . ثم قال : ألا أخبرك عنه يا بن صفوان ! قلت : نعم ، قال : إنه ما بدأنى بسؤال حاجةٍ مذ قدم العراق حتى أكونَ أنا الذى أبدؤه بها ، قال خالد : فذاك أحرى أن ترجع إليه ، فقال متمثلا :

إذَا انصرفتْ نَفسِى عن الشَّىْءِ لم تكَدْ ... إليْـهِ بوجْهٍ آخِـرَ الدَّهْرِ تُقْبِـلُ[2]

ثم قال : حاجتكَ يابن صفوان ، قلت: تزيدنى فى عطائى عشرة دنانير ، فأطرق ثم قال: ولِمَ ؟ وفيم ؟ ألعبادةٍ أحدثْتها فنُعينَك عليها ، أم لبلاء حسن أبليتَه عند أمير المؤمنين ؟ أم لماذا يابن صفوان ؟ إذاً يكثر السؤال ، ولا يحتمِل ذلك بيتُ المـال . قال : فقلت : ياأمير المؤمنين ؛ وفقَّك الله وسدَّدك ، أنت والله كما قال أخو خُزاعة :

إذَا المالُ لم يُوجِبْ عليْكَ عَطاءَهُ ... قَرابةُ قُرْبَى، أو صَديقٌ تُوامِقُه[3]
مَنَعْتَ ـ وبَعضُ المَنعِ حَزْمٌ وقُوَّةٌ ـ ... ولم تَفتلتْك المـالَ إلاَّ حَقائِقُه

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف : «الأهتم». (٢) البيت لمعن بن أوس ، وهو فى الحماسة ١١٣١ـ شرح المرزوقى (٢) البيتان لكثير ؛ وهما فى ديوانه ٢ : ٨٣، والأغانى ١١ : ١٩٢ (طبعة الدار) وأمالى القالى ٢ : ٨٨ ، وتوامقه ، توده ؛ مفاعلة من الموامقة ؛ وتفتلتك ، أى يخرجه من يدك وقبضتك .

فلما قدم خالد البصرة ، قيل له : ما الذى حَمَلك على تزْبين الإمساك له ؟ قال : أحببتُ أن يمنَع غيرى كما منعَنى ، فيكثرَ مَنْ يلومه .

قال سيدنا أدام اللهُ علوّه : وكان خالد مشهوراً بالبلاغة وحسن العبارة .

***

وبالإسناد المتقدم عن المدائنىّ قال : قال حفص بن معاوية بن عمرو الغَلابىّ ، قلت لخالد : يا أبا صفْوان ، إنى لأكره أن تموتَ وأنت من أيْسَرِ أهل البصرة فلا يَبْكيك إلا الإماء ، قال : فابغِنى امرأة ، قلت : صفها لى أطلبها لك ، قال : أريد بكراً كثيّب ، أو ثيِّباً كبِكْر ، / لاضَرَعاً صغيرة ، ولا مُسِنّة كبيرة ؛ لم تقرأ فتجْبُنْ[1] ، ولم تَفتّ[2] فتمجُن ؛ [٣٠٦ ظ] قد نشأتْ فى نعمة ، وأدركتها خصاصة ، فأدّبها الغنى ، وأذلّها الفقر ، حسبى من جمالها أن تكونَ فَخْمَةً من بعيد ، مليحة من قريب ؛ وحسبى من حُسْنها أن تكون واسطة قومها ، ترضى منى بالسّنة؛ إن عشت أكرمتها ، وإن مِتّ وَرّثْتُها ، لا ترفع رأسها إلى السماء نظرًا ، ولا تضعه إلى الأرض سقوطاً . فقلت : يا أبا صفوان ؛ إنّ الناس فى طلب هذه مذ زمان طويل فما يقدِرون عليها .

وكان يقول: إن المرأة لو خفّ محملها ، وقلّتْ مئونتها ماترك اللئام فيها للكرام بيتة ليلة؛ ولكن ثَقُلَ محملها ، وعَظُمَتْ مؤنتها فاجتباها الكرام ، وحاد عنها اللئام .

وكان خالد من أشحّ الناس وأبخلِهم ؛ كان إذا أخذ جائزةً أو غيرَها قال للدرهم : أما والله لطالما أغرْت فى البلاد وأنجدت ؛ والله لأُطيلن ضَجْعَتَكَ ، ولأُدِيمَنّ صَرْعَتَك .

وسأله رجل من بنى تميم فأعطاه دانقاً ، فقال : يا سبحان الله ! أتُعطِى مثلى دانقاً ! فقال له : لو أعطاك كلُّ رجلٍ من بنى تميم مثل ما أعطيتك لَرُحْتَ ذامالٍ عظيم .

وسأله رجل، فأعطاه درهماً فاستقلّه ، فقال: ياأحمق، أما علمتَ أنّ الدرهم عُشْرُ العشرة؛ والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف عشر دِية مسلمٍ ! وكان يقول : والله ما تطيب نفسى بإنفاق درهم إلا درهماً قَرَعْتُ به باب الجنة ، أو درهماً اشتريت به موزاً.

---

(١) من نسخة بحاشية ف : « فتحنن » ، وانظر عيون الأخبار ٤ : ٥ (٢) حاشية الأصل : « لم تفت من الفتوة » .

وقال : لأن يكون لى ابنٌ يحب الخمرَ أحبُّ إلىّ من أن يكون لى ابن يحبُّ اللحم ؛ لأنه متى طلب اللحم وجده ، والخمر يفقده أحيانا .

وكان يقول : مَنْ كان ماله كَفافا فليس بغنىّ ولا فقير ؛ لأن النائبة إذا نزلتْ به أجحفت بكَفافه ؛ ومن كان ماله دون الكَفاف فهو فقير ، ومن كان ماله فوق الكَفاف فهو غنىّ .

وكان يقول : لأنْ يكون لأحدكم جارٌ يخاف أن ينقُبَ عليه بيتَه خَيْرٌ من أنْ يكون له جارٌ من التجار ؛ لا يشاء أن يمطيَه مالا ويكتب به عليه صكًّا إلا فعل .

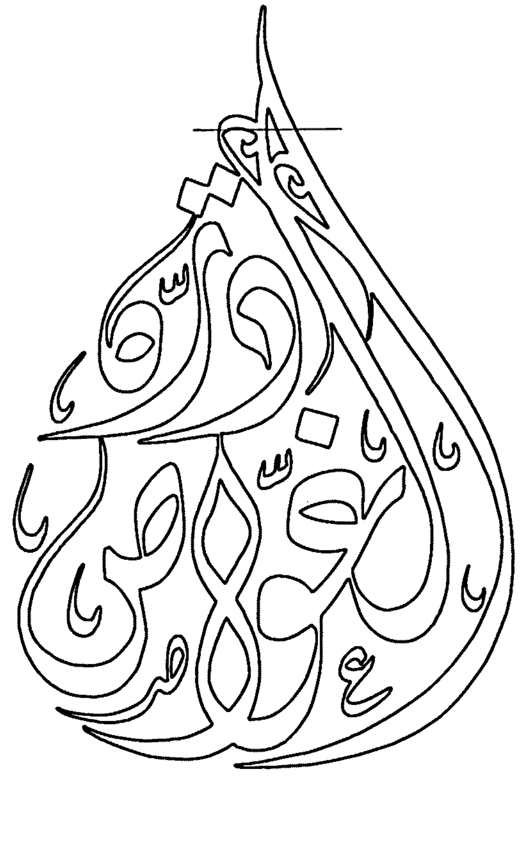

٧٧

مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ، وَلَـٰكِنَّ الظَّالِمِينَ / بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ؛ [الأنعام : ٣٣] . [٣٠٧ و]

فقال : كيف يخبر عنهم بأنهم لا يكذّبون نبيَّه عليه السلام ، ومعلوم منهم إظهار التكذيب ، والعدولُ عن الاستجابة والتصديق ، وكيف ينفى عنهم التكذيب ثم يقول: إنهم بآيات الله يجحدون ؟ وهل الجَحْد بآيات الله إلا تكذيبُ نبيه عليه السلام !

الجواب ، قلنا : قد ذُكِر فى هذه الآية وجوه :

أولها أن يكون إنما نفى تكذيبهم بقلوبهم تديناً واعتقاداً ، وإن كانوا يُظْهرون بأفواههم التكذيبَ ؛ لأنّا نعلم أنه قد كان فى المخالفين له عليه السلام مَنْ يعلم صدقَه ، ولا ينكر بقلبه حقَّه ؛ وهو مع ذلك معاند ؛ فيُظْهِر خلاف مايبطن ، وقد قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ [البقرة : ١٤٦] .

ومما يشهد لهذه الوجه من طريق الرواية ما رواه سلاّم بن مسكين عن أبى يزيد المدنىّ أن رسول الله صلى الله عليه وآله لقىَ أبا جهل فصافحه أبو جهل ، فقيل له : ياأبا الحكم ، أتصافح هـذا الصَّبِّىّ ؟ فقال : والله إنى لأعلمُ أنه نبىّ ؛ ولـكن متى كنا تبعاً لبنى عبد مناف ! فأنزل الله تعالى الآية .

وفى خبر آخر أن الأخنس بن شَرِيق خلا بأبا جهل ، فقال له : ياأبا الحكم ، أخبرْنى عن محمـد صلى الله عليه وآله، أصادق هو أم كاذب ! فإنه ليس هاهنا من قريش أحدٌ غيرى وغيرُك يسمع كلامنا ، فقال له أبو جهل : وَيْحك ! والله إنّ محمـداً لصادق ، وما كذب

محمد قط ؛ ولكن إذا ذهب بنو قُصَىٍّ باللواء والحجابة والسّقاية والنَّدْوة والنبوّة ، ماذا يكون لسائر قريش !

والوجه الثانى أن يكون معنى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ أى لا يفعلون ذلك بحجة ، ولا يتمكون من إبطال ما جئت به ببرهان ؛ وإنما يقتصرون على الدعوى الباطلة ؛ وهذا فى الاستعمال معروف؛ لأنّ القائل يقول : فلان لا يستطيع أن يكذّبنى ولا يدفعَ قولى ؛ وإنما يريد أنه لا يتمكَّن من إقامة دليل على كذبه ، و حجة فى دَفْع قوله ؛ وإن كان يتمكن من التكذيب بلسانه وقلبه ، فيصير مايقع من التكذيب من غير حجّة ولا برهان غيرَ معتد به .

وروى عن أمير المؤمنين علىّ عليه السلام أنه قرأ هذه الآية بالتخفيف: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ ﴾، ويقول: أنّ المراد بها أنهم / لا يأتون بحق هو أحقّ من حقك . [٣٠٧ ظ]

وقال محمد بن كعب القُرَظِىّ: معناها لا يبطلون ما فى يديك؛ وكل ذلك يقوِّى هذا الوجه ؛ وسنبيّن أنّ معنى هذه اللفظة مشدّدة يرجع إلى معناها مخففة .

والوجه الثالث أنْ يكونَ معنى الآية أنهم لا يصادفونك ولا يُلفونك متقوِّلا؛ كما يقولون : قاتلته فما أجبنتُه ، أى ما وجَدْتُه جبانا، وحادثته فما أكذبته ؛ أى لم ألفه كاذبا؛ وقال الأعشى :

أثْوى وقَصَّرَ ليلةً ليُزَوَّدَا ... فمضى وأخلَفَ مِنْ قُتَيلةَ موْعِدا[1]

أراد أنه صادف منها خُلْفا المواعيد، ومثله قولهم: أَصْمَمْتَ القوم؛ إذا صادفتهم صما، وأخليت الموضع، إذا صادفته خالياً ؛ قال الشاعر :

أبيتُ مع الحُدَّاثِ لَيْلَى فلم أَبِنْ ... فأخلَيْتُ فاستَجْمَعْتُ عِند خَلَائيا

أى أصبت مكانا خالياً .

(١) ديوانه : ١٥٠ .

ومثله لهيان بن أبى قحافة :

يَسُنُّ أنيابًا له لَوَاجِا(١) أوسَعْنَ مِن أشْدَاقِهِ المضارِجا(٢)

يعنى بـ« أوسعن » أصبن منابت واسعة فنبتن فيها .

وقال عمرو بن براق :

تحالَفَ أقوامٌ علىَّ لِيُسْمِنُوا وَجَرُّوا علىَّ الحَرْبَ إذْ أنا سائِمِ(٣)

يقال : أسمن بنو فلان، إذا رعتْ إبلهم فصادفوا فيها سِمَناً .

وقال أبو النجم :

مستأسدًا ذبابُه فى غَيْطَلِ يقلن للرائد أعشبت انزل(٤)

أى أصبت مكانا معشباً .

وقال ذو الرّمة :

تُرِيكَ بياضَ لَبّتِها وَوَجْهاً كَقَرْنِ الشَّمسِ أفْتَقَ ثمَّ زَالاَ(٥)

أى وجد فتقاً من السحاب .

وليس لأحد أن يجعل هذا الوجه مختصاً بالقراءة بالتخفيف دون التشديد ؛ لأن فى الوجهين معاً يمكن هذا الجواب ، لأن « أفعلْت » و« فعلت » يجوزان فى هذا الموضع ، و« أفعلت » بالتخفيف هو الأصل ثم شدد تأكيداً وإفادة لمعنى التكرار ؛ وهذا مثل أكرمت [٣٠٨] وكرّمت، وأعظمت وعظّمت، وأوصيت ووصّيت، وأبلغت وبلّغت ؛ وهو كثير /؛ قال الله تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [الطارق: ١٧] ؛ إلا أن التخفيف أشبه بهذا الوجه؛ لأن استعمال هذه اللفظة مخففة فى هذا المعنى أكثر .

والوجه الرابع ما حكى الكسائىّ من قوله: إن المراد أنهم لا ينسبونك إلى الكذب فيما أثبت به ؛ لأنه كان أميناً صادقا لم يجرّبوا عليه كذبا؛ وإنما كانوا يدفعون ما أتى به، ويدّعون أنه فى نفسه كذبٌ ؛ وفى الناس مَنْ يقوّى هذا الوجه، وأن القوم كانوا يكذّبون ما أتى به، وإن

(١) اللمج : الأكل (٢) المضارج : الثياب المشوقة ؛ والبيت فى اللسان (ضرج) .
(٣) البيت فى الأغانى ٢١ : ١١٤ . (٤) الطرائف الأدبية ٥٩ . (٥) ديوانه ٤٣٤ .

كانوا يصدقونه فى نفسه بقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ؛ وبقوله تعالى : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ ؛ [الأنعام : ٦٦] ؛ ولم يقل : وكذَّبك قومُك . وكان الكسائىّ يقرأ : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ ﴾ بالتخفيف ونافع من بين سائر السبعة، والباقون على التشديد ؛ ويزعم أنَّ بين أكْذبه وكذَّبه فرقا ، وأن معنى أكذب الرجل، أنه جاء بكذب، ومعنى كذَّبته أنه كذاب فى كل حديثه. وهذا غلط وليس بين «فعّلت» و«أفعلت» فى هذه الكلمة فرق من طريق المعنى أكثر مما ذكرناه من أنّ التشديد يقتضى التكرار والتأكيد، ومع هذا لا يجوز أن يصدّقوه فى نفسه، ويكذّبوا بما أتى به ؛ لأن من المعلوم أنه عليه السلام كان يشهد بصحة ما أتى به وصدقه، وأنه الدين القيم ، والحق الذى لا يجوز العدول عنه؛ فكيف يجوز أن يكون صادقا فى خبره وكان الذى أتى به فاسداً ! بل إن كان صادقا فالذى أتى به حقٌّ صحيح، وإن كان الذى أتى به فاسداً؛ فلابد من أن يكون فى شىء من ذلك كاذبا؛ وهو تأويل من لا يتحقق المعانى .

والوجه الخامس إن يكون المعنى فى قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ أن تكذيبك راجع إلىّ ، وعائد علىّ ؛ ولست المختص به؛ لأنه رسول فمن كذبه فهو فى الحقيقة مكذِّب لله تعالى ورادّ عليه . وهذا كما يقول أحدنا لرسوله: امْضِ فى كذا فمن كذَّبك فقد كذبنى، ومن دفعك فقد دَفعنى؛ وذلك من الله على سبيل التسلية لنبيه عليه السلام؛ والتعظيم والتغليظ لتكذيبه.

والوجه السادس أن يريد: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ فى الأمر الذى يوافق فيه تكذيبهم ، وإن كذبوك فى غيره .

[٣٠٨] ظ
ويمكن فى الآية وجهٌ سابع ، وهو أن يريد تعالى أن جميعهم لا يكذبونك وإن كذّبك بعضهم ؛ فهم الظالمون الذين ذُكِروا فى آخر الآية بأنهم يجحدون بآيات الله ؛ وإنما سلّى نبيه عليه السلام بهذا القول وعزّاه ؛ فلا ينكر أن يكون موسى عليه السلام لما استوحش من تكذيبهم له وتلقيهم إياه بالرد ؛ وظن أنه لا متَّبِع له منهم ، ولا ناصرَ لدينه فيهم أخبره

الله تعالى بأنّ البعض وإن كذبك فإن فيهم من يصدقك ويتبعك وينتفع بإرشادك وهدايتك؛ وكل هذا واضح والمنة لله .

☆ ☆ ☆

قال سيدنا أدام الله علوّه : ومن جيد الشعر قول مطرود بن كعب الخُزَاعىّ :

يأيُّها الرَّجُلُ المحَوِّلُ رَحْلَهُ ... ألاَّ نَزَلْتَ بآلِ عَبْدِ منافِ!(١)
هَبِلَتْكَ أُمُّكَ لو نزلتَ عَلَيْهِمُ ... ضمِنُوكَ مِنْ جُوعٍ ومن إقرافِ(٢)
الآخِذُونَ العَهْدَ مِنْ آفاقِها ... والرَّاحِلُونَ لِرِحْلَةِ الإيلافِ
والمُطْعِمُونَ إذَا الرِّياحُ تناوَحَتْ ... وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ
وَالمُفْضِلُونَ إذَا المُحُولُ تَرَادَفَتْ ... والقائلونَ هَلُمَّ للأَضْيافِ
وَالخالِطُونَ غَنِيَّهُمْ بِفَقِيرِهِمْ ... حتى يكُونَ فَقِيرُهُم كالكافِي(٣)
كانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فتَفَلَّقَتْ ... فالمُحُّ خالِصَةٌ لِعَبْدِ مَنافِ(٤)

---

٢٨٢ ٢/٨٢ ر١٩٥ ر٢١٥

(١) معجم الشعراء ٣٧٥ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١١٧ (على حاشية روض الأنف) ؛ وذكر أنه رثى بها عبد المطلب بن عبد مناف ؛ . وفى معجم الشعراء : « هـلا حللت » ، وفى ابن هشام : « هلا سألت عن آل عبد مناف » .

(٢) قال السهيلىّ فى شرح هذا البيت : « أى منعوك من أن تنكح بناتك أو أخواتك من لئيم؛ فيكون الابن مقرفا للؤم أبيه وكرم أمه ؛ فيلحقك وصم من ذلك ؛ ونحو منه قول مهلهل :

أنكحها فقدها الأراقم فى ... جنبٍ، وكان الحباء من أَدَمِ

أى أنكحت لغربتها من غير كفء » . (٣) الكافى : الغنىّ الذى يكفى غيره .

(٤) البيت فى اللسان (مح) ، والسيرة ١ : ٩٤ وابن أبى الحديد ٣ : ٤٥٣ ، والعينى ٤ : ١٤٠ منسوب إلى ابن الزبعرى . والمح : صفرة البيض ؛ كالمحة . وخالصة : مصدر ؛ وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « خاصها » ؛ وهى رواية اللسان . وزاد فى رواية ابن هشام :

إمّا هلكت — أبا الفعال — فما جرَى ... من فوقِ مثلِك عقد ذاتِ نطافِ
إلاّ أبيكَ أخى المكارم وحْدَهُ ... والفيض مطّلبٍ أبى الأضيافِ

أما قوله :

* والراحلون لرحلة الإيلاف *

فكان هاشم صاحب إيلاف قريش للرحلتين وأول من سنهما ، فألِفوا الرحلتين : فى الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق ، وفى الصيف إلى الشام . وفى ذلك يقول ابن الزِّبَعْرَى :

عَمْرُو العُلَا هَشَمَ الثَّريدَ لِقَوْمِهِ ... وَرِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجافُ[1]
وَهْوَ الذى سَنَّ الرَّحِيلَ لِقَوْمِهِ ... رِحَلَ الشِّتاءِ وَرِحْلَةَ[2] الأَضيافِ

فأما « المسنتون » فهم الذين أصابتْهم السنة المجدبة الشديدة .

وقوله :

* والخالطون غنيَّهم بفقيرهم *

من أحسن الكلام وأخصره ؛ وإنما أراد أنهم يُفضلون على الفقير حتى يعود غنياً / [٣٠٩ و] ذا ثروة .

ولأحمد بن يوسف أبيات على هذا الوزن يمزح بها مع ولد سعيد بن سَلْم الباهلىّ ، وكان لهم صديقاً :

أبنى سعيد إنَّكُمْ مِنْ مَعْشَرٍ ... لا يَعْرِفُونَ كَرامَةَ الأَضْيافِ[3]
قَوْمٌ لِباهِلَةَ بْنِ يَعْصُرَ إنْ هُمُ ... نُسِبُوا حَسِبْتَهُمُ لِعَبْدِ مَنافِ
قَرَنُوا الغَداءَ إلى العَشاءِ وقَرَّبُوا ... زادًا لَعَمْرُ أبيكَ ليس بِكافِ
وكأنَّنى لمَّا حَطَطْتُ إليهِمُ ... رَحْلِى نزلْتُ بأَبْرَقِ العزَّافِ[4]
بَيْنا كَذَلِكَ إذْ أتى كُبراؤُهُمْ ... يَلْحَوْنَ فى التَّبْذِيرِ والإِسْرافِ

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٩٤ ، والعينى ١ : ١٤٠ ، وابن أبى الحديد ٣ : ٤٥٣ .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « برحلة » .

(٣) الأبيات فى معجم البلدان ١ : ٧٨ ، روى عن المبرد أنه عزاها لرجل يهجو بنى سعد بن قتيبة الباهلى .

(٤) أبرق العزاف : ماء لبنى أسد بن خزيمة بن مدركة . وفى حاشية الأصل : « مغارة بعينها » .

أراد بقوله : « قرنوا الغداء إلى العشاء » من بخلهم واختصارهم فى المطعم ؛ ويقال : إنّ هذا الشعر حُفِظ وصار من أكثر ما يُسَبُّون به ويسبُّ قومهم ؛ ولرب مزح جرّ جدًّا ، وعثرةُ الشعر لاتستقال ؛ والشعر يسير بحسب جودته .

ولقد أحسن دِعْبل بن على فى قوله :

نَعَوْنى وَلمَّا يَنْعَنى غَيْرُ شامتٍ   وغَيْرُ عَدُوٍّ قَدْ أُصيبَتْ مَقاتِلُهْ[١]

يقُولونَ إنْ ذاقَ الرَّدَى ماتَ شِعْرُهُ   وَهَيْهاتَ عُمْرُ الشِّعْرِ طالَتْ طوائِلُهْ !

سأَقْضى ببَيْتٍ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ   وَيَكْثُرُ مِن أَهْلِ الرِّوايَةِ حامِلُهْ

يَموتُ رَدِىُّ الشِّعْرِ مِن قَبْلِ رَبِّهِ   وَجَيِّدُهُ يَبْقى ؛ وَإنْ ماتَ قائِلُهْ[٢]

ولآخر فى هذا المعنى[٣] :

لا تَعْرِضَنَّ بمَزْحٍ لِامرِئٍ فَطِنٍ   ما راضَهُ قَلْبُهُ أَجْراهُ فى الثَّبَتِ[٤]

فَرُبَّ قافِيَةٍ بالمَزْحِ جارِيَةٍ   مَشْئومَةٍ لم يُرِدْ إنماؤُها نَمَتِ

إنّى إذَا قُلْتُ بَيْتاً ماتَ قائِلُهُ   وَمَنْ يُقالُ لهُ وَالبَيْتُ لم يَمُتِ

(١) الأبيات فى الكامل ٤ : ١١١ — بشرح المرصفى ، والموشح : ٣٨١ .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « إذا مات » .

(٣) من أبيات فى (الكامل ٤ : ١١٠—١١١ بشرح المرصفى) ؛ ونسبها أيضا لدعبل ؛ وأولها :

أحببت قومى ولم أعدل بحبهمُ   قالوا : تعصبت جهلا ، قول ذى بَهَتِ

(٤) الثبت : الدرج ؛ وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « الشفة » ؛ وهى رواية الكامل .

مجلس آخر [٧٨]

تأويل آية أخرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ. انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ / وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾؛ [٣٠٩] ط [الأنعام: ٢٣، ٢٤] وعن قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾؛ [الأنعام: ٢٧، ٢٨].

فقال: كيف يقع من أهل الآخرة نفيُ الشرك عن أنفسهم، والقَسَم بالله تعالى عليه وهم كاذبون فى ذلك؛ مع أنهم عندكم فى تلك الحال لايقع منهم شىء من القبيح لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة؛ ولأنهم مُلْجَئُون هناك إلى ترك جميع القبائح، وكيف قال من بعد: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فشهد عليهم بالكذب، ثم علّقه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو التمنى؛ لأنهم تمنوا ولم يخبروا!

الجواب، قلنا: أولُ ما نقوله: إنه ليس فى ظاهر الآية ما يقتضى أن قولهم: ﴿ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ إنما وقع فى الآخرة دون الدنيا؛ وإذا لم يكن ذلك فى الظاهر جاز أن يكون الإخبار يتناول حال الدنيا، وسقطت المسألة؛ وليس لأحدٍ أن يتعلّق فى وقوع ذلك فى الآخرة بقوله تعالى قبل الآية: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٢]؛ وأنه عقّب ذلك بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ ﴾؛ فيجب أن يكون الجميع مختصاً بحال الآخرة؛ لأنه لايمنع أن تكون الآية تتناول مايجرى فى الآخرة، ثم تتلوها آية تتناول مايجرى فى الدنيا؛ لأن مطابقة كل آية لما قبلها فى مثل هذا

غير واجبة، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ ﴾ لاتدلّ أيضاً على أن ذلك يكون واقعاً بعد ما خبر تعالى عنه فى الآية الأولى؛ فكأنه تعالى قال على هذا الوجه: إنا نحشرهم فى الآخرة ونقول: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ؟ وما كان فتنتهم وسببَ ضلالهم فى الدنيا إلا قولهم: ﴿ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ .

وقد قيل فى الآية — على تسليم أنّ هذا القول يقع منهم فى الآخرة — : إنّ المراد به أنا ما كنا عند نفوسنا وفى اعتقادنا مشركين ؛ بل كنا نعتقد أنا على الحق والهدى، وقوله تعالى من بعد: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ لم يرد هذا الخبر الذى وقع منهم فى الآخرة ؛ بل إنهم كذبوا على أنفسهم فى دار الدنيا بإخبارهم / أنهم مصيبون محقّون غير مشركين ؛ وليس [٣١٠ و] فى الظاهر إلا أنهم كذبوا على أنفسهم من غير تخصيص بوقت ؛ فلم يحمل على آخرة دون دنيا .

ولو كان للآية ظاهر يقتضى وقوع ذلك فى الآخرة لحملناه على الدنيا؛ بدلالة أن أهل الآخرة لا يجوز أن يكذبوا لأنهم ملجئون إلى ترك القبيح .

فأما قوله تعالى حاكياً عنهم : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فمن الناس مَن حمل الكلام كله على وجه التمنى؛ فصرف قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ إلى غير الأمر الذى تمنوه؛ (١لأن التمنىَ لايصح معه الصدق والكذب١) ؛ لأنهما إنما يدخلان فى الأخبار المحضة ؛ لأن قول القائل : ليت الله رزقنى ولداً ؛ وليت فلانا أعطانى مالا أفعل به كذا وكذا لا يكون كذباً ولا صدقاً ؛ وقع ما تمناه أو لم يقع ؛ فيجوز على هذا أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ مصروفاً إلى حال الدنيا ، كأنه تعالى قال : وهم كاذبون فيما يخبرون به عن أنفسهم فى الدنيا من الإضافة واعتقاد الحق ؛ أو يريد أنهم كاذبون أن خبّروا(٢) عن أنفسهم أنهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا ؛ وإن كان ما كان مما حُكى عنهم من التمنى ليس بخبر .

(١—١) حاشية الأصل (من نسخة) : « لأن التمنى لايصح فيه معنى الصدق والكذب » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « أن يخبروا » .

وقد يجوز أيضاً أن يحمل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ على غير الكذب الحقيقىّ ؛ بل يكونُ المرادُ والمعنى أنهم تمنوْا ما لا سبيل إليه فكذَبَ[١] أملُهم وتمنِّيهم ؛ وهذا مشهور فى الكلام ؛ لأنهم يقولون لمن تمنى ما لا يدركُ : كذَبَ أملُك ، وأكْدى رجاؤك ؛ وما جرى مجرى ذلك ؛ قال الشاعر :

كَذَبْتُمْ وبيْتِ اللهِ لا تأْخُذُونَها ... مُراغَمةً ما دَام لِلسَّيْفِ قائِمُ

وقال آخر :

كَذَبْتُمْ وبيْتِ اللهِ لا تَنْكِحُونَها ... بَنِى شابَ قَرْناها تُصَرُّ وتُحْلَبُ[٢]

ولم يرد الكذبَ فى الأقوال ؛ بل فى التمنى والأمل .

وليس لأحد أن يقول : كيف يجوز من أهل الآخرة مع معارفِهم الضرورية ، وأنهم عالمون بأنّ الرجوعِ إلى الدنيا لا سبيل إليه أن يتمنوْه ؛ وذلك أنه غير ممتنع أن يتمنى المتمنِّى ما يعلَم أنه لا يحصل ولا يقع ؛ ولهذا يتعلّق التمنى للشىء / بألاّ يكون ما قد كان. ولقوّة اختصاص التمنى بما يُعلم أنه لا يكون غَلِط قوم فجعلوا إرادة ما علم المريد أنه لا يكون تمنياً ؛ فهذا الذى ذكرناه وجهٌ فى تأويل الآية . [٣١٠ ظ]

وفى الناس مَن يحمل بعض الكلام تمنّياً وبعضه إخباراً ، وعلّق تكذيبَهم بالخبر دون ﴿ لَيْتَنَا ﴾ ؛ فكان تقدير الآية : يا ليتنا نرد ــ وهذا هو التمنى ــ ثم قال من بعد : فإنّا ﴿ لَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فأخبَروا بما علم الله تعالى أنهم فيه كاذبون ؛ وإن لم يعلموا من أنفسِهم مثلَ ذلك ؛ فلهذا كذّبهم الله تعالى . وكل هذا واضح .

* * *

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنى أحمد بن عبد الله ، وعبد الله بن يحيى العسكريّان[٣] قالا : حدثنا الحسن بن عُلَيْل العنزىّ قال حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله العبدىّ قال حدثنا

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « فكذب أملهم » بالتشديد .

(١) البيت فى اللسان (قرن) ، وسيبويه ١ : ٢٥٩ ، ٢ : ٦٥ ؛ وشاب قرناها : لقب لامرأة .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « العسكرى » .

أبو مِسْعر(١) ـ رجل منا من بنى غَنْم بن عبد القيس ـ قال : ورد(٢) منصور بن سلمة النَّمَرىّ على البرامكة، وهو شيخ كبير ـ وكان مرْوان بن أبى حفصة صديقاً لى ؛ على أنى كنت أبغضه وأمقته فى الله ـ فشكا إلىَّ وقال : دخل علينا اليوم رجلٌ أظنه شامياً ـ وقد تقدمته البرامكة فى الذكر عند الرشيد ـ فأُذِن له ، فدخل فسلّم وأجاد ، فأذِن له الرشيد ، فجلس. قال : فأوْجست منه خوفاً فقلت : يا نفس ، أنا حجازىّ نجدى شافهتُ العرب وشافهتْنى ، وهذا شامىّ؛ أفتراه أشعرُ منى! قال: فجعلت أرفُو(٣) نفسى إلى أن استنشده هارون ؛ فإذا هو والله من أفصح الناس ، فدخلنى له حسد؛ قال: فأنشده قصيدةً تمنيت أنها لى ؛ وأنَّ علىَّ غرماً، فقلت له: ما هى؟ قال : أحفظ منها أبياتاً، وهى :

أميرَ المُؤْمنينَ إليكَ خُضْنا ... غِمارَ الموْت مِن بلدٍ شَطيرِ
بِخُوصٍ كالأَهِلَّةِ جانِفاتٍ ... تَميلُ على السُّرَى وعلى الهَجيرِ
حَمَلْنَ إليْك آمالاً عِظاماً ... وَمِثلَ الصخر والدُّرِّ النَّثيرِ
فقدْ وَقَفَ المَديحُ بِمُنْتَهاهُ ... وَغايَتِهِ وَصار إلى المصيرِ
إلى مَن لاتُشيرُ إلى سِواهُ ... ـ إذا ذُكِر النَّدَى ـ كَفُّ المُشيرِ

[٣١١] /قال مروان : فوددت أنه قد أخذ جائزتى وسكت. وعجبتُ من تخلُّصه إلى تلك القوافى. ثم ذكر ولد أمير المؤمنين علىّ عليه السلام ، فأحسن التخلص ، ورأيت هارون يعجب بذلك؛ فقال :

يَدٌ لكَ فى رِقاب بنى عَلِىٍّ ... وَمَنٌّ ليس بالمَنِّ اليَسيرِ
فإنْ شكَرُوا فقد أنعْمتَ فيهم ... وإلاَّ فالنَّدامَةُ لِلكَفُورِ
مننْتَ على ابن عبدِ الله يحيى ... وكانَ مِن الحُتُوف على شفيرِ
وَقد سَخِطت لِسَخْطَتِكَ المنَايا ... عليهِ ؛ فَهْىَ حائمةُ النُّسُورِ

---

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « أبومسعود » .

(٢) الخبر فى الأغانى ١٢ : ١٦–١٧ .   (٣) أرفو نفسى : أسكنها من الرعب .

وَلو كافأْتَ ما اجْتَرَحَتْ يداهُ   دَلفْتَ لهُ بقاصمةِ الظُّهورِ
ولكِن جَلَّ حِلمُكَ واجْتباهُ   على الهفَواتِ عفْوٌ مِن قديرِ
فعَادَ كأنَّه لم يَجْنِ ذنباً   وَقد كانَ اجْتنَى حَسَكَ الصدورِ
وَإنَّك حِينَ تبلُغُهم أذاةٌ   وَإنْ ظلَمُوا لمُحْترِقُ الضَّميرِ

وإن الرشيد قال لما سمع هذا البيت: هذا والله ممَّن كان فى نفسى؛ وأدخله بيت المال فحَكّمه فيه.

عدنا إلى الخبر، قال مرْوان: وكان هارون يَبْسِم ويكاد يضحك للطف ماسمع؛ ثم أومأ إلىّ أن أنشد، فأنشدته قصيدتى التى أقول فيها:

خَلُّوا الطَّريقَ لِمعْشرٍ عاداتُهُمْ   حَطْمُ المناكِبِ كلَّ يوم زِحامِ(١)

حتى أتيت على آخرها؛ فوالله ماعاجَ ذلك الرجل /–يعنى النمرىّ– بشعرى، ولاحَفَل به.

قال: وأنشده منصور يومئذ:

إنَّ لِهارُونَ إمامِ الهُدَى   كَنزَيْنِ مِنْ أجْرٍ ومِن بِرِّ
يَرِيشُ ما تبْرِى اللَّيالى ولا   تَرِيشُ أيْدِيهِنَّ ما يبرِى
كأنَّما البَدْرُ على رَحْلِهِ   تَرْمِيكَ مِنهُ مُقْلَتا صَقْرِ

قال وأنشده أيضاً:

وَلِمَنْ أضاعَ لَقَدْ عَهِدْتُكَ حافِظاً   لوَصِيَّةِ العبَّاسِ بالأخْوالِ

/ قال مروان: وأخلقْ به أن يغلبنى وأن يعلوَ علىَّ عنده؛ فإنى ما رأيت أحسنَ من [٣١١ ظ] تخلُّصه إذا ذكر الطالبيّين(٢).

⁂

(١) بعده فى رواية الأغانى:

ارضوْا بما قَسم الإله لكمْ به   ودعوْا وراثة كلِّ أصيدَ حامِ
أنَّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ   لبنى البنـات وراثة الأعمامِ!

(٢) د، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «إلى ذكر الطالبيين».

أخبرنا المرزبانىّ قال حدثنى أبو عبد الله الحكيمىّ قال حدثنى يموت بن المزرّع قال حدثنى أبو عثمان الجاحظ قال : كان منصور النَّمَرِىّ ينافق الرشيد ويذكر هارون فى شعره ؛ ويُريه أنّه من وجوه شيعته، وباطنُه ومراده بذلك أمير المؤمنين عليه السلام، لقول النبى صلى الله عليه وآله: « أنت منى بمنزلة هارون من موسى »؛ إلى أن وَشَى عندَه بعضُ أعدائه ــ وهو العتّابى ــ فقال : ياأمير المؤمنين ، هو والله الذى يقول:

مَتَى[1] يَشْفيكَ دَمْعُكَ من هُمُولِ ... وَيَبْرُدُ ما بِقَلْبِكَ من غَلِيلِ!

وأنشده أيضاً :

شاءٌ مِنَ النَّاسِ راتِعٌ هامِلْ ... يُعَلِّلُونَ النُّفُوسَ بالباطِلْ[2]

ومنصور يصرّح فى هذه القصيدة بالعجائب ؛ فوجّه الرشيد برجل من فَزارة ، وأمره أن يضرب عُنُقَ منصور حيث تقع عينُه عليه ؛ فقدم الرجل رأس عيْن[3] بعد موت منصور بأيام قلائل .

قال المرزبانىّ : ويصدّق قول الجاحظ أنّ النمرىّ كان يذكر هارون فى شعره ؛ وهو يعنى به أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام ما أنشدناه[4] محمد بن الحسن بن دريد للنَّمَرِىّ :

آلُ الرَّسُولِ خِيارُ الناسِ كُلِّهِمِ ... وَخَيْرُ آلِ رَسولِ اللهِ هارُونُ

رَضِيتُ حُكْمَكَ لاأبْغى بِهِ بَدَلًا ... لأَنَّ حُكْمَكَ بالتَّوْفيقِ مَقْرُونُ

* * *

وروى أنّ أبا عِصْمَة الشيعىّ لما أوقع بأهل ديار ربيعة أوفدتْ ربيعة وفداً إلى الرشيد ، فيهم منصور النَّمَرِىّ ؛ فلما صاروا بباب الرشيد أمرهم باختيار مَنْ يدخل عليه ، فاختاروا عدداً بعدعدد ، إلى أن اختاروا رجلين ؛ النَّمَرِىّ أحدهما ؛ ليدخلا ويسألا حوائجهما ــ وكان

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « متى ينفك » .

(٢) الأغانى ١٢ : ١٩ . (٣) رأس عين : من مدن الجزيرة ، بين حران ونصيبين.

(٤) حاشية الأصل : « نسخة س : ما أنشده » .

النَّمَرِىُّ مؤدباً ، لم يسمع منه شعر قط قبل ذلك ، ولا عُرِف به ـ فلما مَثَل هو وصاحبه بين يدى الرشيد قال لهما : قولا ما تريدان ، فاندفعَ النَّمَرِىّ فأنشد :

✲ ما تَنْقَضِى حَسْرَةٌ مِنِّى وَلَا جَزَعُ ✲

فقال له الرشيد : قل حاجتك وعَدّ عن هذا ، فقال :

✲ إذَا ذَكَرْتُ شَباباً لَيْسَ يُرْتَجَعُ ✲

[٣١٢ و] / وأنشده القصيدة حتى أتى إلى قوله :

رَكْبٌ مِنَ النَّمِرِ عاذُوا بابْنِ عَمِّهِمُ ... مِنْ هاشِمٍ إذْ أَلَحَّ الأَزْلَمُ الجَذَعُ(١)
مَتُّوا إلَيْكَ بِقُرْبَى مِنْكَ تَعْرِفُها ... لهُمْ بها فى سَنامِ المَجْدِ مُطَّلَعُ
إنّ المَكارِمَ وَالمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ ... أحَلَّكَ اللهُ مِنْها حَيْثُ تَجْتَمِعُ(٢)
إذَا رَفَعْتَ امْرَأً فاللهُ رافِعُـهُ ... وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الأَقْوامِ مُتَّضِعُ
نَفْسِى فِدَاؤُكَ والأَبْطالُ مُعْلِمَةٌ ... يَوْمَ الوَغَى وَالمَنَايا بَيْنَهُمْ قُرَعُ

حتى أتى إلى آخرها ؛ فقال : ويحك ! قُلْ حاجتَك فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أُخْرِبت الديار ، وأُخِذت الأموال ، وهُتِك الحُرَم ؛ فقال : اكتبوا له بكلِّ ما يريد ؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم ، واحتبسه عنده ، وشخص أصحابُه بالكتب ، ولم يزل عنـده يقول الشعر فيه حتى استأذنه فى الانصراف فأذن له ؛ ثم اتصل بالرشيد قوله :

شاءٌ مِنَ النَّاسِ رَاتِعٌ هامِلْ ... يُعَـلِّلُونَ النُّفُوسَ بالباطِلْ
تُقْتَلُ ذُرِّيَّةُ النَّبِىِّ ويَرْجُو ... نَ خُلُودَ الجِنانِ لِلقاتِلْ
ما الشَّكُّ عِنْدِى فى كُفْرِ قاتِلِهِ ... لَـكِنَّنِى قَدْ أَشُكُّ فى الخاذِلْ

فامتعض الرشيد وأنفذ مَنْ يقتله ؛ فوجده فى بعض الروايات ميتاً ، وفى أخرى عليلا لما به ، فسئل الرسول ألّا يأثم به ؛ وأن ينتظر موتَه ، ففعل ولم يبرح حتى توفِّى ، فعاد بخبر موته إلى هارون.

---

(١) الأغانى ١٢ : ١٩ . الأزلم الجذع : اسم للدهر .

(٢) د ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « تنتج » .

وللنَّمَرِىّ :

لوْ كُنْتُ أخْشَى مَعادِى حَقَّ خَشْيَتِهِ	لم تَسْمُ عَيْنِى إلى الدُّنْيا وَلم تَنَمِ
لَكِنَّنى عَنْ طِلَابِ الدِّينِ مُحْتَبَلٌ	وَالعِلْمُ مِثْلُ الغِنَى والجَهْلُ كالعَدَمِ
يُحاوِلونَ دُخُــولى فى سَوادِهِمُ	لَقَدْ[1] أطافُوا بِصَدْعٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ
ما يَغْلِبُونَ[2] النَّصارَى وَالْيَهُودَ على	حُبِّ[3] القُلوبِ ولا العُبَّادَ لِلصَّنَمِ

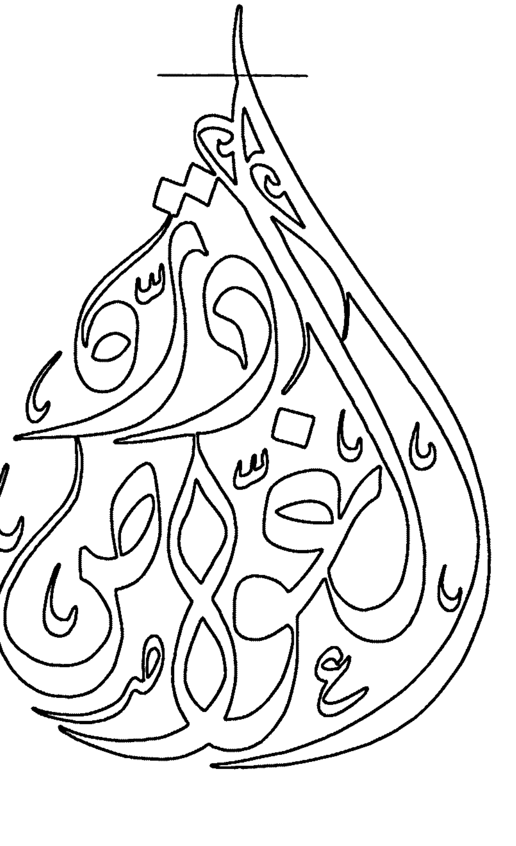

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « نقد » .

(٢) حاشية الأصل : « نسخة ش : ما تغلبون » .

(٣) حاشية الأصل : « نسخةش :حب » ، بفتح الحاء .

مكتبة الدكتور مروان العطية

٧٩ مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ ؛ [التكوير : ٨ ، ٩]

فقال : كيف يصحّ أن يُسْأل مَنْ لا ذنب له ولا عقل ؟ وأىّ فائدة فى سؤالها عن ذلك؟ وما وجهُ الحكمة فيه؟ وما الموءودة ؟ ومن أىّ شىء اشتقاق هذه اللفظة ؟

الجواب ، قلنا : أما معنى ﴿ سُئِلَتْ ﴾ ففيه وجهان :

أحدها أن يكون المراد أن قاتلَها طولب بالحجة فى قتلها ، وسئل عن قتله لها، وبأىّ ذنب كان ؛ على سبيل التوبيخ والتعنيف وإقامة الحجة . فالقَتَلة هاهنا هم المسئولون على الحقيقة لا المقتولة ؛ وإنما المقتولة مسئولٌ عنها . ويجرى هذا مجرى قولهم : سألتُ حقى ، أى طالبتُ به ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ؛ [الإسراء : ٣٤] ؛ أى مطالباً به مسئولا عنه.

والوجه الآخر أن يكون السؤال توجّه إليها على الحقيقة على سبيل التوبيخ لقاتلها ، والتقريع له، والتنبيه له على أنّه لا حجةَ له فى قتلها ؛ ويجرى هذا مجرى قوله تعالى لعيسى عليه السلام : ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ؛ [المائدة: ١١٦] ، على طريق التوبيخ لقومه وإقامة الحجة عليهم .

فإن قيل على هذا الوجه : كيف يخاطَب ويُسأل مَن لا عقل له ولا فَهْم !

والجواب، أن فى الناس من زعم أن الغرضَ بهذا القول إذا كان تبكيتَ الفاعل وتهجينه

وإدخال الغمّ عليه فى ذلك الوقت على طريق العقاب لم يمتنع أن يقع، وإن لم يكن من الموءودة فهم له؛ لأن الخطاب وإن علِّق عليها، وتوجَّه إليها فالغرض فى الحقيقة غيرُها؛ وهذا يجرى مجرى مَنْ ضرب ظالمٌ طفلا من ولده يقول: ولم[1] ضُرِبت؟ وماذنبك؟ وبأىّ شىء استحلّ[2] هذا منك؟ وغرضه تبكيتُ الظالم لا خطاب الطفل. فالأولى أن يقال فى هذا: إن الأطفال وإن كان[3] من جهة العقول لا يجب فى وصولهم إلى الأغراض المستحقة أن يكونوا كاملى العقول؛ كما يجب مثل ذلك فى الوصول إلى الثواب؛ فإنّ الخبر متظاهر، والأمة متفقة على أنهم فى الآخرة، [٣١٣] وعند دخولهم الجنان يكونون على / أكمل الهيئات؛ وأفضل الأحوال؛ وإنّ عقولهم تكون كاملة؛ فعلى هذا يحسن توجُّه الخطاب إلى الموءودة؛ لأنها تكون فى تلك الحال ممن تفهم الخطاب وتعقله، وإن كان الغرض فيه التبكيتَ للقائل، وإقامةَ الحجة عليه.

وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ وابن عباس، ويحيى بن يعمَر، ومجاهد، ومسلم ابن صبيح، وأبى الضحى؛ ومروان، وأبى صالح، وجابر بن زيد أنهم قرءوا ﴿سَأَلَتْ﴾ بفتح السين والهمزة وإسكان التاء ﴿بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ﴾ بإسكان اللام وضم التاء الثانية؛ على أن الموءودة موصوفة بالسؤال، وبالقول ﴿بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ﴾.

وروى القُطْعِىّ عن سليمان الأعمش عن حفص عن عاصم: ﴿قُتِلْتُ﴾ بضم التاء الثانية، وفى ﴿سُئِلَتْ﴾ مثل قراءة الجمهور بضم السين.

وروى عن أبى جعفر المدنى: ﴿قُتِّلَتْ﴾ بالتشديد وإسكان التاء الثانية.

وروى عن بعضهم: ﴿وَإِذَا المَوَدَّةُ﴾ بفتح الميم والواو.

فأما من قرأ ﴿سَأَلَتْ﴾ بفتح السين؛ فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناها؛ من أن الله تعالى أكملها فى تلك الحال، وأقدرها على النطق.

---

(١) حاشية الأصل: «نسخة س: «لم»، بغير واو».

(٢) حاشية الأصل (من نسخة): «استحل» بالبناء للمجهول.

(٣) م: «كانوا».

والوجه الآخر أن يكون معنى ﴿ سَأَلَتْ ﴾ أي سُئِل لها وطولب بحقها وانتُصف لها من ظالمها ؛ فكأنها هي السائلة تجوزاً واتساعا. ومن قرأ بفتح السين من ﴿سَأَلَتْ﴾ ويضم التاء الثانية من ﴿ قُتِلْتُ ﴾ فعلى أنها هي المخاطبة بذلك .

ويجوز على هذا الوجه أيضاً ﴿ قُتِلَتْ ﴾ بإسكان التاء الأخيرة كقراءة الجماعة؛ لأنه إخبار عنها ، كما يقال : سأل زيد: بأي ذنب ضُرِب ؛ وبأي ذنب ضُرِبَت . ويقوّى هذه القراءة في ﴿سَأَلَتْ﴾ ماروى عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله: «يجيء المقتول ظلما يوم القيامة وأوداجه تَشْخُب دماً ، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، متعلقا بقاتله يقول: يارب سَل هذا فيم قتلنى »

فأما القراءة المأثورة عن حفص عن عاصم في ضم التاء الأخيرة من ﴿قُتِلْتُ﴾ مع ضم السين ﴿سُئلت﴾ فمعناها ﴿وإذا الموءودةُ سُئِلَتْ﴾ : ما تبغي ؟ فقالت : ﴿بأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ﴾ فأضمر قولها . والعرب قد تضمر مثل هذا لدلالة الخطاب عليه ، وارتفاع الإشكال عنه ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ ؛ أي ويقولان ذلك ؛ ونظائره/في القرآن كثيرة[1] جدا . [٣١٣ ظ]

فأما قراءة من قرأ ﴿قُتِّلَتْ﴾ بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل بالموءودة هاهنا، وإن كان لفظها لفظَ واحدةٍ فالمراد به الجنس ، وإرادة التكرار جائزة .

فأما من قرأ ﴿ المَوَدّة ﴾ بفتح الميم والواو ، فعلى أن يكون الرحم والقرابة، وأنه يُسأل قاطعها عن سبب قطعها وتضييعها، قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾؛ [محمد : ٢٢] .

فأما الموءودة فهي المقتولة صغيرة ، وكانت العرب في الجاهلية تئد البنات بأن يدفنوهنّ أحياء ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾؛ [النحل : ٥٩] ؛ وقوله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾؛ [الأنعام : ١٤٠] .

ويقال : إنهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين :

---

(١) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « كبيرة » .

أحدها أنهم كانوا يقولون : إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات بالله، فهو أحق بها منّا .
والأمر الآخر أنهم كانوا يقتلونهن خشية الإملاق، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾؛ [الأنعام: ١٥١] .

قال سيدنا أدام الله علوّه : ووجدت أبا علىّ الجبائىّ وغيره يقول : إنما قيل لها موءودة ؛ لأنها ثُقِّلت بالتراب الذى طرح عليها حتى ماتت . وفى هذا بعض النظر ؛ لأنهم يقولون من الموءودة: وأدْت أئدوَأْداً، والفاعل وائد ، والفاعلة وائدة، ومن الثِّقَل يقولون : آدنى الشىء يئودنى؛ إذا أثقلنى، أوْداً.

وروى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه سئل عن العزْل فقال : «ذاك الوأد الخفىّ» .

وقد روى عن جماعة من الصحابة كراهيةُ ذلك، وقال قوم فى الخبر الذى ذكرناه: إنه منسوخ بما روى عنه عليه السلام أنه قيل له: إن اليهود يقولون فى العزل هى الموءودة الصغرى، فقال : « كذبت يهود، لو أراد الله تعالى أن يخلقه لم يستطع أن يصرفه » .

وقد يجوز أن يكون قوله عليه السلام: « ذاك الوأد الخفىّ» على طريق تأكيد الترغيب فى طلب النسل وكراهية العزل ؛ لا على أنه محظور محرَّم .

***

وصعصعة بن ناجية بن عِقال ، جدّ الفرزدق بن غالب؛ كان ممن فَدَى الموءودات فى الجاهلية، ونهى عن قَتْلهن . ويقال: إنه أحيا ألف موءودة ، وقيل دون ذلك .

وقد افتخر الفرزدق بهذا فى قوله :

[٣١٤ و] / وَمِنَّا الذى مَنَعَ الوائِدَاتِ   وَأَحْيا الوَئيدَ فَلَمْ تُوءَدِ(١)

وفى قوله :

وَمنَّا الذى أحيا الوَئيدَ وغالِبٌ   وَعمرٌو، وَمنَّا حاجبٌ والأقارِعُ(٢)

---

(١) ديوانه : ٢٠٣ .   (٢) ديوانه : ٥١٧ .

وفى ذلك يقول أيضاً:

أنا ابْنُ عِقالٍ وابنُ لَيْلَى وَغالِبٍ ... وفَكَّاكِ أغْلالِ الأَسيرِ المُكَفَّرِ (١)

ـ ليلى : أم غالب ، وعِقال : هو محمد(٢) بن سفيان بن مجاشع، وفكّاك الأغلال: ناجية ابن عقال، والمكفَّر: هو الذى كُفِّرَ وكُبِّل بالحديد ـ

وكانَ لنا شَيخانِ ذُو القَبْرِ منهما ... وشَيخٌ أجارَ النَّاسَ مِنْ كلِّ مَقْبَرِ (٣)

ـ ذو القبر ، غالب وكان يستجار بقبره، والذى أجار الناس من القبر وأحيا الوئيدة صعصعة(٤) ـ

على حِينَ لا تُحْيَا البناتُ وإذْ هُمُ ... عكُوفٌ على الأصنامِ حولَ المُدَوَّرِ (٥)

أنا ابْنُ الَّذِى رَدَّ المَنِيَّةَ فَضْلُهُ ... وَما حَسَبٌ دَافَعْتُ عنه بِمعورِ (٦)

أبِى أحَدُ العينَيْنِ (٧) صَعْصَعَةُ الَّذى ... متى تُخْلِفِ الجَوْزاءُ والنَّجْمُ يُمطِرِ

أجارَ بناتِ الوائدِينَ ومَنْ يُجِرْ ... على القَبْرِ (٨) يُعْلَمْ أنَّهُ غيرُ مُخْفِرِ

وفارِقِ لَيلٍ من نِساءٍ أتَتْ بِهِ (٩) ... تُعالِجُ رِيحاً لَيْلُها غيرُ مُقْمِرِ

ـ فارق ، يعنى امرأة ماخضا ؛ شبهها بالفارق من الإبل ، وهى الناقة يضربها المخاض فتفارق الإبل، وتمضى على وجهها حتى تضع ـ

---

(١) ديوانه : ٤٧٦ـ٤٧٧ . (٢) حاشية الأصل : « هذا فى نسخة ابن الشجرى » ، وفيها (من نسخة) : « هو عقال بن محمد ابن سفيان بن مجاشع » .

(٣) حاشية الأصل : « من كل مقبر ، أى الذى يدفن البنات أحياء ويجعلهم فى القبر » .

(٤) حاشية الأصل : « فى نسخة الشجرى : حقه : والذى أجار الناس وأحيا الناس من المقبر وأحيا الوليد صعصعة » .

(٥) المدور : صنم يدورون حوله .

(٦) حاشية الأصل : « المعور : ذو العورة ؛ وهو من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ ؛ أراد أنه حصن لايتمكن منه أحد» .

(٧) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « الغيثين » ، وهى رواية الديوان .

(٨) حاشية الأصل (من نسخة) : « على الفقر » .

(٩) حاشية الأصل (من نسخة) : « أبى » وهى رواية الديوان .

فقالَتْ : أَجِرْلى ما وَلَدْتُ فإننى ... أَتَيْتُكَ مِنْ هَزْلى الحَمُولة مُقْتِرِ (١)
رأى الأَرْضَ منها راحَةً فَرَمى بها ... إلى جدَدٍ (٢) منها وفى شَرِّ مَحْفَرِ
فقالَ لهـا : يامَىَّ إِنِّى بذِمَّتى ... لِبِنْتِكِ جارٌ من أبيها القَنَوَّرِ

ـ القنوّر : السيّء الخلق ـ

✡ ✡ ✡

وأخبرنا المرزبانىّ قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنا محمدبن زكريا الغَلابىّ عن العباس بن بكار الضبىّ عن أبى بكر الهذلىّ. قال الصولىّ وحدثنا القاسم بن إسماعيل / عن أبى [٣١٤ ظ]
عثمان المازنىّ عن أبى عبيدة بطرف منه قال : وفَدَ صعصعةبن ناجية جدّ الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وآله فى وفد بنى تميم (٣)؛ وكان صعصعة منع الوئيد فى الجاهلية؛ فلم يَدَعْ تميما تئِد (٤) وهو يقدر على ذلك ؛ فجاء الإسلام وقد فدى فى بعض الروايات أربعمائة جارية ، وفى الرواية الأخرى ثلاثمائة، فقال للنبى صلى الله عليه وآله : بأبى أنت وأمى أوصِنى ! قال : «أوصيك بأمك وأبيك وأختك وأخيك وأدانيك أدنانيك»، فقال: زدنى يارسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «احفظ مابين لَحيَيك ورجليك» ؛ ثم قال صلى الله عليه وآله : «ما شيء بلغنى عنك فعلته» ؟ فقال: يارسول الله، رأيت الناس يموجون على غير وجه ، ولم أدر أين الصواب ، غير أنى علمت أنهم ليسوا عليه ، فرأيتهم يئِدون بناتهم ؛ فعرفت أنّ ربهم عز وجل لم يأمرهم بذلك ، فلم أتركهم يئدون ، وفديت ماقدرت عليه .

وفى رواية أخرى إن صعصعة لما وفد على النبى صلى الله عليه وآله ، سمع قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يرَهُ ﴾؛ [الزلزلة: ٧ ، ٨] . قال : حسبى، ما أبالى ألاّ أسمع من القرآن غير هذا!

ويقال: إنه اجتمع جرير والفرزدق يوماً عندسليمان بن عبد الملك فافتخرا، فقال الفرزدق:

---

(١) مقتر : قليل المال ؛ تعنى زوجها .

(٢) د ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « خدد » ؛ وهى رواية الديوان .

(٣) ف : «فى وفد من بنى تميم » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : «فلم يدع تميما يئد» .

أنا ابن مُحيي الموتى ، فقال له سليمان : أنت ابن مُحيي الموتى ! فقال: إن جدى أحيا الموءودة وقدقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾؛ [المائدة: ٣٢] ؛ وقد أحيا، جدى اثنتين وتسعين موءودة. فتبسم سليمان وقال : إنك مع شعرك لفقيه .

تأويل خبر

إن سأل سائل عن معنى الخبر الذى يروى(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه نهى أن يصلِّىَ الرجل وهو زَنَاء .

الجواب؛ قلنا: الزناء هو الحاقن الذى قد ضاق ذرعا ببوله؛ يقال: أزنأ الرجل بوله فهو يُزْنئه إزناء ، وزَنأ بولُهُ يزنأ زَنْأً ، قال الأخطل :

فإذا دُفِعتُ إلى زَناء قَعْرُها غَبْرَاءَ مُظْلِمةٍ منَ الأَحْفَارِ(٢)

يعنى ضيق القبر ، ويقال : لا تأت فلاناً فإن منزله زَنَاء ، فيجوز أن يكون ضيّقاً ، ويجوز أن يكون عَسِر المرتقى ؛ وكلاهما يئول إلى المعنى . ويقال : موضع زَنَاء إذا كان ضيّقاً صعباً ، ومن ذلك قول أبى زبيد(٣) يصف أسداً :

[٢١٥ و] / أبَنَّ عِرِّيسةً عُنَّابُها أَشِبٌ وَدُونَ غايَتِهِ مُسْتَوْرَدٌ شَرَعُ(٤)

---

(١) ف : « روى » .

(٢) ديوانه : ٨١ ، واللسان (زنأ) .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « ذكر أبو سعيد الضرير ، وهو أحمد بن خالد قال : هو أبو زبيد حرملة بن المنذر بن معدى كرب بن حنظلة بن النعمان بن حية بن سعد ، وهو من بنى هنىّ » . والبيتان فى شعراء النصرانية بعد الإسلام ١ : ٦٧–٦٨ ؛ من قصيدة أولها :

من مبلغٌ قومنا النائين إذ شَخَصُوا أنَّ الفؤاد إليهم شيِّقٌ ولِعُ

يصف فيها الأسد .

(٤) أبنّ: أقام ، والعريسة : مأوى الأسد فى الغياض ، وعنابها أشب: أى شجر العناب فيها متداخل، والمستورد : موضع الورود. والشرع : الذى يشرع فيه ؛ يعنى موارد الوحش، وفى ف: « دون غايتها» وفى حاشيتها (من نسخة) : « دون غابتها » .

شأسُ الهُبُوطِ زَنَاءُ الحامِيَيْنِ مَتى ... يَبْشَعْ بواردةٍ يَحْدُثْ لها فَزَعُ[1]

يعنى « بزناء الحاميين » أنه ضيق جانبى الوادى . وقوله : « متى يَبْشَعْ بواردةٍ »، أى يضيق بجماعة ممن يرده ؛ وإنما يحدث لها فزع من الأسد . والشأس : الغليظ ؛ يقال: مكان شأسٌ ، إذا كان غليظاً ؛ ومن ذلك قولهم: زَنَأَ فلان فى الجبل إذا كابد الصعودَ فيه ؛ وهو يَزْنأ فى الجبل .

وروى أبو زيد: "أن[2] قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ أخذ صبيًّا له يرقّصه ـ وأمُّ ذلك الصبى منفوسة ، وهى بنت زيد الفوارس بن ضرار الضبىّ ، فجعل قيس يقول له :

أَشْبِهْ أبا أُمِّكَ أو أَشْبِهْ عَمَلْ ... وَلا تَكُونَنَّ كَهِلَّوْفٍ وَكَلْ[3]

ـ يريد عَمَلى . الوكل : الجبان . والهِلَّوْف : الهرِم المسنّ ، وهو أيضاً الكبير اللحية؛ وإنما أراد به هاهنا الجبان ـ

☆ وَارْقَ إلى الخَيْرَاتِ زَنْأً فى الجَبَلْ[4] ☆

فأخذته أمه وجعلت ترقصه ، وتقول :

أَشْبِهْ أخِى أوْ أَشْبِهَنْ أباكَا ... أمَّا أبى فَلَنْ تَنَالَ ذَاكَا

☆ تَقْصُرُ عَنْ مَنَالِهِ[5] يَدَاكَا" ☆

---

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « قبلهما :

هذا وقومٍ غضاب قد أَبَتُّهُمُ ... على الكلا كل حَوْضى عِنْدَهُمْ تَرَعُ

تبادَرُونى كأنِّى فى أَكُفِّهِمُ ... حتى إذا ما رَأَوْنى خالياً نزَعُوا

واستحدث القومُ أمراً غيرما وَهِمُوا ... وطار أبصارُهُمْ شتى وما وقعوا

كأنما يتفادَى أهل أمرهمُ ... من ذى زوائدَ فى أرساغه فَدَعُ

ضرغامةٍ أَهْرَتِ الشِّدْقَيْنِ ذى لِبَدٍ ... كأنه برنساً فى الغاب مُدَّرِعُ

بالثِّنْىِ أسفلَ من جَمَّاء ليس لهُ ... إلا بنيــــه وإلا أهلَه شِيَعُ

ـ قد أبتهم : أنمتهم وأشخصتهم على صدورهم . وقوله : « حوضى عندهم ترع » أى لم يصنعوا بى شيئا . وقوله : « فى أكفهم » أى ظنوا أنى فى أيديهم فلما رأونى دهشوا ونزعوا عما طمعوا فيه » .

(٢) النوادر ٩٢ـ٩٣ (٣) البيتان والخبر فى اللسان (زنأ ـ عمل) . (٤) فى اللسان قبل هذا البيت :

☆ يُصْبِحُ فى مضجعه قد انجدَلْ ☆

(٥) فى اللسان : « أن تناله » .

مجلس آخر [٨٠]

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ . فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَاالْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ . أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾ ؛ [البلد ١٠ ــ ٢٠] .

فقال(١ : ماتأويل هذه الآية ؟ وما معنى ما تضمنته١) .

الجواب ، أما ابتداء الآية فتذكيرٌ بنعم الله تعالى عليهم ، وما أزاح به علتهم فى تكاليفهم ، وماتفضّل به عليهم من الآلات التى يتوصلون بها إلى منافعهم ، ويستدفعون بها المضارّ عنهم ؛ لأن الحاجة ماسّة فى أكثر المنافع الدينية والدنيوية إلى العين للرؤية ، واللسان للنطق ، والشفتين لحبس الطعام والشراب / ومسكهما فى الفم والنطق أيضاً . [٣١٥ ظ]

فأما النَّجْد فى لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الأرض ، والغوْر الهابط منها ؛ وإنما سمّى الموضع المرتفع من أرض العرب نجداً لارتفاعه.

واختلف أهل التأويل فى المراد بالنجْدين ، فذهب قوم إلى أنّ المراد بهما طريقا الخير والشرّ ؛ وهذا الوجهُ يروى عن على أمير المؤمنين عليه السلام ، وابن مسعود ، وعن الحسن وجماعةٍ من المفسرين .

(١ ــ ١) ساقط من الأصل ، وما أثبته عن ف .

وروى أنه قيل لأمير المؤمنين علىّ عليه السلام: إن نَاساً[1] يقولون فى قوله : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ : إنهما الثديان ، فقال عليه السلام : لا ، إنهما الخير والشر .

وروى عن الحسن أنه قال: بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « أيها الناس، إنهما نجْدان: نجْد الخير ونجْد الشر ، فما جَعَل نجدَ الشرّ أحبّ إليكم من نجد الخير ».

وروى عن قوم آخرين أنّ المراد بالنَّجْدين ثديا الأم .

فإن قيل : كيف يكونُ طريق الشر مرتفعا كطريق الخير ، ومعلوم أنه لاشرفَ ولا رفعة فى الشر ؟

قلنا : يجوز أن يكون إنما سماه نجداً لظهوره وبُروزه لمن كلِّف اجتنابَه ؛ ومعلوم أن الطريقتين جميعاً باديان ظاهران للمكلفين. ويجوز أيضاً أن يكون سمّى طريق الشر نجداً من حيثُ يحصل فى اجتناب سلوكه والعدول عنه الشرف والرفعة ؛ كما يحصل مثل ذلك فى سلوك طريق الخير؛ لأن الثواب الحاصل فى اجتناب طريق الشر كالثواب فى سلوك طريق الخير.

وقال قوم : إنما أراد بالنجْدين أنابصّرناه وعرفناه ماله وعليه ، وهديناه إلى طريق استحقاق الثواب ؛ وثنىَّ النجْدين على عادة العرب فى تثنية الأمرين إذا اتفقا فى بعض الوجوه ، وأجرى لفظة أحدهما على الآخر ، كما قيل فى الشمس والقمر: القمران، قال الفرزدق :

☆ لنا قَمرَاها والنُّجُوم الطَّوَالِعُ[2] ☆

ولذلك نظائر كثيرة .

فأما قوله تعالى: ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ ؛ ففيه وجهان:

أحدها أن يكون ﴿ فَلاَ ﴾ بمعنى الجحْد وبمنزلة «لم» ، أى فلم يقتحم العقبة ؛ وأكثر

(١) د ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « أناساً » .

(٢) ديوانه : ٥١٩ ؛ صدره :

☆ أخذنا بآفاقِ السَّماء عليكُمُ ☆

مايستعمل هذا الوجه بتكرير لفظ «لا»؛ كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ﴾؛ [القيامة : ٣١] أى لم يصدّق ولم يصلّ ، وكما قال الحطيئة :

وَإِنْ كانَتِ النَّعْمَاءُ فيهم جَزَوْا بها ... وإنْ أنعموا، لا كَدَّرُوها ولا كَدُّوا[١]

وقلّما يستعمل هذا المعنى من غير تكرير لفظ ؛ لأنهم لا يقولون : لا جئتنى و زرتنى؛ يريدون: ماجئتنى؛ فإن قالوا : لا جئتنى ولا زُرْتنى صَلُح؛ إلا أن فى الآية ماينوب مناب التكرار ويُغنى عنه، وهو قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ؛ فكأنه قال : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ ، ولا آمن؛ فمعنى التكرار حاصل.

والوجه الآخر: أن تكون «لا» جارية مجرى الدعاء ؛ كقولك: لا نجا ولا سلم، ونحو ذلك.

وقال قوم : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ أى فهلاّ اقتحم العقبة! أو أفلا اقتحم العقبة ! قالوا: ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾، ولو كان أراد النفى لم يتصل الكلام .

وهذا الوجه ضعيف جداً ، لأن قوله تعالى: ﴿ فَلَا ﴾ خال من لفظ الاستفهام، وقبيح حذف حرف الاستفهام فى مثل هذا الموضع ، وقد عيب على عمر بن أبى ربيعة قوله :

ثُمَّ قَالُوا : تُحِبُّها؟ قلتُ: بَهْرًا ... عَدَدَ القَطرِ والحَصَى والترابِ[٢]

فأما الترجيح بأن الكلام لو أريد به النفى لم يتصل فقد بيّنا أنه متصل، مع أنّ المراد به النفى ؛ لأن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ معطوف على قوله : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾، أى فلا اقتحم العقبة، ثم كان من الذين آمنوا. والمعنى أنه مااقتحم العقبة ولا آمن؛ على ما بينا.

فأما المراد بالعقبة فاختلف فيه ، فقال قوم: هى عقبة مَلْساء فى جهنم، واقتحامها فكّ رقبة. وروى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال : « إن أمامكم عقبة كئودا لا يجوزها المثقلون[٣]، وأنا أريد أن أتخفف لتلك العقبة » : وروى عن ابن عباس أنه قال : هى عقبة كئود فى

(١) ديوانه : ٢٠. (٢) ديوانه : ٤٢٣ (مطبعة السعادة)، وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « عدد الرمل » . (٣) حاشية الأصل : « المثقلون [بالفتح] أى أثقلهم الذنوب ، والمثقلون [بالكسر] أصحاب الأثقال » .

جهنم ، وروى أيضاً أنه قال : العقبة هى النّار نفسها ؛ فعَلى الوجه الأول يكون التفسير للعقبة بقوله: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ على معنى ما يؤدّى إلى اقتحام هــذه العقبة ؛ ويكون سبباً لجوازها والنجاةِ منها ، لأن فكّ رقبة وما أتى بعد ذلك ليس هو النارَ نفسَها ولا موضعاً منها .

وقال آخرون : بل العقبة ما ورد مفسّراً لها من فكّ الرقبة والإطعام فى يوم المَسْغَبة ؛ وإنما سمّى ذلك عَقَبة لصعوبته على النفوس / ومشقته عليها . [٣١٦ ظ]

وليس يليق بهذا الوجه الجوابُ الذى ذكرناه فى معنى قوله : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ وأنه على وجه الدعاء ؛ لأن الدعاء لا يحسن إلا بالمستحق له ؛ ولا يجوز أن يُدعى على أحد بأن لا يقع منه ما كلّف وقوعه ، وفكّ الرقبة والإطعام المذكور من الطاعات؛ فكيف يدعى على أحدٍ بأن لايقع منه! فهذا الوجه يطابق أن تكون ﴿الْعَقَبَة﴾ هى النّار نفسها أو عَقَبة فيها.

وقد اختلف الناس فى قراءة: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾، فقرأ أمير المؤمنين عليه السلام، ومجاهد، وأهل مكة، والحسن، وأبو رجاء العُطارِدىّ، وأبو عمرو، والكسائىّ: ﴿ فَكَّ رَقَبَةً ﴾ بفتح الكاف ونصب الرقبة ، وقرءوا ﴿ أَوْأَطْعَمَ ﴾ على الفعل دون الاسم. وقرأ أهل المدينة ، وأهل الشام، وعاصم، وحمزة، ويحيى بن وثاب، ويعقوب الحضرمىّ: ﴿فَكُّ﴾ بضم الكاف وبخفض ﴿رَقَبَةٍ. أَوْ إِطْعَامٌ﴾ على المصدر وتنوين الميم وضمها .

فمن قرأ على الاسم ذهب إلى أن جواب الاسم بالاسم أكثر فى كلام العرب، وأحسن من جوابه بالفعل ؛ ألا ترى أن المعنى : ما أدراك ما اقتحامُ العقبة ! هو فكُّ رقبة ، أو إطعامٌ ؛ وذلك هو أحسن من أن يقال: هو فكَّ رقبةً ، أو أطعم.

ومال الفرّاء إلى القراءة بلفظ الفعل، ورجّحها بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، لأنه فعل ؛ والأَوْلى أن يتبع فعلا . وليس يمتنع أن يفسّر اقتحام العقبة ــ وإن كان اسماً ــ بفعل؛ يدل على الاسم ؛ وهذا مثل قول القائل: ماأدراك مازيد؟ يقول ــ مفسراً ــ: يصنع الخير، ويفعل المعروف ، وماأشبه ذلك ، فيأتى بالأفعال .

والسغب : الجوع ؛ وإنما أراد أنه يُطعم فى يومِ مَجاعة ؛ لأن الإطعام فيه أفضل وأكرم .

فأما « مَقْربة » فمعناه يتيما ذا قُربى ؛ من قرابة النسب والرَّحِم ؛ وهذا حضٌّ على تقديم ذى النسب والقربى المحتاجين على الأجانب فى الإفضال .

والمسكين : الفقير الشديد الفقر . والمتربة: مفعلة، من التراب ، أى هو لاصق بالأرض من ضُرّه وحاجته ؛ ويجرى مجرى قولهم فى الفقير : مُدْقِع ؛ وهو مأخوذ من الدَّقْعاء ؛ وهى الأرض التى لا شىء فيها .

وقال قوم: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أى ذا عيال . والمرحمة: مفعلة من الرحمة ؛ وقيل إنه من الرَّحِم. وقد يمكن فى ﴿مَقْرَبَةٍ﴾ أن يكون غير مأخوذ من القرابة والقربى ؛ بل هو من القُرْب ، الذى هو من الخاصرة ، فكأن المعنى أنه يطعم مَن انْطَوَت خاصرته ولصقت من شدة الجوع والضر ؛ وهذا أعم فى المعنى من الأول وأشبه بقوله ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ ؛ لأن كل ذلك مبالغة فى وصفه بالضُّرّ ؛ وليس من المبالغة فى الوصف بالضر أن يكون قريب النَّسب. والله أعلم بمراده .

***

قال سيدنا أدام الله علوّه : ومن طريف المدح ومليحه قول الشاعر :

وَكأنَّهُ مِن وَفْدِهِ عِنْدَ القِرَى ... لوْلا مَقَامُ المَادِحِ المُتَكَلِّمِ
وَكأنَّهُ أحَدُ النَّدِى ببنائه[1] ... لوْلا مقالَتُهُ أطِبْ لِلمُؤْدَمِ[2]

ويقارب ذلك فى المعنى قول محمد بن خارجة :

سَهْلُ الفِناَء إذَا حَلَلتَ بِبابِهِ ... طَلْقُ اليَدَيْنِ مُؤَدَّبُ الخُدَّامِ
وَإذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشقيقَهُ ... لم تَدْرِ : أيُّهما أخُو الأرْحامِ![3]

ومثله لأبى الهندىّ :

نَزَلْتُ على آلِ المُهَلَّبِ شاتِياً ... غَرِيبا عَنِ الأوْطانِ فى زَمَنِ المَحْلِ[4]
فَمَا زَالَ بى إكْرامُهُم وَافْتِقادُهُم[5] ... وَإنعامُهُمْ حتى حَسِبْتُهُمُ أهْلى

---

(١) حاشية الأصل : « نسخة س : « أحد الندىّ ببابه » . (٢) المؤدم: الآكل.

(٣) وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « سهل القياد » .

(٤) أمالى القالى ١ : ٤١ ؛ وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « فى زمن محل » .

(٥) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « وافتقاؤهم » .

ولإثال بن الفدعاء يمدح عقبة بن سنان الحارثىّ :

أَلَمْ تَرَنى شَكَرْتُ أبا سَعِيدٍ   بِنُعْمَاهُ وَقَدْ كَفَرَ المَوالى(١)
ولم أكْفُرْ سَحائِبَهُ اللَّواتى   مَطَرْنَ علىَّ واهِيَةَ العَزَالى(٢)
فمَنْ يكُ كافِراً نُعْمَاهُ يَوْماً   فإنى شاكِرٌ أُخْرَى اللَّيالى
فَتًى لم تَطْلع ِ الشِّعْرَى من أُفْقٍ   وَلم تَعرِضْ لِيُمْنٍ أوْ شِمالِ(٣)
على نِدٍّ لهُ إنْ عُدَّ مَجْدٌ   وَمكْرُمَةٌ وَإتْلافٌ لِمالِ
وَأصْبَرَ فى الحَوادِثِ إنْ ألمَّتْ   وَأسْعَى للمَحامِدِ وَالمَعالِى
فَتًى عَمَّ البَرِيَّةَ بالمَطايا   فَقدْ صارُوا لهُ أدْنى العِيالِ

[٣١٧ ظ] / قال : ولآخر(٤) :

لم أقْضِ مِنْ صُحْبَةِ زَيْدٍ أرَبى   فتًى إذا أغْضَبْتَهُ لم يَغْضَبِ
مُوَكَّلُ النَّفْسِ بحِفْظِ الغُيَّبِ   أقْصى الفَرِيقَيْنِ لهُ كالأقْرَبِ

فإنه لم يرد أن الضعيفَ السببِ كالقوىّ السبب ، وإنما أراد أنه يرعى من غيب الرفيق البعيد الغائب وحقّه ما يرعاه من حق الشاهد الحاضر ، وأنه يستوى عنده لكرمه وحسن حفاظه مَنْ بَعُدَتْ داره وقرُبت معا ؛ وهذا بخلاف ما عليه أكثر الناس ؛ من مراعاة أمر الحاضر القريب وإهال حق البعيد(٥) .

* * *

(٦هذا آخر مجلس أملاه سيدنا أدام الله علوّه . ثم تشاغل بأمور الحج٦) .

الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا نبيّه محمـد وآله الطيبين الطاهرين وسلّم كثيراً .

---

(١) الموالى : الأقرباء . (٢) العزالى : جمع عزلاء ؛ وهى فى الأصل مصب الماء من الراوية ونحوها . (٣) ف ، ومن نسخة بحاشية الأصل :

فتًى لم تطلُعِ الشِّعْرَى بأفْقٍ   ولم تقرض ليمنَى أو شِمال

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « وقال آخر » .
(٥) إلى هنا تنتهى النسخة المرموز لها بكلمة « الأصل » .
(٦ـ٦) ف : « هذا آخر مجلس أملاه السيد المرتضى ذو المجدين قدس الله روحه ثم تشاغل بأمور الحج »

تكملة

أمالي المرتضى

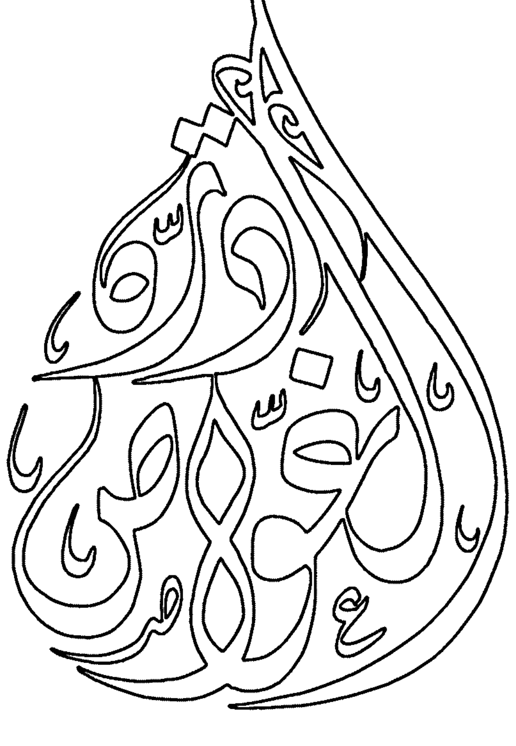

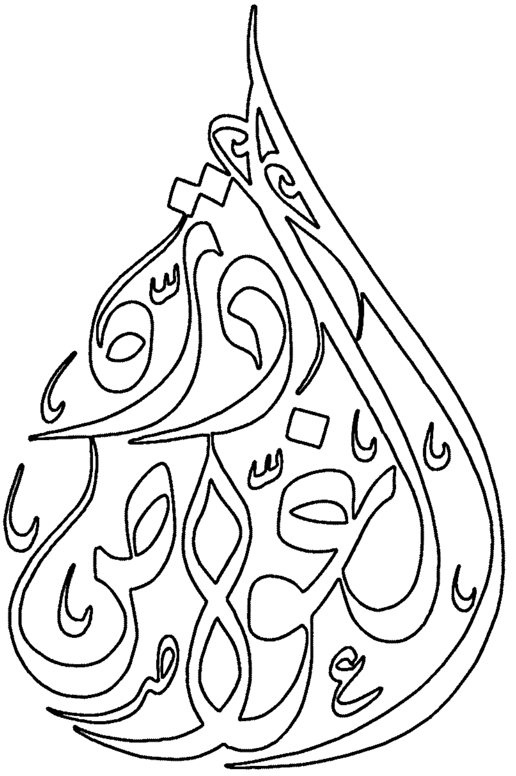

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسّر (1)

مَسْأَلَة

قال* الشريف الأجلّ المرتضى ، علَمُ الهدى ، ذو المجدين أبو القاسم علىّ بن الحسين الموسوىّ رضى الله عنه :

إنّه لا يزال المتكلّمون يخالفون النحويّين فى أنّ للفعل ثلاثةَ أحوال : ماضٍ ، وحاضر ، ومستقبل . ويقولُ المتكلّمون : للفعل حالان بغير ثالث ؛ لأنَّ كلَّ معلوم من الأفعال لا يخلو من أن يكونَ موجودا أو معدوما ؛ وبالوجود قد صار ماضيا ، والمعدوم هو المنتظَر ، ولا حال ثالثة .

فلا المتكلِّمون يُحسنون العبارةَ عما لحَظوه وأرادوه ، حتى يزولَ الخلافُ فى المعانى التى هى المهمّ - ولا اعتبارَ بالعبارات - ولا النحويون يفطُنون لإفهام ما قصدوه بلفظٍ غير مشتَبِه ولا محتَمِل ؛ فكَمْ من معنًى كاد يَضيع بسوء العبارة عنه ، وقُصُور الإشارة إليه !

واعلم أن المواضعاتِ مختلفة ، والعرف يختلف باختلافُ أهله بحسب عاداتهم . وقولنا : « فعلٌ » فى عُرْفُ المتكلمين ليس هو الذى يعرفه النحويون ، لأنَّ الفعل فى عُرْف أهل الكلام هو الذاتُ الحادثة بعد أن كانت معدومة بقادر ، وهذا الحدّ يقتضى أن يكون كلُّ موجودٍ من الذوات غير الله تعالى وحدَه فِعْلاً ؛ فزَيدٌ فِعْلٌ ، والسماء كذلك ، والحرْف أيضا - الذى فرّق النحويون بينه وبين الاسم - فِعْلٌ أيضا ، والفعل أيضا على هذا الحدّ فِعْلٌ ؛ لأنَّ الحرفَ صوت يُقطَّع على وَجْهٍ مخصوص ، والأصوات كلُّها أفعَال .

---

* هذه الزيادات لم ترد إلا فى ف ، ط من الأصول التى اعتمدت عليها ؛ والمثبت هنا نص ف ، كما أثبت الفروق والحواشى.

(1) ط : « رب يسر ولا تعسر » .

غير أنّ المحقّق من عُرف القوم أنّ النحويين مافَصَلوا بين الاسم والفعل والحرف ؛ مِنْ حيث نَفْيُ الاشتراك فى الحدوث والفعلية ؛ بل فَصَلوا بينها مع اشتراكِها فى معنى الفعلية التى يذهب إليها المتكلّمون؛ لما بينها من الفَصْل فى أحكامٍ أُخَر ؛ يختَصّ بها بعضُها دون بعض ؛ فقالوا : الاسم مادلّ على معنى لايقترن بزمان ، والفعلُ مااقتضى معنى مقترنا بزمان غير مخصوص ، والحرف ماخَلا من هاتين العلامتين ؛ فكأنّهم قصَدُوا إلى ماهو فعل حادثٌ على حدّ المتكلمين ؛ فصنّفوه ونوّعوه ، وسمّوْا بعضه اسما ، وبعضه فعلا ، وبعضه حرفا ؛ لاختلاف الأحكام التى عقلوها ؛ فلا لَوْمَ فى ذلك عليهم ؛ ولا مناظرةَ فيه معهم ، وبالمناظرة الصحيحة تزولُ الشُّبُهات ، وتنحسِم التّبِعات.

والذى يجب تحصيلُه ، والتعويلُ عليه أنّ الفعلَ الحادثَ فى أوّل أحوال وجودِه يسمّى فعلَ الحال ؛ فإنْ تقضّى وعُـدِم صار ماضِياً ، والفعل المستقبل هو المنتظَر المتوقَّع الذى هو الآن معدوم. فإن فرضْنا أنّ الفعل الحادث ـ الذى فرضْنا أنّه متى تقضّى وعُدِم صار ماضيا ـ بقِيَ ولم يتقضّ ؛ إما على مَذْهب من يقطع على بقاء الأعراض ، أو على مذهبِ مَن يتوقّف عن القطع فيها على بقاء أو فناء ؛ فالواجب أن يكون استمرارُه[1] لا يُخرِجه من استحقاق الوصف بأنه فعل الحال ؛ لأنّ مَن هو عليه لم يتغير الحال التى وجبت له عنه ؛ ولا خرج عنها

ألا ترَى أنّا لو فرضنا أنه تقضّى وعُدِم ، وخَلَفَه مِثلٌ له لكان ذلك الخالِف له يستحق الوصفَ بأنه للحال ؛ وكذلك ماقام مقامه ؛ وأوْجَب مثلَ مايوجِبه ، لأنه لافرقَ فى التّسْمية للجلوس بأنه فعل حالٍ؛ بين أن يكون المُفْتَتح بالحدوث من أجزاء الجلوس بقِيَ واستمرّ ؛ وبين ان يكون تجدّد أمثاله؛ والأول باق أو معدومٌ بعد أن تكون الحالةُ المخصوصةُ ماتغيّرَتْ ولاتبدّلَتْ؛ ولا فرق أيضا بين أن يكونَ ذلك الفعل يُوجب حالاً مخصوصة كالألوان، أو حُكْما مخصوصا كالاعتمادات وما أشبهها ؛ فى أن الذى أنت فيه ولم تخرج عنه هو المنعوت بأنه فعل الحال ، وما خرجت عنه فهو الماضى .

(١) حاشية ط : « قوله : استمراره ، أى الحادث » .

فإن قيل : كيفَ قولُكم فيما مضى وتَقَضّى من الأفعال ووصفتموه بأنه ماضٍ لتقضّيه وعَدَمه؛ أيجوز أن يكون مستقْبَلاً على وجهٍ من الوجوه ، أولا يكون من الأفعال مستقبلا إلاّ مالم يدخل فى الوجود قطّ ؟

قلنا : أمّا ماعُدم وتقضَّى من الأعْراض المقطوع على أنها غير باقيةٍ فى نفوسها، كالإرادات[1] والأصوات وما أشبهَ ذلك ؛ فلا شبهة فى أنّ الماضىَ منه لايصحّ أن يكون مستقبَلا من فعلٍ قديم أومحدَث .

فأما[2] مايبقى من أجناس الأعراض عند مَن قطع على بقائها ، أوْ شكَّ فى حالها بين جوازِ البقاء عليها ونفيه فنحن لانقدر على إعادته ؛ والقديم تعالى قادرٌ على إعادته إلى الوجود ؛ فهذا الضَّرْب مِن فعلِه تعالى لايمتنع تسميته بأنه مُسْتَقْبَل ، لأنه متوقَّع منتَظر .

فأما الجواهر المعدومة فلا شبهةَ فى أنَّها ماضية من حيث عُدِمَتْ ، ومستقبَلة من حيث كانَ وجودُها مستأنَفا متوقَّعا ؛ لأنَّ الله تعالى لابُدَّ من أن يُعيد المكلَّفين للثواب أو العقاب ، والمكلَّف إنما هو مؤلَّف من الجواهر .

فإن قيل : هذا يقتضى أن يجتمع فى الشىء الواحِد أن يكون ماضيا مستقبلا ؛ وهذا كالمتناقض .

قلنا : لاتناقضَ فى ذلك ؛ لأن الجوْهرَ الماضى يستحق الوصفَ بأنه ماض إذا عُدم ، وكذلك العَرض الماضى من أفعال الله تعالى إذا عُدم ؛ وإن جازَ من حيثُ صحّ وجود ذلك مستأنَفَا أن يُوصف بأنه مستقبل ، لأن معنى المستقبَل هو المعدوم الذى يصح وجودُه ، فلا تنافىَ بين الأمرين.

ولو ثبت بينهما عُرْفٌ فى أنَّهما لايجتمعان ـ وذلك ليس بثابت ـ لجاز أن يُجْمَل حدُّ المستقبل هو المعدوم الذى يصحّ وجودُه مستقبلا ؛ من غير أن يكون الوجود حَصَل[3] له فى حالة من الأحوال ؛ فلا يلزم على ذلك أن يجتمع الوصفان فى فعل واحد .

---

(١) ط : « كالإدراكات » . (٢) ط : « وأما » . (٣) ط . « مستحصل له » .

وقد كنَّا قديما أمْلَيْنَا مسألة فى تحقيق الفرْق بين الفعل الحال والماضى والمستقبل ؛ وهذا التلخيص الذى ذكرناه هاهنا أشرح وأسْبَغُ منها، وتكلمنا هناك على ما كان أبو علىّ الفارسى اعتمده وعوّل عليه؛ من قوله تعالى: ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ [مريم : ٦٤] ، وقول الشاعر :

وأعْلَمُ مافى اليومِ والأمسِ قَبْلَهُ ولكنَّنى عَنْ عِلْمِ مافى غدٍ عَمِ (١)

ومن طريقةٍ أخرى فى اعتبار تأثير الحروف فى الأحوال المختلفة ، واستوفينا الكلامَ على هذه الشبهة ؛ فلا طائل فى إعادة ذلك هاهنا ؛ والجمعُ بين المسألتين يُغنى عنه ، وما التوفيق إلا بالله تعالى .

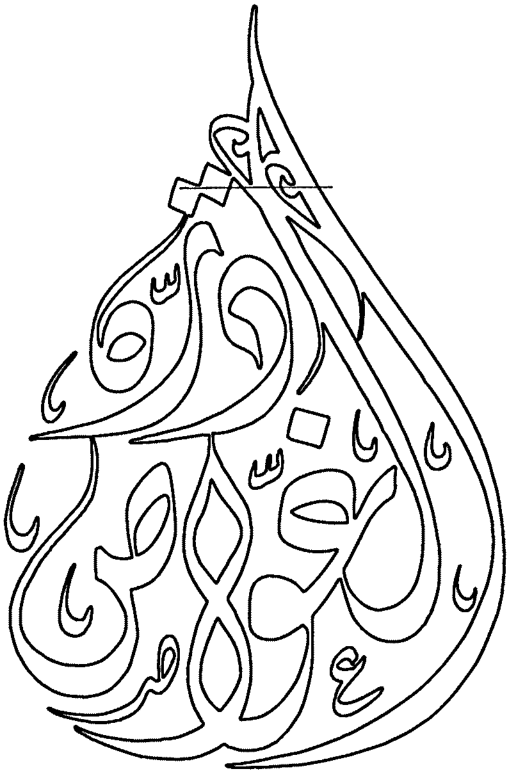

---

(١) البيت لزهير بن ابى سلمى ، ديوانه : ٢٩ .

مَسْأَلَة

قال رضي الله عنه : لا مَعْنى لقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ﴾ ؛ [يونس: ٦١] على ما قاله النحويون : إنه للتأكيد؛ لما بيَّنا أن التأكيد إذا لم يُفِدْ غيرَ ما يفيده المؤكّد لم يصحّ ، وقد علمنا بقوله تعالى : ﴿ مِنْ قُرْآنٍ ﴾ أنَّه من جملة القرآن ، فأىّ معنى لقوله ﴿ مِنْهُ ﴾ وتكرارِه !

قال رضي الله عنه : والصحيح أن معنى ﴿ مِنْهُ ﴾ أى مِنْ أجْلِ الشَّأْنِ والقصة، ﴿ مِنْ قُرْآنٍ ﴾؛ فيحمل على الشأن والقِصّة ليفيد معنى آخر .

وقال أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ؛ [يونس: ٥٨] ؛ قال : لا يجوز أن يُحْمَل قوله : ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ على ما تقدم من فضل الله ورحمته ؛ ولا معنى له على ما يَقُوله النحويون إنّه للتأكيد ؛ كما لا معنى لقول قائل : زيدٌ وعمرٌو لهما ؛ يريد زيداً وعمراً ؛ فالصحيح أن نقول فى هذا : إن معناه : قل بفضل الله ومعونة الله ورحمته ؛ لأنَّ معونة الله وفضلَ الله ورحمته تؤثر فى القول ، ويقول : بفضل الله ومعونته يفرح ، فيُرَدُّ قوله: ﴿ بِفَضْلِ اللهِ ﴾ إلى القول ، أى قل: بفضله ومعونته هذا القول ؛ فإنّ بهذا القولِ ومعونته ورحمته يفرحون ؛ فيكون قوله: ﴿فَبِذَلِكَ﴾ راجعاً إلى الفرح بالفضل والرحمة ؛ حتى يكونَ قد أفاد كلٌّ واحد من اللفظين فائدة .

مسألة

رسمت الحضرةُ العاليةُ الوزيرية ؛ أدام الله سلطانها ، وأعلى أبداً شأنَها ومكانها أن أذكر ما عندى فى إدخال لفظة « كان » فى كونه تعالى عالماً فى مواضعَ كثيرةٍ من القرآن .

وقالت حرس الله عزّها : لفظة « كان » إذا كانت للماضى ؛ فكيف دخلت على ما هو ثابت فى الحال ومستمرٌّ دائم ! وما الوجه فى حسن ذلك ؟

والجواب المزيل للشُّبْهة أنّ الكلام قد تدخله الحقيقة والمجاز ؛ ويُحْذَفُ بعضُه وإن كان مُرادا ، ويختصر حتى يفسّر ؛ ولو بُسط لكان طويلا . وفى هذه الوجوه التى ذكرناها تظهر فصاحته ، وتَقْوَى بلاغتُه ؛ وكلُّ كلامٍ خلا مِنْ مجازٍ وحذفٍ واختصارٍ واقتصارٍ بَعُد عن الفصاحة ، وخرجَ عن قانون البلاغة . والأدِلّةُ لا يجوز فيها مجاز ، ولا ما يخالف الحقيقة ؛ وهى القاضية على الكلام ، والتى يجب بناؤه عليها ؛ والفروع أبدا تُبنى على الأصول.

فإذا ورد عن الله تعالى كلامٌ ظاهره يخالف ما دلّتْ عليه أدلّةُ العقول وجبَ صرفُه عن ظاهره ــ إن كان له ظاهر ــ وحملُه على ما يوافق الأدلةَ العقلية ويطابقُها ؛ ولهذا رجعنا فى ظواهرَ كثيرةٍ من كتاب الله تعالى اقتضى ظاهرُها الإجبارَ أو التشبيهَ ، أو ما لا يجوز عليه تعالى .

ولو سلّمنا تبرُّعا وتطوّعا أن دخول « كان » على العلم أو القدرة يقتضى ظاهرُها الماضىَ دون المستقبل لحملْنا ذلك على أنّ المراد به الأحوال كلُّها ؛ لأنّ الأدلة العقلية تقضى على ما يطلَق من الكلام ، ولا يقضى الكلام على الأدلة .

غير أنّا نبيّن أنّ دخول « كان » على العلم أو القدرة لا يقتضى ظاهرُها الاختصاص بالماضى دون المستقبل ؛ فإنّ لأهل العربية فى ذلك مذهباً معروفاً مشهوراً ؛ لأن أحدَهم يقول: كنت العالِم ؛ وما كنت إلا عالمًا ، وعليما خبيراً ؛ وما كنت إلا الشجاع ، وإلا الجواد ؛ ويريدون بذلك كلِّه الإخبار عن الأحوال كلِّها ؛ ماضيها وحاضرها ومستقبلها ؛ ولا يُفهَم من كلامهم سوى

ذلك ؛ وإذا كانت هذه عبارةً عما ذكرناه فصيحة بليغة ـ والقرآن نَزَلَ بأفصح اللغات وأبلغها وأبرعها ـ وجب حملُ لفظة «كان» إذا دخلت فى كونه تعالى عالما وقادراً على ما ذكرنا .

ومما يُستشهد به على ذلك قول زياد الأعجم يرثى المغيرة بن المهلّب بن أبى صُفْرة :

مات المغيرةُ بعد طول تعرّضٍ ... للقَتْل بين أسِنَّةٍ وصَفَائحِ[1]
ألاّ ليالىَ فوقه بِزّاتُه ... يغشى الأسنة فوق نَهْدٍ قَارحِ![2]
فإذا مَرَرْتَ بقبرِهِ فاعْقِرْ بهِ ... كُومَ المَطىِّ وكلَّ طِرْفٍ سَابِحِ[3]
وانْضَحْ جوانِبَ قَبْرِهِ بدمائها ... فلقد يكون أخا دَمٍ وذَبائحِ

فقال فى ميت قد مضى لسبيله : «فلقَدْ يكونُ» ، وإنما أراد: «فلقَدْ كان» ، فعبّر بيكون عن «كانَ» ؛ كذلك جاز أن يُراد بلفظة «كان» الأحوال المستقبلة.

ووجه آخر وهو أنه تعالى لما أراد أن يخبر عن كونه عالمًا فى الأحوال كلِّها لم يجز أن يقول: هو عالمٌ فى الحال أو فى المستقبل ؛ لأن ذلك لا ينبئ عن كونه عالما فيما مضى ؛ فعدل عن ذلك إلى إدخال لفظة : «كان» الدالة على الأزمان الماضية كلها، ومن كانَ عالمًا فيما لم يزل من الأحوال فلا بدَّ من كونه عالما لنفسه وذاته ؛ لأن الصفاتِ الواجبة فيما لم يزل لا تكون إلاَّ نفسية ، والصفات النفسية يجب ثُبوتها فى الأحوال كلِّها : الماضية والحاضرة والمستقبلة ؛ فصار دخول «كان» فى العلم أو القدرة مطابقا للغرض، وموجباً لثبوت هذه الصفة فى جميع هذه الأحوال، وليس كذلك لو عُلِّق العلم بالحال أو المستقبل ؛ وهذا وجه جليل الموقع .

ووجه آخر وهو أنا إذا سلَّمنا أن لفظة «كان» تختص الماضى ولا تتعدّاه لم يكن فى

---

(١) من قصيدة عدتها ٥٧ بيتا ؛ وهى فى أمالى اليزيدى ١ـ٧ ، وأمالى القالى ٣ : ٨ـ١١ ؛ وأبيات منها فى معجم الأدباء ١١ : ١٧٠ـ١٧١، والشعراء ٣٩٧ .

(٢) البزات : جمع بزة ؛ وهى السلاح ؛ والنهد من الخيل : الجسيم المشرف . والقارح : الفرس إذا استتم الخامسة ودخل فى السادسة .

(٣) الكوم : جمع كوماء ؛ وهى الناقة العظيمة السنام . والطرف : الكريم من الخيل . والسابح : الفرس الذى يسبح بيديه فى سيره.

إدخالها فى العلم إلا أنه تعالى عالم فيما مضى من الأحوال ؛ وهو كذلك لامحالة؛ اللهم إلا أن يُدّعى أن تعليقها بالماضى يقتضى نفىَ كونه تعالى عالما فى المستقبل ؛ وليس الأمر على ذلك؛ لأن هذا قولٌ بدليل الخطاب ؛ وهو غير صحيح على مابيّنا فى مواضع من كتبنا؛ لأن تعليقَ الحكم بصفة أو اسم لا يدل على انتفائه مع انتفاء تلك الصفة أو الاسم، وبيّنا أن قوله عليه السلام: «فى سائمة[1] الإبل الزكاة» لا يدل على أن العاملة[2] والمعلوفة[3] لا زكاة فيهما .

وقد يقول القائل: كان زيد عندى بالأمس، وإن كان عنده فى الحال؛ وضربت من غلمانى فلانا ، وإن كان قد ضَرَب سواه ، فكأنه تعالى – إذا سلّمنا هذا الأصل الذى قد بيّنا أنه غير صحيح – أراد أن يُثبت بهذا القول كونه تعالى عالما ، فيما لم يزل؛ ووكلنا فى أنه عز وجل عالم فى جميع الأحوال إلى الأدلة العقلية الدالة على ذلك ؛ وإلى إخباره تعالى عن كونه عالما فى سائر الأوقات بقوله عز وجل : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام : ١٠١]؛ وما شاكل ذلك من الألفاظ الدالة على الحال والاستقبال

---

(١) السائمة من الإبل : الراعية ؛ يقال : سامت تسوم سوما ، وأسمتها أنا .

(٢) العاملة : التى تعمل فى الحرث والدياسة .

(٣) العلوفة والمعلوفة من الإبل : الناقة التى تعلف للسمن ولا ترسل للرعى .

تأويلُ آيةٍ

قال رحمه الله : سُئِلتُ إملاء تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ، فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ . يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ ؛ [النور : ٤٣ ، ٤٤].

فأجبت إلى ذلك .

أما قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ فالمراد : ألم تعلم ؛ وإن كان هذا اللفظ مشتركا بين الإدراك والعِلْم ؛ وإنما اختصّ هنا بالعلم دون الإدراك ؛ لأن إضافة إزجاء السحاب وتأليفه وجميع ما ذكر في الآية إلى الله تعالى مما لا يُستفاد بالإدراك ؛ وإنما يُعلم بالأدلَّة .

فأما قوله تعالى : ﴿ يُزْجِي سَحَابًا ﴾ فمعناه يسوقُ ؛ ولابدّ أن يُلحظ في هذا الموضع السَّوْقُ الضعيفُ الرفيق ؛ يقال منه : أزْجَى يُزْجِي إزجاء ، وزجَّى يُزَجِّي تزجيَةً ، إذا ساق ؛ ومنه إزجاء الكسير[(١)] من الإبل إذا سقته سوْقاً رفيقا حتى يسير ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ﴾ ؛ [يوسف : ٨٨] أي مَسُوقة شيئاً بعد شيء على ضعف وقِلّة ، قال عديّ بن الرِّقَاع :

تُزْجِي أغَنَّ كأنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أصابَ مِن الدَّواةِ مِدَادَها[(٢)]

وقال الأعشى :

الواهبُ المائةَ الهِجانَ وعبدَها عُوذًا تُزَجِّي خَلْفَها أطفالَها[(٣)]

---

(١) ط : « الكبير » . (٢) الطرائف الأدبية : ٨٨ ؛ والضمير في « تزجي » يعود إلى ظبية ترعى ومعها شادنها . وأغنّ : في صوته غنة ؛ وهو الصوت الرخيم يخرج من الخياشيم . والروق هنا : القرن ؛ وإبرته : طرفه المحدد . (٣) ديوانه : ٢٥ .

أرادبالعُوذ الحديثةَ النّتاج؛ ومعنى «تزجّى» أى تسوق أطفالَهاوراءها سوْقاً رفيقاً ؛ لأنها تحِنّ فتتبعُ أطفالَها ؛ وقال مالك بن الرَّيْب المازنىّ :

أَلا لَيْتَ شِعْرِى هل أبيتَنَّ لَيْلَةً   بوادى الغَضَى أُزجى القِلاصَ النَّوَاجيا(١)

والسحاب : جمع سحابة ؛ ولهذا قال: ﴿ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ﴾ ، أى بين كل سحابة وأخرى ، ولو كان هاهنا أيضا اسماً للجنس لجاز ؛ لأنَّ الجنسَ يوصَل بعضه ببعض ، ويؤلَّفُ بعضه ببعض ؛ وإنما لا يصحّ ذلك فى العين الواحدة .

فأما الرُّكام فهو الذى جُمل بعضه فوق بعض ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾؛ [الطور: ٤٤] ، وقوله تعالى : ﴿ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً ﴾ ؛ [الأنفال : ٣٧] .

فأما الوَدْق فهو المطر ؛ يقال وَدَق يدِق وَدْقا ؛ وكلُّ ما قَطَر منه ماء أو رَشح فهو وادِق ؛ ويقال : استودقَتِ الفرسُ والأتانُ إذا حَنَّت إلى الفحل واستدعت ماءه ؛ ويقال أيضاً : أوْدَقتْ ؛ وأتان وَدِيق ووَدُوق ؛ إذا أرادت إنزالَ الفحل الماء فيها .

وخِلالُ الشىء : خروقه وفُروجه ؛ وقد قرئ : ﴿مِنْ خَلَلِه﴾ بغير ألف .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾فإننى وجدت جميعَ المفسّرين على اختلاف عباراتهم يذهبون إلى أنه أراد أنّ فى السماء جبالا من بَرَدٍ ؛ وفيهم من قال : ما قَدْره قَدْرُ جبال ؛ قال : يُراد به مقدار جبال من كثرته .

وأبو مسلم بن بحر الأصبهانىّ خاصةً انفرد فى هذا الموضع بتأويل طريف ؛ وهو أن قال: "الجبالُ ما جَبَل الله من بَرَد ، وكلّ جسم شديد مستحجر فهو من الجبال ؛ ألم تر إلى قوله تعالى فى خَلْق الأمم: ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴾؛ [الشعراء: ١٨٤] والناس يقولون : فلان مجبول على كذا" .

ووجدت أبا بكر محمد بن الحسن بن مِقْسم النحوىّ يقول فى كتابه المعروف بالأنوار : "وأمّا ﴿ مِنْ ﴾ الأولى ؛ والثانية فبمعنى حدّ التنزيل؛ ونسبته إلى الموضع الذى نُزِّل منه ؛ كما

(١) جمهرة الأشعار : ٢٩٦ .

يقال: جئتك بكذا، ومنْ بلد كذا ؛ وأما الثالثة فبمعنى التفسير والتمييز ، لأن الجبال تكون أنواعا فى مُلْك الله تعالى ؛ فجاءت ﴿ مِنْ ﴾ لتمييز البَرَد من غيره ؛ وتفسيرِ معنى الجبال التى أُنزِل منها . وقد يصلح فى مثل هذا الموضع من الكلام أن يقال : « من جبال فيها بَرد » بغير « مِنْ »، يترجم بَرَدٌ عن جبال ؛ لأنها مخلوقة مِنْ بَرَد، كما يقال : الحيوانُ من لحم ودم ، والحيوان لحم ودم ؛ بـ«من» وبغير « من »" .

ووجدت على بن عيسى الرّمانىّ يقول فى تفسيره : " إن معنى ﴿ من ﴾ الأولى ابتداء الغاية؛ لأن السماء ابتداء الإنزال ، والثانية للتبعيض ؛ لأن البَرَد بعض الجبال التى فى السماء، والثالثة لتبيين الجنس ؛ لأنّ جنس الجبال جنسُ البَرَد " .

وهذه التفاسير على اختلافها غيرُ شافية ولا كافية ؛ وأنا أبيِّن مافيها من خَلَل ، ثم أذكر ماعندي أنه الصحيح :

أمّا مَنْ جعل فى السماء جبالَ برد ، أو مامقدارُه مقدارُ الجبال – على اختلاف عباراتهم – فيدخلُ عليه أن يبقى عليه قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ ﴾ بغير مفعول ؛ ولا مايتعلق به ؛ لأنّ تقدير الكلام على هذه التفاسير : ويُنزِّل مِنْ جبال بَرَدٍ فى السماء ؛ فما الشىء الذى أنزل به ! فما نراه مذكورا فى الآية ؛ والكلام كلُّه خالٍ منه على هذا التأويل .

فأما أبو مسلم فيلزمه هذا الكلام بعينه ، ويلزمُه زائدا عليه أنه جعَل الجبال اسما للبَرَد نفسه؛ من حيث كان مجبولا مستحجرا .

وهذا غلطٌ ؛ لأن الجبال وإنْ كانت فى الأصل مشتقةً من الجَبْل والجمع فقد صارت اسما لذى هيئة مخصوصة .

ولهذا لايسمِّى أحدٌ من أهل اللغة كلَّ جسم ضُمَّ بعضه إلى بعض – مع استحجار أوغير استحجار – بأنه جَبل ، ولا يخصُّون بهذا اللفظ إلا أجساما مخصوصة .

وليس يمتنع فى اللغة هذا؛ لأنَّ اسم الدابة وإن كان مشتقا فى الأصل من الدبيب ؛ فقد صار اسما لبعض مادَبّ ، ولا يعم كلَّ ماوقع منه الدبيب .

وليس يعترض على هذه التأويلات التى ذكرناها مايظنُّه بعضُ الناس من أنه لا يجوز أن يكونَ فى السماء جبالُ بَرَد ، أو ماقدرُه قدْر الجبال من البَرد ؛ لأن ذلك غيرُ ممتنع ولا مستحيل .

فإن قالوا : كيف لاتهوِى تلك الجبال من البَرد ؟

قلنا : يُمْسِكها الله تعالى ، ويسكّنها كما يُمْسِك الأرضَ والفلكَ .

وإنما ينكر هذا أصحابُ الطبائع، الذين لايُقِرُّون بالخالق جلَّتْ عظمتُه ، فيذكرون فى سبب وقوف الأرض المركَز وهو لا يُعْقَل ؛ ولو أثبتوا الصانع جلّت عظمتُه نسبوا سكونَ الأرض إليه ، واستغنوْا عن تكلّف مالا يُعْقَل ولا يُفْهَم .

والأوْلى فى تفسير هذا الموضع أن تكون « من » الأولى والثانية لابتداء الغاية ، والثالثةُ زائدةً لاحكْمَ لها ؛ ويكون تقدير الكلام : وينزِّل من جبال فى السماء بَرَدًا، فزاد « من » كما يُزاد فى قولهم : مافى الدار من أحد ، وكم أعطيتك من درهم ! ومالك عندى من حق ؛ وما أشبه ذلك .

وعلامة زيادتها فى هذه المواضع أنك إذا أخرجتها أو ألغيتَها كان الكلامُ مستقلاً لا يتغيّر معناه ، وجرى قولُه تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ مجرى قول القائل : كم حملتُ لك من الكوفة من سوقها من ثوب ! والمعنى : كم حملت لك من سوق الكوفة ثوبا !

والأوْلى أن يريد بلفظة ﴿ السماء ﴾ هنا ماعَلا من الغيم وارتفع فصار سماءً لنا ؛ لأنّ سماءَ البيت وسماوته ماارتفع منه ؛ ولأن السحاب لايكون فى السماء التى هى الفلك للكواكب ؛ وإنما هو تحته ، وأراد بالجبال التشبيهَ ، لأنّ السحاب المتراكب المتراكم تشبِّهه العربُ بالجبال والجمال ؛ وهذا شائع فى كلامها ، كأنّه تعالى قال : وينزِّل من السحاب الذى يشبه الجبال فى تراكمه برَدًا ؛ فقد ظهر على هذا التأويل مفعولٌ صحيح لـ ﴿ يُنَزِّلَ ﴾ ؛ ولا مفعول لهذا الفعل على التأويلات المتقدمة .

فإن قيل : إذا جاز أن تجعلوا ﴿ مِن ﴾ الأخيرة زائدة حتى يكون المنزّل هو البرَد، فألاّ جعلتم ﴿ من ﴾ الثانية هى الزائدة ، ويكون تقدير الكلام : ونُنزِّل من السماء جبالا من برَد !

قلنا : ليس يشبه البرَدُ فى نزوله الجبالَ على وجهٍ ولا سبب ؛ والسَّحاب المتراكِم يشبه الجبال، وقد جرتْ عادةُ العرب بتشبيهه بها ، فيجب أن تكونَ الثانية غيرَ زائدة لما ذكرناه، وتكونَ الأخيرة زائدة ؛ وإلاّ بقيتا بلا مفعول ؛ ولأنه تعالى قال : ﴿ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ﴾؛ وهذه كناية عن البرَد لا الجبال ؛ لأنه لو كنّى عنها لقال : فيصيب بها؛ ولأنَّ الجبال على التأويلات التى حكيناها كلّها منزَّلٌ منها، لا منزَّلة .

فإن قيل : ألّا كان المفعول محذوفا مقدَّرا ؛ وكأنه قال : وننزِّل مِنْ جبال برَد فى السماء بردا ؛ والكلام يقتضيه ؟

قلنا : إنما نقدِّر مفعولا محذوفا فى الموضع الذى لا نجد فيه مفعولا ظاهر ، وقد بيّنّا أنَّ فى الآية مفعولا ظاهراً ، فيجب صرفُ الكلام إليه . على أنَّه لابدَّ من مفعول ؛ إما ظاهراً وهو الذى أشرنا إليه ، أو محذوفاً على ما تضمَّنه السؤال ؛ لاسيّما وفى الكلام كناية عنه فى قوله : ﴿ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ﴾، وما رأينا أحداً من المفسّرين لهذه الآية ـ على اختلافهم وذكرِ أكثرِهم كلَّ ما تقتضيه وجوهُ الإعراب فى آيات القرآن ـ تعرَّض لذكر المفعول ، ولا قال : إنه ظاهر ولا مقدّر محذوف يدلّ الكلام عليه . وهذا على كل حال تقصير ظاهر .

فأما قوله تعالى : ﴿ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ﴾ فالمراد به : فيصيب بضَرره مَنْ يشاء ، ويصرف ضررَه عمَّن يشاء ؛ فإنَّ العادة جارية بأنَّ البرَد يصيب أرضاً ويتعدّى ما يجاورها ويلاصقها .

فأما قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ فسَنا البرق ضوءه ، وهو مقصور ، وسَناء المجد والشرف ممدود ، والهاء فى ﴿ بَرْقِهِ ﴾ راجعة إلى البرَد أو السحاب ؛ فقد جرى ذِكْرُ كلٍّ واحد منهما ؛ ويجوز إضافة البرق إليهما .

فأما قوله : ﴿ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ وقد قرئ ﴿ يُذْهِبُ ﴾ بضم الياء ؛ فالمراد به أنّ البرقَ من شدة ضوئه يكاد يَذْهب بالعيون ؛ لأنَّ النظر إلى مَالَهُ شعاع شديد يضرُّ بالعين ؛ كعين الشمس وما أشبهها ؛ والقراءة بفتح الهاء أجْوَدُ مع دخول الباء ؛ تقول العرب : ذهبت بالشيء ؛ فإذا أدخلوا الألف أسقطوا الباء فقالوا: أذهبتُ الشيء ؛ بغير باء.

فأما قوله : ﴿ يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ فإنما أراد أنه يأتى بكلٍّ واحد منهما بدلاً من صاحبه ، ومعاقباً له ؛ لما فى ذلك من المصلحة والمنفعة .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ فإنما أراد بالعبرة العظةَ والاعتبار ، وروى عن الحسن أنه قال : إنما أراد ذوى أبصارِ القلوب لا العيون ؛ لأنَّ العينَ لاتضاف إليها العبرة والعظة .

وقال الكلبىّ : لِأُولى الأبصار فى الدين . وردّ قوم على الكلبىّ بأن قالوا : لوأراد ذلك لقال: لأولى البصائر ، لأنَّ الدين يقال : فيه بصيرة لا بصر.

والأَوْلى أن يكون المراد بالأبصار هاهنا العيون ، لأن بالعيون تَرى هذه العجائب التى عدّدها الله تعالى ، ثم يكون الاعتبار والعظة فى القلْب بها ، ويكون مَن لاموعظة له ولا اعتبار كأنه لابصرَ له ؛ من حيث لم ينتفعْ ببصره ، فجعل أولى الأبصار هم أولى الاعتبار من حيث انتفع أولو الاعتبار بأبصارهم ، وإنْ لم ينتفع بها مَنْ لااعتبار عنده ؛ وهذا كثيرٌ فى القرآن؛ فإنه تعالى جعل الكفار فى مواضعَ كثيرة صُماً وبكما وعميا ؛ من حيث أشبهوا بإعراضِهمْ عن الفكر والتأمل والاعتبار مَنْ لاجوارحَ له . وهذا بيّن لمن تأمله .

مَسْأَلَة

اعلم أنَّ منْ عادة العرب الإيجازَ والاختصارَ والحذفَ طلبا لتقصير الكلام واطّراح فضوله ، والاستغناء بقليله عن كثيره ؛ ويعُدّون ذلك فصاحةً وبلاغة . وفى القرآن ؛ مِنْ هذه الحذوف ، والاستغناء بالقليل من الكلام عن الكثير مواضعُ كثيرة نزلت من الحُسْنِ فى أعلى منازله ؛ ولو أفردْنا لما فى القرآن من الحذُوف الغريبة ، والاختصارات العجيبة كتابا لكان واجبا .

فمن ظاهر ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾؛ [الرعد : ٣١] ولم يأت لـ﴿ لَوْ ﴾ جوابٌ فى صريح الكتاب ؛ وإنما أراد : لو أن قرآنًا سيرت به الجبال لكان هذا . ومثل هذا الحذف ماروى عن النبىّ صلى الله عليه وآله من قوله : « لو كُتِب هـذا القرآنُ فى إهابٍ وطُرِحَ فى النار ما أحرقتْه النار » ؛ والمراد : وكانت النار مما لايحرق جسما لجلالة قدره ماأحرقته ؛ فحذف ذلك اختصارا لدلالة الكلام عليه ، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ ؛ [الأحزاب: ٧٢] وتقديره: إن السموات والأرضَ والجبال لو كُنَّ مما يأبَى ويُشْفِق، وعرضنا عليهنّ الأمانة لأبيْن وأشفقن . وجعل المعلوم بمنزلة الواقع فقال : ﴿ عَرَضْنَا ﴾ من حيث علم أن ذلك المشروط لو وقع شرطُه لحصل هو .

وهذا التأويل الذى استخرجناه أولى مما ذكره المفسِّرون من أنه تعالى أراد : عرضْنا الأمانة على أهل السموات والأرض؛ لأن أهل السموات والأرض هم الناس والملائكة ، فأىّ معنى لقوله ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ وهو يريد الجنس! ومثله قول الشاعر :

* امتلأ الحوض وقال قطْنى[1]*

---

(١) بعده :

حَسْبى رُوَيْدًا قد ملأْت بَطْنى

والبيت فى مقاييس اللغة ٥ : ١٤ .

والمعنى امتلأ حتى لو كان ممن يقول لقال ذلك، وهذا أولى فى نفسى من تفسيرهم هذا البيت بأنه ظهرت منه أمارات القول والنطق .

وهذا الذى أشرنا إليه هو معنى كلِّ ماجرى مجرى هذا البيت ؛ من قول الشاعر [(١)]:

وأجْهَشْتُ للتَّوْباذِ حين رأيتُه ... وكبّر للرَّحمن حين رآنى [(٢)]

فقلت له : أين الذين عهدتُهُمْ ... بجنبك فى خفض وطيب زمان !

فقال : مضوا ، واستودعونى بلادهم ... ومَنْ ذا الذى يبقى على الحدَثان! [(٣)]

ومن المحذوف أيضا قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ؛ [الزمر: ٧٣]؛ ولم يأت لإذا جواب فى طول الكلام ، وإنما حَسُن حذف الجواب الذى هو: «فدخلوها» لورود مايقوم مقامه؛ ويدل عليه من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ ؛ [الزمر: ٧٤] وذلك لا يكون إلا بعد الدخول ؛ ومثل ذلك قول امرئ القيس :

فلو أنها نَفْسٌ تَمُوتَ سَوِيَّةً ... ولكنَّها نفسٌ تُساقِطُ أنفُسَا [(٤)]

فحذف جواب، «لو» والجواب هو: «لكان ذلك أروحَ لها وأخفَّ عليها»؛ ومثله قول الهذلى [(٥)]:

حتى إذا أسلكوهمْ فى قُتائدةٍ ... شلاًّ كما تطرُدُ الجمَّالة الشُّرُدا [(٦)]

ومثل هذا كله فى الحذف: إنما أتمنى كذا لو أعطيته ؛ وظاهر هذا الكلام كأنه مشروط وكأنه قال: إننى أتمناه إذا أعطيته ؛ والأمر بالضِّد من ذلك؛ والمعنى : لو أعطيته لبلغت مناى، ولنفعنى ؛ وما أشبه ذلك المعنى .

---

(١) هو المجنون . الأغانى ١ : ١٧٩ . (٢) التوباذ : جبل فى نجد ؛ والأبيات أيضا فى معجم البلدان (٢ : ٤٢٤) من غير عزو . (٣) بعدها فى معجم البلدان والأغانى:

وإنّى لأبكى اليومَ مِنْ حذرى غداً ... فراقك والحيانِ مختلفانِ

(٤) ديوانه : ١٤٢ ؛ وقوله : « تساقط ، أى يموت بموتها بشر كثير .

(٥) هو عبد مناف بن ربع الهذلى ؛ ديوان الهذليين ٢ : ٤٢ .

(٦) قتائدة : موضع ، والجمالة : أصحاب الجمال . وانظر الجزء الأول ص ٣ .

والشعر القديم والمحدَث مملوء من ذلك ، قال البحترىّ :

ولو شئتِ يوم الجزع بلّ غليلَه محبٌّ بوصلٍ منك لو ينفع الوصلُ[(١)]

وإنما أراد : لو ينفع الوصل لنفعنى وبلغنى منيتى ؛ وما أشبه ذلك ؛ ومثله قوله :

وتعجبتْ من لوعتى فتبسمتْ عن واضحاتٍ لو لُثِمْن عِذابِ

وأنت إذا تأملتَ ضروب المجازات التى يتصرف فيها أهلُ اللسان فى منظومهم ومنثورهم وجدْتَها كلّها مبنيةً على الحذف والاختصار ؛ ولأن قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾؛ [الفجر ٢٢]؛ ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ ؛ [يوسف : ٨٢] مما الحذف فيه ظاهر .

وإنما كان الكلام أبلغ وأفصح؛ لأن كلامه قُلِّلَ بحذفِ بعضه ومعانيه بحالها؛ وكذلك قولهم فى المدح : فلان البدر ، والبحر ، والليث ؛ وفى الذم : هو الحمار ، والحائط ؛ إنما هو مبنىٌّ على الحذف ، لأن المراد هو مشبه ومماثِل لما ذكِر ؛ فأسقط من الكلام ما يقتضى التشبيه ؛ لدلالة القول عليه .

فإن قيل: فإذا كانت الفصاحة هى الاختصار، فكيف قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١] ؛ فزاد الكاف ؛ ولا معنى لها إلا الفصاحة ؛ فقد صارت الفصاحة بالزيادة كما كانت بالنقصان !

قلنا: دخول الكاف هاهنا ليست على سبيل الزيادة التى لو طرِحَت لما تغيّر المعنى ؛ بل تفيد بدخولها مالا يستفاد مع خروجها ؛ لأنه إذا قال : «ليس مثله شىء» جاز أن يراد من بعض الوجوه ، وعلى بعض الأحوال ؛ فإذا دخلت الكاف فُهِم نفى المثل على كل وجه ؛ ألا ترى أنه لا يحسن أن يقال : ليس كمثله أحد فى كذا بل على الإطلاق والعموم .

وبمثل هذا الجواب نجيب مَنْ يسأل عن قولهم : ما إن فى الدار زيد ؛ لأنه لو قال : ما فى الدار زيد لجاز أن يكون نفيه لكونه فيها على وجه دون وجه ؛ فإذا قال : « ما إنْ » فُهم نفى كونه على كل حال؛ وهذا يدلّ على أنها مفيدة غير زائدة.

(١) ديوانه : ٢ : ١٦٣ .

ومن قال : إنها دخلت للتوكيد يجب أن يكون مرادُه ماقصدناه وشرحناه؛ لأن التوكيد متى لم يكن تحته فائدة كان دخوله عَبثا .

وهذا الكلام الذى بسطناه فى تأمّله فوائد كثيرة ؛ وكان السببُ فيه أن بعض مَنْ قُرِئَ عليه كلامٌ حكايتُه فى وصف كتابين : « ووجدت فيهما من التغلغل والتوصّل إلى مكامن الارتجاف ، ومغابن الإسفاف ، لا تُطرقَ فِجاجها ، ولا يُفتح رِتاجُها ، ولا يُمَرّ بشِعابها ، ولا يُلَمّ بأبوابها ... » ؛ وأطال الكلام، ولم يأت بما يرجع إلى قوله: «من التغلغل»[1].

وهذا من الحذف الذى حسّنه طولُ الكلام ، ودِلالة مافيه على المحذوف ؛ لأنّ التقدير: ووجدتُ فيه من التغلغل الكثيرَ ؛ فاستُغنى عن ذكره بالمفهوم مِنَ الكلام ؛ كما استغنى بالحذوف التى ذكرناها فى القرآن والشعر بما فى معنى الكلام ، وعُدّ ذلك فصاحة وبلاغة . وكم بين أنْ يُفهم المعنى ويُلحظ من غير لفظ صريح ، وبين أن يأتى فيه لفظ مصرّح فى البلاغة والفصاحة !

وقد كنت أمليتُ قديماً مسألةً أوضحتُ فيها أنّ التأكيد لابدّ فيه من فائدة ، وخطّأتُ مَنْ ذهب إلى خلاف ذلك ، وبيّنت أنّ كلّ موضع ادُّعى فيه أنّه للتأكيد من غير فائدة مجددة فيه فائدة مفهومة ؛ وأن قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً ﴾ ؛ [الفرقان : ٧١] ما ورد هذا المصدر للتأكيد على ما يقوله قوم ؛ بل لفائدة مجدّدة ؛ لأنه تعالى أراد متابا جميلا مقبولا واقعاً فى موقعه ، فحذف ذلك اختصاراً ؛ كما يقول العربىّ الفصيح فى الشعر المستحسن: هذا هو الشعر ، والفرس الممدوح : هذا هو الفرس ؛ وإنما حذف الصفة اختصارا ؛ والمراد هذا هو الشعرُ المستحسَن ، والفرسُ الكريم ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ ؛ [النساء : ١٦٤] إنه أراد الفضل والمدح . وقال قوم : بل سمع كلامَه من غير واسطة ؛ ولا متحمّل له .

---

(١) بعد هـذه الكلمة فى ف إشارة لِلحاق ، كتب إلى جانبهـا كلمة « تبلد » ، مقرونة برمز « صح » ؛ وليس هنا مايقتضى إثباتها .

فأما قول القائل : ضربته ضربا ، وما أشبه ذلك مِنْ ذكر المصادر مع الأفعال وفى ذكر الأفعال من غير ذكر المصادر لدِلالتها عليها فله وجهان: أحدهما أن يكون نَفَى صفة الضرب اختصارا ؛ وأراد ضرباً شديداً مُبَرِّحاً ، فحذف ؛ أو يكون أراد أنّه باشر الضَّرب وتولّاه ؛ لا أنّه أمر به ؛ فقد يقال : ضربه إذا أمر بضربه ؛ ولا يكادون يقولون : ضربَه ضرباً إذا أمر بضربه ، ولم يباشره .

فأما قول العرب : « لأمرٍ ماجَدَعَ قَصيرأنفه »، وقولُهم: « لأمرٍ ما يسوّد مَنْ يسود »، وادعاء مَنِ ادّعى أن « ما » هنا زائدة لا معنى تحتها وإنمــا دخلت للتأكيد ؛ فالأولى غير ما ذكره ؛ ومعنى قولهم : لأمرٍ ما كان كذا أنه لأمرٍ لستُ به عارفاً ؛ لأنهم لا يكادون يقولون : لأمرٍ ما كان كذا وكذا وأنا به عارف ؛ وإن جاز أن يقولوا : لأمر كان كذا وأنا به عارف؛ وإنما قالت الزبّاء : «لأمرٍ ما جدَع قصير أنفه » ؛ لأنّها كانت جاهلة بسبب قطع أنفه، وغيرَ عالمة به ؛ وهذا يُبطل قولَ مَنْ جعلها زائدة بغير فائدة .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٥٩] وتقــديرُ قوم أن « ما » هاهنا زائدة فليس الأمر على ما ظنّوه ؛ لأن مِنْ شأنهم ألا يُدخلوا « ما » هاهنا إلا إذا أرادوا الاختصاص وزيادةَ فائدة على قولهم: ﴿ فبرحمةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾؛ لأنّ مع إسقاط « ما » يجوز أن تــكون الرحمة سبباً للّين وغيرها رقة ، ولا يكادون يُدخلونها مع « ما » إلا والمراد أنها سببُه دون غيرها ، فقد أفادت اختصاصا لم يُسْتفَدْ قبل دخولها .

فأما قولهم : « ما إنْ فى الدار زيد »، فيشبه أن يكون دخولُها لفائدة تزيد على قولهم: «مافى الدار زيد» ؛ لأنهم إذاقالوا : «مافى الدار زيد» جازأن يريدوا أنهلاتصرّف له فى الدار ولاتأثيرَ لكونه فيها ؛ فكأنه ليس حالاً فيها ؛ لأنهم أبدا يقولون : ما فى هــذه البلدة أميرٌ ؛ ولا لهذا الناس مدبّر ؛ يريدون السياسة والتدبير . فإذا قالوا: «ما إن فى الدار زيد» ، أو «ما إن للبلد أمير» فلابدّ أن يريدوا : أنه ليس فيها على الحقيقة مَنْ ذكروه ؛ وهذا هو معنى قول أهل العربية : إن ذلك للتأكيد ؛ ومعنى التأكيد هو الذى أشرنا إليه ؛ لأنّ التأكيد لايجوز أن يكون لغير فائدة ، وأن يكون دخوله كخروجه .

فليُقَس على ما ذكرناه أمثلتُه ، وليُتطلّبْ لكل شيء ادُّعى أنه لمحْضِ التأكيد فائدة قلَّتْ أو كَثرت ؛ فإنها توجد ؛ وليس جهلُ الطالب لها بها يقتضى فقدَها ؛ فإن الأدلّةَ الواضحةَ قد دلَّتْ على أنّ العربَ مع حكمتهم لا يتكلّمون بما لا يفيد ؛ وأنّ الكلام الذى ما وضع فى الأصل إلا لفائدة قليلُه فى وجوب الفائدة ككثيره ؛ فربما ظهرت هذه الفائدة لكل متدبِّر، وربما خفيت .

وأصول أهل العربية مملوءة من هذا ؛ فإنّهم يتمحّلون ويتطلّبون العواملَ التى لا تظهر فى تمام الكلام ؛ ويقدّرون فيها التقديرات البعيدة حراسةً للأصول ، ونُصرة لما دلّ عليه الدليل . ومن تصفّح تمحّلهم للعامل فى الحال إذا عَرِى الكلام كلُّه من تصريحٍ به ، وتغلغلَهم إلى ضعيفٍ وقوىّ وبعيدٍ وقريبٍ عَلِم أنَّ الذى سلكناه فى تخريج فوائد الحروف الزائدة الداخلة على الكلام ، وظن قوم أنها للتأكيد من غير فائدة زائدةٍ، طريقٌ صحيح لا اعتراض عليه .

مَسْأَلة

جرى بالحضرة السامية الوزيرية العالية العادلية[1] المنصورة ـ أدام الله سلطانها ، وأعلى أبدا شأنها ومكانها ـ فى بعض الكلام ماروى عن النبي عليه السلام من قوله : « نية المؤمن خيرٌ من عمله » .

فقلت : على هذا الخبر سؤال قوىّ ؛ وهو أن يقال : إذا كان الفعلُ إنما يُوصف بأنه خيرٌ من غيره إذا كان ثوابُه أكثرَ من ثوابه ؛ فكيف يجوز أن تكون النية خيرا من العمل ؟ ومعلوم أن النيةَ أخفض ثوابا من العمل ؛ وأنه لايجوز إن يلحق ثوابُ النية بثواب العمل ؛ ولهذا قال أبو هاشم : إن العزم لابد أن يكون دونَ المعزوم عليه فى ثواب وعقاب . وردّ على أبى علىّ قوله : « إنّ العزم على الكفر لابدّ أنْ يكون كفرا ؛ والعزم على الكبير يجب أن يكون كبيرا » بأن قال له : لايجب أن يساوِى العزمُ المعزومَ عليه فى ثواب ولا عقاب ؛ فإن كان هاهنا دليل سمعىّ يدلُّ على أن العزمَ على الكفر كفر ، والعزمَ على الكبير كبير صِرنا إليه ؛ إلا أنه لابدّ مع ذلك من أن يكون عقابُ العزم دون عقاب المعزوم عليه ؛ وإن اجتمعا فى الكفر والكبير .

ووقع بالحضرة السامية العادلة المنصورة ـ أدام الله سلطانها ـ من التقدير لذلك والخوض فيه كلُّ دقيق[2] غريب مستفاد ؛ وهذه عادتها ـ حرس الله نعمتَها ـ فى كل فن من فنون العلم والأدب ؛ لأنها تنتهى من التحقيق والتدقيق إلى غاية مَنْ لا يُحسن إلا ذلك الفن ؛ ولا يُعرف إلا بذلك النوع .

وقال بعضُ مَنْ حضر : قد قيل فى تأويل هذا الخبر وجهان حسنان ، فقلت له : اذكرها ؛ فربما كان الذى عندى فيه مما استخرجته أحدهما ، فقال :

يجوز أن يكون المعنى أن نية المؤمن خير من عمله العارى من نية . فقلت : لفظ

---

(١) ط ، حاشية ف (من نسخة) : « العادلة » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « كل دفين » .

« أفعل » لايدخل إلا بين شيئين قداشتركا فى الصفة ، وزاد أحدهما فيها على الآخر ؛ ولهذا لايقول أحد : إن العسل أحلى من الخلّ ؛ ولا إن النبى عليه السلام أفضل من إبليس ؛ والعمل إذا عَرِىَ مِنْ نيةٍ لاخير فيه، ولا ثواب عليه ؛ فكيف تُفضَّل النيةُ الجميلة عليه ؛ وفيها خيرٌ وثواب على كل حال .

قال: والوجه الآخر أن تكون نية المؤمن فى الجميل خيرٌ من عمله الذى هو معصيته .

فقلت : وهذا يبطل أيضا بما بطل به الوجهُ الأول ، لأن المعصيةَ لاخيرَ فيها فيفضلُ غيرها عليها فيه .

وقالت الحضرة السامية العادلة المنصورة ـ أدام الله دولتها ـ تحقيقا لذلك وتصديقا : هذا هَجْوٌ لنية المؤمن ، والكلام موضوع على مدحها وإطرائها ، وأىُّ فضل فى أن تكون خيراً من المعاصى ، وإنما الفضل أن تكون خيرا مما فيه خير !

فسئلت حينئذ ذكرَ الوجه الذى عندى فقلت : لاتُحمل لفظة « خير » فى الخبر على معنى « أفعل » الذى هو للتفضيل والترجيح وقد سقطت الشبهة، ويكون معنى الكلام: إن نية المؤمن من جملة الخير من أعماله؛ حتى لايقدّر مقدِّر أن النيةَ لايدخلها الخير والشر ؛ كما يدخل ذلك فى الأعمال . فاستُحسِن هذا الوجهُ الذى لايُحْوِج إلى التعسّف والتكلّف اللذيْن يُحتاج إليهما إذا جعلنا لفظة « خيْر » معناها معنى « أفعل »؛ وانقطع الكلام لدخول الوقت السَّعيد المختار لدخول البلد ونهوض الحضرة السامية ـ أدام الله سلطانها ـ للركوب .

وكان فى نفسى أن أذكرَ شواهد لهذا الوجه ولواحقَ يقتضيها الكلام ، وخَطَر بعد ذلك ببالى وجهان سَليمانِ من الطّعْن إذا حملنا لفظة الخير فى الخبر على الترجيح والتفضيل؛ وأنا أذكر ذلك :

أمّا شاهد مااستخرجتُه من التأويل من حمل لفظة « خير » على غير معنى التفضيل والترجيح فكثير ؛ وقد ذكرت فى كتابى المعروف « بالغرر » عند كلامى فى قوله تعالى :

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ ؛[الإسراء:٧٢] من الـكلام على هذا الوجه ماستوفيته[1] ، وذكرتُ قولَ المتنبي :

ابْعَدْ بَعِدْتَ بياضا لا بياضَ له ... لأنْتَ أسوَدُ فى عينى من الظُّلَمِ[2]

وأن الألوان لا يتعجب منها بلفظ « أفعل » الموضوع للمبالغة ، وكذلك الخِلَق كلها ؛ وإنما يقال: ما أشدَّ سوادَه ! وأن معنى البيت ماذكره أبو الفتح عثمان بن جنّى من أنه أراد : أنَّك أسودُ من جملة الظُّلَم ؛ كما يقال : حُرٌّ من أحرارا ، ولئيم من لئام ؛ فيكون الـكلام قد تمّ عند قوله : « لأنتَ أسودُ » . ولو أراد المبالغة لما كان تامًّا إلا عند صلة الـكلام بقوله: « من الظُّلَم »؛ واستشهدَ ابن جِنّى أيضا على صحة هذا التأويل بقول الشاعر :

وأبيضَ من ماء الحديد كأنَّهُ ... شِهابٌ بدا والليلُ داجٍ عساكِرُهْ[3]

كأنه قال : وأبيض كامن من ماء الحديد .

وقلت أنا : قول الشاعر :

يا ليتنى مثلكِ فى البياضِ[4] ... أبيضُ من أختِ بنى إباضِ

يمكن حمله على ما حملناه عليه ببيت المتنبي ؛ كأنه قال : أبيض من جملة أخت بنى إباض ومن عشيرتها وقومها ، ولم يُرِد المبالغة والتفضيل ؛ وهو أحسن من قول أبى العباس المبرّد لما أنشد هذا البيت وضاق ذَرْعاً بتأويله على ما يطابق الأصولَ الصحيحة أنّ ذلك محمول على الشُّذوذ والنُّدْران .

فإن قيل : كيف تـكون نية المؤمن من جملة أعماله على هذا التأويل، والنية لانسمى عملا فى العرف ، وإنما تسمى بالأعمال أفعال الجوارح؛ ولهذا لايقولون: عملت بقلبى، كمايقولون: عملت بيدى، ولايصفون أفعال الله تعالى بأنها أعمال؟

قلنا: ليس يمتنع أن تسمى أفعال القلوب بأنها أعمال، وإن قل استعمال ذلك فيها، ألا ترى

(١) المجلس السابع ؛ الجزء الأول : ٨٧-٩٤ . (٢) ديوانه ٤ : ٣٥ .
(٣) البيتان ١ : ٣٥ من غير عزو . (٤) البيتان فى اللسان (بيض) .

أنهم لايكادون يقولون: فعلت بقلبى ؛ كما يقولون : فعلت بجوارحى ؛ وإن كانت أفعال القلوب تستحق التسمية بالفعل حقيقة بلا خلاف؛ ولكن لاتسمى أفعال الله تعالى بأنها أعمال؛ لأن هذه اللفظة تختصّ بالفعل الواقع عن قدرة، والقديم تعالى قادر لنفسه؛ كما لانصفه تعالى بأنه مكتسِب لاختصاص هذه اللفظة بمن فعل لجرِّ نَفْع، أو دفع ضرر .

ولو سلَّمنا أن اسم العمل يختص بأفعال الجوارح جاز أن يُطلق ذلك على النية مجازا واستعارة ؛ فباب التجوُّز أوسع من ذلك .

وأما الوجهان اللّذان خطرا ببالى إذا قدرنا أن لفظة «خير» فى الخبر محمولة على الفاضلة؛ فأحدهما أن يكون المراد: نية المؤمن مع عمله خير من عمله العارى من نيّة ؛ وهذا مما لا شبهة أنه كذلك .

والوجه الثانى أن يريد : نيّة المؤمن لبعض أعماله قد تكون خيرا من عملٍ آخر له لاتتناوله هذه النية ؛ وهذا صحيح لأن النية لا تجوز أن تكون خيراً من عملها نفسها. وغير منكر أن تكون نيّة بعض الأعمال الشاقة العظيمة الثواب أفضل من عمل آخر ثوابه دون ثوابها ؛ حتى لايظنّ ظان أن ثواب النية لا تجوز أن يساوى أو يزيد على ثواب بعض الأعمال .

وهذان الوجهان فيهما على كل حال ترك لظاهر الخبر لإدخال زيادة ليست فى الظاهر؛ والتأويل الأول إذا حملنا لفظة «خير» على خلاف المبالغة والتفضيل مطابقٌ للظاهر؛ وغير مخالف له ؛ وفى هذا كفاية بمشيئة الله .

مَسْأَلَة

سأل بعضُ الإخوان وقد خطر بباله عند قراءة شيء من أخبار الأئمة وأدعية السادة عليهم السلام مَن ذكر اسم الله تعالى الأعظم، وما خُصّ به من الفضيلة دون سائر أسماء الله تعالى، وما أُعطي مَن دعا به من سرعة الإجابة؛ مثل آصف بن بَرْخيا وصيّ سليمان عليه السلام ومجيئه بعرش بَلقيس من سبأ اليمن إلى بيت المقدس فى أقل من طرفة العين؛ وما نقله الأنبياء والأئمة والصالحون من المعجزات، وعن قول الأئمة عليهم السلام فى أدعيتهم: «اللهم إنى أسألك باسمك الأعظم»، وفيهم من قال: «الأعظم الأعظم» متى زاد على ذلك، ومنهم من قال: «الأكبر الأكبر». قال: فهل ترى أن «الأعظم» غير «الأكبر»، أو «الأعظم الأعظم» غير «الأعظم» مرة واحدة؟. قال: وإذا قلنا «أعظم» فيجب أن يكون ثَمّ «ألطف»، وإذا قلنا «أكبر» يجب أن يكون ثَمّ «أصغر»؛ والله يتعالى من أن يكون له اسم ألطف من اسم أو أصغر، إذ كانت أسماؤه تعالى لا تذكر إلاّ على معنى واحد؛ ولا يشار بها إلا إليه؛ وقد نطق القرآن بتساويها فى المنزلة، وهى قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]؛ وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾؛ [الأعراف: ١٨٠]، وقد خيّر الله تعالى نبيه عليه السلام فى أن يدعوه بأيّها شاء؛ وذكر أنها كلّها حسنى، فلم خصّ الأئمة عليهم السلام أحدَها بالتعظيم دون سائرها، والمقصود بها والمراد منها واحد تبارك وتعالى!

فإن قيل له: لأن فيه ما يشاركه فيه المخلوقون: مثل كريم ورحيم وعالم وحاكم وغير ذلك؛ فلهذا كانت رتبة بعضها فى التعظيم أقل من بعض.

قال: والجواب عن ذلك أنه قد بقيَ منها عدة أسماء لا يشاركه فيها أحد من المخلوقين، ولا يستحقها سواه مثل الله وإله وسُبُّوح وقدّوس وما أشبه ذلك؛ مما لا يوصف بها غيره، ولا تليق إلا به عزّ وجل، فلم اختَص الاسم الأعظم بأحد هذه دون الأجرام؛ أم هل الاسم الأعظم أو الأكبر شيء غير هذه الأسماء المتعارفة بين العوام[1]!

(١) حاشيتى ف، ط: «فى هذا الكلام بعض التخليط كأنه ليس من تحرير السيد رحمه الله».

مَسْأَلَة

وسأل غير الأول من الإخوان عن قوله تعالى فى سورة يس : ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ ؟ [يس : ٦] .

قال :

إذا كانت آباؤهم لم يُنذَروا فبأىّ شىء يُحتجُّ عليهم! وكيف يعاقِبُهم على عبادة الأصنام وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ ؟ [الإسراء : ١٥]! وكيف يصحّ أن تخلوَ أمة من الأمم من نذير ، مع قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٤]؛ وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٨] وقد عُلِمَ أنّهم كانوا أمماً لا يُحصيها كثرة غيره تعالى ، وقرًى كثيرة ؛ فكيف هذا! وأىّ شىء المرادُ به ومعلوم أنّ كلامه تعالى لا يتناقض !

قال : فإن قال : إن « ما » التى فى الأمة المتقدمة ليست للنفى بل هى للإثبات ، والمعنى فيها : مثل ما أنذِرَ آباؤهم، أو بمعنى الذى أنذرآباؤهم ، أوزائدة؛ لأن الكلام يَتم من دونها ؛ لتنذر قوما أنذر آباؤهم .

قال : والجوابُ عن ذلك أنّ هذا تأويلٌ يَفسُد، مِنْ قِبَلِ أنّ المعلوم الذى لاشك فيه ولا إشكال أنّ اللهَ تعالى لم يبعثْ نبيًّا بعد عيسى عليه السلام إلا المبعوثَ على فترة من الرسل صلى الله عليه ؛ لأجل ذلك وصفهم بالغَفْلةِ لَمَّا لم يُنذَرْ آباؤهم ؛ فثبت بهذا أن « ما » التى فى الآية المتقدمة للنفى دون الإثبات ، وأن الأخذ بالمعلوم أولى من المظنون .

قال : فإن قيل إن عيسى عليه السلام قد كان بُعث إليهم ، وشاعت شريعتُه فيهم وانتشرت كلمتُه ، وسار الحواريون بدعْوته شرقا وغربا ، سَهلا وجبلا .

قال: فالجواب عن ذلك إذا سلَّمنا أن عيسى عليه السلام بُعث إليهم فإنّ الفترة إنما كانت بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله ، وأن الحواريين لم يمكثوا بعدَه إلا قليلا ، وأنّ الآباء المذكورين بأنهم لم يُنذَروا هم الأدنوْن دون الأبعدين .

ولقائل أن يقول: إن عيسى عليه السلام لم يُبعث إلا إلى بنى إسرائيل خاصةً دون العرب؛ وبذلك نطق القرآن. وله أن يقول: إن الآباء الأبْعدين والأدنيْن فى الآية سواء. والذى يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ...﴾؛ [المائدة: ١٩]؛ الآية(١) إلى آخرها، وقد صحّ بالجملة والتفصيل أنّ الآباء لم يُنْذَروا، وأن «ما» للنفى فى موضعها من الآية دون الإثبات؛ فكيف القول فى الحجة عليهم؟ ولا يحتج محتج بأن العقل هو الحجة عليهم دون الإنذار والرسل؛ لأن العقل حجّةٌ على من أنذِر وعلى من لم ينذَر؛ وعليه معوّل الفلاسفة فى الاستغناء عن الرسل والأنبياء عليهم السلام.

☆☆☆

الجواب عن المسألة الأولى(٢): أن يكونَ اسمُ الله تعالى الأعظم خارجاً عن هذه الأسماء والصفات التى فى أيدى الناس يناجُونَ الله تعالى بها، ويدعونه ويسألونه؛ لأنّ ذلك الاسم لو كان من جُمْلتها — وقد أجمعوا على أنّ الله تعالى لم يُسأل به شيئاً إلا أعطاه — لكان يجب فى كل داعٍ بهذه الأسماء والصفات إذا كان الاسم من جملتها أن تجاب دعوته، وتنجحَ مسألته، وقد علمنا خلافَ ذلك، وأنّ أكثر الداعين بهذه الأسماء المسطورة غيرُ مجابين؛ فعلمنا أنّ «الأعظم» ليس من جملتها.

فإذا قيل لنا: فلم خصّ الله تعالى بهذا الاسم قوماً دون قوم، ولم يُجرِه مجرى سائر أسمائه؟ فالجواب أنه تابعٌ للمصلحة، وإذا كان المعلوم أن كلّ سائلٍ بذلك الاسم مجاب لا محالة، فمن عُلِمَ أنّ فى إجابته مفسدةً لا يجوز أن يمكَّن من ذلك الاسم.

فإذا قيل: فينبغى لمن يسأله تعالى، وقال: بحقِّ اسمك الأعظم، أعطنى كذا أن يُجاب لا محالة؛ وقد علمنا خلاف ذلك؟ فالجواب أنه غير ممتنع أن تكون الإجابة إنما تكون واجبةً عند التصريح والتلفّظ بهذا الاسم دون الكناية عنه.

---

(١) بقية الآية: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٢) انظر ص ٣١٩ من هذا الجزء.

فأما تسميته بأنَّه أعظم ، وأن ذلك يقتضى أن يكون من أسمائه ماليس بأعظم ؛ فالجواب عنه من وجهين :

أحدُها أن تكون لفظة « أفعل » هنا راجعةً إلى باقى أسمائه ؛ والوجه الآخر أن ترجع إلى أسماء وصفات غيره .

وبيان الوجه الأول أن معنى « أعظم » هو اختصاصُه بفضيلة أن الدّعاء به مجاب ، وهذه المزية ليست فى باقى الأسماء ؛ فكأنه أعظم منها لاختصاصه برتبة عالية ليست لباقيها .

وأما الوجهُ الثانى فيكون المعنى أنه أعظم بالإضافة إلى أسمائكم وصفاتكم ؛ لأنه ليس لشىء من صفاتنا هذه المزية ؛ ولم تُجعل هذه المزية لأجل فَقْد المشاركة فى المعنى ؛ فيلزم عليه إلهٌ وقديم ورحمن ؛ على مامضى فى السؤال ؛ بل لأن الله تعالى خَصَّ هذا الاسم بهذه المزية لما علم من المصلحة .

فأما إلزامُنا أن يكون فى أسمائه تعالى ماهو أصغرُ فلا يلزم على الجواب الثانى ؛ فإذا أُلزِمْنَا ذلك على الجواب الأول قلنا : إذا كان قولنا « أعظم » بالإضافة إلى أسمائه تعالى معناه أن له هذه المزية والرتبة ، فلا محالة أنه يجب فيما ليس له هذه المزية من أسمائه ألاَّ يكون الأعظم . ولايجوز أن نقول : أصغر وأحقر وما يجرى مجرى ذلك ؛ لأنه يُوهم المهانة ؛ وما لا تجوز فى شىء من أسمائه .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلِلّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ فإنما سمّاها كلها الحسنى ؛ وليس يمتنع أن يكون فيما هو حَسن تفاضل وتزايد ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا ﴾ معناه التخيير لنا بين أن ندعوه بأىّ الاسمين شئنا ؛ وما يمضى فى ألفاظ الدعاء من أنى أسألك باسمك الأكبر تارة ؛ وأخرى بالأعظم ، والأشبه أن يراد باللّفظتين معنى واحد .

وأما تكرير لفظ « الأعظم » فهو على سبيل التأكيد والتفخيم ؛ لا لأن « الأعظم » مرة واحدة غير « الأعظم » مرتين ، وبالله التوفيق .

* * *

والجواب عن المسألة الثانية(١) أنه غيرُ ممتنع عندنا أن يخلوَ الزمان الطويل والقصير من رسولٍ مبعوث بشريعة ؛ وإن كان لايخلُو من إمام ؛ ولهذا يقول أصحابنا : إن الإمامة واجبةٌ فى كلِّ زمان ؛ وليست كذلك النبوة .

والوجه فيه أنَّ إرسالَ الرسول تابعٌ لمـا يعلمه الله من المصالح للمكلّفين فى الشرائع والعبادات ؛ وغيرُ بعيد فى العقل أنْ يعلم تعالى أنه لا شىء من الشرائع فيه مصلحة للمكلَّفين؛ فلا تجب الرِّسالة بل لا تحسن . فأما قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وقوله : ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وقوله : ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ ؛ فيجوز أن يكون مخصوصاً غيرَ عام ؛ ويعنَى به مِنَ الشرائع والعبادات من ألطافه ؛ فإنْ دلَّ دليلٌ قاطعٌ على عموم هذه الظواهر قطْعنا لأجله على أن الشرائع من ألْطاف المكلَّفين ؛ وإن كان جائزاً فى العقل ألاَّ يكون الأمر على ذلك .

وقد اختلف أهلُ التأويل فى تأويل هذه الآية، فقال جماعة : إن لفظة « ما » ها هنا للنفى ، والمراد أن آباءهم ما أنذِروا، لأنَّ المصلحة لم تقتض بعثة رسول إليهم ؛ وليس من المعلوم لنا أنَّ عيسى عليه السلام كان الحجةَ على كلِّ مكلَّف كان بين زمانه وبين زمان نبيّنا عليه السلام .

ويقوِّى هذا الجواب إثباتُ الفترة وأنَّه عليه السلام بُعِث على فترة من الرسل .

وذهب قومٌ من أهل التأويل إلى أن « ما » فى الآية ليست للنّفى بل للإثبات ؛ والمرادُ: لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم ؛ وهذا أيضاً جائز .

ويقوِّى هذا الجواب ويضعف الأول أن قوله تعالى : ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يقتضى الذمّ لهم بالغفلة ؛ وذلك يقتضى أنهم أنذِروا فغفلوا وأعرضوا . ولا يُذَمّ بالغفلة مَنْ لا سبيل له إلى العلم والتبين .

وفى الناس مَن حمَل قوله تعالى : ﴿مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ على النفى ، والمراد أنه لم ينذرهم مَنْ هو منهم وعلى نسبهم ومن أنفسهم ؛ كما قال تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ

(١) انظر ص ٣٢٠ من هذا الجزء .

أَنْفُسِكُمْ﴾؛ [التوبة : ١٢٨] فيكون تلخيص الـكلام: لتنذر قوما أنت منهم ما أُنذر آباءهم مَن هو منهم؛ أى من قومهم ومن أنفسهم .

ويمكن فى لفظة «ما» وجه آخر وهو أن يراد بها التنكير؛ كأنه قال: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا﴾ وتقف، ثم تبتدئ فتقول: ﴿أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾؛ كما يقول القائل: أكلت طعاماً ما، ولقيت جماعة ما، ويكون الغرض التنكير والإجمال؛ وليست لفظة «ما» هاهنا زائدة؛ لأن حدّ الزائد أن يكون دخوله فى عدم الفائدة كخروجه؛ وهى هاهنا مفيدة على ما بيّنّاه .

مَسْأَلَة

فى الاعتراض على أن مَن استدلّ بدليل السَّحّارة على أن العالم مَلَاء، وما أُبْطِل به ذلك

اعلم أنّى فكرتُ فيما أجاب به أبو هاشم مَن يقول: إن العالم ملاء، إذا استدل بالآلة التى تُسَمّى السَّحارة(١) على ذلك؛ وادَّعى أن علّةَ وقوفِ الماء عن النزول من الثُّقَب الصغار التى فى أسفلها إذا سددنا رأسها هو منع الهواء بسدِّ الرأس من أن يَحْدُث فى مكان الماء. وقول أبى هاشم: إن العلة فى وقوف الماء عن السيلان إذا سددنا رأس السَّحارة بالإصبع أن الهواءَ يمنع الماء من النزول لضعف مايخرج من الماء فى الثُّقَب الصغار؛ فإذا فتحنا الرأس دفع الهواءُ الماءَ من أعلى السحارة فقوِيَ الماء على النزول؛ فوجدتُه غير واضح، لأن الماء فيه اعتماداتٌ سِفْلاً وثِقْلٌ ونفس الهواء على مذهبنا —وهو الصحيح— لا اعتماد فيه البتة؛ فكيف تمنع مالا اعتماد فيه للجسم الذى فيه اعتماد سِفْلًا عن الهبوط والنزول! وإذا كان الهواء هو المانع من نزول الماء من الثُّقَب الصغار — ومن مذهب أبى هاشم جواز خلوِّ الأماكن من الهواء — فكان يجب أن يجوِّز أن يسيل الماء من أسفل السحارة مع سدّ أعلاها بالإصبع؛ بأن يصادف ذلك مكانا خالياً من الهواء الذى يَدَّعى أنه مانع من نزول الماء.

فأما تقويته لذلك بذكر الريشة، وأنها تقف فى الهواء فلا تنزل؛ لأن الهواء يمنعها من الهبوط، فأوّل مافيه أن الريش لخفَّته ربما أبطأ نزوله؛ فظُنَّ أنه واقف؛ وربما كان فى الهواء اعتماداتٌ مختلفةٌ صُعُداً، فتمنعُ هذه الاعتماداتُ التى هى فى خلاف جهة اعتمادات الريشة من النزول. فأما إذا كانت الريشة فى هواء ساكن لا اعتماد فيه فإن الهواء لا يجوز أن يمنعها من الهبوط.

ومن أطرف الأمور قوله: إن الهواء إذا فتحنا عن رأس السحارة يدافع الماء، ويكون

---

(١) فى حاشيتى ف، ط: «إن الآلة المعروفة بالسحارة هى الآلة التى يكون فى رأسها ثقب واحد وفى أسفلها ثقوب كثيرة، إذا ملأناها بالماء ثم سددنا رأسها بالإبهام لم ينزل الماء من الثقب التى فى أسفلها؛ وإذا أزلنا إبهامنا نزل الماء؛ ولا علة لذلك إلا أنها عند سد رأسها بالإبهام منعنا الهواء من أن يخلف فى مكان الماء».

سبباً لنزوله من الثقوب ؛ لأن الهواء على مذاهبنا لا اعتمادات فيه ، فكيف يدافع الماء ! ومَنْ قال من الفلاسفة: إن فيه اعتمادات صُعُداً لا يليق دفع الماء بقوله ، لأن تلك الاعتمادات فى غير جهة اعتماد الماء . وأىُّ عاقلٍ يخفى عليه أن الهواء الساكن المعتدل لا يجوز أن يدفع الماء من رأس السحّارة !

وبعدُ ، فمع القول بجواز خُلُوِّ الأماكن من الهواء؛ والقطع على ذلك فى بعض الأحوال قد كان يجب أن يجوز أن يُفتح رأس السحّارة ، ولا يسيل الماء من الثُّقَبِ من أسفلها ؛ لأن الهواء الذى ادَّعى أنه يدافع الماء من رأسها مفقود .

والذى يدعيه أبو هاشم من أن السحّارة لو ملئت زئبقا وسُدّ رأسها لنزل من الثقوب الصّغار ؛ وقوله: إنما كان كذلك لِثقَل الزِّئبق، وأنّ الهواء الذى يلاقى من تحتها الثقوبَ الصغار لا يَقْوَى على منعه من النزول؛ كما لا يتم ذلك فى الماء موقوفٌ على التَّجْربة .

فأما ما جرَّ بناه فنتكلَّم على العلة المفرِّقة بين الزِّئبق والماء ؛ والذى يجب أن يُعتمد فى نقض الاستدلال من القائلين بذلك فى الماء والسحارة أن يقال لهم : ما أنكرتم أن يكون الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل فى الماء السكونَ والوقوفَ مع سدّ رأسها ، فلا ينزلُ من أسفلها ، وإذا فتحنا رأسَها لم يفعل ذلك السكونَ فيجرى الماء منها من الثقوب .

وليس ينبغى أن ينكِرَ أصحابُنا خاصّةً أن يكون هذا بالعادة ؛ ونحن كلُّنا نقول : إن انجذابَ الحديد إلى حجر المغناطيس إنما هو بالعادة ؛ وإلا فالمغناطيس وسائرُ الأحجار سواء . وإن بالعادة وقع الشِّبَعُ عند تناول الخبز واللحم ، وارتفع عند غيرها ، والجنس واحد . وما تقوّل جماعتنا إنه بالعادة أكثر من أن يُحصى .

وإذا أنكر الفلاسفةُ الملحدون تعليقَنا ذلك بالعادة لجحْدهم الصانعَ؛ دللْناهُمْ على الأصل الذى لَمَّا جهلوه ضَعُفَ ما نقوله فى نفوسهم ، فبثبوته يسهُلُ ذلك كلُّه .

فإذا قيل لنا: فما طريقهُ العادة يجوز فيه الاختلاف ؛ فجوِّزوا أن تكون السحارةُ فى بعض البلاد التى لا تتصل بنا أخبارُها يسيل الماء من أسفلها مع سدّ رأسها ، ولا يسيل مع فتحها .

قلنا : نحن نجوّز ذلك ، ولا نمنع أن تختلف العادة فيه ؛ كما لا نمنع أن يستمرّ فى كلّ بلد ؛ وعند كل أحد ، ولا يخرج هذا الحُكْم مع استمراره من أن يكون مستنداً إلى العادة ؛ ألا ترى أنّ القاطعين على وقوع العلم الضرورى بخبرَ الأخبار إذا كان العدد زائداً على أربعة مع استيفاء باقى الشروط لا يجوّزون أن تختلف العاداتُ فى ذلك ؛ بل يقطعون على أنّ العادة مستمرة بذلك فى كل موضع .

فإذا قيل له : كيف يتميزّ ذلك وهو معتاد مع الاستمرار من الوجوب ؟

قال : فإن المستند إلى العادة لا بد من أن يختلف على بعض الوجوه ؛ ليفارق بذلك الاختلاف الواجب ؛ ويتميزّ عنه . والخبرُ الذى يجب عنده حصولُ العلم الضرورىّ قد يقع مثلُه ومن جنسه ؛ مع اختلاف بعض هذه الشروط ؛ فلا يجب العلم . فلو كان هناك إيجاب لوجب العلم على كل حال ، وهـذا بعينه قائم فى السحّارة ؛ لأنّ الثقوب لو وُسِّعت لسال الماءُ على كل حال ، ولو كانتْ هناك طبيعة موجبة لوقوف الماء لم تختلف الحال على بعض الوجوه .

وبعد ، فإن علّة أبى هاشم فى وقوف المـاء من السحارة عن السيلان - وإن كنّا قد بيّنّا بطلانها - لا نجدها فى القَدَح المعروف بقَدح العَدْل ؛ وهو قَدَحٌ فى وسطه بَرْبَخ[(١)] مجوّف يبلغ ارتفاعا إلى قريب من أعلاه، وهذا البربخ[(١)] نافذ من جهة أسفله ، وعلى رأس هذا البربخ فى وسط القَدَح كالغشاء يُحيط به من جوانبه على تَجَافٍ عنه ؛ وهو من أعلاه مسدود ، ومن أسفله مفروج ، فإذا طرحنا فى هذا القدح ماء فهو ثابت ؛ حتى يبلغ إلى محاذاة رأس البربخ ، فإذا زاد عليها ولو باليسير خرج جميعُ الماء من القَدَح بأن يصعد من أسفل القدح إلى رأس البربخ حتى ينزل جميعُه .

وأصحاب المَـلَاء يدّعون أن العلّة فى صعود الماء إلى فوق رأسِ ذلك من شأنه هو اضطرار الخلاء ؛ وحتى لا يخلوَ مكان من متمكِّن فيه ، فما العلّة فى صعود الماء ثم هبوطه على مذهب أبى هاشم؟ وما يملّل فى السحارة لا يتأتى هاهنا ؛ وليس بعد ذلك إلا إسناده إلى العادة، وجريها.

والله ولىُّ التوفيق .

---

(١) البربخ : منفذ الماء ومجراه .

مَسْأَلَة

سئل رضى الله عنه عن الفرق بين الألْثغ والألْيغ، فقال : الألْثغ الذى تكون فى لسانه رَدَّةٌ فى حرفٍ بعينه ، كالطاء والسين وما أشبههما من الحروف ؛ والألْيغُ الذى تكون فى لسانه فى سائر الحروف رَدّة .

مَسْأَلَة

سئل رضى الله عنه عن قول النبي صلى الله عليه وآله : « أعلمُكم بنفسه أعلمُكم بربّه » ما معناه ؟ فقال : معنى هـذا الخبر أنَّ أحدنا إذا كان عالمًا بأحوال نفسه وصفاته فلابدَّ أن يكون عالمًا بأحوال مَنْ جعله على هذه الصفات ؛ وصيّر له هذه الأحوالَ والأحكام ؛ لأنَّ مَنْ عَلِمَ الفرْع لابد أن يكون عالمًا بأصله الذى يستند إليه ، ويتفرّعُ عليـه ، وإذا دخل التزايُد فى العلم وكان بالفرْع أعلمَ فهو بالأصل أعلم .

وشَرْحُ هذه الجملة أنَّ مَنْ عَلِمَ نفسه أنَّه محدَث مصنوع مخلوق مربوب قادر حيّ ؛ عالم فلابدَّ من أن يكون عالمًا بمَنْ جعله على هذه الصفات ، وصيَّر له هذه الأحوالَ والأحكام ، ولولاه جلّ اسمُه لم يكن على شىء منها ؛ فالتزايُد والتفاضُل فى أحد الأمرين يقتضى التزايدَ والتفاضلَ فى الآخر .

ولا يلزم على هذه الجملة أن أحدَنا قد يعلم نفسَه موجودا وإن لم يكن بالله تعالى عارفًا ؛ وهو جلّ وعزّ الذى أوجده ، ولولاه لم يكنْ موجودا ، ألا ترى أن الدّهرية يعلمون العالَم وما فيه موجودا وإن لم يعلموا أن له موجِدا ، وكذلك قد يعلمُ أحدُنا كونَه قادراً وعالمًا وحيًّا وإنْ لم يعلم مَنْ جَعله على هذه الأحوال ؛ وذلك أنّا إذا أدخلنا لفظة « أفعل » فقلنا : مَنْ كان أعلمَ بنفسه كان أعلمَ بربّه ، ومَنْ علم نفسه موجودا ولم يعلمْ مُوجدَه وخالقه ليس بأعلمَ بنفسه ؛ وإن قيل هو عالم ولفظة المبالغة تقتضى أنه إذا لم يعلم أن له موجدا ومُقْدرا ومحييا فليس بأعلم بنفسه . والذى يبيّن هذا أنه لايمتنع فيمنْ علم قطعةً من النَّحو أن نقول: إنه عالمٌ بالنحو ، ولا نقول: هو أعلمُ. إلا إذا كان مستوليًا على جميع علومه ؛ لا يذهبُ عليه شىء منها .

وليس يمتنع أن نعكِس لفظ هذا الخبر فنقول : أعلمكمْ بربِّه أعلمكم بنفسه ؛ لأنه مَنْ كان بالله أعلم فلابدَّ من أن يكون عالمًا بأنه خالقُنا ورازقنا ومحيينا ومميتنا ، والجاعل لنا على هذه الأحوال والصفات فمن حيث تعلّق كلٌّ واحد من الأمرين بصاحبه جاز أن يُجعل كلٌّ واحد من الأمرين تارة فرعا ، وتارة أصلا .

مَسْأَلَة

وسئل رضى الله عنه عن قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ ؛ [الروم: ٢٢] . وهل يوجب قوله : ﴿ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾ أن يكون كلامُنا على ظاهر الآية خَلْقاً له تعالى ؟ فقال :

فى هذه الشبهة ثلاثة أجوبة :

منها أن معنى اختلاف ألسنتكم، أى اختلافُ لغاتكم فى البيان أو الأشكال .

ومنها اختلافُ مخارج الكلام من أَلْسِنَتِكم ؛ ككلام الأَلْثَغِ ،والأَلْيَغِ ،والأَرَتِّ والتَّمْتَام ونحوهم .

ومنها اختلاف ألسنتكم فى خِلَقِها وأشكالها وصِيَغِها ، كالطَّويل منها والقصير والعريض والدقيق . واللهُ تعالى الموفِّق للصواب .

مَسْأَلَة

قال رضى الله عنه : قد طَعَن مَنْ لا تأمُّل له على استدلالنا على أنّ الأفعالَ الظاهرةَ فينا من قيام وقعود وأكل وشرب وما جَرى مجرى ذلك متعلّقةٌ بنا ، وحادثةٌ من جهتنا بوجوب[1] وقوعها بحسب قصودنا وأحوالنا ودواعينا بأن قال :

كيف يجوزُ أن تدَّعوا العلم الضرورىّ بوجوب وقوع أفعالكم بحسب أحوالكم ؟ وإنما تشيرون بالوقوع إلى الحدوث .

وإذا كان حدوث هذه الأفعال لا يُعلم ضرورة ؛ وإنما يُعلم بدقيق الاستدلال والنظر ، فكيف يجوز أن تعلموا حكمَ الذات ضرورة ، وأنتم تعلمون تلك الذات بدليل؟ والعلم بالذات أصلٌ للعلم بالأحكام ؛ ولا يجوز أن يكون العلم بالأصل مستدَلاًّ عليه ، والعلمُ بالفرع ضروريا.

٭٭٭

والجواب عن ذلك أنّ الوجوبَ أو الجواز حكمٌ للأحوال الموجبة عن الأفعال التى هى ذوات حادثة؛ ونحن نعلمُ كونَ الجسم منتقِلا وكائنًا فى جهة من الجهات ضرورة ؛ وإن كنّا لا نعلم الكون الذى فيه إلا بدلالة، والوجوب حكم لكونه كائنًا ، وليس بحكم للكون الذى هو الذات، فما علمنا على هذا التقرير الأصلَ والفرع إلا ضرورة، وهذان العلمان منفصلان عن العلم بالذات الذى يُحتاج فيه إلى الدلالة .

ألا ترى أن الشيوخ نصّوا فى كتبهم على أن المدرك منّا للجوهر يعلم ضرورة عند الإدراك كونه متحيزاً، وكونه فى جهة مخصوصة، وكونه موجودا! ونصّوا على أنّ هذه العلوم ضروريةٌ وواقعة عند الإدراك؛ وإن كان الإدراك لا يتناوله إلا كونه متحيزًا دون ما عدا هذه الصفة، فكيف يُشكل هذا الذى ذكرناه، ومعلوم أن نفاةَ الأعراض من الموحدين والملْحِدين يعلمون كون الجسم متحركا أو ساكنا، وقريبا أو بعيدا ضرورة ، ويعلمون كون أحدنا قائما أو قاعدا، أو آكلا أو شاربا كذلك؛ ويعلمون ما هو واجب من هذه الأحوال أو واجب فى الوضع الذى تجب فيه، أو يجوز ضرورة.

(١) فى حاشيتى ف، ط : «أى استمرار»

وإن كانوا لا يثبتون المعانى التى هى الأعراض، ولا يعرفونها، فكيف يُشكل على متأمِّل أن الأحكام التى أشرنا إليها وادَّعينا وجوبها على بعض الوجوه ليست أحكاماً للمعانى التى لا تُعلم إلا بالدلالة وإنما هى أحكام للأحوال المعلومة أيضا ضرورة، وأن ما علمناه ضرورة حُكمٌ لأمر نعلمه أيضا ضرورة .

ومَنْ حَمَل نفسه أن يخالف فى وجوب ما ذكرناه دافعٌ للضرورة ؛ لأن العلم بما ذكرناه من أوضح الضرورات . والفرق بين وجوب كون أحدنا آكلا وقد اشتد جوعه وارتفعت الموانع عنه ـ وهو صحيح سليم ـ وبين وجوب آكله إذا جاع غيره معلوم ضرورة؛ وآخر ما يبدأ به العقل .

وإذا كان الفرق الذى ذكرناه معلوماً ثبتَ ما هو مستنِد إليه من الوجوب عند قوة الدواعى وخُلُوصها .

والمعارضة على هذه الطريقة بوجوب الشِّبَع عند الأكل، والسُّكر عند شرب الخمر، وماجَرى مجرى ذلك غير صحيح ، لأنه لا وجوب فى سائر ما ذكرناه ، ألا ترى أن فى الناس مَنْ يشبع باللُّقْمة ، وفيهم من لا يشبع بأكل العَجْنة(1)، وكذلك فى السُّكر والرِّىّ .

ولما استند ذلك إلى العادة جاز أن يختلفَ بالأشخاص والأحوال، ولما استند ما ذكرناه من الوجوب إلى غير العادة كان مستمراً فى كل شخص، وعلى كل حال، وعلى كل وجه وسبب؛ فأين أحد الأمرين من الآخر!

---

(١) العجنة قدر ما يعجن فى مرة .

مكتبة الدكتور مروان العطية

مَسْأَلَة

فى تفضيل الأنبياء على الملائـكة عليهم السلام

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلّم تسليما.

اعْلَم أنَّه لاطريق من جهة العقل إلى القطع بفضل مكلَّف على آخر ، لأن الفضل المراعى فى هذا الباب هو زيادةُ استحقاق الثواب، ولا سبيل إلى معرفة مقادير الثواب من ظواهر فعل الطاعات، لأنَّ الطاعتين قد تتساوى فى ظاهر الأمر حالها ، وإن زاد ثواب واحدة على الأخرى زيادة عظيمة، وإذا لم يكن للعقل فى ذلك مجال فالمرجعُ فيه إلى السَّمع ، فإنْ دلَّ سمعٌ مقطوع به من ذلك على شيء عوِّل عليه ، وإلا كان الواجب التوقف عنه ، والشكّ فيه .

وليس فى القرآن ، ولا فى سمع مقطوع على صحة مايدلُّ على فضل نبيّ على مَلَك ولا مَلَك على نبيّ. وسنبيِّن أن آيةً واحدة مما يُتعلق به فى تفضيل الأنبياء على الملائـكة عليهم السلام يمكن أن يُسْتَدل بها على ضربٍ من الترتيب نذكره .

والمعتمَد فى القطع على أن الأنبياء أفضل من الملائـكة عليهم السلام على إجماع الشيعة الإمامية على ذلك ، فَهُم لايختلفون فى هذا، بل يزيدون عليه، ويذهبون إلى أن الأئمةَ أفضل من الملائـكة، عليهم أجمعين السلام . وإجماعهم حُجة لأن المعصوم فى جملتهم .

وقد بيَّنا فى مواضعَ من كتبنا كيفية الاستدلال بهذه الطريقة ورتبناه ، وأجبناعن كلِّ سؤال يسأل عنه فيها ،وبينَّا كيف الطريقُ مع غيبة الإمام إلى العلم بمذاهبه وأقواله ، وشرحنا ذلك ، فلا معنى للتشاغل به هاهنا .

ويمكن أن يُسْتَدَلّ على ذلك بأمره تعالى للملائـكة بالسجود لآدم عليه السلام ؛ وأنه يقتضى تعظيمَه عليهم ، وتقديمَه وإكرامه ، وإذا كان المفضولُ لا يجوز تعظيمُه وتقديمه على الفاضل علمْنا أن آدم عليه السلام أفضلُ من الملائـكة ، وكل من قال : إن آدم عليه السلام أفضل من الملائـكة ذهب إلى أن جميعَ الأنبياء عليهم السلام أفضل من جميع الملائـكة ، ولا أحدٌ من الأمة فصَل بين الأمرين .

فإن قيل : ومن أين أنّه أمرهم بالسجود على جهة التقديم والتعظيم ؟

قلنا : لا يخلو تعبّدُهم بالسجود له من أن يكونَ على سبيل القِبْلة والجهة من غير أن يقترِن به تعظيم وتقديم ، أو يكون على ما ذكرناه .

فإن كان الأوّل لم يجز أنَفَةُ إبليس من السجود وتكبُّره عنه ؛ وقوله : ﴿ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ [الإسراء : ٦٢] . وقوله : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [ص : ٧٦] .

والقرآن كله ناطق بأن امتناعَ إبليس من السجود إنما هو لاعتقاده التفضيل به والتكرمة؛ فلو لم يكن الأمرُ على هذا لَوجَب أن يردّه الله تعالى عنه ، ويُعلِمه أنّه ما أمره بالسجود على وجه تعظيمه له ولا تفضيله ؛ بل على الوجه الآخر الذى لا حظَّ للتفضيل فيه ؛ وما جاز إغفال ذلك ، وهو سبب معصية إبليس وضلالته ؛ فلما لم يقع ذلك دَلَّ على أن الأمر بالسجود لم يكن إلا على جهة التفضيل والتعظيم . وكيف يقع شكٌّ فى أنَّ الأمر على ما ذكرناه؛ وكلُّ نبىّ أراد تعظيمَ آدم عليه السلام ، ووصْفَه بما اقتضى الفخر والشرف ونعتَه بإسجاد الملائكة له ؛ وجعل ذلك من أعظم فضائله ؛ وهذا مما لا شبهةَ فيه .

فأمَّا اعتمادُ بعض أصحابنا فى تفضيل الأنبياء على الملائكة على أن المشقة فى طاعة الأنبياء عليهم السلام أكثر وأوفر من حيث كانت لهم شهواتٌ فى القبائح ، ونفارٌ عن الواجبات فليس بمعتَمَد؛ لأنّا نقطع على أنّ مشاق الأنبياء أعظم من مشاقِّ الملائكة فى التكليف ؛ والشكُّ فى مثل ذلك واجب ، وليس كلُّ شىء لم يظهر لنا ثبوته وجب القطع على انتفائه . ونحن نعلم على الجملة أن الملائكة إذا كانوا مكلَّفين فلابدَّ من أن تكون عليهم مشاقٌّ فى تكليفهم ، ولولا ذلك ما استحقوا ثواباً على طاعاتهم . والتكليف إنما يحسن فى كلِّ مكلَّف تعريضاً للثواب ؛ ولا يكون التكليف شاقًّا عليهم إلا وتكون لهم شهوات فيما حُظِر عليهم ، ونِفارٌ عما أُوجِبَ .

وإذا كان الأمرُ على هذا فمن أين يُعلَمُ أن مشاقَّ الأنبياء عليهم السلام أكثرُ من

مشاق الملائكة ؟ وإذا كانت المشقّة عامّة لتكليف الأمة[1] ، ولا طريقَ إلى القطع على زيادتها فى تكاليف بعض ، ونقصانها فى تكاليف آخرين فالواجب التوقُّف والشك .

ونحن الآن نذكر شُبَه مَنْ فَضّل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام ، ونتكلم عليها بعون الله .

فما تعلقّوا به فى ذلك قولُه تعالى حكاية عن إبليس مخاطباً لآدم وحواء عليهما السلام : ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ؛ [الأعراف : ٢٠] ، فرغّبهما فى التناول من الشّجرة ليكونا فى منزلة الملائكة ، حتى تناولا وعَصَيا .

وليس يجوز أن يرغبَ عاقل فى أن يكونَ على منزلةٍ هى دون منزلته ؛ حتى يحملَه ذلك على خلاف الله تعالى ومعصيته ؛ وهذا يقتضى فضلَ الملائكة على الأنبياء عليهم السلام .

وتعلقوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ؛ [النساء : ١٧٢] ، وتأخير ذكر الملائكة فى مثل هذا الخطاب يقتضى تفضيلهم؛ لأنَّ العادة إنما جرتْ بأن يقال : لن يستنكف الوزيرُ أن يفعَل هذا ولا الخليفة ، فيقدِّم الأدون ويؤخر الأعظم ؛ ولم يجز بأن يقال: لن يستنكف الأمير أن يفعل كذا ولا الحارس؛ وهذا يقتضى تفضيلَ الملائكة عليهم السلام .

وتعلقّوا بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ؛ [الإسراء: ٧٠] ؛ قالوا : وليس بعد بنى آدم مخلوق يُستعمل فى الخبر عنه لفظة « مَن » التى لا تستعمل إلا فى العقلاء إلا الجن والملائكة ؛ ولمّا لم يقل: «وفضلناهم» على «مَنْ» بل قال : ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ عُلِم أنه إنّما أخرج الملائكة عمّنْ فَضّل بنى آدم عليه ؛ لأنّه لا خلاف فى أنَّ بنى آدم

(١) حاشية ف (من نسخة) : « الجماعة » .

أفضلُ من الجن ؛ وإذا كان وضعُ الخطاب يقتضى مخلوقا لم يفضَّلْ بنو آدم عليهم ؛ فلا شبهة فى أنهم الملائـكة .

وتعلقوا بقوله تعـــالى : ﴿ وَلَا أَقُولُ لَـكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلَا اقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ ؛ [هود : ٣١] ، فلولا أن حال الملائـكة أفضلُ من حال النبىّ لما قال ذلك .

فيقال لهم فيما تعلقوا به أولا : لِمَ زعمتم أن قوله تعالى : ﴿ إلاَّ أنْ تَـكُونَا مَلَـكَيْنِ ﴾ معناه أن تصيرا وتنقلبا إلى صفة الملائـكة ؛ فإنَّ هذه اللفظة ليست صريحة لمـا ذكرتم ؛ بل أحسن الأحوال أن تـكون محتملة له .

وما أنـكرتم أن يكون المعنى أنّ المنهىَّ عن تناول الشجرة غيرُكما ؛ وأن النهى يختص الملائـكة والخالدين دونـكما ؟ ويجرى ذلك مجرى قول أحدنا لغيره : ما نُهِيتَ عن كذا إلا أن تـكون فلانا ؛ وإنما يعنى أن المنهىَّ هو فلان دونك ؛ ولم يُرِدْ إلا أن تنقلبَ فتصيرَ فلانا . ولما كان غرضُ إبليس إيقاعَ الشبهة لهما ، فمن أوكدِ الشُّبه إيهاماً أنهما لم يُنهيَا وإنَّما المنهىُّ غيرُهما .

ومن وَكيد ما تفسُد به هذه الشبهةُ أن يقال : ما أنـكرتمْ أن يكونَا رغبا فى أن يُنقَلا إلى صفة الملائـكة وخَلقِهم كما رغَّبهما إبليس فى ذلك ! ولا تَدُلُّ هذه الرغبة على أنَّ الملائكةَ أفضلُ منهما ؛ لأنه بالتقلّب إلى خِلْقَةِ غيره لا ينقلب ولا يتغير بانقلاب الصورة والخَلْق ؛ فإنه إنما يُستَحق على الأعمال دون الهيئات .

وغيرُ ممتنع أن يكونَا رَغِبَا فى أن يصيرا على هيئة الملائـكة وصُوَرِها ؛ وليس ذلك برغبة فى الثواب ولا الفضل ؛ فإن الثواب لا يَتْبَع الهيئات والصُّوَر ، ألا ترى أنهما رغِبا فى أن يكونا من الخالدين ؛ وليس الخلود مما يقتضى مَزِيَّةً فى ثواب ولا فضلا فيه ؛ وإنما هو نفعٌ عاجل ؛ فـكذلك لا يمتنع أن تـكون الرغبة منهما فى أن يصيرا ملـكين إنَّما كانت على هذا الوجه .

ويمكن أن يقال للمعتزلة خاصة وكلٍّ مَن أجاز على الأنبياء الصغائر : ما أنكرتم أن يكونا اعتقدا أن المَلَك أفضلُ من النبيّ وغَلِطا فى ذلك ، وكان منهما ذنباً صغيرا ؛ لأنَّ الصغائر عندكم تجوز على الأنبياء ؟ ومِن أين لكم إذا اعتقدا أن الملائكة أفضلُ من الأنبياء ، ورغِبا فى ذلك أنّ الأمر على ما اعتقداه مع تجويزكم عليهم الذنوب ؟

وليس لهم أن يقولوا : إنَّ الصغائر إنما تدخل فى أفعال الجوارح دون القلوب ؛ لأنّ ذلك تحكُّم بغير بُرهان .

وليس يمتنع على أصولهم أنْ تدخل الصغائر فى أفعال القلوب والجوارح معاً ؛ لأنّ حدّ الصغير عندهم ما نَقَص عقابه عن ثواب طاعات فاعله . وليس يمتنِع معنى هذا الحدِّ فى أفعال القلوب كما لا يمتنع فى أفعال الجوارح .

ويقال لهم فيما تعلقوا به ثانيا : ماأ نكرتُمْ أن يكون هذا القولُ إنما توجَّه إلى قوم اعتقدوا أن الملائكةَ أفضلُ من الأنبياء؛ فأخرجَ الكلامَ على حسب اعتقادهم ، وأخّر ذكر الملائكة لذلك؟ ويجرى هذا القولُ مجرى قول مَنْ قال منا لغيره : لن يستنكفَ أَبِى أن يفعل كذا ولا أبوك ؛ وإن كان القائل يَعتقد أن أباه أفضلُ ؛ وإنما أخرج الكلام على حَسَب اعتقاد المخاطَب لا المخاطِب .

ومما يجوز أن يقال أيضا : إنه لاتفاوتَ فى الفضل بين الأنبياء والملائكة ؛ وإن ذهبنا إلى أن الأنبياءَ أفضلُ منهم ؛ ومع التقارب والتدانى يَحسن أن يؤخَّر ذكرُ الأفضل الذى لاتفاوتَ بينه وبين غيره فى الفضل ؛ وإنما مع التفاوتُ والتدانى لايحسن ذاك ، ألا ترى أنه يحسُن أن يقول القائل : ما يَستنكف الأمير فلان من كذا؛ ولا الأمير فلان من كذا؛ وإن كان متساويَيْن ، متناظرينْ أو متقاربين ، ولا يحسن أن يقول : مايستنكف الأمير من كذا ولا الحارس لأجل التفاوت .

وأقوى من هذا أن يقال : إنما أخّر ذكرَ الملائكة عن ذكر المسيح لأنّ جميع الملائكة

أكثرُ ثوابا لامحالة من المسيح منفردا ؛ وهـذا لايقتضى أن كلَّ واحدٍ منهم أفضلُ من المسيح عليه السلام ؛ وإنما الخلاف فى ذلك .

ويقال لهم فيما تعلقوا به ثالثا : ما أنكرتم أن يكونَ المراد بقوله تعالى : ﴿ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ أنَّا فضَّلناهم على مَنْ خلقنا وهم كثير ؛ ولم يُرِد التبعيض ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً ﴾؛ [البقرة:٤١] معناه : لاتشتروا بهـا ثمنا قليلا ، وكلُّ ثمن تأخذونه عنها قليل ؛ ولم يرد التخصيصَ والنع من الثمن القليل خاصة ؛ ومثله قول الشاعر :

مِن أناس لَيْسَ فى أخلاقِهِمْ عاجلُ الفُحْشِ ولا سُوءُ الجزَعْ(١)

وإنما أرادَ نفىَ الفُحْش كلِّه عن أخلاقهم ؛ وإن وصفَه بأنه عاجل ، ونفىَ الجزَع عنها وإن وصفه بالسُّوء ؛ وهذا من غَريب البلاغة ودقيقها؛ ونظائره فى الشعر والكلام الفصيح لاتحصر .

وقد كنا أمْلينا فى تأويل هـذه الآية كلاماً مفردا استقصيناه وشرحنا هـذا الوجه، وأكثرنا من ذكر أمثلته .

ووجه آخر فى تأويل هذه الآية ؛ وهو أنَّه غيرُ ممتنع أن يكون جميعُ الملائكةِ أفضلَ من جميع بنى آدم ؛ وإن كان فى جملة بنى آدم مِن الأنبياء عليهم السلام مَنْ يَفْضُل كلُّ واحد منهم على كلِّ واحد من الملائكة ؛ لأنَّ الخلافَ إنما هو فى فضل كلِّ بنى آدم على كلِّ مَلَك .

وغير ممتنع أن يكون جميعُ الملائكة فُضلاء، يستحقُّ كلُّ واحد منهم الجزيلَ الأكثر من الثواب ؛ فيزيد ثواب جميعهم على ثواب جميع بنى آدم ؛ لأنَّ الأفاضلَ من بنى آدم أقلُّ عددا ؛ وإن كان فى بنى آدم آحادٌ ؛ كلُّ واحد منهم أفضلُ من كلِّ واحد من الملائكة .

ووجهٌ آخر : ومما يمكن أن يقال فى هـذه الآية أيضا أنَّ مفهومَ الآية إذا تُؤمِّلت

(١) البيت لسويد بن أبى كاهل اليشكرى من قصيدة مفضلية (١٩١ـ٢٠٢ طبعة المعارف) .

يقتضى أنه تعالى لم يُرِد الفضلَ الذى هو زيادة الثواب ؛ وإنما أراد النِّعم والمنافع الدنياوية ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾؛ والكرامة إنما هى الترفيهُ ومايجرى مجراه. ثم قال : ﴿ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾؛ ولاشبهةَ فى أنَّ الحمْل لهم فى البر والبحر ورزق الطيبات خارجٌ مما يُستَحَقُّ به الثواب ، ويقتضى التفضيلَ الذى وقع إطلاقه فيه. ويجب أن يكون ماعُطف عليه من التفضيل داخلا فى هذا الباب ، وفى هذا القبيل؛ فإنَّه أشبه مِن أنْ يكون المراد به غيرَ ماسياقُ الآية واردٌ به ، ومبنىٌّ عليه .

وأقل الأحوال أن تكون لفظة ﴿ فَضَّلْنَاهُمْ ﴾ محتمِلةً للأمرين؛ فلايجوزُ الاستدلالُ بها على خلاف مانذهب إليه .

ويقال لهم فيما تعلقوا به رابعا : لا دلالةَ فى هذه الآية على أنَّ حال الملائكة أفضلُ من حال الأنبياء ؛ لأن الغرضَ فى الكلام إنما هو نفىُ مالم يكن عليه؛ لاالتفضيلُ لذلك على ما هو عليه ؛ ألا ترَى أن أحدَنا لو ظُنَّ أنه على صفةِ الملائكة ــ وهو ليس عليها ــ جاز أن ينفيَها عن نفسه بمثل هذا اللفظ ؛ وإن كان على أحوالٍ هى أفضل من تلك الحال وأرفع .

وليس يجب إذا انتفى مما تبرَّأ منه من علم الغيب ، وكون خزائن الله تعالى عنده أن يكونَ فيه فضل أن يكون ذلك معتمَداً فى كل ما يقع النفى له ، والتبرؤ منه .

وإذا لم يكن مَلَكا كما لم يكن عنده خزائن الله تعالى جاز أن ينتفى من الأمرين من غير ملاحظة ؛ لأنَّ حاله دون هاتين الحالتين .

ومما يوضِّح هذا ويُزيل الإشكالَ فيه أنَّه تعالى حكى عنه قوله فى آية أخرى: ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾؛ [هود : ٣١] ، ونحن نعلم أنَّ هذه منزلةٌ غير جليلة ؛ وهو على كلِّ حال أرفع منها وأعلى ؛ فما المنكَر أنْ يكون نفىُ المَلَكيّة عنه فى أنه لا يقتضى أنَّ حالَه دون حال المَلَك بمنزلة نفى هذه المنزلة ! والتعلُّق بهذه الآية ضعيف جدا ؛ وفيما أوردناه كفاية وبالله التوفيق .

تفسير البيت الذى ذكره السيد بن محمد الحِمْيَرِىّ(١) فى قصيدته المذهَّبة ، وهو :

رُدَّت عليه الشمس لما فاته   وقْت الصَّلاة وقد دَنَتْ للمغربِ

قال رضى الله عنه : هذا خبرٌ عن رد الشمس له عليه السلام فى حياة النبىّ صلى الله عليه وآله ؛ لأنه رُوِىَ أن النبىّ صلى الله عليه وآله كان نائما ، ورأسُه فى حِجْرِ أمير المؤمنين عليه السلام ؛ فلما حان وقت صلاة العصر كَرِه أن ينهض لأدائها، فيزعج النبىّ صلى الله عليه وآله من نومه ، فلما مضى وقتُها وانتبه النبى عليه السلام دعا الله تعالى بردّها له فردّها ، فصلّى عليه السلام الصلاةَ فى وقتها .

فإن قيل : هذا يقتضى أن يكون عليه السلام عاصياً بترك الصلاة .

قلنا : عن هذا جوابان :

أحدُها أنه إنما يكون عاصياً إذا ترك الصلاة بغير عذر ، وإزعاجُ النبىّ عليه السلام وترويعُه لا يُنكر أن يكون عذراً فى ترك الصلاة .

---

(١) حاشية ف : « قال الأصمعى : هو السيد بن محمد بن يزيد بن مفرغ الحميرى ، واسمه إسماعيل ، ويكنى أبا هاشم ، والسيد نعت وقع له وهو صبى لذكاء فيه ، فقيل: سيكون سيدنا ، فوقع النعت به، وإنما سمى أبوه مفرغا لأنه كان خاطر أن يشرب سقاء لبن فشربه ، فسمى مفرغ السقاء لتفريغه إياه . وقيل إن مفرغا كان حدادا بالمدينة لانسب له ، وإن امرأة استعملته قفلا، فتشهى عليها لبن كرش، فجاءت به ، فشرب منه، فقالت له: أفرغ الباقى فى إناء، فقال لها : ماعندى إناء ، وجعل يشرب قليلا قليلا ؛ حتى أفناه وفرغ الكرش ؛ فقالت له : إنك لمفرغ ؛ ولا حاجة بك إلى إناء .

وروى عن الحسن بن على المعروف بالكسلان ، قال : قال السيد الحميرى :

ولقد عجبتُ لقائلٍ لِىَ مرةً   علامة فَهِمٍ من العُلَماء

سمّاك أهلُك سيداً لم يكذبُوا   أنت الموفّقُ سيدُ الشعراء

ما أنت حين تخصّ آل محمدٍ   بالمدح منك وشاعرٌ بسواء

مَدْحُ الملوك ذوى الندى لعطائهم   والمدح منك لهم لغير عطاء

فإن قيل: الأعذار فى ترك جميع أفعال الصلاة لا تكون إلا بفقد العقل والتمييز ، كالنوم والإغماء وما شاكلهما ، ولم يكن عليه السلام فى تلك الحال بهذه الصفة ؛ فأما الأعذارُ التى يكون معها العقل والتمييز ثابتين ؛ كالزّمانة ، والرِّباط والقَيْد، والمرض الشديد ، واشتداد القتال؛ فإنما يكون عذرا فى استيفاء أفعال الصلاة ، وليس بعذر فى تركها أصلًا ، فإنّ كلَّ معذور ممن ذكرناه يصلّيها على حسب طاقته؛ ولو بالإيماء .

قلنا : غيرُ منكَر أنْ يكونَ عليه السلام صلَّى مُومئاً وهو جالس؛ لما تعذَّر عليه القيام، إشفاقاً من إزعاجه صلى الله عليه وآله ؛ وعلى هذا تكون فائدة ردّ الشمس ليصلّى مستوفياً لأفعال الصلاة ؛ ولتكون أيضا فضيلةً له ، ودلالة على علوّ شأنه .

والجواب الآخر أن الصَّلاةَ لم تفته بمضىّ جميع وقتها ؛ وإنما فاته ما فيه الفضلُ والمزية من أول وقتها .

ويقوِّى هذا الوجه شيئان : أحدهما الرواية الأخرى ؛ لأن قوله : « حين تفوته » صريح فى أن الفوتَ لم يقع ؛ وإنما قارب وكاد ؛ والأمر الآخر قوله : « وقد دَنَتْ للمغرب » يعنى الشمس ؛ وهذا أيضاً يقتضى أنها لم تغرُب وإنما دنت للغروب .

فإن قيل : إذا كانتْ لم تفتْه؛ فأىّ معنى للدعاء بردّها حتى يصلِّىَ فى الوقت ؛ وهو قد صلّى فيه !

قلنا : الفائدة فى ردّها ليُدرك فضيلَةَ الصلاة فى أول وقتها ؛ ثم ليكونَ ذلك دِلالة على سموّ مجده ، وجَلالة قدره فى خَرْق العادة من أجْله .

فإن قيل: إذا كان النبى صلى الله عليه وآله هو الداعى بردّها له؛ فإن العادة انخرقت للنبىّ عليه السلام لا لغيره .

قلنا : إذا كان النبىّ عليه السلام إنما دعا بردّها لأجل أمير المؤمنين عليه السلام ، وليدرك ما فاته من فضل الصلاة فشرفُ انخراقِ العادة والفضيلة به ينقسم بينهما عليهما السلام .

فإن قيل: كيف يصحُّ ردُّ الشمس، وأصحاب الهيئة والفلك يقولون إن ذلك مُحال لا تنالُه قدرةٌ! وهَبْه كان جائزا على مذاهب أهل الإسلام، أليس لو رُدَّت الشمس من وقت الغروب إلى وقت الزوالِ لكان يجب أن يعلمَ أهلُ الشرق والغرب بذلك؛ لأنها تبطئ في الطلوع على بعض البلاد؛ فيطول ليلهم على وجهٍ خلاف العادة، ويمتد من نهار قوم آخرين مالم يكن ممتدا؟ ولا يجوز أن يخفى على أهل البلاد غروبُها ثم عودُها طالعةً بعد الغروب، وكانت الأخبارُ تنتشر بذلك، ويؤرَّخ هذا الحادث العظيم في التواريخ، ويكون أبهر وأعظم من الطوفان.

قلت: قد دلت الدِّلالة الصحيحة الواضحة على أن الفلَك ومافيه من شمس وقمر ونجوم غير مُتحرك لنفسه ولا طبيعةٍ؛ على مايهذي به القوم؛ وإن الله تعالى هو المحرِّك له، والمتصرف باختياره فيه؛ وقد استقصيْنا[1] الحجج على ذلك في كثير من كتبنا؛ وليس هذا موضع ذكره.

فأما علمُ أهل الشرق والغرب والسهل والجبل بذلك على مامضى في السؤال فغيرُ واجب؛ لأنا لا نحتاج إلى القول بأنها رُدَّت من وقت الغروب إلى وقت الزوال ومايقاربه على مامضى في السؤال؛ بل نقول: إن وقت الفضل في صلاة العصر هو مايلي، بلافصل زمان أداء المصلِّي فرضَ الظهر أربع ركعات عقيب الزوال؛ وكلُّ زمان وإن قصر وقلّ يجاوز هذا الوقت؛ فذلك الفضل فائت فيه. وإذا رُدَّت الشمس له هذا القدر اليسير الذى نَفْرِض أنه مقدار مايؤدَّى فيه ركعة واحدة خَفِيَ على أهل الشرق والغرب ولم يشعروا به؛ بل هو مما يجوز أن يخفى على مَنْ حضر الحال وشاهدها؛ إن لم يُنعِم النظر والتنقير عنها، فبطل السؤالُ على جوابنا الثاني المبني على فوت الفضيلة.

فأما الجواب الآخر المبنيُّ على أنها كانت فاتت بغروبها للعُذر الذى ذكرناه فالسؤال أيضاً باطل عنه؛ لأنه ليس بين مغيب جميع قرص الشمس في الزمان، وبين مغيب بعضها وظهور بعضها إلا زمانٌ يسير قصير؛ يخفى فيه رجوعُ الشمس بعد مغيب جميع قرْصها إلى ظهور بعضها على كل قريب وبعيد. ولا يُفطَن إذا لم يُعْرَف سبب ذلك على وجه خارقٍ للعادة؛ ومَن فطن بأن ضوء الشمس غاب، ثم عاد بعضه جوّز أن يكون ذلك لغيم أو حائلٍ.

(١) من نسخة بحاشيتي ط، ف: « استوفينا ».

تفسير قول السيد فى هذه القصيدة أيضا :

وعليه قد حُبستْ ببابلَ مرّةً ... أخْرى ، وماحُبستْ لخلْقٍ مُعْرِب

هذا البيت يتضمن الإخبار عن ردِّ الشمس ببابلَ على أمير المؤمنين عليه السلام ؛ والرواية بذلك مشهورة؛ وأنّه عليه السلام لما فاته وقت العصر رُدّت له الشمس حتى صلّاها فى وقتها ، وخرق العادة هاهنا لايمكن نسبُه إلى غيره عليه السلام ؛ كما أمكن ذلك فى أيام النبىّ عليه السلام ؛ والصحيح فى فوت الصلاة هاهنا أحدُ الوجهين اللذيْن تقدَّم ذكرهما فى ردِّ الشمس على عهد النبى صلى الله عليه وآله، وهو أن فضيلةَ أول الوقت فاتته لضربٍ من الشُّغْل، فردّت عليه الشمس، ليدرك الفضيلةَ بالصّلاة فى أول الوقت . وقد بيّنا هذا الوجه فى تفسير البيت الذى أوله: « رُدّت عليه الشمس »، وأبطلنا قولَ مَنْ يدّعى أنّ ذلك كان يجب أن يَعُمّ الخلقَ فى الآفاق معرفتُه ؛ حتى يدوِّنوه ويؤرّخوه.

فأما من ادّعى أن الصلاةَ فاتته بأن تقضَّى جميعُ وقتها ؛ إما لتشاغله بتعبئة عسكره ، أو لأن بابلَ أرضُ خَسْفٍ لايجوز الصلاة عليها فقد أبطل ؛ لأنّ الشُّغل بتعبئة العسكر لا يكون عذرًا فى فَوْت صلاة فريضة ؛ وإن أمير المؤمنين عليه السلام أجلُّ قدرا ، وأثْمنُ ديناً من أن يكون ذلك عذراً له فى فوت فريضة .

وأما أرض الخَسْف فإنما تكرَه الصلاة فيها مع الاختيار ؛ فإذا لم يتمكن المصلِّى من الصّلاة فى غيرها، وخافَ فوتَ الوقت وجبَ أن يصلِّى فيها ، وتزولَ الكراهية .

فأما قول الشاعر: « وعليه قد حبست ببابل » فالمراد بـ« حبست » ردّت ؛ وإنما كره أن يعيد لفظة الردّ لأنها قد تقدمت .

فإن قيل: « حبست » بمعنى وقفت، ومعناه يخالف معنى « ردّت » .

قلنا : المعنيان هاهنا واحد ؛ لأنَّ الشمس إذا ردَّت إلى الموضع الذى تجاوزتْه فقد حُبستْ عن السير المعهود وقطع الأماكن المألوفة .

فأما المُعرِب فهو الناطق الفصيح بحجته ؛ يقال : أعرب فلان عن كذا إذا أبان عنه .

مَسْأَلَة

سئل رضى الله عنه فقيل: مايقال لمن يدّعى عند إقامة الدليل على حدَث الجسم والجوهر والعرض شيئا ليس بجسم ولاجوهر ولاعَرض أحْدَث الله تعالى الأشياء منه؟ وماالذى يُفسد دعواه غيرُ المطالبة له بالدلالة على صحتها !

الجواب، أول مانقوله فى هذا الباب إن إحداث شىء من شىء غيره كلامٌ مُحالٌ ظاهر الفساد ؛ لأن المحدَث على الحقيقة هو الموجود بعد أن كان معدوما ؛ وإذا فرضنا أنه أُحْدِث من غيره فقد جعلناه موجودا فى ذلك الغير ؛ فلا يكون محدَثا فى الحقيقة ؛ ولا موجوداً بعد عدمٍ حقيقى ؛ فكأنّا قلنا : إنه محدَث وليس بمحدَث ؛ وهذا متناقض .

على أن الجواهرَ والأجسام إنما حكمنا بحدَثها؛ لأنها لم تخلُ من الأعراض ، ولم تتقدم فى الوجود عليها ، وما لم يتقدم المحدَث فهو محدَث مثله .

وإذا كانت الأعراض التى توصَّلْنا بحدوثها إلى حدوث الأجسام والجواهر محدَثة ؛ لامن شىء ولا عن هَيولى[1] على ماتموَّه هؤلاء المفلسِفون به ؛ فيجب أن تكون الجواهر والأجسام أيضا محدَثةً على هذا الوجه؛ لأنه إذاوجب أن يساوِىَ مالم يتقدم المحدَث فى حدوثه وجَب أيضاأن يساوِيَه فى كيفية حدوثه .

على أنا قد بيّنا أنّ ما أحدِث من غيره ليس بمحدَث فى الحقيقة، والعرَض محدَث على الحقيقة، فيجب فيما لم يتقدمه فى الوجود أن يكون محدَثا على الحقيقة .

ويبيّن ماذكرناه أن من أحدث من طين أو شمع صورةً فهو غير محدِث لها على الحقيقة ، وكيف تكون كذلك وهى موجودة الأجزاء فى الطين والشمع؟ وإنما أحدث الصورَ تصويرَها وتركيبها والمعانِىَ المخصوصة فيها، وهذا يقتضى أنّ الجواهر والأجسام على مذهب أصحاب الهيُولَى غيرُ محدثة على الحقيقة؛ وإنما حدث التصوير والتركيب. وإذا كان الدليل على حدوث

---

(١) حاشية ف : « الهيولى كلمة يونانية يعنون بها مادة لاصورة لها لما يقول أصحاب المعدوم »

جميع الأجسام والجواهر قد دلّ بطل هذا المذهب .

فأما الذى يدلّ على بطلان قول مَنْ أثبت شيئاً موجوداً ليس بجوهرٍ ولا جسم ولا عرض من غير جهة المطالبة له بتصحيح دعواه، وتعجيزه عن ذلك فهو أنه لا حكمَ لذاتٍ موجودة ليست بجسم ولا جوهر ولا عَرَض ٍ يُعقَل؛ ويمكن الإشارة إليه ، ومالا حُكم له من الذوات والصفات لا يجوز إثباته ؛ ولابدَّ من نفيه لأنه يؤدى إلى إثبات مالا فرق بين إثباته ونفيه؛ وتجويزُ ذلك يؤدى إلى الجهالات وإلى إثبات مالا يتناهى من الذوات والصفات .

وقد بيّنا هذه الطريقة فى مواضع من كتبنا؛ لاسيما فى الكتاب الملخّص فى الأصول .

على أنا نقول لمن أثبت الهَيُولَى وادَّعى أنه أصل العالم ، وأن الأجسامَ والجواهر منها أُحْدِثت : لا تخلو هذه الذات[1] التى يسميها بالهَيُولَى من أن تكون موجودة أومعدومة؛ ومانريد بالوجود ما تعنونه أنتم بهذه اللفظة ؛ لأن الموجودَ عندكم يكون بالفعل، ويكون بالقوة ، ويكون المعدوم عندكم موجودا بالقوة أو فى العلم ؛ وإنما نريد بالوجود هذا الذى نعقِله ونعلَمه ضرورةً عندإدراك الذوات المدرَكات ؛ لأن أحدنا إذا أدرك الجسم متحيِّزًا علِمضرورةً وجودَه وثبوته ؛ وكذلك القول فى الألوان وما عداها من المدرَكات .

فإن قال : هى موجودة على تحديدكُم[2] .

قلنا : فيجب أن تكون متحيِّزةً؛ لأنها لو لم تكن بهذه الصفة ما حصل منها التحيُّز ، ألا ترى أنَّ الأعراض لما لم تكن متحيِّزة لم يمكن أن يحدث منها التحيز ! وإذا أقروا فيها التحيز فهى من جنس الجواهر ؛ وبطل القول بأنها ليست بجوهر ووجب لها الحدوث ؛ لأنَّ دليل حدَث الأجسام ينتظمها ، ويشتمل عليها ؛ فبطلَ أيضا القولُ بقدمها ونفى حدوثها .

وإن قالوا: هى معدومة قلنا : إذا كانت معدومة على الحقيقة فما نسومُكم إثباتَ قدمٍ لها ولا

(١) حاشية ف (من نسخة) : « الذوات » . (٢) من نسخة بحاشيتى ط ، ف : « على طريقتكم »

حدوث ؛ لأن هاتين الصفتين إنما تتعاقبان على الوجود ؛ فكأنكم تقولون : إن الله تعالى جعل من هذه الهَيولَى المعدومة جواهرَ وأجساما موجودة . وهذه موافقةٌ فى المعنى لأهل الحق ؛ القائلين بأن الجواهرَ فى العدمِ على صفة تقتضى وجوبَ التحيُّز لها متى وُجِدَتْ ، وأنَّ الله تعالى إذا أوجد هذه الجواهر وجبَ لها فى الوجود التحيُّز ؛ لما هى عليه فى نفوسها من الصفة فى العدم الموجبة لذلك بشرط الوجود ، وأنَّ الفاعل إنما يؤثر فى صفة الوجود ؛ ولا تأثيرَ له فى الصفة التى كانت عليها الجواهر فى العدم .

على أن هذه الطريقة إذا صاروا إليها تقتضى أنَّ لِأجناس الأعراض كلِّها هَيولى ؛ لأنَّ الدليل قد دلّ على أن للسّواد ، ولكل جنس من الأعراض صفةً ثابتةً فى حال العدم تقتضى كونَه على الصفة التى يُدرَك عليها إن كان مما يُدرَك فى حال الوجود ، وأنَّ الفاعل إنما يؤثّر فى إحداثه وإيجاده دونَ الصفة التى كان عليها فى حال العدم .

والقولُ فى الأعراض كالقول فى الجواهر فى هذه القضية ، ويجب أن يكون للجميع هَيولى ؛ لأنَّ الطريقة واحدة ؛ وكلامُ هؤلاء أبداً غير محصَّل ولا مفهوم ، وهم يدّعون التحقيق والتحديد ، وما أبعدهم من ذلك !

مَسْأَلَة
في العصمة

ما حقيقة العصمة التي يُعتقَد وجوبُها للأنبياء والأئمة عليهم السلام؟ وهلْ هي معنًى يَضْطَرُّ إلى الطاعة ويمنعُ من المعصية، أو معنى يضامّ الاختيار؟ فإن كان معنى يَضْطر إلى الطاعة ويمنع من المعصية، فكيف يجوز الحمدُ والذم لفاعلِها! وإن كان معنًى يضامّ الاختيارَ فاذكروه، ودُلُّوا على صحة مطابقته له، ووجوب اختصاص المذكورين به دون سواهم؛ فقد قال بعضُ المعتزلة: إن الله تعالى عصَمَ أنبياءَه بالشهادة لهم بالاستعصام؛ كما ضَلَّلَ قوماً بنفس الشهادة عليهم بالضلال؛ فإن يكنْ ذلك هو المعتمدَ أُنْعِمَ بذكره، ودَلَّ على صحتِه وبطلانِ ما عساه يعلمُه من الطعن عليه؛ وإن يكن باطلا دَلَّ على بُطلانه وصحة الوجه المعتمد فيه دون ماسواه.

الجواب، اعلم أنّ العصمةَ هي اللُّطف الذي يفعله الله تعالى، فيختارُ العبدُ عندَه الامتناعَ من فعل القبيح؛ فيقال على هـذا: إنّ الله تعالى عَصَمه بأن فَعَل له ما اختار عنده العدولَ عن القبيح؛ ويقال: إن العبد معصوم؛ لأنه اختار عند هذا الدّاعي الذي فَعل له الامتناع من القبيح.

وأصلُ العِصْمة في موضوعِ اللُّغة المنع؛ يقال عَصَمْتُ فلانا من السوء إذا منعتَ من حلولَه به؛ غير أنّ المتكلِّمين أجْرَوْا هذه اللفظةَ على مَنِ امتنع باختياره عنـد اللُّطف الذي يفعله الله تعالى به؛ لأنّه إذا فَعَل به ما يعلمُ أنه يمتنِـع عنده مِنْ فعل القبيح فقد منَعَه من القبيح؛ فأجْرَوْا عليه لفظة المانع قهرا وقسرا؛ وأهلُ اللغة يتعارفون ذلك أيضاً ويستعملونه؛ لأنهم يقولون فيمن أشار على غيره برأى فقبله منه مختارا، واحتمى بذلك من ضرر يَلْحقه، وسوء ينالُه: إنه حَماه من ذلك الضرر، ومنَعَه وعصمه منه؛ وإن كان ذلك على سبيل الاختيار.

فإن قيل: أفتقولون فيمن لُطِفَ له بما اختار عنده الامتناع من فعل واحد قبيح: إنه معصوم؟

قلنا : نقول ذلك مُضافا ولا نُطْلقه ؛ فنقول : إنه معصوم من كذا ، ولا نطلقُ فنوهمَ أنه معصومٌ من جميع القبائح ، ونطلِق فى الأنبياء والأئمة عليهم السلام العصمةَ بلا تقييد؛ لأنّهم عندنا لا يفعلون شيئاً من القبائح ، بخلاف ما يقوله المعتزلةُ من نفى الكبائر عنهم دون الصغائر .

فإن قيل : فإذا كان تفسيرُ العصمة ما ذكرتم فألّا عَصَم الله تعالى جميعَ المكلَّفين ، وفعلَ بهم ما يختارون عنده الامتناع من القبائح ؟

قلنا : كلُّ مَنْ علم الله تعالى أنه له لُطْفاً يَختار عنده الامتناع من القبائح ؛ فإنه لابدّ أن يفعلَ به ؛ وإن لم يكن نبيا ولا إماما ؛ لأنّ التكليفَ يقتضى فعلَ اللُّطف على مادلَّ عليه فى مواضع كثيرة ؛ غير أنَّه لا يمتنع أن يكون فى المكلَّفين مَنْ ليس فى المعلوم أنَّ شيئاً متى فُعل اختار عنده الامتناعَ من القبيح ؛ فيكون هذا المكلَّف لا عصمةَ له فى المعلوم ولا لطفَ . وتكليفُ مَنْ لا لطفَ له يَحْسُن ولا يَقْبُح ؛ وإنما القبيح منعُ اللُّطف فيمن له لُطْف ؛ مع ثبوت التكليف .

فأما قولُ بعضِهم : إن العصمةَ هى الشهادة من الله تعالى بالاستعصام فباطلٌ ؛ لأن الشهادة لا تجعل الشىء على ما هو به ؛ وإنما تتعلق به على ما هو عليه ؛ لأنّ الشهادةَ هى الخبر ، والخبرُ عن كون الشىء على صفةٍ لا يؤثر فى كونه عليها ؛ فنحتاج أولا إلى أن يتقدم لنا العلم بأنَّ زيداً معصوم أو معتصِم ؛ ونوضِّح عن معنى ذلك ، ثم تكون الشهادةُ من بعد مطابقة لهذا العلم؛ وهذا بمنزلة مَنْ سُئِل عن حدّ المتحرِّك فقال: هو الشهادة بأنه متحرِّك؛ أو المعلوم أنه على هذه الصفة .

وفى هذا البيان كفاية لمن تأمَّله .

مسألة

ما القول فى الأخبار الواردة فى عدة كتب من الأصول والفروع بمدح أجناسٍ من الطير والبهائم والمأكولات والأرَضين، وذمّ أجناس منها؛ كمدح الحمام والبُلْبُل والقُنْبُر والحَجَل والدُّرّاج وما شاكل ذلك من فصيحات الطير؛ وذمّ الفواخِت والرَّخم؛ وما يُحكى من أنّ كلّ جنس من هذه الأجناس المحمودة ينطق بثناء على الله تعالى وعلى أوليائه، ودعاء لهم، ودعاء على أعدائهم؛ وأن كلّ جنس من هذه الأجناس المذمومة ينطق بضد ذلك من ذم الأولياء عليهم السلام، كذم الجِرِّىّ(١) وما شاكله من السمك، وما نطق به الجِرىّ من أنه مُسِخ بجحده الولاية، وورود الآثار بتحريمه لذلك؛ وكذم الدُّبّ والقِرْد والفيل وسائر المُسوخ المحرّمة؛ وكذم البطّيخة التى كسرها أميرُ المؤمنين عليه السلام فصادفها مُرّة فقال: «من النار إلى النار»، ورمَى بها من يده، ففار من الموضع الذى سقطت فيه دخان؛ وكذم الأرَضين السَّبِخة، والقولِ بأنها جَحدت الولاية أيضا. وقد جاء فى هذا المعنى مايطولُ شرحه؛ وظاهرُه مُنافٍ لما تدل العقول عليه من كون هذه الأجناس مفارِقةً لقبيل ما يجوز تكليفه، ويسوغُ أمره ونهيه.

وفى هذه الأخبار التى أشرْنا إليها أن بعضَ هذه الأجناس يعتقد الحقّ ويدين به، وبعضَها يخالفه؛ وهذا كلّه منافٍ لظاهر ما العقلاء عليه.

ومنها ما يشهدُ أنّ لهذه الأجْناسِ منطقاً مفهوماً، وألفاظاً تُفيد أغراضاً، وأنها بمنزلة الأعجمىّ والعربىّ اللذيْن لا يَفهم أحدهما صاحبَه، وأنّ شاهد ذلك من قول الله سبحانه فيما حكاه عن سليمان عليه السلام: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾؛ [النمل: ١٦]. وكلام النملة أيضاً مما حكاه سبحانه، وكلام الهدهد واحتجاجُه وجوابه وفهمُه؛ فليُنْعِم بذكر ماعنده فى ذلك مُثاباً إن شاء الله.

☆☆☆

(١) الجِرّىّ: ضرب من السمك.

الجوابُ ، وبالله التوفيق :

اعلم أن المعوَّلَ فيما يُعتقَد على ما تدلُّ الأدلةُ عليـه من نفيٍ وإثبات ؛ فإذا دلتِ الأدلةُ على أمرٍ من الأمور وجب أن نبنيَ كلَّ وارد من الأخبار إذا كان ظاهره بخلافه عليه ، ونسوقَه إليه ، ونطابقَ بينه وبينه ، ونجلِّيَ ظاهرا إن كان له ، ونَشْرِطَ إن كان مطلقا ، ونخصَّه إن كان عاما ، ونفصِّـلَه إن كان مجملا ؛ ونوفّقَ بينه وبين الأدلة من كل طريق اقتضى الموافقة وآل إلى المطابقة ؛ وإذا كنا نفعلُ ذلك ولا نحتشمُه فى ظواهر القرآن المقطوع على صحته ، المعلومِ ورودُه ؛ فكيف نتوقَّفُ عن ذلك فى أخبار آحادٍ لا توجب عِلْما ؛ ولا تثمِرُ يقينا ! فمتى وردتْ عليك أخبارٌ فاعرضها على هذه الجملةوابْنِها عليها ؛ وافعلْ فيها ماحكمتْ به الأدلةُ ، وأوْجَبَتْه الحُجَج العقلية ؛ وإن تعذّر فيها بناءٌ وتأويل وتخريج وتنزيل ؛ فليس غيرُ الاطراح لها،وتركُ التعريج عليها؛ ولواقتصرنا علىهذه الجملة لاكتفينا فيمن يتدبّر ويتفكر .

وقد يجوزُ أن يكونَ المراد بذمِّ هذه الأجناس من الطير أنها ناطقةٌ بضِدِّ الثناء على الله وبذم أوليائه، ونقص أصفيائه معناه ذمُّ متخذِيها ومُرْتبطيها ، وأنّ هؤلاء المغرَيْنَ بمحبّة هـذه الأجناس واتخاذِها همُ الذين ينطقون بضدِّ الثناء على الله تعالى ، ويذمُّون أولياءه وأحبّاءه؛ فأضاف النطقَ إلىهذهالأجناس ، وهو لمتخذِيها أومرتبطيها ؛ للتجاوز والتقارب، وعلى سبيل التجوز والاستعارة ؛ كما أضاف الله فى القرآن السؤال إلى القرية ؛ وإنما هو لأهل القرية ، وكما قال تعـــالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا. فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾؛ [الطلاق: ٨، ٩]؛ وفى هذا كلِّه حذوف . وقد أُضيفَ فى الظاهر الفعلُ إلى من هو فى الحقيقة متعلِّق بغيره ؛ والقولُ فى مدح أجناسٍ من الطير ، والوصفُ لهـا بأنها تنطِق بالثناء على الله تعالى والمدحِ لأوليائِهِ يَجْرِى على هذا المنهاج الذى نهجناه .

فإن قيل : كيف يستحق مرتبط هذه الأجناس مَدْحاً بارتباطها ، ومرتبطُ بعضٍ آخر ذمًّا بارتباطه ؛ حتى علّقتم المدح والذم بذلك ؟

قلنا : ماجعلنا لارتباط هذه الأجناس حظا فى استحقاق مرتبطيها مدحاً ولا ذما ؛ وإنما قلنا : إنه غيرُ ممتنع أن تجرى عادةُ المؤمنين الموالين لأولياء الله تعالى والمعادِين لأعدائه بأن يألفوا ارتباط أجناسٍ من الطير . وكذلك تجرى عادة بعض أعداءِ الله تعالى باتخاذ بعض أجناس الطير ؛ فيكون متخِذٌ بعضَها ممدوحاً ؛ لامِنْ أجل اتخاذه ؛ لكن لما هو عليه من الاتخاذ الصحيح ؛ فيضاف المدح إلى هذه الأجناس وهولمرْتبطيها ، والنطقُ بالتسبيح والدعاء الصحيح إليها وهو اتخذها تجوزا واتساعا . وكذلك القول فى الذم المقابل المدح .

فإن قيل : فلمَ نُهِىَ عن اتخاذ بعض هذه الأجناس إذا كان الذم لايتعلق باتخاذها ، وإنما يتعلق ببعض متخذيها لكفرهم وضلالهم ؟

قلنا : يجوزُ أن يكون فى اتخاذ هذه البهائم المنهىّ عن اتخاذها وارتباطها مفسدة وليس يَقْبُحُ خلقُها فى الأصل لهذا الوجه ؛ لأنها خلقت لِيُنْتَفَع بها من سائر وجوه الانتفاع سوى الارتباط والاتخاذ الذى لايمنع تعلق المفسدة به .

ويجوز أيضا أن يكونَ فى اتخاذها هذه الأجناس المنهىّ عنها شؤم وطِيَرة ؛ فللعرب فى ذلك مذهبٌ معروف . ويصح هذا النهى أيضا على مذهب مَنْ نفى الطِّيَرة على التحقيق ؛ لأنَّ الطِّيَرة والتشاؤم ـ وإن كان لاتأثيرَ لها على التحقيق ـ فإن النفوس تستشعرُ ذلك ، ويسبقُ إليها مايجب على كل حال تجنّبُه والتوقى عنه(١) ؛ وعلى هذا يُحمل معنى قوله عليه السلام : « لايُورِدْ ذو عاهة على مُصِحّ » .

فأما تحريم السمك الجِرِّىّ وما أشبهه فغيرُ ممتنع لشىء يتعلق بالمفسدة فى تناوله ؛ كما نقول فى سائر المحرمات . فأما القول بأن الجِرِّىّ نطق بأنه مُسِخ بجحده الولاية فهو مما يُضحك منه ويتعجب(٢) من قائله ، والملتفت إلى مثله .

فأما تحريم الدّب والقرد والفيل فكتحريم كلِّ محرَّم فى الشريعة ، والوجه فى التحريم لا يختلف ؛ والقول بأنها ممسوخة إذا تكلَّفنا حملناه على أنها كانت على خَلَق حميدة(٣) غير

---

(١) من نسخة بحاشيتى ف ، ط : « منه » . (٢) من نسخة بحاشيتى ف ، ط : « يعجب » .
(١) من نسخة بحاشيتى ف، ط : « جميلة » .

منفورعنها ، ثم جعلت على هذه الصُّورة الشَّنِيئة على سبيل التنفير عنها، والزيادة في الصَّدِّ عن الانتفاع بها ؛ لأن بعض الأحياء لايجوز أن يكون غيره على الحقيقة . والفرق بين كل حيين معلوم ضرورة، فكيف يجوز أن يصير حيٌّ حيا آخر غيرَه؟ وإذا أريد بالمسخ هذا فهو باطل، وإن أريد غيره نظرنا فيه .

وأما البِطيخة فقد يجوز أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام لما ذاقها ونَفَر عن طعمها ؛ وزادت كراهيته لها قال: «من النار وإلى النار»، أي هذا من طعام أهل النار، ومايليق بعذاب أهل النار ، كما يقول أحدنا ذلك فيما يستوبئه ويكرهه .

ويجوز أن يكون فورانُ الدّخان عند الإلقاء لها كان على سبيل التصديق، لقوله عليه السلام: «من النار إلى النار» وإظهار معجِز له .

وأما ذمُّ الأرَضين السَّبِخَة ، والقول بأنها جَحَدت الولاية ؛ فمتى لم يكن محمولا معناه على ماقدمناه من جَحْد أهل هذه الأرض وسكانها الولاية لم يكن معقولا؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾ .

وأما إضافة اعتقاد الحق إلى بعض البهائم واعتقاد الباطل والكفر إلى بعض آخر فمما تخالفه العقول والضرورات ؛ لأن هذه البهائم غيرُ عاقلة ولا كاملة ولا مكلَّفة ، فكيف تعتقد حقا أو باطلا ! وإذا ورد أثر في ظاهره شيء من هذه المحاولات ؛ إما اطُّرِح أو تُؤُوِّل على المعنى الصحيح . وقد نهجنا طريقَ التأويل ، وبيّنا كيف التوصل إليه .

فأما حكايته تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ فالمراد به أنه علِّم ما يُفهم به ما ينطق به الطير وتتداعى في أصواتها وأغراضها ومقاصدها؛ بما يقع منها من صياحٍ؛ على سبيل المعجزة لسليمان عليه السلام .

فأما الحكايةُ عن النملة بأنها قَالَتْ : ﴿ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ ﴾ [النمل:١٨] فقد يجوز أن يكون المراد به أنه ظهر منها دلالة القول

على هذا المعنى ؛ وأشْعَرَت باقى النمل ؛ وخوّفتهم من الضرر بالمقام ، وأنّ النجاة فى الهرب إلى مساكنها ؛ فتكونُ إضافةُ القولِ إليها مجازا واستعارة ؛ كما قال الشاعر :

* وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ (١) *

وكما قال الآخر :

* وَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعاً وَطَاعَةً *

ويجوز أيضاً أن يكون وقع من النملة كلامٌ ذو حروف منظومة ـ كما يتكلّم أحدنا ـ يتضمن المعانىَ المذكورة ، ويكون ذلك معجزةً لسليمان عليه السلام ؛ لأنّ الله تعالى سخّر له الطّير ، وأفهمه معانىَ أصواتها على سبيلِ المعجزة له . وليس هذا بمنكر ؛ فإنّ النطق بمثل هذا الكلام المسموع منّا لا يمتنع وقوعُه ممن ليس بمكلَّف ولا كامل العقل ؛ ألا ترى أنّ المجنون ومَنْ لم يبلغ الكمالَ من الصبيان قد يتكلّمون بالكلام المتضمِّنِ للأغراض ؛ وإن كانَ التكليفُ والكمال عنهم زائلين .

والقول فيما حُكِى عن الهدهد يجرى على الوجهيْن اللذيْن ذكرناهما فى النملة ؛ فلا حاجةَ بنا إلى إعادتهما . وأما حكايته أنه قال: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ ؛ [النمل: ٢١]، وكيف يجوز أن يكون ذلك فى الهُدْهد وهو غير مكلَّف ولا يستحق مثلُه العذاب

فالجواب أن العذابَ اسمٌ للضّرر الواقع، وإن لم يكن مستحقا ؛ وليس يجرى مجرى العقاب الذى لا يكون إلّا جزاء على أمرٍ تقدم . وليس بممتنع أن يكون معنى ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ ﴾ أى لأولمنّه ، ويكون الله تعالى قد أباحه الإيلام له ؛ كما أباحه الذبح لضَرْبٍ من المصلحة ، كما سخَّر له الطيرَ يُصرّفها فى منافعه وأغراضه ؛ وكلّ هذا لا ينكَر فى نبىّ مرسل تُخرَق له العادات ؛ وتظهر على يده المعجزات ؛ وإنما يشتبه على قومٍ يظنون أنّ هذه الحكايات تقتضى كونَ النملة والهدهد مكلّفيْن ؛ وقد بيّنا أنّ الأمر بخلاف ذلك .

(١) لعنترة العبسى ، من المعلقة ص ٢٠٤ ـ بشرح التبريزى :

* فازورّ من وقع القَنا بلبانه *

والتحمحم : صوت مقطع ليس بالصهيل.

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ ؛ [الأنعام : ١٥١] .

وكيف[١] يجوزُ أن يكون من جُمْلَةِ ما حرّم علينا ألّا نشرك به شيئاً ؛ والأمرُ بالعكس من ذلك .

الجواب ، قيل له : هذا السؤال[٢] سؤالُ مَنْ لا تأملَ عنده بموضوع الآية وترتيب خطابِها ؛ لأنَّ التحريمَ المذكورَ فيها لا يجوز البتّة على مذهب أهل العربية أن يكون متعلّقاً بقوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ ؛ وإنما هو من صلة الجملة الأولى ؛ ولو تعلّق التحريم المذكور بقوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا ﴾ لم يخلُ أن يكون تعلّقُه به تعلقَ الفاعل أو المفعول ؛ وكأنه قال : حرّم ألا تشركوا ، أو المبتدأ والخبر ؛ فكأنه قال : الذى حرم ربُّكم عليكم ألّا تشركوا .

والتعلُّق الأول يمنع منه أن لفظة ﴿ حَرَّمَ ﴾ من صلة لفظ ﴿ مَا ﴾ التى هى بمعنى الذى؛ فلا تعملُ فيما بعدها ؛ ألا ترى أنَّك إذا قلتَ : حرَّمتُ كذا ، فالتحريم عاملٌ فيما بعده عملَ الفعل فى المفعول ؛ فإذا قلت : الذى حرّمتُ كذا بطلَ هذا المعنى ، ولم يَجُزْ أن يكون التحريم متعلِّقاً بما بعده على معنى الفعلية ؛ بل على سبيل المبتدأ والخبر .

ولا يجوز أن يكون فى الآية التعلُّقُ على هذا الوجه ؛ لأنَّ صدر الكلام يمنع من ذلك ؛ ألا ترى أنه تعالى قال : ﴿ أَتْلُ مَا حَرَّمَ ﴾ فـ﴿ ماحرّم ﴾ منصوب ، لأنه مفعول ﴿ أَتْلُ ﴾ ؛ وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون ﴿ مَا حَرَّمَ ﴾ مبتدأ حتى يكون ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا ﴾ خبراً له ، وإذا بطل التعلّق بين الكلام من كلا الوجهين نظرنا فى قوله تعالى : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا ﴾ ماذا

---

(١) ط : « فكيف » .

(٢) من نسخة بحاشيتى ف ، ط : « سؤال » .

يتعلق به ؟ واحتجنا إلى إضمار متعلّق به ؛ ولم يجز أن نُضمر « حرّم » ألا تشركوا به ؛ لأن ذلك واجب غير محرّم ؛ فيجب أن يضمر « ما أوصاكم » ألا تشركوا به شيئاً، أو «أتل عليكم» ألا تشركوا . والإضمار الأول يَشْهَدُ له آخر الآية فى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، والإضمار الثانى يشهد له أوّلُ الآية من قوله تعالى : ﴿ أَتْلُ ﴾ وما وصانا به فقد أمرنا به وندَبنا إليه.

فإن قيل : فما موضعُ « أنْ » من الإعراب ؟

قلنا : فى ذلك وجوهٌ ثلاثة :

أحدُها الرفع ؛ ويكون التقدير : ذلك ألاَّ تشركوا به شيئًا ؛ فكأنه مبتدأ وخبر .

والثانى النَّصب ؛ إما على أوصى ألا تُشْركوا ، أو على أتلُ ألاَّ تُشركوا .

والثالث ألاّ يكون لها موضع ، ويكون المعنى : لاتشركوا به شيئا .

فأما موضع ﴿ تُشْرِكُوا ﴾ فيمكن فيه وجهان :

النصب بـ«أنْ» ؛ والثانى الجزم بـ«لا» على جهة النهى .

فإن قيل كيف يُعطف النهى فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ على الخبر وهو أوصى ﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا ﴾ .

قلنا : ذلك جائز ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾؛ [الأنعام : ١٤] ؛ ومثله قول الشاعر :

حج وأوصى بسليمى الأعبُدا   ألّا تُرى ولا تكلِّمْ أحدا

* ولا يزل شَرابُها مبرَّدا *

فعطف « لا تُكلِّمْ » ـ وهو نهى ـ على الخبر .

ويمكن فى الآية وجهٌ غير مذكور فيها ، والكلام يحتمله ؛ وهو أن يكونَ الكلامُ قد انقطع عند قوله تعالى : ﴿ أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ والوقف هاهنا ، ثم ابتدأ ﴿ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ .

وإذا كانت على هذا الوجه احتَمَل : ﴿ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا ﴾ وجهين :

أحدهما أن يراد به : يلزمُكم وواجبٌ عليكم ذلك ؛ كما يقال : عليك دِرْهم ، وعليك أنْ تفعَلَ كذا ، ثم قال : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ، أى أوصى بالوالدين إحسانا .

والوجه الآخر أن يريد الإغراء ؛ كما تقول : عليك زيدا ، وعليك كذا إذا أمرت بأخذه والبِدارِ إليه .

ولم يبق بعد هذا إلا سؤال واحد ؛ وهو أن يقال : كيف يجوز أن يقول تعالى : ﴿ أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ ، ثم يأتى بذكر أشياء غير محرمات حتى تقدروا لها الوصيةَ أو الأمر ، وصدرُ الكلام يقتضى أنّ الذى يأتى به من بعد لايكون إلا محرّما ؟ ألا ترى أن القائل إذا قال : تعال أتلُ عليك ماوهبتُ كذا وكذا ، لابد أن يكونَ مايعدِّده ويذكره من الموهوبات ؛ وإلا خرج الكلام من الصحّة .

الجواب عن ذلك أن التحريم لما كان إيجابا وإلزاما أتى مابعده من المذكورات على المعنى دون اللفظ بذكر الأمور الواجبات والمأمورات للاشتراك فى المعنى . وأيضا فإن فى الإيجاب والإلزام تحريما ؛ ألا ترى أنّ الواجب محرم الترك ، وكلّ شىء ذُكر بعد لفظ التحريم فيه على بعض الوجوه تحريم .

فإن قيل : ألاّ حملتم الآية على ماحملها قوم عليه من أن لفظة «لا» زائدة فى قوله: ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا ﴾ ، فكأنه عزوجل حرّم أن تشركوا به ؛ واستشهد على زيادة «لا» بقوله تعالى ﴿ مَامَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ ؛ [الأعراف: ١٢] ، وبقول الشاعر :

فما ألوم البيضَ ألا تَسْخرا … لما رأَين الأشمط القفندرا[1]

وبقول الشاعر :

ألا يالَقَوْمٍ قدأشطّتْ عواذلى … ويزعمن أنْ أوْدى بحقّىَ باطلى
ويلْحيْنَنى فى اللّهو إلا أحبَّهُ … ولِلّهْو داعٍ دائبٌ غيرُ غافل

(١) القفندر : القبيح المنظر ؛ والبيتان فى اللسان (قفندر) .

قلنا : قد أنكر كثير من أهل العربية زيادة « لا » فى مثل هذ الموضع، وضعّفوه وحملوا قوله : ﴿ مَامَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ على أنه خارج على المعنى ؛ والمراد به : ما دعاك إلى ألا تسجد ! ومَنْ أمرك بألاّ تسجد ! لأن من مَنَع من شىء فقد دُعِى إلى ألا يفعل .

ومتى حملنا قوله تعالى : ﴿ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ على أن لفظة « لا » زائدة على تضعيف قوم لذلك فلا بدّ فيما اتصل به هذا الكلام من تقدير فعل آخر ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ ؛ لأن ذلك لا يجوز أن يكون معطوفا على المحرّم ؛ ولا بدّ من إضمار : «ووصينا بالوالدين إحسانا» . وإذا احتجنا إلى هذا الإضمار ولم يغننا عنه ما ارتكبناه من زيادة لفظة «لا» ، فالأولى أن نكتفى بهذا الإضمار فى صدر الكلام على حاله من غير إلغاء شىء منه ، ونقدر ما تقدّم بيانه؛ فكأنه تعالى وصّى ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا . ويشهد لذلك ويقوّيه آخرُ الآية .

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ ؛ [طه: ١١٤]

فقال : ما معنى هـذه الآية ؟ فإن ظاهرَها لا يدلّ على تأويلها .

الجواب ، قلنا: قد ذكر المفسّرون فى هذه الآية وجهيْن نحن نذكرها ، ونوضّح عنهما، ثم نتلوهما بما خَطَر لنا فيهما زائداً على المسطور .

وأحدُ ما قيل فى هذه الآية أن النبى صلى الله عليه وآله كان إذا نزلَ عليه القرآنُ وسمعه من جبرئيل قرأ عليه السلام معه مايوحَى به إليه من القرآن أولًا أولا قبل استتمامه والانتهاء إلى المنزَّل منه فى الحال ، وقَطْعِ الكلام عليها ، وإنما كان يفعل النبىّ عليه السلام ذلك حرْصاً على حفظه وضبطه ، وخوفاً من نسيان بعضه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ليُثبت النبىّ صلى الله عليه وآله فى تلاوة ما يسمعه من القرآن، حتى ينتهىَ إلى غايته لتعلّق بعض الكلام ببعض .

قالوا: ونظيرهذهالآيةقولهتعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾؛ [القيامة : ١٦–١٩] ؛ فضمِن الله تعالى أنه يجمع له عليه السلام حفظَ القرآن، ثم يثبته فى صدره، ليؤدِّيه إلى أمّته ، وأسقط عنه كُلْفَةَ الاستعجال بترداد تلاوته ، والمسابقة إلى تلاوة كل ما يسمعه منه ؛ تخفيفا عنه وترفيهاً له، وأكدوا ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ أى إذا انتهينا إلى غاية ماتريد إنزاله فى تلك الحال، فحينئذ اتبع قراءة ذلك وتلاوته ، فلم يبق منه ما ينتظر فى الحال نزوله .

والوجه الآخر أنهم قالوا : إنما نهىَ النبىّ عليه السلام عن تلاوة القرآن على أمته وأداء مايسمعه منه إليهم ، قبل أن يوحَى إليه عليه السلام ببيانه، والإيضاح عن معناه وتأويله ؛ لأنّ تلاوته على مَنْ لا يفهم معناه ، ولا يعرف مغزاه لا تحْسُن .

قالوا : ومعنى قوله : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ المراد به : قبل أن يقضى إليك وحىُ بيانه، وتفسير معناه؛ لأن لفظة «القضاء» وإن كانت على وجوهٍ معروفة فى اللغة، فهى هاهنا بمعنى الفراغ والانتهاء إلى الغاية ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ ؛ [فصلت : ١٢] .

وكما قال الشاعر :

وَلَمّا قَضَينَا مِن مِنًى كلَّ حاجةٍ ومسّحَ بالأركان مَنْ هو ماسِحُ(١)

أى فرغنا من حاجاتنا ، وانتهينا إلى غاية الوطَر منها .

فأما الجواب الثالث الزائد على ماذُكر فهو أنه غير ممتنع أن يريد: لاتعجلْ بأن تستدعىَ من القرآن ما لم يُوحَ إليك به ؛ فإن الله تعالى إذا علِمَ مصلحةً فى إنزال القرآن عليك أمر بإنزاله ، ولم يدّخره عنك ؛ لأنه لا يدخر عن عباده الاطّلاع لهم على مصالحهم .

فإن قيل على هذا الوجه : إنه يخالف الظاهر ؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالقُرْآنِ﴾ ولم يقل بطلبه واستدعائه ، والظاهرُ يقتضى أن الاستعجال بنفس القرآن لا بغيره .

قلنا : الأمر على ماظنه السائل . وعلى الوجوه الثلاثة فى تأويل الآية لابدَّ من تقدير ماليس فى الظاهر ؛ لأن على الوجهيْن الأوليْن المذكوريْن لابدَّ من أن يقدَّر : لاتعجَلْ بتلاوة القرآن ؛ إما على سبيل الدرس والتحفّظ على ماذكر فى الوجه الأول ، وأن يتلوَه على أمّته قبل إنزال البيان . وأىُّ فَرْقٍ فى مخالفة الظّاهر؛ بين أن يقدَّر: ولا تعجل بتلاوة القرآن، أو يقدر : لا تعجل بطلب القرآن واستدعاء نزوله؟

فإن قيل: هذا يدلُّ على وقوع معصية من النبى عليه السلام فى استدعائه ما لم يكنْ له أن يَسْتدعيَه من القرآن ؛ لأنّ النهى لا يكون إلا عن قبيح .

قلنا : النهى لا يكون إلا عن قبيح لا محالة ؛ لكن النهى لا يدلُّ

---

(١) البيت ينسب لكثير ؛ وانظر الجزء الأول ص . . .

على وقوع الفعل المنهيّ عنه ؛ لأنه قد يُنْهى عن الفعل من لم يواقعْه قطّ ولا يواقِعُه، ألا ترى أن النبيَّ عليه السلام نُهى عن الشِّرْك وسائر القبائح ؛ كما نُهينا ، ولم يدلّ ذلك على وقوع شيء مما نُهى عنه منه !

وهذا أيضا يمكن أن يكون جواباً لمن اعتمد على الوجهين الأولين إذا قيل له : أفوقع منه عليه السلام تلاوةُ القرآن على أمته قبل نزول بيانه ، أو عَجِل بتكريره على سبيل الدرس كما نُهى عنه ؟

ويمكن مَن ِ اعتمد على الوجه الأول فى تأويل الآيه أن يقول فى قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ﴾ وإن كان ظاهرُه النهيَ ليس بنهىٍ على الحقيقة ؛ وقد يَرِد ماهو بلفظ النهى وهو غير نهىٍ على التحقيق ، كما يَرِد ماهو بصفة الأمر وليس بأمر ؛ وإنما ذلك تخفيفٌ عنه عليه السلام وترفيهٌ ، ورفع كُلفة المشقة ، فقيل له عليه السلام : لا تتكلّف المسابقة إلى تكرير ما يُنْزَل عليك خوفاً من أن تنساه ؛ فإن الله تعالى يكفيك هذه المئونة ، ويعينك عن حفظه وضبطه ؛ كما قال تعالى فى الآية الأخرى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾؛ أى جمعه فى حفظك وتأمورك[1] .

وبَعْدُ ؛ فإن الأوْلى التوقفُ عن معرفة غاية الكلام التى ينتهى إليها ، ويُقطع عليها . والتلاوةُ لما يردمنه الأوّلَ فالأولَ ؛ تلاوةٌ لما لا يُعْرَف معناه ؛ لتعلق الكلام بعضِه ببعض؛ فنُدب عليه السلام إلى الأوْلى من التوقف على غايته[2] .

وأما الوجه الثانى الذى اعْتُمِد فيه على أنّ النهيَ إنما هو عن تلاوتِه على الأمة قبل نزولِ بيانه ؛ فإنْ كان المعتمد على ذلك يقول : ليس يمتنع أن تكونَ المصلحةُ فى التوقُّف عن الأداء قبيل البيان ؛ فنُهِيَ عليه السلام عن ذلك ؛ لأنّ المصلحةَ فى خلافه ؛ فهذا جائز لا مطعنَ فيه ؛ وإن كان القصدُ إلى أنّ الخطاب لا يحسُن إلا مع البيان ؛ على مذهب مَنْ يرَى أنّ البيانَ لا يتأخر عن الخطاب ؛ فذلك فاسدٌ ، لأنّ الصحيحَ أن البيان يجوز أن يتأخر عن وقتِ الخطاب ؛ وإنما لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة .

(١) التأمور : القلب . (٢) حاشية ف : « التوقيف على علته » .

وقد بينا الـكلامَ فى هذه المسألة ، والأدِلّةَ على صحة ماذهبنا إليه منها فى مواضع من كتبنا، وتكلمنا على فَساد قولِ مَنْ أوجَب اقتران البيانِ بالخطاب .

على أنَّ مَنِ اعتمد على هذه الطريقة فى هذا الموضع فقد غَلِط ؛ لأنَّ الآية تدلُّ على أنَّ الله تعالى قد خاطب نبيَّه عليه السلام بما يحتاج إلى بيان من غير انضمام البيان إليه . وإذا جاز ذلك فى خطابه تعالى لنبيه عليـه السلام جَازَ مثلُه فى خطاب النبىّ عليه السلام لأمته ؛ لأنَّ مَنْ أبطلَ تأخيرَ البيان عن زمان الخطاب يُوجب ذلك فى كل خطاب.

وليس يمكن أن يُدَّعى أنه تعالى قد بيَّن له ؛ لأن تأويلَهم يمنع من ذلك ؛ لأنه قيل له على هذا الوجه : لا تَعْجَل بتلاوة القرآن على أمَّتِك قبل أن يُقْضى إليك وحيُه ؛ يعنى قبل أن ينزل إليك بيانُه ؛ فالبيانُ متأخِّر عنه على ذلك الوجه ؛ وذلك قبيح على مذهب مَنْ منع مِنْ تأخير البيان من وقت الخطاب .

والتأويلُ الذى ذكرناه زائداً على الوجْهين المذكورَيْن يمكنُ أن تفسَّر به الآية الأخرى التى هى قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ ﴾ ، بطلب ما لم ينزل عليك من القرآن ؛ فإنَّ علينا إنزالَ ماتقتضى المصلحة إنزالُه عليك وجمعُه لك ؛ وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِـعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ، يدلُّ ظاهرُه على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب ؛ لأنَّه تعالى أمره : إذا قرأ عليه المَلَك وأوْحَى به إليه أن يقرأه ، ثم صرّح بأن البيانَ يأتى بعدَه ؛ فإنَّ «ثُمَّ» لا يكون إلا للتراخى ، وما هو مقترنٌ بالشىء لاتستعمل فيه لفظة «ثُمَّ» ألا ترى أنه لا يقال : أتانى زيد ثم عمرو ، وإنما حضرا فى وقت واحد !

مَسْـأَلَة

إن سأل سائل عن قوله تعـالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْـكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ ؟ [فاطر : ٣٢] .

فقال : أىّ معنى لقوله تعالى : ﴿أَوْرَثْنَا﴾ ؟ وما الـكتابُ المشار إليه ؟ وإذا كان الاصطفاء هو الاختيار والاجتباء ــ وذلك لا يليق إلا بمن هو معصوم مأمون منه القبيح كالأنبياء والأئمة عليهم السلام ــ فـكيف قال بعد ذلك : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ ، وهنا وصف لا يليق بمن ذكرناه ؟

الجواب ، إن الذى يجب اعتمادُه فى تأويل هـذه الآية أن قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ﴾ ترجع الـكنايةُ فيه إلى العباد ؛ لا إلى الذين اصْطُفُوا ؛ وهو أقرب إليه فى الذكر ، فـكأنه تعالى قال : ومِنْ عبادنا ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات .

فإن قيـل : فأىّ فائدةٍ فى وصف العِباد بهذه القسمة ؟ وكيف عَدَل عن وصف الذين اصطفاهم ، وورّثهم الـكتاب ؟

قلنا : الوجهُ فى ذلك ظاهرٌ ؛ لأنّه تعالى لـمـا علّق توريثَ الـكتاب بمن اصطفاهم من عباده أراد أن يبيِّن وجهَ الاختصاص ؛ وإنما علّق وِراثةَ الـكتاب ببعض العباد دون بعض ؛ لأنّ فى العباد مَنْ هو ظالم لنفسه ، ومَنْ هو مقتصد ، ومَن هو سابق بالخيرات ؛ فوجْه المطابقة بين الـكلام واضح .

ونحن الآن مُتبِعُون ماقيل فى تأويل هذه الآية ؛ وموضِّحون عمّا فيه من صحة أو اختلال .

ذكر أبو علىّ الجبّائى ومَنْ تابَعه أنَّ المرادَ بالذين اصْطُفُوا الأنبياءُ عليهم السلام ، والظالمُ لنفسه مَن ارتـكب الصغيرة منهم ؛ وإنما وُصِف بذلك من حيثُ فوّت نفسَه الثواب الذى زال عنه بفعل الصغيرة ، ويؤدِّى سائرَ الواجبات . والسابِقُ إلى الخير هو الذى استكْثَر من فعل النوافل ؛ وهذا التأويل يَفْسُد من جهة أنّ الدليلَ قد دَلَّ على أنَّ الأنبياء

عليهم السلام لا يقع منهم شيء من المعاصى والقبائح . وقد أشبعنا الكلام فى ذلك فى كتابنا المعروف «بتنزيه الأنبياء والأئمة» عليهم السلام .

ولو عدلْنا عن ذلك لم يجز ماقاله ؛ لأنّ قولنا : فلان ظالم لنفسه من أوصاف الذّم ، والذمُّ لايستحقُّه فاعل الصغيرة ؛ فكيف تُجرَى عليه أوصافُ الذم ؟ ولا شبهة فى أن قولنا : فلان ظالم لنفسه من أوصاف الذم ؛ لأنهم يقولون فى كلّ مَنْ فعل قبيحا : إنه قد ظَلَم ، من حيثُ فعل مايستحِقّ به العقاب ؛ وكأنه أدخل على نفسه ضرراً ما كان يستحقّه ، فأشبه بذلك الظالم لغيره .

ولا يجوز أن يوصَف فاعلُ الصغيرة بأنّه ظالمٌ لنفسه من حيث فوّت نفسه الثواب ؛ لأنَّه إن عَنى بذلك الثوابَ الذى يبطلُ بعقاب الصغيرة ، فعند أبى علىّ أن الصغيرةَ ينحبِط عِقابها بالثواب الكثير ؛ من غير أن ينقصَ من الثواب شىء ؛ لأنه لايذهب إلى الموازنة التىيذهب إليها أبو هاشم ، فما فوّتت الصغيرةُ عنده ثوابا كان مستحِقًّا له ، وإن عنى بتفويت الثواب أنَّه لو لم يفعل هذه المعصية لكان يستحقُّ على الامتناع منها ثوابا فإنه يفعلها . فهذا يُوجِب أن يكون الأنبياء عليهم السلام فى كل حالٍ مفوِّتين لأنفسهم الثوابَ بفعل المباحات؛ لأنهم لو فعلوا الطاعات بدلاً منها لاستحقّوا الثواب ، ولوجب أن يوصفوا على الفائتة بأنهم ظالمون لأنفسهم .

على أنَّ وضعَ الكلام وترتيبه يقتضيان أنَّ الظالم لنفسه فى الآية فى موضع ذمّ ، لأنه تعالى جعله بإزاء المقتصد ، وليس بإزاء المقتصد إلا المسرفُ المذمومُ .

فإن قيل : فقد قلتم فى تأويل حكايته تعالى عن آدم وحوّاء عليهما السلام قولَهما ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾، [الأعراف: ٢٣]: إنما أراد أنّا نقصْناها الثواب الذى كنا نستحقّه لو فعلْنا ماندُبنا إليه من الامتناع من تناول الشجرة .

قلنا : إنما قلنا ذلك هناك ، وعدَلْنا عن الظاهر فى هذه اللفظة لقيام الدليل أن النبىّ عليه السلام لايواقعُ المحظور ، كبيرا ولا صغيرا من الذنوب . وليس فى الآية التى نحن فى الكلام عليها ضرورةٌ تُوجب العدولَ عن الظاهر ، بل قد بينا أن ترتيب الكلام ومقابلته

يقتضيان أن لفظة ﴿ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ فى الآية تقتضى الذم ، لأنها بإزاء المقتصد .

على أنه غير ممتنع أن تكون لفظة « ظلم » بخلاف لفظة ظالم فى عرف الاستعمال ، كما أن عند مخالفنا أن لفظة « آمن » بخلاف لفظة « مؤمن »، لأنهم يصفُون صاحبَ الكبيرة بأنه آمَن ولا يسمُّونه بأنه مؤمن ، ويزعمون أن الانتقال عن الاشتقاق إلى إفادة استحقاق الثواب إنما هو فى مؤمن دون آمن ، فلا ينبغى أن ينكروا مثل ذلك فى ظلم وظالم .

وتأول قومٌ هذه الآية على أنّ المراد مَن اختاره الله تعالى للتكليف، وتوريث الكتاب من العقلاء البالغين ، ثم قسّمهم الأقسام التى تليق بهم ، من غير أن يكون المراد بالآية الأنبياء عليهم السلام .

وهذا الجواب يفسدُ ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ، ومن اصطفاه الله واختاره واجتباه بالإطلاق لايكون إلا ممدوحا معظما ، فكيف يكون فيهم مَن يستحق الذم والعقاب ؟ ومَنْ يختار الله تكليفَه شيئا مخصوصا لايقال بالإطلاق إن الله تعالى اصطفاه . والمعتزلة أبدا تنكر على المرجئة تأويلَهم قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾؛[الأنبياء : ٢٨]، على أن المراد مَن ارتضى الشفاعة فيه، ويقولون : مَن ارتضى شيئا يتعلقُ به لايوصَفُ بأنه مرتَضًى على الإطلاق ، فكيف يثبتونه هاهنا .

ووجدت أباقاسم البلخىّ يقول فى كتابه تفسير القرآن : "إنه تعالى أراد العقلاءَ البالغين ويجوز أن يكونوا عند الاصطفاء أخيارا أتقياء ثم ظلم بعضهم نفسه ؛ فيكون كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾؛ [المائدة : ٥٤]؛ وهو فى وقت الارتداد غير مؤمن . كذلك يكون فى حال ظلمه نفسه ليس من المصطفين" . قال : "ويجوز أيضا أن يكون فيهم مَن ظلم نفسه ثم تاب وأصلح ؛ ويكون قوله : ﴿ مِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾، أى منهم مَنْ كان قد ظلَم نفسه ؛ ليس أنه فى هذا الوقت ظالمٌ لها" .

هذه ألفاظه بعينها حكيناها عنه ؛ وهذا فاسد ؛ لأن مَنْ كان منهم ظالما فاعلا للقبيح

لا يوصَفون على الإطلاق بأن الله تعالى اصطفاهم . فهذا الوصف يقتضى أن تكون الجماعة أخيارا . وقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ بخلاف هـذا ؛ لأنَّ وصفهم بأنهم آمنوا فى الماضى لا يمنع من الردّة فى المستقبل ؛ وقوله تعـالى : ﴿ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ﴾ يمنع أن يكون فيهم مَنْ ليست هذه صفته .

وأما حملُ ذلك على من ظلم ثم تاب فهو غير صحيح ؛ لأنَّ مَنْ تاب لا يوصف بعد التوبة بأنه ظالمٌ لنفسه ؛ لأن التوبة تمنع من إجراء ألفاظ الذم .

ووجدت بعضهم يتأوّل هـذه الآية على أن المراد بـ ﴿ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ مَنْ جهد نفسه فى العبادة وحمل عليها ؛ وقال: هذا يليق بأوصاف الأنبياء عليهم السلام ، ولا تمنع النبوّة منه.

وهذا أيضاً غير صحيح ؛ لأنا قد بينا أن لفظة ﴿ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ يذمّ بها فى التعارف ، فـكيف تجرى على المدح ! ومَن هـذا الذى يسمى مَنْ جَهَد نفسه فى العبادة بأنَّه ظالم نفسه بالإطلاق !

على أن السابق إلى الخيرات هو المجتهد فى العبادة ، الحامل على نفسه فيهـا ، فأىّ معنى للتكرار ؟ وهذا تأويل يفسد القسمة ، وهذه الجملة توضِّح أن التأويل الصحيح ما قدمناه .

فأما قوله تعالى ﴿ الْكِتَابَ ﴾ فالظاهر أنه كناية عن القرآن المنزّل على رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فقد صارت هذه اللفظة بالإطلاق عبارة عنه ؛ ولهذا إذا أطلق القائل فقال : هذا ينطق به الـكتاب ، ومحرَّم فى الـكتاب ، ووَرَد فى الـكتاب لم يفهم منه إلا ما ذكرناه .

ومعنى ﴿ أَوْرَثْنَا ﴾ يعنى علمَه وفوائده وأحكامَه ؛ وليس يليق ذلك بالأنبياء المتقدمين ؛ فإنه لا حظَّ لهم فى علم هذا الـكتاب ؛ وإنما يختص بهذه الفائدة نبيُّنا عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام ؛ لأنهم المتعبِّدون بحفظه وبيانه ، والعمل بأحكامه.

وذلك كلّه واضح بحمد الله ومنّه .

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ [الزخرف : ٨٦] .

الجواب، قلنا : أما ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ فالمراد به ما كان يعتقده المشركون ، ويدعونه إلهاً من دون الله . والهاء فى ﴿ دُونِهِ ﴾ راجعة إلى اسم الله تعالى . وتحقيقُ الكلام: ولا يملكُ الذين يدعون إلهاً وأرباباً من دون الله تعالى الشفاعةَ . ولما كثُر استعمالُ هذه اللفظة فيمَنْ يُعبَد من دون الله ، ويُدعى إلهاً رازقاً استحسَنوا الحذفَ لظهور الأمر فى المراد ؛ ولهذا حمل محققو المفسّرين قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ ؛ [الفرقان: ٧٧] الآلهة من دونه ، وحذفُ مايتعلّق بهذا الدعاء فى هذه الآية أشكلُ من حذفه فى قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ ؛ لأنّ قوله جل وعز : ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ قد نبّه وأيقظ على أنّ المراد : مَن كان يُدْعى إلهاً من دونه .

والآية الأخرى لا دليل فيها مِنْ لفظها على مايتعلق به قوله : ﴿ دُعَاؤُكُمْ ﴾ .

ومعنى أنهم لا يملكون الشفاعة ، أى ليس لهم أن يفعلوها ويتصرّفوا فيها ؛ لأن معنى المالك ليس هو إلا من كان قادرا على التصرّف فيه؛ وليس لأحد أن يمنعه من ذلك؛ والشفاعة قد بيّنا فى غير موضع من كتبنا أنها لا تُستعمل على طريقة الحقيقة إلا فى طلب إسقاط المضارّ؛ وإنما استعملت فى إيصال المنافع تجوُّزاً فيه واستعارة .

وقيل فى معنى الآية وجهان : أحدها أنّ المعبودين من عيسى ومن مريم والملائكة وعُزَيرٍ عليهم السلام ؛ لا يَملك الشفاعةَ عند الله تعالى [أحد منهم] فى أحد إلا فيمن شهد بالحق ، وأقرّ التوحيد ، وبجميع مايجب عليه الإقرار به.

والوجه الآخر أنّ الذين يدعون من دون الله من البشر والأجسام وجميع المعبودات لا يملك الشفاعة عند الله إلا من شهد بالحق منهم يعنى عيسى وعُزَيراً والملائكة عليهم السلام؛ لا يملكون

الشفاعة عند الله تعالى إلا إذا كانوا على الحق شاهدين به ؛ معترفين بجميعه ؛ فإنهم يملكون الشفاعة عند الله ؛ وإن كان لا يملكها ما عداهم من المعبودات .

والفرق بين الوجهين أنّ الوجه الأول يرجح الاستثناء فيه إلا من تتناوله الشفاعة ؛ وفى الوجه الثانى يرجح الاستثناء إلى الشافع دون المشفوع فيه .

فإن قيل : أى الوجهين أرجح ؟

قلنا : الثانى ؛ وإنما رجحناه لأن المقصد بالكلام أنّ الذين يدعونهم من دون الله تعالى لا يملكون لهم نفعاً ؛ كما قال تعالى فى مواضع إنهم لا ينفعونكم ، ولا يضرونكم ، ولا يرزقونكم ؛ ووضعُ الكلام على نفى منفعة تصل إليهم من جهتهم ؛ ولا غرض فى عموم من يشفعون فيه أو خصوصه .

ولما كان فيمن عبدوه من نبىّ أوملَك مَن يجوز أن يشفع فيمن تحسن الشفاعةُ له، وجب استثناؤه حتى لا يتوهَّم أنَّ حُكْمَ جميع مَنْ عدّده واحد ؛ فى أنه لاتصح منه الشفاعة ؛ وأنّ من كان تصح منه الشفاعة إنما يشفع فيمن تحسن الشفاعة له ممن لم يكن كافرا ولا جاحدا .

ويترجَّح هذا الوجهُ من جهة أخرى ؛ وهى أنا لو جعلنا الاستثناء يرجع إلى من يُشفع فيه لكان الكلام يقتضى أنّ جميع من يدْعون من دون الله يشفَع لكل من شهد بالحق ، والأمر بخلاف ذلك ؛ لأنه ليس كل مَنْ عبدوه من دون الله تعالى تصح منه الشفاعة ؛ لأنهم عبدوا الأصنام، وبعضٌ عَبَدَ الكواكب والشفاعة لاتصح منها ؛ فلابدّ من أن تخصص الكلام ونقدره هكذا : لايملك بعض الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا فيمن شهد بالحق ؛ فعوْد الاستثناء إلى الشافعين أولى ؛ حتى يتخصص .

وأيضا فلو عاد الاستثناء إلى المشفوع فيه لَوجب أنْ يكون على غيرهذه الصيغة فيقول : « إلا فيمن شهد بالحق » وإذا قال : « إلا من شهد بالحق » كانذلك بأن يرجع إلى الشافع أوْلَى ؛ لأنه أليق باللفظ ، لأنا إذا أردنا أن نستثنَى من جماعة لا يشفعون قلنا : هؤلاء

لا يشفعون إلا مَن كان بصفة كذا ؛ وإذا كان الاستثناء ممن يُشفع فيه قلنا : لا يشفعون إلا فيمن صفته كذا .

وأيضا فعلى الوجه الأول وقد تقدم عموم ظاهرٍ فى اللفظة يجوز أن يستثنى منه وهو قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ وما جرى ذكر المشفوع فيه عموما يستثنى بعض .

فإن قيل : الشفاعة لفظ جنس، يقتضى العموم .

قلنا : قد بينا فى غير موضع أن ألفاظ الجنس لا تقتضى الاستغراق ، وضربنا المثل بمن يقول : هذه أيام أكل اللحم، وزمان لُبس الجباب، فإنه يقتضى الجنس من غير استغراق . وإن تُوهِّم خصوص أو عموم فخطؤها لا يعقل .

فإن قيل : أىّ فائدة فى قوله تعالى ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وبأى شىء يتعلق علمهم .

قلنا : ليس كلُّ مَنْ شهد بالحق يكون عالما ؛ لأن المقلّد والمبخِّت ربما شهد بالحق على وجه لاينفع؛ وإنّما لاينفع ذلك مع العلم فكأنه تعالى قال ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ صحّة ماشهدوا به .

فإن قيل : إذا كان المستثنى هم الأنبياء والملائكة فهؤلاء لايشهدون بالحق إلا مع العلم .

قلنا : ذلك صحيح إلا أنَّ الاستثناء لما تناول فى اللفظة مَنْ كان يصفه ، وكان مجرد هذه اللفظة لا ينفع فى المعنى المقصودِ إلا مشروطاً بالعلم وجب اشتراط العلم ؛ ليُعلم افتقاد تلك الصفة فيمن كانت إليه ؛ وهذا واضح .

فإن قيل : هذان الوجهان اللّذان ذكرتموهما ، ورجّحتم أحدَهما يقتضيان مشاركة نبينا عليه السلام فى الشفاعةِ للمذنبين ؛ ومن مذهب المسلمين أنّه ينفرد بالشفاعة .

قلنا : ليس فيما ذكر تضعيف لهذين الجوابين من وجوه :

أحدها أنَّ انفراده عليه السلام بالشفاعة للمذنبين حتى لا يشاركه أحدٌ فيها ليس بمعلوم ولا مقطوع عليه ؛ وإنما يرجع فيه إلى أقوال قوم غيرِ محصّلين ؛ ألا ترى أنَّ عند المسلمين كلِّهم إلا عند المعتزلة ومَن وافقهم أن للمؤمنين شفاعةَ بعضهم فى بعض ! فكيف يُدَّعى الاختصاصُ فى هذه الرتبة !

وثانيها أن المزيةَ المدّعاة لنبينا عليه السلام فى الشفاعة إنما هى على الأنبياء المتقدمين دون الملائكة ؛ لأنَّه لا خلافَ فى أنَّ للملائكة شفاعةً ، وقد نطق القرآن بذلك فقال : ﴿ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ ؛ [الأنبياء : ٢٨] . وإذا كان الأمرُ على ما ذكرناه فالاستثناء يعود إلى الملائكة عليهم السلام ؛ لأنهم من جملة المعبودين ، فلا يَمنع نفىُ الشفاعة عن الكل أن يُسْتثنوْا لأن لهم شفاعة .

وثالثها أنَّ الشفاعة قد تكون إلى الله تعالى وإلى غيره ؛ فإن ثبت ما ادُّعِى مِنْ تفرُّد نبينا عليه السلام بالشفاعة عند الله تعالى فى مُذْنبى أمته ، جاز أن تثبُت الشفاعة لغيره عند غير الله تعالى ؛ فكأنه قال : أنتم تعبدون مَن لا يشفع فيكم فى الدنيا ولا ينصركم ؛ واسْتُثْنِىَ مَنْ يجوز عليه أن يشفع فى الدنيا .

ورابعها أن يكون المراد بالشفاعة هاهنا النُّصرة والمعونةَ والمنفعَةَ ؛ لأن الشفاعة فيمن تتناوله نفعٌ يوَصل إليه ؛ وإرادة الشفاعة فى الأمة معنى الشفاعة ، وهو المنفعة والنُّصرة ؛ وتقدير الكلام : إنكم تعبدون مَنْ لا ينفعكم ولا يضرّكم ولا يُعينكم ؛ ولما كان فى جملة هؤلاء المعبودين مَنْ يصح أن يضرَّ وينفع اسْتُثْنِىَ ؛ ليبين أنَّ حكمهم مفارق لحكم غيرهم ؛ وهذا بيّن لمن تأمله .

مَسْأَلَة

إن اعترض معترض على مانقوله من أنَّ الاستثناء إنما يُخرِج من الجمل ماصحّ دخولهُ فيها؛ وليس بواجب أن يُخْرِجَ منها ماوجب دخوله ؛ بأن يقول : هذا يقتضى حُسْنَ أن يقول القائل : جاءنى رجل إلا زيدا ؛ لأنَّ لفظة «رجل» تصلح أن تقع على زيد وعمرو .

يقال له : من حق الاستثناء فى اللغة العربية أن يَدْخُلَ على الجمل من الكلام فيُخرِج منها مايصلُح دخوله على مذهب مخالفنا. ولا يصحُّ دخول الاستثناء على ألفاظ الوحدة. ورجل لفظُ واحد، وإن وقع فى المعنى على الطويل والقصير، وزيد وعمرو. والاستثناءُ إنما يُخْرِج من الجمل مايتناولها لفظها دون معناها؛ فلهذا لم يستحسنوا: جاءنى رجل إلازيدا؛ وقد يستحسنون فى هذا الموضع مايجرى مجرى الاستثناء بغير لفظة «إلاَّ»؛ فيقولون : جاءنى رجل ليس زيدا وليس بزيد ، فيخرِجون من الكلام ماصحّ تناوله له ـ وإن لم يسموه استثناء ـ ولااستحسنوا لفظه «إلا» إلاَّ خاصة للاستثناء. ولولا صحةُ الأَصل الذى ذكرناه لما استحسنوا أن يقولوا: جاءنى رجال إلا زيدا؛ لأنهم أخرَجوا بالاستثناء ماتصلح لفظة «رجال» له دون ماتتناوله وجوبا.

فإن قيل : ألاَّ كان قـوله : « جاءنى رجال » للجنس دون ما يدْعى من تناوله للثلاثة فصاعدا ، فلهذا حسُن الاستثناء منه بإلاَّ . ولفظة « رجل » فى قولهم: جاءنى رجل للجنس!

قلنا : لوكان لفظة « رجال » أريد به جنس الرجال على العموم حَسُن استثناء النكرة منه، من غير وصفٍ لها ، ولا تقريبٍ من المعرفة؛ حتى تقول: جاءنى رجال إلا رجلا؛ لأنه إذا أريد الجنس حسُن ذلك لا محالة، كحسنه لو قال جاءنى الرجال (بالألف واللام) إلا رجلا؛ وأجمعوا على أنَّ ذلك لا يجوز؛ لأنه غير مفيد. ولوأريد بلفظة «رجال» هاهنا الجنس لكان استثناء الرجل الواحد منها من غير وصف له مفيدا . فأما لفظة «رجل» فى الإثبات كقولهم: جاءنى رجل ، فإنه لا يجوز أن يكون عبارة عن الجنس فى شىء من كلامهم . ولو أرادوا به الجنس لَحَسُنَ الاستثناء ؛ كما يحسن من ألفاظ الجنس ؛ وإنما يراد فى بعض المواضع بلفظة « رجل » الجنسُ إذا كانت فى النفى ، مثل قولهم : ما جاءنى رجل ، وما ضربت رجلا ؛ وها هنا يجوز أنْ تستثنى فتقول: إلازيدا .

مَسْأَلَة

إن سأل سائل عن معنى قوله تعالى : ﴿ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾؛ [البقرة: ٥٤] .

فقال : كيف يجوزُ أن يتعبّدهم بقتل أنفسهم ، والعبادةُ بذلك لاتحسُن إلا أنْ تكون مصلحةً لهذا المكلَّف فى دينه ؛ إما بأنْ يَفعل طاعةً أو يَمتنع من قبيحٍ ؛ وهو بعد الموت قد خرج من كلِّ تكليف، فلا يصحُّ منه شىء من الأفعال !

الجواب، إن المفسرين قد اختلفت أقوالهم فى هـذه الآية .

فنهم مَنْ ذهب إلى أنه تعالى كلَّفهم أن يقتلوا أنفسهم القتلَ الحقيقىَّ المعهود .

ومنهم مَنْ ذهب إلى أنه تعالى كلّفهم أن يقتلَ بعضُهم بعضا .

ومنهم مَنْ حمل الآية على أن المراد بها تكليفُ الاستسلام للقتل ؛ ويقول: إنهم استحقوا بعبادة العجل القتلَ، فلما تابوا أمرهم الله تعالى بأن يستسلموا لمن يقتلهم؛ كما كلف اللهُ القاتل لغيره أن يستسلم للقوَد منه .

فأما الوجهُ الأول فيبطل بما ذُكر فى السؤال ؛ ولا يجوز أن يكون وجهُ حُسن هذا التكليف المصلحةَ لغير المقتول ؛ لأنَّ مصلحةَ زيد لاتكون وجهاً فى وجوب الفعل على عمرو؛ ولا يمكن أن يقال : إنَّ مصلحةَ المأمور بقتل نفسه فى نفس الأمر والتكليفِ قبل أن يقتل نفسَه؛ فإن ذلك ربما كان لطفاً له فى بعض العبادات ؛ وذلك لأن الأمر بما ليس له وجهُ وجوب أو ندبٍ لايحسنُ ؛ بل يكون الأمر قبيحا ؛ وإذا كان الأمر قبيحا لم يحسِّنْه أن يكون فيه لطفٌ لبعض المكلَّفين ؛ بل يَمنع منه كما يَمنع من أن يُلْطَفَ لبعض المكلّفين بما هو قبيح فى نفسه ؛ فلمْ يبق بعد إبطال هذا الوجه إلا الوجهان الأخيران؛ من الاستسلام لمن يقتلهم القتل الذى استحقوه ، أو قتلِ بعضهم بعضا؛ فقد روى أنهم برزُوا بأسيافهم ؛ واصطفّوا صفين يضرب بعضُهم بعضاً ، فمن قُتِل منهم كان شهيدا ، ومن نجا كان تائبا .

ويمكن فى الآية وجه آخر؛ ما رأينا أحداً من المفسرين سبقَ إليه ؛ وهو إن لم يَزِدْ فى القوة على ماذكروه لم ينقص عنه ؛ وهو أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أى اجتهدوا فى التوبة مما أقدمْتم عليه ، والندمِ على مافات ، وإدخالِ المشاقِّ الشديدة عليكم فى ذلك ؛ حتى تـكادوا أن تـكونوا قتلتم أنفسكم ؛ وقد يُسمَّى مَنْ فعل ما يقارب الشىء باسم فاعِلِه . ومذهبُ أهل اللغة فى ذلك معروف مشهور ؛ يقولون : ضرب فلان عبدَه حتى قتله ، وفلان قتله العشق ، وأخرج نفسه ، وأبطل رُوحه ، وما جرى مجرى ذلك ؛ وإنما يريدون المقاربةَ والمشارفةَ والمبالغةَ فى وصف التناهى والشدة؛ فلما أراد تعالى أن يأمرهم بالتناهى والمبالغة فى النّدم على مافات، وبلوغ الغاية القصوى فيه جاز أن يقول: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

فإذا قيل طعناً على هذا الجواب : إنمــا تُسمَّى مقاربةُ القتل قتلا مجازا وتوسُّعا ، وحملُ الـكلام على حقيقته أولى !

الجواب ، أن الوجهيْن اللذين ذكرها المفسرون فى هذه الآية مِنْ قتل بعضهم بعضا ، والاستسلام للقتل مبنيان أيضاً على المجاز ؛ وظاهر التنزيل بخلافهما ؛ لأن الاستسلام للقتل ليس بقتل على الحقيقة ؛ وإنما سُمى باسمه مِنْ حيث يؤدِّى إليه ، وكذلك قتلُ بعضهم بعضا مجاز ؛ لأن القاتل غير المقتول؛ وظاهر الآية يقتضى أن القاتل هو المقتول .

وأما استشهادهم فى تقوية هذا الوجه بقوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ يعنى إخوانـكم فلايغنى شيئاً ؛ لأنّ ذلك مجاز لا محالة ؛ وإنما حُمِل على الإخوان بدليل . والظاهر أن يكون تـكليفاً لقتل الواحدِ نفسَه ، وسلامةً على نفسه .

فإن قيل : كيف يجوز أن يُستحقَّ القتل بعد التوبة مِن الوجوه التى بها استُحق القتل

قلنا : غير ممتنع أن يكلِّفنا الله تعالى ـ بعد التوبة من الـكفر ـ القتلَ امتحانا ؛ لا على سبيل العقوبة .

فإن قيل : كيف يَصح أن تـكون التوبةُ نفسُها قتلَ أنفسهم ؛ والتوبة هى الندم والعزمُ وهما غير القتل !

قلنا : الجواب الصحيح عن السؤال أن الفاء فى الآية عاطفة للقتل على التوبة ، وليست بمنبئة أن القتل هو التوبةُ على ما ظنّه بعض مَنْ لم يتأمل . وهو جارٍ مجرى قوله : ضربت زيدا فعَمراً ؛ فالفاء هاهنا عاطفة وقائمة مَقام الواو ؛ إلا أن لها زيادة على حكم الواو ، فإن الفاء تقتضى الجمع الذى تقتضيه الواو ، وتقتضى الترتيب والتعقيب اللذيْن لا يُفهمان من الواو؛ فكأنه تعالى قال : فتوبوا إلى بارئكم واقتلوا أنفسكم ؛ فلما أمرهم بالقتل عقيبَ التوبة ؛ أدخل الفاء التى هى علامة على ذلك .

وقد أجاب بعضُ الناس بأن قال : مالا تتم التوبة إلا به، ومعه يصحُّ أن يسمَّى باسمها ؛ كما يقال للغاصب إذا عزم على التوبة: إنّ توبتك ردُّ ما غصبت؛ وإنما يريد: أن توبتك لا تتم إلا به. وقد بينا ما يُغنى عن ذلك فى الجواب الذى اخترناه ، وهو أولى وأوضح .

مَسْأَلَة

إن سأل سائل عن قوله تعـالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾؛ [المائدة : ٩٣] .

هذه الآية تشاغل المفسّرون بإيضاح الوجوه فى التـكرار الذى تضمنَّتْه؛ وظنوا أنه المشكل منها، وتركوا ماهو أشدُّ إشكالا من التكرار؛ وهو أنه تعالى نفى الجناحَ عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيما يَطعَمونه بشرط الاتقاء والإيمان وعمل الصالحات . وإذا أريد بالاتقاء تجنُّب القبائح والمحارم، كان ذلك شرطا صحيحاً فى نفى الجُناح؛ إلا أنّ الإيمان وعمل الصالحات ليس بشرط فى نفى الجُناح على وجه ولا سبب؛ لأن مَنْ جانبَ القبيح المحظور عليه لم يكن عليه جُناح فيما يَطعَمُه ، وإن لم يكن مؤمنا ، ولا ممن عمل الصالحات ، ألا ترى أن المباح إذا وقع من الـكافر لا إثمَ عليه ولا وزْر ! ووقوعه منه مع كفره فى نفى الإثم كوقوعه من المؤمنين . والإشـكال إنما هو فى اشتراط الإيمان وعمل الصالحات؛ وليس لذلك تأثير معقول فى نَفْى الجُناح .

ونحن نبين ما يحل هذه الشبهة القوية، ونتـكلم على التـكرار ، ولنا فى ذلك طريقان : أحدهما أن نَضم إلى الشروط المصرَّح بذكره غيرَه حتى يظهر تأثيرُ ما ذُكر من الشروط. أو نجعَلَ ماوَلِيَ الاتقاء من الإيمان، وعمل الصالحات ليس بشرط حقيقىّ وإن كان معطوفاً على الشرط، وكل ذلك جائز إذا قادَ الدليل إليه ، وأحوج إلى التعويل عليه .

أما الوجه الأول فبيانه أن يكون تقديرُ الـكلام : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناحٌ فيما طعِموا وغيرِه إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، لأن الشرطَ فى نفى الجُناح لابدّ أن يكون له تأثير؛ حتى يكون متى انتفَى ثبت الجناح. وقد علمنا أنَّ باتِّقاء المحارم ينتفى الجناح فيما يُطْعَم ، فهو الشرط الذى لا زيادة عليه. ولما ولى ذِكرَ الاتقاء الإيمانُ وعمل الصالحات ـ ولا تأثير لهما فى نفى الجُناح ـ وجب أن نقدّر هناك ما تؤثِّرُ هذه الأفعال فى نفى الجناح

عنه ، فأشرنا إلى إضمار ماتقدم ذكره حتى يصحّ الشرط ، ويطابقَ المشروط ، لأن من اتقى الحرام فيما يَطعَم لاجناح عليه فيما يطعم؛ لكنه قد يصح أن يثبت عليه الجناح فيما أخلّ به من واجب، وضيّعه من فرض، فإذا شرطنا أنه مع اتقاء القبيح ممّن آمن بالله وبما أوجب عليه الإيمانَ به ، وعمل الصالحات ارتفع الجناحُ عنه من كلِّ وجه .

وليس بمنكر حذف ماقدرناه لدلالة الكلام عليه ، فمن عادتهم أن يحذفوا مايجرى هذا المجرى ، وتكون قوة الدّلالة عليه وسَوقُها إليه مغنيين عن النطق به . وفى القرآن وفصيح كلام العرب وأشعارها أمثلة كثيرة لذلك لا تحصى ، فمنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ﴾ [البقرة : ٥٣] ؛ فقد ذكر فى الآية وجوه؛ من أوضحها أنه تعالى أراد: آتينا موسى الكتاب ومحمدا الفرقان، لأنه لما عطف الفرقان على الكتاب الذى أوتيه موسى عليه السلام، وعلمنا أنه لايليق به — لأن الفرقان ليس مما أوتيه موسى عليه السلام — وجب أن نقدّر مايطابق ذلك .

ومثله قول الشاعر :

تَرَاهُ كأنَّ اللهَ يَجْدَعُ أنْفَهُ وعينَيْه إن مولاه باتَ له وَفْرُ (١)

لما كان الجدْع لا يليق بالعين — وإن كانت معطوفة على الأنف الذى يليق به الجدْع — أضمرنا مايليق بالعين ، وهو البَخْص ومايجرى مجراه .

ومثله :

ياليتَ زوجَك قد غَدا متقلِّدا سَيْفاً ورُمْحاً

ومثله :

* عَلفتُها تِبنا وماء بارداً (٢) *

والإضمار مع قوة الدّلالة أحسنُ من الإظهار، وأدخلُ فى البلاغة والفصاحة .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « كان له وفر » ، والبيت فى (الحيوان ٦ : ٤٠)؛ ونسبه إلى خالد بن الطيفان ؛ وقد أورده المؤلف فى هذا الجزء ص ٢٥٩ .

(٢) بقيته :

* حتى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْناها *

وهو من شواهد ابن عقيل ١ : ٥٢٤ ، وقد أورده المؤلف كاملا فى هذا الجزء ص ٢٥٩ .

وأما بيانُ الوجه الثانى فهو أنا نعدِل عن ظاهر الشرط فيما وَلِيَ الاتقاء ؛ من ذكر الإيمان وعمل الصالحات ، ونجعله ليس بشرط وإن كان معطوفاً على شرط ، لأن العدول عن الظاهر بالأدلّة القاهرة واجبٌ لازم مستعمل فى أكثر القرآن ؛ فكأنه تعالى لما أراد أن يبيّن وجوبَ الإيمان وعمل الصالحات وتأكّدلزومِه، عطفَه على ماهو واجب لازم من اتقاء المحارم لاشتراكهما فى الوجوب ؛ وإن لم يشتركا فى كونهما شرطاً فى نفى الجُناح فيما يُطْعَم ؛ وهذا تفسُّح وتوسُّع فى البلاغة يحار فيها العَقْلُ استحسانا واستغرابا ؛ وتعويلٌ على أن المخاطَب بذلك على إرساله والعدول عن تفصيله يضع كلّ شىء منه فى موضعه ؛ وكم فى القرآن من هذه الغرائب فى الفصاحة والعجائب والحذوف والاختصارات التى لا يتجاسر بليغ ولا فصيح على الإقدام عليها، والمرور بشُعَبها خوفاً من الزلل والخلل !

وأما الجواب عن مشكل التكرار فالوجهُ فيه على الجملة أن نجعل الأحوال التى يقع فيها الاتقاءُ والإيمانُ وعمل الصالحات مختلفةً بمضىّ واستقبال، فيزولَ التكرار، أو نجعل المأمورَ به من الاتقاء والإيمان وعمل الصالحات مشروطاً مخصوصاً، يتناول الأوّلُ غيرَ متناوَل الثانى ، والثانى غيرَ متناوَل الأول ؛ فيزول أيضاً بذلك التكرار .

وقد أوّل المفسرون على اختلافهم بكثير من الجملة التى أشرنا هاهنا إليها ، وذكروا أن الشرط الأول يتعلّق بالزمان الماضى ، والشرط الثانى متعلّق[1] بالدوام على ذلك والاستمرار على فعله ، والثالث مختص باتقاء ظلم العباد .

وذكر أبوعلىّ الجُبائىّ هذا بعينه ، واستدلّ على أنّ الاتقاء الثالث يختصّ بظلم العباد بقوله تعالى: ﴿ وَأَحْسَنُوا ﴾، وأن الإحسان إذا كان متعديا وجب أن يكون ما أُمِروا باتقائه من المعاصى أيضاً متعديا؛ وهذا ممن اعتمده من المفسرين مَزْجٌ ؛ لاختلاف الأحوال باختلاف المأمور به ؛ وما ينبغى أن يكون كذلك ، بل الواجب أن نُبطل التكرار . إما من جهة اختلاف الأحوال من غير أن نمزُجَها باختلاف غيرها؛ أو نعدل عن اختلاف الأحوال فنُبطل التكرار من حيث اختلافُ المأمور به فى عموم وخصوص .

---

(١) حاشية ف (من نسخة) : « يتعلق » .

ولعل أبا عليّ وغيرَه إنما عدل فى الشرط الثالث عن ذكر الأحوال لمّا ظن أنّه لا يمكن فيه ما أمكن فى الأول والثانى . ونحن نبين أن الأمر بخلاف ماظنه ؛ وهو أنه لا يمتنع أن يُحْمل الشرط الأول على الماضى من الزمان ، والثانى على الحال ، والثالثُ على المنتظر والمستقبل .

وليس لأحد أن يقول : لاواسطةَ عند المتكلمين بين الماضى والمستقبل ؛ لأنّ الفعل إما أن يكون معدوما فيكون مستقبلا ، أو موجودا فيكون ماضيا ؛ وإنما يَجعل الأحوالَ ثلاثةً النحويون ، ولا يرتضى ذلك المتكلمون .

والجواب عن هذا أنَّ الصحيح أنه لاواسطةَ بين العدم والوجود على ماذُكِر ، غير أن الموجود فى أقرب الزمان لايمتنع أن نسميَه حالا ، وبينه وبين الماضى الغابر السالف فرقٌ ؛ كما كان كذلك بينه وبين المنتظر .

وأما بيان اختلاف الأمور ؛ فأنْ يحمَل الاتقاء الأوّل على اتقاء المعاصى العقلية التى تختصّ المكلَّف ولا تتعداه ، والإيمانَ الأول الإيمانُ بالله تعالى وبما أوجب الإيمان به ، والإيمان الثانى الإيمانُ بقبح هذه المعاصى ووجوب تجنبها ، والاتقاء الثالث الاتقاء لما يتعدَّى من المعاصى من الظلم والإساءة .

وليس ينبغى أن يُفْزَع فى أن الاتقاء الثالث يختص بمظالم العباد إلى ما اعتمده أبوعلىّ من قوله تعالى: ﴿ وَأَحْسَنُوا ﴾ من حيث كان الإحسان إذا كان متعديا فكذلك ماعطف عليه ؛ لأن ذلك من ضعيف الاستدلال ، لأن قول الله تعالى: ﴿ وَأَحْسَنُوا ﴾ ليس بصريح فى أن المراد به الإحسانُ المتعدِّى ؛ لأنه غير ممتنِع أن يريد به فعلَ الحسن والمبالغةَ فيه ، وإن اختص الفاعل ولم يتعدّه ؛ ألا ترى أنهم يقولون لمن بالغ فى فعل الحسن وتناهى فيه وإن اختصه : أحسنتَ وأجملت ! ثم إن سُلّم أن المراد به الإحسانُ المتعدِّى لم يمتنع أن يعطفه وهو متعدٍّ على فعل لايتعدى ؛ ألا ترى أنه لو صرّح بذلك فقال : اتقوا المعاصىَ كلَّها والقبائح ، وأحسِنوا إلى غيركم لكان حَسَنا غير قبيح ! وإنما ينبغى أن يُفْزَع فى التخصيص إلى الفِرار من التكرار ، وحمله على مايفيد ، وذلك يغنى عما تكلَّفه أبو علىّ .

فإن قيل : أىُّ فائدة فى تخصيص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بنفى الجُناح فيما يَطعمونه بالشرط المذكور ؟ ومن ليس بمؤمن يشاركهم فى هذا الحكم مع ثبوت الشرط !

قلنا : تعليق الحكم بالصفة أو الاسم لا يدلُّ على نفيه عمن عدا المسمى أو الموصوف ؛ وقد دلّ العلماء على ذلك فى مواضعَ كثيرة ؛ وليس بممتنع على المذهب الصحيح أن يعلّق الحكم باسم أو صفة ، ويكونَ مَن عدا الموصوف أو المسمى مشارِكا فى ذلك الحكم .

وقد قيل : إن السبب فى نزول هذه الآية أنَّه لما نزل تحريمُ الخمر قال المسلمون : كيف بإخواننا الذين تناولوا الخمر قبل نزول تحريمها ، وماتوا وهى فى أجوافهم ؟ وكيف بإخواننا الطائفين فى أطراف البلاد وهم لا يشعرون بهذا التحريم ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية تطييباً لنفوسهم ، وإعلاماً لهم : أن مَنْ يطعَم — ما لم يبيّن له تحريمه — لا جُناح عليه .

وقيل أيضاً : إن الآية وردتْ فى قوم حرّموا على أنفسهم اللحوم ، وسلكوا طريق الترهّب ؛ كعثمان بن مظعون وغيره ، فبيّن الله سبحانه أن الحلال لا جُناح فى تناوله ، وإنما يجب التجنّب للمحرَّم ، وهذه الأسباب لا تبقى معها مسألة عن سبب تخصيص المؤمنين بنفى الجُناح . وكل هذا واضح .

مَسْأَلَة

سئل رضى الله عنــه عن قوله عز وجل فى قصة زكريا عليه السلام : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِى عَاقِرٌ ﴾ ؛ [آل عمران : ٤٠] .

فكأنه سأل أمراً يستحيل كونُه ، وقد علمنا لا محالةَ أن زكرياء يعلم أنَّ الله تعالى لا يُعجزه ما يريد ، فما وجه الكلام ؟

فأجاب عن ذلك وقال : إنَّه غير ممتنع أن يكون زكرياءُ عليـه السلام لم يَسألِ الذرية فى حال كِبره وهَرَمه ؛ بل قبْل هذه الحال ، فلما رزقه الله تعالى ولداً على الكِبَر ، ومع كون امرأته عاقراً قال : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِى عَاقِرٌ ﴾ من غير إنكار منه لقدرة الله تعالى على ذلك ؛ بل لِيَرِد من الجواب ما يزداد به بصيرة ويقينا .

ويجوز أيضاً أن يكون سأل الولَد مع الكِبَر وعُقْم امرأته، ليفعل الله تعالى ذلك على سبيل الآية له ، وخَرْق العادة من أجله ؛ فلما رزقه الله تعالى الولَد عجب من ذلك، وأنكرهُ بعضُ مَنْ تضعف بصيرته من أمّته ، فقال عليه السلام : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِى وَلَدٌ ﴾ لِيَرِد من الجواب ما يزولُ به شكُّ غيره ؛ فكأنه سأل فى الحقيقة لغيره لا لنفسه ؛ ويجرى ذلك مجرى سؤال موسى عليه السلام أن يُرِيَه الله تعالى نفسَه لما شكَّ قومُه فى ذلك ، فسأل لهم لا لنفسه .

مسألة

وسئل أيضاً رضى الله تعالى عنه عن قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ ؛ [البقرة : ٤٩] .

فقال : أىّ شىء فى استحياء النساء من سوء العذاب ؟ وإنما العذاب فى ذبح الأبناء !

فقال : أمّا قتل الذكور واستبقاء الإناث فهو ضربٌ من العذاب والإضرار ؛ لأنَّ الرجال هم الذين يردَعون النساء عما يَهْمُمْنَ به من الشر ، وهو واقع منهن فى الأكثر مع الرَّدْع ؛ فإذا انفردن وقع الشرّ ولا مانع ؛ وهذه مضرّة عظيمة .

ووجه آخر وهو أن الراجع إلى قوله : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ هو قتل الأبناء دون استبقاء النساء ؛ وإنما ذكر استحياء النساء لشرح كيفية الحال ؛ لا لأنَّ من جملة العذاب ذلك ؛ كما يقول أحدُنا : فلانٌ عذبنى بأن أدخلنى دارَه وعليه ثياب فلانية ، وضربنى بالمقارع وفلان حاضر ؛ وليس كلُّ ما ذكره من جملة العذاب ؛ وإنما العذابُ هو الضرر دون غيره ، وذكْر الباقى على سبيل الشرح للحال .

ووجه آخر، وهو أنه رُوِى أنهم كانوا يقتُلون الأبناء ، ويُدخلون أيديَهم فى فروج النساء لاستخراج الأجِنَّة من بطون الحوامل ؛ فقيل : يَسْتَحْيُونَ النِّسَاءَ ، اشتقاقاً من لفظة الحياء وهو الفرْج ؛ وهذا عذاب ومُثْلة ، وضررٌ شديد لا محالة .

مسألة

وسئل أيضا فقيل: أليس قد وعد الله تعالى المؤمنين فى عدّة مواضع من كتابه المجيد بالجنّة والخلود فى النعيم ، فما معنى قول النبىّ عليه السلام: ﴿ مَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾ [الأحقاف : ٩].

فقال: إنه لا يجوزُ أن يريد النبىُّ عليه السلام بقوله: ﴿ مَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾ الثواب أو العقابَ ودخولَ الجنة أو النار ؛ لأنه عليه السلام عالمٌ بأنَّ الجنَّة مأواه ، والثواب عاقبته ، ولا يجوز أن يشُكَّ فى أنه ليس من أهل النار ؛ وإن شك فى ذلك من حال غيره ، والمراد بالآية: إنِّى لا أدرى ما يُفعل بى ولا بكم؛ من المنافع والمضارّ الدنيوية؛ كالصحة والمرض والغِنى والفقر والخِصْب والجدب ؛ وهذا المعنى صحيح واضح لا شبهة فيه .

ويجوز أيضا أن يريد أننى لا أدرى ما يُحدِثه الله تعالى من العبادات ، ويأمرنى به وإياكم من الشرعيات، وما ينسخُ من الشرائع وما يُقَرّ منها ويستدام ؛ لأن ذلك كلّه مغيّب عنه عليه السلام ؛ وهذا يليق بقوله تعالى فى أول الآية : ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ ﴾ ؛ وفى آخرها: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ .

مَسْأَلَة

وسئل أيضا عن قوله : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾؛ [يونس : ٩٤] .

كيف يكون النبيّ عليه السلام فى شك مما أوحى إليه ؟ وكيف يَسْأل عن صحة ماأنزل إليه الذين يقرءون الكتابَ من قبله وهم اليهود والنصارى المكذّبون له ؟

فقال : إن قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ ظاهر الخطاب له عليه السلام، والمعنى لغيره ؛ كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾؛ [الطلاق:١] فكأنه قال: فإن كنت أيُّها السامعُ للقرآن فى شكٍّ مما أنزلناه على نبينا؛ فاسأل الذين يقرءون الكتاب .

وليس يمتنع عندَ من أنعم النظر أن يكون الخطاب متوجّها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، وليس إذا كان الشك لا يجوزُ عليه لم يحسنْ أن يقال له : إن شككت فافعل كذا ، كما قال تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ ؛ [الزمر: ٦٥]، ومعلوم أن الشرك لا يجوز عليه .

ولا خلاف بين العلماء فى أنّه عليه السلام داخلٌ فى ظاهر آيات الوعيد والوعد، وإن كان لا يجوز أن يقع منه مايستحق به من العقاب . وإن قيل له: إن أذنبت عوقبت؛ فهكذا لا يمتنع أن يقال له: إن شككت فافعل كذا وكذا ؛ وإن كان ممن لا يشك .

ووجدت بعض المفسّرين يجعل ﴿ إِنْ ﴾ هاهنا بمعنى «ما» التى للجحْد ، ويكون تقديرُ الكلام: ما كنت فى شك مما أنزلنا إليك ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾؛ [ابراهيم:١١]، أى ما نحن ، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ ؛ [فاطر:٢٣]؛ أى ما أنت إلا نذير ، ولا شك ولا شبهة فى أن لفظةَ ﴿ إِنْ ﴾

قد تكون بمعنى «ما» فى بعض المواضع ؛ إلا أنه لا يليق بهذا الموضع أنْ تكون ﴿ إنْ ﴾ بمعنى « ما » ؛ لأنه لا يجوز أن يقول تعالى : ما أنت فى شك مما أنزلنا إليك ؛ فاسأل الذين يقرءون الكتاب ؛ لأن العالِم لا حاجة به إلى المسألة ؛ وإنما يحتاج أن يسألَ الشاكُّ .

غير أنه يمكن نُصرةُ هذا الجواب بأنه تعالى لو أمره بسؤال أهل الكتاب من غير أن ينفىَ شكّه لأوهمَ أمرُه بالسؤال أنه شاكّ فى صدقه ، وصحةِ ما أنزل عليه ، فقدّم كلاماً يقتضى نفىَ الشك عنه فيما أنزل عليه ، ليُعلم أنّ أمرَه بالسؤال ليزول الشكُّ عن غيره، لا عنه.

فأما الذين أمَرَ بمسألتهم فقد قيل إنهم المؤمنون من أهل الكتاب ، الراجعون إلى الحق؛ ككعب الأحبار، ومَنْ جرى مجراه ممن أسلم بعد اليهودية، لأنّ هؤلاء لا يصدُقون عمّا شاهدوه فى كتبهم من صفات النبى عليه السلام والبِشارة به ؛ وإن كان غيرهم ممن أقام على الكفر والباطل لا يصدُق عن ذلك .

وقال قوم آخرون : إنّ المرادَ بالذين يقرءون الكتابَ جماعةُ اليهود ، ممن آمن وممن لم يؤمن؛ فإنهم يصدُقون عما وجدوه فى كتبهم من البشارة بنبىّ موصوف، يدّعون أنه غيرُك، وأنك إذا قابلتَ بتلك الصفاتِ صفاتِك علمتَ أنت وكلُّ مَنْ أنصف أن المبشَّر بنبوته هو أنت .

وقال آخرون : ما أمره أن يسألهم عن البِشارة به ؛ لأنهم لا يصدقون عن ذلك؛ بل أمره عليه السلام أن يسألهم عما تقدم ذكره على هذه الآية بغير فصل من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ؛ [يونس: ٩٣] ثم قال تعالى: ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ ؛ [يونس : ٩٤]، أى فى شك مما تضمنتْه هذه الآية من النعمة على بنى إسرائيل؛ فما كانت اليهود تجحد ذلك، بل تُقِرّ به، وتفخر بمكانه .

وهذا الوجه يروى عن الحسن البصرىّ . وكلّ ذلك واضح لمن تأمله .

مَسْأَلَة

سئل رضى الله عنه فقيل: ما القولُ فيما يخبِر به المنجِّمون من وُقوع حوادثَ، ويُضيفون ذلك إلى تأثيرات النجوم ؟

وما المانع من أن تؤثر الكواكب على حدّ تأثير الشمس الأُدْمةَ (١) فينا ؟

وإن كان تأثير الكواكب مستحيلاً فما المانع من أن تكون التأثيرات من فعل الله تعالى بمجرَى العادة عند طلوع هذه الكواكب وانتقالها ؟

فليُنْعم ببيان ذلك؛ فإن الأنفسَ إليه متشوقة .

وكيف تقول: إن المنجمين حادسُون(٢)؛ مع أنه لا يَفسد من أقوالهم إلا القليل؛ حتى إنهم يُخبرون بالكسوف ووقته ومقداره فلا يكون إلا على ما أخبروا به ؛ فأيُّ فرْق بين إخبارهم بحصول هذه التأثيرات فى هذا الجسم ، وبين حصول تأثيرها فى أجسامنا ؟

الجواب، اعلم أن المنجمين يذهبُون إلى أن الكواكب تفعل فى الأرْض ومَنْ عليها أفعالا يُسندونها إلى طباعها، وما فيهم أحدٌ يذهب إلى أن الله تعالى أجرى العادة؛ بأن يَفْعل عند قرب بعضها من بعض، أو بعده أفعالا من غير أن يكون للكواكب أنفسها تأثير فى ذلك ، ومن ادّعى هذا المذهَب الآن منهم فهو قائل بخلاف ماذهبت القدماء فى ذلك ، ومتجمِّل بهذا المذهب عند أهل الإسلام ، ومتقرب إليهم بإظهاره . وليس هذا بقولٍ لأحد ممن تقدم وكأن الذى كان يجوز أن يكون صحيحاً ـ وإن دلّ الدليل على فساده ـ لايذهبون إليه ؛ وإنما يذهبون إلى المحال الذى لايمكن صحتهُ ؛ وقد فرغَ المتكلِّمون من الكلام فى أنّ الكواكب لا يجوز أن تكون فينا فاعلةً ، وتكلمْنا نحن أيضا فى مواضع على ذلك ، وبيّنّا بطلانَ الطبائع التى يهذُون بذكرها، وإضافة الأفعال إليها ، وبيّنا أن الفاعل لابد أن يكون حيًّا قادرا . وقد علمنا أن الكواكب ليست بهذه الصفة ، فكيف تفعل وما يصحِّح الأفعالَ مفقود فيها ! وقد سطر المتكلمون طرفا كثيرة فى أنها ليست بحية ولا قادرة ،

---

(١) حاشية ف من نسخة : « فى الأدمة » . (٢) حادسون : ظانون .

أكثرُها معترَض. وأشفُّ(١) ماقيل فى ذلك أن الحياة معلوم أن الحرارة الشديدة، كحرارة النار تَنفيها ولا تثبُت معها. ومعلوم أنَّ حرارة الشمس أشدُّ وأقوى من حرارة النار بكثير؛ لأنَّ الذى يصل إلينا على بعد المسافة من حرارة الشمس بشُعاعها يماثل أو يزيدُ على حرارة النار؛ وما كان بهذه الصفة من الحرارة يستحيلُ كونه حيًّا.

وأقوى من ذلك كلِّه فى نفى كون الفلك وما فيه من شمس وقمر وكوكب أحياءَ السمعُ والإجماع؛ فإنه لاخلاف بين المسلمين فى ارتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب، وأنها مسخَّرة مدبَّرَة مصرَّفة؛ وذلك معلوم من دين رسول الله صلى الله عليه وآله ضرورة؛ وإذا قطعنا على نفى الحياة والقدرة عن الكواكب، فكيف تكون فاعلة!

وعلى أننا قد سلَّمنا لهم استظهارا فى الحجة أنها قادرة؛ قلنا: إن الجسم وإن كان قادرا فإنه لايجوز أن يفعَل فى غيره إلاَّ على سبيل التوليد؛ ولا بدّ من وُصْلة بين الفاعل والمفعول فيه، والكواكب غير مماسّة لنا، ولا وصلةَ بيننا وبينها، فكيف تكونُ فاعلة فينا! فإن ادُّعى أن الوصلة بيننا الهواء؛ فالهواء أوّلاً لايجوز أن يكون آلة فى الحركات الشديدة، وحمْل الأثقال؛ ثم لو كان الهواء آلةً تحرِّكنا بها الكواكب لوجب أن نُحِسَّ بذلك، ونعلَم أنَّ الهواء يحرّكنا ويصرّفنا؛ كما نعلم فى غيرنا من الأجسام إذا حركناه بآلة بوضع تحريكه لنا بها. على أنَّ فى الحوادث الحادثة فينا مالا تجوز أن يُفْعل بآلة، ولا يتولَّد عن سبب، كالإرادات والاعتقادات وأشياء كثيرة؛ فكيف فعلَت الكواكبُ ذلك فينا وهى لايصحُّ أن تكونَ مخترِعة للأفعال؛ لأن الجسم لايجوز أن يكون قادرا إلا بقدرة، والقدرةُ لا تجوز لأمر يرجع إلى نوعها أن تختَرِع بها الأفعال.

فأما الأدْمة فليس تؤثِّرها الشمس على الحقيقة فى وجوهنا وأبداننا؛ وإنما الله تعالى هو المؤثر لها وفاعلُها بتوسط حرارة الشمس؛ كما أنه تعالى هو المحرق على الحقيقة بحرارة النار، والهاشِم لما يهشِمه الحجر بثقْله، وحرارة الشمس مسوِّدة للأجسام من جهة معقولة مفهومة؛ كما أن النار تحرق الأجسام على وجه معقول، فأىّ تأثير للكواكب فينا يجرى هذا المجرى فى

---

(١) فى حاشية ف: «أشفّ»: أفضل».

تمييزه والعلم بصحته ، فليُشِر إليه؛ فإن ذلك لا قدرة عليه . ومما يمكن أن يعتمد في إبطال أن تكون الكواكب فاعلة فينا ومصرّفة لنا أن ذلك يقتضي سقوط الأمر والنهي والمدح والذمّ عنا ، ونكونَ معذورين في كلّ إساءة تقع منّا ونجيئها بأيدينا ، وغيرَ مشكورين على شيء من الإحسان والإفضال ؛ وكلُّ شيء نُفسد به قول المجبرة؛ فهو مفسد لهذا المذهب .

وأما الوجه الآخر وهو أن يكون الله تعالى أجرى العادةَ بأنْ يفعلَ أفعالا مخصوصةً عند طلوع كوكب أو غروبه ، أو اتصاله أو مفارقته فقد بيّنا أنَّ ذلك ليس بمذهبٍ للمنجّمين البتّة ؛ وإنما يتجملون الآن بالتظاهر به ، وأنه قد كان جائزا أن يجرى الله تعالى العادة بذلك ؛ لكن لا طريق إلى العلم بأن ذلك قد وقع وثبت؛ ومن أين لنا بأن الله تعالى [أجرى] العادة بأن يكون زُحَلُ أو المريخ إذا كان في درجة الطالع كان نحساً، وأن المشتريَ إذا كان كذلك كان سعدا ؟ وأيُّ سمع مقطوعٍ به جاء بذلك ؟ وأيّ نبيّ خبّر به واستفيد من جهته ؟

فإن عوّلوا في ذلك على التجربة بأنا جرّبنا ذلك ومَنْ كان قبلنا فوجدناه على هذه الصفة؛ وإذا لم يكن موجبا وجب أن يكون معتادا .

قلنا: ومَن سلّم لكم صحةَ هذه التجربة وانتظامَها واطرادَها ؟ وقد رأينا خطأكم فيها أكثر من صوابكم ، وصدقَكم أقلّ من كذبكم ! فألاّ نسبتم الصحةَ إذا اتفقت منكم إلى الاتفاق الذى يقع من المخمّن والمرجِّم! فقد رأينا من يُصيب من هؤلاء أكثرَ ممن يخطىء، وهو على غير أصل معتمد ، ولا قاعدةٍ صحيحة .

فإذا قلتم : سببُ خطأ المنجِّم ذلك دخل عليه فى أخذ الطالع أو تسيير الكواكب .

قلنا : ولِمَ لا كانت إصابته سببَها التخمينُ ! وإنما كان يصح لكم هذا التأويل والتخريج لو كان على صحة أحكام النجوم دليل قاطع هو غير إصابة المنجّم ؛ فأما إذا كان دليلُ صحة الأحكام الإصابة ، فألاّ كان دليلُ فسادها الخطأ ! فما أحدهما في المقابلة إلا كصاحبه .

ومما أُفْحِم به القائلون بصحة الأحكام، ولم يتحصل منهم عنه جواب، أن قيل لهم في شىء بعينه: خذوا

الطالع واحكموا ؛ هل يؤخذ أو يترك؟ فإن حكموا إما بالأخذ أو الترك خُولفوا؛ وفُعل خلافُ ما خبّروا به .

وقد أعضلتهم هذه المسألة ، واعتذروا عنها بأعذار ملفّقة لايخفى على عاقل سَمِجها بُعدُها من الصواب. فقالوا فى هذه المسألة: يجب أن يكتب هذا المتبلى بها مايريد أن يفعل ، أو يُخبِرَ به غيره ؛ فإنا نُخْرِج ما قد عزم عليه من أحد الأمرين .

وهذا التعليل منهم باطل ؛ لأنه إذا كان النظر فى النجوم يدلُّ على جميع الكائنات التى من جملتها مايختارُه أحدنا؛ من أخذ هذا الشىء أو تركه ، فأىُّ فرق بين أن يَطوِيَ ذلك فلا يخبرَ به ولا يكتبَه؛ حتى يقول المنجم ماعنده ، وبين أن يخبر به ويكتبه قبل ذلك! وإنما فزِعوا إلى الكتابة وما يجرى مجراها حتى لايخالف المنجِّم فيما يذكره؛ ويحكم به من أخذٍ أو ترك .

ولو كانت الأحكام صحيحة؛ وفيها دلالة على الكائنات لوجب أن يعرف المنجم ما اختاره من أحد الأمرين على كل حال .

ولو نزلنا تحت حكمهم ؛ وكتبنا مانريد أن نفعله لما وجدنا إصابتَهم فى ذلك إلا أقلَّ من خطئهم، ولم يزيدوا فيه على مايفعله المخمِّن المرجِّم من نظر فى طالع ولا غارب ، ولا رجوع إلى أصلٍ ؛ وإلا فالبلوى بيننا وبينكم .

وكان بعض الرؤساء بل الوزراء ممن كان فاضلا فى الأدب والكتابة ، ومشغوفاً بالنجوم ، عاملا عليها قال لى يوماً — وقد جرى حديثٌ يتعلق بأحكام النجوم ، ورأى من مخائلى التعجبَ ممن يتشاغل بذلك ، ويُفْنِى زمانه به — : أريد أن أسألك عن شىء فى نفسى ، فقلت : سَلْ عما بدالك ، قال : أريد أن تعرفنى: هل بلغ بك التكذيب بأحكام النجوم إلى ألاّ تختار يوما لسفر ، ولبس ثوب جديد ، وتوجّه فى حاجة ؟ فقلت : قد بلغتُ إلى ذلك والحمدلله وزيادة عليه، ومافى دارى تقويم، ولاأنظر فيه، ومارأيت مع ذلك إلا خيرا. ثم أقبلت عليه فقلت : ندَع ما يدلّ على بطلان أحكام النجوم مما يحتاج إلى فكرٍ دقيق ، ورويّة طويلة ، وهاهنا شىء قريب لا يخفى على أحد ممن علتْ طبقته فى الفهم ، أو انخفضت؛ خبِّرنى لو فرضنا جادّةً مسلوكةً، وطريقاً يمشى فيه الناس ليلا ونهارا ، وفى محجّته آبار متقاربة

وبين بعضها وبعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمّل وتوقّف حتى يتخلص من السقوط فى بعض تلك الآبار ؛ هل يجوز أن تكون سلامةُ مَنْ يمشى فى هذا الطريق من العميان كسلامة مَن يمشى من البُصراء ؛ وقد فرضنا أنه لا يخلو طرفةَ عين من المشاة فيه بصراء وعميان ؟ وهل يجوز أن يكون عطبُ البصراء يقارب عطبَ العميان ، وسلامة العميان مقاربةً لسلامة البصراء ؟

فقال: هذا مما لا يجوز، بل الواجب أن تكون سلامةُ البصراء أكثرَ من سلامةُ العميان؛ ولا يجوز فى مثل هذا التقارب .

فقلت : إذا كان هذا محالا، فأحيلوا نظيره، ومثالا فرق بينه وبينه ، وأنتم تجيزون شبيهَ ماذكرناه وعديلَه ؛ لأن البصراء هم الذين يعرفون أحكامَ النجوم، ويميِّزون سعدها من نحسها، ويتوقوْن بهذه المعرفة مضارّ الزمان ويتخطوّنها، ويعتمدون منافعه ويقصدونها. ومثال العميان كلُّ مَنْ لا يُحْسِنُ تعلّم النجوم، ولا يلتفت إليه من الفُهماء والفقهاء وأهل الديانات والعبادات، ثم سائر العوام والأعراب والأكراد ؛ وهم أضعاف أضعاف مَنْ يراعى عدد النجوم . ومثال الطريق الذى فيه الآبار الزمان الذى يمضى عليه الخلق أجمعون . ومثال آباره مصائبه ونوائبه ومِحَنه .

وقد كان يجب لو صحّ العلم بالنجوم وأحكامها أن تكون سلامةُ المنجمين أكثر ، ومصائبُهم أقل ؛ لأنهم يتوقوْن المِحَن لعلمهم بها قبل كونها ، وتكون مِحَن كل من ذكرنا من الطبقات الكثيرة أوفرَ وأظهر ؛ حتى تكون السلامة هى الطريقة الغريبة ؛ وقد علمنا خلاف ذلك ، وأن السلامة والمحن فى الجميع متقاربة غير متفاوتة .

فقال : ربما اتفق مثلُ ذلك .

فقلت له : فيجب أن نصدِّق مَنْ خبَّرنا فى ذلك الطريق المسلوك الذى فرضناه بأن سلامة العميان كسلامة البصراء ، ونقول: لعل ذلك اتفق .

وبعد فإن الاتفاق لا يستمر بل ينقطع ؛ وهذا الذى ذكرناه مستمر غير منقطع. فلم يكن عنده عذرٌ صحيح .

ومما يُفسد مذهب المنجمين ، ويدل على مالعلّه يتفق لهم من الإصابة على غير أصل، أنا قد شاهدْنا جماعة من الزراقين(١) الذين لايعرفون شيئا من علم النجوم ، ولانظروا قطّ فى شىء منه، يُصيبون فيما يحكمون به إصابات مستطرفة ؛ وقد كان المعروف بالشعرانىّ الذى شاهدناه ، وهو لا يُحسن أن يأخذ الإصطرلاب للطالع ، ولا نظر قطُّ فى زِيج ، بل ولا تقويم؛ غيرأنه ذكىّ حاضر الجواب ، فطِنٌ بالزَّرْق، معروف به ، كثير الإصابة وبلوغ الغاية فيما يخرجه من الأسرار . ولقداجتمع يوما بين يدىّ جماعة كانوا عندى، وكنّا قداعتزمنا جهةً نقصدها لبعض الأغراض ؛ فسأله أحدنا عما نحن بصدده، فابتدأ من غير أخذ طالع، ولا نظر فى تقويم، فأخبرنا بالجهة التى أردنا قصدَها، ثم عدل إلى كل واحد من الجماعة، فأخبره عن كثير من تفصيل أمره وأغراضه ، حتى قال لأحدهم : وأنت من بين الجماعة قدوعدك واعد بشىء يوصله إليك ، وقلبك به متعلّق ؛ وفى كمك شىء مما يدلُّ على هذا؛ وقد انقضتْ حاجتك وانتجزت، وجذب يدَه(٢) إلى كمه، واستخرج مافيه، فاستحيا ذلك الرجل، ووجَم ومنَع من الوقوف على مافى كمه بجهده ، فلم ينفعه ذلك، وأعان الحاضرون على إخراج مافى كمه لما أحسوا بالإصابة من الزرّاق، فأخرِج من كمه رقاعٌ كثيرة ، فى جملتها صكّ على دار الضرب بصلة من خليفة الوزراء فى ذلك الوقت ؛ فعجبنا مما اتفق من إصابته مع بعده من صناعة النجوم .

وكان لنا صديقٌ يقـول أبدا : مِنْ أدلّ دليلٍ على بطلان أحكام النجوم إصابةُ الشعرانىّ .

وجرى يوماً مع مَنْ يتعاطى علم النجوم هذا الحديث فقال : عند المنجمين أن السَّبَب فى إصابة من لا يعلم شيئا من علم النجوم أنَّ مولده وما يتولاَّه وتقتضيه كواكبه اقتضى له ذلك .

فقلت له : لعلّ بطليموس ، وكل عالم من علماء المنجمين ومصيبٍ فى أحكامه عليها إنما سببُ إصابته مولدُه، وماتقتضيه كواكبه من غير علم ولا فهم؛ فلايجب أن يُستدل بالإصابة على

(١) الزرق : تعليم الشعبذة والحيل (دوزى ١ : ٥٨٧) . (٢) ط «ضرب»

العلم إذا كانت تقع من جاهل؛ ويكون سببها المولد؛ وإذا كانت الإصابة بالمواليد فالنظر فى علم النجوم عَبَث ولعب لا يُحتاج إليه؛ لأن المولد إن اقتضى الإصابة أو الخطأ فالتعلّم لا ينفع، وتركه لا يضرّ؛ وهذه علة تسرى إلى كل صنعة حتى يلزم أن يكون كل شاعر مُفلق، وصانع حاذق، وناسج الديباج، ومُدَبِّق لا علم له بتلك الصناعة؛ وإنما اتفقت الصنعة بغير علم لما تقتضيه الكواكبُ مواليده، وما يلزم على هذا من الجهالات لا يُحصى.

واعلم أن التعبَ بعلم مراكز الكواكب وأبعادها وأشكالها وتسييراتها متى لم تكن ثمرته العلم بالأحكام، والاطلاع على الحوادث قبل كونها لا معنى له ولا غَرض فيه؛ لأنه لا فائدةَ فى أن يُعلم ذلك كلّه، وتختص نفس العلم به، وما يجرى الاطلاع على ذلك إذا لم تتعد المعرفة إلى العلم بالأحكام إلا مَجْرى العالم بعدد الحصى وكَيل النوى، ومعرفة أطوارِ الجبال وأوزانها.

وكما أن العناء فى تعرّف ذلك عبث وسفه لا يجدى نفعاً، فكذلك العلم بشكل الفلك وتسييرات كواكبه وأبعادها، والمعرفة بزمان قَطْع كل كوكب للفلك وتفاصيلها فيه، وما شقِى[1] القوم بهذا الشأن وأفنوْا أعمارهم إلاّ لتقديرهم أنه يُفضى إلى معرفة الأحكام؛ فلا تغترّ بقول من يقول منهم: إنا ننظر فى ذلك لشرفِ نفوسنا بعلم الهيئة ولطيف ما فيها من الأعاجيب؛ فإن ذلك تجمُّل منهم، وتقرّب إلى أهل الإسلام، ولولا أن غرضَهم معرفة الأحكام لما تعنّوْا بشىء من ذلك كلّه، ولا كانت فيه فائدة، ولا منه عائدة.

ومن أدَلّ الدليل على بطلان أحكام النجوم أنّا قد علمنا أنّ من جملة معجزات الأنبياء عليهم السلام الإخبار عن الغيوب، وعُدّ ذلك خارقا للعادات؛ كإحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص؛ ولو كان العلمُ بما يَحْدُث طريقا نجوميا، لم يكن ما ذكرناه معجزا ولا خارقا للعادة، وكيف يشتبهُ على مسلم بطلان أحكام النجوم، وقد أجمع المسلمون قديما وحديثا على تكذيب المنجمين، والشهادة بفساد مذاهبهم وبطلان أحكامهم! ومعلوم من دين الرسول عليه السلام ضرورةً التكذيبُ بما يدّعيه المنجمون، والإزراء عليهم، والتعجيز لهم؛ وفى الروايات عنه عليه السلام من ذلك ما لا يحصى كثرةً؛ وكذلك عن علماء أهل بيته عليهم السلام وخيار

(١) من نسخة بحاشيتى ف، ط: «سعى».

أصحابه فما زالوا يبرءون من مذاهب المنجمين ، ويعدُّونها ضلالا ومحالا ، وما اشتهر هذه الشهرة فى دين الإسلام كيف يَغْتر بخلافه مُنتسب إلى الملة ، ومصلّ إلى القبلة !

فأما إصابتهم فى الإخبار عن الكسوفات وما مضى فى أثناء المسألة من طلب الفرق بين ذلك وبين سائر مايخبرون به من تأثيرات الكواكب فى أجسامنا، فالفرق بين الأمرين أنّ الكسوفات واقترانات الكواكب وانفصالها طريقُه الحساب وتسيير الكواكب ؛ وله أصول صحيحة ، وقواعد سديدة ؛ وليس كذلك مايدّعونه من تأثيرات الكواكب فى الخير والشر والنفع والضّر ؛ ولو لم يكن فى الفرق بين الأمرين إلا الإصابة الدائمة المتصلة فى الكسوفات وما يجرى مجراها ، ولا يكاد يبين فيها خطأٌ البتة ، وأن الخطأَ المعهود الدائم هو فى الأحكام الباقية؛ حتى إن الصواب هو العزيز فيها ، ومايتفق لمله فيها من الإصابة قد يتفق من المخمّن أكثر منه . فحَمْل أحد الأمرين على الآخر بَهْت وقلة دين .

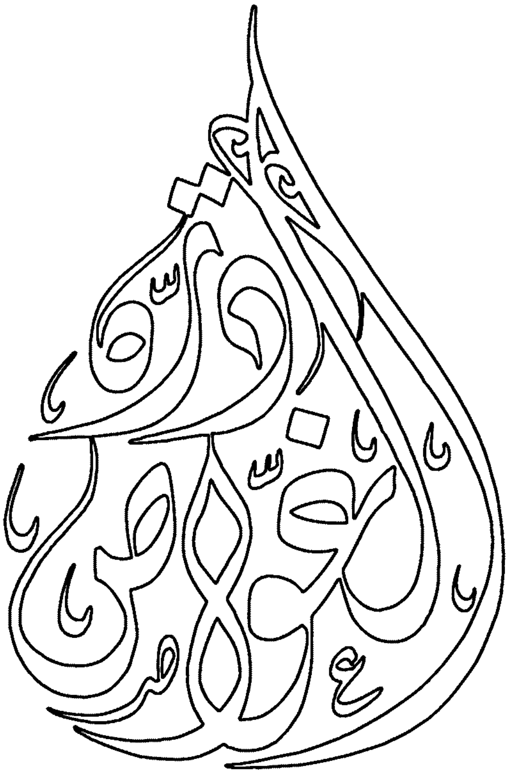

مَسْأَلَة
فى المنامات

ما القولُ فى المنامات ؟ أصحيحة هى أم باطلة ؟ ومِن فعل مَنْ هى ؟ ومِنْ أىِّ جنس هى ؟ وما وجهُ صحتها فى الأكثر ؟ وما وجهُ الإنزال عند رؤية المباشرة فى المنام ؟ وإن كان فيها صحيح وباطل ، فما السبيلُ إلى تمييز أحدها من الآخر ؟

الجواب ؛ اعلم أنَّ النائم غيرُ كامل العقل ؛ لأن النومَ ضربٌ من السهو ، والسهوُ ينفى العلومَ ، ولهذا يعتقد النائمُ الاعتقاداتِ الباطلةَ لنقصان عقله ، وفقد علومه . وجميعُ المنامات إنما هى اعتقادات يبتدئ بها النائم فى نفسه ، ولا يجوز أن تكونَ من فعل غيره فيه ؛ لأنَّ مَن عداه من المحدَثين ـ كانوا بشرا أو ملائكة أو جنّا ـ أجسام ، والجسم لايقدر أن يفعل فى غيره اعتقادا ابتداء ؛ بل ولا شيئا من الأجناس على هذا الوجه ؛ وإنما يفعل ذلك فى نفسه على سبيل الابتداء .

وإنما قلنا : إنه لايفعل فى غيره جنسَ الاعتقادات متولّدا لأنَّ الذى يُعدِّى الفعل من محلّ القدرة إلى غيرها من الأسباب إنما هو الاعتمادات ، وليس فى أجناس الاعتمادات مايولّد الاعتقادات؛ ولهذا لو اعتمد أحدنا على قَلْب غيره الدهرَ الطويل، ماتولد فيه شيء من الاعتقادات ؛ وقد بُيّن ذلك وشُرح فى مواضعَ كثيرة ، والقديم تعالى هو القادر على أن يفعلَ فى قلوبنا ابتداء من غير سبب أجناس الاعتقادات . ولا يجوز أن يفعل فى قلب النائم اعتقادا(1)؛ لأن أكثر اعتقادات النائم(1) جهل ، وتناول الشيء على خلاف ماهو به ؛ لأنه يعتقد أنه يرى ويمشى ، وأنه راكب ، وعلى صفات كثيرة ؛ وكلُّ ذلك على خلاف ماهو به ؛ وهو تعالى لايفعل الجهلَ ؛ فلم يبق إلا أن الاعتقادات كلَّها من جهة النائم .

وقد ذُكر فى المقالات أن المعروف بصالح قُبَة كان يذهب إلى أنَّ مايراه النائم فى منامه على الحقيقة ؛ وهذا جهل منه أيضا ؛ هو جهل السوفسطائية؛ لأن النائم يرى أن رأسه مقطوع

(1ـ1) ط : « لأن أكثر الاعتقادات للنائم » .

وأنه قد مات ، وأنه قد صعد إلى السماء ؛ ونحن نعلم ضرورةً خلاف ذلك كله ؛ وإذا جاز عند صالح هذا أن يعتقد اليقظانُ فى السراب أنه الماء ، وفى المُرْدى[1] إذا كان فى الماء أنه مكسور ؛ وهو على الحقيقة صحيح لضربٍ من الشبهة واللَّبس ؛ فألاَّ جاز ذلك فى المنام وهو من الكمال أبعَدُ، وإلى النقص أقرب !

وينبغى أن يقسم مايتخيل النائم أنه يراه إلى أقسام ثلاثة :

منها مايكون من غير سبب يقتضيه، ولاداعٍ يدعو إليه اعتقادا مبتَدأ .

ومنها مايكون من وَسْواس الشيطان ، يفعل فى داخل سمعه كلاماً خفيا يتضمن أشياء مخصوصة ؛ فيعتقد النائم إذا سمع ذلك الكلام أنه يَراه ؛ فقد نجد كثيرا من النُّيَّام يسمعون حديث مَنْ تحدَّث بالقرب منهم ، فيعتقدون أنهم يرون ذلك الحديث فى منامهم .

ومنها مايكون سببُه، والداعى إليه خاطرا يفعله الله تعالى ، أو يأمر بعضَ الملائكة بفعله. ومعنى هذا الخاطر أيضا أن يكون كلاما يُفعل فى داخل السمع، فيعتقد النائم أيضا أنه مايتضمّن ذلك الكلام . والمنامات الداعية إلى الخير والصلاح فى الدين يجب أن تكون إلى هذا الوجه مصروفة ؛ كماأن مايقتضى الشر منها الأَوْلى أن تكون إلى وسواس الشيطان مصروفة .

وقد يجوز على هذا فيما يراه النائم فى منامه ثم يصحّ ذلك حتى يراه فى يقظته على حدّ مايراه فى منامه ، وفى كل منام يصحُّ تأويله أن يكون سبب صحته أنَّ الله تعالى يفعل كلاماً فى سمعه لضربٍ من المصلحة بأنّ شيئاً يكون . وقد كان على بعض الصفات ، فيعتقد النائم أن الذى يسمعه هو يراه ؛ فإذا صحّ تأويله على ما يراه ؛ فما ذكرناه إن لم يكن مما يجوز أن تتفق فيه الصحةاتفاقا؛ فإن فى المنامات مايجوز أن يصح بالاتفاق، ومايضيق فيه مجال نسبته إلى الاتفاق؛ فهذا الذى ذكرناه يمكن أن يكون وجها فيه .

فإن قيل : أليس قد قال أبو علىّ الجبائىّ فى بعض كلامه فى المنامات : إن الطبائعَ لاتجوز أن تكون مؤثِّرة فيها ؛ لأن الطبائع لا تجوز على المذاهب الصحيحة أن تؤثر فى شىء ، وأنه غير ممتنع مع ذلك أن يكون بعضُ المآكل يكثر عندها المنامات بالعادة؛ كما أن فيها ما يكثر عنده بالعادة تخييل الإنسان ـ وهو مستيقظ ـ مالا أصل له.

(١) المردى : خشبة يدفع بها الملاح السفينة « المجداف » .

قلنا: قد قال ذلك أبو علي — وهو خطأ — لأن تأثيرات الأكل بمجرى العادة على المذاهب الصحيحة، إذا لم تكن مضافة إلى الطبائع؛ فهو من فعل الله تعالى؛ فكيف نُضيف التخيُّلَ الباطلَ والاعتقادَ الفاسدَ إلى فعل الله تعالى!

فأما المستيقظ الذي استُشهد به فالكلام فيه والكلام في النائم واحد، ولا يجوز أن نضيف التخيُّلَ الباطل إلى فعل الله تعالى في نائم ولا يقظان؛ فأما ما يُتخيَّل من الفاسد وهو غير نائم؛ فلابدَّ من أن يكون ناقص العقل في الحال، وفاقدا للتمييز بسهو؛ وما يجري مجراه، فيبتدئ اعتقاداً لا أصل له كما قلنا في النائم.

فإن قيل: فما قولكم في منامات الأنبياء عليهم السلام؟ وما السبب في صحتها؟ حتى عُدَّ ما يرونه في المنام، مضاهيا لما يسمعونه من الوحي!

قلنا: الأخبار الواردة بهذا الجنس غير مقطوع على صحتها؛ ولا هي مما توجب العلم؛ وقد يمكن أن يكون الله تعالى أعلمَ النبيَّ بوحي يسمعه من الملَك على الوجه الموجب للعلم: إني سأريك في منامك في وقت كذا ما يجب أن تعمل عليه، فيقطع على صحته من هذا الوجه؛ لا بمجرد رؤيته له في المنام؛ وعلى هذا الوجه يُحمل منام إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه؛ ولولا ما أشرنا إليه: كيف كان يقطع إبراهيم عليه السلام بأنه متعبَّد بذبح ولده!

فإن قيل: فما تأويل ما يروى عنه عليه السلام من قوله: «مَنْ رآني فقد رآني، فإن الشيطان لا يتخيل بي»، وقد علمنا أن المحق والمبطل والمؤمن والكافر قد يَرَوْن النبيَّ عليه السلام في النوم، ويخبر كلٌّ واحد منهم عنه بضدِّ ما يخبر به الآخر؛ فكيف يكون رائيا له في الحقيقة مع هذا!.

قلنا: هذا خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار الآحاد، ولا معوّل على مثل ذلك. على أنه يمكن مع تسليم صحته أن يكون المراد به: مَنْ رآني في اليقظة فقد رآني على الحقيقة؛ لأن الشيطان لا يتمثل بي لليقظان؛ فقد قيل: إن الشياطين ربما تمثلتْ بصورة البشر؛ وهذا التأويل أشبه بظاهر ألفاظ الخبر؛ لأنه قال: «من رآني فقد رآني»؛ فأثبت غيرَه رائيا له، ونفسه مرئيّة، وفي النوم لا رائيَ في الحقيقة ولا مرئيّ؛ وإنما ذلك في اليقظة. ولو حملناه على

النوم لكان تقدير الكلام: مَن اعتقد أنه يرانى فى منامه وإن كان غير راءٍ لى على الحقيقة فهو فى الحكم كأنه قد رآنى ؛ وهذا عدول عن ظاهر لفظ الخبر ، وتبديلٌ لصيغته ؛ وهذا الذى رتبناه فى المنامات وقسّمناه أسدّ تحقيقاً من كلّ شىء قيل فى أسباب المنامات، وماسُطر فى ذلك معروف غير محصّل ولا محقق .

فأما مايهذِى به الفلاسفةُ فى هذا الباب فهو مِمَّا يُضحك الثكلَى ؛ لأنهم ينسُبون ماصحّ من المنامات لماأعيتهم الحيل فى ذكر سببه إلى أن النّفس اطّلعَتْ على عالَمها، فأشرفت على ما يكون. وهذا الذى يذهبون إليه فى حقيقة النفس غير مفهوم ولا مضبوط ؛ فكيفَ إذا أضيف إليه الاطلاع على عالمها؟ وما هذا الاطلاع ؟ وإلى أى شىء يشيرون بعالم النفس ؟ ولم يجب أن تعرف الكائنات عند هذا الاطلاع ؟ وكل هــــذا زخرفة، ومخرقة ؛ وتهاويل لا يتحصل منها شىء .

وقول صالح قبَة ـمع أنه تجاهلٌ محض ـ أقربُ إلى أن يكون مفهوماً من قول الفلاسفة ؛ لأن صالحا ادَّعَى أن النائم يرى على الحقيقة ماليس براه، ولم يُشر إلى أمر غير معقول ولا مفهوم؛ بل ادَّعى ماليس بصحيح وإن كان مفهوماً؛ وهؤلاء عوّلوا على مالا يُفهم مع الاجتهاد ، ولا يعقل مع قوة التأمل والتدبُّر ؛ فالفرق بينهما واضح .

وأمّاسبب الإنزال فيجب أن يُبنى على تحقيق سبب الإنزال فى اليقظة مع الجماع، ليس هوما يَهذِى به أصحاب الطبائع ؛ لأنا قد بينا فى غير موضع أن قول أصحاب الطبع لا أصل له ، وأن الإحالة فيه على سراب لا يُتحصَّل . وأما سبب الماء فإن الله تعالى أجرى العادة بإخراج الماء من ظهر الرجل عند هذه الحركة المخصوصة ؛ وليس يمتنع أن يُجرى الله العادة؛ بأن يُخرج هذا الماء من الظهر عند اعتقاد النائم أنه يجامع؛ وإن كان هذا الاعتقاد باطلا .

مَسْأَلَة

سئل رضى الله عنه عن الخبر المنسوب إلى الصادق عليه السلام من أنه قال : «لقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بين سلْمان وأبى ذرّ، ولو اطّلع أبوذرّ على ما فى قلب سلْمان لقتله». وكيف يجوز أن يُؤاخِيَ النبيّ عليه السلام بين رجلين، يستحلّ أحدهما إذا اطّلع على ما فى قلب الآخر دمَه! وما القول فيمن تأوّل هذا القول وهو «قَتَله» على أن الهاء راجعة على ما فى قلبه، وأراد : لقتله عِلما ؟ وهل ذلك تأويل جائز أم لا ؟ وما القول أيضا فيمن تأوله على غير هـذا الوجه فقال : إنّ معنى قوله : «لقتله»؛ أى لـكدّ فـكره وخاطره كدًّا يجهده ، وأنه عبّر بالقتل هاهنا على سبيل المبالغة فى تعبيره عن شدة المبالغة والمشقة ؛ كما يقول القائل : قتلنى انتظار فلان ، ومتّ إلى أن رأيتك ، وإلى أن تخلّصت من الشدة التى كنت فيها عدة دفعات ؛ وهو يريد الإخبارَ عن شدة الـكُلْفة والمشقة والمبالغة فى وصفها .

الجواب ، وبالله التوفيق ؛ إنّ هذا الخبر إذا كان من أخبار الآحاد التى لا توجب علما ولا تُثْلج صدراً، وكان له ظاهر يُنافى المعلوم المقطوع به تأوّلْنا ظاهرَه على ما يطابق الحق ويوافقه إن كان ذلك سهلا ، وإلا فالواجب اطراحه وإبطاله. وإذا كان من المعلوم الذى لا يحيل سلامة سريرةِ كل واحد من سلْمان وأبى ذرّ، ونقاء صدرِ كل واحد منهما لصاحبه، وأنهما ما كانا من المدغلين فى الدين ، ولا المنافقين فلا يجوز مع هذا المعلوم أن يُعتقد أنّ الرسول عليه السلام يَشهد بأن كل واحد منهما لو اطلع على ما فى قلب صاحبه لقتله على سبيل الاستحلال لدَمه ، ويَعلم أنه إن كان قال ذاك فله تأويل غير هذا الظاهر الذى لا يليق بهما .

ومن أجود ما قيل فى تأويله أن الهاء فى قوله : «لقتله» راجعة إلى المطَّلِع لا إلى المطَّلَع عليه ؛ كأنه أراد: أنه إذا اطّلع على ما فى قلبه ، وعلِم موافقة باطنه لظاهره ، وشدة إخلاصه له اشتدضَنُّه ومحبته له، وتمسّكه بمودته ونُصرته، فقتله ذلك الضنّ والوُدّ، بمعنى أنه كاد يقتله ، كما يقولون : فلان يهوَى غيرَه، وتشتد محبته له حتى إنه قد قتله حبه وأتلف نفسَه، وماجرى

مجرى هذا من الألفاظ وتكون فائدة هذا الخبر حسنَ الثناء من النبي عليه السلام على الرجلين ، وأنه آخى بينهما وباطنهما كظاهرها ، وسرُّها فى النقاء والصفاء كعلانيتهما ؛ حتى لو أنَّ أحدهما اطّلع على ما فى قلب الآخر لأعجب به ، وكاد يقتله محبة له ، وضنّا به ؛ وهذا أشبه بمنزلة الرجلين فى نفوسهما وعند النبي عليه السلام ، وأليقُ بأن يكون مدحاً وتقريظا ؛ وذلك الوجهُ الآخر يقتضى غايةَ الذم ونهاية الوصف بالنفاق ، وسوء الدخيلة لأن مَنْ يُظهر جميلا — ولو اطُّلع على باطنه لاستُحلّ دمه — هو عين المنافق المداهن .

فأما تأويل هذه اللفظة وحملها على العلم فغير مرضىّ ، لأن المطلع على ما فى قلب غيره لا يكون إلا عالما بما اطّلع عليه . وأىّ معنًى للفظة «قتله» فى هذا الموضع ! وهل ذلك إلا تكرير ؛ ومما لا فائدة فيه !

فأما حمله على أنه كدَّ خاطره ، وقسّم فكره فكاد يقتله فممّا المسألة عنه قائمة . ولِمَ يكون مثل كل واحد من هذين الرجلين متى اطَّلع على قلب صاحبه كدَّ خاطره وأتعب قلبَه ، حتى كاد يقتله ، لولا أنه يطّلع على سوء ومكر ! وهذا هو النفاق الذى نزِّه الرجلين عنه ؛ ولا يليق بهما ، ولا بالنبي عليه السلام أن يصفهما به .

مَسْأَلة

الإجباء فى اللغة العربية هو أن يباع الزرع قبل أن يَبْدُوَ صلاحه ؛ يقال أجبى الرجل يُجبى إجباء إذا فعل ذلك ، فمعنى ما روى عنه عليه السلام : « مَن أجبَى فقد أربَى » أنَّ مَنْ باع الزرع قبل أن يبدوَ صلاحُه ـ وقد نهى عن ذلك وحُظِرَ عليه ـ يجرى مجرى مَنْ أربى؛ لأنه فاعل لمعصية محظورة عليه ؛ وإن لم يكن بيعَ مالم يبدُ صلاحه رباً فى الحقيقة ولا معناه؛
٥ غير أنه جارٍ مجراه فى الحظر والمعصية ، وجارٍ مجرى قول القائل : مَن زَنَى فقد سَرَقَ ؛ أى هو عاصٍ مخالف لله تعالى ؛ كما أن ذاك بهذه الحال .

مسألة

ما ورد فى القرآن من معاتبات الرسول عليه السلام مع عصمته وطهارته ، وكونه الحجة على الخلق أجمعين .

الجواب، أنه إذا ثبت بالدليل عصمةُ الأنبياء عليهم السلام فكلُّ ما ورد فى القرآن مماله ظاهر ينافى العصمة، ويقتضى وقوع الخطأ منهم؛ فلابدَّ من صرف الكلام عن ظاهره، وحمله على مايليق بأدلة العقول ؛ لأن الكلام يدخله الحقيقة والمجاز ، ويعدل المتكلم به عن ظاهره. وأدلة العقول لايصح فيها ذلك، ألا ترى أن القرآن قد ورد بما لايجوز على الله تعالى من الحركة والانتقال، كقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلاَئِكَةُ ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٠]، ولابد مع وضوح الأدلة على أن الله تعالى ليس بجسم ، واستحالة الانتقال عليه ، الذى لايجوز إلا على الأجسام من تأوُّل هذه الظواهر والعدول عما يقتضيه صريح ألفاظها؛ قَرُبَ التأويل أو بَعُد .

ولو جهلْنا العلم بالتأويل جملة لم يَضُرَّ ذلك مع التمسك بالأدلة ؛ وكان غاية مافيه ألاَّ نعلم قَصْدَ المتكلم بما أطلقه من كلامه ؛ ونعلم إذا كان حكيما أنَّ له غرضاً صحيحاً .

على أن ظواهر الآيات التى خوطب بها النبىّ عليه السلام مماظاهره كالعتاب؛ منها المقصود به أمته ، والخطاب متوجِّه إليه ؛ ولهذا روى عن ابن عباس أنه قال : نزلَ القرآن بإياكِ أعْنِى واسْمَعى ياجارة . ويشهد بذلك قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [الطلاق: ١] ؛ فخاطب النبىّ عليه السلام، والمراد بذلك جميع الأمة .

ومنها مايظن أنه عتاب وليس كذلك؛ بل هو تعليم وتأديب؛ ولا محالة أن تأديب النبىّ عليه السلام كان صادرا عن الله تعالى .

والمواعظ له ترادفتْ فى كل وقت؛ والشروع فى ذكر الآيات والتنبيه على المراد بها يطول ؛

غير أن جملة الكلام ما ذكرناه ؛ ونذكر بعض ذلك لنبيِّن أنَّ الكلام في الجميع على هذا المنهاج .

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ ؛ [الأحزاب: ٣٧]. وكقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ؛ [الأنفال: ٦٧] ؛ وكقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ ؛ [التحريم : ١] . وقوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ ؛ [التوبة : ٤٣] ؛ إلى مثال هذه الآي .

أما قوله تعالى : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ فالقصة فيه مشهورة ؛ وهي أنَّ العرب كانت تحرِّم على نفوسهم نكاحَ زوجة مَن استضافوه إلى نفوسهم بالبنوَّة وادَّعوْه ؛ كما يحرِّمون أزواج الأبناء في الحقيقة ؛ فلما أراد الله تعالى نسخَ ذلك لِما علم فيه من المصلحة، أعْلَم نبيّه قبل طلاق زيد بن حارثة ــ الذي كان النبيّ عليه السلام تبنّاه ــ زينب بنت جحش زوجته ، وأمره بتزويجها إذا فارقها ؛ فلما خاصم زيدٌ زوجتَه عازما على طلاقها، وعظه النبيُّ عليه السلام، وكفّه عن ذلك إشفاقا من شكوته عنه ؛ مع ماعزم عليه من نكاحها أن يُرجف عليه المنافقون ؛ ويُضيفوا إليه ماقد نزّهه الله تعالى منه عند إخفاء عزمه على تزويجها بعدفراق زيد لها ؛ لينتهي إلى أمر الله تعالى في ذلك ؛ يشهد بصحة ماذكرناه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧] .

فإن قيل : فالعتاب حاصلٌ ؛ لأنه كان ينبغي أن يُظهر ما أضمره ، ويخشى الله ولا يخشى الناس .

الجواب عن ذلك أنَّ إخبار الله تعالى أنه أخفى ما الله مُبْديه هو خبرٌ محض ؛ لايتعلّق به ذم .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ ، فالشبهةُ به أيضا ضعيفة ؛

لأنه خبّر أنه خَشِيَ الناس ، والله أحقُّ بالخشية ، ولم يخبر أنه لم يفعل الأحقّ وعدل إلى الأدون ؛ فمن أين حصولُ العتاب مع الذى بيّنّاه !

على أن غايةَ الاقتراح فى هـذا أنّه عليه السلام فعل ماغيرُهُ أولى منه ؛ وليس يـكون بترك الأوْلى عاصيا ؛ وإنما يكون تاركاً للأفضل. والوجهُ فى تركه العذْرُ الذى بينا.

وأما قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ فالعتاب فى الحقيقة متوجِّه إلى سواه ؛ لأنَّ الله تعالى قد صرّح بذلك فى تمام الآية بقوله : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ ، وقـوله : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٨]. والقصة فى هذه الآية أيضا مشهورة ؛ وإنما أضاف الأسْرَى إلى نبيه عليه السلام بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾، وإن كان المراد بالخطاب مَن أسَرَ ؛ لأنهم أسَرُوهُمْ، ليكونوا فى يده عليه السلام ؛ فهم فى الحقيقة أسراؤه ومُضافون إليه ؛ وإن لم يأمُرْهُ بأسرهم.

فأما قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ ﴾ إذا تُؤُمّل فى الحقيقة لم يكن فيه عتاب ؛ وإنما هو توجّع له عليه السلام ؛ يدلُّ على ذلك أن تحريم الرجل زوجته أو طلاقه إياها، أو اعتزاله بعض إمائه ليس بقبيح ؛ بل هو مباحٌ، وماهو بهذه الصفة لايستحق الفاعل له عتابا ؛ فلما فعل النبيّ عليه السلام ذلك لمرضاة بعض أزواجه، وأدخل المشقة على نفسه بفعله قال الله تعالى له: لم فعلت ذاك؟ وألاَّ أمسكتها على ما كنت عليه ؟ ولم تبتغى مرضاة أزواجك بإدخال المشقة على نفسك ؟

هذا هو الظاهر ؛ وإذا نُزِل على اقتراح الخصم فى هذه الآية كان النبيّ عليه السلام قد عَدَل عن الأولى ؛ فـكان الإمساكُ وتركُ التحريم أفضلَ ، وله أن يحرِّم.

ويجرى قوله تعالى له ما قال مَجْرى قول الواحد منّا لغيره : لم تركتَ صلاة الليل ؟ ولم

تترك صيام ثلاثة أيام فى كل شهر ؟ وإن كان بترْك ذلك لم يفعل قبيحا ؛ بل أخلّ بمندوب إليه ، وما غيرُه أولى .

فأما قوله تعالى : ﴿ عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ فليس يقتضى معصيةً ؛ وذاك أن المقصدِ فى الغالب بمثل هذا الخطاب التعظيمُ للمخاطب واستيضاحُ ماعنده فيما فعله ؛ ألا ترى أن الواحدَ منّا يقول لغيره : لِمَ كان كذا وكذا ، رحمك الله وغفر لك ! وهو لايقصِد إلاّ الملاطفة له ، وحسن المحاورة ؛ ولا يقصد الاستصفاحَ له عن زلة ؛ وإنما الغرضُ الإجمال فى الخطاب . وقد صار ذلك عُرْفاً بين الناس ؛ والمقصِد به التوقير والإجلال .

فأمّا قوله : ﴿ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ فليس يجب حملُه على العتاب ؛ لأن هـذه اللفظة ليست موضوعة لذلك خاصة ؛ بل قد تُطلق ويراد بهـا الاستفهام ، وتارة يراد بها التقرير ، وتارة العتاب ؛ وهى محتمِلة لجميع المذكور فلِمَ نحمِلُها فى حق النبىّ عليه السلام على العتاب دون بقية الأقسام ! وغاية مافى ذلك حَمْلُه على ترك الأولى حسَب ماتقدم فى الآيات . واستقصاءُ ذلك وذِكْر مافى الآيات يطولُ ؛ ويكفى فى التنبيه على الآىِ الباقية ماذكرناه .

مَسْأَلَة

رسمت الحضرة العالية الوزيرية العميدية ـ حرس الله سلطانها ـ ذِكْر ماعندى فى تأويل قوله تعالى فى سورة التغابن : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ ؛ [التغابن : ٩].

ولفظة التَّغَابُن هاهنا مشتقة من الغَبْن؛ الذى يكون فى البَيْع والتجارة وماأشبه ذلك، وهو النقصان والخسران؛ لأنَّ المغبونَ هو الذى زاد غابنهُ عليه ورجَحَ؛ ولما كان يومُ القيامة يبين[1] فيه مستحِق الثواب ودخول الجنة والتعظيم فيها مِن مستحِق العقاب ودخول النار صار مستحِقُ[2] الثواب ودخول الجنان كأنه غابن لمستحق العقاب ودخول النار ؛ لأنهما جميعا عُرِّضا بالتكليف لاستحقاق الثواب، فَفَعَلَ أحدهما مااستحق به ذلك، وقصر الآخر عن هذه الغاية؛ وعَدَل إلى فعل مااستحق به العقاب ؛ وجريا مجرى متبايعيْن؛ فازَ أحدُهما بما هو أجدى عليه وأنفع وأصلح ؛ واختص الآخر بما هو ضارٌّ هو له ووبال عليه ؛ فيسمى الفائز بالخير والصلاح غابنا والآخر مَغْبونا .

وتسميةُ يوم القيامة بأنه يومُ التغابن من أفصح كلام وأخصره وأبلغه. والله الموفق للصواب .

☆☆☆

هذا آخر ماوُجد مما اختاره رضى الله عنه لإضافته إلى كتابه المعروف بغرر الفوائد ودرر القلائد . والحمد لله رب العالمين، والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطاهرين .

---

(١) حاشية ف (من نسخة) : « يتبين » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « من يستحق ».

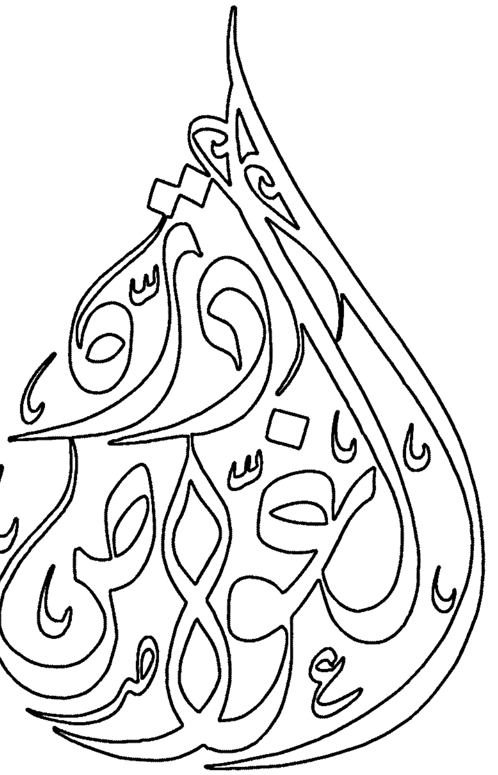

مكتبة الدكتور مروان العطية

فهرس الموضوعات

المجلس التاسع والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ... ﴾ ؛ [المائدة : ٦٤]. ٣ ـ ٥
تأويل الحديث : « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ... ». ٥ ـ ٩
قصة للأصمعىّ مع الرشيد . ٩ ـ ١٣

المجلس الخمسون

تأويل قوله تعالى : ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهم من الظُّلُمَاتِ إلى النُّور ﴾ ؛ [البقرة : ٢٥٧] . ١٤ ـ ١٥
قصة للشعبىّ والأخطل فى مجلس عبد الملك بن مروان؛ وما روى فى هذا المجلس من الشّعر . ١٥ ـ ١٩
قصيدة أعشى باهلة فى رثاء المنتشر بن وهب الباهلىّ . ١٩ ـ ٢٤
خبر للأخطل عند معاوية ومدحه له ببيتين من الشعر . ٢٤ ـ ٢٥
موازنة بين بيت للأخطل وبيتين آخرين فى الهجاء . ٢٥

المجلس الحادى والخمسون

تأويل قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بعــد إِذْ هَدَيْتَنَا ... ﴾ [آل عمران : ٨] . ٢٦ ـ ٢٨
ذكر أبيات للراعى فى وصف الأثافىّ والرماد وشرح ما فيها من الغريب . ٢٨ ـ ٣١
إيراد أقوال أخرى للشعراء تدور حول المعانى التى أوردها الراعى، وشرح مافيها من الغريب . ٣١ ـ ٣٥

المجلس الثانى والخمسون

تأويل قوله تعالى : ﴿ إنَّ الله يأمركُمْ أنْ تذبَحُوا بقرة ... ﴾ ؛ [البقرة : ٦٧ ـ ٧١] . ٣٦ ـ ٤٠

ذكر أبيات للمتنبي والبحترىّ سبقهما لمعناها بعض الشعراء . ٤٠ ـ ٤١

موازنة بين قول البحترىّ وغيره من الشعراء فى وصف صُفْرة اللون عند العلل . ٤٢ ـ ٤٣

موازنة أخرى بين مدائح البحترى وعُمارة بن عقيل ومروان بن أبى حفصة ٤٣ ـ ٤٤

رأى الجاحظ فى أنسب الشعراء . ٤٤

خبر للمبرد مع البحترى وتعظيمه له. ٤٥

المجلس الثالث والخمسون

تأويل قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ بسطتَ إلىّ يدَكَ لِتقْتُلَنى ما أنا بباسطٍ يدِىَ إليكَ لأقتُلكَ ... ﴾ ؛ [المائدة : ٢٨، ٢٩] . ٤٦ ـ ٥٠

تأويل الحديث : « لا يموتُ لمؤمنٍ ثلاثةٌ من الأولاد فتمسّه النار إلا تحلّة القَسَم » . ٥٠ ـ ٥٣

المجلس الرابع والخمسون

تأويل قوله تعالى : ﴿ ثمَّ قَسَتْ قلوبُكُمْ مِنْ بعد ذلكَ فَهِى كالحجارة أو أشدُّ قسْوةً ﴾ ؛ [البقرة : ٧٤] . ٥٤ ـ ٦٠

مختارات من شعر الأحوص بن محمد الأنصارىّ . ٦٠ ـ ٦١

ذكر أقاويل الشعراء المختارة فى وصف المضاجعة . ٦٢ ـ ٦٤

قصة الأحوص مع الوليد بن عبد الملك حين نفاه إلى دَهْلَك . ٦٤ ـ ٦٦

عوْد إلى المختار من شعر الأحوص . ٦٦ ـ ٦٧

المجلس الخامس والخمسون

تأويل قوله تعالى: ﴿ وعلّم آدمَ الأسماءَ كلَّها ثمَّ عرَضَهُمْ على الملائكةِ ...﴾ [البقرة : ٣١] . ٦٨ ـ ٧٦

ذكر أبيات لحسان بن ثابت وتفسيرها . ٧٦ ـ ٧٨

المجلس السادس والخمسون

تأويل قوله تعالى: ﴿ واسْأَلْ مَنْ قَدْ أرسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ من رُسُلِنا أجَعلْنا من دونِ الرَّحمنِ آلهةً يُعْبدُون ﴾؛ [الزخرف : ٤٥] ٧٩ ـ ٨١

تأويل الحديث : « كل مولودٍ يولَد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانِهِ أو ينصّرانه » ٨٢ ـ ٨٦

المجلس السابع والخمسون

تأويل قوله تعالى: ﴿ وأمّا الذينَ شَقُوا فى النّار لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ ﴾ ؛ [هود : ١٠٦-١٠٨] ٨٧ ـ ٩١

مناقشة المؤلف فيما عابه الآمدىّ على البحترى فىّ قوله :

كالبدر إلاّ أنها لا تُجْتلَى والشَّمسِ إلا أنها لا تغرُبُ ٩١ ـ ٩٣

مناقشة أخرى فيما عابه عليه أيضا فى قوله :

ذَنَبٌ كماسُحِبَ الرداءيذبُّ عن عُرُفٍ وعرف كالقناع المسبَلِ ٩٤ ـ ٩٧

المجلس الثامن والخمسون

تأويل قوله تعالى : ﴿ أَسمِعْ بهمْ وأبصِرْ يومَ يأتوننَا لكِنِ الظَّالمون اليَوْمَ فى ضلالٍ مبينٍ ﴾؛ [مريم: ٣٨] . ٩٨ ـ ١٠١

رأى المؤلف فى أنه يمكن الجمع بين الارتجال فى القول و بين الإتيان بالكلام المستحسَن واللفظ المستعذب . ١٠١ ـ ١٠٢

خبر خالد بن عبد الله القسرىّ حين صعِد المنبر وأرتج عليه. ١٠٢ ـ ١٠٣
خبر أبى العباس السفاح حين صعد المنبر وأرتج عليه. ١٠٣
خبر عثمان بن عفان حين صعد المنبر وأرتج عليه. ١٠٣
خبر أحد الولاة حين صعد المنبر وأنشد الناس الشعر؛ وعزل يزيد إياه حين بلغه أمره. ١٠٤
خبر ثابت قطنة حين حَصِر فوق المنبر وهجاء حاجب الفيل له . ١٠٥
خبر الرشيد حين حَصِر من فوق المنبر وتخلصه من الخطابة بتلاوة آية من القرآن . ١٠٥
قصة عبد الله بن سوّار وسقوط الذباب على وجهه . ١٠٥ ـ ١٠٧

المجلس التاسع والخمسون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وإِذْ نجيناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يسومونكُمْ سوء العذاب يذَبحونَ أبناءكُمْ ... ﴾ [البقرة : ٤٩] . ١٠٨ ـ ١١٠
محاسن أقوال الشعراء فى الكرم وتعوّد الضيافة والأنس بها . ١١٠ ـ ١١٩

المجلس الستون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقُولَنَّ لشىء إنى فاعلٌ ذلك غداً. إلاَّ أن يشاء اللهُ . ﴾ ؛ [الكهف : ٢٣ ، ٢٤] . ١٢٠ ـ ١٢٤
التشبيه فى اللغة وغاية ماورد فيه . ١٢٤
شواهد تشبيه الواحد بالواحد . ١٢٤ ـ ١٢٥
شواهد تشبيه شيئين بشيئين . ١٢٥ ـ ١٢٨
شواهد تشبيه ثلاثة بثلاثة . ١٢٨ ـ ١٢٩
شواهد تشبيه أربعة بأربعة ١٢٩ ـ ١٣٠

شواهد تشبيه خمسة بخمسة . ١٣٠

شواهد تشبيه ستة بستة . ١٣٠

المجلس الحادى والستون

تأويل قوله تعالى : ﴿ ربَّنَا لا تُؤَاخِذْنا إنْ نسينا أو أخطأنا ﴾ ؛ [البقرة : ٢٨٦] . ١٣١ ـ ١٣٢

ذكر أبيات من ضادية بشار وشرح مافيها من الغريب . ١٣٣ ـ ١٣٤

ذكر أبيات ضادية لأبى تمام . ١٣٤ ـ ١٣٥

ذكر أبيات ضادية للبحترى . ١٣٥ ـ ١٣٧

مقطوعات مختارة من شعر بشار . ١٣٧ ـ ١٣٨

أبيات أخرى مختارة من شعر بشار صفة الغناء والمغنيات وشرح ماورد فيها من المعانى ، وموازنتها بغيرها من معانى الشعراء . ١٣٨ ـ ١٤٣

المجلس الثانى والستون

تأويل قوله تعالى : ﴿ اللهُ يستهزئُ بهم ويمدّهمْ فى طغيانهم يعمهون ﴾ ؛ [البقرة : ١٥] . ١٤٤ ـ ١٥٠

ذكر طائفة من أقوال الشعراء فى الأوطان والحنين إليها . ١٥٠ ـ ١٥٣

المجلس الثالث والستون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَقُلنا اهبِطُوا بعضُكمْ لبَعْضٍ عَدُوٌّ ولَكُمْ فى الأرضِ مستقرٌّ ومتاعٌ إلى حينٍ ﴾ ؛[البقرة :٣٦] . ١٥٤ ـ ١٥٧

طائفة من أقاويل الشعراء فى مدح الكرم والكرماء . ١٥٨ ـ ١٦٢

المجلس الرابع والستون

تأويل قوله تعالى : ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً ﴾ ؛ [الإسراء: ٤٨] .
وقوله : ﴿ إنك لن تستطيع معى صبراً ﴾ ؛ [الكهف : ٦٧] .
وقوله: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾؛ [هود: ٢٠] ١٦٣ ـ ١٦٧
تأويل قوله عليه السلام لمعاوية بن الحكم : « أعتقها فإنها مؤمنة » حينما أخبره بضربه جارية له لما ذهب الذئب بشاة من غنمه . ١٦٧ ـ ١٦٩

المجلس الخامس والستون

تأويل قوله تعالى: ﴿ حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور ... ﴾؛ [هود: ٤٠] ١٧٠ ـ ١٧٢
تأويل قول على بن أبى طالب : « رأيت النبى صلى الله عليه وآله فى المنام وأنا أشكو إليه مالقيتُ من الأوَد واللدد » . ١٧٢ ـ ١٧٤
محاسن أقوال الشعراء فى وصف الثغر وتأويل ما ورد فيها من المعانى ١٧٤ ـ ١٧٩

المجلس السادس والستون

تأويل قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ... ﴾؛[المائدة: ٦٠] . ١٨٠ ـ ١٨٤
ذكر مقطوعة رواها ثعلب عن ابن الأعرابى فى التمدح بالكرامة والعفة وشرح مافيها من الغريب وتفسير مااشتملت عليه من المعانى. ١٨٤ ـ ١٨٧

المجلس السابع والستون

تأويل قوله تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ... ﴾ ؛ [البقرة: ٢٢] . ١٨٧ ـ ١٨٩
أبيات امرئ القيس فى الصيد والطرد وتأويل مافيها من الغريب ؛ وشرح ما اشتملت عليه من المعانى . ١٨٩ ـ ١٩٥

المجلس الثامن والستون

تأويل قوله تعالى : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ... ﴾؛ [مريم:٢٨،٢٩] . ١٩٦ـ ١٩٩

تأويل الحديث : « لاعدْوى ولا هامةَ ولا طِيَرة » .

والحديث : « لايوردنَّ ذو عاهة على مُصِحّ » .

والحديث : « فرّ من المجذوم فرارك من الأسد » .

والحديث : « الشؤم فى المرأة والدار والدابّة » . ٢٠٠ـ ٢٠٤

المجلس التاسع والستون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ... ﴾ [الشورى:٥١] ٢٠٥ـ ٢٠٧

طائفة من محاسن أقوال الشعراء فى وصف الذئب ٢٠٧ـ ٢١٤

المجلس السبعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جاءَ مُوسى لميقاتنا وكلّمه ربُّه قال ربّ أرنى أنظرْ إِلَيْكَ ... ﴾؛ [الأعراف : ١٤٣] . ٢١٥ ـ ٢٢٢

ذكر أبيات لأبى العيص بن حرام المازنىّ وتأويل ما ورد فيها من الغريب . ٢٢٢

المجلس الحادى والسبعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وإِذْ قتلتُمْ نفْساً فادّارأْتم فيها واللهُ مُخْرِجٌ ما كنتُمْ تكتمُونَ ... ﴾؛ [البقرة : ٧٢ ، ٧٣] . ٢٢٣ ـ ٢٢٥

مرثية نهشل بن حرّىّ فى أخيه مالك ، وشرح بعض ما ورد فيها من الغريب . ٢٢٥ ـ ٢٢٨

طائفة من أقوال الشعراء فى الزهد والدنيا . ٢٢٨ ـ ٢٣٠

المجلس الثانى والسبعون

تأويل قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ وجَعَلَ مِنْها زوجَها ليَسْكُنَ إليها... ﴾؛ [الأعراف : ١٨٩ ، ١٩٠] . ٢٣١ ـ ٢٣٥

المجلس الثالث والسبعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ قالَ أتعبُدُونَ ما تنحِتونَ . واللهُ خلَقكم وما تعملونَ ﴾ ؛ [الصافات: ٩٥، ٩٦] . ٢٣٦ ـ ٢٤٠

ذكر أبيات لبعض نساء بنى أسد ٢٤٠ ـ ٢٤١

ذكر أبيات لولادة المهزمية . ٢٤١

ذكر أبيات لضاحية الهلالية . ٢٤٢

قصيدة عمرة بنت العجلان فى رثاء أخيها عمرو وتفسير بعض مافيها من الغريب . ٢٤٣ ـ ٢٤٥

المجلس الرابع والسبعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَنْفَعكُم نُصْحِى إنْ أردتُ أنْ أنْصَحَ لكُم... ﴾ ؛ [هود : ٣٤] . ٢٤٦ ـ ٢٤٧

المختار من قصيدة أبى تمام فى مدح المعتصم وذكر مقتل الأفشين وحرقه وصلبه . ٢٤٧ ـ ٢٤٨

ذكر أبيات أخرى لأبى تمام فى صلب بابك ٢٤٩

أبيات إبراهيم بن المهدى فى صلب بابك ورأى المؤلف فيها ٢٤٩ ـ ٢٥٠

المختار من قصيدة البحترىّ فى مدح أبى سعيد . ٢٥٠ ـ ٢٥١

المجلس الخامس والسبعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رمضَانَ الذى أنزل فيه القرآن هدًى للناس... ﴾ ؛ [البقرة : ١٨٥] . ٢٥٢ ـ ٢٥٤

مناقشة المؤلف فيما عابه أبو العباس بن عمّار على أبى تمام فى قوله :

لما استحرّ الوداعُ المحض وانصرمَتْ أواخرُ الصَّبْر إلا كاظِماً وَجِما

وانتصاره له . ٢٥٤ ـ ٢٥٧

المجلس السادس والسبعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وإذْ آتيْنا مُوسَى الكِتابَ والفرقانَ لَعلَّكُم تَهتدُون ﴾ ؛ [البقرة : ٥٣] . ٢٥٨ ـ ٢٦١
خبر خالد بن صفوان الأهتمىّ وهشام بن عبد الملك حينما تذاكرا أمر خالد بن عبد الله القسرىّ . ٢٦١ ـ ٢٦٢
من قول خالد بن صفوان فى المرأة . ٢٦٢
طائفة أخرى من مأثور كلام خالد بن صفوان . ٢٦٢ ـ ٢٦٣

المجلس السابع والسبعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ إنَّه ليحزُنكَ الذى يقولون فإنهم لا يُكذِّبونَك وَلكِنَّ الظَّالمين بآيات الله يجحدون ﴾ [الأنعام : ٣٣] . ٢٦٤ ـ ٢٦٨
أبيات فائية جيدة لمطرود بن كعب الخزاعىّ وتأويل بعض مافيها من الغريب . ٢٦٨ ـ ٢٦٩
أبيات أخرى على وزنها وقافيتها لأحمد بن يوسف يمزح بها مع ولد سعيد ابن سلْم الباهلىّ ٢٦٩ ـ ٢٧٠
أبيات مختارة لدعبل بن علىّ الخزاعىّ . ٢٧٠

المجلس الثامن والسبعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لم تَكُنْ فتنتهمْ إلاَّ أن قالوا والله ربِّنا ما كنَّا مشركِين... ﴾؛ [الأنعام: ٢٣، ٢٤] . ٢٧١ ـ ٢٧٣
خبر وفود منصور النمرىّ على الرشيد وماذكر فى ذلك من الشعر . ٢٧٣ ـ ٢٧٥
وشاية العتابى عند الرشيد فى منصور النمرىّ . ٢٧٦
وفود أهل ديار ربيعة على الرشيد وفيهم منصور النمرىّ ؛ ثم إنشاده قصيدته العينية فى مدح الرشيد . ٢٧٦ ـ ٢٧٨

المجلس التاسع والسبعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وإذَا الموءودَةُ سئلتْ . بأَى ذنب قُتلتْ ﴾ [التكوير : ٨، ٩] . ٢٧٩ ـ ٢٨٢

صعصعة بن ناجية وما قاله الفرزدق من الشعر افتخارا به . ٢٨٢ ـ ٢٨٤

ذكر وفود صعصعة بن ناجية على الرسول عليه السلام وما أوصاه به . ٢٨٤

تأويل خبر نهى رسول الله عليه السلام عن أن يصلى الرجل وهو زناء . ٢٨٥ ـ ٢٨٦

المجلس الثمانون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وهديناهُ النجدينْ ... ﴾ [البلد : ١٠، ٢٠] . ٢٨٧ ـ ٢٩١

أبيات لطائفة من الشعراء فى طريف المدح ومليحه . ٢٩١ ـ ٢٩٢

* * *

التكملة

رأى المتكلمين فى تقسيم أحوال الفعل ومخالفتهم للنحويين فى ذلك . ٢٩٥ ـ ٢٩٨

معنى لفظة «من» وتكرارها من قوله تعالى: ﴿ وما تتلُو منه من قرآن ﴾ . ٢٩٩

معنى لفظة « كان » التى ترد فى كونه تعالى عالما فى مواضع كثيرة من القرآن . ٣٠٠ ـ ٣٠٢

تأويل قوله تعالى : « ألم تر أن اللهَ يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ... ﴾ [النور: ٤٣، ٤٤] . ٣٠٣ ـ ٣٠٨

ذكر عادة العرب فى الإيجاز والاختصار والحذف وإيراد شواهد لذلك من القرآن . ٣٠٩ ـ ٣١٤

تأويل قوله عليه السلام : « نية المرء خير من عمله » . ٣١٥ ـ ٣١٨

مسألة فى قولهم : اسم الله تعالى الأعظم وماخصّ به من الفضيلة . ٣١٩
تأويل قوله تعالى : ﴿ لِتُنْذِرَ به قوماً ما أُنذِرَ آباؤهم فَهُمْ غافِلُونَ ﴾ [يس : ٦] . ٣٢٠ ـ ٣٢٤
الاعتراض على من استدل بدليل السحارة على أن العالم مَلاء ، وما أبطل به ذلك . ٥٢٣ ـ ٣٢٧
الفرق بين الألثغ والأليغ . ٣٢٨
تأويل الحديث : «أعلمكم بنفسه أعلمكم بربّه» . ٣٢٩
تأويل قوله تعالى : ﴿ ومِنْ آياته خَلْقُ السَّموات والأرض واختلافُ أَلْسِنَتِكُم وألوانِكُمْ ﴾ ؛ [الروم : ٢٢] . ٣٣٠
مسألة فى الأفعال الظاهرة فى العباد ؛ من قيام وقعود وأكل وشرب وتعلقها بالبشر ، ورأى المؤلف فى ذلك . ٣٣١ ـ ٣٣٢
تفضيل الأنبياء على الملائكة . ٣٣٣ ـ ٣٣٩
تفسير بيت السيد الحميرىّ من قصيدته المذهبة :
رُدَّتْ عليه الشَّمس لمـا فاتَهُ وقتُ الصَّلاة وقددنَتْ للمغربِ ٣٤٠ ـ ٣٤٢
تفسير بيت السيد الحميرى من هذه القصيدة أيضا :
وعليْهِ قد حُبسَتْ ببابلَ مرةً أخرى ، وما حُبسَتْ لخلْق مُعْربِ ٣٤٣
مسألة فى الكلام على إحداث شىء من غيره . ٣٤٤ ـ ٣٤٦
عصمة الأنبياء عليهم السلام . ٣٤٧ ـ ٣٤٨
الكلام فى الأخبار الواردة عن مدح أجناس من الطير والبهائم والمأكولات والأرضين وذمّ أجناس منها . ٣٤٩ ـ ٣٥٣
تأويل قوله تعالى : ﴿ قُلْ تعالوا أتْلُ ماحرّم ربُّكُمْ عليكُمْ ... ﴾ ؛ [المائدة : ١٥١] ٣٥٤ ـ ٣٥٧
تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَعْجَلْ بالقرآنِ من قَبْلِ أنْ يُقْضَى إليك وحيه ... ﴾ [طه : ١١٤] . ٣٥٨ ـ ٢٦١
تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أورثْنَا الكتابَ الَّذِين اصطفينا .. ﴾ ؛ [فاطر : ٣٢] ٣٦٢ ـ ٣٦٥

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلاَ يملِكُ الذينَ يدعونَ من دونِهِ الشفاعة إلاَّ مَنْ شهِد بالحقّ وهُمْ يعلمون ﴾ ؛ [الزخرف : ٨٦] . ٣٦٦ ـ ٣٦٩

مسألة فى الاستثناء . ٣٧٠

تأويل قوله تعالى : ﴿ ياقومِ إنَّكُمْ ظلمتُمْ أَنْفُسَكُمْ باتِّخاذكم العجْل ... ﴾ ؛ [البقرة : ٥٤] . ٣٧١ ـ ٣٧٣

تأويل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ... ﴾ ؛ [المائدة : ٩٣] ٣٧٤

تأويل قوله تعالى : ﴿ أنَّى يكونُ لِي غُلاَمٌ وقدْ بلَغنىَ الكِبرُ وامرأتى عاقرٌ ﴾ [آل عمران : ٤٠] . ٣٧٩

تأويل قوله تعالى : ﴿ وإذْ نجينا كم مِنْ آل فرعَوْن يسومونَكُمْ سوء العذاب ... ﴾ ؛ [البقرة : ٤٩] . ٣٨٠

تأويل قوله تعالى : ﴿ ماأدرى مايفْعل بى ولا بِكمْ ... ﴾ ؛ [الأحقاف : ٩] ٣٨١

تأويل قوله تعالى : ﴿ فإنْ كنت فى شكٍّ مِمَّا أنزَلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ... ﴾ ؛ [يونس : ٩٤] . ٣٨٢ ـ ٣٨٣

القول فيما يخبر به المنجمون من وقوع حوادث يضيفونها إلى تأثيرات النجوم ، وردّ المؤلف عليهم فى ذلك . ٣٨٤ ـ ٣٩١

القول فى المنامات . ٣٩٢ ـ ٣٩٥

خبر مؤاخاة النبي عليه السلام بين سلمان الفارسى وأبى ذرّ وما قيل فى ذلك . ٣٩٦ ـ ٣٩٧

تفسير معنى « الإجباء » فى اللغة . ٣٩٨

تأويل ماورد فى القرآن من معاتبات الرسول عليه السلام مع عصمته وطهارته وكونه الحجة على الخلق أجمعين . ٣٩٩ ـ ٤٠٢

تأويل قوله تعالى : ﴿ ذلك يوم التغابن ﴾ ؛ [التغابن : ٩] . ٤٠٣

مكتبة
الدكتور مروان العطية

الفهارس العامة

درة الغواص

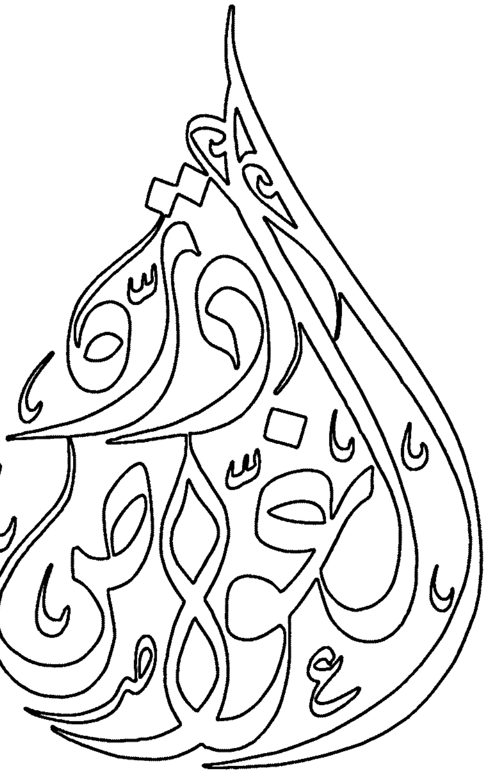

١ ـ فهرس الآيات القرآنية*

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
	٢ ـ سورة البقرة	
١٥	اللهُ يستهزئُ بهمْ ويَمُدُّهُمْ فى طغيانِهِمْ يَعمهونَ .	١ : ٣٢٧ / ٢ : ١٤٤☆
١٨	صمٌّ بكمٌ عميٌ .	١ : ٤٠ ، ٣١٧ / ٢ : ٩٩
١٩	أو كَصيِّبٍ من السماءِ .	٢ : ٥٤
٢٢	الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً ...	٢ : ١٨٧☆
٣٠	إنّى جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً ...	٢ : ٦٩
٣١	وعلَّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة ...	٢ : ٦٨☆
٣٣	ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السمواتِ والأرض ...	٢ : ٧٠
٣٥	وقلنا يا آدمُ اسكُنْ أنت وزوجُك الجنة ...	٢ : ١٥٤
٣٦	فأزلهما الشيطان ...	٢ : ١٥٤
٣٦	وقُلْنا اهبطوا بعضُكم لبعضٍ عدوٌ ...	٢ : ١٥٤☆
٤١	ولا تكونُوا أوّلَ كافرٍ به ...	١ : ٢٢٨☆
٤١	ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا .	١ : ٣١٤ / ٢ : ٣٣٨
٤٤	أتأمرون الناسَ بالبرّ وتنسوْن أنفسَكم .	٢ : ١٣١
٤٧	يا بنى إسرائيلَ اذكروا نِعْمَتِيَ التى أنعمت عليكم ...	٢ : ١٠٨
٤٩	وإذْ نَجّيْناكُمْ من آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومونَكُمْ سوءَ العذاب ...	٢ : ١٠٨☆

* الأرقام التى بجانبها نجم هى أرقام صحف الآيات التى شرحها المؤلف ، وماعدا ذلك فهوأرقام صحف الآيات التى ذكرها على طريق الاستدلال .

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٥٣	وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون.	٢ : ٢٥٨☆، ٣٧٥
٥٤	يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل...	٢ : ٣٧١☆
٥٥	وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ...	٢ : ٢١٦
٦١	اهبطوا مصراً فإن لكم ماسألتم .	٢ : ١٥٦
٦٧	وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ...	٢ : ٤
٦٧	إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ...	٢ : ٣٦☆
٦٨	قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى قال إنه يقول ...	٢ : ٣٦☆
٦٩	قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ...	٢ : ٣٦☆
٧٠	قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى إن البقر تشابه علينا ...	٢ : ٣٦☆
٧١	قال إنه لقول إنها بقرة لا ذلول ...	٢ : ٣٦☆
٧١	فذبحوها وما كادوا يفعلون .	١ : ٣٣١
٧٢	وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها ...	٢ : ٢٢٣☆
٧٣	فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ..	٢ : ٢٢٣☆
٧٤	ثمَّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة ...	٢ : ٥٤☆
٨٨	فقليلاً ما يؤمنون .	٢ : ١١١
٩٣	وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم .	١ : ٢٠٢، ٦١٥ / ٢ : ٤٨
١٠٢	واتّبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ...	١ : ٣٥٢، ٤١٧☆
١٠٢	وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله .	١ : ٢١
١١٥	فأينما تولوا فثمَّ وجه الله .	١ : ٥٩٣
١٢٠	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم .	١ : ٣٠١
١٢٧	وإذ يرفع ابراهيم القواعد ...	٢ : ٢٨١

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٢٨	ربَّنا واجعلْنا مسلمَيْن لك ومن ذرّيتنا ...	٢ : ١٥٤
١٣٥	وقالوا كونُوا هوداً أو نصارَى تَهْتَدُوا .	٢ : ٥٥
١٤٦	وإنَّ فريقاً منهمْ لَيكْتُمونَ الحقَّ وهمْ يعلمونَ .	٢ : ٢٦٤
١٥١	الكتاب والحكمة .	٢ : ٢٥٨
١٧١	ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعِق ...	١ : ٢١٥☆
١٧١	صمّ بُكْمٌ عميٌ فهم لايعقلون .	٢ : ٩٩
١٧٧	ليس البرَّ أن تولّوا وجوهَكُم قِبَل المشرق والمغرب ...	١ : ٢٠٠☆ / ٢ : ٧٩
١٧٩	ولكمْ فى القصاص حياةٌ .	١ : ٥٢٩
١٨٥	شهرُ رمضان الّذى أُنزِلَ فيه القرآن ...	٢ : ٢٥٢☆
١٨٦	وإذا سألك عبادى عنّى فإنّى قريبٌ ...	١ : ٦٠٣☆
١٨٩	وليسَ البرُّ بأَن تأتُوا البيوتَ من ظهورها ...	١ : ٤٧٦☆
١٩٤	فمن اعتدى عليكم فاعتدُوا عليه بمثل مااعْتَدى عليكم .	١ : ٥٧ / ٢ : ١٤٧
٢٠٠	فمن النّاس مَنْ يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خَلاق .	١ : ٣٩١
٢٠١	ربنا آتنا فى الدنيا حَسَنَةً وفى الآخرة حسنةً .	١ : ١٦٠ ، ٣٩١
٢٠٢	أولئك لهم نصيبٌ مما كسبوا والله سريعُ الحسابِ .	١ : ٣٨٩ ، ٣٩١☆
٢٠٤	وهو ألدّ الخصام .	٢ : ١٧٣
٢١٠	هلْ ينظرُونَ إلاَّ أنْ يأتيَهم اللهُ فى ظُللٍ من الغمامِ والملائكة ...	٢ : ٣٩٩☆
٢١٠	وإلى الله تُرْجعُ الأمور .	١ : ٣٧٥☆
٢١٢	والله يرزق مَنْ يشاء بغير حساب .	١ : ٣٩٢☆

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢١٧	يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه ...	١ : ٤١٩
٢١٩	ويسألونك ماذا يُنفِقُون قلِ العَفْوَ .	١ : ٤٠٥
٢٤٥	مَنْ ذا الذى يُقْرِضُ اللهَ قرضاً حسنا ...	١ : ٣٩٣ ، ٣٩٤
٢٤٩	كم منْ فئة قليلة غلبتْ فئة كثيرةً بإذنِ اللهِ .	١ : ٣٠٢
٢٥٤	والكافرون هم الظالمون .	١ : ١٦٦
٢٥٥	لا تأخذُه سِنَةٌ ولا نومٌ .	١ : ٢٢
٢٥٧	اللهُ ولّى الذينَ آمَنُوا يُخرِجُهم من الظلمات إلى النور .	٢ : ١٤☆
٢٦٤	كمثَلِ صَفْوانٍ عليه ترابٌ .	١ : ٢٩٥
٢٧٣	لا يسألون الناسَ إلحافا .	١ : ٢٢٨☆
٢٧٥	الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبّطه الشيطان من المسّ .	١ : ٦
٢٨٦	ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا .	٢ : ١٣١☆
٢٨٦	ربنا ولا تحمّلنا مالا طاقة لنا به .	٢ : ٢٨

٣ ـ سورة آل عمران

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٧	فأما الذين فى قلوبهمْ زيغ فيتبعون ما تشابه منه ...	١ : ٤٣٩☆
٨	ربنا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذْ هديتنا ...	٢ : ٢٦☆
١٤	والخيل المسوّمة .	١ : ٦١٥
٢١	إن الذين يكفرُون بآياتِ اللهِ ويقتلون النبيين بغير حق .	١ : ٢٢٨☆
٢٨	ويحذّرُكم اللهُ نفسه .	١ : ٣٢٤
٣٤	ذرية بعضها من بعض واللهُ سميعٌ عليمٌ .	١ : ١٥٢

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٤٠	أنَّى يكون لى غلام وَقد بلغنِىَ الـكِبَرَ ...	٢ : ٣٧٩☆
٤٠	وقد بلغنى الـكِبَرُ .	١ : ٤٦٦
٤١	آيتُك ألاَّ تـكلِّم النَّاسَ ثلاثة أيامٍ إلاَّ رمزاً .	١ : ٤٥٤
٧٢	وقالت طائفةٌ من أهل الـكتاب آمِنُوا بالَّذى أنزِل على الذين آمنوا ..	١ : ٥٩٠
٧٥	ويقولون على اللهِ الـكذب وهم يعلمون .	١ : ٣٥٢
٩٧	ومَنْ دخَلَه كان آمنا .	١ : ٥٢٩
١٠٦	يوم تبيضُّ وُجوهٌ وتَسْودُّ وجوهٌ ...	١ : ٤٢٠
١١٠	كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس .	٢ : ١٩٨
١٢٦	وما النصر إلا من عند الله العزيز الحـكيم .	١ : ٦٢٨
١٢٨	ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبَهُمْ ...	١ : ٦٢٨☆
١٤٥	وما كان لنفس أن تموت إلاَّ بإذن الله ...	١ : ٣٨☆
١٥٩	فبما رحمة من الله لنت لهم .	٢ : ٣١٣
١٨١	لقد سمع اللهُ قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء .	٢ : ٣
١٨٥	كلُّ نفس ذائقة الموت .	١ : ٣٢٤
١٩٤	ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك .	١ : ٤١٩

٤ ـ سورة النساء

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١١	فإن كان له إخوةٌ .	٢ : ١٥٥
١٧	وكان الله عليماً حكيما .	٢ : ١٩٨

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٤٢	يومئذ يودُّ الذين كفروا وعَصَوُا الرسولَ لو تُسَوَّى بهم الأرض ...	١ : ٤٢٨
١٠٢	وإذا كنت فيهم فأقمت لهمُ الصلاة ...	١ : ٤
١١٣	ولولا فضل الله عليكم ورحمته . .	١ : ٤٨٠
١٢٥	ومَنْ أحْسَنُ دينا ممّن أسْلَمَ وجهه لله .	١ : ٥٩٠
١٢٥	واتخذ الله إبراهيم خليلا .	٢ : ١٨٥
١٢٩	ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ...	١ : ١٧٠
١٤٠	وقد نزل عليكم فى الكتاب ...	٢ : ١٤٤
١٤٢	إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم .	٢ : ١٥٠
١٥٣	يسألك أهلُ الكتاب أن تنزِّل عليهم كتابا من السماء ...	٢ : ٢١٦
١٥٥	فبما نقضِهم ميثاقَهم وكفرِهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق .	١ : ٢٢٨ ، ٣١٤
١٦٤	وكلّم اللهُ موسى تكليما .	٢ : ٣١٢
١٧٢	لَنْ يستنكف المسيحُ أن يكون عبداً لله ...	٢ . ٣٣٥
١٧٦	يبيِّن اللهُ لكم أن تَضِلوا .	٢ : ٤٨

٥ ـ سورة المائدة

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٦	يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ...	١ : ٤
١٩	قد جاءكم رسولُنا يبين لكم على فترةٍ من الرسل .	٢ : ٣٢١
٢٧	قرَّبا قرباناً فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّلْ من الآخر .	٢ :٤٧
٢٨	لَئِن بسطت إلىَّ يدَكَ لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك ...	٢ : ٤٦ *

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٩	إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك ...	٢ : ٤٦*
٣٢	ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا .	٢ : ٢٨٥
٣٨	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما .	٢ : ٥
٤١	أولئك الذين لم يُرِد الله أنْ يطهّر قلوبهمْ .	٢ : ٢٧
٤٥	ومن لم يَحْكُمْ بما أنزلَ اللهُ فأُولئك هم الظالمون .	١ : ١٦٥
٥١	يأيها الذين آمنوا لاتتّخذوا اليهودَ والنّصارى أولياء .	١ : ٣٠٢
٥٤	يأيها الذين آمنوا مَنْ يرتدّ منكمْ عن دينه ...	٢ : ٣٦٤
٦٠	قل هل أنبّئكمْ بشرّ مِنْ ذلك مثوبة عند الله ...	٢ : ١٨٠*
٦٤	وقالت اليهودُ يدُ الله مغلولةٌ غُلّتْ أيْديهمْ ...	٢ : ٣*
٦٧	والله يَعْصِمُك من الناس .	١ : ٣١١
٩٣	ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا .	٢ : ٣٧٤*
١١٦	وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم .	٢ : ١٩٨
١١٦	أأنت قلت للناس اتخذونى وأمىَ إلهين من دون الله .	٢ : ٢٧٩
١١٦	تعلمُ مافى نفسى ولا أعلمُ مافى نفسك .	١ : ٣٢٤*

٦ ـ سورة الأنعام

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١	وجعل الظُّلُماتِ والنّور .	٢ : ١٨٣
٦	وأرسلنا السماء عليهمْ مدرارا .	٢ : ١٦٩
١٤	قل إنّى أمرتُ أنْ أكونَ أوّلَ مَنْ أسلَمَ ...	٢ : ٧١، ٣٥٥
٢٢	ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم ...	٢ : ٢٧١
٢٣	ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا ...	٢ : ٢٧١*

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٣	والله ربنا ما كنّا مشركين .	١ : ٤٢٨
٢٤	انظر كيف كَذَبوا على أنفسهم ...	٢ : ٢٧١*
٢٧	ولو ترَى إذْ وقفوا على ربهم فقالوا ...	٢ : ٢٧١*
٢٨	بل بَدَالهم ما كانوا يُخفْون من قبل ...	٢ : ٢٧١*
٣٣	إنه ليحزُنك الذى يقولون فإنهمْ لايكذّبونك .	٢ : ٢٦٤*
٦٦	وكذّب به قومُك وهو الحق .	٢ : ٢٦٧
١٠١	وهو بكل شىء عليم .	٢ : ٣٠٢
١٠٣	لاتدرِكه الأبصارُ وهو يُدْرِكُ الأبصارَ ...	١ : ٢٢
١٢٥	فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام .	٢ : ٢٧
١٤٠	قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم .	٢ : ٢٨١
١٥١	قل تعالَوْا أتلُ ماحرّم ربُّكمْ عليكم ...	٢ : ٣٥٤*
١٥١	ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ...	٢ : ٢٨٢
١٦٤	ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى .	١ : ٣٤٠
١٦٥	سريعُ العقاب .	١ : ٣٩١

٧ ـ سورة الأعراف

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١	المص.	٢ : ٧٩
٢	كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرجٌ منه .	٢ : ٧٩
٣	اتبعوا ما أنزل إليكمْ من ربكم .	٢ : ٧٩
٤	وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا ...	٢ : ٥٥
١٢	مامنعَك ألّا تسجُدَ إذْ أمرتُك ...	٢ : ٣٥٦
٢٠	مانهاكما ربُّكما عَنْ هذه الشجرة إلاّ أن تكونا ملكين ...	٢ : ٣٣٥

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٣	ربنا ظلمنا أنفسنا .	٢ : ٣٦٣
٢٩	كما بدأكم تعودون .	١ : ٨٧
٣٣	قلْ إنما حرّم ربِّيَ الفواحش ماظهَر منها ومابطن ...	١ : ٣١٥
٤٠	ولا يدخُلون الجنة حتى يلج الجَمَلُ في سمِّ الخياط .	١ : ٤٠٣ / ٢ : ٢٢١
٤٤	ونادى أصحابُ الجنة أصحاب النار .	٢ : ١٩٨
٦٥	وإلى عادٍ أخاهم هوداً .	٢ : ١٩٧
٧٣	وإلى ثمود أخاهم صالحاً .	٢ : ١٩٧
٨٨	لنخرجنّك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا .	١ : ٤٠٣
٨٨	أوَلوْ كنا كارهين .	١ : ٤٠٤،٤٠٥
٨٩	قد افترينا على اللهِ كذباً إن عدنا في ملتكم ...	١ : ٤٠٢☆
٩٢	كأنلم يغنوْا فيها .	١ : ٣٤
٩٥	حتى عَفَوْا .	٢ : ١٩٤
١١٧	تَلْقَفُ ما يأفِكون	٢ : ٢٣٦
١٢٣	آمنتم له قبل أن آذن لكم.	٢ : ٢٢٠
١٤١	وإذ أنجيْنا كم من آل فرعون ...	٢ : ٣٨٠☆
١٤٣	ولمّا جاءَ موسى لميقاتنا وكلّمه ربّه ...	٢ : ٢١٥☆
١٤٦	سأصرف عن آياتي الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحق . .	١ : ٣٠٨☆
١٥٥	فلما أخذتهم الرجفة ...	٢ : ٢١٦
١٦٨	وبلوناهم بالحسنات والسيئات .	٢ : ١٠٩
١٧٢	وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ...	١ : ٢٨☆ / ٢ : ٨٦
١٧٣	أوتقولوا إنما أشركَ آباؤنا من قَبلُ ...	١ : ٢٨☆
١٨٠	ولله الأسماء الحسنى فادعوهُ بها .	٢ : ٣١٩ ، ٣٢٢

رقم الآية	الآية	الجزء والآية
١٨٩	هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ...	٢ : ٢٣١☆
١٨٩	فلما أثقلتْ .	١ : ٩٧
١٩٠	فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما ...	٢ : ٢٣١☆
١٩١	أيُشرِكونَ مالا يخلُق شيئا وهم يخلقون.	٢ : ٢٣٨
١٩٢	ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون .	٢ : ٢٣٨

٨ ـ سورة الأنفال

رقم الآية	الآية	الجزء والآية
١٧	وليبلىَ المؤمنين منه بلاءً حسناً .	٢ : ١٠٨
٢٤	يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ...	١ : ٥٢٦☆
٣٠	ويمكرون ويمكر الله والله خيرُ الماكرين .	١ : ٣٠٢، ٣٢٧/٢ : ١٥٠
٦٧	ما كان لِنبيٍّ أن يكونَ له أَسْرَى حتى يُثْخِنَ فى الأرضِ .	٢ : ٤٠٠☆
٦٨	لولا كتاب من الله سبق . .	٢ : ٤٠١

٩ ـ سورة التوبة

رقم الآية	الآية	الجزء والآية
٦	وإن أحدٌ من المشركين استجارَك فأجره ...	١ : ١٦٨
١٧	شاهدين على أنفسهم بالكفر .	١ : ٣٠
٣٠	وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله ...	١ : ٣٦٣☆
٤٣	عَفَا اللهُ عنك لم أذِنْتَ لهم .	٢ : ٤٠٠
٥٥	فلا تعجبك أموالُهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ...	١ : ٥١٤ / ٢ : ١٥٧

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٦٧	نسوا الله فنسيَهُمْ .	٢ : ١٣١
٦٧	إن المنافقين هم الفاسقون .	١ : ١٦٥
١١١	يقاتلون فى سبيل الله فيَقتُلُون ويُقتَلُون .	٢ : ٢٢٤
١٢٧	ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم .	١ : ٣١٢
١٢٨	لقد جاءكم رسولٌ من أَنفسِكُمْ .	٢ : ٣٢٣ ، ٣٢٤

١٠ ـ سورة يونس

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٢	هو الَّذِى يسيِّركم فى البرّ والبحر ...	٢ : ٢٣٤
٥٨	قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا.	٢ : ٢٩٩
٦١	وما تتلو منه من قرآن .	٢ : ٢٩٩
٦٢	لا خوف عليهم ولا همْ يحزنون .	١ : ٨٨
٦٨	أتقولُون على الله مالا تعلمون .	١ : ٣٥٢
٩٣	ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوّأ صدق ...	٢ : ٣٨٣
٩٤	فإن كنتَ فى شك مما أنزلنا إليك ...	٢ : ٣٨٢☆
٩٩	ولو شاء ربُّك لآمن مَنْ فى الأرض كلهم جميعا .	١ : ٤٠٤
١٠٠	وما كان لنفسٍ أن تموتَ إلاَّ بإذن الله ...	١ : ٣٨☆

١١ ـ سورة هود

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٠	أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض وما كان لهم من دُون الله من أولياء ...	١ : ٥٥٠☆
٢٠	ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون .	٢ : ١٦٣
٣١	ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ...	٢ : ٣٣٦
٣١	ولا أقولُ للذين تَزْدَرِى أعينكم...	٢ : ٣٣٩

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٣٢	قالوا يانوح قدجادلْتَنا فأ كثرتَ جِدالنا ...	٢ : ٢٤٦
٣٣	قال إنما يأتيكم به الله إن شاء ...	٢ : ٢٤٦
٣٤	ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنْصَحَ لـكم .	٢ : ٢٤٦☆
٤٠	حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور ...	٢ : ١٧٠☆
٤٠	قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك ...	١ : ٥٠٢
٤٥	ونادى نوحٌ ربه فقال ربّ إن ابنى من أهلى ...	١ : ٥٠٢☆
٤٦	قال يا نوح إنه ليس من أهلك ...	١ : ٥٠٢☆
٤٧	ربّ إنى أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم ...	١ : ٥٠٥
٨٢	وأمطرنا عليها حجارةً من سجّيلٍ منضود .	١ : ٦١٥
٨٣	مسوّمة عند ربك .	١ : ٦١٥
١٠٣	ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود .	١ : ٤٣☆
١٠٤	وما نؤخِّره إلا لأجلٍ معدودٍ .	١ : ٤٣☆
١٠٥	يوم يأتى لاتـكلم نفس إلا بإذنه .	١ : ٤٣☆
١٠٦	فأما الذين شَقوا فى النار لهم فيها زفير وشهيق .	٢ : ٨٧☆
١٠٧	خالدين فيها ما دامَتِ السَّموات والأرض ...	٢ : ٨٧☆
١٠٨	وأماالذين سُعِدوا فى الجنة خالدين فيها ...	٢ : ٨٧☆
١١٨	ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ...	١ : ٧٠☆
١١٩	إلاَّ مَنْ رحمَ ربُّك ولذلك خلقهم .	١ : ٧٠☆

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة

١٢ ـ سورة يوسف

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٨	وجاءوا على قميصِه بدمٍ كذبٍ ...	١ : ١٠٥☆
٢٣	وراودته التي هو في بيتها ...	١ : ٤٧٩
٢٤	ولقد همّتْ به وهمّ بها ...	١ : ٤٧٧☆
٢٦	إن كان قميصه قدّ من قُبل ...	٢ : ٤
٢٧	وإن كان قميصه قُدّ من دبر ...	٢ : ٤
٣٠	وقال نسوةٌ في المدينة ...	١ : ٤٧٩
٣٢	قالت فذلكنّ الذي لمتنّني فيه ...	١ : ٤٧٩
٣٣	قال ربّ السجْن أحبّ إليّ مما يدعونني إليه ...	١ : ٤٨٩☆
٤٥	أنا أنبئكمْ بتأويله فأرسلون .	٢ : ٧١
٤٦	يوسف أيها الصديق .	٢ : ٧١
٥١	الآنَ حَصْحَصَ الحقُّ أنا راودتُه عن نفسه ...	١ : ٤٧٩
٥١	حاش لله ما علِمنا عليه من سوء .	١ : ٤٨٢
٧٢	وأنا به زعيمٌ .	١ : ١٠٩
٧٦	كذلك كِدنا ليوسف .	١ : ٣٣٢
٨٢	واسأل القريةَ .	١ : ٤٩/٢ : ٤٨، ٢٢٠، ٢٥٩، ٣١١
٨٨	ببِضاعة مُزْجاة .	٢ : ٣٠٣
٩٢	لا تثريب عليكمُ اليوم يغفر الله لكم ...	١ : ٤٥٢☆

١٣ ـ سورة الرعد

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢	الله الذي رفع السموات بغير عمدٍ ترونها .	١ : ٢٢٨☆
٣١	ولوأنّ قرآناً سُيِّرتْ به الجبال ...	٢ : ٣٠٩☆

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة

١٤ ـ سورة إبراهيم

٩	ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد ...	١ : ٣٦٥ *
١١	قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ...	٢ : ٣٨١
١٥	واستفتحوا وخاب كلّ جبارٍ عنيد .	١ : ١٣٠
٣٤	وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها .	٢ : ١٨٣
٤٨	يوم تبدل الأرض غيرَ الأرضِ والسموات .	٢ : ٩١

١٥ ـ سورة الحجر

١٩	والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى ...	١ : ١٣☆
٨٧	ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم .	١ : ٦٣٤
٩٢	فوربّك لنسألنهم أجمعين .	١ : ١٧٧
٩٣	عمّا كانوا يعملون .	١ : ١٧٧

١٦ ـ سورة النحل

١٠	هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ...	١ : ٦١٥☆
١٥	وألقى فى الأرض رواسىَ أن تميد بكم .	٢ : ٤٨
٢٦	فخرّ عليهم السَّقْفُ من فوقهم .	١ : ٣٥١☆
٤٠	إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون .	١ : ٤٦٩
٥٩	أيُمسكه على هونٍ أمْ يدسّه فى التُّراب .	٢ : ٢٨١
٦٢	لاجرمَ أنّ لهم النار .	١ : ١١٠
٧٧	وما أمرُ السَّاعة إلا كلمح البصر أو هُو أقربُ .	١ : ٣٨٩

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٨١	وجعل لكمْ من الجبال أ كنانا .	٢ : ١٨٣
٨١	وجعل لكم سرابيلَ تقيكم الحر .	١ : ٢١٧
١٢٦	وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به .	٢ : ١٤٧

١٧ ـ سورة الإسراء

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١١	وكان الإنسانُ عَجولا .	١ : ٤٦٥
١٥	وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولا .	١ : ٢ / ٢ : ٣٢٠
١٦	وإذا أردْنا أن نُهلِكَ قريةً أمرنا مترَفيها . .	١ : ١*
٢٩	ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك . .	٢ : ٤
٣٤	وأوفُوا بالعهد إن العهد كان مسئولا .	٢ : ٢٧٩
٤٥	وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك . . .	١ : ٥٧٨
٤٧	نحن أعلَمُ بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى . . .	١ : ٥٧٦*
٤٨	انظر كيف ضربوا لك الأمثال . . .	٢ : ١٦٣*
٤٩	أإذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا .	٢ : ٢٢٥
٦٢	أرأيتَك هذا الذى كرّمت علىّ .	٢ : ٣٣٤
٦٦	ربكم الذى يُزْجِى لكم الفُلْكَ فى البحر . . .	١ : ٨٧
٧٠	ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البرّ البحر . . .	١ : ٨٧/٢ : ٣٣٥
٧٢	ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا .	١ : ٨٧* / ٢ : ٣١٧
٨٥	ويسألونك عن الروح قل الروحُ من أمرِ ربى . . .	١ : ١١*
٨٦	ولوشئنا لنذهبنّ بالذى أوحينا إليك . .	١ : ١٢

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٩٣	هل كنتُ إلا بشراً رسولا .	٢ : ١٩٨
١١٠	قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أيًّاماتدعوا فلهالأسماء الحسنى.	٢ : ٣١٩

١٨ ـ سورة الكهف

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١	الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوَجاً .	١ : ٤١٩ / ٢ : ٢٢٣
٢	قَيِّماً .	١ : ٤١٩ / ٢ : ٢٢٣
٢٢	سيقولون ثلاثة رابعهم كَلْبهم .	١ : ٤٤٠
٢٢	رابعهم كلبُهم	١ : ٢٠٢
٢٣	ولا تقولَنَّ لشىءٍ إنِّى فاعل ذلك غداً .	٢ : ١٢٠*
٢٤	إلا أن يشاء الله .	٢ : ١٢٠*
٢٩	فمَنْ شاء فليُؤمِنْ ومَنْ شاء فليكفُرْ .	١ : ٧٥
٦٧	إنك لن تستطيع معىَ صبراً.	٢ : ١٦٦
٦٨	وكيف تصبر على ما لم تُحِطْ به خبْراً .	٢ : ١٦٦
٩٨	هذا رحمةٌ من ربى .	١ : ٧١

١٩ ـ سورة مريم

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٥	وهزى إليك بجذْع النخلة .	٢ : ١٠١
٢٨	يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوْء ...	٢ : ١٩٦*
٢٩	فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان فى المهد صبياً .	٢ : ١٩٦*
٣٨	أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ...	٢ : ٩٨*
٣٩	وأنذرهم يوم الحسرة .	٢ : ١٠١
٥٩	فسوف يلقون غيا .	٢ : ٢٤٦
٦٤	له ما بين أيدينا وما خَلفنا وما بين ذلك .	٢ : ٢٩٨

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٧١	وإن منكم إلا واردها...	٢ : ٥٠
٩٠	تكاد السموات يتفطرن منه ...	١ : ٤٣٩

٢٠ ـ سورة طه

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٧	فإنَّه يعلم السِّر وأخفى .	١ : ٩٤
١١	... ياموسى ...	١ : ١٦٨
١٢	إنى أنا ربُّكَ ...	١ : ١٦٨
١٥	إن الساعة آتِيَةٌ أكادُ أُخْفِيها .	١ : ٣٣٣
٥١	فما بال القرون الأولى .	١ : ١٦١
٥٢	قال علمها عند ربّى فى كتاب لا يضلّ ربى ولا ينسى .	١ : ١٦١
٦٩	تلقفْ ماصنعوا .	٢ : ٢٣٦
٧٨	فغشِيَهُم من اليمِّ ما غشيَهُم .	١ : ٣٤٩*
١١٠	ولا يحيطون به علماً .	١ : ١٥٠
١١٤	ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضَى إليك وحيه ...	٢ : ٣٥٨*
١١٥	ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجدْ له عزماً .	٢ : ١٣١
١٢٤	ونحشره يوم القيامة أعمى .	١ : ٨٨
١٢٥	قال ربّ لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا .	١ : ٨٨
١٢٦	قال كذلك أتَتْكَ آياتُنا فنسِيتَها ...	١ : ٨٨

٢١ ـ سورة الأنبياء

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٣	لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون .	١ : ٣٩٤

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٨	ولا يشفعون إلا لمن ارتضى .	٢ : ٣٦٤
٣٥	ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة .	٢ : ١٠٩
٣٦	وإذا رآك الذين كفروا ...	١ : ٤٧٠
٣٧	خلق الإنسان من عجل ...	١ : ٤٦٥*
٧٨	إذ نفشت فيه غنم القوم ...	٢ : ١٥٥
٧٨	وكنا لحكمهم شاهدين .	١ : ٤٢٢ / ٢ : ٢٢٤
١٠٤	كما بدأنا أول خلقٍ نعيده .	١ : ٨٧
١١٢	قال رب احكم بالحق ...	٢ : ٢٨ ، ١٣٢

٢٢ ـ سورة الحج

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٥	من كان يظن أن لن ينصره الله فِي الدنيا ...	٢ : ١٦٩
٤٠	ولولا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بعضهم ببعض .	٢ : ٤٧
٤٦	ولكن تَعْمَى القلوبُ التى فى الصدور .	١ : ٣٥٣
٧٣	يأيّها الناس ضُرِب مثلٌ فاستمعوا له ...	٢ : ١٠٥

٢٣ ـ سورة المؤمنون

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٩١	ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله .	١ : ٤٢
٩٧	وقل ربّ أعوذُ بك من همزات الشياطين .	١ : ١٦٤
١١٧	ومن يدعُ مع الله إلها آخر لا برهان له به .	١ : ٢٢٨*/٢ : ٣١٤

٢٤ ـ سورة النور

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢	الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة .	١ : ١٨٠

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٤	والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ...	١ : ١٦٥ / ٢ : ٢٣٥
٢٠	ولولا فضل الله عليكم ورحمته ...	١ : ٤٧٨
٣٣	ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ...	١ : ٤٥٤
٤٠	أو كظلمات فى بحر لجىّ ...	١ : ٣٣١
٤٣	ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ...	٢ : ٣٠٣☆
٤٤	يقلب الله الليل والنهار ...	٢ : ٣٠٣☆
٦١	ليس على الأعمى حرج .	١ : ٢٠٢
٦١	أن تأ كلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم .	٢ : ٥٧

٢٥ـ سورة الفرقان

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٠	إن شاء جعلَ لك خيرا من ذلك .	٢ : ١٩٧
١٥	قل أذلك خيرٌ أم جنّة الخلد .	١ : ٤٩٠
٢٤	خيرٌ مستقرًّا وأحسنُ مقيلا .	١ : ٤٩١
٧١	فإنه يتوب إلى الله متابا.	٢ : ٣١٢
٧٧	قل مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم .	٢ : ٣٦٦

٢٦ ـ سورة الشعراء

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٩	وفعلتَ فعلتَكَ التى فعلتَ وأنت من الكافرين ...	١ : ٣٥٠
٣٢	فألقى عصاه فإذا هى ثعبانٌ مبين .	١ : ٢٥☆
٨٧	ولا تُخْزِنى يوم يُبعثون .	٢ : ٢٨ ، ١٣٢
١٨٤	واتقوا الذى خلقكم والجبلّة الأولين .	٢ : ٣٠٤
٢٠٨	وما أهلكنا من قريةٍ إلا لها منذرون .	٢ : ٣٢٠

٢٧ ـ سورة النمل

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٦	يأيها الناس عُلّمنا منطق الطير ...	٢ : ٣٤٩
١٨	قالت نملةٌ يأيها النمل ادخلوا مساكنكم ...	٢ : ٣٥٢
٢١	لأُعَذِّبنَّهُ عذاباً شديدا أوْ لأَذْبحَنَّهُ ...	٢ : ٣٥٣
٢٨	اذهبْ بكتابى هذا فألْقِهْ إليْهِمْ ...	١ : ٥١٤
٨٠	إنك لا تُسْمِع الموتَى .	١ : ٣٤٢

٢٨ ـ سورة القصص

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٣١	وأنْ ألْقِ عَصاكَ فلما رآها تهتزُّ كأنها جانٌ ...	١ : ٢٥
٧٣	ومن رحمته جعل لكم الليل ...	١ : ٤١٩
٧٦	ماإنّ مفاتحه لتَنُوء بالعُصْبة .	١ : ٤٦٦
٨٨	كلُّ شىء هالكٌ إلاَّ وَجْهَه .	١ : ٥٩٠*

٣٠ ـ سورة الروم

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢١	ومن آياته أن خلَق لكم من أنفسِكم أزواجا...	٢ : ٢٣٥
٢٢	ومن آياتِه خلْقُ السَّموات والأرض واختلافُ ألسنتكم وألوانكم .	٢ : ٣٣٠*
٢٧	وهو الذى يَبْدَأ الخلْق ثمّ يعيده وهو أهون عليه .	١ : ٨٨
٣٠	فأقم وجهك للدين حنيفا ...	٢ : ٨٤
٣٩	وما آتيتم من زكاةٍ تريدون وجه الله .	١ : ٥٩٣
٤٣	فأقم وجهك للدين القيم .	١ : ٥٩١

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
	٣١ ـ سورة لقمان	
٢٢	ومن يُسْلِمْ وجهه إلى الله وهو محسنٌ ..	١ : ٥٩٠
	٣٢ ـ سورة السجدة	
٧	وبدأ خلْق الإنسانِ من طين .	١ : ٤٦٩
١٣	ولو شئنا لآتينا كلّ نفسٍ هداها .	١ : ٧٣
١٧	فلا تعلم نفسٌ ما أخفى لهم من قرة أعين ...	١ : ٨٨
	٣٣ ـ سورة الأحزاب	
١	يأيها النبيّ اتق الله ولا تطع الكافرين .	٢ : ٧٩
٢	إن الله كان بما تعملون خبيرا .	٢ : ٧٩
١٠	إذْ جاءوكُمْ مِنْ فَوْقِكم ومن أسفلَ منكم ...	١ : ٣٢٨☆
١٦	قل لن ينفعَكم الفرارُ إن فررتم من الموت ...	١ : ٢٨٤
٣٧	وتخفِي فى نفسِك ما الله مبديه ...	٢ : ٤٠٠☆
٣٧	فلما قضى زيدٌ منها وطراً ...	٢ : ٤٠٠☆
٣٨	وكان أمر الله قدَراً مقدوراً.	١ : ١٥١
٧٢	إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال .	١ : ١٥٤ / ٢ : ٣٠٩☆
	٣٤ ـ سورة سبأ	
١٢	ولسلَيْمَانَ الريح غدوُّها شَهْرٌ ...	٢ : ٧٢
١٣	يعملون له ما يشاء من محاريب ...	٢ : ٧٢ ، ٢٣٦
٢٤	وإنَّا أو إياكم لعلى هدًى أو فى ضلال مبين .	١ : ٢٩٣

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة

٣٥ ـ سورة فاطر

٢٤	وإن من أمَّةٍ إلّا خلا فيها نذير .	٢ : ٣٢٠
٢٨	إنما يَخْشَى اللّهَ من عِباده العلماءُ .	٢ : ١٨٨
٣٠	لِيُوفِّيَهم أجورَهم ويزيدَهم من فضله .	١ : ٣٩٤
٣٢	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...	٢ : ٣٦٢☆

٣٦ ـ سورة يس

٦	لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون .	٢ : ٣٢٠☆
٧٧	أولم يرِ الإنسان أنا خلقناه من نطفةٍ ...	١ : ٢٧

٣٧ ـ سورة الصافات

٢٧	وأقْبَل بعضهم على بعضٍ يتساءلون .	١ : ٤٣☆
٩٥	قال أتعبدون ما تنحتون .	٢ : ٢٣٦☆
٩٦	والله خلقكمْ وما تعملونَ .	٢ : ٢٣٦☆
١٤٧	وأرسلناهُ إلى مائة ألفٍ أو يزيدون .	٢ : ٥٦

٣٨ ـ سورة ص

٢٤	لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه .	٢ : ٤٧
٣٠،٤٤	نعم العبدُ إنّه أواب .	١ : ٢٩٩
٣٢	حتَّى توارتْ بالحجابِ .	٢ : ١٥٥
٧٥	ما منعك أن تسجُد لما خلقت بيديَّ ...	١ : ٥٦٥☆
٧٦	أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين .	٢ : ٣٣٤

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة

٣٩ ـ سورة الزمر

٩	إنَّما يتذكَّرُ أولُو الألبابِ .	٢ : ١٨٨
٦٠	ويوم القيامة تَرى الَّذِين كَذَبوا على الله وجوهُهم مسودَّة .	١ : ١٥٣
٦٤	قل أفغيرَ الله تأمُرونّى أعْبُدُ أيُّها الجاهلون .	٢ : ١٨٧
٦٥	لئن أشركت لَيَحْبَطَنّ عملُك .	١ : ٥٠٥ / ٢ : ٣٨٢
٦٧	والأرضُ جميعاً قبضتُه يومَ الْقِيامة ...	١ : ٣٢٠
٧٣	حتى إذا جاءوها وفتحَتْ أبوابُها وقال لهم خزنتُها سلامٌ عليكمْ طبتُم...	١ :٢، ٣ / ٢ : ٣١٠*
٧٤	وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ...	١ : ٤ / ٢ : ٣١٠

٤٠ ـ سورة غافر

٧	فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلَك ...	٢ : ١٣٢
٨	ربنا وأدخلهم جنات عدن ...	١ : ٢٩ ، ٣٠
٤٠	فأولئك يدخلون الجنَّة يرزقون فيها بغير حساب .	١ : ٣٩٤
٧٥	ذلك بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق ...	١ : ١٢٢

٤١ ـ سورة فصلت

١١	ثم استوى إلى السماءِ وهى دخان ...	١ : ٣٠
١٢	فقضاهن سبع سموات فى يومين.	٢ : ٣٥٩
٤٠	اعملوا ماشئتمْ .	١ : ٧٥ ، ١٢٣
٤٩	لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ...	٢ : ٤٧

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة

٤٢ ـ سورة الشورى

١١	لَيْسَ كَمِثْلِه شيء .	٢ : ٣١١
٤٠	وجزاء سيئة سيئة مثلُها .	١ : ٥٧ ، ٣٢٧ / ٢ : ١٤٧
٥١	وما كان لبشرٍ أن يكلّمه الله إلا وحيا أو مِن وراء حجابٍ	٢ : ٢٠٥*

٤٣ ـ سورة الزخرف

١٩	وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا .	٢ : ١٨٣
٤٥	واسْأَلْ مَنْ أرسلْنا من قبلِك من رسُلِنا ...	٢ : ٧٩*
٨٦	ولا يملك الَّذِين يَدْعون من دونه الشفاعة ...	٢ : ٣٦٦*

٤٤ ـ سورة الدخان

٢٨	كذلك وأورثناها قوماً آخرين .	١ : ٤٩*
٢٩	فما بكت عليهم السماء والأرضُ وما كانوا منظَرين .	١ : ٤٩*/٢ : ٢٢٠

٤٥ ـ سورة الجاثية

٢٤	ماهى إلاّ حياتُنا الدنيا نموتُ ونحيا ...	١ : ٤٥

٤٦ ـ سورة الأحقاف

٩	وما أدرى مايفعل بى ولا بكم .	٢ : ٣٨١

٤٧ ـ سورة محمد

٤	حتى تضع الحرب أوزارها .	١ : ٤٩
١٥	كمن هو خالدٌ فى النار .	١ : ٢٩٥

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٢	فهل عسيْتُم إن توليتُمْ أن تفسدوا فى الأرض .	٢ : ٢٨١
٣٠	ولتعرفنَّهم فى لَحْنِ القولِ .	١ : ١٤

٤٨ ـ سورة الفتح

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٨	إنا أرسلناك شاهدا ومبشّراً ونذيراً ...	٢ : ٢٣٣
٩	لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقروه ...	٢ : ٢٣٣
١٠	يد الله فوق أيديهمْ .	١ : ٣٠٢
٢٧	لَتدخُلُنّ المسجِدَ الحرامَ إنْ شاء الله آمنين .	٢ : ٥

٥٠ ـ سورة ق

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٦	ونحن أقرب إليه من حبل الوريد .	١ : ٥٢٧
٢٢	لقد كنت فى غفلة من هذا ...	٢ : ٩٨
٢٢	فبصرُكَ اليوم حديد .	١ : ٨٧
٣٧	إنّ فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ...	١ : ٥٢٦

٥١ ـ سورة الذاريات

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٩	فأقبلت امرأته فى صَرَّةٍ فصكت وجهها .	٢ : ١٦٨
٥٦	وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليَعْبُدُون .	٢ : ٨٣

٥٢ ـ سورة الطور

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٥	وأقبل بعضهمْ على بعضٍ يتساءلون .	١ : ٤٣
٤٤	سحابٌ مركومٌ .	٢ : ٣٠٤

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة

٥٣ ـ سورة النجم

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١١	ما كذبَ الفؤادُ ما رأى .	١ : ١٥٠
١٣	ولقد رآه نزلةً أخرى .	١ : ١٥٠
١٤	عند سدرة المنتهى :	١ : ١٥٠
١٨	لقد رأى من آيات ربّه الكبرى .	١ : ١٥٠
٤٦	من نُطْفَةٍ إذا تُمْنَى .	١ : ٣٦٩

٥٥ ـ سورة الرحمن

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٣	فبأىّ آلاءِ ربكما تكذّبان .	١ : ١٢٠☆
٢٢	يَخْرُجُ منهما اللؤلؤُ والمَرْجان .	١ : ٥٢٠
٢٦	كلّ من عليها فان .	٢ : ١٥٥
٢٧	ويبقى وجه ربِّك ذُو الجلال والإكرام .	١ : ٥٩٠☆
٣٥	يُرْسَل عليكما شواظٌ ...	١ : ١٢٧
٧٨	تبارك اسم ربِّكَ ذو الجَلال والإكرام .	١ : ٥٩٢

٥٦ ـ سورة الواقعة

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٧٧	إنه لقرآن كريم .	١ : ٤٢٧
٧٨	فى كتاب مكنون .	١ : ٤٢٧
٧٩	لا يمسّه إلا المطهَّرون .	١ : ٤٢٧

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة

٥٧ ـ سورة الحديد

٢٢	ما أصابَ من مُصيبةٍ فى الأرضِ ولا فى أنفسِكم ...	٢ : ٢٠٢

٥٨ ـ سورة المجادلة

٢٢	أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه .	٢ : ٢٧

٥٩ ـ سورة الحشر

٧	ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ...	١ : ٤٣٩
٨	للفقراء المهاجرين الذين أخرِجوا من ديارهم ...	١ : ٤٣٩
٩	يحبّون من هاجر إليهم ...	١ : ٤٣٩
١٠	يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا ...	١ : ٤٣٩، ٤٤٠
٢١	لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ...	١ : ٤٢٨

٦٠ ـ سورة الممتحنة

١	تُلقُون إليهمْ بالمودّة.	٢ : ١٠١
٨	لا ينهاكمُ الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين .	١ : ٣٠٢

٦١ ـ سورة الصف

٥	فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهمْ .	١ : ٣١٢

٦٣ ـ سورة المنافقون

١	إذا جاءكَ المنافِقون قالوا نشهدُ إنك لرسول الله ...	١ : ٣٦٤

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة

٦٤ ـ سورة التغابن

٩	ذلك يوم التغابن .	٢ : ٤٠٣*
١٧	إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفرْ لكم...	١ : ٣٩٤

٦٥ ـ سورة الطلاق

١	يأيها النبيّ إذا طلقتم النساء .	٢ : ٧٩، ٣٩٩
٨	وكأينْ من قَرْيةٍ عَتَتْ عن أمرِ ربّها ...	٢ : ٣٥٠، ٣٥٢
٩	فذاقت وبالَ أمرها ...	٢ : ٣٥٠

٦٦ ـ سورة التحريم

٦٦	يأيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله لك ...	٢ : ٤٠٠*

٦٧ ـ سورة الملك

١٦	ءأمنتم مَنْ فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور .	٢ : ١٦٨
١٧	أم أمنتم مَنْ فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا...	٢ : ١٦٨
٣٠	قل أرأيتمْ إن أصبح ماؤكم غوراً ...	١ : ٢٠١

٦٨ ـ سورة القلم

١١	همازٍ مشاء بنميم .	١ : ٢٩٩
١٢	مناعٍ للخير معتدٍ أثيم .	١ : ٢٩٩
١٣	عُتلّ بعد ذلك زنيم .	١ : ٢٩٩

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة

٧١ ـ سورة نوح

٦	فلم يزدهم دعائى إلا فرارا .	٢ : ٢٦
١٩	جعل لكم الأرض بساطا .	٢ : ١٨٧

٧٣ ـ سورة المزمل

١٩	إنَّ هذِه تذكِرةٌ ، فمنْ شاَء اتَّخذَ إلى ربِّه سبيلا.	١ : ٥٣٩

٧٤ ـ سورة المدثر

٥٦	وما يذكرون إلا أن يشاءَ اللهُ .	١ : ٥٣٩

٧٥ ـ سورة القيامة

١٦	لاتحرِّكْ به لسانَك لتعجَلَ به .	٢ : ٣٥٨
١٧	إن علينا جمعه وقرآنه .	٢ : ٣٥٨
١٨	فإذا قرأْناه فاتَّبع قرآنَه .	٢ : ٣٥٨
١٩	ثم إن علينا بيانه .	٢ : ٣٥٨
٢٢	وجوهٌ يومئذ ناضِرة .	١ : ٥٩٢
٢٣	إلى ربِّها ناظرةٌ .	١ : ٥٩٢
٢٤	ووجوهٌ يومئذٍ باسِرةٌ .	١ : ٥٩٢
٢٥	تَظُن أن يُفْعل بها فاقِرةٌ .	١ : ٥٩٢
٣١	فلا صدق ولا صلّى .	٢ : ٢٨٩

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة

٧٦ سورة الإنسان

١	هل أتَى على الإنسانِ حينٌ من الدَّهر ...	١ : ٢٨٨
٦	عيناً يشربُ بها عبادُ الله .	٢ : ١٠١
٩	إنما نطعمكم لوجه الله .	١ : ٥٩٢*
١٥	ويطاف عليهم بآنية من فضة ...	١ : ٢٦
١٥	قوارير من فضة ...	١ : ٢٦
٣٠	وما تشاءون إلا أن يشاءَ الله .	١ : ٥٣٩

٧٧ ـ سورة المرسلات

١٥	ويل يومئذ للمكذِّبين .	١ : ١٢٦
٣٥	هذا يومُ لا ينطقون .	١ : ٤٣*
٣٦	ولا يُؤْذنُ لهم فيعتذرون .	١ : ٤٣*

٧٨ ـ سورة النبأ

٩	وجعلنا نومكم سُباتا .	١ : ٣٣٧*
٣٦	جزاءً من ربك عطاء حسابا .	١ : ٣٨٩

٨١ ـ سورة التكوير

٨	وإذا الموءودة سُئِلَتْ .	٢ : ٢٧٩*
٩	بأىِّ ذنب قُتِلَتْ .	٢ : ٢٧٩*
٢٦	فأين تَذْهَبُون .	١ : ٥٣٨*
٢٧	إن هو إلاّ ذكرٌ للعالمين .	١ : ٥٣٨*

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٨	لمن شاء منكمْ أن يستقيم .	١ : ٥٣٨ *
٢٩	وما تَشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين .	١ : ٥٣٨ *

٨٣ ـ سورة المطففين

٢٩	إن الذين أجرموا كانو من الذين آمنوا يضحكون .	١ : ٣٠١
٣٤	فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون .	٢ : ١٤٩
٣٥	على الأرائِكِ ينظرون .	٢ : ١٤٩

٨٦ ـ سورة الطارق

١٧	فمَهّل الكافرين أمهلهم رويدا .	٢ : ٢٦٦

٨٧ ـ سورة الأعلى

١٠	سيذّكر من يخشى .	١ : ٤٢٠
١١	ويتجنّبها الأشقى .	١ : ٤٢٠

٨٨ ـ سورة الغاشية

٨	وجوهٌ يومئذ ناعمة .	١ : ٥٩٢
٩	لسعيها راضية .	١ : ٥٩٢

٨٩ ـ سورة الفجر

١	والفجر .	١ : ١٧٤
٢	وليالٍ عشر	١ : ١٧٤

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٣	والشفع والوتر .	١ : ١٧٤
٢٢	وجاء ربك والملك صفا صفا .	٢ : ٣١١

٩٠ ـ سورة البلد

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٤	لقد خلقنا الإنسانَ فى كَبَدٍ .	١ : ٤٢
١٠	وهديْناه النجدَين .	٢ : ٢٨٧ ✲
١١	فلا اقتحم العقبةَ .	٢ : ٢٨٧ ✲
١٢	وما أدراكَ ماالعقبة .	٢ : ١٨٧ ✲
١٣	فكُّ رقبة .	٢ : ٢٧٧ ✲
١٤	أو إطعامٌ فى يومٍ ذِى مَسْغَبَةٍ .	٢ : ٢٨٧ ✲
١٥	يتيماً ذا مقرَبة .	٢ : ٢٨٧ ✲
١٦	أو مِسْكيناً ذا مَتْرَبة .	٢ : ٢٨٧ ✲
١٧	ثم كان من الذين آمنوا وتواصوْا بالصبر، وتواصوْا بالمرحمة.	٢ : ٢٨٧ ✲
١٨	أولئك أصحابُ الميمنة.	٢ : ٢٨٧ ✲
١٩	والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة .	٢ : ٢٨٧ ✲
٢٠	عليهم نارٌ مؤصَدة .	٢ : ٢٨٧ ✲

٩١ ـ سورة الشمس

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٦	والأرض وماطَحاها .	١ : ١٢٢
٧	ونفسٍ وماسوَّاها .	١ : ١٢٢

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة

٩٢ ـ سورة الليل

٢٠	إلا ابتغاءَ وجهِ ربه الأعلى .	١ : ٥٩٢ ـ ٥٩٣

٩٤ ـ سورة الشرح

١	ألم نشرحْ لكَ صدركَ .	٢ . ٢٧

٩٥ ـ سورة التين

٤	لقد خلقنا الإنسان فى أحسنِ تقويم .	١ : ١٣٤

٩٦ ـ سورة العلق

١	اقرأ باسم ربك الذى خلق .	٢ : ١٠١

٩٩ ـ سورة الزلزلة

٢	وأخرجتِ الأرضُ أثقالها .	١ : ٩٦
٧	فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يَرَه .	٢ : ٢٨٤
٨	ومن يعملْ مثقال ذَرَّةٍ شراً يره .	٢ : ٢٨٤

١٠٠ ـ سورة العاديات

١	والعاديات ضَبْحاً .	١ : ١٠٦

١٠٢ ـ التكاثر

٣	كلاَّ سوف تعلمون .	١ : ١٢١

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٤	ثم كلاّ سوف تعلمون .	١ : ١٢١
٥	كلا لو تعلمون عِلْمَ اليقين.	١ : ٤٧٨
٦	لترونَّ الجحيم.	١ : ٤٧٨

١٠٣ ـ سورة العصر

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١	والعصر .	١ : ١٦٨
٢	إنَّ الإنسانَ لفى خُسر .	١ : ١٦٨
٣	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...	١ : ١٦٨

١٠٩ ـ سورة الكافرون

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢	لا أعبد ماتعبدون .	١ : ١٢٠
٣	ولا أنتم عابدون ما أعبد .	١ : ١٢٠
٤	ولا أنا عابدٌ ماعَبَدتُم .	١ : ١٢٠
٥	ولا أنتم عابِدُون ماأعبد.	١ : ١٢٠

٢ - فهرس الأحاديث النبوية*

الحديث		الجزء	الصفحة
(الهمزة)			
إذا أحبَّ العبدُ لقائى أحببتُ لقاءه، وإذا ذكرنى فى نفسه ذكرتُه فى نفسى ...	[حديث قدسى]	١	٣٢٤
إذا أذنْتَ فترسَّل ، وإذا أقمت فأجذِم .		١	٢٥٦
إذا دخل أهلُ الجنة الجنة وأهلُ النار النار قال الله عز وجل: انظروا مَنْ كان فى قلبه مثقال حَبّة من خردل من إيمان فأخرجوه منها .		١	٤٢٧
إذا كان ببلدٍ فلا تدخلوه. [فى حق الطاعون]		٢	٢٠١
إذا كان بالبلد الذى أنتم فيه فلا تخرجوا منه [فى حق الطاعون].		٢	٢٠١
أعتِقها فإنها مؤمنة ؛ [فى خبر له عليه السلام مع معاوية بن الحكم]		٢	١٦٧*
أعلمُكم بنفسه أعلمكم بربه .		٢	٣٢٩*
أكثرُ أهل الجنة البُلْه .		١	٣٨
الله أعلم بما كانوا عاملين.	[فى حق أطفال المشركين].	٢	٨٢
اللهم مصرّفَ القلوب صرّف قلوبَنا إلى طاعتك .		١	٣١٨
أحبُّ الأعمال إلى الله أدومُها وإن قلّ ...		١	٥٥*
أنا مِنْ حسين وحسين منى ، أحبَّ الله من أحب حسينا ...		١	٢١٩*

* ما ورد من الأرقام بجانبه نجم ؛ فهو رقم الصفحات التى وردت فيها الأحاديث التى شرحها المؤلف ؛ وما عدا ذلك فهو أرقام الأحاديث التى أوردها على سبيل الاستدلال .

الحديث	الجزء	الصفحة
إن أمامكم عقبةً كئوداً لا يجوزُها المثقلون، وأنا أريد أتخفف لتلك العقَبة .	٢	٢٨٩
إنّ أهل الميت لَيبكون عليه ، وإنه لَيُعذَّب بجُرْمِه .	١	٣٤١
إن قلوبَ بنى آدم كلَّها بين إصبَعين من أصابع الرّحمن، يصرّفها كيف يشاء .	١	٣١٨*
إنكم لَتبكون عليه، وإنّه لَيعذّب فى قبره ؛ [حينما مر على يهودى].	١	٣٤١
إنما الطِّيَرَةُ فى المرأة والدار والدّابة .	٢	٢٠١
إن الميت لَيعذّبُ فى قبره بالنياحة عليه .	١	٣٤٠
إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلّموا مأدبته ما استطعتم ، وإنّ أصفر البيوت لبيتٌ أصفَر من كتاب الله تعالى .	١	٣٥٤*
إن هذا القرآن نزل بحُزْن، فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكَوْا فمن لم يتغنّ بالقرآن فليس منا .	١	٣٢
إن مَنْ لم يرحَمْ لا يُرحَمُ .	١	٥٣٢
أوصيك بأمّك وأبيك ، وأختِك وأخيك ، وأدَانيك أدَانيك ! [من وصيته عليه السلام لصعصعة بن ناجية].	٢	٢٨٤
أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم! كان إذا خرج من منزله قال: اللهم إنى قد تصدقتُ بعِرضى على عبادك .	١	٦٣٢
أيها الناس، إنما هما نجدان...	٢	٢٨٨

(الباء)

الحديث	الجزء	الصفحة
بسم الله أرقيك ، والله يَشفيك ...	١	٣٢٦

الحديث	الجزء	الصفحة
(التاء)		
تَقِيء الأرض أفلاذ كَبِدها ...	١	٩٥*
توضئوا مما غيّرت النار .	١	٣٩٥*
(الحاء)		
الحمد لله الذى يصرِّف عنا أهلَ البيت .	١	٧٧
(الخاء)		
خير الصدقة ما أبقت غنًى؛ واليد العليا خير من اليد السفلى؛ وابدأ بمن تعول .	١	٤٠٥*
(الذال)		
ذروها فهى ذميمة . [لرجل شكا إليه عليه السلام دارا قل فيها عددهم وأموالهم] .	٢	٢٠٢
(الراء)		
رأيت ليلة أُسرِىَ بى قوماً تُقرض شفاههم وكلّما قرضت وفت ...	١	٦
(السين)		
سميتموه بأسماء فراعنتكم ؛ ليكونن فى هـذه الأمة رجل يقال له الوليد ؛ لهو شرّ على الأمة من فرعون على قومه . [حينما ولد لأخى أم سلمة ولد فسموه الوليد] .	١	١٢٩

الحديث	الجزء	الصفحة

(الشين)

الحديث	الجزء	الصفحة
الشؤم فى المرأة والدار والدّابة .	٢	٣٠٠*

(العين)

الحديث	الجزء	الصفحة
العارية مؤداة والمنحة مردودة ...	١	١٠٩

(الفاء)

الحديث	الجزء	الصفحة
فرّ من المجذوم فرارك من الأسد .	٢	٢٠٣ ، ٣٠٠*
فما أعدى الأول ! [حينما سئل عليه السلام عن النقبة تقع بمشفر البعير فيجرب]	٢	٢٠٢ ، ٢٠٢*
فهلاّ قلت إنهم كانوا يدعوْن بأنبيائهم والصالحين منهم ! [فى خبر له مع المغيرة بن شعبة] .	٢	١٩٧
فى سائمة الإبل زكاة .	٢	٣٠٠

(الكاف)

الحديث	الجزء	الصفحة
كان أهل الجاهليَّة يقولونَ : إن الطِّيرَة فى المرأة والدار والدابة .	٢	٢٠٣
كل مولود يولد على الفِطرة حتى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه .	٢	٨٢*

(اللام)

الحديث	الجزء	الصفحة
لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدوّ .	١	٤٢٧
لا تَسبوا الدهر فإن الدهر هو الله .	١	٤٥

الحديث	الجزء	الصفحة
لاتناجشوا ولاتدابروا ؛ كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه.	١	٦٣٠☆
لا سوْم قبل طلوع الشمس.	١	٦١٧
لايأذن الله لشيء من أهل الأرض إلا لأصوات المؤذنين والصوت الحسن بالقرآن .	١	٣٢
لاعَدْوَى ولاهامة ولاطِيرَة.	١:٣٧٧/٢ : ٢٠٠☆، ٢٠٢	
لايبولون ولايتغوّطون ؛ إنما هو عرق يجرى من أعراضهم مثل المسك . [فى وصف أهل الجنة] .	١	٦٣٢
لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسّه النار إلا تحلّة القسَم .	٢	٥٠☆
لاينبغى لحامل القرآن أن يظنّ أن أحداً أُعطِىَ أفضل مما أُعطِىَ لأنه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل مما ملكه .	١	٣١
لا يورِدَنّ ذوعاهةٍ على مصحّ.	٢:٢٠٠☆،٢٠٣،٢٠٤،٣٥١	
لعنَ الله السارقَ يسرق البيْضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده .	٢	٥☆
لو أدركته لأسلم؛ [حينما أنشد عليه السلام أبياتا لسويد بن عامر] .	١	٣٦٨
لو كان القرآن فى إهابٍ ما مسّتْه النار.	١	٤٢٦☆
لو كتب هذا القرآن فى إهابٍ وطُرِح فى النار ما أحرقته النار .	٢	٣٠٩
ليس من آدمىّ إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله ، ما شاء أقام، وما شاء أزاغ .	١	٣١٨
ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن .	١	٣١☆

الحديث	الجزء	الصفحة
(الميم)		
ما أنا من دَدٍ ولا الدَّدُ منى .	١	٣٣
ما مِنْ أحدٍ يُدخله عمله الجنّة وينجيه من النار .	١	٣٤٤☆
مامِنْ قلب آدمىٍّ إلاَّ وهو بين إصبعين من أصابع الله تعالى، فإذا شاء أن يثبّته ثبّته، وإذا شاء أن يقلّبه قلّبه .	١	٣١٨☆
ممــا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحْىِ فاصنع ما شئت .	١	٧٥☆
مَنْ أجبى فقد أربى.	٢	٣٩٨☆
مَنْ تعلم القرآن ثم نسيَه لقى الله وهو أجْذم .	١	٥☆
مَنْ رآنى فى المنام فقد رآنى؛ فإن الشيطان لا يتخيّل بى .	٢	٣٩٤
مَنْ غشَّ فليس منّا .	٢	١٦٩
مَنْ يتبع المشمّعة يشمّع الله به .	١	٤٩٢☆
مَنْ يسمّع الناس بعمله يسمّع الله به .	١	٤٩٤
مَنْ نيح عليه فإنه يعذّبُ بما نيح عليه .	١	٣٤٠
(النون)		
النبيون أولاد عَلاتٍ .	٢	١٨٦
نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها فى آخر الليل .	١	٣١
نعم المال أربعون والكُثْر ستون . .	١	١٠٧☆
نهى أن يصلى الرجل وهو زناء .	٢	٢٨٥☆

الحديث	الجزء	الصفحة
نهى عن كسب الزمارة .	١	٤٥٤☆
نية المرء خيرٌ من عمله .	٢	٣١٥☆
(الهاء)		
هذا أحمق مطاع . [من كلام له عليه الصلاة والسلام فى عيينة بن حصن] .	١	٥٣٢
هارون الذى ذكره هو هارون أخو موسى .	٢	١٩٧
هكذا الوضوء مما مسّت النار .	١	٣٩٦
(الياء)		
يامقلّب القلوب؛ ثبّت قلبي على دينك .	١	٣١٨
يخرجُ من النار قوم بعدما يحرقون فيها فيقال : هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجلّ .	١	٤٢٧
يقول الله عزوجل: إنى خلقت عبيدى جميعا حُنفاء فاجتالتْهم الشياطين عن دينهم، وجعلت ماأحللته لهم حراما .	٢	٨٢

تنسيق وفهرسة
د/ الشويحي

٣ ـ فهرس اللغة*

(الهمزة)

أبل ـ الإيبالة ١ : ٥٨٤ الأَبِل ٢ : ٣٢

أبن ـ الأَبَن ١ : ٣٢٣

أبى ـ أبيت اللعن ١ : ١٩٤ المأبية

١ : ٢٥٣

أدب ـ المأدُبة ١ : ٣٥٤

أدم ـ الإدام ١ : ٢٤٩

أذن ـ يأذن ١ : ٣٢ الإِذْن ١ : ٣٨

الأذَن ١ : ٣٢ ، ٣٩

أرب ـ الأُربة ٢ : ٦٠ الإِرْب ٢ :

٦٠ ، ٢١٠

أرط ـ الأَرْطاة ١ : ٧٢

أزر ـ تُؤَزِّره ١ : ٣٥٩

أزز ـ الأَزِيز ١ : ٩٥

أزل ـ الأَزل ٢ : ١٥٩

أسس ـ المستآس ١ : ٢٦٥

أسف ـ الأسيف ٢ : ١١٣ الأسف

٢ : ١٦٧

أفل ـ الإفال ٢ : ١٥٩

أفن ـ الأَفْن ١ : ٢٣٣

ألى ـ الأَلْيتان ١ : ١٥٧ آلَى ، الآلِي

١ : ٢٥٦ الألى ، الألوة ٢ : ٥١

أمر ـ أمِر ١ : ٢١٢ آمَر ١ : ٣٨١

أهب ـ الإهاب ١ : ٤٢٦

أوب ـ أوِّب ذراعيها ١ : ٥٦٠

أود ـ يتأدّى ٢ : ١١٣ الأَوْد ٢ : ١٧٢

أيد ـ الأيّد ٢ : ٩٥

(الباء)

بجل ـ البَجال ١ : ٢٤٢

بخص ـ البَخَص ١ : ٥٨٣

بخد ـ البَخنْداة ١ : ٤٤٨

بذر ـ البَيْذارة ١ : ٢١٣

برت ـ ابرنتأ [وطبع خطأ بالثاء]

١ : ٢١٩

برد ـ البرْدان ١ : ٣٧٠

برذع ـ ابرنذع ١ : ٢١٩

برر ـ البرّ ١ : ٢٠١ المبراة ٢ : ١٩٠

برق ـ البرّاق ٢ : ١٧٦

برم ـ البَرِيم ٢ : ١١٥

برى ـ تبرى ، البُرى ١ : ٢٨٢

بزل ـ البازل ١ : ٢٤٢

بشم ـ البَشام ٢ : ٢٥٧

بصر ـ بصير ٢ : ١٩٠

بضض ـ البضّ ١ : ١٥٥

بضع ـ بَضْعة ١ : ٩٦

* قصر في هذا الفهرس على الكلمات التي شرحها المؤلف.

بعد ـ المستبعَد ١ : ٥٨٢
بعل ـ البَعِل ٢ : ٢١٤
بكر ـ باكرها النعيم ١ : ٤١٣
البِكْر ٢ : ٣٩
بلد ـ التبلّد ١ : ٢٣٧
بله ـ البُلْه ١ : ٤٠ ، ٤١
بهر ـ البُهْرَة ١ : ٨٦ ، بهره ، المبهور ، بهرا ١ : ٣٤٥
بهش ـ الباهش ١ : ٣٨٣
بيض ـ البيْضة ٢ : ٧
بين ـ البين ١ : ٢٩١

(التاء)

تبع ـ التَّبُوع ٢ : ١٩٠
ترب ـ مترَبة ٢ : ٢٩١
تمك ـ التَّمَك ٢ : ٣٢
تنر ـ التنّور ٢ : ١٧٠
تير ـ التيّار ١ : ١٨٤

(الثاء)

ثرب ـ لا تثريب ١ : ٤٥٣ ، ٤٥٤
ثفى ـ الأثافىّ ٢ : ٣٠
ثقب ـ الثقّاب ٢ : ٣٢
ثلل ـ الثلّة ١ : ٤١٥
ثمل ـ الثَّميلة ٢ : ٢٠٩
ثنى ـ أثنى ١ : ٤٩٤

(الجيم)

جبب ـ الأجبّ ١ : ٨١
جبل ـ ابنة الجبل ١ : ٣٥٩ جبل ، مجبول ٢ : ٣٠٥
جبى ـ الإجباء ٢ : ٣٩٨
جدد ـ الجَدّ ١ : ٢٣٧ ، ٣٤٥
الجديدان ١ : ٣٧٠ الجُدَّاد ١ : ٥٦١ أجدّ ٢ : ٣٣
جدى ـ الجدِّيات ١ : ٤٧٣
جذم ـ الأجذم ١ : ٩٨ عطاء جَذْم ١ : ٢٥٦
جرب ـ المجرِب ٢ : ٢٨
جرر ـ الجرجرة ١ : ٢٢٩ أجررته ٢ : ١٨٥ المُجِرّ ٢ : ١٩٠
جرس ـ أجرسْ لها ٢ : ٦٣١
جرل ـ جرْوَل ١ : ١٨٥ الجِرْيال ٢ : ١٤١
جرم ـ لا جرَم ١ : ١١٠
جرمز ـ الجراميز ١ : ٢٥١
جزر ـ الجازر ٢ : ٣٥٤
جزع ـ الجُزْعة ١ : ٢٤٨
جزل ـ الجوازل ٢ : ٣٣

جمل ـ الجمائل ٢ : ٢٢٧

جفل ـ الجَفَلى ١ : ٣٥٤

جلب ـ الجُلْب ٢ : ٢٢٧

جلد ـ التَّجَلُّد ١ : ٢٣٧

جلف المجلِّف ١ : ٥٨٣

جمح ـ مُجمِح ١ : ١١٢ جمّاح ١ : ٣٧١

جمم ـ الجُمّة ١ : ٥٨٤

جنح ـ مجنحَات ٢ : ٣٠

جنف ـ الجانف ٢ : ١١٢ الجَنَف ٢ : ١٧٢

جنق ـ النياق المجانيق ١ : ٥٦٠

جنن ـ الجانّ ١ : ٢٤٨ الجناجن ١ : ٣٥٢

جوف ـ الجوْفاء ١٣ : ٢٤٩

جوز ـ الأجْواز ٢ : ١١٥

جون ـ الجوْن ٢ : ٣٠ الجوْنة ٢ : ٣٢

(الحاء)

حبر ـ الحبرة ١ : ٢٣٣

حبش ـ حُباش ٢ : ٢١٤

حي ـ حَيّ ٢ : ١٩٢

حتد ـ المحتِد ١ : ٢٤٨

حتر ـ الحِتْر ١ : ٣٥٥

حدبر ـ الحدابير ٢ : ١٥٩

حدج الحِدَاج ١ : ٢٤٢

حدد ـ الحدّ ١ : ٣٢١

حذى ـ حُذْية ١ : ٩٦ حذيت الرجل ، الحذيَّة ، الحُذْيا ١ :٤٩٧

حرج ـ الحَراجيج ١ : ٥٨٣

حرر ـ الحرّان ١ : ٢٤٣

حرس ـ الحرْس ١ : ٢٣٩

حرش ـ الحرْش ، الاحتراش ١ :٢٣٥

حرف ـ المحارَف ٢ : ٢٠٩

حرق ـ حرق ٢ : ٣٣

حزز ـ الحُزّة ١ : ٩٦

حزى ـ الحزاة ١ : ٢٣٨

حشرج ـ الحشرَج ١ ٢٥٩

حصرم ـ الحصرم ٢ : ١٦٠

حطم ـ الحاطوم ١ : ١٥٥

حظل ـ الحِظْلان ٢ : ١٥٩

حظى ـ الحِظاء [وطبع خطأ الخطاء] ١ : ٣٨٦

حقق ـ الحقحقة ١ : ٣٥٧

حكم ـ حَكَمات الدهر ١ : ٢٤٨

حلل ـ الحَليلة ١ : ٢٤٨ ، حلّت الخمر ١ : ٢٨٠ تحلّل ١ : ٣٨٣ تحِلّة ٢ : ٥٠

حلّ ـ حلّتْ به الأرض أثقالها ١ : ٩٧

حمش ـ استحمش ١ : ٩٥

حمض ـ الحَمض ٢ : ١٨٥

حمل ـ الحَميل [وطبع خطأ الجميل] ١ : ١٠٩

حم ـ الحامة ٢ : ١٣٣

حمى ـ الحاميان ٢ : ٢٨٦

حنن ـ الحَنّة ١ : ٢٤١ الحنانة ١ : ٥٦٠

حنى ـ حنىّ ٢ : ١٩٢

حوذ ـ الحاذ ١ : ٢٨١ الحاذان ٢ : ٢١٠

حوم ـ الحوائم ٢ : ٢٢٧

حير ـ الحِيرتان ٢ : ١٤٨

حيس ـ الحَيْس ١ : ١٧

حيل ـ المحالة ١ : ٢٣٧

حيى ـ التحيّة ١ : ٢٤٢

(الخاء)

خبل ـ المخبّل ١ : ١٨٥

خدج ـ الخَديج ٢ : ٣١

خدل ـ الخَدْلة ٢ : ٣٥

خدم ـ الخِدام ٢ : ٣٥

خرس ـ الخُرْس ، الخُرْسة ١ : ٣٥٥

خرطم ـ الخرطوم ١ : ٤٤٨

خَرَع ـ الخرع ، الخراعة ١ : ٢٣٨

خرق ـ الخرقاء ١ : ٥١٢ الخريق ١ : ٥٨٢

خزى ـ تخْزونى ١ : ٥٥٣

خسس ـ الخسيس ١ : ٤٤٤

خشش ـ الخشخاش ١ : ٦٣١

خصر ـ مخاصر ٢ : ١٧٧

خصل ـ الخصائل ١ : ٣٨١

خضع ـ الخيضعة ١ : ١٩٤

خطأ ـ تخاطأها ٢ : ٢٩

خطر ـ الخطْران ١ : ٢٨١

خفت ـ الخُفات ١ : ٢٤٣

خفى ـ خفاه وأخفاه ١ : ٣٣٣، ٣٣٤

خلف ـ خَلفات ١ : ٨٥

خلق ـ المخلّق ١ : ٤٤٨

خلل ـ الخَلّة ، الخُلّة ، الخليل ٢ : ١٨٥ خَلّ ٢ : ١٩٠ خلال ٢ : ٣٠٤

خمش ـ الخماشات ١ : ١١١

خَمَص ـ الخميصة ٢ : ١٤١

خمم ـ يخمّ ٢ : ٧٤

خنن ـ أيام الخُنان ١ : ٢٦٤ خنّ باكيا ١ : ٤٦٢

(الدال)

دأى ـ الدأى ١ : ٥٨٣
دبب ـ دُبّ ٢ : ٢٠٩
دبر ـ دابرُته ٢ : ١٨٦
دبى ـ أدْبى ١ : ١٧
دجن ـ الداجن ١ : ١٩٠
دجا ـ الداجية ٢ : ٢٢٧
دحرض ـ الدُّحرُضان ٢ : ٨٤
درأ ـ الدرء ٢ : ١٧٢ ادَّارأتم ٢ : ٢٢٥
درس ـ دارس ٢ : ١٩٣
دسس ـ دُسَّتْ بالهناء ٢ : ٣٠
دقع ـ الدقعاء ، مُدْقِع ٢ : ٢٩١
دعع ـ المدعدعة ١ : ١٩٤ دعّها ١ : ٢١٢
دلل ـ مُدِلّة ١ : ٥٥٧
دلص ـ الدُّلامص ٢ : ١٤١
دَهْبَل ـ الدَّهْبَله ١ : ١١٦
دهن ـ الدِّهان ١ : ٤٧٤
دور ـ يديرها ١ : ٤٣٣
دوم ـ دَوَّم الطائر ٢ : ١٧١
ديف ـ دِياف ١ : ٢٢٩
دين ـ الدّيان ١ : ٢٥٢

(الذال)

ذرر ـ الذَّر ١ : ٤٥٧
ذرا ـ المِذْروان ١ : ١٥٦ الذَّرى
الذُّرْوَة ١ : ١٥٧ الذرا ٢ : ٣٠
ذكى ـ المذكِّيات ١ : ٢٠٩
ذلل ـ ذلاذله ١ : ٣٥٩ ذلول٢:٠
ذيف ـ الذِّيفان ١ : ٢٣٦

(الراء)

رأل ـ الرأل ١ : ٢٢٩
ربأ ـ المرَبأة ٢ : ١٨٩
ربب ـ أرَبين ١ : ٦١١
ربع ـ أم رُبَع ١ : ٨٥ الرُّبع ٢ : ٣٢
ربل ـ الرَّبلات ١ : ٢٣٤
ربا ـ أربين ١ : ٦١١
رثث ـ ارتُثّ ، المرتث ٢ : ٢٩
رحب ـ الرُّحب ، ارحبوا ١ : ٢٣٨
رحم ـ المرحمة ٢ : ٩١
رخم ـ الرَّخم ٢ : ١١٧
ردح ـ رَدَاح ١ : ٤٤٨
ردع ـ الرُّداع ١ : ٤٩٧

ردف ـ الرِّدفان ١:٣٧٠
رزن ـ الأرزَنات ١:٣٢٢
رسح ـ الأرسح ١:٨١
رسل ـ الرِّسل ١:١١٢
رسم ـ المترسِّم ١:٢٨١
رشح ـ الراشح ٢:٢٨
رصع ـ الأرصع ١:٨١
رضخ ـ رضخ له ٢:١٦٠
رضف ـ الرَّضْف ١:٢٣٤
رضم ـ الرَّضَمات ٢:٢٩ الرضم
٢ : ٣٥
رعث ـ الرعاث ١:١٤٠
رعش ـ المراعشة ١:٥٤١
رعى ـ الراعى ١:٣٢٣
رقب ـ الرَّقوب ٢:٣٥
ركم ـ ركاماً ٢:٣٠٤
رمل ـ رُمَيلة ١:٨٥
رمم ـ الرُّمة ١:٥٨٣
رنح ـ يرنّح ٢:١٩٠
رنق ـ رنَق الطائر ١:٢٨١
رنا ـ أرَانى ٢:٢٢٧
روح ـ الرَّواح ١ : ٣٧١
المراح ١ : ٥٦٠
روز ـ الرَّوزىّ ١:٥٤٨
روغ ـ لم يُرِغها ١ : ٣٦٠
روى ـ الرَّوايا ٢:١٤٧
ريح ـ رياح ١:٣٧١
ريق ـ ريِّق الصبا ١:٤٤٥

(الزاى)

زبد ـ زبدته ١:٣٨٦
زجر ـ مزْجر ٢:٢١٠
زجى ـ يُزْجى ٢:٣٠٣
زعم ـ الزعيم ١:١٠٦
زفر ـ الزافر ٢:٩٥
زفى الزَّفَيان ١:٥٥٩
زلق ـ الزَّلق ١:٦٠٠
زلل ـ الأزلّ ١:٨١
زمر ـ الزَّمارة ١:٤٥٤ الزمير
١:٤٥٧
زمل ـ الأزمَل ١:٩٥
زنأ ـ الزَّناء ١:٢٨٥
زند ـ الزِّناد ١:٢٤٢
زهدم ـ الزَّهْدمان ٢:١٤٩
زود ـ مِزْوَد ١:٥٨٢
زول ـ أزاولها ٢:٢١٠
زيت ـ المزيت ١:٢٣٠

(السين)

سبب المسابّة ١:٥٥٧

سبت ــ السُّبات ١:٢٤٣، ٣٣٧، ٣٣٨

النمال السبتية ١ : ٣٣٧

ابنا سُبات ١: ٣٧٠

سبرت ــ السُّبروت ١:٣٧١

سبط ــ الأسباط ١:٢٢٠

سَبَل ــ السَّبَل ١:٣٥٩

سحب ــ السحاب ٢:٣٠٤

سَخَل ــ سُخبلة ١ : ٨٥

سدل ــ سَدَل به ١:٣٩٨

سررَ ــ السرّ ١:٢٤٠ سرّ الوارى ١:٢٤٨

سغب ــ السَّغَب ٢:٢١٠، ٢٩

سفف ــ يُسِفّ (طبع خطأ «يَسِفّ») ١:٢٨١

سقط ــ أسقط فى أيديهم ١:٣٤٣

سكك ــ السِّكّة ١:٢١٩

سكن ــ المسكين ٢:٢٩١

سلب ــ السلائب ٢:٣١

سلف ــ السُّلْفة ١:٣٥٦

سلم مسلّمة ٢:٤٠

سلا ــ الأسلاء ١:٣٤٣

سمدع ــ السميدع ١:٢٦٨

سمع ــ يسمِّع ١:٤٩٤ سميع ٢:١٩٠

سمن ــ سمين الضواحى ١:٥٠٩

أسمن بنوفلان ٢:٢٦٦

سما ــ السماء ٢:١٦٩، ٣٠٦

سنب ــ السَّنْبة ١:٢٣٩

سنهَ ــ المسنتون ٢:٢٦٩

سنا ــ سنا البرق ، سناء المجد ٢:٣٠٨

سها ــ بنو سَهْوان ١:٢٣٨

سود ــ المساودة ١:٣٠٦

سوف ــ ساف ١:٢٢٩/ ٢:١٦٨

سوم ــ سوام ١ : ٥٨١ الخيل المسوّمة ١:٦١٧ التسويم ١:٦١٨

سوى ــ سواسية ١:٥٠

(الشين)

شأس ــ شأس ٢:٢٨٦

شبب ــ شُبّ ٢:٢٠٩

شتت ــ الشَّتيت ٢:١٧٥

شجع ــ الأشاجع ١:١٩٤

شدخ ــ الشُّندخىّ ١:٣٥٦

شدَن ــ شدينة ١:٢٨١

شذر ــ الشَّذران ١: ٢٨١

شرر ــ الشراشر ١:٢٥١

شرف ـ الشارف ١:١١١ الإشراف ١:٤١٠
شزر ـ الشّزر ١:٢٣٧
شسف ـ شُسَّف ١:٥٨٣
شعب ـ الشّعيب ١:٤٤٩ الشّعب ٢:١٧٧
شغب ـ الشغب ٢:٢٠٩
شغر ـ الشّغْر ١:٧٩ شغّارة ١:٨٠
مشتغر المدى ٢:١٧٤
شكس ـ الشّكْس ٢:١٧٧
شكل ـ الأشْكَل ١:٣٥٩
شكا ـ ١:١٧
شلل ـ شلّ الثوب ٢:١٧٧
شمذ ـ شامذة ١:٢٨١
شمع ـ المشمَعة ١:٤٩٢
شمم ـ الشمم ١:٢٤٧
شنشن ـ شِنْشِنة ١:٣٧٤
شوف ـ المشُوف ١:٢٦٤
شيل ـ شالتْ نعامتُهم ١:٢٥٢

(الصاد)

صبع ـ الإصبع ١:٣١٨،٣١٩
صَبَا ـ الصّبْوة ١.٢٣٣
صدأ ـ صُدْء السرابيل ٢:١٥٨
صدد ـ صددك ٢:١٧٢
صدر ـ الأصدران ١:١٥٦
صَرَع ـ الصّرْعان ١: ٣٧٠
صمر ـ صمَرك ٢:١٧٢
صملك ـ الصملوك ١ : ٣٧١
صفر ـ الصفَر ١ : ٣٥٨ الصافر ١ : ٤٥٥/٢:١١٢
صفا ـ الصفا ٢:٣٠ صفوك ٢:١٧٢
صكك ـ صكّ جبهته ٢:١٦٨
صور ـ الأصوَر ٢:١١٦
صوع ـ الصُّوَاع ٢:١٣٩
صوم ـ صام النهار ١:٢٨١ الصائم ٢ : ٣٥

(الضاد)

ضبب ـ الضبّ ١:٨٠
ضحا ـ أضحيان ١:٨٦
ضرر ـ الضرير ٢: ٢١٠
ضرع ـ الضّرَع ١:٢٤٨
ضفر ـ الضَّفْر ١:٥٥٧
ضلع ـ ضلعك ٢:١٧٢
ضمر ـ الضامرون ٢:١٦٠
ضوج ـ ضوْج الوادى ٢ : ١٧٧
ضيف ـ أضاف ٢:١١٢

(الطاء)

طبع ـ الطَّبَع ١:٢٣٧
طرق ـ الطّروقة ١:١١٢

طفق ـ طِفِق ١ :٢٢٠
طفل ـ الطفيلي ١:٣٥٧
طلفا ـ المطلنفى ١:٤٥٧
طلل ـ طلّ دمه ١: ٤٤٣ الطَّلة ٢٤١:١ الطلّ ١:٤٩٩
طوف ـ أطاف به ١:٥١٢
(الظاء)
ظمن ـ الظمينة ١:٢٤٢
ظلع ـ ظلعك ٢:١٧٢
(العين)
عبر ـ العِبْرَة ١:٢٣٣
عتر ـ العَتيرة ١:٢٦٥
عتق ـ عتاق ١:٥١٢
عتم ـ عَتمة ١:٨٥
عجر ـ عُجْر البطون ٢:١٥٨
عجف ـ عِجاف ١:٤٤٣
عجل ـ المعجل ١:٥٥٤
عذر ـ العَذيرة ١:٣٥٥ ، ٣٥٦
الإعذار ١:٣٥٦
عذم ـ المذْم ٢:٢١٠
عرب ـ المُعرِب ٢:٣٤٣
عرد ـ المرْد ١:٣٠٦
عرر ـ العرار ١:٤٤٩،٢:١٤٠
عرس ـ العُرْس ١:٣٥٤ أعرِّس ١:٣٥٧
عرش ـ عُرِش ٢:٣٢
عرض ـ العارض ٢:١٧٦
عرف ـ عرّف ٢:١٧٤
عرفج ـ العرْفج ١:١٧
عرق ـ العراق ٢:١٧٦
عزب ـ المعزّبة ١:٢٤١
عسقل ـ العساقيل ١:٥٥٨
عصر ـ المصران ١:٣٧٠ المصرة ١:٣٥٩
عصم ـ المِعْصَم ١:٢٣٨ المصمة ٢ : ٣٤٧
عطف ـ العِطاف ١:٣٥٩
عطل ـ العَيْطَل ١:٥٥٨
عنم ـ العَنَم ٢:٢٥٦
عظى ـ المظايا ١:٢٣٦
عفر ـ العفْر ١:٢٨١
عفا ـ لم يعفُ رسمها ٢:١٩٢،١٩٣
عفوا ، عفا الشعر ٢:١٩٤
عقق ـ العقيقة ١:٣٥٥
علج ـ يمتلجْن ١ : ٤٩٣
علط ـ العلاط ١ : ٤٩٣
علف ـ المُلّفة ١ : ٣٧٣
علل ـ أبناء علاَّت ٢ : ١٨٦
عمر ـ العمران ٢ : ١٤٨
عمل ـ التعمال ١ : ٢٨١

عم ـ العميم ١ : ١٤٩
عمى ـ عماء ١ : ٤٥٥
عنم ـ العَنَم ٢ : ٢٥٦
عوج ـ العوْجاء ٢ : ١١٥
عود ـ العوْد ١ : ١١١ ، ٢٢٩
العائد ٢ : ٣٢
عوذ ـ العوذ ٢ : ٣٠٤
عور ـ المعاورة ١ : ٢٣٩
عول ـ العيال ٢ : ١٥٩
عون ـ العَوان ٢ : ٤٠
عيم ـ الاعتيام ٢ : ٢١١
عين ـ أبناء الأعيان ٢ : ١٨٦

(الغين)

غبب ـ غَبا ٢ : ٢٠٩
غبن ـ المغابن ١ : ٦٣٤ التغابن ٢ : ٤٠٣
غدف ـ الغُداف ١ : ٤٤٥
غذر ـ الغيذارة ١ : ٢١٤
غرب ـ الغرْب ٢ : ٣٩ الغراب الأبيض ٢ : ١٣٣
غرض ـ الغرض ١ : ٢٣٩
غطل ـ غيطَل ٢ : ١٩٠
غلب ـ غلاب ١ : ٢٠٩
غلا ـ غلاء ١ : ٢٠٩

غمد ـ التغمّد ١ : ٣٤٤
غمر ـ الغُمَر ١ : ٩٦ الغُمْر ١ : ٢٤٨
غنى ـ يتغنّى ١ : ٣١ ، ٣٤
غول ـ مِغْوال ١ : ١٥٦
غيض ـ غيض ١ : ٥٨٤
غيل ـ الغَيْل ١ : ٢٣٨
غيم ـ الغيْم ٢ : ١٧٧
غين ـ الغَيْن ٢ : ١٧٧

(الفاء)

فأس ـ فأس الرأس ١ : ٢٢٠
فتى ـ الفَتيان ١ : ٣٧٠
فتأ ـ فتأغضبه ٢ : ١٧١
فجر ـ فجر الرجل ١ : ٤٥٧
فجع ـ المفجّع ١ : ٢٤٣
فرخ ـ أفرِخْ ١ : ٣٨١
فرض ـ الفراض ٢ : ٢٩ الفارض ٢ : ٣٩
فرع ـ الفروع ٢ : ٥٢
فرق ـ الفرقان ٢ : ٢٥٩ فارق ٢ : ٢٨٣
فرزدق ـ الفرزدقة ١ : ٦٢
فزع ـ فزِعتُ له ٢ : ١١٤
فضض ـ الفضيض ١ : ٤٤٨
فطر ـ الفطّارة ١ : ٨٠

فطم ـ الفُطُم ١ : ٢٤٩

فغم ـ الفغِم ٢: ١٨٩

فقر ـ فقر ، يفقر، فقرا ، الفاقرة ، مفقر ١ : ١٨ الإفقار ١ : ١١٢

فقع ـ فاقع ٢ : ٤٠

فلذ ـ الأفلاذ ١ : ٩٦

فلق ـ الفلْقة ١ : ٩٦

فود ـ الفودان١ : ١٥٦

فوق ـ الفواق ١ : ٣٨٦

فيل ـ فال ٢ : ٢٤٤

(القاف)

قبر ـ ذو القبر ٢ : ٢٨٣

قبل ـ القبيل١ : ١٠٩

قحب ـ القحْبة ١ : ٤٥٥

قدر ـ القُدار ١ : ٣٥٦

قدم ـ القوادم ١ :٨٠ ـ القدام ١ : ٣٥٦

قرب ـ القرب ، مقربة ٢ : ٢٩١

قرت ـ القُروت ١ : ٢١٣

قرح ـ ذو القروح ١ : ١٨٥

قرر ـ القرّتان ١ :٣٧٠ ، أقرت ١ : ٣٨٦

قرضب ـ القرضوب ١ : ٣٧١

قرق ـ القرق ١ : ٥٦١

قرمص ـ المقرمِص ٢ : ٢٠٩

قرن ـ القَرن ١ . ٣٧٠

قرى ـ المقراة ١ : ٢٥٦

قزع ـ القزَع ١ : ١٩٤

قسر ـ القسْر ١ : ٢٨٣

قصر ـ قصرت قدرى ١ : ٤٧٣

قضب ـ القضيب ١ : ١١٤

قطط ـ القطّ ١ : ١٨٤

قعس ـ القعساء ١ : ٨٥

قفر ـ المقتفر ، القفرة ١:٨٦/٢:١٨٩

قفعل ـ المقفعِلّ ٢ : ١١٦

قلب ـ القَلِيب ١ : ٣٤٢

قلت ـ المقلات ١ : ٥٦ ، ٣٢٢

قنب ـ المقانب ٢ : ١٥٨

قنر ـ القنوّر ٢ : ٢٨٤

قنص ـ القانص ٢ : ١٨٩

قنع ـ أقنعه ١ : ٢٢٠

قنا ـ أقنو ١ : ١٨٤

قوف ـ المتقوّف٢ : ٢٨

قيأ ـ تقىءُ ١ : ٩٥

قيل ـ قالَ ١ : ٧٣،القيلولة ١ : ٢٨١

قين ـ القيْن ٢ : ٢٢٧

(الكاف)

كبب ـ كُبّة المشتى ١ : ٤٢

كبد ـ كَبد المشتى ١ : ٤٢ الكبد ١ : ٤٧٤

كبا ـ يكتبين ١ : ٤١
كتب ـ كتب الدابة ١ : ٢٨٩
كتن ـ الاكتئنان ١ : ٢١٣
كثر ـ الكُثْر ١ : ١٠٩
كرا ـ الكرين ١ : ٥٦٠ يكرو ١ : ٥٦١
كمم ـ يكعم ٢ : ٢٥
كفر ـ كافر ١ : ١٨٤
كفل ـ الكِفْل ١ : ٤٥٧
كلب ـ الكليب ٢ : ٢٢٢
كوم ـ الكوْماء ١ : ٢٤٢
كنن ـ الكَنَّة ١ : ٢٣٣

(اللام)

لبب ـ ألبّ ١ : ٦١١
لدن ـ اللدونة ٢ : ٢٠٩
لصب ـ اللِّصْب ١ : ٣٥٩
لثغ ـ الألثغ ٢ : ٣٢٨
لحن ـ اللحْن ١ : ١٤ ، ١٥
لدد ـ اللدَد ٢ : ١٧٣
لصص ـ ألصّ الضروس ٢ : ١٩٢
لمن ـ اللَّمين ٢ : ١١٩
لغم ـ اللاغم ١ : ٤٤٣
لقح ـ اللقْحة ٢ : ١١٥
لمظ ـ التلمُّظ ٢ : ١٨٦
لمق ـ الّماق ٢ : ٢٢٧
لهن ـ اللُّهنة ١ : ٣٥٦
ليغ ـ الأليغ ٢ : ٣٢٨

(الميم)

متع ـ الامتتاع ١ : ٤٤٨
مثل ـ المِثال ١ : ٣٢ امتثالها ١ : ١١٢
محل ـ المحال ٢ : ١١٥
مدد ـ المادّ ٢ : ١٧٤
مذر ـ المذروان ٢ : ١٥٦
مرخ ـ المرْخ ٢ : ٢٩
مرى ـ المرْى ٢ : ١١٢
مزع ـ المُزْعة ١ : ٢٤٨ ، ٢٤٩
مسح ـ الأمسح ١ : ٨١
مسى ـ مُسْى ١ : ٣٥٧
مصر ـ المصير ٢ : ٢١٤
مطق ـ التمطق ٢ : ١٨٦
معك ـ مماكة ١ : ٣٩٨
مقط ـ المقط ١ : ٥٦٠
مكك ـ المكّتان ٢ : ١٤٨
ملح ـ المِلْح ٢ : ١٦٠
ملخ ـ الملْخ ١ : ١٥٥
ملع ـ الملْع ١ : ٣٥٧ المليع ١ : ٥٥٩
ملل ـ حتى تملوا ١ : ٥٥ ـ ٥٧
ملا ـ الملوان ١ : ٣٧٠

ممس ــ مومسة ١:٢٣٣

منح ــ المِنْحة ١:١٠٩

منى ــ يمنى ، المانى ، المَنى ١:٣٦٨ ، ٣٦٩

موه ــ ذات ماءين ١:٥٨٤

ميل ــ المَيَل ٢:٣٢ ، مال ٢:١٧٤

مين ــ المَيْن ٢:٢٥٨

(النون)

نبح ــ المستنبح ٢:١١٤

نبخ ــ نبخاء ١:٢٢٠

نبغ ــ النوابغ ١:١٨٥

نتل ــ استنتل ١:٢١٩

نجج ــ الينجوج ١:٤٢

نجد ــ النَّجْد ٢:٢٨٧

نجش ــ النجَّاش ١:٦٣١

نجل ــ منجول ١:٤١

نجم ــ المنجم ١:٣٣٠

نجو ــ أنجوا ١:٣٥٧ نجاه ٢:١٧٤

ندد ــ أنداداً ٢:١٨٨

نزر ــ نزراً ١:١٣

نزع ــ النازع ١:٦ ٣

نسق ــ متنسق ١:٤٤٨

نسا ــ النّسا ١:٣٠٦/٢:١٩٠

نشر ــ الناشر ١:٤٥١

نصر ــ النصير ، تنتصر ٢:١١٩

نصل ــ المناصل ٢ : ٢٠٩

نضب ــ الناضب ١:٤٥٥

نضر ــ النضير ٢:١٤١

نضا ــ الأناضيّ ٢:١٥٩

نطف ــ النطفة ١ : ٣٥٩ النطاف ٢:١٧٧

نظر ــ النظائر ٢:٣٢

نعب ــ نَعَب ، مِنْعَب ، نعابة ١:٢١٩

نعر ــ النَّعِر ٢ : ١٩١

نعق ــ نعِق ١:٢١٨

نعم ــ أنعم ١:٥٠٩

نفخ ــ نَفْخاء ١:٢٢٠

نفس ــ النَّفَس ، النُّفوس ١: ٣٢٤ ــ ٣٢٦

نقب ــ النقبة ٢:٢٠٠

نقر ــ ينتقر ١:٣٥٤

نقرس ــ النِّقرس ١:١٨٥

نقض ــ الأنقاض ١:٢٨٢

نقع ــ النَّقيعة ١ : ٣٥٥ ، ٣٥٦

نكب ــ المنكِب ١ : ٣٢٢

نكر ــ النَّكِر ٢ : ١٩٠

نكس ــ المنكوسة ١ : ٥٦٠

نهب ــ نُهْب ٢ : ٢٠٩

نوح ـ التناوح ٢ : ١١٧
نوى ـ ذو النيّة ٢ : ٣٢
نيب ـ الناب ١ : ١١١ أنيب ٢: ٢١٣
نير ـ النيران ١ : ٥٦٠

(الهاء)

هبب ـ المهبّون ٢ : ١١٤
هبر ـ هبرةً ١ : ٩٦ هبرًا ١ : ٢٢٧
هجر ـ هجريّة ١ : ٢٣٠
هجم ـ مهجوم ١ : ٥١٢
هدَن ـ أهدنه ١ : ٢٥١
هدى ـ التّهادى ١ : ٢٤٢ الهدىّ ٢ : ٩٥
هرأ ـ الهُراء ١ : ١٣
هكم ـ التهكّم ٢ : ١٩٠
هلبج ـ هلباجة ١ : ٣٥٥
هلّف ـ الهلّوف ٢ : ٢٨٦
همم ـ الهميمة ١ : ٤٤٩ الهاهم ٢ : ١٥٥
هند ـ المهنّد ١ . ٢٤٨
هون ـ الهون ١ : ٢٥٢
هيب ـ الإهابة ٢ : ٣٢
هيق ـ الهيْق ١ : ٥١٣
هيم ـ الهيم ١ : ٢٤٩

(الواو)

وأد ـ الموءودة ٢ : ٢٨١
وتر ـ الوِتر ٢ : ٣٢
وجب ـ الوجْبة ١ : ٣٥٧ ، ٣٥٩
وجه ـ الوجْه ١ : ٥٩١
وجى ـ الوجى ١ : ٢٢٩
وحم ـ الوحَم ٢ : ١٦٠
ودق ـ الودْق ، استودق ٢ : ٣٠٤
ودك ـ الودَك ١ : ٢٤٩
وذر ـ الوذَرة ١ : ٩٦
ورد ـ وراد الأعالى ٢ : ٢٨
ورش ـ الوارش ، الوروش ١ : ٣٥٧
ورع ـ الرِّعة ، الورَع ١ : ١١٢ التورع ١ : ٢٣٤
ورق ـ الرِّقين ١ : ٢٣٣ الأورق ٢: ٢٨، الورق ٢ : ٣١
ورى ـ وريّة ١ : ٢٤٢
وزم ـ الوزْمة ١ : ٣٥٦
وسل ـ الوَسيلة ١ : ٢٤٨
وسم ـ الوِسام ١ : ٤٢
وشى ـ شية ٢ : ٤٠
وصص ـ الوصاوس ١ : ٤١
وصل ـ الموْصلان ٢ : ١٤٨
وصم ـ الوُصوم ١ : ٣٧١
وضأ ـ توضئوا ١ :٣٩٥

وضع ـ الوضْع ١ : ٣٥٧
وضن ـ الوضّن ٢ : ٣٥
وطس ـ الوطيس ٢ : ١٧١
وغر ـ الوغير ، المستوغر ١ : ٢٣٤
وغل ـ الواغل ١ : ٣٥٨
وقب ـ الوقْب ١ : ٤٦
وقذ ـ يقذ ١ : ٨٠
وقر ـ الوقير ٢ : ٢٠٩
وقع ـ الوقيعة ١: ٢٥٩
وقف ـ الوقف ٢ : ٣٥
وقى ـ يقين ١:٢٢٩
وكر الوكيرة ١:٣٥٥ ، ٣٥٦
وكل ـ التواكل ١:٢٣٩
ولم ـ الوليمة ١:٣٥٥،٣٥٦
ولى ـ الوليّة ١:٢٤٢
وهل ـ الوهل ١ : ٣٤٢
وهن ـ الوهَن ١ : ٢٣٨
ويل ـ ويل أمه ٢ : ١٥٧ ويلُ بها ٢ : ١٧٥

(الياء)

ينع ـ اليانع الغوريّ ٢ : ١٧٤

تنسيق وفهرسة
د/ الشويحي

٤ ــ فهرس الأشعار

وسماءُ	طويل	النظار الفَقْعَسِىّ	١ : ٤٨٨
لواءُ	»	—	١ : ٥٧١
وسماؤها	»	إبراهيم بن العباس الصولىّ	١ : ٥٢٣
الرِّشاءُ	وافر	زُهَيْر بن أبى سُلمى	١ : ٩٩
فداءُ	»	الربيع بن ضبع الفَزارىّ	١ : ٢٥٥
أضاءوا	»	أبو الطَّمحان القينىّ	١ : ٢٥٩
وضاءُ	»	—	١ : ٣٩٧
الجزاء	»	حسان	١ : ٦٣٢ ، ٦٣٣
سواء	»	»	٢ : ١٨٢
الفداء	»	»	٢ : ١٨٨
الأنضاءُ	كامل	المتنبّى	١ : ٥٦٣

* * *

الثلاثاءِ	بسيط	—	١ : ٣٥٥
دائى	»	سهل بن هارون	١ : ٤٦٠
بالعطاء	مخلّع البسيط	العَكَوّك	١ : ٥٢٢
مسائى	وافر	زُهَيْر بن جَناب	١ : ٢٤١
جرداءِ	كامل	البحترىّ	١ : ٥٩٧
شمواءِ	»	»	٢ : ٢٥١
العلماء	»	السيد الحِميرىّ	٢ : ٣٤٠

غُلوائها	مجزوء الكامل	عبدالله بن قيس الرقيات	٢ : ١٤٠
الأحساء	خفيف	الحسن بن مُطَير	٢ : ٦٤
الظباء	متقارب	المرار	١ : ٣٢٨

(الباء)

المشيبْ	سريع	مُسلم بن الوليد	١ : ٤٣٨
قد وجب	رمل	—	١ : ١٠٩
اللهب	«	ابن الرومىّ	١ : ٤٤٧
يشب	«	—	١ : ٥٣٣
المسب	«	مِسكين	١ : ٦٣٣
للصخب	«	«	٢ : ١٦٠

* * *

المهذّبا	طويل	بشّار	١ : ١٣٩
نابا	«	ربيعة بن مالك	١ : ١٩٣
العذْبا	«	الحسن بن على الواسطىّ	١ : ٤٤٩
ومِخْلبا	«	البُحترىّ	١ : ٥٨٦
فأعْتبا	«	«	١ : ٥٧٣
وأدّبا	«	—	١ : ٦٠٢
نبا	«	البحترىّ	٢ : ٤١
ومرحبا	«	المثقّب العبدىّ	٢ : ١٦٩
أنْيبا	«	—	٢ : ٢١٣
غضبا	بسيط	مرّة بن محْكان	١ : ٩٥

انصبابا	وافر	جرير	١ : ٢٨٩
بابا	»	بِشر بن أبى خازم	١ : ٣٤١
والخشابا	»	جرير	٢ : ٥٧
الضِّبابا	»	الأخطل	٢ : ١٧٥
مُراقبا	كامل	—	١ : ٥٢١
خَضِيبا	»	البحترىّ	١ : ٦٢٠
طَلبا	»	أوس بن حَجَر	٢ : ٧٣
القربا	منسرح	لَبيد	١ : ١٩١
ولَعوبا	خفيف	أبوتَمّام	١ : ٦١٠
نصابَه	خفيف	البحترىّ	١ : ٥٦٩
ضَريبا	متقارب	»	١ : ٥٣٥
ندوَبا	»	»	١ : ٦٢١
قضيبا	»	»	٢ : ٦٣

* * *

يجيبُ	طويل	ابن الدُّمَينة	١ : ٤١
قريب	»	—	١ : ٥١
قاربُ	»	نصيب	١ : ٦١
يلعبُ	»	الكُمَيت	١ : ٦٦،٦٧
يخيب	»	ضابئُ بن الحارث	٢ : ١٠٤
وأوجبُوا	»	—	١ : ١٢١
تنُوب	»	إسماعيل بن القاسم	١ : ١٩٦
كوكَب	»	طُفَيْل الغنوىّ	١ : ٢٥٨

دَبيبُ	طويل	عدىّ بن الرِّقاع العاملى	١ : ٢٧٧
رطب	«	الباهلىّ	١ : ٣٦٢
أرغب	«	—	١ : ٣٦٦
ذنوب	«	—	١ : ٣٧٥
محسب	«	—	١ : ٣٨٩
شراب	«	المتنبي	١ : ٤٠٠
هبوب	«	—	١ : ٤٢٩
شعيب	«	أبو حية النمرى	١ : ٤٤٩
أتجنب	«	« «	١ : ٤٥٠
غروب	«	—	١ : ٤٥٩
دبيب	«	عُروة بن حزام	١ : ٤٥٩
لتائب	«	بشر	١ : ٤٦٣
راغب	«	مِسكين الدارِمىّ	١ : ٤٧٣
جديب	«	—	١ : ٤٧٥
يتذبذب	«	النابغة الذبيانىّ	١ : ٤٨٧
يشعب	«	بشار	١ : ٥١٠
أذهب	«	—	؟ : ٥٢٦
تلهّب	«	مروان بن أبى حَفصة	١ : ٥٨٧
مشيب	«	على بن جَبَلة	١ : ٥٩٨
مجيب	«	كعب الغنوىّ	١ : ٦٠٤
مذهب	«	النابغة الذبيانىّ	٢ : ١٧
رَقوب	«	بشار	٢ : ٣٥

غريبُ	طويل	الحسين بن الضَّحاك	٢:٤٤
حبيب	«	البحتريّ	٢:٤٥
حبيب	«	—	٢:٥٦
مشرب	«	بشار	٢:٦٣
أجيب	«	الأحوص	٢:٦٥
أعضب	«	—	٢:٧٣
لخطيب	«	—	٢:١٠٥
الهواضب	«	—	٢:١٥٠،١٥١
وتحلب	«	—	٢:٢٧٣
عواقبُه	«	المتلمس	١:١٨٥
صاحبُه	«	أبو الطَّمحان القَينيّ	١:٢٥٧
صاحبه	«	—	١:٢٥٨
صاحبه	«	المرار الفقعسيّ	١:٣٠٦
أخاطبه	«	ذو الرُّمة	١:٣٣٠،٤٢٩
ساكبه	«	أبو تمَّام	١:٥٨٥
أطايبُه	«	الفرزدق	١:٦٠٥
جاد به	«	ذو الرُّمة	١:٦٠٥
وأقاربه	«	الأحوص	٢:٦١
نوائبه	«	—	٢:١١٨
كواكبه	«	بشار	٢:١٢٦
مُنيبُها	«	الفرزدق	١:٦٩٥
طلابها	«	أبو ذؤيب	١:٢١٧
تهابها	«	—	١:٣٢٤

اغتيابُها	طويل	هلال بن خثعم	٣٧٩:١
ثيابها	«	عُروة بن أذينة	٤١٣:١
هبوبها	«	ذو الرُّمة	٣٨٧:١
هبوبها	«	إبراهيم بن العباس	٤٨٧:١
ترابها	«	—	٥٠٧:١
غرابها	«	مروان بن أبى حفصة	٥٨٨:١
غروبها	«	إبراهيم بن العباس	٩٢:٢
سربُ	بسيط	ذو الرُّمة	٢٧٨:١
والرّكب	«	أبو تَمَّام	١ ٥٣٥
يجتنب	«	مروان بن أبى حفصة	١ : ٥٧٤
ذهب	«	ذو الرُّمة	١٤٠:٢
والشنب	«	الكميت	٢٥٤:٢
شنب	«	ذو الرُّمة	٢٥٥:٢
الغراب	وافر	النابغة الذبيانىّ	٥٥:١
الحبيب	«	أبو العيص المازنى	٢٢٢:٢
حسب	مجزوء الوافر	جحظة	٥٧٥:١
تلعب	كامل	عبيد بن الأرص	٥٦:١
أن يغضبوا	«	—	١١٠:١
حندَب	«	—	٣٨٦:١
أرغب	«	الهذلىّ	٤١٢:١
مترّب	«	ساعدة	٥١٩:١
لا تغرب	«	البحترىّ	٩٢:٢

مغتابُ	سريع	أبو نواس	٤١٥:١
ذهبُهْ	«	بشار	٣٥٦:١
ولا رَهبُ	منسرح	الـكُميت	٨٠:٢
مصعبُ	مجزوء الخفيف	عبد الله بن قيس الرقيَّات	٥٢٨:١

* * *

بالمصائِب	طويل	الفرزدق	٥٨:١
تطيّبِ	«	امرؤ القيس	٢٢١:١
راكبِ	«	قيس بن الخطيم	٣٣٠:١
مركّبِ	«	امرؤ القيس	٣٣٣:١
العصبِ	«	الأخطل	٣٤٣:١
المـآدب	«	امرؤ القيس	٣٥٥:١
الأهاضبِ	«	—	٣٦٦:١
ركوبِ	«	المضرّب	٤٥٨:١
ودءوبِ	«	الأخطل	٥٥٣:١
بكاذبِ	«	سواد بن قارب	٥٧٦:١
مغالبِ	«	ابن الرومىّ	٥٩٥:١
المذبِ	«	إسحاق الموصلىّ	٦٠٦:١
الخواضبِ	«	—	٦٠٨:١
مشربِ	«	الرّاعى	٢٨:٢
ممذّب	«	على بن الجهمْ	٦٢:٢
تسرّب	«	—	٦٤:٢

يثقبِ	طويل	امرؤ القيس	١٢٥:٢
كواكب	«	—	١٢٦:٢
رقيبِ	«	ابن المعتز	١٢٧:٢
كثيب	«	فضالة بن وكيع	١٧٤:٢
والمغاربِ	«	ذو الرُّمة	١٧٥:٢
كوكبِ	«	—	١٧٥:٢
محطبِ	«	امرؤ القيس	١٩١:٢
المخضَّبِ	«	المجنون	٢٥٥:٢
وصايبها	«	البحتريّ	٢٣٠:٢
عتابى	مديد	عمر بن أبى ربيعة	٥٠٥:١
خطبِ	بسيط	بشار	١٣٩:١
الهربِ	«	البحترى	٥٣٤:١
بالزابِ	«	يزيد بن مفرغ	٥٣٦:١
الذهبِ	«	الأمويّ، أو الأسديّ	٥٧٥:١
واللعبِ	«	—	٥٩٩:١
عجبِ	«	أبو تمام	٥٩٩:١
أرَبى	«	البحتريّ	٦١٩:١
الكذبِ	«	المتنبي	٤٠:٢
الذهب	«	أبو نواس	١٢٦:٢
تأديبى	بسيط	البحتريّ	٢٣٠:٢
الحسابِ	وافر	الوليد بن يزيد	١٣٠:١
وانتسابى	وافر	امرؤ القيس	١٧١:١

والرّباب	وافر	—	٢٨٨:١
المغيبِ	«	إبراهيم بن العباس الصولىّ	٣٠٥:١
القليب	«	حسان	٣٤٢:١
حبيب	«	البحترى	٥٤٤:١
الحبيب	«	—	٥٠٦:١
بالشرابِ	«	امرؤ القيس	٥٧٧:١
بالمعيب	«	البحترىّ	٦٢٠:١
القضيبِ	«	—	٦٣:٢
السحاب	«	—	١٥٢:٢
الحليب	«	—	٢٢١:٢
منقلبى	مجزوء الوافر	ابراهيم بن العباس الصولى	١٧٢:١
بالمرتاب	كامل	القتال الكلابىّ	١٤:١
الأحساب	كامل	مروان بن أبى حفصة	٢٢٦:١
الأركبِ	«	الشمّاخ	٣٤٣:١
قريبِ	«	قيس بن الخطيم	٥٤١،٣٩٣:١
ثيابِ	«	—	٤٦٧:١
محسوب	«	—	٥٤٥:١
يعقوبِ	«	—	٥٦٩:١
مراقبِ	«	العباس بن الأحنف	٥٧٤:١
قلبى	«	الأحوص	٦٦:٢
كلابى	«	ابن هرمة	١١٣:٢
لغروب	«	قيس بن الخطيم	١٤٠:٢

وقلوبِ	كامل	البحترى	٢:١٥٢
لم تنكبِ	»	بشر بن أبى خازم	٢:١٦٨
الكسْب	»	أسماء بن خارجة	٢:٢٠٧
عذابِ	»	—	٢:٣١١
للمغرب	»	السيد الحميرى	٢:٣٤٠
معرب	»	»	٢:٣٤٣
بعنَّابِ	خفيف	أبو نواس	٢:٢٥٥
شعبه	منسرح	عبيد الله بن قيس الرقيات	١:٥٦٨
كاتبِ	سريع	الصاحب	١:٤٠٠
قلبى	»	الأحوص	٢:٦٦
والكتابِ	خفيف	عمر بن أبى ربيعة	١:٣٤٥
الذباب	»	—	١:٥٠١
الشباب	»	عمر بن أبى ربيعة	١:٥١١
الإجتناب	»	البحترى	١:٦٠٠
بانقضابِ	»	ابن الرومى	١:٦٢٧
والترابِ	»	عمر بن أبى ربيعة	٢:٢٨٩
أبِ	متقارب	محمود الوراق	١:١٧٢
مرحبِ	»	الجعدى	١:٢٠٢
تنصبِ	»	»	١:٢٦٩

(التاء)

أتَتْ	رمل	أبو العتاهية	١:٥٣٣

* * *

صيّتُ	طويل	الأخطل	١١٥:٢
زعتُها	«	مسكين الدارى	٤٧٠:١
قوتُ	مخلع البسيط	ابن المقفع	١٣٤:١
تلهفتُها	سريع	ابن الرومى	٦٢٧:١

* * *

فشلّتِ	طويل	كثير	٤٦:١
ذلّت	«	«	١٩٦:١
تغنّتِ	«	زفر بن الحارث	٢٤٤:١
ضلّت	«	الطرماح	٢٨٩:١
زلتِ	«	إبراهيم بن العباس	٣٠٦:١
فدرّتِ	«	حارثة بن بدر	٣٨٦:١
جُنّتِ	«	—	٤١٢:١
وتخلّتِ	«	كثير	٤١٤:١
العرصاتِ	«	دعبل	٤٨٤:١
تخلت	«	—	٤٩٩:١
ذلّة	«	—	١٨٤:٢
أجرّتِ	«	—	١٨٥:٢
لَقلّتِ	«	كثير	٢٣٤:٢
صبواتِها	«	أبو العتاهية	٤١٦:١
الثبتِ	بسيط	دعبل	٢٧٠:٢
ذاهباتِ	وافر	عروة بن أذينة	٤١٥:١
ودياتِ	خفيف	أبو تمام	٥٨٩:١

(الجيم)

ودَجا	بسيط	مسكين الدارمى	٤٧٤:١
خلاجاَ	الوافر	أبو ذؤيب	٦١٦:١

* * *

ينسجُ	طويل	أبو دهبل	١١٩:١
مخرجُ	«	ابراهيم بن العباس الصولى	٤٨٦:١
فروجُ	«	الراعى	٣٠:٢
الأرَنْدَجِ	«	زهير بن أبى سلمى	١٩٨:٢

(الحاء)

مُزاحا	طويل	بشار	١٤٢:٢
سُفِحا	بسيط	البحترى	٦٢٥:١
قِباحا	كامل	السيد الحميرىّ	١٤٢:٢
ورحا	مجزوء الكامل	—	٥٤:١/٢:٢٦٠،٣٧٥

* * *

طماح	طويل	—	٤١:١
وصفائح	«	توبة بن الحمير	١٢٦:١
يبرحُ	«	ذو الرمة	٣٣٢:١، ٤٥٠
أنجحُ	«	—	٣٣٢:١
أُلِيحُ	«	عبدالله بن عبدالله بن عتبة	٤٠١:١
المسائِح	«	المضرَّب	٤٥٨:١
يتطوّح	«	ابراهيم بن العباس	٤٨٢:١

يصبَحُ	طويل	ذو الرمة	١:٥١٣
أصلحُ	«	—	١:٥٣٤
نوائح	«	ذوالرمة	١:٥٥٩
يتطوّح	«	أبو جويرية العبدى	١:٥٧١
الصوابح	«	ابن المعتز	١:٥٨٨
نابحُ	«	—	٢:٢٥
أنجحُ	«	—	٢:٥٦
ماسح	«	كثير	٢:٣٥٩
مصباحُ	بسيط	أبو ذؤيب	١:٦١٦
نجاحُ	كامل	رفيع الوالبي	١:٣٧٠

* * *

قروحِ	طويل	الحسين بن مطير	١:٤٣٦
مازحِ	طويل	البحترى	٢:٤١
بالقوادحِ	«	جميل	٢:١٥٧
الواضح	بسيط	زياد الأعجم	١:٧٢
والراحِ	«	البحترى	٢:٦٤
القبيح	وافر	أبو نواس	٢:١٣٤
الجراحِ	كامل	—	٢:٩١
الرائح	«	زيادالأعجم،أوالصلتانالعبدى	٢:١٩٩
وصفائح	«	«	٢:٣٠١
أقاحِ	سريع	البحترىّ	٢:١٧٩

السفحِ	منسرح	مطيع بن إياس	١٤٣:١
لقاحى	خفيف	—	١١٩:٢
التفاحِ	«	البحترى	١٧٨:٢

(الخاء)

طباخ	بسيط	طرفة	٩٢:١

(الدال)

أحدْ	مجزوء الرجز	أبو نواس	١٣٢:١
سجد	«	والبة	١٣٢:١
للولد	«	على بن الخليل	١٣٢:١
مسد	«	الحسين بن الخليع	١٣٢:١

* * *

المهَّدا	طويل	الأعشى	٣٢:١
تغمّدا	«	—	٣٤٤:١
القصائدا	«	الفرزدق	٣٥٣:١
الصّدَى	«	البحترى	٥٤٣:١
وأقمدا	«	مروان بن أبى حفصة	٥٧٢:١
تقيّدا	«	مروان بن أبى حفصة	٥٨٠:١
جلْدا	«	—	١٤٥:٢
العبدا	«	المقنع الـكندى	١٦١:٢
ليبعدا	«	—	١٩٤:٢
مصعدا	«	—	١٩٩:٢

الشُّردا	بسيط	عبد مناف الهذلى	٣١٠:٢،٣:١
الحسدا	«	نصر بن سيار	٤١٤:١
صيودا	كامل	الوليد بن يزيد	١٣١:١
أودا	«	جرير	٣٩٧:١
قيودا	«	المؤمل بن أميل	٥٨٠:١
وصدودا	«	أبو تمام	٦١١:١
الأمردا	«	الأعشى	٦١٢:١
موعدا	«	«	٢٦٥:٢
وفسادَها	«	عدى بن الرقاع	٥٦٧:١
أبلادها	«	«	١١:٢
إيقادها	«	«	٣٢:٢
مدادها	«	«	٣٠٣:٢
البريدا	«	امرؤ القيس	٥٩١:١
جديدا	خفيف	البحترىّ	٦٢١:١
بدا	مجزوءالخفيف	المؤمل	٩٦:٢
عادا	«	طريح بن إسماعيل	٥٧٤:١
شاهدا	متقارب	ابراهيم بن العباس الصولىّ	٤٨٥:١

* * *

باردُ	طويل	—	٧١:١
واحد	«	—	١٠١:١
لجود	«	معن بن زائدة	٢٢٣:١
سيّد	«	—	٢٥٨:١
واحد	«	ذو الرُّمة	٥٤٨:١

البوائدُ	طويل	مروان بن أبى حفصة	٥١٩:١
الورد	«	المتنبى	٥٦٧:١
نهد	«	أحمد بن جندل	٥٩٢:١
شدُّوا	«	الحطيئة	٦٣٩:١
كدُّوا	«	الحطيئة	٢٨٩:٢
وعبيدُها	«	ذو الرُّمة	٥٠:١
وقودها	«	الخنساء	٧١:١
وليدُها	«	—	٢٢٢:١
يعودُها	«	كثير	٣٢٥:١
لا نريدها	«	—	٣٦٠:١
خمودُها	«	الحسين بن مطير	٤٣٤:١
أذودها	«	«	٤٣٥:١
وليدها	«	«	٤٣٥:١
وعبيدها	«	—	٧٩:٢
الأراصيدُ	بسيط	إبراهيم بن المهدى	٢٤٩:٢
كادوا	«	الأفوه	٣٣٢:١
أبتردُ	«	عروة بن أذينة	٤١٣:١
حُسِدُوا	«	الكميت بن زيد	٤١٤:١
والحسدُ	«	البحترى	٤١٥:١
العود	«	الربيع بن أبى الحقيق	٥٦٨:١
تجتلد	«	قطرىّ	٦٣٨:١
العبيدُ	وافر	الفرزدق	٦٢:١

عنيدُ	وافر	الوليد بن يزيد	١٣٠:١
جديد	«	معدى كرب الحميرىّ	٢٥٣:١
أريد	«	—	٤٧٣:١
قيود	«	جرير	٥٨٠:١
المجلود	كامل	—	١٠٦:١
وتُزْبِد	«	—	١٢٩:٢
حمّاد	«	—	١٣٢:١
ويحفد	«	على بن الجهم	١٤٦:١
هجودُ	«	—	٥٤٧:١
يَصُدُّهْ	مجزوء الكامل	البحترى	٩٣:٣
الصّرِد	منسرح	—	١٧٦:٢
يُرُدُّه	«	البحترىّ	٦٢٤:١
النهودُ	خفيف	أبو الجوائز	٦٤:٢
ما تعودُ	«	البحترىّ	٦٢٣ ١
وقدُ	المجتث	ابن المعتز	١٣٠:٢

* * *

بخالدِ	طويل	—	٦٦:١
أنجد	«	—	١٠٩:١
زَبَرْجَد	«	—	١٢٨:٢
المقلّد	«	المخزومى	١٣٠:٢
نَدِ	«	—	٢٠١:١

المهنّدِ	طويل	—	٢٤٥:١
المزيد	»	عبد المسيح بن بقيلة	٢٦٣:١
مَعْبَد	»	طرفة بن العبد	٣٤١:١
المتشدّد	»	»	٣٨٢:١
باليد	»	كعب بن زهير	٤١٨:١
محمد	»	إبراهيم بن العباس	٤٨٤:١
يُمْدِي	»	ابن الخياط	٥٢٢:١
جدودى	»	—	٥٦٩:١
نجاد	»	سلم الخاسر	٥٧٢:١
بأسعُدِ	»	البحترىّ	٦٢١:١
مصرّدِ	»	الأخطل	٢٤:٢
السّرْدِ	»	—	٤١:٢
جلدى	»	المتنبى	٤١:٢
العقدِ	»	»	٤٣:٢
والمجدِ	»	البحترىّ	٤٤:٢
الورد	»	بشار	٦٤:٢
الخرائدِ	»	البحترىّ	١٢٧:٢
صعيد	»	بشار	١٣٨:٢
عهدِ	»	»	١٤٢:٢
الورد	»	محمد بن يزيد	١٦١:٢
المتجرّد	»	الراعى	١٦٧:٢
أبْدِى	»	سهل بن هارون	١٨٢:١
المتوقّد	»	طرفة	٢٤٢:٢

ويبعدِ	طويل	طرفة	٢٥٨:٢
الـكمد	مديد	—	٢٢٠:١
بلدِ	بسيط	—	١١١:١
داودِ	«	—	١٤١:١
الرّمدِ	«	النابغة الذبيانىّ	٢٢٩:١
راقود	«	العمانىّ	٣٦٢:١
يدى	«	النابغةالذبيانىّ	٣٧٩:١
يدى	«	الشريف المرتضى	٤١١:١
محسود	«	معن بن زائدة	٤١٥:١
البرَد	«	النابغة الذبيانى	٥٦٢:١
مودود	«	بشار	٦٠٧:١
مودود	«	مسلم	٦٠٨:١
البلد	«	صنان	٨:٢
البلد	«	الراعى	٨:٢
الأبد	«	أخت عمرو بن ود	٨:٢
بلدِ	«	—	٩١:٢
بالبرَد	«	الوأواء	١٣٠:٢
حادى	«	حارثة بن بدر	٢٢٨:٢
عُود	«	مسلم	٢٥٠:٢
لِصيدِ	وافر	أبوالطمحان القينى	٤٦:١، ٢٥٧
بُرادِ	«	كثير	١٧٨:٢
الإصاد	«	قيس بن زهير	٢١٠:١

الوريد	وافر	خالد بن جعفر	٢١٢:١
رَنْدِ	«	—	٤٩٩:١
الأوتاد	كامل	الأسود بن يعفر	٣٥:١
لم يولد	«	—	٦٦:١
مخلد	«	البحترىّ	١٠٣:١
الإبعاد	«	النظام	١٨٨:١
إياد	«	الأسود بن يعفر	٢٦٥:١
الحسَّد	«	مضرّس بن ربعى	٣٢٦:١
الحسدّ	«	ابن هَرْمة	٣٢٦:١
بالسؤددِ	«	حارثة بن بدر	٣٨٨:١
سرمد	«	—	٤٥٣:١
باليدِ	«	النابغة الذبيانى	٤٦٦:١
ندِ	«	«	٥١٣:١
كالجلمد	«	اللحام الحرانى	٥١٣:١
لم يَرْقُدِ	«	محمد بن عبد الملك الزيات	٥٢٤:١
الأسود	«	نهشل بن حرى	٥٤٦:١
الميعاد	«	البحترىّ	٦٢٢:١
الحامد	رجز	—	٥٢٤:١
الجدْجدِ	سريع	المرار	٥٥٨:١
البارد	«	عبد الصمد بن المعذّل	٦٢:٢
الخدّ	«	—	١٤٢:٢
الوجْد	منسرح	ابن الرومى	١٢٧:٢

البرود	خفيف	بشار	١:١٤١
التبديد	«	ابن الزيات	١:٥٣٦
الفؤاد	«	أبو تمام	١:٦١٢
مجهودى	«	المرتضى	١:٦٢١
لاتقْعُد	«	امرؤ القيس	١:٣٣٣
البُرَادِ	متقارب	أبو تمام	٢:١٧٨
تُوءدِ	«	الفرزدق	٢:٢٨٢

(الراء)

مضرْ	طويل	لبيد	١:١٧١،٢:٥٥
بالظهر	رمل	طرفة	١:٥٢
ينتقرْ	«	«	١:٣٥٤
عقرْ	«	المرار	٢:١١٢
ينججِرْ	سريع	ابن أحمر	١:٢٢٩
زمِرْ	«	ابن أحمر	١:٤٥٦
البعيرْ	«	—	١:٣٥٨
والنظرْ	مجزوء الخفيف	بشار	١:١٤٠
المنفطِرْ	متقارب	امرؤ القيس	١:٧١
أثُرْ	«	«	١:٢٨١
لم تغرْ	«	مسكين	١:٤٧٥
العُمُر	«	البحترىّ	١:٥٣٤
الـكِبر	«	البحترىّ	١:٦٢٥
دبر	«	امرؤ القيس	٢:٩٤
مقتفرْ	«	امرؤ القيس	٢:١٨٩

* * *

المحبَّرا	طويل	الشماخ	٤١:١
صبرا	»	—	١٠٧:١
الهجرا	»	عبيدالله بن عبد الله بن طاهر	١١٩:١
الخمرا	»	الوليد بن يزيد	١٣١:١
جرجرا	»	امرؤ القيس	٢٢٨:١
يتذكرا	»	النابغة الجعدىّ	٢٦٣:١
أعفرا	»	—	٣٢٩:١
طرطرا	»	امرؤ القيس	٣٢٩:١
بهرا	»	ابن ميادة	٣٤٦:١
قَسْرَا	»	حارثة بن بدر	٣٨٦:١
شبرا	»	مسكين	٤٧٦:١
أحورا	»	—	٥١٤:١
لأكبرا	»	ابن المعتز	٥٣٤:١
تعذرا	»	الشماخ	٥٥٦:١
يتغيرا	»	نهشل بن حرِّىّ	٥٦٨:١
شمرا	»	جميل	٥٦٨:١
أزورا	»	منصور النمرى	٦١٢:١
بقيصرا	»	امرؤ القيس	٦٢٩:١
النوافرا	»	أوس	٧٤:٢
عقرا	»	مسكين	١١٨:٢
جآذرا	»	—	١٣٠:٢
خمرا	»	—	١٤٠:٢
والقمرا	بسيط	جرير	٥٢:١

منتشرا	بسيط	جرير	٥٢١:١
القدرا	«	مروان بن أبى حفصة	٥٨٧:١
عمارا	وافر	عنترة	١٥٦:١
القصارا	«	أبو حية	٤٤٥:١
قصارا	«	ابن أحمر	٤٦٧:١
ذمارا	«	—	٥٧١:١
نارا	«	الراعى	٣١:٢
والهجرا	كامل	أبو دهبل الجمحى	١١٦:١
وزيرا	«	—	١٦٣:١
نزرا	«	أبو دهبل	٥٢١:١
فنوّرا	«	الشريف المرتضى	٦٠٢:١
كالعَرارَهْ	مجزوء الكامل	الأعشى	١٤٠:٢
المطرا	رمل	بشار	١٣٧:٢
ماقدرا	«	إبراهيم بن العباس الصولىّ	٣٠٥:١
عاذرا	سريع	—	٥٨٦:١
حُجُرا	منسرح	الربيع بن ضبع الفزارىّ	٢٥٣:١
عصرا	«	«	٢٥٥:١
بهارا	خفيف	أبو تمام	٤٢:٢
نضيرا	«	—	١٢٨:٢
افتخارا	«	رؤبة	٥٩٨:١

دهورا	متقارب	الحارث بن كعب	١:٢٣٣
قصارا	«	أبو حيَّة	١:٤٤٥
وخيرا	«	الأعشى	١:٥٧٠
قفارا	«	عوف بن الخرِع	١:٦١٥
المثارا	«	—	٢:٢٤٠

* * *

نزرُ	«	ذو الرمة	١:١٣، ٥٢٢
الخمرُ	طويل	ذو الرمة	١:٢٠
فيصيرُ	«	«	١:١٠٧
خيارُ	«	عباد بن شبل	١:١٠٢
لصبورُ	«	أبو دهبل (ويروى للمجنون)	١:١١٨
تشير	«	حماد عجرد	١:١٤١
أثرُ	«	النظام	١:١٨٨
أبادرُ	«	ورقاء بن زهير	١:٢١٣
الجزرُ	«	—	١:٢٤٦
والبدرُ	«	حجيّة بن المضرب	١:٢٥٨
الزجرُ	«	حاتم الطائى	١:٢٩٤
أعذرُ	«	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود	١:٣٩٩
أكثرُ	«	«	١:٤٠٠
الهجْرُ	«	—	١:٤٣٦
الزهرُ	«	ابن المعتز	١:٤٣٨
تقطرُ	«	عبيد الله بن عبدالله بن طاهر	١:٤٤٩

أنظرُ	طويل	أبو حية	٤٤٩:١
فاجرُ	«	لبيد	٤٥٧:١
يتمرمرُ	«	ذو الرمة	٤٦١:١
العذرُ	«	—	٤٧٣:١
عامرُ	«	—	٤٨٠:١
تاجرُ	«	كثير	٤٩٧:١
لصبور	«	—	٥٠٠:١
يعصرُ	«	—	٥٦٧:١
أجدرُ	«	ابن الرومى	٦٢٠:١
تدابروا	«	—	٦٣١:١
سترُ	«	—	٢٥:٢
الكَسْرُ	«	خالد بن الطيفان	٦٠:٢
أدورُ	«	الأحوص	٦٥:٢
السرائرُ	«	—	٦٦:٢
أصورُ	«	—	١١٦:٢
صفرُ	«	—	١٤١:٢
الصدرُ	«	حاتم الطائى	١٥٥:٢
مخاصرُ	«	تأبط شرا	١٧٧:٢
والخورُ	«	اللعين المنقرى	١٨٤:٢
المتناصرُ	«	الراعى	١٩٢:٢
وفرُ	«	خالد بن الطيفان	٣٧٥،٢٥٩:٢
حاضرُهْ	«	الحطيئة	٤٩:١
ناظِرُهْ	«	الحسين بن مطير الأسدى	٤٣٢:١

ساحِرُه	طويل	العباس بن الأحنف	٤٥٩:١
ناصِرُه	«	مضرّس بن ربعى	١٩٢:٢
عساكرُه	«	—	٣١٧:٢
نهارُها	«	عبيدالله بن قيس الرقيات	٨٢:١
أمورُها	«	قيس بن عاصم	١١٤:١
وعرارُها	«	كثير	٢٢١:١
غيرُها	«	الفرزدق	٢٣٠:١
نطورُها	«	الحسين بن مطير	٤٣٣:١
يستجيرُها	«	توبة بن الحمير	٣٦٣:١
مزارُها	«	إبراهيم بن العباس	٤٨٧:١
صغارُها	«	أحمد بن يزيد المهلبي	٤٢:٢
فجورُها	«	توبة	٥٧:٢
جبورُها	«	جرير	٧٢:٢
غفورُها	«	حاتم	١١١:٢
نصيرُها	«	مضرس بن ربعىّ	١١٩:٢
مسيرُها	«	صدقة بن نافع الغنوى	١٥١:٢
الغُمَرُ	بسيط	أعشى باهلة	٩٦:١
السهرُ	«	أبو دَهبل	١١٨:١
النارُ	«	بشار	١٣٨:١
وإدبارُ	«	الخنساء	٤٦٥،٢٠١:١
كدرُ	«	ودفة الأسدىّ	٢٢٢:١
الصفرُ	«	أعشى باهلة	٢٣٠:١
ومهجورُ	«	عبد المسيح بن بقيلة	٢٦٢:١

هجرُ	بسيط	الأخطل	١:٤٦٦
أظآرُ	«	الخنساء	١:٥٠٤
الشجرُ	«	الكميت	١:٥٦٨
محتقرُ	«	ليلى الأخيلية	٢:١٩
سخرُ	«	أعشى باهلة	٢:٢٠
عارُ	«	الخنساء	٢:٧٧
غفورُ	وافر	عروة بن الورد	١:٥٠
مرءُ	«	ابن أرطاة الأعرجى	١:٣٥٢
يسيرُ	«	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	١:٤٠٠
قطارُ	«	بشر بن أبى خازم	١:٥١١
القديرُ	«	—	١:٥٥١
قصارُ	«	أبو عطاء السندى	١:٥٧١
غزارُ	«	أبو تمام	٢:٣٤
الإزارُ	«	جران العود	٢:١٤٣
عامرُ	«	—	١:٧١
الخِدْرُ	كامل	مسكين الدارمىّ	١:٤٣
مجيرُ	«	حارثة بن بدر	١:٣٨٧
تعارُ	«	العباس بن الأحنف	١:٤٣٧
ويزهرُ	«	نصيب الأصغر	١:٤٣٨
زَمْرُ	«	عمرو بن أحمر الباهلى	١:٤٥٦
الجِدْرُ	«	مسكين	١:٤٧٣
المتناثر	«	—	١:٥٥٥

إزارُها	كامل	أبو وجزة السعدى	٤٦١:١
النثيرُ	مجزوء الكامل	—	٥٢٠:١
مايضرُّهْ	«	النابغة الجعدى	٢٦٦:١
السكْرُ	سريع	أبو نواس	٢٧٩:١
ووقارُ	«	—	٦٠٢:٢
نحورُ	خفيف	عدى بن زيد	٧٤:١
المذارُ	متقارب	الكميت بن زيد	١٠٢:١
أوقرُ	«	الراعى	٢٧٩:١
نزرُ	«	البحترى	٣٠٣:١

* * *

ولا وفرِ	طويل	البحترى	٥١:١
الدهرِ	«	عبد الرحمن بن الحكم	٥١:١
وتْرِ	«	—	١١٩:١
والعطرِ	«	بنت ذى الإصبع	٢٤٥:١
يكدرِ	«	أبو الطمحان القينى	٢٥٩:١
المزاهرِ	«	شبرمة بن الطفيل	٣٣٢:١
السكراكرِ	«	عبد الله بن الزَّبير الأسدى	٣٨٦:١
أبا بكرِ	«	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود	٣٩٨:١
بالهجرِ	«	نصيب الأكبر	٤٣٦:١
القبرِ	«	ابن أراكة الثقفى	٤٦١:١
الحُمْرِ	«	خداش بن زهير	٤٦٦:١

الدهرِ	«	مسكين الدارمى	٤٧٢:١
عُفْرِ	«	—	٥٥٧:١
المسحَّرِ	«	أمية بن أبى الصلت	٥٧٧:١
المنشَّرِ	«	البحترى	٥٩٣:١
صخرِ	«	الخنساء	١٩:٢
المحاذرِ	«	ذو الرمة	٥١:٢
والخمرِ	«	على بن الجهم	٦٣:٢
الوكرِ	«	الأخطل	٦٣:٢
أم عامرِ	«	تأبط شرا (ويروى للشنفرى)	٧٣:٢
عامرِ	«	—	١١٤:٢
الصنايرِ	«	ليلى الأخيلية	١١٩:١
الفقرِ	«	—	١٨٦:٢
المكفرِ	«	الفرزدق	٢٨٢:٢
كبرهْ	مديد	امرؤ القيس	١٩١:٢
بالمذرِ	بسيط	العتابى	١٠٢:١
للشعرِ	بسيط	بشار	١٣٩:١
كالأثرِ	«	الراعى	٢١٦:١
بالسَّحَرِ	«	ابن مقبل	٢١٧:١
نصارِى	«	أبو الطمحان القينى	٢٦٠:١
بأسْيارِ	«	سالم بن دارة	٢٨٩:١
عارِ	«	صخر بن حبناء	٣٧٨:١
فاستترِ	«	عروة بن أذينة	٤١٣:١

صفّار	بسيط	الـكميت بن زيد	٤٥٦:١
بالحجرِ	«	—	٥٨٤:١
البصر	«	أبو دلف	٦٠٨:١
العارى	«	الأخطل	٦٣٧.١
الشارِى	«	—	٦٣٩:١
الضّارِ	«	الأخطل	٢٥:٢
قَدَرِ	«	جرير	٥٧:٢
بلّورِ	«	—	١٢٦:٢
عارِ	«	النابغة	١٦٠:٢
والوعورِ	وافر	المؤمل	١٠٠:١
الجزورِ	«	المهلهل	١٢٤:١
وزورِ	«	عروة بن الورد	٢٠٦:١
الأمير	«	—	٢١٥:١
الوغيرِ	«	المستوغر	٢٣٤:١
السدير	«	عبد المسيح بن بقيلة	٢٦٢:١
شطيرِ	«	منصور النمرى	٢٧٤:٢
عشارى	كامل	الفرزدق	٨٠:١
الحضرِ	«	الخنساء	٩٨:١
الجزرِ	«	الخرنق بنت بدر	٢٠٥:١
السارِى	«	الربيع بن زياد	٢١٠:١
مسافرِ	«	ابن أبى عاصية	٢٢٦:١
النضرِ	«	ذو الإصبع العدوانى	٢٤٤:١

خمارِ	كامل	—	٥٥٩:١
نهارِ	«	الربيع بن زياد	٥٩٠:١
عمْرِى	«	—	٥٩٨:١
ظهرِ	«	حميدبن ثور	٣٢:٢
ضوامِرِ	«	—	١٢٨:٢
الأعفرِ	«	الهذلى	٢٣٤:٢
الوارِى	«	أبو تمام	٢٤٧:٢
الأحفارِ	«	الأخطل	٢٨٥:٢
أسرارِها	«	—	٤٠:١
أبكارِها	«	النمرْبن تولب	١١٩:٢
بإزارِ	مجزوء الكامل	الوليد بن يزيد	١٢٩:١
مشار	رمل	—	٤٢٣:١
سطرِ	سريع	العباس بن الأحنف	٤٠٠:١
الضامرِ	«	الأعشى	٤٥١:١
البارى	«	—	٥٢٥:١
برِّ	«	منصور النمرى	٢٧٥:٢
الأوتارِ	خفيف	البحترىّ	١٢٨:٢
الأسحارِ	«	البحترىّ	٥٦٣:١
نثارِ	«	—	١٢٧:٢
الزائرِ	متقارب	الشريف المرتضى	٥٤٦:١
الزافرِ	«	خداش بن زهير	٩٥:٢
جلنارِ	«	الناشى	١٢٧:٢

(الزاى)

وأحرزُ	طويل	أبو الطمحان القينى	١:٢٦٠
راكزُ	«	الشماخ	١:٥٨١

(السين)

آنفسا	طويل	امرؤ القيس	١:١١٤ ، ٣١٠ ، ٤٧٩
مَلْبسا	«	«	١:٥٩٦
أناسا	متقارب	النابغة الجعدى	١:٢٦٤

* * *

ودراسُ	طويل	أبو نواس	١:١٩٨
يتنفسُ	«	—	١:٣٣٢
الحنادسُ	«	ذو الرمة	٢:٩٦
أطلسُ	طويل	الفرزدق	٢:٢١١
السوسُ	بسيط	المتلمس	١:١٨٥
الناسُ	«	الخنساء	١:٣٧٠
الأنفس	كامل	المتلمس	١:١٨٤
وأكيس	«	—	١:٥٩٦
فرس	منسرح	المأمون	١:٨٢

* * *

بالناسِ	بسيط	عمران بن حطان	١:٦٣٦
راسِ	«	العباس بن الأحنف	٢:٦٤
جليسِ	كامل	على بن الخليل	١:١٤٧

إياسِ	كامل	أبو تمام	٢٨٩:١
المتنمّسِ	«	المرار بن سعيد	٥٦١:١
الأقواس	«	سلم الخاسر	٥٦٢:١
بالدرس	«	أبو العتاهية	٤٢:٢
خمِسِ	«	—	١٢٦:٢
خمسِهِ	سريع	حماد عجرد	١٣٤:١
رمسِهِ	«	صالح بن عبد القدوس	١٤٥:١

(الشين)

النَّجَشْ	رمل	نابغة بنى شيبان	٦٣٠:١

(الصاد)

القنيصْ	سريع	عدى بن زيد	١٩١:٢

* * *

الدلامصا	طويل	الأعشى	١٤١:٢

* * *

بالوصاوصِ	«	الأعشى	٤١:١

(الضاد)

نَضَاَ	كامل	البحترى	٦٢٢:١ / ١٣٥:٢
منهضا	«	بشار	١٣٣:٢
ومفرّضا	«	أبو تمام	١٣٥:٢

* * *

مغمض	طويل	الحسين بن مطير	٤٣٥:١
يفيضُ	خفيف	بكر بن عيسى	٤٢:٢

* * *

عرضى	طويل	طرفة	١٨٥:١
محض	«	أبو خراش الهذلى	١٩٨:١
بعضِ	«	ابن الرومى	٢٩٠:١
قرضى	«	ابن عبدل الأسدى	٦٣٤:١
الأرضِ	مجزوء الوافر	ذو الإصبع المدوانى	٢٥٠:١
الإنفاضِ	كامل	أبو الشيص	٦٢٣:١
راضِ	خفيف	البحترى	٦١٩:١

(الطاء)

ولا قطهُ	طويل	البحترى	٥٢٠:١
المرُطُ	كامل	الحارث بن خالد المخزومى	٤٦١:١

* * *

والعلاطِ	وافر	المتنخل الهذلى	٤٩٣:١

(الظاء)

تحفظُ	طويل	—	٥٢١:١

(العين)

وقعْ	طويل	ابن المقفع	١٣٥:١
منتزع	رمل	سويد	٥٨٣:١

الجَزَعْ	رمل	سويد بن أبى كاهل	٢٣٠:١/٣٣٨:٢

* * *

أجدعا	»	الفرزدق	٧:١
تتقنعا	طويل	عمر بن أبى ربيعة	٤١:١
مربَعا	»	الحسين بن مطير	٢٢٧:١
إصبعا	»	الراعى	٣١٩:١
مضجعا	»	»	٣٢٢:١
ومرتعا	»	»	٣٢٣:١
أربعا	»	—	٣٥٣:١
مدمعا	»	—	٤٢٩:١
تمتعا	»	مروان بن أبى حفصة	٥٧٨:١
وأوضعا	»	—	٥٨٦:١
أتلعا	»	امرؤ القيس	٦٢:٢
جوّعا	»	—	١٤٨:٢
وقعا	بسيط	الأعشى	٤٤٥:١
تبعا	»	—	٤٥٣:١
خشعا	»	لقيط بن زرارة	٦٦:٢
معا	»	الأعشى	١٧٢:٢
انقشاعا	وافر	القطامى	٤١٨:١
أربعا	كامل	المتنبي	١٢٨:٢

* * *

جمعُ	طويل	—	٢١٦:١
أجمع	»	ذو الإصبع	٢٥١:١

يلمعُ	طويل	الخريمىّ	٢٥٨:١
وازعُ	«	النابغة الذبيانى	٢٦٤:١
إصبعُ	«	طفيل	٣١٩:١
إصبعُ	«	حميد بن ثور	٣١٩:١
بلاقعُ	«	لبيد	٤٥٣:١
مُقَنَّعُ	«	مسكين	٤٧٥:١
البلاقعُ	«	مروان بن أبى حفصة	٥٢٤:١
يطمعُ	«	البحترى	٥٤٣:١
يتذرعُ	«	البحترى	٥٥٦:١
بارع	«	الربيع بن أبى الحقيق	٥٦٧:١
مهيعُ	«	أبو تمام	٦٠٩:١
واسع	«	النابغة الذبيانى	٥١٢:١/١٧:٢
الطوالعُ	«	الفرزدق	١٤٨:٢
جائعُ	«	ابن عنقاء الفزارى	٢١٢:٢
الأجارعُ	«	حميد بن ثور	٢١٣:٢
والأقارعُ	«	الفرزدق	٢٨٢:٢
واسمُهْ	«	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	٣٩٩:١
جماعُها	«	مسكين الدارمى	٣٩٩:١
ماصنموا	بسيط	أبو دهبل	١١٧:١
يرتجعُ	«	منصور النمرى	٦٠٦:١
يرتجعُ	«	«	٢٧٧:٢
شرعُ	«	أبو زبيد	٢٨٦:٢
الربيعُ	مخلع البسيط	الضمرى	٢٢٦:١

لا يُخدعُ	كامل	—	١٦٠:١
مصرعُ	»	أبو ذؤيب الهذلى	٢٩٣:١
لا يقلعُ	»	»	٤٩٢:١
يجزعُ	»	طريح	٥٣٣:١
مقنعُ	»	طريح بن إسماعيل الثقفى	٢٠٢:٢
يسترجِعُ	»	مسلم	٤١:٢
البيعُ	سريع	الأحوص	٦٦:٢

* * *

الوقائعِ	طويل	ذو الرمة	٢٥٩:١
أسْفِــعِ	»	البحترى	٥٤٢:١
بالمصانعِ	»	ذو الرمة	١٢:٢
سماعِ	»	بشار	١٣٩:٢
بشفيعِه	»	البحترى	٦١٨:١
القصاعِ	وافر	الحطيئة	٢٤١:١
شموعِ	»	الشماخ	٤٩٣:١
تراعى	»	قطرى	٦٣٦:١
اجتماعِ	»	أبو تمام	٢٥٦:٢
فاجزعى	كامل	—	٢:١
قاعِ	»	المسيب بن علس	٥٦٠:١
وأوجاعِ	سريع	العباس بن الأحنف	٤٦٠:١
جميعِ	خفيف	البحترى	٥٦٤:١

(الفاء)

أسفا	بسيط	كعب بن زهير	١٦٨:٢
يُخافا	وافر	أشجع	٥٢٥:١
الجنافا	متقارب	أبو وجزة	١١١:٢

* * *

تحالفُ	طويل	—	٢٨٨:١
يتقَوّفُ	«	حميد بن ثور	٥١١:١
وعجرفُ	«	الفرزدق	٥٨٢:١
وَكِيفُ	«	الحطيئة	٤٧:٢
تهتفُ	«	ابن هرمة	١١٦:٢
يَنْطِفُ	«	جران العود	١٢٧:٢
خلَفُ	بسيط	—	٩٣:٢
لاتـكلَفُ	كامل	—	٥٧٥:١
عجافُ	«	ابن الزبعرى	١٥٨:١/ ٢٦٩:٢
ما أصِفُ	منسرح	—	١٢٩:٢

* * *

السُّدَفِ	بسيط	أبو هفان	٥٩٩:١
خلافِ	وافر	—	٢٠٣:١
منافِ	كامل	—	٨:٢
يُشرِفُ	«	البحترى	١٠٣:١
خلفِ	«	—	٩٦:٢

منافِ	كامل	مطرود بن كعب الخزاعىّ	٢٦٨:٢
الأضيافِ	«	أحمد بن يوسف	٢٦٩:٢
اللطفِ	سريع	النظام	١٨٨:١

(القاف)

فيسقْ	رمل	النظام	١٤٥:٢

* * *

وأضيقا	طويل	الفرزدق	٦٥:١
وأَخْلقا	«	عقيل بن عُلَّفة	٣٧٤:١
فسرَّقا	«	يزيد بن مفرغ	٣٨٥:١
تخَلَّقا	«	—	٥٢٣:١
لحِقا	بسيط	زهير	١٠١:١
فلَقَا	«	زهير	١٥٦:٢
طِراقَها	كامل	السيد الحميرى	٥٧٣:١
مُوقا	خفيف	بشار	١٣٧:١

* * *

خَلوقُ	طويل	بشار	٤٢:٢
عريقُ	«	أبو نواس	١٧٢:١
وتسرقُ	«	أنس بن أبى أنيس	٣٨٤:١
موفّقُ	«	الأعشى	٤٦٦:١
خريقُ	«	حميد بن ثور	٥٨١:١

محلِّقُ	طويل	ذو الرمة	١٢٥:٢
أَبْرقُ	»	البحترى	١٥٣:٢
توامقُهْ	»	كثير	٢٦١:٢
عروقُها	»	حارثة بن بدر	٣٨٢:١
يشوقُها	»	—	١٥٠:٢
زنديقُ	بسيط	حماد عجرد	١٣٤:١
منبعقُ	»	—	٣٦٩:١
يتسقُ	»	محمد بن يزيد الكاتب	٤١٦:١
مايُطيق	وافر	العباس بن مرداس	٢١٧:١
يَنْفِقُ	كامل	—	١٢١:١
يمتحقُ	سريع	—	٤١٦:١
ذائقُها	منسرح	أمية بن أبى الصلت	٥٣٣:١

***

أُمَزَّقِ	طويل	المزق العبدى	٣٢٥:١
المشوِّقِ	»	أبو حية	٤٤٨:١
المؤرِّق	»	البحترى	٥٤٣:١
فاصدُقِ	»	البحترى	٢٢٩:٢
مستبقِ	بسيط	—	١٠٢:١
ومنطلقِ	»	أبو الأسود الدؤلى	٢٩٣:١
وتحنيقِ	»	حاجب الفيل	١٠٥:٢
عِفاق	وافر	متمم بن نويرة	٥٨:٢
والعراق	وافر	أبو تمام	١٥٣:٢

اشتياق	وافر	نهشل بن حرىّ	٢:٢٢٦
لم ينطق	كامل	الكميت الأسدى	١:٥٩
لم يُلْحِق	«	الكميت	١:٩٩
المُعْنَقِ	«	—	٢:١٨
الرُّمَّقِ	«	مانى الموسوس	٢:١٢٨
من حقٍّ	سريع	ابن المعتز	٢:٤٢
ترهيقِ	منسرح	أبو نواس	١:١٠٣
زنديق	«	«	١:١٤٣
مُفِيقِ	خفيف	البحترى	١:٦٠٠

(الكاف)

هالكا	طويل	ذو الإصبع	١:٢٥٠
هنالكا	«	ابن الرومى	٢:١٥٢
لكا	بسيط	إبراهيم بن العباس	١:٤٨٧
هلكا	كامل	دعبل	١:٤٣٧
شراكا	كامل	مروان بن أبى حفصة	١:٥٧٢
جفاكا	مجزوء الكامل	إبراهيم بن العباس الصولى	١:٤٨٣

* * *

ترائكُ	طويل	كثير	١:٥٦٢
دركُ	بسيط	زهير	١:١٠٢

* * *

لكِ	طويل	ابن الدمينة	٤٩٥:١
مالِك	«	حسان	٥٨٩:١
البا كى	بسيط	ابن دريد	٤٣٨:١
عندكِ	سريع	بشار	٤٠١:١

(اللام)

وعجلْ	رمل	لبيد	٢١:١
فابتهل	«	لبيد	٤٥:١
بالرجالْ	«	عدى بن زيد العبادى	٥٦:١
وأ كل	«	النابغة الجعدى	١٤٥:٢/٩٦:١
المتبذلْ	«	لبيد	٥٤٧:١
تنال	سريع	بشار	١٣٧:٢
بالباطلْ	منسرح	منصور النمرى	٢٧٦:٢

٭ ٭ ٭

أشكلا	طويل	سوار بن حيان المنقرى	٥٩٢،١١٣:١
جحفلا	«	أوس بن حجر	٢٦٣:١
مقبلا	«	«	٣٠٥:١
موئلا	«	بشار	١٩:١
غلا	«	—	١٧١:٢
فأذالها	«	كثير	٢٧٨:١
مثلا	بسيط	بشار	١٣٩:١
طولا	«	الربيع بن زياد	١٩٢:١
قيلا	«	النعمان بن المنذر	١٩٣:١

قالا	وافر	الفرزدق	١:٩٧
ثقيلا	وافر	زهير	١:٩٧
حلالا	»	الفرزدق	١:٢٩٦
غزالا	»	المتنبي	٢:١٢٩
زالا	»	ذو الرمة	٢:١٦٦
نصولا	كامل	الراعي النميري	١:٤
معقولا	»	»	١:١٠٦
ضلالا	»	الأخطل	١:٢١٨
مقيلا	»	الراعي	١:٣٢٣
رسولا	»	عمارة بن عقيل	٢:٤٣
الأنفالا	»	الأخطل	٢:١١٠
أكفالا	»	—	٢:١١٠
شملا	»	—	٢:١٢٦
ودخيلا	»	الراعي	٢:١٥٥
الأوعالا	»	—	٢:٢٢٤
نهالَها	»	الأعشى	١:٢٧٨
هوى لها	»	عروة بن أذينة	١:٤١١
دلالَها	»	مروان بن أبي حفصة	١:٥٤٠
كلالَها	»	»	١:٥٥٣
لَها	»	»	١:٥٦٩
أطفالها	»	الأعشى	٢:٣٠٣
الرجلا	منسرح	الأعشى	١:٢١
إلا	»	»	١:٣٧

يزولاَ	خفيف	النابغة الذبيانى	٦١:٢
شمالا	متقارب	إبراهيم بن العباس	٤٨٨:١
السبيلا	«	بشامة بن الغدير	٥٥٦:١
السؤالا	«	عمرة بنت عجلان	٢٤٣:٢
أثقالَها	«	الخنساء	٩٧:١
مالَها	متقارب	«	٤٨:٢

* * *

وابلُ	طويل	النابغة الذبيانى	٥٤:١
الأسافلُ	«	ليلى الأخيلية	١٢٤:١
الأوائل	«	لبيد	١٧١:١
والمعوّل	«	الأخطل	٢٦٧:١
حفَّلُ	«	كثير	٣٠٦:١
فتطولُ	«	السموءل	٣٨٢:١
مرملُ	«	كعب بن زهير	٤٢٤:١
الوسائل	«	ابن هرمة	٤٦٢:١
يبخلُ	«	مسلم	٥٢٢:١
والجهلُ	«	«	٥٣٤:١
قبلُ	«	زهير	٥٦٧:١
قبلُ	«	مسلم بن الوليد	٥٦٨:١
طويلُ	«	طريح بن إسماعيل الثقفى	٥٧١:١
النعلُ	«	مروان بن أبى حفصة	٥٧٢:١
تتململُ	«	الشنفرى	٥٨٧:١
أشبلُ	«	مروان بن أبى حفصة	٥٨٧:١

أطولُ	طويل	الخنساء	٢٤:٢
الحبلُ	«	ذو الرمة	٢٩:٢
يبلو	«	زهير	١٠٩:٢
فَمُحولُ	«	—	١٦٩:٢
قليلُ	«	أبو العتاهية	٢٨٨:٢
فأميلُ	«	ضاحية الهلالية	٢٤٢:٢
تُقبل	«	معن بن أوس	٢٦١:٢
الوصلُ	«	البحترى	٣١١:٢
شمائلُهُ	«	الشمردل	٩٧:١
حلائله	«	ضابئ البرجمىّ	٣٣٨:١
تعادلُه	«	حارثة بن بدر الغدانى	٣٨١:١
أواصِلُه	«	«	٣٨٢:١
باطلُه	«	مروان بن أبى حفصة	٥٣٢:١
باطلُه	«	البحترى	٥٤٤:١
صياقلُه	«	—	٥٧٠:١
حمائلُه	«	—	٥٧١:١
تقابلُه	«	مروان بن أبى حفصة	٥٧٢:١
جنادلُه	«	ذو الرمة	٣٣:٢
وابلُه	«	مروان بن أبى حفصة	٤٣:٢
ونائلُه	«	الأخطل	٥٢:٢
مقاتلُه	«	جرير	٦٧:٢
صواهلُه	«	—	١٩١:٢
مقاتلُه	«	دعبل بن على	٢٧٠:٢
امتثالها	«	ذو الرّمة	١١١:١

جديلُها	طويل	ذو الرمة	٥٦:١
سلالُها	«	نصيب	٥٨٠:١
إفالُها	«	—	١٥٨:٢
تحلُّ	مديد	الشنفرى	٢٨٠:١
لخلّ	«	تأبط شرا	١٨٥:٢
مشتملُ	بسيط	الكميت الأسدى	٥٩:١
جدلُ	«	صالح بن عبد القدوس	١٤٤:١
الأولُ	«	القطامى	٢٠٣:١
هطلُ	«	الأعشى	٢٢١:١
تحليلُ	بسيط	عبدة بن الطبيب	٣٣٣:١
الرجلُ	«	الأعشى	٣٦٠:١، ٥٥١
الهبلُ	«	القطامى	٣٦٦:١
نُزُلُ	«	الأعشى	٣٦١:١
ينخزلُ	«	«	٤٦٠:١
خالُ	«	—	٤٧٣:١
والمفاصلُ	«	أبو تمام	٥٣٦:١
المساقيل	«	كعب بن زهير	٥٥٨:١
العملُ	«	—	٥٩١:١
ثكُلُ	«	محمد بن حازم	٦٠٦:١
تَتكلُ	«	القطامى	٦١٨:١
الطيلُ	«	«	١٨:٢
مَيَلُ	«	الكميت	٣٢:٢

الإبلُ	بسيط	الأعشى	٩١:٢
يسلُ	«	البحترى	٢٥٠:٢
النزولُ	وافر	—	٣٥٧:١
الرحيلُ	«	أبو حية النميرىّ	٦٠٥،٤٤٤:١
ما أقولُ	«	—	٦٠٣:١
موكلُ	كامل	الأحوص	١٣٥:١
وجرولُ	«	الفرزدق	١٨٥:١
والمأكولُ	«	أبو نواس	٤٠٠:١
جليلُ	«	مسلم	٤٨٨:١
شمالُ	«	—	١١٦:٢
عجولُه	«	المرتضى	٦١٩:١
الوابلُ	سريع	—	١٢٢:١
جليلُ	خفيف	بشار	١٣٣:١
خبلُ	«	صالح بن عبد القدوس	١٤٥:١

* * *

برحيل	طويل	—	١٢٦:١
مضللِ	«	المتلمس	١٨٤:١
عاقلِ	«	النابغة الذبيانى	٢١٦،٢٠٢:١
ميالِ	«	امرؤ القيس	١٤١:٢
رالِ	«	«	٢٢٩:١
أمثالِى	«	«	٢٤١:١
ينجلِى	«	مزاحم العقيلى	٢٥٨:١
المفاصلِ	«	أبو ذؤيب الهذلى	٢٦٠:١

وائلِ	طويل	أبو ذؤيب الهذلى	٢٨٨:١
باطلى	«	—	٣٥٦:٢
وانزلِ	«	—	٣٥٧:١
عالِ	«	امرؤ القيس	٣٩٧:١
النُزْلِ	«	—	٤٢١:١
زَحْلِ	«	ذو الرمة	٤٤٤:١
الذوابلِ	«	الحزين الكنانى	٤٦٢:١
أعجِّل	«	—	٤٨٠:١
والشكلِ	«	—	٤٩٦:١
مُحْولِ	«	امرؤ القيس	٥٠٨:١
نعلِى	«	—	٥٥٢:١
بالنعلٍ	«	عمر بن أبى ربيعة	٥٧٣:١
القوابل	«	—	٥٧٩:١
تَميل	«	مسلم	٦٠٧:١
وأوحالى	«	امرؤ القيس	٤٨:٢
الحبائلِ	«	الأحوص	٦٥:٢
بأعزلِ	«	امرؤ القيس	٩٤:٢
ميّالى	«	«	١٠١:٢
المذللِ	«	«	١٢٥:٢
البالِى	«	«	١٢٥:٢
المفصّل	«	«	١٢٥:٢
تتفلِ	«	«	١٢٩:٢
والنخل	«	«	١٤٨:٢

قبلِى	«	جرير	٢٧٧:٢
وشَمْألِ	«	امرؤ القيس	١٩٢:٢
مُعوَّلِ	«	«	١٩٣:٢
مَحْـلِ	«	النجاشى	٢١١:٢
المحل	«	أبو الهندى	٢٩١:٢
مَلَل	بسيط	—	٣٦٩:١
والعجلِ	«	—	٤٦٩:١
بترحالِ	«	الشماخ	٥٦٠:١
النيلِ	«	أبو نواس	٥٩٦:١
والنَهَـل	«	—	١٥٧:٢
بالى	«	—	٢١٢:١
الحلاَلِ	وافر	—	٣٦٩:١
ضئيل	«	ابن هرمة	٥٧١:١
بعقلِ	«	—	٥٨٢:١
والـكلالِ	«	عباد بن أنيف	٥٨٢:١
النبالِ	«	اللعين المنقرىّ	٥٨٥:١
الرجالِ	«	—	٦١٢:١
الفصيل	«	—	١١١:٢
الليالى	«	زهير بن جناب	٢٤٣:١
غليلِ	«	منصور النمرى	٢٧٦:٢
الموالى	«	إثال بن الفدعاء	٢٩٢:٢

المفضلِ	كامل	حسان بن ثابت	١:٣٥/٢:٧٤
الأوَّلِ	«	«	١:٢٤٧
شوالِ	«	أبو تمام	٢:٢٤٩
بالمقبلِ	«	ذو الإصبع	١:٢٥١
بالأخوالِ	«	منصور النمرى	٢:٢٧٥
مجهلِ	«	—	١:٢٨٨
هيكلِ	«	ربيعة بن مقروم الضبي	١:٣٦١
أتموَّلِ	«	حارثة بن بدر	١:٣٨٣
الجهلِ	«	—	١:٤٩٨
وتليلِ	«	بشار	١:٥٥٤
قِلالِ	«	أبو تمام	١:٥٩٧
الـكهلِ	«	محمود الوراق	١:٦٠١
والهزلِ	«	أبو نواس	١:٦٠٧
الإبدالِ	«	الأخطل	١:٦١١
طوالِ	«	الجمدى	١:٦١٦
التقبيلِ	«	البحترى	٢:٤٤
المسبَلِ	«	البحترى	٢:٩٤
المقبلِ	«	حسان	٢:١١٢
مصقولِ	«	البحترى	٢:١٧٩
واغلِ	سريع	امرؤ القيس	١:٣٥٨
شاغلِ	«	«	١:٤٥٣
الجبلِ	منسرح	—	١:٣٥٩

السَّبَل	منسرح	—	١:٣٥٩
حيالِ	خفيف	الحارث بن عباد	١:١٢٦
المقالِ	«	أمية بن أبى الصلت	١:٤٨٦
مالى	«	أبو حنش النميرى	١:٥٢٢
المطالى	«	أبو تمام	١:٥٤٢
خالِ	«	المتنبى	٢:٣٥
ومالِي	مجزوء الخفيف	أبو العتاهية	١:٢٩١
الأول	متقارب	—	٢:١٤٧
الشمالِ	«	أمية بن عائذ الهذلى	١:١٥٧
الكلالِ	«	«	١:٥٦٢

(الميم)

مايعلمْ	كامل	المرقش	٢:٧٨
عَنَمْ	«	«	٢:١٥٥،١٥٧
عالمْ	مجزوء الكامل	بشر بن المعتمر	١:١٨٧
الكرمْ	مجزوء الرجز	—	٢:١٢٩
الغمامْ	سريع	الوالبى	١:٥٧٢
التمامْ	«	النابغة الذبيانى	٢:١٦
الغنمْ	مجزوء الخفيف	بشار	١:١٤١
العدمْ	متقارب	الجاحظ	١:١٩٧
المزدحمْ	«	—	١:٢٠٥
الكرمْ	«	—	١:٣٦٠
الكرمْ	«	الحريمى	١:٥٧٤
فَغِمْ	«	الأعشى	٢:١٩٠

أَجْذَمَا	طويل	المتلمس	٥:١
يترحمَا	«	عبدة بن الطبيب	١١٤:٧
فأعتما	«	أبو دهبل الجمحى	١١٥:١
وزَمزَمَا	«	الشريف المرتضى	١١٥:١
ولادَما	«	—	٢٩٧:١
المذَمَّما	«	أبو العالية الرياحى	٢٩٩:١
خثعما	«	—	٣٣٧:١
لأَتْمَا	«	قعنب الفزارى	٣٦١:١/٢٤٦:٢(١)
مَغْنَمَا	«	مروان بن أبى حفصة	٥٣٥:١
أدهما	«	البعيث	٣٣:٢
تكلما	«	جرير	٣٣:٢
ذَمَّا	«	الأحوص	٦٠:٢
تكرُّما	«	—	١١٨:٢
زَعَمَا	بسيط	النمر بن تولب	٣٢٥:١
فانهدما	«	النابغة الذبيانى	٣٣٣:١
والخدمَا	«	—	٤٩٨:١
ديموماَ	«	—	٥٢:٢
وَجَمَا	«	أبو تمام	٢٥٤:٢
قياما	وافر	—	٢٠١:١
بالكرامهْ	«	قيس بن زهير	١٤٩:٢
سقيما	«	«	٥٨:١، ٤٩٧
سلاما	«	—	٢٢٤:٢

(١) أورده فى هذا الجزء من غير نسبة ؛ ونسبه المفضل للمرقش .

هامَهْ	مجزوء الـكامل	ابن مفرغ	١:٥٢، ٤٤٠
صَمَمَا	خفيف	أبو تمام	١:٦٠٩
الثغامَهْ	«	—	١:٥٩٨
أجذما	متقارب	الربيع بن زياد	١:٨

* * *

أعجمُ	طويل	—	١:٤٤
ألومُ	«	مزاحم العقيلى	١:٥٣
مُقـرَمُ	«	أوس بن حجر	١:٢٥٨
يعلمُ	«	أبو المخزومى، أو جرير بن خرقاء العجلى	١:٣٠٤
يتصرَّمُ	«	الفرزدق	١:٣٠٤
مجرمُ	«	جرير بن خزقاء العجلى	١:٣٠٤
هُمُ	«	أبو خراش الهذلى	١:٣٥٠
راغمُ	«	—	١:٣٧٠
يهيمُ	«	—	١:٤٣٦
رميمُ	«	أبو حية	١:٤٤٧
وَحاتمُ	«	—	١:٤٦
حرامُ	«	البحترى	١:٥٤٣
مُديمُ	«	—	١:٦٠١
قديمُ	«	كثير	٢:٣٣
فـكليمُ	«	جهم بن شبل	٢:٤١
مُعصمُ	«	ابن هرمة	٢:١١٣
لـكريمُ	«	—	٢:١٦١
سائمُ	«	عمرو بن براق	٢:٢٦٦

قائمُ	طويل	[مالك بن حريم]	٢٧٣:٢
وسِلْمُهُ	«	الشريف المرتضى	٤١٠:١
حَمِيمُها	«	أبو دهبل	١١٨:١
خيامُها	«	الجعدى	٢٦٨:١
لئامُها	«	—	٣٠٠:١
همومُها	«	المزق أو معقر البارقى	٣٢٥:١
يُقيمُها	«	—	٣٥٣:١
فطيمها	«	—	٣٥٥:١
وغيومُها	«	الفرزدق	١١٥:٢
ماجَشمُوا	بسيط	محرز الضبى	١٧:١
إظلامُ	«	النابغة الذبيانى	٥٢:١
نِعَمُ	«	—	٥٧.١
العلمُ	«	الفرزدق	٦٨:١
كَرَمُهْ	«	أبو تمام	٣٨٧:١
مَلزومُ	«	علقمة بن عبده	٤٦٠:١
مركومُ	«	ذو الرمة	٤٧١:١
مهجومُ	«	علقمة بن عبده	٥١٢:١
يبتسمُ	«	الفرزدق	٥٢٥:١
مشئوم	«	علقمة	٥٧٨:١
والحرمُ	«	—	١٤٨:٢
والديَمُ	«	زهير	١٩٤:٢
زَعيمُ	وافر	—	١٠٩:١
غلامُ	«	—	١٠٩:١

تَرِيمُ	طويل	الوليد بن عقبة	١١٠:١
الـكلومُ	«	أبو العتاهية	١٨٨:١
لايريمُ	«	قيس بن زهير	٢١٤:١
النجومُ	«	الأخيطل	٥٢١:١
البشامُ	«	جرير	٥٤١:١/٢٥٦:٢
أسيمُ	«	—	٦١٧:١
هِشامُ	«	—	٤٥:٢
والِمعصمُ	كامل	—	١٦٠:١
إبرامُ	«	—	٥٠٦:١
نيامُ	«	—	٥٢٤:١
التسويمُ	«	لبيد	٦١٨:١
رسمُ	«	المخبل السعدى	٣١:٢، ٨٨
المعصمُ	«	—	٣٤:٢
لَطْمُ	«	المرار الفقعسى	٣٤:٢
أسحمُ	«	بكر بن النطاح	٩٧:٢
كلامها	«	—	٤٥٥:١
وسامُ	خفيف	أبو دُواد الإيادىّ	٤٢:١
والتميمُ	«	عبيد الله بن قيس الرقيات	٣٢٦:١
مسجوم	«	ابن الجهم	٥٩٩:١
يدومُ	«	حسان	٧٧:٢
السلام	«	أبو الجويرية العبدى	٩٠:٢
عطَّمُوا	متقارب	—	٥٨٥:١

٭ ٭ ٭

لِجامِى	طويل	عمرو بن قميئَة	٤٥:١
ومقامِى	«	الفرزدق	٦٣:١
ومحرِمِ	«	در	٥٢:٢/٢١٨:١
يرمى	طويل	—	٢٤٠:١
بالترنُّمِ	«	نصيب	٣٣٠:١
خازم	«	إسحاق الموصلى	٣٦٠:١
بالجماجم	«	عقيل بن عُلَّفَة	٣٧٣:١
والقوائِم	«	الجرباء بنت عقيل بن عُلَّفة	٣٧٤:١
المحارِم	«	أبو حية النميرىّ	٤٤٣:١
المتجشِّم	«	«	٤٤٦:١
ناظِمِ	«	«	٥٢٠:١
تَكلَّمِ	«	—	٥٢٠:١
مُرجم	«	أبو حية	٥٤٩:١
من جُرْم	«	—	٥٥٧:١
المكارِمِ	«	الفرزدق	٥٩١:١
فالمتثلّم	«	زهير	٦١٦:١
فيهرم	«	«	٦٢٦:١
ونميم	«	قطرِىّ	٦٣٩:١
قائِم	«	—	٢٧:٢
مُقْسِم	«	ابن أحمر	٥١:٢
المغارِم	«	—	١١٣:٢
فتفْطِم	«	زهير	١٢٥:٢

عِمِ	طويل	زهير	٢٩٨:٢
الظُّلَمِ	بسيط	المتنبي	٩٣:١/٣١٧:٢
حَامِ	»	حصين بن بدر	٥٣٠:١
لم ينمِ	»	أبو تمام	٥٤٢:١
ولم تَنِمِ	»	منصور النمرى	٢٧٨:٢
الغنمِ	»	—	٥٧٧:١
بالكرامِ	وافر	—	٣٤٢:١
رجيمِ	»	أبو تمام	٥٦٣:١
الظليمِ	»	—	٩:٢
كُومِ	»	—	١٩٥:٢
الأجذمِ	»	عنترة	٩:١/١٢٤:٢
أَرْمِي	»	الأعشى	٤٦:١
الرَّجم	»	—	٢١٦:١
حَاتِم	»	العكوّك	٢٩٠:١
قوامِ	»	حسان	٣٣٢:١
بتوءم	»	عنترة	٣٣٧:١، ٥٧٠
المنعِم	كامل	عنترة	٣٥٥:١
القدَّامِ	»	—	٣٥٦:١
حميمِ	»	بشر بن عبد الرحمن الأنصارى	٤٩٤:١
القاسمِ	»	عدى بن الرقاع	٥١١:١
مُصَرَّم	»	عنترة	٧٢:٢
الديلم	»	»	٨٤:٢
لئامِ	»	—	١٧٣:٢
مقامى	»	ولادة المهزمية	٢٤١:٢

زحامِ	كامل	مروان بن أبي حفصة	٢٧٥:٢
الخدامِ	«	محمود بن خارجة	٢٩١:٢
المتــكلمِ	«	—	٢٩١:٢
وتَحَمْحُمِ	«	عنترة	٣٥٣:٢
الأيام	خفيف	أبو تمام	٥٤٢:١
السَّوامِ	«	الـكميت بن زيد	٦١٧:١
التسليم	«	—	٢٥٧:٢
البُهمِ	منسرح	مطيع بن إياس	١٤٤:١
الحَـكَمِ	«	حمزة بن بيض	٥٩١:١
أَدَمِ	«	المهلهل	٢٦٨:٢
وبتحريمه	متقارب	سلم الخاسر	٥٦٧:١
الحسام	«	الخثعمى	٥٧٢:١

(النون)

وأَذَنْ	رمل	عدى بن زيد العبادىّ	٣٣:١
حِينْ	سريع	مسكين الدارمى	٤٧٦:١
المنونْ	سد	—	١٤٨:٢
التَّغَنْ	متقارب	الأعشى	٣١:١
حَزِنْ	«	ابن مقبل	٥٣:١

* * *

غفرانا	بسيط	—	١٥١:١
البينا	«	ابن مقبل	٢٩١:١
قتلانا	«	جرير	٣٣٥:١
المفيضيناَ	«	ابن مقبل	٤٦٧:١

وسنَانَا	بسيط	البحترى	١:٥٤٥
الجاهلينا	وافر	عمرو بن كلثوم	١:٥٧، ٣٢٧/٢:١٤٧
اعتدينا	»	أبو أسماء بن الضرير	١:١١٠
صفونا	»	عمرو بن كلثوم	١:١٠٥، ٢٠١
بآخرينا	»	ذوالإصبع العدوانى	١:٢٥١
ومينا	»	عدى بن زيد	٢:٢٥٨
متجاهلينا	»	الـكميت بن زيد الأسدى	١:٣٦٣
للمتنورينا	»	—	١:٣٩٧
جنينا	»	عمرو بن كلثوم	١:٥٥٩
تشتمونا	»	»	٢:٤٩
حزينا	»	ابن أحمر	٢:١٩٣
مِئينا	كامل	المستوغر	١:٢٣٤
تجمعنا	»	عمر بن أبى ربيعة	١:٣٦٣
والظِّنَّهْ	هزج	—	١.٥٥٧
وَزْنَا	خفيف	مالك بن أسماء بن خارجة الفزارىّ	١:١٤
أيْنَا	»	»	١:٤٣٥
مَعْنَّى	»	البحترىّ	١:٥٤٤
تُحْنى	»	»	١:٦٢٣
يقرضونا	متقارب	—	١:١٢٣
عاينَك	»	ابن الرومى	١:٥٢٣

* * *

أمْنُ	طويل	—	١:٤١٥
وعيونُ	»	—	١:٥٠٩
مَصُونُها	»	عبيدالله بن عبدالأعلى (ابن كناسة)	١:١٧١

دفينُها	طويل	أبو الطمحان القيْـنِى	١:٢٥٩
أهينُها	«	—	١:٢٨٤
جنونُها	«	—	١:٥٠٨
سُنونُها	«	—	٢:١٥١
أذِنُوا	بسيط	قعنب بن ضمرة	١:٣٢
بانوا	«	—	٢:١٩٣
هارون	«	منصور النمرى	٢:٢٧٦
الحصونُ	وافر	عبد المسيح بن بقيلة	١:٢٦٢
الظنونُ	«	عيينة بن حصن	١:٥٣١
العيونُ	«	النابغة الذبيانىّ	٢:١٧
الزمانُ	«	بشار	٢:١٣٧
مقرونُ	كامل	أبو تمام	٢:٣٥
الأزمانُ	خفيف	مطيع بن إياس	١:١٤٢

* * *

جنونى	طويل	—	١:٦٤
وبرتديانِ	«	ابن مُقبل	١:١٠٤
مُرّانِ	«	—	١:١٧٨
وسَمين	«	—	١:٢٠٦
بيمينى	«	زهير بن جناب	١:٢٤٠
للجَناجِنِ	«	الطرماح	١:٣٥١/٢:٨٣
الطّهيَانِ	«	—	١:٤٢٠
والولَمَانِ	«	—	١:٤٦٧
تبتدرانِ	«	امرؤ القيس	١:٥٠٧

بأرسانِ	طويل	امرؤ القيس	٥٨٢:١
مُنْحَنِ	«	كثير	٣٤:٢
فلانِ	«	ابن مُقبل	١٧٣:٢
رآني	«	المجنونِ	٣١٠:١
تكفيني	بسيط	ثابت قُطنة	٢٣٧:١
ويقليني	«	ذوالأصبع العدوانىّ	٢٩٢:١
إنسانِ	«	سويد بن عامر المصطلقى	٣٦٨:١
يؤذيني	«	ثابت قطنة	٤٠٧:١
يأتيني	«	عروة بن أذينة	٤٠٩:١
مكنونِ	«	«	٤١٤:١
تزيين	«	أبو العتاهية	٤١٥:١
يشفيني	«	عروة بن أذينة	٤١٥:١
ظَلْمَانِ	«	مسلم	٥٥٤:١
يعصيني	«	البحترى	٤٦٠:١
الشراكانِ	«	أبو نواس	٥٧٣:١
تُغَنّى	وافر	النابغة الذبيانىّ	٣٤:١
مِنِّى	«	«	٣٦:١
عينِ	«	الشماخ	٧٢:١
ولا يرانى	«	الأحنف العُكبرى	١٤٥:١
شفانى	«	قيس بن زهير	٢١٤:١
الحُنَانِ	«	الجعدىّ	٢٦٤:١
الجنانِ	«	بشار	٥١٠:١
الفرقدان	«	—	٨٨:٢

الغوانى	وافر	سوار بن مُضرَّب	١٥١:٢
لِسانى	«	زيادالأعجم	١٩٩:٢
منجلان	«	—	١٩٩:٢
أتانى	«	—	٢٣٤:٢
شيبانِ	كامل	مروان بن أبى حفصة	٢٢٤:١
الأوثانِ	«	النابغة الجمدى	٢٦٥:١
للحدثانِ	«	الصموت الـكلابى	٣٠٢:١
الأضغانِ	«	عقيل بن عُلَّفه	٣٧١:١
الشيطانِ	«	بشار	٥١٠:١
إحسانِ	«	البحترى	٥٢٣:١
الجانى	«	«	٥٢٤:١
مكانِ	«	الأحوص	٦١:٢
بالياسمين	سريع	—	٤٢:٢
تلقانى	خفيف	زهير بن جناب	٢٤١:١
يلتقيانِ	«	عمر بن أبى ربيعة	٣٤٨:١
البنيانِ	«	—	٣٤٩:١
تلقانى	«	بشار	٦٣:٢
فـكونى	«	أبو دُواد الأيادى	٧٣:٢
بالأحسانِ	«	—	١٤٥:٢

(الهاء)

قواه	متقارب	المتنخل	٣٠٦:١

* * *

مصطلاها	طويل	الشماخ	٣٠:٢

تأتيها	بسيط	—	١٥٢:١
داعِيها	بسيط	—	٣٥٤:١
عواريها	«	المرتضى	٤٣٣:١
تـكفيها	«	الخبزأرزى	٥٧٥:١
نسجاها	كامل	عدىّ بن الرقاع	١٠٣:١
سواها	«	—	٣٦١:١
اللهَ	«	أبو نواس	٥٢٥:١
رحاها	«	يحيي بن خالد	٦٠٩:١
بهما	منسرح	إسماعيل بن عمار	٤٩٩:١
يديهِ	متقارب	محمودالوراق ـ ويروى لمحدبن حازم	٦٠٨:١
لها	«	—	١٢٢:١

(الياء)

لياليا	«	ابن الرومى	٦٢٧،٢٣٩:١
زاريا	«	الجعدى	٢٦٨:١
وتهاميا	«	ابن أحمر	٣٧٠:١
مصافِيا	«	—	٣٧١:١
كافِيا	«	حارثة بن بدر	٣٨٥:١
الالياليا	«	أبو حية	٤٤٨:١
حاميا	«	قطرى بن الفجاءة	٦٣٧:١
الرواسيا	«	زهير	٩١:٢
ليا	«	—	١١٦:٢
ناسيا	«	—	١٣١:٢
بدائيا	«	—	١٥٩:٢

وجازيا	طويل	سليمان بن يزيد العدوى	١٦٨:٢
متماليا	«	أمية بن أبى الصلت	١٦٨:٢
وجازيا	«	سليمان بن يزيد العلوى	١٦٨:٢
نائيا	«	—	٢٢٠:٢
مابيا	«	ضاحية الهلالية	٢٤٢:٢
يمانيا	«	«	٢٤٢:٢
خلائيا	«	—	٢٦٥:٢
النواجيا	«	مالك بن الريب	٣٠٤:٢
ندايا	وافر	المستوغر	٢٣٥:١
عليًّا	«	أبو الأسود الدؤلى	٢٩٣:١
بُنَيَّهْ	مجزوء الكامل	زهير بن جناب	٢٤٠:١
هويًّا	خفيف	—	٢٦٩:١

(الألف المقصورة)

يحيى	طويل	—	١٠١:١
الموتى	«	صالح بن عبد القدوس	١٤٥:١
النسا	«	—	٤٦٧:١
مِنى	«	عمر بن أبى ربيعة	٥٠٦:١
غلا	«	—	١٧١:٢
مامضى	كامل	—	٣٣١:١
كالفتى	«	—	٤١٦:١
اصطلى	«	الأسعر	٣٢:٢
قذى	رسل	دعبل	٦٠٨:١
منتهاهُ	مجزوء الرمل	الجاحظ	١٩٧:١

٥ ـ فهرس الأرجاز

(ء)

سماؤه	رؤبة	١:٢١٦
جوزائِه	أبو النجم	١:١١٧

(ب)

صليبا	مدرك الشيبانى	١:١٣١
والحواجبِ	—	١:٤٥٥
أربى	—	٢:٢٩٢

(ت)

صأيتُ	—	١:٣٧٨
بيتُه	دويد	١:٢٣٧

(ج)

لواجا	هيان	٢:٢٦٦

(د)

صيدْ	—	١:١٧٦
ويَدا	دويد	١:٢٣٧
وبددا	—	٢:٢٥٩
وباردا	—	٢:٢٥٩
الأعبدا	—	٢:٣٥٥
موتودِ	ذو الرمة	١:١٩
كالوقود	—	١:٣٩٧
تقيّدِ	أبو نخيلة	١:٥٨٠
وجدّى	—	٢:١٧٤

أنصارا	—	٢:٥
تسخرا	—	٢:٣٥٦
تخرُّ	—	١:٥٧
المهرُ	عقيل بن عُلّفة	١:٣٧٢
مفخرُهْ	—	١:٢١٦
شِعْرى	أبو النجم	١:٣٥٠
حمارِى	—	٢:٢٠١

(س)

حرْسا	—	١:٢٣٩

(ش)

كباش	—	١:٦٣١

(ض)

البياضِ	—	١:٩٢/ ٢:٣١٧

(ط)

لغطا	—	٢:٢٥٩

(ع)

المشمشما	—	١:٢١٩
إصبعا	—	١:٣١٩
مقزعه	لبيد	١:١١٢
دعَهْ	لبيد	١:١٩١
ربيمَهْ	—	١:٣٥٦
أجمعُ	—	١:٣٥١
لاتنفعُ	—	١:٥٥٩

جدعُ	—	٥٢:٢
البرُقعِ	أبو النجم	٤٠:١
	(ف)	
أطرافى	العجاج	١١٩:١
	(ق)	
الملقْ	رؤبة	١٥٦:١
القرق	—	٥٦١:١
أرقا	رؤبة	١٠:٢
العراقِ	أم الهيثم	١٧٦:٢
	(ك)	
وزكا	دُكين	٤٣٨:١
أباكا	منفوسة	٢٨٦:٢
	(ل)	
الأول	بشير	١١١:١
منفلُ	—	٣٥٦:١
الأصلْ	—	١٤١:٢
عملْ	قيس بن عاصم	١٨٦:٢
باهلهْ	—	٥٨:٢
الجلاجلُ	يحيى بن زياد	١٤٣:١

هلالِ	الجاحظ	١٩٧:١
بابلِ	—	١٣٨:٢
الأثقلِ	أبو النجم	١٤٦:٢
عيطلِ	أبو النجم	٢٦٦:٢
	(م)	
لاجرمْ	—	١١٠:١
مريمُه	رؤبة	١١:٢
بالدّمِ	عقيل	٣٧٤:١
حريمِه	يزيد بن المكسر	٥٧٣:١
	(ن)	
أبَنْ	—	٣١٩:١
قطني	—	٣٠٩:٢
	(هـ)	
راماها	—	١٠:١
عيناها	—	٢٥٩:٢
	(ى)	
محميّهْ	الفرزدق	٦٢:١
	(الألف المقصورة)	
السرى	—	١٧:١
سرى	—	٤٩٣:١

٦ ـ فهرس الأمثال

اتق مأثور القول بعد اليوم ١: ٢١٤
أجبن من صافر ١: ٤٥٥/٢: ١١٢
أشبه امرؤ بعض بزه ١: ٢٤٧
إن الموصَّيْن بنو سهوان ١: ٢٣٨
إياك أعنى واسمعى ياجارة ٢: ٣٩٩

(التاء)

تَرَكَ الخِدَاعَ مَنْ أجرى من مائة ١: ٢٠٩
تفرقوا أيادىَ سَبا ١: ٨١

(الجيم)

جرى المذكيات غلاب ١: ٢٠٩

(الحاء)

حِمَىَ الوطيس ٢: ١٧١

(الذال)

ذهبوا أيادى سبا ١: ٨١
ذهبوا شغَر بغَر ١: ٨١
ذهبوا شماريز ١: ٨١
ذهبوا شماليل ١: ٨١
ذهبو عبابيد ١: ٨١
ذهبو عباديد ١: ٨١

(الراء)

رماه بثالثة الأثافىّ ٢: ٣٠
رويدا يعلون الجدد ٢: ٢٠٩

(الزاى)

زوجٌ من عود خير من قعود ١: ٢٤٦

(الشين)

شالتْ نَعامتهم ١: ٢٥٢

(الصاد)

صحيفة المتلمس ١: ١٨٥

(الفاء)

فى كل شجرةٍ نار واستمجد المرخ والعفار ٢: ٢٩

(القاف)

قد أنصف القارة من راماها ٢: ٩
قد قلينا كلّ صفّار ١: ٤٥٦

(اللام)

لأمرٍ ماجدعَ قصيرٌ أنفه ٢: ٣١٣
لأمرٍ مايسوّد من يسود ٢: ٣١٣
ليس لمكتوم رأى ١: ٢٢٥

(الميم)

من شُب إلى دُب ٢: ٢٠٩

(النون)

نجارها نارها ٢: ٣١

(الهاء)

هذا أجلّ من الحرش ١: ٢٣٥

(الواو)

وجدان الرّقين يغطّى على أفن الأفين ١: ٢٣٣

٧– فهرس الشعراء وقوافيهم

إبراهيم بن العباس الصولىّ:
وسماؤها ١:٥٢٣ هبوبُها ١:٤٨٧
غروبُها ٢:٩٢ المغيب ١:٣٠٥
منقلبى ١ : ١٧٢ زلَّتِ ١:٣٠٦
مخرجُ ١:٤٨٦ يتطوحُ ١:٤٨٢
شاهدا ١ : ٤٨٥ محمدِ ١: ٤٨٤
ماقدرا ١:٣٠٥ مزارُها ١:٤٨٧
لَكَا ١:٤٨٧ جفاكا ١:٤٨٣
شمالا ١:٤٨٨

إبراهيم بن المهدى:
الأراصيدُ ٢:٢٤٩

إبراهيم بن هرمة = ابن هرمة

أُثال بن الفدعاء:
الموالى ٢:٢٩٢

أحمد بن جندل:
نهدُ ١:٥٩٢

أحمد بن يزيد المهلبى:
صفارها ٢:٤٢

أحمد بن يوسف:
الأضيافِ ٢:٢٦٩

ابن أحمر:
ينجحرْ ١:٢٢٩ زمِرْ ١:٤٥٦
قصارا ١ : ٤٦٧ زمْرُ ١:٤٥٦
مقسمِ ٢ : ٥١ وتهاميا ١:٣٧٠

حزيناً ٢:١٩٣

الأحنف العكبرى:
يرانى ١:١٤٥

الأحوص:
أجيبُ ٢:٦٥ وأقارُبه ٢: ٦١
قلبى ٢:٦٦ أدورُ ٢:٦٥ البيعُ
٢:٦٦ موكَّلُ ١:١٣٥ الحبائلِ
٢:٦٥ ذمّا ٢:٦٠ مكانِ ٢:٦١

الأخطل:
الضبابا٢:١٧٥ ورءوبِ ١:٥٥٣،
المصبِ ١: ٣٤٣ صيتُ٢:١١٥
معصرّدِ ٢ : ٢٤ هجرُ١ : ٤٦٦
الوكرِ ٢ : ٦٣ المار ١ : ٦٣٧
النارِ ٢: ٢٥ الأحفارِ ٢:٢٨٥
ضلالا ١:٢١٨ الأنفالا ٢:١١٠
والمعوّلُ١:٢٦٧ ونائلُهْ ٢:٥٢
الأبدالِ ١ : ٦١١

الأخيطل:
النجومُ ١:٥٢١

ابن أراكة الثقفى:
القبرِ ١:٤٦١

ابن أرطاة الأعرجى:
مرّْ ١:٣٥٢

إسحاق الموصلىّ :
العذبِ ١:٦٠٦ خازم ١:٣٦٠
الأسعر :
اصطلى ٢:٣٢
أسماء بن خارجة :
الـكسبِ ٢:٢٠٧
أبو أسماء بن الضريبة :
اعتدينا ١:١١٠
إسماعيل بن عباد (الصاحب) :
كاتبِ ١:٤٠٠
إسماعيل بن عمار :
بهما ١:٤٩٩
إسماعيل بن القاسم : أبو العتاهية
أبو الأسود الدؤلى :
ومنطلقِ ١:٢٩٣ عليا ١:٢٩٣
الأسود بن يعفر :
الأوتادِ ١:٣٥ إيادِ ١:٢٦٥
أشجع :
يخافا ١:٥٢٥
أعشى باهلة :
الغمرُ ١:٩٦ الصفرُ ١:٢٣٠
سخَرُ ٢:٢٠
أعشى قيس :
المهدَا ١:٣٢ أمردا ١ : ٦١٢
موعدا ٢:٢٦٥ كالعرارة ٢:١٤٠
وخيرا ١:٥٧٠ الضامرِ ١ : ٤٥١
الدلامصا ٢:١٤١ وقعا ١:٤٤٥
مما ٢:١٧٢ موفقُ ١ : ٤٦٦
نهالها ١:٢٧٨ أطفالها ٢ : ٣٠٣
الرجلا ١:٢١ إلا ١:٣٧ هطلُ
١:٢٢١ الرجُل ١: ٣٦٠ ، ٥٥١
نزلُ ١ : ٣٦١ الإبلُ ٢ : ٩١
فَعِمْ ٢:١٩٠ أرى ١:٤٦ التغنّ
١ : ٣١
الأفوه :
كادوا ١:٣٣٢
امرؤ القيس :
تطيَّب ١:٢٢١ مركَّب ١:٣٣٣
يثقَّب ٢:١٢٥ نحْطب ٢ : ١٩١
وانتسابى ١ : ١٧١ بالشراب
١ : ٥٧٧ البريدا ١ : ٥٩١
لانقعد ١: ٣٣٣ المنفطرْ ١ : ٧١
دبرْ ٢ : ٩٤ مقتفرْ ٢ : ١٨٩
جرجرَا ١:٢٢٨ طرطرا ١:٣٢٩
بقيصرا ١:٦٢٩ كبرِه ٢:١٩١
أنفسا ١:١٤، ٤٧٩/٢:٣١٠ ملبسا
١ : ٥٩٦ أتلعا ٢ : ٦٢ رالِ
١: ٢٢٩ أمثالى ١ : ٢٤١ عالِ
١:٣٩٧ محولِ ١:٥٠٨ وأوصالى
٢ : ٤٨ بأعزلِ ٢ : ٩٤ ميالِ
٢:١٠١ المذلل ٢:١٢٥

البالِى٢:١٢٥ المفصِّلِ ٢:١٢٥
تُفُلِ ٢ : ١٢٩ وشمألِ ٢:١٩٢
معوّلِ ٢:١٩٣ واغلِ ١:٣٥٨
شاغلِ ١:٤٥٣ تبتدرانِ ١:٥٠٧
بأرسانِ ١ : ٥٨٢

أمية بن الصلت :

المسحَرِ ١:٥٧٧ ذائقُها ١ : ٥٣٣
المقالِ ١:٤٨٦ متماليا ٢: ١٦٨

أمية بن أبى عائذ:

الشمالِ ١:١٥٧ الـكلالِ ١:٥٦٢

أنس بن أبى أنيس:

وتسرقُ ١:٣٨٤

أوس بن حجر :

طَلَبا ٢ : ٧٣ النوافرا ٢ : ٧٤
جحفلا ١ : ٢٦٣ مقبلا ١ : ٣٠٥
مقرمُ ١:٢٥٨

البحترىّ :

جرداء ١ : ٥٩٧ شعواءَ ٢:٢٥١
فأعتبا ١:٥٧٣ ومخلبا ١ : ٥٨٦
نبا ٢ : ٤١ خضيبا ١ : ٦٢٠
نصابَه ١:٥٦٩ ضريبا ١ : ٥٣٥
ندوبا ١ : ٦٢١ قضيبا ٢ : ٦٣
حبيبُ ٢:٤٥ لاتغربُ ٢ : ٩٢
وصابِها ٢:٢٣٠ الهربِ ١:٥٣٤
أربى ١ : ٦١٩ تأديبى ٢:٢٣

حبيب ١:٥٤٤ بالمعيب ١:٦٢
وقلوب٢:١٥٢ الإجتناب١:٦٠٠
سُفِحا ١:٦٢٥ مازحِ ٢ : ٤١
والرّاح ٢:٦٤ أقاحِ ٢ : ١٧٩
التفاحِ ٢:١٧٨ الصدى ١:٥٤٣
جديدا ٢:٦٢١ والحسدُ ١:٤١٥
يصده٢:٩٣ يرُدُّه١:٦٢٤ تعودا١:
٦٢٣ بأسعدِ ١:٦٢١ والمجدِ٢:٤٤
الخرائد٢: ١٢٧ مخلدِ ١ : ١٠٣
الميعادِ ١ : ٦٢٢ العمرْ ١:٥٣٤
الـكِبَرْ ١ : ٦٢٥ نزرُ ١ : ٣٠٣
المنشر ١ : ٥٩٣ الأوتارِ٢:١٢٨
الأسحارِ ١:٥٦٣ نضا١:٦٢٢/
٢ : ١٣٥ راضِ ١ : ٦١٩
ولاقطُه ١:٥٢٠ يطمعُ ١: ٥٤٣
أسفعِ ١ :٥٤٢ بشفيعهِ ١:٦١٨
جميـع ١ : ٥٦٤ لم يشربِ
١:١٠٣ أبرقُ ٢ : ١٥٣ المؤرقِ
١ : ٥٤٣ فاصدق ٢ : ٢٢٩
مفيقِ ١: ٦٠٠ الوصلُ ٢ : ٣١١
باطله ١ : ٥٤٤ يسلُ ٢: ٢٥٠
التقبيلِ ٢:٤٤ المسبلِ ٢: ٩٤
مصقولِ ٢:١٧٩ حرامُ ١:٥٤٣
وسنانا ١:٥٤٥ معنّى ١ : ٥٤٤
تحَنى ١:٦٢٣ يعصينى ١ : ٤٦٠
إحسانِ ١:٥٢٣ الجانى ١:٥٢٤

بشار :

المهذبا ١:١٣٩ يشعبُ ١ : ٥١٠

رقوبُ ٢:٣٥ مشوبُ ٢ : ٦٣

كواكبه ٢:١٢٦ ذهبُه ١:٣٥٦

خُطَبِ ١ : ١٣٩ مزاحا ٢:١٤٢

الوردِ ٢ : ٦٤ صعيدِ ٢ : ١٣٨

عهدِ ٢ : ١٤٢ مودودِ ١ : ٦٠٧

البرودِ ١ : ١٤١ النظرْ ١ : ١٤٠

المطرا ٢ : ١٣٧ النارُ ١ : ١٣٨

للشعرِ ١ : ١٣٩ منهضا ٢:١٣٣

سماعِ ٢ : ١٣٩ موقا ١ : ١٣٧

عندكِ ١ : ٤٠١ تنالْ ١ : ١٣٧

موئلا ١ : ٥٠٩ مثلا ١ : ١٣٩

جليلُ ١ : ١٣٣ وتليلِ ١:٥٥٤

الغنمْ ١ : ١٤١ الزمانُ ٢ : ١٣٧

الجنانِ ١:٥١٠ الشيطانِ ١:٥١٠

تلقانى ٢:٦٣

بشامة بن الغدير :

السبيلا ١:٥٥٦

بشر بن أبى خازم:

بابا ١:٣٤١ لنائبُ ١ : ٤٦٣

لم تنكبِ ٢:١٦٨ قطارُ ١:٥١١

بشر بن عبدالرحمن الأنصارىّ :

حميم ١:٤٩٤

بشر بن المعتمر :

عالمْ ١:١٨٧

البعيث :

أدهما ٢:٣٣

بكر بن عيسى :

يفيض ٢:٤٢

بكر بن النطاح :

أسحمُ ٢:٩٧

تأبط شرا :

مخاصر ٢:١٧٧ أم عامر ٢:٧٣

(ويروى للشنفرى) لحلّ ٢:١٨٥

أبو تمام :

ولعوبا ١:٦١٠ ساكبُه ١:٥٨٥

والركبُ ١:٣٣٥ عجبِ ١:٥٩٩

ودياتِ ١:٥٨٩ وصدودا ١:٦١١

الفؤادِ ١:٦١٢ البرادِ ٢:١٧٨

بهارَا ٢:٤٢ غزارُ ٢:٣٤ الوارى

٢:٢٤٧ إياسِ ١:٢٩٠ مغرضا ٢:

١٣٥ مهيعُ ١:٦٠٩ اجتماعِ ٢:٢٥٦

والعراقِ ٢:١٥٣ شوالِ ٢:٢٤٩

قلالِ ١:٥٩٧ المطالى ١ : ٥٤٢

وجما ٢ : ٢٥٤ صميا ١ : ٦٠٩
كرمُهْ ١ : ٣٨٧ لم يَنِمْ ١ : ٥٤٢
رجيمِ ١ : ٥٦٣ الأيامِ ١ : ٥٤٢
مقرونُ ٢ : ٣٥

توبة بن الحمير :

وصفائح ١ : ١٢٦ يستجيرُها ١ : ٣٦٣
فجورُها ٢ : ٥٧

ثابت قطنة :

تكفيني ١ : ٢٧٣ يؤذيني
١ : ٤٠٧

الجاحظ :

المدمْ ١ : ١٩٧ منتهاهُ ١ : ١٩٧

جحظة :

حسبُ ١ : ٥٧٥

جران العود :

الإزارُ ٢ : ١٤٣ ينطف ٢ : ١٢٧

الجرباء بنت عقيل بن علّفة :

والقوائم ١ : ٣٧٤

جرير بن خرقاء العجلي :

مجرمُ ١ : ٣٠٤ تعلمُ ١ : ٣٠٤
(ويروى لأبي عمر المخزومي)

جرير بن عطية :

انصبابا ١ : ٢٨٩ والخشابا ٢ : ٥٧
أُودا ١ : ٣٩٧ قيودُ ١ : ٥٨٠
والقمرا ١ : ٥٢ جبورُها ٢ : ٧٢
قدرِ ٢ : ٥٧ مقاتلهْ ٢ : ٦٧
قبلِي ٢ : ١٧٧ تكلما ٢ : ٣٣
البشامُ ١ : ٥٤١/٢ : ٢٥٦ قتلانا
١ : ٣٣٥

الجعدي :

مرحبِ ١ : ٢٠٢ تنضبِ ١ : ٢٦٩
يتذكرا ١ : ٢٦٣ مايضرّه ١ : ٢٦٦
أناسا ١ : ٢٦٤ وأكل ١ : ٩٦/
٢ : ١٤٥ طوالِ ١ : ٦١٦ خيامُها
١ : ٢٦٨ الحنانِ ١ : ٢٦٤ الأوثان
١ : ٢٦٥ زاريا ١ : ٢٦٨

جميل :

بالقوادح ٢ : ١٥٧ شمّرا ١ : ٥٦٨

جهم بن شبل :

فكليمُ ٢ : ٤١

ابن الجهميّ :

مسجومُ ١ : ٥٩٩

أبو الجوائز :

النهودُ ٢ : ٦٤

أبو جويرية العبدي :

يتطوحُ ١ : ٥٧١ السلامُ ٢ : ٩٠

حاتم الطائىّ :
الوردِ (ويروى لقيس بن عاصم)
١٦١:٢ الزجرُ ١:٢٩٤ الصدرُ
١٥٥:٢ عقورُها ٢:١١١
حاجب الفيل :
وتحنيقِ ٢:١٠٥
الحارث بن خالد المخزومى :
المرطُ ١ : ٤٦١ المقلدِ ٢ : ١٣٠
المرطُ ١ : ٤١٦ يعلم ١ : ٣٠٤
(ويروى لجرير بن خرقاء)
الحارث بن عباد :
حيالى ١ : ١٢٦
الحارث بن كعب :
دهورا ١:٢٣٣
حارثة بن بدر :
فدرّتِ ١:٣٨٦ حادى ٢: ٢٢٨
بالسؤددِ ١: ٣٨٨ قسْرًا ١:٣٨٦
مجيرُ ١ : ٣٨٧ عروقُها ١: ٣٨٢
تعادِله ١:٣٨٠ أواصلهُ:١: ٣٨١
أتموّلِ ١: ٣٨٣ كافِيا ١ : ٣٨٥
حجية بن المضرّب :
والبدرُ ١:٢٥٨
الحزين الكنانى :
الذوابلِ ١:٤٦٢
حسان بن ثابت :
الجزاءُ ١:٦٢٣٢ سواء ٢:١٨٢
الفداء ٢:١٨٨ القَليب ١:٣٤٢
مالِك ١:٥٨٩ المفضِل ١ : ٣٥/
٢ : ٧٤ الأول ١ : ٢٤٧ المقبل
٢:١١٢ يدومُ٢:٧٧ قوامِ١:٣٣٢
الحسن بن على الواسطى :
المذبا ١ : ٤٤٩
الحسين بن الخليع :
مَسدْ ١:١٣٢
الحسين بن الضحاك :
غريب ٢: ٤٤ خمودها ١: ٤٣٤
وليدها ١:٤٣٥
الحسين بن مطير :
الأحساء ١:٤٣٨ قروحِ ١:٤٣٦
خمودها ١:٤٣٤ أذودها ١:٤٣٥
ناظرُهْ ١:٤٣٢ نطورُها ١:٤٣٣
مغمض ١: ٤٣٥ مربعا ١ : ٢٢٧
حصن بن حذيفة بن بدر :
حامِ ١:٥٣٠
الحطيئة :
شدوا ١ : ٦٣٩ كدّوا ٢ : ٢٨٩
حاضرُهْ ١:٤٩ القصاع ١: ٢٤١
وكيفُ ٢:٤٧
حماد عجرد :
خمسه ١:١٣٤ تشيرُ ١ : ١٤١

حمزة بن بيض :

الحـكَمِ ١ : ٥٩١

حميد بن ثور :

ظهْرِ ٢ : ٣٢ وإصبعُ ١ : ٣١٩

الأجارعُ ٢:٢١٣ يتقوف ١:٥١١

خريقُ ١: ٥٨١

أبو حنش النميرى :

مالى ١:٥٢٢ شعيب ١:٤٤٩

أبو حية النميرىّ :

أتجنّبُ ١:٤٥٠ القصارا ١:٤٤٥

أنظرُ ١: ٤٤٩ المشوّقِا ١ : ٤٤٨

الرحيـلُ ١:٤٤٤ رميمُ ١:٤٤٧

المحارمِ ١ : ٤٤٣ المتجشمِ ١:٤٤٦

ناظِمِ ١: ٥٢٠ مرجَمِ ١ : ٥٤٩

اللياليا ١ : ٤٤٨

خالد بن جعفر :

الوريدِ ١ : ٢١٢

خالد بن الطيفان :

الـكسْرُ ٢:٦٠ وفرُ ٢:٢٥٩، ٣٧٥

الخبز أرزى :

تـكفيها ١:٥٧٥

الخثعمىّ :

الحسام ١ : ٥٧٢

خداش بن زهير :

الحُمْرُ ١ : ٤٦٦ الزّافرِ ٢ : ٩٥

أبو خراش الهذلى :

محِض ١:١٩٨ همُ ١:٣٥٠

الخرنق بنت بدر :

الجزُرِ ١:٢٠٥

الخريمى :

يلمعُ ١:٢٥٨ الـكرمْ ١ : ٥٧٤

الخنساء :

وقودُهـا ١:٧١ وإدبارُ ١:٢٠١،

٤٦٥ أظآر ١:٥٠٤ عارُ ٢:٧٧

صخرِ ٢ : ١٩ الحضرِ ١ : ٩٨

الناسُ ١ : ٣٧٠ أتقالها ١ : ٩٧

مالها ٢:٤٨ أطولُ ٢:٢٤

ابن الخياط :

يفدِى ١:٥٢٢

ابن دريد :

البا كى ١:٤٣٨

دعبل :

العرصاتِ ١: ٤٨٤ الثبتِ ٢:٢٧٠

هلـكا ١: ٤٣٧ مقاتلُه ٢ : ٢٧٠

قذى ١:٦٠٨

أبودلف:

البصرِ ١:٦٠٨

ابن الدمينة :

يجيبُ ١:٤١ بدَالكِ ١:٤٩٥

أبو دهبل :
ينسجُ ١ :١١٩ والهجرا ١ :١١٦
نزرا ١ :٥٢١ لصبورُ ١ :١١٨
(ويروى للمجنون) السهر ١ :١١٨
ماصنعوا ١ :١١٧ فأعتما ١ :١١٥
حميمُها ١ :١١٨
أبو دؤاد الإيادى :
وسامُ ١ :٤٢ فكونى ٢ :٧٣
ذو الإصبع المدوانىّ :
النفِر ١ : ٢٤٤ أجمعُ ١ : ٢٥١
هالكا ١ :٢٥٠ بالمقبل ١ :٢٥١
بآخرينا ١ :٢٥١
ذو الرمة :
جادبه ١ :٦٠٥ هبوبها ١ :٣٨٧
سربُ ١ :٢٧٨ ذهبُ ٢ :١٤٠
شنبُ ٢ :٢٥٥ والمغاربِ ٢ :١٧٥
يبرحُ ١ :٣٣٢ ، ٤٥٠ يصبحُ
١ :٥١٣ نوائحُ ١ :٥٩٩ واحدُ
١ : ٥٤٨ وعبيدها ١ : ٥٠ نزرُ
١ :١٣ ، ٥٢٢ الخمرُ ١ : ٢٠
فيصبر ١ :١٠٧ يتمرمرُ ١ :٤٦١
المحاذرِ ٢ :٥١ الحنادس ٢ : ٩٦
الوقائع ١ :٢٥٩ بالمصانع ٢ : ١٢
محلقُ ٢ : ١٢٥ زالا ٢ : ٢٦٦
الحبلُ ٢ : ٢٩ جنادله ٢ : ٣٣
جديلُها ١ : ٥٦ امتثالُها ١ :١١١
زحِل ١ :٤٤٤ مركوم ١ : ٤٧١
أبو ذؤيب الهذلى :
طلابها ١ :٢١٧ خلاجا ١ :٦١٦
مصباحُ ١ :٦١٦ مصرع ١ :٢٩٣
لايقلع ١ :٤٩٢ المفاصِل ١ :٢٦٠
الراعى :
مشرب ٢ :٢٨ فروجُ ٢ : ٣٠
المتجرد ٢ :١٦٧ البلدِ ٢ : ٨
نارا ٢ : ٣١ المتناصرُ ٢: ١٩٢
أوقرُ ١ :٢٧٩ كالأثر ١ :٢١٦
إصبعا ١ :٣١٩ مضجعا ١: ٣٢٢
ومرتعا ١ : ٣٢٣ نصولا ١ : ٤
مقيلا ١ :٣٢٣ ودخيلا ١ :٢ :١٥٥
الربيع بن أبى الحقيق :
العودُ ١ :٥٦٨ بارعُ ١ :٥٦٧
الربيع بن زياد :
السارى ١ :٢١٠ نهارِ ١ :٥٩٠
طولا ١ :١٩٢ أجذما ١ :٨
الربيع بن ضبع الفزارىّ
فداءُ ١ :٢٥٥ حُجَرا ١ :٢٥٣
عصرا ١ :٢٥٦
ربيعة بن مالك : (معود الحكماء)
نابا ١ :١٩٣
ربيعة بن مقروم الضبى :
هيكل ١ :٣٦١

رفيع الوالبي :
نجاحُ ١:٣٧٠ الغمامْ ١:٥٧٢
رؤبة :
افتخارا ١:٥٩٨
ابن الرومىّ :
اللهبْ ١:٤٤٧ مغالبِ ١:٥٩٥
بانقضاب١:٦٢٧ تلهفتُها ١:٦٢٧
الوجْد ٢:١٢٧ أجدَرُ ١:٦٢٠
بمض ٢:٢٩٠ هنالكا ٢:١٥٢
عاينك ١:٥٢٣ لياليا١:٢٣٩، ٦٢٧
ابن الزبعرى :
عجافُ ٢:٢٦٩
أبو زبيد :
شرع ٢:٢٨٥
زفر بن الحارث :
تغنّتِ ١:٢٤٤
زهير بن جناب :
مسانى ١:٢٤١ الليالى ١:٢٤٣
بيمينى ١:٢٤٠ تلقانى ١:٢٤١
بنيّه ١:٢٤٠
زهير بن أبى سلمى :
الرّشاءُ ١:٩٩ الأرندجِ ٢:١٩٨
لحقا١:١٠١ فلقا ٢:١٥٦ دركُ
١ : ١٠٢ ثقيلا ١ : ٩٧ قبْلُ
١:٥٦٧ ويبلو ٢ :١٠٩ والديم
٢:١٩٤ فالمتثلم ١ :٦١٦ فيهرم
١ : ٦٢٦ فتفطِم ٢ : ١٢٥ عِم
٢:٢٩٨ الرواسيا ٢:٩١
ابن الزيات = محمد بن عبد الله الزيات
زياد بن الأعجم :
الواضح ١:٧٢ الرائحِ ٢:١٩٩
(ويروى للصلتان)
وصفائح ٢:٣٠١ لسانى ٢:١٩٩
ساعدة :
مترَبّبُ ١:٥١٩
سالم بن دارة :
بأسيارِ ١:٢٨٩
سلم الخاسر :
نجادِ ١:٥٧٢ الأقواس ١:٥٦٢
وبتحريمِه ١:٥٦٧
سليمان بن يزيد العدوى :
وجازيا ٢:١٦٨
السموءل :
فتطولُ ١:٣٨٢
سهل بن هارون :
دأبى ١:٤٦٠ ماأبدى١:١٨٢
سواد بن قارب :
بكاذبِ ١:٥٧٦
سوار بن المضرب :
الغوانى٢:١٩١

سوار بن حيان المنقرى :
أشكلا ١ :١١٣، ٥٩٢
سويد بن عامر المصطلقى :
إنسانِ ١ :٣٦٨
سويد بن أبى كاهل :
الجزعْ ١ :٢٣٠/٢ :٣٣٨ منتزع ١ :٥٨٣
السيد الحميرى :
العلماء ٢ :٣٤٠ للمغربِ ٢ :٣٤٠
معْرِب ٢ :٣٤٣ قباحا ٢ :١٤٢
طراقَها ١ :٥٧٣
شبرمة بن الطفيل :
المزاهرِ ١ :٣٣٢
الشماخ :
الأركب ١ : ٣٤٣ المحبَّرا ١ : ٤١
تعَذَّرا ١ :٥٥٦ بترحالِ ١ :٥٦٠
عينِ ١ : ٧٢ مصطلاها ٢ : ٣٠
راكزُ ١ :٥٨١ شموعِ ١ :٤٩٣
الشمردل :
شمائلُه ١ :٩٧
الشنفرى :
أم عامر ٢ : ٧٣ (ويُروى لتأبط شرا) تتململُ ١ : ٥٨٧ تحلُّ ١ :٢٨٠
الصاحب = اسماعيل بن عباد
صالح بن عبد القدوس :
رمسِه ١ : ١٤٥ جدلُ ١ : ١٤٤
خبلُ ١ :١٤٥ الموتى ١ :١٤٥
صخر بن حبناء :
عار : ١ :٣٧٨
صدقة بن نافع الغنوى :
مسيرُها ٢ :١٥١
الصلتان العبدى :
الرائحُ ٢ :١٩٩ (ويروى لزياد الأعجم)
وصفائحُ ٢ :٣٠١
الصموت الكلابى :
للحدثانِ ١ :٣٠٢
صفان :
البلدِ ٢ : ٨
ضابئُ بن الحارث البرجمى :
يخيبُ ٢ :١٠٤ وحلائله ١ :٣٣٣
ضاحية الهلالية :
فأميلُ ٢ : ٢٤٢ مابيا ٢ : ٢٤٢
يمانيا ٢٢ : ٢٤
الضمرى :
الربيعُ ١ :٢٢٦
طرفة بن العبد :
طباخِ ١ : ٩٢ معبدِ ١ : ٣٤١

المتشددِ ١:٣٨٢ المتوقدِ ٢:٢٤٢
ويبمدِ ٢ :٢٥٨ بالظهرْ ١ : ٥٢
ينتقرْ ١:٣٥٤ عرضِى ١:١٨٥
الطرمّاح :
ضلتِ ١:٢٨٩ للجناحينِ ١:٣٥١/
٢ : ٨٣
طريح بن إسماعيل الثقفى :
عادا ١ : ٥٧٤ يجزع ١ : ٥٣٣
مقنع ١:٦٠٢ طويلُ ١:٥٧٠
طفيل الغنوى :
كوكبُ ١:٢٥٨ إصبعُ ١: ٣١٩
أبو الطمحان القينىّ :
أضاءوا ١:٢٠٩ صاحبُه ١:٢٥٧
لصيدِ ١:٢٥٧،٤٦ يكدّرِ ١: ٢٥٩
وأحرزُ ١:٢٦٠ دفينُها ١: ٢٥٩
ابن الطيفان = خالد بن الطيفان
ابن أبى عاصية :
مسافر ١:٢٢٦
عباد بن أذينة :
والكلالِ ١:٥٨٢
عباد بن أنف الكلب :
خيارُ ١:١٠٢
العباس بن الأحنف :
مراقبِ ١:٥٧٤ ساحرُه ١:٤٥٩
تعارُ ١ : ٤٣٧ سطرِ ١ : ٤٠٠
راسِ ٢:٦٤ وأوجاعى ١: ٤٦٠
العباس بن مرداس :
مايطيقُ ١:٢١٧
عبد الرحمن بن الحكم :
الدهرى ١:٥١
عبد الصمد بن المعذل :
البارِدِ ٢:٦٢
عبد الله بن الزّبير الأسدىّ :
الكراكرِ ١:٣٨٦
عبدالله بن عبدالأعلى (ابن كناسة) .
مصونُها ١:١٧١
ابن عبدل الأسدى :
قرضى ١:٦٣٤
عبد المسيح بن بقيلة :
المزيدِ ١:٢٦٣ ومهجورُ ١:٢٦٢
السدير ١:٢٦٢ الحصونُ ١:٢٦٢
عبد مناف الهذلى :
الشُّردا ١:٢،٣: ٣١
عبدة بن الطبيب :
تحليلُ ١ : ٣٣٣/ ٢:٥١ يترحما
١ : ١١٤

عبيد بن الأرص :

تلعبُ ١:٥٦

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

الهجرا ١:١١٩ تقطرُ ١:٤٤٩

عبيدالله بن عبد الله بن عتبة :

أليحُ ١ : ٤٠١ أعذرُ ١: ٣٩٩

أكثرُ ١:٤٠٠ يسيرُ ١ : ٤٠٠

أبا بكرِ ١:٣٩٨ واسمُهْ ١:٣٩٩

عبيد الله بن قيس الرقيات :

غلوائها ٢:١٤٠ مصعبُ ١ : ٥٢٨

شعبه ١ : ٥٦٨ نهارُها ١ : ٨٢

والتميم ١:٣٢٦

العتابى :

بالمذرِ ١:١٠٢

أبو العتاهية :

تنوب ١ : ١٩٦ أتتْ ١ : ٥٣٣

صبواتِها ١:٤١٦ بالدرسِ ٢:٤٢

قليلُ ٢ : ٢٢٨ ومالى ١ : ٢٩١

الكلومُ ١:١٨٨ تزيين ١: ٤١٥

عدى بن الرقاع :

دبيبُ ١:٢٧٧ وفسادَها ١:٥٦٧

أبلادَها ٢ : ١١ إيقادَها ٢ : ٣٢

مدادها ٢: ٣٠٣ القاسم ١: ٥١١

نسجاها ١:١٠٣

عدى بن زيد :

تحورُ ٢ : ٧٤ القنيصْ ٢ : ١٩١

بالرجالْ ١ : ٥٦ وأذنْ ١ : ٣٣

ومينا ٢:٢٤٨

عروة بن أذينة :

ثيابها ١:٤١٣ ذاهباتِ ١: ٤١٥

أبتردُ ١:٤١٣ فاستترِ ١ : ٤١٣

هوًى لها ١:٤١١ يأتينى ١:٤٠٩

يشفينى ١ : ٤١٥

مكنون ١ : ٤١٤

عروة بن حزام :

دبيبُ ١:٤٥٩

عروة بن الورد :

غفورُ ١:٥٠ وزورِ ١:٢٠٦

أبو عطاء السندى :

قصارُ ١:٥٧١

عقيل بن علّفة :

وأخلقا ١:٣٧٤ بالجاجِمِ ١:٣٧٣

الأضغان ١:٣٧١

المكوك :

بالمطاء ١:٥٢٢ حاتم ١:٢٩٠

علقمة بن عبدة :

ملزوم ١:٤٦٠ مهجوم ١:٥١٢

مشئوم ١:٥٧٨

علي بن جبلة :

مشيبُ ١:٥٩٨

علي بن الجهم :

معذب ٢:٦٢ ويحفد ١:١٤٦

والخمرِ ٢:٦٣

علي بن الخليل :

للولدْ ١:١٣٢ جاسِ ١:١٤٧

عمارة بن عقيل :

رسولا ٢:٤٣

العمانيّ :

راقودِ ١:٣٦٢

عمر بن أبي ربيعة :

عتابي ١:٥٠٥ والترابِ ٢:٢٨٩

أتراب ١ : ٣٤٥ الشباب

١:٥١١ تتقنّعا ١:٤١ بالنعلِ

١:٥٧٣ تجمعنا ١:٣٦٣ يلتقيانِ

١:٣٤٨ منى ١:٥٠٦

عمران بن حطان:

بالناسِ ١:٦٣٦

عمرة بنت عجلان :

السؤالا ٢:٢٤٣

عمرو بن أحمر = ابن أحمر

عمرو بن براق :

سائمُ ٢:٢٦٦

عمرو بن قمينة :

لجامي ١:٤٥

عمرو بن كلثوم :

الجاهلينا ١:٥٧ ، ٢/٣٢٧ : ١٤٧

صفونا ١ : ١٠٥ ، ٢٠١ جنينا

١:٥٥٩ تشتمونا ٢:٤٩

عنترة :

عمارا ١:١٥٦ الأجذم ١:٩/٢: ١٢٤

بتوءم ١:٣٣٧، ٥٧٠ المنعِمِ ١ :

٣٥٥ مصرّم ٢:٧٢ الديلمِ ٢:٨٤

وتحمحمِ ٢:٣٥٣

ابن عنقاء الفزاري :

جائع ٢:٢١٢

عوف بن الخرع :

قفارا ١:٦١٥

أبو العيص المازني :

الحبيب ٢:٢٢٢

عيينة بن حصن :

الظنون ١:٥٣١

الفرزدق :

أطايبُه ١ :٦٠٥ منيبُها ١:٦٩

بالمصائب ١:٥٨ القصائدا ١:٣٥٣

العبيدُ ١:٦٢ توءدِ ٢:٢٨٢

عيرُها ١ :٢٣٠ المكفرِّ ٣:٢٨٣

عشارِي ١:٨٠ أطلسُ ٢:٢١١

أجدعا ١ : ٧ الطوالعُ ٢ : ١٤٨
والأقارع ٢ : ٢٨٢ وعجرفُ
١ : ٥٨٢ وأضيقا ١ :٦٥ قالا
٩٢:١ حلالا ٢٩٦:١ وجروَلُ
١ : ١٨٥ يتصرمُ ١ : ٣٠٤
وغيومُها ١١٥:٢ العَلَمُ ١ : ٦٨
يبتسمُ ١ : ٥٢٥ ومقامى ٦٣:١
ومحرمِ ٢١٨:١/٥٢:٢ المكارمِ
٥٩١:١

فضالة بن وكيع :

كثيبِ ١٧٤:٢

القتال الكلابى :

بالمرتابِ ١٤:١

القطامى :

انقشاعا ٤١٨:١ الأولُ ٢٠٣:١
الهبلُ ٣٦١:١ تتّكلُ ٦١٨:١
الطيلُ ١٨:٢

قطرىّ :

تجتلدُ ٦٣٨:١ تراعى ٦٣٦:١
ونعيمِ ٦٣٩:١

قعنب بن ضمرة الفزارى :

لأعما ٣٦١:١ (ويروى للمرقش الأصغر)
أذنوا ٣٢:١

قيس بن الخطيم :

راكبِ ٣٣٠:١ قريب ٣٩٣:٢،
٥٤١:١ محسوب ١ : ٥٤٥
لغروب ١٤٠:٢

قيس بن زهير :

الإرصادِ ٢١٠:١ بالكرامَهْ ١٤٩:٢
لايريمُ ٢١٤:١ شفانى ٢١٤:١

قيس بن عاصم :

الوردِ ١٦١:٢ (ويرى لحاتم)
أمورها ١١٤:١

كثير :

فشلّتِ ٤٦:١ ذلتِ ١ : ١٩٦
وتخلّت ٤١٤:١ تقلّت ٢٣٤:٢
ماسحُ ٣٥٩:٢ يمودها ٣٢٥:١
بُرادِ ٢ : ١٧٨ تاجرُ ١ : ٤٩٧
وعرارُها ٢٢١:١ لوامقهْ ٢٦١:٢
ترائكُ ٥٦٢:١ فأذالها ٢٧٨:١
قديمُ ٣٣:٢ مُنْحَنِ ٣٤:٢

كعب بن زهير :

باليد ١ : ٤١٨ أسفا ٢ : ١٦٨
مرملُ ٤٢٤:١ المساقيلُ ٥٥٨:١

كعب الغنوى :

مجيبُ ٦٠٤:١

الكميت :

يلعبُ ٦٦:١ والشنب ٢٥٤:٢
ولارهبُ ٨٠:٢ حسدوا ٤١٤:١
لم ينطق ٥٩:١ لم يلحق ٩٩:١

الشجرُ ١:٥٦٨ صفار ١:٤٥٦
العذارُ ١:١٠٢ مشتعلُ ١:٥٩
مَيَلُ ٢:٣٢ السَّوامِ ١ : ٦١٧
متجاهلينا ١:٣٦٣
ابن كناسة = عبد الله بن عبد الأعلى
لبيد :
الغربا ١:١٩١ مضرْ ١:١٧١ ،
٢:٥٥ فاجرُ ١ : ٤٥٧ بلاتعُ
١:٤٥٣ وعجلْ ١ :٢١ فابتهلْ
١:٤٥ المبتذلْ ١:٥٤٧ الأوائلُ
١:١٧١ التسويمُ ١:٦١٨
اللحام الحرانى :
كالجلمدِ ١:٥١٣
اللعين المنقرى :
والخوَرُ ٢:١٨٤ النبالِ ١:٥٨٥
لقيط بن زرارة :
خشما ٢:٦٦
ليلى الأخيلية :
محتقِرُ ٢ : ١٩ الصنابر ٢:١١٩
الأسافلُ ١:١٢٤ سقيا ١:٥٨،٤٩٧
مالك بن أسماء :
وزنا ١:١٤
[مالك بن حريم] :
قائمُ ٢:٢٧٣
مالك بن الريب :
النواجيا ٢:٣٠٤
المأمون :
فرسُ ١:٨٢
مانى الموسوس :
الرمّق ٢:١٢٨
المتلمّس :
عواقبُه ١:١٨٥ السوسُ ١:١٨٥
الأنفسُ ١:١٨٤ مضللِ ١:١٨٤
أجذما ١:٥
متمم بن نويرة :
عفاقِ ٢:٥٨
المتنبي :
الإنضاءُ ١:٥٦٣ شراب ١:٤٠٠
الـكذب ٢:٤٠ الوردُ ١:٥٦٧
جلدى ٢ : ٤١ أربعا ٢: ١٢٨
غزالا ٢ : ١٢٩ خالِ ٢ : ٣٥
الظلمَ ١:٩٣/٢:٣١٧
المتنخل الهذلى :
والعلاطِ ١:٤٩٣ قواه ١:٣٠٦
المثقب العبدىّ
ومرحبا ٢:١٦٩
المجنون :
المخضّبِ ٢:٢٥٥ لصبورُ ١:١١٨
(ويروى لأبى دهبل) رآنى ٢:٣١٠

محرز الضبي :
ماجشموا ١:١٧
محمد بن حازم :
ثـكل ١:٦٠٦ يديه ١:٦٠٨
(ويروى لمحمود الوراق)
محمد بن خارجة :
الخدّام ِ ٢:٢٩١
محمد بن عبد الملك الزيات :
لم يرقُدِ ١:٥٢٤ التبديد ١:٥٣٦
محمد بن يزيد الـكاتب :
يتّسقُ ١:٤١٦
محمود الوراق :
أبِ ١: ١٧١ الـكهل ِ ١ : ٦٠١
يديهِ ١ : ٦٠٨ (ويروى لمحمد بن حازم)
المخبل السعدى :
رسمُ ٢:٣١،٨٨
المخزومى = الحارث بن خالد
المرار بن سعيد الفقعسىّ :
الظباء ١:٣٢٨ صاحبه ١ : ٣٠٦
الجدجدِ ١:٥٥٨ عقرْ ٢ : ١١٢
التنمّس ِ ١ : ٥٦١ لطمُ ٢ : ٣٤
الشريف المرتضى :
يدى ١:٤١١ مجهودى ١:٦٢١
فنوّرَاا : ٦٠٢ الزائر ١ : ٥٤٦

عجولُه ١:٦١٩ وزمزما ١:١١٥
وسلمُه ١:٤١٠ عواريها ١ : ٤٣٣
المرقش الأصغر :
لأئما ٢:٢٤٦
المرقش الأكبر :
مايعلم ٢:٧٨ غنم ٢:٢٥٥،٢٥٧
مرة بن محكان :
غضبا ١:٩٥
مروان بن أبى حفصة :
تلهَبُ ١:٥٨٧ غرابُها ١ : ٥٨٨
يجتنبُ ١:٥٧٤ الأحساب١:٢٢٦
وأقعدا ١ : ٥٧٢ تقيدا ١ : ٥٨٠
البوائدُ ١:٥١٩ القدَرا ١:٥٨٧
البلاقعُ ١ : ٥٢٤ تمتّما ١ : ٥٧٨
شراكا ١ : ٥٨٢ دلالها ١:٥٤٠
كلالها ١ : ٥٥٣ لهـا ١ : ٥٦٩
النعلُ ١ . ٥٧٢ أشبلُ ١:٥٨٧
باطلُهْ ١ : ٥٣٢ تقابلُه ١ : ٥٧٢
وابلُه ٢:٤٣ مغنما ١:٥٣٥ زحام ِ ٢ : ٢٧٥ شيبان ِ ١ : ٢٢٤
مزاحم العقيلىّ :
ينجلى ١:٢٥٨ ألوم ١ : ٥٣
مساور الوراق :
زنديقُ ١:١٣٤
المستوغر :
الوغيرِ ١: ٢٣٤ مثينا ١ : ٢٣٤
ندايا ١ : ٢٣٥

مسكين الدارمى :
الحسبْ ١ : ٦٣٣ للصخبْ
٢ : ١٦٠ راغبُ ١ : ٤٧٣ زعتها
٤٧١:١ ودجا ٤٧٤:١ تغرْ ٤٧٥:١
شبرا ١ : ٤٧٦ عقرا ٢ : ١١٨
الخِدْرُ ١ : ٤٣ الجدْرُ ١ : ٤٧٢
الدّهرِ ١ : ٤٧٢ جماعُها ١ : ٣٩٩
مقنّعُ ١ : ٤٧٥ حينْ ١ : ٤٧٦
مسلم بن الوليد :
المشيبْ ١ : ٤٣٨ مودودِ ١ : ٦٠٨
عودِ ٢ : ٢٥٠ يسترجعُ ٢ : ٤١
يبخلُ ١ : ٥٢٢ والجهلُ ١ : ٥٣٤
قبلُ ١ : ٥٦٨ جليلُ ١ : ٤٨٨
مميلِ ١ : ٦٠٧ ظلمان ١ : ٥٥٤
المسيب بن علس :
قاعِ ١ : ٥٦٠
المضرّب :
ركوبِ ١ : ٤٥٨ المسائحُ ١ : ٤٥٨
مضرس بن ربعى :
الحسّدِ ١ : ٣٢٦ ناصرُهُ ٢ : ١٩٢
نصيرها ٢ : ١١٩
مطرود بن كعب الخزاعى :
منافِ ٢ : ٢٦٨
مطيع بن إياس :
السفحِ ١ : ١٤٣ البهم ١ : ١٤٤
الأزمانُ ١ : ١٤٢
ابن المعتز :
رقيبِ ٢ : ١٢٧ الصوابح ١ : ٥٨٨
وقدُّ ٢ : ١٣٠ لأكبرا ١ : ٥٣٤
الزهرُ ١ : ٤٣٨ من حقٍّ ٢ : ٤٢
معدى كرب الحميرى :
جديد ١ : ٢٠٣
معقّر البارقى :
همومها ١ : ٣٢٥ (ويروى للممزق العبدى)
معن بن أوس :
تقبلُ ٢ : ٢٦١
معن بن زائدة :
لجودُ ١ : ٢٢٣
معوّد الحكماء = ربيعة بن مالك
ابن مفرغ الحميرى :
الغمامه ١ : ٥٢ هامه ١ : ٤٤٠
ابن مقبل :
بالسَّحَر ١ : ٢١٧ حزنْ ١ : ٥٣
البينا ١ : ٢٩١ الفيضينا ١ : ٤٦٧
ويرتديانِ ١ : ١٠٤ فلانِ ٢ : ١٧٣
ابن المقفع :
قوت ١ : ١٣٤ وقعْ ١ : ١٣٥
المقنّع الكندى :
العبدا ٢ : ١٦١

المزق العبدى :

أمزَّقِ ١ : ٣٢٥ هومها١:٣٢٤

(ويروى لمقرالبارقى)

منصور النمرى :

أزوَرا ٦١٢:١ شطيرِ ٢ : ٢٧٤

برِّ ٢ : ٢٧٥ يرتجعُ ١ : ٦٠٦

بالباطلْ ٢٧٦:٢ غليلِ ٢٧٦:٢

بالأخوالِ ٢ : ٢٧٥ ولم تنمِ

٢٧٨:٢ هارونُ ٢ : ٢٧٦

المهلهل :

أدمِ ٢٦٨:٢

المؤمل بن أميل :

قيودا١:٥٨٠ بدا٩٦:٢ والوعورِ

١٠٠:١

ابن ميّادة :

بَهَرا ٣٤٦:١

النابغة الجعدى = الجعدى

النابغة الذبيانى :

يتذبذب ٤٨٧:١ مذهبُ ١٧:٢

الغرابُ ٥٥:١ الرّمدِ ١ : ٢٢٩

يدى ٣٧٩:١ البرد٥٦٢:١ باليد

٤٤٦:١ ندِ ٥١٣:١ عارِ ١٦٠:٢

وازعُ ٢٦٤:١ واسعُ ٥١٢:١ /

١٧:٢ يزولا٦١:٢ وابلُ ٥٤:١

عاقِل ٢٠٢:١، ٢١٦ التمامْ١٦:٢

فانهدما ١ : ٣٣٣ إظلامُ ٥٢:١

العيونُ ١٧:٢ تغنِّى ٣٤:١ منى

٣٦:١

نابغة بنى شيبان :

النجش ٦٣٠:١

الناشى أبو العباس :

جلّنار ١٢٧:٢

النجاشى :

مخْلِ ٢١١:٢

نصر بن سيار :

الحسدا ٤١٤:١

نصيب الأصغر :

ويزهرُ ٤٣٨:١

نصيب الأكبر :

قاربُ ١ : ٦١ بالهجْر ١ : ٤٣٦

سلالها ٥٨٠:١ بالترنُّم ١ : ٣٣٠

النظار الفقعسىّ :

وسماء ٤٨٨:١

النظام :

الإبعادِ ١٨٨:١ أثرُ ١ : ١٨٨

اللطفِ ١٨٨:١

النعمان بن المنذر :

قيلا ١٩٣:١

النمر بن تولب :

أبكارِها ٢:١١٩ زعما ١:٣٢٥

نهشل بن حرِّىّ :

الأسوَد ١:٥٤٦ يتغيرا ١:٥٦٨

اشتياقى ٢:٢٢٦

أبو نواس :

مغتابُ ١:٤١٥ الذهب ٢ : ١٢٦

بعتّابِ ٢ :٢٥٥ القبيح ٢: ١٣٤

أحدْ ١ : ١٣٢ السّكْرُ ١:٢٨٠

ودارسُ ١:١٩٨ عريق ١ : ١٧٢

ترهيقِ ١ : ١٠٣ وزنديق ١ : ١٤٣

والمأكول ١:٤٠٠ والنيل ١:٥٩٦

والهزلِ ١:٦٠٧ الشراكانِ ١:٥٧٣

الله ١:٥٢٥

ابن هرْمة :

كلابى ٢:١١٣ الحسَّدِ ١:٣٢٦

تهتِفُ ٢:١١٦ الوسائلُ ١:٤٦٢

ضئيلِ ١:٥٧١ معصمُ ٢: ١١٣

أبو هفان :

السُّدَفِ ١:٥٩٩

هلال بن خثعم :

اغتيابها ١:٣٧٩

أبو الهندىّ :

المحْلِ ٢:٢٩١

الوالبى = رفيع

والبة :

سجدْ ١:١٣٢

الوأواء :

بالبردِ ٢:١٣٠

أبو وجزة السعدى :

إزارُها ١:٤٦١ الجنافا ٢:١١١

ودفة الأسدى :

كدَرُ ١:٢٢٢

ورقاء بن زهير :

أبادرُ ١:٢١٣

ولادة المهزمية :

مقامى ٢:٢٤١

الوليد بن عقبة :

تريمُ ١:١١٠

الوليد بن يزيد :

الحساب ١:١٣٠ صيودا ١:١٣١

عنيدُ ١ : ١٣٠ الحمرا ١ : ١٣١

بإزارِ ١:١٢٩

يحيى بن خالد البرمكىّ :

رحاهما ١:٦٠٩

٨ ـ فهرس الأعلام*

(أ)

آدم (عليه السلام):
١ : ٤٧٠ ، ٤٧١
٢ : ٧٠ ، ٨٦ ، ١٥٤ ـ ١٥٦ ، ٢٣٤ ، ٣٣٣ ـ ٣٣٦ ، ٣٦٣

آصف بن برخيا :
٢ : ٣١٩

الآمدىّ :
١ : ٦١٠ ـ ٦١٣ ، ٦٢٣ ـ ٦٢٦
٢ : ٩١ ـ ٩٥ ، ٢٣٠

أبان بن عبد الحميد اللاحقىّ :
١ : ١٣١ ، ١٨٧

أبان (بن تغلب) :
١ : ٤

إبراهيم (عليه السلام) :
١ : ١٦١ ، ٢٧٥ ، ٣٦٩
٢ : ٢٨ ، ١٥٤ ، ٣٩٤

إبراهيم بن إسحاق الموصلىّ :
٢ : ١٥٢

إبراهيم التيمىّ :
١ : ٤٥٧

إبراهيم بن الخصيب :
١ : ٥٩٦

إبراهيم بن رياح :
١ : ١٩٧

*إبراهيم بن سيار النظام :
١ : (١٨٧ ـ ١٨٩)

إبراهيم بن العباس الصولىّ :
١ : ١٧١ ، ١٧٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٤٨٢ ـ ٤٨٨ ، ٥٢٣
٢ : ٩٢

إبراهيم بن عبد الله بن الحسن :
١ : ١٦٩

إبراهيم (ولد محمد عليه السلام من مارية القبطية) :
١ : ٧٧

إبراهيم بن محمد بن شهاب :
١ : ١٩٩

إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوىّ المعروف بنفطويه :
١ : ٥١ ، ٥٩ ، ٢٩٥
٢ : ٢٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٣١

إبراهيم بن المنذر :
١ : ٣٩٧

* الأعلام التى بجانبها نجمة هى الأعلام التى وضع لها المؤلف ترجمة ، والأرقام التى بين قوسين هى مواضع الترجمة .

إبراهيم بن المهدىّ :
٢ : ٢٤٩ ، ٢٥٠
إبراهيم النخعىّ :
١ : ٢٨٧
إبراهيم بن نوح النصرانىّ :
١ : ٣٠١
إبراهيم بن يزيد الخوزىّ :
١ : ١٦٣
أُبى بن كعب :
٢ : ٧٥
أُثال بن الفرعاء :
٢ : ٢٩٢
أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل :
١ : ١٢٩
أحمد بن إبراهيم الكاتب :
١ : ١٤٢
أحمد بن إسماعيل أبو علىّ :
١ : ٢٧٥
أحمد بن جندل السّعدىّ :
١ : ٥٩١
أحمد بن حيان :
٢ : ١٥
أحمد بن خالد أبو سعيد الضرير :
٢ : ٢٨٥
أحمد بن خالد النحاس (أو النخاس):
١ : ٢٠ ، ١٢٩
أحمد بن خلاد :
١ : ١٣٨
أحمد بن أبى دؤاد :
١ :١٩٥ـ١٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٤٨٧
أحمد بن دينار بن عبدالله :
١ : ٥٩٣
أحمد بن عبد الله بن العباس الصولىّ :
١ : ٤٨٢
أحمد بن عبد الله العسكرىّ :
١ : ١٥
أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة :
١: ٦
أحمد بن عبيد الله :
١ : ٦٢٦
أحمد بن عبيد الله بن عمار أبو العباس :
٢ : ٢٤٩ ، ٢٥٤ـ٢٥٧
أحمد بن عبيد بن ناصح النحوىّ :
١ : ١٩٣
٢ : ١٩١
أحمد بن عمر البرذعىّ المتكلم أبو الحسن :
١ : ١٦٤ ، ١٧٨ ، ١٩٩

أحمد بن عمرو بن إسماعيل :
١ : ٥٣٠
أحمد بن فارس :
٢ : ٤٣ ، ٤٥
أحمد بن كامل :
١ : ١٣٠ ، ٢٢٧
أحمد بن محمد الجوهرىّ :
١ : ٥٣٠
أحمد بن محمد بن الفرات أبو العباس :
١ : ٤٨٥
أحمد بن محمد المكىّ :
١ : ٢٠ ، ٥٠٩
٢ : ٦٤
أحمد بن المدبر :
١ : ٥٦٩
أحمد بن المعتصم :
١ : ٢٨٩
أحمد بن يحيى ثعلب :
١ : ١٠٦ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٩١ ، ٢٠٧ ، ٢٢٠ ، ٢٣٩ ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٩٧ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤٣٤ ، ٤٥٤ ، ٤٥٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧٥ ، ٥١١ ، ٥٨٢
٢ـ ٢٥ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٢٤
أحمد بن يحيي بن جابر البلاذرىّ :
٢ : ٢٦١
أحمد بن يحيي أبو الحسن :
١ : ٤١٣
أحمد بن يزيد المهلبىّ :
٢ : ٤٢
أحمد بن يوسف :
١ : ٢٧٥
٢ : ٢٦٩
الأحمر :
١ : ٣٥٤
ابن أحمر = عمرو بن أحمر
الأحنف العكبرىّ :
١ : ١٤٥
الأحنف بن قيس :
١ : ١١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨ ، ٣٨٨
أبو الأحوص :
١ : ٣٥٤
الأحوص بن محمد :
١ : ١٣٥
٢ : ٦٠ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٦
أخزم الطائىّ :
١ : ٣٧٤

الأخطل :
١ : ٢١٨ ، ٢٦٧ ، ٣٤٣ ، ٤٥٥ ،
٤٦٦، ٥٥٣ ، ٦١١ ، ٦٣٧
٢ : ١٦ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٥٢ ،
٦٣ ، ١١٠ ١١٥ ، ١٧٥ ، ٢٨٥
الأخفش :
١ : ٥ ، ١٣٥
الأخنس بن شريق :
٢ : ٢٦٤
الأخيطل :
١ : ٥٢١
إدريس بن عمران :
٦٤:١
ابن أراكة الثقفيّ :
١ : ٤٦١
ابن أرطاة الأعرجيّ :
١ : ٣٥٢
الأزهريّ الهرويّ :
١ : ٣٥٦
إسحاق عليه السلام :
١ : ١٦١ ، ٢٢٠
إسحاق بن إبراهيم المرووف بالزمن :
١ : ٤٨٥
إسحاق بن إبراهيم الموصليّ :
١ : ١٥ ، ٣٦٠_٣٦٢ ، ٥٠٦_٥٠٨
٥٩٦ ، ٦٠٥
إسحاق بن راهويه :
٦:١
إسحاق بن سويد :
١ : ٢٠
أبو إسحاق الطلحيّ :
١ : ١٢٩
إسحاق بن الفضل الهاشميّ :
١ : ١٧٣
أبو أسماء بن الضريبة :
١ : ١١٠
أبو إسحاق الهجريّ :
١ : ٣٥٤
الأسمر الجعفيّ :
٢ : ٣٢
أسماء بن خارجة :
٢ : ٢٠٧_٢١٠
إسماعيل (عليه السلام) :
١ : ١٦١ ، ٢٢٠ ، ٢٧٥
٢ : ١٥٤
إسماعيل بن إسحاق القاضي :
١ : ١٩٤ ، ١٩٥
إسماعيل بن بليل أبو الصقر (وطبع خطأ أبو إسماعيل) :
١ : ٣٠٣ ، ٣٠٥

إسماعيل بن جعفر :
١ : ٤٦٢
إسماعيل بن عباد (الصاحب)
١ : ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠٠
إسماعيل بن عمار :
١ : ٤٩٩
إسماعيل بن القاسم = أبو العتاهية
أبو الأسود الدؤلىّ (ظالم بن عمرو) :
١ : ٢٩٢ ـ ٢٩٤ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥
الأسود بن المطلب :
١ : ١٢١
الأسود بن يعفر :
١ : ٣٥ ، ٢٦٥
أشجع السلمىّ :
١ : ٥٢٥
الأشعث بن قيس :
١ : ٢٩٥
الأشناندانى = أبو عثمان
الأصمعى (عبد الملك بن قريب) :
١ : ٢٠ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٩٦، ١٢٢ ، ١٧٠ ، ١٩٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٩، ٢٩١، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٥٩ـ٣٦٢ ، ٣٧٣، ٣٨٧ ، ٤٢٦، ٤٣٧، ٤٣٨ ، ٤٥٥، ٤٥٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٩٣ ـ ٤٩٦ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ـ٥٠٩ ، ٥١١، ٥١٣، ٥٦١، ٥٦٧
٢ـ٩ـ١٣، ٧٧، ٨٤، ١٥١، ١٩٩،
ابن الأعرابىّ (محمد بن زياد) :
١ : ٥٤ ، ١١٣ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ ، ٣٢٦، ٣٢٩ ، ٣٤٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٨ ، ٤٠٧ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٧٠، ٤٧٣ : ٥٠٨ ، ٦٠٣
٢ ـ ٢٥ ، ١٣٤ ، ١٥٥ ، ١٦٧، ١٦٩، ١٨٤
أعشى باهلة :
١ : ٩٦ ، ٢٢٩
٢ـ١٩ـ٢٤
أعشى بكر = أعشى قيس
أعشى قيس بن ثعلبة :
١ : ٢١ ، ٣١ ، ٣٢، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٦، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٧٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦١، ٤٤٥ ، ٤٥١ ، ٤٦٠ ، ٤٦٦ ، ٥٥١، ٥٧٠، ٦١٢
٢ : ٩٠ ، ١٠١ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٧٢، ١٨٩، ٢٦٥، ٣٠٣
الأعلم الشنتمرىّ :
١ : ٢١٦

الأعلم الهذلىّ :
١ : ٣٥٤
الأعمش :
١ : ٢٩١
الأفشين :
٢ : ٢٤٧
أبو أمامة = النابغة الذبيانىّ
أبو أمامة (محدث) :
١ : ٤٢٦ ، ٤٣٠
امرؤ القيس :
١ : ٧١ ، ١١٤ ، ١٧١ ، ١٨٥ ، ٢٢١
٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤١ ، ٢٥٣ ،
٢٨١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٥٨ ، ٣٩٧ ،
٤٥٣ ، ٤٧٨ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ،
٥٧٧ ، ٥٨٢ ، ٥٩١ ، ٥٩٦ ،
٦٢٨
٢ـ٤٨ ، ٦٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠١ ،
١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٨٩ـ١٩٣ ، ٣١٠
أمية بن أبى الصلت :
١ : ٥٣٣ ، ٤٨٦ ، ٥٧٧
٢ : ١٦٨
أمية بن أبى عائذ الهذلىّ :
١ : ١٥٧ ، ٥٦٢
ابن الأنبارى = محمد بن القاسم
أنس بن أبى أنيس :
١ : ٣٨٤
أنس بن أبى إياس :
١ : ٣٨٤
أنس بن زياد العبسىّ :
١ : ١٨٩
أنس بن مالك :
١ : ٥٣
٢ : ٢٠٢
أنوشروان :
١ : ٦٦ ، ٢٦٥
الأوزاعىّ :
١ : ١٢٩
أوس بن حجر :
١ : ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٣٠٥
٢ : ٧٣ ، ٧٤
إياس بن معاوية المزنىّ :
١ : ٢٨٥ ، ٢٨٦
أيوب بن الحسين الهاشمىّ :
١ : ٢٧٥
أبو أيوب الموريانىّ :
١ : ١٦٩
أبو أيوب المدنىّ :
١ : ١٤٢

(ب)

باب (جد عمرو بن عبيد) :

١ : ١٦٩

بابك الخرمىّ :

٢ : ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠

الباقطانى :

١ : ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٨٥

البحترى :

١ : ١٠٣، ٣٠٣، ٤١٥ ، ٤٦٠، ٥٢٠، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥، ٥٤٤، ٥٦٣ ، ٥٦٤، ٥٦٩ ، ٥٧٣، ٥٨٦، ٥٩٣ـ٥٩٦، ٦٠٠ ، ٦٠٩، ٦١٨ـ ٦٢٥

٢ـ ٤٠، ٤١، ٤٣ـ٤٥ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٩١ـ٩٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٣٥، ١٥٢ ، ١٧٨ ، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٥٠، ٢٥١ ، ٣١١

بدر بن عمرو

٢ : ١٤٨

البرذعى = أحمد بن عمر البرذعىّ

بزرجمهر

١ : ٦٦

البسوس :

١ : ١٢٤

*بشار بن برد :

١ : ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، (١٣٧ـ١٤١) ، ١٦٣ ، ٥٠٩ ، ٥١٠، ٥٥٤ ، ٦٠٧

٢ : ٣٥، ٦٣ ، ٦٤، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ـ١٣٩ ، ١٤٢

بشامة بن الغدير :

١ : ٥٥٥ـ٥٥٦

بشر بن أبى خازم :

١ : ٣٤١ ، ٤٦٣ ٥١١ ، ٥١٢

٢ : ١٦٨

بشر بن عبد الرحمن الأنصارىّ :

١ : ٤٩٤

بشر بن عمارة :

٢ : ٩٠

*بشر بن المعتمر أبو سهل :

١ : (١٨٦ ، ١٨٧)

بشير بن النكث :

١ : ١١١

بطليموس :

٢ : ٣٨٩

ابن بقيلة = عبد المسيح بن بقيلة الغسانى :

بقيلة الغسانى :

١ : ٢٦٠

أبو بكر الأنبارىّ = محمد بن القاسم

أبو بكر بن حزم :
١ : ٣٩٨ ، ٣٩٩
أبو بكر بن دريد = محمد بن الحسن
أبو بكر العبدى = محمد بن عبد الله
أبو بكر بن عياش :
١ : ١٥٩
بكر بن عيسى :
٢ : ٤٢
بكر بن النطاح :
٢ : ٩٧
أبو بكر الهذلى :
١ : ١٥٨ ، ١٦٢
٢ : ١٠٩ ، ٢٨٤
البكرى = أبو عبيد البكرىّ
بلال بن أبى بردة :
١ : ١٩
البلخى = أبو القاسم البلخىّ
بلقيس :
٢ : ٣١٩
أم البنين بنت عمرو بن عامر بن ربيعة
ابن صعصعة:
١ : ١٩٣

(ت)

تأبط شرا :
١ : ٢٨٠
٢ : ٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٥
أبو تمام (حبيب بن أوس) :
١ : ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٨٧، ٤٣٥، ٤٨٢ ، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤٢ ، ٥٦٣، ٥٨٥، ٥٩٩ ، ٦٠٩_٦١٣
٢_٣٤ ، ٣٥، ٤٢ ، ١٣٤، ١٣٥، ١٥٣ ، ١٧٨ ، ٢٤٧ _ ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤_٢٥٦
ابن التوءم الرقاشىّ :
١ : ٢٧٣
توبة بن الحمير :
١ : ١٢٤، ١٢٥ ، ٣٦٣ ، ٤٥٠
٢ : ٥٧ ، ١١٩
التوّزى :
١ : ١٩ ، ٣٤٥ ، ٤٦٢ ، ٦٣٦
تميم بن عمرو = جمح بن عمرو

(ث)

ثابت البنانى :
١ : ١٥٩
ثابت قطنة العتكى :
١ : ٢٣٧ ، ٤٠٧ ، ٤١٠

الثريابنت عبد الله بن الحارث :

١ : ٣٤٦

ثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث :

١ : ٣٤٦

ثريا بنت على بن عبد الله بن الحارث :

١ : ٣٤٦

ثعلب = أحمد بن يحيي

ثمامة بن الأشرس :

١ : ١٨٦

أبو ثوابة :

١ : ٥٦٩

أبو ثور :

١ : ٢٨٥

ثور بن يزيد :

١ : ١٢٩

(ج)

جابر بن حيان الصوفى :

١ : ١٤٩

جابر بن زيد :

٢ : ٢٨٠

جابر بن عبد الله :

١ : ٣٩٦

الجاحظ = عمرو بن بحر

جحظة :

١ : ٥٧٥

جذيمة بن مالك الأبرش

١ : ٢٦٥

جران العود :

٢ : ١٢٧ ، ١٤٣

الجرباء بنت عقيل بن علفة:

١ : ٣٧٣ ، ٣٧٤

جرول = الحطيئة

ابن جريج :

١ : ٥٠٣

جرير بن خرقاء العجلىّ :

١ : ٣٠٤

جرير بن عبدالمسيح الضبعىّ = المتلمس

حرير بن عبد العزى = المتلمس

جرير بن عطية :

١ : ٥١، ٢٨٩، ٣٢٥ ، ٣٩٧، ٥٤١، ٥٨٠

٢ـ ١١، ١٢، ٢٥، ٣٣، ٥٧، ٦٧، ٧٢، ١١٠، ١٧٧، ٢٥٦، ٢٨٤

الجعد بن درهم :
١ : ٢٨٤
الجعدى، واسمه قيس بن عبد الله المعروف بالنابغة :
١ : ٩٥، ٢٠٢، ٢٦٣–٢٦٩، ٦١٦
٢ : ١٤٥،
جعفر بن حرب :
٢ : ٢٤٧
جعفر بن سليمان :
١ : ١٣٤ ، ٤٦١
جعفر بن أبى طالب :
١ : ٢٦٩
جعفر بن على :
١ : ١٥١
جعفر بن قدامة :
١ : ٥٠١
جعفر بن كلاب :
١ : ٢١٢ ، ٢٣٠
جعفر بن محمد الصادق أبو عبد الله :
١ : ١٤٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤
أبو جعفر المدنى :
٢ : ٢٨٠
أبو جعفر المنصور = المنصور
جعفر بن يحيى البرمكى :
١ : ١٠١
جمح بن عمرو بن هصيص :
١ : ١١٦
أم جميل بنت حرب بن أمية (حمالة الحطب)
١ : ٢٧٦
جميل بن محفوظ المهلبىّ :
١ : ١٣١
جميل بن معمر :
١ : ٥٦٨
٢ : ١٥٧
جنوب (أخت عمرو ذى الكلب) :
١ : ٣٥٤
الجنيد بن عبد الرحمن المرىّ :
٢ : ٩٠
ابن جنى = عثمان بن جنى
أبو جهل بن هشام :
١ : ٣٤٢
٢ : ٢٦٤
جهم بن شبل الكلابىّ :
٢ : ٤١
أبو الجوائز الواسطىّ :
٢ : ٦٤
الجوهرى (صاحب الصحاح) :
١ : ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٤٥٧

أبو جويرية العبدى :

١ : ٤٨٣ ، ٥٧١

٢ : ٩٠

(ح)

أبو حاتم السجتانىّ (سهل بن محمد):

١ : ٦٠ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٣٥٨ ، ٤٣١ ، ٦٣٥ ، ٦٣٩

٢ـ ٢٤ ، ١٠٢

حاتم الطائى :

١ : ٢٩٤ ، ٣٨٤

٢ : ١١١

حاجب الفيل (واسمه حاجب بن دينار):

٢ : ١٠٥

الحارث بن خالد المخزومىّ :

١ : ٤٦١

٢ : ١٣٠

الحارث بن زهير :

١ : ٢١٤

الحارث بن عباد :

١ : ١٢٦

الحارث بن عمرو بن الشريد :

١ : ٢١٣

الحارث بن عمرو الغسانى المحرّق :

٢: ٢٦٥

*الحارث بن كعب المذحجىّ :

١ : (٢٣٢ـ٢٣٤)

الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم :

١ : ١٦٣

*حارثة بن بدر الغدانىّ :

١: (٣٨٠ـ٣٨٨)

٢ : ٢٢٨

أبو حازم :

١ : ٢٨٦

حبابة (جارية يزيد) :

٢ : ٦٦

ابن حبيب = محمد بن حبيب

حبيب بن بديل :

١ : ٢٢٣

حبيب بن شهيد :

١ : ٤٥٤

حجاج (محدث)

١ : ٤٥٤

الحجاج السلمىّ :

١ : ٥٣٠

الحجاج بن يوسف الثقفى :

١ : ١٥ ، ١٥٥، ١٦٠ ، ١٦١، ٢٩٠،
٢٩٥ ، ٢٩٨، ٦٣٣، ٦٣٥ ، ٦٣٦

٢ـ١٥ـ١٧

حجر بن الحارث الكندىّ :

١ : ٢٥٣

حجية بن المضرب الكندىّ :

١ : ٢٥٨

حذيفة بن بدر الفزارىّ :

١ : ٢٠٨ـ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٤

حرثان بن محرث = ذو الإصبع العدوانىّ

الحزين الكنانىّ :

١ : ٦٨ ، ٤٦٢

أبو حسان الأعرج :

٢ : ٢٠١

أبو حسان (ملك اليمن) :

٢ـ١٠

حسان بن ثابت الأنصارىّ :

١ : ٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩، ٣٣٢،
٣٤٢، ٥٨٩ ، ٦٣٢ـ٦٣٤

٢ : ٧٦ ، ١١٢ ، ١٨٨

أبو الحسن البرذعى = أحمد بن عمر البرذعى

الحسن بن أبى الحسن البصرىّ أبو سعيد :

١ : ٦٣، ٦٥ ، ١٥٢ ـ ١٥٥ ، ١٥٧ـ
١٦٢، ١٦٥ـ١٦٧، ٢٨٥، ٢٨٦ ،
٢٩٨، ٣٢٥ ، ٣٩١، ٥٠٣، ٥١٦،
٦١٧

٢ : ١٢٢ ٢٤٧

أبو الحسن بن راهويه :

١ : ١٣١

أبو الحسن الرضا = على بن موسى الكاظم

الحسن بن سهل :

١ : ١٨١ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢

الحسن بن عبد الغفار أبو علىّ الفارسىّ :

١ : ٢ ، ٢٥٣

٢ : ١٨٢ ، ٢٩٨

الحسن بن على (من رواة المرزبانى):

١ : ٣٨١

الحسن بن على بن أبى طالب :

١ : ٢٧٧

الحسن بن على المعروف بالكسلان :

٢ : ٣٤٠

الحسن بن عليل العنزىّ :

١ : ٥٣٠

٢ : ٢٧٣

الحسن بن على الواسطىّ :

١ : ٤٤٩

الحسن بن أبى القاسم :

١ : ٥٠١

الحسن بن محمد :
١ : ٦٧
الحسن بن وهب :
٢ : ١٥٣
الحسين بن الخليع :
١ : ١٣١ ، ١٣٢
أبو الحسين الخياط :
١ : ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٨
الحسين بن الضحاك :
٢ : ٤٤
الحسين بن على عليه السلام :
١ : ١١٨ ، ٢١٩ ، ٥٣٢
الحسين بن الفياض :
١ : ٦٤
الحسين بن محمد بن طالب :
١ : ٦٧
الحسين بن محمد بن عبد الوهاب البغدادى :
١ : ٤٤٩
الحسين بن مطير الأسدى :
١ : ٢٢٧ ، ٤٣١ـ٤٣٨
حصن بن حذيفة بن بدر :
١ : ٥٣٠
الحصين بن المنذر الرقاشىّ :
١ : ٢٨٧ ، ٢٨٨
الحطيط الخارجىّ :
١ : ٢٩٠
الحطيئة (جرول) :
١: ٤٩ ، ١٨٥ ، ٢٤١ ، ٢٩٦ ، ٦٣٩
حفص بن سليمان الخلال :
١ : ١٦٣
حفص بن سليمان بن المغيرة :
١ : ٢٠٦
٢ : ٢٨٠ ، ٢٨١
أبو حفص الفلاس :
١ : ٦٣
حفص بن معاوية بن عمرو :
٢ : ٢٦٢
حفص بن أبى ودّه :
١ : ١٣١
الحكم بن أيوب :
٢ : ١٦٩
الحكم بن عبدل الأسدىّ :
١ : ٦٣٣
الحكم بن الوليد :
١ : ١٢٨
*حماد الراوية :
١ : ١٢٨ ، (١٣١ ـ ١٣٢)

٭حماد بن الزبرقان :
١ : ١٢٨ ، (١٣٢،١٣٣)
حماد بن زيد بن درهم :
١ : ٢٨٥
حماد بن سلمة بن دينار :
١ : ٢٨٥ ، ٤٥٤
٭حمادعجرد :
١ : ١٢٨، ١٣١، (١٣٣،١٣٤) ١٤١
حماد بن أبى ليلى = حماد الراوية
حمدويه :
١ : ١٤٧
حمران بن عمرو بن بشر :
١ : ١١٣
حمزة بن بيض :
١ : ٥٩١
حمزة بن حبيب الزيات :
١ : ٢٠٦
٢ : ١٨٣
حمزة بن عبد المطلب :
١ : ٢٦٩ ، ٢٩٣
حمل بن بدر :
١ : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤
حميد بن ثور :
١ : ٣١٩،٣٢٢، ٥١١، ٥١٢، ٥٨١
٢ : ٣٢ ، ٢١٣
حميد الطويل :
١ : ١٦٢
حندج (قاتل زهير بن جذيمة)
٢١٣:١
أبو حنش النميرىّ :
١ : ٥٢٢
حنظلة بن الشرقى = أبو الطمحان القينى
حنظلة بن أبى عفراء الطائى :
١ : ٤١٦
أبو حنيفة النعمان :
١ : ١٥١ ، ٢٠٢
حواء :
٦٧:١
٢ : ١٥٤، ١٥٥، ٢٣٤، ٣٣٥، ٣٦٣
الحوفزان بن شريك :
١ : ١١٣ ، ٥٩٢
أبو حية النميرىّ (واسمه الهيثم بن الربيع) :
١ : ٤٤٢ ـ ٤٥٠ ، ٥٢٠ ، ٥٤٩ ، ٦٠٥

(خ)

خارجة :
١ : ٥

أبو خالد (روى عنه المكلى) :
١ : ٢٤٩
خالد بن جعفر بن كلاب :
١ : ٢١٢_٢١٤
خالد بن خداش :
١ : ١٣٥
خالد بن صفوان :
١ : ١٧٠ ، ٢٩٥
٢ : ٢٦١ ، ٢٦٣
خالد بن الطيفان :
٢ : ٦٠ ، ٢٥٩ ، ٣٧٥
خالد بن عبد الله القسرى :
١ : ٦٣ ، ١٤٠
٢ : ١٠٢ ، ٢٦١
خالد بن علقمة الدارمىّ :
١ : ١٠٩
خالد بن الوليد :
١ : ٢٦٠ ، ٢٦١
خالد بن يزيد (بن مزيد الشيبانى) :
٢ : ٤٣
خالد بن يزيد بن وهب :
١ : ٢٢٥
الخبزأرزى :
١ : ٥٧٥
الخثعمى :
١ : ٥٧٢
خداش بن زهير :
١ : ٤٦٦
٢ : ٩٥ .
خراش بن أبى خراش الهذلىّ :
١ : ١٩٨
أبو خراش الهذلىّ :
١ : ١٩٨ ، ٣٥٠
خروذاز :
١ : ٢٣٦
الخريمىّ :
١ : ٢٥٨ ، ٥٧٤
الخصيب بن عبد الحميد :
١ : ٢٧٩
الخرْنِق بنت بدر بن هفان :
١ : ٢٠٥
ابنة الخسّ :
١ : ٢٢٠ ، ٢٢١
الخطيب البغدادىّ :
١ : ٥٠١
خلاد الأرقط :
١ : ١٣٤ ، ١٧٨

خلف الأحمر :

١ : ٢٨٠ ، ٤٩٣

الخليل بن أحمد :

١ : ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٨٩ ، ٢١١

الخنساء (تماضر بنت عمرو) :

١:٧١، ٩٧، ٩٩، ١٠٣، ١٠٤، ٢٠١،
٣٧٠ ، ٤٦٥ ، ٥٠٤

٢ـ١٩، ٢٤، ٤٨، ٧٧

ابن الخياط (عبدالله بن محمد) :

١ : ٥٢٢

خيرة (أم الحسن البصرى) :

١ : ١٥٢

(د)

داود (عليه السلام) :

١ : ٤٢٢

٢ : ١٥٥

داود بن على :

١:٣٤٧

٢:١٠٣

داود بن أبى هند :

١:١٥٣

ابن درستويه :

١ : ٦

ابن دريد = محمد بن الحسن بن دريد

دعبل بن على الخزاعى :

١:٣٧٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٦٠٨

٢:٢٧٠

الدعجاء (أخت المنتشر) :

٢ـ٢٤

دكين الراجز :

١:٤٣٨

أبو دلامة :

١:٢٩٠

أبو دلف العجلى :

١ : ٢٩٠، ٦٠٨

ابن الدمينة :

١:٤١ ، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٩٥

ابن أبى الدنيا :

١:٦٣

*أبو دهبل الجمحى :

١:(١١٤ـ١١٩)، ٥٢١، ٥٢٢

ابن أبى دؤاد = أحمد بن دؤاد :

أبو دؤاد الإيادى :

١:٤٢، ٢٨٤

٢:٧٣

*دويد بن زيد :

١:(٢٣٦ـ٢٣٨)

(ذ)

أبو ذرّ الغفارى :

٢ : ٣٩٦

أبو ذرّ القراطيسىّ :

١ : ٦٣ ، ٤٧٢

*ذو الإصبع العدوانى (واسمه حرثان ابن محرث بن الحارث بن ربيعة) :

١ : (٢٤٤_٢٥٣)

ذو الرمة (غيلان بن عقبة) :

١ :١٣، ١٩، ٢٠، ٥٠، ٥٦، ١٠٧، ١١١، ٢٥٩ ، ٢٧٨، ٢٧٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢، ٤٤٤ ، ٤٦١، ٤٧١، ٤٨٧ ، ٥١٣ ، ٥٢٢، ٥٤٨، ٥٥٩ ، ٦٠٥

٢_١٢ ، ٢٨ ، ٣٣، ٥١ ، ٩٦، ١٢٥، ١٤٠، ١٤١ ، ١٧٥، ٢٥٥ ، ٢٦٦

ذو القروح = امرؤ القيس .

أبو ذؤيب الهذلىّ :

١ : ٢١٧، ٢٥٩، ٢٩٣، ٤٩٢ ، ٦١٦

الراعى النميرى :

١ : ٤ ، ٢١٦ ، ٢٧٩ ، ٣١٩، ٣٢٢ ، ٣٢٣

٢: ٨، ٢٨، ٣٠، ٣١، ١٥٥، ١٦٧، ١٩٢

الربيع بن أبى الحقيق :

١: ٥٦٧ ، ٥٦٨

الربيع بن زياد العبسىّ :

١: ٨، ١٨٩، ١٩٢، ٢١٠، ٥٩٠

*الربيع بن ضبع الفزارىّ :

١ : (٢٥٣_٢٥٦)

الربيع بن يونس بن محمد :

١: ١٦٩، ١٧٠، ١٧٤، ٢٢٥، ٢٢٦

ربيعة = ابن أبى عمر :

ربيعة الرقىّ :

١: ١٤٦

ربيعة بن عامر بن أنيف = مسكين الدارمى :

ربيعة بن مالك :

١: ١٩٣

ربيعة بن مقروم الضبى :

١: ٣٦١

الرخيم العبدىّ :

٢: ٣٢

رزاح بن ربيعة :

١: ٢٤٠

الرشيد :

١ : ٨٢_٨٤ ، ١٤٢ ، ١٤٦، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ٢٧٥ ، ٣٠٠، ٣٣٥ ، ٤٥٩، ٤٦٣، ٤٦٤

٢_٩_١٣، ١٠٥، ٢٧٤، ٢٧٧

رفيع الوالبىّ :

١: ٣٧٠، ٥٧٢

ابن الرقاع العاملى = عدى بن الرقاع

رؤبة بن العجاج :

١: ١٩، ١١٩، ١٥٥، ٢١٦، ٥٩٨

٢: ١٠، ١١

أبو روق :

٢: ٩٠

ابن الرومىّ :

١ : ٢٣٩، ٢٩٠، ٤٤٦، ٤٤٧ ، ٥٢٣، ٥٩٥، ٥٩٦، ٦٠٧، ٦٢٦؛ ٦٢٧

٢ : ١٢٧ ، ١٥٢

الرياشىّ :

١ : ٦٣ ، ٥١٣

(ز)

ابن الزبعرى = عبد الله

أبو زبيد الطائىّ:

٢: ٢٨٥

زبيدة (زوج الرشيد)

١: ٣٣٥

الزبير بن بكار

١: ٣٤٦، ٣٤٧، ٤١١

الزجاج (إبراهيم بن سهل)

١ : ٢٠٥، ٢٠٦

٢ : ٤٥، ١٨٢

زرقاء اليمامة :

١ : ٢٢٩

ابن الزعيزعة :

١ : ٢٥٠

زفر بن الحارث :

١ : ٢٤٤

زفر بن أبى هاشم بن مسعود بن سنان :

١ ، ٢٥٩

زكرياء (عليه السلام) :

٢ : ٣٧٩

زميل بن أبير الفزارىّ :

١ : ٢٨٩

زهدم :

٢ : ١٤٩

الزهرى (محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن شهاب) :

١ : ١٢٩

٢ : ٦٦

زهير بن جذيمة العبسىّ :

١ : ٢٠٨ ، ٢١١_٢١٤

*زهير بن جناب الكلبىّ :

١ : (٢٣٨ _ ٢٤٣)

زهير بن أبى سلمى :
١ : ٩٧، ٩٩ ، ١٠١، ١٠٢، ٥٦٧،
٦١٦،٦١٦
٢ : ٧٩ ، ٩١، ١٠٩، ١٢٥، ١٥٦ ،
١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٩٨
زياد (ابن أبيه) :
١ : ٨٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٨،
٣٠٤ ، ٣٨٤
ابن‌زياد (عبيد الله) :
١ : ١٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧
زياد الأعجم :
١ : ٧٢
٢ : ١٩٩ ، ٣٠١
زياد بن عبيد الله (خال أبى العباس السفاح) :
١ : ١٤٣
ابن زيد :
٢ : ٩٩
أبوزيد الأنصارى (سعيد بن أوس):
١ : ٢٦٥
٢ : ٨٣ ، ٢٨٦
زيد بن ثابت :
١ : ٣٩٥
زيد بن حارثة :
٢ : ٤٠٠
زيد بن على بن الحسين :
١ : ١٦٦
زيد بن عمرو بن هصيص :
١ : ١١٦
زيد الفوارس :
٢ : ١٦١
زين العابدين = على بن الحسين
زينب بنت على بن أبى طالب :
١ : ١٦٢

(س)

ساعدة :
١ : ٥١٩
سالم بن دارة:
١ : ٢٨٩
أبو السائب المخزومىّ :
١ : ٤١٢
سبأ بن يشجب :
١ : ٨١
سحيم :
١ : ٥٧٧
السدىّ :
١ : ٤٧٠
السرى بن الصباح الكوفىّ :
١ : ١٣٣
سعد بن أبى وقاص :
١ : ٣١ ، ٣٢

سعد بن عبادة :
١ : ٧٩
ابو سعيد = الحسن البصرىّ
ابن أبى سعيد الثغرىّ
١ : ١٠٣
سعيد بن جبير :
١ : ٣٣٣
سعيد بن خالد الجدلى :
١ : ٢٤٩
أبو سعيد الخدرىّ :
١ : ٤٢٧
سعيد بن سلم :
١ : ٥٠٨
٢ : ٢٦٩
أبو سعيد الضرير = أحمد بن خالد
أبو سعيد السكرىّ = السكرىّ
سعيد بن العاص :
١ : ٢٩٦
سعيد بن عبد الله بن عبد الملك :
١ : ٣٠١
سعيد بن المسيب :
١ : ٢٧٦
أبو سعيد المقبرى :
١ : ١٦٣
سفرى (اسم جارية) :
١ : ١٣٠ ، ١٣١

سفيان بن أبرد الكلبىّ :
١ : ٦٣٦
أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب :
١ : ٦٣٢
سفيان بن عيينة :
١ : ٦٣٢
أبوسفيان، صخر بن حرب :
١ : ٢٧٦
سفيان بن معاوية المهلبىّ :
١ : ١٣٦
السكرىّ (أبوسعيدالحسن بن الحسين):
١ : ٣٢٣ ، ٣٧٣
السكن بن سعيد :
٢ : ١٠٢
ابن السكيت = يعقوب
سكينة بنت الحسين
١ : ٤١٣
ابن سلام الجمحىّ = محمد بن سلام :
سلام بن مسكين:
١ : ٦٣
٢ : ٢٦٤
سلم الخاسر
١ : ٥٦٧ ، ٥٦٢، ٥٧٢
أبو سلمة = حفص بن سليمان
أم سلمة (هند بنت أبى أمية) :
١ : ١٢٩ : ١٥٢ ، ٣١٨

سليمان (عليه السلام):
١:٣٥٢،٤١٧،٤١٩،٤٢١ـ٤٢٤
٢:٧٢،١٥٥،٣١٩،٣٤٩،٣٥٢،٣٥٣
سليمان الأعمش :
٢:٢٨٠
سليمان بن داود الطوسيّ :
١:٨١
سليمان الرقيّ :
١:١٨٠
سليمان بن عبد الملك :
١:٦٠،٦٢،٢٨٤،٢٩٥،٥١٠
٢:٦٥،٢٨٤،٢٨٥
سليمان بن على بن عبد الله بن العباس :
١:١٧٧
سليمان الفارسيّ :
٢:٣٩٦
سليمان بن مجالد :
١:١٧٥
سليمان بن يزيد العدويّ :
٢:١٦٨
أبو السمح :
٢:١٧٣
السموءل :
١:٣٨٢
سهل بن هارون :
١:١٨٢،٤٦٠
سهيل بن عبد الرحمن بن عوف :
١:٣٤٨
سهيل بن عبد العزيز بن مروان:
١:٣٤٨
سواد بن قارب :
١:٥٧٦
سوار بن حيان المنقريّ :
١:١١٣،٥٩٢
سوار بن أبي شراعة :
١:١٩٦
سوار بن عبد الله القاضي :
١:٨١
سوار بن المضرب :
٢:١٥١
سويد بن عامر المصطلقيّ :
١:٣٦٨
سويد بن أبي كاهل اليشكريّ :
١: ٢٣٠ ، ٥٨٣
٢:٣٣٨
سيبويه :
١:٦٤،٢٥٣
السيد الحميرى :
١:٥٧٣
٢:١٤٢ ، ٣٤٠، ٣٤٣
ابن سيرين :
١:٢٨٥،٢٨٦،٢٩٨،٤٥٤

(ش)

الشافعى :

١ : ٤٣١

شأس بن زهير :

١ : ٢١٢

ابن شبة = عمر بن شبة

شبرمة بن الطفيل :

١ : ٣٣٢

شريح :

١ : ٢٩٥، ٢٩٦

شريك بن عمرو الذهنىّ :

٢ : ١٧٢

شريك النميرىّ :

١ : ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩٧

الشعبى :

١ : ١٥٩، ٢٩٢، ٢٩٨، ٣٨٢، ٣٨٣

٢ : ١٦ـ١٩

شعيب (عليه السلام) :

١ : ٢٣٢، ٤٠٢ـ٤٠٤

الشماخ :

١ : ٧٢، ٣٤٣، ٤٩٣، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٦٠، ٥٨١

٢ : ٣٠

الشمردل اليربوعىّ :

١ : ٩٧

أبو الشمقمق :

١ : ٢٦٩

الشنفرى :

١ : ٢٨٠، ٥٨٧

٢ : ٧٢، ٧٣

ابن شهاب = الزهرى

شيبة بن ربيعة :

١ : ٢٧٥، ٣٤٢

أبو الشيص :

٢ : ١٣٣

(ص)

الصاحب بن عباد = إسماعيل

ابنا صاعد :

١ : ١٠٣

صاعد بن مخلد :

١ : ٣٠٣

أبو صالح :

١ : ٣٢٨

٢ : ٢٨٠

أبو صالح الحنفى :

٢ : ١٧٢

*صالح بن عبد القدوس :

١ : ١٢٨، (١٤٤ـ١٤٦)

صالح قبة :

٢ : ٣٩٥

صحار العبدىّ :

١ : ٢٧٣

صخر بن حبناء :
١: ٣٧٨
صخر بن حرب بن أمية = أبو سفيان
صخر بن عمرو (أخو الخنساء) :
١:٩٧
٢:٧٧،٧٨
صخر الغيّ الهذليّ :
١:٣٥٥،٣٦٩
صدقة بن نافع الغنويّ :
٢:١٥١
صعصعة بن ناجية :
٢:٢٨٢،٢٨٤
صفوان بن يحيى :
١:١٤٩
أبو الصقر = إسماعيل بن بلبل
صقر بن عبد الرحمن القلال أبو شعيب:
١ : ١٩٨
الصلتان العبديّ :
٢:١٩٩ ، ٣٠٢
الصموت الكلابى ، أو الصموت الكلابية:
١:٣٠٢
صنان بن عباد اليشكريّ :
٢ : ٨
الصولى = محمد بن يحيى

(ض)

ضابئ بن الحارث البرجميّ :
١:٣٢٣
٢:١٠٤
ضاحية الهلالية :
٢:٢٤٢ ـ ٢٤٣
الضحاك :
٢:٩١
الضمريّ :
١:٢٢٦
أبو ضمضم :
١:٦٣٢،٦٣٤
السيد ضياء الدين :
١ : ٧٦

(ط)

الطبريّ :
١:٥١٦
ابن الطثرية :
١:٤٥٨
الطرفات (طريف وطراف وطرفة)
١:٢٩٨
طرفه بن العبد
١:٥٢،٩٢، ١٨٣ـ١٨٥، ٣٤١،٣٥٤،
٣٨٢
٢:٢٤٢ ، ٢٥٨
الطرماح
١ : ٢٨٩ ، ٣٥٠
٢:٨٣

طريح بن إسماعيل :

١ : ٥٣٣ ، ٥٧١ ٥٧٤ ، ٦٠٢

طفيل الغنوىّ :

١ : ٢٥٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٢

٢ : ١٦٩

طفيل بن مالك (فارس قرزل) :

١ : ١٩٣

*أبو الطمحان القينى ، واسمه حنظلة ابن الشرقىّ

١ : (٤٦، ٢٥٧_٢٦٠)

الطوسى = على بن عبد الله الطوسى

ابن الطيفان = خالد بن الطيفان

(ظ)

ظبية بنت الكيس النمرىّ :

١ : ٢٠٧

(ع)

عائكة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية:

١ : ١٣٥

العاص بن وائل السهمىّ :

١ : ١٢١

أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب :

٢ : ٦٦

عاصم بن أبى النجود :

١ : ٤، ٢٠٦

٢ : ٢٨٠، ٢٨١

ابن أبى عاصية:

١ : ٢٢٦

أبو العالية :

١ : ١٢٩ ، ٢٩٩ ، ٤٧٦

عامر بن صعصعة :

١ : ١٩١ ، ٢١٢

عامر بن الطفيل :

١ : ٥٥ ، ١٩٣

عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب أبو البراء (ملاعب الأسنة)

١ : ١٨٩_١٩٣

عائشة بنت أبى بكر :

٢ : ٢٠١ ، ٢٠٢

ابن عائشة (عبيدالله بن محمد بن حفص) :

١ : ٦٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥

عباد بن أنف الكلب :

١ : ٥٨٢

عباد بن شبل :

١ : ١٠٢

ابن عباس = عبد الله بن العباس

العباس بن الأحنف :

١ : ٤٠٠ ، ٤٣٧، ٤٥٩ ، ٤٦٠، ٥٧٤

٢ : ٦٤

العباس بن بكار :

٢ : ٢٨٤

عباس بن رستم :

١ : ٣٠١

أبو العباس السفاح :
١ : ١٤٣، ١٥٣، ١٦٣، ١٧٣، ٢٢٤
٢ : ٢٠٣
عباس بن عبد المطلب :
١ : ٢٩٣
أبو العباس بن عمار = أحمد بن عبد الله
أبو العباس المبرد = محمد بن يزيد النحوى
العباس بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس :
١ : ١٤١
العباس بن مرداس :
١ : ٢١٧
أبو العباس المنصورىّ :
٢ : ١٠٣
أبو العباس الناشى :
٢ : ١٢٧
أبو عبد الرحمن = عبد الله بن عمر
عبد الرحمن بن أخى الأصمعىّ :
١ : ٣٨٧ ، ٤٣١ ، ٤٦٣ ، ٤٩٩
عبد الرحمن بن الحكم بن هشام :
١ : ٥١
عبد الرحمن بن السائب :
١ : ٣٢
عبد الرحمن بن سمرة :
١ : ١٦٩
عبد الرحمن بن صالح :
١ : ٤٧٢
عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث :
٢ : ١٧
الشيخ عبد الرحيم البغدادىّ :
١ : ١٢
عبد السلام البصرىّ :
١ : ٢٣٥
عبد الصمد بن المعذل :
١ : ٣٣٢
٢ : ٦٢
عبد العزيز بن الحجاج :
١ : ١٢٨
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز :
١ : ٢٧٥
عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن ابن عوف :
١ : ٣٩٧
*عبد الكريم بن أبى العوجاء :
١ : (١٢٧ـ١٢٨)
ابن عبدل الأسدى = الحكم
عبد الله بن إسحاق بن سلام :
١ : ٥٩
٢ : ١٠٣
عبد الله بن جدعان :
١ : ١٨٩
عبد الله بن جعفر (من رواة المرزبانى) :
١ : ٣٨٨

عبد الله بن جعفر بن أبى طالب :
١ : ٢٥٤ ، ٢٩٩ ، ٣٨٢ ، ٤٩٣، ٥٨٦
عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب :
١ : ١٦٩
٢ : ١١١
أبو عبيد الله الحكيمى = محمد بن إبراهيم
عبد الله بن الزبعرى :
٢ : ٢٦٨ ، ٢٦٩
عبد الله بن الزَّبير الأسدى :
١ : ٣٨٦
عبد الله بن الزُّبير بن عبد المطلب :
١ : ٢٥٤
عبد الله بن سعد بن ضبة :
٢ : ١٦١
عبد الله بن أبى سعد الوراق :
١ : ٦٥ ، ٢٢٥
عبد الله بن سلام :
٢ : ٨٠
عبد الله بن سوار :
١ : ٦٣
٢ : ١٠٥
عبد الله بن شبرمة .
١ : ٣٣٢
عبد الله بن شبيب :
١ : ١١٦
أبو عبد الله الصادق = جعفر بن محمد
عبد الله بن طاهر :
١ : ١٥٣ ، ٢٢٧ ، ٥٨٥
٢ : ٤٣
عبد الله بن العباس :
١ : ٥٣ ، ١٧٧ ، ٢٠٢، ٢٥٤، ٢٧٧، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٢٨، ٣٤١، ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٤٢٢ ، ٤٧٠ ، ٥٠٣ ، ٥١٤
٢ : ٥٦ ، ٩٠، ١١٧، ١٤٥، ١٤٩ ، ١٧٠ ، ٢٨٠
عبد الله بن عبد الأعلى :
١ : ١٧١
عبد الله بن عبد الملك بن مروان :
١ : ٦٨
عبد الله بن عبيد الله بن طاهر :
١ : ١١٩
عبد الله بن عثمان : (أبو القاسم) :
١ : ٣٤٥
عبد الله بن عروة بن الزبير :
٢ : ١١١
عبد الله بن على :
١ : ١٣٦
عبد الله بن عمر بن الخطاب :
١ : ٨٩ ، ٢٥٤ ، ٣١٨ ، ٣٤١

عبد الله بن عمرو بن عثمان:
١: ٣٩٧
أبو عبد الله الغزال :
١: ١٦٣
عبد الله بن غطفان :
١: ٢٠٨
عبد الله بن المبارك :
٢: ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٦
عبد الله بن محمد، المعروف بعنقار:
١: ٢٢٥
عبد الله بن مسعود :
١: ٣٤٢، ٣٥٤
٢: ٧٥، ١٨٢
عبد الله بن مسلم البكّاوىّ :
١: ١٩٣
عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلىّ :
١: ٤١٣
عبد الله بن مسلم بن قتيبة :
١: ٥_٧، ١٥، ١٧، ٥٢، ١٢٠، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧، ٢١١، ٢١٦، ٢١٧، ٢٣٧، ٢٥٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٢٨، ٣٣٩، ٤٠٦، ٤١١، ٤٢٦، ٤٢٨_٤٣٠، ٤٥٤، ٦٣٢، ٦٣٥
٢: ٥، ٦، ٧، ١٥، ٥٠، ٨١، ٨٢، ٨٦، ٢٠٠: ٢٠١_٢٠٣
عبد الله بن مطيع :
١: ٢٨٧
عبد الله بن معاوية الجعفرى :
١: ٣١، ١٤٥، ٢٦٠
*عبد الله بن المقفع :
١: ١٢٨، ١٣١ (١٣٤_١٣٦)
أبو عبد الله بن النطاح :
٢: ١٥
عبد الله بن نهيك :
١: ٣١
عبد الله بن أخت أبى الوزير:
١: ٥١
عبد الله بن وهب الراسبىّ :
١: ٢٧٣
عبد الله بن يحيى العسكرىّ :
١: ١٢٩
٢: ٢٧٣
*عبد المسيح بن عمر بن قيس بن حيان بن بقيلة :
١ : (٢٦٠_٢٦٢)
عبد المطلب بن عبد مناف :
٢: ٢٦٨
عبد الملك بن صالح الهاشمىّ :
١: ٢٩٠

عبد الملك بن مروان :

١: ٦٨، ٦٩، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٧، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٧٢، ٥٣٥

٢ـ ١٥ ـ ١٩، ٢٥

عبد مناف بن ربعىّ الهذلىّ :

١: ٣

٢: ٣١٠

عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك :

١: ٣٢٦

عبد الواحد بن محمد الحصيبىّ :

١: ٢٧٤

عبد الوهاب الثقفىّ :

١: ١٨٧

عبدة بن الطبيب :

١: ١١٣، ٣٣٣

٢: ٥١

أبو عبيد = القاسم بن سلام :

عبيد بن الأبرص :

١: ٥٦

عبيد بن الحصين = الراعى

عبيد الله بن أبى الدنيا :

١: ٤٧٢

عبيد الله بن زياد بن ظبيان :

١: ٢٧٦، ٢٧٧، ٣٨٦، ٥٣٦

عبيد الله بن سليمان :

١: ٣٠٣، ٤٤٦

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

١: ٤٤٩

١: ١١٩

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

١: ٣٩٧ـ٤٠١

عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا:

١: ٢٠٧، ٢٢٠، ٣٧٠، ٣٧٨، ٤٠٧

عبيد الله بن قيس الرقيات :

١: ٨٢، ٣٢٦، ٥٢٨، ٥٦٨

٢: ١٤٠

أبوعبيد الله المرزبانىّ = محمدبن عمران

عبيد الله بن يحيى :

١: ٣٠١

عبيد الله بن يحيى بن البحترى :

٢: ٤٣، ٤٤

عبيد الله بن يحيى بن خاقان :

١: ٣٠٣

أبو عبيدة = معمر بن المثنى

عبيدة الوضاح :

١: ١٩٤

العتابى :

١: ١٠٢

أبو العتاهية (إسماعيل بن القاسم) :
١:١٨٨، ١٩٦، ٢٩١، ٤١٥، ٤١٦،
٥٥٣
٢:٤٢، ٢٢٨، ٢٢٩
عتبة بن ربيعة :
١:٢٧٥، ٣٤٢
عتبة بن أبي سفيان :
١:٢٨٧
العتبيّ :
١:٢٩٦
٢:٦٥
ابن أبي عتيق :
١:٣٤٧
عشكلان بن ذى كواهن الحميرىّ :
١:٢٣٥
عثمان بن جنى :
١:٢
٢:٣١٧
أبو عثمان الأشناندانى
١:٩، ١٣٣، ٦٣٦
عثمان الطويل :
١:١٧٨
عثمان بن عفان :
١:١٦١، ٣٣٣
٢ : ١٠٣

أبو عثمان المازنى :
١:١٣٨، ٤٤٥
٢:٢٨٤
أبو عثمان النهدىّ :
١ : ٤
عثمان بن الوليد :
١:١٢٨
العجاج :
١:١١٩
عدى بن حاتم بن عبد الله الطائى :
١:٢٩٧، ٢٩٨
عدى بن الرقاع :
١:١٠٣، ٢٧٧، ٥١١، ٥٦٧
٢ـ١١، ١٢، ٣٢، ١٢٤، ٣٠٣
عدى بن زيد العبادىّ :
١:٣٣، ٣٩، ٥٦
٢:٧٤، ١٩١، ، ٢٥٨
عدىّ بن قيس :
١:١٢١
عراك بن مالك :
١:٣٩٨، ٣٩٩
٢ : ٦٥
ابن عرفة = إبراهيم بن محمد
عروة بن أذينة :
١:٤٠٨، ٤١٠ ـ ٤١٦

عروة بن حزام :

٤٥٩:١

عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير :

١ : ٤١١، ٤١٢

عروة بن مرة :

١٩٨:١

عروة بن الورد :

١ : ٥، ٢٠٦

ابن عصفور :

١٩٤:١

أبو عطاء السندى :

٢٢٣:١، ٥٧١

عطية الديبرى :

٣٥٦:١

عقال بن محمد بن سليمان :

٢٨٣:٢

عقبة بن سنان :

٢٩٢:٢

عقبة بن عامر :

١ : ٤٢٦، ٤٩٢

عقبة بن كعب = المضرب

عقيل بن أبى طالب :

٢٧٦:١

عقيل بن علّفة :

٣٧١:١ـ٣٧٤

عكرمة (مولى عبد الله بن العباس) :

١٧٣:١، ٥٠٣

أبو عكرمة الضبىّ :

٤٦٠:١، ٤٦١

العكلىّ :

٢٤٩:١

العكوك = على بن جبلة

ابن علقمة :

٦٣٩:١

علقمة بن عبدة :

٤٦٠:١، ٥١١، ٥١٢، ٥٧٨

على بن إسماعيل اليزيدىّ :

١ : ١٥

أبو على البصير :

١ : ٣٠٤

على بن ثابت :

١٩:٢

أبو على الجبائى = محمد بن عبد الوهاب

على بن جبلة الضرير، العكوك :

٢٩٠:١، ٥٢٢، ٥٩٨

على بن الجعد :

١٥٣:١، ١٦٩

على بن الجهم :

١٤٦:١، ٥٩٩

٦٢:٢، ٦٣

أبو على الحرمازىّ :

١ : ١٦٣

على بن الحسين بن على بن أبى طالب :

١ : ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٦٢ ٤٦٢

*على بن الخليل:

١: ١٢٨، ١٣١، ١٣٢، (١٤٦ ، ١٤٧)

على بن سراج المصرىّ :

١ : ٥٩٦

على بن سليمان الأخفش :

١ : ٢٦٨ ، ٣٨٢ ، ٤٣٤

على بن أبى طالب :

١ : ١٧، ١٨، ٧٧ـ٧٩، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٦١، ١٦٢، ١٦٦، ١٧٧، ٢٧٤ ، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٢، ٢٩٨ ، ٥٢٥

٢ـ٧ ، ٢٦٥ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢

على بن عبد الله بن سمد :

١ : ١٣٣

على بن عبد الله الطوسىّ :

١ : ٩٦

على بن عبد الله الفارسىّ :

١ : ١٣٣ ، ١٣٨ ، ٥١٠

على بن عيسى الرمانىّ :

٢ : ٣٠٥

أبو على الفارسى = الحسن بن عبد الغفار

على بن محمد الكاتب أبو الحسن :

١ : ١٦، ٦٣، ٦٦، ١٣٢، ١٣٥، ٢٤٩، ٣٠٢، ٣٥٩، ٣٨٧، ٤٣١، ٤٤٦، ٤٥٩، ٤٦٣، ٤٨٣، ٤٨٦، ٤٩٩، ٥٩٣ ، ٦٢٦ ، ٦٣٩

٢ـ٢٤ ، ٢٦١

على بن منظور :

١ : ٣٧٢

على بن موسى الكاظم، أبو الحسن الرضا:

١ : ١٤٩، ١٥٠، ٤٨٣، ٤٨٥ ، ٤٨٦

على بن هارون :

١ : ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٩٧ ٤٤٩

٢ : ١٣٨ ، ١٣٩

على بن يحيى (من رواة المرزبانى) :

١ : ٢٢٥

على بن يحيى المنجم :

١ : ٤٨٥

ابن عمار = أحمد بن عبيد الله :

عمارة بن حمزة بن ميمون :

١ : ١٣١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٨٤

عمارة بن زياد العبسىّ :
١ : ١٥٦ ، ١٨٩
عمارة بن عقيل :
٢ : ٤٣
ابن عمر = عبد الله بن عمر
عمر بن الخطاب :
٢ : ١٧
عمر بن داود العمانىّ :
١ : ٦٦
عمر بن أبى ربيعة :
١ : ٤٠، ١٠٩، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٦٣،
٥٠٦ ، ٥١١ ، ٥٧٣
٢ : ١٧٦ ، ٢٨٩
عمر بن شبّة :
١ : ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٢٢٦ ، ٣٩٧ ،
٤٧٤ ، ٥١٠
عمر بن عبد العزيز :
١ : ٥١ ، ١٣٥ ، ١٥٨، ٢٧٧ ، ٢٨٥
٢ : ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٦
عمر بن هبيرة :
١ : ١٥٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٥١٠
عمر بن يزيد الأزدىّ :
١ : ٦٣
عمران بن حطان :
١ : ٦٣٦
عمرة بنت عجلان :
٢ : ٢٤٣_٢٤٥
أبو عمرو :
١ : ٥٠٧
عمرو بن أحمر :
١ : ٢٢٩ ، ٣٧٠ ، ٤٥٦ ، ٤٦٧
٢ : ٥٠ ، ١٩٣
أبو عمرو الأسدىّ :
١ : ٣٤٥
*عمرو بن بحر الجاحظ:
١ : ١٥ ، ١٦، ١٣١، ١٣٩، ١٦٩ ،
١٧٧، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٦، ١٧٧ ،
(١٩٤_١٩٩)، ٢٤٤، ٢٨٦، ٢٣٢
٢ : ٤٤ ، ١٠٥ ، ٢٤١ ، ٢٧٦
عمرو بن براق:
٢ : ٢٦٦
عمرو ذو الكلب :
١ : ٣٥٤
٢ : ٢٤٣_٢٤٥
*عمرو بن ربيعة بن كعب المعروف بالمستوغر :
١ : (٢٣٤ ، ٢٣٦)
عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق :
١ : ٢٧٧

أبو عمرو الشيبانىّ :
١ : ١١٦ ، ١١٨ ، ٢٥٥
عمرو بن العاص :
١ : ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٩٢
٢ : ١٠٤
عمرو بن عامر مزيقياء :
١ : ٢٦٥
عمرو بن عبدود :
١ : ٢٧٥
٢ : ٧
*عمرو بن عبيد :
١ : ٢٠ (١٦٤ـ١٧١، ١٧٣ـ١٧٨)
عمرو بن عدىّ :
١ : ٢٦٥
أبو عمرو بن العلاء :
١ : ٤ ، ١١٦، ١٥٥ ، ٢٦٩، ٢٧٨،
٢٧٩ ، ٣٤٥
عمرو بن قِلْع الكنانى ثم الفُقيمى
أبو القلمّس :
١ : ١٩٤
عمرو بن قميئة :
١ : ٤٥ ، ٣٥٨
عمرو بن كلثوم :
١ : ٥٧ ، ١٠٥ ، ٢٠١ ، ٣٢٧، ٥٥٩
٢ : ٤٩ ، ١٤٧
أبو عمرو المخزومىّ :
١ : ٣٠٤
عمرو بن معد يكرب :
٢ : ٨٨ ، ١٨٥
عمرو بن المنذر بن عمرو :
١ : ٣٢٥
عمرو النصرانى :
١ : ١٣١
عمرو بن هند :
١ : ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٦٥
العملّس بن عقيل بن علّفة :
١ : ٣٧٣
عميرة بنت بشر بن خازم :
١ : ٣٤١
ابن عنقاء الفزارىّ، واسمه قيس بن بجرة:
٢ : ٢١٢
عنترة العبسىّ :
١ : ٩ ، ١٥٦، ٣٣٧، ٣٥٥، ٥٧٠
٢ : ٧٢ ، ٨٤ ، ١٢٤، ٣٥٣
عنبسة بن معدان الفيل :
١ : ٣٥٣

العَنزيّ:
١ : ١٥
*ابن أبي العوجاء :
١ : ١٢٨، ١٣٥ (١٣٧، ١٣٨)
عوف بن بدر .
١ : ٢١٠
عوف بن جشم :
١ : ٢٦٥
عوف بن الخرع :
١ : ٦١٥
عون بن محمد :
١ : ٣٦٠
ابن عياش :
١ : ٢٢٣
عيسى (عليه السلام) :
١ : ١٢ ، ٢٥٤
٢ : ١٩٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ،
٣٢٧ ، ٣٢٨
عيسى بن جعفر :
١:٤٦٣
عيسى بن على :
١:١٣٦
عيسى بن عمر :
١ : ٦٤ ، ١٥٥
أبو العيص بن حرام المازنيّ :
٢:٢٢٢

أبو العيناء = محمد بن القاسم :
ابن أبي عيينة :
٢ : ٦٣
عيينة بن حصن :
١:٥٣٠_٥٣٢

(غ)

غالب (أبو الفرزدق)
١:٥٨
الغلابى = محمد بن زكريا الغلابيّ :
أبو الغوث بن البحتريّ :
٢ : ٢٢٩
أبو الغول النهشليّ :
١ : ١٣٣
غيلان (جد عبد الصمد بن المعذل):
١ : ٣٣٢
غيلان بن عقبة = ذو الرمة

(ف)

ابن فارس = أحمد بن فارس
فاطمة الزهراء :
١:٣٤٢
فاطمة بنت الخرشب :
١ : ١٨٩
الفتح بن خاقان :
١ : ١٩٤، ١٩٩ ، ٣٠٠، ٥٣٥ ، ٥٨٦
٢ : ٤١

الفراء: ٩١
١: ٤٦،٩١،١١٠،١٢١،١٢٤،١٨٢، ١٩٤ ، ٢٠٥،٢١٦،٣٢٨، ٣٤٣، ٣٥٦ ، ٤٥٤ ، ٥٧٧ ، ٥٩١
٢ـ٥٢ ، ٥٦ ، ٨١ ، ١٢٠ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ٢٩٠
الفرزدق :
١ : ٧ ، ٥٨ ـ ٦٩ ، ٧٢، ٨٠، ١٦٩، ١٨٥، ٢١٨، ٢٣٠، ٢٥١، ٢٦٩، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٤، ٣٥٣، ٥٢٥، ٥٨٢ـ٥٨٤ ، ٥٩١، ٦٠٥
٢ : ١١ ، ١٢ ، ٥٢ ، ١١٥ ، ١٤٨، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٨٢ ـ ٢٨٥
فرعون :
١ : ١٢٩ ، ١٦١ ، ٢٩٧
٢ : ١٠٩
فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر :
١ : ١٤٩
الفزارى = مالك بن أسماء :
فضالة بن وكيع :
٢ : ١٧٤
الفضل بن الربيع :
١ : ١٠٢ ، ١٤٦
الفضل بن سهل :
١ : ٢٨٥ ، ٣٠٠ ، ٣٨١
أم الفضل بن سهل :
١ : ٢٩٧
أبو الفضل بن العميد :
١ : ٢١١
الفضل بن يحيى :
٢: ٩، ١٣

(ق)

القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان :
١: ٤٨٦
٢ : ٢٨٤
أبو القاسم البلخى (عبد الله بن أحمد ابن محمود الكعبى البلخى) :
١ : ٩، ١٦٩، ١٧٨، ١٨٦ ، ١٩٥ ، ٤٦٨ ، ٥١٤
٢ : ٣٦٤
القاسم المعروف بابن حبابة :
١ : ٥٩٣
القاسم بن الحسن الوراق :
١ : ٨١
القاسم بن حنبل المرىّ :
١ : ٢٥٩
القاسم بن ربيعة الجوشىّ :
١ : ٢٨٥ ، ٢٨٦
قاسم بن زنقطة :
١ : ١٣١

القاسم بن سلام أبو عبيد :
١ : ٥_٧ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ٤٥٤
٢ : ٥٠_٥٢ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦
القاسم بن عبيد الله بن سليمان :
١ : ٤٤٦
القاسم بن فراس :
١ : ٤٤٧
القاسم بن معن :
١ : ٢٥٥
قتادة :
١ : ١٦٧ ، ٥٠٣ ، ٥١٤
٢ : ٩٠ ، ٩٩
القتال الكلابى :
١ : ١٤
ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم
القتيبى = عبد الله بن مسلم
قثم بن جعفر بن سليمان :
٢ : ١٠٣
ابن قدامة :
١ : ٩٧
أبو قرة :
١ : ١٤٩ ، ١٥٠
قرواش بن هُنَىّ :
١ : ٢١٤
القطامى :
١ : ٢٠٣ ، ٣٦١ ، ٤١٨ ، ٦١٨
٢ : ١٨
قطرب بن المستنير :
١ : ٥ ، ١٠٦ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٤٠٣ ، ٤٦٦
٢ : ٥٨ ، ١٣١
قطرى بن الفجاءة :
١ : ٦٣٦_٦٣٨
القطعى :
٢ : ٢٨٠
قعنب بن ضمرة الفزارى :
١ : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦١
قنبر (مولى على بن أبى طالب) :
١ : ١٨
قيس بن بجرة = ابن عنقاء الفزارى
قيس بن أبى حازم :
١ : ٥٣٢
قيس بن الخطيم :
١ : ٣٣٠ ، ٣٩٣ ، ٥٤١ ، ٥٤٥
٢ : ١٤٠
ابن قيس الرقيات = عبيدالله
قيس بن زهير العبسى :
١ : ٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤
٢ : ١٤٩

قيس بن زياد العبسى :
١ : ١٨٩
قيس بن عاصم :
١ : ١٠٧ـ١٠٨، ١١٢ـ١١٤، ٥٩٢
٢ : ١٦١ ، ٢٨٦
قيس بن عبد الله بن عُدس = الجعدىّ
قيس بن عمرو = النجاشىّ

(ك)

ابن أبى كباش :
١ : ٦٣١
أبو كبير الهذلىّ :
٢ : ٢٣٤
كثير :
١ : ٤٦، ١٩٦، ٢٢١، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٧، ٣٢٥ ، ٤١٤، ٤٩٧ ، ٥٦٢
٢: ٣٣، ٣٤، ١٧٨، ٢٣٤، ٣٥٩، ٢٦١
كردم :
٢ : ١٤٩
كرز بن عامر :
١ : ٥٣٠ ، ٥٣١
الكسائىّ :
١ : ٣٣٥
٢ : ٢٦٦
كعب (مولى حارثة بن بدر) :
١ : ٣٨٧
كعب بن زهير :
١ : ٩٧ ، ٤١٨ ، ٤٢٤ ، ٥٥٨
٢ : ١٦٧
كعب بن سعد الغنوىّ :
١ : ٦٠٤
الكلابىّ (أبو زياد)
١ : ٢٢٢
الكلبىّ (محمد بن السائب) :
١ : ١٩٣ ، ٢٦٠ ، ٣٢٨
٢ : ٣٠٨
ابن الكلبىّ (هشام بن محمد):
١ : ٢٠٧
٢ : ١٠٢
كليب بن ربيعة :
١ : ١٢٤ ، ٢٤٠ ، ٤٠٣
الكميت بن زيد الأسدىّ :
١ : ٥٩ ، ٦٠، ٦٦، ٦٧، ٩٩، ١٠٢، ٢٩٦، ٣٦٣، ٤١٤، ٤٥٥، ٥٦٨، ٦١٦
٢: ٣٢ ، ٨٠ ، ٢٥٤
الكندىّ (يعقوب بن إسحاق) :
١ : ٢٩٠
ابن الكواء :
١ : ٢٧٤

(ل)

لُبطة بن الفرزدق :

١ : ٦٣

أبو لبيد :

١ : ٦٦

لبيد بن ربيعة العامرىّ :

١ : ٢١ ، ٢٥، ١١٧، ١٧١ ، ١٨٩،

١٩٠، ١٩١ ، ١٩٢، ١٩٤، ٣١٩،

٤٥٣، ٤٥٧ ، ٥٤٧، ٦١٨

٢ : ٥٥

اللحام الحرانى

١: ٥١٣

٢: ١٨٤

لقيط بن زرارة :

٢ : ٦٦

اللعين المنقرىّ :

١ : ٥٨٥

أبو لهب :

١ : ٢٧٦

لوط (عليه السلام):

١ : ٥٠٣

الليث :

١: ٤

ليلى (أخت المنتشر)

٢ : ٢٤

ليلى الأخيلية :

١ : ٥٨ ، ١٢٤ـ١٢٦ ، ٤٩٧

٢ : ١٩ ، ٢٤ ، ١١٨

(م)

ماء السماء :

١ : ٢٦٥

ابن مارية :

١ : ٣٥ ، ٣٦

مارية بنت أرقم بن ثعلبة :

٢ : ٧٤

مارية القبطية :

١ : ٧٧ ، ٧٩

المازنىّ = أبو عثمان المازنىّ

مالك بن أسماء بن خارجة الفزارىّ :

١ : ١٤ ، ١٦ ، ٤٣٥

مالك بن جعفر بن كلاب :

١ : ١٩٣

مالك الجعفىّ :

٢ : ٣٢

مالك بن حذيفة:

١ : ٢١٠ ، ٢١١

[مالك بن حريم] :

٢ : ٢٧٣

مالك بن الريب :

٢ : ٣٠٤

مالك بن زهير :
٢ : ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤
مالك (بن أبي السمح) :
٢ : ٦٥
مالك بن مسمع الجحدريّ :
١ : ٧
مالك بن المنذر بن الجارود :
١ : ٦٣
المأمون (الخليفة) :
١: ٨٢، ١٤٩، ١٨٦، ٢٢٧، ٢٨٤، ٢٨٥
٢٩٧، ٣٠٠، ٤٨٣
مانى بن فاتك الحكيم :
١: ٢٨٦
مانى الموسوس :
٢: ١٨٢
المبرد = محمد بن يزيد النحوى
المتلمس (جرير بن عبد المسيح) أو
(جرير بن عبد العزى) :
١: ٥، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥
المتنبى :
١: ٩٣، ٤٠٠، ٥٦٧
٢: ٣٥: ٤٠، ٤١، ١٢٨، ١٢٩، ٣١٧
المتنخل الهذلىّ :
١: ٣٠٦، ٤٩٣
متوج بن محمود بن مروان :
١: ٥٩٣
المتوكل (الخليفة) :
١: ١٤٦، ١٧٨، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٩،
٢٩٩_٣٠١
المثقب العبدىّ :
٢: ١٦٩
مجالد :
١: ١٨٠
أبو مجالد :
١: ١٨٠
مجاهد :
١: ٤٧٠، ٦١٧
٢: ١٧٠، ٢٨٠
المجنون :
١: ١١٨، ٤٩٤
٢: ٢٥٥ ، ٣١٠
[محرزالضبى]:
١ : ١٧
محارب بن قيس بن عدس .
١: ٢٦٨
أبو محلم السعدىّ :
١: ٢٦٠، ٤٣٥
٢: ١٥١
محمد بن إبراهيم :
١: ٦٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٩: ٣٤٧، ٣٩٧
٤١١، ٤٦١

محمد بن أحمد الحكيمى الكاتب أبو عبد الله :
١ : ٦١، ١٩٣، ٢٠٧، ٢٢٠، ٣٧٠، ٣٧٨، ٤٠٧، ٤٣٧، ٤٥٧، ٤٩٧، ٥١١
٢ : ٩

محمد بن أبى الأزهر :
١ : ١٨٢، ٢٨٧، ٤٤٢

محمد بن إسحاق النحوى أبو نصر :
٢ : ٤٥

محمد بن بحر الأصبهانى أبو مسلم :
١ : ١٣، ٣٦٧، ٤٥٤
٢ : ٩٩، ٢٣٤، ٣٠٤، ٣٠٥

محمد بن الجهم :
١ : ١٨٢، ١٩٧

محمد بن الجواد بن على بن أبى طالب :
١ : ١٥٠

محمد بن حازم :
١ : ٦٠٦، ٦٠٨

محمد بن حبيب :
١ : ٣٤٣، ٣٧٠، ٤٤٤، ٤٥٥

محمد بن الحسن البلغى :
١ : ٤٥٩، ٤٦٣

محمد بن الحسن :
٢ : ٨٢، ٨٣، ٨٥

محمد بن الحسن بن دريد :
١ : ١٥، ١٦، ١٩، ٦٠، ١٣٣، ١٩٣، ٢٣٤ــ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٩٥، ٣٤٠، ٣٥٩، ٣٨٧، ٤٣١، ٤٦٣، ٤٩٤، ٤٩٩، ٦٣٢، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٨، ٦٣٩
٢ : ٢٤، ١٠٢

محمد بن الحسن بن مقسم :
٢ : ٣٠٤

محمد بن الحسين اليشكرى :
١ : ١٤١

محمد الحلبى :
١ : ١٤٩

محمد بن حميد :
١ : ٤٣٧

محمد بن الحنفية :
١ : ٧٧، ١٢٢، ١٦٥

محمد بن خارجة :
٢ : ٢٩١

محمد بن خالد :
١ : ٥٣٠

محمد بن داود بن الجراح :
١ : ١٤٢، ١٤٦

محمد بن زكريا الغلابىّ :
١ : ٦٦ ، ٦٩
٢ : ٢٨٤
محمد بن زيان :
١ : ١٩٣
محمد بن سفيان بن مجاشع :
٢ : ٢٨٣
محمد بن سلام الجمحىّ :
١ : ٢٣٤،٢٥٣، ٢٦٨، ٢٧٨،٣٢٣،
٣٩٩
محمد بن سلامة القضاعىّ :
١ : ٥٦٠
محمد بن سليمان الهاشمىّ (والى الكوفة) :
١: ١٢٧،٤٦١
أبو محمد الشامىّ :
١ : ٥١
محمد بن عباد :
٢ : ١٠٢
محمد بن الصباح :
٢ : ١٠٣
محمد بن العباس اليزيدىّ :
١: ٣٨١،٤٦١،٥٠١،٥٠٦،٥٠٩
٢ : ١٣٢
محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم :
١: ٥،١١،١٢،٣١،٣٣،٣٤،٣٥،٤٥،
٥٣،٥٤،٧٥،٧٦،٧٧، ٧٨، ٨٩،
٩٥،١٠٧،١٠٨ ، ١٢٠، ١٢٢ ،
١٢٩، ١٣٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٢،
١٦٤، ١٨٩، ٢٠١، ٢١٧، ٢١٩،
٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٥،
٣١٨، ٣٢٦، ٣٤٠_٣٤٣، ٣٤٤،
٣٤٧، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٦٨، ٣٩٥،
٣٩٦، ٤٠٥_٤٠٧، ٤٢٦_٤٢٨،
٤٣٠، ٤٥٤، ٤٩٢، ٤٩٤، ٥٣٢،
٦٣٠،٦٣٢،٦٣٤
٢ : ٥، ٦، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٥، ١٦٦،
١٦٩، ١٧١، ١٩٥، ٢٠٠_٢٠٣،
٢٠٥، ٢٠٦، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٨١،
٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٠٢، ٣٠٩،
٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩،
٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٥١،
٣٥٢، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٦٩،
٣٨٢، ٣٨٣، ٣٩٠، ٣٩٤، ٣٩٦،
٣٩٨،٣٩٩،٤٠١،٤٠٢
محمد بن عبد الله أبو بكر العبدىّ :
٢: ١٩٣،٢٧٣

محمد بن عبد الله أبو جراب العبلىّ :
١:٣٤٧

محمد بن عبد الله بن الحسن :
١:١٦٩، ١٧٥

محمد بن عبد الملك الزيات :
١:١٩٥، ٥٢٣، ٥٣٥، ٥٣٦

محمد بن عبد الوهاب الجبائى أبو علىّ :
١:١١، ١٢، ٣٧٨، ٣٩١، ٤٤١، ٤٨٢،
٥٣٩
٢:٢٧، ٩٩، ١٠٠، ١٣١، ١٦٥، ١٦٦،
١٨٧، ٢٠٦، ٢٣٢_٢٣٣، ٢٥٣،
٢٥٤، ٢٨٢

محمد بن على أبو جعفر :
١: ٢٨٣، ٢٨٧

محمد بن على بن عبد الله العباسى :
١:٢٨٣

محمد بن عمران بن موسى المرزبانىّ
أبو عبيد الله
١:١٥، ١٩، ٢٠، ٦٠، ٦٣، ٦٥، ٦٦،
٦٧، ٧٢، ٨١، ١١٦، ١١٨، ١١٩،
١٢٩، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٨،
١٤١، ١٤٢، ١٨٢، ١٩٣، ١٩٧،
١٩٩، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٥٩، ٢٦٨،
٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩٥،
٣٤٥، ٣٤٧، ٣٦٠، ٣٧٢، ٣٨١،
٣٨٨، ٣٩٨، ٤١١، ٤٣٤، ٤٣٧،
٤٤٢، ٤٤٩، ٤٥٧، ٤٦١، ٤٦٢،
٤٧٢، ٤٩٤، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٦،
٥٠٩، ٥١١، ٥٣٠، ٦٢٦، ٦٣٥،
٦٣٦
٢_٩، ١٥، ٢٥، ٦٤، ١٠٢، ١٠٣،
١٣٢، ١٣٧، ١٣٨، ٢٧٣، ٢٧٦،
٢٨٤

محمد بن عمرو بن عطاء الجماز :
١ : ١٩٧

محمد بن القاسم الأنبارىّ أبو بكر :
١:٣٣، ٣٤، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٥١، ٣٣٣،
٣٣٤، ٣٣٩، ٤٢٦، ٤٢٨_٤٣١،
٤٥٦، ٤٥٧، ٦٢٩، ٦٣٠
٢_٦، ٧، ١٥، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٢٦٠،
٢٦١

محمد بن القاسم أبو العيناء :
١ : ٢٠، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٧،
٢٩٦، ٢٩٩_٣٠٤، ٣٦١، ٣٨٢،
٤٦١، ٥٠٩
٢:٦٤

محمد بن القاسم بن مهرويه :
١ : ٢٢٤
محمد بن كعب القرظى :
٢ : ٢٦٥
محمد بن محمد بن إبراهيم :
١ : ٦٥
محمد بن محمد بن سليمان الطفاوى
١ : ٦٥
محمد بن مكحول :
١ : ٢٩
محمد بن منصور :
١ : ٢٧٥
محمد بن منصور بن زياد (فتى العسكر) :
١ : ٥٠٦
محمد بن المنكدر :
١ : ٣٩٦
محمد بن موسى :
١ : ٣٧٢
محمد بن يحيى الصولى :
١ : ١٥، ٦٣، ٦٤، ١١٩، ١٣٥، ١٤١، ١٤٣، ٢٥٨، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٦٠، ٤٤٦، ٤٥٠، ٤٥٩، ٤٦٣، ٤٨٣، ٤٨٥، ٤٨٦، ٥٩٣، ٥٩٦، ٥٩٧
٢ : ٤٢، ٢٦١، ٢٨٤
محمد بن يزيد الكاتب :
١ : ٤١٦
محمد بن يزيد النحوى أبو العباس المبرد :
١ : ١٢٩، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٥، ١٦٣، ١٦٨، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٩، ٢٦٤، ٢٩٢، ٢٨٧، ٣٨٨، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٦٢، ٥٠١
٢ : ٢٣، ٢٥، ٤٣_٤٥، ١٠٣، ١٠٤، ١١٦، ١٣٣، ١٣٤، ١٦١، ١٧٦، ٣١٧
محمود الوراق :
١ : ١٧١، ٦٠١، ٦٠٨
المخبل السعدى أبو يزيد :
١ : ١٨٥
٢ : ٣١، ٨٨
المخزومى = الحارث بن خالد
ابن مخلد :
١ : ١٠٣
أبو مخلد :
١ : ١٣٨
مخلد بن يزيد بن المهلب :
١ : ٩٩
أبو مخنف :
١ : ٢٦٠
المدائنى :
١ : ١١٣، ٢٨٥، ٣٧٢

مدرك الشيبانىّ :

١:١٣١

مدلة بنت ذى منجشان :

١:٢٣٢

المرتضى :

١:٥٤٦،٦٠٢،٦٢١،٦٢٧

مرداس بن أدية :

١:٦٣٥،٦٣٦

المرار بن سعيد الفقعسىّ :

١:٣٠٦،٥٦١

٢:٣٤

المرار بن منقذ العدوىّ :

٢:١١٢

المرزبانى = محمد بن عمران

المرقش الأصغر :

٢:٢٤٦، ٢٥٧

المرقش الأكبر :

٢:٧٧،٧٨، ٢٤٦،٢٥٥،٢٥٧

مرة بن محكان السعدىّ :

١:٩٥

مروان بن الحكم :

١:٣٨٦

٢:١٠

مروان بن محمد الملقب بالحمار :

١:٢٨٣

مروان بن أبى حفصة :

١:٢٢٤،٢٢٦، ٥١٨_٥٢٥، ٥٣٢ _

٥٣٦ ، ٥٤٠ _ ٥٤٦ ، ٥٥٣ ، ٥٦٢،

٥٦٦_٥٧٤،٥٧٨_٥٨٩

٢:٤٣،٢٧٤،٢٧٥

مزاحم العقيلىّ :

١:٥٣،٢٥٨

مساور الوراق :

١:١٣٤

مسرور (خادم الرشيد) :

١:٣٣٥،٤٦٣،٤٦٤

أبو مسعر :

٢:٢٧٤

مسعر بن كدام :

١:٢٤٩

ابن مسعود :

١:٣١

أبو مسعود البدرىّ :

١: ٧٥

مسعود بن بشر المازنىّ :

١: ٤٦٠

مسكين الدارمىّ (ربيعة بن عامر بن أنيف) :

١: ٤٣، ٣٩٩ـ٤٧٠ـ٤٧٦، ٦٣٣

٢: ١١٨، ١٦٠

أبو مسلم بن بحر الأصبهانىّ = محمد ابن بحر

مسلم الخزاعىّ :

١: ٣٦٨

مسلم بن صبيح :

٢: ٢٨٠

مسلم بن عقيل :

١: ٢٧٦

مسلم بن الوليد (صريع الغوانى) :

١: ٤٣٨، ٤٨٨، ٥٢٢، ٥٣٤، ٥٥٤، ٥٦٨، ٦٠٧، ٦٠٨

٢: ٤١، ٢٥٠

مسلمة بن عبد الملك :

١: ١٥٩

المسيب بن علس :

١: ٥٦٠

مسيلمة الكذاب :

١: ٢٩٢

مصعب بن الزبير :

١: ٢٤٩، ٣٩٩، ٦٣٦

مضر بن نزار :

١: ٢٤٤

المضرب بن كعب بن زهير :

١: ٤٥٧، ٤٥٨

مضرس بن ربعىّ الفقعسىّ :

١: ٣٢٦

٢: ١١٩، ١٩٢

مطر الوراق :

١: ١٧٠

مطرود بن كعب الخزاعىّ :

٢: ٢٦٨

*مطيع بن إياس :

١: ١٢٨، ١٣١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ٢٧٥

معاذة بنت بدر :

١: ٢١٠

معاوية بن الحكم :

٢: ١٦٧

معاوية بن أبى سفيان :

١: ٨٠، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٨٦

معاوية بن عبد الكريم :

١: ٦٣

معاوية بن عمر الغلابىّ :

١: ١٧٣

معاوية بن مالك (معود الحكام) :

١: ١٩٣

معبد (بن وهب) :

٢: ٦٥

ابن المعتز :

١: ٤٣٨، ٥٣٤، ٥٨٨

٢: ٤٢، ١٢٧، ١٣٠

المعتصم:

١: ١٨٦، ١٩٥، ٣٠٠

٢: ٢٤٧، ٢٤٩

معديكرب الحميرى :

١: ٢٥٣

المعذل بن غيلان :

١: ١٧٩، ٣٣٢

معقّر بن حمار البارقىّ :

١: ٣٢٥

المعلى بن حنش العبدىّ :

١: ١٨٥

معمر بن المثنى أبو عبيدة :

١: ٣، ١٩، ٦٠، ٩٩، ١٣٤، ١٤٠، ١٦٠، ١٧٧، ١٩٣، ٢٢٩، ٢٤٩، ٢٩٧، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٧_٣٧٩، ٤٥٣، ٤٦٦، ٥٠٦، ٥١٠، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٨، ٦٣٩

٢_ ١٥، ٢٤، ٢٨٤

معن بن أوس :

١: ٢٥١

٢: ٢٦١

*معن بن زائدة الشيبانى :

١: ٢٢٢ (٢٢٣) ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٧٢، ٢٧٦، ٥٧٥، ٥٨٧، ٥٩٦

معود الحكام = معاوية بن مالك

المغيرة بن سعيد العجلىّ :

١: ١٤٠

المغيرة بن شعبة :

١: ٣٤٠

المغيرة بن محمد المهلبىّ :

١: ١٣٥، ١٣٦

المغيرة بن المهلب :

٢: ١٩٩، ٣٠١

المفضل بن سلمة الضبى :

١:١٣٣،٣٩٧، ٣٩١

٥٨:٢

المفضل بن المهلب :

٤٠٨،٤٠٧:١

ابن مقبل :

٤٦٧،٢٩١،٢١٧،١٠٤،٥٣:١

١٩١،١٧٣:٢

ابن المقفع = عبد الله بن المقفع

المقنع الكندى :

١٦١:٢

المكتفى بالله (الخليفة) :

٥٩٦،٥٩٥،٥٩٣:١

ابن مكرَم :

٣٠١:١

أبو مكية = الفرزدق

ابن ملحان :

٦٣٩:١

مليكة بنت حارثة :

٢١٠:١

الممزق العبدى :

١ : ٣٢٥

ابن مناذر :

١ : ٥٧٤

المنتشر بن وهب الباهلى :

١ : ٩٦ ، ٢٢٩

٢ : ١٩ ، ٢٠

المنذر بن محرق (المنذر بن امرىء القيس ابن عمر بن عدى اللخمى) :

١ : ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥

المنذر بن المنذر بن امرىء القيس :

١ : ٢٩٥

المنصور (الخليفة العباسى) :

١ : ١٠٠، ١٢٨، ١٣٦، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٧٦ ، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٠٢، ٥٩٦

٢ـ١٠

منصور النمرى :

١ : ٦٠٦ ، ٦١٢

٢ : ٢٧٤ ـ ٢٧٨

منفوسة بنت زيد الفوارس :

٢ : ١٦١ ، ٢٨٦

منقذ بن زياد الهلالى :

١ : ١٣١

أبو المنهال المهلبى :

١ : ٣٨١

المهدى (الخليفة العباسى) :
١٠٠:١، ١٣٤، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥،
١٧٤، ١٧٩، ٢٧٦، ٥١٩، ٥٢٢،
٢٨٨
١٢٩:٢
مهدىّ بن سابق :
٦٦:١
مهدى بن على الأصبهانىّ :
١٤١:٢
ابن مهرويه :
١٣٣:١، ١٣٨
المهلّب بن أبى صفرة :
١٩٩:٢
مهلهل بن ربيعة :
١٢٣:١ـ١٢٥
٢٥٧:٢، ٥٦٨
موسى (عليه السلام):
١ : ١٤٩، ١٦١، ١٧٩، ٢٩٧، ٣٤٩
٢ : ٤ ، ١٦٦، ١٩٧ ، ٢١٥ـ٢٢١ ،
٢٥٨ ، ٥٧٣ ، ٣٨٩
أبو موسى الأشعرىّ :
١ : ٢٩٢
موسى بن جعفر :
٢٧٥.١
موسى بن عبد الملك :
٣٠٠:١
موسى بن عيسى بن موسى :
٢٩٧:١
موسى الكاظم :
١٥١:١
المؤمل بن أميل المحاربىّ :
١٠٠:١، ٥٨٠
٩٦:٢
ميمون بن إبراهيم :
٣٦١:١
ميمون بن هارون الكاتب :
٩٥:١، ٥٠٦

(ن)

النابغة الجعدى = الجعدىّ
النابغة الذبيانى :
٣٤:١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٩٧، ١٨٥، ٢٠٢،
٢١٦، ٢٢٩، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥ ،
٣٣٣، ٣٧٩، ٤٤٦، ٤٨٦ ، ٥١٢ ،
٥١٣ ، ١٦١، ٥٦٢
٢ـ١٦، ١٧، ٩١، ١٦٠
نابغة بنى شيبان :
١٨٥:١، ٦٣٠
الناس بن مضر :
٢٤٤:١

نافع :
١ : ٨٩
الناقص = يزيد بن الوليد
النجاشى قيس بن عمرو :
٢ : ٢١٠
أبو النجم العجلىّ :
١ : ٤٠،٢١٦،٣٥٠
٢:١٤٧،٢٦٦
أبو نخيلة :
١ : ٥٨٠ ، ٥٨٢
أبو نصر (صاحب الأصمعى) :
٢ : ١٥١
نصر بن سيار :
١ : ٤١٤
نصيب الأصغر أبو الحجناء :
١ : ٤٣٨
نصيب الأكبر :
١ : ٦٠،٦١،٦٢،٢٨٣،٣٣٠،٤٣٦،
٤٤٧ ، ٥٨٠
النضر بن شميل :
١ : ٥
النظار الفقعسىّ :
١ : ٤٨٨
النظام = إبراهيم بن سيار
النعمان بن امرئ القيس :
١:٢٦٥
النعمان بن بشير :
١ : ١٢٦
النعمان المفّانى :
١ : ١٨١
النعمان بن المنذر :
١ : ٣٣، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠، ١٩١
١٩٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦
٢ : ١٦١
نفطويه = إبراهيم بن محمد بن عرفة
نفيع الأنصارى :
١ : ٢٧٥
النمر بن تولب :
١ : ٣٢٥
٢ : ١١٩
نهشل بن حرىّ :
١ : ٥٤٦ ، ٥٦٨
٢:٢٢٦ـ٢٢٨
نوح (عليه السلام):
١ : ٥٠٣ ، ٥٠٤
٢ : ١٧٠
النوار (زوج الفرزدق) :
١ : ٦٥

أبو نواس :
١٠٢:١، ١٣١، ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٧٢،
١٨٩، ١٩٧، ١٩٨، ٢٧٩ ، ٢٨٢،
٤٠٠ ، ٤١٥ ، ٥٢٥، ٥٧٣، ٥٩٦،
٥٩٧، ٦٠٧
١٢٦:٢، ١٣٤، ٢٥٥

(هـ)

الهادى (الخليفة) :
٢٧٦:١
هارون (عليه السلام) :
١٩٦:٢_١٩٧
هارون الرشيد = الرشيد
أبوهاشم الجبائى (عبدالسلام بنأبى على)
١٠:١
٢: ١٦٥، ٣١٥، ٣٢٥_٣٢٧، ٣٦٣
أبو هاشم عبدالله بن محمد بنالحنفية :
١٦٥:١
هاشم بن عبد مناف :
٢٦٩:٢
هبيرة :
١ : ٢٠٦
ابن هبيرة = عمر بنهبيرة
*أبو الهذيل العلاف :
١ : ١٤٤، (١٧٨_١٨٣)، ١٨٦

ابن هرمة (إبراهيم):
٣٢٦:١، ٤٦٢، ٥٧١
١١٣:٢، ١١٦
الهروىّ :
١ : ٦١
أبو هريرة الدوسىّ (عبد الرحمن بن صخر) :
٥٥:١، ٦٦، ٤٥٤، ٦٣٠
٨٢:٢، ٢٠١
هشام بن حسان :
٤٥٤:١
هشام بن الحكم :
١٧٦:١، ١٧٧
هشام بن عبد الملك :
٥١:١، ٦٩، ١٦٦، ٢٨٤، ٤٠٩
٢٦١:٢
هشام بن محمد الكلبىّ :
٢٦٥:١
هشام بن المنذر :
٩٧:١
أبو هفان :
٤١٤:١، ٥٠١، ٥٩٩
٢٤٢:٢
هلال بن خثعم :
٣٧٩:١
همام بن غالب = الفرزدق

همام بن محمد بن السائب :
١ :٩٧
هند بنت أسماء بن خارجة :
١ : ١٥
هند بنت المفضل :
١ :٤٠٧
أبو الهندىّ :
٢ :٢٩١
هوذة بن على :
٢ :١٧٢
أم الهيثم :
٢ :١٧٦
الهيثم بن الأسود :
١ :٢٩١
هيثم بن الربيع = أبو حية النميرى
الهيثم بن عدى :
١ :١٤٢، ٢٤٩
٢ :٢٦١
هيان بن أبى قحافة :
٢ :٢٦٦

(و)

الوأواء :
٢ :١٢٩
الواثق (الخليفة) :
١ :١٨٦، ٢٨٦، ٤٨٦
*واصل بن عطاء :
١ : ١٣٩، ١٤٠، (١٦٣، ١٦٩)، ١٧٨،
والبة بن الحباب :
١ :١٣١، ١٣٢
الوالبى = رفيع
أبو الوالى :
١ : ٢٢٦
وحوح بن عبد الله :
١ :٢٦٨
أبو وجزة السعدىّ :
١ : ٤٦١
٢ : ١١١
ودفة الأسدى :
١ :٢٢٢، ٢٢٣
ورقاء بن زهير .
١ :٢١٣
الوزير المغربىّ (أبوالقاسم) :
١ :٣٢٩
وكيع :
١ :١٩٧، ٣٠٢
ولادة المهزمية :
٢ :٢٤١
الوليد بن أحمد بن أبى دؤاد :
١ :٣٠٢

الوليد بن عبد الملك :
٢٩٥:١
٦٥:٢
الوليدبن عتبة:
٣٤٢:١
الوليد بن عقبة :
١ : ١١٠
الوليد بن المغيرة :
١٢١:١
*الوليدبن يزيد :
١: (١٢٨-١٣١)، ٢٧٧
وهب بن زمعة = أبو دهبل
وهب بن منبه :
١ : ٦٠

(ى)

يحيي (رجل من بنى حنيفة) :
١ : ٣٥٢
يحيي بن أكثم :
٦،٥:٢
يحيي بن البحترى :
١ : ٤٨٣
٢ : ٤٤
يحيي بن الحسن العلوىّ :
١ : ٦٧
يحيي بن خالد البرمكىّ :
١٠٢:١، ٢٨٣، ٢٩٠، ٥٢٤، ٦٠٩
*يحيي بن زياد الحارثى:
١: ١٢٨، ١٣١، ١٣٥، ١٣٦ (١٤٢-١٤٤)
يحيي بن طلحة :
٢٨٧:١
يحيي بن على المنجم :
١٣٤:١، ١٤٦، ٤١٤، ٤٨٥، ٥٩٣، ٥٩٥، ٥٩٦
٢٦١:٢
يحيي بن معلى الكاتب :
١ : ١٣١
يحيي بن يعمر :
٢ : ٢٨٠
يزيد بن عبد الملك :
١٥٩:١
٦٥،٦٦:٢
يزيد بن عمر بن هبيرة :
٢٢٣:١، ٢٢٤
يزيد بن الفيض :
١٣١:١
يزيد مزيد الشيبانىّ :
١٤٦:١
يزيد أبى مسلم :
٢٩٥:١
يزيد بن الكسر :

١:٥٧٣

يز يدبن معاوية:

١:٢٧٥،٢٧٧،٢٨٦

يزيد بن مفرغ الحميرىّ :

١:٥٢،٤٤٠

يزيد بن المهلّب :

١ : ٥٩

٢:١٠٥

يزيد بن الوليد الناقص :

١:١٢٨،١٢٩

يسار (والد الحسن البصرى) :

١:١٥٢

يسار(اسم راعٍ) :

١:٨٠،٨١

يسار (روى عن معاوية) :

٢:١٦٧

يعفر بن زرعة :

١:٢٥٨

يعقوب (عليه السلام) :

١:١٠٥،١٠٦،١٦١

يعقوب (لغوىّ):

١ : ٢٤٠

يعقوب بن إسحاق النوبختى :

١:٥٦٩

أبو يعقوب الخريمى :

١:٢٧٥

يعقوب بن داود:

١:١٤١

يعقوب بن السكيت :

١:٩٦،١٧١،٤١٨

٢:٨٣،١٨٩،١٩٠

يموت بن المزرع .

١:١٩٧،١٩٩،٤٣٧

٢:٩،٤٤

يوسف (عليه السلام):

١:١٠٥،١٠٦،٤٥٢،٤٧٧،٤٨٩

٢ : ٧١

أبو يوسف :

١ : ٢٥٢

يوسف بن يحيى المنجم :

١:٢٢٤

٢:١٣٤،١٣٧

يونس بن حبيب الضبى :

١:٦٠،٢٥٧،٣٠٤

يونس بن عبيد :

١:١٧١

يونس بن أبى فروة :

١ : ١٣١ ، ١٣٢

يونس بن متى :

١ : ٦٦

٩ ـ فهرس القبائل والأمم والجماعات

(أ)

بنو إباض :
١: ٩٢، ٩٣

أرحب :
٢: ١٩٩

الأزد :
١: ٢٨٨
٢: ١٤٨

أسد :
١ : ٣٦، ٤٥٨
٢: ١٥٨، ٢٤٠، ٢٦٩

(ب)

بنو إسرائيل :
٢: ١٩٦، ٣٢١

بنو أمية :
١: ٢٥٣، ٢٩٠، ٢٩٥

الأنصار :
١: ١٥٢

باهلة :
١: ١١٦، ٢٢٩، ٢٨٨

بجيلة :
١: ٥٠٦

بنو بدر :
١: ٥٣١

البرامكة :
١: ٣٠٠
٢: ٢٧٤

بكر بن وائل :
١: ٧، ١٦، ٣٧، ١٠٨،
٢٨٨، ٣٠٤

أهل البيت :
١: ٧٧

(ت)

التبابعة :
٢: ١٠

تميم :
١: ١٧، ٦٥، ٢٨٩، ٣٨٤،
٥٠١
٢: ٢٦٢، ٢٨٤

(ث)

بنو ثعلبة بن سعد :
١: ٢٠٨

(ج)

جديلة عدوان :
١: ٢٥٠

أولاد جفنة :
١: ٣٥
٢: ٧٤

جمح :
١: ٢٩٥

(ح)

الحمادون :
١: ١٨٧

حمير :
١: ٢٩١

بنو حنيفة :
١: ٣٥٢

(خ)

خثعم :
١: ٣٣٧

(د)

بنو دارم :
١: ٦٧

الدؤل :
١: ٣٣٤

بنو الديل بن بكر :
١: ٣٤٧

(ذ)

ذبيان :
٢: ١٤٨، ١٦٠

ذهل :
١: ١١٣

(ر)

الرباب :
١: ٢٨٨

بنو ربيع :
١: ٢٥٥

ربيعة :
١:٧،١٧١
٢: ٥٦
الروم :
١:٥٠،٥٩٣

(ز)

الزبيريون :
١: ٢٩٩؟
بنو زياد :
١:٢٢٦

(س)

سبأ :
٢:٣١٩
سدوس :
١:١٤٠
بنو سعد :
٢:٣١،٢٤٢،٢٦٩
بنو السمط :
٢:٤٣
سهم باهلة :
١:١١٦
سهم قريش :
١:١١٦

(ش)

آل الشريد :
١:٩٧
شيبان :
١:١١٣،٢٢٦،٢٢٧

(ض)

ضبة :
١:١٦٣

(ط)

الطالبيون :
٢:٢٧٥
طفاوة :
١:٦٥
طيء :
١:٤١٦

(ع)

عامر بن صعصعة :
١:٢١٢،٣٦٠،٤٩٩
٢:١١٤
العباد :
١:٣٣
عبد الدار :
١:٢٩٥
عبد قيس :
١:١٧٩،٣٢٥
بنو عبد المدان :
١:١٠٢
آل عبد مناف :
٢:٨،٢٦٢
عبس :
١:٢١٤
٢:١١٨
العبلات :
١:٣٤٧
العجم :
١:٣٦٠
بنو العدوية :
١: ١٦٩
بنو العشراء :
١:٢٠٨
بنو عقيل :
١:١٠٤،٥٣٠
آل عمران :
١: ٣١
بنو العنبر:
١:١٦،٥٠٠،٥٧١

(غ)

غسان :
١:٣٥
غطفان :
٢:١٧
بنو غنم :
٢:٢٧٤
غنيّ :
١:٢١٢،٢٨٨

(ف)

فزارة :
١:٢٠٨ــ٢١٠،٤٣٦
٢:٢٦٤،٢٧٦

(ق)

قريش :

١:١١،٥١،١١٦،٢٥٤،
٢٦٧ ، ٢٧٥ ،٢٧٧،
٢٩٦ ، ٣٤٢، ٣٦٠،
٣٧٧

٢ : ٨

بنو قريظة :

١:٧٨،٢٦٢،٣٩٢

قشير :

١:٢٨٩

قضاعة :

٢:٨

قيس :

١:١٥

٢:٧٢

(ك)

كعب :

١:٢٨٩

كلاب :

١:٢٨٩،٤٩٤،٥٠٨

كلب :

٢ : ١٠٤

كنانة :

١:٢٥٧،٣٨٤

(ل)

اللهازم :

١ : ١١٣

لؤىّ :

١:٣٦٣

(م)

مجاشع :

٢:٧٢

مخزوم :

١:١٣٦،٢٩٥،٢٩٧

بنو مرة بن عوف :

٢:١٥١

بنو مروان :

١:٥١،١٧٣

المسوّدة :

١:٢٩٠

مضر :

١:١٧١

٢:٥٦

آل مطرف :

١:٥٨

معد :

١:٢٦٢

آل المهلب :

١:٥٧

(ن)

نبط الشام :

١:٢٢٧

النبيط :

١:٢٦١

بنو النضير :

١:٢٦٢،٣٩٢

النصارى :

١:١٣٠

٢:٣٨٢

النمر بن قاسط :

١: ٢٠٧

بنو نمير :

١:١٨٦،٢٨٩،٣٢٣

النوابغ :

١: ١٨٥

(هـ)

بنو هاشم :

١:٦٢،٦٦،٦٧،١٦٣،٢٢٧

هذيل :

١:٣٥٤

بنو هنى :

٢:٢٨٥

هوزان :

١:٢١١،٢١٢

هلال بن عامر :

١:٢٦٨

(ى)

يربوع :

١:١١٣

اليهود :

١:١١

٢:٣،٢٨٢،٣٨٢

١٠ ـ فهرس الأماكن

(أ)

الأبرق : ١:٥٩

أبرق العزاف : ٢:٢٦٩

أحد : ١:٦٦

الأحساء : ١:٤٣٨

أذرعات : ١:٣٩٧

أصبهان : ١:٢٦٤

أغدرة السيدان : ٢:٨٨

الأهواز : ١:١٢،٣٨٤،٤٨٦

(ب)

باب الجسر (موضع ببغداد): ١:١٠١

البحرين : ١:١٨٥ ، ٢:٨٨

بدر : ١:٣٤١ـ٣٤٣

البذ : ٢:٢٥١

البرقاء : ١:٤٣٢

البِشْر : ١:٢٦٧

البصرة : ١:٦٣، ١٣٦، ١٦١، ١٧٦ـ١٧٨، ١٨٠، ٢٨٥، ٣٠٢، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠١ ، ٢:٨٨،١٤٨،٢٦٢

بُصرى : ١:٥٤

البطحاء : ١:٦٨

بغداد : ١:٥،٦، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٣، ١٨٦ ، ٢:٤٣،٢٢٩

بقعاء : ١:٣٩٣

البقيع : ١:١٤٩

البلاكث : ١:٢٦٩

بيت المقدس : ٢:٣٠٩

(ت)

تبنى : ١:٥٤

تكريت : ١:٥٩٣

التوباذ : ٢:٣١٠

(ث)

ثهْلان (جبل) : ٢:٤٥

(ج)

جاسم : ١:٥٤

جباء : ١:١٢

الجحفة : ١:٦١

جدود : ١:١١٣،١١٤

الجزيرة : ١:٢٢٩ ، ٢:٤٣،١٤٨

جفر الهباءة :
١:٢١٤
جيحان :
١:٥٦٧
الجيزة :
١:٦٢

(ح)

حباش :
٢:٢١٤
الحبشة :
٢:٦٥
الحجاز :
١:٥٨، ٢٩٦
حران :
١:٥١٠
حرة ليلى
٢:١٥١
الحطيم :
١:٦٨
حلب :
١:١٤٦
حمص :
٢:٤٣
حنة :
١:٥٩٣
الحيرة :
١:١٨٤، ٢٦٠، ٢٦٢
٢:١٤٨

(خ)

خراسان :
١:٢٢٥، ٥١٠
٢:٩٠، ١٠٥
خضراء واسط :
١:١٦٠
الخط :
١ : ٥٦٧
الخورنق :
١:٢٦٢

(د)

دابق :
١:٥١
الدحرضان :
٢:٨٤
دهلك :
٢:٦٥
الدهناء :
١:١٧، ٤٣٨
دياف :
١:٢٢٩
دير سعد :
١:٣٧٣
الدينور :
١ : ٦

(ذ)

ذات الإصاد :
١:٢٠٨
ذات أوشال :
١:٦١
ذات الغضا :
٢ : ١٥٠

(ر)

رأس عين :
٢:٢٧٦
رامة :
١:٥٢
رامهرمز :
١:٣٨٤
الرقة :
١:١٤٦

(س)

سجستان
١:٢٢٨، ٦٣٩
سجن مالك بن المنذر :
١:٦٣
السدير :
١:٢٦٢

سرّق :
١ : ٣٨٤
سرّ من رأى :
٣٠٢:١
السقيفة :
٢٧٤:١
سمرقند :
٢٨٧:١
السواد :
٢٨٤:١

(ش)

الشام :
١:٥٤، ٦١، ٦٩، ١٥١،
١٨٥، ٢٢٩، ٢٦١،
٢٦٧، ٢٨٥، ٣٢٩،
٥١٠، ٥٣٩
٢ : ١٩
شدن :
٢ : ٧٢
صرخد :
٣٨٤:١
الصغد :
٢ : ١٠
صفين :
١٥٢:١، ٢٧٦

الصمّان :
١ : ١٧

(ض)

ضرية :
٤٩٤:١

(ط)

طرسوس :
١ : ٥
طرطر :
٣٢٩:١
الطف :
١١٨:١
الطهيان (جبل) :
٤٢٠:١

(ع)

العراق:
١ : ٣٥ ، ١٨٥، ٢٨٤،
٥١٠
١٩:٢، ١٤٨، ١٥٣
عسفان :
١ : ٦٩
العقيق :
٦٦:١
عكاظ :
٢٦٥:١

١١٠:٢

(ف)

الفرات :
١٤٦:١

(ق)

قباء :
٦٦:١، ٩٩

(ك)

كابل :
١٦٩:٦
كارور :
١٢:١
الكعبة :
٦٣:١، ٦٨، ٦٩، ١٢٩،
٢٨٤
الكلاب :
١١٣:١
الكناسة :
٣٣٢:١
الكوفة :
١ : ٦١، ١١٨ ، ١٢٧،
١٦٣ ، ١٨٦، ٢٢٤،
٣٣٢
٣٠٦:٢

(ل)

اللاقاطة :

١:٢١٠

(م)

المدينة :

١:٦١،٦٩،١٦٤،٢٧٧

٢:٦٥،١٤٨

المسجد الحرام :

١:١٧٠

مسجد الكوفة :

١:٦١

مصر :

١:٦٢

٢:١٤٨

مكة :

١:٥، ٦١، ٦٩، ١٦٣،
١٧٨، ٣٤٢

٢:٦،١٤٨

منبج :

١:٣٢٩

منى :

١ : ٣٣٠

الموصل :

٢:١٤٨

ميسان :

١:١٩٢

(ن)

نجد :

١:١٥١،١٥٣

نجران :

٢:٤١

النهروان :

١:١٠٠

(هـ)

الهاشمية :

١:٢٢٤

الهباءة :

١:٢١٤

هجر :

١:٢٩٩

هراة :

١:٥

(و)

واردات :

١:٢٠٨

ودان :

١:٦١

(ى)

يثرب :

٢:١٤٨

اليمامة :

١:٢٩٥،٣٥٢

٢:٤١،١٥١

اليمن :

١:٢٢٥، ٢٢٦، ٢٩١،
٣٤٣

٢ : ٦٥،٧٢

١١ ـ فهرس الفرق

(أ)

الأئمة الإثنا عشر :

١:١٤٥

(ج)

الجبرية:

١:٢١،٥٢٩

(خ)

الخوارج :

١: ٣٦٥، ١٦٦، ٢٧٣،
٦٣٦،٦٣٩،

٢ : ٩

(د)

الدهرية :

٢:٣٢٩

(ز)

الزيدية :

١:١٦٦

(س)

السوفسطائية :

٢ : ٣٩٢

(ش)

الشراة :

١ : ٦٣٥

الشيعة :

١ : ١٨ ، ١٦٦

(ص)

الصفرية :

١:٦٣٥

(غ)

الغالية :

١:١٤٠

(ق)

القدرية :

١ : ١٨٦

القعد :

١:٦٣٥

(م)

المرجئة :

١:١٦٦

المعتزلة :

١: ١٠، ١٣، ١٩، ٢١،
١٨٦،١٨٧

٢:٣٤٨،٣٦٨

المغيرية :

١:١٤٠

(ن)

النظامية :

١ : ٨٧

١٢ ـ فهرس الأيام

(أ)

يوم الأحزاب :

١ : ٦٧

(ب)

حرب البسوس :

١٢٤:١

(ت)

يوم التحلاق :

١ : ١٢٤

(ج)

يوم جدود :

١ : ١١٣ـ١١٤

(خ)

أيام الخنان :

١ : ٢٦٤

(د)

يوم داحس والغبراء :

٢٠٨:١ـ٢١٤

(ذ)

يوم ذى قار :

٥٧٣:١

(ك)

يوم الكلاب الأول :

١١٣:١

(هـ)

يوم الهاشمية :

٢٢٤:١

ليلة الهرير :

٢٧٦:١

يوم الهباءة :

٢١٤:١

(و)

يوم واسط :

٢٢٥:١

١٣ ـ فهرس الكتب التى ذكرها المرتضى فى كتابه

البيان والتبيين :

١: ١٥

تفسير أبى مسلم الأصبهانى

١: ١٣، ٧٣

٢: ٩٩، ٢٣٤، ٣٠٥

ديوان الحماسة لأبى تمام :

١: ١١٨

طبقات الشعراء لابن سلام :

١: ٢٥٣، ٢٥٧

عيون الأخبار لابن قتيبة :

١: ١٥

غريب الحديث لأبى عبيد :

١: ٥، ١٧، ٤٥٤

٢: ٥٠

غريب الحديث لابن قتيبة :

١: ٥ـ٦، ١٨، ٣١

كتاب المعمرين لأبى حاتم :

١: ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٦٣

الموازنة بين أبى تمام والبحترى للآمدى :

١: ٦١١، ٦١٣، ٦٢٤، ٦٢٥

٢: ٩١، ٩٢، ٩٤

نوادر أبى زيد :

٢: ٢٨٦

١٤ ـ فهرس مراجع الشرح والتحقيق

أخبار النحويين للسيرافى
المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٣٦م

أدب الكاتب لابن قتيبة
المطبعة الرحمانية ١٣٥٥

الاستيعاب لابن عبد البر
حيدر أباد ١٣١٨

أسد الغابة لابن الأثير
المطبعة الوهبية ١٢٨٦

أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى
الترقى بمصر ١٣٢٠

الاشتقاق لابن دريد ، تحقيق وستنفلد
جوتنجن ١٨٥٣ م

الإصابة لابن حجر
السعادة ١٣٢٣

إصلاح المنطق لابن السكيت بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون
المعارف ١٣٧٠

الأصمعيات للأصمعى
ليبسك ١٩٠٢ م

الأضداد لابن الأنبارى
الحسينية ١٣٢٥

الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى
التقدم ١٣٢٣ ، ودار الكتب المصرية

الاقتضاب لابن السيد البطليوسى
بيروت ١٩٠١ م

أمالى الزجاجى
السعادة ١٣٢٤

أمالى القالى
دار الكتب المصرية ١٣٤٤

أمالى اليزيدى
حيدر أباد ١٣٦٧

أمراء البيان لمحمد كرد على
لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧م

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ؛ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
دار الكتب المصرية ١٩٥٠م

البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون
مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٣٦٧

تاج العروس للزبيدى
القاهرة ١٣٠٦

تاريخ ابن الأثير
إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٨

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى
السعادة ١٣٤٩

تاريخ الطبرى
الحسينية ١٣٣٦
تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة
مطبعة كردستان ١٣٢٦
تزيين الأسواق لداود الأنطاكىّ
الأزهرية ١٣٢٨
التطفيل للخطيب البغدادىّ
التوفيق بدمشق ١٣٤٦
تنوير الأبصار للشيخ الشبلنجى
المطبعة المحمودية ١٣١٣
ثمار القلوب للثعالبى
الظاهر ١٣٢٦
جمهرة أشعار العرب
المطبعة الرحمانية ١٣٤٥
جمهرة الأنساب لابن حزم ، تحقيق
بروفنسال
المعارف ١٩٤٠م
ابن أبى الحديد = شرح نهج البلاغة
حماسة البحترى
الرحمانية ١٩٢٩م
حماسة أبى تمام بشرح التبريزى، تحقيق
محمد محيى الدين عبد الحميد
مطبعة حجازى بمصر ١٣٥٧
حماسة أبى تمام بشرح المرزوقى، تحقيق
أحمد أمين وعبد السلام هارون
مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر
١٩٥١ م
حماسة ابن الشجرى
حيدر أباد ١٣٤٥
الحيوان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام
هارون
مطبعة مصطفى الحلبى ١٣٥٧
خاص الخاص للثعالبى
السعادة ١٣٢٦
خزانة الأدب للبغدادى
بولاق ١٢٩٩
ابن خلكان
الميمنية ١٣١٠
ديوان إبراهيم بن العباس الصولىّ ؛
(ضمن مجموعة الطرائف الأدبية)
ديوان الأخطل
بيروت ١٨٩١ م
ديوان الأعشى ، بتحقيق جاير
ڤينا ١٩٢٧ م
ديوان امرئ القيس
هندية بمصر ١٣٢٤

ديوان أوس بن حجر
ڤينا ١٨٩٢ م
ديوان البحترى :
مطبعة هندية ١٣٢٩
ديوان بشار بشرح ابن عاشور
لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٣٦٩
ديوان أبى تمام، شرح محيي الدين الخياط
بيروت ١٣٦٩
ديوان جران العود
دار الكتب المصرية ١٣٥٠
ديوان جرير، حققه ونشره عبدالله الصاوى
مطبعة الصاوى بمصر ١٣٥٣
ديوان حاتم الطائى (ضمن مجموعة خمسة دواوين)
المطبعة الوهبية ١٢٩٣
ديوان حسان بن ثابت
مطبعة الإمام بمصر ١٣٢١
ديوان الحطيئة
التقدم بالقاهرة
ديوان حميد بن ثور
دار الكتب المصرية ١٩٥١م
ديوان الخنساء
المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٥م
ديوان ابن دريد، جمعه وشرحه السيد محمد بدر الدين العلوى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٩٤٦م
ديوان ابن الدمينة
المنار ١٣٣٧
ديوان رؤبة
ليبسك ١٩٠٢
ديوان ابن الرومى
(مخطوطة دار الكتب المصرية ١٣٩ـ أدب)
ديوان ذى الرمة
كمبردج ١٩١٩م
ديوان زهير بن أبى سلمى
مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٣
ديوان الشماخ
السعادة ١٣٢٧
ديوان طرفة
قازان ١٩٠٩م
ديوان الطرماح
ليدن ١٩٢٧ م
ديوان طفيل الغنوى
ليدن ١٩٢٧ م
ديوان العباس بن الأحنف
الجوائب ١٢٩٨
ديوان عبيد بن الأبرص
مطبعة المعارف بمصر
ديوان أبى العتاهية
بيروت ١٩١٤

ديوان عروة بن حزام
مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب المصرية ٧٠ أدب
ديوان عروة بن الورد
الجزائر ١٩٢٦م
ديوان علقمة (ضمن مجموعة خمسة دواوين)
المطبعة الوهبية ١٢٩٣
ديوان على بن الجهم بتحقيق خليل مردم
دمشق ١٩٤٩م
ديوان عمر بن أبى ربيعة
المطبعة الميمنية ١٣١١ ، ومطبعة السعادة ١٣٧١
ديوان الفرزدق ، نشره وحققه عبد الله الصاوى
مطبعة الصاوى بمصر سنة ١٣٥٤
ديوان القطامى
برلين ١٩٠٢م
ديوان كثير
الجزائر ١٩٢٨
ديوان كعب بن زهير
دار الكتب المصرية ١٩٥٠م
ديوان لبيد
فينا ١٨٨٠م
ديوان المتلمس
ليبسك ١٩٠٣

ديوان المتنبى ، بشرح العكبرى
مطبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة ١٣٥٥
ديوان مزاحم العقيلى ، نشره : ف . كرنكو
المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٢٢م
ديوان مسلم بن الوليد
ليدن ١٨٧٥م
ديوان المعانى ، لأبى هلال العسكرى
القاهرة ١٣٥٢
ديوان ابن المعتز
المحروسة ١٨٩١م
ديوان النابغة الذبيانى (ضمن خمسة دواوين)
المطبعة الوهبية ١٢٩٣
ديوان أبى نواس
العمومية ١٨٩٨م
ديوان الهذليين
دار الكتب المصرية ١٣٦٤
رسالة الغفران ، لأبى العلاء المعرى
هندية بمصر ١٩٠٣م
الروض الأنف للسهيلى
الجمالية ١٣٣٢
زهر الآداب للحصرى ، تحقيق زكى مبارك
المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٥م
وتحقيق على محمد البجاوى
مطبعة عيسى الحلبى ١٩٥٣م

الزهرة ، لأبى بكر الأصفهانى
بيروت ١٩٢٣م
شرح العيون لابن زيدون
الموسوعات بمصر ١٣٢١
سيرة ابن هشام، تحقيق محمدمحيي الدين
مطبعة حجازى بمصر ١٣٥٦
شذرات الذهب لابن العماد
مكتبة القدس ١٣٥٠
شرح شواهد سيبويه للأعلم
(على حاشية الكتاب)
شرح شواهدالعينى (على حاشية خزانة الأدب للبغدادى)
شرح شواهد المغنى ، للسيوطى
المطبعة البهية بمصر ١٣٢٢
شرح ابن عقيل
السعادة ١٣٦٧
شرح المختار من شعر بشار
مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٣٥٣
شرح مقامات الحريرى للشريشي
بولاق ١٣٠٠
شرح النقائض لأبى عبيدة
ليدن ١٩٠٥م
شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد
الميمنية ١٣٢٩
الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر
مطبعة عيسى الحلبى ١٣٦٤
شعر الشنفرى (ضمن مجموعةالطرائف الأدبية)
شعراءالنصرانيةفى الجاهلية،لويس شيخو
بيروت ١٩٢٦م
الشهاب فى الشيب والشباب، للشريف المرتضى
الجوائب ١٣٠٢
كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى
مطبعة عيسى الحلبى ١٣٧١
طبقات الشعراءلابن سلام ، تحقيق محمود محمد شاكر
مطبعة المعارف سنة ١٣٧١
طبقات النحويين واللغويين للزبيدى
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
السعادة ١٣٧١
الطرائف الأدبية جمعها وحققها عبدالعزيز الميمنى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر سنة ١٩٣٧م
العقد الفريد لابن عبد ربه
لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٣٥٩
العمدة لابن رشيق
السعادة ١٩٠٧ م

عيون الأخبار ، لابن قتيبة
مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣
عيون التواريخ
مخطوطة دار الكتب المصرية ٩٤٩، ١٤٩٧ تاريخ
الفاضل والمفضول ، للمبرد
مطبعة دار الكتب المصرية
الفائق فى غريب الحديث ، للزمخشرى
مطبعة عيسى الحلبى ١٣٤٦
الفرق بين الفرق للبغدادى
المعارف ١٣٢٨
الفهرست لابن النديم
ليبسك ١٨٧١م
فوات الوفيات ، لابن شاكر
مطبعة بولاق ١٢٨٣
القراءات الشاذة لابن خالويه
الرحمانية ١٩٣٤م
الكامل لابن الأثير = تاريخ ابن الأثير
الكامل للمبرد ، بشرح المرصفى
مطبعة النهضة بمصر ١٣٤٦
الكتاب ، لسيبويه
بولاق ١٣١٦
الكشاف للزمخشرى
المطبعة البهية بمصر سنة ١٣٤٣
كشف الظنون ، لحاجى خليفة
الآستانة ١٣٦٠
الكنايات للجرجانى
السعادة ١٣٢٦
اللآلى فى شرح أمالى القالى ، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٣٥٤
لامية العرب ، بشرح الزمخشرى
مطبعة مصر ١٣٢٨
لباب الآداب ، تحقيق أحمد شاكر
الرحمانية ١٣٥٤
لزوم مالا يلزم ، للمعرى
مطبعة الجمالية بمصر سنة ١٩١٥م
لسان العرب لابن منظور
بولاق ١٣٠٠
لسان الميزان لابن حجر
حيدر أباد ١٣٢٩
مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون
المعارف ١٩٤٨ م
المجالس المذكورة للعلماء
مصورة دار الكتب المصرية برقم ١٩٦٣٣ ز
مجمع الأمثال ، للميدانى
المطبعة البهية ١٣٤٢
مجموعة المعانى
مطبعة الجوائب ١٣٠١

المحاسن والأضداد ، للجاحظ
السعادة ١٣٣٠
مختارات ابن الشجرى
مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٣٤٤
المخصص لابن سيده
بولاق ١٣١٨
المرزبانى = معجم الشعراء
المزهر للسيوطى
مطبعة عيسى الحلبى
مصارع العشاق
الجوائب ١٣٠١
المعارف لابن قتيبة
المطبعة الإسلامية بمصر ١٣٥٣
معانى الشعر لابن قتيبة
حيدر أباد ١٩٤٩
معانى العسكرى = ديوان المعانى
معاهد التنصيص ، تحقيق محمد محي
الدين عبد الحميد
مطبعة السعادة ١٣٦٧
معجم الأدباء لياقوت
دار المأمون ١٩٣٦م
معجم البلدان لياقوت
السعادة ١٣٢٣
معجم الشعراء للمرزبانى
طبع القاهرة سنة ١٣٥٤
معجم ما استعجم للبكرى ، بتحقيق
مصطفى السقا
مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر
سنة ١٣٦٤
المعلقات بشرح التبريزى
المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٣
كتاب المعمرين لأبى حاتم السجستانى
مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٣
مفاتيح العلوم للخوارزمى
محمد منير ١٣٤٢
المفضليات لابن الأنبارى
طبع بيروت ١٩١٢ م والمعارف
بمصر ١٣٧١
مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصفهانى ،
تحقيق السيد صقر
مطبعة عيسى الحلبى ١٣٦٨
مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق عبد
السلام هارون
مطبعة عيسى الحلبى سنة ١٣٦٦
الملل والنحل للشهرستانى
المطبعة العثمانية بالهند ١٢٦٣
الموازنة بين أبى تمام والبحترى
بيروت ١٣٣٢
المؤتلف والمختلف للآمدى
القدس ١٣٥٤

الموشح للمرزبانى

المطبعة السلفية ١٣٤٣

الميسر والقداح لابن قتيبة

السلفية ١٣٤٢

النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى

دار الكتب المصرية ١٩٢٩ م

نكت الهميان، للصفدى

القاهرة ١٩١٠ م

النهاية لابن الأثير

العثمانية ١٣١١

نوادر أبى زيد

بيروت ١٨٩٤م

نوادر المخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون

مطبعة السعادة ١٩٥١ م

الوزراء والكتاب للجهشيارى

مطبعة مصطفى الحلبى بمصر ١٣٥٧

الوساطة بين المتنبي وخصومه

مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٤

وفيات الأعيان = ابن خلكان

تصويبات الجزء الأول*

ص	س	
١٣م	١٦	على ما ذكره بروكلمان
٢٥م	١٦	ولم يذكر فيها
٣٠	١	[غافر : ٨]
٤٢	١	عداوةٍ
٤٦	١٢	ووقَرْتَ
١٠٠	٢٠	خليفةِ
١٠٩	٩	والجميل
١١٠	١٠	يغضبوا(١)
١٢١	١٣	ثَنَّوها
١٢٤	١٠	لنعم الفتى
١٤٠	١٣	أو يغلبَ
١٤٧	٣	نجُبُ
١٤٩	١٩	جابر بن حيان
١٥٦	٣	أبي عبيد
١٨٠	٢	[التوبة : ٤٢]
١٨٩	١٣	مالك بن جعفر
٢٠٥	١٧	وليثِ
٢٠٧	١٢	جاور
٢١٩	١١	وابرنتى ابرنتاء
٢٢٠	١٧	قال : نبخاء
٢٢٤	٣	ابن عمر بن هبيرة
٢٢٦	١٥	معْن

ص	س	
٢٢٨	٣	[النساء : ١٥٥]
٢٣٧	١٢	والحالة
٢٥٦	٥	والآلى
٢٦٩	١١	أبو الشمقمق
٢٨١	١٥،١٤	تُسِفُّ
٢٩٩	١٠	: ٣٠ ، ٤٤
٣٠١	١٨	[البقرة : ١٢٠]
٣٠٢	٢	[الممتحنة : ٨]
٣٠٢	١٠	[البقرة : ٢٤٩]
٣٠٣	١٠	أبي الصقر إسماعيل
٣١٩	٣	مقاليتَها
٣٣٣	١٤	لا نخفهِ
٣٣٥	٢٢	فدخل مسرور
٣٦٥	٦	[إبراهيم : ٩]
٣٧٢	١٥	عبد الملك
٣٧٧	٨	« لا يُورِدُ
٣٨١	٦	الطلالِ
٣٨٢	٢١	حبُّ
٣٨٣	٧	ياطالبَ
٣٨٥	٦	مطبق
٣٨٦	١٩،١٨	الحِظاء
٣٨٩	١٣	حسنٌ لو

(*) أثبتنا بعض التصويب فى نهاية الجزء الأول ، ونثبت هنا مافاتنا استدراكه .

ص	س	
٣٩٣	٤	أنَّى سربْتِ
٤٠٧	٩	أبو عبد الله الحكيمى
٤١٩	١٧	[القصص : ٧٣]
٤١٩	١٨	كثير النظائر
٤٢٧	١٨	[الواقعة : ٧٧ـ٧٩]
٤٢٩	١٩	ديوان ذى الرمة : ٣٨
٤٦٣	٨	حَيِيتُ
٤٩٥	٤	أميم القلبِ
٥١١	٣	أقحُوانٍ

ص	س	
٥٤٢	١٧	فى الجِدِّ
٥٨٢	١٢	رملٍ
٥٨٢	١٩	وذو زهاء
٦٠٢	٦	يُورَدُه
٦٠٢	١١	المَغَبّة
٦٠٦	٩	ولمحمد بن حازم
٦٢٣	٢١	حُلَلُ
٦٣٢	١٣	لم يكن ذلك
٦٣٥	٢٣	فـكلٌّ

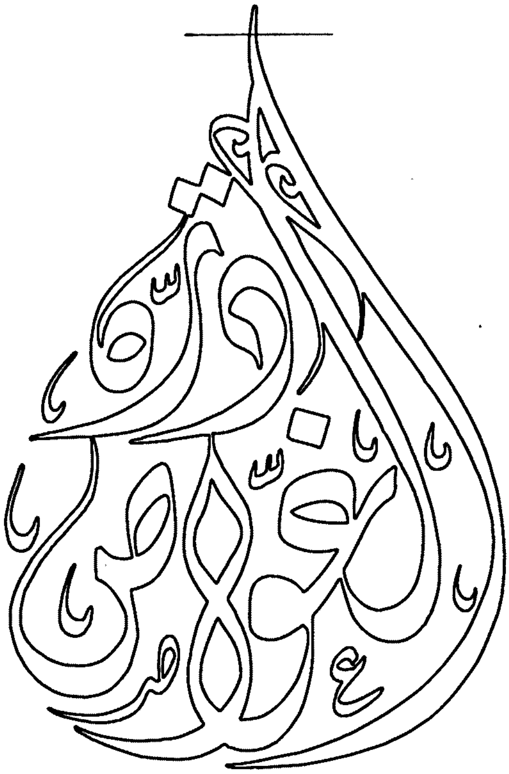

تصويبات الجزء الثانى

ص	س	
٣٠	١	دُسَّت
٣٠	٥	إلا مرأتين
٤١	١٢	حملتَ
٤٦	٤	[المائدة : ٢٨، ٢٩]
٥١	١	عصبت
٥١	٧	جَنان الحاذر
٦٠	١٤	الإربة : الدهاء
٦٠	١٤	والأُربة: العقدة
٦١	٨	وتُعْظِم
٦٤	١٩	وتطمئنّ
٧٣	٢٠	مُبْسَلا
٩٠	١٥	السلامُ(١)
٩٠	١٦	مرتٍ(٢)
٩٤	٩	المسبَلِ
١٢٨	٨	خِلالَه
١٥٤	١١	﴿وقلنا يا آدمُ...﴾
١٥٥	١٩	(١) البيت لحاتم
١٨٧	١٥	﴿واللهُ جَعلَ ...﴾
١٩٣	٨	فلا يُبكين
٢٠٣	٩	« لا يُورِدَنَّ

ص	س	
٢٠٨	٤	جمَّعتَ
٢٤٣	٧	بعمرٍو
٢٩١	١٦	أيُّهما
٢٩٢	١	ولأُثال
٣٨٠	١	﴿وإذ أنجَينا كم...﴾
٤٧٦	٢	١ : ٤٣٨
٤٧٩	٢١	الفرزدق ١ : ٦٩
٤٨١	١٠	المــآدب : صخر الغى
٤٨٤	١٧	محمود الوراق ١ : ١٧١
٤٩٢	٢٠	الورد-حاتم الطائى(*)
٥٠٢	١٠	طويل (**) ١:٥١
٥٠٣	١٣	الفرزدق ٢:٢٨٣
٥٠٦	٥	١:١١٤/٢:٣١٠، ٤٧٩
٥١٠	٩	يتذرع « —
٥١٤	٦	زنديق: مساور الوراق ١: ١٣٤
٥١٦	١٥	بشار ١ : ٥٠٩
٥١٧	١	الفرزدق ١ : ٧٢
٥٢٥	١٣	٢:٢٥٥، ٢٥٧
٥٣٣	٣	« — ١ : ١١٠

(*) وتروى لقيس بن عاصم . (**) البيت لم تعرف نسبته .

ص	س			
٥٤٠	١٧	(يمين)	قيس بن عاصم	٢:٢٨٦
٥٤٣	٨	(يمين)	أن يغضبوا	١:١١٠
٥٤٧	١٢،١٣	(يسار)	يحذف ما بعد رقم ٤٤	
٥٤٩	١٤	(يمين)	هبوبها	١ : ٤٨٧
٥٤٩	١٨	(يمين)	نوائح	١:٥٥٩
٥٥٠	٢٥	(يسار)	الغوانى	٢:١٥١
٥٥١	٢٠	(يسار)	يمانيا	٢:٢٤٢
٥٥٤	٢٦	(يسار)	المكفّر	٢:٢٨٣
٥٥٥	٣	(يمين)	قالا	١:٧٢
٥٥٩	٢	(يمين)	همومها	١ : ٣٢٥

مكتبة
الدكتور مروان العطية